مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الأول — المحرم سنة ١٣٨٠ هـ — يونيه سنة ١٩٦٠ م — المجلد الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

من ذكريات المحرم
هجرة في سبيل الله وشهادة في سبيل الحق

بقلم : أحمد حسن الزيات

— ١ —

بعث الله النبي الكريم على فترة من الرسل في عصر غير ذي دين، وجيل غير ذي خلق، وبلد غير ذي زرع : فلقي صلوات الله عليه من سفه الجاهلية وكلَب المادية وكيد العصبية وحرمان الفقر وخذلان القلة ما لا يسعه طوق بشر إلا برَوح من الله وسند من الإيمان وعون من الخلق .

حمل محمد رسالة الله وهو فقير ضعيف ، وحمل أبو جهل رسالة الشيطان وهو غني مسلط ، فحول مكة المشركة جبلا من السعير سد على الرسول طريق الدعوة ، فكان يخطو في طرقها وشعابها على أرض تمور بالفتون وتفور بالعذاب ، وتفجُر عليه في كل خطوة سفاهة أبي لهب بالأذى والهون والمعاياة والمعارضة — وكل قرشي كان يومئذ أبا جهل أو أبا لهب إلا من حفظ الله . وافتن كفار مكة ومشركو الطائف في أذى الرسول فعذبوه في نفسه وفي أهله وفي صحبه ليحملوه على ترك الدعوة فلا لان ولا

استكان ولا خضع . وحينئذ تدخل الشيطان بنفسه فى (دار الندوة) فقرر القتل ، وتدخل الله برَوحه فى (غارثور) فقدر النجاة ! .

كانت ليالى الغار أحلك ليالى الهم فى تاريخ الدعوة : سيوف الغدر مصلتة فى أكف الفتية المختارين من قبائل قريش يرقبون مثوى الرسول بعيون لا تغفل ، وعلى نائم فى فراش ابن عمه متسجياً ببرده يوهم القوم أن طلبتهم بين أيديهم حتى لا يطلبوها فى مكان آخر . والمهاجر الفار بدينه من صولة الكفر لائذ بالغار فى أسفل مكة محصن نفسه بذكر الله ، ويطمئن قلبه بسكينة الصبر ، ويقول لصاحبه وهو لا يتقارُ من الخوف ولا يتماسك من الأسى : « لا تحزن إن الله معنا » . والمؤتمرون حين كشف لهم الصباح عن وجه الخديعة يطلبونه فى كل مكان ويرصدونه بكل سبيل ، حتى إذا لم يبق بينهم وبين الرسول والصدّيق إلا نظرة وخطوة ، أراد الله أن تدرك قدرته كلمته فطمس عين الباطل فلم ير ، وزلزل قدم الشرك فلم يلحق ، وانطلق محمد هو وصاحبه ودليله وخادمه على عيون المشركين فى الطريق الموحش الوعر حتى بلغوا طيبة . وهنالك بالصبر والصدق والإيمان والرجولة أثمر غرس الدعوة وتم نور الله . جمع الرسول شتات الجماعة ، ووثق عقدة الدين ، وأعد أهبة الجهاد ، فألف بين الأوس والخزرج ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وعاهد بين المسلمين واليهود ، حتى تكتّب فى يثرب جيش الله الذى فتح الدنيا بفتح مكة .

لم تكن هجرة الرسول هربا من وجه الموت كما يسميها كتاب الفرنج . فإن الأمر لو كان أمر الحياة لترك الرسول الدعوة وظل عزيزاً فى قومه آمناً فى سربه ، ولكنه أمر الله الذى قال فيه لعمه أبى طالب : والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته . إنما كانت الهجرة خروجا من أرض نبتْ على الغراس الالهى فلم تدعه ينبت ، وتحولا عن قوم صدوا عن سبيل الله فلم يدعوها تؤدى . وما كانت دعوة الحق فى مكة إلا غيثاً أنزله الله فى يباب القفر فغاض بعضه فى سباخ الأرض واحتبس بعضه فى أصلاد الصخر ، ثم نفس الله عنه من شدة الضيق والحصر فانبثقت عنه الحواجز الصم لجرى سيولا فى السهول والأودية ، وتشعب ينابيع فى القرى والمدائن ، يحمل الخصب والنماء ، ويوزع الرى والغذاء ، فأحيا موات الأرض ، وروى غلة الناس وكان منه العمارة والحضارة والخير .

كانت هجرة الرسول إلى المدينة هى هذا الانبثاق الذى انساح به الاسلام فى أقطار الأرض يحمل الهدى للأرواح الحائرة ، والسلام للنفوس المحروبة ، والألفة للقلوب

المختلفة ، ويحقق لهذا الانسان طريد العدوان وعبد الطغيان أحاديث أحلامه وهواجس أمانيه، من الأخوة التي يعم بها النعيم، والمساواة التي يقوم عليها العدل ، والحرية التي تخصب بها المدارك .

كان حادث الهجرة الذي جعل عامه عمر الحكيم العظيم تاريخاً للسلمين يحسبون منه أيامهم ويؤرخون به أحداثهم ، ملحمة من ملاحم البطولة استمدت إلهامها من وحي الله ، وروحها من خلق محمد ، وعملها من صدق العرب ، واستقرت في مسامع الأجيال والقرون مثلا مضروبا لقواد الانسانية يعلمهم الصبر على مكاره الرأي ، والاستمساك في مزالق الفتنة ، والاستبسال في مواقف المحنة ، والاستشهاد في سبيل المبدأ .

ثم كانت الهجرة أساساً لصرح الوحدة العربية أرساه الرسول في المدينة ، ثم قواه بفتح مكة ، ثم أعلاه خلفاؤه الراشدون بجمعهم العرب باديهم وحاضرهم على نظام ديمقراطي حر ، وفي حكم تيوقراطي منزه . فأصبحت السيادة للدين لا للنسب ، والإخاء في الله لا في العصب .

— ٢ —

ثم انصدع هذا الصرح بالفتنة الكبرى واشتداد النزاع على الإمامة بين علي ومعاوية ، أو بين هاشم وأمية ، وما اقتضته سياسة الأموي الأول من تغليب العصبية القبلية على القومية العربية ، وإيثار السياسة الدنيوية على السياسة الدينية ، وجعله ولاية العهد لابنه المستهتر بطريق لا سليم ولا مستقيم ، واستبداد الهوى المريض بقلب خليفته يزيد .

وكان بنو علي قد ورثوا عنه ما ورثه هو بحكم مولده ومرباه من مناقب النبوة ومواهب الرسالة ، فتولوا المعارضة بصراحة المؤمن ، وقادوا حركة الاصلاح ببسالة المجاهد ، وساسوا الناس بسياسة أبيهم ، فما قارفوا الأثرة ، ولا حاولوا الفرقة ، ولا راقبوا الفرصة ، ولا أثاروا العصبية ، ولا استخدموا المال ؛ ولكن دنيا الفتوح كانت يومئذ قد أخذت تتجاهل دنيا البساطة والزهد ، فلم تعد السياسة الدينية وحدها قادرة على كبح النفوس المفتونة بسرف القصر في الشام وترف العيش في العراق ، ففسد أمر بني علي بين طغيان الحكومة وخذلان الشعب . وشق على الحسين أن يرى دعوة جده تصير دعاية ، وخلافة أبيه تنقلب ملكا ، ووحدة قومه تصبح شتى ، فنهض بنفسه للأمر وأخذ يستنفر القبائل ويستنصر الأحزاب فما رجع من سعيه لديهم بطائل . ورأى له القدر المقدور أن يلتمس النصرة عند شيعة أبيه في العراق ، وكانوا قد وعدوه بالرسل ، ومنوه بالرسائل ، أن يريضوا له الأمر ويجمعوا عليه البيعة . فشخص إليهم بقومه ، وكانوا لا يزيدون على الثمانين ، فيهم نساؤه وأولاده ، وهو يردد في نفسه ما قاله

لأخيه محمد فى وصيته : « إنى لم أخرج أشرا ولا بطرا ، وإنما خرجت لطلب الإصلاح فى أمة جدى ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، فمن قبلنى بقبول الحق فالله أولى بالحق ، ومن رد على هذا صبرت حتى يقضى الله بينى وبين القوم بالحق ، وهو خير الحاكمين » .

ولكن جيش يزيد وكله من أهل العراق اعترض سبيله إلى الكوفة وفى قلب قائده العدوان وعلى لسانه التحدى ، فقابل ابن زياد الحلم بالسفه ، والمنطق بالعناد ، والإباء بالتحرش ، وحمل الحسين حملا على قتال يائس ، ثم منعه ورد الفرات واورده ظمآن حوض المنون ، فقتل سبط الرسول ومن معه قتلة لا يزال يرعد من هولها الدهر !

— ٣ —

هاتان ذكريان يخطرهما على البال حلول شهر المحرم من كل عام : ذكرى هجرة الرسول ، وهى عيد انطلاق الدعوة المحمدية من حصار مكة ، وانبثاق الرسالة الإلهية فى أفق المدينة ، وانعتاق الإنسانية كلها من رق الجهالة . وذكرى مصرع الحسين ، وهى مأتم الحق المقتول والحق المخذول والوحدة التى انصدعت فلم تلتئم منذ يومئذ حتى اليوم .

لذلك يستقبل المسلمون عامهم الهجرى بوجهين مختلفين ومظهرين متباينين : بعضهم يذكر به انتصار المهاجر العظيم فيلقاه بوجه منبسط وقلب مغتبط ؛ وبعضهم يذكر به استشهاد المجاهد الكريم فيلقاه بصدر ملتاع ووجه مكتئب ، ولو أن وحدتنا ظلت جامعة لاستقبلناه بوجه واحد ورأى جميع ، وتركنا فى ذمة التاريخ تلك المأساة التى شعبت الطريق وفرقت الإخوة وأوهنت العقيدة ، وفوضنا إلى مالك يوم الدين الفصل بين خصوم ذهبوا فى سبيل الغابرين منذ ثلاثة عشر قرنا وربع القرن ، فيسامحهم الله بفضله ، أو يجازيهم بعدله . وذلك هو الأحرى بأمة التوحيد ، وزعماؤها الذين ادخرهم الله لتجديد دعوته وتوحيد كلمته هم اليوم بسبيل التأليف بين القلوب ، والتوحيد بين المذاهب ، والتوفيق بين المصالح ، لينقطع الخلاف ويجتمع الشمل ، وليس من الحكمة أن يختلف صحابيان فى صدر الإسلام ثم يظل الناس على اختلافهما يختلفون ، ولا من العدالة أن يأكل الآباء الحصرم والأبناء يضرسون ؟

أحمد حسن الزيات

من ينابيع الهجرة

لإمام المسلمين الأكبر
الشيخ محمود شلتوت

ثلاثة عشر عاما تقضيها دعوة الإيمان القوية فى أصولها العميقة فى فكرتها بين أرجاء مكة وشعابها وبين هضابها ووديانها لا تمضى فى طريقها إلا فى كبت وضيق ، وفى عنت وإرهاق، وبين بأس وشدة ـ هذه المدة الطويلة دفعت المؤمنين بهذه الدعوة التى امتلأت قلوبهم بها إلى أن يفكروا ـ وهم يومئذ قلة فى العدد فى أن يهجروا هذا الجو الذى أفسدته العقائد الفاسدة والشرائع الباطلة والعادات الهزيلة التى كان لها فى هدم الإنسانية والقضاء عليها ما ليس للمعاول ولا لأدوات التخريب .

أجل، لقد استقر فى نفوسهم أن يهجروا هذا الجو الخانق الذى ضاق بهم وبدعوتهم إلى مكان آخر امتلأ برجال يقتحمون العقبة عن إيمان وصدق وحب ووفاء ، بل ويمدون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يد البيعة على بذل المهج دونه والوقوف من ورائه، يمنعونه مما يمنعون منه أهلهم وأبناءهم ويتم بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم العهد على توحيد الله وعبادته سبحانه عبادة خالصة . لقد رأى المؤمنون على قلتهم أن يهجروا جو مكة إلى مكان تستقر فيه دعوتهم ويكون لهم فيه وجود وكيان يمكن لهم من حياة تحوطها العزة وتؤيدها الكرامة ويدعمها التعاون والحب لتؤتى ثمرتها وتؤدى رسالتها .

وهكذا أصحاب الدعوات القوية : دعوات الحق واليقين التى يضيق بها أهل الباطل فى أجوائهم التى يعيش بها . أصحاب هذه الدعوات يرتادون لها الجو الذى يناسبها والمكان الذى يقبل الغرس والتربة الخصبة ليكون نباتها حسناً وزرعها يانعاً (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لايخرج إلا نكدا) .

ولقد ارتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانا خصبت تربته حيث غرس بيده الكريمة ولسانه الطيب وخلقه العظيم ، ودعوته الحكيمة وقلبه الملىء بالخير يحمله إلى الإنسانية فى حب وإخلاص ـ غرس شجرة التوحيد الخالص فى قلوب أظهرت استعدادها للذود عن هذه العقيدة التى حلت فى نفوسها واستقرت فى حنايا ضلوعها ، وبذا كانت الهجرة حدثاً من الأحداث الإسلامية الكبرى التى يجب

أن تظل فى قلوب المسلمين تحمل لهم سمات العظمة التى تدفعهم إلى بناء أمجادهم ودعم حياتهم .

لقد كانت الهجرة التى هاجرها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه هجرة إلى المبادئ السامية، فهى هجرة التوحيد البرىء والإخلاص فى أعظم صوره وأنقى ألوانه . هجرة يحوطها التوكل الصحيح ومحبة الخير للخير: هجرة صحبتها العقيدة الصحيحة التى ترجع بالحول والطول إلى الله سبحانه لا تعرف إلا الإنابة إليه والاستعانة به .

هذه المعانى السامية التى نهضت بالإنسانية من كبوتها ، وأنقذتها من وهاد جاهليتها ، كشفت لها أنها ما خلقت عبثا ، وأنها خلقت للإصلاح لا لتفسد فى الأرض ولا ليأكل قوى الناس ضعيفهم أو يسفكوا دماء بعضهم أو يقيموا على التحاسد والتباغض فتعمهم الفرقة ويسودهم التخاذل وضعف الشوكة .

تلكم هى بعض المعانى التى هاجر إليها النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه .

إن لأهل المبادئ والإصلاح والمثل العليا والقيم الذاتية أعداء يندفعون وراء أهوائهم الماجنة وشهواتهم الضالة ليحولوا دون انتشار الحق وذيوعه وأمثال هؤلاء خفافيش لا يحيون إلا فى ظلام ولا يعيشون إلا فى وهم وضلال . ليس لهم هدف صحيح يدركونه ، ولا غاية سامية يقصدون إليها ولقد منيت بهذه الروح أمم كما منيت بها أفراد تعميهم الأهواء والشهوات عن إدراك رونق الحق وبهائه فيتنكبون الطريق السوى ويضلون ضلالا بعيداً ، فإذا بهم عقبات أمام كل إصلاح وظلمات فى طريق النور ، ولكن سرعان ما تزول هذه العقبات وتتبدد هذه الظلمات وتنقشع كل سحابة فى هذا الطريق ، وإذ بنصر الله يؤيد ، وبقـوة الله تدفع مادام صاحب الدعوة مؤمناً بها ورجل الإصلاح حريصاً عليه فلا غرو أن افسد الله سبحانه مؤيداً لنبيه كل تدبير للشركين وأحبط عملهم ؛ أصمهم وأعمى أبصارهم وأخرج رسوله محفوفا بالعزة والكرامة «إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا» .

لقد كانت الهجرة بداية انتصار كما كانت بداية بناء لأعظم صرح حمى الإنسانية وأعلى شأنها وبذا تركت قلوب قريش تغلى كالمراجل فوق النار المتقدة تتبخر منها أفانين الحنق على سهام طاشت ، ومكر ردت نصاله فى نحورهم ومكايد ذهبت أدراج الرياح وهكذا يذهب الله كل عبث يراد به تثبيط الهمم أو الوقوف أمام المثل والأهداف .

أجل إن الهجرة التى تمت آتت أكلها وأثمرت ثمرتها فامتدت غصون الدعوة ما بين المشرق والمغرب فأبدل الله بها ظلمة الإنسانية

نورا وجهلها علما وفوضاها نظاما وجمعت فى الوقت نفسه بين قلوبهم بعد التفرق « فأصبحوا بنعمة الله إخوانا» وصاروا أمة واحدة ذات هدف واحد ومنهج واحد إيمانهم بالله رائدهم ، وتلمس مصلحة الجميع عنوان حياتهم ، لا أثر للفردية فيهم ولا الأنانية بينهم ولا تعرف العصبية الهوجاء طريقهم ، وإنما التواد والتعاون والمساواة والتراحم والتعاطف والإيثار دستورهم ومبادئهم وكل أمة تعتز بمثل هذه المبادئ أمة تقف فى وجه اللطمات فتردها وفى طريق البغى والعدوان فتصده فتحيا عزيزة لا تعرف الهوان كريمة لا تقبل الذل وبذا يتضاعف الخير عندها وتتزايد سعادة أفرادها .

وهكذا ظهر بالهجرة الوجود الدولى للأمة الإسلامية فى هذه البيئة الجديدة التى أحسن الله بنيانها بقوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

فهل لنا ونحن فى فاتحة العام الهجرى نودع عاما هجريا ونستقبل عاما آخر . هل لنا أن نتخذ لحياتنا عبراً من هذا الحادث العظيم الذى أسس به محمد صلى الله عليه وسلم أمة وحصن دعوة ، وبلغ رسالة وأدى أمانة ؟ وهل لنا أن نتخذ من حادث الهجرة ما ينير لنا الطريق ويشرح صدورنا لترسم خطته صلى الله عليه وسلم فى الإصلاح ؟ ترتبط العقيدة الواحدة بين أفراد الأمة ، والأخوة بين عواطفهم لا أثرة ولا طوائف ولا سيد ولا مسود ؟ .

هل لنا أن نتخذ من حادث الهجرة عظة وعبرة فنهجر الرذيلة لنبنى فى أمتنا صرحا عاليا من الفضيلة وأن نملأ فراغنا وفراغ شبابنا بالعمل النافع الجاد وأن نخلق فيهم رقابة الضمير الذى يدفعهم إلى أن يهجروا كل فساد وبغى ويسيروا إلى كل نهضة وإصلاح .

إننا نريد أن نتخذ منه عنوان حياتنا الذى ينطلق فيها مصباح الهداية الإلهية فيضىء ويوجه ويعمل جاهدا فى تخليص الإنسانية من تلك الظلمات التى تجعلها على شفا حفرة من نار العداوة والحقد والتحاسد ، وفى تخليصها من الباطل الذى يكاد يغطى على عقول كثير من أهل البغى والظلم والعدوان وفى تخليصها من الباطل إلى الحق الذى يبنيها ويهيئ الخير لها إن آباءنا قد بنوا أمجادهم على أساس من الإيمان بفكرتهم وصدق فى دعوتهم وحرص على دينهم وعقيدتهم فهل لنا أن نكون كذلك لنكون منهم ومثلهم نرجوه حقق الله الآمال للأمة الإسلامية الجامعة . والله المستعان .

محمود شلتوت

فن جديد من فنون الدعوة

للأستاذ عباس محمود العقاد

وربما صح أن يسمى فن الإقناع الآلى، أو فن الاضطرار إلى الاختيار، ولكن لابد - على أية حال - من التفرقة بينه وبين ضروب أخرى من المعارف والفنون تشاركه فى الإقناع وتختلف أحيانا كثيرة فى الوسيلة والأداة، ومنها علم المنطق وهو الإقناع بالبرهان، وفن الخطابة وهو الإقناع بالكلام المؤثر، وفن الدعاية وهو تصوير الأفكار والآراء على الصورة التى تسوق المخاطبين إلى القيام بعمل مرغوب فيه أو اجتناب عمل مرغوب عنه، فإن الفن الجديد من فنون الدعوة يعتمد على وسائل شتى للإقناع وتبديل الآراء والأخلاق غير البرهان والكلام المؤثر وأساليب العرض بالدعاية العامة سواء منها أساليب الكتابة والخطاب وأساليب التصوير والتمثيل.

ويكفى أن نذكر فارقا واحداً تظهر منه سائر الفوارق بين هذا الفن الجديد وبين تلك الفنون، فنقول إن هذا الفن قد يصل إلى تبديل آراء الإنسان من النقيض إلى النقيض بعملية جراحية أو تبديل «الشخصية» فى تكوينها العقلى، فلا يدرى صاحب الشخصية كيف حدث التحول فى تفكيره ومسلكه، لأنه من أثر علاج جسدى أو «دماغى» كعلاج البتر وتبديل الأعضاء فى بعض العمليات وأنماط العلاج بالعقاقير.

ويطلق أصحاب هذا الفن أسماء ثلاثة على هذه الدعوة الجديدة، تختلف باختلاف الوسيلة وقوة الفعل وحالة المعالج ومقدار خضوعه لمن يتولاه بالعلاج.

وهذه الأقسام الثلاثة هى:

أولا: بث المذاهب والآراء ويصح أن نسميه بالتلقين أو الإيحاء، ترجمة لكلمة Indoctrintion ومعناها الحرفى «المنهبة» أو الإنظار من «النظر» أو النظرية.

وثانياً: غسل الدماغ ترجمة حرفية لكلمتى Brain washing.

وثالثاً: توجيه الأفكار ترجمة لكلمتى Thought Control وقد تترجم بالسيطرة أو الرقابة على الأفكار.

والتلقين هو أهون هذه الأساليب، لأنه يستخدم فى الحالات التى تحاط فيها قدرة الملقن ببعض القيود، فلا يستطيع أن يتسلط كل التسلط على الشخصية التى يحاول تلقينها ما يريد، ويلجئون إليه أحيانا فى معاملة

الأسرى الذين يخشى آسروهم أن يشتدوا فى معاملتهم لأن أمثالهم من الأسرى موجودون فى المعسكرات الأخرى ، وقد ينتهى الأمر بعد فترة محدودة إلى تبادل الأسرى بين الطرفين ، فإذا اشتد هذا الفريق فى معاملة أسراه فقد يشتد الفريق الآخر مثله أو يذيع الأمر فى الهيئات الدولية إذا كان فيه شىء من المخالفة للمعاهدات والشرائع المتفق عليها .

وتقوم وسائل التلقين على الإكثار من الأسئلة التى لا خطر لها فى ظاهر الأمر غير استطلاع حالة المسئول والنفاذ إلى أسرار مزاجه من مجرد ميله إلى التبسط فى الكلام أو إلى التحفظ فى الجواب أو إلى المراوغة التى يعرف لها سبب من الأجوبة نفسها أو تدل على سبب يتيسر الوصول إليه من معاودة السؤال .

فإذا كتب السائل للمسئول مائة سؤال فمنها السؤال عن اسمه وأسماء أبويه وإخوته والسؤال عن معيشته الأولى وعن مسكنه وعن جيرانه وعشرائه فى صباه ، ومنها السؤال عن شعوره نحو نظام من النظم الاجتماعية أو نحو عظيم من عظماء قومه وعظماء الأقوام الآخرين ، ومنها السؤال عن زواجه أو عن خطبته أو عن خطيبته أو عن أصهاره ، ومنها السؤال عن علاقاته الجنسية وعن رأيه فى المحرم منها والمباح والمألوف منها وغير المألوف .

وقد يسأل الأسير عن أسباب وقوعه فى الأسر وعن الفرقة التى كان فيها عند أسره . وعن زملائه الذين وقعوا مثله فى الأسر أو تمكنوا من الهرب فهربوا ولم يستطع هو أن يهرب مثلهم لعجزه عن المقاومة أو قلة اكتراثه أو غير ذلك من الأسباب التى تنم على معدنه ومزاجه ولو عمد فيها إلى المغالطة واختلاق المعاذير .

فإذا اطلع الخبير النفسانى على مائة جواب لمائة سؤال من هذا القبيل لم يعسر عليه أن يتفهم طبيعة المسئول واستعداده لقبول بعض الآراء ونفوره من غيرها وأن يتفهم منها مكامن الهوى الضعيف أو القوى التى ينقاد منها للإغراء أو للخوف أو للتأثير أو للخداع أو للطاوعة والنفاق إيثاراً للعافية واستخفافا بمسائل السؤال والجواب .

وهم يقسمون المسئولين إلى ثلاثة أقسام : أحدها عسير لا أمل فى تحويله وقد يكون العناء فى تحويله أكبر من الفائدة المرجوة من بذل ذلك العناء .

والقسم الثانى عسير يخضع للمعالجة بعد حين مع بذل بعض المجهود المستطاع .

والقسم الثالث سهل مطيع خاضع للإقناع والتأثير ، وقد يبدو من أجوبته أنه راغب فى التحول عن رأيه قليل المعارضة فى موضوع السؤال أو قليل المعارضة للمخالفين له على الإطلاق

ومتى تم هذا التقسيم بدأت وسائل التأثير واستخدمت فيها وسائل التخويف والإغراء ومنها العزلة وزيادة المشقة والإذلال والتمييز في المعاملة ، وأبلغ ما يكون الإغراء أثراً حين يلبس كوامن الأحقاد الاجتماعية ، والعصبيات القومية والدينية ، ونوازع الغرور والعاطفة ، وأبلغ من ذلك أثراً حين يزلزل قواعد الثقة بالماضي والحاضر والمستقبل ، ويعم فيه الشك والقلق حتى ينتزع من نفس الفرد كل طمأنينة إلى أمثاله وإلى المجتمع الذى نشأ فيه ، وإلى الأمثلة العليا التى يعلق عليها آماله فى الحياة ، وي التحويل بمقدار نجاح الملقن فى عزل « الشخصية » التى يعالج تحويلها إلى أن تصبح هذه « الشخصية » على انفراد بينها وبين سائر الناس ، فلا تنعقد الثقة بينها وبين أحد ممن حولها ، ولا يكون العالم الإنسانى فى نظرها غير مجموعة من « النكرات » لا تتميز فيه الملامح والأشكال ، ولهذا شوهد أن المقاومة تشتد وتستعصى على العلاج كلما بقيت للإنسان صلة دينية أو قومية أو فكرية على نحو من الأنحاء ، وقد لوحظ أن الأسرى المسلمين فى الحرب الكورية بطلت فيهم الحيل ، فلم يفلح الملقن فى استخلاص شىء منهم غير كلمات انتقاد لحكوماتهم فاه بها اثنان بين مئات من الأسرى ، وعاقبهما إخوانهما عليها بالمقاطعة والاحتقار ، فندما على ما فاها به بعد أيام ، وهذا مع نجاح الملقنين فى تحويل ألوف من الأوربيين والأمريكيين حتى رفض بعضهم أن يعود إلى وطنه بعد نهاية القتال .

أما وسيلة « غسل الدماغ » فقد يقع فيها ما هو أعنف وأسرع وأبلغ أثراً من التلقين بالإيحاء ، وبث الأفكار فى الجماعة وعلى انفراد ، وقد تستلزم سحق الشخصية حتى تعجز عن المقاومة بل عن مجرد الرغبة فيها ، فيتقبل الإنسان كل ما يلقى إليه ثم يصدقه ويؤمن به ويتعصب له بعد معاودته لرغباته ونشاط فكره وجسده ، ويخرج من العلاج مخلوقاً آخر غير المخلوق الذى بدأت معه المحاولة أول الأمر على غير هواه .

ومن وسائل غسل الدماغ إجراء عملية جراحية فى مقدم المخ على الطريقة التى اتبعها بعض الجراحين فى ترويض الحيوان الشرس أو الحيوان المريض .

ومن وسائله استئصال الغدد وحقنها بما يضعفها تارة ويضاعف نشاطها تارة أخرى :

ومنها المعالجة بالعقاقير التى تشل الإرادة ولكنها لا تشل الدماغ عن العمل والاستماع إلى التلقين والتوكيد .

ومنها استخدام العقاقير لتخدير المصاب واستعادة بعض المزعجات التى تغلغلت فى

باطنه ثم إطلاق العنان لها لكى تبلغ مداها من الثورة الشعورية فيستريح المصاب من المزعجات المكتومة بتصريفها وتحويلها من الباطن المجهول إلى الظاهر المكشوف ، وتنجح هذه المحاولة فى أحوال الخوف والغضب ولكنها لا تنجح مثل هذا النجاح فى أحوال السآمة والكآبة والاستسلام ، بل لابد فى هذه الأحوال من رد المصاب إلى النشاط النفسانى ، ولو بتعريضه لتيارات الكهرباء أو نقص بعض المقادير من المواد الجسدية وزيادة بعضها على نسب مقدورة يختارها الأطباء المختصون لكل مريض على حسب الضرورة .

وقد يعمدون فيما يسمونه غسل الدماغ إلى تحطيم المقاومة الشخصية بالتعب المفرط أو التهويل المرعب أو بالتجويع والإظماء إلى المدى الذى يبطل بعده كل ثبات على المقاومة ، ثم يعمدون إلى علاج العقاقير والكهرباء والوسوسة بالأفكار والنوازع النفسية خلال ذلك بغير إكراه ولا إظهار للرغبة فى الإقناع ؛ لأن المصاب ينتهى بعد ضروب العلاج المتقدمة إلى حالة كحالة الطفل الذى يحكى كل ما يراه ويسمعه حكاية آلية لا تفكير فيها ، ثم يرسخ فى طويته كل مارآه وسمعه كذلك بغير تفكير .

* * *

وقد امتلأت مكتبة الدراسات النفسية بمئات المؤلفات التى يكتبها علماء النفس والأطباء الجراحون وأطباء الأمراض العصبية والباطنية فى موضوع التلقين وموضوع غسل الأدمغة ، فثبت من هذه المؤلفات أن كثيرا من التجارب التى أجريت بعد الحرب العالمية الثانية بصفة خاصة كان لها أثر فعال فى انتزاع الأوهام التى غرستها مخاوف الحرب فى أذهان المقاتلين وغير المقاتلين ، وأنها قد يساء استخدامها فى محاولات غير مشروعة لتخدير الإرادة وإملاء الخواطر التى يرفضها المصاب كل الرفض لو رجع الأمر إلى اختياره ، وقد يعالج بمثلها للخلاص مما أقحم على ذهنه من الدوافع والخواطر تملك حريته فى العودة إلى ما كان عليه قبل إخضاعه لذلك « الإقناع بالإكراه » .

أما المقصد الثالث من هذا الفن الجديد وهو توجيه الأفكار ، فالجديد منه محدود بما حدث من المخترعات أو بما تداوله الاصطلاح العصرى من أسماء العلل وضروب العلاج ولا نذكر فيما عدا ذلك كشفا جديداً يزيد به المعاصرون على فنون الدعاية التى عرفها الأقدمون وبخاصة دعاة الدولة الفاطمية قبل ألف سنة ، فليس فى دعاية العصر من جديد ذى بال يضاف إلى دعاية السر والعلانية التى

حذقها أقطاب الدعوة الفاطمية فى تخريج المريدين على درجات إلى التشويق بالأسرار والكنايات إلى اختراع النحل وتنظيم الندوات وعرض المناقشات وتسيير المواكب وإقامة الموالد واستغلال الخفايا والرموز وتيسير وصول بعض الأفكار وتعسير وصول بعضها أو الاحتيال على وصوله بعد إثارة الشكوك حوله وإحاطته بالتهم والشبهات .

وعلينا أن نذكر فى هذا الصدد كما نذكر فى كل معرض من معارض البحث ذلك السؤال الخالد : هل من جديد تحت الشمس ؟

والجواب الخالد على ذلك السؤال الخالد أنه لا جديد كل الجدة فى أمر من أمور هذا العالم الإنسانى المتكرر المتجدد المستعاد على شتى الوجوه والأشكال .

فماذا كان يصنع الوعاظ الأقدمون كلما أنذروا الناس وخوفوهم غضب السماء أو شوقوهم إلى النعمة والغفران أو استثاروا غضبهم على أعداء الحق وأشياع الباطل وفرقوا أمامهم بين حزب الله وحزب الشيطان؟ .

وماذا كان يصنع الناس والهداة كلما اعتصموا بالصيام والعزلة وجاهدوا الجسم والنفس بالرياضة على الشدائد والزهد فى اللذة والراحة والإعراض عن مزالق الإغراء والترغيب والصبر على ألوان التعذيب والترهيب ؟ .

إنهم جميعاً كانوا يعلمون أثر الخوف والغضب فى تهيئة النفوس والأذهان للإصغاء إلى الوعد والوعيد ، وكانوا يعلمون جميعاً أن زمام الروح مرهون بزمام الجسد وأن الفكرة التى تكسر الشرة وتقمع الشهوة ضرورة لازمة لتمهيد سبيل الاعتقاد وتغليب العزيمة على وساوس الشك والغواية .

وقديما عرف الهداة كيف يغسلون القلوب أو يغسلون « الأدمغة » إذا طاب لنا أن نتحدث برموز العصر الحديث ، ولكنهم أقنعوا الناس كما أقنعوا أنفسهم ولم يجعلوهم آلات تدار إلى اليمين أو إلى اليسار ؟

عباس محمود العقاد

الحديث المطول

قال أحمد بن الطيب : كنا عند بعض إخواننا فتكلم وأعجبه من نفسه البيان ومنا حسن الاستماع حتى أفرط . فحصل لبعض من حضر ملل فقال : إذا بارك الله فى الشىء لم يفن ، وقد جعل الله فى حديث أخينا البركة .

الكرامة والعزة فى القرآن الكريم

للأستاذ محمد محمد المدنى

ب — العـــزة

— ٢ —

أثبت القرآن الكريم العـزة الحقيقيـة للمؤمنين، ولم يقصد أن الناس فريقان مؤمن وكافر، فللأولين العزة هبة من الله ومنحة ومحاباة، وللآخرين الذلة عقوبة ولعنـة وطردا من رحمة الله.

لا! ولكن القرآن يجعل العزة للمؤمنين ثمرة لنوع من السلوك والصفات من شأنه أن يكون فى المؤمنين، ومن تتبع الأوصاف التى وصف بها القرآن المؤمنين، فإنه يرى المنهاج الرشيد، والصراط المستقيم، الذى ينبغى أن يتخذه الإنسان مثلا له فى الحياة، وأن يطبع نفسه فى جميع تصرفاته بطابعه، ليكون كاملا وليقتعد مكانة العزة الحقيقية عن جدارة واستحقاق.

وأحب أن أعرض لبعض الآيات الكريمة التى جاءت ببعض صفات أهل الإيمـان كأمثلة لما نريد:

يقول الله تعالى:

١ — «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله، إن الله عزيز حكيم» ٧١ / التوبة.

تذكر هذه الآية الكريمة صفات للمؤمنين والمؤمنات، وتتحدث عن هـذه الصفات بأسلوب الإثبات، وأنها شأن من شئونهم وطابع هم به مطبوعون.

الصفة الأولى:

«بعضهم أولياء بعض». والولاية صفة تجمع المحبة والتكافل والتناصر، ففلان ولى لفلان أى حبيب له وصديق حميم: «ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم». وفلان ولى فلان أى متولى أمره وصاحب شأنه وكافله، وفلان وفلان بينهما ولاية أى تكافل وترابط، كلاهما يرى لصاحبه من الحق ما يراه لنفسـه، وكلاهما يفرح لفرح الآخر ويألم لألمـه، وهما متناصران ينصر كل منهما صاحبه.

هـذه هى المعانى اللغوية فى اللـغة العربية

الولاية والأولياء ، والمؤمنون متصفون بهذه الصفة ، مرتبطون بهذه الرابطة ، فالأساس فيما بينهم هو المحبة الصادقة الصافية ، والقاعدة عندهم هي التكافل في الخير والشر ، في الغنى والفقر ، الحرب والسلم ، مصلحتهم واحدة غير متجزئة ، وأهدافهم واحدة غير متفرقة ، وبينهم تناصر ، فإذا اعتدى على طرف من أطرافهم هبت جموع الأطراف تنتصر له ، وتدافع عنه وتشاركه في بأسائه حتى تنكشف عنه البأساء ، وتقاسمه ألوان ضرائه حتى تزول عنه الضراء ؛ فهذا هو مجتمعهم ، فهل يمكن أن يذل مثل هــذا المجتمع وأن يركع أمام حدث من الأحداث ، أو طاغية من الطغاة ؟ كلا والله !

الصفة الثانية :

« يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وهي صفة لازمة للصفة الأولى ، فإن الولاية بين الوليين تقتضي النصيحة ، وأن تقوم العلاقات على أساس المكاشفة والمناصحة ، لا على أساس المخادعة والمصانعة ، فالولي ينصح لوليه ، يأمره بالمعروف فيؤدي بذلك حق ولايته ونصيحته ، وينهاه عن المنكر فيؤدي بذلك حق ولايته ونصيحته .

وهذه الصفة أيضاً تدلنا على أن المجتمع الصالح ، وهو مجتمع أهل الإيمان ، أو أهل صفات الإيمان ، هو المجتمع الذي يكون فيه رأي عام حساس غيور ، قوي مسموع ، نافذ الكلمة ، ذلك أن المجتمع الذي ينطوي فيه كل إنسان على نفسه ، وينقطع عن الآخرين ، ولا يهمه أن يصلح الأمر من حوله أو أن يفسد ، إنما هو مجتمع منحل لا يمكن أن يستقر أمره ، وأن يكون سعيداً ولا بد أن يستشري فيه الفساد ، ويكثر المنكر ، ويقل العمل الصالح ، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجتمع ما هو صمام الأمن ، وميزان الصلاحية والاستقامة ، ولذلك يخطئ من يظن أن الإسلام يكتفي من المؤمن بأن يرعى شئون نفسه ، وألا يعبأ بما حوله ، وأن يعيش في مجتمعه عيشة المنكمش المنطوي على نفسه ، تمسكا بما قد يفهم خطأ من قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » نعم لا يضرني من ضل إذا اهتديت ولكن ما معنى « اهتديت » أليس أن آخذ بتعاليم الحق ، وأن أؤدي واجبي حق الأداء ؟ وهل أكون « مهتديا » إذا فرطت في ذلك ، وعشت على جانب الحياة إمعة ؟ هل أكون مهتديا إذا عطلت مواهبي ، وحرمت الأمة من قواي التي هي جزء من قواها وحق من حقوقها ؟ هل أكون مهتديا إذا اعتزلت المصلحين فلم أعاونهم ، والضالين فلم

أحاول ردهم ، ولم أتحايل لإبلاغ كلمة الله إليهم ؟ .

كلا ! ولذلك أجدنى دائما حريصا على أن أفهم المعنى فى قوله تعالى: « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » على أنه أمر للأمة حاسم بأن تكون أمة هذا طابعها ، وهذا لونها ، أمة دعوة إلى الخير . أمة إحساس بالخير وبالحق ، أمة غيرة على المعروف تريده وتحب أن يفعل ، أمة غيرة ضد المنكر تمقته ، وتمقت أن يفعل ، فهذه الأمة هى التى تفلح وهى التى تقتعد منزلة العزة [١] ، أما التفسير الآخر الذى يقوم على أن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبات كفائية إذا قام بها البعض سقطت ـ كما يقولون ـ عن الباقين، فإنه تفسير ضيق ، تفسير لا يتفق وغرض القرآن الواضح فى مثل هذه الآية التى تقول فى صراحة « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »فهى تجعل هذا شأنا عينيا لكل مؤمن ومؤمنة لا شأنا كفائيا .

الصفتان الثالثة والرابعة :

« ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة » فإقامة الصلاة إصلاح للنفس ، وتقوية للروح ، وارتباط بين العبد وربه من شأنه أن يهذبه ويقربه وينهاه عن الشر والفساد « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وإيتاء الزكاة هى صفة المجتمع المتراحم ، الذى يتعاون أغنياؤه وفقراؤه.والذى لا بخل فيه ولا أثرة ولكن إحسان وبر ومعروف .

فمثل هذا المجتمع الراشد العزيز الذى تقوم عزته على أساس من العمل الصالح ، لا على مجرد إدعاء الإيمان .

الصفة الخامسة :

« ويطيعون الله ورسوله » وهى جماع الصفات الراشدة ، ما ذكر وما لم يذكر ، فإنه لا عز إلا فى طاعة الله ورسوله ولا صلاح إلا بهذه الطاعة يستوى فى ذلك الأفراد والأمم .

ولذلك يختم الله هذه الصفات التى وصف بها عباده المؤمنين بقوله: « أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم » .

والرحمة هى تيسير أمورهم ، وإصلاح شئونهم ، وكشف الأحداث العامة عنهم ، ودرء المصائب أن تحل بهم وتطهير مجتمعهم

---

(١) و « من » على هذا التفسير « من التجريدية » لا تبعيضية » على حد قول القائل لى من فلان صديق حيم أى هو صديق حيم .

من أهل الفساد والباطل والشر ، وارتفاع قيمتهم ومنزلتهم بين الأمم ، وإيقاع هيبتهم فى قلوب غيرهم ، وتلك هى مظاهر العزة والشرف والرفعة ، يهبها الله لمن يستحقونها فيرحمهم بها ، وهو « عزيز » لا يغلب على أمره ، « حكيم » لا يضيع أجر من أحسن عملا .

٢ ـ « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » . ١٠٥ (الأنبياء) :

تتحدث الآية عن سنة من سنن الله الكونية التى لا تتبدل ولا تتحول ، والصالحون الذين يرثون الأرض ليسوا هم المدعين الصلاحية أو الصلاح دون عمل وسعى ومثابرة وإخلاص ، ولكن هم العاملون ، وقد وصفهم الله فى آية أخرى حيث يقول : « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » ، ورب الأكوان ومدبرها ليس رب ألقاب ولا دعاوى ، فهو إنما يعطى من يستحق العطاء ، ويمنع من يستحق المنع ؛ لأنه ربط عطاءه ومنعه بأسباب ، ولم يجعل هذا ولا ذاك ارتجالا ، ولم يتركه للمصادفات والحظوظ التى تخبط خبط عشواء ، « تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا » ، فلكل عامل عمله ولكل مجتهد نصيبه .

وقد أتى على العروبة والإسلام حين من الدهر ظنوا فيه أن الله ينصر (المسلمين) أو (العرب) لمجرد أنهم هم المنتسبون إلى دينه أو رسوله ، فإن كانوا لم يظنوا ذلك علما وفهما ، ، فقد ظنوه عملا ، حيث اكتفوا بالانتساب وبلقب الإسلام أو العروبة ، وتركوا ميادين العلم خالية منهم ، وميادين القوة خالية منهم ، وميادين الجهاد والنضال خالية منهم ، وبرزوا فى ميادين أخرى من التخاذل والتهافت والتقاطع والتدابر والارتماء فى أحضان الأعداء ومساعدتهم على تقطيع الأوصال ، وإذلال الرجال وتشريد الأحرار ورضوا بالفتات قانعين ، وهم يرون مستعمريهم يخبون وينعمون فى خيرات بلادهم ويسخرونهم ماكرين فى مصالحهم ومنافعهم ومعايشهم .

فهل يتفق هذا وما يزعمونه لأنفسهم من الإيمان أو الإسلام أو عزة العروبة ؟ .

كلا والله . فإن سنن الله لا ترتبط أبدا بالألقاب ، ولا تنخدع عن الماء بالسراب ! .

٣ ـ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله

عفوا غفورا . ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما » ٩٧ - ١٠٠ / النساء .

ولا نريد أن نتوسع بشرح هذه الآية الكريمة تفصيلا، ولكننا ننبه إلى أنها نزلت فى سياق نعى القرآن على المتخلفين عن الهجرة حين كانت الهجرة هى السبيل إلى عزة الإسلام، وهى الوسيلة إلى التقوى والاستعداد لإبطال كلمة الكفر ، فقد وجد فريق ضنوا بأنفسهم وبأموالهم وديارهم فلم يهاجروا ، ولم يكن هذا الضن اعتزازا بها وثقة بأنهم سيبقون أقوياء فيها لهم كرامتهم وعزتهم ، ولكنه كان خضوعا وتقبلا لما لا ينبغى أن يقبله المؤمن الحق ، من الإقامة على الضيم ، والرضا بالذل ، كان إيثاراً للعيش الذليل المهين على العيش الكريم، عيش الجهاد والنضال والتحول إلى ديار ترسم فيها خطة العودة إلى الوطن ، وتخليصه من براثن المفسدين والمبطلين ولذلك اعتبرهم ملومين ظالمين لأنفسهم ؛ لأن الذى يقبل الذل ظالم لنفسه مهين ، ومثل لنا القرآن صورتهم وهم بين يدى الملائكة حين تحضرهم الوفاة ، وقد عجلوا بلومهم وتعنيفهم قائلين لهم ، فيم كنتم ؟ استنكاراً لمكانهم الذى كانوا فيه أذلة قابعين ، فإذا اعتذروا بأنهم كانوا مستضعفين لم يقبلوا عذرهم وزادوهم تأنيباً ، ثم نرى الآيات بعد ذلك تستثنى المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فتفيدنا أنه لا ينبغى للمؤمن أن يسكت على ضيم ، أو يقيم على ذل ، إلا إذا فقد كل حيلة ، وانسد عليه كل سبيل ، فإنه حينئذ مرجو أن يعفى عنه « فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم » . وانظر إلى هذا الاحتياط العظيم فى العبارات التى عبر بها فى هذا المجال ، حيث قال : « لا يستطيعون حيلة » بهذا التعبير الدال على انتفاء أية حيلة : « ولا يهتدون سبيلا » بهذا التعبير الدال على انسداد كل سبيل ، ثم باستعمال اسم الإشارة الخاص بالبعيد « فأولئك » كأنه يشير إلى صنف بعيد ، ثم باستعمال « عسى » الدالة على أن هذا أمر يحتاج إلى أن يقرب بالرجاء لبعده ، ثم بالتعبير بقوله : « يعفو عنهم » وهو مؤذن بأنهم مع هذا أخطئوا لأن الذى يعفى عنه هو الذى قارف الذنب ، ولكن كان له عذر أو بعض عذر ، ثم بإثبات أن مرجع ذلك إلى أن الله « عفو غفور » أى كبير العفو ، عظيم الغفران ، كأنه يقول : لولا كبر عفوه وكثرة غفرانه لما استطاعوا أن يتخلصوا من موقفهم الذى وقفوه .

فانظر إلى هذا الأسلوب وإلى ما يوحى به

من أهمية العزة والكرامة فى نظر القرآن ، ومن سوء مصير الذين يرضون بالذلة والإقامة على الضيم ! .

لا شك أن هذا بناء قوى لصرح العزة التى يريدها الله للمؤمن ، ولا يحب أن يراه فى غير مستواها الرفيع .

٤ — « يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ، واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم . يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ، ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم » ٢٧ — ٢٩ / الأنفال .

وهذه آيات ثلاث تتضمن برنامجا عمليا إيمانيا إذا أحسنا فهمها ، وفقهنا ما ترمى إليه من تكوين مجتمع ذى ضمير يراقب كل أفراده أنفسهم وأعمالهم رقابة دقيقة .

فالله تعالى ينادى المؤمنين بهذا النداء الحبيب المؤثر « يأيها الذين آمنوا » وفيه إيحاء بأن رابطة الإيمان وعقده الذى عاقدوا الله عليه ، له تكاليف عملية يجب أن يوطنوا أنفسهم عليها .

فمن هذه التكاليف أن يكونوا أمناء على ما أؤتمنوا عليه ، فلا يخونوا الله والرسول ولا يخونوا أماناتهم وهم يعلمون .

وهذه عبارة قوية عن وصية جامعة ، فالمؤمن يعلم أن الله عنده أمانات قد ائتمنه عليها وأن لرسول الله أمانات يجب أن ترعى ، وأن له مع إخوانه المؤمنين ، ولإخوانه المؤمنين معه أمانات كل واحد منهم مطالب بأن يؤديها ، فالدين أمانة ، والعلم أمانة ، والحق أمانة ، والانطواء على النية الصالحة أمانة ، والحكم أمانة ، والقضاء أمانة ، والعدل أمانة ، والتعليم أمانة ، وبين الزوج وزوجه أمانة ، والأولاد أمانة ، والأموال أمانة ، إلى غير ذلك من جميع وجوه العمل والنشاط والفكر والسلوك ، فإذا اعتقد المؤمن أنه قد اؤتمن على كذا ، وأن عليه أن يكون أمينا على ما أؤتمن عليه ، وجد معنى الرقابة ، التى يسميها القرآن « التقوى » والتى يسميها الناس « الضمير الحى » وقد يصف القرآن نفس المؤمن التقى بوصف يفيد معنى الحساب ، وذلك فى قوله تعالى : « لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » فيوم القيامة معروف ، وهو يوم الحساب ، يوم أن يلقى الإنسان جزاء ما قدمت يداه ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، والله تعالى يقسم به ، إيذانا بعظمته وخطره ، ثم يقسم معه بشىء آخر هو « النفس اللوامة » أى التى تراجع صاحبها وتسائله دائما عما عمل أو عما قال ، أو عما لم يعمل ولم يقل ، وتلومه إن قصر حيث كان يجب أن يعمل أو يقول ، أو إن أسرف

حيث كان يجب أن يقتصد . .إلخ ، فهذا هو الضمير الحى أو هو التقوى ، وقد ورد التعبير فى القرآن عن هذا المعنى بعبارات أخرى منها قوله تعالى : « إن الله كان عليكم رقيبا » ، « ألم يعلم بأن الله يرى » ، « وكان الله سميعا عليما » ، « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » ، فهذه كلها هى أساس تربية المؤمن على خلق المراقبة وغرس معنى الأمانة فى نفسه ، وبث هذا فى كل ما يتصل به من قول أو عمل أو سلوك أو نية أو دخيلة نفس .

ثم تأتى الآيات بعد ذلك بتحذير قوى من الفتنتين العظيمتين فى الحياة: فتنة الأموال وفتنة الأولاد ، وهما السر فى أكثر ما يقع فيه الناس من خيانة للأمانات وتجعل فى مقابلهما ما عند الله من أجر عظيم لمن لم ينخدع بهما ، ولم يمله أحدهما عن الصراط السوى لأهل الإيمان .

ويأتى بعد ذلك أسلوب النداء باسم الإيمان مرة أخرى « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم » إيذانا بأن سنة الله فى خلقه أن من راقب ضميره ، وحاسب نفسه ، فلن يضيع أبدا ، ولابد أن يخلصه الله من المآزق والحرج ، ويجعل له فرقانا ، وربما فسر هذا أيضا بأن صاحب الضمير الحى يكون فى العادة خبيرا بالأمور ، بصيرا بها ، ذا حاسة تفرق بين الخير والشر وبين الحق والباطل ، وبين ما ينفع وما يضر ، فذلك هو الفرقان الذى يجعله الله لمن يتقيه .

وأحب أن أقول هنا كلمة : وهى أن كثيرا من الناس ربما فهم أن « التقوى » خلق دينى روحى يتصل بأنواع العبادات والقربات الروحية من صلاة وصوم ونحو ذلك .ولهذا نجد لفظ « التقى » فيما بيننا يطلق على كل من أرخى لحيته ، وحرك سبحته ، وتمتم وهو سائر فى الطـــريق ، أو جالس بين الناس ، بآيات يقرؤها ، أو دعوات يرددها ... إلخ .

ولكن التقوى أوسع من ذلك ، وقد توجد فيمن ليس كذلك ، وتنعدم فيمن يحرص على المظاهر الجوفاء والأساليب الخلابة ، إن التقوى ـ كما قلت، وكما تدل عليه آيات القرآن وأحاديث الرسول وكلام العلماء هى ذلك الخلق الذى لا يفارق الإنسان حيثما كان ، فى أى تصرف ، فى الملأ وفى الخلاء إنها هى السر بين العبد المؤمن وربه ، وهى المعيار والمقياس والمكيال والباعث والحاجز فإذا استقر هذا الخلق فى مجتمع ، فلا بد أن يصلح أمره وأن يبلغ منازل العزة والرفعة، وأن يكون سعيدا .

إن التكاليف الروحية المطلوبة يسيرة ، فالصلاة مثلا لا تشغل الإنسان أكثر من

بضع دقائق فى كل فريضة ، بينما يوم الإنسان كله ليله ونهاره ، فيه كثير من التصرفات الأخرى التى تحتاج إلى أن يكون المرء فيها متقيا لله كما تحتاج الصلاة إلى رعايتها وإقامتها وتقوى الله فيها .

فهل ترى الإسلام يهتم بأن يقيم الإنسان على نفسه رقيبا فى زمن الصلوات فقط ولا يقيم على نفسه رقيبا فى سائر التصرفات والأزمان ؟ .

ثم إن التقوى كخلق « لاتتجزأ » فلا يمكن أن أكون تقيا لمجرد أنى أؤدى صلاتى فى أوقاتها وأحافظ عليها ، بينما أنا مقصر فى عملى أو مسيء لوطنى ، أو مفرط فى شئون أولادى وأهلى أو كذا أو كذا .

على أن التقوى أيضا لا تستلزم أن الإنسان لا يخطئ أبدا ، ولا يهفو أبدا ، فإن الإنسان خطاء ضعيف ، ولكنها تستلزم عدم الإصرار على الخطأ ، تستلزم محاسبة النفس ولومها عند الهفوة والذنب ، ومصداق ذلك أن الله تعالى يقول « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ؟ - ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون » .

فالقرآن لم يفرض الناس ملائكة لا يخطئون ولكن فرض فيهم أنهم قد يقعون فى الخطأ أو الإثم والفاحشة ، فلا ينافى ذلك وصفهم بالتقوى ، ولكن الذى ينافيها هو الإصرار على الخطأ والاستمساك بالسوء والفحشاء .

هذه التربية الإيمانية ، إنما هى تربية عملية دنيوية روحية معا ، وهى التربية التى يصلح عليها المجتمع ، ولا تجدى دعوى الإيمان بدونها ، ولا تقتعد منازل العزة والكرامة إلا فى ظلالها وتحت رايتها .

محمد محمد المدنى

عميد كلية الشريعة

الصادق والكاذب

لو صور الصدق لكان أسداً ، ولو صور الكذب لكان ثعلبا . وما صاحباهما ببعيدين من هاتين الصورتين . . . .

نفحات القرآن

لمحات زاجرة من صدر التاريخ

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

(أ) إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام
(ب) ثم استوى على العرش
(ج) يغشى الليل النهار ، يطلبه حثيثا .

ومنذا يحدثنا فى صدق عن الحلقة الأولى لهذا الوجود : سوى القرآن الذى لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه ؟ ؟ .

أمكن للإنسان أن يتعرض باجتهاده فى العلم لتقدير الزمن الذى اجتازته الدنيا ، قبل الميلاد ، أو بعده : استيحاء من الآثار ، أو متابعة لنقول مروية عن سلف ، ولكنه لم يقطع على وجه التعيين بضبط هذا الزمن ، فظلت روايات التاريخ فى مد وجزر ، كما ظلت تكهنات الفلسفة ـ فى تصوير الشخصية الإنسانية قديما ، وتدرج الحياة بها ، قابلة للإضافة والحذف والتصديق والتكذيب .

أما الجانب المتعلق بخلق السموات والأرض ، وما يتصل بهما ، فقد زودنا القرآن بشىء من المعرفة عنه ، لندرك ـ ولو إجمالا ـ أولنا فى هذا الوجود ، كما عرفنا من طريقه منتهانا فى هذا الوجود وما بعد هذا الوجود .

وفى العلم بأولنا وآخرنا من طريق القرآن ما يكفى ، وأكثر مما يكفى للتدبر ، والإقناع ، والإيمان ، والتجاوب مع دعوة الله ، والتصديق بكل آياته المتلوة فى كتابه ، أو المنثورة فى سمائه ، وأرضه ، وفيما بينهما : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع ، والأبصار ، والأفئدة ، لعلكم تشكرون » .

وفى الآية التى أسلفنا من سورة الأعراف يحدثنا الكتاب :

أولا : بأن ربنا هو الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام .

وثانياً : بأنه تعالى استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض .

وثالثاً : بأنه يغشى الليل النهار : يطلبه حثيثاً .

فالله ـ سبحانه ـ يفاتحنا فى هذا المقام بأمور ثلاثة يسوقها مساق التعليم لنا بما كنا نجهله ، ومساق التنبيه على ما نحن بغفلة عن التفطن لأسراره ـ وفى العلم بذلك ، والتفطن لأسراره حافز على النشاط العقلى ، وتحرر الأذهان من هدأة الركود إلى توثبها فى مجال العلم ، واستجلاء ما هنالك من خفايا تزداد بها المعرفة ، وتتجلى بها حضارة الإنسان فى دنياه .

ففى توجيهات الدين وإشادته بما أبدع الله فى ملكه أضواء تتيح للعقول أن تكشف عن كثير وكثير !! .

ثم مامقدار اليوم من الأيام الستة التى خلق الله فيها السموات والأرض ؟؟ قالوا : المراد باليوم الوقت مطلقا ، دون تقيد بقدر معين ؛ لأن التقدير إنما حصل بعد تمام خلق الأفلاك وتنظيمها ، ولم يكن شىء من هذا حين خلق السموات والأرض .

والراجح : أن اليوم هو المعروف لنا الآن ، من طلوع الشمس إلى غروبها ، فإن الله يخاطبنا ويخاطب عباده من قبل ، بعد تمام الخلق ، واستقرار النظام للأفلاك ، ومعرفة اليوم الذى يخاطبنا به ، ونستطيع بمعرفته أن ندرك قدرته على إيجاد السموات والأرض فى ستة أيام بما نعهده ، فلا ضرورة ، بل لا وجه لتفسير اليوم بغير هذا المعروف .

ثم لماذا كان الخلق فى ستة أيام ، ولم يكن دفعة واحدة ، والله قادر على كل شىء ؟؟ .

لهذا التأنى حكمتان : إحداهما ـ تعليم الناس أن يتريثوا فى صنيعهم بالقدر المستحسن حتى لا يأخذهم التسرع ، ويكون التعجل عرضة للخطأ ، وفوات المنفعة ، وفى ذلك ورد قول النبى صلى الله عليه وسلم : « التأنى من الله تعالى ـ يعنى من سنته فى خلقه ، وهديه لعباده ـ والعجلة من الشيطان ، يعنى من نزغاته ، وفتنته ، ليفوت على الإنسان فرصته ، كما تعجل الشيطان آدم وحواء فى تحريضه لهما على الأكل من الشجرة التى نهيا عنها ، حتى خدعهما بالقسم والإلحاح ، ثم كان ما كان .

وليس القصد من التأنى التراخى فى بطء ، ففرق بين التريث لتمحيص الرأى ، وجمع الفكرة ، ثم العزيمة والتوكل ، وبين الفتور أو التخلف عن انتهاز الفرص « فإذا عزمت فتوكل على الله » .

الحكمة الثانية ـ أن إبداع السموات والأرض على وجه التدرج فى ستة أيام ينبىء عن ترتيب شىء على شىء ، وتوقف إيجاد على إيجاد كما أحاط علمه ، وتعلقت إرادته ، وقدرته ـ سبحانه .

فلكل صفة من هذه الصفات وظيفة تؤديها فى إبراز الممكن من العدم .

وكما يفكر الإنسان منا فى إقامة منزل مثلا ، فيكون المنزل حاضراً فى ذهنه وشاخصاً فى

خياله إجمالا ثم يختار له الرسم الذي يرتضيه، ثم يستخدم قدرته في التنفيذ - ولله المثل الأعلى -

ومما يشهد لذلك أن بعض الآيات يفصح عن هذا في مثل قوله: «ثم استوى على العرش، يدبر الأمر»، «وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين»، «ما خلقناهما إلا بالحق».

ثم ماهي الأيام الستة؟ تحديدها بالذات لا تتوقف عليه عقيدة، ولا يتعلق به تكليف عمل. ولذلك لم يرد بتسميتها نص قاطع، وفي هذا آثار مروية تكفي في الجملة لتمييز بعضها عن بعض.

وأقربها إلى الحق أن ابتداء خلق السموات والأرض كان في يوم الأحد، ثم الاثنين، ثم الثلاثاء، وهكذا إلى انتهاء يوم الجمعة فتكون المدة ستة أيام فقط وتكون التسمية مطابقة، فالأحد هو الأول، والاثنين هو الثاني، وآخرها الجمعة: وفيه تم اجتماع الخلق وخلق آدم، على ما أراد الله.

وقد بقي يوم السبت، وأكثر العلماء على أنه لم يكن فيه خلق، ويبدو واضحا أن حكمة الله في هذا تعويد الناس على عدم الانهماك المتصل، وتفرغهم للراحة، ولإصلاح شئونهم الخاصة في يوم من أيام الأسبوع، فإن الدأب والانهماك يذهبان بالصحة، ويهددان بالانقطاع ولذلك نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن إجهاد النفس، حتى في العبادة — إن لبدنك عليك حقا. إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق.. ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه.

وكان من تشريع الله لليهود أن يتركوا العمل الدنيوي يوم السبت للاستجمام والراحة، فالسبت معناه الراحة، وكان عليهم أن يعظموا هذا اليوم، فلا يزاولوا عملا غير العبادة المطلوبة منهم، في حدودها المعينة ومع علمهم بذلك التشريع يومئذ فقد كانوا ينتهكون حرمة السبت، إذ تكثر الأسماك في البحر أمامهم فيتهافتون على صيد الأسماك، ناقضين عهد الله، وناكثين لحرمة يوم السبت وكانت حكمة الله تعالى تقابل صنيعهم باختفاء الأسماك بعد ظهورها: فلا يقومون بحق الله، ولا يصيبون شيئا مما طمعوا فيه، «إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا، ويوم لا يسبتون - أي لا يحترمون السبت - لا تأتيهم، كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون».

وهكذا شأن بني إسرائيل حتى اليوم: لا يدينون لله بدين حق، ولا تشبعهم الدنيا بأسرها وقد تملكهم الجشع المفرط حتى رخص عندهم كل شيء يعتز به سواهم وحتى زعموا سلفا أن يد الله مكتوفة عن العطاء والسخاء. «وقالت اليهود. يد الله مغلولة، غلت أيديهم، ولعنوا بما قالوا، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء».

٢ - المرتبة الثانية مما في الآية - «ثم استوى على العرش».

هناك عرش ولا جرم، وقد تحقق الاستواء عليه من جانب الرحمن سبحانه، وتقرر ذلك

فى جملة من الآيات ، فالإيمان بما أخبرت به حق ، وعقيدة ، لا تقبل شائبة من تردد ، ولا ترق إليه شبهة ولكن : مامعنى الاستواء بالنسبة لله؟هل هو جلوس كجلوسنا على الكرسى تعالى الله عن ذلك !! أو هو استيلاء وتملك كما نستولى نحن على شىء مملوك ، دون تصويره باستيلائنا ؟؟ ذلك كلام اضطرب فيه علماء !! . ثم ماهو العرش ؟؟ هل يقال: إنه فلك الأفلاك يعنى أعظمها ويحيط بها أو يقال كذا وكذا؟ والحق الذى لامحيص عنه ، ولا محذور فيه أن الاستواء والعرش مما استأثر الله بعلمه فنحن نعرف العرش باسمه فقط ، ولا نحاول تفسير الاستواء عليه بل نؤمن ونطمئن ولا نكلف أنفسنا شططا فيما لم يكلفنا الله ببحثه والتمكن فيه !! .

وطالما ثار حول ذلك الشأن جـــدل ، واحتدمت خصومات مذهبية أو اختلطت بحوث وفلسفات ، وركضت أذهان وعقليات وراء تحديد المعنى لهاتين الكلمتين ، ثم لم يكن لهذا نهاية ، فلا حاجة بنا إلى التعلق بلجاج عقيم .

المرتبة الثالثة لما فى الآية – « يغشى الليل النهار ، يطلبه حثيثا . . . » .

يجعل الله الليل غاشيا للنهار وطارئا عليه فيحيل ضوءه ظلاما أو يجعل النهار غاشيا لليل ، فيحيل ظلامه ضوءا ، وكلا التوجيهين صحيح ، وواضح أن النهار يعقب الليل، وأن الليل يعقب النهار ، وفى القرآن آيات تشهد بكل ذلك ، فالله تعالى يقول : « والنهار إذا جلاها – يعنى الشمس بعد الظلام – والليل إذا يغشاها » يعنى يطرأ على النهار ، ويغطى الشمس فيكون الظلام بعد الضوء .

وقد اجتمع المعنيان فى قوله عز شأنه « يكوّر الليل على النهار – يجعله محيطا به – ويكور النهار على الليل» يجعله كذلك غاشيا له .

وسواء أكان هذا أم ذاك فهو نظام رتيب وسير حثيث ، لا يلاحقه خلل ، ولا وهن وإلى هنا تكون آية الأعراف بينة المعنى وكافية الهداية .

وقد عززتها آيات أخر ، فآية سورة السجدة تؤكد ذلك ، وتزيد عليه أن الستة الأيام كانت لخلق السموات والأرض وما بينهما ثم تأتى آية سورة ق – فتزيد على ما فى الآيتين قوله تعالى : « وما مسنا من لغوب – يعنى مع ما فى هذا الخلق العجيب من عجب ، وماله من شأن ، لم يكن فى الأمر بالنسبة لله تعالى أدنى لغوب . تعب كما يحصل لنا من مزاولة عمل نهتم به ، ضرورة أن طاقتنا محدودة وذلك تنويه على عظيم قدرته ، وتنزيه له عن شائبة العجز ، وتقديس له تعالى عن الحاجة إلى راحة ما ، كما زعم بنو إسرائيل قبحهم الله : أن الله خلق ما خلق فى ستة أيام ثم استراح من عمله يوم السبت وبعد الذى أسلفنا بقيت لنا حاجة إلى العلم بأمرين :

أحدهما ـ مقدار المدة التى خلقت فيها الأرض وحدها ، والسماء وحدها ،وجواب ذلك فى قوله تعالى من سورة فصلت : « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين، فهذا إيضاح ،لأن الأرض لم تستغرق سوى يومين ... ثم يقول بعد ذلك : «وجعل فيها رواسى من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام ، سواء للسائلين » يعنى وهو الأعلم ـ بعد خلق الأرض فى يومين جعل فيها جبالا رواسى من فوقها ، لتحفظ توازنها ، ولم يجعلها فى جوفها ، ولا تحتها لتلك الحكمة ، كما نضع نحن على أطراف الشىء ، أو فى وسطه ما يثبته ، ويحفظه من التمايل ، وهذا ما صرح به فى قوله « وجعل فيها رواسى أن تميد بكم » أى : أن الجبال تحفظ الأرض أن تهبط إلى ناحية من نواحيها وكان خلق الجبال ووضع البركة فى الأرض لتصلح معاشا ، ومزرعة ومنبعا للأرزاق وكان كذلك تقدير الأقوات اللازمة للحياة فيها : كل ذلك كان فى تمام أربعة أيام : أعنى فى يومين آخرين أى بعد يومين سابقين فى خلق الأرض وحدها ، فتكون مدة الأرض بما فيها أربعة أيام من الستة ويؤكد الله ذلك بقوله : « سواء للسائلين » يعنى أنها أربعة أيام مستوية متكاملة وهذا لبيان حاجة السائلين .

ويكون الباقى من الأيام يومين ، وفيهما خلقت السموات وما فيها ، وتم نظامها على وجه الكمال وهذا هو قوله تعالى : « فقضاهن سبع سموات فى يومين ، وأوحى فى كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا»

الأمر الثانى مما تحتاج الى معرفته ـ أسبقية أيهما على الآخر : السماء أم الأرض ؟ وأنت ترى ذكر السموات سابقا على ذكر الأرض فى طائفة من الآيات ! ففى أول سورة الأنعام ـ « الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور » ـ وفى سورة الأعراف : « إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض » وفى سورة السجدة ـ الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما وفى سورة ق ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما الخ وفى سورة النازعات يذكر السماء ، ويذكر شيئا من صفاتها . ثم يقول : « والأرض بعد ذلك دحاها » يعنى بعد السماء . وهذه ظواهر تشعر كلها بأسبقية السماء على الأرض فى خلقها كما هى سابقة عليها فى هذا القصص ! ! .

ولكنك تجد الأمر على عكس هذا فى آيات أخرى : فالأرض مذكورة قبل السماء فى سورة البقرة « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء . فسواهن سبع سموات » الآية ـ وفى سورة فصلت التى أخذنا منها تقسيط الأيام الستة بين الأرض والسماء . كما سبق . . .

وفى سورة طه ـ « تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى » .

فبين الآيات مغايرة فى ترتيب ذكر السموات والأرض، فيكون بينها تعارض فى إفادة الأسبقية فى الإيجاد لها ! ! فنحن بحاجة إلى قول فصل .

وقد أشكل الأمر قديما على أحد الناس فذهب إلى ابن عباس ، وسأله عن التعارض بين ذكر الأرض قبل السماء فى آية فصلت وذكرها بعد السماء فى آية النازعات، والأرض بعد ذلك دحاها فقال ابن عباس رضى الله عنهما : أما خلق الأرض فى يومين الخ . . فإن الأرض خلقت قبل السماء ،وكانت السماء دخانا فسواهن سبع سموات فى يومين بعد خلق الأرض . . وأما قوله تعالى «والأرض بعد ذلك دحاها » يعنى بعد خلق الأرض ، والسماء بسط الأرض ، وجعل فيها جبالا ، ونهرا ، وبحرا الخ . انتهى ويبدو من هذا أن تأخر الأرض عن السماء فى الآيات الأولى ، ليس تأخرا فى إيجاد ذاتها بل هى سابقة ، وإنما هو تأخر لما فيها من كائنات تتبعها ، فلا يكون بين نسق الآيات تعارض ، ولا يكون فى الأمر إشكال كما يسبق إلى الوهم.

ولكن : هل هذا هو القول الفصل الذى تطلعنا إليه من قبل ؟ لا ندعى ذلك . . فقد تبسط علماء آخرون وخالفوا ابن عباس ، وأكدوا أن السماء سابقة فى الإيجاد على الأرض ، وأن الأرض بما فيها كانت بعد السماء ، خلقت أو دحيت ، وخلق ما فيها بعد السماء ، واستبعدوا أن يرتاب الإنسان فى هذا ، وقالوا : إنما ذكرت الأرض قبل السماء فى كثير من الآيات ؛ نظراً لاتصال الإنسان بها ، فهو يعيش فيها ، ويستثمرها ، ويشهد معالمها ، ويدرك من منافعها أكثر مما يدرك من معالم السماء ، فخوطب بها قبل أن يخاطب بشأن السماء ، وقوله : « بعد ذلك دحاها » قاطع عندهم بما يرونه .

وعلى كل من التوجيهين فحقيقة العلم بذلك عند بارئ السموات والأرض ، ولا ضير علينا من تعدد الاجتهاد فى استنباط معلوم لا تناط به عقيدة ، ولا يتفاوت به إيمان ، وهو بحث علمى يفيد ، ومعرفة تزداد .

والقصد المنشود من هذه الأخبار فى الذكر الحكيم إيقاظ الوعى عند الناس لما خلق الله فى ملكوته ، وتبصيرهم بما أبدع من آياته ، واستدعاؤهم إلى اليقين بربوبيته ، والاستقامة على طاعته ، واللياذ إلى جانبه ، والاستعاذة به من معصيته .

وهذا توجيه علوى رحيم : والاهتداء به لا يحتاج إلى أسبقية سماء على أرض ، أو أسبقية أرض على سماء ! ! ونسأل الله جلت قدرته وتباركت آلاؤه : أن يهدينا بهديه إلى كمال الإيمان به فهو نعم المولى ونعم النصير ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

الدين والعلم الحديث

نزعة ضارة خاطئة

للأستاذ محمود الشرقاوى

مفهوم العلم عندنا ـ نحن رجال الدين ـ أوسع وأشمل من مفهومه الحديث . فنحن نقول : « علم النحو » و « علم الأصول » و « علم العروض » . كما نقول : « علم الجغرافيا » أو « تقويم البلدان » و « علم الحساب » و « علم الفلك » والهندسة ، وكانوا فى وقت من الأوقات يجعلون « خصائص الحروف » علماً .

ولكن « العلم » الآن له مفهوم أضيق . فهو يطلق على العلوم التى تقوم على التجربة والاختبار كعلم الطبيعة والكيمياء ، والتشريح أو التى تقوم على نظريات حسابية أو هندسية ثابتة . أو فروض علمية تؤيدها القرائن أو المشاهدة .

وليس المفهوم الأول ـ أى مفهوم رجال الدين عن العلم ـ خطأ . بل هو اصطلاح قام عليه فهم خاص فى زمن خاص . وليس فى ذلك شىء من الخطأ أو العيب .

القرآن والظواهر الكونية :

تعرض القرآن الكريم لبعض الظواهر الكونية التى تخضع لمفهوم العلم الحديث ، فلم يضع لها قانونا من قوانين هذا العلم ولا نظرية من نظرياته .

يسأل بعض المسلمين النبى عليه السلام عن الهلال : لم يظهر أول الشهر صغيراً ثم يكبر . ؟ ولم لا يكون على حال واحدة كالشمس . . ؟ فينزل الله تعالى فى ذلك قرآنا هو : « يسألونك عن الأهلة ، قل هى مواقيت للناس والحج »[1] .

فإذا تأملنا السؤال وجوابه أدركنا ما بينهما من فرق بعيد . فسؤال بعض المسلمين كان عن « السبب » فى ظهور القمر صغيراً فى أول الشهر . وعن « السبب » فى تدرجه بالكبر ليلة بعد ليلة حتى يصير بدراً كاملا . ثم السؤال عن « السبب » فى اختلاف ما بين القمر والشمس فى ذلك . فالشمس ، كما يشاهدون ونشاهد ، تظهر فى كل يوم على حالة واحدة وفى حجم واحد لا يتغير بالتدرج من الصغر إلى الكبر .

والجواب : كما نرى فى الآية الكريمة ، لم يذكر سبباً ولا علة . بل تحدث عن مشيئة الله

---

(١) الآية ١٨٩ من سورة البقرة .

التى أرادها من ذلك ، وفائدة الناس التى يجب أن يفيدوها من مشيئته تلك فى ظهور الهلال صغيراً ثم يكبر . فمن هذا التدرج يعرف الناس مواقيتهم ويقيسون أزمنتهم ويضبطون شئون يومهم وعملهم وسعيهم كما يعرفون مواقيت الحج .

فالله تعالى يقول للسائلين عن السبب فى ظهور القمر صغيراً ثم يكبر : أفيدوا من حكمة الله ومشيئته تلك فى شئون معاشكم ودنياكم بتنظيم الزمن ، وفى شئون عبادتكم بمعرفة مواقيت الحج . وترك سؤالهم عن عن السبب والعلة من غير جواب .

ثم عاد فى مواضع أخرى من الكتاب الكريم فبين ذلك وأبرزه واستدل به على قدرة القادر وحكمة الصانع الحكيم . مثل آية : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون » [١] .

فى هذه الآية الكريمة يذكر الفائدة والعبرة وما فيها من التفصيل لقوم يعلمون فيعتبرون .

ويسأل قوم النبى عليه السلام عن الروح فينزل الله تعالى عليه قرآنا هو : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » [٢] .

وسواء فسرت « الروح » فى هذه الآية الكريمة بالوحى أو القرآن ، كما يرى الفخر الرازى ويستدل على ذلك بسياق الكلام والآيات السابقة اللاحقة[١] أو فسرت بالنفس أو السر الإلهى ، على أى تفسير رضيناه للآية الكريمة فقد جاء الجواب ، مبينا لهم أن العلم الذى آتاه الله لهم ليس إلا شيئاً قليلا إلى جانب ما يجهلون . وأن هذا الذى يسألون عنه إنما هو من « أمر » الله الذى اختص بعلمه . وبعض الروايات تقول : إن السائلين كانوا من اليهود ، أو من المشركين .

وقد وهب الله للإنسان عقلا ليبحث به ويفكر ويتأمل ويخترع ، أى ليستخدمه فى ميدانه ويفيد منه بما يحقق سعادته وخيره فى هذه الحياة ، وليتدبر بعقله هذا وبصيرته فى حكمة الله وقدرته وبديع صنعه : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ، لآيات لقوم يعقلون » [٢] .

---

(١) الآية ٥ من سورة يونس .
(٢) الآية ٨٥ من سورة الاسراء .

(١) هذا أيضا رأى فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
(٢) الآية ١٦٤ من سورة البقرة .

فنى هذه الآية نجد أمر الله الحكيم للناس هو أن يتأملوا ويتدبروا فى خلقه السماء والأرض ، وفى اختلاف الليل والنهار ، وفى « النظرية الطبيعية » التى تجعل السفن تسير على الماء فتحمل الناس ومتاعهم ومتاجرهم ، « والظاهرة الطبيعية » التى تنزل الماء من المطر فتنبت الحب والزرع والشجر وتجعل « من الماء كل شىء حى » كما قال الله تعالى وكذلك مسير السحاب وسوقه من مكان إلى مكان ، وتسخيره بين السماء والأرض ، وتصريف الرياح .

نجد فى هذه الآية الكريمة أمر الله الحكيم للناس بأن يتدبروا هذه « الظواهر الطبيعية » كلها ويتأملوها . فسيجدون فيها عبرة وآية لكل من يعقل . كما يجدون فيها مظهراً ودلالة على قدرة القادر وحكمة الحكيم . فهى دعوة للاعتبار بها فى تثبيت الإيمان والإحساس ثم الاعتراف بقدرة الله وحكمته .

وكذلك نجد فى الآية الكريمة : « إن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض لآيات لقوم يتقون »[1] .

والأمر فى ذلك أوضح وأبين وأصرح

(١) الآية ٦ من سورة يونس .

فى هذه الآية : « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم . فبأى حديث بعده يؤمنون » . [1]

فقد جعل الله ثمرة النظر فى ملكوته : أرضه وسمائه هى التأمل والإيمان والامتثال وقرن ذلك باقتراب الموت ونهاية الأجل . ولم يتعرض للسبب والعلة والتفسير ، فذلك أمر جعله الله منوطاً بملكة أخرى وهبها للناس : هى العقل والبحث التجريبى .

الأكوانى والطيران :

هذا من ناحية سياق القرآن وفهمه الذى لا تعسف فيه . وهناك ناحية أخرى واقعية نستطيع بشىء من التأمل أن ندركها ، وبشىء من الإخلاص أن نجزع من أثرها على القرآن والدين والعقيدة : فهذه « النظريات » العلمية - كما نعرف وكما هو واضح من تسميتها - هى فروض واستنتاجات يذهب إليها العلماء الدارسون لهذه الظواهر ، ويختلفون فيها ويذهب كل فريق منهم حيالها مذاهب شتى . ويتنازعون عنها ويتجادلون ويخطىء بعضهم بعضاً فيها . وليس من الخير ولا من التقديس والكرامة التى يجب أن نحرص عليها فى شأن القرآن والدين والعقيدة

(١) الآية ١٨٥ من سورة الاعراف .

أن نربط بين آيات من الكتاب الحكيم وبين نظريات وآراء وفروض يضعها الناس ويختلفون فيها ويتجادلون عنها ويخطئ بعضهم بعضاً بشأنها . ثم هي قد تخطئ وقد تصيب ، وقد تثبت اليوم ويعترف بها ، ثم تسقط غداً وتنكر . وما أعتقد أن أحداً يحرص على قداسة القرآن وكرامة العقيدة وقدسية الإيمان يرى من الخير أو من السداد أن يربط بين هذه المقدسات وبين « نظريات » هذا شأنها

وليس هذا الذي أقوله فرضا محتملا ـ وإن كان محض احتماله وتقديره كافياً للجزع والمعارضة ـ بل هو أمر وقع فعلا في تاريخ التفسير ، وفي تفسير القرآن الكريم بالذات ومن مفسر لا ينازع أحد في أنه من كبارهم وشيوخهم ورؤسائهم : هو الألوسي .

يفسر الألوسي قوله تعالى : « ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين »[1] فيذكر كلاما كثيراً عن مركب سليمان الذي « كان فيه ألف ركن ، في كل ركن ألف بيت ، يركب فيه معه الإنس والجن . تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب . فإذا ارتفعت أتت الريح رخاء فسارت به فساروا معه »[1] .

بعد أن يذكر الألوسي هذه التفاصيل عن مركب سيدنا سليمان الطائر . لا يكتفي بذلك بل يتعرض لظاهرة « أو نظرية علمية » أو « اختراع » كان يجرى علماء مختصون تجاربهم عليه . هي نظرية استخدام الهواء واختراع الطيران .

فالألوسي يسمع عن محاولة اختراع الطيارة وعن تجربة أجريت فيها فسقطت الطائرة ، فيدخل فيما لا يحسن ويتكلم فيما ليس أهلا له ويتعرض « للعلم » فيربط بينه وبين القرآن . مستدلا ـ أو محاولا أن يستدل على معجزة النبي سليمان في ركوب الريح وتسخير الله إياها له . فيقع فيما نرى من الخطأ الكبير . الذي ندرك مداه الآن ونحن نرى ونسمع ونركب طائرة من صنع الإنسان تسير بسرعة تزيد أضعافا مضاعفة عن سرعة الصوت . ونسمع ونشهد قذائف أخرى وكواكب تطير إلى القمر وتدور حوله آلاف المرات .

ونحن لا نشك في إخلاص الألوسي حين تعرض للعلم التجريبي واستخدمه في تفسير القرآن الكريم . ولكن لا سبيل إلى الشك أيضاً في خطأ هذا المنزع وضرر هذا الاتجاه

---

(١) الآية ٨١ من سورة الأنبياء .

(١) ص ٣٨٠ جـ ٥ من تفسير الألوسي « روح المعاني » . الأميرية ١٣٠١ .

على العقيدة والقرآن . وهي عبرة يجب أن نعتبرها من تجربة الألوسى هذه .

ونحن نرجو أن يكون بعض القوم الذين ينزعون هذا المنزع الخطر فى مثل إخلاص الألوسى فينصرفون عن نزعتهم هذه حين يدركون خطأها وخطرها .

فهم الصحابة للقرآن الكريم :

وهذا الذى يسمونه : « التفسير العلمى للقرآن » فوق أنه تكلف ومجازفة وشطط ، يجافى نظرة الصحابة ، رضوان الله عليهم ، للقرآن وفهمهم عنه .

سأل رجل عمر بن الخطاب عن معنى قوله تعالى : « وفاكهة وأبا » ما هو الأب . . ؟ فقال له عمر : نهينا عن التكلف والتعمق (١) وما كلفنا هذا ، أو ما أمرنا به .

ونحن نعرف مكانة عمر وفقهه وعلمه . والكلمة التى سئل عنها ليست من « العلم » ولا تفسر ظاهرة كونية ولا تقيم نظرية من نظريات العلم التجريبي ولا تتعرض لكشف عن تلك الكشوف التى يريد بعض القوم أن يحملوا القرآن عليها ، أو يحملوها مالا تحتمل وما لا يجب أن تحمل عليه أو تفسر به . وقد رأينا كيف انتهى تفسير الألوسى لآية سليمان ، وما يتعرض له كتاب الله المنزل إذا سايرنا هذه النزعة فى تفسيره .

« فمنهم من تورع أن يقول فى القرآن شيئا برأيه ، كالذى روى عن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سئل عن شىء من القرآن قال : أنا لا أقول فى القرآن شيئاً ، وقال ابن سيرين : سألت عبيدة عن شىء من القرآن فقال : اتق الله وعليك بالسداد ، فقد ذهب الذين يعلمون فيم أنزل القرآن » (١) .

فهذا الفهم ، وهذا التسليم بالقرآن ، الذى فهمه عمر وأمر به كان بعض التابعين يلتزمونه أيضاً ويأمرون به .

كم من « الحقائق » العلمية أى النظريات والفروض التى اعتقد رجال العلم أنها أصبحت من الحقائق الثابتة التى لا شك فيها والتى لم تعد ثم حاجة لمعاودة البحث فيها . كم من هذه « الحقائق » عاد العلم نفسه فنقضها وأقام على أنقاضها فروضا ونظريات أخرى يظن يوما أنها أصبحت « حقائق » ثابتة ، ثم يجرى عليها ما جرى على سابقتها ، وهكذا . وكل من درس شيئا من تاريخ العلوم والنظريات العلمية ، يستطيع أن يجد عشرات الشواهد الدالة على صحة ذلك .

---

(١) الموافقات للشاطبي : ص ٥٦ جـ ٣ — السلفية ١٣٤١ .

(١) ص ٢٣٥ من فجر الإسلام المرحوم أحمد أمين جـ ١ الطبعة الثانية .

فمن الضرر والبلبلة للمؤمنين أنفسهم ، كما ذكرنا من قبل ، أن نجعل شيئاً أو أمراً من أمور الدين والعقيدة خاضعا لهذه النظريات والفروض العلمية أو دائرا معها . فسينال هذا الشيء - أو الأمر - من أمور الدين من التناقض والتضارب والسقوط ، ما ينال هذه النظريات والفروض .

وهذا الفهم للقرآن الكريم حقيقة أدركها ونبه إليها من قبل الإمام الشاطبي الذي يقول : « ما تقرر من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها ، وهم العرب ، ينبني عليه قواعد منها أن كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات ، والتعاليم ، والمنطق ، وعلم الحروف ، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها . وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح ، ولهذا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه ، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى سوى ما تقدم وما ثبت فيه من أحكام التكاليف الآخرة وما يلي ذلك . ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة ، إلا أن ذلك لم يكن فدل على أنه غير موجود عندهم . وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا[1] »

فالبحث عن نظريات العلوم ، والمخترعات الحديثة ، والمستكشفات ، كإضافة « كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين » هذا البحث كهذه الإضافة التي يرى الشاطبي أنها تجاوز في الدعوى على القرآن لا يحتملها ، ولم يفهمها منه الصحابة والتابعون الذين هم أقرب الناس إليه ، وأدراهم بمقاصده وإدراك معناه .

والكلمة الحكيمة الصادقة المؤمنة التي قالها مالك . هي خير ما يجب أن نلتزمه في فهم الآيات المتشابهة من القرآن الكريم ، وهي حصانة لنا من الخطأ والزلل . والله تعالى يقول : « وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به . كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولو الألباب » .

« الراسخون في العلم » . يقولون : « آمنا به كل من عند ربنا » . فكيف بنا - نحن غير الراسخين - على ألطف التعابير وأيسر الأوصاف . . ؟ .

محمود الشرقاوي

---

(١) ص ٥٢ من الموافقات ج ٢ - السلفية - ١٣٤١ -

الخمر وأخواتها رجس من عمل الشيطان

للأستاذ الدكتور سليمان دنيا

وأقصد بأخوات الخمر هنا ، المخدرات من الحشيش والأفيون وأضرابهما ، فهن أخوات فى الشر والإثم والفساد ، يفسدن أحوال الناس وصحتهم وعقولهم .

ولعل القراء قد وقفوا على الخبر الذى نشرته (الأهرام) الصادرة فى التاسع من شوال سنة ١٣٧٩ تحت عنوان (مزارع فى « أبنوب » يذبح أطفاله ويعلق جثثهم على الباب وينادى أهالى البلدة ليشاهدوا مصرعهم) .

ومما جاء تحت هذا العنوان (أن المزارع « محمد الصبحى » عاد إلى منزله فى حالة سكر شديد ، وكانت رائحة الحشيش تفوح من فمه مع رائحة الخمر ، وعاتبته زوجته « بخيته عبد العزيز مصطفى » وهى ترضع طفلها الصغير ، فثار الزوج واستل سكينا وأخذ يطعن بها زوجته ، فاستغاثت ثم سقطت على الأرض فاقدة النطق ، وعندئذ أغلق الزوج باب منزله ليرتكب أبشع جريمة يرتكبها إنسان .

لقد سولت له نفسه أن ينتقم من زوجته فى شخص أطفالها وأطفاله ، فحمل ابنه « طرزان » وعمره ثمانى سنوات ، داخل حجرة وذبحه بالسكين ، ولم تنقذه من الموت دموعه وتضرعاته ، لقد استحال هذا الوالد إلى وحش ، وتحول قلبه إلى قطعة من الصخر .

ثم فتح باب الحجرة ليستقبل جريمة ثانية لقد استدرج الوالد القاتل ضحيته الثانية : ابنته «تريزة» وعمرها ست سنوات إلى الحجرة التى اختارها لارتكاب جرائمه ، وإلى جانب جثة « طرزان » ألقى الطفلة « تريزة » ثم انحنى عليها وفصل رأسها من جسدها ، ورمى بالسكين ، وحمل الجثتين ليعلقهما على الباب وأخذ يصيح « تعالوا شوفوا » وسرعان ما تجمع أهل البلدة ليشاهدوا أبشع منظر يمكن أن تقع عليه عينا إنسان) .

هذه واحدة من الجرائم التى تؤدى إليها وتتسبب فيها المسكرات ، فهل رأيت ، أوسمعت عن حادث يقشعر له جلدك ، وتدور من هوله رأسك ، كهذا الحادث ؟ ماذا جنت

هذه الطفولة البريئة ؟ وأين كان حنان الأبوة وعطفها حين أضجع هذا الوالد ولديه ، أحدهما إلى جانب الآخر ، وأجرى السكين على رقبتيهما ، واحدا إثر الآخر ، يجزهما جزاً ، كما يجز القصاب رقاب الماشية ؟ أين غاب قلبه الذى كان إذا سمعهما يبكيان تفطر لبكائهما ؟ أين ذهب قلبه الذى يرضى له بل يحتم عليه أن يجوع ليشبعهما ، وأن يظمأ ليرويهما ، وأن يتعرى ليكسوهما ، وأن يمرض ليوفرلهما الشفاء ، وأن يسهر ليمنحهما النوم ، وأن يشقى ليجلب لهما السعادة ؟ كيف تحول قلب هذا الوالد الذى كان مليئا بحب لا ينضب ، فأصبح مليئا بقسوة صارت مثلا فى الحاضرين ، وستبقى مثلا فى اللاحقين ؟ ما سر هذا التحول فى قلب الوالد الأب ؟.

إنه المخدر الذى ستر العقل ، وواراه ، بل أودى به ... المخدر الذى سلب الأب الإدراك والتمييز ، المخدر الذى سلب الأب الحنان والشفقة والمحبة ، إنه السم القاتل الذى لا يقتل متعاطيه قتلا بطيئاً فحسب ، ولكن يقتل معه الطفولة البريئة الغضة ، التى تشبه الزهر فى نضرته ، والورد فى بهجته . إنه المخدر الذى يهجم علينا من الخارج كما يهجم السيل الذى يجرف كل ما فى طريقه فيتلف ويخرب ، ويأبى المروجون له إلا أن يدخلوه علينا بكل الوسائل ، فهم يخفونه فى بطون الإبل تارة ، وفى أدبارها تارة أخرى ، وإن اقتضى الحال نازلوا رجال الأمن وحفظة الحدود ، واشتبكوا معهم فى معارك دامية لا يخيفهم ما ينال أمثالهم من الأشغال الشاقة المؤبدة .

وأذكر أنى قرأت أخيراً ، أن المشرع العربى أحس بضرورة تشديد العقوبة على هؤلاء المجرمين ، فجعلها أو سيجعلها (الإعدام) بدلا من (الأشغال الشاقة المؤبدة) وهذا إجراء تشكر عليه حكومتنا أعظم الشكر ، فإنه يدل على سداد فى الرأى وأصالة فى التفكير ورعاية للصالح العام ؛ فإن العقوبة علاج للجريمة يقصد به القضاء عليها وتطهير المجتمع من أوضارها ، كالعلاج الذى يقصد به الخلاص من المرض ، ولا شك أنه إذا لم يصلح دواء لعلاج مرض ، عدل الطبيب إلى دواء آخر ، وهذا هو نفس ما فعله المشرع العربى مشكورا .

وكما يصارع الدواء المرض ، والمرض الدواء ، تصارع العقوبة الجريمة ، والجريمة تمثل العقوبة - أعنى الحكومة والمجتمع - فأيهما قوى كان له الغلب على صاحبه . فحين تظل الجريمة فاشية - رغم أنف العقوبة - يكون معنى ذلك أن العقوبة أضعف من الجريمة ، وأن الجريمة أقوى من العقوبة ، والطمأنينة لا تتوفر للجماعة والأمن

لا يستتب ، إلا إذا كانت العقوبة أقوى من الجريمة ، قادرة على إفنائها ، أو تقليلها .

فعدول المشرع العربى عن عقوبة (الأشغال الشاقة) إلى عقوبة (الإعدام) حين لم تقدر الأولى على التغلب على الجريمة ، ذهاب مع المنطق السديد الذى يتخذ من العقوبة وسيلة للقضاء على الجريمة .

وإنا لنرفع أكف الضراعة إلى الله أن يجعل التوفيق دائما حليف حكومتنا الرشيدة فتجعل من العقوبة بجميع أنواعها ، وسيلة للقضاء على الجريمة بجميع أنواعها ، وكلما لم تجد فى عقوبة ضمانا كافيا للقضاء على الجريمة ، استبدلتها بما يكفل القضاء عليها .

ولعل فى هذه الخطوة الموفقة التى خطتها الحكومة بخصوص تشديد عقوبة الاتجار فى السموم المهلكة المسماة بالمخدرات ، بعد ما ثبت لها أن العقوبة الأولى ، لم تعد كافية للقضاء على الجريمة أو تقليلها .

أقول : لعل فى هذا المبدأ الرشيد ما ينبه إلى خطأ الفئة التى تقوم بين الفينة والفينة تدعو إلى إلغاء (عقوبة الإعدام) فإن الجريمة والعقوبة متكافئتان ككفتى الميزان ، بل المفروض أن تكون كفة العقوبة أرجح ، ليتحقق للجماعة أمنها وطمأنينتها . وإلغاء عقوبة الإعدام سوف يجعل كفة بعض الجرائم أقوى وأرجح ، وهذا من شأنه أن يفقد الجماعة أمنها وطمأنينتها ، مع أن توفير الأمن والطمأنينة أول واجبات الحكومة نحو الأمة .

إن التجارب كفيلة بأن تكشف عن خطأ الأفكار الفجة التى يدفع إليها التسرع والغفلة عن العواقب ، وأضع أمام عينى القارئ هذا الخبر الذى نشرته صحيفة الأخبار فى العاشر من شوال سنة ١٣٧٩ تحت عنوان (عصابة سرقة الأطفال بشبين القناطر تخطف تلميذا ، وتطلب مائة جنيه لإعادته ... الشرطة تعثر على التلميذ قبل ذبحه بساعات) .

ومما جاء تحت هذا العنوان (أن حسين دراهم كان مشغولا بتشييع جنازة شقيقه ، ولما عاد لم يجد ابنه فى المنزل . فظل يبحث عنه طول الليلة ، فلم يجده ، ولم ينم الأب ولم تنم الأسرة كلها هذه الليلة ... وفى الصباح حضر إلى منزل حسين: والد الطفل المخطوف، شخصان قالا : إنهما واسطة خير بين الجناة وبين والد الطفل ، وأفهما الوالد أن الجناة يطلبون مائة جنيه ثمنا لإعادة الطفل ، فلم يجد الوالد إلا خمسين فقط ، دفعها ووعد بدفع الباقى عند عودة الطفل ، فأخذ الجناة الخمسين جنيها وامتنعوا عن تسليم الطفل إلا بعد دفع الخمسين الباقية .

ولما علمت الشرطة ، وضيقت على الجناة الخناق ، حمل الطفل أحد الجناة ، وذهب به

إلى الزقازيق ليقتله هناك ، ولما لم يتمكن من قتله تركه فى أحد شوارع الزقازيق وهرب) .

فتأمل أيها القارئ كيف تبلغ الاستهانة بالأرواح عند غلاظ الأكباد من الناس إلى هذا الحد ؟ ! ! .

فلم يكن الغرض من سرقة الطفل وقتله ، الانتقام من والد الطفل ، أو الأخذ بثأر قبله ، ولكنه الحصول على المال ، ولم يكف الجناة أن يأخذوا من المال كل ما يملكه والد الطفل . بل أبوا إلا أن يأخذوا ما يطلبون . ولما لم يستطع الوالد تقديم ما يطلبون ، حملوا الطفل ليذبحوه بعيداً ، كما تذبح الشاة ، بعد أن أخذوا من والده كل ما تملك يده .

فهل مثل هؤلاء يستحقون أن يتقدم منصف فى قلبه ذرة من حب للإنسانية ليشفع لهم بعدم القتل لو كانوا قد تمكنوا من تنفيذ جريمتهم ، وذبحوا الطفل ، ولم يرحموا مصيبة والده فى أخيه ، فانتهزوا فرصة انشغاله بمواراة جثة شقيقه ، وراحوا يبيعون له دم ابنه بثمن لا يملكه .

فماذا إذن يمكن أن يردع عن أمثال هذه الجرائم البشعة ، لو أمن الجناة القصاص العادل ، الذى يردع عن شيوعها وفشوها ؟. وماذا يؤمن الناس على أرواح أطفالهم ويحمى دماءهم من أيدى السفاحين السفاكين الذين يتجرون بدماء الأطفال وأرواحهم ؟. إن الناس لا يستطيعون أن يضربوا على أولادهم أسواراً من حديد ، فإذا لم تكن هناك عقوبة رادعة تحمى الطفولة من العبث بها وخطفها وقتلها ، أصبحت حياة الناس جحيما لا يطاق . فليتق الله أولئك الذين يشجعون على الجريمة بإلغاء العقوبة العادلة المناسبة لها ، الكفيلة بالقضاء عليها ، إن كانوا يؤمنون بالله ! ! فإن لم يكونوا يؤمنون بالله ، فليرعوا حق الوطن وحق أهله ، فإن التهوين من شأن الجريمة إغراء بها ، وفى الإغراء بالجريمة تغرير بالجناة وتضييع للمجنى عليهم ، ولن تطيب لقوم حياة تفشو بينهم الجريمة ، فهم بين غرجان ومجنى عليه مضيع . فهذه العصابة تستحق أن تلقى عقابا يكون رادعا لها ولأمثالها ، ولعل فى القانون ما يكفل ذلك ، فإن لم يكن فباب التعديل مفتوح .

* * *

وأعود إلى الرجل الذى ذبح طفليه ، فأقول : إن الخمر كانت شريكة المخدرات فى جريمته ، فقد جاء فى الخبر (أن المزارع عاد إلى منزله فى حالة سكر شديد ، وكانت رائحة الحشيش تفوح من فمه ، مع رائحة الخمر) .

ويوم تنال الخمر على يد المشرع العربى ما يليق بها من جزاء كما نالت المخدرات ، نكون قد قضينا على عاملين خطيرين من عوامل الشر والفساد فى مجتمعنا العربى ، وفقنا الله وهدانا إلى سواء السبيل ؟ .

الدكتور سليمان دنيا

شعراء الوحدة :

العماد الأصبهانى

للأستاذ على العمارى

٥١٩ - ٥٩٧ ﻫ

— ٢ —

واشتهر بالعماد الكاتب ، وهو محمد ابن صفى الدين ، ويرتفع بعض المؤرخين بنسبه إلى قريش ، وإن كانت نشأته بأصبهان ، وهى مدينة فارسية ، ومن رجال أصبهان الذين ينتمون إلى الأصول العربية أبو الفرج صاحب الاغانى ، وأبو العباس أحمد بن محمد الأبيوردى الشاعر المشهور ، وهما أمويان .

نشأ أبو عبدالله عماد الدين فى بيت رياسة ، ونبل ، وكان عمه العزيز من أعمدة الدولة فى عصره حتى لينسب العماد إليه . فيقال : (عماد الدين ابن أخى العزيز) . وقد ذكر العماد فى سبب تأليفه كتاب الخريدة أن الذى بعثه على جمع الكتاب أنه وجد المعاصرين لعمه الصدر الشهيد عزيز الدين الذى ولى المناصب العلية فى الدولة السلجوقية ، ما فيهم إلا من أم قصده ووفد عليه واسترفده وكانت المدائح المجموعة فى عمه مجلدات ، فاحب أن يحى ذكر هؤلاء المادحين ، وأن يبقى بعض ما قالوا من مدائح نهبها العدو لما نكب العزيز . وقد أشار العماد فى بعض شعره إلى أنه من بيت كريم حين استشفع برئيس الرؤساء عماد الدين بن المظفر عند الخليفة العباسى :

وقل : استجار كريم بيت بى ، وذو الـ
ـبيت الكريم يجد فى أحيائه

وكان من خصائص بيت العماد (التثقف بالثقافتين العربية والفارسية ، ويظهر من استقراء أحوالهم أن العناية بالآداب العربية وبرواية الشعر العربى وقرضه كانت عريقة عند رجال هذا البيت) فكان العماد يجيد الكتابة بالفارسية إجادته بالعربية : وقد ترجم كتابين من الفارسية إلى العربية هما : (فتور زمان الصدور ، وصدور زمان الفتور) تأليف الوزير أنو شروان بن خالد ، وكتاب (كيمياء السعادة) لابى حامد الغزالى .

وقد وفد العماد إلى بغداد مع والده فى

سنة ٥٣٤ هـ وعمره إذ ذاك خمسة عشر عاما ، فى أيام المقتفى بالله ، وفى ذلك يقول : « وكان وصولى إلى بغداد فى الأيام المقتفوية ، وفى ظلها المنشأ ، وفى فضلها المربى ، وفى جوارها حصل الأمن ، ووصل المن ، وبخدمتها عرفت ، وبنعمتها تعرفت ، وفى جنابها حلا الجنى ، وعلا الثنا »[1] .

واشتغل فى صغره بسماع الحديث ، ودراسة الفقه ، وكان قد بدأ يتعلم العربية بأصبهان ، وقد نبغ فى فنون كثيرة ، وتصدر للتدريس - فيما بعد - فأقبل الناس على سماع الحديث عنه وتلق الفقه وغيره عليه ، قال ابن كثير : وكان بارعا فى درسه يتزاحم الفضلاء لفوائده وفرائده . وكانت دروسه فى دمشق فى المدرسة النورية التى عرفت فيما بعد بالمدرسة العمادية لكثرة إقامته بها وتدريسه فيها . وقد فخر العماد بنفسه ، وقلما كان يفعل ذلك . فقال :

ابدا بين همتى وزمانى
فى اقتراحى وفى اطراحى ملاحم
عظمت همتى وها أنا أستصغر
فى المطلب العظيم العظائم
ما نجا من مطاعن العجز راض
بعلاه من عيشه ومطاعم

وفى عهد الملك العادل نور الدين محمود فى سنة ٥٦٢ هـ بلغ دمشق واتصل بالقاضى كمال الدين الشهرزورى وكان ذا مكانة سامية فى حكم نور الدين ، وكان إماما فاضلا فقيها وكان صاحب قلم وسيف ، فنوه بذكر العماد عند نور الدين ، وعدد فضائله ، وأهله لكتابة الإنشاء ، فولاه الإشراف على ديوان الإنشاء فى سنة ٥٦٨ هـ . ثم اتصل بعد ذلك بصلاح الدين ، وعلا شأنه فى الدولتين النورية والصلاحية ، (ثم لزم الباب - باب صلاح الدين - ينزل لنزول السلطان ، ويرحل لرحيله فاستمر على عطلته مدة مديدة ، وهو يغشى مجالس السلطان ، وينشده فى كل وقت مدائح ويعرض بصحبته القديمة ، ولم يزل على ذلك حتى نظمه فى سلك جماعته ، واستكتبه واعتمد عليه ، وقرب منه فصار من جملة الصدور المعدودين ، والأماثل المشهورين ، يضاهى الوزراء ، ويجرى فى مضمارهم ، وكان القاضى الفاضل فى أكثر أوقاته ينقطع عن خدمة السلطان ويتوفر على مصالح الديار المصرية والعماد ملازم للباب بالشام وغيره ، وهو صاحب السر المكتوم)[1] وقد زار القاهرة فى سنة ٥٨٢ هـ . ولكنه قضى بقية أيامه فى الشام إلى أن توفى فى دمشق ، ودفن فى مقابر الصوفية فى سنة ٥٩٧ هـ .

عصره :

كانت الفترة التى عاش فيها العماد من سنة

(١) الخريدة - القسم العراقى ص ٣٦ .

(١) ابن خلكان جـ ٤ ص ٢٣٥ طبعة النهضة .

٥١٩ هـ إلى سنة ٥٩٧ هـ من أكثر الفترات أحداثا فى تاريخ الإسلام، وقد ارتبطت حياة العماد ببعض الخلفاء العباسيين أولا، ثم بنور الدين محمود، ثم بصلاح الدين الأيوبى.

وفى هذا العهد قويت شوكة الفرنج وأكثروا الغارات على البلاد الإسلامية واتسعت بلادهم وكثرت أجنادهم، وعظمت هيبتهم، وزادت صولتهم، وامتدت إلى بلاد المسلمين أيديهم، وضعف أهلها عن كف عاديهم، وتتابعت غزواتهم. وساموا المسلمين سوء العذاب، واستطار فى البلاد شرهم وامتدت مملكتهم من ناحية ماردين إلى عريش مصر لم يتخللها من ولاية المسلمين غير حلب وحماة وحمص ودمشق، وكان أهل الرقة وحران معهم فى ذل وهوان، ثم زاد الأمر وعظم الشر حتى جعلوا على أهل كل بلد جاورهم خراجا يأخذونه منهم ليكفوا أذيتهم عنهم، كما يقول أبو شامة فى الروضتين

وقد أبلى ملوك المسلمين بلاء حسنا فى دفع شر هؤلاء واستئصال شأفتهم، وعاصر العماد وخدم ملكين من أعظم ملوك الإسلام هما كما سبق نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبى.

أما نور الدين فقد عطر التاريخ بسيرته وقد عم عدله، وانتشر بره وفضله، وكان إلى جانب شجاعته، متمسكا بأحكام الشريعة يقف عند حدودها، ويترسم خطى النبى صلى الله عليه وسلم فى كل أقواله وأفعاله. وكان فى أكثر الليالى يصلى ويناجى ربه مقبلا بوجهه عليه ويؤدى الصلوات الخمس فى أوقاتها حتى قال الصليبيون إنه ما ينتصر عليهم بكثرة جنده، وإنما يظفر عليهم بالدعاء وصلاة الليل. وكان يسمع شكوى المظلوم ويتولى كشف حاله بنفسه ولا يكل ذلك إلى حاجب ولا أمير؛ لأنه كان يكره الظلم أشد الكراهية، حتى أنه كان يرى أن الحسنات وإن كثرت لا تفى بظلم رجل مسلم، وقد أكثر الغزو والجهاد حتى فتح أكثر من خمسين حصنا، قال ابن الأثير: «قد طالعت سير الملوك المتقدمين فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن من سيرته، ولا أكثر منه تحريا للعدل.

وقد اتسع ملكه فشمل الشام وديار الجزيرة ومصر وخطب له بالحرمين الشريفين وباليمن وقد تضمنت مدائح العماد شمائل هذا السلطان، فمن ذلك قوله:

يا محيى العدل الذى فى ظله
من عدله رعت الأسود مع المها
يا من أطاع الله فى خلواته
متأدبا من خوفه متأوها
ما نمت عن خير ولم يك نائما
من لا يزال على الجميل منبها

أخملت ذكر الجاهلين ولم تزل
ملكا بذكر العالمين منوها
وبما به أمر الإله أمرتهم
من طاعة ونهيتهم عما نهى
وأراك تحلم حين تصبح ساخطا
ويكاد غيرك ساخطا أن يسفها

وهى قصيدة طويلة ، قال أبو شامة بعد أن أوردها : « رحم الله العماد فقد نظم أوصاف نور الدين الجليلة بأحسن لفظ وأرقه . وهذا البيت الأخير مؤكد لما قلناه فى أول الكتاب من قول الحافظ أبى القاسم رحمه الله فى وصف نور الدين رحمه الله : إنه لم تسمع منه كلمة فحش فى رضاه ولا فى ضجره ، وقل من الملوك من له حظ من هذه الأوصاف الفاضلة والنعوت الكاملة [١] .

وأما صلاح الدين ، فأمره مشهور ، وفضله معروف ، ولا أظن أن أحدا ممن يشدو قليلا من تاريخ أبطال المسلمين يجهل فضل هذا السلطان .

فنون العماد :

سبق أن أشرت إلى أن شهرة العماد كانت (الكاتب) وهذا هو ما استقر فى نفوس الأجيال المتعاقبة ، فإذا جاء ذكر الشعر فإنما ينسب إليه على أنه من شعر الكتاب ، وشتان فى ميدان النقد الأدبى بين شاعر وشاعر من الكتاب ، ذلك أن العبارة الثانية معناها أنه كاتب ، والشعر صناعة إضافية عنده ، كما تقول : إن شوقى من كتاب الشعراء ، فشوقى شاعر ، والكتابة شىء ثانوى فى فنه .

هذا هو ما استقر فى أذهان الدارسين للأدب العربى غير أن صلاح الدين الصفدى يقول : (أرى أن شعره ألطف من نثره) وعلل ذلك بإكثار من الجناس فى نثره ، وقد وافقه على ذلك ناشر القسم العراقى من كتاب الخريدة ، وزاد فى الأسباب جودة طبعه الشعرى ، وسماحة قريحته وانسياقه فى مذاهب الفصاحة والرقة والسلالة واتساعه فى أفكاره وعباراته فى غير اجتلاب ولا تكلف ، وانكشاف معانيه مع استواء لغته ومتانتها وشدة قوافيه أحيانا .

ويبدو أن هذا الحكم نظر إلى نثر العماد بعامة : النثر العلمى ، والنثر الأدبى ، ولكن الإنصاف يقتضى أن نفرق بين هذين النوعين من النثر ، فلا شك أنه لا تمكن المفاضلة بين النثر الذى دون به التاريخ وبين الشعر ، وإنما الذى يمكن أن نضع نثره الأدبى وشعره فى الميزان وبعد إطالة النظر واستعراض كثير مما كتبه العماد وما نظمه تأكد لى أن العيوب التى هجنت نثره الأدبى من تحميله فوق ما يطيق من ألوان البديع بارزة واضحة فى شعره ، وأن الرقة والسلاسة وجودة الطبع

---
(١) جـ ١ ص ١٥١ .

هذه التى زينت شعره ، واضحة فى نثره الأدبى ، وكل الفرق بين الأثرين أن شعر العماد عبر كثيرا عن عواطفه الذاتية من حب وكره وشكوى فكان ألصق بالقلوب ، أما الشعر الذى قاله فى سرد الحوادث أو فى المديح أو فى السياسة بصفة عامة فلا يعلو أبدا عن نثره الأدبى الذى قيل فى هذه الأغراض .

فمن شعره الذى يذهب ما فيه من البديع بحلم الحليم قوله :

وسقى الله عيشنا المقتضى
ورعى الله عهدنا المتقادم
حين عصر الصبا كحالى حال
وهو فى مره كأحلام حالم
فليالى العراق بيض من البيض
غوان من الغوانى غوانم
وبذاك الجناب أوطان أوطارى
كأنها مغانى المغانم
ومراد المراد بالعرف زاه
ومراح المراح بالعرف فاغم

وقوله :

ونداه ناد فإن أندية المنى
مخضرة الأكناف من أندائه

ومن نثره الجيد قوله فى خطبة الخريدة : « وكنت منذ شمت بارقة الأدب ، وركبت فى استفادة العلم صهوة الطلب ، ذاك وصبا الصبا فى ريعان المهبوب لها مسرى ومسير ، وشبا الشباب الطرى طرير ، وأنا أحب أن أجمع محاسن من محاسناهم الدهر المسىء ، وأظهر مزاين من غفل عن التحلى بمزاياهم الزمان البذىء صنفت هذا الكتاب وألفته ، ورقمت هذا الوشى وفوقته ، وسميته (خريدة القصر وجريدة العصر) لأنها حسناء ذات حلى وحلل ، غانية تغبطها على الحسن أقار الكلل . فهذا الكتاب كالروض الأنف يجمع أنواع الزهر ، وكالبحر تضمن على نواصع الدرر ، وكالدهر يأتى بعجائب العبر ، يشتمل على فنون وعيون ، وأبكار للمعانى وعون ، وأصناف فوائد ، وأصداف فرائد » .

ومهما يكن من شىء فإن العماد جرى مع جياد عصره فى ميدان البديع غير أنه أكثر منه ، ومع ذلك أصبح له كالطبع ، فهو فى كثير من الأحيان يجىء كأنه غير متكلف ، عفو البديهة ، ذكروا أن القاضى الفاضل والعماد اجتمعا يوما فى موكب السلطان صلاح الدين وقد ثار الغبار لكثرة الفرسان ، وتعجب القاضى من ذلك فقال العماد مرتجلا :

أما الغبار فإنه
مما أثارته السنابك (١)
والجو منه مظلم
لكن أنارته السنابك

(١) السنابك الأولى حوافر الخيل والثانية أعلى البيضة التى يلبسها الفارسى .

يا دهر لى عبد الرحـ
ـيم فلست أخشى مس نابك

ومن طبعه على البديع أنه لقى القاضى الفاضل يوما وهو راكب على فرس فقال له: سر فلا كبابك الفرس ، فقال له الفاضل : دام علا العماد . وكلا القولين يقرأ عكساً وطردا . وهذا ضرب من البديع يسمونه القلب ، وهو من المحسنات اللفظية .

والناقد - وإن أغضى الطرف - عن إكثار العماد من ألوان البديع فإنه لا يستطيع أبداً أن يقره على استخدامها فى الكتب العلمية . والعماد واحد من كتاب قليلين جداً أثقلوا على أنفسهم وعلى القراء فسجعوا حيث لا ينبغى السجع ، ألف أبو النصر العتبى (٤٢٧ هـ) كتابه (اليمينى) الذى أرخ به يمين الدولة السلطان محمود الغزنوى . فجاء به مسجوعا وتبعه العماد فألف كتابين مسجوعين فى التاريخ (الفتح القسى فى الفتح القدسى) و (البرق الشامى) فبالغ فى استخدام ألوان البديع ، مما جعل الذين جاءوا بعده يعيبون عليه هذا النهج فى كتابة التاريخ ، قال أبو شامة فى الروضتين : «وصنف الإمام العالم عماد الدين الكاتب أبو حامد محمد بن محمد بن حامد الأصفهانى كتابين كلاهما مسجوع متقن بالألفاظ الفصيحة والمعانى الصحيحة ، أحدهما الفتح القدسى اقتصر فيه على فتوح صلاح الدين وسيرته فاستفتحه بسنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، والثانى البرق الشامى ذكر فيه الوقائع والحوادث من الغزوات والفتوحات وغيرهما مما وقع من سنة وروده دمشق وهى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة إلى وفاة صلاح الدين وهى سنة تسع وثمانين فاشتمل على قطعة كبيرة من أخبار أواخر الدولة النورية إلا أن العماد فى كتابيه طويل النفس فى السجع والوصف يمل الناظر فيه ويذهل طالب معرفة الوقائع عما سبق من القول وينسيه» .

والحق أن كثيرا من نثر العماد فى كتابه (الفتح) يغثى النفس ، ويكد الخاطر ، وحسبنا أن نعلم أن كل عناوين الكتاب مسجوعة ، ومنها هذا العنوان (ذكر رأى رائب ، عن النظر فى الغاى الغائب ، أسفر عن داء دائب ، وأبان عن غرارة بغرائب) وربما عمد - مضطرا - إلى استعمال الكلمات التى ذادها علماء البلاغة عن دائرة الفصاحة ولكن ليس هذا الكتاب ، ولاصنوه البرق الشامى هما كل ما كتب العماد ، بل إن له مؤلفات كثيرة ، وحسبه خريدة القصر وهو فى عشر مجلدات وديوان شعره الذى يقول فيه الصفدى (يدخل فى أربع مجلدات كبار) والذى شبهه ابن السبكى بالبحر الذى لا ساحل له ، ورسائله الكثيرة المنثورة فى كتبه ، ومن هنا قال عنه ابن خلكان أنه أتى فى صناعة

الكتابة بالغرائب ، وقال ياقوت الحموى أنه باشر كتابة الإنشاء وأجاد فيها حتى زاحم القاضى الفاضل بمنكب ضخم ، وكان ينشئ الرسائل بالفارسية فيجيد فيها إجادته بالعربية. وبالغ زكى الدين المنذرى فعده (إمام البلغاء وشمس الشعراء ، وقطب رحى الفضلاء ، فاق الأوائل طرا ، نظما ونثرا ، واستعبدت رسائله المعانى الأبكار ، وأخجلت الرياض عند إشراق الأنوار) .

غير أن هؤلاء قد تحملهم عقيدتهم فى العماد إلى استحسان ما لا يستحق الاستحسان ، فابن خلكان مثلا ـ وهو عندى من أصحاب الأحكام الدقيقة ، والذوق السليم ـ يمتدح هذه القطعة ويعده مبدعا فيها ، وهى ثقيلة متكلفة ، وهذه هى ـ وكان كتبها لماحج القاضى الفاضل ـ : (طوبى للحجر والحجون من ذى الحجر والحجا ، منيل الجدا ومنير الدجى ولندى الكعبة من كعبة الندى ، وللهدايا المشعرات من مشعر الهدى ، وللمقام الكريم من مقام الكريم ، ومن حاطم فقار الفقر للحطيم ، ومتى رؤى هرم فى الحرم ، وحاتم ماتح زمزم ؟ ومتى ركب البحر البحر ، وسلك البر البر ، لقد عاد قس إلى عكاظه ، وعاد قيس لحفاظه ، ويا عجبا لكعبة يقصدها كعبة الفضل والأفضال ، ولقبلة يستقبلها قبلة القبول والإقبال .

فأنت ترى أن ما أودعه فيها من الصناعة ليس بديعا ، وإنما هو إلى لعب الأطفال أقرب .

العماد والوصرة .

علت منزلة العماد عند نور الدين محمود وسار صاحب سره ، ولزمه لزوم ظله يقيم بإقامته ويرحل برحيله ، ويعدد مفاخره ، ويشد أزر جيوشه التى ظلت تعمل دائبة لاسترجاع البلاد العربية من أيدى الفرنج ، كما لزم فيما بعد باب صلاح الدين ، واشترك معه فى كل فتوحاته وغزواته ، وقد اعتمد عليه صلاح الدين كما اعتمد عليه من قبل نور الدين ، فأخذ يتغنى بمناقب هذين البطلين العظيمين ويسجل ما يحرزانه من انتصارات على الفرنج ، فكان القول فى الحروب الصليبية ووصفها ، غرضا من أهم الأغراض التى عالجها العماد نثراً وشعراً ، وقد قال أبو شامة المقدسى فى كتاب (الروضتين) . (ولم يبق بعد موت القيسرانى وابن منير فحل من الشعراء يصف مناقب نور الدين كما ينبغى إلا ابن أسعد الموصلى إلى أن قدم العماد الكاتب الشام فى سنة اثنتين وستين بعد الخمسمائة ، فتسلم هذا الأمر ، وعبر عن أوصاف نور الدين ، ومناقبه وغزواته بأحسن العبارات وأتمها نظما ونثرا) (١) .

ومن مدحه فى نور الدين .

(١) ١ ـ ص ٩٤

محمد يحمد عيش بلدة
مالكها بعدله محمودها
قد أسبغ الله لنا بعدله
ظلال أمن وارف مديدها
غدا ملوك الروم فى دولته
وهم على رغمهم عبيدها
لما أبت هاماتهم سجودها
لله أضحى للظبى سجودها
إن فارقت سيوفه غمودها
فإن هاماتهم غمودها

وهكذا يمضى يتحدث عن أثر نور الدين وجهاده لأعداء البلاد وفتحه مغالق الحصون وذله الفرنج أمام جيشه المتحمس لإعادة الوطن إلى أصحابه، وأن البلاد مقبرة ثغورها، محفوظة حدودها، ومثل هذا الشعر مما يبعث فى النفوس العزة، ويدفعها الى أن تحافظ على أوطانها، وتعمل جاهدة لاسترداد ما فى أيدى الأعداء منها.

وكلما فتحت بلد تهلل وجه العماد وشعره وغنى على قيثارته أهازيج النصر، فتح نور الدين (منبج) فغاضت شاعرية العماد تهنئ بفتحها وتحث على فتح القدس، وقد كان هذا الأمل فتح القدس دائما نصب أعين قادة المسلمين، وشعرائهم وكتابهم، وكان العماد من أكثرهم تحمساً لهذا الفتح، قضى شطراً من عمره يحث عليه، ويستنهض الهمم له، فلما تم الفتح فى عهد صلاح الدين نثر وشعر، بل وكتب كتابا وسماه (الفتح). يقول فى فتح منبج يهنئ نور الدين:

أبشر فبيت القدس يتلو منبجا
وكمنبج لسواه كالأنموذج
فانهض إلى البيت المقدس غازياً
وعلى طرابلس ونابلس عج
قد سرت فى الإسلام أحسن سيرة
مأثورة وسلكت أوضح منهج
وجميع ما استقريت من سنن الهدى
جددت منه كل رسم منهج

كان توحيد البلاد وتخليصها من أيدى الأعداء هدفهم الأكبر، وغرضهم الأسمى. والقلم كالسيف، كلاهما يجاهد فى ميدانه. وميدان السيف يتلو ميدان القلم، وقد كان المحاربون آنذاك فى حاجة إلى من يحمى ظهورهم بسيفه، ومن يقوى فيهم الروح المعنوية، فقد كانت شوكة الفرنج قد قويت حتى طمعوا فى مصر، ووجدوا فيها خائنا اسمه (شاور) يوادهم ويتحبب إليهم ويكاتبهم ولكن نور الدين وجيوشه وعلى رأسها أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين استطاعت أن تنقذ البلاد من أيدى الفرنج ومن خيانة شاور، فهب العماد يهنئ شيركوه ويندد بشاور:

فى كل دار من الإفرنج نادبة
بما دهاهم فقد باتوا على ندب

من شرشاور أنقذت البلاد فكم
وكم قضيت لحزب الله من أرب
هو الذى أطمع الإفرنج فى بلد الإسـ
لام حتى سعوا للقصد والطلب
فتحت مصر وأرجو أن تصير بها
ميسرا فتح بيت القدس عن كثب
وإن ذلك عنـد الله محتسب
فى الحشر من أفضل الطاعات والقرب

ويستمر العماد مع صلاح الدين يذيع محامده ويحمس جيوشه حتى يكون يوم فتح بيت المقدس فيكتب عنه رسالة إلى الخليفة العباسى ببغداد يقول فيها : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » ، ويمضى يتحدث عن الفتح العظيم ، والنجح الكريم ، الذى كان أمنية عند الملوك الماضين ، وفى القرون الخالية والذى تقاصرت عنه طوال الهمم ، وهيأته الأقدار لصلاح الدين (وهذا الفتح قد أقدر الله على افتضاضه بالحرب العوان ، وجعل ملائكته المسومة له من أعز الأنصار وأظهر الأعوان) ويذكر فى الكتاب فصولا عن الوقائع التى تقدمت فتح القدس ، ثم يترك للشعر أن يسجل هذا الفتح المبين ، فيمتدح صلاح الدين بقصيدة يطول فيها نفسه، ويوفى بها على الغاية ، ومنها :

رأيت صلاح الدين أفضل من غدا
وأشرف من أضحى وأكرم من أمسى
وقيل لنا فى الأرض سبعة أبحر
ولسنا نرى إلا أنامله الخمسا
جنودك أمـلاك السماء وظنهم
أعاديك جنا فى المعارك أو إنسا

ويتحـدث عن هزيمـة الإفرنج فيقول مخاطبا صلاح الدين .

كسرتهم إذ صح عزمك فيهم
ونكستهم من بعد أعلامهم نكسا
بواقعة رجت بها أرض جيشهم
ومارت ، كما بثت جبالهم بسا
بطون ذئاب البرصارت قبورهم
ولم ترض أرض أن تكون لهم رمسا
ومن قبل فتح القدس كنت مقدسا
فلا عدمت أخلاقك الطهر والقدسا
جرى بالذى تهوى القضاء وظاهرت
ملائكة الرحمن أجنادك الخمسا

ويعيد صلاح الدين الخطبة للخليفة العباسى وكانت قد قطعت الخطبة لبنى العباس من ديار مصر سنة ٣٥٩ هـ فى خلافة المطيع العباسى حين استولى الفاطميون على مصر أيام المعز إلى سنة ٥٦٧ هـ وذلك مائتا سنة وثمان سنين فيتخذ العماد من هذه الحادثة أنشودة يتغنى بها ؛ لأن ذلك إيذان بجمع كلمة الشعوب

العربية مرة أخرى ، فيهنئ الخليفة المستضىء ويعلن فرحته وابتهاجه بإعادة الخطبة .

قد خطبنا للمستضىء بمصر
وارث المصطفى إمام العصر
وخذ لنا لنصره العضد العاضد
والقاصر الذى فى القصر
وأشعنابها شعار بنى العباس
فاستبشرت وجـوه النصر
فشكرنا لله إذ تم لنا النصر
ونرجو مزيد أهل الشكر

هكذا كان العماد داعية قويا من دعاة الوحدة فكل عمل يقرب منها يستثير شاعريته ويحرك قلبه ، فيرتفع صوته ، والكلمة التى كانت تجرى على ألسنتهم ، وتملأ أذهانهم وتشيع فى شعرهم ونثرهم هى كلمة (الإسلام). ولا عجب فى ذلك فقد كانوا يحاربون قوما جاءوا من بلادهم سافرين غير مقنعين يقاتلون باسم الدين ، فكان من الطبيعى أن يردوا باسم الدين أيضا .

ولم تكن تعنى كلمة الإسلام أن يقاتل غير المسلمين على الإطلاق ؛ ذلك أن من مضمون الإسلام معاملة غير المسلمين الذين يعيشون فى بلاد الإسلام ولا يضرون بالمسلمين معاملة المسلمين ، وتعاليم الإسلام صريحة فى ذلك ، لهم من الحقوق ما للمسلمين ، وعليهم من الواجبات ما عليهم ، ولم نعرف أن أحدا من غير المسلمين — أثناء الحروب الصليبية — فى مصر أو فى الشام أو فى غيرهما من البلاد الإسلامية ناله أذى من قبل المسلمين ؛ بل كان الأذى يلحق الرجل الذى يضر بمصالح البلاد ويعين الأعداء ، ولو كان مسلما ، وحادثة (شاور) مشهورة متعالمة .

والقرآن الكريم واضح كل الوضوح فى هذا الاتجاه ، جاء فى سورة الممتحنة قول الله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم والله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

وهؤلاء الشعراء الذين عاصروا الحروب الصليبية كانوا مدركين تمام الإدراك لرسالتهم، وكانوا يعلمون حق العلم تعاليم الإسلام ، والعماد نفسه كان فقيها كبيرا ، والذى كان يهمهم ، إنما هو أن تتخلص البلاد التى كانت وحدة ومزقت، وملك الفرنج جزءا كبيرا منها ، أن تتخلص من أيدى الأعداء ، وتعود إلى سابق عهدها يرفرف عليها علم واحد ، ينعم تحت ظلاله أهلها الحقيقيون على اختلاف مللهم ، وقد أسهموا بنصيب مشكور فى تحقيق هذه الغاية النبيلة .

علي العماري
المدرس بالأزهر

نشأة النحو العربي

لدكتور تمام حسان

كانت بلاد العرب عشية ظهور الإسلام تخضع لتيارات مختلفة من النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية ، فأما من الناحية السياسية فقد كانت أطراف بلاد العرب نهبا مقسما بين الدولتين القويتين في ذلك الوقت وهما فارس وبيزنطة أو كما اشتهرتا على ألسنة العرب بلاد الفرس وبلاد الروم ، كانت فارس تحتل اليمن وتبسط نفوذها على العراق وكان للروم نفوذ سياسي وعسكري في بلاد الشام ، وبين هذه وتلك وقفت قبائل الصحراء في عزلتها المنيعة الفقيرة لا تثير طمع الطامعين من ملوك الدولتين ولا تخضع إلا للنظام القبلي الذي يمنح قدراً من السلطة لشيخ القبيلة ، ويسميه ملكا إذا بسط هيبته على عدد من القبائل ، وكان عرب الصحراء يطمعون دائما فيما تشتمل عليه الأراضي الخصيبة من خيرات فكانوا يغيرون على العراق والشام ومن ثم رأى الفرس والروم على السواء أن يقيموا بينهم وبين الصحراء حاجزاً عربياً فأنشأت كل دولة منهما إيالة عربية على تخومها تحميها من غارات البدو ، فكان من ذلك المناذرة في العراق والغساسنة في الشام .

وأما من الناحية الاجتماعية فإن الحياة البدوية نصف الوحشية في الصحراء لم تخل من المناسبات الاجتماعية التي يجتمع فيها العرب من القبائل المختلفة كالحج والأسواق التجارية والأدبية الشهيرة ، كما كان العرب ينتقلون لأغراض التجارة والميرة من مكان إلى مكان ، ثم كانوا يغشون الحاضرة في طلب البيع والشراء أو بحثا عن أمور دنياهم ومعاشهم ، أما سكان مدن الجزيرة فلم يكونوا أقل حظا من الرفاهية ممن كانوا حولهم من سكان البلاد العريقة في الحضارة ، وقد استعانوا في الوصول إلى هذا المستوى برحلات التجارة التي خلقت لهم صلات قوية بالأمم ذات الحضارة والمدنية ، بل إن القبائل الصحراوية نفسها لم تسلم من التأثر بآثار من جاورها من الأمم كما تأثرت تغلب بالروم وقضاعة بمصر والشام وغسان بالشام وإياد بسكان الجزيرة وبكر بالنبط والفرس ، وعبد القيس بالهند والفرس ،

وأزدعمان بالهند والفرس كذلك ، واليمن بالحبشة . ولعل هذا هو السبب الذى جعل اللغة العربية تقاسى المؤثرات الأجنبية فى العصر الجاهلى وتتقبل بعض الكلمات من اللغات المجاورة ، ثم يظهر فى الجاهلية بين أبنائها من يلحن فى نطقها ، وذلك أمر معروف لمؤرخى الأدب العربى .

أما من الناحية الفكرية فلم يكن لعرب شبه الجزيرة حياة فكرية بالمعنى الصحيح وكل ما ينسب إليهم من علم أو فكر لا يعدو أن يكون تقاليد ورسوما موروثة على مر الأجيال. ولسنا نعرف منهم من طلب العلم حقيقة إلا الحارث بن كلدة الطبيب الذى تلقى العلم فى جنديسابور وأدرك الإسلام وداوى سعدا بأمر النبى . والحارث هذا سيد سمية أم زياد ، وأبو النضر بن الحارث الذى أمر النبى بقتله فرثته أخته بقصيدتها المعروفة التى فيها :

أمحمد ولدتك خير نجيبة
في قومها والفحل فحل معرق

ولكن البيئات التجارية فى الصحراء كانت تعرف القراءة والكتابة وقد تعلمها هؤلاء الصحراويون من رهبان النساطرة الذين كانوا يجوسون خلال بلاد العرب للتبشير بمذهبهم وإليهم يشير امرؤ القيس بقوله :

أصاح ترى برقا أريك وميضه
كلمح اليدين فى حبى مكلل
يضىء سناه أو مصابيح راهب
أمال السليط بالذبال المفتل

ذلك هو مبلغ سكان شبه الجزيرة من العلم . أما فى الشام والعراق فقد كان الأمر مختلفا عن ذلك تماما . فأكثر قبائل هذين الإقليمين كانوا من النصارى . كذلك كانت قضاعة وإياد وتغلب وكلب . ولقد انتهى الاختلاف على مسائل اللاهوت المسيحى إلى انشقاق مذهبين هامين عن كنيسة القسطنطينية هما المذهب النسطورى والمذهب اليعقوبى . ولقد اتجه اليعاقبة فى التبشير بدينهم إلى رعايا الامبراطورية فى الداخل ولكن النساطرة اتجهوا إلى الشرق والجنوب فى سبيل كسب الأتباع وكانوا وثيق الصلة بعرب الجاهلية . وحين اتجه النساطرة إلى الشرق وجد مذهبهم أتباعا فى دولة الفرس وفى قبضتها العراق فى ذلك الحين فغلب العنصر النسطورى على نصارى العراق كما انتشر العنصر اليعقوبى فى الشام ومصر . وكان السريان يقيمون فى الشام والعراق على السواء ؛ فأهل العراق منهم تسود فيهم النسطورية وأهل الشام تنتشر فيهم اليعقوبية . وعندما اشتد العداء بين السريان المنشقين وبين كنيسة الدولة صمم السريان على قصم كل عروة تربطهم بالكنيسة الرسمية فأطرحوا لغتها وهى الإغريقية وبدأوا يترجمون تراثها الفكرى

إلى لغتهم السريانية وازدهرت لغتهم فكان لها أدب وكان لها نحو وكان لها تراث فكرى خالد .
فأما النحو فنحن نعرف أن أحد قدمائهم ويسمى يوسف الأهوازى قد وضع نحوا للسريانية على غرار النحو الإغريقى الذى وضعه أرسطو فانتفع من هذا النحو الأخير بطريقة التقسيم والتبويب والتعريف والتعبير وتعرف كذلك أن حنين بن إسحق كان من مشاهير النحاة باللغة السريانية فى العصر العباسى .

أما من الناحية اللغوية فقد كان العرب فى شبه الجزيرة يتكلمون لهجات قبلية مختلفة ويلتقون جميعا فى لغة واحدة أدبية مشتركة هى اللغة الفصحى . وكان المجتمع اللخمى والمجتمع الغسانى يستخدمان عددا من اللغات فكانت اللغة الإغريقية لغة الدواوين فى الشام وكانت البهلوية لغة الدواوين بالعراق وكانت الإغريقية لغة الصلاة عند الملكانيين أتباع كنيسة القسطنطينية كما كانت السريانية لغة الكنيسة عند اليعاقبة فى الشام والنساطرة فى العراق بل كانت لغة الثقافة عند هؤلاء وأولئك . وكان العرب المسيحيون الحاكمون والمحكومون على السواء يتكلمون العربية ويصلون بالسريانية أو الإغريقية على حسب المذهب الذى يتبعونه . وكان السريان فى الشام والعراق يتقربون بمعرفة العربية إلى الحاكمين من الغساسنة والمناذرة فكانوا يعرفونها كلاما وكتابة على نحو ما ذكرنا عند الكلام على رهبان النساطرة .

وفى هذا الجو اللغوى المعقد فى الشام والعراق كان مشاهير الشعراء من أبناء شبه الجزيرة يقصدون دمشق والحيرة بقصائدهم كما كان رؤساء العشائر يقدمون على ملوك الغسانيين واللخميين ويقيمون بينهم وبينهم الصلات القوية . كلنا يعرف طرفة والنابغة وعمرو بن كلثوم وصلتهم بالحيرة ، وكلنا يعرف حسانا وصلاته بدمشق بل إن زعيم شعراء الجاهلية أوغل فيما وراء دمشق حتى طرق أبواب الامبراطور البيزنطى . فالصلات بين العرب فى شبه الجزيرة وبين أهل الشام والعراق حينئذ صلات متعددة ما فى ذلك شك .

وكان خلطاء السريان من عرب الشام والعراق يعرفون أن اللغة السريانية قد وضع لها نحو يضبط استعمالها ويعين على تعلمها ، ولا شك أن العرب فى ذلك الزمان والمكان كانوا يحسون إحساسا قويا بأنهم غير الأمم التى يخالطونها وهم كانوا يحسون كذلك بالروابط التى تربط بعض العرب إلى بعض . ولا شك أن اللغة كانت أقوى هذه الروابط فى قطرهم ، وإذا صح أن نسمى الإحساس بروابط العروبة فى ذلك الوقت باسم القومية العربية فلربما كان العرب بدافع هذه القومية

يحسدون السريان لتمكنهم من دراسة لغتهم بهذه الطريقة التى جعلتها لغة علم وأدب وفن ودين . بل إنهم ربما تمنوا أن يأتى اليوم الذى يستطيع العرب فيه أن يضعوا للغتهم أداة كهذه الأداة التى تمكن أبناء عمومتهم من السريان من وضعها . أقول إنه ربما جاشت هذه الأمانى فى صدور عرب الشام والعراق فى العصر الجاهلى ولم يكن يخطر لهم أن هذا اليوم الذى كانوا يرونه بعيدا كان فى الحقيقة أقرب مما يظنون وأنه قد قدر للغتهم العربية التى كانت محصورة فى إقليمها الضيق أن تصبح لغة عالمية للعلم والثقافة بعد ظهور الإسلام .

وجاء الإسلام ونشأت دراسة النحو العربى . فكيف بدأت هذه الدراسة ؟ للإجابة على هذا السؤال يحسن بنا أن نورد الروايات المختلفة التى تروى قصة هذه النشأة .

١ — يقول أبو البركات الأنبارى فى نزهة الألباء إن أول من وضع علم النحو وأسس قواعده وحدد حدوده أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلى ، ويروى الأنبارى عن أبى الأسود أن سبب وضع على عليه السلام لهذا العلم أن أبا الأسود دخل على على أمير المؤمنين فوجد فى يده رقعة فقال لعلى ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال على : إنى تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء (يعنى الأعاجم) ، فأردت أن أضع شيئا يرجعون إليه ويعتمدون عليه إلخ

٢ - ويروى صاحب النزهة أيضا أن أعرابيا قدم المدينة فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال : من يقرئنى شيئا مما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأقرأه رجل سورة براءة فقال : « إن الله برىء من المشركين ورسوله (بالجر) فقال الأعرابى : أوقد برىء الله من رسوله ؟ إن يكن الله تعالى برىء من رسوله فأنا أبرأ منه فبلغ عمر عليه السلام مقالة الأعرابى فدعاه . فقال يا أعرابى تبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! فقال يا أمير المؤمنين إنى قدمت المدينة ولا علم لى بالقرآن فسألت من يقرئنى فأقرأنى هذا الرجل سورة براءة ... (إلى آخر القصة) فقال عمر ليس هكذا يا أعرابى . فقال كيف هى يا أمير المؤمنين فقال إن الله برىء من المشركين ورسوله فقال الأعرابى وأنا والله أبرأ ممن برىء الله ورسوله منهم . فأمر عمر رضى الله عنه ألا يقرىء القرآن إلا عالم باللغة وأمر أبا الأسود أن يضع النحو

٣ - ويروى كذلك أن زياد بن أبيه بعث إلى أبى الأسود الدؤلى وقال يا أبا الأسود إن هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب فلو وضعت لهم شيئا يقيمون به كلامهم

فأبى عليه فبعث زياد رجلا وقال له اقعد على طريق أبى الأسود فلما مر به رفع صوته وقرأ « إن الله برىء من المشركين ورسوله » (بكسر اللام) فاستعظم أبو الأسود ذلك وقال عز وجه الله أن يبرأ من رسوله ، ورجع من فوره إلى زياد فقال يا هذا قد أجبتك إلى ما سألت ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن . ثم جاءه زياد برجال اختار منهم رجلا من عبد القيس أعانه على وضع نقط لدى الحروف تدل على الحركات.

٤ - وفى رواية له عن عاصم قال جاء أبو الأسود إلى زياد وهو أمير البصرة فقال إنى أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وفسدت ألسنتها أفتأذن لى أن أضع للعرب ما يعرفون به كلامهم فقال له زياد لا تفعل . قال فجاء رجل إلى زياد فقال أصلح الله الأمير. فقال له زياد : توفى أبانا وترك بنونا؟! أدع لى أبا الأسود فلما جاءه قال له ضع للناس ما كنت نهيتك عنه ففعل.

٥ - وعن عاصم أيضا أن أبا الأسود قالت له ابنته ما أحسن السماء . فقال لها نجومها فقالت إنى لم أرد هذا وإنما تعجبت من حسنها فقال لها إذن فقولى ما أحسن السماء فحينئذ وضع النحو وأول ما رسم منه باب التعجب.

٦ - وعن أبى هاشم السجستانى قال ولد أبو الأسود الدؤلى فى الجاهلية وأخذ النحو عن على بن طالب رضى الله عنه .

عندنا إذن روايات مختلفة تقول أولاها وآخرتها إن غيرة على على لغة العرب دفعته إلى أن يكلف أبا الأسود وضع النحو وتقول الأخرى إن عمر بن الخطاب هو الذى طلب إلى أبى الأسود أن يضع النحو وتروى الثالثة أن زياداً هو الذى أمر بذلك وتنسب الرابعة والخامسة الفكرة إلى أبى الأسود نفسه وتقولان إنه أحس بسبب خطأ ابنته أو تفشى الخطأ فى الناس إن الوقت قد حان للقيام بعمل ما فى سبيل حفظ اللغة بواسطة دراستها دراسة نحوية .

والذى تجمع عليه هذه الروايات المذكورة أن أبا الأسود هو الذى وضع النحو . ولست أجد سببا واحدا هنا يدعونى إلى الشك فى أن أبا الأسود من أول من وضع هذا العلم وأنه أحق الأسماء التى وردت فى قصة النحو بأن يكون أبا لهذه الدراسة فعلا . غير أننى ألمح الخلاف السياسى الذى كان بين الأمويين والعلويين يطل برأسه من هذه الروايات حين تعمد هذه الروايات إلى أمير بعينه فتجعله هو الذى نصح أبا الأسود أن يضع النحو . والذى نعلمه أن الخلاف السياسى بين الشيعة والأمويين لم يكن قاصرا على مسألة حق الخلافة فحسب وإنما أضافت الأيام إلى نار هذا الخلاف وقوداً حتى رأينا كل فريق منهما يسخر التاريخ والفكر

فى خدمته . والمعروف أن أهل العراق وفارس كانوا من أشياع على ، بل المعروف كذلك أن الغالبية العظمى من الشيعة كانت من غير العرب . ومن الثابت أن أبا الأسود الدؤلى نفسه كان مشايعا لعلى حتى لينسب إليه شعر ينم عن هذا التشيع :

يقول الأرذلون بنو قشير
طوال الدهر لا تنسى عليا ؟ !
فقلت لهم فكيف يكون تركى
من الأشياء ما يحصى عليا
أحب محمداً حباً شديداً
وعباسا وحمزة والوصيا
فإن يك حبهم رشدا أصبه
وفيهم أسوة إن كان غيا
فكم رشدا أصبت وحزت مجدا
تقاصر دونه هام الثريا

وبالرغم من وضوح الصنعة فى هذا الشعر وأنه قد وضعه قوم يتقربون به إلى بنى العباس ويجعلون به أبا الأسود هاشميا لا علويا ، أقول بالرغم من ذلك فالمعروف أن أبا الأسود كان من الشيعة ، وكم تنافس الأمويون والشيعة فى اختلاق الأخبار والروايات بل والأحاديث المنسوبة إلى النبى حتى إن إحدى الفرقتين حين قالت بحاكم منتظر من أبطالها لم تسلم لها الأخرى بالانفراد بهذا الشرف وإنما شركتها فيه وأرادت الإنفراد به دونها . قالت الشيعة بالمهدى المنتظر وقال الأمويون بالسفيانى المنتظر .

كانت الكوفة شيعية وكانت البصرة أموية عثمانية وليس من البعيد أن يكون الشيعة الكوفية قد رأوا قصة نشأة النحو أمرا يستحق الفخر وغاظهم أن تكون هذه النشأة فى البصرة وأرادوا أن يسلبوا البصرة هذا الشرف فتلمسوا السبيل إلى ذلك حتى وجدوه . إن واضع النحو أبا الأسود إن كان بصريا فهو شيعى كذلك وهو إذا كان شيعيا فما أحراه أن يكون قد تلقى علم هذا النحو من الإمام المعصوم ومن ثم وضع الكوفيون أغلب الظن هذه الرواية ، لينسبوا الفضل إلى إمامهم وليكيدوا للبصرة . ولقد كان مالك بن أنس على أى حال يسمى الكوفة « دار الضرب » أى دار صنعة الرواية . وما ظنك بالبصرة الأموية العثمانية حين ترى الكوفة قد طلعت على الناس بهذه الرواية أفلا يكون من المنطق أن يردوا على الرواية بمثلها وأن يتلمسوا لأنفسهم أمويا لم يكن بعيداً عن مدينتهم أيام وضع النحو ؟

نعم لقد وجد البصريون ضالتهم فى زياد بن أبيه أولا حين كانت الدولة أموية حتى إذا ما ارتقى العباسيون كرسى الخلافة وأشاعوا فى الناس كراهية الأمويين ولعنهم جهرة بحث البصريون عن زعيم آخر غير مغضوب عليه عند العباسيين ويراه الشيعة رأيا آخر . ذلك هو عمر بن الخطاب وقد اقتضاهم ذلك

أن ينقلوا قصة اللحن إلى المدينة . وإذا تذكرنا أن المدينة كانت ثالثة المدن العلمية المتنافسة وكانت زبيرية النزعة فى ذلك الوقت لم نستبعد احتمال أن تكون الرواية التى تدور حول عمر قد وضعت فى المدينة فى العصر الأموى وبذلك يكون البصريون مسئولين عن قصة زياد فقط .

بقى شىء آخر أحب أن أناقشه قبل أن أزعم الطريقة التى وضع بها النحو وذلك هو الادعاء أن على بن أبى طالب قد اخترع هذا التقسيم النحوى للكلام إلى اسم وفعل وحرف ولا شك أن فى ثنايا ذلك دعوى ضمنية بنسبة قدر من المران العلمى والممارسة للبحث والتدرب عليه إلى على بن أبى طالب وتلك أمور تقتضى تفرغا وعدم انشغال وتلقى دراسة منظمة ، والمعروف أن عليا لم تتح له فرصة الدراسة ولا التدريب ولا الفراغ فهو رجل لم يتلق دراسة فى أى فرع من فروع العلم وقد نشأ مشغولا بالدعوة إلى الإسلام شغلا أخذ عليه فكره وجهده ثم اقتضاه نصر النبى أن يقاسى الاضطهاد فى مكة حتى إذا ما خرج منها اضطر إلى خوض معارك الإسلام الأولى واحدة بعد الأخرى وأظهر فى كلها بطولة وحماسة لم تكن تدع له من الوقت ما يصرفه فى التفكير فى أمر غير الدعوة ، وعند ما لحق النبى صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى وولى أبو بكر الخلافة ومن بعده عمر وعثمان بدأ على يحس شيئا من الظلم فى تخطى شخصه إلى غيره وقد انعكس هذا الشعور فى تقاعسه عن نصر عثمان ابن عفان حين أحاط به الثائرون عليه . ولا شك أن مثل هذا الشعور بالظلم يصرف التفكير عن القضايا العامة إلى التفكير فى الأمور الشخصية بل يجعل المرء سلبيا فى الشئون العامة كما كان على سلبيا فى نصرة عثمان ولا شك أن انتشار اللحن قضية عامة لا تتوقع من على أن يهتم بها فى غمرة السلبية التى ألمت به حتى إذا ما ولى الخلافة شغله معاوية عن الأمور كلها فيما عدا الرغبة فى استتباب الأمن الداخلى وجمع كلمة المسلمين . فمتى فكر على فى النحو ؟ ومتى حصل على الدربة التى تمكنه من مثل هذا التقسيم للكلام ؟ لا شك أن عليا وعمر وزيادا مقحمون جميعا على قصة نشأة النحو بسبب التنافس بين الميول السياسية والمدن الإسلامية . فكيف نشأ النحو إذن ؟

روى أبو سلمة موسى بن اسماعيل عن أبيه قال : كان أبو الأسود أول من وضع النحو بالبصرة ، وزعم قوم أن أول من وضع النحو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وزعم آخرون أن أول من وضع النحو نصر ابن عاصم ، وهنا نجد النقاش محتدما لا حول

الأمراء فقط وإنما يتعداهم إلى من وضع النحو كذلك . فلا تسلم الرواية إذن تسليما تاما بأن أبا الأسود الدؤلى هـو الذى وضع النحو وإنما تورد أسماء غير اسمه تنافسه .

ولقد كان هؤلاء جميعا أبناء عصر واحد وإقليم واحد هو العراق ، وكان العراق من قبل أيامهم ولم يزل فى تلك الأيام مسرحا للثقافة السريانية التى كانت تجد دافعها الحقيق فى المذهب النسطورى ، ولقد ظلت هذه الثقافة النسطورية بعد ذلك تحيا جنبا إلى جنب مع الثقافة العربية فى العراق والشام واستعان الخلفاء من أمويين وعباسيين برجال من السريان فى الشئون المختلفة فاتخذ معاوية وزيرا له من السريان هو سرجون بن منصور . وكان يحيى بن سرجون أو كما يسمونه القديس يحيى الدمشقى ممن يغشى البلاط الأموى ويجادل المسلمين فى الأمور الدينية كما كانت أسرة بختيشوع تمد العباسيين بالأطباء المهرة وكانت أسرة بنى إسحق من أفاضل المترجمين فى أيام المأمون وظلت اللغة السريانية لغة علم وأدب إلى أن كان آخر كاتب عظيم من كتابها هو المؤرخ أبو الفرج بن العبرى أو غريغوريوس برهبرايوس الذى عاش فى القرن الثالث عشر الميلادى .

٧ — كان أبو الأسود وعبد الرحمن بن هرمز ونصر بن عاصم وميمون الأقرن وغيرهم من الأسماء التى ارتبطت بنشأة النحو من أبناء العراق يعيشون جنباً إلى جنب مع علماء السريان ويخالطونهم مخالطة المواطن للمواطن وكان هؤلاء العلماء السريانيون يتكلمون العربية والسريانية كما ذكرنا من قبل . ولقد قلت إن اللغة السريانية كانت ذات نحو مكتمل الدراسة له علماؤه والمهتمون به . وقد افترضنا كذلك أن العرب عشية ظهور الإسلام كانوا يحسدون السريان على أن تكون لغتهم لغة مدروسة متقدمة يمكن لها أن تكون وعاء علم وأدب وفن ودين ، وأن العرب بدافع من إحساسهم بقوميتهم كانوا يتمنون لو أتى اليوم الذى يستطيعون فيه أن ينشئوا اللغة العربية مثل هذا البناء النحوى المكتمل . فلما جاء الإسلام كان من شأنه أن وحد العرب ونفخ فيهم من روحه وأقام لهم دولة وفتح بهم البلاد وأخضع العباد فقوى من شعورهم القومى حتى رأينا شاعرهم يقول :

إنا من النفر الذين جيادهم
طلعت على عاد بريح صرصر
وسلبن تاجى ملك كسرى بالقنا
واجتزن باب الدرب لابن الأصفر

وجاءهم الإسلام بكتاب هو فى حقيقته نص لغوى معجز فبرزت به اللغة والتفكير فيها حتى احتلت المقام الأول من الأهمية والخطورة ولا سيما حين اتخذت لغة دين

ودنيا يقرأ العرب بها فى صلاتهم ويقيمون بها أمر حياتهم . ولا شك أن العرب فى العراق والشام قد فكروا فى تحويل الكتابة الديوانية إلى العربية قبل عبد الملك والحجاج بزمن لأن مثل هذه الأمور لا تتم عند سنوح الفكرة العارضة وإنما يسبقها التفكير والتدبير الذى قد تذهب جذوره إلى أيام الخلفاء الأوائل . ولا شك أن التفكير فى أمور اللغة كان شاملا بحيث أصبح من المرغوب فيه بل من المتوقع أن تقوم للغة دراسة اقتضتها طبيعة الأشياء ونضوج المجتمع وحاجات الحياة ثم أن تكون هذه الدراسة حفظاً للغة التى أصبحت أداة الدين والدنيا معا . فأصبح الجو كله مشحونا باحتمالات ظهور هذه الدراسة فمن هم المرشحون الطبيعيون للقيام بهذا المشروع ؟ .

كان لا بد أن ينسج العرب على منوال ما يعرفون من تجارب غيرهم وكان أهل العراق من العرب يعلمون من أمر النحو السريانى دون ريب وقد مال بعض الباحثين إلى دعوى أن أبا الأسود كان يعرف اللغة السريانية ويغلب على الظن أن كثيرين غيره قد كانوا على معرفة بهذه اللغة أيضا فلا غرو أن تكون البدايات الأولى لهذا النحو قد تمت على أيدى أهل العراق . والظن عندى أن واضعى النحو قد أخذوا التقسيمات السريانية أو قلدوها فجعلوا كلامهم إسما وفعلا وحرفا كما جعله السريان من قبلهم . ولا شك أن أبا الأسود الدؤلى من أول من وضع النحو ولكنه قد لا يكون أول واضع له على الإطلاق . والراجح عندى أن عبد الرحمن ابن هرمز ونصر بن عاصم وميمون الأقرن لم يكونوا مجرد تلاميذ لأبى الأسود وإنما كانوا شركاء له فى القيام بهذا الجهد سواء أكان ذلك عن طريق الشركة بين الجميع أم أن كل واحد منهم قد استقل بجهده الخاص حتى تكاملت هذه الجهود على يد تلاميذهم من بعدهم وأصبحت على الصورة التى دونها عيسى بن عمر فى كتابيه الجامع والإكمال ، ونماها من بعده واستكملها سيبويه فى كتابه .

قد يكون أبو الأسود سمع من ابنته خطأ نحويا ، وقد يكون سمع من يلحن فى القرآن وقد يكون الفرس فى ذلك الوقت من الكثرة فى بلاد العرب بدرجة جعلتهم يؤثرون حقا فى ألسنة العرب وفى عاداتهم النطقية ولكن ذلك كله ما كان ليوحى وحده إلى العرب بالقيام بعمل من هذا النوع لو لم يكونوا على علم بأمر جيرانهم السريان ولغتهم وما لها من نحو ، ولو لم يكونوا قد أحسوا الرغبة فى إنشاء ثقافة بلغتهم كالثقافة التى فى أيدى

السريان ، ولم تكن دوافع الغيرة القومية والرغبة فى استكمال النضج الثقافى للمجتمع والأبهة والعظمة للدولة موجودة ومتصلة بفكرة اللغة . فالمسألة فى نظرى لم تكن وليدة تفشى اللحن فقط ، وإنما اتصلت بنفوس العرب فى العراق والشام منذ العصر الجاهلى وارتبطت فى نفوسهم بالنزعات القومية حتى إذا ما سنحت الفرصة بعد ظهور الإسلام حقق العرب أحلامهم السياسية ووحدتهم القومية ولم يبق لهم إلا أن ينشئوا لأنفسهم حياة ثقافية على مثال ما عرفوا فى أيدى الناس ، وهكذا نشأ النحو العربى فى بدايته مهتديا بتجربة السريان ؟

دكتور تمام حسان
أستاذ مساعد بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

أما هذه فنعم

قال حفص بن محمد الأردبيلى : فاجلس سعيد بن حجر البردعى فى منزله وأغلق بابه وقال : ما أحدث الناس فإنهم قد تغيروا . فاستعان عليه أصحاب الحديث بمحمد بن سلم بن دارة الرازى فدخل عليه وسأله أن يحدثهم فقال : ما أفعل . فقال بحق عليك إلا حدثتهم فقال : وأى حق لك على ؟ قال أخذت يوما بركابك . قال : قضيت حقا لله عليك . وليس لك حق على . فقال : إن قوما اغتابوك فرددت عنك ، قال : هذا أيضا يلزمك لجماعة المسلمين ، فقال عبرت بك يوما فى ضيعتك فتعلقت بى إلى طعامك فأدخلت على قلبك سرورا . قال : أما هـــذه فنعم .

دراسات في التصوف

للدكتور محمد غلاب

الحركة التنسكية فى القرنين الأول والثانى للهجرة

لا يرتاب باحث متعمق فى التراث الإسلامى المجيد فى أن الحركة التنسكية الإسلامية التى بهرت القدماء وفتنت المحدثين قد انبثقت بقضها وقضيضها من الكتاب الكريم والأحاديث القدسية والنبوية ، واتبهلها أربابها من الحياة المحمدية ظاهرها وباطنها ؛ وقد بدأها النبى صلى الله عليه وسلم باعتزاله فى غار حراء قبل البعثة ، وباعتكافه فى المسجد بعدها ، وسار الصحابة رضوان الله عليهم على نهجه السامى واقتبسوا من أنواره السماوية المتلألئة دون أن يشوه جمال ذلك أجنبى أو يدنس نقاءه دخيل كما يزعم السطحيون الذين يتخرصون بأن عناصر التصوف الإسلامى أجنبية .

توالت هذه الحركة عند التابعين فى كثير من البساطة بحيث كانت مقوماتها الذاتية هى التأمل فى آيات القرآن ، ومحاولة استكشاف أسرارها العميقة ، واقتناص مراميها البعيدة ، والزهادة وكبح جماح النفس ، والاعتكاف والتنفل والتهجد . وكان هؤلاء الزهاد أو العباد فى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة ودمشق . وقد وصلت إلينا أسماء الأولين منهم عن طريق القوائم التى سجلها الجاحظ وابن الجوزى ومن إليهما . ومن مشاهيرهم فى القرن الأول الربيع بن الخيثم المتوفى فى سنة ٦٧ هـ . وعلقمة الكوفى ، ومجاهد ابن جبير المخزومى المكى المتوفى فى سنة ١٠٤هـ وكان تلميذا لابن عباس قد نشر تفسيره للقرآن ، ولكن أعظم هذه الطبقة على الإطلاق هو الحسن البصرى الذى عده بعض أدقاء المؤرخين القدماء بين أقوى الشخصيات الإسلامية فى عصره ، وسواه فى باب الزهادة بعمر بن الخطاب فى باب سياسة الدولة .

ولد الحسن البصرى بالمدينة فى السنة الحادية والعشرين من الهجرة ، وربى بالبصرة وكان فى الرابعة عشرة حين قتل عثمان فهاله — وهو لا يزال فى زهرة شبابه — ذلك الحادث المفزع وما أحاط به من فرقة بين صفوف المسلمين ، أثر فى قلبه البرىء وعقله الساذج تأثيرا شديدا دفعه إلى الامتعاض من تلك الحركة السياسية التى بلبلت العقول ،

وزعزعت القلوب ، ولم يسعه إلا أن يقف من تلك الفتنة موقف المحايد الفار بدينه من الشبه واختلاط الآراء . وقد كان من طلائع أولئك الذين حملهم هذا الأخطبوط على أن يلقوا بأنفسهم فى بحر التأمل والتنسك لينجوا بعقيدتهم من هذا الجحيم . وبعد أن استقرت الأمور السياسية ، نفر إلى الجهاد مع المقاتلين فى سبيل الله فيما بين سنتى خمسين وثلاث وخمسين ، ثم عاد إلى البصرة ،وهناك أسس مدرسته . وحوالى سنة ٦٥ هـ أزهرت مدرسته ، وسطع اسمه كخطيب مفوه ، ومجادل متفوق ، وظل يتلألأ فى سماء العالم الإسلامى إلى سنة ٨٥ هـ . وفى سنة ٩٩ عين قاضيا . وأخيرا توفى فى سنة ١١٠ هـ .

وقد ترك مؤلفات قيمة فى المواعظ والتفسير والحديث ،وعددا ضخما من الآراء الثاقبة والنظريات الممتازة فى المبادىء الإسلامية التى كانت قد نشأت من نتائج الفتنة السياسية ، ودار حولها ذلك الجدل العنيف الذى سجله التاريخ بين فرق المسلمين ، ولكن الذى يعنينا هنا من إنتاجه الواسع هو مذهبه التنسكى فحسب . وقد صدر فى هذا المذهب عن أساس واضح هو احتقاره هذه الحياة التى نهايتها الهلكة ومصيرها الفناء ، والتى احتقرها الله فسماها بالدنيا ، ووصفها بأنها لعب ولهو ، والتى قال عنها النبى صلى الله عليه وسلم . إنها لا تساوى جناح بعوضة . وكان الحسن يدعو للحزن والورع الذى هو أصل الدين،وللخوف والاستماع إلى كلام الله .وعندما وصل إلى هذه المنزلة كان قد أسس ما سماه « علم القلوب والخواطر » ، أو ما يدعوه الباحثون المحدثون « السيكولوجية التنسكية » .

ومما يلفت النظر فى مذهب الحسن البصرى ، أنه كان يؤسسه على التدخل الدائم للفكر فى حياة المؤمنين المتأملين . وكان يأمر مستمعيه بالالتجاء إلى العقل فى تحليل عظاته ، ليكون تأثيرها فى إرادتهم عن اقتناع وإيمان . ولقد كان لمواعظه رنين أخذ يجلجل فى أنحاء البلاد الإسلامية ويكون عقائد شبابها ويمتن أخلاقهم ، ويطهر سرائرهم ، ويدفعهم إلى الاستقامة . ولقد كانت غايته الأولى والأخيرة هى العثور على المنزلة التنسكية الكاملة ، وهى الفوز بالرضى . وقد أحنق عليه ذلك بعض الطوائف واستكثروا عليه هذه الميزة التى سما بها عليهم فجعلوا يكيدون له ويعلنون عليه العداء الصريح ، ولكن كافة الأمة والمخلصين من خاصتها وصفوتها ، لم ينسوا له هذا الجهاد النفسى الأكبر ، بل إن بعض مؤسسى الطرق الصوفية فيما بعد قد أرجعوا إليه — عن طريق الإسناد — أسس طرقهم ، وأعلنوا رجوعها إلى مبادئه التنسكية الرفيعة ، وصرحوا بأنه كان قطب الغوث فى زمانه . وسنرى أهم مميزات مدرسة هذا التقى الورع العظيم فيما بعد .

أما فى القرن الثانى فإن التنسك الإسلامى ، قد صار أقوى منه فى القرن الأول أثراً ، وأبعد انتشاراً ، وأصبح طابعه المميز له هو أنه لا ينفصل من الحياة العامة ، فكل زاهد قد انتهى إلى إدراك أن واجبه يقضى عليه بالخروج من عزلته ، ومداومة النصح المخلص لكل من يتصلون به أو يتصل بهم من أعضاء الجماعة الإسلامية . ولا ريب أن النتيجة الأولى لهذه الجهود المبذولة من جانب الشيوخ المتنسكين لإرشاد الأفراد والجماعات هى الترابط الوثيق بينهم وبين الشعب ، ذلك الترابط الذى لا نزال نشاهده اليوم بين شيوخ الصوفية ومريديهم من المؤمنين . وسنلمع إلى هذه الحركة التنسكية فى القرن الثانى إلماعة عاجلة بادئين بالبصريين ، مثنين بالكوفيين . ولكننا نرى من الحق علينا قبل التعرض لهذين الفريقين ، أن نشير إلى الخصائص الذاتية لكليهما .

كان البصريون من التميميين المنعطفين بفطرتهم إلى الواقعية والنقد الجاف ، ووضع القواعد التى يندر فيها الاستثناء وتحديد قواعد اللغة العربية ، وكبح جماح الشعر وحصره فى دائرة الحقيقة بقدر الإمكان ، وكانت آراؤهم سنية مع النزعة إلى حرية الفرد من آراء القدرية . وكانوا يقولون بوجوب استكناه بواطن الأحاديث ورفض الأخذ بظواهرها . ولهذا كان من الطبيعى أن يحتفظ نساك البصرة بشىء من هذه الصفات ، وهذا هو الذى حدث ، فكان رئيس نساكها حسن البصرى زاهداً من الطراز الأول ، وناقداً عميقاً ، ومنطقياً سليم العقل ، وقوى الحجة بهيئة تسترعى الانتباه ، وسنياً معقولا من أنصار حرية الفرد كما أسلفنا .

أما الكوفيون فقد كانوا بطونا يمنية تنزع نحو المثالية العليا فى كل شىء : كان شعرهم أفلاطونياً دون أن يعرفوا أفلاطون ، وخيالهم متطلعاً نحو الكواكب . وكانوا يقولون بوجوب الأخذ بظاهر الحديث ، ويتشيعون للإمام على كرم الله وجهه ، ويدينون بمبادىء المرجئة . وقد ظهرت هذه النزعات كلها فى نساكهم ، فكانوا مثلا رائعة فى التدليل على ما نقرره من الفروق الواضحة بين البصريين والكوفيين . ومهما يكن من الأمر ، فإليك هذه الإلماعة العاجلة عنهم :

استمرت هذه الحركة بعد وفاة الحسن البصرى فى أول القرن الثانى ، فأخذت تنمو وتعظم بفضل تلاميذه من البصريين كمحمد ابن واسع الذى توفى فى إحدى حروب الجهاد فى سبيل الله فى سنة ١٢٠ ﻫ . ومالك ابن دينار المتوفى فى سنة ١٢٨ ﻫ ، والذى اسس بدوره مدرسة تنسكية ضمت عدداً من التلاميذ كان لهم فى نشر التقوى والورع أثر بعيد الغور . وحسبنا أن نذكر من هؤلاء

التلاميذ رباح بن عمر القيسى . وعلى الأخص عبد الواحد بن زيد المتوفى فى سنة ١٧٧ هـ ، والذى أسس جماعة النساك الشهيرة فى مدينة عبدان ، والذى قام تلميذه أبو سليمان عبد الرحمن الدارانى المتوفى فى سنة ٢١٥ هـ بتأسيس المدرسة البكرية فيما بعد . ومما هو جدير بالعناية عند الدارانى أنه هو الذى رسم الخطوط الأولى لهيكل فكرة الأحوال والمقامات الصوفية التى كان لها على التوالى كل هذا الرنين الذى صك الأسماع ، وبهر الأبصار فى الشرق والغرب على مر الحقب وكر الأزمان . ومن أصدقاء الدارانى ، أحمد ابن عاصم الأنطاكى المتوفى فى سنة ٢٢٠ هـ ، والذى كان الدارانى يلقبه بجاسوس القلوب لفرط تحليلاته السيكولوجية للأفئدة والخواطر ، وتغلغلاته إلى أعماق النفوس ، وكشفه خفايا الضمائر . ولا جرم أن هذه الشخصية العظيمة تعتبر فى مقدمة الشخصيات التى شرفت البيئة الإسلامية . وكانت مؤلفاته التى نشرها تلاميذه منبعاً لتعريف العلماء والباحثين بتفاصيل النماذج الأولى للزهادة الإسلامية قبل المحاسبى .

ومن أعلام مؤسسى المدارس التنسكية فى البصرة ، فضل بن عيسى بن أبان منشىء المدرسة الفضلية التى حكم عليها المتعصبون من خصومها بأنها قدرية . ومنهم أيضاً أبو بشر صالح المرى المتوفى فى سنة ١٧٢ هـ والذى اشتهر - إلى جانب ورعه وزهده - بالفصاحة والبلاغة والمقدرة الفائقة على الخطابة .

أما نساك الكوفة السنيون فمنهم أبو هاشم عثمان الكوفى المتوفى فى سنة ١٦٠ ، وأبو ذر عمر المتوفى فى سنة ١٥٠ هـ والذى كون عدداً عظيما من التلاميذ كان لهم أثر لا يجحده أحد من المؤرخين .

وأما صوفية الشيعة من الكوفيين فهم كثيرون . ولكننا نكتفى منهم بذكر عابدك النباتى مؤسس النحلة النباتية التى كانت تدعى بالعابدكية .

وأما صوفية أهل الحديث فمن أعلامهم سفيان الثورى ، وهو أبو عبد الله سفيان ابن سعيد بن مسروق الكوفى . وقد ولد فيما بين سنتى ٩٥ - ٩٧ . ولما نشأ تلقى الحديث عن والده الذى كان أحد مشاهير علماء الكوفة والذى توفى حوالى سنة ١٢٦ هـ . ولما تم الأمر لبنى العباس كان سفيان أحد الذين أرادوا أن يعلنوا كراهتهم للحكم الجديد برفضهم مناصب الدولة التى عرضتها عليهم السلطات الجديدة . وفى سنة ١٥٠ هـ عرض أبو جعفر على سفيان منصب القضاء . فرفض وفر إلى اليمن ، ولكن حكومة بغداد جعلت تتعقبه ، فأحس بذلك فارتحل إلى مكة . غير أن أمير مكة محمد بن إبراهيم تلقى أوامر الخليفة بتعقبه . ويقول بعض المؤرخين إنه

أمر بقتله . ولعل هـذه شائعة ، منشؤها أن الشعب فى ذلك العهد كان يتندر فى الخفاء بأوامر العباسيين قائلا: إذا عثرت عليه فاصلبه، ومن شككت فيه فاقتله . إلا أن النووى ، وابن حجر يؤكدان أنه كان أمراً جديا .

ومهما يكن من شىء : فإن سفيان قد تنبه إلى ذلك قبل فوات الفرصة ، ففر إلى البصرة وفيها اختبأ فى منزل أحمد بن سعيد . وهناك نصح له بعض أصدقائه أن يحسن علاقته بالقصر . وبالفعل بدئ فى المفاوضات بينه وبين بغداد ، ولكنه مرض قبل تمامها وتوفى فى شعبان من سنة ١٦١ هـ .

هذا هو ما يحدثنا به التاريخ عن ذلك الصوفى ، ولكن حياته قد أحيطت بسياج من الخرافات آثرنا أن نغضى عنه .

ومن غرائب الأمور أن بعض المؤرخين يضعونه فى الصف الأول ويقدمونه على مالك ابن أنس ، وأن الذهبى يدعوه بالحجة والثبت.

وسواء أصحت نسبة هذه المنزلة العلمية إليه أم لم تصح، فإن الذى لا ريب فيه ، وهو الذى يعنينا هنا ، أنه كان يباشر الزهادة العملية بين جماعة من رفاقه المتنسكين ، منهم السيدة رابعة العدوية المتوفاة بالبصرة فى سنة ١٣٥ هـ .

كان هناك فى القرن الثانى مركز ثالث للتنسك ، وهو خراسان ، فلم تكد تلك الأصقاع تهتدى إلى الإسلام ، وتنشر فيها تعاليمه الرفيعة ويمضى على ذلك عشرون عاما حتى ظهرت فيها طلائع المتنسكين . وأجدرهم بالعناية هو ابراهيم بن أدهم المتوفى فى سنة ١٦٠ هـ ، وهو عربى الأرومة والأصل وقد ولد ببلخ . ولا يعرف ما بين أيدينا من تاريخ الحركة التنسكية الأولى عن مبدأ حياته شيئاً ذا بال ، إذ هو يحدثنا أنه حين رغب فى التزهد ، اتخذ نموذجه العلمى من بين زهاد البصرة كابن دينار ، ثم تلقى تعاليم المتنسكين بالعراق ومكة حيث أقام بينهم ردحا من حياته . ولما خاب أمله بسبب فشله فى استماع الناس إلى مواعظه اعتزل المجتمعات واتجـــه إلى سورية مع عدد من تلاميذه . وهناك انزوى فى أحد أرجائها واقتصر على هداية أولئك التلاميذ وإرشادهم.

ومما هو خليق بالعناية أن أولئك التلاميذ بعد وفاته ارتحلوا إلى خراسان وجعلوا ينشرون مذهبه فظفروا فى ذلك بنجاح عظيم لم يرَ هو فى حياته بصيصاً منه ولو ضئيلا .

أما مذهبه المقتبس من مدرسة الحسن البصرى مثل فكرة « الخلة » ومعناها الصداقة الإلهية الثابتة و « المراقبة » التى هى أعمق من الفكر . والكمد الذى هو أشد من الحزن . والمعرفة وهى إذ ذاك فكرة جديدة ناشئة فى محيط التنسك الإسلامى .

ويقال إن ابراهيم بن أدهم قد ظفر بمائة وعشرين شهوداً إلهيا عرض فيها سبعين مسألة

لم يشرح منها سوى أربع مسائل ، ثم توقف عن الشرح عندما رأى أن الناس يسيئون فهمه ومعرفته .

« غزلت لهم غزلا رقيقا فلم أجد
لغزلى نساجا فكسرت مغزلى »

هذا هو ما يحدثنا به التاريخ الصحيح . أما الخرافات التى نسجت حول حياته ، فمنها أنه كان أحد أمراء بلخ ، وأنه كان فى أحد الأيام يصطاد الظباء فى جمع من أفراد حاشيته ، فطارد ظبية حتى ابتعد عن أتباعه ، فلما اختلت به الظبية سألته فى لغة فصيحة رشيقة قائلة : ألمثل هذا أنت خلقت فى هذا العالم؟ ومن الذى أمرك أن تعيش على هذا النحو ؟ فلم يكد يسمع هذه العبارات حتى ندم واعتزل الناس وعاش عيشة الفقراء يأكل من عمل يده . وأخيراً ترك العمل وتغلغل فى الصحراء ، فجعل الطعام يأتيه من طريق غير طبيعى ، وأخذ يستقبل الخضر الذى كان يزوره كثيراً ويلقى عليه دروساً فى العلم والتنسك .

وتذكر رواية أخرى أنه وهو أمير فى بلخ كان نائما فى غرفته ذات ليلة ، وكان الحارس نائما فوق سطح هذه الغرفة ، فسمع ضجيجا ووقع أقدام فوق السقف ، فسأل عن مصدر هذه الجلبة ، فأطلت كائنات من نوافذ الغرفة وأجابته قائلة : إننا نبحث عن إبل . فسأل ابراهيم قائلا : وهل يبحث عن إبل فوق السقف ؟ فأجابته الأشباح قائلة : وأنت كيف تحاول الاتصال بالله وأنت جالس فوق العرش ؟ فأثرت هذه العبارات فى نفسه تأثيراً دفعه إلى مغادرة قصره وهجران ثروته . ومنذ ذلك العهد انقطع عن العالم وتفرغ للعبادة والتأمل فى مصنوعات الله حتى صار من أجلاء المتنسكين ، وأصبحت الوحوش والطيور تأتمر بأمره .

هذه هى الصورة التى قدمتها إلينا الأساطير عن إبراهيم بن أدهم ، وهى فى رأينا تشبه الصورة التى نسجها خيال الهنود عن بوذا وتخليه عن الإمارة والجاه والسلطان وإلقائه بنفسه فى بحار التنسك ، بل لعل أسطورة ابن أدهم منقولة عن أسطورة بوذا .

بقى - بعد الذى قدمناه عن القرنين الأول والثانى - أن نعلن أن **نسا** كهما كانوا إلى ذلك العهد الذى تحدثنا عنه لا يزالون مختلطين بالفقراء والمساكين وأبناء السبيل ونزلاء المساجد الذين ليس لهم مأوى خاصة ، وقد عصمتهم هذه الحالة من حملات الفقهاء ورجال الكلام إلى ذلك الحين ، أما فى القرن الثالث فإن عظم شأنهم وارتفاع مكانتهم ، وتلألؤ أسمائهم ، وبروز منتجاتهم ، كل ذلك سيثير سخط رجال الشريعة الظاهرية كما سنرى ذلك حين نعرض لمدارس القرن الثالث وما بعده وللطرق الصوفية ونتائجها .

الدكتور محمد غلاب

الإسلام دين المحبة والسلام

للأستاذ حموده عبد العاطى

الإسلام هو بحق دين المحبة والسلام . والمحبة والسلام من المبادىء الرئيسية ومن الدعائم المتينة التى قام عليها الاسلام وشيدت عليها تعاليمه السماوية الحكيمة . ولكى نفهم هذه القضية فهما واضحا ومستقيما يجب علينا أن نبحث معا مصدر الاسلام ، ومن أين جاءت تعاليمه ، وعلى من نزلت تلك التعاليم ، ولماذا نزلت من السماء .

الاسلام هو رسالة الله إلى البشر أوحى به إلى عباده عن طريق أنبياء ورسل كرام ، اختارهم سبحانه ليكونوا معلمين للبشر وهداة للناس . والله سبحانه وتعالى أوحى برسالة الاسلام ليبصر الناس بحقيقته وذاته وصفاته ، وليوجه الناس إلى معرفة ربهم ومعرفة أنفسهم لأنهم متى عرفوا الله أحبوه ، وإذا عرفوا أنفسهم عاشوا فى ظله وتمتعوا بحبه ، وعاشوا فى سلام مع أنفسهم . إذ المعرفة الحقة هى سبيل المحبة وهى طريق السلام .

جاء الاسلام من الله ليعلم الناس أن من أهم صفات الله سبحانه وتعالى الرحمة والحب ، والغفران . جاء الاسلام يعلم البشرية أن الله لطيف بعباده محب لهم ، وأنه سبحانه (بناء على هذا الحب) لم يتركهم يتخبطون فى دياجير الظلمة والجهل ، وإنما أراد بهم الخير وأحب لهم الهداية ودعاهم إلى معرفته والتقرب منه والعمل على كسب محبته ورضاه . والقرآن الكريم كتاب الإسلام يؤكد فى أكثر من موضع وفى أكثر من آية وفى أكثر من سورة أن الله سبحانه وتعالى يحب عباده ويحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الذين يتبعون تعاليمه ويسيرون على هداه . ويحب الذين يتقربون إليه بالتقوى والعمل الصالح « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » .

المحبة فى الإسلام ليست فقط رمزاً ولا معنى مجرداً ، وإنما هى صفة إيجابية بناءة ، ومبدأ أصيل فى تعاليم الإســلام . هى صفة من صفات الله عز وجل ، وهى خلق فرضه على عباده . لأنه جعلهم خلفاءه وأمرهم أن يتخلقوا بخلقه . « وهو الذى جعلكم خلفاء الأرض » ، « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة » . وغاية الإنسان الكامل فى نظر الإسلام هى أن يكون الله فى صفاته وكماله هو مثله الأعلى يحتذيه ويتقرب إليه بالمحاكاة والطاعة التى مبعثها حب الله وحب طاعته وحب تعاليمه حباً يظهر فى الاعتقاد ويتجلى فى القول ويتمثل فى العمل . المحبة

فى الإسلام ليست مجرد شعور وليست محض فكرة . وإنما هى شعور قوى خلاق ينبعث من قلب عامر بحب الله ويتبعه تصرف سليم مهذب وسلوك قويم يفيض الخير والمحبة على صاحبه وعلى الناس أجمعين .

من تعاليم القرآن الحكيم أن الجن والإنس خلقوا فقط لعبادة الله « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق ، وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » . والإسلام حين يحدد الغرض من خلق الجن والإنس بعبادة الله لا يريدها عبادة فيها إكراه إذ « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » ، ولا يريدها عبادة صورية ظاهرة . وإنما يريدها عبادة صادرة عن حب عميق لله وإيمان برسالته وتعاليمه ، ورغبة صادقة فى كسب رضائه ومحبته . والعبادة التى مصدرها حب الله والتى هى الغاية من خلق الجن والإنس ليست فقط فى الفرائض البدنية والمالية وإنما هى أيضاً فى المعاملات مع الناس وفى سلوك الإنسان مع نفسه وفى موقفه من الوجود كله . فإذا كيف الإنسان علاقته مع ربه ومع نفسه ومع الناس فى إطار من الحب والإخلاص والتفانى والإيثار فهو العابد الحق ، وهو الإنسان الذى فهم مبدأ المحبة فى الإسلام وطبقه على خير صورة وأحسن مثال .

٢ — هدف الإسلام :

والهدف من رسالة الإسلام هدف إنسانى عام شامل . فرسالة الإسلام لم تأت فقط لتدعو الناس إلى عبادة الله فالله غنى عن عباده « إن الله لغنى عن العالمين » . إنما جاءت رسالة الإسلام لتعلم الناس وتعرفهم برب الكون وخالقه وتدعوهم إلى حبه حتى تربى فيهم ملكة الحب وتتجمع لديهم طاقات المحبة فيما رسوها فيما بينهم وتصبح شعاراً لهم وخلقاً فيهم وفطرة سليمة فى نفوسهم . وإذا بدأ الإنسان من نقطة حب الله استطاع أن ينمى عاطفة المحبة هذه واستطاع أن يمارسها فى صلاته الاجتماعية وفى علاقاته العامة .

جاءت رسالة الإسلام لتقضى على عوامل الانانية وأسباب الإثرة ، وتغرس فى النفس الإنسانية خلق الايثار وحب الغير ولأن المسلمين أحبوا الله . وأحبوا رسوله ، وأحبوا رسالته ، وأحبوا الإنسانية بوجه عام ، استطاعوا أن يخلقوا أمة ذات مبادىء ، وأن يكونوا شعباً ذا حضارة إنسانية ، وأن يبنوا ثقافة ذات قيم عالمية ، وأن يؤسسوا حضارة ثابتة الأركان أفاءت عليهم وعلى العالم الخير وأشاعت فى الدنيا المحبة والسلام .

وبذلك كانوا بحق - كما قال القرآن الكريم - خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

إن رسالة الإسلام جاءت تعلم البشرية أن الله جل وعلا هو مصدر الكون والحياة ،

وهو المثل الأعلى فى الوجود يظله بحبه وييسره برحمته ورعايته ، فإن الإنسان لبنة قوية فى بناء الوجود كله ودعامة يستند إليها الكون فى حركته وعنصر فعال من العناصر التى يستمد منها الحياة والبقاء . والإنسان بحكم طبيعته هذه وبحكم هذا المركز الذى يشغله لابد أن يكون منسجما مع العناصر الأخرى فى الكون . وهذا الانسجام لا يتحقق إلا إذا كان هناك حب عميق بين الإنسان وخالقه من جهة ثم بين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة ثانية ، ثم بينه وبين بقية المخلوقات من جهة ثالثة . وهذا الانسجام المطلوب لا يحقق الغرض منه إلا إذا كان مستمراً دائماً . واستمراره متوقف بالتالى على أن يكون الإنسان فى سلام مع ربه ، ومع نفسه ، ومع أخيه الإنسان .

إن الإسلام يؤكد معنى من المعانى الإنسانية النبيلة ، ويعلن حقيقة إنسانية خالدة حين يقرر أن البشرية كلها تنتمى إلى أصل واحد وتنحدر من مصدر واحد وأن التفاضل والامتياز بين الناس لا يرجع إلى الجنس ولا إلى الحب ، ولا إلى اللون ، ولا إلى اللغة وإنما يرجع أولا وأخيراً إلى التقوى والعمل الصالح ورعاية حقوق الله وحقوق الناس . إن القرآن يعلنها صريحة واضحة أن الإنسانية كلها عبارة عن أسرة واحدة ، أبوها واحد ، وربها واحد ، وغايتها واحدة وطريقها واحد ، « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم . إن الله عليم خبير » ، « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » . والقرآن حين يقرر هذه المبادئ الخالدة يوضح للبشرية معالم السعادة ويضع يدها على مفاتيح الخير والاستقرار والسلام . إنه يعلن بذلك مبدأ الحرية والإخاء والمساواة ؛ إذ يقول القرآن الكريم « إنما المؤمنون إخوة » ، ويقول الحديث الشريف « كلكم لآدم ، وآدم من تراب » ، « والناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » .

إن الإسلام جاء يغرس فى النفس البشرية معانى الحب والسلام عن طريق هذه المبادئ الإنسانية الرفيعة . لأن الإسلام يريد أن يعلم الناس كيف يمارسون عاطفة الحب عن اقتناع ووعى ومنطق إنسانى سليم . وكيف ينشرون السلام ويدعون إليه على مبادئ إنسانية عامة وثابتة أساسها الوحى ومصدرها رب السماء حتى يكون هذا الحب إيجابياً صادقا ، وحتى يكون ذلك السلام عاما ودائما .

جاءت رسالة الإسلام تحمل إلى الأرض السلام وتنشر المحبة بين الناس ؛ فلفظ الإسلام

مشتق من السلام . وتحية المسلمين حين يلتق بعضهم ببعض هي تحية السلام . وتحية الملائكة للمسلين هي السلام . والسلام اسم من أسماء الله عز وجل فالله هو السلام المؤمن .

والله أوحى برسالته ليبصر الناس ويعلمهم فيعرفوه ويعيشوا في ظل رحمته في سلام معه ، وفي سلام مع أنفسهم ومع غيرهم . إن الإسلام يدعو بقوة إلى سلام دائم مبني على دعائم قوية في علاقة الإنسان بالله وفي علاقته مع نفسه في شعوره وضميره ووجدانه ، ثم في علاقته بأخيه الإنسان . وإذا كان الإسلام قد فرض على الإنسان حقوقا وخصص له واجبات ، فذلك كله ليحقق أسمى معاني المحبة وأعظم مبادىء السلام ومعنى الإسلام ومعنى الإيمان لا يتحقق إلا إذا كان هناك حب إنساني نبيل . إذ يقول الرسول محمد عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

إن المحبة والسلام من الأهداف الرئيسية في الإسلام . بل إننا لا نغالي إذا قلنا أنها من أهم أهداف الرسالة الإسلامية .

إن اختلاف الرأي أو العقيدة . أو اللون أو الجنس ، أو الدين ، لا يدعو إلى الكراهية في الإسلام . ولا يبرر الشحناء والبغضاء . ولا يبرر الحرب والعدوان .

إن الكون كله وحدة كاملة . الله فيه هو الخالق والمدبر ، والإنسان هو مركز الثقل وأساس العلاقة بين عناصر هذه الوحدة هو الحب والسلام . والإسلام يقرر أن الإيمان له حلاوة ، وأن الإنسان لا يشعر بهذه الحلاوة إلا إذا أحب ، وكان حبه صادقا وعميقا . يقول الرسول محمد عليه السلام : ثلاث (خصال) من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : « أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » .

الإسلام يقرر وحدة الإنسانية كما سبق ، ويقرر وحدة الدين . يقول القرآن الكريم « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » . « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

وعلى هذا الأساس من وحدة الله ووحدة الدين ووحدة البشرية أرسى الإسلام دعائم المحبة ، واقام مبادىء السلام

حمودة عبد العاطي
إدارة الثقافة الإسلامية

الزّواج فى الإسلام

للأستاذ محمد سلام مدكور

أستاذ الشريعة بكلية الحقوق
جامعة القاهرة

١ ـ الزواج أساس العلاقات بين الرجل والمرأة فى الإسلام ، والطفل الذى يعيش فى أسرة من نسب شرعى يكون أقوى عاطفة ونمواً ، وأسرع نطقا من الطفل الذى ينشأ فى ملجأ ، لأن طفل الأسرة يعيش فى جو ملىء بالحب والرحمة والحنان ، فيتأثر بذلك وتتهذب غرائزه ، أما الطفل الذى يتربى فى غير جو الأسرة فإن غرائزه تجمحها السيطرة ، وإن وجدت مع السيطرة رحمة فإنها مشوبة بالعطف لا بالاندماج .

٢ ـ والعلاقة الناتجة عن الزواج روحية أكثر منها حسية ، ومعنوية أكثر منها مادية يقول الله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ولا شك فى أن الزواج تتبعه تبعيات والتزامات لكنها ضريبة وجود الإنسان وبقائه ، على أن كل شىء حتى اللذات والمتع لا بد لنالها من مشاق . فالتريض ومضغ الطعام ، والاستقامة والمجد لا يكون شىء من ذلك إلا مع المشقة .

٣ ـ والإسلام يوجه نظر الزوجين إلى ملاحظة النواحى المعنوية لا الحسية إذ هى باقية مع الزمن والإعجاب بها يتجدد مع تجدد الزمن يقول الرسول عليه السلام « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة سوداء ذات دين أفضل » . ويقول : « تنكح المرأة لأربع : لمالها وحسبها وجمالها . ودينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك » أى التصقت بالتراب

٤ ـ والزواج حجر الأساس والدعامة الكبرى التى يقوم عليها بناء الأسرة التى هى الخلية الأولى فى بناء المجتمع الإنسانى ، ولها دور أساسى فى بناء المجتمع إذ يتكون فيها الفرد ويخرج للمجتمع بالصورة التى اكتسبها من الأسرة ، فإن صلحت الأسرة صلح المجتمع كله وإن تفككت وتقطعت روابطها انهار البناء وفسد المجتمع .

ومن هنا نفهم أهمية تنظيم الأسرة فى كل

المجتمعات أهمية جعلتها محل العناية والرعاية فى جميع الأديان والقوانين ، وتنظيم الأسرة يكاد أن يتركز فى تنظيم الزواج ، والدين هو أكثر العوامل الاجتماعية أثراً فى قواعد تنظيم الزواج .

وأثره فى ذلك لا يقف عند وضع القواعد العامة لهذا التنظيم ، وإنما يضع القواعد التفصيلية المنظمة لأحكامها تنظيما كاملا لأن نظام الأسرة هو نظام الحياة الإنسانية العالية إذ الهزات التى تضطرب بها الأسرة هى هزات للمجتمع ذاته . من أجل هذا نجد التشريع الإسلامى عنى بهذه الرابطة أتم العناية وقدر أسبابها وأحكامها وكل ما يتصل بها فى تفصيل وإفاضة .

٥ — والروابط التى تربط الناس بعضهم ببعض عرفتها الإنسانية منذ البداية ، وأصل هذه الروابط رابطة الزواج ، وهى رابطة مقدسة مباركة توجد علاقة روحية بين الزوجين ، ويسموا بها عن أن يكون الرابط بينهما الشهوة البهيمية ، فيطمئن كل من الزوجين للآخر فى بدنه وماله وتهدأ إليه نفسه ويفضى إليه بما عنده . يقول الله تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها » ، ولهذه المعانى حث الإسلام على الزواج ودعى إليه . يقول الرسول (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج) .

٦ — وإعراض الشباب عن الزواج مع القدرة عليه وعلى تبعاته يضر بهم وبالمجتمع ضرراً بليغا وإن من هذا الضرب من الشباب من يتعلل بما يراه من عدم نجاح كثير من الزوجات ، ولكن هذه التعلة لا تبرر إعراضهم عن تكوين أسرة ، فإن ذلك مرجعه إلى سوء فهم حقيقة الزواج ومقاصده ، وإساءة استعمال هذا النظام الإلهى الذى لا بد منه للمجتمع ، فالعيب فى الأفراد الذين تفشل عقود زواجهم لا فى نفس التشريع ، ويمكن القضاء عليها أو تقليلها إذا فهم كل من الزوجين ماله من حقوق وما عليه من واجبات ، وكانت رغبة كل منهما فى الآخر صادقة خالصة .

* * *

٧ — وقد كانت للأمم قبل الإسلام طرائق مختلفة فى تنظيم الصلاة الجنسية فمنها من كان يعيش أفرادها فى إباحة تامة ، ومنها من عرف الزواج وأباح تزوج الأمهات والبنات ، ومنها من ألف تعدد الأزواج لامرأة واحدة ومنها من ألف تعدد الزوجات لرجل واحد دون تقييد بعدد معين.

فتعدد الزوجات كان معروفا فى الصين واليابان والهند والصقالبة والفرس والعرب

وبعض الشعوب السكسونية وكان حقا لرؤساء قبائل الهنود فى أمريكا الجنوبية ، وقد كان لبعض النبلاء فى الشعوب الجرمانية حق تعدد الزوجات ، كما جمع بعض ملوك أسبرطة أكثر من زوجة ، كذلك فإن الامبراطور قسطنطين وابنه كان لكل منها عدة زوجات ولم يكن على الناس من حرج فى الاقتداء بهم رغم انتشار المسيحية وشيوعها حتى منع جستنيان التعدد ، كما عرفت بروسيا التعدد وأخذت به حتى القرن الثالث عشر . وقدماء المصريين وإن عرفوا تعدد الزوجات إلا أنهم كانوا أول أمة عرفت الاقتصار على الزوجة الواحدة .

٨ — والتوراة لم تمنع التعدد ، بل فيها ما يدل على بقائه ، وفى التشريعات اليهودية المتأخرة نجد التلمود تنص على أن الحكماء ينصحون الرجل أن لا يتزوج بأكثر من أربع زوجات ، بل بقى تعدد الزوجات دائما عند اليهود الأوروبيين حتى العصور الوسطى

والمسيحية لم يرد فيها ما يدل على منع التعدد إلا ما جاء على لسان القديس بولس خاصا برجال الدين على أن الثائر (مارتن لوثر) يقول : إن تعدد الزوجات لم يمنعه الله ، وإذا كانت أوربا والدول المسيحية انتهت إلى منع التعدد فإن هذا المنع لا يستمد مصدره من المسيحية بقدر ما يستمده من العرف الخالص ، أما الإسلام فحد من فوضى الزواج التى كان عليها العرب خاصة وجعله واحدة للرجل إلا إذا كانت به حاجة للتعدد .

٩ — وفى الحق أن الإسلام وإن أباح التعدد فإنه لا يبيحه إلا مع قدرة الزوج على تحقيق العدالة والقدرة على الإنفاق والمعاشرة ، أما إذا لم تتحقق هذه القيود فليس له إلا واحدة وإلا فهو آثم يقول الله تعالى « ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن » ويقول : « .. فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » ، ولم يرد نص فى القرآن يفيد إباحة تعدد الزوجات إلا ما جاء ضمن التكلم عن اليتامى وخوف الأوصياء من مخالطتهم مخافة النفس والهوى ... « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ... » ، وبذا يكون الشرع قد اعتبر حالة مخالطة اليتامى لرعايتهم وإصلاح شأنهم ضرورة تبيح التعدد إذا وقع فى نفس القائم على شئونهم تعلق بالأيم أو بإحدى اليتيمات ، كما أن التدرج فى تشريع الأحكام الذى هو أحد دعائم التشريع الإسلامى اقتضى الحد من حرية الرجال فى الجمع بين الزوجات دون أن يشق عليهم بالوقوف عند الواحدة ، بالإضافة إلى العامل السياسى الذى استحث الرسول من أجله الناس على التناسل « تناكحوا تناسلوا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة »

وقد كانت الدعوة جديدة والمسلمون قلة . هذا فوق ما كانت تنتجه الحروب عامة من ترمل النساء وكثرتهن وقلة الرجال .

١٠ — فالإسلام وإن أباح التعدد عند توافر القيود التي وضعها فإنه لم يوجب التعدد ، ولم يحب إليه بل ولم يجعله أصلا وإنما جاء بحكميه على أنه استثناء بدليل سياق النص الفريد الذي جاء بحكم التعدد ، ولا ينقض هذا تعدد زوجات الرسول والكثير من أصحابه وتابعيهم .

لأن زيجات الرسول لم يكن الباعث لها الغرض والهوى والدوافع الجنسية وإنما كانت لمثل عليا سامية ودوافع سياسية تتطلبها تكوين الدولة وانتشار الدعوة ، وإلا لما تزوج بعد وفاة زوجته الأولى التي بقيت معه بمفردها ثماني عشرة سنة - صبية لم تتم سن السابعة وقد نيف على الأربعين ، ولما جمع معها الأرامل ولا ذوات الأولاد ، فقد كانت زوجاته كلهن غير الصبية عائشة أرامل وثيبات خلعن ثوب الشباب ، وطمس الترمل ونكبات الحياة فيهن معالم الجمال ، وكان غرضه من وراء زواجه بهن الربط بين القبائل المتشاحنة ، وإيواء الأرامل المسلمات اللاتي لم يدخل أهلهن في الإسلام ، والتحريض على إعتاق الأسرى بعضاً في الاسترقاق وتحبيبا للأسرى وقومهم في الإسلام إلى غير ذلك من الدوافع السياسية والإنسانية التي تدل على أن الرسول إنما كان يضحي من ذات نفسه . على أن ذلك كله كان قبل تحديد الزواج بأربع ، وما كان له أن يطلق منهن ، وإلا لكان ذلك منافيا للحكمة التي من أجلها تزوج بهن .

أما زواج الكثير من الصحابة والتابعين بأكثر من واحدة فإنه لا ينقض ما نراه من أن التعدد استثناء يباح عند وجود المقتضى . وقد كانت الرغبة في التكاثر ، وكثرة الحروب والقتلى من الرجال ، والترابط بين القبائل من العوامل التي اقتضت ذلك عند تحقق العدالة وعدم الجور والقدرة على القيام بشئون الزوجية .

١١ — ويدل على أن الأصل الزواج بواحدة أن الشارع لم يرث ميراثا للزوجات يختلف عن ميراث الواحدة فالله تعالى يقول : « ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن . . . » وأساليب التعبير في اللغة العربية تقضى أن مقابلة الجمع بالجمع تقتضى القسمة آحاداً ، وهنا قبل الجمع الذي هو الأزواج بالجمع الذي هو الزوجات . فدل على أن الأصل أن يكون لكل زوج زوجة وأن يكون لكل زوجة زوج .

على أن الفقهاء يجمعون على حرمة التعدد عند خوف الجور ، وهذه الحرمة الناتجة من خوف الجور يبئهن مفسدة لعقد الزواج نفسه على ما يراه البعض تخريجا على أصل مذهب مالك وإحدى الروايتين عن أحمد .

* * *

١٢ — وإباحة التعدد فى الإسلام على هذا الوجه قد تتطلبه الطبيعة ويدفع تشريعه ضررا أكبر وفسادا أخطر . فالطبيعة اختصت المرأة بدورة شهرية وبالحمل والوضع والرضاع ، وكثيرا ما تكون منحرفة المزاج فى هذه الفترات فضلا عن تحريم مخالطتها فى أيام الطمث والنفاس ، وقد تمرض الزوجة مرضا يمنعها من الاختلاط بالزوج والقيام بشئون البيت ، وقد تكون عاقرا لا تنجب ، والرجل مع كل هذا قد لا يستطيع بطبيعته الاستغناء عن النساء ، ولا يمكن أن نميت فيه حب التناسل حبا فى البقاء . ولو غلق على الذين تتحكم فيهم شهواتهم باب التعدد لطرقوا باب الحرام وتوغلوا فيه وليس من العدالة والمروءة أن نجعل زواجه حينئذ مشروطا بطلاق زوجته المريضة أو العاقر . فقد يكون لها منه أولاد ترعاهم فى كنفه ، وقد تكون لا عائل لها ولا رغبة فيها للزواج .

كما أن الحروب على ما أشرنا وأخطار المعامل والمصانع قد تفتك بالكثير من الرجال بما يتزايد معه تعداد النساء . وهن يحتجن إلى رجولة الزوج كما يحتجن إلى الطعام والشراب . وهذه بعض دول أوربا التى أفقدتها الحرب السابقة الكثير من رجالها وشبانها وخلفت الأيامى والعوانس . وقد جأرت أصواتهن بالشكوى مما هن فيه من حرمان وعذاب نفس . ولا علاج لهذا إلا بإباحة تعدد الزوجات والإبقاء على نسب المولود أو الإباحية والانهيار الخلقى وتزايد الأبناء غير الشرعيين .

١٣ — فالإسلام يواجه الحقيقة والواقع ويجعل التعدد مشروعاً فى مثل هذا مخافة ضياع نسب الأطفال . بينما القوانين المتحضرة تعترف بالولد غير الشرعى وترتب له بعض الحقوق . وتأبى أن تعمل على تصحيح نسبه . كما أن نظام الخليلات قائم فيها معروف . والخليلة بالنسبة للزوج فى حكم الزوجة الأخرى والفرق أنه فى الإسلام تعدد واضح وعندهم تعدد فى الظلمة والخفاء . والواضح البين أشرف وأفضل من العمل فى الخفاء بما يترتب عليه إفساد الأزواج على زوجاتهم وأولادهم بل وعلى مسلكهم فى الحياة ونظرة الناس لهم . والقاعدة أن الضرر الأكبر يدفع بالضرر الأدنى .

* * *

١٤ — والنتيجة أن الزواج فى الإسلام عقد مقدس وأن الأصل فى مشروعيته الزواج بواحدة . وأن التعدد استثناء يباح عند توافر العدالة والقدرة وهى أمور وجدانية وتقديرية تتفاوت فيها الأنظار والتشريع الإسلامى ليس فيه ما يمنع من أن يسند تقدير هذه الأمور والأسباب التى تدفع الرجل إلى تعدد زوجاته إلى هيئة من الهيئات تنظره وتوصى فيه برأى معين .إذ تقدير الضرورة مرجعه إلى جماعة الأمة ممثلة فى السلطة التى تلى أمر التشريع . بل هو أيضا من باب ما لولى الأمر من الإشراف على تحقيق ما شرطه الشرع أو ما له من تقييد المباح لأن فى هذا ما يحقق المصلحة ويدرأ المفسدة وليس فيه ما يمس أصل الحكم الشرعى ويرفعه .

١٥ — ومع هذا فإن الناس إذا أساءوا فهم حقيقة تشريع التعدد أو انحرفوا فيه فإن هذا لا يعيب التشريع وإنما يعيب الأفراد . وعلاجه فى أن يشرف ولى الأمر على تنفيذ هذا الحق ليتأكد من تحقق القيود . وأن يضع من القواعد ما يمنع الوقوع فى الخطأ .ويضع من الجزاء مايوقف المستهترين . وقد كتبنا فى ذلك من قبل فى جريدة الأهرام سنة ١٩٥٣ تحت عنوان كيف نعالج فوضى تعدد الزوجات . وقد استجابت الحكومة إلى ذلك وأعدت مشروعا بقانونين . غير أننا نود أن يعرض على المشتغلين بهذه الأمور لإبداء الرأى فيه قبل أن يصبح قانونا نافذا — حتى يخرج قانونا ناضجا خاليا من المآخذ ؟

محمد سلام مدكور
أستاذ الشريعة بكلية حقوق القاهرة

صن لسانك

قال عبد الله بن المقفع : اعلم أن لسانك أداة مسلطة يتغالب عليه عقلك وغضبك وهواك وجهلك ، فكل غالب عليه ، مستمتع به ، وصارفه فى محبته ، فإذا غلب عليه عقلك فهو لك ، وإن غلب عليه شىء من أشباه ما سميت لك فهو لعدوك ، فإن استطعت أن تحتفظ به وتصونه فلا يكون إلا لك ، ولا يستولى عليه أو يشاركك فيه عدوك فافعل .

من مشاهد الهجرة :

إنه عربي ...

للسيدة سميرة المغربي

اخترت هذا العنوان من بين عدة عناوين تصلح لهذه القصة التى ملكت على إعجابى حين خلوت إلى تراث العرب وأمجاد الإسلام ، أغذى نفسى بالمثل الحية ، وألتقى بالبطولة فى صورتها الرائعة الأصيلة بعد أن سئمت قراءة الروايات الأجنبية ، ومللت أخبار غوانى باريس فى بلاط الملوك ، التى لا تسلم إلى مثل حى من الأمثلة الإنسانية الرفيعة ، ولا تبعث فى النفس إعجابا بخلق يتصل بحياتنا الشرقية الإسلامية .

خلوت ليلة — وكانت من أحلى ليالى العمر — إلى كتب السيرة النبوية وآثار السلف الصالح ، وقصدت إلى المظان التى تتحدث عن المرأة العربية المسلمة لا كما يتحدث عنها الشعراء حين يتغزلون ، ولكن أردت أن أراها فى أدوارها الجدية ، وأنظر موقفها من الإسلام الذى حدد معالم الطريق المستقيم للبشر : بتهذيب الغرائز والعواطف والاتجاه بها إلى الآفاق السامية والمكانة الرفيعة .

قرأت عن عربية من بنى مخزوم عاشت زمن الرسول فى صحبته ثم فى بيته وكنفه ، ثم بعد وفاته ، وعشت مع قصتها ساعات طويلة كنت أتنقل فيها على مهل ، مأخوذة بما أصادف من معان ، يكاد كل معنى يقف بى عنده .

وفى الوقت الذى أقارب فيه إتمام الإطار الجميل لهذه الصورة الرائعة لشخصية المرأة العربية المسلمة . فى هذا الوقت ترتفع الستارة عن مشهد آخر من مشاهد الرواية ، لا أكذبك أيها القارئ — إذا حدثتك أنه كاد ينسيني ما شاهدت من قبل ، ولم يكن هذا المشهد الجديد عن امرأة ، ولكن عن رجل . نعم عن رجل ، ورجل عربى ، وعربى وكنى .

لقد تكشف لى الآن سر اختيار الله لأن تشرق شمس الإسلام من جزيرة العرب ، ويحمل أشعتها الهادية عرب ، وينقذ بها الإنسانية عرب ، ويضع أصول الحضارة والمدنية عرب .

وبينما أنا فى هذه النشوة الحالمة ، ظهر لى مشهد آخر فى صفحات أخرى ، رائعة ، وليست روعته لذاته ولكن لصلتها بموضوعى الأول ، تلك الصلة التى زادتنى إيمانا وإعجابا بالعرب ، وأرتنى بوضوح خسة أخلاق اليهود ونذالتهم المتأصلة ، امرأة عربية أخرى تسوقها ظروف مشابهة لظروف أختها الأولى إلى أن تلتقى فى طريقها المنقطع بيهودى ، فيتجلى الفرق الواسع بين أصالة العربى ونذالة اليهودى ، اليهودى الذى يعيش آمناً بين العرب الذين آووه وأكرموه حين طردته الدول ولم ترض به مواطناً يعيش فيها ، ومع هذا لم يعترف بالجميل حتى بالتظاهر ، ولكن هذا طبعه الملازم له : كفران النعمة وعداء للرحمة ، وعدم تحمله عيش السلام ، فحياته دائما قائمة على الفتن والقلق والاضطراب .

أروى لك أيها القارئ تلك القصة التى ملكت على إعجابى ، ولعلك إذا انتهيت منها أحسست بما أحس به أو أشد . ورأيت أن تعجلى للحكم عليها لم يكن إغراء لك بقراءتها .

عندما اشتد أذى الكفار للنبى وصحبه فى مكة ، وعرض دعوته على القبائل فى مواسم الحج ، ودخل الإسلام بعض بيوت المدينة أذن الله للمسلمين بالهجرة إليها ، وكان أبو سلمة عبدالله المخزومى قد هاجر إلى الحبشة ثم قدم على رسول الله بمكة . فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجراً قبل بيعة العقبة بسنة .

وأراد أن يصحب معه زوجته أم سلمة هند بنت سهيل ، فأعد البعير وحملها عليه ، وجعلت ابنها سلمة فى حجرها ، ثم خرج بها يقود البعير ، فلما رآه بنو المغيرة أقارب زوجته قاموا إليه معترضين سفرها معه ، وقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه . علام نتركك تسير بها فى البلاد ، ثم نزعوا خطام البعير من يده وأخذوا منه أم سلمة ، وهنا بلغ بنى عبد الأسد رهط أبى سلمة ، أن بنى المغيرة أخذوا أم سلمة وابنها ، فثار فى نفوسهم ما يثور عند العربى يرى ولدا من صلب عشيرته يربى فى بيت غير بيت أهله ، مع ما للولد عند العرب من منزلة ، فهو قوة وكسب لا ينبغى أن يعتز به غير قومه . فأقسموا ألا يتركوا ابنهم سلمة عند أمه وأهلها ، وهناك اشتد النزاع وتجاذب البيتان الولد حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد عشيرة أبيه ، وهنا أصبحت أم سلمة وحيدة ، هاجر زوجها وانتزع منها ابنها ، وتصور أيها القارئ كيف تتحمل أعصاب المرأة هذه

الصدمة ، كيف تعيش بغير زوج وولد وهما حيان ، ولكن لاسبيل إلى اللقاء ، فمثلها كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه كانت المسكينة تعزى نفسها بالخروج صباح كل يوم إلى الأبطح تتعلل بالنظر إلى حيث سافر زوجها ، وتنسم أخبارا تخفف من لوعتها ، وما تزال تبكى حتى يأتى المساء فتعود لا لتنام ولكن لتظل ساهرة تفكر فيمن يبعث إلى عينها النوم من زوج يحميها ويقاسمها هموم الحياة ، ومن ولد هو فلذة كبدها الذى فقد صدرها الحنون وفقدت فى جواره القرار .

وبينما هى على عادتها بالأبطح تبكى إذ مر بها رجل من بنى عمها ، فرق لها وتوسط فى حل مشكلتها ، فسمح لها أهلها بالسفر إلى زوجها ، وأعطاها بنو عبد الأسد ولدها ، ولكن كيف تستطيع السفر وأهلها أعداؤها؟ من الذى يصحبها فى طريقها الموحش الطويل ؟ ومن الذى يزودها بما تتبلغ به الأيام الطوال ؟ لم يكن عندها إلا بعيرها فارتحلته وجعلت ابنها أمامها ، وخرجت متوجهة إلى المدينة ليس معها إلا الله ، ولا زاد لها إلا ما يسوقه لها القدر فى الطريق ، ولكن الله سخر لها من يرعاها ويحميها ، وكانت الحماية والرعاية من رجل ، ومن رجل ليس على دينها ، إذ قابلها فى الطريق وهى عند حدود الحرم بالتنعيم قريبا من مكة ، قابلها عثمان بن طلحة وهو يومئذ على دين قومه ، فسألها إلى أين ؟ فقالت أريد زوجى بالمدينه ، فقال وهل معك أحد ؟ فقالت لا والله ، إلا الله وابنى هذا . فماذا يفعل الرجل المشرك ، وكان من اليسير أن يردها إلى مكة ، أو يسلبها بعيرها ويتركها وحيدة ، أو يطمعه جمالها الذى اشتهرت به فى أن يعمل شيئا آخر ، حيث الجو مهيأ والظروف مواتية ، ولكن الرجل عربى ، وكما قلت من قبل : عربى وكفى ، أخذته الغيرة والحمية والنخوة العربية فقال لها : والله مالك من مترك ، أى لا ينبغى أن تتركى وحدك ، وهنا أترك السيدة الطاهرة الوفية البارة تروى لك بأسلوبها كيف كانت معاملته لها فى الطريق وهو الذى كانت له مندوحة أن يتخلى عنها ولا يتحمل مشقة السفر الطويل الذى لا حاجة له به ، وكانت هى تتوقع منه ألا يقربها بسوء وأن يدعها تواصل سيرها إلى حيث تريد ، ولكنه كان على العهد بالعربى الأصيل ، تقول السيدة أم سلمة :

فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معه يهوى بى، فوالله ما صحبت رجلا من بنى العرب قط أرى أنه كان أكرم منه،وكان إذا بلغ المنزل أناخ بى ثم استأخر عنى ، حتى إذا نزلت عنه استأخر ببعيرى فحط عنه ثم قيده فى الشجر

ثم تنحى الى الشجرة فاضطجع تحتها ،فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه فرحله ثم استأخر عنى فقال : اركبى ، فإذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه فقاد بى حتى ينزل بى ، فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينه ، فلما نظر إلى قرية عمرو بن عوف بقباء ، قال زوجك فى هذه القرية ، وكان أبو سلمة نازلا بها ، فادخليها على بركة الله . ثم انصرف راجعا الى مكة . الى هنا تنتهى القصة التى كانت كلما ذكرتها أم سلمة قالت : والله ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة ، وما رأيت صاحبا قط أكرم من عثمان بن طلحة .

ولقد أكرم الله أم سلمة بعد ذلك فتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة زوجها فى السنة الرابعة من الهجرة ، وكانت صاحبة رأى سديد حلت به أزمات، وأكرم الله عثمان بن طلحة فأسلم عام الحديبية على ما أسلف من خير وهاجر الى المدينة مع خالد ابن الوليد قبل الفتح .

قابل هذه الصورة الرائعة الناطقة بعراقة العربى فى النبل والشهامة والمروءة والنجدة وبين خسة اليهودى التى تصورها هذه الحادثة كما ذكرها ابن اسحق فى رواية غير ابن هشام:

فقد كانت أم شريك الدوسية فى سفر فعطشت ، فمرت برجال فى الطريق فعرجت عليهم تسأل ماء كعادة العرب ، فإذا بهم يهود ، ولم تتحرك فيهم معانى الانسانية ، فينقذوا امرأة كاد يقتلها الظمأ فى الصحراء ، ولكنهم لا يرون لغيرهم حقاً فى الحياة ، فسألوها أولا عن دينها، فقالت مسلمة. فعرضوا عليها الرجوع عن دينها ليسقوها فأبت وأصرت ، وقد كان لها من الرخصة وهى مشرفة على الهلاك . أن تنطق بكلمة الكفر وقلبها مطمئن بالإيمان ، ولكنها مؤمنة مخلصة تأبى العار فى أدنى صوره ، فكافأها الله بأن صرف عنها ألم العطش بأن خيل لها أن دلواً تدلى من السماء فشربت ورويت .

وسواء أصح هذا المخرج من المأزق على هذه الصورة أم لم يصح ، فقد استبان الفرق البعيد بين العربى واليهودى . وأيقنت حقا أن أمة لها مثل هذه المقومات الأدبية الرفيعة لن تذل ولن تهون . وأن شرذمة من اليهود ورثت الخسة فى أحط مداركها لن يكون لها شأن فى الوجود . ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ؟

سميرة المغربى

من رجالات الإسلام :

عامر بن شراحيل الشعبي

للأستاذ محمد ابراهيم الجيوشي

كلما رددت الطرف من قديم فى كتب التاريخ والأدب يسترعى انتباهى ، وتستوقفنى أخبار منثورة هنا وهناك عن عامر بن شراحيل الشعبي .

ذلك النموذج الفذ للفقيه الإسلامى فى القرن الأول من الهجرة .

فقد ولد عامر الشعبي سنة ١٩ على خلاف فى ذلك ، وأنهى رحلة الحياة فى عام ١٠٣ من الهجرة ، وبين بدء رحلة الحياة ونهايتها ترك الشعبي من الأخبار والأحداث ما استعصى على الموت أن يطويه مع صفحة العمر التى طواها .

ولئن كان الشعبي قد ودع الحياة فى أول القرن الثانى للهجرة فإن أخباره وسيرته لاتزال تتراءى أضواؤها على مشارف الزمن كما تتلألأ النجوم الهادية للسائر فى خضم المحيط .

يستوقف الناظر فى سيرة الشعبي تلك الجوانب الخصبة المتعددة لهذه الشخصية الفذة .

فهو فقيه ، ومحدث ، وراوية ، وساخر بارع النكتة حلو الفكاهة ، ورجل سياسة من الطراز الأول .

شهد له أعلام عصره بالعلم الغزير والمعرفة الواسعة ، والبيان القوى فقد مر به ابن عمر رضى الله عنه . وهو يحدث القوم عن المغازى . فقال : شهدت القوم ، وإنه لأعلم بها منى .

وقال الزهرى : العلماء أربعة : ابن المسيب بالمدينة ، والشعبي بالكوفة ، والحسن البصرى بالبصرة ، ومكحول بالشام .

وقد ساعد الشعبي على الوصول إلى هذه المكانة التى استرعت انتباه الأعلام من رجال عصره ، ودفعتهم إلى الإشادة بفضله حافظة قوية وذهن وقاد لم يمر به شيء إلا سجله ووعاه حتى ليقول هو عن نفسه فى ذلك ـ رداً على من سأله عن مبلغ حفظه ـ : ما كتبت سوداء فى بيضاء ، ولا حدثنى رجل بحديث إلا حفظته .

وهذه العبقرية الفذة ، وهذا العقل الراجح ، والفكر اللماح والبيان الطلق استوقفت رجلا مثل الحجاج ، وأثارت دهشته ، فقد أتى بالشعبي فى قوم خرجوا عليه ، فقال الحجاج : خرجت علينا يا شعبي ؟

قال الشعبي : أجدب بنا الجناب ، وأحزن بنا المنزل ، واستملسنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، وأصابتنا خزية لم نكن فيها بررة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء .

فلم يتمالك الحجاج إزاء هذا البيان المحكم ، والفكر المشبع إلا أن يرسله ضناً به على الموت ، وهو يقول : لله أبوك !

وقد أهلته هذه المواهب إلى أن يكون محل عناية رجال الدولة وتقديرهم . ولهذا لم يتردد الحجاج حينما بعث إليه عبد الملك بن مروان يسأله أن يختار له رجلا يصلح للدين والدنيا يتخذه محدثا وسميراً ، أن يبعث له بالشعبي .

مع عبد الملك :

ولما دخل الشعبي على عبد الملك وجده قد أطرق مهتما ، فقال : ما بال أمير المؤمنين ؟ قال عبد الملك : ذكرت قول زهير .

كأني وقد جاوزت سبعين حجة
خلعت بها عني عذار لجامي

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى
فكيف بمن يرمى ، وليس برامي

فلو أنني أرمى بنبل رأيتها
ولكنني أرمى بغير سهام

على الراحتين تارة ، وعلى العصا
أنوء ثلاثاً بعدهن قيامي

قال له الشعبي : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ؟ ولكن كما قال لبيد بن ربيعة وقد بلغ سبعين حجة .

كأني وقد جاوزت سبعين حجة
خلعت بها عن منكبيّ ردائيا

ولما بلغ سبعا وسبعين سنة قال :

باتت تشكّى إلى النفس موهنة
وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

فإن تزادي ثلاثاً تبلغي أملا
وفي الثلاث وفاء للثمانينا

ولما بلغ تسعين سنة قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها
وسؤال هذا الناس : كيف لبيد ؟

ولما بلغ عشراً ومائة قال :

أليس ورائي أن تراخت منيتي
لزوم العصا تحنى عليها الأضالع

أخبر أخبار القرون التي خلت
أنوء كأني كلما قمت راكع

ولما بلغ ثلاثين ومائة وحضرته الوفاة قال :

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما
وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

فقوما فقولا بالذي تعلمانه
ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر

وقولا : هو المرء الذي لا صديقه
أضاع ، ولا خان الخليل ولا غدر

إلى سنة ثم السلام عليكما
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

فسر عبد الملك وتهللت أساريره حتى قال الشعبي : فلقد رأيت السرور فى وجه عبدالملك طمعا أن يعيشها .

رأى عبد الملك نموذجا فريداً من الرجال ، وخشى أن يبدر منه ما يغيره عليه فيحرم من حديثه ومنادمته فقال له :

ياشعبى ، لاتساعدنى على ماقبح ، ولا تردعلى الخطأ فى مجلس ، ولا تخلفنى جواب التشميت والتهنئة ، ولاجواب السؤال والتعزية ، ودع عنك . كيف أصبح الأمير . وكيف أمسى ، واجعل بدل المدح لى صواب الاستماع منى ، واعلم أن صواب الاستماع أكثر من صواب القول ، وإذا سمعتنى أحدث فلا يفوتنك منه شىء ، وأرنى فهمك من طرفك وسمعك ، ولا تجهد نفسك فى تطريه صوابى ، ولا تستدع بذلك الزيادة فى كلامى ، بأن أسوأ الناس حالا منهم من استخف بحقهم . واعلم ياشعبى أن اقل من هذا يذهب بسالف الإحسان ، ويسقط حق الحرمة ، فإن الصمت فى موضعه ربما كان أبلغ من المنطق فى موضعه وعند إصابته وغرضه .

وكانت روح الشعبي المرحة ، وفكاهته الحلوة ، ودعابته العذبة مما قربه إلى نفس عبد الملك ، وجعل الأمر يصل بينهما إلى حد المزاح والمداعبة . وزاد فى إعجابه به وقد سأله ذات يوم عن ذكرياته ونوادره فى القضاء . فقال الشعبى : اختصم إلى امرأة وبعلها ، وكانت حسنة المظهر جميلة الوجه ؟ وعلى حق فى دعواها ، فقضيت لها واتهمنى زوجها بالتحيز لها ، وكتب إلى رقعة فيها :

فتن الشعبي لما
رفع الطرف إليها
فتنته بقوام
وبخطتى حاجبيها
ومشت مشيا رويدا
ثم هزت منكبيها
قال للجلواز قربـ
ـها وأحضر شاهديها
وقضى جورا على الخصـ
ـم ولم يقض عليها
كيف لو أبصر منها
نحرها أو ساعديها
لصبا حتى تراه
ساجدا بين يديها

فسأله الخليفة : وماذا فعلت عندئذ ؟
فأجابه . أمرت تضربه حتى أوجعت ظهره .
ثم أخذ الشعبى فى إلقاء نوادره على الخليفة وهو فى غاية السرور والبهجة ولما احتاج الأمر إلى سفارة بين الدولة الأموية وامبراطور بيزنطة على أثر ضرب الدينار الإسلامى فى عهد عبد الملك لم يجد عبد الملك

أجدر من الشعبي بالقيام بهذه المهمة الخطيرة ، ولكنه أراد أن يطمئن قلبه ، فعقد امتحانا للشعبي أشبه بما نسميه اختبارات الذكاء اليوم ، وجرى بينهما الحوار التالي .

الخليفة : يا شعبي ، ما العلم ؟

الشعبي : هو مايقربك من الجنة ، ويباعدك من النار .

الخليفة : يا شعبي . ما العقل ؟

الشعبي : ما يعرفك عواقب رشدك ، ومواقع غيك .

الخليفة : متى يعرف الرجل كمال عقله .

الشعبي : إذا كان حافظا للسانه ، مداريا لأهل زمانه ، مقبلا على شانه .

الخليفة : يا شعبي أنشدني أحكم ما قالته العرب وأوجزه .

الشعبي : يا أمير المؤمنين قول زهير .

ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

وقول النابغة :

ولست بمستبق أخا لا تلمه
على شعث أى الرجال المهذب

وقول عدى بن زيد :

عن المرء لا تسأل ، وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى

وقول طرفة :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وقول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

عند ذلك لم يخالج الخليفة أدنى شك فى أن الشعبي سيقوم بسفارته فى نجاح ، وعلى خير وجه ، وأخذ الشعبي يتأهب للسفر إلى بلاد الروم .

الشعبي فى بلاط الامبراطور :

وفى بلاد الروم التقى الشعبي بالأمبراطور ، وكان شديد الحرص على أن يمثل الدولة الإسلامية خير تمثيل ، ويوفر لها كرامتها ومكانتها . وأراد الأمبراطور أن يعرف مقدار ولاء السفراء المسلمين لدولتهم . فقال له : أنت أحق بموضع صاحبك منه ، فأجابه الشعبي على الفور إجابة رائعة مفحمة « على بابه عشرة آلاف كلهم خير منى . . فقال الأمبراطور : « هذا من عقلك » .

وقال الأمبراطور للشعبي : أريد أن أسألك عن ثلاث خلال ، فإن أجبتنى عنهن فأنت أعلم الناس ، فقال الشعبي : فليسألنى الملك عما أحب » .

قال الأمبراطور : يا شعبي ، هل للعرب من الأمثال مثل أمثال العجم ؟

قال الشعبي : نعم . وعندنا مثل ليس لأهل الأرض مثله .

قال الأمبراطور : وما هو ؟

قال الشعبي : يا ابن آدم إذا لم تستح فاصنع ما شئت .

فقال الأمبراطور : ما سمعت بهذا المثل قط إنه لا يشبهه مثل .

وكان الشعبي قد خضب لحيته باللون الأصفر تجملا منه وحرصا على التقاليد الإسلامية ، إذ كان الخضاب الأصفر يعتبر سنة عن النبي فقال الأمبراطور : يا شعبي لم غيرت لحيتك بصفرة ، ألا صبرت على البياض كما ابتليت أو رددتها إلى نسجها الأول فخضبت بالسواد

فأجاب الشعبي : هذى سنة نبينا .

فقال الأمبراطور : ما جاء به النبيون فليس فيه حيلة ، ثم قال أخبرني يا شعبي أنت خير أم أبوك ؟

فقال الشعبي : أبي خير مني .

فقال الأمبراطور : وأنت خير من ابنك .

فقال الشعبي : نعم ؟

فقال الأمبراطور : الحمد لله الذى أظفرني بك يا شعبي . آخركم قردة إذا كنتم تزدادون فى قرن شرا .

غير أن الشعبي أخذ يبين للأمبراطور وجهة نظره من حديث النبي الذى يفيد أن الموازين ستنعكس آخر الزمان ، ويغلب على الناس الهوى والنزعات النفسية .

وقد أعجب الأمبراطور بمواهب الشعبي ، وحسد الدولة الإسلامية على ظفرها بمثله فبعث برسالة إلى عبد الملك يحاول فيها أن يغرى الخليفة بالشعبي . ولكن عبد الملك تنبه إلى غرضه ، وأضاع عليه تدبيره .

طرف من أقواله :

والشعبي رجل خبر الحياة وفهم حقائقها ، وكان ذا بصر بأخلاق الناس وطبائعهم . وله أقوال تدل على عمق النظرة وسبر غور الحياة ، ومن ذلك قوله : تعايش الناس زمانا بالدين والتقوى ، ثم رفع ذلك فتعايشوا بالحياء والتذمم ، ثم رفع ذلك فما يتعايش الناس إلا بالرغبة والرهبة ، وأظنه سيجىء ما هو أشد من هذا .

وقد أورثه ذلك حلما وسعة صدر أسمعه رجل كلاما يكرهه فلم يكن جوابه إلا أن قال له إن كنت صادقا فغفر الله لى . وإن كنت كاذباً فغفر الله لك ، وكثيراً ما كان يتمثل بقوله مسكين الدارمى .

ليست الأحلام فى حال الرضا

إنما الأحلام فى حال الغضب

والشعبي ردود تفيض بالسخرية والتهكم ، وكثيرا ما يكون ذلك حينما يلتقى به بعض الثقلاء . وكثير ماهم فى حياة الشعبي . فقد مرّ به حمال على ظهره دن خل ، فلما رآه وضع الدن وأقبل عليه يسأله : ما كان اسم امرأة إبليس؟

فقال الشعبي : ذاك نكاح ما شهدناه .

(البقية على صفحة ٨٩)

الدين للضرورة أم للكمال؟

للأستاذ محمد فتحي عثمان

هل كان الدين وقاء للإنسان البدائي ـ فحسب يستحثه جهوده ـ ويعالج مخاوفه ، فإذا استطاع الإنسان أن يقضي حاجاته المعيشية عن طريق التعامل مباشرة مع سنن الكون وكشوف العلم ونظم الاجتماع والاقتصاد والحكم فقد صار الدين (غير ذي موضوع) !

كثير ممن يتظاهرون بالإنصاف يقولون هذا . . ويجعلون الدين (ذا فضل تاريخي) قد مضى زمنه ، واستنفد أغراضه . وغدت الإنسانية تستطيع أن تحقق بوسائلها الحاضرة من رغد العيش وسعادة النفس ما لا تحتاج معه إلى دين يتحدث عن المغيب المجهول !

والحق أن الدين لا يستهدف الحفاظ على قوى الفرد ونوع الإنسان فحسب . بل السمو بها وترقيتهما أيضا . . . ولنتناول الإسلام مثالا على تحقيق هذه المهمة بشطريها .

إن الدين يقضي ضرورات العيش .. يحفظ (للإنسان) كنوع مستوى يليق به « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » ، « ولقد كرمنا بني آدم . وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات . وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » . وهو يقرر لكل إنسان حقه في العيش الكريم . مؤمنا كان أو كافرا ، مخلصا أو جاحداً « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم لا يبخسون » ، « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد . ومن كان يريد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً » .

وعلى هذا الأساس الفلسفي الاعتقادي قررت شريعة الإسلام حقوق غير المسلمين المعاشية في دولة الإسلام ، وفرض عمر بن الخطاب من بيت المال ليهودي رآه يسأل : الجزية والحاجة والسن ، وضمن خالد بن الوليد في عهده لأهل الأقاليم المفتوحة : أيما شيخ عجز عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات ، او كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله .

وهذا الميدان من ميادين الدين ، يشترك فيه دعاة الدين مع دعاة الإصلاح من كل لون . قد تكون الدعوة إلى إصلاح الدنيا عن طريق

الدين أعمق جذوراً - لأسباب سنتناولها بعد وقد عرضنا لبعضها فى مقالات سابقة - ولكن موضوع الدعوة نفسها : وهو تحقيق ضرورات المعاش من مأكل وملبس ومأمن يشترك فيه الدين مع كل داع إلى الخير والمعروف والإصلاح «واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض . تخافون أن يتخطفكم الناس . فآواكم ، وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات» ، «فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» .

لكن الدين يرقى بالحياة ويسمو بالانسان إلى الكمال . . إنه لا تستغرقه معركة القوت والأمن ، بل يتولى تعميق الجذور وتوسيع الآفاق .

وبراءة الانسان من ضغوط الضرورات والحاجات لا تغنى عن الدين ، بل تزيد التشوق إليه إن الانسان حين يأكل ويأمن يستطيع أن يفكر فى هدوء ، وقد تخلص من شغب المسغبة وإلحاح الحاجة .

وقضية الدين قضية فكر ونظر ، وتأمل وتبصر «أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا» . «أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون» ، «أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون» ، «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» ، «ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء» ، «وفى أنفسكم أفلا تبصرون» !

وأنى لمن تستهلكه مطالب القوت ، وهو يعيش من يده لفمه ، تهدده قرقرة البطن ومتربة العيال ، وأنى لمن تفزعه سياط الجلادين ومقارع الطغاة ... أنى لهذا أو ذاك أن يجد فسحة وقت وهدوء بال وحصافة عقل وحصيلة علم ليفكر فى الديانات والمذاهب والآراء ؟

يقولون إن هؤلاء الجياع العراة هم طليعة المتحمسين للدين ، المضحين من أجله ، المستشهدين فى سبيله ... ويقولون إن هؤلاء (الشهداء) آمنوا فى يسر بالآخرة لأنهم لم يجدوا ما يخسرونه فى الدنيا . . .

والحق أن شهداء العقائد والديانات جموع لا نستبين كل أفرادهم ، وقد يكون فيهم كثير أو قليل من الضائقين بحياتهم ، ولكن الذى لاشك فيه أن بين هؤلاء الأتباع أصحاب نظر وفكر ، وجاه وثراء ، وصدق وشجاعة ، آمنوا بالدين إيمانا لم يكونوا يفرون به من واقع مهيض إلى خيال عريض !!

إن بولس فى تاريخ المسيحية علم خفاق ... كان موظفا رومانيا قد ضمن عيشه وكره المسيحية حتى كان أداة فى حملة اضطهادها ... وبولس هذا آمن بالمسيحية فكان إيمانه عجيبا رائعا . وتردد (أعمال الرسل) التى تلى الأناجيل الأربعة رحلاته وكلماته ومجادلاته، فترى فيها قوة العارضة وبراعة المناقشة ... وما أروعه وهو يجادل الموظفين الرومان الذين يتصدون لحركته ويحاولون أن يحولوا بينه وبين الجماهير ! وما أبلغه وهو يطالب بحقوقه كاملة كمواطن رومانى !

هذا رجل حققت له وظيفته فى دولة الرومان ضرورات العيش والأمن ... ورأى فى المسيحية ما هو أبعد وأعمق وأجل من مجرد العيش والأمن !

وجيوش الإسلام المظفرة قد يكون فيها طلاب الغنائم أو الضائقون بحسرات حياتهم الدنيا ... ولكن لم تلمع أسماؤهم مثلما لمعت أسماء أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الله ابن عباس ، ومعاوية وعمرو بن العاص وابنه عبد الله ... هؤلاء الذين لم يؤمنوا بإيحاء الوعود البراقة واستهواء التهرب من شقاوة العيش ... وكم تسعد الإنسانية حين يكون المؤمنون أمثال هؤلاء الصادقين ... ولا يكونون من أتباع كل ناعق الذين يتطلعون لأى تغيير !

ودعاة الدين لا يضيقون بالمدنية والحضارة التى خففت عنهم أعباء معركة العيش والأمن ، إنهم يعتقدون أن هذه المدنية والحضارة قد أسدت إليهم خدمة كبرى ... إنها نعمة من نعم الله السابغة التى سخر بها للإنسان ما يسد حوائجه لكى يجد الجهد والوقت اللذين يستخدمهما فى إعمال فكره واستخدام عقله وتحقيق إنسانيته .

* * *

مهمة الدين إذن مزدوجة ... وهى تحقق للناس الضرورات لكى يجدوا الفرص ليفكروا فى الكمال ... إن دولة الإسلام دولة العدالة والرخاء حتى يرتقى مستوى البشر عن أن يكون صراعا من أجل اللقمة أو فراراً من الأذى والضيق لا غير ! !

والدين يهيب بالعلماء أن يكتشفوا ويخترعوا ، لتسخو الطبيعة بقواها فتوفر من جهد الإنسان . ويهيب بالحكام أن يعدلوا ليأمن الناس المظالم والمغارم فيفرغوا للإنتاج والإبداع . ويهيب بالناس جميعا أن يتناصفوا لتخف ضغوط الحاجة وشرور التنازع والخصام .. وإلى هذا الحد لا ينفرد الدين بالعمل ، ولا يأتى الوحى للاقتصار على هذا المجال . فالإنسان قد سعى طويلا وكسب طويلا فى هذا السبيل . والدين لا يخاصم ثمار الجهود الإنسانية فى العلم والتنظيم التى يسرت

الحياة أيما تيسير ، ولا يعتبرها انتزعت منه ميدانا - بل إنها وفرت عبئا لم يكن من مهمته الأصيلة ، ولا ينظر إليها أنها أقفلت أمامه القلوب - بل إنها فتحتها أمامه على مصاريعها بما وفرت عليها من الشواغل والهواجس والهموم .

يقول تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ... يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » ...

وهذه الآية كما توحى بأن المؤمنين إذا عبدوا الله مخلصين له الدين استخلفهم فى الأرض ومكن لهم الدين ورزقهم الأمن بعد الخوف ... توحى كذلك بأن استخلاف المؤمنين والتمكين لهم تحقيق للحرية والسلام والسعادة . ومن هنا يعبد الله فى الأرض دون فتنة ولا صد بإغراء أو رهبة ، كأنه قيل : ما لهم يستخلفون ويؤمنون ؟ فقال يعبدوننى موحدين ، كما ورد فى تفسير النسفى ... وعلى هذا يمهد الاستقرار الاجتماعى والاقتصادى والسياسى الطريق أمام حرية الفكر والضمير فى عبادة الله ، ويأمن الناس من فزع الناس فلا يعبد فى الأرض غير الله ، ولا يستعلى على خلقه إلا العزيز الجبار المتكبر ، وهو الواحد القهار .

« والمقصد العام للشارع من تشريعه الأحكام هو تحقيق مصالح الناس بكفالة ضرورياتهم ، وتوفير حاجياتهم وتحسيناتهم ... وكل فرد أو مجتمع تكون مصلحته من أمور ضرورية ، وأمور حاجية . وأمور كمالية ، مثلا الضرورى لسكنى الإنسان مأوى يقيه حر الشمس وزمهرير البرد ، والحاجى أن يكون المسكن مما تسهل فيه السكنى بأن تكون له نوافذ وأبواب ، والتحسينى أن يجمل ويؤثث وتوفر فيه وسائل الراحة ، وهكذا طعام الإنسان ولباسه وكل شأن من شئون حياته . والبرهان على أن كل حكم فى الإسلام إنما شرع لإيجاد ؛ وحفظ واحد من هذه الأمور الثلاثة هو استقراء الأحكام الشرعية الكلية والجزئية ... » (خلاف : أصول الفقه)

ولكن ماذا بعد هذا ؟

ما الذى يريد أن يحققه الدين فوق كفالة الضرورات ؟ ؟

• يريد إطلاق الفكر الإنسانى ...

إن الاعتقاد تفكير ، وطريق الإيمان هو التبصر فى آيات الله فى الآفاق ، وقد خاطب الله الذين يعقلون ويتفكرون ويتدبرون ... ولن يوجد هؤلاء إلا إذا تحققت خصائص الانسانية التى تتفرد بها فى مستواها الرفيع . وكم يسخر القرآن من الذين حجروا على عقولهم ، وغللوا

تفكيرهم، وقنعوا بأن يكونوا أسرى الهوى أو السلطان [١].

ويريد الدين تحقيق راحة النفس الإنسانية ... عن طريق إحكام الرابطة بين الفكر والوجدان . بين المنطق والعاطفة، بين العقل والروح ... فتنمو النفس بسياحة العقل فى محاولة كشف العلاقات، والتعمق إلى ما وراء الجزئيات، وتهتدى إلى موضع الإنسان من الأرض، وموضع الأرض من الكون، وموضع الكون فى قصة الوجود والفناء ...

« وكأين من آية فى السموات والأرض . يمرون عليها وهم معرضون » .

« قل هذه سبيلى أدعو إلى الله ... على بصيرة ... أنا ومن اتبعنى » .

« أفلم يسيروا فى الأرض ... فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ... فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

« وتلك الأمثال نضربها للناس ... وما يعقلها إلا العالمون . خلق الله السموات والأرض بالحق . إن فى ذلك لآية للمؤمنين » .

« أو لم يسيروا فى الأرض، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ... كانوا أشد منهم قوة، وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ... » . « كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون » .

وهكذا يستريح الإنسان فى السراء والضراء حين يعلم سنن الكون وحكمة الخلق « إن تكونوا تألمون، فإنهم يألمون كما تألمون، وترجون من الله ما لا يرجون » .

وحتى فى باب تحقيق الضرورات للدين خصائصه ومميزاته إلى تعمق الإفادة من آثار العلم والتنظيم:

فهو يجعل مطالب الحياة الكونية من فرائض الدين ويوكل الكفاح من أجلها وصيانة ثمارها . لذا الكفاح إلى حراسة العقيدة ... فلا يكون هناك تعارض بين الدين والدنيا . ولا تناقض بين احتياجات المعاش وقضايا الفكر والوجدان . والدين يرحب بكل جهود مثمرة تيسر المعاش للناس ولا يريد أن تستغنى البشرية بالوحى والدين عن العقل والاجتهاد .

وهو إذ يضع الإنسان فى مستواه الرفيع فيقرن بين تحقيق ضرورات الحياة المادية والاستجابة لأشواق النفس الإنسانية ... يسوى بين كل أفراد النوع الإنسانى فى تقرير هذه الحقوق وتحصيلها لأن الجميع عباد الله .

فذلكم الله ربكم الحق ...

فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

فأنى تصرفون !

فتحى عثمان

---

(١) مقال : أصول الحرية فى منهج التفكير الإسلامى ـ مجلة الأزهر صفر ١٣٧٧ هـ .

جزيرة لامو

مركز الثقافة الإسلامية في شرق إفريقية

بقلم : ابن سليم

١ — تعريف :

جاء العرب إلى شرق أفريقا — ما بين بوغاز باب المندب شمالا وسوفاله جنوبا — كما سبقت إليه هجرات كثيرة من آسيا وخاصة من الهند منذ عهود مغرقة فى القدم ، كما كانت مصر ترسل سفنها التجارية إلى هذه المنطقة التى كانت تعرف ببلاد (بنت) للحصول على العطور المختلفة وغيرها . وكان سكان جنوبى غرب وجنوبى شرق الجزيرة العربية وسكان الخليج الفارسى يتنقلون إلى شرق إفريقية ، وأخذت هذه الهجرات تتزايد وتشترك فيها مجموعات من التجار من الصين والهند وبلاد الشرق الأقصى . وعمل العرب على احتكار وساطة التجارة بين الشرق والغرب وذلك بنقلها إلى البحر المتوسط ، الأمر الذى خلق مشكلات أخذت فى التطور مع التقدم الحضارى الذى أكسبها ألواناً من الصراع .

وبدأت تجارة العرب بقيام «مدن الولايات» التى كانت تقوم فى الجزائر الواقعة على الساحل الإفريقى وذلك لتأمينها من غزوات الإفريقيين ، وتطور وضع هذه الولايات نتيجة للحروب التى كانت تقوم بين المدن فسيطر القوى منها على الولايات الضعيفة . فنشأت سلطنة أسرة المخزومى فى شرق «شوا» فى أثيوبيا . وسلطنة المظفر فى مقدشيو الخ . الخ .

ويتكون أرخبيل «لامو» أو - أم - كما يسميها أهلها من مجموعة من الجزائر المرجانية القريبة من الساحل الإفريقى الذى تقوم عليه سلطنة ويتو . وتقع جنوبى كسمايو مركز الباجونى الذين يسكنون الجزائر الساحلية ، ويسكن جزء منهم على الساحل . ولهؤلاء الباجونى صلات وثيقة مع مصر ، لا محل للتعرض لها الآن . وتقع لامو شمالى ملندى . ويخرج من الشاطىء المقابل لجزيرة لامو طريق القوافل التجارية الذى يدخل البلاد فى حذاء نهر التانا . وتميزت منطقة لامو بموقعها على الطريق البحرى الموسمى للتجارة .

وقد تعرضت لامو لأحداث تاريخية

بسبب الأمراض الفتاكة وبسبب الحروب التى كانت تؤثر فى وضع مدن الولايات . ولامو اليوم مدينة بنشأتها إلى سلطان زنجبار وكانت مدينة لامو غنية تضرب بها الأمثال فى الثراء ، وبخاصة مدينة ولاية جزيرة بتى التى كان عظاؤها يستخدمون السلم المصنوع من الفضة للصعود عليه إلى أسرتهم المصنوعة من سن الفيل . وقد أسهمت لامو بنصيب وافر فى تزويد لهجات اللغة السواحلية القديمة بما أدخلته عليها من كلمات كما أخذت هذه اللغة من لهجة القصر فى بتى . وتطورت فى لامو صناعاتها الخاصة ومنها الحفر على الخشب والمنسوجات الملونة وذلك فى القرن الثامن عشر الميلادى .

٢ — الثقافة الدينية :

اهتم الوافدون من العرب بإنشاء المدارس للتعليم ولنشر الرسالة الإسلامية واتخذ الفقهاء الذين أسندت إليهم مهمة القيام بهذا العمل مدارسهم أو بمعنى أدق كتاتيبهم فى أكواخ من القش أو فى المساجد الكثيرة العدد فقد وجد بلامو تسعة عشر مسجداً . وتقام صلاة الجمعة فى مسجد واحد يقوم فى القسم الشمالى من المدينة . والمدينة مقسمة قسمين أولها شمالى ويعرف بالمكامونى ، والثانى جنوبى ويعرف بالأنتونى . ويسكن القسم الشمالى العائلات القديمة العريقة ومن بينها بيت الأمويين الذى جاءوا إلى هذه المنطقة بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان الذى يقال إن ابنه حمزة قد قام بنشر الديانة الإسلامية

ويقوم من البيت الأموى هذا فقهاء يتولون صلاة الجمعة، وصلاة الاستسقاء عندما يتأخر المطر . وقبل اليوم المحدد لصلاة الاستسقاء يخرج مناد إلى البلد ومعه مزمار يطلب من الأهالى المساهمة فى شراء ثور وإعطاء الخبز لإعداده للأكل، وفى اليوم الثانى يسحب الثور من أمام مسجد (موانا لالو) فى القسم الشمالى ؟ وبعد أن يؤخذ إلى الجانب الشمالى من المدينة يذبح بعد الصلاة ، ويكون ذلك تحت ظلال شجرة معينة من نوع البوباب — (العبارة بلغة السودان) ويدفن العظم ومالا يؤكل من الأحشاء ملفوفين فى الجلد بالقرب من الشجرة . وفى الماضى كان أخذ أى جزء من اللحم إلى المدينة يعتبر كارثة كبرى .

ويعرف هؤلاء الأمويون الذين يمارسون سدانة مسجد الجمعة وصلاة الاستسقاء باسم « الماخطيبو » — من كلمة خطيب — أى المبشر برسالة الإسلام .

وتطورت شئون الدراسة الدينية ، كما تطورت قراءات المولد النبى الشريف ، فكانت قراءة مولد البرزنجى ، ثم انتقل إلى قراءة المولد الذى كتبه حبيب على الحبشى . — وكلمة حبيب عنده معناها السيد أو الشريف —

ولمولا. نفوذ كبيرة فى مدينة لامو رفى المنطقة التى يسكنها الباجون شماليها .

وأراد حبيب صالح فى عام ١٨٨٥ م تقريبا إنشاء مدرسة دينية فى لامو ، فأقام كوخا من القش ، ومن ثم أنشأ معهده الدينى : « المدرسة الجامع » الذى أطلق عليه اسم رباط الرياضة « لتعليم العلوم الدينية والرياضية ، وجانب من علم السحر والفلك . وتقوم العلوم الدينية أساسا على التصوف - ولا يعلم بالضبط التاريخ الذى أنشىء فيه هذا المعهد . وقد توفى العلامة « حبيب صالح » فى ٦ إبريل من عام ١٩٣٥ عن عمر زاد على الثمانين عاما ويتمتع هذا المعهد الدينى بالسمعة الطيبة والاحترام ، ويحضر إليه سنويا فى ذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم جماعات كثيرة من الباجون والصومال . رالحالا ، والعرب والسواحلية والهنود المسلمين من ممباسة وزنجبار دار السلام ، وبمبا وغيرها من المناطق المجاورة . ولهذا المعهد نشاط فى نشر الرسالة الإسلامية بين المذاهب الأخرى كالأباضية التى استطاع أن يعيد مجموعة منها إلى السنة المحمدية .

ويتولى التعلم فى المعهد ابن حبيب صالح ويدعى حبيب أحمد بدوى . وهناك مشكلات كثيرة تواجه هذا المعهد فى تأدية رسالته الدينية ، فهناك الاسماعيلية والقاديانية ، ولهذه أساليبها الخاصة فى نشر دعايتها الشيشيرية . وهنالك محاولات لإنشاء معاهد دينية أخرى فى كينيا وتنجانيقا . وكل هذه المحاولات جديرة بالأخذ مبين الاعتبار والدراسة لتقوية الدعاية الإسلامية فى ذلك المحيط .

بن سليم

« بقية المنشور على صفحة ٨١ »

وسأله آخر عن لحم الشيطان فقال : نحن نرضى منه بالكفاف .

وكثيرا ما كانت تغلب عليه روح الفكاهة فيداعب من يلقاه . فقد مر به خياط ، فقال له : عندنا حب مكسور تخيطه ؟ فقال الخياط : إذا كان عندك خيوط من ريح .

ودخل عليه رجل مرة البيت ومعه امرأة ، فقال : أيكما الشعبي فقال الشعبي : هذه .

هذا هو الشعبى مثال رائع للمثقف الإسلامى فى القرن الأول من الهجرة ، كان رجل دين ودنيا فى الوقت نفسه ، وكان يعالج أمر السياسة كما يعالج القضاء بين الناس ، ويشارك فى الحياة مشاركة الخبير بها العالم بدروبها ومسالكها .

فلعل فى حياته من الجوانب ما يحفز همم ناشئتنا ، ويدفعهم إلى الأخذ بأسباب الحياة حتى يكونوا مثلا تحتذى ومنارات هادية للأجيال من بعدهم .

محمد ابراهيم الجيوشي

العبادة في الإسلام لا يجوز أن تصحبها الموسيقى

للأستاذ مصطفى أحمد الزرقا

نقل إلى أستاذ فى جامعة دمشق سؤالا من أحد الموسيقيين الأجانب الذين اعتنقوا الإسلام حديثا : « إنه لمزيد إعجابه بتلاوة القرآن العظيم وتأثره بترتيله يريد أن يصوغ بعض سور القرآن فى مقطوعات من الموسيق المجردة الصامتة على طريقة السمفونيات ، بحيث تكون القطعة الموسيقية الواحدة معبرة بألحانها عن السورة الفلانية وتخلدها فى لحن فنى ، وذلك لأن الرجل من الموسيقيين البارعين . فيريد أن يخدم القرآن من ناحية اختصاصه الفنى ، فهل هذا العمل مستحسن من الناحية الإسلامية ؟ » .

وقد أجبته بأن هذا العمل لا يجوز شرعا ؛ فالقرآن خالد بإعجازه القائم على بلاغته وصياغته وحقائقه العليا وحكمته وإحكامه . وليس خلوده قائما على الألحان والأنغام .

قال الأستاذ : وما حكمة هذا الحظر ؟ وبماذا نقنع مثل هذا الرجل بأن الموسيق لا يجوز أن تدخل فى العبادة الإسلامية ؟ فقد يقول لنا : أليس القرآن يرتل ترتيلا فى الصلاة ، وهذا الترتيل فيه من الموسيق ما يزيد القرآن روعة وتأثيرا . فإذا دعمنا موسيقى التلاوة بموسيقى خارجية تصاحبها وتقويها لا تكون قد أدخلنا شيئا غريبا ليس له أصل فى نظام عبادتنا . فما هى حجتنا المقنعة فى الموضوع ؟

قلت لصاحبي: إن الحجة نجدها فى الرجوع والنظر إلى نظام العبادة فى الإسلام .

فنظام العبادة فى الإسـلام قد بنى على أساسين :

الأساس الأول يتعلق بغاية العبادة ، والثانى بطبيعتها :

(ا) فأما الأساس الأول فإننا نجد أن الإسلام قد بنى عباداته على أساس يكفل قيادة المكلف إلى غاية روحية يتحقق له فيها إصلاح نفسه لتكون عنصرا طيبا نافعا فى هذا المجتمع البشرى ينفح بالخير والنصح . ويتوق الشر والضر ؛ وذلك عن طريق محاسبة النفس ومراقبة الله واليوم الآخر .

ولذلك جعل الإسلام بعض عباداته يجب مرة فى العمر كالحج ؛ وبعضها مرة فى السنة كالصيام والزكاة . وبعضها يتكرر كل يوم عدة

مرات كالصلاة . والأصل فى العبادة التكرر لأن الغاية منها التذكر للواجبات بمراقبة النفس والتوجه إلى الله تعالى كى يسمو الانسان سموا وروحيا يتغلب فيه جانب الخير على جانب الشر .

ولذا كان فى الاسلام عبادات ذات غاية سياسية واجتماعية كالحج والزكاة ، لأن غاية العبادة تمحيص المكلف لخير نفسه وخير المجتمع عن طريق التصفية الروحية ومحاسبة النفس ومراقبة الله والتحذير من المصير الأخير .

وبحسب المشقة الطبيعية فى العبادة يكون التكرر فيهما :

فالحج مرة فى العمر لما فيه من سفر ونفقة ووقت .

والزكاة سنوية لتعلقها بنماء المال ، وهذا النماء دورته الطبيعية سنوية .

وصيام الشهر دورة سنوية أيضا لأنه لو كان مستمرا لأصبح طبيعة عادية ، فيزول الاحساس به ولا تتحقق وظيفته الروحية والصحية والاجتماعية . أما الصلاة فهى الأخف عبئا من حيث المشقة ، وهى الأكثر ذكرا ومناجاة لله تعالى وتوجها إليه ، ولذا كانت متكررة فى اليوم الواحد مرات

وقد جعلت لهذه العبادات مراحل أساسية هى الفرائض فى دوراتها العمرية أو السنوية أو اليومية ، وترك ما يزيد عنها للتطوع بصورة يحفظ فيها حق النفس فى الحياة ودواعيها ولوازمها كما يحفظ حق الله ، وحق الأسرة . وحق المجتمع ، دون أن يطغى فيها جانب على جانب . فإن جار المكلف على أحد هذه الجوانب لأجل الآخر أصبحت عبادته معصية . كما لو أهمل نفسه فى سبيل العبادة . أو أهمل زوجه أو ولده ، وفقا لقول الرسول عليه السلام لمن انقطع للعبادة : « إن لنفسك عليك حقا ، ولزوجك عليك حقا ، ولربك عليك حقا . فأعط كل ذى حق حقه »

وبما أن دواعى الأهواء والشهوات والأطماع والمغريات وسائر أسباب الغفلة عن الله كثيرة متكررة فإن الصلوات الخمس إذا أديت بخشوع وتدبر كفيلة بأن ترد الإنسان الى الجادة ، وتذكره أو تنبهه كلما حدثت له غفلة ، ليبقى دائما مع الله تعالى :

وفى الوقت نفسه وسع الاسلام مفهوم العبادة لجعل الاستمتاع واستيفاء الحظوظ من مطعم ومشرب وزواج وراحة ونزهة وغير ذلك من المتع الحلال كلها تصبح عبادات إذا استوفاها الانسان بنية الطاعة ، أى على أساس أن الله أباحها وأنها وسيلة لتقوية نفسه على القيام بالواجبات .

وبذلك تكون جميع المتع اللذيذة المباحة هى من المؤمن المتذكر عملا إنسانيا ملحقا بالعبادات : وتكون من غير المؤمن عملا

حيوانيا ، كما يقول الله تعالى: « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام » ، وذلك بحسب الفكرة النبيلة أو الوضيعة التي تصاحب الاستمتاع .

فالمهم أن يكون المؤمن دائما مع الله غير غافل عنه .

(ب) وأما الأساس الثاني المتعلق بطبيعة العبادة فإن الإسلام أراد أن يجعل العبادة عملا عقلياً وتفكيراً بعد ما أصبحت في كثير من المذاهب الوثنية وغيرها مراسم شكلية أو أنغاما موسيقية .

فقد انتشرت قبل الإسلام وبعده إلى اليوم طرائق التعبد بالموسيقى ، فاختلطت الأحاسيس والمشاعر الفنية الجميلة وماينشأ عنها من نشوة وطرب ، وامتزجت بالعبادة ومناجاة الله ، بينما أن الاحاسيس الفنية والعبادة هما أمران متباينان .

فإذا أصبحت العبادة موسيقى وأنغاما حق للفاسق في الملاهي أن يعد نفسه متعبداً بالنشوة والإحساس الفني من الموسيقى التي يسمعها في الملهى كمن يسمعها في المعبد .

وهكذا ربأ الإسلام بالعبادة عن مستوى المراسم العمياء والطقوس الشكلية المحضة التي يقصد بها السيطرة على أوهام الناس دون معنى عقلي ، كما ربأ بالعبادة عن النشوة والطرب الناشئين من العمل الفني كالموسيقى ، وهذا سمو بالعبادة إلى مستوى رفيع يليق بالإنسان العاقل المتميز بعقله وتفكيره عن سائر المخلوقات .

ولذا نجد العبادات في الاسلام تشتمل كلها على عنصري التفكير والعزيمة الانشائية . فالتفكير والعزيمة هما من أركان العبادة في الاسلام ، كما يتضح من الملاحظات التالية :

أولا : أن العبادات كلها أعمال إرادية تنشأ بها العبادة بعزيمة إنشائية ، وتنعقد انعقاداً في نظر الشرع كما تنعقد العقود ، وتشترط لها شرائط ، وتخضع للصحة والبطلان كما تخضع العقود .

ثانيا : أن العبادات في الاسلام تشترط فيها جميعها النية . والنية عمل عقلي باطني وعزيمة فكرية .

ثالثا : أن هذه النية العقلية هي كل شيء فيما أسميناه « العبادات الملحقة » وهي الأفعال الحيوية والمتع المباحة من مأكل ومشرب وزواج ومتنزه ، فتنقلها النية كما أشرنا ، من استمتاع حيواني إلى عبادة عقلية . ولذلك يقول علماء الاسلام : « إن النية هي المميز الفارق بين العادة والعبادة » .

وتتجلى هذه الناحية التفكيرية في جميع العبادات الاسلامية الأربع الأساسية : فالحج يقوم فيه المسلم بعمل فيه تفكير روحي واجتماعي وسياسي .

والزكاة والصيام تتجلى فيهما أجلى صور التفكير الروحى والاجتماعى .

والصلاة تبرز فيها وتتجلى هذه الصورة من العمل العقلى السامى أكثر من سواها . فهى كلها أدعية ، وأذكار ، وقرآن ، ومناجاة ، وتضرع ، وتوجه إلى الله .

والأعمال والحركات فيها مناسبة للمعانى التى يرددها المصلى .

وأما الموسيقى التى تتجلى فى ترتيل القرآن فإنها التوقيع الطبيعى الذى يتجلى فى حسن القراءة وجودة النطق الصحيح والأداء المحكم فهى كالجمال الطبيعى والنظافة وحسن التجمل بالحدود الطبيعية ، فكل كلام حسن الأداء توجد فيه موسيقى طبيعية ذاتية . وهذا غير الموسيقى الخارجية الصناعية التى هى عمل فنى مستقل .

وعلى هذا الأساس لا يقبل الاسلام أن تصاغ سور من القرآن قطعاً موسيقية ، كما لا يقبل أن تصحب العبادة موسيقى خارجية ؛ لأن العمل العقلى فى العبادة عندئذ يغيب تحت رداء النشوة الفنية ، فتخرج من حيز العبادة والفكر السامى إلى حيز الطرب الذى يكون حظ الحس فيه أكبر من حظ العقل ، كما قد يكون حظ غير المتعبد فيه أوفى من المتعبد ، فيضيع معنى العبادة .

ولذا نعى القرآن على الجاهليين أن صلاتهم عند البيت لم تكن إلا مكاء وتصدية ، أى مراسم من تصويت وتصفيق .

والخلاصة : أن الاسلام ميز بين الأحاسيس الفنية التى هى مشاعر نفسية غريزية لا صلة لها بالعقل والتفكير ، وبين العبادة المزكية للأنفس البشرية ويجب أن تكون تأملا وتفكيرا .

ولما رقى الاسلام بالعقيدة فجعلها عقلية محررة من الأوهام والخرافات ، رقى أيضا بالعبادة فجعلها عملا عقليا ساميا وتأملا وتفكيراً ، وعزيمة ونية وتعبيرا .

مصطفى احمد الزرقا
أستاذ القانون المدنى والشريعة الاسلامية
فى كلية الحقوق من جامعة دمشق

ما يقال عن الإسلام

أديان الدعوة

للأستاذ عباس محمود العقاد

من التقسيمات المتواترة عند علماء المقارنة بين الملل والعقائد تقسيم الأديان فى العالم إلى أديان دعوة ، وأديان «مقفلة» أو محصورة فى بيئة خاصة ، وأكبر أديان الدعوة عندهم فى العصر الحاضر ثلاثة : البوذية والمسيحية والإسلام ، وأولها تنحصر الدعوة اليه فى التلمذة ، ومصاحبة المريدين للأئمة والرؤساء فى الهياكل والصوامع ودور العبادة .

ظهرت فى العهد الأخير طبعة جديدة من كتاب « المطالعات فى الأديان العالمية » وجعلها أحد عشر دينا هى الهندوكية والشنتية واليهودية ، والزردشتية أو المجوسية والطاوية ، والكنفوشية . والجانية ، والبوذية ، والمسيحية والإسلام . والسيخية . ويقول الكتاب فى التمهيد للديانة الشنتية . Shintocsnr وهى ديانة أهل اليابان : « إننا رأينا فى ختام الفصل السابق إن الهندوكية هى الديانة القومية العنصرية للهنود . وانها تخصهم وحدهم وتخص بلادهم وحدها ، وليس لها مؤسس معين معروف ، بل ترجع نشأتها إلى ما قبل التاريخ ، فلنعلم إن الشنتية هى من هذا القبيل ديانة أهل اليابان ، فهى مقصورة على اليابانيين لا يعرف لها مؤسس معين منذ نشأتها قبل التاريخ ، وكلتا الديانتين لا عناية لها بالدعوة إلى الدخول فيها ، فكل منهما تعبير طبيعى لشعب خاص ، وجزء من ثقافة اجتماعية لا تتقبل الغرباء » .

ويعود الكتاب فيقول تمهيداً للكتابة عن الديانة اليهودية : « إن ديانة اليهود أيضا ذات ارتباط بشعب معين كما يؤخذ من تسميتها باليهودية أو العبرية ، وهى لهذا تشبه الهندوكية والشنتية فى أنها ديانة مقفلة أى ليست من ديانات الدعوة ، وإنما تختلف بأن الهندوكية والشنتية كلتاهما ديانة شعب

---

(١) كتاب مطالعات من كتب الديانات العالمية

مستقر فى وطنه منذ عهد بعيد . وأن اليهود تعرضوا للشتات غير مرة ، فوقعوا فى أسر مصر وبابل وفقدوا وطنهم بعد أن استولى العاهل الرومانى (تيتوس) على أورشليم سنة سبعين للميلاد . . » .

ولما عرض الكتاب للدين الإسلامى قال إنه دين دعوة وإنه لا يزال ينتشر فى القارة الإفريقية وبين الشعوب المتأخرة . ولكنه لم يحاول أن يبحث عن حقيقة الفارق بين أديان الدعوة والأديان « المقفلة التى لا تعنى بإدخال الغرباء فى ملتها » . . إلا فارقاً واحداً ذكره غير مرة وهو الفارق بين الدين الذى يعبر عن بيئة محدودة والدين الذى يسرى الإيمان به إلى أقطار لا تحدها المواضع الجغرافية أو الروابط العنصرية .

على أن الفارق الأصيل ظاهر ، بل مفرط فى الظهور ، حتى ليكفى فى تلخيصه بضعة سطور ، غنية عن الإفاضة فى الشروح ، والإكثار من الأسانيد .

إن ديانات الدعوة مفهومة فى حالة واحدة وهى حالة الإيمان بالضمير الإنسانى واستعداد الإنسان فى مختلف البلدان والأجناس للإيمان بالتوحيد ، ولا يتأتى أن ينتشر دين دعوة يعم الناس جميعاً قبل أن يفهم الناس أن الدين هداية يتقبلها كل من له عقل يعى وضمير يميز بين الخير والشر وبين العمل الصالح والعمل الطالح بمعزل عن الحدود الجغرافية وحدود العنصر والنسب وأصول الأسلاف .

فالدين عند أصحاب الملل التى تدعو إليه عقيدة إنسانية تقوم على التوحيد وليس بصبغة محلية محدودة ، ولا بفريضة سياسية تمليها السلطة الحاكمة ، ويخضع لها الرعايا المحكومون .

هذا الفارق فى تطور الإنسانية واضح جداً لو شاء علماء المقارنة بين الأديان أن يستوضحوه . ولكنهم لا يشاءون ولا يحبون أن يشاءوا مختارين ، لأن النتيجة المحتومة لو نظروا إلى هذا الفارق أن يرفعوا الإسلام إلى القمة العليا بين العقائد الدينية ، وأن يمتنع عليهم تعليل انتشاره بموافقته للشعوب المتأخرة كما يقولون كلما عرضوا لمسألة الدعوة والشيوع .

فالإسلام قد جاء للناس بعد أن بلغوا من التطور فى فهم الدين حد التمييز بين هداية الضمير وبين فواصل الأمكنة والأنساب ، فعرفوا أن « الحق الإلهى » محصول روحانى وليس بالمحصول الأرضى الذى يرتبط بالتربة كما ترتبط محاصيل الزروع والضروع .

وآية الإعجاز فى هذا « التطور » أن يطلع على العالم من بلاد العصبيات والأنساب ، وأن تكون له آيات بينات فى الإيمان بالعقيدة

الإلهية ، والإيمان بالنبوة ، والإيمان بضمير الإنسان .

فالله فى الإسلام هو «رب العالمين» يتساوى عنده الناس ، ولا يتفاضلون بغير العمل الصالح .

والنبي فى الإسلام هو المبشر بالهدى والمنذر بالضلال ، وليس هو بالمنجم الذى يكشف الطوالع والأسرار ولا بصاحب الخوارق ، والأعاجيب التى تشل العقول وتهول الضمائر وتخاطب الناس من حيث يخافون ويعجزون ولا تخاطبهم من حيث يعقلون ويتأملون ويقدرون على التمييز .

والإنسان فى الإسلام مخلوق عاقل ذو ضمير مسئول يحاسب على عمله ولا تلحق به جريرة قبل مولده ، وبعد انقضاء حياته .

ولا حاجة إلى الإطالة فى المقابلة بين الأديان ليعلم المطلع عليها من قريب أن هدف العقيدة فى الله وفى النبوة وفى الضمير الإنسانى هى غاية التقدم الذى ارتقى إليه الناس ، بعد الديانات الجغرافية . والديانات العنصرية ، والديانات التى تنحصر فى بيئة ضيقة ، أو واسعة ، ولكنها لا تحيط بجميع بنى الإنسان .

ولم يتهيأ بنو آدم وحواء لهذه المرتبة من مراتب الإيمان إلا بعد أطوار بعيدة يعجب لها العقل الإنسانى كلما نظر إليها اليوم . كما يعجب لكل ماض درج عليه الأولون وطال بهم عهده . وهو فى رأيهم الآن لم يكن ليحتمل البقاء بضع سنين لو حكموا عليه يومئذ كما يحكمون عليه الآن .

فقد خطر لبعض بنى آدم قديماً أنهم وحدهم أصحاب الحظوة عند الله . وأن أضعاف أضعافهم من بنى آدم الآخرين ملعونون محرومون !

وقد خطر لبعض بنى آدم قديماً أنهم ضائعون صالحين أو غير صالحين ، وأنهم كتب عليهم الموت لأنهم هالكون ولأنهم يولدون .

وقد كانت الأديان يومئذ لا تحتمل الدعوة ولا معنى للدعوة عند أصحابها لأن الدعوة إنما تكون للهداية الممكنة وللضمير الذى يقدر عليها ولا تكون مع «الاحتكار» والاستئثار ، فى حدود ترسمها الجبال والبحار ، أو ترسمها سجلات الأنساب والآثار .

وها هنا مفترق الطريق التى سلكها الاسلام بالعالم الانسانى . وكان من أجل هذا دين دعوة تهدى إلى ذلك الطريق .

* * *

ويتصل بأمر الدعوة كل مبحث يتناول عدد المسلمين فى العالم وتاريخ الدعوة إلى الاسلام فى الأزمنه الماضية وفى الزمن الحاضر ، كما يتصل بأمر الدعوة كل مبحث يتناول صلاح الاسلام للشيوع والاقناع وما ينتظر

من زيادة عدد المسلمين فى المستقبل بمختلف الوسائل التى تنتشر بها الأديان فى سائر الأزمان .

ولا يخفى على قارىء يطلع على هذه المباحث أن يلاحظ نفور أصحاب الاحصاءات من زيادة عدد المسلمين وإسراعهم إلى قبول التقديرات التى يزيد فى عدد أبناء الملل من غير المسلمين مع تحفظهم الشديد فى قبول التقديرات التى تكثر من عدد الداخلين فى الاسلام قديماً وحديثاً ، ولا يشذون عن هذه القاعدة إلا إذا تعمدوا التهويل والتنبيه إلى خطر انتشار الإسلام فى المستقبل وضرورة المبادرة إلى اتخاذ الحيطة لهذا الخطر بوسائل التبشير والضغط السياسى أو الاقتصادى حيث يستطاع الاعتماد على هذه الوسائل بغير التجاء إلى المجاهرة بالعدوان .

وقد قرأنا فى مطلع القرن العشرين أن عدة المسلمين فى العالم مائة مليون ، وقيل فى بعض الاحصاءات المتأخرة أن عدد المسلمين فى الصين لا يزيد على عشرة ملايين ، ويقول الكتاب الذى نحن بصدده أن عددهم اليوم نحو ثلثمائة مليون ، ولكنه لا ينزل بعدد البوذيين عن خمسمائة وعشرين مليونا مع صعوبة التفرقة فى الاحصاءات العامة بين الطوائف البرهمية وبين البوذية فى الصين والتبت واليابان وبين البوذية على تعدد فروعها فى الهند الشمالية والهند الجنوبية .

وممن لاحظ تلك الأخطاء المعتمدة فى إحصاء المسلمين الأمير شكيب أرسلان صاحب التعليقات على كتاب حاضر العالم الإسلامى فقال فى باب إحصاء المسلمين : « . أما مسلمو الصين فلا تزال الأقوال متضاربة فى عددهم . فمن الجغرافيين من يحزرهم بعشرين مليونا ومنهم من يحزرهم بأكثر من ذلك بكثير ، وفى هذه الأيام لما وقعت الفتنة بين الصين واليابان من أجل منشورية أبرقت الجمعية الإسلامية فى الصين إلى أوربا بتلغراف احتجاج قالوا فيه إنهم يتكلمون باسم خمسين مليونا من مسلمى الصين ، ثم ورد تلغراف من طوكيو يرد على مسلمى الصين زاعما أنهم خمسة عشر مليونا لا خمسون مليونا ، وفيه أن فى منشورية مليونين من المسلمين ينزعون إلى تحرير منشورية ، ومما لا شك فيه أن التلغراف اليابانى بخس مسلمى الصين عددهم بما رأى من شدتهم على اليابان » .

ثم قال : « ولقد حزرنا عدد المسلمين فى العالم فى مجلتنا الأمة العربية التى نصدرها أنا وسعادة أخى إحسان بك الجابرى فى جنيف . . . وذلك بنحو من ثلثمائة وثلاثين مليونا . هذا على تقديرات مسلمى الصين عشرون مليونا فقط . أما إذا ثبت أنهم خمسون مليونا فيكون المسلمون ٣٦٣ مليون نسمة . وتفصيلها هكذا : الجزيرة العربية ١٢ مليونا ، سورية ٣ ملايين ، وفلسطين

وشرق الأردن مليون، والعراق ثلاثة ملايين ونصف، وتركيا أربعة عشر مليونا، وإيران عشرة ملايين، وأفغانستان تسعة ملايين، والهند الانجليزية ثمانية وسبعون مليونا والصين عشرون مليونا وسيام نصف مليون والروسية الآسيوية خمسة وعشرون مليونا. فهذه ٢٧٦ مليونا فى آسيا، والروسية الأوربية قازان والقريم أربعة ملايين ولتوانيا وبولونيا عشرون ألف نسمة ويوغسلافيا مليون ومائتان وخمسون ألفا، والمجر ثلاثة آلاف، ورومانيا مائتان وخمسون ألفا وبلغاريا نصف مليون، وبلاد اليونان مائة ألف، وألبانيا تسعمائة ألف، فهذه سبعة ملايين وثلاثة وعشرون ألفا.

« ومصر مع سودانها ١٨ مليونا. وطرابلس سبعمائة ألف، وتونس مليونان، والجزائر خمسة ملايين، ومراكش ثمانية ملايين، والصحراء الكبرى ثلاثة ملايين، والحبشة ثلاثة ملايين، والغالا والصومال ستة ملايين، وشرق إفريقيا - زنجبار وسواحلها ودار السلام - ستة ملايين، والكونغو والأوغندة مليون، والإدامووا والكمرون مليونان، وغينيا وفوتاجلون مليون، والسنغال مليون، وسلطنة سوكوتو خمسة ملايين، وبرنو خمسة ملايين ووادای خمسة ملايين، وكانم مائة ألف فهذه ثلاثة وثمانون مليونا فى أفريقية، والمستعمرات الهولندية أربعة وستون مليونا، والفليبين مليونان - فهذه ستة وستون مليونا فى البحر المحيط الباسفيك. فيكون جملة المسلمين ثلاثمائة وثلاثة وعشرين ألفا وثلاثين مليونا أما إن صح أن المسلمين فى الصين فيكون الجميع ثمانمائة وثلاثة وستين مليونا. هذا بالتقريب».

ومن المحقق بعد مراجعة هذه التقديرات أن العدد الذى أثبته الأمير شكيب أرسلان فى تعليقاته ينقص عن العدد الصحيح بكثير، لأن المقارنة بين تقديراته عند كتابة تعليقاته وبين الواقع فى الوقت الحاضر ممكنة على وجه الرجحان إن لم نقل على وجه اليقين. فالمسلمون فى الباكستان والهند يزيدون على مائة مليون والمسلمون فى أندونيسية وسائر البلاد التى كانت تابعة لهولندة يقاربون هذا العدد، وفى وادى النيل ما يزيد على ثلاثين مليونا عدا غيرهم من المتوسطين بين الوادى وشواطىء البحر الأحمر، وأبناء البلاد العربية فى القارة الآسيوية يزيدون اليوم على ذلك التقدير بنحو عشرة ملايين، فلا مبالغة إذا قدرنا عدد المسلمين اليوم فى العالم بأربعمائة وخمسين مليوناً وأيقنا على الدوام بأن عددهم يزيد فى كل حقبة على كل تقدير أوربى يذيعه الساسة والباحثون فى شئون النعوات الدينية، وأن زيادة هذا العدد مستمرة يقابلها أولئك الساسة والباحثون بالحذر ويذكرونها منذرين لأقوامهم بما يستفزهم إلى الحيطة ومقاومة هذا الازدياد المستمر حيث تستطاع المقاومة فى الخفاء.

وفى العلانية إن لم يكن لهم بد منها .

ونرجع إلى أديان الدعوة لنقول إن الإحصاءات الحديثة تحصرها فى ثلاثة أديان كبرى : وهى البوذية وعدة أتباعها على قولهم خمسمائة وعشرون مليوناً ، والمسيحية وعدة أتباعها خمسمائة مليون ، والإسلام ويختلفون فى عدة أتباعه بين ثلثمائة مليون على التقدير الأقل وأربعمائة مليون أو يزيدون على التقدير الراجح الموافق لأحدث الإحصاءات .

أما البوذية فلا ننظر إليها بكثير ولا قليل من الحذر ، لأن دعوتها محصورة فيها لتحويل أتباعها من النحل البرهمية الأخرى بوسائل التعليم التى قلما يبلغ متناولها الألوف فضلا عن الملايين ، ولم يحدث فى تاريخها القريب أنها حولت إليها أناساً من أبناء الديانات الكبرى بل حدث أحياناً كثيرة أن أتباعها يتحولون عنها إلى الإسلام أو المسيحية أو الجانية التى تلغى تعدد الطبقات وتناسب التفكير العصرى فى أطوار السياسة والاجتماع وفى العلاقات الدولية بين الشعوب والأقوام .

أما نظرة الحذر فهى ديدن المشتغلين بالتبشير والاستعمار كلما نظروا إلى شيوع الدعوة الإسلامية وسهولة انتشارها بالإقناع والقدوة مع اطراد عدد المسلمين فى الزيادة بازدياد النسل من حقبة إلى حقبة ، كما يرى من الفارق بين عدد المسلمين فى أواخر القرن التاسع عشر وعددهم فى منتصف هذا القرن العشرين .

وإذا خصصنا المبشرين والمستعمرين بالذكر فى نظرتهم إلى أديان الدعوة وإلى الدين الإسلامى منها على التخصيص فلا ينبغى أن ننسى أولئك الباحثين فى حقائق الدعوات الدينية على التعميم ، فإنهم لو أخلصوا البحث للعلم والحقيقة لما فاتهم عند المقابلة بين أديان الدعوة والأديان المقفلة المحدودة أن يقرروا النتيجة العلمية التى يخلصون إليها من مباحثهم جلية واضحة لا تخفى على طالبها ، ولكنهم لا يطلبونها ولا يستريحون إليها ، لأنها تبشرهم أن انتقال الأديان من الملل العنصرية إلى ملل الدعوة ظاهرة تدل على الانتقال من العقائد الجغرافية المحلية إلى عقائد الضمير الإنسانى وعقائد التنزيه والتوحيد ، وأن الإسلام قد ارتفع بالضمير والتوحيد إلى أعلى مرتقاهما مما يهدى إليه فى العقيدة الإلهية وفى رسالة النبوية وفى الإيمان برشد الضمير الإنسانى الذى يسأل عن عمله ولا يحمل وازرة غير وزره . وليس فهم التطور فى أديان الدعوة على هذا الوجه مطلباً يسعى إليه من يريدون أن يعللوا شيوع الإسلام فلا يستريحون إلى علة غير ما يزعمونه فى موافقته للأمم المتخلفة ، ولولا أنها علة تريحهم وتلائمهم لكان أقرب منها إلى مشاهدات الحس - فضلا عن تفكير العقل - إن الإسلام حقيق بالانتشار والإقناع لأنه خاتمة التطور فى أديان الدعوة وفى أحوال العالم الانسانى بعد أن بلغ إلى مرحلة الوحدة الانسانية ومرتبة الهداية المطلقة المتحررة من حدود الأقاليم والأنساب ؟

عباس محمود العقاد

مختار من الشعر القديم والحديث

هجرة الرسول

للأستاذ أنور العطار *

يا سيد الخلق يا نور الوجود سرت … بأضلعى اليوم من نجواك أصداء

رقت حياتى بها بشراً وزغردة … فالقلب تسبيحة فى الثغر سجواء

من جود كفيك أنغامى وأخيلتى … ومن سخائك للعافين إغناء

أحببت فيك قريضى حين قربنى … إلى حماك فشعرى منك إدناء

وبحت بالحب فى سرى وفى علنى … ولذلى فى هواك السمع إفشاء

لولا هواك لما أبدعت قافية … والكون لولا الهوى بهماء جرداء

والقلب لو لم يعذب لم يصغ نغما … إن العذاب لمتلاف ومعطاء

وأنت أيقظت فىّ الحب فانتشرت … على محياى أفراح وآلاء

وأنت أغنيتنى حساً وعاطفة … كأنما أنا إلهام وإيحاء

وأنت فجرتنى حبا ومرحمة … فليس يعلق بى حقد وبغضاء

وأنت صفيتنى كالنبع منسكباً … والنبع مذ كان أنغام وصهباء

وأنت أزهدتنى فى الناس كلهم … فهجر أطماعهم للنفس إبراء

مالى وللناس لا أحيا بألفتهم … وإنما أنت لى بعث وإحياء

مذ هام قلبى بكم ما اختار غيركم … ولا صبا ، وقلوب الناس أهواء

أقضى ليالى فى نجواك منفطراً … كما تفطر يوم الوحى سيناء

كأنما خاطرى شدو وهينمة … وجنة من جنان الخلد غناء

شدت لها الوُرق ألحانا مسلسلة … فصفقت فى شعاب الدوح أحناء

ظلت تنغم فى صدرى وفى خلدى … قصيدة من دموع القلب عصماء

الكون ما الكون؟ شطر من روائعها والمصطفى روحها والناس أجزاء
رنت إليها الدرارى فى مباهجها وفاض منها على الأيام نعماء
وبش فى الفجر إصباح يمور سنا وهش فى عتبات الليل إمساء
تلكم رغادة دنيا قد كلفت بها أولت نداها وكم للسعد إبلاء
أملت علىّ بليغ القول محكمه إن البلاغة إيحاء وإملاء
كانت بصدرىَ أسراراً مغلقة ما إن يعاودها بوح وإفضاء
ما أفصح الشعر عنها حين أعلنها وكيف يفصح تلميح وإيماء

* * *

ياهجرة لك فاضت همة وعلى يشدها خافق بالعزم مضاء
تركت مكة والأحلام تغمرها وللطفولة أطياب وأشذاء
والقلب رهن الحمى ما انفك مدلها به وللأرض أشواق وأصباء
إن غبت عنها براها الشوق واحتدمت نيرانه واستفاق الجرح والداء
وعشت دهرك فى تذكارها وترا له الهوى نغم فى الصدر بكاء
كلا كما ذاب تهياما بصاحبه والأرض أم وأهل الأرض أبناء
والمرء ما زال حنانا إلى وطن وإنما وطن القلب الأحباء
إن عاش عاش بهم حتى إذا رحلوا فإنما هو أصداء وأنباء

* * *

وأنت فى الغار والصديق لفكما من جانب الله تثبيت وإرساء
مشت عناكب تحميه مناسجها وتدفع البغى ، والعدوان مشاء
وأرسلت سرحة أفنانها فنمت على مداخله فالنار أفياء
وأقبلت من بنات الدوح ساجعة كأنما الغار عش فيه ورقاء
لا الظن حام على الغار الحبيب ولا بدت من الشك للسارين سيماء
وكان يحميه من بغى العدا قر تدرع الطهر إن الطهر أبا
من كان يعلم أن الظبية انتحت بما ينوء به العبد الأشداء
فنى النهار غدت عيناً مراقبة ما حاكه فى غمار الكفر أعداء
وفى المساء استحالت رحمة وندى على النطاقين منها الزاد والماء

بالنفس والأهل والدنيا وما حفلت جناتها من مجالى السحر أسماء
ذات النطاقين أسماها الرسول بما أسدت يداها ، وللإحسان إسداء
باتت على الغار ترعاه وتحرسه كأنها مقلة بالسهد كحلاء
أغفت عيون الدرارى فى مطالعها وما لعين الهوى والحب إغفاء
حتى إذا غمر الليل الشعاب ولم يبن على الرمل فى الليل الأدلاء
نشطت للسير والصديق فى ملأ من الملائك ، والإيمان حداء
يرعاكما الله فى حل ومرتحل ويثرب القصد ، والأهل الأوداء
وحين أشرقت ماجت بالسرور كما تلألأت بفريد الموج دأماء
هبت تلقاك أنجاداً وأودية وكم تشوقك أنجاد وأوداء
مشى إليك بنوها والهوى عرم وكل نفس من الأشواق رمضاء
يستقبلونك أرواحا وأفئدة ويفتدونك والأجساد أنضاء
ذاب الحنين على أفواههم نغما وفى يمينك للشادين إرواء
على الشفاه أناشيد مزغردة وفى العيون من الأفراح لألاء
أذكى الهوى أنفساً للحب قد خلقت وللصبابة فى العشاق إذكاء
أبكاهم الوجد فى اللقيا وأضحكهم إن التوجد تضحاك وتبكاء
أصغت إليهم عيون الليل رانية وكم يطيب إلى الأحباب إصغاء
وشت تسابيحهم للحب أنملة والحب مذ كان وشاح ووشاء
طوبى ليثرب ضمت خير من سطعت على محياه أنوار وأضواء
طوبى لها أن حمت جارا وأن طلعت رسالة الله منها وهى غراء
طافت على الأرض نور الألى فقدوا أنوار أنفسهم ، والكفر ظلماء
كأن كل سبيل من ضلالتهم صحراء كالحة الأعطاف غبراء
ضجت جفاء وعجت وحشة وبلى كأنها القبر فاضت منه أشلاء
نامت عليها الدياجى وهى جاهمة ومقلة الفجر فيها الدهر عمياء

* * *

لله شرعك شرعا واضحاً جددا ما فى تضاعيفه ريب وإخفاء
أنق من الزهر فى فينان نضرته وقد جلته يد للحسن بيضاء

ما زال غضا على الأيام مؤتلقا كالخلد ليس له ند وأكفاء
كم طهر القلب من بغى ومن دنس وكم صفت بصفاء القلب حوباء
والدين يمن وإحسان وميسرة وفرحة تسع الدنيا وأنداء
من ضاق بالعيش ذرعا أو جفته منى فالدين تعزية كبرى وتأساء
من صد عن بابه لم يرتشف أملا وعاودته من الكفران غماء
ولا اطمأنت له نفس ولا هدأت وكيف تهدأ فى الطغيان أنواء
يطوى الحياة جحيما لا نعيم بها كأنما هى أوجاع وأدواء

* * *

يا هجرة فجرت حبا ومرحمة فالقوم فيها الأحباء الأخلاء
تقاسموا نعمات العيش واتلفوا كما تآلف فى الأجساد أعضاء
كل يرى لأخيه الخير أجمعه والخير موطنه الرهط الأعزاء
جرى الإخاء عليهم بهجة وسنا فاستعذبوه ، ودنيا الود فيحاء
كأن ألفتهم للآثمين شجا وطعنة فى صميم الكفر نجلاء
و (طيبة) الخير بيت ضم شملهم جلاله الدهر أبناء وآباء
لو أن قومى وعوا أسرار هجرته لما تناءى بهم بغض وشحناء
إن الحياة إذا يسرتها يسرت كأن إمرارها فى الطعم إحلاء
وإن أردت بها شؤما ومعسرة فإنما هى أثقال وأعباء
خلت من البهجة الكبرى جوانبها كأن إضحاكها فى العين إبكاء
كل له ما يرى فليتعظ فطن فعسرها اليسر والبأساء سراء
والحب أثمن ما أمتار الفؤاد بها وفيه للنفس إحياء وإعلاء
فقل ليعرب إما رمت مكرمة فوثق الحب إن الحب بناء

أنور العطار

آراء وأحاديث

لا يزال مكتب الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر مقصدا للطلاب العلم وروّاد الثقافة من جميع الأقطار الإسلامية يستمدون عنه التوجيه فى كل أمر . والرأى فى كل حكم ، فيصدرون عنه بما يدفع الحيرة ويبين الطريق . من هذه المقابلات :

الأزهر والملايو :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه السيد محمد الغازال سفير الملايو فى القاهرة . وقد دار بينهما الحديث حول النواحى الثقافية التى تهم البلدين .

(قال السيد السفير عند ما رحب به فضيلة الأستاذ الأكبر ، أنا سعيد كل السعادة لأنكم أتحتم لى هذه الزيارة على الرغم من أعمالكم ومهامكم . فقال فضيلة الأستاذ الأكبر ، وأنا أسعد بهذه الزيارة . فرد السيد السفير ، لقد جئت لأشكر باسمى وباسم حكومتى عنايتكم بطلاب الملايو فى الأزهر ، وعلى إرسال مبعوثيكم إلى الملايو واهتمامكم بنا جميعا ، وأنا باعتبارى أمثل سلطان الملايو فإن رسالتى هى تقوية العلاقة بين حكومتى وبين الجمهورية العربية المتحدة .

فقال الأستاذ الأكبر ، ان الاعتصام بحبل الله هو السبب الموصل إلى ذلك ، ونحن إذ نعمل على توثيق هذه العلاقة فإنما نبنى دعوة الحق فى قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » فهو يخاطب المؤمنين أجمعين . المجاهدين والسياسيين والعاملين والمتعلمين وغيرهم .

ولما سأل السيد الزائر : هل هناك وسيلة التقريب الصلة العلمية عن طريق الإشراف والاتصال المنهجى حتى تنهض بطلابنا فى الملايو ؟ .

أجاب الأستاذ الأكبر : ان الأزهر يرحب بمثل هذه الفكرة لأنه يهمه أن تكون عناصر الطلاب عندكم على جانب عظيم قوى ، وذلك عن طريق الإشراف والتصحيح الفعلى

كما يهمنا تثقيف أبناء المسلمين ـ وخاصة الملايويين ـ وتتخذ لذلك العدة من كل جانب ونعمل على التقريب العلمى والفكرى لتحقيق أهدافنا السامية . وأعتقد أن ذلك وسيلة لجمع شمل المسلمين ودعم قوتهم .

ثم أضاف فضيلته : وإنى ليسعدنى أن أرى سفيرا سياسيا يسعى لتثقيف أبناء بلاده دينيا .

فقال السيد السفير : ان هذا جزء من مهمتى كسفير مسلم .

ثم انصرف السيد السفير شاكرا لفضيلته حسن استقباله ، وروحه الطيبة .

كذلك استقبل فضيلته الدكتور برهان الدين الحليمى رئيس الحزب الإسلامى فى الملايو ، وقد دار الحديث حول النواحى الثقافية .

فشكر السيد الزائر فضيلة الأستاذ الأكبر على عناية الأزهر بأبناء الملايو الذين يدرسون فى الأزهر ثم قال : اننا نرجو أن يكونوا رسلا نافعين لوطنهم بعد تخرجهم فى الأزهر حيث يكونون قد اكتسبوا ثقافة وخبرة وقدرة على علاج المشاكل الدينية .

وقد لاحظ فضيلته أن ضيفه يجيد اللغة العربية فعلق على ذلك قائلا : لقد سرنى منكم معرفتكم اللغة العربية كما يسرنى أن تعلموها أولادكم ، والأزهر يعاهدكم على أن يأخذ بيد أبنائكم الذين يتعلمون فيه إلى الطريق الصحيح طريق الإسلام القويم .

ثم زار السيد الزائر المكتبة الأزهرية وقاعة المحاضرات ثم زار مدينة البعوث الإسلامية حيث لمس بنفسه مدى العناية التى يلاقيها أبناء البعوث الإسلامية وبخاصة الملايويين ، وقد سره أن وجد البشر يرتسم على وجوه مواطنيه وهو يزور المدينة ، كما أسعده أن حلوه شكرهم للسادة المشرفين على المدينة والذين يحيطونهم لعنايتهم ورعايتهم .

المسلمون فى تاريخهم العظيم :

ثم استقبل فضيلته السيد سلطان أحمد رئيس تحرير جريدة ذى ليدر الباكستانية . وبعد أن رحب به فضيلته سأله عن رحلته إلى الجمهورية العربية المتحدة ، فأجاب السيد الزائر بأنه زار عدة مدن منها المحلة الكبرى ، وبور سعيد ، ثم زار الأزهر ومدينة البعوث الإسلامية .

ولقد سأل الصحفى الزائر فضيلة الأستاذ الأكبر عن السبب الذى يترك من أجله المسلمون تاريخهم العظيم .

فأجاب فضيلته :

لقد غرهم بريق المدنية الغربية التى أتى بها الاستعمار فتمكن الشباب من ممارسة حريتهم الشخصية ، ولم يقفوا عندحد فى هذه الممارسة . أما حرية الإسلام فهى حرية خلقية بناءة على عكس الحرية الغربية . فالإسلام أساسه الأخلاق ، إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق،

وأهم أسس الأخلاق المحافظة على العرض ، والمحافظة على الفضيلة . فالاسلام يحرم ما يفسد العقل من خمر ومخدرات ، وما يفسد الخلق من قمار وميسر ، أما المدنية الغربية فقد خطفت بعض شبابنا وأصبح هؤلاء الشباب ينقادون لمبادئ زائفة ذات بريق خلاب ، ولكنها لا تقود إلى نهضة ولا إلى رخاء .

ورجال الصحافة مسئولون مسئولية تضامنية عن الانحلال الخلقي ، لأنهم الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر ، وهم الموجهون والمعلمون .

ديمقراطية الإسلام :

ولما سأل السيد الزائر فضيلته قائلا : إنه على الرغم من أن الإسلام يدعو إلى الديمقراطية ، فإننا نرى أن كثيراً من الدول الإسلامية قد فشلت في تحقيقها .

فأجاب فضيلته : أن العلة أيضا في ذلك هي الاستعمار ، فهو داء عضال لا يستعمر الأوطان فحسب ، وإنما يستعمر العقول والقلوب ، وعلى رجال الصحافة أيضا أن يكافحوا هذا الوباء ، وعلى الرغم من أن الاستعمار قد زال من معظم الدول الإسلامية فإنها ما زالت تجهل مبادئ الاسلام التي تقوم على أساس من الشورى « وشاورهم في الأمر » ، « وأمرهم شورى بينهم » ، فإذا استبد الحاكم وجب على الشعب أن يطرده ، إذ لا بد أن يعالج الشعب المسلم شئونه بنفسه ، ويوجه بعضهم بعضا « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

قال السيد الزائر : ما هي الأسباب التي دعت إلى إنقسام بعض الدول الإسلامية وما رأيكم في علاج حاسم لهذه المشكلة ؟

فأجاب فضيلته :

إن الاستعمار سبب الفرقة بين المسلمين وعدم تضافر القوى بين الحكام ليعيش بين صفوفهم ، والعلاج لذلك الوحدة والتشاور وقيام العلماء بواجبهم نحو التعاون الفكري والثقافي والخلقي بين جميع الدول الإسلامية والعربية .

الكتاب والإسلام :

ثم سأل الصحفي قائلا : لماذا ينصرف المفكرون العرب عن الكتابة في الإسلام ؟

فأجاب فضيلته : إنهم متأثرون بزخرف الحضارة الغربية وبريقها . وأني أحملكم تحياتي إلى المسلمين جميعا في الباكستان ، تحيات الأخ إلى إخوته وبخاصة ، علماء الباكستان الذين تدعوهم إلى التعاون مع علماء المسلمين في الجمهورية العربية المتحدة لنشر مبادئ الاسلام وغرسه في نفوس المسلمين ، والصحفيون والعلماء سواء في المسئولية للدعوة إلى المبادئ الاسلامية التي أؤكد أنه لن يسعد

العالم ويسود السلام إلا إذا رسخت مبادئ الاسلام فى نفوسهم .

الأزهر فى حاضره ومستقبله :

تحدث فضيلة الأستاذ الأكبر إلى مندوب جريدة « الأزهر » هذا الحديث المستفيض الذى بين فيه ما يؤديه الأزهر إلى العالم العربى والإسلامى من خدمة للثقافة ، ونشر للعقيدة وتوحيد للرأى ، وتوثيق للكلمة ، ورعاية لأبناء المسلمين الوافدين إليه من أقطار الأرض وهذا نص الحديث .

رسالة الأزهر خالدة :

الأزهر هو الجامعة الإسلامية الكبرى التى سلخت أكثر من ألف عام . وهى التى تحمى التراث الاسلامى عقيدة وشريعة ولغة وتاريخاً وأدباً .

والأزهر من حقه على الأمة أن يظل باقيا قويا لأنه يحمل أعباء رسالة خالدة هى رسالة الإسلام .

والأزهر كليات ثلاث : كلية الشريعة ، وكلية اللغة العربية ، وكلية أصول الدين ، تمدها روافده وهى المعاهد الدينية وعددها يقارب الثلاثين ، غير المعاهد الحرة التى يعمل الأزهر على ضمها . وطلاب هذه المعاهد ممن حفظوا القرآن الكريم وتمكنوا فى القراءة والحساب بمدارس جمعيات المحافظة على القرآن الكريم .

وقد اتجهت المشيخة إلى تعديل المناهج تعديلا يلائم روح العصر مع المحافظة على التراث الاسلامى والعربى .

فى كلية الشريعة

فى هذه الكلية تدرس الشريعة الإسلامية أصولا وفروعا دراسة عميقة مستمدة من الكتاب والسنة . وفيها يدرس الفقه المقارن بين سائر المذاهب الاسلامية بما فيها مذهب الشيعة الامامية والزيدية ، وفى ذلك كسب للفقه الاسلامى ورباط بين العالمين الاسلامى والعربى ومحو للطائفية التى أوجدها الاستعمار .

وقد أدخلت الدراسات القانونية التى تدرس فى كلية الحقوق فى منهج كلية الشريعة وقسم إجازة القضاء بصورة واسعة ليكون الطالب ملما بما يدور حوله من التفكير الفقهى ، وتقرر تنقيح المناهج فى المواد الشرعية .

كما تقرر وضع نظام جديد للدراسات العليا ونفذت هذه المناهج فى العام الدراسى ٥٩/٦٠ وتعمل الكلية على نشر التراث الاسلامى وبحث المسائل التى استحدثت فى المعاملات لبيان حكم الشريعة فيها .

فى كلية أصول الدين

وضع مشروع جديد لمناهج كلية أصول الدين يقوم على استبقاء المفيد وإضافة ما يحتاج إليه لرفع مستوى الواعظ مما يعينه على أداء رسالته

كدراسة التيارات المذهبية واللغات الغربية والشرقية ، إلى جانب دراسة الحديث والتفسير دراسة موضوعية تقوم على الربط بين أطراف الموضوع تمكننا له من القيام برسالة الأزهر التى هى رسالة الاسلام وسينفذ ذلك فى العام الدراسى ٦٠ / ١٩٦١

فى كلية اللغة العربية

تسير مناهج هذه الكلية وكتبها وأقسامها فى الخطة التى تؤدى إلى الغاية المقصودة منها وتزويدها بمادة النقد الحديث وبما يحقق الارتباط الفكرى بين أنحاء العالم الإسلامى والعربى . فضلا عن أن هذه الكليات الثلاث أدخلت فيها منذ سنتين اللغة الانجليزية وسيتم إدخال غيرها إجباريا فى المستقبل . كما تقرر أن تدرس «مادة المجتمع العربى» فى سنة ٦٠/٦١ . وفى الكليات تدرس التربية العسكرية التى انفردت بها كليات الأزهر ، وللطلاب اتحاد عام له نشاط اتحاد الجامعات ، وستعمل المشيخة على دعم هيئات التدريس فى الكليات بإعداد (كادر جامعى خاص) أسوة بسائر الجامعات .

فى المعاهد الدينية

المعاهد الدينية روافد الكليات وهى تساعد الطالب على فهم الدين واللغة فهما يمكنه من الالتحاق بإحدى الكليات أو الكفاح والجهاد فى نواحى الحياة . وقد حرصت المشيخة على تعديل مناهج المعاهد الدينية تعديلا يربطها بالحياة العامة مع المحافظة على علوم الشريعة واللغة ، تحقيقا لرسالة الأزهر ، كما حرصت على ضم بعض المعاهد وإنشاء فرق بالقسم الثانوى فى بعضها ، وبخاصة فى معهد غزة تيسيراً لأبنائها وتلبية لرغبة أهلها ، وسيبنى معهد الاسكندرية فى حوالى ١٢ فدانا .

منشآت جديدة :

وقد أنشئت ثلاث مراقبات للعلوم العربية والشرعية واللغات الأجنبية كما أنشىء فى كل معهد اتحاد للطلاب ، واشترك الطلاب فى الخدمات العامة . وشجعت حركة التأليف ، ونفذ مشروع الدراسات الشعبية فى المساجد والأندية ، وقد أفاد الناس منها كثيراً ، لأنها تمد كلا بما يحتاج إليه فى دينه وفى حياته .

وعناية بالقرآن الكريم ومحافظة عليه أنشىء مكتب للإشراف على جمعيات المحافظة ورقابتها حتى تؤدى رسالتها وتنشر الوعى الدينى تحقيقاً لرغبة السيد جمال عبد الناصر . وقدمت معونات لطلاب مدارس هذه الجمعيات من الغذاء والكتب والأدوات بالاشتراك مع وزارة التربية والتعليم .

وقد عنيت المشيخة بمعهد البعوث لأن طلابه يجب أن يكونوا قدوة صالحة وسفراء صادقين للجمهورية العربية فى بلادهم ، لذلك شكلت لجان مختلفة لتعديل مناهجه بما يحقق رسالته .

وستنشأ مراقبة لرعاية الشباب اجتماعيا وثقافيا ورياضيا كما ستنشأ مراقبة لجمعيات المحافظة على القرآن الكريم

وسيزود الطلاب فى المعاهد بما يمكنهم من دراسة الشريعة واللغة العربية وستدرس اللغات الأجنبية من السنة الأولى الابتدائية وستعزز الاعتماد الخاصة بجمعيات المحافظة والتربية العسكرية .

ادارة البحوث والثقافة الاسلامية :

تعمل هذه الادارة على صيانة التراث الإسلامى ومقدسات الأمة العربية وتنشر الوعى الناضج بين الشعوب الإسلامية وتعنى برفع المستوى الثقافى والفنى وتوثيق الروابط بين المسلمين وتستقبل الوافدين من الطلاب وتهتم بشأن المبعوثين ، ولها وسائلها التى تحقق هذه الأهداف وهى .

١ ــ معهد الإعداد والتوجيه : الذى أنشئ ١٩٥٩ لإعداد المبعوثين إعدادا سليما ، وفيه تدرس الانجليزية والفرنسية والألمانية والأردية ، والأندونيسية ودراسة المعهد عليا للمدرسين والوعاظ والمستجدين والطلاب بالسنوات الأخيرة فى الكليات .

٢ ــ قاعة المحاضرات : التى لم تؤد رسالتها إلا من سنة ١٩٥٩ حيث ألقيت فيها محاضرات دينية واجتماعية واقتصادية وغيرها وهدفها محاربة المبادئ المنحرفة والسمو بالوعى الدينى والاخلاقى كما عقدت فيها المؤتمرات القومية والوطنية ومؤتمر الشباب الآسيوى الأفريقى سنة ١٩٥٩ وكانت مركزاً لالتقاء الأزهر بقادة الشعوب الإسلامية .

٣ ــ مدينة البعوث : المكونة من ٤١ عمارة مزودة بأحدث وسائل الراحة لاستقبال ٤٠٠٠ طالب وبها الآن ٧٦٨ طالباً يمثلون أكثر من خمسين جنسية ، والسكن فيها بالمجان بل يمنح الطالب ٥٠٠ قرشاً أو ٢٠٠ قرش وهو يكلف الأزهر ١٥ ج شهريا وسينشأ فيها ملاعب رياضية وحدائق ومستشفى ومسجد كبير ومكتبة ومعهد ، وسيخصص منها قسم لبعض طلاب الإقليم الجنوبى .

٤ ــ قسم البحوث والترجمة : يقوم به أزهريون للبحث والترجمة باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية ، ويقبل المسلمون على هذه الترجمات التى تنشر فى مجلة الأزهر . وترسل

عن طريق السفارات بحوث تلقى فى المؤتمرات العلمية الدولية ، و يشرف على طبع المصحف الشريف ويراجع الكتب المطبوعة فى الداخل والخارج ليقرر صلاحيتها للنشر والقراءة أو عدم صلاحيتها ، وقد بحث على حداثة عهده أكثر من ٨٠ كتابا بمختلف اللغات . ويتتبع اتجاهات الصحافة والسينما والمسرح والاذاعة لينبه إلى نواحى الضعف فيها ، ويستقبل الضيوف من جميع العالم الإسلامى .

٥ — المطبعة والمجلة : تقوم المطبعة بنصيب كبير فى نشر التراث الإسلامى عن طريق الكتاب والمجلة والنشرات بالعربية أو الإنجليزية . فأما المجلة فقد اتسع نطاق توزيعها وتنوعت بحوثها وأصبحت صلة قوية بين العالم الإسلامى والجمهورية العربية ، وتحرص وزارة الخارجية والسفارات العربية على أن تحصل عليها ، ولها ملحق انجليزى يتخطفه القراء ، ويعاد طبعه ونشره لتناوله بحوثاً فى الدين والتشريع والأخلاق .

٦ — البعثات : وافدة أو موفدة

فالوافدة من البلاد الإسلامية يستقبل أعضاءها ويعنى بإسكانهم وإشعارهم بمعنى الأخوة الإسلامية .

والطلاب الممتازين أو القادمين لمدد قصيرة عناية خاصة وتكتب عنهم تقارير شهرية للوقوف على حالتهم . ويبلغ عدد طلاب البعوث ٢٨٢٩ طالباً من ٥٤ جنسية يجمعهم الإسلام فى الأزهر وينهلون من ثقافته .

وأما البعثات الموفدة إلى البلاد الإسلامية فيختار أعضاؤها من الممتازين علماً وخلقاً ليقوموا بواجبهم خير قيام وفى كل عام يزيد عددهم . فالأزهر له بعثات فى أمريكا وكندا وسيلان والملايو عدا بعثات آسيا وأفريقيا والهند وأن إدارة البحوث تحرص على أن يشارك الأزهر فى بناء الحضارة الإنسانية مع المحافظة على القيم الأصيلة فى الثقافة الإسلامية العربية

قسم الوعظ والإرشاد

يقوم بهذه الرسالة طائفة من العلماء لتوضيح الدين وتقوية الوعى القومى والخلقى والاجتماعى وتثقيف المواطنين ثقافة حرة لا تخضع لمناهج معينة . وعدد الوعاظ ٤٠٠ واعظ موزعين فى داخل الجمهورية وخارجها . فى ليبيا والسودان والصومال والسعودية ولبنان . ولهم أثر بارز فى توثيق الصلات بين جمهوريتنا والبلاد الاسلامية ، وكذلك لهم يد طولى فى النواحى العامة كتثقيف المرأة وعقد المصالحات التى بلغ عددها ٢٠٠ ألف مصالحة ، وإنشاء مساجد مجموعها ٥٠٠ مسجد و ١٠ معاهد و ٣٠ جمعية للمحافظة على القرآن الكريم ، وهم يحاربون البدع والخرافات والمبادىء الزائفة والاجرام بصوره المختلفة ويحضون

على البر والعمل الصالح ، ومنهم مجموعة فى القوات المسلحة لنشر الوعى الدينى ، وزاد نشاط القسم فى عهده الجديد ، وساير ركب النهضة ، فأنشأ مكتباً فنياً للإشراف على مجلة نور الإسلام ودراسة المشكلات وعلاجها وإخراج دراسات إسلامية وللقسم اتصال بالوزارات المختلفة لتنسيق التعاون بينها وبينه .

ويتخذ القسم الوسائل الحديثة لمساعدة على بث الدعوة كمكبرات الصوت وآلات التسجيل . وستعمل المشيخة على أن يكون فى كل مخفر شرطة وفى كل مركز أو منطقة مكتب ثقافى ، وفى كل مراقبة سيارة مجهزة بأدوات الإذاعة والتسجيل .

* * *

هذا هو الأزهر وهذه هى أقسامه وكلياته ومعاهده التى تتعاون على مكافحة الأمية وجهل العقيدة ، وضعف الآداب وانحلال الأخلاق . وتعمل جميعها للقضاء على كل ذلك بين المسلمين من مشارق الأرض إلى مغاربها . هذا هو الأزهر الذى يربط الشعوب الاسلاميه بالجمهورية العربية المتحدة حتى أصبحت مناراً للعلم ومركزاً للثقافة الدينية والعربية السليمة .

نسأل الله تعالى رعاية لرائد النهضة العربية وتأييداً للأمة الاسلامية وتوفيقاً إلى أقوم طريق .

من الحكم العالمية

- عالم ذو همة يحيي أمــة . . !! .
- القـادر يعمل والعاجز ينظر .
- خير للإنسان أن يحلى من العمل من أن يصدأ بدونه . . . !
- إذا كان رأسك من شمع فلا تمش فى الشمس .
- الذى يملك القمح يسهل عليه أن يقترض الدقيق .

الكتب

نقد وتعريف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

١ – تفسير القرآن الكريم : للأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

٢ – الإسلام فى أمريكا : للدكتور محمد يوسف الشوارى

– ١ –

تزخر المكتبة الإسلامية بمئات من التفسيرات للقرآن الكريم ، هى بمثابة تراث ضخم للفكر الإسلامى فى شتى المعارف الإسلامية ، وعناية العلماء المسلمين القدامى والمحدثين بتفسير القرآن ضرورة من الضرورات الملحة ، إذ القرآن هو الأصل الأول للإسلام من ناحية ، ودسامة معانيه من ناحية أخرى تحتاج على مر العصور إلى عقليات ناضجة تناقشها وتخرجها فى إيجاز أو إطناب واضحين .

والذين تصدوا لتفسير القرآن من المفكرين المسلمين القدامى ، أثبتوا وجودهم بتفسيراتهم حيث إنهم قطعوا من الوقت شوطا بعيداً فى التفسير ، واضطروا إلى أن يكونوا فقهاء فى كثير من العلوم ، حتى يؤدوا مهمتهم على أكمل وجه ، ويقوموا برسالاتهم خير قيام .

إلا أن جل هؤلاء المفكرين من المفسرين للقرآن ـ وإن كانوا خلفوا لنا تراثا فكريا خصبا ـ زحموا تفسيراتهم بكثير من الحشو الذى تاهت خلاله معانى القرآن العذبة ، التى يجب أن يكون استخلاصها وتجليتها الهدف الأساسى من التفسير ، وأبرزوا تعصبهم المذهبى ، فتركوا الحاذق اللبيب يقرأ بدقة وحذر .

والحق الذى لا مراء فيه أن تفسيرات القرآن القديمة على كثرتها وضخامتها لم تكن لتغنى أى مفكر فى هذه الآونة عن تفسير ـ كتفسير المنار للمرحوم الشيخ رشيد رضا ،

الذى استوعب أفكار المرحوم الإمام الشيخ محمد عبده أحد المفكرين الإسلاميين القلائل الذين لم تجد بمثلهم الأيام .. إلا أن هذا التفسير الجديد لم تشأ له الظروف العديدة أن يتم ، فترك فراغا واسعا فى عالم التفسير .

وجاء الزمان بعقليات ناضجة تصلح أن تكون امتدادا لعقلية الإمام المفكر ،ومنها عقلية المرحوم الإمام المراغى ، وعقلية الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت شيخ الأزهر مد الله فى حياته . أما المرحوم الإمام المراغى فلم تشأ له الظروف أيضا أن يفسر القرآن أو على الأقل يواصل ما وقف عنده الشيخ رشيد رضا ، فظل الفراغ مطلا علينا بشبحه، وأما الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت ، فقد بدأ فعلا فى أن يقوم برسالته نحو كتاب الله واستطاع أن يقدم للمكتبة الثلث الأول من القرآن ، والأمل فى الله وحده أن يمده بالصحة والعافية حتى يكمل ما بدأ .

وقد يرى من يرى أن الأستاذ الأكبر لم يقصد أن يقدم تفسيراً للقرآن يزخر بالمعارك الجدلية فلدينا منها الكثير ، وهذا هو الحق وإنما قصد أن يستعرض كتاب الله، ليقدم لنا المعانى ملخصة مركزة تلتهمها الأفهام دون أن تبذل جهدا أو مشقة ، وتستعذبها الأذواق دون امتعاض أو تردد .

والأستاذ الأكبر خط منهجه فى التفسير فى مقدمته :

فهو يقرر أن عناية العلماء الأولين بالتفسير كانت إحدى الضرورات ، وأن اشتغالهم بالعلوم المختلفة كان هدفه خدمة القرآن ، سواء فى اللغة ، أو الفقه ، أو علم الكلام ، أو البلاغة ، أو الأصول ، أو الفلك ، أو ما إلى ذلك ، كما يقرر أن اختلاف التفسير مردود إلى اختلاف ثقافة المفسر ولذا جاءت التفسيرات ذات ألوان شتى . . . وأن التفسير السليم يجب أن ينزه عن ناحيتين برزت إحداهما فى صورة واضحة فى التفسيرات القديمة ، وهى التعصب المذهبى ، وتأويل القرآن وفق هذا المذهب أو ذاك ، وبرزت الأخرى فى بعض التفسيرات المحدثة ، وهى محاولة تفسير القرآن على مقتضى النظريات العلمية الحديثة ، حتى تكلفوا فى التأويل وحملوا القرآن ومعانيه فوق طاقته .

فالمعتزلة الذين يمثلون الرأى فى تفسيراتهم وأهل السنة الذين يمثلون النقل ، والمتصوفة الذين يمثلون النظريات الفلسفية هذه المذهبية ـ لا شك ـ أنها أرهقت الأذهان والعقول قديما ، ولا ترهقهما حديثاً ، وستظل إلى أن يشاء الله هكذا ، كما أنها أحدثت تذبذبا فى الأفكار ، وأشعلت فتنا منذ أمد بعيد ، حينما كانت السياسة تقتضى التدخل لحماية مذهب ، واضطهاد آخر .

وحسبك أن تعلم أن التعصب للمذهب أخرج بعض العلماء القدامى عن وقارهم، إلى درجة تسفيه الرأى المعارض بقسوة.

أما هؤلاء المحدثون المتكلفون الذين يخضعون القرآن للنظريات العلمية متأولين تأويلا فاسداً، فالأستاذ الأكبر يرى أن الله لم ينزل القرآن ليكون كتابا يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف، وهذا اتجاه خاطىء، لأنه يحمل أصحابه على تأويل القرآن تأويلا متكلفاً يتنافى مع الإعجاز ولا يسيغه الذوق السليم، ولأنه يعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم فى كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأى الأخير. فقد يصح اليوم فى نظر العلم ما يصبح غدا من الخرافات.»

* * *

والأستاذ الأكبر فى عرضه للقرآن فى هذا الجزء يهتم:

أولا: باستخلاص المعانى الإجمالية للسورة كلها وأهدافها الأساسية، ويتجنب تفتيت الآيات إلى كلمات بل إلى أجزاء الكلمة كما كان مستساغا فى التفسيرات القديمة، حتى لا تضل المعانى طريقها إلى الأفهام.

ثانياً: إبراز القيم الأخلاقية العليا والمثل الإنسانية الرفيعة، لتكون هديا للناس يضىء لهم الطريق إلى الحياة الصحيحة.

ثالثاً: التنسيق الجميل فى صورته لمعانى القرآن، والذى حرمت منه التفسيرات القديمة، فهو يجعل من السورة موضوعا ذا عناصر مركزة. يسهل للقارىء الالمام العام بالسورة واتجاهها ومقاصدها.

رابعاً: الحقوق والواجبات لها مكان بارز فى عرض الأستاذ الأكبر للقرآن، حتى يخيل إلى القارىء أنه أمام دراسة اجتماعية مرة؛ وسياسية مرة ثانية، واقتصادية مرة ثالثة دون أن يكون للحشو والتعقيد أى أثر يذكر.

خامسا: لشخصية الأستاذ الأكبر فى تناوله للقرآن وجود ملموس، فهو ليس معقبا فحسب، وإنما له رأيه الحر فى آراء غيره، ولو كانت آراء أستاذه، الإمام محمد عبده أو الأئمة السابقين.

سادسا: تحديد المفاهيم، فالأستاذ الأكبر يوضح منهج السورة، ومنهجه فى دراستها، ثم الموازنة بين منهج هذه السورة ومنهج غيرها، وهو حريص كل الحرص على أن يحدد المفاهيم، وألا يتركها فوضى يأخذ بعضها بخناق بعض.

سابعا: لم يفت الأستاذ الأكبر؛ أن

يبرئ القرآن عن الجدل الممل، وينأى به عن الإسفاف فى مناقشة عبارة اقتضت حكمة القرآن أن تأتى موجزة لتهدف إلى معنى واحد مستقل.

فإذا ذكر أن إخوة يوسف باعوه بثمن بخس دراهم معدودة. فأى إسفاف هذا الذى يحمل المفسر أن يأتى لنا بآراء متشعبة فى تحديد عدد هذه الدراهم؟ وهكذا.

وبعد: فهذا عرض سريع لتفسير الأستاذ الأكبر ونحن حين نقول: إننا كنا محتاجين إلى مثل هذا التفسير، لا نقصد الزلف؛ فإن رواج هذا التفسير وطبعه مرتين فى خلال أسابيع معدودة دليل على أن حاجة المثقفين شديدة إليه، وحاجتهم أشد إلى أن يهب الله للأستاذ الأكبر الصحة حتى يكمل ما بدأ.

— ٢ —

الإسلام فى أمريكا: كتاب جديد للدكتور الشواربى كتب مقدمته الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وكذلك فضيلة الشيخ عبد اللطيف دراز رئيس جمعية التعريف الدولى بالإسلام والدكتور الشواربى أستاذ بجامعة القاهرة وسكرتير جمعية التعريف الدولى بالإسلام، وكتابه هذا أول بواكير إنتاجها فى الميدان الإسلامى.

لقد قضى الدكتور عامين أستاذا زائرا بجامعتين من جامعات أمريكا، وانتهز الفرصة فقام بواجب إنسانى نحو إخوانه المسلمين هناك، ونحو الأخوة الإنسانية عامة. فقدم لنا فى هذا الكتاب عرضا مبسطا عن الإسلام فى أمريكا، هو فى الحقيقة مرجع واف فى هذا الصدد.

قدم لنا نبذة تاريخية عن هجرة المسلمين إلى الدنيا الجديدة، وأن التاريخ سجل هجرة بعض العرب المسلمين إلى الدنيا الجديدة قبل رحلة «كولومبس» مكتشف هذه الدنيا الجديدة.

وذكر أن توافد المسلمين من شتى البلاد إلى أمريكا جعل أمريكا تتبادل الثقافة بينها وبين العالم الإسلامى، كما ذكر أن فى أمريكا اليوم هيئات إسلامية منها: المركز الثقافى الإسلامى بواشنطون وهو الهيئة الرسمية الوحيدة هناك، ويرعاه مجلس يضم جميع سفراء الدول الإسلامية، يختص بجميع شئون المسلمين، وقد أصبح إحدى المؤسسات العامة التى يقصدها الزائر الأمريكى العادى القادم من الولايات الأمريكية المختلفة لزيارة عاصمة بلاده.

ثم المركز الثقافى الإسلامى بنيويورك، يضم معهداً إسلاميا لنشر الثقافة الإسلامية والعلوم الإسلامية، وناديا إسلاميا ومسجدا كبيرا.

ثم المركز الثقافى الإسلامى فى « ديترويت » وهى مدينة تقع فى قلب الولايات المتحدة بولاية « ميتشجن » ، وكذلك المركز الثقافى الاسلامى بسان فرانسيسكو ، ثم بمدينة شيكاغو ، ثم المجلس الاسلامى الأعلى بنيويورك ، وبعض المساجد بكثير من المدن الأمريكية .

وقد قدم لنا المؤلف صورة من المؤتمرات الاسلامية التى تعقد فى ولايات أمريكا لا سيما شيكاغو وكندا ، وصورة عن اتحاد الجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة وكندا ، وما إلى ذلك من المؤسسات العديدة .

والدكتور قد أسدى خيراً للعالم الاسلامى بهذا الكتاب الجليل ، وقدم لنا إحصائيات دقيقة عن الاسلام والمسلمين فى أمريكا ، وهو يرى أن الاسلام يجب أن يكون فكرة متحركة فى أى بقعة يحل بها ، وعلى العالم الاسلامى أن يعرف واجبه ويؤديه نحو الجاليات الاسلامية الموزعة فى شتى بقاع المعمورة .

هذه كلمة عابرة ولا أراها جديرة بهذا الكتاب الجليل ؟

محمد عبد الله السمان

* * *

نقـــد كتاب

(الأئمة الاثنا عشر)

لابن طولون المتوفى سنة ٩٥٣

نشر كتاب (الأئمة الاثنا عشر) لشمس الدين محمد بن طولون ، بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية ، وهو الكتاب الأول من نوادر المخطوطات التى ينوى الدكتور نشرها . والكتاب فى ١٤٣ صفحة مصدر بمقدمة ومذيل بفهارس وكان طبعه فى بيروت سنة ١٣٧٧ .

والدكتور المنجد غنى عن التعريف بما له من بحوث أدبية وتعليقات قيمة سواء فيما يؤلفه أو فيما ينشره ، كما أن ابن طولون من أئمة المسلمين المكثرين من التآليف النافعة ، فهو فى دمشق مثل الحافظ السيوطى فى مصر وكلاهما توفى فى القرن العاشر .

وقد وقعت فى الكتاب أوهام وأخطاء أحببت تصحيحها إتماما للفائدة المرجوة من نشر الكتاب الذى سماه مؤلفه (الشذرات الذهبية فى تراجم الأئمـــة الاثنى عشر عند الإمامية) . ونشره الدكتور باسم (الأئمة الاثنا عشر) .

ص ٢٨ - ذكر الدكتور فى مقدمته أن تاريخ ميافارقين مفقود اليوم ، والصواب أن تاريخ ميافارقين وآمد لأحمد بن يوسف

ابن على بن الأزرق الفارق موجود بالمتحف البريطانى بلندن برقم ٥٨٠٣ كما أن صورة الكتاب الشمسية موجودة بمكتبة السيد الأستاذ أحمد خيرى الخاصة بروضة خيرى باشا .

ص ٣٩ – ورد فى مقدمة المؤلف جملة : (شهادة تشرق بنورها الخافقين) ، ووضع الدكتور علامة (!) على الخافقين ، وفى الهامش قال (كذا فى الأصل) . وذلك أن الدكتور ظن أن (الخافقين) فاعل . ولا يمكن أن يكون هذا من تحريف النساخ . فالمقدمة كلها تنتهى فواصلها بالمين . والزين ، والزين . . الخ . . وابن طولون أجل من الوقوع فى هذا الخطأ . والصواب أن فاعل « تشرق » ضمير يعود إلى « شهادة » وأن « الخافقين » مفعول به ، ففى أساس البلاغة (وأشرقته بالصبغ) فدل ذلك على أن الفعل (أشرق) متعد .

ص ٤٢ – جاء فى هامش رقم (١) . عن (منى) أنه موضع بمكة . والصواب أنه بضواحى مكة وهو يبعد عنها ٦ كيلو مترات .

ص ٤٢ – جاء فى هامش رقم (٦) ما نصه (.. لأنه يجمع فيه بين صلاتى العشاءين) وكان الواجب إضافة جملة . وذلك ليلة عيد النحر . لئلا يظن أن الجمع بين العشاءين فى مزدلفة مطلق على طول الأيام .

ص ٤٧ . س ١٤ : وردت جملة (وأول هاشمى ولد ابنين هاشميين) والصواب (وأول هاشمى الأبوين ولد ابنين هاشميى الأبوين) . وذلك لأن كل هاشمى يلد هاشميا ، وإنما ميزة سيدنا على عليه السلام أنه أول هاشمى الأبوين ولد ولدين كل منهما أبواه هاشميان .

ص ٤٩ . س ١ : (حبان) بالمهملة وفى الآخر نون . صوابه (خباب) بالخاء المعجمة وبموحدتين .

ص ٤٩ . س ٢ : ورد ضبط (الخدرى) بكسر المعجمة والصواب ضمها ، وقد ورد خطأ أيضاً فى ص ٥٠ وص ٥١ .

ص ٥٣ . ذكر حديث فى صحيح مسلم وفى أثنائه تعذر على الدكتور قراءة الأصل فوضع بعض نقط وقال فى الهامش (ثلاث كلمات غير واضحة فى الأصل) ولو رجع الدكتور إلى صحيح مسلم لوجد أن هذه الكلمات هى (بماء يدعى خما) وغدير « خم » مشهور والكلمة بضم المعجمة وتشديد الميم .

ص ٥٤ . س ١ : (والفوز) صوابها (والنور) . س ٥ (أهل) ضبطت بضم اللام والصواب كسرها ، س ٦ (بعد) صوابها (بعده) بزيادة الهاء . وتصويب الكلمات الثلاث عن صحيح مسلم .

ص ٥٥ . س ٢ : حس بن جيادة) جاءت هذه الجملة هكذا . وفى الهامش (كذا فى الأصل ولم أجد هذا الاسم فى تهذيب التهذيب) . قلت الصواب (حبشى بن جنادة)

فالاسم بضم الحاء المهملة بعدها موحدة فشين معجمة واسم أبيه بجيم بعدها نون .

ص ٥٦ . س ١ : ورد لفظ (أنه) وفى الهامش أن الأصل (أن) قلت ما كان فى الأصل هو الصواب ، والحديث فى صحيح مسلم . وما كان ينبغى للدكتور أن يغير لفظ الحديث بل كان ينبغى له الرجوع إلى صحيح مسلم، فقد ذكر المؤلف أن الحديث رواه مسلم .

ص ٦٣ . س ٩ : ورد (أبو الحوراء) ووضع الدكتور علامة رقم (١) وقال فى الهامش أنه (أبو الجوزاء بالمعجمة اه) . قلت الصواب أنه (أبو الحوراء) بالحاء والراء المهملتين . وما فى تهذيب التهذيب خطأ مطبعى وقد جاء الاسم صحيحا فى الجزء الثالث ص ٢٥٦ من تهذيب التهذيب .

ص ٦٥ . س ٢ : (أمام) صوابها (أيام) بالياء آخر الحروف بدل الميم الأولى .

ص ٧٧ . س ٢٢ : (ابنتـه) صوابها (ابنه) بدون التاء المثناة من فوق .

ص ٧٨ . س ٣ : (كرنابة) صوابها (كرنافة) بالفاء بدل الموحدة . وأما الكرناب بالباء الموحدة فهو التمر واللبن ولا محل له فى سياق القصة ، فالمراد كرنافة النخل وهى بالفاء .

ص ٨٥ . س ٩ : وردت كلمة (سنة) وبعدها نقط وفى الهامش (كلمة غير واضحة فى الأصل) قلت هـذه الكلمة هى (الجحاف) بضم الجيم بعدها حاء مهملة وهو الاسم الذى أطلق على سنة ثمانين من الهجرة الشريفة .

ص ٨٥ . س ١٠ : سنة ثلاث وثمانين ومائة . الصواب ثلاث وثمانين بدون مائة .

ص ٩٣ . س ٧ ، ص ٩ : لفظ (مائتين) صوابه (مائة) فى الموضعين .

ص ١١٧ آخر سطر : (سنة ست وخمسين) الصواب (ثمان وخمسين) . فهنا نقل ابن طولون عن ابن الأزرق فى تاريخ ميافارقين وبالرجوع إلى اللوحة (١١٢) من مصورة مكتبة روضة خيرى نجد ما نصه (وقيل ولد ثامن شعبان سنة ثمان وخمسين ومائتين لاشك فيه) يعنى الإمام الثانى عشر .

هذه هى الأخطاء والأوهام التى وقفت عليها فى الكتاب المذكور ، ولا يفوتنى أن أنوه بالمجهود المشكور الذى بذله الدكتور المنجد فى إبراز الكتاب فى صورته المشرقة التى ظهر بها . والله ولى التوفيق والهادى لأقوم طريق ؟

عبد السلام محمد النجار

بريد المجلة

فتاوى فى الشيوعية

لأئمة الشيعة فى العراق

ما زال المجتهدون من علماء الشيعة بالعراق يبصرون المسلمين بحقيقة الشيوعية ويحذرونهم شر التورط فيها من طريق الوعظ وبطريق الفتوى ، وقد وقعت فى أيدينا ثلاث صور لثلاث فتاوى أصدرها ثلاثة من جلة العلماء. هذه نسختها .

السؤال الأول

آية الله العظمى المجتهد الأكبر السيد ميرزا عبد الهادى الشيرازى حفظه الله وأبقاه ذخراً لعموم المسلمين . أتقدم لسماحتكم بالسؤال الآتى راجياً التفضل بالإجابة :
هل الشيوعية تتصادم مع الدين وهل يجوز الانتماء اليها وتأييدها . بينوا لنا الأمر فاننا من مقلديكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد الكاظم محمد

الجواب

باسمه تعالى شأنه

الشيوعية ضلال والحاد فلا يجوز الانتماء اليها ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(عبد الهادى الحسينى الشيرازى) خاتم

السؤال الثانى

حضرة مولانا حجة الاسلام السيد محسن الحكم المحترم .

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أسأل البارى أن يديمكم ذخراً للمسلمين .

مولاى ، اننى من مقلديكم ولكى تنتمى إلى الحزب الشيوعى أفتونا بأمركم وانى أنتظر الجواب للسير عليه .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد السيد قنديل

الجواب

لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعى فإن ذلك كفر وإلحاد أو ترويج للكفر والالحاد . أعاذكم الله وجميع المسلمين من ذلك وزادكم إيماناً وتسليماً . والسلام عليكم ورحمة الله .

(محسن الحكم) خاتم

السؤال الثالث

حجة الاسلام والمسلمين اية الله الشيخ عبد الكريم الجزائرى دام ظله . هل الشيوعية تتصادم مع الدين وهل يجوز الانتماء اليها أو تأييدها . افتونا مأجورين .

خادمكم

عباس العلى شامية

الجواب

الشيوعية هدم الدين وكفر وضلال فلا يجوز الانتماء اليها بوجه من الوجوه . كفى الله المسلمين شرها .

(عبد الكريم الجزائرى) خاتم

* * *

فتوى الامام كاشف الغطاء

بسم الله الرحمن الرحيم

المبدأ الشيوعى مبدأ هدام لكل المقدسات محطم ومصادم لكل شريعة ودين . والركون اليه من أعظم المحرمات وأكبر الكبائر . والمعول بعد الله جل شأنه فى مكافحته وتحطيمه على زعماء العشائر ورؤساء القبائل أهل الغيرة والحمية الذين يغارون على الدين كما يغارون على الأعراض وسائر النواميس المقدسة .

فعلى افراد الشعب أن ينهض للمحافظة على دينهم وأعراضهم . والله الموفق والمستعان .

حرره محمد الحسين آل كاشف الغطاء

* * *

مطالب الإمام الشيرازى

ذهب وفداً إلى كربلاء لاستطلاع آراء العلماء فى بعض الشؤون .

وزار الوفد سماحة الإمام الشيرازى وكبار رجال العلم فى داره ، وكبار رجال العلم فى المدرسة الهندية ، والعلامة الطباطبائى وأصحابه فى المدرسة السليمية ومدرسة العلامة الخطيب .

وهذا ما طلبه الامام الشيرازى شفاها وفى كتاب قدمه الوفد .

ينبغى الاهتمام بالنقاط التالية :

١ — تعديل القوانين السابقة بما يوافق الشريعة الإسلامية بما فى ذلك قانون الزواج والإرث .

٢ — الاهتمام بمناهج المعارف بإبعادها عن النظريات الملحدة وبشروح الإسلام والفضيلة وتطهير الاذاعة من الأغانى الفارغة وإنشاء ركن فيها لنشر الإسلام .

٣ — الاهتمام بالشعائر الإسلامية كإقامة الصلاة فى المعاهد والدوائر والمواصلات . والمنع عن الافطار فى شهر رمضان وتسهيل وسائل الحج . وإعطاء

الحرية الكاملة لاقامة الشعائر الإسلامية .

٤ — وضع حد لتبرج الفتيات وخاصة الطالبات وإيقاف النساء على حدودهن المقررة فى الإسلام وإلغاء طلب الصورة فى الجنسية .

٥ — وضع حد للمنكرات التى تضر المجتمع كالخمر والقمار والربا وما إليها .

٦ — تطهير الأعتاب المقدسة من كافة المنكرات . والأمر بفتحها ليالى الزيارات وشهر رمضان والأمر بتعميرها تعميراً كاملا وتسهيل الأمر على الزائرين .

عالم فتنته الشيوعية فارتد عن دينه

جاء فى التقرير الصحفى لسفارة الجمهورية العربية المتحدة فى صوفيا أن صحيفة «فرونت» البلغارية نشرت فى عددها الصادر يوم ٢٢ مارس الماضى خبرا عن (عود جيف) يذكر فيه أن أحد أئمة المسلمين البلغار ويدعى ابتيموف ألقى محاضرة عن جوهر الإسلام حضرها جميع الفلاحين المسلمين فى قرية «تريم» من أعمال «كولارجراد» وقد كان الغرض من هذه المحاضرة هو الغض من حكمة صيام شهر رمضان . وقد ذكر هذا (الإمام) أسباب ارتداده عن الإسلام وتحرره من التعسف الدينى .

وبعد إلقاء المحاضرة قرر الحاضرون من الفلاحين الامتناع عن الصيام .

وتعلق الجريدة على ذلك بقولها إن هذه المحاضرة ساعدت القرويين كثيرا على التحرر من الأفكار الدينية .

وليس ذلك غريبا من رجل يدعى الإمامة فى الدين ولم يتعمق أصوله ولم يتصل بروحه فى مصادره الصحيحة ومنابعه النقية .

حول ماء بئر زمزم

استفتت جريدة الندوة الحجازية العلماء فيما نقلته عن مجلة الدكتور القاهرية حول ماء بئر زمزم . والقول فى ماء زمزم لا يحتاج إلى سؤال العلماء عما فيه من بركة ؛ فإن هذا مقطوع به وإن جحده صاحب مجلة الدكتور وجحده معه من جحده .

يقول الدكتور إن ماء زمزم ملوث بماء المجارى .

فماذا يقول فى التاريخ الذى يحدثنا أن زمزم نبعت حيث لا بيوت ولا مجارى وعلى لغتنا حسب المثل القائل (لا حادى ولا منادى) ويحدثنا التاريخ أيضا أن السيدة (هاجر) بعد أن سعت السبعة الأشواط بين الصفا والمروة طلبا للماء رأته يفور من تحت

قدم طفلها إسماعيل ، لجاءت مهرولة تحوط الماء وتقول كلمتها المشهورة (زمزم) ولذلك جاء فى الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم (رحم الله أم إسماعيل لو تركتها لسالت حتى ملأت الوادى) هذا حديث صحيح وإن لم يصدقه الدكتور .

ويحدثنا التاريخ كذلك أن قافلة من جرهم كانت فى طريقها بتجارة إلى الشام فأرسلت رائدها لطلب الماء فرأى على بعد طائراً يهبط إلى الأرض فعرف الرائد أن هذا الطائر لابد أن يكون قد هبط على ماء ، فمشى نحوه فوجد إسماعيل وأمه فرجع إلى قافلته يحدث بما رأى من العجب ، وأى شىء أعجب من طفل وأمه يجلسان فى العراء و (لا جار ولا نافخ نار) حتى ولا كعبة ولا بناء ، إلا عين هذا الماء ؟ : فماذا يمنع من أن الله يحفظ ماء زمزم ببركته على ما كان عليه يوم نبع ؟ أو أن حضرة الكاتب ينفى البركة عنه يومذاك ؟ ثم أين البعثات الطبية التى توفدها الجمهورية العربية المتحدة والحكومات الأخرى ؟

عبد المهيمن أبو السمح

إمام المسجد الحرام

بين الأستاذ العقاد والأستاذ الأكبر

بعث فضيلة الأستاذ الأكبر بهذه البرقية إلى الأستاذ عباس محمود العقاد ، مهنئا سيادته بنيله جائزة الدولة التقديرية .

« لقد أرسيتم قواعد الأدب العالم ، وأسسه العريقة فى النهضة الحديثة ، ثم أقمتم صرحه العالى ، وبناءه الأشم ، فامتلأت به نفوس الشيب والشبان .

وحين لم تتركوا مكانا إلا ونثرتم فيه أزهار الأدب ووروده انبثق تقدير الأمة لكم من قلوب تمجد العاملين المخلصين ،فأثلج ذلكم صدرى وامتلأ بشرا وسرورا ، اعتزازا بأمة أنجبت ثم قدرت . فحياكم الله ومد فى عمركم ،لتظل أمة الأدب تنزل فى خمائل أدبكم ، تتفيأ ظلاله ، ويعطر أيامها شذا عرفه .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمود شلتوت

فتلقى فضيلة الأستاذ الأكبر من الأستاذ العقاد هذه البرقية ردا على التهنئة :

« دمتم للعلم والدين ، والأدب المبين ، ودامت جهودكم فى خدمة الإسلام والمسلمين ، والحق اليقين »

عباس العقاد

مجلة المعهد الديني بالمنصورة

أصدر معهد المنصورة الديني العدد الأول من مجلته ، بإشراف طائفة من أساتذة المعهد وهيئة تحرير من الطلبة .

والعـــدد مصدر بصورة للسيد الرئيس جمال عبد الناصر ، وأخرى لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر ، ويتضمن طائفة كبيرة من الموضوعات الدينية والأدبية والعسكرية وكثيراً من الصور .

وفى العدد بضعة قصائد من شعر الطلبة تبشر بمستقبل لأصحابها إذا داوموا على تنمية مواهبهم الشعرية والأدبية .

حول استشهاد بآية :

قرأت مقالا للأستاذ منصور رجب فى عدد رمضان من مجلة الأزهر فلفت نظرى استشهاده بآية : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » وعند التأمل الصادق لا نجد صلة بين هذه الجملة فقال إنها أرسيت على فكرة - الشك باب اليقين - وبين الآية الكريمة ولعل الشيخ مقصدا حسنا ، فهو يريد أن يبين أن القرآن الكريم سبق الغرب وفلاسفته ديكارت وأمثاله ، وهذا كلام يفرح الشبان الذين لم يتذوقوا بلاغة ولم يغوصوا فى علم . والآية الكريمة وردت لجذب الخصم ليدخل ميدان الجدل والنقاش والحوار لعله يصل إلى الحق ، فالخصم إذا قوبل بما يدل على تجهيله وتجريحه نفر من البحث والتوجه إلى مريد الخير له ، فالسياسة الرشيدة تكون بمثل هذا التعبير . وكلمة الشك باب اليقين اشتهرت عن الغزالى ، وهذه الكلمة لها باب آخر وهو أن المرء إذا شك فى أمر حمله ذلك الشك على التمادى فى البحث ؛ ومن بحث ، فهو فى الغالب يصل إلى الحق بخلاف المنكر ، فإنه لا يهتم بالبحث ولا بالوصول إلى الحقيقة فهو مقتنع بحالة أفكاره . والخلاصة أنه لا يصح الاستشهاد بهذه الآية على الجملة المتقدمة ، فبينهما فرق عند من له معرفة بالأساليب المنوعة .

سيد على الطوبجى

رجاء الى السادة العلماء

ترجو إدارة هذه المجلة من السادة العلماء أساتذة الكليات والمعاهد أن يخصوها ببحوث مدروسة فيما تخصصوا فيه من شريعة وفلسفة وأدب وتاريخ ولغة . وستكون المكافأة على قدر ما يبذل فى الموضوع من جهد ، وما يحصل منه من فائدة .

الى السادة المشتركين

ترجو الإدارة ممن انتهى اشتراكهم من السادة المشتركين أن يبادروا إلى تجديده حتى تستمر فى إرسالها إليهم .

أنباء الأزهر

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه السيد الأستاذ ناصر المنقور مستشار المعارف السعودية ، وقد دار الحديث حول البعثات الأزهرية في المملكة العربية السعودية وفي بعض النواحي الثقافية .

* * *

شهد فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر مؤتمر الاتحاد القومي العام الذي عقد في الساعة السابعة من مساء يوم الإثنين ٢٠ / ٦ / ١٩٦٠ بقاعة المحاضرات بجامعة القاهرة

جوائز المتفوقين في الفنون الجميلة

من طلبة الأزهر

احتفل الأزهر في الساعة الثانية عشرة من صباح الثلاثاء ٢٨/٦/١٩٦٠ بتوزيع الجوائز على المتفوقين من طلاب الأزهر في الفنون الجميلة والتربية الفنية ، وذلك بمكتب فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

هذا ـ ومن بين هؤلاء طلاب اختيرت لوحاتهم لعرضها بمكتب جنيف الدولي وعددها سبع عشرة لوحة .

احتفال الأزهر بعيد العلم

احتفل الأزهر في مساء ٢٣ / ٦ / ١٩٦٠ بعيد العلم في قاعة المحاضرات الأزهرية ، ووزعت الجوائز على المتفوقين من الطلاب في الشهادات ، وفي العلوم التي حددتها لجنة المكافآت .

مؤتمر معسكر الرواد

يبدأ مؤتمر معسكر الرواد في مدينة البعوث الإسلامية في الساعة السادسة من صباح يوم ٨ / ٧ / ١٩٦٠ وينتهي يوم ١٣ منه وفيما يلي موضوعات المحاضرات التي ستلقى في المؤتمر وأسماء السادة المحاضرين :

١ ـ الاتحاد القــومي وسيلة لتطبيق الاشتراكية والديمقراطية لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحكيم سرور .

٢ ـ المذاهب السياسية في العالم للأستاذ أحمد مختار قطب .

٣ ـ الاستعمار فى الشرق الأوسط للأستاذ الدكتور محمد البهى .

٤ ـ القومية العربية للأستاذ الدكتور عبد الشافى غنيم .

٥ ـ الاتحادات الطلابية للأستاذ عبد الخالق علام .

٦ ـ الحياد الإيجابى للأستاذ الدكتور مراد غالب .

٧ ـ "الصحافة فى طورها الجديد للأستاذ فكرى أباظه .

٨ ـ القيادة للأستاذ محمد على حافظ .

٩ ـ مقوماتنا الروحية لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد المدنى .

١٠ ـ اعرف بلادك ومشاكلها للأستاذ نصر السيد نصر .

١١ ـ دور المرأة فى الإسلام للدكتورة بنت الشاطىء .

جوائز المسابقات الصيفية

بين طلاب الأزهر

تقرر أن يباح الدخول فى مسابقات الدراسات الصيفية للطوائف الآتية : من الطلبة

١ ـ طلاب السنة الرابعة المنقولون إلى السنة الخامسة من القسم الثانوى بمعهد القاهرة

٢ ـ طلاب السنة الثالثة المنقولون إلى السنة الرابعة للكليات الثلاث .

كما تقرر أن تكون الكتب والموضوعات التى يجرى التسابق فيها كما يأتى :

١ — فى معهد القاهرة

يؤدى المتسابقون امتحانا تحريريا فى المواد الآتية :

ا ـ مادة التاريخ :

دراسة غزوتى بدر وأحد من حيث أسباب كل غزوة ونتائجها وموقف المسلمين فى كل منهما والحديث عن سير المعركة فيهما .

ب ـ مادة الأدب :

دراسة الشاعر محمود سامى البارودى تحريريا وحفظ ما لا يقل عن مائة بيت من ديوانه مع فهمها .

على أن يكون الامتحان فى حفظ القصائد وفهمها شفويا .

٢ — فى كلية الشريعة

ا ـ تاريخ علم الحديث (موطأ مالك ، صحيح البخارى ، صحيح مسلم) .

يؤدى المتسابقون امتحاناً تحريريا فى الدراسات الآتية :

تاريخ أصحاب هذه الكتب ، ومناهجهم فى تأليفها وشروط القبول عند كل منهم ومميزات كل كتاب وماوجه إليه من نقد مع المقارنة بينها جميعاً من حيث المزايا والنقد .

ب تاريخ الفقه

(الأئمة الأربعة : أبو حنيفة . مالك . الشافعى . أحمد بن حنبل) يؤدى المتسابقون امتحاناً تحريريا فى الدراسات الآتية :

تاريخ كل منهم ، ونشأة مذاهبهم الفقهية وما يمتاز به كل مذهب من ناحية أصوله التى قام عليها ، وأشهر الكتب المؤلفة فيه ، والجهات التى راج فيها وأسباب هذا الرواج

٣ — فى كلية اللغة العربية :

١ — فى علم النحو

(سيبويه . ابن مالك . ابن هشام) .

يؤدى المتسابقون امتحانا تحريريا فى الدراسات الآتية :

(تاريخه ، شيوخه ، تلامذته ، كتبه ، أثره فى النحو ، ما وجه اليه من نقد) .

(ب) فى علم البلاغة (عبد القاهر ، أبو يعقوب السكاكى ، الخطيب القزوينى)

يؤدى المتسابقون امتحانا تحريريا فى الدراسات الآتية :

(تاريخ كل منهم . شيوخه . تلامذته . مؤلفاته . أثره فى البلاغة . ما وجه اليه من نقد) .

٤ — فى كلية أصول الدين :

(ا) فى علم الكلام (التوحيد) (واصل ابن عطاء . أبو الحسن الأشعرى . عضد الدين الإيجى) .

يؤدى المتسابقون امتحانا تحريريا فى الدراسات الآتية :

(تاريخ كل منهم وآراؤه التى اشتهر بها فى علم الكلام ومؤلفاته .

نشأة علم الكلام وأشهر الكتب المؤلفة فيه .

(ب) فى علم التفسير (ابن كثير . الفخر الرازى ، ابن جرير) .

يؤدى المتسابقون امتحانا تحريريا فى الدراسات الآتية :

تاريخ هؤلاء المفسرين ودراسة مناهجهم فى كتبهم التى فسروا بها القرآن الكريم مع الموازنة بينها وبيان مزية كل كتاب منها ، وما وجه اليه من نقد .

هذا وقد اعتمد ستون جنيها لكل جهة دراسية مباح لها الدخول فى امتحان المسابقة ، على أن توزع المكافأة على المادتين المحدد فيهما المسابقة لكل مادة ثلاثون جنيها توزع كالآتى :

الأول من كل مادة ١٢ ج والثانى ١٠ ج والثالث ٨ ج .

اعتذار

تعتذر إدارة المجلة من تأخر هذا العدد عن موعده المقرر لأسباب قاهرة لم يكن لنا فى التغلب عليها حيلة .

الفهرس

source of Islamic legislation and teachings. Thus *free judgement* from qualified doctors based on the Qur'an and Traditions, and harmonious with sound use of itellect is considered valid and authoritative. It is due to this principle that the Muslims during their glorious ages made valuable contributions to human culture and civilization, and that they have had a very legacy of intellectual schools and legal systems. Again it was this very principle which made the Muslim doctors tolerant toward each other and prepared to accept whatever is proved to be sound even if it was against their own former notious.

The Qur'nic truth is universal; the genuine Traditions are ever valid, and the sound intellect is continually urged to reflect. Upon three bases Islam has been established, and from them it has come down to mankind with truth and righteousness, good and security, peaceful prosperity and incessant happiness.

Translated and elaborated by Hummudah Abd-al-Ati & Abd-al - Muhsin El-Biyali, both of the Islamic Culture Administration, al-Azhar University.

they agree on and excuse each other for that which they may disagree on. It is in this way that the Qur'an is concieved as the Book of integration and unity, the Book of the whole humanity throughout ages and regions. Had the Qur,an been different from what it is, it could not possibly have been the Divine Book of God and the source of intellectual illumination and human happiness.

The second source of Islam is the prophetic Traditions which include his words and deeds. The Messenger did not spoke or act out of personal desire or capricious inclinations. His words were interpretations of the Qur'an and his actions were applications to the Qur'anic teachings. It is with this spirit that the doctors of Islam have adopted to the Traditions. They have done everything humanly possible to examine the Traditions and distinguish the genuine from the otherwise. They exhausted all possible means of investigation and criticism. To authenticate the genuine Traditions those doctors created the sciences of *terminology, text, narration* and *narrators.* They laid down logical rules and moral requirements as well as accurate criteria to examine the authenticity of the Traditions. Besides, any Tradition must be examined by the intellect and in the light of the Qur'an and its general spirit. With all this and by the mentioned precautionary measures it is only logical to say that Islam has the most authentic collection of Traditions, and that the care which these enjoyed from the Muslim doctors is unique indeed. It is on these bases and with all these considerations that the Traditions of the Meseenger serve as the second source of Islam.

Side by side with these two inspired sources of Islam, there is the third human factor, that is, the intellect or *free judgement* of qualified authorities. Not only do the Qur'an and Traditions vigourously urge the intellect merely to reflect but even to reflect on them and draw conclusions. They are the main sources of Islam, yet they are the object of intellectual meditation. They constitute a vrey large scope for thinking.

Because the two Divine sources were never meant to arrest the intellect by adopting a rigid attitude in every minor detail, they were made open to the intellect which has become accepted as the third

The Qur'an has been reported to us through most reliable authorities and in the most authentic manners. The validity of the text is indisputable and beyond any questioning. Many historical and personal factors as well as rational arguments attest this statement and place the Qur'an in a position to enjoy authenticity the like of which has never been enjoyed by any other book, Divine or otherwise. This is why it is the first source of Islamic beliefs, laws, morals and guidance. It is also why it has been the main object of reflection and study by all Muslim doctors, with everyone in his own field. Because they were familiar with the philosoply of the Arabic Language and appreciated the profound indications of the Qur'an. These doctors did not find any contradiction or inconsistency between the Qur'anic verses. On the contrary, the Qur'an to them seemed harmonious and self-complementary : " Will they not then meditate on the Qur'an ? And if it were from any other than God, they would have found in it many a discrepancy " (Surah. 4, V. 82).

It is true, however, that the Qur'an contains verses which are decisive and definite in giving one meaning, and some others that are allegorical or equivocal which many suggest more than one possible meaning (Surah. 2, V. 6. cf. 11: 1). But this should not be misunderstood or considered as a deficiency of the Qur'an. None is justifiable to ask : Why has not the total Qur'an been revealed decisive ? What is it for this allegorical language ? Such a question would be a non-intelligent one. Those who knwo the value of man's responsibility, the philosophical nature of languages, the intellectual differences between mankind, the unconditioned universality of the Qur'an and, finally, the nature of Islam which demands reflection and meditation will find it easy to welcome such an allegorical tendency in the Qur'an because this will inspire them and attract their minds to reflection.

God the Merciful, and the Wise, has chosen the decisive verses to be the basis of the Book to which basis all disputes or controversies must be referred. But other verses instigate the mind and encourage intellectual discussions. Disagreement on the interpretations of such verses is tolerable and sound arguments are welcomed. The only thing which is intolerable is defamation and slander. Because these allegorical verses do not, thank God, deal with fundamental articles of faith, the Muslims are urged to look to them with broad mindedness in such a way as to co-operate in that which

inevitable; because when the Qur'an was revealed people were in a state of common ignorance, particularly of science.

This is the attitude of Islam towards knowledge in the broadest sense. It does not influence the authentic nature of the Qur'an therefore, if it stands in opposition to some questionable ideas or human doctrines, because the only criterion by which the Qur'an can be judged is the Qur'an itself. It is the Divine revelation which excels man for his intellect and honours knowledge as the leading course to exploration of self and nature. So it would be illogical and even a contradiction in terms, if the Qur'an were to contradict any scientific fact or authentic data.

The Sources of Islam :

Islam has definite suorces from which it has come and by which only it can be judged regardless of any other consideration. These are: the Qur'an, the Prophetic Traditions and *free judgement* by qualified doctors. The Qur'an, meaning and text, is the word of God Who revealed it to the Messenger Muhammad through the angle Gabriel. It could not be the composition or work of Muhammad, who did not speak out of personal desire. " It is naught but revelation that is revealed " (Surah. 53, V. 4). His role, however, was: (i) to receive the Qur'an, learn it and keep it: " We shall make thee recite so thou shalt not forget " (Surah. 87 V. 6); (ii) to convey it and make it known: " And it is a Qur'an We have made distinct, so that thou mayest read it to the people by slow degrees, and We have revealed it in portions" (Surah. 17, V. 106) ... " O Messenger, deliver that which has been revealed to thee from thy Lord; and if thou do (it) not, thou has not delivered His message " (Surah.t 5, V. 67); (iii) to teach the revelation and give explanation to what was revealed: " And We have revealed to thee the Reminder (the Qur'an) that thou mayest make clear to men that which has been revealed to them, and that haply they may reflect " (Surah. 16, V. 44); and (iv) to apply its teachings and give practical examples: " Surely We have revealed the Book to thee with truth that thou mayest judge between people by means of what God has tought thee" (Surah. 4, V. 105). As a result of all this he has been the highest model of virtue for the faithful under all circumstances and " an excellent exemplar for him who hopes in God and the Latter day, and remembers God much" (Surah. 33, V. 27).

piety. Et says : "Seest thou not that God sends down water from the clouds, then We bring forth therewith fruits of various hues? And in the mountains are streaks, white and red, of various hues and (others) intensely black. And of men and heasts and cattles there are various colours likewise. Those of His servants only who are possessed of knowledge revere God." (Surah 35 V.27-28)

The Qur'anic tune urging for knowledg is not confined to any particular field. The Divine exhortation embraces all departments of research and study. The Qur'an makes no secret of its attitude towards knowldge. It excels the learend people and gives to them utmost preference to those who do not know; "Say : Are those who know and those who know not alike?" (Surah. 39, V. 9). It forbids the Muslim to yield to superstition or follow mere conjecture or make any conclusion without proof. It does not tolerate blind imitation and unquestionable authority of traditions or ancestral legacy; "And when it is said to them (the disbelievers) : 'Follow what God has revealed,' they say : 'Nay, we follow that wherein we found our fathers : What! Even though their fathers had no sense at all, nor did they follow the right way" (Surah. 2, V. 170).

Although the Qur'an is mainly a Divine revelation meant to give moral guidance in the sphere of behaviour and legislation, nevertheless it calls for scientific discoveries and urges for the exploration of every department of knowledge in the universe. It is not a book of physics or astronomy or the like, but it enjoins the study of such subjects and contains a great deal of them. If this is the attitude, which the Qur'an adopts with regard to the scientific and intellectual knowledge, how can it be said, then, that the Qur'an contradicts science or impedes knowledge? The Qur'an cannot be contradictory to any valid and proved fact in science, although it may be in disagreement with some thinkers and scientists who uphold mere opinions or unproved conjectures. If, however, it seems to be in disagreement with some scientific rules or indisputable data, it is so elastic that it can be intepreted in a figurative sense, which does not affect the basic meanings and which will make conform to scientific facts. Such a method does avoid any kind of intellectual embarrassment to the Muslim, and it is, at the same time, in complete accordance with the nature of the Qur'anic style which employs general terms when referring to scientific matters or speaking of natural phenomena. This generality of the Qur'anic terminology was

When the Qur'an excels man over woman by the degree of guardianship and responsibility (Surah. 2 V. 228; S. 4, V. 34), it is in accordance with factual rules of existence and laws of nature. The male of every species is by nature more prepared to be endowed with guardianship and tasked with responsibility for the female. Beyond this said degree, the Qur'an and the Traditions prescribe that woman is man's partner in opinion on many respects. For example, the Qur'an says: "But if both (wife and husband) desire weaning by mutual consent and counsel, there is no blame on them" (Surah. 2, V. 233). Moreover, the mother in prticular is entitled to give her opinion concerning her daughter's marriage. The attainment of the mother's consent is strongly recommendable. Furthermore, woman has the final word on her merriage. Nobody is authorized to force her to accept matrimony against her will. If she disapproves of any contract made on her behalf, she has every right to object and annul the contract. Thus we see that Islam honours woman and entitles her to all legitimate rights. Unjust discrimination between man and woman on the basis of the latter's nature is inconceivable to Islam. The natural differences between them are recognized by Islam to maintain justice and keep life going in a balanced manner.

Islam and Sciences :

Unlike any other religion or doctrine Islam establishes its faith on the foundation of thinking and meditation, not of blind imitaion and unquestionable authority as has been the case with other religions. Practically in every chapter of the Qur'an there is a vigorous demand for knowledge and research. Througout we come across passages and verses which press mankind to discover themselves, the universe and nature at large. Knowledge in scientific as well as intellectual terms is the supreme quality of man on the basis of which he is honoured and made superior to other beings. It is the logical introduction and premise to faith. Once man *knows,* he is bound to end within faith, because Islam does not accept faith unless it comes as a result of conviction, which is the leading guide to the truth: "And that those who have been given knowledge may know that it is the Truth from their Lord, so they should believe in it." (surah. 22, V. 54).

The Qur'an refers to the *appreciation* of the working forces in the universe and to the knowledge of the natural phenomena as the leading course of man to dutifulness and

principles of peace and equality. The achievements of the Muslims in this respect have been very impressive and deeply convincing even to many outsiders.

The relation Between Man and Woman:

Before Islam woman was considred a mere object of bodily pleasure for man. She did not enjoy any sense of value for herself nor did she exercise any right of expressing her opinion or demonstrating her well. Even her very nature as a humam being with an immortal soul was a questionable matter. The universally prevailing conception of woman was that she was a worthless and inferior being. But the position of woman was fundamentally changed after the propagation of Islam whose book assured woman of equality and established a balanced course of relation between man and woman. The Qur'an says : "O mankind, surely We have created you from a male and a female . . ." (Surah. 48, V. 13,) and " Whoever does good, whether male or female, and is a believer, we shall certainly make him live a good life, and we shall certainly give them their reward for the best of waht they did " (Surah. 16, V. 97.) Again it announces that " the believers, men and women, are friends one of another..." (Surah. 9, V. 71.) Practically in every place in the Qur'an where references to man are made, the same is true of woman. Thus woman gained her freedom, and it was Islam which brake her fetters and stressed her equality to man and explored her personality. So for as natural rights and responsibilities are concerned, Islam admits no discrimination between man and woman but equality is the rule in this respect. It is a sufficient argument to prove this faint that the Qur'an says : " And women have rights similar to those against them in a just manner . . . " (Surah. 2, V. 228.) The Messenger also says ; "Women are men's sisters. "

There is nothing in the Qur'an or the Traditions to give man superiority over woman or to speak of the latter as inferior to the former. The Qur'an, nevertheless speaks of men as having a degree above women, but this should not be misunderstood. This degree does not mean superiority or favourtism. It is the degree of guardianship and responsibility for maintaining the family and running the home, not that of suppression or injustice. The degree of man is really an additional burden to him and an extra responsibility. It does not affect the woman's freedom of belief or thought or conscience or enterprise. It does not upset any of her established right.

ISLAM: ITS ORIGIN AND ITS FUTURE

This is a rejoinder to Series number II of All-Union Society for Propagation of Political and Sicentific Knowledge which discusres the same topic under the same caption, and which appeared in Moscow in 1956 and was introduced to the Arab readers as " The Grey Note- Book ".

" Continued "

in Jordan with dreadful threats to frighten the Muslims and disturbe their peace. When the Prophet knew these aggressive intentions and mischievous inclinations, he did not wait for the Romans to knock his door and attack him at home. He thought it wise, and so it proved to be, to shift the field of the inevitable battles with the Roman to a remote area under their illegal and unjust control. These battles were designed to prevent any more penetration by the enemies into the land of Islam, and to expel them out of the territories which they conquered against the will of the settlers. They were also meant to insure the liberty of the Muslims to exercise their freedom and to give the non-Muslims a chance to emancipate themselves and embrace Islam if they would be guided by its lights. Thus started the open conflict between the Romans and the Muslims.

It was not, therefore, the inteation of the Muslims to fight, and when they had to fight they did not mean to impose their religion on other people nor to make their race superior to others nor to seek personal benfit or sustenance. When Islam came it brought principles designed to narrow the sphere of war and justify it for honest reasons only. It was a long-standing traditions of the Arabs in the Pre-Islamic era to fight for spoils or for demonstration of power or for mere tribel consolidarity regardless of any other moral consideration. But with the declaration of Islam a new concept of war was taught and a moral approach to it was established. This was derived from the conclusive statement of the Messenger in which he said : Whoso fights to make the world of God the uppermost is the fighter in the way of God."

It is a well-attested historical fact that the Muslims did not fight for imperialistic gains or usurpation; they fought to abolish oppression, to secure freedom and to spread the

Ghazali's view :

It would be advisable to quote here Ghazali's view concerning the plurality of wives and the reason for its permissiblity from the point of view of the sexual drive to which we had referred on discussing the views of Connoisseurs and social researchers in accounting for pluraliy. He said : " Ther are some human natures whose sexual drive are overpowering that it could not be satisfied with one woman only. To such natures it would be suitable to marry more than one wife up to four. It by so marrying they felt satistaction, love and security then it is a blessing of God. If they do not feel satisfaction and ease it would be better for them to change their wives ".

In such a manner all the companions of the prophet did behave. Scarcely there was any amongst them who had not more than one wife.

Then Al ghazali added " However clear are the motives one should take of the medicine what deems enough to cure the illness. Self-satisfaction is really what is aimed at so one should take that aim into account when resorting to marry more than one wife ". By so saying Al ghazali is referring to the fact that the plurality of women is legally permitted to chastise oneself on condition that one should take himself by fair dealing between his women. He is referring too to the fact that those who marry more than one wife simply to satisfy their tastes for change without any real need to keep one's chastity or to evade sin are in fact behaving in a way contrary to the directives of the Islam law.

Nevertheless the fact remains that nothing of these suppositions have any existence for actually the wording of the verse has given priority to plurality as a means to rid the believars of the criticality of being married to the orphans. Then the restriction to one wife only was ordained as a suspended measure to be resorted to when one is suddenly exposed to the fear of being unable to deal fairly between women.

Consequently one can say that there are no indications in the wording of the verse to determine what is radically demanded and whether is it the plurality or the one wife only. Notwithstanding that one can say that the radical issue is the plurality, it is also the needed as a reaction to the natural human drives which are instinctive in man and as a response to the factors of human sociology which have enjoined the plurality of wives through the ages from the olden times up till now.

In fine if the plurality was limited by any condition other than the fear of injustice between women, such restriction would have not been overlooked by the original source of legislation since the question was of a major importance to the human society and had a direct impact upon the law and order of such society. Had there beeb any othe restrictions, the attitude of the prophet, peace be upon him, towards those who hed embraced Islam while keeping more than four wives, would have been otherwise than just asking them to keep only four if they wished and to divorce the rest. Had there been any other restrictions, it would have been incumbent upon the prophet to exPlain to the believrs that such sight is not absolute but it is restricted by satisfying certain conditions such as the barrenness of the first wife or her illness or the ability to sustain and bring up his children or the ability to cover the expenses of his relatives whose sustenance is his personal responsibility. It would have been incumbent upon the prophet to clarify the situation and to direct the believers to th right path since the time was the proper occasion for laying the foundations of legislation. But actually, nothing of that had happEned. This would undoubtedly show that plurality was not an accidental measure resorted to on emergencies and that its permissibility was not conditioned by anything other than the sense of safety to deal with women justly which lies within the power of man such as equality in covering their expenses in clothing and in lodging.

that is the ability to pay her the dowery and to ensure her living expenses.

The verse has put the plurality of women in a radical position while trying to get rid of the unfairly dealing with orphans. Then the restriction to one only on fearing injustice between wives was mentioned. From that we can deduce that justice is a radical trait in man. Being so it would lead to the conclusion that the permission of plurality is the radical decree since justice is original in man and injustice is an extraneous deviation which comes upon man suddenly and causes him to fear it. The existence of such fear impels him to marry only one wife.

This explanation complies with the conclusions of the researchers who have been trying to account for the phenomena of plurality and whose views were mentioned before.

The reasons mentioned whether taken as a whole or in detail enjoin the plurality of wives either to satisfy man's needs or the woman's need.

If the decree is taken to mean the prohibition of plurality then the wording of the verse must need to be changed as thus " If ye fear to deal unfairly with the orphans marry only one from amongst other women. If she proves to be barren or sick and ye were obliged to marry another one then marry two or three or four as ye wish ".

Undoubtedly this view will cause the purpose aimed at by decreeing the plurality of wives to be missed that is the extension of the scope of choice before them and making them at ease when they have to leave the orphan in fear of dealing unfairly with them.

The mode of expression should have been as such accustomed in the style of the holy Qur'an when it does need to permit something forbidden necessity. Such a style can be observed in the following verse wherein God says :

" Forbidden unto you (for food) are carrion and blood and swine flesh, and that which has been dedicated unto any other than God " .. ... up to the end of the verse wherin He says " Whoso is forced by hunger, not by will, to sin : (for him) Lo ! God is Forgiving Merciful. " Again taking this view into consideration will make the verse indicate that the sticking to one wife is the radical decree and the binding one, and that the permission of plurality is only resorted to when there is an impelling need.

himself to decide whether he fears the lack of justice when marrying more than wife or not.

It is he who is responsible before God to take the suitable measure which complies with his intrinsic feelings in that direction. The law has nothing to do with such inner traits. It is a personal responsibility which is left to the person to judge by himself his ability to perform. It is just the same as the other enjoinments which are left to the believer's discretion such as fast breaking and when one fears illness or the augmentation of illness if one fasts or uses water.

When does the law interfere?

The law has to interfere in the case of a person who married already a second or a third wife and proved to be unjust towards one of them conditional the persecuted wife should declare that to the ruler and complain to him of ill-treatment. There the law interferes by advise admonition and then by sending two judges; a judge out of her family and a judge out of his family to tackle the question and seek reconciliation between the two parties. Then by all means prescribed by God to make reconciliation possible. Should this course fail to mend matters and reconciliation seem futile the judge is empowered to divorce her. Such procedure was guaranteed by both the Islamic law through the enactment of admonitions and by the legislation through the enactment of the principles of divorce for fear of injury which Imam Malik proposed.

The permission of plurality is the rule :

From the aforesaid one can conclude that plurality has been permitted since the dawn of legislation both by word and action whenever the believer does not fear to deal unfairly between his wives. If he fears injustice between his women it will be incumbent upon him to marry only one woman to rid himself of the sins of such fright. Again it is quite clear with reference to what we have mentioned before that the permission of plurality does not depend upon satisfying conditions other than the ensuring of justice and the lack of fear of being unfair. It does not depend uPon motives such as the barreness of the woman, her illness which exposes her husband to divert from chastity, and the out numbering of women in a way that endangers their chastity. However it is necessary on marrying a second wife that one should satisfy the same conditions of marrying the first wife

able to deal equally between your wives, however much ye wish (to do so). But turn not altogether away (from one), leaving her as in suspense.

The practice of the nation is the clearest proof

This indicates clearly that the second verse co'operates with the first one to detremine the principle of plurality of wives in a way that confirms its permissiblity and dissipates all the clouds of criticalness. In the light of this principle the prophet, may peace be upon him, married more than one wife and so did his companions and followers. After them Muslims through the ages used to marry more than one wife whenever they wished. They used to see in the performace of such plurality in the light of the justice they are asked by God to observe a benevolent deal to women as well as men themselves and that by so doing they are doing good to the nation at large,

Fourteen centuries have passed since then and in each century there appeared a host of illuminated savants well versed in the Islamic studies all over the Islamic World. Their views and opinions were recorded and widely spread by education and publication in a generation after generation yet we never heard that any one of them had said that the second verse abrogates the first one or tries to abrogate any of the principles decreed by the first verse. In fact they all agreed that it was an explanation to what was meant by the demanded Justice which the fear of its lacking was made a binding motive for sticking to one wife only.

The individual alone can judge his ability to behave justly.

Again they all agreed that God's decree " if ye fear that ye can not do justic (to so many) then one only " was addressed to the individuals concerning matters in which they are the sole judges. In deciding it they have to refer to themselvs, to their conscience and to their will. Such behaviour had no regular and true manifestation or even predominant features that it would be easy to the ruler to detect and apreciate and thus could easily arrange to issue a legislation based on his experience with a view to either prohibiting polygamy or permitting it.

So many people who may look apparently rough and unmannerly may prove when married to be courteous and dutiful.

Thus It is up to the person

this condition is not possible since the second verse indicates that man will not be able to deal equally between his wives.

Such explanation is a plain misuse of God's words. It is a misconstructions of these verses and a deviation from its real meanings. It is unreasonable that God advises polygamy when fearing to deal unfairly by the orphans and makes equal dealing between wives a condition for permitting polygamy in a way that suggasts its feasability and then denies its possibility.

The proper meaning of the two verses.

The proper explanation of these two verses which agrees with the holiness of the revelation, the raison d'etre of the legislation, the order of the context and the motives for the revelation of the second verse lies in the fact that when it was said in the first verse " And if ye fear that ye can not do justice (to so many) then one only " it was understood that justice between women is binding. Some thought that the conception of justice if generalised must imbly the practice of equality in every detail of dealing between women whether ln one's power or not. Such explanation did put the believers in a critical situation. Really it was a critical situation for th conception of justice as contemplated by some believers was impossible to be put into effect simPly because these are sides which are beyond one's control. To evade this criticalness contemplated by the believers and to guide to the true meaning of justice and its implications the second verse was revealed.

It was revealed to tell the believers that Justice meant by God was not the conception you were driven to that made you feel awkward and annoyed about the plurality of wives and thus prohibited what God had permitted. It meant only that you should not turn altogether away from one leaving her as in susPense.

This heavenly decree was an explanation expected by the believers after the revelation of the first verse and the dilemma they were driven to by their understanding to the concepion of that verse.

The wording of the 127th veres of the same surah guides to this view. The verse starts by saying: "They consult thee concerning women. Say God giveth you decree concerning them " then mention many issues which were the object of their consultaion. The last of which was God's decree that "Ye will not be

If such severity is only demonstrated by the wars almost waged against human race all over the world, it would be enough to prove the immense sufferings and sacrifies of men in this belligrent universe. What whould be the result if we add to the catastrophes of war which annihilate men by thousands leaving the majority of living souls barely women and children, the hardships of life which men and specially labourers suffer. Labourers who perform their duties exposed to fire and steel, endangering their lives in the depths of seas and oceans, in utter darkness of mines, in the debris of demolished houses, and in the quarries wherein all the brunt falls upon man's shoulder.

The Islamic law has refined the natural craving.

These are the reasons given to account for this social phenomenon. In fact they are reasons derived from tangible realities in the life history of human beings. In the light of these natural human experiences it was concluded that Polygamy is an old and a well established social tradition. Such tradition has continued up till the advent of Islam. When Islam came it did not revoke the natural drives which are the sources of Plurality but it did refine them from two angles. Firstly it has restricted polygamy to a certain number by which human cravings can be satisfied uninfluenced by the periods wherein women lose their sexual drive.

Secondly it has enjoined that man shuold fairly satisfy the needs of life of his women and to be just in dealing with them for such behaviour will contribute much to maintain peace, to foster a sense of safety and to evade injustice, favouritism and deviation.

These two conditions are unanimously acquired by all Muslim jurists and corraborated by all Islamic legal texts. The Holy Qur'an enjoins these two points in the 3ed verse of the women's Surah by saying " two or three or four and if ye fear that ye cannot do justice to so many then one only ", and by saying in the 129th verse of the same Surah " But turn not altohetger away (from one), leaving her as in suspense ".

The misuse of God's words.

It is strange to see that some people have come to the conclusion that these verses account for the illegality of plurality. Their pretext in that is that plurality was permitted on the condition of justice as seen from the wording of the first verse and that the satisfaction of

reign of Charlemagne. Charlemagne himself married more than one wife. But at his time the priests advised polygamists to choose only one of their wives to be the legal wife and to keep the others as concubines.

Since then the plurality in Europe has turned to be a sort of abominable concubinage which derogates the moral standard of man and mars his dignity. It is thus evident that to Europeans plurality through legal marriage was not permissible while it was allowed practically through illegal intercourse.

Raison d'etre of Plurality

Researchers who had disscussed the problem of polygamy, gave various reasons to account for this tendency in man. Some of them refer these phenomena to the egoism in men's nature and the wish to keep for themselves as many women as they can. If the existence of such egoism is admitted and accordingly it is accepted as a true reason for plurality of wives, it is then clear that its aim is not the mere wish to possess and to keep for himself as many women as he can bu it is as well the wish to satisfy a natural craving in man. Such aim could be easily understood if the second reason for plurality is taken into account. The second reason refers polygamy to a sexual factor inherent in the nature of both males and femals. This foctor necessitates the continuity of the sexual drive and the extension of the time limit of its functional ability. On the other hand it neces.itates occasional absence of such drive in women. As a result women are apt to loose completely at certain intervals that drive. Such loss is often felt during the monthly periods, conception, confinement and delivery. It necessitates too that women's functional sexual ability extends a shorter period than it does in man. A woman's ability is naturally nulled when she comes to menopause. Menopause is almost arrived at by the age of sixty. Such failure to keep the drive any longer after menopause will leave the male efficient to perform the sexual indulgence with no response from the other sex a period that may extend between forty and fifty years. As such he will be liable to suffer either physically or morally or to suffer both physically and morally.

Some other researchers account for such plurality to be a result of a natural phenomenon which increases the birth rate of women while it lessens the birth rate of men. Such phenomenon has actuated nature to treat men so severely that the rate of death amongest them is higher than the rate of death amongst women.

the criterion of fair dealings amongst all creatures. Consequently such treatment will be dealt with in tow chapters :

1) Polygmay in the light of legislative texts.

2) Polygmay in the ligh of factual social cases.

Polygamy in the light of legislative texts

Plurality of wives is an old tradition.

There is no doubt that the Holy Qur'an has decided the legitimacy of the plurality of wives. This is seen plainly in the 3rd verse of the fourth Surah " An-Nisa " " Women ".

" And if you fear that ye will not deal fairly by the orphans, marry of the women, who seem good to you, two or three or four ; and if ye fear that ye cannot do justice (to so meny) then one (only) or the captives that your right hands possess. Thus it is more likely that ye will not do injustice ". and in the 129th verse of the same Surah. " ye wish not be able to deal equally between your wives, however much ye wish (to do so). But turn not altogether away (from one), leaving her as in suspense. If you do good and keep from evil, lo ! God is ever Forgiving and Merciful ".

However Islam in instituting both marriage and the plurality of wives was not intiating something which had not been prevalent before its inception. In fact it was approving the natural cravings of man with certain moral modifications which it had felt necessary to impose to ensure a moderate standard for humanity and to save man from abnormality and depravity and to keep for the society the best elements of these natural cravings. Such was its method in dealing with all human relations and ways of life which society calls for.

Marriage has been a natural craving in man since the dawn of human race. Plurality of wives has been practised as well since the ancient times. It was widely spread and mentioned in many of the holy scriptures. History givs us so many examples of plurality as sush mentioned in the history of Abraham, Jacob, David, Solmon and other prophets and Messengers of God.

History provides us with striking examples of plurality as such spread amongst the Arabs and the other nations. Europeans were not an exception in that. Plurality has been permitted since the early day up to the

THE PLURALITY OF WIVES "POLYGAMY"

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

Part 1

The plurality of wives was one of the topics so maliciously exploited by the fanatic organs of the west that it excited a train of critical thoughts. Such attacks have even actuated groups of Muslims at successive periods to ask for a legislation to impose restrictions not enjoined by God upon such institution.

Such institution was weighed on different scales. It has been looked upon from two different angles: the angle of the legislative text and the angle of social cases. Such diversity of approach has led to controversial treatment.

Thus it is not strange to see that some thinkers have come to the conclusion that the ban of plurality is the criterion and that polygamy is a provision for urgent emergencies; while some others have come to the conclusion that the permission is the criterion and the ban is resorted to only when it is feased that the evil of practicing such institution overweighs the good.

On the other hand the social researchers have widely differed on such matter. Some have seen in polygamy a social crime which endangers both the status of the family and the nation. So they urge the necessity of enforcing the limitation of such provision. Others see in such an attitude a turn to the extreme in dealing with the problem and a judgement as such is based solely on grounds derived from studying abnormal cases which can not be looked upon as a sound basis for restricting a legislation which has proved beneficial in both social and moral spheres. Moreover the abuses of the abnormal cases can not be mentioned beside the countless advantages of such legislation.

In the light of such circumstances the problem has to be tackled. This indeed necessitates to review the Problem in details from both angles: the legislative and the social, and to weigh justly the justifications of both using the scales of justice prescribed in the holy Qur'an to be

fulfil His promise". No Sooner had the prophet finished his prayers than the word of God was revealed that victory would be assured and that paradise would be the abode of the martyrs who die in the battle. On hearing the news the Muslims gave themselvas soul and mind to fulfil the deed and to gain the victory. They had nothing to ponder upon but the promised paradise. Thus they attached their enemies with hearts full of confidence and trust in God whereupon God put in the hearts of the unbelievers fear and distrust. As such the umbelievers were driven to meet their death.

When the battle was over the multitudes of the unbelievers were completely defeated and the great dam of idolatry was thus demolished under the pressure of the flood of the new spring rushing forth from the rocks of Badr and the illuminating light of true faith emanating from Yathrib dissipated the heavy clouds of darkness. Consequently the result of the battle proved the fulfillment of God's promise and the victory of three hundreds of believers over nearly a thousand of unbelievers which is obviously a heavenly miracle.

However the battle cf Badr is not noticed and recorded in history because of its strategy, equipment and expenses tor there are nothing compared with great battles recorded in history. In fact it was no more than a fight between two quarters of one city. But its importance arises from the fact that its consequences had changed the march of history and influenced the future of the world. It had a great impact on the history of peace. It had been a decisive decree of fate which changed the attitude of the human race and enabled the Arabs to play their part and give their contribution to the advancement of science, preservation of civilization and the dissemination of the message of God.

The victory in such battle was not the result of arms and men but it was the result of truth and deep faith. True faith is always a strength bestowed by God in which Angels and heavenly spirits contribute. It is enforced by hoPe, love, altruism and idealism. It never cares for numbers nor fears arms. It never hesitates in face of danger.

By such true faith pushed by God into the hearts of true believers. He created strength out of weakness at Badr, Kadisieh and Yarmuk, a civilization and Prosperity which spread good and plenty all over the world out of the barrenness of the desert and disintegrity of the arabs a state which regulated the world and reduced it to order by enforcing justice and religion which unite the souls by fostering mercy and sympathy.

and that their arms were better than theirs they became dead sure of victory.

On the 14th of Ramadan the war broke between the two armies. The Muslims though poor and scanty were only one third of the unbelievers army.

The unbelievers though numerous and rich were chosen from the best warriors of Quraysh. In such a stead Islam was passing a critical examination. The battle of Badr was the turning point in the history of humanity. Humanity had to be led either upon by Muhammed to the way of God and be guided to salvation or by Abu Sufian to the way of ignorance and be dragged into error and confusion to face their utter destruction. At Badr their stood on one side Muhammad and his followers defending the human civilization with its religions and all its aspects of progress. On the other side stood Abu Sufian representing the Barbarians with their idols and fancies. Humanity was then facing a decisive battle. It had to choose between a way leading to its happiness and a stumbling block hinrdering its progress and causing it to relapse into ignorance and confusion, between illuminating light and utter darkness and between submission to God and subjugation to Devil.

The result of such campaign between the forces of right and the hords of wrong was either the loss of human heritage and the eclipse of heavenly guidance or the revival of the good and the victory of the servans of God. To ensure the victory of good and to save the human civilization under such circumstances as afore mentioned a heavenly miracle was needed to support the few hundreds of Muslims against such a threat.

Muhammad, the messsenger of God, faced the Qiblah (niche) and spent the night praying to God and begging Him for help against the deadly attack of the enemies saying " O' God. There is Quraish coming in all its pride to attack your messenger and to charge him with falsehood. O'God, give me the victory you had promised. O'God, If the unbelievers succeed in their attack and this group of believers perish, Islam will be abolishd forever and none will be left to pray for you on this earth ".

Vehemently the prophet was calling on his Creator for help that he took no heed to his cloak which dropped down more than once to the ground. Abu Bakr who was standing behind picked the cloak and put it on the shoulders of the prophet saying unto him. " Take it easy ' messenger of God! Surely God will

17th OF RAMADAN

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

Islam on immigrating from Mecca, the seat of ignorance, to Yathrib was still lacking support and strength. The Pioneers in embracing Islam, whether immigrants or the helpers, were subjected to brutal torments. The Almighty was trying their patience by the pains fallen upon their heads and by the temptations put in their way to find out the staunch supporters to the Islamic creed and the persistent preachers and heroic fighters ready to carry out and disseminate the cause of Islam.

Qurashites were inciting the other Arabian tribes against the pioneers af Islam. Jews were setting traps to Pull their legs and the hypocrites were trying to betray them by servile flattery. But when God willed His religion to survive, His glory to dominate and His light to shine forever He ordered theree hundred of his true servants to mount to the Valley of Badr. There they went riding successively on seventy gaunt camels armed with the Patience of warriors to bear the paucity of material, supported by the enthusiasm of the true believer to overcome the lash of prestige and by the content of the ascetic to mitigate the challenge of poverty. In their march they were moving deep in the trance of mystics looking forward to meet one of the two groups which God had ordained them to meet ; the commercial caravan or the hostile army, and ready to face either victory or martyrdom. Unfortunately Abu Sufian succeeded to escaPe with the rich caravan through the sea route. They were thus left to face the furious Meccans who were enraged against the attack waged against their creeds, wealth and authority. They were left with no other alternative but to fight the Meccans who had camped under the leadership of Abu Gahl at the remote end of the Valley. They were 950 warriors iron-clad and armed to their teeth. Their hearts were full of indignation against Muhammad and his followers. Seeing that their fighters outnumebred those of the Muslims

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في تحريرها
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثاني — صفر سنة ١٣٨٠ هـ — يوليه سنة ١٩٦٠ م — المجلد الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس بعد الدين وازع

بقلم : أحمد حسن الزيات

التقوى ، وهى استشعار الخوف من الله طبيعة فى الشعب الكادح غرسها فيه افتقاره الدائم إليه ، واعتماده المطلق عليه ، ورجاؤه المتصل فيه ؛ أما الملوك والسراة فهم خليقون باستغنائهم عنه بطغيان الملك وسلطان المال ألا يخشوه وألا يرجوه إلا إذا حملوا على تقواه حملا منذ النشأة بالتربية الدينية والثقافة الروحية والقدوة الحسنة . فإذا ولد السرى أو الغنى فى مهد غير نظيف ، ونشأ فى بيت غير شريف ، لا يجد أبا يصلى ولا أما تستغفر ولا مربيا يرشد ، شب على غرائز البهيم : هوى من غير عقل ، وشهوة من غير كابح ، وسطوة من غير ضمير ، وإذا مكن له بحكم الوراثة أو بفعل الظروف أن ينحط على عرش أمة ، ستره بالسلاح عن عيون الشعب ثم استعان بغفلة الوعى القومى على أن يجعل العرش فرشا والقصر ماخورا والحكومة مطية والوطن ضيعة . ثم يتدفق فى الفجور ويستهتر فى الفساد لا يتقى الله لأن الشيطان يعده ويمنيه ، ولا يخشى الشعب لأن الجيش يحرسه ويحميه ، حتى إذا انكشفت الأغشية عن البصائر فتنبه الغافل وأحس

البليد وأدرك القطيع السائم المستغل أن فروته الملايين أقوى من عصا الراعى الفرد، وأنه هو صاحب اللبن والصوف ، ومالك المرعى والحظيرة ، انتفض الشعب المظلوم المكظوم انتفاضة الأبى المريد فنفض عن جسده العلق الماص والدود السام ، وضرب ضربته القاضية فتدكدك العرش ، وتدحرج التاج ، وتقوض القصر ، وعاد الطاغية الفاجر أصغر من أن ينظر ، وأحقر من أن يذكر ، وشيئا من القذر الملعون ، يجر على الأرض ، أو يوطأ بالقدم ، أو يقذف إلى الخارج ، والمزية الوحيدة لهذا الضرب من الملوك أنهم يظهرون حين يريد الله أن يبدل نظاما بنظام ، ويديل دولة من دولة ؛ لأنهم بفضل ما يجتمع لهم من ضروب الفساد ، وما يصدر عنهم من فحش الاستبداد ، يضغطون على مشاعر الشعب فينتبه ، ويلحون على أعصابه فيثور .

من هؤلاء الغواة الضالين ثلاثة من الشبان الرقعاء وضعهم المستعمر المحتل على عروش أمهم بالكره منها ، ثم ظل يسندهم ببأس الحديد . ويرفدهم بفيض الذهب ، ويسلطهم على الأخلاق يفسدونها بما لا يليق ، وعلى الأرزاق يبددونها فيما لا يحل ، حتى قضى عبد الناصر على الاستعمار فى أكثر الشرق الأوسط ، فلم يبق إلا فى بعضه يتسلل إليه فى ثياب الخونة والعملاء ، كما تتسلل الجراثيم إلى الأجساد على أرجل الذباب وأفواه الكلاب وقروح الفترة ، فوهى السند وانقطع المدد ؛ وقضى الله على هؤلاء الصغار بما أفسدوا وبددوا وعربدوا أن يكون كل منهم آخر فرع يذوى ويسقط من شجرته الملعونة .

* * *

أول الثلاثة وأكبرهم كان ملكا على مصر قبل يوم ٢٣ يوليو ، وكان آية من آيات إبليس فى الجرأة على دين الله وعلى حرم الناس ، بلغ من جرأته على الله أنه كان كما حدثنى أحد بطانته المقربين إليه إذا اضطرته رسوم الملك أن يشهد صلاة الجمعة خرج إليها من المضجع الحرام ، فصلاها من غير غسل ولا وضوء ، وأداها من غير فاتحة ولا تشهد . وكان يقول : إن أخوف ما أخافه أن يغلبنى الضحك وأنا أتابع الإمام فى هذه الحركات العجيبة . وبلغ من جرأته على الحرمات أنه كان يغتصب الزوجة، ويقتل الزوج ، ويسرق الدولة ، ويسفه الحق ، ويأخذ الرشا . ثم أملى له الغرور فتبجح وتوقح وطغى ، حتى إذا استيأس الشعب وظن أن الليل سرمد ، وأن الذل خلود، أظهر الله المصلح المنتظر من بين رجال الجيش ؛ لأن العسكريين بحكم تنشئتهم أصحاب فداء ومضاء ، وإلاف نظام وعمل ، وأحلاف شرف ومجد، يطلبون الحياة بالموت ، ويغسلون الرجس بالدم، ويقرنون الرأى بالعزيمة فرأى هو ورفاقه من خلال الظلام الكثيف

المخيف عرش مصر يرتطم فى الوحل ، وجيش مصر يضطرب فى الفساد ، وشعب مصر يتمرغ فى الذل ، فشبوا شبوب النار الهادئة تقتل المكروب ولا تحرق المريض ، وهبوا هبوب الريح اللينة تدفع الشراع ولا تغرق المركب ، وأخذوا ذلك الملك الماجن من قفاه الغليظ وألقوه فى البحر ، ثم عالجوا أمر هذه الأمة بعلاج الرسول الكريم ، فحطموا الأوثان كما حطم ، وكرموا الإنسان كما كرم ، وأزالوا الفروق بين الناس كما أزال ، وأدالوا الفقير من الغنى كما أدال ، وقيدوا الحق بالواجب كما قيد ، وأيدوا الحجة بالسيف كما أيد ، ثم أذاقوا الناس لأول مرة فى تاريخ مصر نعمة الحرية والكرامة والمساواة .

* * *

وثانى الثلاثة وأكرمهم خليفة مزدك أوشاه إيران . نشأ نشأة فاروق ، فلم يسر الرقابة دين ولا رعاية خلق ، ولم يهيأ لولاية عهد ولا وراثة ملك ، وإنما أعجله كما أعجل حماه القديم الحكم الباكر عن تثقيف نفسه بالعلم وتهذيب غرائزه بالأدب ، فلم يتعلق من الحياة إلا بأسبابها المادية الوضيعة ، وجرى فى حكمه لإيران على سياسة الخليع الوارث ، لا يعرف من أمور ضيعته إلا الخزانة يفرغ ما فيها من يوم إلى يوم فى جيبه ، أما كيف يستعمرها ويستثمرها فذلك شأن لا يعنيه ، لذلك لا تسمع فى إذاعة إيران ولا تقرأ فى صحف العالم أن الشاه - اسم الله عليه - أنشأ مدرسة أو بنى مستشفى أو عبد طريقا أو أقام جسراً أو أصلح فاسداً أو عمر خراباً ، وإنما تسمع كل مساء وتقرأ كل صباح خبراً جديداً عن زواج الشاه وطلاق الشاه وخطبة الشاه ، وعشق الشاه ، وعن رحلته المباركة إلى هوليود ، وجولته الموفقة إلى الريفييرا ، وسفرته المربحة إلى لندن ، وزورته المريبة إلى الأردن ، أما الأمة الإيرانية والأمة العربية فلا تدخلان فى دنياه لأن التخلف العاجز فى أمته يخزيه ، ولأن التقدم المعجز فى أمتنا يؤذيه ، وهو يحرص على أن تعيش طهران فى الظلام لتعمى ، ويخشى أن تسطع فى أفقها أضواء القاهرة فتبصر ، ولكن هيهات أن تحجب الشمس بالأكف ، أو يدفع السيل الآتى بالحواجز .

إن ساعة الشاه آتية لا ريب فيها ، لقد تعدى حدود الله وتحدى إرادة شعبه . نصر الاستعمار وخذل الحرية ، وناوأ العروبة ومالأ الصهيونية ، وخرج على قرارات باندونج وإجماع المسلمين ، فاعترف لإسرائيل الأفاقة باغتصابها فلسطين العربية المسلمة ، وطردها مليونا من أهلها إلى العراء القفر ليعيشوا فى المضارب والملاجئ عيش الحرمان والذل ، وهم ينظرون إلى ديارهم وأموالهم يعبث فيها الواغل الدخيل ولا يملكون

لأنفسهم ولا لها إلا الرجاء فى العرب والأمل فى أمثال هذا الفهلوى الذى يسمونه الشاه ، وهو أهون على الله من كراع شاه .

والذى بعثه على كل هذه المخازى بعده عن الإسلام ، وحقده على العرب ، وكيده للوحدة ، وحرصه على بقاء الاستعمار ليأمن ثورة الأحرار وعودة مصدق ، ويضمن وفرة الدولار ومتعة العيش .

* * *

وثالث الثلاثة وأحقرهم (عاهل) الأردن وحده وجاهل العالم كله ! أصغر تاج على أصغر عرش ، وألأم ملك على أكرم شعب ، وأنجس إنسان على أطهر أرض ! ولكن الاستعمار نفخ فيه فدوى كالطبل وصوت كالبوق ، وتوهم أنه بهذه النفخة الكذابة والطنطنة الفارغة يطاول الجمهورية العربية المتحدة ، ويصاول زعيم العروبة العملاق فطن طنين البعوضة ، ثم اشتد واحتد فنق نفيق الضفدع ، ولكنه لم يستطع أبدا أن يخور خوار الثور، ولا أن يزأر زئير الأسد ،

من أين ينفق (عاهل) الاردن على لياليه الحمر ، وعلى عشيقاته الشقر والسمر ؟ .

ومن أين يأتيه المال الذى يصبه صبا فى خزائن البنوك المأمونة ، ويشترى به الحرس الخاص من البدو الجياع ؟ من ثمن ما باع من استقلال الأردن ، وما خان من أمانة فلسطين ، وما أوهن من وحدة العرب ، وما نبح (فى الهواء) على عبدالناصر ، ولكن الليالى الحمر لن تعصمه من الأيام السود حين تقبل ، والحرس البدوى الحافى لن ينقذه من براثن الشعب ساعة يغضب ، والأموال المهربة إلى أوربا لن تفديه من المنون يوم تغول .

* * *

هؤلاء الفجار الثلاثة هم الأثافى الثلاث فى مطبخ الاستعمار . ركب عليهم قدوره الضخام وجعل فى بعضها الدسم وفى بعضها السم ، فتدسم قوم وتسمم آخرون ، وبات الأبرار الأحرار على الطوى حتى نالوا بصبرهم وجهادهم كريم المأكل .

فأما ثالثة الأثافى فقد أطاحتها ريح ثورتنا المباركة ، وأما الأثفيتان الأخريان فلا تزالان تحاولان حمل القدور وإشعال التنور وتوزيع الطعوم والأطعمة ، ولكنهما ظلتا باردتين على الرغم من الوقود الجزل بالجنيه والدولار ، وعما قريب تسحقهما أقدام الثوار فتذروهما الرياح مع الاستعمار . .

أحمد حسن الزيات

الشورى فى الإسلام

لإمام المسلمين الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

بزغت شمس الإسلام وسطع نوره فتيقظ الإنسان، واندكت صروح الطغيان واطمأنت النفوس إلى دعوة الإخاء والمحبة والسلام. إذ كان المبدأ الأول من مبادئ الدين أن الناس جميعا لهم رب واحد: هو الخالق والرازق وهو الذى بيده الأمر كله فلا خضوع إلا له ولا معبود إلا هو: «يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم»، «وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم».

ثم كان مما قرره وأكد تقريره أن الناس لا يتفاوتون فى أصلهم ولا يختلفون فى نشأتهم، بل إنهم متساوون فى بدء الخلق ولم يجعلوا شعوبا وقبائل للتفاضل والتنافر، ولكن للتعارف والتعاون: «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم». فلم يفرق الدين بين فقير وغنى، ولا بين جنس وجنس، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب، ولا فضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أبيض، إلا بما يقدم من عمل صالح يراقب فيه ربه ويساعد به مجتمعه.

أساس الترابط بين المسلمين:

لقد جعل الإسلام أساس الترابط بين المسلمين وحدة العقيدة ووحدة الاتجاه فلم ينظر إلى وحدة المكان أو وحدة الجنس أو إلى وحدة تلك الوحدات البشرية التى يحارب الناس بعضهم بعضا من أجلها فقد قرر فى وضوح وصراحة أن الأخوة أساسها الإيمان ودعا إلى الاعتصام بحبل الله ونهى عن التفرق: «إنما المؤمنون إخوة»، «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا». وامتن عليهم بتأليف القلوب وإنقاذهم من الوقوع فى نار العداوة والبغضاء التى كادت تقضى عليهم: «واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها».

إن هذه الأخوة الإسلامية ربطت بين قلوب المسلمين فأصبحوا أسرة واحدة كبرى وإن بعدت الدار، أو اختلفت الأقطار يفرح المسلم لفرح أخيه ويحزن لحزنه ويمد إليه يد المعونة عند الحاجة، يرشده إذا غوى، ويهديه

إذا ضل، ويرحمه إذا ضعف، ويعامله بما يحب أن يعامل به، ويحفظه في ماله وعرضه وولده غائبا وحاضراً. وإن أروع مثل في سمو الأخوة الإسلامية موقف الأنصار مع المهاجرين عند مقدمهم إلى المدينة إذ آثرهم الأنصار على أنفسهم وسجل القرآن هذا الإيثار الكريم بقوله تعالى: «يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة».

الشورى الإسلامية:

إن المجتمع الإسلامي يقوم على أسس قوية سليمة إذ يرتبط أفراده ارتباطا لا انفصام له باعترافهم بالله رب العالمين وبالأخوة في الإيمان وبوحدة الغاية في نشر الإسلام وبوحدة التكاليف إذ لا اختيار ولا امتياز لأحد في هذه التكاليف لا فرق في ذلك بين الرسول عليه السلام أو الخليفة وأصغر المؤمنين شأنا، ثم يرتبطون بمسئولية عامة عن سلامة الدين وسلامة الفرد والجماعة.

ومن هنا خوطبوا جميعا بتكاليف الله إيجابا وسلبا: «يأيها الناس اعبدوا ربكم»، «يأيها الذين آمنوا اتقوا الله»، «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا». وقد شمل هذا الخطاب التكاليف الفردية والجماعية فكان دليلا على مسئولية الجماعة الإسلامية عن كل شئونها وإذا كانت كذلك وجب أن تكون في يدها جميع سلطاتها، فقد استخلفها الله في أرضه لعمارتها وإقامة أحكامه فيها.

وحيث إن هذه الجماعة الإسلامية لا تستطيع - مجتمعة - مباشرة سلطانها كان من حقها أن تختار من ينوب عنها في مباشرة تلك السلطات - فرداً أو جماعة - وهذا الاختيار يجب أن يكون عن رضا وأن تراعى فيه المصلحة العامة ويظل تحت رقابتها لأنه وكيل عنها يخضع لما يخضع له الوكيل في سائر العقود من رقابة الأصيل الذي يرسم له كل تصرفاته وهذا ما يسمى بالبيعة ولابد أن تكون على كتاب الله وسنة رسوله وصالح المؤمنين.

ومن هنا نرى أن المسلم له الحق في الإشراف على شئون المجتمع ومراقبة حكامه ؛ لأنه مسئول عن نفسه وعن الجماعة التي هو لبنة في صرحها: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته). ثم الدولة الإسلامية لابد أن تعمل على إسعاد الفرد ومساعدته ليعيش عيشة كريمة وتحفظ حياته وماله وحريته ؛ حتى يتمكن من أداء واجباته العامة فإن منعته الدولة حقوقه وحرمته حريته بلا مبرر شرعي فلا طاعة لها عليه.

الشورى:

وإذا كان الحاكم وكيلا عن الأمة، ومن حقها أن تراقبه في تصرفاته الخاصة والعامة، كان لزاما عليه أن يستعين بذوي الرأي من

تعرفهم الأمة بآثارهم وتمنحهم ثقتها وتنيبهم عنها فى نظمها وتشريعها والهيمنة على حياتها وسياسة أمورها التى لم يرد فيها نص سماوى حاسم وهؤلاء هم « أهل الإجماع » الذين يكون اتفاقهم حجة يجب النزول عليها والعمل بمقتضاها ما دام الشأن هو الشأن والمصلحة هى المصلحة ، فإذا تغير وجه المصلحة بتغير المقتضيات كان عليهم أو على من يخلفهم إعادة النظر على ضوء ما حدث من أمور وحل الاتفاق اللاحق محل الاتفاق السابق .

ومعرفة رأى أولئك الذين اختارتهم الأمة والسير على هديه أصل من الأصول التى تقوم عليه الدولة الإسلامية وهو المسمى « بالشورى » ويعرفه الناس الآن بكلمة الديمقراطية : وهى أساس الحكم الصالح وهى السبيل إلى تبين الحق ومعرفة الآراء الناضجة وقد جعلها القرآن عنصراً من العناصر التى تقوم عليها الدولة الإسلامية ، وفى كتاب الله سورة عرفت باسم « سورة الشورى » لأنها تقرر أن الشورى عنصر من عناصر الشخصية الإيمانية الحقة . وحسن التضامن بالشورى ، والإنفاق فى سبيل الله سبيل الانتصار على البغى والعدوان وذلك كما فى قوله تعالى فى تلك السورة : « وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون » . وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فيما يطرأ من شئون ربطا للقلوب وتقريراً لما يجب أن يكون عليه المؤمنون من حسن التضامن فى سياسة الأمور ، وذلك فى قوله من سورة آل عمران : « وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله » وإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان كثيراً ما يشاور أصحابه فيما لم ينزل عليه فيه الوحى ، وكان بعض الأحيان يعدل عن رأيه ويأخذ برأى الصحابة .

ومن بعد الرسول صلى الله عليه وسلم خلفاؤه رضوان الله عليهم ، فإنهم أخذوا بمبدأ الشورى لإيمانهم بأنها أصل فى إدارة الجماعة الإسلامية . وتحرى الحق الموافق للمصلحة من ألزم الواجبات على صاحب الأمر . وإن عمر كان يجمع كبار الصحابة لأخذ رأيهم بل كان يمنعهم من الخروج من المدينة لمكان حاجته إلى استشارتهم .

على أن الشورى لم يضع لها الإسلام نظاما خاصا وإنما هو النظام الفطرى وذلك لأنها من الشئون التى تتغير فيها وجهة النظر بتغير الأجيال والتقدم البشرى ، فلو وضع نظام خاص فى عهد الرسول لأصبح أصلا لا يحيد عنه أحد وفى ذلك من الحرج والضيق ما فيه ، فالشورى من الأمور التى تركت نظمها دون تحديد ، رحمة بالناس غير نسيان توسعة عليهم وتمكينا لهم من اختيار ما يتاح للعقول وتدركه البشرية الناضجة .

والقرآن حين قرر مبدأ الشورى قضى على أكبر أعداء الإنسانية الفاضلة ومبيدها وهو: (الاستبداد بالحكم والرأى) وحقق للفرد وجوده الفكرى، وللجماعة حقها الطبيعى فى تدبير شئونها. على أن من مقومات الشورى الحرية التامة فى إبداء الرأى ما لم تمس أصلا من أصول العقيدة أو العبادة.

وقد أورد القرآن المصادر التى يجب على المؤمنين اتباع الأحكام والنظم والأوامر الصادرة عنها فى قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم»، وليس أولو الأمر هم الأمراء والحكام فحسب كيفما كان شأنهم. وليس أولو الأمر أولئك المعروفين فى الفقه الإسلامى باسم (الفقهاء أو المجتهدين) فإنهم — مع تقديرنا لهم ـ لا تعدو معرفتهم ما تعمقوا دراسته من الفقه والعلوم المتصلة به، وليست لهم صلة بأمور الحرب والسلم أو الزراعة والصناعة والإدارة والسياسة.

وإذا كانت جوانب الحياة متعددة ومطالبها مختلفة فإن لكل جانب رجالا ولكل مطلب وسيلته التى يعرفها أهله ولذا يكون المقصود من قوله تعالى: «وأولى الأمر»، هؤلاء الذين عركتهم الحياة وصقلتهم التجارب فأصبحت لهم خبرة خاصة متصلة بما يعملون وتكون طاعتهم هى الأخذ بما يتفقون عليه فى المسألة ذات النظر والاجتهاد أو بما يترجح عن طريق الأغلبية أو قوة البرهان.

والشورى لا تؤتى ثمرتها ما لم تكن أمرا ثابتا مقررا مأمورا به كحق للأمة تأخذه، وهو واجب عليها تأثم جميعها بتركه، ولابد من أثرها العملى فى الحكم وسياسة الجماعة.

وإذن فالشورى التى تنسج خيوطها بكثرة العدد، أو عن طريق الإغراء والإرهاب، لاوزن لها عند الله. والشورى التى تجعل من الفرد مفسدا، أو الفرد حاكما بأمره فى الأمة، لاوزن لها عند الله. والشورى التى لا تساعد المخلصين على إبداء آرائهم والكشف عن عبث العابثين وفساد المفسدين لاقيمة لها عند الله. والشورى التى يلبس فيها المنافقون مسوح الصدق والإخلاص، ويكتمون عن الحاكم المخلص النصيحة الخالصة لاقيمة لها عند الله.

ولقد طبق المسلمون الأولون مبدأ الشورى فى حياتهم وسادت الديمقراطية بينهم فكانت لهم العزة ولم يكن لعدوهم سلطان عليهم وحققوا وصف الله لهم فى قوله تعالى: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا». وفق الله الخلف ليسيروا على منهج السلف.

والله الموفق والمستعان.

محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر

أوزان الشعر العربى

للأستاذ عباس محمود العقاد

نشأت دعوة النظر فى تعديل أوزان الشعر العربى والاستغناء عن القافية بعد اطلاع قراء العربية على تاريخ الأدب المقارن بين اللغات وابتداء حركة الترجمة من اللغات الأوربية . عند منتصف القرن التاسع عشر .

فنى تلك الفترة كثرت المقارنة بين موضوعات الشعر فى لغات الغرب وموضوعاته فى لغتنا العربية . وقيل: إن المسرحية الشعرية ومعها ملاحم الأبطال والأرباب قد ظهرت فى اللغات الأوربية القديمة والحديثة ولم تظهر عندنا قديما أو حديثا لسهولة النظم فى تلك اللغات وصعوبة النظم فى اللغة العربية مع التزام القافية وأوزان العروض .

وقامت الدعوة - كما رأينا - على فكرة متعجلة خاطئة ، لأن الاختلاف بين منظوماتهم ومنظوماتنا إنما جاء من اختلاف الأحوال الاجتماعية والنفسية ولم يجئ من اختلاف أوزان العروض . وإنما المألوف أن يتولد الشعر على حسب الحاجة إليه من دواعى التقاليد والعادات وأصول العبادة والعلاقات بين الناس . وليس المألوف أن تنتظر الأمم حتى يتيسر لشعرائها النظم على الأوزان التى يستطيعونها ثم تبنى شعائرها وعباداتها على تلك المنظومات . وقد كانت المسرحية الشعرية وليدة الشعائر المقدسة فى مراسم الهياكل كما يؤخذ من اسم «التراجيدى» الذى اشتقوه من كلمتين وهما كلمة تراجوس Tragos بمعنى المعزة وكلمة (أود) Ode بمعنى الأنشودة ، لأنهم كانوا يحيون مراسم التمثيل فى الهيكل بعد التضحية بمعزة ينحرونها تقربا إلى الأرباب واستنزالا للوحى والنبوءة على ألسنة الكهان .

ولو كانت للعرب شعائر تمثيلية كهذه الشعائر لوجدت عندهم المسرحية الشعرية بقافية أو بغير قافية ، أو وجدت مسجوعة تارة ومرسلة تارة أخرى على وتيرة واحدة يرددها الكهان وأصحاب القرابين .

ومن المحقق - كذلك - أن المسرحية الشعرية لم تكن لتوجد فى الغرب على صورتها الأولى أو على صورها الحديثة لو لم يتطلبها العرف الدينى ولم يألفها جمهرة الناس فى مراسم العبادة ، ولو كان نظمها من أسهل المطالب الفنية خلوا من كل قاعدة مرعية فى أشعار الأمم بل فى كلامها المنثور .

على أن خطأ الدعوة إلى الاستغناء عن القافية وتعديل أوزان العروض ظاهر لمن يكلف نفسه قليلا من البحث فى حقيقة الصعوبة التى يتوهمونها للأوزان العربية ويحسبونها حائلا

دون الشاعر وما يختاره من موضوعات النظم، على اختلافها بين آدابنا وآداب الأمم الغربية.

فإن أوزان العروض العربية على إحكامها وإتقانها سهلة الأداء قابلة للتوسع والتنويع إلى الغاية المطلوبة في كل موضوع يتناوله الشعراء.

وتتبين هذه السهولة من مراجعة التاريخ كما تتبين من مراجعة التطور الأدبي في العصر الحديث منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى أواسط هذا القرن العشرين.

فقد اختار شعراء اللغات الفارسية والعبرية والأوردية أن ينظموا بلغاتهم في أوزان العروض العربية وفضلوها على أوزانهم القديمة؛ لأنها أسهل منها وأجمل في موقعها من الأسماع والنفوس.

وقد رأينا أن شعراء العامة لم يتعذر عليهم أن ينظموا الملاحم أو يتخللوها بالقصائد الموزونة المقفاة في القصص المطولة من قبيل قصص الزير سالم والغزوات الهلالية وأخبار النبي أيوب عليه السلام وحكايات البطولة والغرام في اللهجات الدارجة، وكلها تنظم في بحور العروض وتلتزم فيها القافية، ويقدر عليها شعراء أميون لم يدرسوا الأدب ولم يتعلموا وزن الشعر ولم يرجعوا في منظوماتهم وموضوعاتهم إلى غير السليقة والسماع.

ولو جمعت أناشيد الأعراس والمآتم التي تنظم على الوزن وتلتزم فيها القافية لامتلأت بها المجلدات وظهر أنها جميعها أو أكثرها من نظم النائحات الجاهلات في القرى الريفية التي لا تتلقى أناشيدها من معلمي الآداب أو أساتذة العروض.

وقد نظمت المسرحيات وترجمت الإلياذة وغيرها من أشعار الملاحم فاتسع لها الشعر العربي بعروضه وقوافيه، لم يكن نقص الترجمة - حيث يوجد النقص - راجعا إلى عيب في أوزاننا وقواعد عروضنا كما توهم المتعجلون من نقاد هذه الأوزان والقواعد ولكنه كان شبيها بالنقص الذي يعرض للشعر المترجم من لغة إلى لغة ولو ترجم من اليونانية إلى الانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية؛ وكلها تجري على قواعد متشابهة في الأوزان. وفي الاستغناء عن القافية أو التزامها حيث يلتزمونها من أناشيد الرقص والغناء.

والثابت من تجربة الناظرين في تعديل الأوزان منذ ستين سنة أن إلغاء القافية كل الإلغاء يفسد الشعر العربي ولا تدعو إليه الحاجة؛ وهي تجربة اشترك فيها ثلاثة من أعلام الأدب العربي الحديث في القاهرة وبغداد والإسكندرية وهم. توفيق البكري وجميل صدقي الزهاوي وعبد الرحمن شكري وهم من أقدر أدباء عصرهم على الموازنة بين محاسن النظم في اللغة العربية وبعض

اللغات الشرقية والغربية . ومنهم من كان يقرأ الشعر بالتركية والفارسية عدا ما يعلمه من أشعار الإفرنج المحدثين والأقدمين .

تناول الشارحان لكتاب صهاريج اللؤلؤ موضوع القافية العربية وصعوبتها . وهما : الأستاذ أمين الشنقيطي ، وأبو بكر المنفلوطي فقالا في التمهيد لقصيدة ذات القوافي :

« أما العرب فقد جعلوا القافية واحدة فأصبحت الإجادة في الشعر عندهم أو البلوغ به إلى التعبير عن المقاصد المختلفة من أصعب الأمور ... وللعرب نوع من نظم الشعر يشابه ما قلناه عن شعر العجم وهو النوع المسمى بالمسمط ... وهو ما قفي أرباع بيوته وسمط في قافية مخالفة ... والرجز أيضا من هذا القبيل . وقد أراد المؤلف - حفظه الله - بهذه القصيدة التي أسماها بذات القوافي إيجاد مثال للشعر المتعدد القوافي في العربية وفك هذا القيد الشديد المانع للشعر من الارتقاء » .

وهذا رأي أديب يجاري القائلين بصعوبة القافية العربية على رأيهم ويذلل هذه الصعوبة بتعديد القافية في القصيدة الواحدة .

أما جميل صدقي الزهاوي فقد عالج النظم بغير قافية وترك لنا قصائد مطلقة ولكنها على أوزان العروض . كقوله في واحدة منها :

يعيش رخي العيش عشر من الورى
وتسعة أعشار الأنام مناكيد
أما في بني الأرض العريضة قادر
يخفف ويلات الحياة قليلا
أفي الحق أن البعض يشبع بطنه
وأن بطون الأكثرين تجوع

ولكنه أراد أن يبرئ ذمته ويكل الأمر إلى حكم التاريخ فأبقى هذه التجربة تمضي في طريقها حيث يستقر بها قرارها وقال في مقدمة الديوان : « ولا أرى مانعا من تغيير القافية بعد كل بضعة أبيات من القصيدة عند الانتقال من فصل إلى آخر ، كما فعلت في عدة قصائد ، لا دفعا للملل السامع من سماع القافية الواحدة في كل بيت كما يدعى بعضهم . فتلك حجة من يعجز عن إجادتها وإلا لمل الناظر وجوه الناس لوجود أنف بارز في وسط كل وجه ، بل إراحة للشاعر من كد الذهن لوجدانها ، فإن الإتيان بها متمكنة ليس في قدرة كل شاعر . وأجيز للشاعر أن ينظم على أي وزن شاء ، سواء كان من أوزان الخليل أو غيره » .

وهذه وجهة نظر أخرى لعلاج هذه الصعوبة ، وهي وجهة نظر الشاعر الذي يرى أنه يتورط في اختيار القوافي القلقة إذا أطال النظم على قافية واحدة ، ويرى أن يخرج من هذه الورطة بالوقوف عند الحد الذي تنتهي عنده قدرته على القافية المتمكنة والاحتيال على ذلك بتغيير القافية من فصل إلى فصل في القصيدة الواحدة ، ولا ضرورة عنده لإلغاء القافية كل الإلغاء . ولا لإطلاق

الشعر من أوزان العروض ، وإن جاز عنده أن ينظم على غير الأوزان التى أحصاها الخليل .

أما عبد الرحمن شكرى فمن أمثلة شعره المرسل قوله :

خليلى والإخاء إلى صفاء
إذا لم يغذه الشوق الصحيح
يقولون الصحاب ثمار صدق
وقد تبلو المرارة فى الثمار
شكوت إلى الزمان بنى إخائى
فجاء بك الزمان كما أريد

ومن أمثلته قوله فى نظم القصة من قصيدة نابليون والساحر المصرى :

خرج العظيم يخط فى ترب العرا
خط المدلس فى تراب الطالع
يمشى وحيداً فى الخلاء وحوله
جيش من الآراء والعزمات

إلى آخر القصيدة التى ينفرد فيها كل بيت بقافية ، ولا يخفى على ناظمها موضع الضعف فيها من الوجهة الموسيقية - وهى قوام فن الشعر - ولكنه كان يعتقد أن مصير الحكم فى ذلك لألفة السماع ، ويترك الحكم الأخير لصقل الأسماع كما قال أبو العلاء ، ثم يقرن هذا التصرف المطلق فى القافية بالتصرف المحدود فى الرباعيات والمزدوجات ، أو المقطوعات من فصول متعددة تتغير قافيتها بعد عشرة أبيات أو اثنى عشر بيتا ، أو ما شاء الشاعر من تقسيم الفصول على حسب الأبيات .

وخلاصة التجارب الواقعية - فى الزمنين القديم والحديث - أن القافية لم تكن سببا لاختفاء المسرحية الشعرية من الأدب العربى القديم ، ولم تحل فى الزمن الحديث دون ترجمة الملاحم أو وضع الروايات المسرحية فى شتى الموضوعات من حوادث الحاضر أو حوادث التاريخ ، وأن كل صعوبة تعزى إلى القافية العربية لم تكن لتعجز العامة الجهلاء عن نظم الملاحم والقصص ونظم الأمثال والعبر على الأسلوب الذى يتداولها جمهرة الأميين ، فضلا عن الشعراء والدارسين .

فإذا تجددت الدعوة الى النظر فى القوافى والأعاريض فالذين يطلبون إلغاءها يثبتون بذلك عجزهم عن مزاولة النظم الذى يستطيعه العامة والأميون ، ولا خير للآداب العربية فى عمل فنى يتصدى له من لا يقدرون عليه ومن لم يخلقوا له ومن ليس عندهم فيه استعداد فطرى يضارع استعداد شعراء الربابة وناظمى القصص الهلالية وما إليها .

فإن لم يكن طالب القضاء على فن العروض العربى عاجزا هذا العجز المعيب فى مقاصده الفنية فهو طالب هدم صريح لغرض غير صريح ولكنه كذلك غير مجهول ، لأنه يلحق فى هذا العصر بمن يهدمون كل تراث ويقتلعون كل أساس ولا يقنعون بشىء دون فوضى الآداب والعقائد والأخلاق ؟

عباس محمود العقاد

الاستعمار فى الشرق الأوسط

للأستاذ الدكتور محمد البهى

١ - الاستعمار فى الشرق الأوسط له صور مختلفة ، وإن كانت غايته واحدة : هى تفتيت الوحدة فى كل شعب ، أو خلق نزاع أساسى بين شعب وآخر . وهو وإن ظهر سافراً منذ بداية القرن التاسع عشر إلا أن محاولات تركيزه فى منطقة الشرق الأوسط كانت جدية ومتكررة فى القرن السابق على القرن الذى ظهر فيه ظهوراً واضحاً ، وهو القرن السابع عشر .

وأولى صور هذا الاستعمار تتمثل فى رأس المال وسيطرته عن طريق إقامة الشركات ، أو طريق التجارة ، أو طريق القروض . فإذا استقر رأس المال الأجنبى فى بلد من بلدان الشرق الأوسط صحب استقراره هذا نفوذ سياسى وتدخل فى شئون الحكم ، ثم تبع هذا وذاك احتلال عسكرى . والاحتلال العسكرى للهند سنة ١٨٥٦ ، وكذلك الاحتلال العسكرى الآخر لمصر سنة ١٨٨٢ ، سبقته هنا وهناك سيطرة رأس المال الأجنبى ، وتدخل سياسى ، ونفوذ فى توجيه الحكم من قبل أصحاب رأس المال .

وكذلك الشأن فى احتلال أندونيسيا احتلالا عسكرياً وفى شمال إفريقيا من المغرب إلى ليبيا .

ولكى تضمن الدول المستعمرة استمرارها فى استغلال الخامات الأولية التى تحتاج إليها فى اقتصادها القومى ، وفى استغلال الطاقات البشرية بأجور زهيدة فى تمكين حصولها على تلك الخامات ، وفى استغلال أسواق لاستهلاك مصنوعاتها فى البلد الذى تستعمره - تعمد هذه الدول المستعمرة إلى نوع آخر من الاستعمار هو أبقى زمنا ، وأعمق جذوراً ، وأشد فاعلية من أى نوع آخر سواء فى تمكين المستعمر من أهدافه ، أو فى إضعاف الشعب المستغل المستعمر ، ذلك النوع : هو الاستعمار فى التوجيه .

الاستعمار فى التوجيه :

هذا النوع يصل به المستعمر إلى مقومات الشعب وتراثه الفكرى والروحى . يصل به إلى تاريخه وإلى لغته . يصل به إلى امتداد فى الماضى ، وإلى أسسه التى يقوم عليها مجتمعه . فيضعف صلة الأجيال القادمة بما

كان لآبائها من تراث ، ومن قيم ، ومن أسس فى بناء مجتمعها ، وبما لها من فن ولغة . حتى تنسى هذا الماضى وتلك القيم . وكثيراً ما تخجل من الانتساب إلى ماضيها ، أو التحدث عن قيمها ، أو التكلم بلغتها ، فضلا عن أن تعنى بذلك كله .

هنا ، يرغب المستعمر فيما له من وضع اجتماعى ، وأسلوب فى الحياة ، وطريقة فى التفكير . كما يرغب فى لغته وآدابه وفنه . وبما أنه توجد عادة فجوة بين الدول المستعمرة والشعوب التى تستعمرها فى المستوى الاقتصادى للحياة ، وفى مستوى المعيشة للأفراد - يتخذ المستعمر من هذه الفجوة دليلا على ارتفاع قيمته فى الإنسانية من جانب ، وعلى خفض قيمة الإنسانية للشعوب المستعمرة من جانب آخر . وبذلك يخلق فى نفوس الشعوب المستعمرة ميلا إلى التقليد ، ورغبة فى التخلص من وضعها القائم . وهذا بدوره يرتبط فى نفوس هذه الشعوب المستعمرة بماضيها ، وبما كان لها فيه من تراث وقيم . فإن نظرت إلى هذا الماضى نظرت إليه نظرة استخفاف ، أو نظرت إليه على أنه كان سبب تخلفها عن مستوى حياة المستعمر ، ومستوى معيشته .

ومثل ذلك ما يحدث اليوم من تأثير الدول الصناعية الكبرى على الشعوب المتخلفة فى الصناعة ، فهذه الشعوب المتخلفة يعتقد كثير من أفرادها أن الدول الصناعية الكبرى متفوقة فى الإنسانية لتفوقها فى الحضارة الصناعية . ولذلك تسعى من جانبها إلى أن تقبل قيمها ومثلها فى الحياة ، أو على الأقل - إن لم تسع إلى ذلك - فهى على استعداد لتقبله . وليس هناك من عامل مغر يدفعها إلى تقبل ذلك سوى تلك الفجوة فى مستوى الحضارة الصناعية بين الفريقين . فبين الشعوب الإفريقية والآسيوية أفراد كثيرون يتأثرون مرة بالحضارة الأمريكية فيقبلون على قيم الحياة الإنسانية فيها ، ويتأثرون مرة ثانية بالصناعة الروسية فيقبلون على قيم الحياة الإنسانية فيها . وهم لم يقبلوا على هذه أو تلك لأنهم أدركوها إدراكا واضحاً ، وإنما وقعوا تحت التأثر بالحضارة الصناعية هنا أو هناك ؛ إذ لو أنهم تريثوا قليلا ، وفحصوا قيم الحياة فى النطاق الغربى ، أو النطاق الشرقى ، لخرجوا حتما بهذه النتيجة ، وهى : أنه لا يلزم من ارتفاع مستوى الحضارة الصناعية ارتفاع القيم الإنسانية . فالقيم الإنسانية تتبع تهذيب الإنسان وسلوكه الخلقى فى علاقته بإنسان آخر ، وفى ارتباطه به ارتباط المتعاون ، أو المتآخى ، أو المحب . بينما ارتفاع مستوى الحضارة الصناعية يرجع إلى الآلة ودقتها ، وإلى الإنتاج الصناعى وسعته . نعم ، وراء الآلة ، ووراء سعة الإنتاج تدبير عقل ، ولكنه

ليس بلازم أن يكون وراءه إيمان قلب بمحبة لإنسان آخر ، وليس بلازم كذلك أن يكون وراءه سلوك مهذب . وهو السلوك الذى لا تطغى عليه الأنانية وحب الذات .

وعادة الشعوب فى تأثرها بإغراء الغير ، وبدفعها من طريق غير مباشر إلى ترك ماضيها وإهماله والانتقال إلى حديث جديد عليها - أن أفرادها لا يتأثرون بدرجة واحدة بهذا الإغراء والدفع . بل فيهم من ينزع إلى قبول الإغراء ، ويتحرك فى غير احتياط فى اتجاه الدفع . وفيهم فى مقابل ذلك من يبطئ فى القبول أو الحركة ، أو يجمد بحيث تبدو معارضته للإغراء ، ويبدو عدم تأثره فى الدفع .

وإذا كان هذا من عادة الشعوب ، وإذا كان هذا قانونا لا تتخلف عنه جماعة إنسانية . فإن الشعوب التى تستعمر فى صلتها بإغراء المستعمر إياها على ترك ماضيها وقبول جديدها لا تبقى على وحدة فيما بين أفرادها . بل تصبح شيعا وطوائف : شيعة للقديم ، وأخرى للجديد . طائفة رجعية ، وأخرى متطورة . وشيعة القديم هى التى تتمسك بالتراث الماضى وبقيمه ، وبلغة المجتمع الذى تعيش فيه . وشيعة الحديث هى التى تسعى أو تسرع إلى قبول الإغراء بالجديد . وبقدر ما تسرع إلى قبول الإغراء بالجديد ، بقدر ما تنفر من الماضى والنظر إليه . والطائفة الرجعية هى التى تقف عند الماضى فلا تفرط فيه . والطائفة المتطورة هى التى تصوغ من نفسها صورة تلائم بها وضعها مع ما يدعو إليه الجديد ، وتدفع إليه عوامل الإغراء .

وإذا انقسم الشعب المستعمر على هذا النحو إلى طائفتين وشيعتين ، تحقق بهذا الانقسام مجال للكفاح بين طائفتيه ، إحداهما ضد الأخرى . وهنا يبدأ المستعمر فى نصرة طائفة على أخرى توسيعا للفجوة بينهما ، ودفعا إلى استمرار الكفاح الطائفى . فيقرب طائفة ويبعد أخرى . وهو إذ يقرب طائفة يقربها على أساس أنها هى التى يعتمد عليها فى تنفيذ سياسته الاستعمارية . وإذ يبعد أخرى يبعدها على أساس أنها لا تصلح للحياة الجديدة المستحدثة .

وبقدر ما يدعو المستعمر - ويجد صدى لدعوته بين الطائفة التى يعتمد عليها - إلى لغته ، بقدر ما تهجر هذه الطائفة لغتها الموروثة ، وتعتمد فى حياتها إما على تلك اللغة الجديدة ، أو على لهجة متخلفة عن لغتها القديمة . وهذا بدوره يؤدى من جانب آخر إلى إضعاف الصلة بين الأجيال التى تنشأ وتنمو فى ظل الاستعمار ، وبين اللغة الموروثة ، بحيث تفقد هذه اللغة خصيصتها من كونها منفذا يطل منه الجيل الناشئ على ماضيه ؛ لأنها لم تعد وسيلة

صالحة له . إذ صلاحية أية وسيلة بالنسبة لإنسان ما ، هى إمكانه أن ينتفع بها .

ولا يقف المستعمر عند هذا الوضع من تفتيت الشعب الذى يستعمره إلى طائفتى القديم والجديد ، وعند هذا الحد فى خلقه مجال الكفاح بينهما ، ودفعهما إلى الاستمرار فيه - بل يفتش عن أسباب أخرى تزيد فى الانقسام والتفتيت : يفتش عن المذاهب التى يتمذهب بها الشعب فى العقيدة ، ويفتش عن الأصول التى يرجع وينتسب إليها ، ويفتش عن الحضارات المتعاقبة التى تعاقبت عليه ، ثم يحيى ويذكى الميل إلى العصبية المذهبية ، والعصبية الشعوبية ، والعصبية الحضارية . ولذا نراه فى الإقليم الجنوبى - بجانب ماكان يشجع من استخدام العامية ، والاستخفاف بالفصحى ، وبجانب ماكان يمجد من شأن التعليم المدنى ، ويسخر من شأن تعليم الأزهر - كان يعمل على بعث العصبية الفرعونية والغض من الميل إلى العربية . وفى الإقليم الشمالى لم يهدأ فى العمل على بعث العصبية الأشورية ، بجانب إذكائها بين الطوائف الإسلامية وبينها جميعا وبين الطوائف الأخرى .

وعلى هذا النحو كان يثير الفرقة على أساس مذهبى وشعوبى فى العراق : بين السنة والشيعة وبين العرب والكرد . وكذا فى شمال إفريقيا بين السنية والأباضية فى ليبيا ، وبين العرب والبربر فى المغرب والجزائر ، وكذلك الأمر فى السودان بين المهدية والختمية ، وبين الشمال والجنوب .

فإذا أدرك المستعمر أن الشعوب التى يحتلها تيقظت لعوامل الفرقة هذه ، وتيقظت لأساليبه فى بعث العصبيات المختلفة ، وعملت على إضعافها أو تلاشيها بقوة الوعى إلى الروابط التى تربطها ، كرابطة القوميةالعربية فى محيط الشعب العربى ، أو رابطة الدعوة إلى الإسلام كأساس للحياة كما فى باكستان - أوجد المستعمر من المشاكل ما يستنفد قسطا كبيراً من النشاط السياسى والاقتصادى ، وما يشكل خطراً على كيان الشعب الذى حاول أن يدفع بالاستعمار إلى ما وراء حدوده . كما نراه هنا فى منطقتنا العربية قد أوجد مشكلة إسرائيل ، وفى منطقة آسيا الوسطى قد أوجد مشكلة كشمير .

فإسرائيل لم توجد لتكون أمة ودولة ، وإنما لتكون مصدر تهديد دائم للعرب إذا ما سعوا إلى رفع وصاية الغرب والتخلص من نفوذه السياسى والاقتصادى . لأن مصلحة اليهود أنفسهم - وهى مصلحة مادية تتمثل فى استغلال رءوس الأموال - تدعوهم إلى أن يعيشوا متفرقين فى أمم عديدة

كى يتمكنوا من استغلال رءوس أموالهم فى القطاعات المختلفة فى تلك الأمم. وليس لليهود مصالح أخرى وراء استغلال رأس المال، وأيسر الوسائل لاستغلال رءوس الأموال هو عدم تركيزها فى رقعة ضيقة من الأرض، وعدم حبسها فى خدمة بضعة ملايين. وتاريخ اليهود، والخصائص النفسية التى تسيطر على طبائعهم، تعلن فى غير لبس أنهم لا يهتمون بسيادة الدولة، وبما لها من قوة وكيان، بقدر ما يهتمون بربا المال وهو الحصول على ربح كثير لقاء مجهود قليل غير شاق.

ولكن الاستعمار هو الذى أراد إسرائيل دولة، ويشجع على بقائها كما شجع على قيامها؛ كى يتخذ منها مصدر تخويف للعرب كلما خالفوا نصحه، ولم يتبعوا مشورته.

دور القومية العربية :

وهنا ندرك دور القومية العربية، وندرك أن أول أثر لهذا الدور، هو أنها نقلت نشاط العرب من مجالات الطائفية المذهبية والشعوبية، ومن نطاق العصبيات لأدوار الحضارات المختلفة، إلى المقومات التى تكون المجتمع العربى، وتجعل منه شخصية متميزة عن شخصيات المجتمعات الأخرى، نقلت هذا النشاط إلى تاريخ العرب أنفسهم كأمة، وإلى ما فيه من أمجاد وبطولات، وإلى تفكير العرب فى تاريخهم الطويل الذى تعبر عنه أوضح تعبير لغتهم الفصحى، وإلى تلك القيم الخالدة، وهى القيم الروحية التى تعبر عنها رسالة السماء، وأن هذا الأثر لدور القومية العربية ليس أثراً هينا. إنه أثر أحيا أمة، وبعث شعبا غير متقطع الأوصال ولا مفرق الهدف، إنه أثر ربط أجزاء الوطن العربى، ومحا معالم الفرقة فيه، والفواصل المفتعلة التى صنعها المستعمر فى أحقاب طويلة من التاريخ.

ولذا فالقومية العربية بالنسبة لنا، كما هى حركة بعث وإحياء، هى عامل فى وصل حاضرنا بماضينا، وفى تمييز شخصيتنا عن شخصية غيرنا إن منطق القومية العربية هو أننا عرب ولسنا طوائف ولا شيعا وأننا عرب فحسب، ولسنا عرب مشرق ولا عرب مغرب، وأن وطننا هو من المحيط إلى الخليج، لا حدود فيه إلا بمقدار ما بين إقليم وإقليم، ورقعة وأخرى.

إن القومية العربية بقدر ما هى مصدر إحياء وبعث وربط واتصال. هى تحديد لاتجاه التفكير، ولأهداف المجتمع، إذا فكرنا فنفكر على أساس من الإيمان بماضينا والإيمان بوجودنا فى حاضرنا، وإذا سعينا فى مجتمعنا فإنما نسعى لنحقق قيمنا التى ارتضيناها، والتى تنبعث من تاريخنا، وهى أن نكون

أمة متماسكة متعاونة ، تحب السلام وتكره الضيم والاعتداء .

وهى أن نكون أمة يختلف أفرادها فى الرأى ولكن تتحد فى أن تظل أمة عربية ذات سيادة ، وذات مثل وقيم .

ونحن إذا أخذنا عن غيرنا فى تفكيرنا ، أو فى حضارتنا ، أو فى أسلوب حياتنا ، فإنما نأخذ ما يعيننا على إنماء ما لنا من تفكير وحضارة وأسلوب ، لا ما يبعدنا عما هو لنا فى ذلك كله .

القومية العربية إذن ، هى الإطار الذى يدور فيه نشاطنا فى كل جانب من جوانب النشاط . هى ليست عاملا من عوامل اليقظة لوجودنا وكياننا فحسب . بل بالإضافة لذلك هى عامل فى تحديد واجباتنا نحو مجتمعنا وحقوقنا فيه ، وعلاقتنا بغيرنا .

إن القومية العربية ليست دعوة شعوبية تميز الشعب العربى عن غيره وتجعل له من المزايا ما يستعلى بها على شعب آخر . ولكنها دعوة للاحتفاظ بمقومات الأمة وخصائصها فى مقابل المجتمعات والشعوب الأخرى ، حتى لا تماع ولا تذوب فى أمة أو فى شعب آخر ، لأنها دعوة إلى الاحتفاظ بمقومات أمة تحمل فى ثناياها الاحتفاظ بالاستقلال فى غير قطيعة للشعوب الأخرى ، والعناية بأمجادنا فى غير زهو وفى غير استخفاف بأمجاد الآخرين وما يتميزون به فى تاريخهم مما يرجع إلى الإسهام فى تحقيق الإنسانية والعمل من أجل الأخوة البشرية .

والقومية العربية إذن مذهب فلسفى وليست لونا من ألوان النشاط السياسى المؤقت . هى مذهب تفكير واتجاه سلوكى فى الوقت نفسه .

وكلما اشتد الوعى بهذا المذهب الفلسفى وتحول إلى إيمان نصدر عنه فى تصرفاتنا وسلوكنا وتوجهنا فى يسر — كلما كانت مقاومتنا للاستعمار فى أية صورة أقوى وأبقى .

ومن هنا ندرك أن صلة القومية العربية بالاستعمار ليست صلة الحليف للحليف وإنما هى صلة المقاوم لاعتداء المعتدى وصلة الدافع لظلم المستغل .

إنه لم يزل فى مجتمعنا وفى حياتنا بعض الرواسب التى خلفها الاستعمار والتى تعد أثراً من آثاره وقد كانت يوما ما غاية من غاياته . وكلما اقتربت النفوس وتآخت ، وكلما صح التعبير باللغة الفصحى ، وكلما ازداد القلب إيمانا بقيمنا الروحية ومثلنا العليا فى الحياة ، كلما خفت هذه الرواسب حتى تتلاشى . وبذلك لا يكون هناك استعمار وإنما يكون هناك استقلال . وليس هذا الاستقلال انفصالية عن البشرية ، وإنما هو فقط حفظ لكيان المجتمع ووجود الأفراد فى غير مهانة ولا مذلة وفى غير ظلم ولا استغلال .؟

الدكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

الكرامة والعزة فى القرآن الكريم

للأستاذ محمد محمد المدنى

– ٣ –

نستمر فى عرض الآيات التى بدأنا الحديث عنها فى العـــدد السابق ، شارحين أهدافها وما توحى به :

٥ – « والليل إذا يغشى . والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى . إن سعيكم لشتى . فأما من أعطى واتقى . وصـــدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى » .

قسم ومقسم عليه ، والذى يهمنا الآن هو المقسم عليه ، فالله سبحانه وتعالى يرشدنا إلى أن النجاح فى الحياة وتيسير الناس فيها لليسرى ، أى للحياة الطيبة المتيسرة السعيدة العزيزة ، مرتبط بأسباب هى :

١) الإعطاء ، أى أن يكون الإنسان معطيا ، واللفظ مطلق فلا يصح أن يقصر على إعطاء المال أو الصدقات ، ولكنه إعطاء لكل ما تستطيع أن تعطيه من مال أو علم أو جهد أو إرشاد أو حب ، فالذى يريد أن تتيسر له حياته فى دنياه وآخرته فليعمل على أن يكون (معطيا) أى نافعا باذلا يشعر منه المجتمع بالانتفاع وبأنه ذو قيمة فعالة مؤثرة ، وليس فقط آخذا منتفعا عالة .

وهـذا يقتضى أن يعمل الإنسان على أن يكون غنيا ليستطيع أن يكون (معطيا) للمال ، وعلى أن يكون عالما ليستطيع أن يكون (معطيا) للعلم ، وعلى أن يكون قوياً ليستطيع أن يعطى من قوته وجهده ، وهكذا يريد القرآن من المؤمن أن يكون قوة فعالة مؤثرة ، لا مجرد شىء قابل متقبل منكمش منتظر ذليل ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا المعنى (اليد العليا خير من اليد السفلى) فقد أثبت لليد المعطى – أى النافع الباذل أيا كان نفعه وبذله – علواً وخيرية ، وجعل اليد الآخذة أدنى حالا ، وأقل منزلة ، وتلك هى لبنات العزة الإسلامية .

٢) والاتقاء : وقد ذكرنا معناه وأنه خلق المراقبة ، والضمير الحى ، فـــلا نعيد القول فيه .

٣) والتصديق بالحسنى ، هذا هو الإيمان النفسى بأن « الحسنى » فى كل شىء هى أساس النجاح والفلاح ، ومن الناس من يكفرون بالمثل ويرونها ضعفا ويستبيحون لأنفسهم الخروج عليها ، بل طعنها وهدمها وتمزيقها ويقولون إن لنا زمانا غير زمان الأولين ، وإن لحياتنا نواميس غير ما كان من نواميسهم فما لنا نرتبط بما كانوا به يرتبطون ، لذلك نراهم متحللين من « الحسنى » غارقين فى « السوءى » يرتكبونها ويحضون على ارتكابها ويريدون أن يقيموا المجتمع على أساس جديد كله مادية وإباحية وإلحاد وزيغ وارتكاب واقتراف ، فهل مثل هؤلاء ينجحون مهما بدا من مظاهر الزبد الجفاء ؟ وهل بمثلهم تنجح أمة أو يسعد مجتمع ، أو تتوطد عزة ؟ . كلا ، فإنها سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا.

والجمل المقابلة لهذه المعانى فى الآيات : « وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى » إلخ ليست فى حاجة إلى الشرح بعد ما ذكرناه .

بيد أنى أعقب بكلمة لا بد منها : ذلك أن كثيرا ممن ينتسبون إلى الإسلام ، ولاسيما فى عصور الضعف والانحلال ، قد فهموا أن الله تعالى يحابى المسلمين ، وأنه يكفى أن يعتقد الإنسان أن الله هو مقسم الأرزاق ، وإنه هو المعز المذل ، وإنه هو الميسر المعسر فمن اعتنق هذه العقيدة نظريا ، فهو مؤمن حقا ، وربما ظن كثير من الناس أيضا أن التيسير والتعسير والإعزاز والإذلال والإغناء والإفقار ، كلها بقضاء وقدر على معنى أنها حظوظ وقسم ، فقد ينجح المقصر ، ويسقط المجتهد ، ويرزق الكسول ويحرم الناشط ، إلى غير ذلك ... نعم إن كل شىء بقضاء وقدر ، ولكن ليس معنى هذا أنه لاسنن للكون ، وليس معنى هذا أن القدرة الإلهية ترتجل ما تفعل ارتجالا ، أو تدبر الكون كما يدبر الصبى لعبته حيثما اتفق ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، ولكن الله ربط بين المسببات والأسباب ، وأجرى الدنيا على سنن ثابتة لا يغيرها لمؤمن ولا لكافر ولا يحابى بها أحدا من خلقه أيا كان ، والناس يأخذون بعضا ويتركون بعضا ، ولو تأملوا لجمعوا واستقصوا ، انظر إليهم يستشهدون بقوله تعالى : « وما النصر إلا من عند الله » على أن الأمر معلق بالمشيئة والمشيئة مطلقة، وهذا له وجه من الصحة ولكن يجب أن يضم إليه أن الله تعالى يقول : « ولينصرن الله من ينصره » ، « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا » ، « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى » ، « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ، فالله يفعل ما يشاء — ما فى ذلك شك — ولكنه لا يشاء إلا ما قضت به سنته ، وقضت به حكمته .

فيجب أن يفهم المسلمون هذا حق الفهم ،

ويجب أن يسيروا فى أعمالهم على مقتضاه وأساسه، ويجب ألا يغتروا بمجرد الانتساب إلى الإسلام، فإن الأرض لله يرثها من يشاء، ولكن من عباده «الصالحين» أى الذين «يصلحون».

٦ ـــ «من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون».

٩٧ / النحل

وهذه الآية الكريمة بقدر ما فيها من إجمال وتركيز فى المنهاج الذى يرشد القرآن الكريم إليه، فيها استيعاب عجيب لجميع أركان هذه السنة الإلهية التى لا تتحول.

فمن ذلك أنها:

أولا: أتت بجملة شرطية هى قوله تعالى «من عمل صالحا»، ولفظ «من» يفيد العموم والاستغراق لجميع أفراد العقلاء، أى لجميع المكلفين المسئولين فى الحياة و«صالحا» فى قوله «من عمل صالحا» جىء به منكرا ليشمل أى صالح يعمل، وإذن فأساس هذه القضية وموضوعها هو عمل الصالحات من أى عامل، لا امتياز فى ذلك لعامل على آخر، ولا اختصاص لنوع من الأعمال الصالحات على غيره، وهذا نطاق واسع يدخل فيه كل الناس، ويتسع لجميع الأعمال النافعة.

ومن هنا ينبغى أن يلتفت إلى أن هذه السنة سنة كونية عامة فى الأفراد وفى الأعمال، نستطيع أن نلمس آثارها فى كل ناحية من نواحى الحياة، فمن التجار مثلا من يعمل فى تجارته الأعمال الصالحة فيؤدى به ذلك إلى النجاح والتركز، والأعمال الصالحة فى دائرة التجارة كل ما يركزها ويثبتها ويحمل الجمهور على تقدير صاحبها والثقة به، فالتاجر الذى يدرس مكان تجارته ونوعها وما يحتاج إليه الناس، والذى يعرف كيف يعامل الجمهور، وكيف يغرس فى نفوسهم الثقة به، وغير ذلك لا بد أن يفلح ولا بد أن يعيش فى ظل تجارته، عيشة طيبة، لأنه عمل صالحا فليس المراد أنه يفتح تجارة كيفما اتفق، ويديرها كيفما اتفق، ويشترى ما يشترى ويبيع ما يبيع كيفما اتفق، وهو يعتقد أنه بذلك قد أخذ فى الأسباب واعتمد على الله، ويكفيه أن يعمل صالحا أى يصلى الصلوات المفروضة، ويؤدى الصدقات ويصوم شهره إلخ فحسب، فهذا من غير شك بعض ما يصلحه ويستقيم به شأنه، ولكنه ليس كل شىء فى تجارته، بل إننا لنجد الأجنبى الذى لا يعرف العبادة، ولا يدين بالصلاة ولا بالصوم ولكنه يعرف كيف يحسن إدارة عمله، وكيف يدرس تجارته والحى الذى يعيش فيه، ووسائل الإعلان

واكتساب الثقة ... إلخ نجد هذا الأجنبي ينجح ويتفوق ويكتسح ، وما ذلك إلا لأنه أعطى عمله ما يجب أن يعطيه إياه ، فهو من الذين يعملون الصالحات فى خصوص نشاطه وسعيه ، فلا بد أن تنطبق عليه سنة الله فى العاملين .

ثانيا : تعمم الآية تعميما آخر فتقول « من ذكر وأنثى » وفى هذا تكريم للإنسان واعتداد بنوعيه ، وإشعار بأن المرأة عضو عامل كأخيها الرجل ، وهى مطالبة بأن تعمل صالحا كما أن الرجل مطالب بذلك ، وهى مطالبة بأن تستهدف بالعمل الصالح الحياة الطيبة العزيزة الكريمة كأخيها الرجل ، وهى موعودة بالجزاء الحسن كما أن الرجل موعود به .

ثالثا : ترى الآية بعد هذا التعميم فى العمل وفى العاملين والعاملات تشترط شرطا فى قبول العمل وترتب الآثار المرجوة منه وحصول الفوز فى الآخرة به ، ذلك هو قوله تعالى « وهو مؤمن » .

وليس الإيمان مجرد الإيمان بالله ، أو بالقضايا الدينية العقيدية ، وإنما يراد مع ذلك الإيمان بالعمل الذى يعمله المرء ، على معنى أن يكون مطمئنا إليه واثقا من أنه صلاح وخير ، وذلك ليعمله مخلصاً فيه صادقا لا متظاهراً ولا مسخراً ولا محاربا لغيره ولا مرائيا ، عندئذ لابد أن يوصله هذا العمل إلى الحياة الطيبة ، وإلى الفوز بالجزاء الحسن ، وإننا لنشاهد بأعيننا فى جميع وجوه العمل فرقا بين صاحب العزيمة الصادقة ، والإيمان الخالص ، وذى الشك المتردد الذى يصانع فى عمله ، ويداجى به فالأول يثمر ويجود ويعرفه الناس بالقوة والأمانة والصدق والتجديد ، فيعلو شأنه ، وينبه فى الناس ذكره ، وينجح النجاح الكامل فى عمله ، فيعيش عيش السعداء الأعزاء ، والآخر لا يثمر إلا ثمرات ضئيلة عليلة ، وتخرج الأعمال من بين يديه غير متقنة ولا جيدة ، ويعرف الناس بذلك فينفضون عنه ، ويتحاشونه ويحرمونه ثقتهم فتذيع عنه قالة السوء فيهجر فيبور عمله ، ويكسد فلا يلبث أن يحيط به الشقاء والذل وأن يعيش عيشة الضنك ضئيلا لا اعتداد به ، ولا قيمة له .

إن السر فى هذا وذاك هو إيمان العامل بما يعمل أو فقدانه هذا الإيمان .

ولست بهذا التفسير أنفى الإيمان بالعقيدة الدينية أو لوازمها فلا أجعل لذلك دخلا فى عمل العاملين ، كلا فإن ذلك أول ركن ، وأعظم أساس ، ولكنى أقول : إن هذا وحده لا يكفى وإنه يجب أن ينضم إليه ما لا بد منه فى صلاح الأعمال ، ونجاح المساعى وقد يؤخر الله تعالى حساب المفرطين فى العقائد والأعمال الدينية

ليجازيهم على ذلك فى الآخرة ، ولكنه لا يضيع أبداً فى الدنيا عمل عامل من ذكر أو أنثى ، فللدنيا نواميسها وسنتها ، وهى نواميس ثابتة لا يغيرها الله ولا يحولها .

على أن قوله تعالى « وهو مؤمن » إنما هو شرط فى إيفاء العامل المصلح جزاءه فى الدنيا والآخرة جميعا ، فهو لا يجتمع له النجاح فى الدنيا والفوز بدرجات الآخرة إلا إذا كان مؤمناً إيماناً صحيحاً بما كلفه الله أن يؤمن به ، ولكننا إنما ننظر إلى آثار الإيمان فى إتقان الأعمال وفى تأثير ذلك بالنسبة للحياة الطيبة والمعيشة الكريمة فى الدنيا .

* * *

الخلاصة :

يتبين مما ذكرناه فى هذا البحث أن القرآن الكريم يثبت ما يأتى :

١ — أن لبنى آدم كرامة .

٢ — وأن هذه الكرامة هبة إلهية لا يجوز لمخلوق أن يحرمه إياها ولا أن يمتهنها أو يهدرها .

٣ — وأن هذه الكرامة لا تفاوت فيها باعتبار أصلها ، فالناس جميعاً متساوون فى ذلك لا فرق بين جنس وجنس ولا بين لون ولون ، ولا بين ذكر وأنثى ولا بين فقير وغنى ولا بين ضعيف وقوى ... إلخ .

ولكنها تتفاوت ويتفاوت الناس فيها باعتبار السعى والعلم والتقوى ، فالناس فى ذلك مراتب .

٤ — والعزة نوعان : حقيقية دائمة . وهى لا تكون إلا للمؤمن لأنها عزة بالله ، ومن الله ، وعزة مصطنعة غير باقية ولا ثابتة الأسس وهى العزة بالإثم أو بالكفر أو بالجهل ، من كل ما لا مرجع له إلى الله .

٥ — وأن عزة الإيمان والمؤمنين ، هبة من الله ، ولكن لا على معنى أنها غير مرتبطة بسنته فى كونه وفى خلقه ، ولكن على معنى أن المؤمنين هم الذين يسلكون فى الحياة السلوك المؤدى إليها ، وأن مجرد ادعاء الإيمان أو الإسلام دون التماس سبيل العزة الصحيحة والحياة الطيبة ، غير مجد وليس من شأنه أن ينظر إليه .

* * *

تلك أركان خمسة للكرامة والعزة فى القرآن الكريم : « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » ، « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ؟

محمد محمد المدنى

عميد كلية الشريعة

الدين والقومية فى أفريقيا الجديدة

للأستاذ محمود الشرقاوى

— ١ —

إفريقيا الجديدة هى تلك التى يخرج أهلها الآن من العبودية إلى الحرية ، من الاستعمار إلى الاستقلال ، من التبعية الذليلة والاستغلال - الذى فرضهما عليها الاستعمار الغربى - إلى إبراز الشخصية وتثبيتها والانفراد أو المشاركة العادلة ، فى ثروة البلاد العظيمة وخيراتها وإمكانياتها .

إفريقيا الجديدة هى التى تخرج الآن من الجهل إلى العلم ، من الظلمات إلى النور .

ولكى ندرك قيمة هذا البعث الجديد لإفريقيا نذكر أن أربعا من دولها نالت استقلالها فى أسبوع واحد من شهر يونيو الماضى . وأن سكان هذه الدول التى استقلت يبلغون عشرين مليونا من الناس ، وأن مساحة هذه الدول الأربع تبلغ نصف مساحة الولايات المتحدة الأمريكية .

استقلت من دول إفريقيا فى أسابيع قليلة دول : الصومال ، اتحاد مالى ، توجو . الكميرون ، الكونغو ، ماجاس (مدغشقر سابقا) . ومن قبل ذلك استقلت غانا وغينيا وسيبلغ عدد الدول الإفريقية التى تنال استقلالها قبل نهاية هذا العام عشرين دولة يسكنها مائة مليون إفريقى سيكون لهم ولدولهم صوت مسموع فى المنظمات الدولية .

ولكى ندرك الأثر الذى يحدثه هذا البعث الجديد لإفريقيا فى عالم الغرب الاستعمارى نكتفى بفقرة من حديث مسئول سياسى لكبرى هذه الدول يقول فيها : « إن السنوات العشر القادمة ستكون السنوات الإفريقيات إن زيادة عشرين عضواً إفريقيا جديداً فى الأمم المتحدة فى السنوات القادمة ستخلق جواً من عدم التوازن فى المنظمة الدولية » ومعنى هذا الكلام واضح .

وقد نالت هذه الدول الإفريقية استقلالها بالكفاح والدم . والدول التى توشك أن تناله . بذلت وتبذل مثل ذلك . ولكن المحافظة على هذا الاستقلال وصيانته ستحتاج إلى مثل ذلك أيضا ، بل لأكثر منه . فقد

ترك الاستعمار هذه الدول على حال بالغة من الشذوذ والنقص والحرمان من مقومات الدولة ، بل من مقومات الحياة الإنسانية نفسها . ولنجعل من «الكونغو» مثلا لذلك: فهذه «مستعمرة» حكمتها بلجيكا حكما استبداديا بالغ الشدة زهاء نصف قرن ، لم تكن لها فيها غاية ، ولا نشاط ، سوى استغلال خيراتها العظيمة ومواردها الطبيعية الضخمة . ومع أن سكان الكونغو يبلغون أكثر من ثلاثة عشر مليونا فإن عدد المتعلمين منهم لا يتجاوز العشرات . . ! . ويتكون سكان الكونغو من مائة قبيلة أو أكثر ، وتختلف كل واحدة منها عن الأخريات فى عاداتها وتقاليدها و «ثقافتها» . ولم يحاول المستعمرون التقريب بينها ، بل لعلهم فعلوا عكس ذلك . كما تفصح عنه الحركات المريبة التى تقوم فى إقليم «كتانجا» والدعوة لفصله عن الكونغو .

وليس غريبا أن يفعل المستعمرون ذلك فى بلد إفريقى . فقد وجدت فى إحصاء عن الرق فى إفريقيا فى القرن التاسع عشر أن : (ما نقل من العبيد ليباع فى أوربا وأمريكا قارب عدده مائة ألف ، وأن هذا العدد الكبير نقل من بلد إفريقى واحد هو ساحل الذهب وفى سنة واحدة هى سنة ١٨٢٢ وأن السفن الانجليزية وحدها حملت من هذا العدد ستين ألفا . وأن عدد العبيد فى إفريقيا يبلغ ضعف عدد الأحرار فيها) . فإذا رأينا بعد ذلك الرئيس الجديد لوزراء الكونغو المستقلة : «لومومبا» ، يذكر فى مواجهة ضيفه ملك بلجيكا : «بودوان» ، الذى قدم خصيصا لشهود حفلات استقلال الكونغو ، إذا رأينا الرئيس الجديد يذكر قسوة المستعمرين وشذوذهم أمام ملك بلجيكا . فلن نجد فى ذلك شيئا من العجب بعد الذى لقيته إفريقيا من ظلمهم وقسوتهم .

— ٢ —

قبل سنوات كنت أضع بحثاً عن رحلة ابن بطوطة فى السودان ، فوجدته يذكر بلاداً ومناطق لا تعرف الآن فى جغرافية تلك البلاد .

ومن البلاد التى عنانى وأتعبنى معرفتها إقليم «مالى» ، وقد بقيت أجهل مكانه حتى حصلت «غانا الفرنسية» و«السنغال الفرنسى» على استقلالها وعرفتا باسم دولة جديدة هى : «اتحاد مالى» . وكذلك سمى المستعمرون الاوربيون بلدا إفريقياً باسم: «ساحل الذهب» فلما استقل سكانه عادوا به إلى اسمه القديم : «غانا» . وفى ذلك عبرتان ، فيهما تمهيد لما نريد أن نسوق من القول عن «الدين والقومية فى إفريقيا الجديدة» : العبرة الأولى أن المستعمر الأوربى كان ينظر إلى إفريقيا نظرته إلى سلب أو مغنم ، لا يرى فيه سوى

وجه المبادى . فالبلاد التى فيها معدن الذهب يسميها : «ساحل الذهب» ، والبلاد التى يوجد فيها العاج يسميها : «ساحل العاج» . وهو بذلك يمحو عن تلك البلاد الاسم القديم الذى كانت تعرف به ، ليقطع — عمدا — صلتها بماضيها وتاريخها.

والعبرة الثانية أن سكان تلك البلاد لم ينسوا - رغم ذلك - ماضيهم وتاريخهم . فأعادوا أسماء بلادهم القديمة إليها بمجرد حصولهم على الاستقلال . فعدنا نعرف بلاد : «مالى» و «غانا» ، ونفهم المثل العربى القديم الذى يقول : «من غانا إلى فرغانا» ، وندرك بذلك الصلة الوثيقة العريقة التى تربط بيننا ، نحن العرب ، وبين تلك البلاد ، كما تربط بين بعضها وبعض . وهى صلة تحدد لنا غايات كما تلزمنا بواجبات .

إدراك هذه الروابط والأواصر ، والإفادة منها بحكمة وكياسة هو الذى يحدد غاياتنا لخير هذه البلاد وخير المجموعة الإفريقية ، كما يحدد واجباتنا حيالها .

وإدراك الأوضاع التى تسود الدول التى استقلت وتستقل حديثا فى إفريقيا ، والأطماع التى يحاول أصحابها أن يحققوها لأنفسهم فى هذه الدول ، إدراك هذه الأوضاع والأطماع عامل آخر هام يحدد غاياتنا وواجباتنا ، ولا بد أن يكون ملحوظ الأثر فى تكييف الخطة لتحقيق الغايات وتحديد الواجبات .

من الحقائق التى يجب أن ندركها لمعرفة تلك الأوضاع أن بعثات خاصة ظلت تعمل زمنا طويلا فى الكونغو ، مثلا ، حتى اعتنق الكاثوليكية ثلاثة ملايين من سكانه . وأنه ، من بين سبعين ألفا من الأوربيين يعيشون فيه ، يوجد عشرة الآف من رجال هذه البعثات ، يحتكرون - بمقتضى القانون الذى وضعه المستعمرون - كل إشراف على التعليم ، وقد خرجوا مئات من رجال الدين الوطنيين ونصبوا منهم أسقفاً ، ولكنهم لم يخرجوا - على طول عهدهم بالإشراف على «التعليم» ، طبيباً واحداً ، ولا مهندساً واحداً ، ولا محاميا واحدا ... !

والدين عند هؤلاء قرين الاستعمار وخدينه وحليفه .

ومن الحقائق التى يجب أن ندركها لمعرفة الأطماع التى يحاول أصحابها أن يحققوها لأنفسهم فى هذه الدول أن إسرائيل كانت على وشك الاشتراك فى حفلات الاستقلال التى أقيمت فى الصومال ، لولا أن رجاله حرصوا على مودة البلاد العربية والإسلامية وراعوا مصلحة وطنهم الجديد ، فأعلن السيد عبد الله عيسى رئيس وزراء الصومال الإيطالى سحب دعوة إسرائيل .

ومن هذه الحقائق التى يجب إدراكها لمعرفة الأطماع أن ليفى أشكول، وزير مالية إسرائيل، سافر إلى غانا للاجتماع برئيس جمهوريتها ومباحثة وزير ماليتها. وأنه - أى وزير مالية إسرائيل - سافر بعد ذلك إلى «لاجوس» فى نيجيريا، ثم إلى «اتحاد مالى»، ومنها إلى ليبيريا وساحل العاج، وأن إسرائيل أعارت غانا خبيراً فى الزراعة - إسرائيلياً - لتنمية ثروتها الزراعية مدة سنتين. وقد نشرت الصحف العربية ذلك كله.

ثم ننتقل من الأوضاع والأطماع إلى ذكر شىء من الوسائل التى يجب إدراكها والتبصرة بها ونحن نرسم لأنفسنا - فى الجمهورية العربية المتحدة - السبيل لتحقيق غاياتنا لخير هذه الدول الجديدة فى إفريقيا، وتحديد واجباتنا حيالها.

التعليم، الثقافة، والمشاركة فى تعمير هذه البلاد الجديدة: هذه هى الوسائل التى نريد التبصرة بها فى رسم السبيل للغايات والواجبات.

أما المشاركة فى تعمير البلاد فنحن نتركها لأهل الاختصاص الذين يعرفون - أو يجب أن يعرفوا - ما تحتاجه تلك البلاد معرفة وثيقة شاملة فى نوعه وفى كمه. ونحن نقرأ عن جهود ووعود تعمل وتبذل فى هذا السبيل وفى استعداد جمهوريتنا العربية للبذل فى هذه المشاركة بذلا كريما مخلصاً.

وأما التعليم والثقافة فالشأن فيهما يختلف فى بعض هذه الدول الإفريقية الجديدة عن بعضها الآخر، ولكن أمراً واحداً يجمع بينها كلها، متخلفة ومجتمعة. هذا الأمر الواحد هو ارتباط التعليم والثقافة بالدين.

تختلف الصومال، واتحاد مالى بأن غالبية السكان فيهما من المسلمين. وهذا الوضع يميز لنا - أو يجب أن يميز - لون الثقافة والتعليم الذى نستطيع عن طريقه أن نحقق الغايات لخير هذه البلاد وخيرنا أيضا، وأن نحدد الواجبات حيالها وحيال مستقبلها ومستقبل إفريقيا.

اجتمع فى الصومال فى شهر يونيو الماضى مؤتمر لمناسبة إعلان استقلال البلاد، وحضر المؤتمر نحو عشرين ألفاً من رجال القبائل ومعظم رؤسائها وأصدر المؤتمر عدة قرارات: منها أن يقوم الدستور الجديد لجمهورية الصومال على أساس الدين الإسلامى، وأن يعين وزير للشئون الدينية. والإبقاء على الحزب الدينى: «وحزب الله»، مع وجوب تأييده للجمهورية.

وقبل ذلك قامت فى الصومال مناقشات طويلة أدلى فيها المستعمرون بدلوهم حول اختيار لغة رسمية للبلاد، ثم جهرت الأغلبية برأيها فى أن تكون العربية هى اللغة الرسمية، رغم ما حاوله الاستعمار من إحباط ذلك.

هذه بعض « الملامح » التي تبين لنا كيف يتكون المجتمع الجديد في الدولة الجديدة ، وأعتقد أن هذه الملامح أو ما يشبهها ستظهر في يوم قريب في الدولة الأخرى التي يتكون أكثر سكانها من المسلمين : وهي اتحاد مالي .

في البلاد الأخرى الجديدة من إفريقيا مسلمون تختلف نسبتهم فيها إلى نسبة أهل الأديان الأخرى . وهناك حقيقة لا ينكرها أحد ، هي أن الإسلام ينتشر بين سكان هذه البلاد انتشاراً كبيراً قائماً على قوته الذاتية أكثر مما هو قائم على السعي والنشاط والدعوة .

في الإسلام حقيقة كبرى تفيد أعظم الفائدة في تحقيق الغايات وتحديد الواجبات ، كما هي سبب من أكبر الأسباب لذيوعه بين سكان تلك البلاد وإقبالهم عليه ، هذه الحقيقة هي أنه دين يقوم على المساواة ، وعدم التمييز أو التفاضل ، أو التفرقة بين الناس بسبب اللون ، أو الجنس ، أو الأصل ، أو النسب ، أو المال ، أو المنزلة . دين يتعجب الملونون عندما يعرفون أن ابن لونهم بلالا الأسود ، كان من صحابة صاحب النبوة فيه والدعوة له ، ومن أحب الناس إليه وإلى صحابته من أشراف قريش وسادتها ، ومن أقربهم إليه ، عليه السلام ، وآثرهم عنده . وأن بلالا هذا ـ الأسود ـ هو الذي كان يؤذن فيهم للصلاة ، ويدعوهم لأن يقفوا جميعاً صفاً واحداً بين يدي خالق البشر .

لنتأمل هذا وأثره بين سكان هذه البلاد الجديدة المتطلعة إلى « الحرية » الاجتماعية و « الحرية » الفردية والمساواة . ثم لننظر بعد ذلك في صورة مقابلة : فقد قرأت من قبل تقارير تتضمن نشاط بعض الهيئات في إفريقيا . ومع أن النشاط قائم على الدعوة المسيحية ، التي لا تفرق بين الناس أيضا ، فإن رجال هذه الدعوة يحرصون كل الحرص ، على تمكين فروق اللون في هذه القارة ويلقنون من يدخل المسيحية من الإفريقيين ، أن الأبيض أفضل من الأسود ، ويزعمون لهم أنه في الحياة الآخرة ستقوم جنتان ، جنة للبيض وأخرى للملونين .! وأن هذه التفرقة أو سيادة الأبيض على غيره ، هي إرادة الله ، ولا بد من التسليم بها . وهذه الدعوة طبيعية من هؤلاء القوم ؛ لأن الهدف الأول لنشاطهم ودعوتهم هو الاستعمار . ولا يمكن أن يستقيم القول بالمساواة ، مع الاستعمار .

فدعوة الإسلام إلى المساواة الحقة لابد أن تقضي على دعوة الاستعمار هذه . وقريباً من ذلك الوقت اجتمع مؤتمر إسلامي في نيروبي ، دعي إليه مسئول من الجمهورية العربية المتحدة ، وأعلن يوم ذاك أن عقد هذا المؤتمر هو امتداد لموجة اليقظة إلى الشاطئ الشرقي لإفريقيا ،

وأن المسلمين فى كينيا، وأوغندا، وتنجانيقا، وزنجبار، يرون الضرورة ملحة لتنظيم أنفسهم «ليشتركوا كهيئة متحدة فى تطور هذه الأقاليم».

— ٤ —

فيما يتعلق بالوضع فى هذا البعض من الدول الإفريقية الجديدة : وهو الذى ليس فيه أغلبية إسلامية. فيما يتعلق بالوضع فى هذه الدول ـ وقد ذكرنا انتشار دعوة الإسلام فيها انتشارا ذاتيا ـ نجد أمرا آخر جديرا بأعظم قسط من الاهتمام.

فقد نشرت جريدة التيمس ـ ونحن نعرف منزلتها بين صحف العالم ـ نشرت التيمس مقالا تبدى فيه عجبها وقلقها أيضا، من انتشار دعوة الإسلام فى إفريقيا. رغم ضعف، بل فقدان، الوسائل إليها وتقول: إن كثيرين من المفكرين، يعتقدون أن انتشار الإسلام مرتبط بالبيئة الصحراوية، ولكنا نراه الآن يزحف إلى سهول إفريقيا وأحراشها وغاباتها. ونحن ـ أى الأوربيون ـ أمام هذه الدعوة، لم نحدد موقفنا تحديدا نهائيا : فبعضنا يرى أنه لابد من وقف هذا الزحف ؛ لأن فى نجاحه قضاء على نفوذ الأوروبيين ومصالحهم فى إفريقيا. وبعض آخر ـ وهم أقرب إلى العقل والكياسة والمرونة ـ يرى أنه لاضرر من هذه الدعوة وتغلغلها فى القارة، على شرط أن ترسم لها الحدود والآماد. وأن تحدد لها الوسائل، بحيث تختلط بكثير من البدع والخرافات ... ! بل إن ذلك قد ينفع النفوذ الأوربى ويمكن له. هذا ملخص مقال جريدة التيمس. والنفوذ الأوربى ومصالح الأوروبيين كما نعلم، تعبيرات مختلفة عن حقيقة واحدة هى «الاستعمار».

وسواء اتخذ الأوربيون الطريق الأول، طريق الصد، والمنع. أم سلكوا طريق المرونة والكياسة، فتركوا دعوة الإسلام تزحف زحفها إلى إفريقيا مشوبة بالخرافات ـ وهذا فى رأيى أشد ضررا بالإسلام وإفريقيا وبنا ـ أى الطريقين سلك الاستعمار الأوربى. فإن واجبنا يتضاعف، وتزيده الضرورة إلحاحا ووجوبا.

تتجه شعوب إفريقيا ودولها التى استقلت حديثا. والتى ستحصل على استقلالها. تتجه شعوب إفريقيا ودولها هذه إلينا لنكون لها أعوانا فى كفاح الاستعمار، وفى نيل استقلالها وفى تثبيته بعد الحصول عليه، وفى تقويم حياتها، وستجد بلادنا بعد قليل، أن احتمالات كثيرة بعيدة المدى تلوح لها ؛ وبقدر ما يزيد الوعى القومى لشعوب إفريقيا وتلتهب عواطف أهلها رغبة فى الاستقلال، وحرصا على نواله ومحافظة عليه، بقدر ما تزيد تبعات وطننا نحو هذه الشعوب. وتتسع احتمالات المستقبل

أمامنا فى هـذه القارة ، التى نحس الآن بأننا نحمل الواجب الأول نحو بلوغها ما تريد من الحرية ، لأننا رأس هذه القارة ، وأسبق شعوبها فى ميدان الثقافة ، والقوة ، والإمكانيات .

وهذه كلها ـ كما قلنا ـ أوضاع توجب علينا تبعات ، وتحملنا مسئوليات ، وواجبات علينا أن نتهيأ لها ونعرف أمثل السبل لتحقيقها والوصول إليها .

السبيل ـ أو أوضح السبل ـ لذلك ندركه من حديث مسئول فى جمهوريتنا العربية عاد من الحج هذا العام فقال من حديث له :

« إن شعورى بعد عودتى أن الإسلام جولة أخرى فى معركة الحرية العالميـة . وأن كتائب حجاج إفريقيا ، التى زحفت إلى بيت الله الحرام ماشية على الأقدام ، تمثل طلائع هـذا النصر . بل إنها تمثل العرب فى مستهل فجر الإسلام .

إن طريقنا الرئيسى أصبح واضح المعالم . وعلينا أن نبعث إليهم بكتاب الله الكريم فى أيسر تفسير ، يحمل شحنات من القوى الروحيـة المباركة التى تدفع عزائم هؤلاء العمالقة الذين يفد منهم على الحجاز سنويا ٢٠ ألف حاج من نيجيريا وحدها » .

* * *

سبيلنا للقيام بهذا الواجب نحو شعوب إفريقيا ودولها الجديدة هو التعليم والثقافة . والتعليم والثقافة فى هذا المجال خاصة أمران مقترنان بعقيدة الإسلام .

ولأسباب كثيرة مختلفة ، يقترن الإسلام وتقترن دعوته وثقافته ، بالأزهر .

فإذا ذكرت هذه الدعوة وهـذه الثقافة ، ذكر الأزهر . وللأزهر فى هذا السبيل جهد ، ويمكن أن تكون له جهود .

محمود الشرقاوى

سكرتير التحرير

القومية

قال المهاتما غاندى :

إنمـا أعنى بالقومية ، أو فكرة القومية : أن تصبح بلادى مستقلة ذات سيادة وكرامة ، وتتفانى بآخـر أفرادها لأجل البشرية وإبقائها ، إذا دعت الحاجة الى مثل ذلك . فهـذه هى القومية التى نتمناها .

الامام عبد المجيد سليم

بقية السلف الصالح في القرن العشرين

بمناسبة ذكراه السادسة

للأستاذ محمد رجب البيومي

اكتمل لإمام أهل السنة المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ عبدالمجيد سليم[1] من جلال العلم وعظمة الحق وقوة الإيمان ما لم يكتمل لسواه من النظراء والأمثال، فقد كان رضى الله عنه من أخلاقه المثالية فى هيبة منيعة، يصغر دونها أعظم الرؤساء من ملوك ووزراء! فلا يحاولون أن يصارحوه بما لا يرضى المؤمن المتحرز، والعالم العيوف. وقد جاءت سيرته الطاهرة كتابا مفصلا للرجولة العالية، يقرؤه الناس فيجدون المثل الأعلى قد تجسم واقعا ملموسا، فى أعمال الرجل وأقواله، وإذا كان من السلف الصالح من شابه الشيخ فى إبائه وترفعه، فإن معاصرتنا الشاهدة لحقيقته المؤمنة فى القرن العشرين تؤكد لنا أن مصباح الحق دائم الإشعاع، فهو ينتقل من العصور الغابرة إلى العهود الحاضرة دون أن يطفأ له ضياء، ويأبى الله إلا أن يتم نوره!!.

ولو أردت أن ترجع جميع مواقف الشيخ إلى سبب واحد، ترتكز عليه أفعاله، وتصدر عنه: أقواله فهو مفتاح شخصيته التى تدرك به أسرارها الكامنة ومواهبها المدخرة، لوجدت هذا السبب ينحصر فى شىء واحد لا لبس به ولا غموض! إنه الثقة بالله وحده تسيطر على نفسه، فيهون دونه كل جليل يكبره الناس!!.

لقد وثق بالله حين أقبل على العلم إقبالا مخلصا، فمنحه ذات نفسه، وتفرغ عن رغبة أكيدة لاقتناص شوارده، واكتناه غوامضه، ولم يقبل فى عهد التلمذة أن يقتصر على علوم الأزهر وحدها، بل جمع

---

(١) انتقل إلى رحمة الله فى ١٠ صفر سنة ١٣٧٤ هـ.

إليها المنطق والفلسفة ، حتى عرف بين زملائه بابن سينا ، وقد اختار من أساتذته فى حلقات الأزهر من آنس فيه البراعة والاستيعاب ، فهو يحضر دروس الأستاذ الإمام محمد عبده فى الرواق العباسى لمدة خمس سنوات فيدرس عليه كتب عبد القاهر فى البلاغة حينا وتفسير كتاب الله حينا آخر ، وهو يتلقى شروح المنطق والفلسفة عن أستاذه الشيخ حسن الطويل فيلم بأفانين من الجدل والقياس لم تكن مألوفة للداته من الطلاب ، ثم هو يجد فى أستاذه الشيخ أحمد أبى خطوة مورداً دافقاً فى الفقه الإسلامى فيأخذ عنه التبحر فى المسائل الفرعية ، والتعمق فى الفتاوى الفقهية ، ويشهد له بالاطلاع الشامل ،والصبر الطويل، بل إنه يقارن غير مرة بين أبى خطوة والأستاذ الإمام ، فيجد الأول أكثر إلماما بمسائل الفقه وأدلة الأحكام ،غير أن الإمام فى رأى الشيخ يمتاز بسعة الأفق وسلامة التعليل وامتداد الصيت !! هذا إلى بيان مشرق يجذب إليه الناس ،فيصبح أقدر العلماء على الإفادة والتوجيه .

وقد شاء القدر أن يكون الأستاذ خليفة الإمام فى الإفتاء ، فعالج فى فتاواه الكثيرة معضلات العصر وقضايا المدنية الحديثة كما عالجها الإمام فى فقه بصير ، وفهم مستنير ، وقد تحدث رحمه الله فى بعض أعداد مجلة الرسالة عن منهج أستاذه فى الفتوى ومنهجه الخاص الذى يحتذيه فقال نقلا عن العدد الممتاز (٤٤٩) .

« إن الناحية التى تجلت فيها مواهب الأستاذ الإمام : هى إدراكه الصحيح لمعانى القرآن الكريم ، وفهمه الدقيق لأغراضه ، وتذوقه لأسلوبه ومعجز بيانه ، مع بصر عظيم بأحوال الناس وعبر التاريخ ، وأسرار تقدم الأمم والشعوب . يؤازر ذلك قلب جرىء ، وعقل متصرف وكان يعتمد فى فتاواه على إدراك روح الشريعة ، وتبين أغراضها العامة ، لا على مناقشة المذاهب ، وترجيح آراء الفقهاء ،ولذلك تأتى فتاواه غالبا مختصرة، وقد تثير خلافا بين أهل العلم ، ومن أمثلة ذلك أنه أفتى فتواه المشهورة بجواز لبس البرنيطة ، فقامت من أجلها ضجة هائلة ، فلما أردت أن أفتى فى الموضوع ، انتفعت بموضع العبرة فيه ، فأخرجت فتواى التى تجيز ذلك إخراجا فقهياً مؤيدا بأقوال العلماء، جاريا على طريقتهم فى الاستدلال والترجيح ، فلم يستطع أحد أن يشغب على » .

وإذا كان الأستاذ الإمام لم يتقيد بمذهب معين فى فتواه ،فإن خليفته الأستاذ عبد المجيد قد ورث عنه هذه السعة الفسيحة فى قبول الآراء المختلفة ما دامت مؤيدة بالدليل ، فأنحى باللائمة على من يعتصمون بقول خاص

لا يحيدون عنه. بل إن أثره كان قويا ملموساً في جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية. وهي التي تنص المادة الثانية من قانونها على «العمل على جمع أرباب المذاهب الدينية. الذين باعدت بينهم آراء لا تمس العقائد التي يجب الإيمان بها. مع السعي إلى إزالة ما يكون من نزاع بين شعبتين أو طائفتين من المسلمين، والتوفيق بينهما». فقد كان رضى الله عنه وكيل الجماعة فأكسبها جلالا ومقاما. وجذب إليها الصفوة من أتباعه ومريديه. وقد تحدث في أول عدد من مجلتها: «رسالة الإسلام» فقال:

«ولقد أدركنا في الأزهر على أيام طلبنا للعلم عهد الانقسام والتعصب للمذاهب، ولكن الله أراد أن نحيا حتى نشهد زوال هذا العهد، وتطهر الأزهر من أوبائه وأوضاره، فأصبحنا نرى من العلماء من يخالف مذهبه الذي درج عليه في أحكامه؛ لقيام الدليل عنده على خلافه، وقد جريت - طول مدة إقامتي بالإفتاء في الحكومة والأزهر وهي أكثر من عشرين عاما - على تلقي المذاهب الإسلامية ولو من غير الأربعة المشهورة بالقبول، ما دام دليلها عندي واضحا، وبرهانها لدي راجحا».

ولا نجد خدمة توجه إلى الفقه الإسلامي أجل من جمع فتاوى الشيخ وقد بلغت أكثر من خمس عشرة ألف فتوى في مجلد خاص، يكون مرجعاً متداولا بين الفقهاء والدارسين وتلك رغبة ملحة طالب بها الكثيرون، ولعلها تجد طريق التنفيذ؛ ليلمس الباحثون أمامهم رأي الإسلام الصحيح في مشكلات العصر ومعضلات المدنية والحضارة مؤيداً بالقياس والدليل، وقد اعترف أساطين الفقه وأساتذة القانون بما لآراء الشيخ من قوة وسداد، فقد كان مرجع الأفذاذ الأعلام من ذوي التشريع يسألون فيجيب، ويترددون فيجزم، : حتى إن اللجنة التي ألفت للأحوال الشخصية في وزارة العدل برياسة الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغي، وعضوية شيوخ المذاهب بالأزهر وأساتذة الشريعة بالحقوق ورئيس المحكمة الشرعية العليا ووكيلي وزارتي العدل والمعارف !! هذه اللجنة الممتازة كانت تعتمد اعتماداً كلياً على جهود الأستاذ وبحوثه! وقد كتب رئيس محكمة الاستئناف الأسبق الأستاذ محمد محمود يعلن ذلك بجريدة الأهرام عقب وفاة الشيخ فيقول من كلمة مخلصة في الرثاء.

«وقد كان المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم في هذه اللجنة النجم اللامع والحركة الدائمة، إذ كانت تعرض الموضوعات والمسائل على اللجنة، بعد سبق بحثها وفحصها، وعند ذلك يأخذ الراحل الكريم الكلمة، فيتولى شرح

الموضوعات والمسائل، الواحدة بعد الأخرى، مستعرضاً شتى الآراء ، ومختلف الصور فى كل مذهب من المذاهب ، مقرراً حكم الشرع ، ذاكراً رأى الأئمة المجتهدين ، والفقهاء المؤلفين مسايراً روح العصر ، متنقلا من فن إلى فن ، وهو فى ذلك كله كالبحر المتدفق ، حتى إذا انتهى من جولته العلمية ، ومحاضرته الفقهية ، قامت اللجنة بالبحث والتمحيص واستنباط الحكم الملائم تمهيداً لإعطائه الصفة النهائية ، !! وإن فقهياً علامة تكون له هذه الفتوح التشريعية لجدير أن تيسر آراؤه للناس ، لتمد القانون الإسلامى بفيض غزير .

على أنك لو وجدت من رجال الفقه الإسلامى فى عصرنا الراهن من ماثل الشيخ فى إلمامه التشريعى كالسيد محمد رشيد رضا والشيخ محمد بخيت المطيعى فلن تجد فى فقهائنا المعاصرين من ماثله فى قوة الإيمان ، ومجابهة الباطل ، والاعتزاز بالله وحده !! وتلك عجيبة الرجل حقا !! فقد كان حلقة ثمينة فى سلسلة ذهبية تمتد من لدن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير، وتضم فى امتدادها أبا حنيفة ومالكا وابن حنبل وأحمد بن نصر وابن السكيت والعز بن عبد السلام حتى تنتهى إلى عبد المجيد ! فتجمع نخبة مؤمنة من رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وأوذوا فى سبيله فما ضعفوا وما استكانوا لما أصابهم ، وارتفعت أصواتهم بجلجلة رنانة تندد بالطغيان السافر وتدعو إلى الحق الصريح !! .

فقد قدر على الأستاذ أن يعيش فى زمن منافق لئيم يسوده استعمار خارجى من أوربا الظالمة، وداخلى من فساد القصر وتشاحن الحزبية ، وكان الظن بأبناء الأزهر أن يناوئوا جميعا ذلك الفساد فى شتى وجوهه ، وأن يحاربوا الطغيان فى مختلف صوره ، ولكنهم لم يكتفوا بالسكوت على الباطل بل خب بعضهم ووضع فى الحزبية المتناحرة ، خبباً عاد على العلماء بالنكبة والخذلان ، وعلى الطلاب بالخيبة والهوان !! ولم يسكت الشيخ كغيره ، بل جاهر بالدعوة إلى نبذ الحزبية ، وعارض فى صراحة واضحة من يرون مشايعة القصر ومسايرته ، مهما كان لهم من السطوة والنفوذ، ورأى أن واجبه الألزم يفرض عليه أن يكون ممن يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فأعلن رأيه فى السياسة الطائشة ، وتزعم فئة من ذوى الاتجاه الصائب والثقافة اللامعة ، والحفاظ الغيور ، وهى اليوم بفضل الله تسيطر على الأزهر ، وترسم له طريق التوثب والنهوض، فكافح بها البغى ما استطاع !! وقد دفعته رجولته النادرة أن يعلن رأيه الصريح فى القصر الباغى والحزبية العمياء وهو شيخ

للأزهر دون أن يحرص على منصب زائل ، أو يخاف مغبة متربصة ، فقال من حديث طويل نشرته جريدة الأهرام فى ذكرى الأستاذ المراغى تحت عنوان « إمام يحيي ذكرى إمام » .

« لقد كنت أنا والشيخ المراغى صديقين حميمين ، كلانا يحب صاحبه ، ويقدر فيه مواهبه ، ولم تكن هذه الصداقة عارضة بل كانت أصيلة ، ولكننا مع ذلك اختلفنا بعد لأى من مشيخته الثانية للأزهر ، وكان خلافنا معروفا للخاصة والعامة من الأزهريين ، وسببه الجوهرى ميله رحمه الله إلى ناحية السياسة الحزبية ، وشدة نفورى من ذلك فإنى أرى أن الخير كل الخير أن يتجنب العلماء السياسة الحزبية ومتاعبها التى تفضى إلى ما لا يحمد من العواقب » .

ومعنى هذا الكلام بصريح العبارة أن الأستاذ المراغى قد دفع بالأزهر إلى تأييد القصر ومعاونة من يرتضيه من رجال الأحزاب وليست تلك مهمة رجل الدين ، فالأجدر به أن ينأى عن مشايعة ذوى المآرب المريضة والأهواء المغرضة من الناس ، وقد هاج القصر وماج لذلك الحديث الجرىء ، وسلط من أذناب الكتاب من يهاجمون الشيخ على صفحات الجرائد ويزعمون دون استحياء أنه يتجنى على سلفه الراحل !! وكأن الحديث يدور على قضية غامضة تختلف حولها آراء الباحثين ، وليست مأساة معاصرة يعرفها الكبير والصغير على السواء » .

ولم يكن القصر يجهل ما للشيخ من صلابة فى الحق ، وإباء للضيم ، فقد ذاق فاروق من حملاته السافرة قبل المشيخة وبعدها ما أرق مضجعه وأزعج هدوءه ، وأذكر أن مجلة المصور قد نشرت تحت عنوان مات الشيخ عبد المجيد سليم بتاريخ (١٤ أكتوبر سنة ١٩٥٤ م) مقالا منصفا عن الأستاذ الأكبر فألمت بكثير من مواقفه الرائعة ، وكان مما ذكرته أن الشيخ إذ كان مفتياً للديار المصرية تلقى سؤالا عن حكم الشرع فى رجل يراقص النساء ويشرب الخمر فى الحفلات ، ويرتكب أعمالا يحرمها الإسلام ، وقد أدرك المفتى أن المقصود بهذا السؤال هو فاروق . فقد كانت الجرائد آنئذ تتحدث عن حفلات ماجنة تقيمها (شويكار) احتفالا بمسرته ، ولكنه لم يتراجع ، بل أصدر فتوى جريئة وصف فيها المسئول عنه وصفاً يشين ويجرح ، ويقول المصور : إن الدوائر الرسمية والسياسية قد اضطربت لهذه الفتوى واتصل الملك السابق بالشيخ المراغى فطلب إليه أن يطلع منذ الآن على كل فتوى يصدرها الشيخ عبد المجيد قبل السماح لها بالذيوع !! » .

ولم تكد الأيام تمر على تربص حذر من

القصر بالشيخ وآرائه حتى حاول فاروق أن يعين المغفور له الأستاذ مصطفى عبدالرازق شيخا للأزهر ، وكان القانون الرسمى للمشيخة لا يسمح بذلك ؛ لأن الأستاذ عبد الرازق على جلالة خلقه ووافر علمه وأدبه ،لم يكن عضوا فى جماعة كبار العلماء ، كما أن تعيينه فى هذا المنصب الخطير ، يعتبر دفعا جديدا للأزهر فى أتون السياسة الحزبية المتصارعة ! ! لأن الرجل عضو بارز فى حزب الأحرار الدستوريين ، ووزير ممتاز من كبار وزرائه ، وله فى السياسة هوى خاص يميل مع قوم دون آخرين ؟ فلابد أن يكون عصره امتدادا محتوما لسياسة الأستاذ المراغى فى الانضمام إلى القصر وشيعته ! ! لذلك نجد الأستاذ عبد المجيد - نضر الله وجهه - يرفض فى عنف هذا اليقين !! وقد استدعاه النقراشى باشا كما ذكرت مجلة المصور وحاول أن يغريه بالمال، إذ كان للشيخ عدة آلاف من الجنيهات بوزارة المالية ، مكافأة شخصية على مشيخته للأحناف بالأزهر مدة طويلة ، وقد تجمدت تلك المرتبات بالوزارة لاعتراضها على أن يجمع الشيخ بين مرتبين فى وقت واحد ! ! فلوح له رئيس الوزراء بصرف تلك الألوف المتجمعة سريعا إذا وافق على تعيين مصطفى عبد الرازق، فغضب الشيخ فى وجهه غضبة أزعجته ،وصاح به فى انفعال : أتريد أن تساومنى فى الحق؟. ثم خرج ساخطا دون استئذان ، ! ولم ييأس القصر بعد . فأوفد إليه بعض رجاله يهدده بالعاقبة ويقول فى صراحة : إن معارضة الملك خطر عليك ! فقال الشيخ فى إيمان : أسيحول هذا الخطر بينى وبين المسجد ؟ ! فخجل رسول القصر ولم يجب ! ! وكان الشيخ جريئا حين أعلن نبأ هذه الحادثة بإمضائه فى بيان أصدره للناس ! وهى من الذيوع بحيث لا يجهلها مصرى واحد عاصر هذه الأحداث.

أما حملته على استهتار الملك ومجونه ، فقد كانت شديدة منكرة ، ففى الوقت الذى تسابق فيه الزعماء إلى تمجيد فاروق وتقديسه ، كان شيخ الأزهر يصيح صيحته الغاضبة ، تقتير هنا وتبذير هناك ، منددا بما ينفقه الملك فى كابرى من الكنوز على الخمور والقمار والنساء ! ! وكان رجال الحكومة إذ ذاك لا يسالمون الشيخ ، لاعتراضه الصريح على تدخلهم المنكر فى شئون الأزهر ، وتعيينهم اثنين من أنصارهم فى مجلسه الأعلى ليقوما بتنفيذ رغباتهم الحزبية مهما أجحفت بالعلم والعدالة والمساواة ! ! فانتهزوا الصيحة الغاضبة وطاروا بها إلى فاروق ، فاقيل الأستاذ من منصبه،وقد ثبتت محبته فى القلوب وما ضره عزل دنىء عن منصب رسمى يسمو بالشيخ دون أن يسمو به ، فهو من جلالة مكانه فوق المناصب دون استثناء ! !

تلك دروس مثالية يجب أن تلقن للناشئة من أبناء الإسلام؛ لتكون موضع الأسوة الحسنة والندوة المصطفاة، وهى فى حاجة ماسة إلى من يتناولها بالدرس والتحليل فى مؤلف مبسوط فهيهات أن يتسع المقال الواحد لغير الرد السريع! على أنه لا يحيط بكل ما كان، بل ينتخب من الحوادث المتزاحمة ما يغنى عن سواه، ولن أغفل هنا موقفه الخالد من الملك فؤاد، فقد حاول أن يستبدل ببعض ممتلكاته الجدبية، أرضا خصبة من أملاك الأوقاف، وتلمس الفتوى الميسرة من عبد المجيد فأعلن الأستاذ فى تحمس صادق أن الاستبدال باطل لأنه لا يجوز لغير مصلحة الوقف!! وهى هنا مفقودة، بل إن الخسارة متحققة، وقد ملأ رحمه الله فتواه الرائعة بنصوص ثاقبة وافية قطعت كل اعتراض، وتركت طاغية القصر من أطماعه المحرمة فى مأساة نكراء.

إن الرجل الأبى الذى يحتقر الآلاف المتجمدة، فى سبيل مبدئه، ويضحى بالمنصب الرائع إذا جر إلى ضياع مثله، ليحرص كل الحرص على أن تكون موارد رزقه طاهرة مطهرة، حتى فيما ضؤل وهان! فقد ذكر أستاذى الكبير أحمد حسن الزيات بإحدى أعداد الرسالة أن إدارة الترام قد أهدت إلى فضيلته تصريحين بالركوب فى الدرجتين الأولى والثانية، أولهما للشيخ وثانيهما لخادمه، فحرم الأستاذ على نفسه أن يستبيح شيئا ما دون مجهود متكافئ وقد تسرع خادمه فاستغل التصريح مرة واحدة! فغضب الشيخ وركب عربته حتى وصل إلى محطة الترام واشترى تذكرة ثم مزقها دون استعمال؛ لتؤدى عن الخادم ثمن ما استهلك!! وللباحث النفسى أن يجد فى هذا التصرف المتحرز ما يكشف عن أطواء تلك الروح الطاهرة التى تتجنب الشبهات، وتحرص على أن تكون مثالا مبرءا للمسلم الورع الأبى، ونبراسا وضيئا للحقيقة المؤمنة تشع صفاتها الساحرة من جلال العلم وعظمة الحق وقوة الإيمان... ويالها من صفات.

محمد رجب البيومى
المدرس بالمنصورة الثانوية

[١] مجلة الهدى النبوى ربيع الأول سنة ١٣٧٤ هـ

العصر الذهبي للتصوف الإسلامي

للدكتور محمد غلاب

يعتبر القرن الثالث الهجرى عصر ازدهار لأشهر المدارس الصوفية إلى حد أن أطلق عليه المستشرقون اسم « العصر الذهبي » .

وفى الحق أنه بعد أن كانت الحركة التنسكية تتمثل فى أفراد متعزلين ، أو فى مدارس ناشئة تأسست فى الكوفة أو فى البصرة ، أصبحت فى ذلك العصر قوة صوفية يحسب حسابها قد اتخذت عاصمة العلم والثقافة مركزاً لها جعلت ترسل منه أشعة فتوحاتها الربانية ، وأنوار فيوضها الصمدانية إلى بقية الأصقاع الإسلامية فتضىء ظلماتها ، وتبدد حنادسها .

كان أعلام الصوفية فى تلك الحقبة من مشاهير أهل الحديث ، وكانوا يبذلون جهودهم فى أن يعيدوا الطقوس الدينية الظاهرية والحياة العملية للجماعة إلى المثل العليا التى تركها النبى الجليل والتى كانت مصابيح الأفكار والألباب والسلوك قبل أن تنشأ البدع ، وتستيقظ الفتن . وكانوا أساتذة لعلوم السنة ومعارفها ، وكان لهم تلاميذ يجتمعون حولهم ، ويقتسمون حياتهم ، ويتسابقون إلى خدمتهم . ولكنهم كانوا يمتازون عن بقية الأساتذة بالزهادة والانصراف عن أعراض الدنيا ، وبقوة الشكيمة والصبر على المكروه .

غير أنهم إلى ذلك العهد لم يكن لهم قواعد خاصة ولا مذاهب سرية ، ولا تعاليم مضنون بها على غير أهلها مما جعل التصوف منذ ذلك الحين ينشأ وينمو ، ويتخذ أعماقا رصينة ، وأغواراً بعيدة ، ويرتدى صوراً متنوعة تبدو تارة تحت اسم الأحوال ، وأخرى بعنوان المقامات إلى غير ذلك مما كان له فى تاريخ الحركة التنسكية العالمية شأن عظيم وأهمية قصوى كما سنشير إلى كل ذلك فى مواضعه .

وقد شئنا أن نبدأ حديثنا اليوم عن هذه النماذج العليا بالمحاسبى وإليك عنه هذه الإلماعة :

المحاسبى :

هو أبو عبد الله الحارثى العنزى ، وقد ولد بالبصرة فى سنة ١٦٥ هـ . ولما نشأ ارتحل إلى بغداد وفيها تلقى ثقافة واسعة ، ودرس فقه الشافعية ، فكان أحد أعلامهم الممتازين ، ثم تبحر فى علم الكلام .

ومما يبدو جلياً للباحثين أن تكون عقليته الممتازة ، ومعارفه الواسعة كان نتيجة لجهود عدد غير يسير من الأساتذة دفعتهم الأقدار إلى التضافر على تربية هذه العقلية . ولكن الذى يلفت النظر فى دراسة شخصيته ، هو أنه

لم يحاك أحداً من أساتذته . ولقد كان من أنصار العقل ، ولكنه كان يهاجم المعتزلة فى آرائهم المتطرفة . وكان يستخدم مفرداتهم ومنطقهم فى حملته عليهم . ولعله بهذا هو الذى رسم الخطة البارعة التى سلكها الإمام الغزالى فيما بعد فى هجومه على الفلاسفة بسلاحهم ومنطقهم وعباراتهم واصطلاحاتهم مع وجوب تسجيل فروق الزمن وانتشار الثقافة ، واتساع الأفق ، ولكن العناصر الأولية لا ينبغى أن تمر أمام الباحث مهملة ، أو أن تسحب عليها أستار التغاضى والنسيان .

ولقد ظل يزاول التعليم والوعظ حتى نيف على الستين . وكان أول من تفرد بإحراز الاحترام العميق للموروثات الإسلامية والتنقيب الدقيق عن الكمال الخلقى الباطنى ، والانشغال التام بالتعريفات الفلسفية المضبوطة . وأنه لم يكن يرى بين هذه العناصر التى تبدو أمام العامة متعارضة ، أى تنافر أو اختلاف ، بل كان مؤمنا بأن اجتماعها وتضافرها هما الوسيلة المثلى لنصر الدين والرفع من شأن الكمال البشرى الذى يجب أن يؤسس على العقل الذى وصفه الخالق جل وعلا بأنه أعز خلقه ، وعلى الوحى الذى هو تاج المعارف الإنسانية .

وأخيراً هجر التعليم فى سنة ٢٣٢ هـ واعتزل الحياة العامة زهاء عشرة أعوام ألقى بنفسه أثناءها بين أحضان التصوف بعد أن تأمل ردحا من الزمن فيما هو مقبل عليه . وبيان هذا أنه اهتدى إلى التصوف بعد أزمة باطنية حدثنا عنها فى كتابه « الوصايا » ، وهو نوع من الاعترافات السيكولوجية يشبه كتاب « المنقذ من الضلال » لأبى حامد الغزالى ، إذ أنبأنا فى ذلك الكتاب بأن القلق قد استولى على مشاعره النفسية حين رأى أن الجماعة الإسلامية قد انقسمت إلى اثنتين وسبعين فرقة دون أن يعرف أحد أيها على حق . وإذ ذاك جعل يتأمل فى القرآن طويلا ، فقذفت به تأملاته العميقة ، وملاحظاته الدقيقة فى بحر التنسك ، إذ أيقن بأنه هو الوحيد الذى يحول بين المرء وتلك اللذائذ الدنيوية التى هى منشأ الشرور ، ومصدر الأهواء التى مزقت جمع المسلمين ، وفرقت صفوفهم . كما آمن بأن هذا التنسك هو الضمان الوحيد الذى يحتفظ بالشخص فى إطار الحقيقة .

اشتهر المحاسبى بالزهد القاسى فى عصره حتى لقد قيل إنه كان إذا اشتهى لونا من الطعام ، ومد إليه يده تحرك فى إصبعه عرق إنذاراً له فيمتنع عنه . وقد أطلق عليه لفظ المحاسبى لكثرة محاسبته نفسه على ما تأتيه من الأعمال . ولقد قال عنه القشيرى : « إنه كان عديم النظير فى زمانه علما وورعا ومعاملة وحالا » .

غير أن هذا الزهد ـ حتى فى عصر اعتزاله المجتمع ـ لم يحل بينه وبين استمرار الاستزادة من العلوم الظاهرية والارتواء منها ،

بل إن مؤلفاته فى علم الكلام قد احتوت من النظريات ما أحنق عليه فقهاء عصره، كما أحنق عليه جميع علماء الكلام. وقد ظهر هذا الحنق فى حملة أحمد بن حنبل وأنصاره عليه، تلك الحملة التى كان من نتائجها أن اضطهد المحاسبي وانقطع عن المجالس العلمية العامة حتى توفى فى سنة ٢٤٣ ه‍.

ونحن لا نستطيع أن نقف صامتين بإزاء هذه المآسى التى كانت تمر ولا تزال نشاهدها من حين إلى آخر مرتدية ثوب الدين، والدين منها براء؛ لأن ما مصدره السماء يجل عن الفتنة والإيقاع. ويتعالى عن الأغراض الخاصة والأهواء الشخصية. ونحن - فيما يتعلق بالمحاسبي - إذا جزمنا ببراءة الإمام أحمد ابن حنبل لما نعلمه من نقائه وإخلاصه فيما يقول ويفعل، ويرى ويحكم، فإننا لا نستطيع الجزم ببراءة أشياعه ولو من التعصب والحدة وسرعة الغضب على أقل تقدير. وفوق ذلك فإن نزعة أولئك الأشياع كانت معادية للصوفية ميالة إلى المادية حتى وصلت بغلاتهم إلى منطقة التشبيه والتجسيم.

أما مؤلفاته فمن أهمها كتاب «الرعاية لحقوق الله» وهو كتاب جليل فى المبادئ التى يجب على المتصوفة اتباعها. ويعتبر منهجا كاملا للإرشاد النفسانى. وقد عكف الغزالى قبل أن يؤلف كتاب الإحياء على دراسته والعمل بما فيه زمنا طويلا، وظلت تعاليمه زاهية فى البيئات الصوفية، ولا سيما لدى الشيعيين عدة قرون رغم ما وجه إليه من حملات الخصوم المغرضين. ولقد وصفه الأستاذ ماسينيون بأنه: «مرشد جدير بالإعجاب للحياة الباطنية».

أما آراؤه فمن أهمها وجوب العمل على تطوير القوة الباطنية للإنسان بوسيلة قاعدة مرنة تقتاد سلوك الحياة الخارجية، وتخضع أنظمة أعمالنا الفردية وعلاقتنا الاجتماعية لذلك الواجب الأساسى الأول، وهو العبودية لله وحده، وتخلية القلب من كل من عداه وما عداه. ولا ريب أن قاعدة الحياة هذه إذا اتبعت كما ينبغى، فإنها تولد فى الروح أحوالا وفضائل يرتبط بعضها ببعض حسب نظام محدد.

أما تأثير مدرسته، فقد كان قويا إلى حد بعيد، وعلى الأخص فى تنقية الوجدان البشرى. وقد كان له عدد ضخم من التلاميذ المباشرين وغير المباشرين، فقد استلهم الجنيد من معارفه، واستضاء بأنواره، وانتهل ابن عطاء من معين فتوحاته. ورأى الأشاعرة فيه طليعة إصلاح مدرستهم، وداوم الغزالى على الاتجاه إلى تعاليمه، وأكثر الاستشهاد بمنتجاته. وأخيرا كان أحد الأعلام الثلاثة الذين انعقد لهم لواء زعامة الشاذلية.

نشأة المقامات ونموها :

مما لا سبيل إلى الريب فيه أن منهج الصوفي الحقيقي هو بحث باطني شخصي ، وتأمل في حكمة الأوامر الإلهية ليبرزها في صورتها الحقيقية الناصعة ، وليظهر عبادة الله في كمالها الذي خفي على العامة والجماهير ، فأحاطوه بكثير من الخرافات والأساطير .

وقصارى القول أن قوة أفكارهم تتولد من تأملاتهم المتوحدة المستأنية العميقة المتحمسة العملية التي يدعمونها في تدبر معاني القرآن . ولا جرم أن الموفقين منهم يظلون عاكفين على هذا التأمل حتى لكأنهم يشعرون برنين القرآن يجلجل في قلوبهم على صورة مصغرة مما كان يحدث للنبي صلى الله عليه وسلم .

ومما هو غني عن البيان أن غاية أعلام الصوفية من بسط نظرياتهم ، وعرض عظاتهم هي العمل المستمر المؤسس على الفكر الدائم والصادر عن قوى النفس الثلاث : أي العقل والذاكرة والإرادة ، ولا شك أن العمل الذي هذا شأنه هو الذي يحقق اتجاه الفرد إلى ربه والسير نحوه من خلال الليل المظلم المخيم على الحياة المادية .

ومهما يكن من الأمر ، فإن هذا التأمل العميق من جانب صوفية المسلمين في معاني القرآن ، وفي الحياة الروحية للرسول قد انتهى بهم إلى الاستيقان بأن الزهادة التامة ، والإخلاص المطلق يلتقيان بقلب المؤمن على معراج النقاء ، وأن الحالات السيكولوجية لهذا القلب تصير ثابتة ، وأن الوصول إلى هذه المرتبة يتحقق عن طريق التقدم المنظم المطرد الذي يؤلف المقامات المتتالية التي تسمح للسالك بأن يقتاد تأملاته في نجاح حتى ينتهي إلى عتبة الاتصال المراد . ولا ريب أن هذه المقامات تختلف باختلاف أعمال الصوفية وثقافاتهم الخاصة ، ونزعاتهم الشخصية ، واستعداداتهم الفردية ، ولقد كانت تلك المقامات في مبدأ الحياة الصوفية الإسلامية قليلة العدد ، ولكنها - بوساطة التحليلات السيكولوجية المثابرة - جعلت تنمو وتتضاعف حتى لقد وصلت عند بعض أولئك الأعلام إلى مائة كما سجل ذلك عبد الله الأنصاري في كتابه القيم : « منازل السائرين إلى رب العالمين » .

ولما كان هذا الكتاب من أروع الكتب التي عرضت لهذا الموضوع . فإننا نؤثر أن نقف عنده هنيهة قصيرة بجملين منه ما يعنينا في هذا الموقف على النحو التالي :

يقسم الأنصاري المنازل الصوفية إلى عشرة أقسام يشتمل كل قسم منها على عشرة منازل أو عشر مقامات .

فالقسم الأول يدعى بالبدايات ، ويلح الأنصاري - كما يلح جميع رؤساء الصوفية -

على ضرورة العناية بمقامات هذا القسم ، لأنها هي الأساس الذى عليه يقام البناء كله وبالتالى لا يكون هذا البناء متينا إلا بمقدار متانة أساسه ، وهذه العناية تتلخص فى أنها يجب السالك أن يراقب نفسه فى دقة ونية طاهرة وعزيمة صادقة بإزاء تنفيذ أوامر الكتاب الكريم ، ومتابعة السنة الغراء . أى أن يكون مسلما بالمعنى الكامل لهذه الكلمة ومن مقامات هذا القسم اليقظة وهى تهدف إلى دعوة القلب إلى هجران نوم الغفلة بأن يتنبه إلى النعم التى حباه الله بها . وأن يدرك خطورة الذنوب ونتائجها ، وأن يتأمل فى الأوقات الماضية الضائعة ، وفى ضرورة العمل على تعويضها بالعمل الصالح فى الحاضر والمستقبل . ومن هذه المقامات : التوبة والمحاسبة والإنابة والتذكر ، ومعناه مراقبة النفس والحيلولة بينها وبين النسيان .

والقسم الثانى هو المسمى بـ « الأبواب » وهى المنافذ التى يدخل منها السالك إلى الرحاب الأسمى ومنها الإشفاق والخشوع والزهد والرجاء :

والقسم الثالث هو المعاملات ومعناها الخطط التى يسلكها المريد فى تصرفاته لمتابعة طريقته الأولى بعد أن يجتاز الأبواب ومن مقامات هذا القسم التوكل :

والقسم الرابع هو الأخلاق ، ومؤداها أن سلوك الصوفى المخلص مع ربه ، ينتهى به إلى اكتساب أخلاق فاضلة . ومن مقاماته : الرضى والشكر والحياء والصدق والإيثار والتواضع وما إلى ذلك .

والقسم الخامس هو الأصول ، ومجملها أن مجرد اكتساب الأخلاق الفاضلة يمنح الصوفى الرغبة الزائدة فى شدة الاتصال بربه . وهو لتحقيق هذا يجب عليه أن يختار أحد تلك المبادىء العشرة التى هى مقامات هذا القسم ، وهى المقامات التى يؤسس عليها تقدمه فى طريقته الصوفية . وأهم هذه المبادىء : « الإرادة » التى بها يتم له الاختيار .

وهنا ينتهى الجانب الإيجابى من حياة الصوفى بوصف أنه مريد ، فيدخل فى إطار جديد ينتظر فيه الفضل الإلهى . أو الفيض الربانى .

وقد آثرنا أن نقف اليوم عند هذا الجانب الإيجابى ، وربما عدنا فيما بعد إلى الجانب السلبى الذى يكون فيه الصوفى مراداً بعد أن كان مريداً ، ومحبوبا بعد أن كان محبا « وإذا تقرب منى عبدى شبرا تقربت منه ذراعا » . وإذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا » . وما هذه المقاييس المادية إلا تقريب للأذهان . تعالى الله عنها علوا كبيرا .

الدكتور محمد غلاب

الإسلام فى أستراليا

للأستاذ عطية صقر

فى الجنوب الشرقى من خريطة العالم تقع قارة صغيرة نائية ظلت مجهولة للغرب آلاف السنين ، فلم يعرفها الأوربيون إلا فى القرن السادس عشر حين مر بها البرتغاليون ، وارتادها الهولنديون فى القرن السابع عشر، ثم بدأ الانجليز فى استعمارها فى نهاية القرن الثامن عشر عندما ضاعت ممتلكاتهم فى أمريكا سنة ١٧٨٣ ، فأنشئوا بها مستعمرات للمجرمين الذين ضجت انجلترا من حوادثهم ، فأقلعت بهم إحدى عشرة سفينة فى سنة ١٧٨٨ وأنزلتهم بهذا المنفى ، وبدءوا بالفعل استغلال هذه القارة التى يسكنها قوم من الجنس الماورى آخذون فى الانقراض ، وإن كانت الجهود تبذل للإبقاء عليهم للإفادة منهم فى دراسة النوع البشرى وتطور الحضارات .

ولم يكن أحد من سكان القارات الكبرى يرغب فى السفر إلى هذه الأرض الجديدة . التى تكسو أرضها الغابات وتمتد بها الصحارى وتقسو الطبيعة ، حتى كان اكتشاف مناجم الذهب سنة ١٨٥١ فبدأت البعثات العلمية والاستكشافية تفد إليها ، وتطلعت الأنظار من كل جنس ودولة إلى خيراتها البكر ، فتتابع سيل المهاجرين من الباحثين عن العيش والراغبين فى الثراء . وكان نزول هؤلاء أولا على السواحل ، فلم يستطيعوا المخاطرة بارتياد قلب القارة نظراً لوعورة الطرق وكثافة الغابات وعدم وجود الوسائل الكافية للانتقال .

وكان من هؤلاء المهاجرين جماعة مسلمون قدموا من الهند وأفغانستان وبلوخستان حملوا معهم دين الإسلام لأول مرة إلى هذه القارة ، وكان ذلك فى أوائل النصف الثانى من القرن التاسع عشر سنة ١٨٦٠ أو سنة ١٨٦٩ على اختلاف فى الروايات ، وقد أرادت البعثات العلمية والاستكشافية أن تدخل قلب القارة ولكن وسائل الانتقال تنقصهم ، ففكروا فى استخدام هؤلاء الأفغان الوافدين ، الذين مهروا بحكم طبيعة بلادهم فى ارتياد الصحارى وتحمل مشاق السفر وتقلبات الجو ، فقاموا ومعهم دوابهم وإبلهم بتسهيل مهمة البعثات وانتقلوا معها فى كل

مكان ، وكانت هذه المهمة وسيلة لانتقال الإسلام وانتشاره من جوانب القارة من أدليد Adelaide إلى داروين Darwin ومن برث Perthe إلى سيدنى Sydney . وفى هذه الأماكن كلها نودى باسم الله فى كل أذان ، وذكر اسمه فى كل صلاة .

وكان من سياسة هذه الطليعة الإسلامية أن يجتمعوا حول الآبار ، متخذين منها مراكزاً لنشر الدعوة الإسلامية ، وما لبثت أن تكونت حول هذه النقط مدن صغيرة مثل ماريه Marree ، أليس Alice ، ويلز Wells بردسفيل Dirdsville ، كاترين Katherine. واستدعى المسلمون أسرهم وكونوا جالية إسلامية اعترف بها رسمياً فى البلاد .

وأول مركز إسلامى أنشىء فى القارة فى مدينة « أدليد » على الساحل الجنوبى ، ففى سنة ١٨٨٩ اشترى الحاج « ملاميربين » Mairbain وهو أحد مهاجرى الأفغان ، قطعة أرض أقام عليها مسجداً ساهم فيه المسلمون الذين كانوا يبلغون إذ ذاك ٤٠٠ مسلم وكان ذلك سنة ١٨٩٦ . وهو لا يزال إلى الآن تقام فيه الشعائر ويحمل اسم صاحبه ، وتشرف عليه الجمعية الإسلامية . وبعد وفاته وفد على المنطقة كثير من المسلمين واصلوا أعماله الخيرية فى الإشراف على المسجد ، فأنشئوا كثيراً من الممرات وعملوا عدة تحسينات فى المساكن الملحقة به وغرسوا الأشجار فى ساحته ، وأنشئوا دورة مياه بجواره يفيد منها المترددون على المسجد ، خصوصاً كبار السن، الذين يلازمونه فى أغلب الأوقات .

كما أنشىء مسجد فى مدينة « ماريه » ، غير أنه لسوء الحظ أصبح لا يؤمه المصلون بعد أن تصدعت جدرانه وأهمل شأنه ، وقد كان هذا المسجد آخر ما ينظر إليه الإنسان وهو يغادر جنوبى استراليا . وبعد سنة ١٩٥٢ أصبح عدد المسلمين المهتمين به قليلا ، ولم يشأ الجيل الناشىء أن يعيد إليه سابق عهده ، بل تركوه للرياح وعوامل الطبيعة تقتص من أطرافه ، حتى اختفى إلى الأبد هذا المعقل الإسلامى العظيم .

وفى بداية القرن العشرين نزح بعض المسلمين إلى غربى استراليا، ووصلوا إلى ميناء «فريمانتل Freemantle» ليتنقلوا منه إلى سهول «نولايور» فوضعوا الحجر الأساسى لمسجد « برث » سنة ١٩٠٥ ، وما يزال هذا المسجد قائماً ، وقد ألحق به مسكن يأوي إليه المسلمون ، الذين يرفض الأهالى إيواءهم بسبب التعصب العنصرى وهو يبعد عن ميناء «برث» بنحو نصف ميل، وقد استطاع هذا المسجد، الذى ظل مهجوراً عدة سنين أن يسترد نشاطه كسابق عهده ، بعد أن تعهده الأوروبيون الذين اعتنقوا الإسلام .

وعلى الشاطىء الشرقى للقارة يوجد مركز إسلامى ثالث فى « بروكن هل Broken Hill فقد أنشىء فى سنة ١٩٠٨ مسجد صغير مازال يتردد عليه القلة الباقية من المسلمين والمسنين فى هذه المنطقة، كما هو الحال فى مسجد « برسبين Brisbane ».

ويلاحظ أن كثيراً من المساجد تقام عند ما يحل المسلمون بالمنطقة . فإذا ارتحلوا عنها إلى حيث النشاط الاقتصادى كاكتشاف منجم أو غير ذلك . أهمل المسجد . وترك مأوى للضالين والحيوانات المتوحشة . أو استعمل لغرض آخر . كما أهمل مسجد « ماريه » سنة ١٩٣٢ . ومسجد « تاسمانيا » الذى اتخذه الجيش الأسترالى معسكراً له فى الحرب العالمية الثانية ، ولم يستأنف نشاطه بعد .

ولا توجد إحصاءات رسمية دقيقة تبين عدد المسلمين فى القارة ، نظراً لكثرة تنقلهم ، وعدم وجود رابطة تجمعهم ، كما أن عددهم يختلف من آن لآخر بالهجرة ، والبعثات التعليمية والتجارية لا تطول مدة إقامتها هناك كثيراً .

فنى سنة ١٨٨١ كان عدد المسلمين فى جنوبى استراليا ٤٧٦٢ ، وفى سنة ١٩٣٣ كانوا ٤٤٩ ، وفى سنة ١٩٤٥ كانوا ٦٠٠ وفى سنة ١٩٥٥ كانوا ٣٠٠ . كما كان عددهم ١٨٥٧ فى فيكتوريا وتسمانيا ٢١٦ ، وفى سنة ١٩٠١ كانوا ٤٦٧ ، وفى سنة ١٩٥١ كانوا ٧٠٢ . وفى سنة ١٩١٦ قدر بعض الباحثين عدد المسلمين جميعا بنحو ٣٩٠٨ نسمة (١) . غير أن عددهم زاد بعد هذا التاريخ ، فقد هاجر إلى استراليا كثير من مسلمى الهند والملايا والصين وشرق إفريقيا ، وفى سنة ١٩٢٤ عقب الحرب العالمية الأولى هاجر إليها عدد من مسلمى ألبانيا وشبه جزيرة البلقان . ثم أوقفت الهجرة سنة ١٩٤٥ ولم تأت سنة ١٩٤٨ أى بعد الحرب العالمية الأخيرة حتى بدأت الهجرة مرة ثانية فوفد المسلمون إليها من أوروبا والشرقين الأقصى والأوسط . ويوجد الآن مسلمون من بولندة وألمانيا وانجلترا وبلغاريا ويوغسلافيا وألبانيا ولبنان وفلسطين وغيرها . ومن بين هؤلاء طلاب من الملايا والهند وباكستان وأندونيسيا وسيلان . يعودون إلى بلادهم بعد انتهاء بعثاتهم . كما يوجد تجارة مسلمون يتصلون بالمسلمين فى الموانىء . وبهذا يكون فى استراليا حوالى خمسة آلاف مسلم من المقيمين وحوالى ألف من الطلاب . هذا ما يقوله رئيس الجالية الإسلامية فى أدليد (٢) . وقد زار أحد المصريين استراليا سنة ١٩٤٨ وألقى محاضرات فى « ملبورن » ونشر بيانات عن الإسلام .

---

(١) دليل العالم الإسلامى ، الطبعة الثالثة .

(٢) Islamic Rev Fe, 1956.

ويقول إن كثيرا من الأهالى اعتنقوا الإسلام. ويقدر عدد المسلمين بنحو ١٢ ألفا .

ومهما يكن من شيء فإن المسلمين هناك لهم جمعيات فى الأماكن التى يكثرون بها فى فيكتوريا وسوث ويلز . وكوينزلند . وأهمها جمعية « أدليد » التى يرأسها مسلم انجليزى الأصل يدعى : حسين . ر . ل . بريستلى Pristly . اعتنق الإسلام سنة ١٩٤٧ عند ما زال من نفسه الشك الذى ظل يساوره منذ الصغر ولم يجد له جوابا شافيا فى الديانات الأخرى حتى ألجأته الظروف إلى الانخراط فى سلك الجندية فى قوات الأمن بفلسطين واختلط بعلماء المسلمين ووجد فى الإسلام إنصافا لجميع الأنبياء واعترافا بهم فأسلم [١] ونائب رئيس الجمعية بولندى وأمين الصندوق ألبانى . والجمعية تقيم الشعائر وتحتفل بالأعياد والمواسم الإسلامية وتلقن الكبار والصغار بعض الدروس الدينية وأصول العبادات .

وقد اشتغل المسلمون أول ما نزلوا القارة بالزراعة والرعى والتجارة والعمل فى المناجم وتعبيد الطرق . وبفضلهم اكتشفت مناطق مجهولة . وأمكن للبعثات أن تقوم بمهمتها فى الكشف واستغلال موارد الثروة . وعند ما كان المسلمون يقومون بذبح الحيوانات راجت تجارة اللحوم المحفوظة وتصديرها إلى الخارج . فلما صرفوا عنها وقف تصديرها إلى البلاد الإسلامية . وبرز نشاطهم فى أعمال الملاحة بالموانى . فيوجد فى ميناء «ملبورن» ٧٠ مسلما من بين عمال الشحن والنقل والتخليص .

وقد نقلوا إلى البلاد زراعات لم تكن موجودة كالبلح وأدوا خدمات جليلة للبعثات الاستكشافية ، وبرز منهم فى هذا المضمار « بيجاه درويش » الذى كان سببا فى نجاة بعثة « ويلز » بعد أن أشرفت على الهلاك إذ ضلت الطريق ، فوجهها درويش بالبوصلة واقتفاء الأثر وواصل بها السير فى تحمل وصبر بالرغم من أن سنه جاوز التسعين ، فنجت من الهلاك

ومثله فى ذلك ابنه « جاك بيجاه » الذى عبر ببعثة الدكتور «ماديجان madigan» سنة ١٩٣٩ مجاهيل صحراء « سيمبسون » إلى « أليس سبرنجس » .

وقد نقل الألبانيون إلى استراليا صناعة الدخان وإن كانوا هم قد انصرفوا عنها إلى الزراعة . وقام مهاجرو البلقان بإدارة الفنادق والمقاهى .

ومما يدل على آثار المسلمين الطيبة التى تركوها فى البلاد ما سجل من الأسماء لبعض المدن والأماكن التى حلو بها . ولعل من أهمها اسم « خان » الذى أصبح يطلق على سكة

---

(١) Islamic. Rev. Sep. 1957.

حديد « أدليد » منذ أن أدخل فيها القطار البخارى وقطار الديزل ، كما يطلق على تل هناك اسم « تل بيجاه » نسبة إلى بيجاه درويش ، تخليدا لذكره .

ومن الرجال الذين خدموا الإسلام فى استراليا شيخ مسن يدعى « محمد على » وهو انجليزى الأصل وكان كبير الجالية الإسلامية الموجودة الآن فى جنوبى استراليا . و « محمد أيوب خان » الذى يرعى المسلمين فى مينا « برث » والمرحوم الحاج ملا مربين السابق ذكره ، و « عبد الوديع الأفغانى » و « غلام ربزل » . و « سعيد نيزمحمد » و « باهى خان » وقد عاد هؤلاء إلى بلادهم وتركوا الإشراف على الجمعية إلى ابن عبد الوديع الذى بقى هناك يواصل نشاطهم . كذلك ممن خدموا الإسلام « محمد علوم » الذى قام بطبع النشرات لصالح الدعوة الإسلامية فى « أدليد » و « عبد القادر » وهو من « ماريه » الذى أدخل زراعة النخيل إلى البلاد .

هذا والمسلمون متمسكون بدينهم ويدينون بمذهب أهل السنة . ويؤدون الشعائر على مذهب الإمام أبى حنيفة الذى حمله إليهم الأفغان كما يوجد نحو ٥٠٠ مسلم فى غينيا الجديدة التى تقع تحت الانتداب الأسترالى ، قدموا من إندونيسيا ، ومذهبهم شافعى .

تلك نبذة عن الإسلام فى ماضيه وحاضره ، فهل نستطيع أن نقدم للمسلمين فى مهجرهم هذا شيئا يفيدون منه فى مستقبلهم ؟ أعتقد أن أية خدمة يؤديها الأزهر إليهم ؛ سيكون لها صدى بعيد الأثر فى نفوس هؤلاء الذين ينظرون إلى الأزهر كمصدر إشعاع روحى وثقافى على العالم الإسلامى أجمع ، والله الموفق والمعين . ؟

عطية صقر

كسب المعاش

إذا المرء لم يكسب معاشا لنفسه ... شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا

وصار على الأدنين كلا وأوشكت ... صلات ذوى القربى له أن تنكرا

وما طالب الحاجات من حيث تبتغى ... من الناس إلا من أجد وشمرا

فلا ترض من عيش بدون ، ولا تنم ... وكيف ينام الليل من كان معسرا ؟

من شعراء الوحدة :

القاضي الفاضل

للأستاذ علي العماري

٥٢٩ — ٥٩٦ هـ

— ٣ —

حياته :

هو عبد الرحيم بن علي بن الحسن ، ولقبه مجير الدين ، وكنيته أبو علي ، وشهرته القاضي الفاضل ، ولد بعسقلان إحدى مدن فلسطين ولذلك ينسب أحيانا إليها فيقال العسقلاني وتولى أبوه قضاء بيسان ، وهي من مدن فلسطين أيضا ، وكثيرا ما ينسب القاضي إليها ، فيقال عبد الرحيم البيساني ، وبهذا الاسم سمي الشارع الصغير ، في حي المنيرة بالقاهرة وينتهي نسب هذه الأسرة إلى لخم إحدى القبائل العربية ، ولذلك يقال في نسبها (اللخمي) .

نشأ القاضي بعسقلان ، وتلقى بها علوم العربية ، وشدا شيئا من الأدب ، ثم أرسله والده القاضي الأشرف إلى مصر ليلتحق بديوان المكاتبات ، في زمن الخليفة الحافظ الفاطمي وكان يتولى ديوان الإنشاء في ذلك الوقت الموفق بن الخلال الذي وصفه العماد الأصبهاني بقوله : « هو ناظر مصر وإنسان ناظرها ، وجامع مفاخرها » وهذا الرجل يعتبر الأستاذ المباشر للقاضي الفاضل :

ويروي عبد الرحيم قصة وفوده إلى مصر فيقول : كان فن الكتابة بمصر في زمن بني عبيد غضا طريا ، وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من رأس يرأس مكانا وبيانا ، ويقيم لسلطانه بقلمه سلطانا . وكان من العادة أن كلا من أرباب الدواوين إذا نشأ له ولد وشدا شيئا من علم الأدب أحضره إلى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع ؛ فأرسلني والدي ، وكان إذ ذاك قاضيا بثغر عسقلان إلى الديار المصرية في أيام الحافظ وهو أحد خلفائها ، وأمرني بالمصير إلى ديوان المكاتبات ، وكان الذي يرأس به في تلك الأيام رجل يقال له ابن الخلال ، فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفته

من أنا وما طلبي رحب بى وسهل . ثم قال : ما الذى أعددته لفن الكتابة من الآلات ؟ فقلت : ليس عندى شىء سوى أنى أحفظ القرآن العزيز وكتاب الحماسة ، فقال : وفى هذا بلاغ ، ثم أمرنى بملازمته ، فترددت عليه وتدربت بين يديه ، ثم أمرنى بعد ذلك أن أحل شعر الحماسة فحللته من أوله إلى آخره ، ثم أمرنى أن أحله مرة ثانية فحللته (١) » .

وبعد أن تخرج كتب لقاضى الإسكندرية ابن أبى حديد . ولما ظهر فضله استدعى للعمل بديوان الإنشاء بمصر وكان الذى استدعاه الملك العادل بن رزيك ، وزير الخليفة الفاطمى (العاضد) ، وقد أثنى عمارة اليمنى فى كتابه (النكت) على الملك العادل فقال: « ومن محاسن أيامه وما يؤرخ به عنها ، بل الحسنة التى لا توازى ، واليد البيضاء التى لا يجازى ، خروج أمره إلى والى الإسكندرية بتسيير القاضى الفاضل الأجل أبى على عبد الرحيم بن على البيسانى إلى الباب واستخدامه فى حضرته ، وبين يديه فى ديوان الإنشاء (٢) » .

ثم كتب بعد ابن رزيك لأسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الأيوبى ، ثم لصلاح الدين وأصبح وزير دولته ، وصاحب الأمر الأول فيها كما خدم ابنه العزيز ، ثم اعتزل فى بيته وعكف على التلاوة وقراءة القرآن ، ويبالغ العماد الأصبهانى ، فيقول إنه كان يختم القرآن فى كل ليلة . وكان بينه وبين العادل أبى بكر بن أيوب وحشة ، وكان الفاضل يخشى أن يتولى العادل ملك مصر ، فلما بلغه مجىء العادل ملكا على مصر دعا الله على نفسه بالموت ، فمات قبل دخوله ، ويقال: إن العادل كان داخلا من باب النصر ، وجنازة الفاضل خارجة من باب زويلة [١] . وكانت وفاته فى سنة ٥٩٦ هـ عن سبعة وستين عاما .

وقد أجمع مؤرخو الفاضل أنه كان دميم الخلقة فكان أحدب أوقص [٢] قصيرا ، ويروى أنه دخل حماما ذا قبة فقال بيتين يصف فيهما نفسه :

ما كان يكمل حر ذا الحمـــــــام
حتى ازداد قبـــــــة

---

(١) الروضتان جـ ١ ص١٩٢ ، وقد نقله عن ابن الأثير فى أول كتابه (الوشى المرقوم) حيث قال إن القاضى حدثه بهذا الحديث .

[٢] النكت ص ٥٣ عن كتاب دراسات فى الشعر فى عصر الأيوبيين ص ٢٠٧ .

[١] زويلة كجهينة أو كسفينة ، قبيلة من قبائل البربر الواصلين مع جوهر القائد من المغرب ، ويطلق على باب بناه بدر الجمالى ، وهو قائم إلى اليوم وتسميه العامة بوابة المتولى ، حيث كان يجلس فى مدخله متولى حسبة القاهرة .

[٢] الوقص بالتحريك : قصر العنق وفعله وقص كفرح ، وتواقص : تشبه بالأوقص .

فكأنني فيه خروف شوا ومن فوق مكبة

مكانته :

لا يكاد أحد شدا فى تاريخ الأدب شيئاً يجهل القاضى الفاضل ، فهو يقرن بابن المقفع والجاحظ وابن العميد فى أن لكل منهم طريقة فى الكتابة الفنية عرفت باسمه ، والسمات البارزة فى الطريقة الفاضلية هى الإكثار من المحسنات البديعية وخصوصاً الجناس والسجع والتورية والطباق ومراعاة النظير ، واختيار الألفاظ الجزلة ، والتلاعب بالألفاظ والإسراف فى الصناعة حتى ولو أدى ذلك إلى التكلف والثقل ، وقد أشرت إلى هذه الطريقة فى الحديث عن العماد الاصبهانى .

وطريقته امتداد لطريقة كتاب الدواوين فى العهد الفاطمى ، وقد أصبحت هذه الطريقة موسومة فى كتب الأدب باسمه ، ولكن بعض الباحثين المحدثين ينكر أن يكون فن القاضى الفاضل أهلا لكل ماقيل عنه ، وعنده أن نسبة المذهب إليه لون من ألوان التعسف فى الحكم النقدى والتاريخى وأن الذى حمل الناس على أن يرفعوا من شأن القاضى ، هو أنه كان وزير مصر الأول فى الأيام الصلاحية ، ولو لم يكن هو صاحب السلطان الفعلى فى البلاد ماكان المؤرخون والنقاد يشيدون بفنه على هذا النحو الذى نجده فى كتب معاصريه أو فى الكتب التى نقلت عن معاصريه ، فالحقيقة التاريخ تقول إنه لم يبتدع هذه الطريقة التى نسبت إليه بل كان مقلداً لمن سبقه ، وأصل هذه الطريقة عنده الكاتب ابن عبد كان من كتاب الطولونيين[1] .

قلت : ومن من هؤلاء الذين نسبت إليهم طرائق الكتابة كان مبتدعا لها ، لم يكن ابن المقفع مخترعا لطريقته ، وإنما كان مقلداً فيها ، ثم عرف بها لما أكثر منها ، وبرز فيها ، وكذلك كان الجاحظ ، وكذلك كان ابن العميد ، فالطرق الكتابية لم تعرف بمبتدعيها ، وإنما عرفت بالذين برزوا فيها . وهكذا كان الشأن فى القاضى الفاضل ، صحيح أن معاصريه امتدحوه وأشادوا به وغلوا فى مدحه ، ولكن الرجل كان مع ذلك أهلا لكثير مما امتدح به ، وقد بالغوا فى عدد الرسائل التى أثرت عنه ، ومهما يكن من شىء فما أظن أن لأحد من معاصريه أو ممن سبقه هذا القدر من الرسائل ، ولقد شهد الفاضل أقوى فترة فى تاريخ محاربة العرب للصليبيين ، وكان فيها اللسان الناطق ، والكاتب المؤرخ ، والرأى الرشيد وتكاد تكون رسائله تاريخا دقيقاً

[١] دكتور محمد كامل حسين فى كتابه [فى أدب مصر الفاطمية] و [دراسات فى الشعر فى عصر الأيوبيين] .

مفصلا لهذه الفترة من حياة مصر ، فعنى بها المؤرخون والأدباء في حين اندثرت أو كادت رسائل السابقين له وكتاباتهم ، فكان طبعيا أن تنسب إليه هذه الطريقة في الكتابة ، ولا يكون في ذلك إجحاف بأحد ، لأنهم لم يبالغوا فيها كما بالغ ، ولم يكتب لأدبهم الخلود كما كتب لأدبه ، وليست تعنينا الأسباب التي خلدت أدبه ، وإنما يعنينا أنه خلد . وقد جاء في كتاب طبقات الشافعية هذه العبارة : (أجمع أهل الأدب على أن الله تعالى لم يخلق في صناعة الترسل من بعده مثله ولا من قبله بأكثر من مائتي عام وهو بينهم كالشافعي وأبي حنيفة بين الفقهاء ، بل هم له أخضع) . قد يكون في هذه العبارة مبالغة لسبب أو لآخر ، ولكن الذي نقطع به الآن أنه لم يؤثر عن أحد من معاصريه ولا من السابقين له مثل ما أثر عنه ، وهذا يكفي في نسبة الطريقة إليه ، على أنها إذا كانت في عصره وظلت قرونا بعد ذلك شرفا وفضلا فإننا الآن نعيبها وننتقصها ، ونعتبرها جناية على الأدب .

ولقد كان للقاضي الفاضل ، فضل على كثير من نوابغ الكتاب والشعراء في عصره ، وقد أظلهم بجناحه ، ووصلهم بمعروفه ، ونفعهم بجاهه ، فامتدحوه ، وبالغوا في الثناء عليه ، ولعل أكثرهم امتداحا وثناء للعماد الأصبهاني ، فقد ألف كتابه (الخريدة) وقال في أوله : (وقبل شروعي في ذكر أعيان مصر وأحاسنها ، ومزايا فضائلها ومزاينها ، أقدم ذكر من جميع أفاضل الدهر وأماثل العصر ، كالقطرة في تيار بحره ، بل كالذرة في أنوار فجره ، فهو كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرائع ، ورسخت بها الصنائع) . وطريقة العماد في المبالغة واضحة ، ولكنها طريقة قديمة أيضاً ، شرعها الثعالبي في كتابه (اليتيمة) ، فكل كاتب عنده بكر الدهر ، وإنسان عين الفضل .

وقد كان صلاح الدين يجل الفاضل ، ويحرص عليه ، ويمثل هذا الحرص موقفه منه حينما أراد الفاضل الحج ، فقد استأذن من السلطان ، فكتب إليه السلطان بخطه توقيعا (على خيرة الله تعالى ، يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيما) ثم كتب السلطان إلى بعض النواب بخطه أيضاً : « وصلني كتاب القاضي الفاضل وهو يذكر أنه مصمم على الحج ، الله يجعله مباركا ميمونا ، ولكن لا أفسح له فيه إلا بعد اثنتين ، واحدة ، أنه لا يركب بحر ، يسير من العسكر إلى أيلة ، ومنها يتوجه ويقيم العسكر على أيلة ليلة ، وعلى أرم ليلة ودون أرم ليلة ، وقاطع أرم ليلة ، فيكون هو قد بعد وما يبقى عليه خوف ، إن شاء الله تعالى ، وثانية تأخذ يده ، وتحلفه برأسي

أنه لا يجاور ، وثالثة تعطيه من مال الجوالى ثلاثة آلاف دينار ، وتقول له لابد أن يخرج هذا عنى لا عنك فى المجاورين بمكة والمدينة وفى أهلها ، هذا أمر لابد منه ، فإن الناس لابد لهم من الطلب . ولابد لك من العطا ، وإن قال إن الشىء قليل فأنت تقرضنى مثل هذا المبلغ من مالك وتعطيه إياه ، فلابد ، وإلا فلا إذن له فى الرواح إلى الحج إلا على هذه الشروط التى قد شرطتها ، وأما مجيئه فيجىء إلى الشام ؛ فأنا ما بقى لى دار إلا هى حتى يقضى الله بيننا وبين الفرنج وهو خير الحاكمين [1] » .

فهذا الكتاب من أدل الوثائق على ما كان يحمله صلاح الدين من الإكبار والإجلال والحرص على القاضى الفاضل ، فهو يشترط عليه ، إذا سار إلى الحج ألا يركب بحرا ، خوفا عليه وضنا به ، ثم يؤمن طريقه فيرسم خطة إقامة العسكر حتى يبعد القاضى ويأمن ، وينجو من الخوف . وثانيا يشترط عليه ألا يبقى بمكة بعد الحج ، وألا يجاور فيها ، وما ذلك إلا لأن الدولة فى أمس الحاجة إليه .

أما إكرامه له ، وإعطاؤه من المال ، فواضح الدلالة ، حتى إن السلطان بذل ما عنده وطلب من نائبه أن يقرضه إذا احتاج الفاضل إلى أكثر مما أمر به .

ومع كل الاحتياطات التى اتخذها السلطان للمحافظة على حياة وزيره ومستشاره ، فقد جرى فى الطريق التى سلكها خطوب وشئون وأحاديث كلها شجون ، وتعرض لهم العدو . ولكن كانت العقبى إلى سلامة ـ كما يقول القاضى ـ ووصل إلى السلطان ، فوجده فى الغزاة جاهدا ، وللعدو مجاهدا .

ولعل سر قوة هذا الرجل أنه كان معتزا بشخصيته ، محبا للخير ، مخلصا لبلاده وسلطانه مؤثراً للحق ، صادعا بالرأى الذى يراه . ولولم يكن فيه هوى السلطان ، حدثوا أن صلاح الدين ضاق ذات مرة بكثرة الوفود التى تفد على بابه ، ومل وضجر من كثرة المطالب التى تقدم إليه فشكا إلى القاضى ، وذكر أن الملوك قبله كانت تخافهم الرعية ، وتتوقع منهم البلية ، فى حين أنه إذا ركب أو نزل تعاوره الناس بالقصص ، وساوروه بالغصص ، فنصحه الفاضل بأن يشكر الله ، وأفهمه أنه كان بمصر خليفة كان يرتع الخلق فى رياض إنعامه ، وكان بالشام فى كل بلد وال له على أهله نعم ومواهب ، وقال له : أنت اليوم سلطان الجميع ، وقد اجتمع أولئك المتفرقون على بابك فعليه أن يكرمهم ، فبكى صلاح الدين وأقسم أنه ما عاش لا يرد قاصدا ولا يصد وافدا ، وكتب القاضى إليه مرة يعرض بأنه قطع رزق بعض الفضلاء . فكتب السلطان بخطه : وقفت على رقعة الفاضل وما يقطع لأحد رزق إن شاء الله تعالى .

(١) الروضتان جـ ٢ ص ٧ .

شعره :

للقاضى الفاضل ديوان لا يزال مخطوطا ، وفيه أشعار فى مختلف الأغراض من مدح ورثاء وهجاء وغزل ووصف ، وقد أخل فيه وأحمض ، وهو فى جملته ركيك الصياغة قليل الرواء ، ضحل المعانى ، وربما ظفرت فيه ببيت أو بيتين ، فى الفينة بعد الفينة ، تكون عليها مسحة من الجمال ، ولو كانت شاحبة ، أما جمهرة شعره ، فلا خير فيها من الناحية الفنية . ومما يستحسن قوله فى الشيب :

داء ولكنه داء بلا ألم
شيب ألم برغم العين فى اللمم
أما وقد قيل ضيف للشيب فلا
يلقاه ـ والله ـ وجهى غير مبتسم
إن تطلب العيش إن ولى الصبا فلمن ؟
أو تنكر الهم إن فات الهوى فلم ؟

وقوله .

وأكثر هم المرء من أهل وده
ألم تر أن الخمر مظهرة السر ؟ !

وقوله :

يقولون إن الصبر صفقة رابح
فقلت ولكنى خسرت بها العمر !

وقد نسب إليه صاحب النجوم الزاهرة هذان البيتان :

وإذا السعادة لاحظتك عيونها
نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهى حبائل
واقتد بها الجوزاء فهى عنان

وذكر ابن خلكان أنه كان يتمثل بهما وليسا له ، وأنا أرجح رأى ابن خلكان فإن البيتين أعلى طبقة من شعره .

وقد استشهد علماء البديع بكثير من شعره فى أنواع كثيرة ، ولكن ذلك لا يدل على أن الشعر جيد .

وله مدحة طويلة فى شاور الوزير الفاطمى وكان شاور قد طرد الصليبيين من بلبيس إبان وزارته الثانية .

وفى كتب المختارات بعض قصائده ، ولكنها أيضا لا تصلح للاختيار ، كهذه القصيدة التى اختارها أصحاب المنتخب والتى مطلعها (قضى نحبه الصوم بعد المطال) . وأحسن ما فيها فخره بنفسه فى قوله :

ولست لسانا لذل السؤا
ل وما زلت صدرا لعز السؤال
حديث يناجى فروع السحا
ب وأصل يناجى أصول الجبال

عمله فى وحدة البلاد :

سبقت الإشارة إلى مكانة الفاضل فى دولة صلاح الدين ، وإذا كان هذا السلطان قد وحد البلاد ، وطرد الصليبيين ، ودانت له مصر والشام واليمن وغيرها ، فإن القاضى

الفاضل يزاحم فى هذا الفضل بمنكب ضخم ، فكل ما تم على يد صلاح الدين ،من الشئون الداخلية والخارجية كان برأى وزيره الفاضل ، وقد اعترف صلاح الدين نفسه بهذه الحقيقة فكان يقول ـ كما روى صاحب النجوم الزاهرة : « لا تظنوا أنى ملكت البلاد بسيوفكم ، بل بقلم الفاضل » وردد أحد الشعراء وهو ابن الذروى هذا المعنى ، فقال فى مدحه :

لو أيك هذا النصر للدين ينتمى
فلا ينتحله كل عضب ولهذم
وإن كان فيه للأسنة والظبي
مساعدة فالفضل للمتقدم

وكان صلاح الدين إذا هم بغزاة بدأ بزيارة الفاضل يستضىء برأيه فيما يريد فعله، وكان ـ كما يقول أبو شامة فى الروضتين ـ لا يأتى أمرا إلا من بابه .

وأكثر الشعراء من مدح الفاضل بهذا المعنى ، ومن ذلك ما تردد فى شعر العماد من أن قلم الفاضل يقوم مقام الكتائب .

والذى يطالع رسائل الفاضل ، وهى كثيرة لو جمعت لكانت مائة مجلد ، تبدو له هذه الحقيقة واضحة ، فقد كان يرسم الخطة للقتال فى بعض المعارك . وكان يرسل الكتب للأقاليم تدعو إلى توحيد الصفوف، ومواجهة الأعداء بقلب متحد ، ويرسلها إلى دار الخلافة يؤكد بها عمل صلاح الدين على لم الشعث ، وتجميع المتفرق ، وقد كان صاحب الموصل نازع فى بعض الولايات ووسط بينه وبين الفرنج جماعة من المارقين، فكتب الفاضل عدة كتب يتأسف على الأوقات التى تضيع فى جهات صاحب الموصل، وأولى بها أن تصرف فى محاربة العدو : وقد علم الله أنا لهدنتهم كارهون ، وفى مصلحة أهل الإسلام وفى مصالحهم راغبون ، ولكنا بلينا بقوم كالفراش وأخف عقولا وكالأنعام أو أضل سبيلا ، إن بنى معهم فعلى غير أساس ، وإن عدد الغدر منهم فهو أكثر من الأنفاس .

قلت : والتاريخ يعيد نفسه ،وما أقرب بغداد وعمان من الموصل .

وقد أعلن القاضى فى هذه الأزمة موقف صلاح الدين،فقال : وما يريد إلا من تكون عليه يد الله وهى الجماعة ، ولا يؤثر إلا ما يتقرب به إليه وهو الطاعة .

ويمتنع صاحب اليمن عن دفع مال للمجاهدين فيكتب إليه الفاضل كتابا يبين له فيه مدى الضرر الذى يلحق بالمجاهدين من احتجاز الأموال عنهم ، ويقول له : أنت مؤتمن على مال الله فأده إلى من يجاهد به أعداء الله ، ويقيم به كلمة الله ، وينصب وجهه بين الهجير والزمهرير عاما فى إثر عام .

ويكتب إلى بغداد عن السلطان بعد فتح حلب ، فيكون أهم ما يعنيه أن ينص على

وحدة الأمة، فيقول: (والأمة مجموعة الشمل بإمامته جمع السلامة لا جمع التكسير). وكل ذلك يدلنا على مدى شعور هذا الوزير الخطير بخطر الوحدة، وما لها من أثر في جمع الكلمة، وطرد الأعداء.

ويتخذ من يوم إعادة الخطبة للخليفة العباسي عيدا، يترنم فيه بكلمة الوحدة، ويكون أقوى ما يسب به الدولة الزائلة وأنصارها إنهم (تقطعوا أمرهم بينهم شيعا، وفرقوا أمر الأمة وكان مجتمعا).

ويتجلى شعور الفاضل بالوحدة، وخطورتها حين يكتب إلى الملك الظاهر معزيا في أبيه صلاح الدين فيقول في آخر الكتاب: (وأما الوصايا فما يحتاج إليها، والآراء فقد شغلني المصاب عنها، وأما لائح الأمر فإنه إن وقع اتفاق فما عدمتم إلا شخصه الكريم وإن كان غير ذلك فالمصائب المستقبلة أهونها موته وهو الهول العظيم. والسلام).

ولكن وقع ما كان يخشاه الفاضل واختلف أبناء صلاح الدين فيما بينهم على تملك البلاد وكان ذلك نذيراً بتشتت الشمل، وتفريق الكلمة، فنهض الفاضل ليرأب الصدع، ويحول دون الكارثة، ولكنه لم يفلح، فلزم بيته واعتزل الناس.

وللفاضل شعر في مدح صلاح الدين أكثره كان تهنئة بالفتوحات التي تمت على يده ولكنه لا يبلغ درجة نثره، ومن ذلك قوله في وصف أسياف صلاح الدين.

ماضيات على الدوام دوامي
هي في النصر نجدة الإسلام
في يمين السلطان إن جردتها
أشبهتها صواعق في غمام
تنثر الهام كالحروف فما أشبه
هذي السيوف بالأقلام
في محاريب حربه البيض صلت
وركوع الظبى سجود الهام

وجماع الأمر أن هذا الوزير الخطير، والأديب الكبير، قد خدم الوحدة أجل الخدمات، برأيه الثاقب، وأدبه البارع، وتمكنه من الدولة الصلاحية، وبجمعه حوله الشعراء الذين تغنوا بأناشيد الوحدة، وأشادوا بفتوحات صلاح الدين، وكانوا من أقوى العوامل في تحميس الجيوش لاسترداد البلاد التي استولى عليها الفرنج.

وقد كتب العماد فصلا رائعا يذكر فيه وفاة القاضي الفاضل، وضمنه عظم الرزية فيه، وذكر جلائل أعماله، وإن كتابته كانت كتائب النصر، وبلاغته كانت ميزة العصر الصلاحي، وقد أشار إلى إقالته عثرات الكرام وأن الكرام كانوا في ظله يقيلون، ومن عثرات النوائب بفضله يستقيلون

رحمه الله رحمة واسعة.

علي العماري

كيف نصلح النحو العربي؟

للأستاذ عبد الله درويش

يكاد يكون هناك اتفاق على أن قواعد النحو فى كتبه الموسوعة التى بين أيدينا ، وبأسلوب علمائها الذى كتبوه منذ قرون تقرب منا أو تتباعد فى حاجة إلى تعديل ما وليس هذا يعنى أبداً تغييراً فى اللغة نفسها أو تعديلا فى نصوصها . . والكل متفق على ذلك . ولكننا نحاول أن نبعد الشبهة التى قد يفهمها البعض من أن تعديل النحو بوضع ما سيؤثر على اللغة العربية نفسها التى هى لغة القرآن والحديث والدين الإسلامى ، ولغة القومية العربية ويحاول أن يؤثر على عواطفنا بإدخال ما ليس من البحث فيه . .

والذى استرعى نظرى أننى لم أجد بيئة معينة من البيئات العلمية اختصت بشىء واحد معين من إصلاح النحو . .

ففى الأزهر الشريف أكثر من رأى ، وفى داخل كلية دار العلوم أكثر من رأى . وفى المجمع اللغوى أكثر من رأى ، وفى وزارة التربية والتعليم أكثر من رأى .

وليس تعدد الآراء فى المكان الواحد أو الأمكنة المتعددة يعنى التضارب دائما .

وسوف تدهشون عندما أعرض عليكم بعض الآراء التى تعد جزئية فى الموضوع وهى لعلماء أجلاء ، قد يشاء البعض من الذين يريدون أن يبقوا النحو كما هو أن يسميهم بالمحافظين .

وبعض هؤلاء العلماء الأجلاء تناول جانبا واحداً من المسألة وبعضهم تناول الأسس العامة لهذه المسائل . .

وأول محاولة جزئية كانت لابن مضاء فى هجومه على نظرية العامل ، ولكنه استبدل العامل ـ وهو الفعل أو شبهه بعامل آخر وهو الله سبحانه وتعالى ولعله كان متأثراً بمذهبه فى التوحيد وهو مذهب أهل الظاهر . . لدرجة أنه رمى من يقدرون عوامل محذوفة فى القرآن ، بالكفر ، لأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه . .

أولا : أما صاحب إحياء النحو وهو الأستاذ ابراهيم مصطفى فقد نظر لنظرية العامل من زاوية أخرى فألغاه ولم يحل محله شيئا . كما استعار اصطلاح أصحاب المعانى ـ المسند والمسند إليه للمبتدأ أو الخبر والفاعل ونائبه . .

وكذلك تأثر باللغة الانجليزية والفرنسية فسمى المفاعيل والحال والتميز مكملات . . وهى مايسميها النحويون - الفضلة وقد طالب صاحب إحياء النحو بألا يقتصر الكلام على الإعراب بمعنى حركة أواخر الكلمات ، بل يتسع فيشمل - إلى جانب هذا دراسة تأليف العبارة والتقديم والتأخير ، وجمع أساليب الكلام المتشابهة كالاستفهام والنفى والتأكيد لأن النحو عنده « هو قانون تأليف الكلام وبيان ما يجب أن تكون عليه الكلمة فى الجملة . والجملة مع الجمل ، حتى تتسق العبارة ويمكن أن تؤدى معناها » .

كما طالب باستبعاد الفلسفة الكلامية التى تطفلت على هذه الدراسة . والتى ساعد على توغلهـــا ناس تأثروا بها وأعجبوا بأساليبها . .

وكانت المقومات الأساسية لمنهج الأستاذ ابراهيم مصطفى فى كتاب إحياء النحو هى :-

١ - ليس الإعراب حكما لفظيا خالصا ، يتبع لفظ العامل وأثره ، بل هو إشارة إلى معنى وإلقاء ظل على صورته . .

٢ - الحركات أعلام لمعان ، فالضمة علم الإسناد والكسرة علم الإضافة والفتحة ليست علما على شىء بل للتخفيف .

٣ - ليس هناك علامات أصلية وعلامات فرعية . بل الكل واحد .

٤ - التنوين علامة التنكير .

٥ - التوابع تابعان فقط . النعت والبدل . فيدخل فى النعت الخبر ، ويدخل فى البدل التوكيد وعطف البيان . أما عطف النسق فليس من التوابع لأن المعطوف يشارك المعطوف عليه .

وقد أدى التشابه فى نظرية العامل بين إحياء النحو والرد على النحاة إلى القول بأن الأول مأخوذ عن الثانى .

وقد قال الأستاذ على النجدى فى ذلك بالحرف الواحد .

« ليس » فى إحياء النحو « ما يدل على أن مؤلفه رجع فيه إلى « الرد على النحاة » وإن كان لينحو منحاه ويستهديه فى بعض المباحث وقد رد العلامة الأستاذ محمد عرفه على إحياء النحو، وكان من أهم ما قال : إن أغلب ما ورد فى إحياء النحو موجود فى حواشى الكتب النحوية الكبيرة . .

ولكن الأستاذ ابراهيم مصطفى كان حريصا فى بعض الأحيان فذكر أن هذه المسألة من كتاب أو تلك موجود نظيرها فى كتاب كذا من الكتب القديمة ، مما يعده النحويون رأيا مرجوحا أحيانا . .

والباحث المدقق يرى رغم التشابه منهجين مختلفين تمام الاختلاف عند ابن مضاء وعند صاحب إحياء النحو .

وقد رد عليه العلامة الأستاذ محمد عرفه ـ النحو والنحاة ـ بين الجامعة والأزهر .

ثانياً : الأستاذ أمين الخولى فى بحث ألقاه فى مؤتمر المستشرقين بعنوان (الاجتهاد فى النحو العربى) واقترح فيه .

(ا) إعادة النظر فى جمع الثروة اللغوية ؛ لأن جمع القدماء إياها بالرغم مما بذلوه من جهود كان غير مستكمل كما صرح به القدماء أنفسهم .

(ب) الاستفادة من علم اللغة العام ومن فروعه الخاصة ، بحيث يضع الدارس دراسته اللغوية على درجة السلم التى تقف فيها الحياة اليوم .

(ج) التخلى عن التعليلات النحوية ، والتخلى عن الصيغ التلقينية فى الإعراب (الكلاشيهات) كقولنا : « النون عوض عن التنوين فى الاسم المفرد ، وهذا لا ينصرف لعلتين هما ... » .

ولكن الأستاذ الخولى فى محاولة أخرى . طالب بتصحيح بعض اللهجات العامية وإدخالها ضمن الفصحى ، وقد اعتمد فى ذلك على بعض الآراء اللغوية التى تقول كل اللغات حجة ، فمثلا هو يرى أن بعض العرب تعرب الأسماء الخمسة بالألف وإنما فلنلتزم هذا وكذلك المثنى والجمع نلتزم فيهما الياء وباقى الكلمات يسكن آخرها .

ولكن هذا يتناول اللغة نفسها لا النحو وقد سبق أن قررنا أن النحو هو الجانب التحليلى للغة العربية ـ التى تتمثل فى القرآن الحديث ومأثور كلام العرب .

ثالثا : محاولة ثالثة ظهرت فى كتاب النحو الجديد .

فقد ذكر المؤلف الفاضل فى آخر كتابه نموذجا موجزا قسم فيه الفعل إلى قياسى وسماعى . وأغفل تقسيم الكلم إلى معرب ومبنى ، وجعل المبتدأ ثلاثة أنواع . مرفوع دائما منصوب دائما مبتدأ يرفع وينصب . وهكذا سار على هذا النحو . جعل بعض المصطلحات عامة وألغى البعض الآخر . وكان ذلك فى ٢٨ صفحة من صفحات الكتاب .

وصاحبه هو العلامة الاستاذ عبد المتعال الصعيدى . وكما قال زميله فى « النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة » . قال الأستاذ الصعيدى : إن إخوانه الأزهريين يسرهم أن واحدا منهم وصل إلى هذا التجديد فى النحو قبل أن يصل إليه غيرهم .

رابعا : محاولة استطرادية فى كتاب « سيبويه إمام النحاة » هو للأستاذ على النجدى جاء فيها ... والآن مالى لا أنكر من النحو شيئا كأنى عنه راض ، وإليه مطمئن . والواقع أنى عند رأيى الذى قلت آنفا فى

شوائب النحو . لا أنكرها ولا أضيق بها وإنما أنكر الإسراف فيها والافتتان بها ، كما تمثل فى أسفار القرون الأخيرة ، قرون التزيد والتكرار فانبهمت المسائل واضطرب النظام ، وغمت المعالم والأصول .

فالذى علينا أن نصنع له أمران :

الأول : أن نرجع النظر فيه من جديد لاعلى أنه فاسد مختل ، يستحق الهدم ، ولكن على أنه صالح مشوب ، يغشاه غبار الزمن ، يختلط فيه الجوهر بالصدف ، والنافق بالزيف ـ حاجته أولا وآخرا أن ينفض عنه الغبار وتنفى عنه الشوائب ، ويعرض عرضا جديدا .

نرجع النظر فى أبوابه فنقدم منها ونؤخر ونضيف إليها ونحذف ، على نور من المنطق وتساوق النسق ، ونرجع النظر فى مسائله فنلغى الشروط المنقوصة ونوحد الأساليب المكررة ، ونطلق الأصول المقيدة عند الحاجة المقتضية . وفى الحدود المرسومة . وعلى هدى من أقوال الأئمة .

ثم استطرد :. ونرجع النظر فى شواهده فنمحصها ونحقق روايتها ونعزها أو نتبدل بها غيرها أو نحذف منها مانراه حقيقا بالحذف كشواهد اللهجات البائدة ، والزوائد اللاحقة .

ونرجع النظر فى علله لانبقى منها إلا مايتصل بالمعنى ويتفق مع طبيعة البيان الرفيع ، إلى أن قال ص ٤٢ :

فإذا خلصت الحالة واستقامت على ما نريد رجعنا إليها نسلكها فى نظام التأليف الحديث ونجلوها فى معرض من لغته العتيدة عسى أن يكون بذلك سفر العصر فى مكتبة النحو ، يدعوه فيلبى الدعوة فى غير إعنات ولا إضاعة وقت ، ونخلفه لمن بعدنا كما خلف لنا من قبلنا .

وهذا هو رأى الأستاذ على النجدى فى كتاب سيبويه إمام النحاة ولكنه عقب فقال هذا وغيره يكلف الجهد والمال .

أما الجهد فمن الممكن نوفره .. وأما المال فعلمه عند أصحاب أمره والقادرين على تدبيره .

خامسا : رأى للأستاذ عباس حسن (عالم جليل آخر معاصر) فقد نشر عدة بحوث فى مجلة « رسالة الإسلام » بعنوان :

« صريح الرأى فى النحو العربى ـ داؤه ودواؤه » وقد نعى الباحث الجليل على النحاة تعدد الآراء النحوية فى المسألة الواحدة . واختلاف الأحكام فيها لدرجة أن من يسمع رأيا فى مسألة ما يمكنه أن يقول وهو آمن : إن هناك رأيا آخر يناقضه من غير أن يكلف نفسه مشقة الاطلاع الى أن قال : فلم تتفق أحكامهم على شىء من كليات النحو أو جزئياته فقد تصل فى بعضها الآراء إلى عشرة أو تزيد .

ومرد هذا التشعب فى الآراء إلى أشياء منها كما يقول « ٤ /٣٨٩ » : إنهم عند جمع اللغة لم يتبعوا منهجا سليما ، فهم قد غفلوا أكثر القبائل وأهملوا الأخذ عنها مع مالها من تراث لغوى فياض . فهم قصروا القبائل الفصيحة على ست . وبديه أن لغات القبائل الست ولهجاتهم لا تحوى جميع اللهجات فى باقى القبائل الكثيرة . فذلك ينافى طبيعة اللغة . ومن هنا ندت كلمات أصيلة وأساليب كثيرة صحيحة عما جمعه اللغويون .

ثم استطرد يقول :

إما أن نضع نحواً خاصا لكل قبيلة ، ولكننا إذا استعملنا واحداً من هذه الأنحاء تفككت الروابط بين العالم العربى .

وإما أن نضع نحواً موحداً للقبائل كلها . لا يحوى لهجاتها مجتمعة . ولا يضم فى ثناياه خصائص كل لغة منها . وإنما يكون أساسه من لغة واحدة ممتازة يعترف الجميع لها بالسمو وليست لغة قريش هى المعينة .

وإنما عنى لغة القرآن الكريم التى لا تنتسب لقبيلة واحدة بعينها ثم الحديث ثم ما اشتهر من كلام العرب فنطلق بعض القيود مثلا لا نشترط فى المبتدأ حين يقع أول الجملة ألا يكون نكرة . وهذا يؤذن بوقوعه نكرة ومعرفة وكذلك الحال لا نذكر أنه يمتنع مجيئها من المصدر ، وهكذا ثم تعرض لأصالة الكلام العربى بعد ذكر الخلاف وانتهى إلى الموافقة فى تحديد عصر الاحتجاج بما قرره المجمع .

إن العرب الذين يوثق بعربيتهم . ويستشهد بكلامهم ، هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثانى ، وأهل البدو إلى نهاية القرن الرابع .

ثم انتقل إلى مشكلة القياسى والسماعى ذاكراً عدم تحديد اللغويين لمصطلحات المطرد الشاذ القليل الكثير الشائع ٣ / ٢٨٤ ، من مخالفاته للقدماء قوله :

فأما النوع المطرد قياسا لا استعمالا فنذهب فيه مذهب أشباهه ونرده إليها ، سواء أكان العرب قد سبقونا للرد أم لم يسبقوا فنقول : أبقلت الأرض فهى مبقل، وودعته ووذرته من يدع ويذر. كما أنه صحح المطرد فى الاستعمال دون القياس ، فيقيس عليه ما لم تنطق به العرب فنقول : استبيع واستصوب كما هو جار على ألسنة الناس فى مصر ثم تناول مشكلة العامل وخلص منها إلى قوله :

لا يعنينا من العامل أن يكون هو المتكلم أو المعنوى أو اللفظ ظاهراً أو مقدراً أو محذوفا فذاك أمر سطحى شكلى بحت .

ولكن للسهولة على المتكلم والقارىء نميل إلى اختيار العامل المعنوى واللفظى ونكتفى بهذا دون الخوض فى التأويل الذى يستتبع الخوف أو التقدير فمثلا :

« لمية موحشا طلل » .

وقوله تعالى « وأن هذا صراطى مستقيما » .

فوحشا ومستقبا كل منهما حال منصوب بالمبتدأ على رأى سيبويه ولا داعى للتقدير كما هو رأى الجمهور .

وكما فى قوله تعالى «وكانوا فيه من الزاهدين . إنى لكما لمن الناصحين» لا داعى لتقدير محذوف فلا تأول .

ومثل : «إذا السماء انشقت» . فهو يقول النحويون يحرمون أن يكون المرفوع فاعلا مقدما أو مبتدأ فلا ينبغى أن تأول «محمد هند مكرمها» خطأ عند البصريين إلى أن يقول لعل فيما أوردناه من الأمثلة ما ينهض دليلا على أن العامل قد تجاوز حدود اختصاصه حين أخرجه النحاة من دائرته المحمودة إلى التحكم فى الألفاظ والتراكيب مما يدعو إلى الدهش بل السخط ، بما أساء إلى اللغة وجعلها عسيرة على المتعلمين والراغبين فيها والناطقين بها ، فيجب أن نتخلص من كل هذه الفكر السقيمة التى أوحت إلى بعض أصحابها قديما أن يقولوا : لولا الحذف والتقدير لفهم النحو الحمير .

مشكلة التعليل :

ناقش الأستاذ الجليل النحاة الأقدمين فيما ذكروه فى العلل الثوانى والثوالث .

فمثلا يقولون : لم نبحث هذه الكلمة ؟ ولم بنيت على حركة ؟ ولم كانت هذه الحركة فتحة مثلا ؟ ولم كان الاسم ممنوعا من الصرف ؟ ولم ولم ... الخ .

واستشهد بأمثلة كثيرة تخالف تعليلات النحويين فى تركيب نعم وبئس ثم ذكر ما يترتب على تعليلات النحويين من فهم إجماع القراء السبعة على مرجوح فى آية : «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما» .

إلى أن قال :

وكل التعليلات تنطق بأوضح بيان بما أصاب اللغة والنحو من إساءات بالغة بسبب إخضاعها للعلل والتعليلات واستبداد هذه بتلك . . ومن تعليلات أوسعت الخلاف وعددت الآراء تعديداً ليس مصدره لهجات العرب ولكن مصدره المجادلات والمماحكات اللفظية . وينبغى أن نستعرض التعليلات فى مواطنها ونبحثها فى تؤدة ونصفة . ونقضى قضاء مبرما على ما لا خير فيه وما أكثره - غير مترددين ولا هيابين . بهذا وذاك مما أشرنا إليه نطهر النحو من عيب أى عيب ونصفيه من أدناس وأوشاب طغت عليه وأساءت إليه وإلى المشتغلين به والراغبين فيه .

سادساً : ولنغادر القاهرة لندخل إلى دمشق وبغداد .

١ - ففى دمشق : كتب الأستاذ سعيد الأفغانى كتاب : «فى أصول النحو» ، تناول فيه أربع مسائل هى :

الاحتجاج . القياس . الاشتقاق . الخلاف بين الكوفة والبصرة فهو يرى أن عصر الاحتجاج كما صورته الكتب القديمة في الانتهاء به عند ابراهيم بن هرمة غير صواب .

وأخذ على جامعي اللغة ما يأتي :

(ا) لم يصدروا في تنسيق شواهدهم عن خطة محكمة شاملة . فهم خلطوا بين لهجات القبائل ولم يميزوها ..

(ب) لم يدرسوا الرواة وأحوالهم ولم يوثقوهم كما فعل رجال الحديث .

(ح) لم يحققوا من النصوص . ومن هنا تعددت الروايات في الشاهد الواحد .

تناول في القياس مسائل المولد والمحدث والدخيل والأصيل وانتهى إلى أن قرار المجمع اللغوي في مصر بهذا الخصوص يعد مبتورا إذا لم تتم طائفة من العلماء بتطبيق نظرياته ..

أما الاشتقاق فانتهى إلى التوسيع فيه حيث وردت من المادة صيغة أو صيغتان . وعلى هذا فتأميم وتصنيع صواب وقد ذكر مادة ش ق ق كنموذج واستعرض أوزانها .

أما مدرستا الكوفة والبصرة فانتهى إلى تقاربهما تقاربا كبيراً استمع إليه يقول :

ولا تظن أن ما مر بك من مشاحنات بينهم كان يصرف بعضهم عن الانتفاع بعلم بعض وحسبك أن تعلم أن الفراء - كوفي مات وتحت رأسه كتاب سيبويه .

٢ - أما في بغداد :

فهذا هو الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع اللغوي العراقي يعرض لمسائل جزئية من صميم النحو ليحلها على ضوء الاستقراء الذي قام به هو في كتب اللغة مثلا .

النسب إلى فعيلة مثل طبيعة غريزة ، وفعيلة مثل جهينة .

النسب للجمع دُوَلي - دولي - عمالي .

فهو يأخذ برأي ابن قتيبة أن الياء تحذف عند الشهرة والعلمية مثل مدني حنفي . أما سليق طبيعي غريزي فليست أعلاما وقد استعمل الجاحظ وأبو حيان كلمة الكرم الغريزي أما الجمع فهو يقول : إن المعنى يختلف بين صحفي وصحفي وبين عملي وعمالي إلخ مثلي الجواليقي .

كذلك ذكر تطور معاني الكلمات من عصر إلى عصر . وذكر أيضا أوزان المطاوعة وقال : إنه لا يتوقف معنى المزيد على المجرد وغير ذلك من المسائل الاستقرائية المهمة .

سابعاً : رجال التربية والتعليم .

وهؤلاء لهم غرض تربوي خاص . وهو تيسير قواعد النحو ، بحيث تناسب مدارك التلاميذ في مراحل التعليم المختلفة . فلا يصح أن نلزمهم والحالة هذه ، بذكر الخلافات والشواهد والتعليلات ، لأن ذلك لا يدخل في منهجهم وقد بدأ التيسير بصورة جدية ممثلا في مؤلفات حفني ناصف ، ثم على الجارم ،

ثم فى لجنة تيسير النحو ، ثم الكتب المقررة التى وضعها المدرسون ومفتشو اللغة العربية . ثم كتاب الأستاذ عبد الحميد حسن . الذى ألفه للمدرسين . وآخرها النحو المنهجى والنحو الإعدادى للأستاذ محمد برانق وزملائه . ويتميز هذا المؤلف الأخير بالتعديل فى بعض القواعد المتوارثة . وفى إدماج بعض المصطلحات فى البعض الآخر .

وإذا أدخلنا فى الاعتبار أن رجال وزارة التربية والتعليم لهم هدف تربوى خاص أمكننا أن نتركهم لييسروا النحو حسب مراحل التعليم المختلفة ولكن دون إفراط فى تعديل المصطلحات إلا بعد أن يبحث ذلك المختصون أو يقوموا هم ببحثه كمختصين . فهم يحمدون على مجهودهم فى الوصول إلى هدفهم . أما المادة العلمية التى فى «النحو المنهجى . أو الإعدادى» فنخالفهم فيها بعض الشيء . ولنا معها مجال آخر .

ثامنا وأخيراً : محاولات المجمع اللغوى .

فقد أصدر المجمع الموقر بعض قرارات فى سبيل تعديل بعض القواعد النحوية . ولكنها جميعا أخذت طابع التيسير الذى يخدم الغرض التربوى . وبعض البحوث القليلة العدد ، العظيمة القيمة كتبها أصحابها ونشرتها مجلة المجمع ، ولكنها ظلت كرأى فردى لم يكتسب صيغة القرار . وكنا نأمل أن يأخذ المجمع الموقر على عاتقه وضع الأسس والمبادئ لإصلاح النحو على مختلف أوضاعه ، ويقدم نموذجا لذلك . كما فعل المجمع مشكورا فى «المعجم الكبير» .

كلمة صريحة :

إلى أين تصل بنا هذه المحاولات ؟ إن هدفها هو الإصلاح ولا شك ، ولكن ما موقف دار العلوم ، والأزهر ، والمجمع اللغوى ؟ . إنها وما يشبهها هى التى يجب أن تأخذ على عاتقها «النحو التحليلى» .

وما من شك فى أنه قد جدت مذاهب فى البحث اللغوى يعرفها أكثر من فرد فى أكثر من هيئة . ومن الممكن تطبيق بعضها فى النحو العربى ، فإذا لم تسعف النواحى الرسمية ، فلا أقل من أن يتكتل هؤلاء الأفراد ليتعاونوا على وضع منهج يصلح لتعديل ما اتفقوا عليه مما هو فى حاجة إلى تعديل ، ولماذا لا نرى إحدى المحاولات الجزئية التى تطبق منهجا معينا على باب من أبواب النحو ، أو بعض مسائل متشابهة متفرقة فى أبواب مختلفة .

وعلى سبيل المثال أذكر هناك نظرية المنهج الوصفى أو نظرية «النحو القالبى» Formal Grammar . وقد ترجمها زميلنا الدكتور

(بقية المقال فى ذيل الصفحة التالية)

أزهرى فى روسيا

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

مصرى مغامر وأزهرى جرىء خرج على الطريقة الأزهرية القديمة ومهد لتدريس الأدب والشعر فيه ، ثم ترك التدريس ، وغادر وطنه مرتحلا إلى بلاد لم يكن الوصول إليها سهلا ولا مبلغ علمنا عنها إلا قليلا ، وهناك قضى بقية حياته يجاهد فى سبيل نشر لغته وآدابها ، حتى أدركه الموت ودفن هناك فى مقابر المسلمين .

ذلكم هو الشيخ محمد عياد الطنطاوى الذى ولد فى إحدى قرى مديرية الغربية ونسب إلى عاصمتها (طنطا) ويقال إنه ولد حوالى سنة ١٨١٠ م كما أن نشأته غير معلومة تماما .

ولما شب عن الطوق التحق بالأزهر وحضر على الشيخ حسن العطار الذى كانت له نزعات أدبية لم يألفها جل علماء الأزهر مما جعل كثيراً منهم يتعصبون عليه .

ولما أتم الشيخ الطنطاوى دراسته فى الأزهر وتصدى للتدريس فيه حسذا حذو

(بقية مقال كيف نصلح النحو العربى)

أيوب بالنحو الشكلى . ولكن كلمة « الشكلى » من معانيها ما يقابل الجوهر وكلمة « From » المنسوب إليها هذا اللون قد تكون التكوين أو الشكل أو القالب . فهذه النظرية يمكن أن تحل لنا كثيراً من المشاكل المعقدة . إذ أنها تنفى عن النحو « الشوائب والعلل والفلسفة » وغيرها مما شخصه الباحثون كأدواء للنحو .

وقد ترتب على هذه النظرية أن نقول بأن المضارع مبنى مع نون التوكيد فى حالة المفرد والجمع كذلك وأن أواصل فى الصرف وزنها أفاعل لا فواعل وأن جوار وغواش فى حالتى الجر والرفع مثل قاض . وأما فى حالة النصب فقط فهى ممنوعة من الصرف . وأن قضايا وزنها فعالى كما قال الكوفيون . انظر نقد النحو للدكتور أيوب ، ودراسات فى علم الصرف لكاتب هذا المقال : أما التفصيلات عن هذه النظرية وأضرابها فله مجال آخر .

وبعد : لعلنا بذلك نكون قد ألقينا ضوءا على على المشكلة ونرجو أن تمكننا الظروف من الإسهام فى حلها أو حل بعضها حلا إيجابيا . ؟

الدكتور عبد الله درويش

العطار ، فأخـــذ يدرس لطلابه مقامات الحريرى وديوان الحماسة لأبى تمام ويشرح لهم غريب الألفاظ ويبصرهم بمواطن الجمال والقبح فيها .

ولما كان الشيخ الطنطاوى عربى الثقافة لم يعرف شيئا عن التيارات الأدبية الجديدة التى وفدت على مصر مع أعضاء البعثات الأزهرية العائدين من الخارج فى ذلك الحين، فقد كان معتدلا فى نزعته ولذلك لم يلق المعارضة الشديدة التى قوبل بها هـؤلاء ، ولكن قاومه بعضهم فاضطر إلى ترك الأزهر إلى التدريس فى المدارس الأجنبية ، فاشتغل بالتدريس فى مدرسة (الإرسالية البروتستنية) بالقاهرة سنة ١٨٣٥ ، وهناك تعرف الشيخ على كثير من المستشرقين الأوربيين الوافدين على مصر أمثال الدكتور (فراهن) الألمانى الذى كان أبوه مدرسا للشرقيات فى كلية قازان . والدكتور (برون) الفرنسى الذى كان يقوم بتدريس الطبيعة والكيمياء بمدرسة الطب المصرية وكان يجيد العربية كتابة وقراءة وحديثاً . والأستاذ (فليمانس فرنيل) الفرنسى الذى ترجم لامية العرب للشنفرى إلى الفرنسية . و (جوستاف ويل) الذى كان مدرسا لتاريخ المشرقيات فى كلية هيدلبرج .

ولفصاحة الشيخ ولباقته وارتقاء ذوقه أصبح أثيراً عند كل من اتصل بهم .

* * *

ولما كانت روسيا قد أنشأت فرعا للغات الشرقية وبدأ اهتمامها بهذه اللغات يظهر شيئا فشيئا حتى إنه حوالى سنة ١٨٣٦ خصص قسم كبير منظم فى جامعة بتروغراد لتدريس اللغة العربية بجانب اللغات الشرقية الأخرى كالصينية والمغولية والتركية والفارسية ، وذلك بفضل وزير المعارف فى ذلك الوقت (م . بوشكين) وقد رأى هذا القسم إتماما للفائدة ، ولتكون دراسة اللغات الشرقية متمشية مع دراسة تاريخ أقطارها ، أنه يجب الاستعانة بأساتذة من الشرق نفسه فهم خير من يقوم بتعليم اللغات الشرقية للطلاب الراغبين من الروسيين وغيرهم من الأوربيين.

لهذا كلفت روسيا قنصلها فى القاهرة ليقوم بالاتفاق مع من يعرف فيه القدرة على القيام بهذه المهمة ، فاتصل بالشيخ وعرض عليه الفكرة وطلب منه الموافقة ولكن الشيخ تردد فى أول الأمر . غير أن إلحاح القنصل وسخاء عرضه جعل الشيخ طنطاوى يوافق على السفر . وفى حوالى سنة ١٨٤٠ غادر الشيخ وطنه ليحتل مقعداً بين أساتذة اللغات الشرقية فى بطسبرج . وهناك قوبل

بالترحاب والتعظيم ورتب له مرتب سخى ، واشتغل بالتدريس فى المدرسة الكبرى وبديوان الخارجية فى بطرسبرج .

قضى ما يقرب من سبع سنوات مجاهدا فى تدريس اللغة العربية ، ثم عين بعد ذلك فى سنة ١٩٤٧ تقريبا مدرسا أولا لمادة اللغة العربية فى كلية بطرسبرج وعين المستشرق الروسى (نفروتسكى) مساعدا له .

وقد تخرج على الشيخ محمد عياد الطنطاوى عدد غير قليل من المستشرقين وعلى رأسهم المستشرق الفنلاندى الأصل (فالن) الذى أسهم بنصيب كبير فى الأدب العربى هو وغيره ممن تعلموا فى جامعة بطرسبرج على يد الشيخ .

ومما يذكر أن المستشرق فالن قدم إلى بلاد العرب سائحا فاتخذ اسم عبد الولى وتبودلت بينه وبين أستاذه عدة رسائل جمعها (فالن) وطبعها مترجمة إلى اللغة الإسوجية كما أن هناك مجموعة أخرى مخطوطة فى مكتبة جامعة هلسنجفور عاصمة فنلندا .

ولقد ظل الشيخ يقوم بعمله خير قيام حتى وافته المنية سنة ١٨٦١ تقريبا .

* * *

ويعد الشيخ محمد عياد الطنطاوى من أعلام النهضة الأدبية فى القرن التاسع عشر للطريقة التى أنتهجها فى التدريس بالأزهر إذ اتجه إلى دروس الشعر والأدب واللغة .

وقد عده بعضهم من النحويين لأنه ترك بعض الكتب المخطوطة فى اللغة العربية مثل كتاب (حاشية على متن الزنجانى) فى الصرف وكتاب (حاشية على شرح الشيخ خالد على متن الأزهرية) فى النحو وكتاب (حاشية على كتاب الكافى فى على العروض والقوافى) .

أما فى الأدب فلم يترك شيئا على الرغم من أنه شرح لطلابه فى الأزهر كما ذكرنا مقامات الحريرى وديوان الحماسة كما ترك رسالة إلى صديقه رفاعة الطهطاوى . يذكر فيها إعجابه بحياة الأوربيين وطرق معيشتهم وحسن ترتيبهم وتربيتهم وجمال ريفهم بما فيه من أنهار وبساتين .

والزائر لمقابر المسلمين فى مدينة لينتجراد يشاهد قبرا قائما رشاهدا على عربية وجلد وبأس شديد ، فى بلاد العجمة والجلاد والجليد) .

عبد المو جود عبد الحافظ

(أسيوط)

الدين فى عصر الحضارة الصناعية

للأستاذ محمد فتحى عثمان

لم تكن الحضارة الصناعية كلها شرا على الدين والروح كما يظن البعض ... لقد حملت الحضارة الصناعية فى طياتها هذه المزايا بغير جدال !.

تقدم المناهج العلمية فى البحث النظرى والتجريبى.

رقى وسائل النشر والإعلام، من طباعة وصحافة وإذاعة . إلخ.

نهوض سبل المواصلات وتهيئتها الفرصة لتحقيق الوحدة العالمية ورفع الحواجز المادية والمعنوية التى تعزل الأمم عن بعضها .

كثرة الخدمات الآلية، التى توفر للإنسان جهده ووقته للمتعة النفسية والذهنية.

تقرير مبدأ التخصص وتقسيم العمل، الذى أعان على الإتقان والتجويد بأقل التكاليف والجهود.

ونتيجة هذا كله. يتوفر وقت فراغ للإنسان يتيح له الراحة كما يمنحه فرصة تنمية طاقته وشحنه قواه وإن كان قد تخلف عن الحضارة الصناعية تزايد فى حساسية الإنسان للقلق.

وينبغى أن ينتفع الدين من هذا كله فى تقديم نفسه للناس، مستفيدا من مناهج العلم ووسائل النشر وسبل المواصلات، مستغلا فرص الفراغ وأزمات القلق، ولم يتحقق هذا فى أول الأمر، ووقف فى طريق الدين رد الفعل المباشر الذى حدث فى بداية عصر النهضة ...

وظن أناس أن العلم قد حمل معه الكفر، وأن المعابد لا بد أن تفسح مكانها للمعامل والمصانع ... وأنه لم يعد مجال فى حضارة الآلة للأنقياء والقديسين !! واستفادت من تمهيد طرائق البحث والنشر والاتصال صرخات الإباحة والتحلل، والإلحاد والعربدة ... لكن جاء الدمار الذى أحدثته الحروب قاضيا على كل ثقة فى الآلة العجيبة وحضارتها الهائلة.

* * *

« ويبدو أن بعض العلماء الاجتماعيين قد خلطوا بين ظاهرتين مختلفتين تمام الاختلاف وهما : الانحلال أو التقهقر، وظهور الفروق بين الوظائف التى كانت مختلطة فى أول الأمر فظهور الفروق هو بحق قانون التطور الدينى، ومع ذلك فليس ثمة صلة بينه وبين التقهقر. فالدين يفقد بعض مناطق نفوذه، لأنه يتخلى

عن بعض الميادين التى لا صلة له بها، ولكن ما يفقده من جهة الامتداد يكتسبه من جهة العمق. حقا كان الدين يحتل مكانا كبيرا جدا لدى البدائيين، ولكن ذلك يرجع إلى أنه كان مختلطا بعناصر أخرى اقتصادية وسياسية وأسرية، ومن ثم كان مجراه متسعا، فى حين أن مياهه كانت محملة بالأورام فليس القانون الأكبر فى علم الاجتماع هو السير إلى الفناء، بل هو الاتجاه نحو استقلال الوظيفة الدينية التى تحقق اتصال المرء بربه».

تلك كلمات دقيقة، وضع بها (باستيد) الأمر فى نصابه.

وقد تحدث هذه الكلمات شيئاً من لبس، عند من يحبون أن يعرفوا الدين على أنه شامل لكل شىء، وما فرط من شىء، دين ودولة وعقيدة وشريعة وروح ومادة ومعاذ الله أن يحصر الإله المعبود وهورب كل شىء فى نطاق لا تتعداه ألوهيته، وأحكامه وشريعته، وليس من الصواب أن يجعل الإنسان أوزاعا وأشتاتا تتنازع السيطرة على أشلائه الآلهة والأرباب.

إن الله الواحد يمنح الإنسان بكل قواه وطاقاته ونوازعه عقيدة شاملة كلية تجعله يراقب الله فى اتصاله بالناس، ويلتمس الآخرة طلب الدنيا، ولكن هذا لا يعنى أن الوحى قد أتى بخطة مفصلة للإنسان يعمل بها فى حقول الهندسة والطب والطيران والبترول والذرة ... وإنما أتى الوحى بخطوط رئيسية فى العقيدة والشريعة هى مفتاح الطريق وأساس السلوك وملاك الهدى، لا يستطيع المؤمن أن ينفصل عنها وهو يكدح فى فجاج الأرض ويعمل على الانتفاع من نواميس الكون، لكن هذه الخطوط العامة لا تسد عليه مسالك فكره ولا تجثم كابوساً على عقله ولا تعوقه عن بحثه وسعيه. «وكما أودع الله سر الحياة فى النواة والبويضة والبيضة، لتتولد عنها كائنات لها أجهزتها وأعضاؤها ووظائفها، ثم لا تلبث تنتقل بين دور ودور، حتى تترك وراءها سر الحياة فى حلقة جديدة من سلسلة الأحياء، وكما يتسع امتداد الخلق والحياء فى الزمان والمكان، فلا يأخذ من سر الخلق وبذرة الحياة إلا القوة الدافعة والخصائص الكامنة دون الشكل الظاهر والمظهر الخارج... كذلك الدين: انطلاق للحياة على الأرض، يشع الدين خلاله على النفس والعقل والسلوك والتشريع، دون أن ينحصر فى مجموعة من الكلمات والتعاليم والمظاهر الجامدة المتناهية التى تضمها الأوراق وتتناقلها الشفاة!!... إن الدين يخلق حضارة فى كل أرجاء الحياة، حضارة تتجدد وتتطور كلما تتابعت الأجيال وتطورت البيئات، لا مجرد رسوم وتعابير هامدة تكرر

نفسها دون جديد !! [1] ولا أجد إيضاحا لهذه الحقيقة أوفى مما أدلى به الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى حديثه لجريدة (أخبار اليوم) عند ما سئل عن محاولات الوصول إلى القمر، قال:

«هذا جانب بشرى تركه الإسلام فى ذاته وفى وسائله للعقل البشرى، ولم يحدد له طريقا ولم يبين له فيه حقيقة. نعم، حث الإسلام بوجه عام على النظر فى الكائنات وترك ما وراء ذلك للعقل البشرى، وليس من شأن الديانات السماوية أن تكشف الحقائق الكونية، وأقرب مثال لنا أن القوم فى زمن التنزيل حينما رأوا القمر يصغر ثم يكبر ويكبر ثم يصغر ويتخذ أشكالا مختلفة وراعتهم هذه الظاهرة ولم يعرفوا عن أسبابها شيئاً اتجه بعضهم إلى النبي يسألونه، فكان جواب الحكمة الإلهية أن أخذت بهم عن البحث فى هذا الجانب إلى بيان الثمرة والحكمة المترتبة على صغر القمر وكبره «يسألونك عن الأهلة، قل: هى مواقيت للناس والحج. وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى، وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون». والآية تشير إلى أن التوجه إلى بحث الكائنات أو تفسير الشرائع السماوية بالسنن الكونية إتيان للبيوت من ظهورها. فعلى الناس أن يريحوا أنفسهم من تكلف تطبيق القرآن أو تفسيره أو احتوائه على مظاهر الكون، فالكون كتاب والقرآن كتاب، والقرآن يدفع بالناس إلى البحث عن مظاهر الكون وتقصى سنن الله فيه، وليس من شأن الرسالات الإلهية سوى ذلك فلا تحملوها أكثر مما حماها الله» [1].

وشريعة الإسلام القانونية كذلك قد أتت بالقواعد الكلية والأحكام الثابتة، وتركت للناس التأويل والاستنباط، والاجتهاد والقياس فى الفروع المتغايرة والجزئيات المتجددة. يقول ابن القيم فى (إعلام الموقعين):

«قال ابن عقيل: السياسة ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد وإن لم يشرعه الرسول ولا نزل به وحى... قلت: هذا موضع مزلة أقدام ومضلة أفهام، فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود وضيعوا الحقوق وجرأوا أهل الفجور على الفساد، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد، وسدوا على أنفسهم طرقا صحيحة من الطرق التى يعرف بها المحق من المبطل وعطلوها مع علمهم وعلم الناس بها أنها أدلة حق ظناً منهم منافاتها لقواعد الشرع، والذى أوجب لهم ذلك نوع تقصير فى معرفة حقيقة الشريعة والتطبيق بين الواقع وبينها...

(١) رسالة «الدين للواقع».

(١) مجلة الأزهر - رمضان ١٣٧٨ هـ.

وأفرط فيه طائفة أخرى فسوغت منه ما يناقض حكم الله ورسوله ، وكلا الطائفتين أتيت من قبل تقصيرها فى معرفة ما بعث الله به رسوله . فإن الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذى قامت به السموات والأرض ، فإذا ظهرت أمارات الحق وقامت أدلة العقل وأسفر صبحه بأى طريق كان فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره ، والله تعالى لم يحصر طرق العدل وأدلته وأماراته فى نوع واحد وأبطل غيره من الطرق التى هى أقوى منه وأدل وأظهر ، بل بين بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقسط ، فأى طريق استخرج بها الحق وعرف العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها ، والطرق أسباب ووسائل لا تراد لذواتها ، وإنما المراد غاياتها التى هى المقاصد ، ولكن نبه بما شرعه من الطرق على أسبابها وأمثالها ... ولا نقول : إن السياسة العادلة مخالفة للشريعة الكاملة ، بل هى جزء من أجزائها وباب من أبوابها وتسميتها سياسة أمر اصطلاحى ، وإلا فإذا كانت عدلا فهى من الشرع » .

* * *

الدين إذن لا يتراجع ولا ينحسر ، إلا عن مجالات كانت تظن البشرية فى طفولتها أن حلها فى السماء لا فى الأرض ، فلما عرف الإنسان أن الحل بيده اضطرب قليلا كرد فعل لفهمه السابق الساذج المعكوس ورد بصره عن السماء وتملكه الزهو ... ثم شرع يعود إلى توازنه من جديد .

والإسلام لم يقحم نفسه فى كل شىء ليحول بين الإنسان وبين أن يفكر أو يبتدع فى أى شىء . ربما يكون المسلمون قد تخلفوا فهيأت لهم أوهامهم شيئاً من ذلك ، ولكن الحقيقة الصافية تسفر فى ينا بيع الدين الأصيلة : من كتاب وسنة .

فالناس أعلم بأمور دنياهم فى دين الإسلام ... إذا أردنا يوما أن نستحدث وجهة نظر دينية جديدة عن الحياة والعالم تحتل من جديد أذهان الأحرار وتوقظ مشاعرهم . وأول التغييرات إقامة أسس أخلاقية إيجابية ، لا أسس تدعو إلى الخنوع والتسليم . أخلاق يتسامى بها الأمل ، لا أخلاق يرتكس بها الخوف . إن الإنسان لم يخلق فى هذه الحياة ليكون كل عمله فيها أن يتسرق منها حثيثا لكى يتجنب غضب الله ، إن الدنيا هى دنيانا نحن ، ويتوقف علينا نحن أن نجعلها فردوسا أو جحيما ، والقوة اللازمة لذلك هى قوتنا . والحياة الدينية التى يجب أن نجرى وراءها لن تكون شيئا من هذا الوقار العارض أو الحرمات الخرافية ،

إنها لن تكون حياة حزن أو زهادة . . إنها يجب أن تستلهم الصورة التى يمكن أن تكون للحياة الإنسانية ، وأن تسمد بهجة الإنشاء مستروحة أنفاسها فى عالم شاسع حر قائم على البناء والأمل . إن أساس هذه الحياة ينبغى أن يكون محبة البشر لا لمظهرهم ، ولكن لما يتوسمه الفكر من الخير . إنها لن تدين بسرعة بل توجه الثناء للعمل الإيجابى أكثر مما توجهه للبداءة السلبية من الذنب . إنها ستسبح ببهجة الحياة وبالود الأصيل وبالبصيرة البناءة .

لقد قاست حياة الروح فى الأزمنة الحديثة بالجمع بينها وبين الدين التقليدى ، وبعداوتها الواضحة لحياة العقل ، وبما أخذ يبدو من أنها تتركز فى إنكار الذات . إن حياة الروح تتطلب الاستعداد لإنكار الذات حينما تتاح الفرصة ، إلا أنها فى جوهرها يقينية بقدر ماهى قادرة على إغناء الوجود الفردى ، شأنها فى ذلك شأن العقل الغريزى . إنها تجلب معها بهجة الرؤيا ، وما فى هذا العالم من بهجة الغموض والعمق وبهجة التأمل فى الحياة . وكل فوق شىء ، بهجة الحب العالمى ... إنها تحرر الذين يحصلون عليها من سجن العاطفة الشخصية الملحة والاهتمامات الدنيوية ، إنها تمنح الحرية وسعة الأفق والجمال لأفكار الإنسان ومشاعره ، ولجميع علاقاتها بالآخرين . إنها تهىء الحلول لشكوكنا ... إنها تعيد الانسجام بين العقل والغريزة وترد الشارد إلى مكانه فى حياة الإنسانية . إن الذين ولجوا يوما فى عالم الفكر ليؤمنون بأن السعادة والسلام لا يمكن أن يعودا إلى هذه الدنيا إلا عن طريق الروح » اهـ . (نحو عالم أفضل).

تلك كلمات بصيرة هادية ... للفيلسوف الرياضى العملاق .

وعلماء الدين عندنا كانوا مندمجين مع الجماهير متفاعلين معهم ينطقون بآمالهم وآلامهم ... هكذا رأينا ابن تيمية والعز ابن عبد السلام وجمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ، والكواكبى . « وفى يوم من أيام ربيع الأول عام ١٢٠٠ هـ نهب حسين بك شفت وجنوده دارا لشخص ظلما وعدوانا فثارت ثائرة الأهالى واتفقوا على الالتجاء إلى الإمام الدردير فقال : أنا معكم وغدا تجمع أهالى الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم ، فأرسل ابراهيم بك نائبه للدردير معتذرا ووبخ شفت وطلب حصرا بما نهب لرده ... وفى ذى الحجة سنة ١٢٠٩هـ اشتكى فلاحو قرية من بلبيس إلى الشيخ عبد الله الشرقاوى من ظلم محمد بك الألفى ورجاله ، فبلغ الشيخ الشكوى إلى مراد وابراهيم فلم يفعلا

شيئا، فدعا إلى عقد اجتماع للعلماء بالأزهر فلبوا دعوته وأغلقوا أبواب الأزهر ، وأمروا الناس بغلق الأسواق والحوانيت استعدادا للمقاومة بالقوة ، وركب الشرقاوى ومعه العلماء وتبعتهم الجماهير ... وتحرج الموقف ، وفى اجتماع بين العلماء وابراهيم ومراد تقرر ألا تفرض ضريبة إلا إذا أقرها مندوبو الشعب وأن ينزل الحكام على مقتضى أحكام المحاكم وألا تمتد يد ذى سلطان إلى فرد من الأمة إلا بالحق والشرع ، وكان القاضى الشرعى حاضرا فحرر حجة وقع عليها الأمراء ... » .

وشعائر العبادة فى الإسلام - وكما أوصت كتب الله المقدسة - كلها يقصد بها الجوهر لا المظهر . . « وفرائض الشعائر الأساسية محدودة معدودة ، وهى لا تخلو بعد ذلك من رخص تخففها عند قيام الأعذار ... ومايزيد على ذلك من قربات ونوافل متروك لتباين الأفراد والعصور ويرتبط كل الارتباط بمدى (الفراغ) والواجب فى شغل الفراغ ، كما يرتبط بمستوى التكوين الأساسى للفرد . إنها دعوة للفلاح كما هى دعوة للصلاة ، أوصى بذلك الإنجيل كما أوصى القرآن » [1] .

والعبرة بما تسكبه الشعائر فى أغوار النفس

(١) رسالة (الدين والواقع) .

والضمير ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والصيام جُنة ، والحج لا رفث فيه ولا فسوق .

والأخلاق فى الإسلام إيجابية ... « فما أظلم الصورة الشائعة بين الناس التى تحدد الأخلاق الدينية بأنها أداء الصلوات واجتناب الخمر والميسر ، والتى استفزت كاتبا من العلماء حتى قال : إن الأخلاق الدينية لا تكفى أو لعلها لا تصلح مطلقا كى تكون أساسا لتقدير الأشخاص وتقويم الرجال ... إن القيام بالشعائر واجتناب الخمر والميسر من أحكام الإسلام ، لكن ليست وحدها هى الأخلاق الدينية ... هناك أخلاق للفكر تأمر بالتعقل والعلم وتنفر من التقليد والتضليل ، ثم هناك أخلاق للنفس تأمر بالصدق والأمانة والإحسان ، وهناك أخلاق للسلوك وهى الآداب العامة وقواعد اللياقة » [1] . والقرآن جعل من وصف المؤمنين « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم بشهاداتهم قائمون » . والمؤمن مأمور دائما بأن يكون إيجابيا [2] ،

(١) رسالة (الدين والواقع) .

(٢) مقال « الإيجابية الفعالة » مجلة الأزهر شوال سنة ١٣٢٦ هـ .

فى علاقته بالكون وفى علاقته مع الناس : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » . « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . وأخلاق الإسلام الإيجابية هى أخلاق السماحة واليسر وليست انفعالات التعصب والتزمت « ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

والإسلام لا يسرق الإنسان من الدنيا ... إنه يعلن أن الله جل وعلا قد استخلف الإنسان على الأرض وسخر الكون للإنسان « إنى جاعل فى الأرض خليفة » « هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » « خلق لكم ما فى الأرض جميعا » « وسخر لكم ما فى الأرض جميعا منه » « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب . إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » . والدنيا فى ديننا هى معبد الآخرة « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا » . « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » ... والإسلام لا يجعل الصورة المثالية للمؤمن هى العكوف على شعائر العبادة ، والانقطاع عن الدنيا ، واعتبار كتابه المنزل مورد العلم الوحيد ! ! إنه لا يصرف الإنسان عن الدنيا ، ولا يحجزه عن العلم ، وشعائره لا تستهلك الوقت ، إنه يجعل طلب العلم فريضة ، ويجعل السعى والعمل فريضة ، ويلفت النظر دائما إلى التدبر فى الكون والنفس والتاريخ « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » « أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون » .

إن الدين يقدس العقل إذ هو نفحة من صنع الله ، والمؤمن يتعبد بأعمال عقله تحدثا بنعمة الله ، ويقدر النتائج التى يتوصل إليها إخلاصا فى أداء الأمانة التى ائتمنه عليها الله ... والإسلام لا يفتأ ينمى طاقة العقل ويبارك ثمارها ، وكيف لا يكون هذا موقفه وقد ائتمن العقل على أخطر قضية فى الوجود - قضية إدراك حقائق الدين الأساسية نفسها فهل تستغنى عن هذا الهدى حضارة رشيدة ؟ ؟

فتحى عثمان

حول الخطوة الثانية

للأستاذ عبد الرحمن العدوى

نشر الأستاذ الدكتور طه حسين مقاله الثاني فى « الخطوة الثانية » . وهو ليس من الموضوعات التى يكتفى فيها برأى فرد . ذلك لأنه يتصل بكيان أقدم وأكبر جامعة إسلامية حملت لواء علوم الدين واللغة العربية أكثر من ألف عام بل يتصل اتصالا وثيقاً بمستقبل الثقافة الإسلامية وعلوم اللغة العربية لا فى جمهوريتنا فحسب بل فى العالم الإسلامى الذى يوفد أبناءه لينهلوا من معين الأزهر ويبدى حاجته إلى علمائه يذهبون إليه مرشدين ومعلمين .

ولخطورة هذا الموضوع لا يكون من الخير أن نتسرع فى الحكم أو العمل قبل أن يدرس دراسة وافيـــة تستبين منها مواطن الخطأ .

يقول الدكتور : « ليس يكفى أن تكون الدراسة الابتدائية والثانوية فى الأزهر ملائمة للدراسة فى وزارة التربية والتعليم » « وإنما ينبغى أن تشترك وزارة التربية والتعليم مع الأزهر الشريف اشتراكا فعلياً فى الإشراف الدقيق على التعليم الابتدائى والثانوى ، وعلى ما يكون من امتحان أثناء هذا التعليم ، وأن تكون الشهادة الثانوية التى يظفر بها التلميذ الأزهرى حين يتاح له أن يظفر بها صادرة من وزارة التربية والتعليم » .

وقد رأى أن يحدد الاشتراك الفعلى بإعطاء الوزارة حق التفتيش والإشراف على الامتحان ، وحق إعطاء الشهادات والإجازات .

فأى شئ بقى للأزهر فى هذا الاشتراك ؟ . ألم يكن من الصواب أن يقول سيادته : « وإنما ينبغى أن تنفرد وزارة التربية والتعليم بالإشراف على التعليم الابتدائى والثانوى فى الأزهر كما انفردت به فى غير الأزهر » .

فإذا كان الغرض هو توحيد التعليم الابتدائى والثانوى فى الدولة كلها ، وأن يكون التخصص فى الأقسام العالية فحسب ، فما معنى أن تنشئ الدولة المدارس الإعدادية والثانوية الفنية التى تؤهل أبناءها للدراسة الفنية العالية ؟ ... وما معنى أن يكون فى المدارس الثانوية قسمان أحدهما على وثانيهما أدبى ؟ أليس معنى

ذلك أن الدولة تريد فى وقت مبكر من سن التلميذ أن تهيئه للدراسة العالية التى يرغب التخصص فيها ، ولن تعطى عناية خاصة للمواد التى سيكون فيها تخصصه فيما بعد ، فيكون لهذه المواد وضع امتياز بجانب ما يأخذه التلميذ من ألوان الثقافة الأخرى ؟ وإذا كان الوضع كذلك فى وزارة التربية والتعليم ، فلم يعاب على الأزهر أن يهىء طلابه للتخصص فى علوم اللغة العربية والدين فيجعل لهذه المواد وضع امتياز بجانب ما يدرس لهم من العلوم المدنية الأخرى ؟ وما يظن أحد أن الأزهر قصد أن يجعل من طلاب الثانوية الأزهرية نسخة مكررة لطلاب الثانوية العامة. فللأزهر رسالته التى هو حفيظ عليها ضنين بها مرابط فى سبيل أدائها فى صدق وإخلاص .

وهو يعد أبناءه لتحملها من أول يوم تخطو أقدامهم فيه عتبة الأزهر الشريف ، وليس من الإنصاف أن نقول : إن صناعة ما أو حرفة ما يحتاج التخصص فيها إلى دراسة مبكرة تبدأ من التعليم الإعدادى ثم نقول فى الوقت نفسه : إن التخصص فى علوم الدين واللغة العربية لا يحتاج إلى مثل هذا التبكير فى الدراسة ، وليس من الرأى فى شىء أن نقول: إن المتخصص فى علوم الدين يكفيه ما يقضيه من سنوات التعليم العالى بينما ذلك لا يكفى طالب الطب أو الصيدلة أو الهندسة مثلا.

وللأزهر برامجه الخاصة التى يعد بها أبناءه لغير ما تعد له الوزارة أبناءها ويهيئهم للون من العمل فى الحياة غير ما تهيئ الوزارة أبناءها له، ولا يعيبه فى ذلك أن هذا الإعداد يبدأ من سن مبكرة فى حياة طالب الأزهر ، كما أنه ليس من الحق أن يقال : إن طالب المدارس الثانوية قادر على أن يدرس فى إحدى كليات الأزهر ليتخصص فى علوم الدين ، وكيف يمكن لفرد أن يتخصص فى علم لم يسبق له دراسته وتحصيل شىء فيه ؟ هل يكفى فى تأهيله لهذا التخصص أن يكون لديه ميل لهذا العلم كما يذكر سيادة الدكتور ؟ وأى ميل هذا الذى يدفع الطالب إلى الإثقال على نفسه وزيادة أعباء دراسته والاتجاه إلى طريق لا تؤهله له برامج مدرسته ولا يملك شيئا من مقومات النجاح فيه ؟ وهل تعتمد الكليات الأزهرية فى بقائها على مثل هذا الميل بعد أن قطعت روافدها وفصلت عنها معاهدها ؟ .

لعله يقول : أنا لم أدع إلى تحويل المعاهد الدينية إلى مدارس ثانوية ، بل دعوت إلى إشراف وزارة التربية عليها إشرافا دقيقا يتمثل فى التفتيش والإشراف على الامتحان وإعطاء الشهادات باسم الوزارة لا باسم الأزهر ، وهذا لا يمنع الأزهر من أن يضيف فى معاهده من المواد ما يراه ضروريا

لتهيئة طلابه للتخصص فى كلياته إن أرادوا ذلك . ولكننا نسائل أيكون لما يضيفه الأزهر من علوم الدين واللغة اعتبار فى نجاح الطالب ورسوبه وفى المجموع والترتيب والتقدير العام أم لا ؟ إن كان له هذا الاعتبار فقد أثقلنا كاهل طالب المعاهد الأزهرية بدراسة مزدوجة تقلل فرص النجاح أمامه وتزيد متاعب دراسته فتسوء نفسيته ويحسد زميله الذى انتسب إلى المدارس الثانوية ، ويرى فى علوم الدين واللغة عبثا ما كان أغناه عن الارتباط به والانتساب إليه ، وهذا ولا شك وضع مهين لهذه الدراسة يأباه كل غيور على دينه ولغته . وإن لم يكن لعلوم الدين واللغة مدخل فى النجاح والترتيب والتقدير فسينصرف الطالب عنها إلى ما يؤثر فى نجاحه ، ويكثر درجات مجموعه ويأتى به فى مقدمة الصفوف المتراصة أمام أبواب الجامعات .

وعند ما يقول الدكتور : « وما الذى يمنع الطالب من أن يجمع بين الدراستين إن استطاع » ، « ولم لا يتاح لرجال الدين من المسلمين ، إلى جانب إتقانهم لعلوم الدين ، أن يتخصصوا فيما يميلون إليه ويجدون القدرة على التخصص فيه من العلوم المدنية » عند ما يقول ذلك أراه عائدا على « خطوته الثانية » بالنقض مطالبا أن يتاح للتخصص فى علوم الدين أن يتخصص فى العلوم المدنية متى أراد، وذلك لا يكون قطعا بتحويل المعاهد الدينية إلى مدارس ثانوية ، بل الرأى فى ذلك أن تمكن وزارة التربية والتعليم أبناء الأزهر من الحصول على الثانوية العامة بعد أن تجرى لهم امتحانا فيما تراه من المواد التى لم يدرسوها فى معاهدهم أو درسوها بمقدار لا تكتفى به الوزارة ، على أن يتخذ الأزهر خطوة مماثلة بتمكين طلاب المدارس الثانوية الذين لديهم ميل للتخصص فى علوم الدين من الحصول على ثانوية الأزهر بعد أن يجرى اختبارهم فيما يراه ضروريا لكلياته من علوم ، وبذلك تفتح الأبواب على مصاريعها بين الأزهر والجامعات، ويتاح لرجال الدين أن يتخصصوا فى العلوم المدنية كما يتاح لرجال العلوم المدنية أن يتخصصوا فى علوم الدين واللغة . لو عدل الدكتور خطوته على هذا النحو لكانت أثبت وأقوى وأدعى إلى القبول .

عبد الرحمن العدوى

من العلماء

قال شداد بن أوس : نصح لك من أسخطك بالحق ، وغشك من أرضاك بالباطل .

الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان

للأستاذ عباس طه

الأمة الإسلامية بحكم الأعباء التى عهد الله بها إليها ، وهى جعل كلمته العليا فى الأرض قدر لها أن تخالط من الأمم من يباينها أصلا ولغة وعادات ودينا . وتلك الأمم لها نظم مقررة وقوانين وتقاليد خاصة . فإخضاعها جميعا لشريعة واحدة لا يعقل أن يكون إلا إذا كانت تلك الشريعة بالغة أرقى ما يدركه العقل من معنى العدل وما تطمح إليه النفس من نعمة المساواة وتهفو إليه الطبيعة البشرية من الحرية الصحيحة ـ وهذا ما لا سبيل إليه إلا إذا كان أساس تلك الشريعة الحقوق الطبيعية . لا الحقوق التى تمليها المصالح المادية وتحدها الأثرة القومية وتحيفها العوامل المحلية .

أجل : فإن تلك الشعوب لأجل أن تدخل فى الوحدة يجب أن لا تجد فى ذلك ما يثير حميتها ويهيج أنفتها ويجرح كرامتها ويدفعها دفعا إلى التخلص مما وقعت فيه . لأنه متى تأثر كل شعب بمثل هذه الروح من التمرد نتجت من ذلك فتوق يتعذر على قاهريها رتقها فيضطرون للإيغال فيها قتلا وسلبا ثم يلجئون إلى أحد أمرين : إما الإمساك بمخنقها بالحديد والنار وإما تركها وشأنها أشبه بجثة هامدة يؤول أمرها إلى ما يؤول إليه . هذا كان شأن الأمم الضعيفة عندما كانت تقع تحت براثن أمة فاتحة ، وهذا نفسه كان حال الشعوب التى حملت نير استعمار الرومان ، وهى الأمة التى كان لها الزعامة فى الأرض قبل المسلمين مباشرة فقد كانت الشعوب تخضع لها رهبا لا رغبا وكانت كثيراً ما تثور عليها فتحدث بين الفريقين معارك تسيل الدماء فيها أنهاراً فلما أدرك الدولة الرومانية الوهن انفصلت تلك الشعوب عنها مكننة فى أعماق قلبها أقصى ضروب الحقد عليها ، حتى إنه لما داهمتها القبائل المتوحشة التى كانت نازلة فى أطرافها من الهونيين والبلغار والفنداليين وغيرهم لم تمتد إليها يد بمعونة ولا أمدها قلب بعاطفة ، وكان التاريخ أقسى عليها حكما من الناس — فقد جاء فى دائرة معارف لاروس الفرنسية عند ذكرها نظم الرومانيين :

ماذا كانت نظم الرومان على وجه الإجمال ؟ كانت الوحشية والقسوة بعينيهما فى صوره

قوانين . أما من جهة فضائل روما القديمة عاصمة الرومان يومئذ مثل الشجاعة والمكر والنظام والإخلاص المطلق للجماعة فهي بعينها فضائل قطاع الطرق واللصوص ؟ أما وطنيتها فكانت مكتسية لباس الوحشية فقد كان لا يرى فيها إلا شره مفرط للمال ، وحقد على الأجنبي ، وتجرد من عاطفة الرحمة الإنسانية ، أما العظمة في روما والفضيلة فيها فكانتا مرادفتين لأعمال السوط والسيف في العالم ، والحكم على أسرى الحرب بالتعذيب والأسر وعلى الأطفال والشيوخ بجر عربات النصر » انتهى .

قارن هذا بحكم المسلمين ، قال العالم الكبير جوستاف لوبون في كتابه « تاريخ العرب » « لم تر الأرض فاتحين أبر وأرحم من المسلمين » .

على أن لسان الحوادث في هذا الشأن كان أبلغ من لسان التاريخ فإن هذه الشعوب التي خضعت لحكم المسلمين فضلا عن أنها لم تثر عليهم ، ولم تبطن نية النكاية قد تهافتت على الدخول في دينهم فأصبحت بلادها معاقل للإسلام ولما يمض عليها غير سنين معدودة حتى نبغ فيها حفظة للغته ، وأئمة لشريعته بما لم يحدث له مثيل في أي عهد من عهود البشر .

فما سبب هذا الأمر الجلل الذي لم تر البشرية ما يشبهه منذ تدوين التاريخ إلى اليوم ؟ سببه سمو الشريعة الإسلامية سموا أذهل الشعوب عن قومياتها وتقاليدها وموروثاتها فألقت بنفسها بين يديها تستمدها روحا تحيا بها وتنعم بالوجود تحت سلطانها . ولم يكسب هذه الشريعة هذا السمو إلا قيامها على أساس الحقوق الطبيعية المجردة من كل صبغة قومية وجنسية وفردية ، الرئيس والمرءوس فيها سيان ، والقوى والضعيف عندها متكافئان .

لم يحدث في تاريخ العالم الإنساني أن أمة توخت العدل المطلق في سن تشريعها فنظرت إلى الناس من حيث هم أمثال في الإنسانية لا فضل لواحد منهم على آخر لأي اعتبار من الاعتبارات حتى ولو كان أجنبياً عنها يخالفها أصلا ودينا ولونا ولغة . لم توجد أمة سلكت هذا المسلك في وضع شريعتها حتى ولا بالنسبة لآحادها المؤلفين لمجموعها إلا في أخريات القرن الثامن عشر بعد الثورة الفرنسية وإعلانها حقوق الإنسان ومحوها الطبقات الاجتماعية .

انفردت الشريعة الإسلامية بميزة التعميم في حقوق الإنسان ، فهي تعتبره من حيث هو إنسان لا من حيث هو خاضع لسلطانها أو داخل في ملتها . وهذا من أجل الأدلة على أنها وحي إلهي لا وضع بشري ، فقد دل

الاستقراء على أن الارتقاء فى إقامة العدل لم يبلغ لدى البشر إلى حد أن يعاملوا الأجانب عنهم معاملتهم لأنفسهم ، ولا أن يطبقوا عليهم أصول الحقوق الطبيعية التى أدركتها عقولهم — ولكن الإسلام سبق العالم أجمع إلى تطبيق هذه الحقوق الطبيعية على الكافة ، ولم يستثن أحداً حتى الأرقاء. فكان المثل الإلهى الأعلى الذى سينتهى إليه الناس كافة حين يبلغون من معارج الرق إلى ذروتها العليا ، فقال الله تعالى يوصى المسلمين باتباع هذه المبادىء فى معاملة الناس أجمعين « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنياً أوفقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً » .

وقد بين الله تعالى فى آية أخرى بأن مراعاة أصول هذا العدل المطلق تشمل الخلق كافة إلا الذين يقاتلون المسلمين من أجل دينهم ، ويعملون على إخراجهم من ديارهم اضطهادا لهم وعدوانا عليهم فقال : « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

فهو فى هذه الآية لايوصى بمعاملتهم بالعدل المطلق فحسب ، ولكن يوصى أيضاً ببرهم ، والبر هو أوكد الصلات التى تربط الناس بعضهم ببعض ، أمرها بالتوحيد بينهم فى الوجهة والغاية ، وهذا أقصى ما يرمى إليه الفلاسفة والمصلحون ، وقد أصاب الإسلام هذا المرمى فكانت نتيجة ذلك أن انقلبت الأمم التى كانت تناجزه إلى أمم صديقة له ، بل مؤمنة به ، فشهد العالم لأول مرة فى تاريخه تطوراً لم يحدث له شبيه فى نفسيات الشعوب المتباينة أصولا ولغات وتقاليد وعادات ، إذ تحولت كلها إلى أمة واحدة مؤلفة لأكبر امبراطورية عالمية تجرى وراء غاية واحدة هى المثل الأعلى لوجود إنسانى كريم .

كل هذا كان بفضل العدل المطلق الذى جعله الحق أساساً لشريعته العامة الخالدة ، فانظر كم كانت تنجو الأمم لو عممت تطبيق هذا العدل ، من ثورات أهلية . ومن كوارث استعمارية ، وكم كانت تقتصد من أموال لاتنفقها اليوم إلا على التسلح بمبيدات للبشرية من قنابل ذرية ، وصواريخ موجهة وقنابل هيدروجينية خشية أن يبغى بعضها على بعض . إن الفيلسوف الانجليزى برناردشو لم يعد الحقيقة حين قال : « إن أوربا لا تماثل ولا

ولا تبرأ من أوصابها التى تكاد تودى بها إلا إذا أخذت بأصول الإسلام وعملت بها».

إن الإسلام لم يمد رواق سيادته على الأمم التى تدين به اليوم إلا بالعدل المطلق الذى أوصى شيعته بالقيام عليه ، فوجدت تلك الأمم فيه ماتحلم به من حياة اجتماعية لاتشوبها شوائب الجنسيات المتنافرة ، والعصبيات المتناظرة والطبقات المتحاقدة ، بل ما آنسته فى أصوله من مطابقة العقل ومسايرة الدليل وفى آدابه من سمو ليس بعده غاية ولا وراءه مذهب ، فألقت بنفسها فى جماعته ، ورأت الخير كل الخير فى مناصرته والذود عن بيضته .

ولا تزال الدعوة الإسلامية باقية حتى يكسف القمران وتسكن هذه الأرض من دوران ، ولا يزال ولن يزال الدليل قائما على أن قبولها هو الدواء الشافى لأدواء الأمم « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

عباس طه

القوة فى التضامن

كان فى أجمة أثوار ثلاثة : أبيض وأسود وأحمر ، ومعهن فيها أسد ، فكان لا يقدر منهن على شىء لاجتماعهن عليه .

فقال الأسد للثور الأسود والثور الأحمر : لا يدل علينا فى أجمتنا إلا الثور الأبيض ، فإن لونه مشهور ، ولونى على لونكما ، فلو تركتمانى آكله صفت لنا الأجمة .

فقالا : دونك فكله . فلما مضت أيام قال للأحمر : لونى على لونك ، فدعنى آكل الأسود لتصفو لنا الأجمة . فقال : دونك فكله .

ثم قال للأحمر : إنى آكلك (لا محالة) .

فقال : دعنى أنادى ثلاثة . فقال . إفعل . فنادى ألا إنى أكلت يوم أكل الثور الأبيض .

لغويات

للأستاذ محمد على النجار

فعيل فى معنى مفعول

يأتى فعيل فى معنى مفعول جاريا مجرى الأسماء لا يجرى على موصوف ، وذلك إذ لا يراد وقوع الفعل عليه ويتخصص فى بعض المعانى فيخرج عن إبهام الأوصاف . وهذا الضرب فى أغلب أمره تلحقه تاء النقل من الوصفية إلى الاسمية . ومن ذلك الذبيحة لما يعد للذبح من الحيوان ، وإن كان حيًّا لم يذبح ، ويستوى فى ذلك الذكر والأنثى . ومنه النطيحة للحيوان ينطحه آخر فيموت بالنطح وقد تخصص هذا بإضافة الموت إلى النطح فالتحق بالأسماء . ومنه اللقيطة فى قول الشاعر الحماسى :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى
بنو اللقيطة من ذُهل بن شيبانا

قال المرزوقى فى شرحه (ص ٢٥) : « ولقيطة ألحق بها الهاء وإن كانت فعيلا فى معنى مفعولة لأنه أفرد عن الموصوف به وجعل اسما . وهذا كما يقال: النشيطة والذبيحة والبنية فى الكعبة » . والنشيطة ما يغنمه الغازى فى الطريق قبل بلوغه الوجه الذى يغزوه . وكان هذا فى نظام الجاهلية . وهى فى الأصل وصف من نشط الشىء : اختلسه.

وقد يجرد هذا الضرب من التاء كما قال ابن أحمر :

تهدى إليه ذراع الجدى تكرمة
إما ذبيحا وإما كان حلاما

فالذبيح : الجدى الذى كبر وصلح أن يذبح والحلام : الجدى الصغير لا يبلغ أن يذبح .

فأما فعيل الذى لم يجر مجرى الأسماء وبقى على وصفيته فقد جاء عاريا من تاء التأنيث مع المؤنث إذا وجد فى الكلام ، نحو امرأة قتيل وامرأة صريع . وقد اشتهر فى هذا النوع أنه يستوى فيه المذكر والمؤنث : ويعلل ذلك بعض النحويين بأنه جاء على زنة

المصدر كالزئير والصهيل فالتحق به فى التعرى من التأنيث . وهذا التعليل غير صحيح ؛ فإن فعيلا فى معنى فاعل فيه هـذا المعنى ، ولا يستوى فيه المذكر والمؤنث . وإنما هو استعمال العرب ، وسننهم فى الكلام . وهـذا ـ كما أسلفت ـ إذا كان فى الكلام ما يدل على الموصوف المؤنث ، فأما إذا لم يكن فيه ذلك فيؤتى بالتاء مع المؤنث دفعا للبس ، تقول : هذه قتيلة بنى فلان .

وهـذا الحكم الذى أوردته تراه فى كتب متأخرى النحاة ، ولا يوردون فيه خلاف البصريين والكوفيين وهذا يدل على اتفاقهم عليه . ويقول سيبويه فى الكتاب ٢ / ٢١٢ : « وأما فعيل إذا كان فى معنى مفعول فهو فى المؤنث والمذكر سواء ، وهو بمنزلة فعول .. وتقول : شاة ذبيح كما تقول : ناقة كسير ... وتقول : شاة رمى إذا أردت أن تخبر أنها قد رميت . وقالوا : نعجة نطيح » . فترى من هـذا النص أن سيبويه إمام البصريين يقول بتجريد فعيل هـذا من التاء إذا تبع المؤنث قياسا لاحبا ، ومنهجا مطردا .

على أنه يروعنا أن ابن جنى وشيعة له ينسبون إلى البصريين القول بعدم التعرية إلا فيما جاء وسمع عن العرب ، وأن القول بالتعرية على الوجه السابق مذهب الكوفيين.

فقد جاء فى الحماسة قول الشاعر يهجو بنى أسد:

ولما رأيناكم لئاما أدقـة
وليس لـكم من سائر الناس ناصر
ضممناكم من غير فقر إليكم
كما ضمت الساق الكسير الجبائر

فقال ابن جنى فى كتابه التنبيه [١] على مشكل إعراب الحماسة : « والكوفيون يقيسون تذكير فعيل إذا كان فى معنى مفعول وجرى وصفا على مؤنث ؛ نحو امرأة قتيل وصريع وجريح ؛ فعليه جاء (الساق الكسير) . وقياس مذهبنا نحن (يريد البصريين) ألا يجوز قياسه ؛ بل يروى المسموع فيه بحاله » . ويقول المرزوقى فى شرحه [٢] للحماسة : « وقال الكسير والساق مؤنثة لأنه فعيل فى معنى مفعولة . وعن أصحابنا البصريين هذا لا ينقاس ، بل يتبع فيه المحكى عنهم » . ويقول التبريزى فى شرحه [٣] : « وقال : الساق الكسير وهى مؤنثة لأن فعيلا إذا كان فى معنى مفعول ووصف به المؤنث كان بغيرها قياس مطرد عند الكوفيين . وعند البصريين لا ينقاس ، بل يتبع فيه المحكى عنهم » .

---

[١] انظر الورقة ١٧٠ من مخطوطة دار الكتب .

[٢] ص ١٤٨٥

[٣] ج ٤ ص ٦٠ من طبعة المكتبة التجارية.

على أن التبريزى سرعان ما ينسى ما ذكره هنا فيجعل التجريد من التاء هو القياس . فقد جاء فى الحماسة بعد القطعة السابقة قول وضاح بن إسماعيل :

من مبلغ الحجاج عنى رسالة
فإن شئت فاقطعنى كما قطع السلى
وإن شئت فاقتلنا بموسى رَميضة
جميا فقطعنا بها عُقَد العُرَا

فقال التبريزى فى الشرح [١] : « رميضة : حادة ، رمضت النصل إذا رقعته وحددته . وكان القياس أن يقول : رميضا ، إلا أنه جاء على الأصل المتروك ، مثل أعوز واستنوق الجمل » .

وأذكر هنا أن تجريد هذا الضرب من فعيل من تاء التأنيث ليس ضربة لازب ، فإن مالك يجعله أمراً غالباً فى قوله :

ومن فعيل كقتيل إن تبع
موصـــوفه غالبا التا تمتنع

ويقول الأشمونى فى شرحه : « وأشار بقوله : غالبا إلى أنه قد يلحقه تاء الفرق حملا على الذى بمعنى فاعل ؛ كقول العرب : صفة ذميمة وخصلة حميدة » . ويقول الرضى فى شرح [٢] الكافية : « ولشبهه لفظاً بفعيل بمعنى فاعل قد يحمل عليه فيلحقه التاء مع ذكرة الموصوف أيضا ، نحو امرأة قتيلة » . والأصل فى هذا قول سيبويه فى الكتاب : « وقالوا : نعجة نطيح ، ويقال : نطيحة ، شبهوه بسمين وسمينة » .

وجاء فى اللسان (ذمم) فى حديث الشؤم والطيرة ذروها ذميمة أى ذروا الدار . فذميمة فعيلة فى معنى مفعولة وقد جاءت على التأنيث . وجاء فيه (رأى) قول الشاعر :

وما ذاك من ألا تكونى حبيبة
وإن ربىءَ بالإخلاف منك صدود

وفيه فى (جحم) قول الشاعر :

فيا جحمتى بكى على أم مالك
أكيلة قِلَّوب بإحدى المذانب

الجحمة : العين والقلوب : الذئب ، والمذانب : مجارى الماء . فانظر كيف جاء التأنيث مع الموصوف المؤنث . وعلى هذا ليس من الخطأ أن يقال : مصر الحبيبة ، والفضيلة الصريعة .

ومن مباحث فعيل فى معنى مفعول أنه يثنى ويُجمع ، غير أنه يتجنب به جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم أى يجمع جمع التكسير فقط . فيقال : هما صريعان وهم صرعى . ولا يقال : هما صريع وهم صريع ويقول سيبويه فى الكتاب فى شأن هذا

---

[١] ج ٤ ص ٦٥ . [٢] ٢/١٦٦ .

الوصف : « ولا تجمعه بالواو والنون ، كما لا تجمع فعول ؛ لأن قصته كقصته . وإذا كسرته كسرته على فعلى . وذلك قتيل وقتلى وجريح وجرحى وعقير وعقرى ولديغ ولدغى . وسمعنا لأن العرب من يقول : قتلا شبهوه بظريف ؛ لأن البناء والزيادة مثل بناء ظريف وزيادته » .

وقد عرضت لهذا البحث لأنه سبق لأحد علماء العربية فى العصر الحديث الأستاذ حفنى ناصف عليه رحمة الله أن منع تثنية هذا الضرب وجمعه . فجاء فى جواب [1] له عن بعض الأسئلة النحوية أنه لا يقال : جريحان ولا جرحى ؛ إذ كان جريح يستوى فيه الواحد وغيره كما يستوى فيه المذكر والمؤنث .

وقد استند فى ذلك إلى قول الخضرى فى حاشيته على ابن عقيل فى مبحث النعت : « محل مطابقة النعت للمنعوت إذا لم يقم مانع ككون الوصف يستوى فيه المفرد والمذكر وأضدادهما ، كصبور وجريح » . ويقول [2] الأستاذ حفنى ناصف عقيبه : « وهو صريح فى أنه يقال بلفظ واحد للمذكر والمؤنث ، مع كونه لواحد أو اثنين أو جماعة » .

وقد علمت من كلام سيبويه الرد على مثل هذا الكلام ، وقد جاء فى كلامه التمثيل بجرحى الذى يرده الأستاذ حفنى ناصف تبعا للخضرى .

وينزع الأستاذ حفنى إلى الاستدلال على فتواه فى منع التثنية بأنها محمولة على جمع المذكر السالم . فإذا امتنع أن يقال : جريحون امتنع أن يقال جريحان . وهذا الاستدلال لا يقوم على النقد ألا ترى أنه لا يقال : أسودون ويقال أسودان ، والأسودان : التمر والماء عند العرب . وإنما يعنى النحاة بأن المثنى وجمع المذكر السالم من باب واحد أنهما يعربان بالحروف .

وقد يذكر النحويون أن فعيلا يستوى فيه المفرد وغيره ذكروا ذلك فى قوله :

خبير بنو لهب فلا تك ملغيا
مقالة لهبى إذا الطير مرت

وقوله تعالى : والملائكة بعد ذلك ظهير . والبيت الأول نزع البصريون إلى هذا القول فيه خروجا مما ألزمهم به الكوفيون ، فهو جواب جدلى . وقيل فى الآية : إن المراد أن الملائكة فى إعانتهم له يد واحدة فهم كالظهير . وأيا ما كان الأمر فإنما قالوه فى فعيل فى معنى فاعل لا فى معنى مفعول .

على أنه جاء قول أبى ذؤيب الهذلى :

---

[1] انظر المجلد التاسع من المقتطف ص٣٦٧ .

[2] انظر المقتطف فى المجلد التاسع ص ٦٧٦ .

وسرب يُطلى بالعبير كأنه
دماء ظباء بالنحور ذبيحُ

وجاء عقبه فى اللسان : « ذبيح وصف للدماء ، وفيه شيئان . أحدهما وصف الدم بأنه ذبيح ، وإنما الذبيح صاحب الدم لا الدم . والآخر أنه وصف الجماعة بالواحد، فأما وصفه الدم بالذبيح فإنه على حذف المضاف ، أى كأنه دماء ظباء بالنحور ذبيح ظباؤه (كذا والصواب : ظباؤها) ثم حذف المضاف وهو الظباء فارتفع الضمير الذى كان مجروراً لوقوعه موقع المرفوع المحذوف لما استتر فى ذبيح .

وأما وصفه الدماء وهى جماعة بالواحد فلأن فعيلا يوصف به المذكر والمؤنث والواحد وما فوقه على صورة واحدة . قال رؤبة : (دعها فما النحوى من صديقها) وقال تعالى : « إن رحمة الله قريب من المحسنين » . وهذا كلام لغوى أراد به تخريج كلام عربى جاء على خلاف المألوف والمعروف من أمرهم . وليس فيه دقة النحويين وحسن بصرهم ، ألا ترى أن ما استشهد به من كلام رؤبة والآية الشريفة فعيل فيه فى معنى فاعل لا فى معنى مفعول . وفى الحق أن العرب جعلت العدو والصديق فى معنى الواحد إذ كانت العداوة والصداقة تتضمن التعاون والتوحد ، فأعداء المرء يجتمعون على عداوته كأنهم واحد ، وأصدقاؤه يتعاونون على نصرته ، فمن هذا جاء قوله تعالى : « فإنهم عدو لى » ، وجاء قول رؤبة . فأما قريب فالأمر فى تذكيره مع أنه فى معنى فاعل أن المراد بالرحمة الغوث والعون أو نحو ذلك .

والأحسن فى تخريج بيت أبى ذؤيب أن يقال : إنه أراد تشبيه العبير بدم الظبى ، فإن المفرد يشبه بالمفرد ، فلما أعجزه الوزن أن يأتى بدم الظبى أتى بدماء الظباء وهو يريد دم الظبى وجاء الوصف (ذبيح) مفردا على ما نوى وقدر وهو دم الظبى . ومثل هذا كثير فى العربية ، ومنه ما يحتاج إلى تأويل فى كلامهم .

وقد عقد لهذا ابن جنى فى الخصائص بحثا سماه شجاعة العربية ؟

محمد على النجار

رأى فى نبى الإسلام بين الأنبياء

للأستاذ عباس محمود العقاد

من أشهر المطبوعات المتداولة عند الغربيين سلاسل التراجم والسير التى ينفرد كل كتاب منها بالترجمة لنخبة من قادة الإنسانية فى ميادين الدين والحكمة أو ميادين العلم والفن ، أو ميادين الحرب والسياسة ، مشتملا على عظماء كل ميدان فى المشرق والمغرب وفى الزمنين القديم والحديث .

وهذه التراجم تنتشر وتنفد وتعاد طبعتها من حين إلى حين ، وآخر ما أعيد منها فى العام الماضى كتاب القادة الدينيين Religious loaders لمؤلفيه هنرى توماس ودانالى توماس Henry Thomas and Danalee Thomas .

وفيه تراجم ثلاثة من الأنبياء الكبار وثلاثة من أئمة الديانات الكبرى فى الهند والصين والمشرق ، ونحو عشرة من المصلحين الدينيين فى المذاهب المسيحية أو البرهمية ، آخرهم « المهاتما غاندى » زعيم الهند السياسى الدينى المعروف .

أما كبار الأنبياء فهم موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام .

وأما أئمة الديانات الشرقية فهم زرادشت وبوذا وكنفشيوس .

وأما المصلحون فى مذاهبهم فمنهم بولس ولوثر وليولا زعيم الطائفة اليسوعية .

ويظهر من آراء المؤلفين وتعليقاتهما أنهما يكتبان عن الأديان جميعاً كتابة المؤرخ الذى يحترم العقيدة الدينيـة ولا يتبع عقيدة خاصة منها ، لأننـا إذا قابلنا بين كتابتهما عن محمد وكتابتهما عن موسى أو عيسى عليهم السلام ، كدنا نفهم منها أنهما أقرب إلى الإعجاب بنبى الإسلام وإن كانا قد ولدا وتربيا على مطالعة التوراة والإنجيـل ، ولكنه إعجاب تقدير واستحسان يتساوى فيه الإعجاب بالعظمة حيث كانت فى مقامها الرفيع من قيادة بنى الإنسان .

تبتدئ ترجمة النبى العربى بالأسطر التالية :

« فى القرن السابع ، حين بدا على الدنيـا أنها قد أصيبت بالجفاف ، وحين فقدت اليهودية مولدها واختلطت المسيحية بموروثات الأمم الرومانية والبربرية ، نبع فى المشرق - فجأة - ينبوع صاف من الإيمان ارتوى منه نصف العالم ... وإن حكمة الله لعجيبة ذات قوة فى قضائها العجيب ، فإن هـذا الينبوع الصافى قد انبثق من أجـدب بقعة بين بقاع الأرض قاطبة : صحراء الجزيرة العربية » .

قال المؤلفان : « وتروى الأخبار المأثورة كثيراً من المعجزات والخوارق التى صحبت مولد محمد وطفولته ... ولكن محمداً لم يذكر هذه المعجزات ولم يذكر قط معجزة تتصل بشخصه أو برسالته ، لأنه لم يأت كما قال بغير معجزة واحدة هى معجزة القرآن الذى تلقاه من وحى الله ... وقد جاء بالدين ليدعو إلى ملة إبراهيم وموسى والمسيح على هدى جديد » .

قالا : « وقد كان محمد محباً لإخوته من بنى الانسان ، بسيطاً فى معيشته يأكل خبز الشعير ويخدم نفسه وإن اجتمعت له أسباب الثراء ، ويتورع أن يضرب أحداً أو يسوءه بكلمة تقريع ... ولم يغتفر لنفسه أنه أعرض ذات مرة عن سائل ضرير ... وقد حاول أن يقابل كراهة أعدائه بالحب لأنه يعلم الناس أن أحب الخلق إلى الله أحبهم إلى خلق الله ، ولكن عباد الأوثان بمكة لم يستمعوا لدعوة الحكمة والمحبة ونظروا إليه فلم يفهموا من قوله ولا عمله إلا أنه ثائر عليهم يسفه أحلامهم ويحطم أصنامهم ، فصادروه وتوعدوه واعتدوا على حريته وأوشكوا أن يعتدوا على حياته .

ويتأدب المؤلفان فى وصف الهجرة إلى المدينة فيختاران لها اسماً باللغة الإنجليزية غير الاسم الذى اصطلح عليه المبشرون والمترجمون للسيرة النبوية فى لغـــات الغرب وهو اسم الفرار أو الهرب Flight . . . فقد سميا الهجرة باسم المفارقة أو الابتعاد Departure وذكر الكلمة المصطلح عليها قديماً لاشتهارها

ويقول المؤلفان : إن صاحب الدعوة الإسلامية لم يبدأ المخالفين له بالحرب بل هم الذين بدأوه بها واضطروه إليها ، وكان من خلائقه المعروفة أن يرحم الضعيف ويأمر بالرحمة ويرفق بالحيوان وينهى عن التحريش بين البهائم ويدعو أتباعه إلى إدخال السرور على قلوب المحزونين ، وهو القائل : « أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً أو تقضى عنه ديناً أو تطعمه خبزاً » . والقائل : « فكوا العانى وأجيبوا الداعى وأطعموا الجائع وعودوا المريض » .

وأشار المؤلفان إلى الخبر الذى ورد عن وقوف النبى لجنازة اليهودى ، وإلى الأخبار الكثيرة التى وردت عن أدبه عليه السلام فى معاملة الضعفاء والأتباع ، ومعاملة اليتامى والأيامى فقالا : إن هذا الأدب هو أدب النبوة الإسلامية فى لبابها ، وليس أدب القتال عنواناً لها كما حسب بعض الناقدين للإسلام على السماع .

أما الجهاد فهو فريضة يؤمر بها المسلم ويتعلم معها من نبيه أن « أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه » .

ويشير المؤلفان فى هذا السياق إلى كلام كارليل عن استخدام السيف لنشر الدين فيعيدان قوله : إن شرلمان لم ينشر الدين بين قبائل السكسون بالدعوة والموعظة ، وإن العبريين لم ينشروا بهما الدعوة بين قبائل

كنعان . وأن من السخف أن يقال عن محمد إنه نشر دينه بالسيف ، لأن الذين يقولون ذلك يصورون لنا رجلا واحداً قائماً وحده يحمل السيف ويشهره على أمة كاملة تعاديه وتنكر دعواه ، وهى صورة غير معقولة يرفضها خيال المتخيل قبل أن يرفضها إدراك المتأمل ، ولابد له من النظر قبل ذلك إلى الدعوة المقنعة التى آمن بها عدد من الناس كاف لحمل السيف والجهاد به للدفاع أو الإقناع ، وعبارة كارليل فى هذا السياق أن محمداً دافع عن نفسه دفاع الرجل ودفاع العربى ودفاع الرسول المستجيب لدعوة السماء .

ويلتفت الكاتبان التفاتة حسنة إلى المثل الأعلى فى الحياة الباقية كما وصفها القرآن الكريم ، فيذكران أنها هى الحياة التى تصفو فيها القلوب « ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار » وأنها هى الحياة التى يتساوى فيها الناس « فلا أنساب بينهم يومئذ ولا هم يتساءلون » ومثل هذه القدوة السماوية لا توجد فى عقيدة تقوم على البغضاء وسفك الدماء ، ولكنها هى الصورة المنشودة لكل حياة يتحراها المسلم فى دنياه ، ويذكرها كلما ذكر الإله المعبود : باسم الله الرحمن الرحيم .

قالا : « إن من الحق أن يلاحظ أن صدق محمد لا يتجلى فى كتاب مقدس فحسب ، بل هو متجل كذلك فى حياة مقدسة . لأنه كان بأصدق معانى الكلمة نعم المثال للمسلم الفاضل الذى أسلم نفسه إلى الله إسلام السمع والطاعة ، ولم يدع قط لنفسه صفة من الصفات الإلهية ، بل كل ما ادعاه وكرره أنه بشر يعلم الناس ما يستطيع كل إنسان أن يتعلمه لو ألقى السمع إليه ، ولا يصعب تلخيص تعليمه ببضعة سطور ، فإن المسلم لا يحتاج إلى الخوض فى النظريات الكهنوتية ولا يجهل أن دينه دين عمل لتحقيق الحياة الصالحة وليس بمجرد نظريات وأقوال يطول فيها الجدل والمحال .

وبعد تلخيص الفرائض الإسلامية ختما خلاصة الفرائض والعبادات بخلاصة السلوك العملى الذى يوجبه القرآن على المسلم فقال :

« إن القرآن واضح فى منهج السلوك الذى يتطلبه من المسلم ... فإن واجبه الأول أن يرتفع غاية الارتفاع الذى يعلو به إلى الاقتراب من صفات الله ، وقد عمل على إدماج النزاع بين الأفراد والقبائل فى إخوة إسلامية وتوسل إلى تحقيق هذه الأخوة بتعليم كل رجل ، وكل امرأة ، وكل طفل ، منهجه الكامل من السلوك المستقيم ، فجاء بتحريم السكر والقمار . والخداع والأثرة ، والقسوة على أى وجه من الوجوه ، وألهم المسلمين أن يفرقوا بين حدود العبادة وحدود الأخلاق ، والنيات ، فليس البر أن يولوا وجوههم قبل المشرق والمغرب ، وإنما البر فى الإيمان والإحسان . . . وعلى المسلم أن يدفع عن

نفسه ، وأن يقاتل من يقاتله ، ولكنه لا يعتدى لأن الله لا يحب المعتدين .

قالا فى ختام السيرة المحمدية : « فالإسلام لا يخالف الديانات الأخرى ، بل هو دين يجمع ويؤلف ، ولا يطرد أو يستثنى ، ومن أدب المسلم أن يحترم عقائد غيره وأن يؤمن بأن العالم أمة واحدة تدين لإله واحد : هو رب العالمين » .

هذه هى زبدة الفصل الذى جاء فى كتاب القادة الدينيين عن محمد عليه السلام ، ولا إخال أن القارىء المسلم يطلع فى كتابات الغربيين المعاصرين على كلام عن نبيه ورسالته هو أدعى إلى ارتياحه ، وحسن ظنه من كلام المؤلفين أو المؤلف والمؤلفة لهذا الكتاب .

فإن كتاب الغرب على درجات فى حسن الفهم وحسن النية ، وعلى درجات فى التعصب الدينى والشعور الإنسانى الذى يشعرون به نحو أبناء الديانات الأخرى ، ولا سيما الديانة الإسلامية واتباعها من الأمم العربية .

فمنهم من يطمس الحقائق ويأبى أن ينظر إلى خبر من أخبار التاريخ يستدعى الثناء على صاحب الرسالة المحمدية ، وينفى عنه زعما من المزاعم التى أشاعها الجهلاء المتعصبون فى ظلمات القرون الوسطى .

ومنهم من ينظر إلى حقائق التاريخ ويثنى حيث يلزمه الثناء كأنه ينصف فى الشهادة على كره منه .

ومنهم من يتقبل أخبار السوء بأضعف سند يلقاه بين يديه ، ولا يتقبل أخبار الحمد والخير إلا أن تفحمه بالأدلة والإسناد التى يحار فيها الأفكار والارتياب .

أما القليل النادر جداً بين هؤلاء الكتاب فهو الذى يبحث ويطيل البحث بين المصادر المجهولة ، ليستخرج منها شواهد الحمد والإنصاف ، وهذه هى مصادر الأحاديث وأخبار السيرة المتفرقة التى عنى الكاتبان باستقصائها كما نرى من مواضع الاستشهاد بها فى الصفحات الموجزة التى خصصاها لسيرة نبى الإسلام بين قادة الأديان ، وهى لا تزيد على عشرين .

* * *

إن رد التحية بمثلها ، أو بأحسن منها ، أدب من آداب الإسلام التى نوه بها الكاتبان ، ولكنها تحية ـ مع هذا ـ تنبئنا عن شىء نحسبه فى عداد الأخبار التى لم تتكلف لها مؤنة التزويد ، فإن سلسلة هذه التراجم من مطالعات الجمهور القارىء على أوسع نطاق ، ووجود هذا الاستعداد فى طائفة متعلة من ذلك الجمهور علامة لا يغفلها المسلم الذى يعنيه على الدوام ، أن يقيس موقف الإسلام من العالم ، وموقف العالم من الإسلام .

عباس محمود العقاد

فى سبيل الوطن

مسرحيّة وطنيّة فى فصل واحد

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

المشهد الأول

« حجرة استقبال متواضعة ، تجلس فيها سيدة عجوز تمارس أشغال الإبرة ... يدخل ابنها عصام وهو طالب أتم المرحلة الثانوية ... الوقت ليلا ... »

عصام :   يقيك أذى البرد ، والبرد قاس

أمى ... سعدت مساء   يصب على الناس سوط البلاء

الأم :   عصام :

سعدت فى كل حين   ولكننا لم نزل فى الخريف ؟

عصام :   الأم :

أراك منذ ليال   وبعد الخريف سيأتى الشتاء

فى الليل لا تهجعين   وقد صرت يا ولدى فى المشيب

مشغولة بخيوط   وما هو إلا طريق الفناء

من أجلها تسهرين   وصارت يداى على حالة

ولست أدرى لعمرى   من الضعف ، ليس لها من دواء

ماذا بها تصنعين ؟   وعيناى قد كلتا بعدما

الأم :   خبا فى حياتى بريق الضياء

لأجلك أجعل هذى الخيوط   لهذا سيكمل بعد شهور

صداراً متينا بديع الرواء   صدارك ... إن شاء رب السماء

عصام :

أماه حسبك إرهاقا يضيق به
عزم الشباب قوى المتن عملاقا
أرهقت نفسك من أجلى بلا ملل
فلا تضيق إلى الإرهاق إرهاقا

الأم :

من أجل عينيك يا نور الحياة ، ويا
سحر الوجود يهون الكد والتعب
أقسمت ما دام لى من صحتى أثر
وفضلة من قوى تبدو وتحتجب
فسوف أهديك من كدى وصنع يدى
ما تبتغيه ... وهذا بعض ما يجب

عصام :

متعت يا أمى بطول الحياه
وأسبغ الله عليك النعم

الأم :

ودمت لى ترعاك عين الإله
فأذكر النعمى ، وأنسى الألم

« تشكها الإبرة فتتأوه »

عصام « منزعجا » :

مالك يا أماه ؟ ماذا جرى ؟

الأم :

لا تنزعج . . . ذلك شيء يسيره

« وهى تبتسم » :

شكتنى الإبرة فى إصبعى

عصام « متصنعا الجد » :

تشكك الإبرة ؟ . . هذا كثير !
هذا اعتداء . . . هذه جرأة
من إبرة ليس لها من ضمير
أقسمت لن أترك ، تأديبها ،
حتى أراها فى يدى تستجير
ولتأخذى التعويض عن جرمها
منى . بشىء ما له من نظير

الأم .

أكلما جرحت عوضتنى ؟

عصام :

نعم

الأم :

بماذا يا فتاى الصغير ؟

عصام :

بقبلة تنسيك طعم الأسى

الأم « مبتسمة » :

هذا وحق الله ربح كبير

« ثم تخاطب الإبرة مازحة »

يا إبرتى شكى كما تشتهين
فقبلة التعويض شىء ثمين

« يضحكان »

عصام « فى حد » :

أمى . . أعيرينى انتباهك لحظة
لأقول ما عندى من الأخبار

الأم :

ماذا لديك عصام ؟

أمر حاسم

نفذته ، وبه استقر قرارى

« بعد لحظة »

أمى . . لقد قدمت أوراقى الى

كلية الأبطال والأحرار

الأم « مصدومة » :

تعنى بها الكلية الحربية ؟

عصام

أماه . . . أعنى هذه الكلية

الأم

وكيف فعلت ذلك ،وأنت تدرى

بما ألقاه من هول المصاب ؟

فقدت أخاك فى يوم عصيب

كئيب الوجه ، مسود الإهاب

وكان أخوك نورا فى حياتى

وكان شبابه زين الشباب

عرفت بموته ثكل الأيامى

وذقت بفقـــده نار العذاب

ألم يك طالبا فيها ؟ أجبنى ؟

عصام :

أجيبك ؟ أنت أدرى بالجواب

الأم :

ألم يذكر صعاب العيش فيها ؟

عصام :

بلى ، واجتاز مرحلة الصعاب

عصام :

وأصبح ضابطا فى الجيش ، يحمى

حمى الأوطان من بغى الذئاب

وجاء المعتدون ذئاب قفر

فكنا فى الصراع أسود غاب

وظل أخى مع الأبطال ، يرمى

فيعصف بالعتاد وبالرقاب

إلى أن ناله الأوغاد غدرا

فقال بموته أسمى الرغاب

شهيد فى رحاب الله يحيا

فأكرم بالشهيد وبالرحاب !

الأم :

عصام...أخوك حين قضى شهيدا

وجدت لديك ياولدى عزائى

وإنى ـ إن فقدتك ـ سوف أحيا

مضيعة العزاء ، بلا رجاء

عصام :

تذكرى أننا ملك لخالقنا

وأن أعمارنا ليست بأيدنا

والموت حق علينا ، وهو يطلبنا

لحيث كنا بأرض الله يأتينا

الأم .

تذكر أننى قاسيت وحدى

من الأيام ما يعيى الجبالا

أبوك مضى ، ولم يترك لقلبي
سوى الحسرات تشتعل اشتعالا
فناضلت الحياة ، ولم أحمل
شبابكما المشقة والنضالا
وحين مضى أخوك ، فقدت نفسي
وكدت أموت حزنا وانفعالا
ولكنى صبرت على مصابي
لأجلك كى أجنبك الوبالا
فماذا بعد فقدك سوف يبقى
لنفسى ، إن أطقت له إحتمالا ؟

عصام :

سيبقى خير ما يبقى لأم
تؤدى واجبات الأمهات
حياة بلادنا عزا ومجدا
وفيها ينطوى معنى الحياة
وإن رسالتى عمل وبذل
لرفعة موطنى ، مهد الهداة
وإنى كى أرى وطنى عزيزا
تهون على كل التضحيات
فيا أمى بربك ساعدينى
لأمضى فى طريق المكرمات
فقلبك فيه إيمان عميق
يشيع النور فى تلك السمات
وحب الله والوطن المفدى
عميق فى قلوب المؤمنات

الأم :

لديك بنى تفكير سليم
وعاطفة أرق من الضياء

عصام :

إذن وافقتنى ؟

الأم : مهلا فعندى حديث قد يريح من العناء

عصام :

فهات ما لديك

الأم : ألست تبغى أداء الحق للوطن المفدى ؟

عصام : بلى

الأم :

فاعلم بأن الطرق شتى
تؤدى الحق أحسن ما يؤدى
فدع منها طريق الحرب ، واسلك
طريق السلم ، إن السلم أجدى
تريد بلادنا للحرب جندا
وتطلب غيرهم للسلم جندا

عصام :

أمى ... قد اخترت الطريق ، وإنه
نعم الطريق لخدمة الأوطان
قد سار فيه أخى ، وإنى سائر
فيه إلى مجدى ورفعة شانى
إنى لأشعر حين أذكر صنعه
بالفخر يطفىء جذوة الأحزان

الأم :

أفلا ترق لحسرة فى أضلعى
ملأت زمانى بالأسى ومكانى ؟

أفلا ترق ، وقد عرفت فجيعتى
وعرفت أن الحزن هدّ كيانى ؟
« تبكى فيقترب منها عصام . ويربت
كتفها ثم يقول » :
عصام :
أماه لا تبكى فدمعك فى الحشا
نار تهيج بمسها أشجانى
وتذكرى الأبرار من شهدائنا
فصنيعهم أبقى من الأزمان
صانوا بحرّ دمائهم أوطانهم
من كيد أهل البغى والعدوان
فلهم هنا ذكر ومجد خالد
ولهم هنالك : جنة الرضوان
وتذكرى الأحرار من أبطالنا
وبهم عززنا بعد طول هوان
حملوا على راحاتهم أرواحهم
وتسلحوا بالعزم والإيمان
وأتوا إلى الدنيا بأكرم ثورة
هدمت صروح الظلم والطغيان
عنوانها حرية وعدالة
أكرم بما اتخذته من عنوان !
أماه ... إن صنيعهم من أجلنا
أسمى من التقدير والشكران

« الأم تملك نفسها ، وتمسح دموعها ...
عصام ينظر فى ساعته ثم يقول » :
عصام :
والآن فلندع الحديث لفرصة
أخرى ، فعندى موعد قد حانا
وأحب أن أحظى ببسمتك التى
أبداً تفيض محبة وحنانا
« الأم تبتسم »
عصام :
أجل هكذا ... واحفظى بسمتى
إلى أن أعود من الموعد
« يلوح لها بالتحية وهو خارج »
الأم : عصام
عصام : نعم
الأم « باسمة » : هذه إبرتى أجابت ندائى ،
وشكت يدى ،
عصام « ضاحكا » :
فهمت يا أماه ما تقصدين
وذاك تعويضى الذى تطلبين
« يقبلها فى جبينها ، فتقبله فى خده . ثم يلوح
لها بالتحية ، ويخرج مسرعا »

(المشهد الثانى فى العدد القادم)

آراء وأحاديث

للأستاذ الأكبر

المسلمون فى الفلبين :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بمكتبه السيد بارالبداسان نائباً عن السيد ألنتو زعيم المسلمين بالفلبين ، وكان يرافقه بعض طلاب الفلبيين الذين يدرسون فى الأزهر .

وقد رحب به فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا : إن بينى وبين مسلمى الفلبيين رابطة قوية ، فأنا أميل إليهم بطبيعتى وأشعر بأنهم يحبوننى كما أحبهم .

فقال السيد الزائر : إنى ليسعدنى أن أزور الأزهر وأرى فضيلتكم وأحمل إليكم تحيات المسلمين فى الفلبيين ، ثم قال : إننى أعبر باسمى وباسم السيد ألنتو وباسم عامة المسلمين عن تقديرنا للجهود التى تبذلونها فى سبيل دعم الصلات الوثيقة بين الفلبين والجمهورية العربية المتحدة .

ولقد كان لاتصالكم بنا فى عيد الفطر وعيد الأضحى أثره العظيم فى نفوس المسلمين عندنا ، الأمر الذى دعاهم إلى أن يحملونى إليكم تحياتهم وخالص شكرهم . وشكر أولياء أمور الطلاب الذين يدرسون فى الأزهر على العناية الفائقة التى يلاقيها هؤلاء الطلاب من الأزهر .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن الأزهر حريص على طلاب البعوث الإسلامية ، وخاصة أبناء الفيليبين الذين أعتبر نفسى والداً لكل منهم .

ثم أضاف فضيلته : وإنى ربما أسافر إلى أندونيسيا هذا العام ، فإذا اتسع الوقت فيسعدنى أن أزور الفيليبين أيضا لأتعرف إخوانى وأبنائى مسلمى الفلبيين .

هذا وقد طلب السيد الزائر من فضيلة الأستاذ الأكبر أن يوفد الأزهر بعض علمائه إلى الفيليبين ليعلموا أبناء المسلمين اللغة والدين . فوعد فضيلته بأن يعمل على تحقيق ذلك متى كان ذلك ممكنا .

فى مدينة البعوث الاسلامية :

ثم زار سيادته مدينة البعوث الاسلامية حيث وقف على مدى تقدم الطلاب الفيلبيين

ولمس بنفسه العناية الشديدة التي يلاقيها طلاب البعوث الاسلامية . وقد خطب فيهم قائلا : « إنى ليسعدنى أن أقدم عظيم شكرى للسادة القائمين على شئون المدينة ، ثم وصاهم بأن ينهلوا من ينابيع الأزهر الفياضة ، حتى يعودوا إلى بلادهم وقد اكتسبوا علما ومعرفة لينهضوا ببلادهم . كما أعلن استعداده عن تنازله عن أربعة آلاف فدان هي كل ما يملكه لطلاب البعوث الإسلامية الذين يدرسون فى الأزهر من الفيلبين . ولقد كان لهذا التشجيع أثره العظيم فى نفوس الطلاب الذين بدا على وجوههم البشر والسرور ، ثم اختتم حديثه بشكر فضيلة الأستاذ الأكبر على جهوده المشكورة نحو أبناء الفيلبين ودعائه له بدوام الصحة والعافية .

بعثة الحج الصينية :

ثم استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه أعضاء بعثة الحج الصينية المكونة من السادة الحاج إبمانوف حامد والحاج ليوكافا والحاج حكيم شريف والحاج محمود ماديني ، وهم من أعضاء الجمعية الاسلامية فى بكين .

وبعد أن رحب بهم فضيلته قال : « ان الأزهر حريص على خدمة الشعوب الإسلامية ويأمل أن تصير اللغة العربية هى اللسان الذى يتخاطب به المسلمون فى جميع أنحاء الأرض . ثم وعدهم بأن يعمل على تدريس اللغة الصينية فى معهد الاعداد والتوجيه . على أن يقوموا بدورهم بالعمل على إدخال اللغة العربية فى معاهد الصين وجامعاتها .

وكان يقوم بالترجمة السيد محمود ماويجى ، وهو أحد الذى درسوا فى كلية الشريعة على يد الأستاذ الأكبر عند ما كان أستاذاً بها .

والبعثة الروسية :

كما استقبل فضيلته أعضاء بعثة الحج الروسية الذين حملوا إلى الأستاذ الأكبر تحيات المسلمين فى روسيا ، وقد رحب بهم فضيلته قائلا : « إن الأزهر فى خدمة الشعوب الإسلامية كلها يخدمهم فى الدين وفى اللغة ويمدهم بالعلماء الذين يوجهونهم نحو طريق الإسلام الصحيح . ويسرنى أن ألتقى بإخوانى المسلمين دائما فهم إخوة فى الله .

فقال السيد رئيس الوفد : إننا ليسرنا أن نستمع لهذا الكلام القيم الذى نحب أن يستمع إليه كل مسلم ، وإننا يوم أن وصلنا إلى القاهرة وشاهدنا التطور العظيم الذى شمل معالمها تأكد لنا مدى النهضة البالغة التى تمت فى عهد الثورة المباركة . ، ثم انصرف الوفد شاكراً للأستاذ الأكبر حسن استقباله دعياً له بتمام الصحة والسعادة .

المسلمون فى سيام :

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه الحاج مروان أحمد صالح قاضى ولاية جالا –

جنوب سيام - الذى جاء يحمل تحيات المسلمين فى سيام إلى الأزهر وشيخه ، وقد رحب به فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا :

إن الأزهر ليرحب بكم ويسعده أن يلتقى بأبناء سيام فى شخصكم ، ثم أضاف : ويسرنا أن نحملكم تحياتنا وتمنياتنا الطيبة إلى إخواننا المسلمين فى سيام داعين الله لكم بالتوفيق .

وقد طلب السيد الزائر من فضيلة الأستاذ الأكبر أن يعمل على إيفاد علماء من الأزهر إلى سيام ، وعلى قبول طلاب سيام الذين انتهوا من دراسة المرحلة الثانوية فى كليات الأزهر أسوة بطلاب أندونيسيا ، فوعده فضيلته بالعمل على تحقيق رغبته متى كان ذلك ممكنا .

وسأل فضيلته عن التعليم الدينى فى سيام فأجاب السيد الزائر : إنهم يدرسون الفقه والنحو عن طريق الترجمة ، فأوصاه فضيلته بأن يعمل على تعليم اللغة العربية فى سيام ، فهى لغة القرآن الكريم والسنة النبوية ، ورابطة بين المسلمين فإذا تعلموها استطاعوا بذلك فهم القرآن والسنة وتعاليم الإسلام السمحة التى تفيض بالتوجيه السديد والإرشاد القويم .

وفى باكستان :

ثم استقبل فضيلته السيد سفير الباكستان الذى حمل إلى فضيلته تحيات المسلمين فى باكستان وتقديرهم للأعمال الجليلة التى يحققها الأزهر فى سبيل نشر الثقافة الإسلامية فى العالم وتقوية أواصر المحبة والصداقة بين شعوب العالم الإسلامى .

فقال الأستاذ الأكبر : إنى لأشعر أن باكستان صنو الجمهورية العربية المتحدة فى الدعوة إلى الله وإلى مبادىء الإسلام القويمة فلها خطوات واسعة فى القضاء على مظاهر التفرقة بين الأجناس المختلفة ، وقد سرنى منكم تحدثكم باللغة العربية مما يؤكد اتفاقنا فى الهدف والغاية فوق ارتباطنا الدينى والثقافى .

ثم انتقل الحديث إلى القومية العربية فقال سيادته : إن الجنرال أيوب خان رئيس الباكستان الذى سيزور القاهرة فى نوفمبر القادم فى طليعة من دعوا إلى الاعتراف بالقومية العربية بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر

فقال الأستاذ الأكبر : إننا لسعداء بهذه الثقة سعادتنا بنبأ هذه الزيارة التى ستقوى من الروابط الأخوية الدينية بين الشعبين الصديقين ، ثم أضاف : وإن تزاور رؤساء الحكومات من عوامل تأكيد المحبة والإخاء بين الشعوب والحكومات .

كما استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه السيد الدكتور محمد فضل الرحمن الأنصارى رئيس الوفاق العالمى للدعوة الإسلامية وأستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة كراتشى بباكستان .

وبعد أن رحب به فضيلة الأستاذ الأكبر قال السيد الزائر : إنها لفرصة طيبة أنعم

فيها بلقائكم وأنا أقوم بجولتي الثالثة حول العالم لتفقد شئون المسلمين فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، ويسرنى أن أبلغ فضيلتكم تحيات المسلمين فى باكستان ، الذين يحمدون لفضيلتكم جهودكم العظيمة فى العمل على نشر الثقافة الإسلامية والتقريب بين المذاهب الإسلامية .

فقال فضيلته : إنه لمن دواعى السرور أن أسمع منكم هذا التقدير العظيم الذى يعتبر صدى لمهمة الأزهر السامية التى تقوم على أساس كتاب الله وسنة رسوله ، كما يسرنا أن نلتقى فى الدعوة إلى الله ومبادىء الإسلام الخالدة .

ثم حمله فضيلته خالص تحياته وتمنياته الطيبة إلى مسلمى باكستان ، وكافة المسلمين الذين سيلتقى بهم عند قيامه بجولته حول العالم

من الإقليم الشمالى :

ثم استقبل فضيلته وفدا من الاتحاد القومى فى الإقليم الشمالى مكونا من السادة عبد المجيد الطرابلسى نائب رئيس اللجنة التنفيذية بمحافظة حمص ومدير المعهد العربى الإسلامى ، ورفعت الدالاتى رئيس اتحاد نقابات الصناع وعضو الاتحاد القومى ، وعبد المجيد بالى عضو اللجنة التنفيذية بالاتحاد القومى لمحافظة حمص ، وعادل معمو وفضل الله الأنصارى ، ومحمد على مشعل أعضاء الاتحاد القومى فى حمص ، وقد رحب بهم فضيلته قائلا . إن الأزهر لفخور بأن يلتقى بإخواننا أعضاء الاتحاد القومى بالإقليم الشمالى . وبالروح الطيبة التى تسود أبناء الجمهورية العربية المتحـــدة الذين سلكوا طريقهم الصحيح للإسهام فى بناء مجتمع ديموقراطى اشتراكى تعاونى ، والأزهر يسره أن يضع يده فى أيديكم محييا هذه الروح التعاونية الصادقة .

ثم دار الحديث عن فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية ، ومدى إسهام الأزهر فى هذا الشأن فقام أحد أعضاء الوفد وقال : إن تصريحكم القوى فى هـذا الموضوع ترك أثره الحميد فى نفوس المسلمين فى جميع أنحاء الأرض ، وخاصة أبناء الإقليم الشمالى الذين زاد هـذا الأمر من رابطتهم ووحدتهم ، وإننا لنشكركم على هذا التوفيق ، وندعو الله أن يمنحكم الصحة والعافية لتتمموا هـذه الدعوة التى حققت الكثير على أيديكم .

فقال الأستاذ الأكبر : إننا لو اعتصمنا بحبل الله جميعا ، واتحدت وجهتنا استولى الدين على القلوب وفاضت بالإيمان الكامل ، فإن محمداً لم يستول على القلوب والمشاعر بالعصى أو السيف ، بل بالحق والدعوة إلى الوحدة ونبذ الضغائن والبعد عن التفرقة ، وهذا هو فتح القلوب . فإن الإسلام لم يفتح بلاداً أو أمصاراً بقـدر ما فتح القلوب . وهذا هو المعنى الذى يتجلى فى قوله تعالى :

« إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » .

ثم قام عضو آخر من أعضاء الوفد تخرج فى الأزهر ـ وقال : إننى باسمى وباسم إخوانى الذين تخرجوا فى الأزهر من الإقليم الشمالى نحيى فيكم الدعوة إلى وحدة المسلمين ويسرنا أن تعملوا على أن تكون لنا رابطة أزهرية فى الإقليم الشمالى أسوة برابطة الإقليم الجنوبى .

فقال الأستاذ الأكبر : إن الأزهر ليس فى الإقليم الجنوبى فحسب ، وإنما هو فى كل مكان ، فالأزهر مؤسسة دينية ـ فهما وعلما وتقريبا وتخريجا ـ عندنا أزهر ، وعندكم أزهر ، وفى كل بلد إسلامى أزهر ، وليس طلاب الأزهر هم الذين يدرسون فى الأزهر فحسب ، وإنما يمكننا إطلاق ذلك على كل من يدرس علوم الأزهر فى العالم الإسلامى جميعه ـ ثم حملهم فضيلته تحياته باسمه وباسم الأزهر إلى أبناء الإقليم الشمالى داعيا الله سبحانه وتعالى أن يوثق روابط الوحدة وأن يديم على جمهوريتها العربية التوفيق والرخاء بقيادة الشاب المؤمن القوى الرئيس جمال عبد الناصر .

كاتب ايرلندى كبير :

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه مستر باتريك أوكنر الكاتب الإيرلندى الكبير . وقد دار الحديث حول رسالة الأزهر وأهدافه وصلته بالعالم الإسلامى .

ولقد قال فضيلته : إن الدين الإسلامى دين الأخوة ، دين التعاون ، دين المحبة والوفاء دين التراحم والتعاطف . ولقد خلق الله الناس ليتعارفوا ويتآلفوا ويتعاونوا « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم » والإسلام لا يعرف العصبية ولا الطائفية كما لا يعرف التخريب ولا التدمير ولا البغى ولا الطغيان ، وإنما يعرف التعمير والبناء ويقرر مبادئ المساواة الصحيحة والديمقراطية الأصيلة . وعلى هذا الأساس يتعاون البشر جميعا على بناء الإنسانية بناء قويما . ثم أضاف فضيلته ـ وإنه ليسرنى أن تتعرفوا إلى الأزهر ، جامعة العالم أجمع ، التى تركز القيم والمثل وتقيم المبادئ الصحيحة .

وقد عبر السيد الزائر عن شكره قائلا : إننى لسعيد كل السعادة بهذه الزيارة وهذه الحفاوة التى لقيتها منكم ، وأنا أذكر أننا قريبون منكم ، ففى الوقت الذى اعتدت فيه الدول الثلاث على مصر كانت « إيرلندة » من بين الدول التى ساندت مصر وأيدتها . ويسرنى أن ألتقى مع هذه العقلية الناضجة التى علمتنى المبادئ القويمة فى دقائق قليلة .

مفتى المالكية فى الاحساء :

واستقبل فضيلته الشيخ محمد بن ابراهيم

المبارك، مفتى المالكية فى الأحساء بالمملكة العربية السعودية. وقد قال سماحته بعد أن رحب به فضيلة الأستاذ الأكبر:

إننى أدعو الله من كل قلبى كما يدعوه المسلمون جميعا أن يبقى الأزهر لخير الإسلام والمسلمين، ونحن من ورائه أمة واحدة.

قال فضيلته: إننى لمسرور بإحساس المسلمين ومعرفتهم قدر جامعتهم التى أشعت النور على العالم أجمع من مشرقه إلى مغربه. والسر فى ذلك أنها تؤدى رسالة محمد بن عبد الله وتدعو إلى أسسها ومبادئها.

والأزهر ليس ملكا لأحد وإنما هو ملك المسلمين جميعا. فمن حق المسلمين عليه أن يتزودوا منه وأن ينهلوا من منهله العذب، ولذلك فأبوابه مفتوحة لأبناء المسلمين. ورسله موفدة إلى جميع بلاد العالم، وإن الجمهورية العربية المتحدة تعمل على ذلك وتقويه وتؤكده، عرفانا منها بحق المسلمين عليها.

وقد أهدى إليه فضيلته بعض كتبه ومؤلفاته، وشكره السيد الزائر قائلا. إن هذا الزاد الروحى يسرنى أن أكون حاملا له وناقلا معانيه إلى المسلمين فى بلادنا.

* * *

ثم استقبل فضيلته السيد اللواء محمد كمال الدين عبد الحميد، ودار الحديث بينهما حول الشورى فى الإسلام والديمقراطية فى نظر الشريعة الإسلامية.

وقد أفاض فضيلته فى هذا الموضوع بما يدعم أسس الديمقراطية ونظامها، وقد شكر السيد اللواء لفضيلته رعايته وعنايته لشأن المسلمين والإسلام.

وقد نشرنا حديث فضيلة الأستاذ الأكبر عن «الشورى» فى مكان آخر من هذا العدد.

* * *

واستقبل فضيلته السيد محمد صادق فهمى مستشار النقض السابق، ودار الحديث بينهما حول شئون إسلامية وثقافية، ثم قدم بعض مؤلفاته إلى فضيلة الأستاذ الأكبر، كما أهدى إليه فضيلته بعض مؤلفاته.

* * *

ثم استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر السيد حسن عباس زكى وزير الاقتصاد التنفيذى ودار الحديث بينهما حول نواح عامة، وبعض مسائل دينية عرضها السيد الوزير على الأستاذ الأكبر.

* * *

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد العزيز المسند، المدير العام المساعد للكليات والمعاهد الدينية فى الرياض.

وقد دار الحديث حول الشئون الثقافية، كما طلب السيد الزائر زيادة العلماء المبعوثين من الأزهر إلى المملكة العربية السعودية. فوعده فضيلته بالنظر فى ذلك.

العالم الإسلامي يستنكر اعتراف الشاه بإسرائيل

من أسوأ الحوادث التي وقعت فى العالم الإسلامى أخيراً اعتراف إيران المسلمة بإسرائيل المعتدية المغتصبة . فقد أعلن شاه إيران بنفسه فى مؤتمر صحفى يوم آخر المحرم ٢٤ يوليو ١٩٦٠ ، اعتراف إيران القانونى بإسرائيل وقال إن إيران كانت تعترف بإسرائيل من قبل على أساس الأمر الواقع .

وكان هذا الاعتراف صدمة قاسية لشعور الدول العربية والإسلامية وإيمان شعوبها وإحساساتها . تبين مدى هذه الصدمة وإيلامها لجميع هذه الشعوب من تعليقات الصحف واجتماع الهيئات .

فقد بادرت الجمهورية العربية المتحدة باستدعاء سفيرها فى طهران وقررت قطع العلاقات السياسية معها .

وكان فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر وكبار علمائه أول من أنكر على شاه إيران عمله هذا الذى أسخط به الشعوب الإسلامية والعربية كافة .

ففى اليوم التالى لاعتراف الشاه عقد اجتماع كبير بمشيخة الجامع الأزهر حضره كبار علمائه برياسة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

وكان فى مقدمة المجتمعين السادة أصحاب الفضيلة .

الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر .

الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى مدير عام المعاهد الدينية.

الأستاذ الدكتور محمد محمد الفحام عميد كلية اللغة العربية .

« الشيخ محمد محمد المدنى عميد كلية الشريعة.

« « عبد الله المشد مدير الوعظ والإرشاد .

« « عبد الرحمن عيسى مدير التفتيش .

« أحمد حسن الزيات مدير مجلة الأزهر .

الأستاذ الشيخ ابراهيم جاب الله شيخ معهد القاهرة .

» » محمد كرسون مدير الامتحانات .

» » محمد الديناري وكيل كلية أصول الدين.

» » محمد شبانه مراقب تفتيش العلوم الشرعية .

» » محمد عبد التواب مراقب الوعظ والإرشاد .

» » عبد العزيز عيسى مراقب تفتيش العلوم العربية .

» » محمد عبد التواب مراقب الوعظ والارشاد .

وقد تولى سكرتارية هذا الاجتماع فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد المدني عميد كلية الشريعة .

بدأ فضيلة الأستاذ الأكبر الاجتماع باسم الله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، ثم تحدث عن الحادث الجلل الذى فوجىء به المسلمون وهو حادث اعتراف إيران بعصابة إسرائيل المغتصبة لحقوق جزء حبيب من الوطن العربي الإسلامي وتشريد أهله . مبينا أن الأزهر الذى عمل دائبا على توحيد عرى الوحدة الإسلامية يبدى أسفه العميق لهذا الأمر ، ويستنكره أشد الاستنكار ، وأنه يضع الأمر فى يد المجتمعين ليتخذوا فيه ما يرون من قرارات .

وبعد المناقشة وتقليب الأمر على جميع وجوهه قرر المجتمعون ما يأتى : —

أولا : استنكار موقف الحكومة الإيرانية المسلمة فى الاعتراف بعصابة إسرائيل واعتبار هذا الاعتراف نوعا من موالاة أعداء المسلمين ، وتنافيا مع ما يجب عليهم من صيانة الوحدة الإسلامية .

ثانياً : إرسال البرقية الآتى نصها إلى جلالة امبراطور إيران من فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر باسم جميع علمائه .

صاحب الجلالة امبراطور إيران :

إن موقف حكومتكم فى الاعتراف بعصابة إسرائيل لموقف هز شعورنا وشعور علماء الأزهر المجتمعين بنا اليوم ، ونعتقد أنه هز شعور جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وإنه لموقف يتنافى مع موقفكم السابق يوم هنأتمونا بما قمنا به من العمل على توثيق عرى الأخوة العلمية والدينية بين المسلمين فى مختلف طوائفهم .

وإنا لنبعث إليكم بهذا مؤملين أن تسارعوا إلى إعادة النظر فى هذا القرار الخطير ؛ صونا للوحدة الإسلامية ، وحرصا على عدم إعطاء الفرصة لأعداء الائتلاف ، والتقارب بين المسلمين .

ثالثاً : إرسال برقية إلى سماحة العلامة الإمام البروجردى كبير علماء إيران هذا نصها:

أخى فى الله سماحة العلامة الكبير الإمام الحاج محمدحسين أغا بروجردى . قم إيران .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد :

فإني وإخوانكم كبار العلماء بالأزهر ، المجتمعين بنا اليوم لشديدو الأسف على اعتراف إيران المسلمة بعصبة إسرائيل المغتصبة لجزء محبب من الوطن الإسلامي الكبير .

ويرون أن الاعتراف بها نوع من موالاة الأعداء التي حرمها القرآن الكريم بصريح نصه حيث يقول :

«لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء».

ويرجون من سماحتكم أن تتدخلوا بما لكم في النفوس من مكانة دينية سامية لرد الأمر إلى نصابه ، والمحافظة على وحدة المسلمين ، ولنذكر قوله تعالى :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

وإن لنا لأملا في أن جلالة الشاه — حين يبصر بما لهذا الأمر من عواقب خطيرة سيلبي دعوتنا ، ويعيد النظر في هذا القرار المفرق ، واضعاً نصب عينيه رضا الله ووحدة المسلمين .

والسلام عليكم وعلى جميع إخوانكم العلماء .

رابعاً : موالاة الاجتماع حتى ينجلي الأمر .

الأزهر والمؤتمر الإسلامي :

ثم سجل بعد ذلك التليفزيون العربي اجتماعا لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر مع كبار علماء الأزهر والمؤتمر الإسلامي للنظر في اقتراح اجتماع الهيئات الإسلامية بمشيخة الأزهر لتقرير ما يجب على المسلمين القيام به إزاء اعتراف إيران المسلمة بعصبة إسرائيل .

وكان في مقدمة المجتمعين برياسة الأستاذ الأكبر السادة :

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف دراز عضو مجلس الأمة .

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر .

السيد الأستاذ سيد أبو المجد المستشار بالمؤتمر الإسلامي .

السيد الأستاذ الدكتور محمد ماضي المدير العام للمعاهد الدينية .

السيد الأستاذ الدكتور محمد البهي المدير العام للثقافة الإسلامية .

فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الفحام عميد كلية اللغة العربية .

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد المدني عميد كلية الشريعة .

فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله المشد مدير الوعظ والإرشاد .

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد كرسون مدير إدارة الامتحانات .

وقد افتتح الاجتماع فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا :

« إنه ليسرنى ويشرح صدرى أن نجتمع للمرة الثانية تمهيداً لاجتماع عام نبحث فيه هذا الأمر الخطير الذى اهتزت له مشاعر العالم العربى والإسلامى ، وهو اعتراف إيران المسلمة بعصبة إسرائيل . وقد اجتمعت بالأمس مع السيد الأستاذ الكبير صالح حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين ورأينا دعوة مختلف الهيئات الإسلامية يوم ١٩٦٠/٨/٤ لتقول كلمتها الأخيرة فيما اقتحم به شاه إيران قدسية القرآن الكريم ، وقدسية الوحدة الإسلامية وإننا لندعو الله أن يوفقنا ويوفق المسلمين جميعا للقضاء على هذه الفتنة التى أثارها شاه إيران ، والتى تعتبر موالاة لأعداء الإسلام والوطن العربى ، ولا شك أن الاعتراف بإسرائيل يتضمن الإقرار بوجودها .

وقد وافق السادة المجتمعون على اقتراح فضيلة الأستاذ الأكبر وقرروا تأليف لجنة تمهيدية لوضع خطة الاجتماع الكبير الذى سينعقد يوم ١٩٦٠/٨/٤ .

وتتألف هذه اللجنة من السادة :

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف دراز .

السيد الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى

السيد الأستاذ الدكتور محمد البهى .

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد المدنى .

فضيلة الأستاذ عبد الله المشد .

« « عبد الحكيم سرور

وقد انفض الاجتماع فى الثانية مساء على أن تنعقد اللجنة التمهيدية فى الحادية عشرة من صباح الاثنين ١٩٦٠/٨/١ .

مؤتمر الهيئات الإسلامية :

وفى صباح يوم الأحد ١٤ من صفر « ٧ أغسطس » اجتمع مؤتمر الهيئات الإسلامية الذى دعاه فضيلة الأستاذ الأكبر للنظر فى هذا الأمر الخطير .

وعقد الاجتماع فى مكتب فضيلة الأستاذ الأكبر وبرئاسته ، واشتركت فيه سبع عشرة هيئة هى :

المؤتمر الإسلامى ويمثله الأستاذ سيد أبو المجد .

جمعية الشبان المسلمين ويمثلها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف دراز .

دار تبليغ الإسلام ويمثلها المهندس محمد توفيق أحمد .

جماعة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية ويمثلها الأستاذ عمر مرعى .

جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية ويمثلها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد المدنى .

جماعة أنصار السنة المحمدية ويمثلها الشيخ عبد الرحمن الوكيل .

الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة ويمثلها الشيخ أمين خطاب .

مشيخة الطرق الصوفية ويمثلها الشيخ محمد محمود علوان .

جمعية مكارم الأخلاق ويمثلها الشيخ محمد أحمد عثمان .

جماعة شباب محمد ويمثلها الأستاذ محمد عطيه خميس .

العشيرة المحمدية ويمثلها الشيخ محمد زكى إبراهيم .

جبهة علماء الأزهر ويمثلها الشيخ أحمد فـريد .

مركز التجمع القومى العراقى ويمثله الشيخ أحمد الجزائرى .

إدارة المساجد بوزارة الأوقاف ويمثلها الشيخ محمد الغزالى .

جماعة الإصلاح الإسلامى ويمثلها الشيخ محمود المدنى .

جمعية التربية الإسلامية ويمثلها الشيخ على المنصورى .

إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف ويمثلها الشيخ سيد سابق .

وافتتح الجلسة فضيلة الأستاذ الأكبر بهذه الكلمة :

كلمة الأستاذ الأكبر

إخوانى العلماء وممثلى الهيئات الإسلامية :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته - وبعد :

فقد ألف الناس فى مثل هـذا الاجتماع أن يتجهوا فيه أولا : بالشكر إلى الله الذى وفق إليه ، وثانيا : إلى حضرات الذين شرفوا بالحضور على تلبية الدعوة . ولكن اجتماعنا هذا لم يكن تلبية لدعوة أحد إلى أحد وإنما هو تلبية لدعوة الضمير ، ودعوة الإيمان ، دعوة الوحدة الإسلامية ، دعوة النظر فى مظهر من مظاهر التفرق اقتحم به بعض المسلمين سياج الوحدة الإسلامية ، التى قدسها القرآن وأمر بها وأعلى شأنها ، وهى دعوة الإهابة بهذا البعض للرجوع إلى خطة إخوانه المسلمين ، وما انعقد عليه إجماعهم أخذاً من الآيات القرآنية الكريمة ، التى حذرت ونهت عن اتخاذ أعداء الله وأعداء المؤمنين أولياء من دون المؤمنين ، والتى أشارت إلى أن هـذا الصنيع شأن مرضى القلوب والمنافقين ، ولقد كنا نود أن يكون الاجتماع عاما يمثل جميع الهيئات والجماعات الإسلامية فى الوطن الإسلامى كله ، وسيكون هذا الاجتماع بإذن الله كما يكون اجتماعنا هذا بمثابة تمهيد له ، ونرجو من الله التوفيق

وتسديد الخطى نحو الهدف الذى تتجه إليه قلوب المسلمين فى كافة الأقطار .

هذا وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إذا حزبهم أمر اجتمعوا له وتشاوروا فى شأنه على ضوء من كتاب الله وسنة رسوله . وقد حزب المسلمين اليوم أمر خطير هو اعتراف ملك مسلم لشعب مسلم بعصابة باغية طالما أوغلت فى الفتنة وأوقدت نيران العداوة ، ودبرت الكيد للمسلمين وألبت عليهم العالم بشتى الأساليب ، وإن وجود هذه العصابة نفسه إنما هو على حساب إخوة لنا كانوا فى فلسطين يعيشون آمنين مطمئنين فغزوهم فى عقر دارهم ، لا بالحرب والفتح ، ولكن بالختل والمكر ، والاستعانة بالمستعمرين .

إن اللاجئين من أهل فلسطين العزيزة يعانون ألوانا من البؤس والفقر والهوان يشيب لها الولدان ، فكيف يسوغ لمسلم مطلوب منه بحكم إسلامه أن يشترك فى إنقاذهم ونجدتهم أن يؤيد ظالميهم وغاصبيهم ومشرديهم ؟ .

لهذا دعوتكم لتتشاوروا فى هذا الأمر الخطير ، وتتخذوا فيه ماترون ، وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، فابدءوا على بركة الله موفقين راشدين .

وبعد أن ألقى فضيلة الأستاذ الأكبر هذه الكلمة تدارس المجتمعون الموقف ثم أصدروا القرارات الآتية :

أولا — استنكار هذا القرار الخطير الذى اتخذه شاه إيران بالاعتراف بإسرائيل وهو الملك المسلم لشعب مسلم تقوم بينه وبين سائر الشعوب الإسلامية أواصر الأخوة الدينية المقدسة التى قررها القرآن الكريم حيث يقول « إنما المؤمنون إخوة » و « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » .

ثانيا — إن هذا الاعتراف مخالف لنصوص القرآن الكريم التى تنهى عن اتخاذ أعداء المؤمنين أولياء ، وإنه عمل من الأعمال التى من شأنها التفريق بين المؤمنين ، وإظهارهم أمام العالم بمظهر المختلفين الذين لا يرمون عن قوس واحد ، ونزع هيبتهم من صدور أعدائهم .

ولذلك يجب على شاه إيران وجوبا دينيا المبادرة بالرجوع عنه درأ لهذه الفتنة عن جماعة المسلمين .

ثالثا — يسجل المؤتمر أن الاسلام لا يرى فرقا بين الاعتراف على أساس الأمر الواقع والاعتراف القانونى بالنسبة لأعداء الله ، فكلاهما علاقة عملية بيننا وبين الأعداء لا يرضاها الله ورسوله والمؤمنون .

رابعا — يدعو المؤتمر جميع الشعوب العربية والإسلامية إلى الاستنكار هذه الفعلة

استنكارا تبدو فيه قوة الوحدة وشدة التماسك وعظمة الرأى العام الإسلامى فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والغيرة على حدود الله تحقيقا لقوله تعالى :

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

« إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

خامسا — توجيه بيان عام من فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وكبار علمائه وممثلى الهيئات والجماعات الإسلامية المجتمعين اليوم فى هـــذا المؤتمر إلى جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها وحكامها ومحكوميهم ، خاصتهم وعامتهم يبين فيه حكم الإسلام فيمن يتولى أعداء المسلمين ، وأن القرآن الكريم قد سوى بين اليهود والمشركين فى تسجيل عداوتهم للمؤمنين ، حيث يقول الله جل جلاله : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » ، وتوجه إليهم فيه الدعوة إلى محاربة روح التخاذل والضعف بكل سبيل .

سادسا — يستمر المؤتمر قائما لمتابعة الجهاد ضد هـذا الأمر الخطير ، حتى تنحسم الفتنة ويرجع شاه إيران عن هذا الاعتراف .

سابعا — تبليغ هذه القرارات وبيان المؤتمر إلى جميع الشعوب العربية والإسلامية عن طريق السفارات وغيرها وبمختلف الوسائل حتى يقف المسلمون على جلية الأمر ويعملوا على أن يقفوا صفا واحدا أمام هذا الأمر الخطير .

ثامنا : دعوة جميع ممثلى الهيئات الإسلامية فى الأمة الإسلامية جمعاء إلى مؤتمر يحدد فيما بعد تكون كلمته الكلمة الأخيرة القاطعة فى هذا الأمر ويكون اجتماعنا اليوم تمهيدا لهذا المؤتمر الذى يعقد فى القاهرة .

تاسعا — التنويه بجهود علماء الوعظ والإرشاد وأئمة المساجد فى تبصير المسلمين بتعاليم دينهم وشئون حياتهم .

وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وقد قام بسكرتارية المؤتمر فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور مدير إدارة الشئون العامة بالأزهر .

البيان العام :

من محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بعناية الله تعالى ، وإخوانه العلماء ، وممثلى الهيئات والجماعات الإسلامية المجتمعين اليوم فى مؤتمر عام بمشيخة الجامع الأزهر .

إلى جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، خاصتهم وعامتهم ، حاكميهم ومحكوميهم .

سلام الله ورحمته وبركاته عليكم أجمعين .

أما بعـــد :

فإن الله تعالى أمر المؤمنين أن يعتصموا بحبله المتين ، وهو كتابه العزيز ، فى ظل الألفة واجتماع الكلمة ، وحذرهم التفرق الذى أودى بالأمم من قبلهم ، مذكراً إياهم بنعمته عليهم ، إذ كانوا أعداء فألف بين قلوبهم ، فأصبحوا بنعمته إخوانا .

وقد قرر هذا الكتاب الكريم فى شأن العلاقة بين المؤمنين أنفسهم ، وبينهم وبين غيرهم أمرين قطعيين لا خلاف عليهما بينهم :

أحدهما : ما أثبته الله جل جلاله بقوله : « إنما المؤمنون إخـــوة » ، و « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » . من أن الأخـــوة بين المؤمنين ، وتولى بعضهم بعضا ، هما أساس العلاقة بين أفرادهم وشعوبهم ، وعليهم بحكم الإيمان رعاية هذا الأساس ، وتجنب الإقدام على أى شىء من شأنه أن يوهيه ، احتفاظا بما جعله الله خاصة وشعاراً لهم .

والثانى : ما نهى الله عنه من اتخاذ الأعداء أولياء ، وقد ورد ذلك فى كثير من الآيات الكريمة ومنها قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق » .

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

« إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

إلى غير ذلك من الآيات المثبتة فى كتاب الله تعالى .

وقد قرر القرآن الكريم فى غير آية منه انطواء اليهود على الغدر والمخاتلة ، وابتغاء الفتنة للمؤمنين ، وأثبت عداوتهم لهم ، وسوى بينهم وبين المشركين فى هذه العداوة ، حيث يقول : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

ومن هذا يعلم أن اليهود هم ألد الأعداء للمسلمين .

وقد قامت عصابتهم الباغية المسماة (إسرائيل) باغتصاب قطعة عزيزة غالية من الوطن الإسلامى هى (فلسطين) الشهيدة التى شتتوا شمل أهلها ، وأخرجوهم من ديارهم ، وانتهبوا حقوقهم فلا يحل لمؤمن أن يوالى هذه العصابة الباغية المحاربة للإسلام وأهله ، ولا يسوغ له أن يقيم معهم أى لون من ألوان العلاقات ، لأن ذلك نصرة لهم وتأييد على المسلمين وتثبيت لأقدامهم فى البلاد الإسلامية

التي اغتصبوها وشردوا أهلها، وليس للولاية معنى سوى النصرة والتأييد والتثبيت .

وقد أقدم شاه إيران على الاعتراف بإسرائيل وهو يعلم هذا كله، ويعلم موقفها من فلسطين، وأنها ما زالت تصر على اغتصاب حقوق أهلها رغم ما قررته هيئة الأمم المتحدة نفسها من وجوب رد الحقوق إلى أصحابها، وإعادة اللاجئين إلى وطنهم، كما يعلم أنها أداة استخدمها الاستعمار لمناوأة المسلمين ولتدبير المؤامرات، وشن الغارات على بلادهم الآمنة، إقلاقا لهم وإضعافا لجهودهم التي يبذلونها في سبيل التحرر وبناء الوطن، كما يعلم أنها كانت حجر الزاوية في العدوان الذي شنه الاستعمار على مصر في سنة ١٩٥٦ .

في ظل ذلك كله اعترف شاه إيران بإسرائيل، ورضى بأن يوالى أعداء المسلمين على المسلمين، وأظهر الأمة الإسلامية بمظهر التفرق والانقسام، وأقدم على أمر من شأنه أن يوهن العزائم، ويحل الروابط، وينزع هيبة المسلمين من صدور أعدائهم .

لذلك يجب عليه وجوبا دينياً أن يبادر بالرجوع عن هذا القرار الخطير ليفيء إلى أمر الله، وينزل على حكم القرآن .

فإن لم يفعل، وجب على المسلمين حيثما كانوا، في أدنى الأرض أو أقصاها خاصتهم وعامتهم، وحكامهم ومحكوميهم، أن يشعروه بسوء ما فعل، وبما له من مغبة وخيمة، وبأنهم له مستنكرون .

وأول من يجب عليه ذلك هم شعب إيران عامة، وعلماؤه الكرام خاصة، وإن للمسلمين لأملا كبيراً في أن يبينوا ما أنزل الله من من الكتاب والحق ولا يكتموه، وأن يرعوا شجرة الألفة والقربى التي اشتركوا في غرسها وإروائها استجابة لأمر الله، ونزولا على حكم كتابه العزيز. إنهم إن فعلوا ذلك ـ وهم إن شاء الله فاعلون ـ كانوا بأمر الله قائمين وبالحق صادعين وبالمعروف آمرين وعن المنكر ناهين ولإخوانهم مستجيبين وعلى البر والتقوى متعاونين .

نسأل الله جل جلاله أن يهب المسلمين من لدنه رحمة وأن يهيئ لهم من أمرهم رشداً إن الله سميع الدعاء لطيف لما يشاء وهو حسبنا ونعم الوكيل . »

محمود شلتوت

قرارات المؤتمر

ولذلك أصدر المجتمعون القرارات السالف ذكرها .

جبهة علماء الأزهر :

وأرسلت جبهة علماء الأزهر باسم عشرة آلاف من علمائه برقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر أعربوا فيها عن استنكارهم لموقف شاه إيران من وحدة المسلمين وحقوق عرب فلسطين .

المجلس الصوفى الأعلى :

واجتمع المجلس الصوفى الأعلى بالقاهرة وأصدر بيانا أرسله إلى الهيئات الصوفية فى العالمين العربى والإسلامى أعلن فيه تأييده لبيان فضيلة الأستاذ الأكبر والهيئات الإسلامية باستنكار اعتراف الشاه واعتبار هذا الاعتراف مشاركة للصهونية فى اعتدائها على المقدسات الإسلامية وأرض العروبة . كما أبرق المجلس إلى شاه إيران مطالبا بسحب اعترافه . فإن لم يفعل اعتبره العالم الإسلامى مرتدا عن الدين .

جماعة التقريب :

وأرسلت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية إلى سفير إيران بالقاهرة البرقيه التالية :

ترجو أن تبلغوا جلالة امبراطور إيران شديد أسفنا واستنكارنا للحادث المحزن حادث اعتراف إيران المسلمة بإسرائيل الباغية.

لقد حرصنا على جمع كلمة المسلمين والتقريب بين طوائفهم منذ اشتركنا فى جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية مدى اثنى عشر عاما وعملنا على توطيد وحدة الأمة الإسلامية فى مختلف شعوبها وطوائفها ، ثم جاء هذا الاعتراف اليوم ضربة قاضية على جميع الجهود الشريفة التى بذلت ابتغاء مرضاة الله فلعل جلالة الامبراطور يفىء إلى أمر الله ويعدل عن هذا القرار خوفا من وعيد الله الذى يقول : « إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين ، كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز - لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » .

وأرسل أئمة المساجد فى الجمهورية العربية المتحدة إلى سفارات الدول العربية بالقاهرة احتجاجاً على حكومة إيران .

الجامعة العربية :

وقد عقدت الجامعة العربية اجتماعا يوم ٢٥ يوليو للنظر فى الأمر ، وقررت بالإجماع استنكار الاعتراف ، وبحث ما يمكن أن تقوم به الدول العربية من الإجراءات ضد إيران بسبب ذلك . كما قرر المجلس بحث الموضوع فى المؤتمر الذى سيعقد فى بيروت يوم ٢٢ أغسطس القادم ، على أن تجرى دول الجامعة اتصالات مستمرة فيما بينها قبل موعد المؤتمر .

فى لبنان :

وفى لبنان استنكر الاعتراف النائب اللبنانى جعفر شرف الدين ، نجل المجتهد الأكبر السابق للشيعة فى لبنان وقال إن الشيعة تبرأ منه ، وإنه نقض لليمين الدستورية التى أقسمها الشاه وأبوه من قبل على حماية مذهب الشيعة والمحافظة عليه .

وباكستان :

وأعرب السيد خاجا شهاب الدين سفير باكستان فى القاهرة عن أسفه الشديد لقرار حكومة إيران ، وأعلن أن ذلك لن يؤثر فى موقف حكومته تجاه إسرائيل .

وأندونسيا :

وأعلن فى جاكرتا أن حزب نهضة العلماء الإسلامى ـ وهو أكبر أحزاب أندونسيا ـ أبدى أسفه الشديد لاعتراف حكومة إيران بإسرائيل ، وقال : إن هذا الاعتراف سيؤدى إلى زيادة أسباب التوتر فى الشرق الأوسط .

حكومة العراق تستنكر :

وقد نشرت صحف بغداد تصريحا أدلى به ناطق بلسان وزارة الخارجية العراقية ننشره فيما يلى :

كان للتصريح الذى أدلى به جلالة الشاه حول اعتراف إيران بالدولة المزعومة إسرئيل أثر مؤلم فى نفوس أبناء الأمة العربية جمعاء . وقد استنكر فى جميع الأوساط الاجتماعية والسياسية فى الأقطار الإسلامية نظراً لصدوره من دولة مسلمة يعتز شعبها بإسلامه وبروابطه الدينية ببقية المسلمين فى العالم .

وقد تلقينا هذا النبأ هنا فى العراق بكثير من الدهشة والألم الشديد ؛ أولا لعلمنا ان إيران تدرك جيداً أن إسرائيل الدخيلة تجسم عدوانا صارخا على حقوق العرب فى وطنهم فلسطين ، وأنها كانت ولم تزل وستبقى عاملا رئيسيا لعدم الاستقرار فى الشرق الأوسط وسببا أساسيا لتشريد مليون عربى من أوطانهم وبقائهم منذ اثنى عشر عاما فى حالة بؤس وشقاء . وثانيا لأن إيران تعلم جيداً بأن جميع الدول العربية والعرب، أينما وجدوا يعارضون بشدة وجود إسرائيل فى أرض الوطن العربى وتؤيدهم فى ذلك دول وشعوب كثيرة مسلمة وغير مسلمة وأن هذا ليجد صداه العميق من العطف والتأييد الواسعين فى أوساط الشعب الإيرانى المسلم . وثالثا لأن الاعتراف بإسرائيل وتوطيد العلاقات معها مناقض تماما لما تمليه روابط الدين والتاريخ والموقع الجغرافى والمصالح المتبادلة بين إيران والدول العربية .

إن هذا الاعتراف إنكار صريح لكل ذلك وتحد للعواطف الصادقة التى يتحسس بها

العرب تجاه الشعب الإيرانى المسلم وهو فى الوقت نفسه مسعى لعرقلة الأهداف الوطنية التى تسعى من أجلها الأمة العربية والتى لا بد وأن يؤيدها فيها الشعب الإيرانى الجبار.

هذا بالإضافة إلى أن واقع الأحوال الاجتماعية والسياسية فى منطقة الشرق الأوسط - وإيران جزء منها - يدلل بوضوح على أن إسرائيل دخيلة فيها وستبقى مصدراً للاعتداء على استقلال العرب وحريتهم فمآزرتها معنويا وتقويتها ماديا يجعلان من إيران شريكا فى استمرار العدوان على الأمة العربية ومبعثا للقلق وعدم الاستقرار فى بلاد الوطن العربى كافة

إن العراق الذى تصله بإيران أكثر من غيره من الدول صلات الجيرة التاريخية الطويلة وروابط الدين والمصالح المشتركة ليعز عليه خاصة هذا التبدل المفاجىء فى موقف إيران من إسرائيل — التبدل الذى يمثل اتجاها سياسيا غريبا ينطوى على نكران لجميع الروابط التاريخية والروحية والاقتصادية والذى لا ينسجم وموقف إيران من قضية فلسطين ذاتها فى المحافل الدولية وخاصة فى الأمم المتحدة.

ولهذا كله ونظراً لاعتقاد العراق بأن له موقعا خاصا بالنسبة لإيران تقوم الحكومة العراقية الآن ببذل الجهود لدى الحكومة الإيرانية لإيضاح واقع الأمر. ولها وطيد الأمل بأن تستدرك إيران الخطوة التى اتخذتها بشأن اعترافها بإسرائيل بالأسلوب الذى من شأنه أن يعيد ثقة الأمة العربية بها ويرد إيران إلى حظيرة الدول الإسلامية التى يحدوها العمل من أجل إحقاق الحق وإقامة العدل فى فلسطين علما منها بأن الشعب الإيرانى لن يرتضى فصم عرى الأخوة الإسلامية التى تربطه بالملايين من المسلمين من أجل شرذمة معتدية مارقة من اليهود الصهاينة.

الحزب الإسلامى فى العراق

ونشرت جريدة «الحياد» التى تصدر فى بغداد بتاريخ ٣ صفر «٢٧ يوليو» فى صدر صفحتها الأولى بيانا عنوانه : «الحزب الإسلامى يؤيد موقف عبد الناصر من حكومة إيران».

ثم نشرت بيان الحزب الإسلامى فى العراق على لسان رئيسه السيد الأستاذ نعمان عبد الرازق، وهذا هو البيان.

الاعتراف جريمة :

لا شك أن نكبة فلسطين تحز فى قلب كل مسلم مخلص، وعربى صادق لأنها اعتداء صريح على حقوق ثابتة، وهى من وجهة النظر الإسلامية واجبة الرد حتى أن كل مسلم

لتأثم نتيجة بقاء هذا العدوان الآثم على حقوق العرب فى فلسطين . فمن المعروف أن الجهاد واجب على المسلمين كافة : رجالا ونساء ، إذا ما اعتدى على شبر من أراضيهم أية أرض كانت . وأن المرأة لتخرج للجهاد فى مثل هذه الأحوال دون إذن زوجها .

ومن هذا التقدير للقضية . فنحن نعتبر الاعتراف بإسرائيل جريمة وكفرا بالاسلام ومبادئه التى توجب جهاد اليهود المعتدين ، وإخراجهم من الأرض المقدسة . ولا شك إن واقع الاعتراف كان أليما جداً ، كوقع تقسيم فلسطين .

ايران والاستعمار :

ومما لا شك فيه أن ارتباط حكومة إيران بالأحلاف الاستعمارية جعلها ترضخ للضغط الموجه عليها من قبل أولئك الذين أوجدوا إسرائيل ودعموها بالمال والسلاح والتأييد الأدبى . . ولا زالوا يدعمونها ، وما هذا الاعتراف إلا ثمرة من ثمار جهودهم الخسيسة فى هذا الميدان . كما أن فقدان التأييد الشعبى لحكومة إيران جعلها تلتزم جانب المستعمرين وتنفيذ مآربهم لتبقى فى الحكم . إذ لا سند لها من الشعب ... وأن الشعب الإيرانى الشقيق لن يقبل هذا التصرف الشائن ... ونحن نتحدى حكومة إيران أن تستفتى الشعب فى هذه القضية .

إن حكومة إيران قد خسرت سمعتها ومكانتها فى الأوساط العربية والإسلامية وكشفت عن وجه صفيق وقصر نظر باعترافها هذا ، لأنها قد صدمت الشعب الإيرانى وأثارت غضب واستياء الشعب العربى والأمة الإسلامية ، ولم تربح سوى رضاء المستعمرين وبئسه من ربح .

ونحن نعتقد أن هنالك مجالا واسعا لسحب هذا الاعتراف وهذا أمر طبيعى فى العرف الدولى ، فإن هى أقدمت فسوف لا تخسر شيئا . بل العكس . فإنها سوف تتلافى هذه السقطة وتستعيد رضاء جميع المعنيين بهذه القضية الخطيرة .

موقف الدول العربية :

أما بالنسبة للدول العربية ، فإن قضية فلسطين هى أخطر قضاياها ، ولذلك ينبغى أن تسارع إلى الاجتماع فورا لدراسة القضية واتخاذ موقف إيجابى موحد تجاه حكومة إيران فإما أن تسحب اعترافها ، وإلا وجب على الدول العربية جميعا أن تقاطع إيران وتسحب سفراءها ، وبهذه لا تكون متجاوزة الحدود المتعارف عليها دوليا .

موقف الحزب الاسلامى

وإن الحزب الإسلامى درس القضية وأولاها كبير اهتمامه ، وقد أبرق إلى آية الله

البروجردى ، المرجع الدينى الأعلى فى إيران مستنكراً الاعتراف ، طالباً منه العمل لإحباطه وسحبه .

وإن الحزب ليأمل بأن الشعب الإيرانى سيحبط هذا التصرف أو يطيح بالعملاء والمأجورين فى أقرب وقت ...

برقية الحزب الاسلامى :

وهذه هى البرقية التى أرسلها الحزب الإسلامى فى العراق إلى سماحة السيد آية الله البروجردى كبير علماء إيران .

إيران — سماحة آية الله البروجردى المحترم :

السلام عليكم .

لا شك فى أن سماحتكم تعلمون أن الاستعمار الكافر قد اقتطع جزءا من بلاد العرب والمسلمين وسلمها لليهود وهذا ظلم وإجرام فاعتراف حكومة إيران بإسرائيل جاء تأييدا للظلم واسترضاء للمستعمرين وقطعا لعرى الإسلام فنحضكم على التوسط لسحب هذا الاعتراف وإلا تكن فتنة وفساد فى الأرض كبير وقطع للأخوة .

علماء الأزهر يستنكرون

وقد استجاب العراق لنداء فضيلة الأستاذ الأكبر فى العمل على استنكار اعتراف إيران المسلمة بعصبة إسرائيل الباغية . فقد أبرق كل من السادة الامام الجزائرى والامام السيد عبد الله الشيرازى وجماعة علماء النجف إلى السيد آية الله البروجردى ، كما أبرق السيد الامام محسن الحكيم إلى السيد محمد البهبانى من علماء إيران ، مستنكرين اعتراف إيران المسلمة بعصبة إسرائيل الباغية .

وفيما يلى نص البرقيتين :

برقية الامام الجزائرى إلى للسيد آية الله البروجردى .

اعتراف دولة إيران المسلمة بإسرائيل الباغية أوجب استياء كافة الطبقات . الكل ينتظرون من حضرتكم تدارك الأمر المسىء لعموم المسلمين .

عبد الكريم الجزائرى

برقية الامام السيد عبد الله الشيرازى إلى الامام البروجردى .

اعتراف دولة إيران برسمية اليهود الغاصبين شق لعصا المسلمين وجرح فى قلوبهم ، فالمسلمون كافة ينتظرون بلهفة نهضتكم الجبارة وكفاحكم الصارم ضد هذا العدوان

عبد الله الشيرازى

بريد المجلة

الأشهر الحرم :

وردت هذه الأسئلة على المشيخة الجليلة فأجاب عنها فضيلة الأستاذ الأكبر بهذه الأجوبة .

السؤال الأول :

ورد ذكر (الأشهر الحرم) كثيراً فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، فما هى هذه الأشهر ؟ وما عددها ؟ وما معنى كونها حرما ؟

الجواب :

لقد قال الله تعالى : « إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم » .

وهذه الأشهر الحرم أربعة: هى رجب، وذو القعدة، وذو الحجة. والمحرم. واحد فرد وثلاثة سرد (أى متوالية) وهذا بإجماع المسلمين .

ومعنى أنها حرم : أن الله سبحانه وتعالى جعل لها حرمة خاصة ، بحيث تغمد فيها السيوف ، ويقف فيها القتال ، وتحقن فيها الدماء . كما أن الله تعالى جعل الإثم والمعصية أشد أثراً فى ظلمة القلب وإبعاده عن الله عز وجل . وبالتالى تكون الطاعة وفعل الخير أشد أثراً فى تنوير القلب وقربه من الله سبحانه وتعالى . ولذلك قال الله تعالى - بعد أن ذكر هذه الأربعة الحرم - « ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم » . وظلم النفس محرم فى كل شهر وفى كل وقت ، ولكنه فى الأشهر الحرم أشد حرمة وأعظم خطراً .

السؤال الثانى :

لماذا اختيرت هذه الأشهر خاصة من بين اثنى عشر شهراً لتكون أشهراً حرما ؟

الجواب :

هذا شأن من شئون الألوهية ، فلله تعالى أن يختار ويصطفى من خلقه ما يشاء ومن يشاء مفضلا بعضها على بعض ، كما قال تعالى « وربك يخلق ما يشاء ويختار » .

وقد رأينا آثار هذا الاختيار والاصطفاء الإلهى واضحة فى الأشخاص والأمكنة والأزمنة:

ففى الأشخاص نقرأ مثل قوله تعالى « إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين » .

وفى الأماكن نقرأ قوله سبحانه « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا ، وهدى

للعالمين، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا » . وفى الأزمنة نجد الأشهر الحرم ، وشهر رمضان .

وهكذا يؤتى الله فضله من يشاء وما يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . ويمكن أن نلمس بعض الحكمة فى اختيار ذى القعدة وذى الحجة خاصة وهما يقعان فى زمن الحج : أن فى ذلك تأمين الطريق للحج ، وتوفير الأمن والطمأنينة على من يؤمون البيت الحرام وفى هذا تيسير للحج وتشجيع عليه ، كما أن اختيار (رجب) وحده وسط العالم فذلك ليكون مذكراً للإنسان ومتيحا له فرصة أخرى للسمو الروحى وارتفاع الإنسان عن ظلمه لنفسه أو لأخيه الإنسان .

السؤال الثالث :

ما الحكمة التى يرمى إليها الإسلام من إفراغ القدسية والاحترام على بعض الأزمنة كالأشهر الحرم . وبعض الأمكنة كالبلد الحرام ؟

الجواب :

مبدأ احترام بعض الأزمنة وبعض الأمكنة مبدأ سام شرعه الله فى القديم وأقره فى الإسلام كيف لا وهو فرصة تعين المتخاصمين على حسن التفاهم وإقرار الأمن والسلام . هو بمثابة هدنة إلهية غرس الله احترامها فى قلوب الناس ليمنحوها حتمها من الكف عن المظالم والعدوان ، فتشعر النفوس بلذة الأمن والطمأنينة ، وتسعى إلى إزالة التوتر والتدابر والتقاتل والخصام ، بوازع دينى تمتلىء به القلوب ، وتخشى من مخالفته سطوة المالك للرقاب ، المهيمن بقوته وجبروته على كل قوى متجبر ، والمؤيد برحمته وعطفه لكل ضعيف مستعبد .

ومن غريب أمر هذه الهدنة أنها أقرت الأمن فى هذه الأماكن حتى بالنسبة للأشجار الصامتة والحيوان الأعجم الذى يغشاها وينتقل بين أرجائها ويطير فى أجوائها « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم » .

وقد جاء فى السنة تحريم قطع أشجار مكة كما جاء تحريم قتل حيواناتها وصيده .

السؤال الرابع :

يجرى على ألسنة كثير من الناس - وربما حل عندهم محل العقيدة - أن عقد الزواج فى شهر المحرم أمر يمنعه الدين ويحرمه ، فهل لهذا الاعتقاد أصل من الدين ؟

الجواب :

لا يعرف الدين لشهر المحرم صفة سوى أنه مبدأ السنة الهجرية ، وأحد الأشهر الحرم المقدسة . وهو بهذين الاعتبارين يذكرنا بأمرين عظيمين .

أولهما : الهجرة المحمدية من مكة إلى المدينة وهى الحدث الفاصل فى تاريخ الإسلام الذى فرق الله به بين الحق والباطل .

ثانيهما : إثارة الأمن والسلام المستمدة من الهدنة الإلهية ـ هدنة الأشهر الحرم .

وأعتقد أن شهراً هذا شأنه لا يمكن أن يضيق صدره بالأعمال الطيبة التي من أبرزها الزواج ، بل إن مثل هذا العمل في هذا الشهر الكريم يكون طالع يمن ، وبشير خير وبركة .

أما ماشاع بين بعض المسلمين من تلك الاعتقادات الفاسدة فهو من آثار البدع الضالة والأوهام الباطلة التي انحرفت بالمسلمين عن الطريق السوي في عهودهم الأخيرة .

وأولى لهم أن يعودوا إلى ماكان عليه سلفهم الصالح ، وماجاءت به شريعتهم المطهرة « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

محمود شلتوت

حكم الدين في استحضار الارواح :

ما حكم الدين الإسلامي في استحضار الأرواح ومخاطبتها للأحياء وكتابتها بخط يدها ما هي فيه وما جرى لها في دار الجزاء كما يزعم بعض الناس ، لأنهم عند مباشرتهم لهذا العمل السيئ يضعون قلما وقرطاساً في سلتهم ثم يقرءون عليها فيبدأ القلم يتحرك ويكتب على لسان الميت وبخطه كما ذكرنا

وهذا موضوع قد كثر الخوض فيه وأثار الدهشة في نفوس الناس ، وكاد بعض المسلمين يفتتن حتى بعض المنتسبين إلى العلم . ووجه كثير من الناس اللوم إلى علماء الدين لأنهم لا يبينون للناس وجه الحق في أمثال هذه المحدثات التي لم تظهر من قبل .

شرق الأردن

محمد عبد الرحمن الخطيب :
مفتي ومرشد الكرك

« المجلة » : قال فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت :

الروح هي القوة التي تحدث الحياة في الكائنات الحية من نبات وحيوان وإنسان ، وقد غلبت على ما به حياة الحس والحركة والعقل والتفكير وأضيفت إلى الحيوان والإنسان .

ولم يرد في الدين نص واضح صريح يشرح حقيقتها ويحدد وجودها وكانت في نظر الدين كغيرها من سائر الأمور الكونية تركت للبحث البشري يبحث عنها ويصيب أو يخطئ على حد سواء .

هذا ولقد خاض الإنسان قديماً وحديثاً مليا وغير ملي في البحث عن حقيقتها ، وأثرت عنه أقوال فيها وآراء . قال فيها الإمام الألوسي بعد أن ذكر جملة منها : وبالغ الناس

فى القول إلى ما يزيد عن ألف قول ، ثم قال : والمعول عليه عند المحققين قولان ذكرهما واختار أولها وهو أن الروح جسم نورانى علوى حى مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس سار فيه سريان الماء فى الورد لا يقبل التحلل ولا التفرق . يفيض على الجسم الحيـاة وتوابعها ما دام الجسم صالحاً لقبول الفيض وقد أيده ابن القيم ، وقال إنه الصواب ولا يصح غيره وعليه دل الكتاب والسنة .

والعلماء كما اختلفوا فى البحث عن حقيقة الروح اختلفوا أيضا فى موتها ، وبقائها ، وفى مستقرها بعد مفارقة الأبدان ، والذى ترشد إليه الآثار الدينية أنها تخرج من بدن الإنسان فيكون الموت ، وأنها تبقى ذات إدراك ، تسمع السلام عليها ، وتعرف من يزور قبر صاحبها ، وتدرك لذة النعيم ، وألم الجحيم ، وأن مقرها يختلف بعد مفارقة البدن بتفاوت درجاتها عند الله .

وعلى رغم كل ما جاء فيها فلا تزال حقيقتها من الغيب الذى لم يكشفه الله للإنسان ، وهى فى ذلك ككثير مما ينتفع الإنسان بآثاره دون أن يعرف كنهه . وباب البحث عن حقيقتها مفتوح لم يمنع منه نص دينى .

وكما أنه لم يرد نص فى شىء من ذلك كله لم يرد فيما يختص بتحضيرها وتسخيرها لدعوة الإنسان كما لم يدل عليه نص موثوق به أو تجربة صادقة ، وكل ما نسمعه ويعلنه بعض الذين يريدون أن يصرفوا الناس عن البحث عن الحقائق بالاشتغال بالترهات والأباطيل ، كل ذلك لا يخرج عن كونه خداعا وإلهاء بالخيالات لا يلبث أن ينكشف أمره .

وما دامت الروح لا يمكن استغلالها ولا استحضارها فما يرى من حركة السلة أو اضطرابها فلا يخلو أن يكون اضطرابا لحاملها أو تأثرا بما امتلأ به خياله . أو هى حركة من حركات الجن وصلة الجن بالإنسان لا تعدو الوسوسة والتزيين على نحو ما يحدث للناس من الناس . يقول تعالى : فى سورة الناس « من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس » .

بل إن الشيطان نفسه يحدد ذلك فى نص القرآن .

« وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم » . وإذن فليس للجن مع الإنسان شىء وراء الدعوة والوعد والوسوسة والإغراء والتزيين « فوسوس لهما الشيطان » ، « وقال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين » .

هذا تحديد لما ابتلي به جماعة من الناس فى هذه الأيام مما بلبل أفكار كثير من شبابنا فهد كيان الفكر السليم وقوض أركان العمل المنتج وأضاع عليهم الوقت وقتل الزمن.

إن الذين يتأثرون بوسوسة الجن وإغوائهم إنما هم ضعاف العقول وضعاف الإيمان وأما أقوياؤهما فهم بعقولهم وإيمانهم بعيدون عن التأثر بها وقد استثنى الله من المتأثرين بها عباده المخلصين قال تعالى : « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين».

وأما ما وراء ذلك كله من استخدام الانسان لهم فى جلب الخير ودفع الشر واستحضارهم كلما أراد ، ومن استطلاع الغيب وغير ذلك مما يقع فى أوهام الناس فهذا كله مصدره خارج عن نطاق المصادر الشرعية ذات القطع واليقين .

أليس فى ايران مسلمون

جاء فى الصحف نبأ اعتراف إيران المسلمة بإسرائيل رسميا ، وذكر النبأ أن الشاه قال فى مؤتمر صحفى : إن إيران لم يكن اعترافها بإسرائيل شيئا جديدا فقد اعترفت بالأمر الواقع منذ سنوات .

أما الخبر فى حد ذاته فقد عقد الألسنه عن الكلام ، فإيران مسلمة لم تزل متمسكة بإسلامها وعلى رأسها ملك لازال يعتبر الإسلام دينا له . وفلسطين الشهيد هى أرض مسلمة أولا وقبل كل شىء ، والعجيب ان الشاة قرر أن إيران قد اعترفت بإسرائيل او بالأمر الواقع - كما زعم - منذ سنوات ، ونعتقد نحن أن الاعتراف بدأ منذ أول يوم وقع فيه ميثاق بغداد المشئوم .

أن من حق شاه إيران ان يشغل صحافة العالم بأسره بمغامراته العاطفية، وان يشغله شهورا بزفافه الأخير ، ولكن بأى حق يملك أن يفرض على ايران المسلمة الاعتراف إسرائيل اللقيط ؟ فنحن نعلم أن ثورة مصدق التى انتزعته من عرشه وألقت به فى بغداد ، حركت الاستعمار الغربى لتعيده إلى عرشه وتلق بالزعيم مصدق فى قاع السجن ، وليظل الشاه عميلا وفيا مخلصا متفانيا لرغباته ونحن نعلم أن الاستعمار كان وراء القضاء على جمعية فدائيان إسلام وشنق زعمائها ، لأنها الجبهة الوحيدة التى كانت تستطيع ان تقول للشاه ؟ « قف من أنت ؟ » ، وبذلك أسدى الاستعمار لعميله أجل خدمة . . .

ونحن نتساءل : ما موقف الإسلام من الشاه وحكومته بعد الاعتراف بإسرائيل رسميا ؟ .

وهل يتكرم علماء المسلمين فى كل بقاع العالم بإعلان رأى الإسلام فى هذا الشاه ؟ .

وأين الوعى العربى الإسلامى الذى هز أمريكا والغرب فى محنة الباخرة كليوباترة ، ومحنة مصر خلال العدوان الثلاثى ، ؟ .

وإذا لم نجد من يجيب ،فهلا كان فى إيران المسلمة مسلمون يتحركون ؟ .

محمد عبد الله العمران
القاهرة

مجاهد فى سبيل الله :

شاب يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاما يدرس مساحة المناجم بمعهد زيورخ بسويسرا مبعوثا من جامعة أسيوط إنه المهندس محمد رجائى جودة الطحلاوى ، هاله أن يجد جهلا فاحشا بالدين الإسلامى ومبادئه . فأخذ على عاتقه مهمة الدعوة إلى الله ، فعكف على القرآن الكريم ، وما تيسر له من كتب الدين يقرؤها ويتمثلها ، ويترجمها إلى القوم المتعطشين إلى المعرفة الإسلامية

وقد كان من نتيجة جهوده فى التعريف بالإسلام والدفاع عنه ، أن أعدت له الجامعات قاعات فسيحة لمحاضراته كما ساهمت الجرائد الألمانية بالنشر والشرح والدعوة إلى محاضراته .

فحبذا لو قام شبابنا فى الخارج بمثل ما قام به هذا الشاب المجاهد ، وقدروا الرسالة الملقاة على عاتقهم تجاه دينهم ووطنهم ، إذن لكسبت البلاد الخير الكثير .

ماء زمزم بين الدين والعلم :

جاء فى مجلة « نور الإسلام » التى تصدر عن إدارة الوعظ بالأزهر ما يأتى :

١ ــ عقد البخارى فى كتاب الحج من صحيحه بابا فيما جاء فى ماء زمزم ، فلم يورد فى فضلها أو بركتها إلا حديث شق صدره عليه السلام وغسله من ماء زمزم ، وحديثا آخر فيه أنه شرب منه ، وليس فى الحديثين ما يدل دلالة صريحة على فضل أو بركة . وهذا ما نص عليه الحافظ فى الفتح حين شرحه للحديث ، قال : كأنه لم يثبت عنده فى فضلها حديث على شرطه صريحا . وفى باب سقاية الحاج روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى السقاية فاستسقى ، فقال العباس : يا فضل اذهب إلى أمك ، فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها . فقال صلى الله عليه وسلم : اسقنى قال : يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه ! قال : اسقنى . فشرب منه . ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها ، فقال : « اعملوا فإنكم على عمل صالح . ثم قال : لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل

على هذه ، يعنى عاتقه ، وأشار إلى عاتقه ،؟ .

وفى هذا الحديث نجد العباس - وقد كان يشرف على السقاية - أراد أن يسق رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء آخر يجيء به ابنه الفضل من البيت ، وحجته فى ذلك أنهم يجعلون أيديهم فيه ، ولكن الرسول الكريم أبى إلا أن يكون أسوة للمؤمنين فلا يتميز عليهم ، بل يشرب مما يشربون ، ولم يكن النبي يرى فى الماء ضرراً أو يتوقعه ، وإلا كان له موقف آخر ، إنما هو لون من التقزز أظهره العباس ، وكان عليه السلام أقوى على نفسه ، وأشد فى عزمه من أحاسيس المتقززين ، كما كان تواضعه يأبى عليه أن ينفرد بشيء عن سائر المسلمين . وفى رواية للطبرانى فى هذا الحديث أن العباس قال له : إن هذا قد مرث (أى أصابته الأيدى) أفلا أسقيك من بيوتنا ؟ قال : لا ، ولكن اسقنى مما يشرب منه الناس ، .

هل فى هذا الحديث شيء عن قدسية زمزم ؟ لا ، كل ما فيه ما قاله ابن حجر : فيه الترغيب فى سق الماء ، خصوصا ماء زمزم ، وفيه تواضع النبى صلى الله عليه وسلم ، وكراهة التقزز والتكره للمأكولات والمشروبات ، وأن الأصل فى الأشياء الطهارة لتناوله صلى الله عليه وسلم من الشراب الذى غمست فيه الأيدى .

٢ - أما صحيح مسلم فأبرز ما ورد فيه عن زمزم حديث أبى ذر « أنها طعام طعم » ومعنى « طعام طعم » ، أى يشبع من تناوله .

٣ - وروى أحمد وابن ماجة عن جابر حديث « ماء زمزم لما شرب له » . قال صيارفة الحديث : وفى إسناده عبد الله بن المؤمل ، وقد تفرد به وهو ضعيف ، وأعله ابن القطان به . وقد رواه البيهقى من طريق أخرى عن جابر وفيها سويد بن سعيد ، وهو ضعيف جداً ، قال فيه يحي بن معين . « لو كان لى فرس ورمح لغزوت سويداء ، وذلك لما يرى من خطره على الحديث . وروايته للمناكير .

٤ - روى الدارقطنى عن ابن عباس حديث « ماء زمزم لما شرب له : إن شربته تستشفى شفاك الله . وإن شربته لشبع أشبعك الله . وإن شربته لقطع ظمأ قطعه الله الحديث .. » والصحيح أن هذا الحديث من قول ابن عباس نفسه ، وليس مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم . وقد خطأ الحافظ فى التلخيص الراوى الذى رفع الحديث إلى الرسول ، وحكم على روايته بالشذوذ ، ومخالفة الحفاظ الثقات . وإذا كان هذا قول ابن عباس رضى الله عنهما فهو مجرد رأى شخصى رآه ، لا يلزمنا اتباعه ، ولا الإيمان به معه ، ولا حجة فى أحد دون رسول الله .

٥ – روى البزار عن أبى ذر حديث «زمزم طعام طعم وشفاء سقم» وصحح المنذرى إسناده ورواه كذلك الطيالسى فى مسنده

ولعل هذا هو الحديث الفذ الذى يمكن أن يستند إليه فى شأن زمزم ومائها وأنه طعام وشفاء، ولكن هل يعنى هذا الحديث حمايتها من الخضوع للقوانين العامة فى الكون؟ وهل ينفى أن يعرض لها التلوث بسبب ما وفق سنن الله المطردة؟ . وإذا أثبت التحاليل العلمى الصحيح أن ماءها قد اعتراه تلوث يخشى ضرره على الشاربين، فهل نكذب نتيجة العلم اعتقاداً منا أنه ينافى هذا الحديث؟ والحديث ليس قطعى الدلالة ولا الثبوت، وبخاصة أن كلمة «شفاء سقم» لم ترد فى أحد الصحيحين ولا فى كتاب من الكتب الستة المعتمدة .

وهنا أمران لابد أن نقررهما فى هذا المقام :

أولهما : أن الشرب من ماء زمزم ليس من مناسك الحج أو سننه فى أى مذهب من المذاهب المعروفة لدى المسلمين بل قد نقل أن عبد الله بن عمر لم يكن يشرب من ماء السقاية فى الحج - مع شدة تمسكه بالسنن واتباعه للآثار - وقد علل هذا منه بأنه خشى أن يظن الناس أن ذلك من تمام الحج .

وقد استدل بعضهم على استحباب الشرب من ماء زمزم بأحاديث شربه عليه السلام منها . ودفع هذا آخرون بأن ماء الشرب أمر جبلى، فلا يدل على الاستحباب إذ لا تأسى فى الأمور الجبلية . ى . ق

النحو الجديد :

جاءنا من الأستاذ صبح سالم صبح المدرس بالعباسية الثانوية، بالإسكندرية تعقيب على ما نشره الأستاذ على العمارى فى مجلة الأزهر حول الطريقة الجديدة فى دراسة النحو التى تسير عليها وزارة التربية والتعليم، ومما جاء فى هذا التعقيب:

١ – يقول الأستاذ العمارى إن وزارة التربية والتعليم فرضت على التلاميذ دروسا فى النحو هى مجرد آراء فردية وكان الواجب ألا تبيح الوزارة هذا حتى ترجع إلى المجامع اللغوية وإلى الهيئات العلمية التى تعنى بدراسة النحو العربى .

ولو قرأ الأستاذ المحاضرات التى جمعت فى كتاب (توجيهات حديثة فى النحو) لوجد فيها تاريخا أمينا للموضوع .

٢ – يقيس الأستاذ النحو على الطبيعة والكيمياء، ورأيه أنه كما لا يمكن أن يرى جماعة رأيا فى الطبيعة والكيمياء فيؤخذ به كذلك لا يمكن أن يتناول النحو على هذا النحو .

ولست أدرى كيف يستقيم هذا القياس ؟

ومن قال: إن طبيعة النحو من طبيعة الكيمياء؟ إن علم النحو علم نظرى اجتهادى يقوم على الشواهد التى يقوى بعضها إلى حد الاعتماد عليه وتضعف بعضها . ولذلك اختلف النحويون ، أما الكيمياء فعلم تجريبى يخضع للمشاهدة التى لا مجال فيها للشك او التقول .

٣ ــ يتحدث الناقد عن كتاب (إحياء النحو) باعتباره محاولة تجديدية قائلا : وكان على الوزارة أن تأخذ عبرة من كتاب إحياء النحو فإن هذا الكتاب أحدث دويا فى الأوساط العلمية ولكن أحــدا لم يأخذ بالنظريات التى جاءت فيه ، ولم تستطع هذه النظريات أن تأخذ طريقها إلى أية هيئة علمية فتدرس فيها دراسة علمية .

والحقيقة أن هذا الكتاب يدرس ويعنى به فى جميع الكليات الجامعية التى تعنى باللغة العربية ،وله قيمته التى لا يمكن أن يستهان بها .

٤ ــ ومما يثير الدهشة قول الناقد : أما أن أستاذا أو مجموعة من الأساتيذ يفرضون آراءهم على آلاف مؤلفة من المتعلمين الناشئين ليقولوا لهم : إن هذا هو العلم ولا علم سواه ، فذلك أمر خطير جد خطير .ذلك أنى أعرف ويعرف الناس أن هؤلاء الأساتيذ الذين يعنيهم الناقد يمنعهم التواضع العلمى ، والحرص على الحقيقة أن يقولوا مثل هذا القول ، وأن الأستاذ صاحب النحو المنهجى بالذات يعترف بكل صحيح من البحث غير أنه يختار أنسب الآراء التى توافق عقلية الطلاب فى مراحل الإعداد والتنشئة ويدع ما عداه لمن أراد التخصص .

ولا شك أن الأستاذ الناقد يعانى كثيرا من المشقة والجهد حين يتناول النحو العربى على طريقته القديمة .

المستثنى بإلا :

وجاءنا من الأستاذ على بن يحيى بحضرموت تعقيب على مقال الأستاذ محمد عضيمة (دراسات فى أسلوب القرآن) . والمعقب يرى أن رفع المستثنى فى الكلام التام الموجب وجه جدير بالتقدير لأنه هو الذى يتخرج عليه ما وجد من الرفع بعد إلا فى الكلام التام الموجب من صحيح الكلام العربى من غير تعسف ، ومقاله تأييد لهذا الوجه ، ومما جاء فيه :

نحن نؤيد القول الذى يجوز إعراب ما بعد إلا مبتدأ فى بعض الأحوال الظاهر فيها ونرجحه بما يأتى :

أولا ـ أن النحاة قد صرحوا بوقوع الجملة الإسمية بعد إلا ، وذكروا شواهد من الكتاب والسنة .

ثانياً - وممن صرح بذلك ابن هشام فى المغنى، حيث أضاف إلى الجمل التى لها محل من الإعراب الجملة المستثناة ومثل لها بقوله تعالى: «لست عليهم بمسيطر، إلا من تولى وكفر».

ثالثا - قال ابن مالك فى التوضيح على الجامع الصحيح عن المستثنى بإلا من كلام موجب أنه ينصب مفردا أو مكملا معناه بما بعده، ولا يعرف البصريون إلا النصب، وقد أغفلوا وروده مرفوعاً بالابتداء ثابت الخبر أو محذوفه، فمن الأول قول أبى قتادة (أحرموا إلا أبو قتادة) فإلا بمعنى لكن، وأبو قتادة مبتدأ، ولم يحرم خبر، ومن الثانى قوله صلى الله عليه وسلم كل أمتى معافى إلا المجاهرون.

رابعا - يؤيد ما قلناه من وقوع الجملة الإسمية بعد إلا أنهم اعترضوا على تعريف المتصل بدخول مثل قوله تعالى: «لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى» مع أن الاستثناء منقطع، لأنه لم تحكم فيها على ما بعد إلا بنقيض ما قبلها كما هو حال المتصل. فقدروه لكن الموتة الأولى قد ذاقوها فى الدنيا

خامسا: جعل المتأخرون ما بعد إلا فى المنقطع مطلقا مبتدأ خبره محذوف وإلا بمعنى لكن معنى وعملا ونقل ابن الحاجب فى ذلك الإجماع.

سادسا: حدد ابن هشام فى المغنى القراءة السبعية فى «إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم» بالرفع، وجعلها استثناء من أهلك، وجملة من مبتدأ وخبر.

ملحوظتان:

الأولى: أن الأستاذ عضيمة ذكر نقلا عن شرح الكافية للرضى (الناس كلهم هالكون إلا العالمون) على أنه حديث نبوى وهو ليس كذلك.

الثانية: جعل (ما للشياطين من سلاح أبلغ فى الصالحين ... إلخ). حديثا نبويا، وقد رده ابن القيم فى فوائده، وهو من حفاظ السنة.

أنباء الأزهر

الأستاذ الأكبر يهنئ السيد الرئيس :

بعث فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر بالبرقية التالية بمناسبة رأس السنة الهجرية وعودة سيادته من اليونان ويوغسلافيا :

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد

فإن من يمن الطالع أن تقترن عودتكم المباركة بعد رحلتكم الميمونة بمطلع عامنا الجديد عام الهجرة التى أيدت الحق وأيد الله الحق بها .

وإنى بهذه المناسبة وباسم الأزهر علمائه وطلابه أهنئكم بمقدمكم الكريم ، كما أهنئكم بالعام الجديد داعيا الله أن يديم لكم التوفيق وأن يجمع العالم على المحبة والوئام والسلام وأن يؤيد المسلمين ويقوى شوكتهم وينصر العرب فى كل جولة من جولاتهم وفى خدمتهم لمبادئ العزة والكرامة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

وقد تلقى فضيلة الأستاذ الأكبر من السيد الرئيس جمال عبد الناصر البرقية التالية يشكره فيها على التهنئة :

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد

فقد تلقيت البرقية المعربين فيها باسمكم وباسم السادة علماء الأزهر وطلابه عن أخلص المشاعر وأكرم التهانى بمناسبتى رأس السنة الهجرية والعودة من اليونان ويوغوسلافيا ، وإنى إذ أبعث إليكم وإلى الجميع بأصدق الشكر أرجو لكم موفور الصحة وأطيب الأمانى .

جمال عبد الناصر

حول الطلاق وتعدد الزوجات :

كان فضيلة الأستاذ الأكبر قد أرسل برقية للسيد الرئيس جمال عبد الناصر يشكر فيها لسيادته موقفه من موضوع الطلاق وتعدد الزوجات ، فتلقى فضيلته من سيادة الرئيس البرقية التالية :

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

فإنى أشكركم أصدق الشكر على برقيتكم وفقنا الله إلى ما فيه الخير والإسعاد لشعب الجمهورية العربية المتحدة ويسرنى أن أبعث إليكم بأخلص تمنيات الصحة والسعادة .

جمال عبد الناصر

فى العيد الثامن للثورة :

وتلقى فضيلة الأستاذ الأكبر من السيد الرئيس البرقية التالية فى الشكر على التهنئة بالعيد الثامن للثورة :

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد

فإنه يسرنى أن أعرب عن أخلص الشكر لكم وللسادة علماء الأزهر وطلابه على ما تضمنته برقيتكم من كريم المشاعر وصادق التهانى بمناسبة عيد الثورة داعيا الله أن يوفقنا جميعا إلى ما فيه رفعة الوطن العزيز ودعم بنيانه ، كما أننى أبعث إليكم بأطيب تمنيات الصحة والسعادة راجيا لكم وللجميع التوفيق والسداد فى خدمة العروبة والإسلام .

جمال عبد الناصر

سكرتير تحرير مجلة الأزهر :

أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر قراراً بندب السيد الأستاذ محمود الشرقاوى مراقب كلية اللغة العربية سكرتيراً لتحرير مجلة الأزهر .

قسم للصحافة بالأزهر :

قررت مشيخة الأزهر إنشاء قسم للصحافة يلحق بكلية اللغة العربية ، وتقرر أن تبدأ الدراسة فى هذا القسم بكلية اللغة العربية ابتداء من العام الدراسى المقبل ١٩٦١/٦٠ ومدة الدراسة فيه سنتان ، ويلتحق به خريجو كلية اللغة العربية بعد اجتياز مسابقة تعقد لهم .

رواد الأزهر :

اتصلت الشئون العامة بالأزهر بجميع المعاهد الدينية لإرسال الكشوف الخاصة بالسادة الرواد لتتم الإجراءات المتعلقة بإعداد المعسكر الذى سيقام بمدينة البعوث الإسلامية .

فى لجنة العادات والتقاليد :

وافق فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر على ندب فضيلة الشيخ عبد الله المشد مدير الوعظ والإرشاد عضواً بلجنة العادات والتقاليد بوزارة الشئون الاجتماعية والعمل . وهى اللجنة التى تعمل على تنظيم الاحتفالات الشعبية وخاصة الموالد ، بحيث تتفق وأهداف مجتمعنا الجديد ، وللقضاء على البدع والخرافات والعادات السيئة المنتشرة بالموالد وتعمل على نشر وتثبيت العادات الحميدة فى هذه الاحتفالات والموالد .

الكتب

للأستاذ محمد عبد الله السمان

١ ـ محمد بن عبد الوهاب :

مما لاريب فيه أن الحركة الوهابية لم تزل بكراً ، وأن وضعها فى التاريخ لم يحدد بعد ، شأنها فى ذلك شأن الحركات الفكرية التى لازمتها الثورات المسلحة ، والذين قدر لهم أن يكتبوا عنها إما أتباع لها متعصبون ، وإما أعداء لها متنطعون، وإما أجانب ذوو أهواء إزاء الحركات الإسلامية بأسرها .

وحين قرأت مؤلف الأستاذ الخطيب عن « محمد بن عبد الوهاب » من الغلاف إلى الغلاف وبدقة وإمعان أكبرت المؤلَّف والمؤلف ، فقد جاء الكتاب على ما فيه من إيجاز مركز صورة معبرة بصدق عن محمد بن عبد الوهاب وحركته ، وألم إلماما شاملا بمراحل حياتهما ، وكان الكاتب مؤرخا نزيها أحاط بأدق المعانى وأعمقها ، وترك لقلمه العنان يصوغ لنا بحثاً تحليلياً عن الحركة الوهابية فى غير تعصب أو تزمت أو مجاملة.

والمؤلف يرى أن الحروب الوهابية معركة رأى ، وتعد من المعارك القليلة التى قامت على الرأى فى التاريخ الإسلامى ، وأن هزيمة الحركة الوهابية فى حروبها ليس دليلا على عدم جدارتها بالبقاء ؛ لأن التاريخ الذى يقف دائما فى صف المنتصر حين سطر حكمه عليها لم ير من آثارها إلا أشلاء متناثرة وبيوتا متهدمة .

ويرى المؤلف أيضا أن الحركة الوهابية كانت نتيجة لازمة لمقدمات صحيحة اقتضتها حال المسلمين ودعت إليها ، فقد كانت العقيدة الإسلامية فى الجزيرة العربية أشبه بالتقاليد والعادات فوق ما دخل عليها من الأوهام والأباطيل . إلا أن هذه الدعوة أخطأت فى أخذ الناس بالأسلوب الحاد العنيف ، دون أن تدخل فى حسابها الأثر النفسى الذى يطغى على شعور المسلمين ، وفيهم جذور عميقة من موروثات وتقاليد لا يمكن أن ينفصل عنها المرء بين يوم وليلة .

كنت أرجو أن يتحدث باستيعاب عن حملة محمد على للقضاء على الحركة فى الجزيرة العربية ليوضح لنا فكرة المؤامرة على الإسلام . بدافع الشره من جانب محمد على . وإن كان التاريخ يجل لمحمد على صفحة سوداء فى قضائه على المماليك فى مذبحة القلعة ، فإن هناك صفحات سوداء يجب أن تسجل عليه فى قضائه على الحركة الوهابية .

وكنت أرجو ألا يغفل الأستاذ المؤلف، أن الحركة الوهابية بدأت حركة إسلامية عربية ذات مبادئ وأهداف .

٢ — الصراع الفكري في البلاد المستعمرة :

كتاب الأستاذ مالك الجديد دراسة عميقة للصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مستمداً براهينها من تجربة شخصية أضاءت الموضوع من الداخل بضوئها الخاص، وهو يرى أن بعض الأشياء لا يجدي الحديث عنها إن لم يكن برهانه مستمداً من تجربة شخصية، ومن هذه الأشياء الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، وقد عودنا المؤلف العلامة أن تمتاز مؤلفاته بطابعين أصيلين :

أولهما : التعمق في الدراسة والتحليل، والعناية التامة بالإسلام كقضية، يجب على كل مسلم أن يظل مدافعاً عنها .

جاء الكتاب في ستة فصول : عموميات عن الصراع الفكري، في حلبة الصراع، تركيب آخر لمرآة الكفء، مظاهر أخرى للصراع الفكري، على هامش كتاب حياة الأفكار وقيمتها الرياضية، ويرى المؤلف أن الصراع الفكري بدأ يأخذ طابعه في البلاد المستعمرة قبل نصف قرن على الأقل كعامل على امتصاص القوى الواعية في تلك البلاد حتى لا تتعلق بفكرة مجردة محاولا تعبئتها لحساب فكرة متجسدة . كما يرى أن الغموض يكون العنصر الأساسي الذي يميز الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، وأن الاستعمار يبذل جهوده في إحاطة هذا الصراع بالغموض

ويرى المؤلف ثالثاً : أن التاريخ السياسي الحديث في أي بلد مسلم يجعل أن الاستعمار يستغل الأوضاع النفسية، فهو يثير الغضب الأعمى عند الجماهير، ويغذي شهوات القادة والمسئولين، وأن للاستعمار إخصائيين يشرفون على الصراع الفكري، ويركبون أجهزة خاصة لتحطيم الأفكار كما يركب العلماء المختصون في علم المواد المشعة أجهزة لتحطيم الذرة، وأن هـذا الاستعمار فنان بارع في موسيقى الصراع الفكري، فهو يبدع في سمفونية هذا الصراع، إذ هو ينسجها من الخيال، ثم يبلغ إيقاعها الساحر عن طريق الإيحاء، وفي خاتمة الكتاب يتمنى الكاتب أن تقوم في بلادنا رابطة من المثقفين لكشف هجمات الاستعمار على الجبهة الفكرية . حتى لا تبقى الأفكار معرضة لتلك الهجمات دون نجدة ولا مدد .

هذا أول كتاب ينتجه المؤلف باللغة العربية فقد عودنا أن يكتب بالفرنسية، وبعض الأخطاء اللغوية المعدودة لا تقلل من قيمة الكتاب الفكرية، فالكتاب دراسة عميقة تخللتها النظريات الرياضية كسند لمنطق الأفكار .

٣ – روائع اقبال :

الأستاذ أبو الحسن الندوى من الأعلام المبرزين والعلماء المسلمين العاملين فى ميدان الفكر الإسلامى بالقارة الهندية ومؤلفاته الإسلامية باللغة العربية تعتبر فى الطليعة ، وفى مقدمتها : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟

أما كتابه الأخير عن « إقبال » فهو ترجمة أصيلة لبعض روائع إقبال الشعرية بالنثر وهو يختلف عن ترجمة المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام الذى ترجم الشعر بالشعر ، ويقول الأستاذ الندوى تعليقا على هذا : « إن ترجمة الشعر بالشعر يكاد يفقد شعر إقبال قوته وانسجامه ، وليس هذا راجعا إلى ضعف فى الترجمة فمقدرة الدكتور عزام لا تحتاج إلى دليل ، إلا أن ترجمة الشعر بالشعر تضفى على هذا العمل الأدبى نوعا من الغموض » .

والأستاذ الندوى التقى بإقبال وتعرف عليه عن كثب ، وتأثر بشعره كل التأثر ، ورأى أن ينقل روائعه إلى العالم العربى وفاء للرجل العظيم ، واختار من شعره : برلمان إبليس – إلى الأمة العربية – فى جامع قرطبة – فى أرض فلسطين – دعاء طارق – نياحة أبى جهل – رجعة الجاهلية – فى مدينة الرسول – ساعة مع السيدجمال الأفغانى ....

قدم لترجمة هذه الروائع بتمهيد تحدث فيه عن صلته بإقبال وشعره ، وعن إقبال شاعر الإسلام وعن العوامل التى كونت شعر إقبال ومنها : مدرستا الثقافتين : العصرية والإسلامية ، والقرآن الكريم ، والغوص فى أعماق النفس ، واتصاله بالطبيعة من غير حجاب ، وفى هذا التمهيد تحدث المؤلف عن نظرة إقبال إلى التعليم العصرى ، وعن الإنسان الكامل فى نظره ، كما لم يفت الأستاذ الندوى أن يمهد لكل قصيدة بملخص لفكرتها وهدفها ، مما يجعل القارئ يعيش مع الشاعر فى روحانيته الصافية .

والمؤلف يذكر فى مقدمته : « أن أعظم ما حمله على الإعجاب بشعر إقبال هو : الطموح والحب والإيمان ، حيث يحكى فى هذا المزيج الجميل فى شعره أعظم مما يحكى فى شعر معاصر » .

والشجاعة الأدبية التى عرف بها المؤلف ، جعلته يقول فى مقدمته : « إنى لا أعتقد فى إقبال عصمة ولا قداسة ولا إمامة ولا اجتهادا فى الدين ، وقد كانت له أفكار فلسفية وتفسيرات للعقيدة الإسلامية لا نوافقه عليها . وإن جل ما أعتقده أن إقبال شاعر أنطقه الله ببعض الحكم والحقائق فى هذا العصر » .

ونحن نقول : حسب إقبال عظمته أنه كان صاحب فكرة واضحة وعقيدة جازمة عن خلود الرسالة المحمدية وعمومها ، وعن خلود هذه الأمة وصلاحيتها للبقاء والازدهار ، وهذا ما لم ينكره المؤلف المبجل فى نفس مقدمته ...!

اقبال :

المؤلف شاب وأديب مطبوع . قدم للمكتبة العربية مجموعة من البحوث والقصص نال معظمها جوائز وزارة التربية وغيرها . ومنها : كتاب إقبال الفائز بجائزة وزارة التربية عام ١٩٥٧ ، والعجيب أن المؤلف كتب جل بحوثه بين جدران السجن ، حيث الفراغ والعوامل النفسية لهما أثرهما فى كل ما كتب ، وهو يقول فى مقدمة كتابه من إقبال : (إنه سطر هذه الصفحات عن إقبال أول من دعا إلى إقامة باكستان الاسلامية ، لأن فلسفته وشعره ونمط حياته وقصة كفاحه ، كل أولئك جدير بأن يقرأه شبابنا وخاصة فى هذه الفترة الدقيقة التى تجتازها بلادنا الحبيبة .

تحدث المؤلف عن الهند عام ١٨٧٣ حيث الصراع على أتمه بين الاسلام والبرهمية ، وحيث ولد إقبال ، وفى الفصل الثانى عن العلم والعمل حيث كان إقبال ، ينتقط الآراء السليمة والحكمة العالية والأفكار المستحدثة وغير المستحدثة . فينقدها ويفندها ويردها إلى أصولها ، .

أما فى الفصل الثالث فقد تحدث عن فلسفة إقبال التى نبعت فى عقله ، وعن بواعث ودوافع هذه الفلسفة التى أشعلتها وجعلتها ملتهبة كالنار ، حمراء كالدم ، وأولها أن الناس يجب أن يعودوا إلى ذاتهم فلا يحرصوا على الحياة وثانيها أن عقيدتهم يجب أن تتحرر مما شابها ، وثالثها التحرر من الاستسلام ، والايمان بالحظ ، واليأس والرهبنة ، وخاتمة المطاف التهام ثقافة الغرب دون فحص أو تمحيص . وكان هدفه من فلسفته أن يكون للمسلمين وجود .

والمؤلف يحدثنا عن : إقبال والفن ، وكيف أن إقبال تذوق الفن وآمن به كباعث للنور فى دياجى الحياة ، وفى الفصل الخامس عن إقبال والمرأة ، وكيف اعتبرها مخلوقا بشريا له احترامه وتقديسه ، وليست حيوانا حقيرا كما زعم البراهمة ، وفى الفصل السادس والأخير : تحدث المؤلف عن النزعات الانسانية فى شعر إقبال ، وكيف نظر إقبال بعين الحقيقة والواقع إلى العالم الحديث فى أمراضه وأدوائه ، فوضع فلسفته الخالدة التى ارتآها لأنها وقود الخلاص وروح البعث الانسانى ، والتزم فيها جادة الاسلام ، واتخذها سبيلا إلى الحرية بعد أن درس وبحث وفكر . . . . .

إن الأستاذ الكيلانى قدم لنا دراسة شاملة عن إقبال وفلسفته ، صاغها فى أسلوب أدبى رفيع .

الفهرس

have different points of view, unanimously agree that their nation should remain independent sovereign Arab state having its own ideals and values.

Thus when we borrow from others their way of thinking, their way of life and their means which leads to civilization and progress, we take only what we deem it good enough to help develoP ours not to drag us away from our heritage.

Arab Nationalism thus is the framework of all our activities. It is not only a factor of awakening but also of outlining our obligations towards our society as well as our rights therein and of clarifying our relationships with others. It is not a provincial call which seperates Arab people from the whole of mankind to make them superior to any other people. But it is a call to maintain the spicific characteristics of Arab nation in order not to be melted in or absorbed by any nation. It is only meant to preserve the independance of Arab people, ascertain well understanding between them and others and urge them to uphold modetlys their glories. Arab nationalism therefore is a philosophical doctrine not a temporary political movement. It is an intellectual ideology and a mood of conduct simultanuously.

The more we are conscious of this ideology, the stronger is our resistance of imperialism. It is clear then that Arab Nationalism and imperialism can by no means be allies.

However, in our society as well as in our daily life there are still some remnants left over by imperialism which had been previously from amongst its main objectvies. The more unity and brotherhood flourish, the use of the standard Arabic prevails and the faith in our spiritual values and ideals increase; the lesser these remainders become until they entirely vanish. On realizing this goal there will be no longer imperialism but comprhensive independance which preserves dignity and prestige of all individuals and facilitate the road for them to lead a course of dignified life in which mutual co-operation and good understanding prevail.

domination. This is simply because the Jews' main interest, which is nothing but the investment of their capitals, imposes on them to live scattered all over the entire world in order to employ their wealth in the different sections of the various countries. The easiest way to achieve such an aim is the non-concentration of their capitals on a limited land or a narrow area serving only the few millions of population. The history of the Jews as well as their psychological characteristics, which control their characters, show us without any doubt that their principal concern is thoroughly devoted to the increase of their wealths through the taking of usury not to maintain the sovereignty or the power or the dignity of the state.

The rôle of Arab Nationalism:

The role of Arab Nationalism might be conceived as the decisive factor which helped in the extirpation of seeds of sectarianism and fanaticism, and which diverted the attention of the Arabs into the characteristics which form the general structure of the Arab society and its peculiar personality. It is Arab Nationalism that aroused the Arabs from their slumber and referred them to their history with all its glories and heroisms, to their intellectual heritage throughout the ages and to their spiritual and ever-lasting values as ordained by the Heavenly message. The impact of Arab Nationalism has not been undoubtedly a slight one. It has awakened a nation, integrated a people and proved that the Arab natoin, from the Atlantic Ocean to the Arab Gulf, is an integral whole. It has expunged all traits of discord and the artrficial demarcations which imperialists had made long time ago.

Therefore Arab Nationalism is to us a revival movement and a linking chain between our present and past. The philosophy of Arab Nationalism stipulates that we are only Arabs united and not influenced by fanaticism or sectarianism; and that our homeland includes all territories stretching from the Atlantic Ocean to the Arab Gulf.

Arab Nationalism as well defines the intellectual trends and noble objectives of the Arab society. According to this ideology our intellectual outlook should emanate from our traditions as well as our present existence, and our values, which enjoin unity and consolidation of our nation, should spring from our glorious history.

Arab nation, however, welcomes peace and opposes subjugation and aggression. All Arabs, though they

Moreover, imperialists search for other reasons which help increase dissensions and dissolution of the people. They search for the ideolagies and doctorines in which people believe, go back to the past to look for the origins to which people belong and study history to find out successive civilizations which people had passed by in order to revive the tendency of ideological, tribal and cultural fanaticism. What imperialists were actually doing in the northern region of the United Arab Republic is good enough to prove this argument. Apart from their encourgement of the use of colliqual language and the negligence of the classical language, from their glorification of secular education and from looking sarcastically at religious tuition and at the institution wherein religious teachings are being studied i.e., Al-Azhar, Imperialists had been attempting to arouse Pharaoic fanaticism and disregard Arab Nationalism. Semilarly they had been trying hard to arouse Assyrianism in Syria. Moreover, imperialists had been exerting unflagging efforts to awaken sectarian dissension between the Sunnis and the Shiis on the one hand, and to put a wedge between Muslims and Christians on the other hand.

They had been trying the same in Iraq - between the Sunnis and the Shiis, and between the Arabs and the Kords - ,in Libya between the Sunnis and the Abadis, in Morocco and Algeria betwaen the Arabs and the Barbers and in the Sudan between the followers of Al-Mahdi and those of Al-Marghani, and between the northerners and southerners.

Imperialists have realized lately that their treachrous conspiracies as well as their filthy trials were exposed to and foiled by the occupied countries as a result of their vigilance of the unifying factors such as Arab Nationalism in the domain of Arab world or as the call to Islam as a comprhensive way of life as is the case in Pakistan. Therefore colonialists have created a lot of disputes quite enough to consume a great deal of the political as well as economical activities of the occupied countries and which stand as a permanent source of peril threatening any country which seeks emancipation from the fetters of imperialism. To carry out its new plan imperialism has created many disputes; Israel in the middle east, for instance, and Kashmir in Central Asia.

However, Israel was not existed to be a nation but to be a lasting source of danger directed against all Arab nations if they ultimately attempt to terminate western trusteeship and get red of foreign political and economical

the sublimity of human values.

This is simply because the human values emanate from man's moral standard and his sublime conduct as regards his relationship with other men which should be erected on co-operative, fraternal and amical foundations; whereas the advanced standard of industrial civilization is a mere result of machine and the mass production of industry. Inspite of the fact that such machine is invented and directed by man, yet it is not necessary that this man should have a benevolent heart which is above selfishness and egoism.

Actually any people, when allured or instigated to quit their traditional past and believe in new ideas, are not at the same level. Some individuals have no resistence and consequently yield to such temptation and move heedlessly forward under the force of instigation; meanwhile some other individuals hesitate before they accept such propaganda and stick to their own traditions as an expression of their opposition to such an enticement.

The logical conclusion of such divergence of views is the disintegration of people's unity and the creation of two diverse trends; the traditional group which upholds the old values and the modern one which embraces the modern ideas and shuns their old traditions.

The decomposition of the colonized people as such mentioned gives rise to conflict between the inconsistent parties. Imperialists then seize this opportunity to sow the seeds of dissinsion among people by supporting a party against another in a bid to widen the gap between them and thus stimulate sectarian conflict. Imperialists, when supporting their favourite stooges, employ them to carry out their imperialistic policy, while their antagonistic attitude towards the national elements means that they are no longer fit for modern life.

As soon as colonialists propagate their own language amongst their clients, the latter hasten to abandon their inherited language and use either this new imperialistic tongue or a mortal accent of their original language. This misuse of language leads to the weakening of bonds between the generations which rise and grow under trusteessip of imperialism and their initial languagein such a way that makes it looses its characteristic as an outlet therby the rising generations can overlook their past. And this is because it is no longer valid for such a purpose as long as the validity of any means lies in the possibility of making use of it.

intellectual and spiritual heritage, their language, thir history their deep-rooted traditions and the foundations upon which their society is built in such a way that realizes severing the rising generations from such traditions, heritage and values, and weakening their grasps of their language and arts. Bye and Bye they will forget completely their past and abandon their traditional values. They will even feel ashamed to be related to such past or to mention such values or to use their own language. Consequently they will pay no attention to all these characteristics.

On realizing these ends, the imperialits step forward to win the people to the side of their principles, their way of life and their way of thinking. They as well circulate their own language, literatures and arts. As there is almost a gap between the colonists and the colonized countries in the field of economy and the standard of living of individuals, the imperialists always seize this opportunity to give evidence of their superiority as regards human values and degradations of human values amongst the colonized nation. Hence they create in the colonised countries an inclination to imitate their way of life and a desire to get rid of their own. This tendency in turn has an effect upon the past, legacy and values of the exploited countries. They often look upon this past with a scornful glance and hold it responsible for their backwardness.

The impact of the industrial nations of to-day upon the backward nations in the field of industry is another example. It arouses a feeling amongst those nations that the superiority of industrialists is due to their advancement in the industrial civilization. Thus they are tempted to accept their values and ideals or at least they are conditioned to accept them. However, there is no tempting factor other than the said gap between the two parties. Such temptation has led so many Africans and Asians to fall under the ferule of such impact and to believe sometimes in the American civilization and thus stick to its human values, and to believe some other time in the Russian industry and therefore welcome the communist ideals. Their adherence to either side is not based on sound perception but they are only captured by the attraction of the industrial civilization in either party. Had they pondered a little and examined both Eastern and Western domains, they would have inevitably come to the conclusion that the advancement of the standard of industrial civilization does not necessitate

IMPERIALISM IN THE MIDDLE EAST

by

Dr. Muhammad El Bahay
Director General of The Islamic Culture
Administration

Imperialism in the Middle East, though it has various forms, usually serves one object that is the disintegration of peoples' unity in every country or provoking main disputes between one nation and another. Imperialism, though has revealed its aims since the begining of the ninteenth century, yet its manoeuvers to concentrate and fulfil its aims in the middle east had been actually started in the seventeenth century.

The first form of imperialism is represented in the influence of capitalism through the establishment of firms or through trade and loans. Such foreign capitals, when settled in any of the middle eastern countries, are always accompanied by political influence as well as by intervention in the state's own affairs. Such intervention is almost followed by military occupation. The military occupation of India in 1856 and in Egypt in 1887, for instance, were preceded by the domination of foreign capital as well as by political intervention. They were preceded too by acquiring certain authorities in directing the governmental affairs. The same was the case with the military occupation of Indonesia and North Africa from Morocco to Libya.

The imperialistic countries-to ensure their continual exploitation of the raw materials which they need to develop their national economy, of manpower to obtain these raw materials at law prices and of the local markets of the occupied countries to consume their own products-use another sort of imperialism characterized by its effective, far reaching, deep-rooted and long-termed effects. This sort of imperialism is meant to enable imperialists to achieve their goals or to subdue the exploited and occupied countries through guidance.

Imperialism in guidance.

Through such imperialistic guidance, the imperialists deal with characteristics of the people, their

Factual life shows us that nature always gives birth to more women than men. It treats men rather severely than it does with women. Societies too are naturally tending to become stronger. This is a fact which all ages prove its authenticity. Man too is destined by nature through the increasing of his effective power to lead a longer life than woman. Moreover man is always fit to carry out his sexual cravings while the woman on the other hand looses her suitability at certain Periods. There are too certain men whose sexual drive is so predominant that a single wife could not satisfy his cravings. To be chaste and upright he has to marry another one. Richness and poverty are due to reasons other than marriage.

Let us again set a question to settle that problem. Which is more reasonable to admit : the banning of plurality or the limitation of it with its effects of the abouniding of unmarried women who will be obliged under the pressure of their numbers and their inhibitions to go astray and lose their honour, in such a manner as observed now a-days in the eastern countries after they had imitated the westerners in their way of life which allows the secret births and the concubinage or the permitting of plurality under no conditions other than those enjoined by God even when one marries in each city a new wife bringing forth from each legitimate sons who know their father perfectly well and whose relation to that father is known to all people.

I call upon those who propose the limitation to tell me with is just and sound diverse wiver with legitimate children or concubines who seek pleasure everywhere and with every passerby bringing forth loose children who have no fathers. Which of the two is more admittable you who seek the limitation if you are really well versed in this Queston and have sound minds.. ?

---

in modern times. The heavenly wisdom never considered that the existence of machinaton amongst them and amongst their sons an obstacle in the way of approving polygamy. This attitude denotes that the aims of polygamy from the point of view of the law-giver is beyond these petty things caused by natural jealousy and conspiracy.

The hatred which prevails amongst the fellow wives happens as well between the wife and her mother-in-law. Such is perrmissible from the point of view of law for although it entails evil yet it is a slight one in contrast to the numerous good it realises.

Although God the Almighty had known in anticipation that jealousy is a natural craving in women, yet He made the plurality of wives a legal deed in both ancient and modern times. The heavenly wisdom never considered such jealousy between wives and their children a cause for prohibiting polygamy. Such tendency proves that the advantages aimed at in instituting such plurality by the Law-giver overweigh such drawbacks as visualized in the natural jealousy which crops out in the hearts of women.

However the hatred which occurs between wives, takes place too between the wife and her mother-in law yet such hatred is overshadowed by legislation because although it is evil in itself yet it is nothing if it is weighed against the plentiful good which marriage realises.

The Islamic Law never neglects.

The Islamic law after all never neglects to mitigate such natural jealousy by giving wise counsels, right guidance and admonitions with a view to lessen the effects of human jealousy to enjoin the leaders of the nation to work laboriosly for realizing means of living and good education for the poor and their children. It always puts the blame of any shortcoming in attaining such ends on the shoulders of the Islamic governments which fail to support the means for bringing up good and powerful children through extending the opportunities of work for their citizens and safe guarding the rights of the labour.

To add to the aforesaid grounds which support the permissibility of polygamy, the other reasons which every one sees plainly in factual life we will find it is incumbent upon us to submit to the decree of the Islamic law as ordained by God that is to permit plurality and never try to Put conditions to limit it other than those enjoined by God as prescribed in the holy Qur'an is to satisfy the justice between wives in its proper sense as meant by the Low-giver.

in both social and moral fields leaving them to csatisfy their cravings by resorting to illegitimate intercourse with those who fell into their hands and have none to look after or defend their chastity against such raping.

Another plunder to the supporters of limitation,

7 — The supporters of the proposed limitation have made the poverty and the inability to nurture their children and those whose expenses are their responsibility a basis for their demand of limitation of plurality of wives. This tendency means that they permit the rich to marry more than one wife as he wishes and ban the poor to marry another wife.

If it is feasible to make poverty and richness a basis for permitting plurality, the result ought to have been the very reverse of what they had concluded.. It should be the permission of plurality to the poor and the banning of it to the rich, for the poor have sympathy with each other and are ready to co'operate in their search for attaining a living. The man as well as the woman spends every effort possible to contribute for realizing a good living to their family. The poor has nothing to give as a favour to one of his wives. On the other hand the wives of the rich always look covetously to his wealth. He has the means which enable him to favour profusely any one of them. Such favouritism will lead to dissension and disintegration. So long the husband is rich and able he will be looked upon from the unfavoured wife as partial and turning altogether away from her. The poor's income and expenses are well known to his wives in detail and needs no suspicion.

The hatred which arises as a result of plurality amongst wives and their children is originated from a natural jealousy which can not be evaded. Such jealousy has existed in the upper classes of women i.e. amongst the mothers of the believers. Such existence had never stopped plurality for plurality realizes good deeds which over weigh the evils of such jealousy.

The ways of machination and conspiracies were practised amongst the children of the fellow wives in the higher classes. In this we can quote the example of joseph and his brothers. However such natural tendencies could not be taken as a pretext to stop the enactment of legislation the advantages of which are great.

God the Almighty who realises that jealousy is a natural element in the souls of wives, has made plurality of wives legitimate in olden as well as

thinkers on facing such perilous situation with one exception that our call will find neither heed nor support.

That polygamy is continually decreasing is well attested by the census made by the Egyptian Administration of statistics in 1943. The table drawn by this adminstration showed that the percentage of men marrying two wives had dropped in a period of ten years from 4. 49 ./. to 2. 95 ./. and the percentage of men marrying three wives had dropped from o 29 ./. to o. 17 ./. and that of thsoe marrying four wives from o. o 4 ./. to o. o 2 ./. .

Such results imply a warning that polygamy is coming to an end and that the people are tending to give it up as a result of their disregard to marriage itself as a Principle satisfying themselves through friendships and entertaining girl friends.

Our needs call reversal legislation.

6 — Such behaviour will lead the nation to moral deterioration from which the westerners had complained and from which an oriental nation had suffered. Their experience in that should urge the sensible people of our country to restrain from this tendency aiming at the limitation of dolygamy or its abrogation to save their country from the bad effect of demoralization. Instead they should think of a way to limit celibacy and to encourge marriage. In the meantime they have to plan for a legislation that aims at realising a reversal end to that Preconceived by the supporters of the law prementioned. They should account for a plan to encourage polygamy by offering at least a premium to those who marry more than one to help them shouldering the expenses of life if they are not rich enough and to urge others to follow their steps.

However it is against common sens in the field of vital legislation to plan a legislation for prohibiting a deed which is in its way finality and non existence. A legislation is always recurred to as a means to prevent the rush of the citizens into actions which lead to troubles in their lives and expose them to fall in the meshes of evil. We never heard of a law issued with a view to help or to instigate people to fall into the abyss of evil. As well we never heard that such a law could find a supporter or a defender.

In the light of the proofs which we have previously mentioned we can judge that the legislation proposed to limit polygamy is a means to help people to rid themselves of the noble ties which have good effects

religions and legislations. So they turned to Islam to borrow its panacea and legislation.

It is unright however to take such narrow point of view when we are trying to make a legislation missing the other side which the nature of the two sexes dictates, and the law of God ordains and thus leaving both man and woman under the control of the cravings of nature and the traditions of the universe to be obliged to response to the call of nature and to indulge in adultery. To this effect God the Almighty has gently draw our attention by saying " You shall not force your slave-girls into prostitution in order that you make money, if they wish to preserve their chastity.

An admonition from the east:

To quote another example I will refer you to the life history of an oriental nation which was bred in the bosom of Islam. Then by time It was overcome by western tendencies to disentangle her from the ties of religion. It turned a deaf ear to Islam and adopted civil law under the ferule of which it issued a law in 1926 prohibiting the polygamy. It is astounding to state that eight years of issuing that law the government was appaled by the rise in the number of secret births, secret marriages and hidden deaths of children. To prove this refer to the statistics issued by Ustaz Mohamed El Tabi the well known Egyptian writer in Akhr saa Magazine No. 556 published on the third of June 1945. He had collected these statistics personally while on a visit to Turkey.

Figures Speek :

Again if we refer to statistics concerning marriage lives and especially those of polygamy we will find out that the percentage of married people is decreasing as a result of the reigning of the idea of marriage avoidance in the minds of the young generation and as a result of their negligence to the rules of virtue. It is noteworthy to see that they not only had abandoned polygamy but they also had rid themselves of marriage itself as a rule. It is feared that if matters go ahead on such lines and I am sure it will; celibacy will then prevail and Polygamy disapear completely. By then the evils will increase and the situation will become very serious. Complaints will be incessantly raised. Thus we shall face the same situation which the French government had faced in 1901 and we shall be impelled to call for a reform as such which had been called for by the western

ed for its causes. Being a woman I always look at these girls with a heart rending from sadness and pity. But what will my pity and sadness even if they are shared by the whole nation do for them and contribute to lend a hand in saving them. No use of expressing only our sorrow for such miserable case. The situation needs action to prevent such abuses. God bless that great thinker Thomas who have realised the real cause and prescribed the effective panacea. It is the permission of plurality of wives. By such permission all evils could be evaded and our girls would become landladies and owners of homes. The root of all evils is the ban of polygamy and forcing upon the European citizen to marry only one. This restriction is the real cause for the going astray of our girls and the real motive that actuates them to share the men's jobs. The evil will abound and become more serious if plurality is not permitted.

Had polygamy been permissible such awful situations would have not happened.

She went on lamenting the misfortune of her sister girls whom the laws have prohibited their enjoying the home life by banning Polygamy.

This serious case which the French government had called for its treatment and which that English writer had described is what we fear to become very serious in our country as a result of youths' avoidance of marriage and as result of banning the plurality of wives or its limitation.

It is the case the Premises of which and the motives of which are reigning the behaviour of the young generation to-day.

It is the case which the Holy Koran had aimed at its cure when it made plurality legitimate and expanded its practice. The Koran says with a view to urge people to marry.

" All women other than these are lawful to you provided you seek them with your wealth in modest conduct, not in fornication ".

Again the Koran says with a view to urge the marriage of women.

" Marry them with the permission of their masters and give them their dowry in all justice, provided they are honourable and chaste and have not entertained other men.

Fornication and entertaining other men are the main spring of evil which befell the western nations leaving them unable to find out panacea arising from their own

prevalent causes such as poverty, mal-elevation of the parents, the severity of the master, the labourer and the remarriage of one of the parents after the death of the other the vicious society and the breakdown of the child's nervous sysem as a result of bad treatment and the ignorance of health preserving rules. It is the main duty of the governments alert to the needs of the nations and eager to raise their standards to combat such causes effectively. But plurality of wives has no effect in that direction to be counted as an effective cause to be combatted by issuing a law with a view to either its abrogation or limitation. However if we compare this low percentage caused by plurality with the percentage of foundlings and children burried alive picked up by the police and the citizens from the lanes and back sheets, the main cause of which is the avoidance of marriage and the abundance of widows, we shall find out that in the light of such comparison, we have to shun completely such percentage of vagrancy and to unite all our efforts to rid our society of such foundlings by searching for their real causes and trying to eradicate them completely.

A warning from the West:

If we carry on such research we would be able then to recognise and confess as the western writers have already recognised and confessed that the law of plurarlity of wives has a great effect on the increase cf the percentage of foundlings and the burried above children. The western thinkers have realised this fact since the beginning of this century. Both their reformers and speakers have confessed it and made it a subject of their speaches and sermons. In the conference held by the French government in the year 1901 to discuss the best ways to combat the spread of debauchery, the question was raised. In the debate it was said that the number of foundlings picked up from the county of Seine only and put into the county's asylums to be nurtured at the expense of the government was about 50 thousand. Such foundlings were raped by some of the tutors who looked after them. The foundlings themselves commit adultery with each other with no restraint.

An English writer had treated this question as well. She said: " The girls who are going astray in our country have abounded. It is a serious question leading to the spread of debauchery but no one has taken it into consideration or even search-

future and what chances are hidden for them.

Justice as referred to in the verse though absolute, yet it is mentioned to denote a special aspect of Justice that is the justice between wives. Such view is accounted for by the explicit declaration of the second verse " ye will not be able to deal equally between your wives'. It is also backed by so many traditions of the prophet concerning the equal dealing between wives. No commentator or jurist has said that such justice comprises the ability to afford the expenses of the origins and offsprings and the ability to nurture his children.

The Justice meant by the Koran and by the traditions of the prophet is demanded in both richness and Poverty.

The rich is ordained to deal justly with his women in the light of the traditions of his own environment. The poor as well is ordered to deal fairly with his wives under the circumstances prevalent in his environment. The justice demanded by the verse means that the husband should not turn altogether away from one wife and turn wholeheartedly to another leaving the former as in suspense. It is clear thus that the explanation of justice as conceived by the supporters of the limitation of plurality is a misconstruction and a deviation from the authentic meaning of the verse.

The factual causes of vagrancy.

As to vagrancy which they refferred to as an effect of polygamy, it is enough to confute their plea by quoting what was mentioned in the statistics made by the office of social service concerning vagrancy; its causes and effects. Therein the office after minute research has come to the conclusion that the percentage of vgrancy caused by polygamy is only 3 ./ such percentage is equal to the percentage caused by the severity of home in treating the child and the severity of the master in treating his servant.

No doubt this is a low percentage which could not stand as a reason for deciding that vagrancy is an effect of polygamy and as a basis for demanding the limitation of such plurality which has on the other hand social and moral advantages that immensely overweigh the disadvantages entailed by cuch percentage.

It is beyond doubt that vagrancy is a social disease which should be cured with a view to its eradication if possible. This end could be realized by waging a war against its

advantages of polygamy and its raison d'etre. They have deliberately shunned discussing the good points which support the need for such plurality. In fact it was incumbent upon them to deal fairly with the subject by weigning its good points against its bad ones and try comparing between its advantages and its disadvantages for this is the right way which should be follwed to evaluate justly a subject matter with two opposing effects: good and bad. Such comparative study will help them to give the verdict to the dominant side.

It is a well attested fact that wherein the good overweighs the evil in any institution one should stick to such institution for the scarcity of evil compared to the plenty of good is always overshadowed in case of legislation. However there is no legislation whatsoever though abounding with good that has no scarce evils which exist side by side with the good ones. Life itself by nature is not rid of evils caused by abnormalities and eccentricties. Such abnormalities never stopped legislations which ensure plenty of good to all citizens.

The justice meant by the verse:

3 — The supporters of the plan have expatiated upon the explanation of the meaning of justice mentioned in the vers "And if you fear that you can not do justice (to so many) then one only" by saying that the plurality is only permitted when there is no fear of injustice either to the wives or to any other of his kith and kin. By so saying they put into consideration that on permitting a man to having a second wife he should satisfy the condition of ability to afford the expenses of those whom he is responsible for their sustenance whether of his origin or offspring and to rear and educate his sons whom he will bring forth from his two or three wives. Plainly this tendency is rather strange for it is supposed that he who marries a second or a third wife is doing so to defend himself against the evils which he may be exposed to during the periods when the wife looses the adaptability to sexual intercourse and to defend his country against the evils entailed in the outnumbering of women to men as a result of the Pressure of life and the wear and tear of time. Undoubtedly such satisfaction to an urgent need with a view to save himself and his country, has a priority in consideration to the ability to afford the expenses of his origins and offsprings. It has nothing to do with the possiblities of inability to nurture and educate expected children who may come or not. However on coming no one could foretell what would be their

PLURALITY OF WIVES IN THE LIGHT OF SOCIAL CASES

A Plan for the limitation of Plurality

by
His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout
Rector of Al-Azhar University

From time to time a controversy takes place concerning the plurality and its social drawbacks. Sometimes these controversies turn to be attacks implicitly waged against the permessibility of such plurality. Not only had plurality been attacked ostensibly but also motions have been raised to ask government to issue laws with a view to limit such right or even to abrogate it. The most conspicuous of such motions was that backed by the Egyptian ministry of social Affairs in 1945 when it had plamed for issuing a law to the effect of restricting plurality by giving the right of permission to the judge in sharia courts who has to examine each case minutely and to investigate the behaviour of the man who applies for a permission to remarry and to inquire into his way of life to find out whether he can treat his second wife fairly and mannerly and whether he can afford the expenses of such wife over and above the expenses of his first wife and his kith and kin.

Referring to the explanatory notes of such plan in its different stages one will come to the conclusion that all these motions were actuated mainly by one fired idea that plurality disintegrates families, corrupts the offspring, shoulders the government with heavy burdens as a result of the increase of vagrants and delinquents and severs the family ties. These notes however concluded by stating that had plurality been only weighed by its bad effect on the education of the new generation and that it leads to the neglect of such education, it would have been enough to call for issuing a law to prohibit remarriage for those who cannot afford it.

The supporters of the plan overshadowed the advantages of plurality.

This Summary shows that the supporters of the idea of limitation of plurality have overshadowed the

with carelessness, his logic with obstinacy and his peaceful conduct with provocation. Thus he forced Al-Hussein to fight a desperate battle and cut off all access to the Euphrates, hoping to reduce him by thirst and killed him together with his family in such a barbrous way which makes one shudders when recalled.

— 3 —

The memories of two great events come to mind with the advent of Al-Muharram every year. The first is the memory of the Hegira of the Prophet which is celebrated in commemoration of the liberation of the Muhammedan Call from the siege of Mecca, the upsurge of the heavenly message at Medina and the emancipation of humanity at large from the servitude of ignorance.

The second is the memory of Al-Hussein's assassination which is a great day of mourning over the filched right as well as over a unity which was split and is still so ever since.

Therefore Muslims recieve their new year of Hegira in two different ways and feelings. For some it brings with it the dilightful memory of the victory of the first Great Immigrant i-e, Muhammad and so is an occasion for festivity and rejoicing while for others it is a sad and gloomy day when they recall the martyrdom of the noble striver i. e, Al-Hnssein and thus regard it as a great day of mourning. Had our unity been comprhensive we would hav met this new year with one feeling and one heart, would have left aside this tragic calamity which seperated brethren and subdued faith and would have committed judgement between disputants, who no longer exist, to God, the Lord of resurrection to forgive or condemn. Such a stand is worthy of this monotheist nation whose leaders, whom God Almighty has chosen to renew His faith and unify His word, are on their way to realize the unity of all hearts in order to bridge the gulf between the different sects and reconcile all interests thus puting an end to disunity and starting a period of harmony and co-ordination.

However, this divergence of views and emotions had emerged from an old dispute between two of the prophet's companions; and it is not in the least wise for Muslims to-day to stick to such a dispute or behave accordirg to its sordid spirit. Providence does not create evil but gives liberty and welcomes unity as well as amity, and if we misuse such a blessing or disregard this unity we are sure to suffer but have only ourselves to blame, and it is not in the least fair that fathers should eat sour grapes and the childrens' teeth are set on edge.

Mùâwiyah; a policy that favoured tribal kinship over Arab nationalism and preferred political interests to religious matters. It was largely due to his entrusting the caliphate to his reckless son Yazid, who was obsessed by prejudice, employing rather unsound and imperfect measures.

The children of Ali, having inherited from him the prophetic and apostlic gifts which he himself inherited, by virtue of his birth and training, took up opposition with the sincerity of the true believers. They led the reformation môvement with the audacity of the warrior and followed their father's footsteps in their rule. They had neither fallen in the abyss of egoism nor tried to be seperatists. They had never employed money to attain their aims or aroused tribalism or had they ever been opportunists.

The truimphant world, however, started to ignore piety and asceticism. Hence, religious incentives had no longer the power to restrain those who had been indulging in lavish and luxury in Syria and Iraq. The sons of Ali failed therefore as a result of the tyranny of the government as well as the deception of the people. It was painful then for Al-Husssein to see that the message of his grand-father had become nothing but propaganda; the caliphate of his father a royalty and the unity of his people utter dispersion. Therefore he made a solemn pledge to settle forcibly this unjust deviation. Thus he appealed to the different tribes and clans to offer him their support, but unfortunately his appeal did not fall on favourable ground. Being disappointed he distined to seek support in another direction. Hoping that he might find such a help from the Shi'is of Iraq who had already given him their word through their messengers and messages as to pave the way for him and instigate the people to swear fealty to him. Al-Hussein thus intended to go there in person accompanied by not more than eighty of his people including his wives and children repeating to himself all the way the same words he wrote to his brother Muhammad in his bequest, : "I am not out for wealth but seeking reformation of my grand-father's people. I want to enjoin what is right and forbid what is wrong. He who accepts my plea I have nothing against him, but whosoever opposes me, I will excercise patience till God, who is the best Judge, decrees His decision between me and him."

But Yazid's army, which was entirely formed from the Iraqi people, blocked his way to Al-Kufah. Its commander; Ibn Zeyad, who had hostile feelings against Al-Aussein and his family met Al-Hussein's patience

the heavenly seeds had never grown, and a shifting from a people who kept off man from the way of God. The call of truth at Mecca was just like rain sent down by God on a sandy desert; part of which penetrated deep in the earth while the other was blocked by the solid rocks. Under the force of the great pressure it gushed forth from beneath these rocky barriers forming floods in valleys, streams in villages and rivers in towns and cities. It carried to all people fertility and abundance providing them with nourishment and prosperity. It awakened the dead earth, satisfied the peoples thirst and ensuing construction, civilization and good.

The immigration of the Messenger to Madinah meant the upsurge of Islam which pervaded the entire world offering guidance of the restless souls, peace to the belligerent universe and amity to the devided hearts. It realized the dream of man who had been victim of aggression and subject to oppression. It has realized for him the long sought dreams for a brotherhood that would emanate bliss, an equality upon which justice is erected and a freedom that nourished understanding. The "Hegira" or the era of the Hijra according to which the wise and great Caliph Omar had made the Muslim calendar, was an epic that was inspired by God, that drove its very spirit from the morals of Muhammad and whose success was based on the truthfulness of the Arabs. It has echoed in the hearings of successive generations and centuries, and stood as a striking example to be followed by the leaders of humanity, to teach them how to be patient in times of hardships, steadfast in time of dissensions, courageous in face of tribulation and martyrs in the cause of the belief.

Moreover, the Hegira was the solid ground upon which the prophet had established the unity of the Arabs which was later on consolidated after the seizure of Mecca. It is noteworthy to state that the prophet's wise successors had proccaded on the same line and consequently ascertained this unity by linking all Arabs under a democratic and free system, as well as under an impartial theocratic rule. Thus mastery was based on religious foundations not tribal interests.

— 2 —

Soon afterwords this grand structure leaked profusely when the great dissension took place and strong disputation arose over the caliphate between Ali and Muawya, or let us say between the Hashimides and the Ommeyyads. It was also due to the policy of the first Ommeyyad

were really the darkest nights in the history of the call. The swords of treachery were raised in the hands of lads who had been chosen from amongst the tribes of Kuraish and who were watching over the dwelling place of the prophet with an open eye. Ali, the prophet's cousin, was inropped in the messenger's cloak in order to impose on the men outside that he was the wanted man i.e., the messenger, and thus keep them from looking for him elsewhere. The immigrant, who ran away with his message from the subjugation of blasphemy, was taking refuge in the cave in the remote end of Mecca, strengthening himself by the remembrance of God and reassuring himself by patience telling his companion who was trembling with fear and unable to control himself: " never grieve. There is no doubt that God is by our side".

Morning came and with it the trick was exposed to the plotters who began looking for him everywhere by all means until they reached a point where they could overtake the messenger and his companion. When God whose will was that His word would prevail and His religion survive. He blinded their eyes and shook the ground under their feet. Muhammed, his companion, his guide and his servent went away within sight of the disbelievers taking the rough and deserted route until they reached Yathrib (Medina). In this sacred city the seeds of the call flourished and the light of God prevailed thanks to the exercise of patience, truthfulness, faith and manhood. The prophet united the scattering group, unified the bonds of religion and was preparing for the sacred struggle (Al-Jihad). He linked between the hearts of Al-Aws and Al-Khazrag tribes, made the immigrants and the companions brethren and held a peace treaty between the Muslims and the Jews. In Madinah God's army was formed which opened Mecca and the entire world.

The immigration of the messenger, however, was not a flight from death as it was maliciously held by the western writers. Had it been a matter of life the messenger could have given up the Call and stayed safe and secure amongst his people. But it was rather submission to God's command as the brophet had stated in his own words to his uncle : " I swear by God's name that if they put the sun in my right hand and moon in my lift hand to give up this message. I would never do so until God makes it prevail or I am willing to die in it ".

The immigration was a mere coming out from a land in whose soil

SOME MEMORIES OF AL-MUHARRAM

Immigration in the Way of God, martyrdom in the way of truth

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

God sent the messenger Muhammad after the break in the series of the prophets. This was truly the dark age of the world. Religion was corrupted; the standard of morals fell law; false beliefs and heresies arose. Poverty and ignorance were prevailing in the Arab Peninsula. The messenger, peace be upon him, was subjected to unlimited hardships through foolishness of the heathens, from the domination of materialism, from the plotting of the fanatics, from the yoke of poverty and lack of support. God only helped him to overcome such adverse circumstances. He provided him with a power of His Own and strengthened his faith as well as his morality.

Muhammad, though poor and weak, undertook the message of God, while Abou Gahl carried out the mission of the devil, meanwhile enjoying wealth and authority. Therefore he made of Makkah a seat of dissension which obstructed the way in the face of the messenger and hindered the spread of his call and the proclamation of the word of God. Muhammad was moving on land full of agitation and troubles. Whenever he went Abou Lahab met him with persecution, humiliation and ill-treatment. Every Kuraishi then was following the steps of both Abou Gahl and abou Lahab except those whom God had preserved.

The disbelievers of Mecca and Al-Taif inflicted all sorts of torture upon the prophet, his family and his companions in order to enforce him to give up the call. The prophet never gave way. So Iblis (the devil) obtained admission to their council (Dar Al-Nadua) and confirmed death to the messanger. But God Alimghty delivered him.

The nights of the cave of Thawr

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزءان الثالث والرابع — ربيع الأول وربيع الآخر سنة ١٣٨٠ هـ — المجلد الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

شهر ربيع الأول في حياة الرسول

بقلم : أحمد حسن الزيات

من الموافقات العجيبة في حياة الرسول صلوات الله عليه أن شهر ربيع الأول كان شهره من بين الأشهر ، وأن يوم الإثنين كان يومه من بين الأيام ، فيوم الإثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول كان يوم استهلاله في مكة ؛ ويوم الإثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول كان يوم هجرته إلى المدينة ؛ ويوم الإثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول كان يوم انتقاله إلى الرفيق الأعلى . ولهذه الموافقات سر يعلمه من اصطفاه على خلقه واصطنعه لحقه ، واختصه برسالته . ومن همسات هذا السر أن شهر ربيع الأول هو شهر اليمن والخصب والجمال في العام ، وأن يوم الإثنين هو يوم القمر عند القدامى وللقمر شأن مذكور في الإسلام . فهو ميقات للناس والصوم والحج ، وشعار للأمة والملة والدولة . وعلاقة الأقدار والحظوظ بالفصول والبروج والأيام لا تزال من الأسرار المغيبة في فطرة الإنسان . فلو أن شهر ربيع الأول جعل بدءا للسنة الهجرية ، وأن يوم الإثنين جعل يوما للراحة الأسبوعية ، لكان ذلك متفقا مع تاريخ

الهجرة ، وجلالة الذكرى ، ومكانة الرسول ، وقداسة الشهر .

— ١ —

فنى يوم الإثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول للسنة الثالثة والخمسين قبل الهجرة كان الفضاء الرحب الصافى بين بيت إبراهيم بالمسجد الحرام ، ودار السيدة آمنة بشعب بنى هاشم بمكة، مسبحا لأجنحة الملائكة ومسبحا لأرواح الأنبياء ، يحمدون الله ويشكرونه على أن تدارك الخليقة من جديد، باستهلال هذا العربى الوليد . وكان العالم قبل مولد محمد بن عبد الله يضطرب فى الباطل ، ويتخبط فى الضلال ، ويتبسط فى المنكر

كبهيمة عمياء قاد زمامها
أعمى على عوج الطريق الأعوج

كان يسوق هذه البهيمة من الشرق الفرس على ما هم فيه من انحلال وفساد ، ويقودها إلى الغرب الروم على ما هم عليه من إباحية وفسوق . وكان إيوان كسرى وبلاط القيصر يتنازعان الولاية على الأرض بالكفران والطغيان والقهر . فلما قام بينهما فى مكة مهد العربى اليتيم هزته يد الله فتصدع لهزته الإيوان ، وتطامن لهيبته القصر ، وهتف بالعاهلين العظيمين من جانب الغيب هاتف يقول : أليوم ينتهى تاريخ ويبتدىء تاريخ . ليس بعد اليوم ملك ولا كاهن ولا سيد . إنما العبادة لله ، والقيادة للرسول ، والسيادة للدين ، والحكومة للعرب ، والدنيا للجميع !

ثم درج يتيم الأبوين فى دروب مكة وشعابها وأوديتها يتمرس بالحياة على أسلوب قريش ، فرعى على بعض أهله ، وسعى لبعض قومه ، ثم اتجر بمال زوجه . وكانت عناية الله ترعاه فى كل طور وفى كل مرحلة . عاله وهو يتيم فقير . وكفله وهو راع صغير . ووفقه وهو تاجر أجير. ثم شاء الله لأمر يريده أن يصنعه على عينه . فأدبه بأدبه ، وعلمه من علمه ، وعصمه من أرجاس الوثنية وأوزار الجاهلية ، فلم يشرب الخمر ، ولم يأكل الربا ، ولم يلعب الميسر ، ولم يشهد اللهو ، ولم يعن وجهه لصنم ، حتى صار اليتيم العديم سيداً للجزيرة ، والراعى الصغير راعيا للعالم ، والتاجر المتجول فاتحا للأرض ، والطاهر النزيه مهيأ لتلقى الوحى وتبليغ الرسالة .

وحينئذ انفتح باب من السماء على غار حراء تنزلت منه الملائكة والروح على أهل الأرض ، وانبثقت فيه الشعاعة الأولى من وحى الله على قلب محمد : فهبط الصادق الأمين من فوق جبل النور يحمل المصباح بالهدى ، ويحمل على الشرك بالتوحيد ، ويحتمل فى سبيل الدعوة إلى الله أذى أئمة الكفر من قريش .

— ٢ —

وفى يوم الإثنين الثامن من شهر ربيع الأول للسنة الأولى من حادثة الفيل كان أذى قريش لرسول الله قد بلغ حد الائتمار به ليقتلوه. وكان صلوات الله عليه قد رأى قفار مكة المشركة قد جفت على غرس الدعوة فلم يخرج نباته إلا نكدا توشك السموم أن تأتى عليه، فهاجر به تحت عين الله إلى البلد الطيب الذى اختاره الله ليكون قاعدة لصرحه وحقلا لغرسه ومجمعا لقوته ومناراً لهداه. وهنالك بالصبر والصدق والإيمان والثبات والجهاد والخلق والرجولة، أثمر الغرس وتم النور واتحدت الكلمة واتسعت الرقعة، فصارت المدينة دنيا، والقلة ملة، والقرى الثلاث وهى مكة والطائف ويثرب قارات ثلاثا هى آسيا وأفريقا وأوربا. وأصبح الإسلام الذى بدأ بخديجة وعلى وأبى بكر وزيد دين الناس ودنيا العالم، يقف به فى آخر المغرب عقبة ابن نافع على شاطئ المحيط الأطلسى ويقول وقد خوض جواده فى الماء: «اللهم رب محمد! لولا هذا البحر لفتحت الدنيا فى سبيل إعلاء كلمتك، اللهم اشهد!». ويتجه به إلى آخر الشرق قتيبة الباهلى ويأبى إلا أن يوغل فى بلاد الصين فيقول له أحد أصحابه محذراً: «لقد أوغلت فى بلاد الترك يا قتيبة، والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر» فيجيبه قتيبة: «بثقتى بنصر الله أوغلت. وإذا انقضت المدة، لم تنفع العدة»؟ فرد عليه المشفق المحذر: «اسلك سبيلك حيث شئت، فهذا عزم لا يفله إلا الله».

* * *

كانت الهجرة المباركة حداً فاصلا من نور الله بين الإسلام والجاهلية، وبين الوحدانية والوثنية، وبين القومية والعصبية، وبين الإنسانية والحيوانية، وبين ليل مظلم طال فى الهول والويل والضلال، وصباح مسفر ضاء بالأمن والسلام والهداية.

تسنى بعدها للرسول بفضل الله أن يفطم المشركين عن الشر بالحكمة والقوة، وأن يربى المسلمين على الخير بالموعظة والقدوة. فجادل المنكرين بمنطق القرآن، وجاهد المكابرين بمنطق السيف، حتى جاء نصر الله والفتح ورأى الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربه، واطمأن على مصير دعوته وشعبه، وأخذ يسن السنن ويوضح المعالم ويبين للناس ما لو اتبعوه من بعده لما ضلوا ولا ذلوا. فلم تمض عشر سنين على الهجرة حتى كان الدين قد كمل، والنعمة قد تمت، والقرآن قد ختم، والعرب قد تهيأوا لولاية الأرض وحكم الدنيا. فحج صلوات الله عليه حجة التمام، وخطب فى عرفة خطبة الوداع، أشهد فيها الله على أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة وخرج من العهدة.

وفى ذلك اليوم نزل عليه قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » فعلم أن الله قد نعى إليه نفسه واصطفاه لجواره .

— ٣ —

وفى يوم الإثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول للسنة الحادية عشرة من الهجرة لحق بالرفيق الأعلى . وكان قد حم عليه الصلاة والسلام منذ أسبوعين قضاهما فى برحاء الحمى بين وهجها وغشيتها لا يفتر عن ذكر الله ولا يغفل عن أمر دينه . وكان أشد عليه من وجعه أن ينقطع عن المسجد وأن يؤذنه بلال بالصلاة فلا ينهض لها . وفى آخر يوم من أيام المرض وجد صلوات الله عليه خفة فى جسده فعصب رأسه وخرج من بيت عائشة متثاقلا تخط قدماه الأرض وهو معتمد على على والفضل ابنى عميه ، حتى أتى المسجد والناس يقيمون الصلاة ، فلم يكادوا يرونه مقبلا حتى أخذتهم هزة الفرح وفرّجوا صفوفهم له فخطا بينها حتى جلس إلى يسار أبى بكر وصلى قاعداً وراءه . فلما قضيت الصلاة صعد المنبر ، وكان قد علم أن مرضه الشديد قد جرأ بعض المنافقين على الانتقاض والردة فوثب الأسود باليمن ، ومسيلمة باليمامة ، وطليحة فى بنى أسد ، فقال بعد أن حمد الله واستغفر لأهل أحد : « أيها الناس : سعرت النار ، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ! ألا وإنكم لا تمسكون على شيئا . إنى والله لم أحل لكم إلا ما أحل القرآن ، ولم أحرم عليكم إلا ما حرم . ألا وإن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله » . ثم أمسك . فأدرك الصديق أن الرسول يريد نفسه فأجهش بالبكاء وفداه بالأنفس والبنين . ثم خرج من المسجد فدعا لأسامة بن زيد بالخير وأمره أن يسير بجيشه إلى غزو الروم . وارتد إلى بيته فنكس النكسة التى انخزل عنها العلاج ، وانطفأ منها السراج ، وغام بعدها الأفق ، ونجمت فى أرض السقيفة بذور الفرقة . فلم يبق بين أيدى الناس إلا كتاب الله يهتدى عليه الضال ، ويرجع اليه الشارد ، ويستقيم به الطريق .

هذا هو شهر ربيع الأول ، وهذه هى أثانينه الثلاثة ، لخصت حوادثها تاريخ الرسول ، وسجلت مواقيتها أطوار الرسالة . فكانت إطاراً للصورة القدسية التى صاغتها يد البارئ المصور لتكون جمالا للتاريخ ومثالا للإكبار . ومشكاة للمصباح الإلهى السرمدى الذى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار .

من أجل ذلك وجب الاحتفال بذكرى هذا الشهر وهذا اليوم ، ومن أجل ذلك استحب فى أيام الإثنين الصدقة والصوم .

أحمد حسن الزيات

موالاة الأعداء وموقف الإسلام منها

لإمام المسلمين الأكبر
الشيخ محمود شلتوت

إن للأمة الإسلامية شخصية قوية كونها الإسلام عن طريق محو التعصب للجنس والاعتصام بمبدأ الخير العام والرحمة الواسعة والعدل المطلق « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » وبذلك تكون الجماعة الإسلامية مهما اختلفت أجناسها ، وتباعدت أقاليمها ، وتباينت ألوانها وألسنتها ، تدور فى اتجاهاتها وأعمالها فى مدار المبدأ الثابت الذى لا يتغير ولا يزول، ولا يعتريه نقص ولا أفول، فتسرى إليها روحه فتنشط فى رفع شأنها والقيام بواجبها، تعمر ولا تخرب، وتصلح ولا تفسد، وتعدل ولا تظلم، وتعرف مالها وما عليها من حقوق وواجبات ، وبذلك تسمو الحياة ، ويسعد الناس . وفى سبيل هذا المبدأ الذى يدعو إلى الترابط على أساس من الخير أمر القرآن بالتضحية فى هذا السبيل بالنفس والمال والولد ، وجعل الأخوة الإيمانية هى الأساس ، يحس كل إنسان بإحساسِ أخيه كما تحس كل أمة بإحساس غيرها فيم السلام الأرض ، وبهذا كله تتحقق للسلين شخصية بارزة لها هيبتها ومكانها ، ولها سلطانها وآثارها ، وتتحقق بها سعادة البشرية عامة .

وصونا لهذه الشخصية أن تتعرض للضعف والانحلال حرص القرآن على تقويتها وحذر التحذير كله من الميل إلى ما يضعفها أو العمل على ما يفسدها أو يقلل من شأنها .

ولقد كان من أبرز ما حرص القرآن على التحذير منه موالاة الأعداء الذين يكفرون بهذه الشخصية التى كونها الإسلام وبناها ودعم بناءها فى رباط قوى وتماسك متين ، ويجدر بنا فى هذا المقام أن نسوق بعض الآيات التى عرضت للنهى عن موالاة الأعداء وحثت على البعد عنهم وعدم الاقتراب منهم « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر » .

وتقديراً لهذه الشخصية واحتفاظاً بها

وإحياء لهذه المعانى السامية التى تظل بها الأمة الإسلامية مرهوبة الجانب شديدة القوة نهى عن هذه الموالاة ولو لمن كانوا آباء يجب برهم أو إخوة تلزم صلتهم ومودتهم فقال: «يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان». «لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم».

ولكن الأهواء الذاتية والمصالح الفردية قد تسد على بعض الأشخاص طرق الهدى فتعميهم عن مواطن القوة والإيمان وتصم آذانهم عن دعوة الخير، وذلك حين يتخلون عن الاعتصام بالله واتباع هداه، فإن الاعتصام بالله دائما طريق الخير وسبيل الفلاح. فإذا ما طغت المصالح الفردية وسيطر الهوى على بعض النفوس ألقوا بأنفسهم بين أحضان الأعداء مسارعين إلى ما يرجون من تحقيق نفع خاص، وبذا يتعاونون معهم على حساب دينهم وأمتهم. «فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين».

إن من أشد الناس عداوة لنا اليوم فى مصطرع الحياة ومعتركها وفى ترابط المسلمين وقوتهم، وفى وحدة العروبة وتماسكها، هذه الشرذمة الطاغية الباغية التى طالما عاثت فسادا فى الأرض وتنكرت للمبادئ وهدمت القيم.

هؤلاء هم الذين أبوا الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم الذين أوجدوا الطائفة الثالثة بين المسلمين والكفار فكانت عبئا ثقيلا فى المجتمع، هم نقضوا عهودهم مع الرسول وكفروا بالحسنى وحرفوا الكلم عن مواضعه، ومالأوا الأعداء وتحزبوا معهم إطفاء لنور الله وخانوا الرسول، وهموا بقتله، ودسوا له السم فى الطعام فنبأه الله بنياتهم وعصمه من شرهم وسلطه عليهم فشردوا بما كسبت أيديهم وبما كانوا يفسقون. «إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون. الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون. فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون». وكم من شر أصاب المسلمين على أيديهم. وما غزوة الأحزاب التى زلزل فيها المسلمون إلا أثر من تفكيرهم وسوء تدبيرهم.

وهكذا فعل بهم الرسول صلى الله عليه وسلم،

فشردهم وأدبهم ثم خلفه أصحابه فتعقبوهم وأغمدوا سيوف الحق فى رقابهم لأنهم عوامل شر ومثيرو فتن ومجامع أحقاد وأضغان ، فلابد من كبتهم وقتل هذه النزعات الشريرة فيهم ؛ ليستقيم أمر الجماعة الإنسانية ويصلح شأنها ويسودها الأمن والاستقرار والسلام الذى تنشده الحكمة للبشرية جمعاء ، وإن يهود اليوم لأسوأ حالا من أسلافهم ، عادوا إلى أخلاقهم فتحركت كوامن الضغن فيهم فهم يحاربون الله ورسوله ويفسدون فى الأرض ، وإنهم ليجدون فى فترات متعاقبة من قوى البغى وعوامل الشر وسواعد الفساد ما يغريهم بقوى الحق والإيمان ، ولكن الله وهو الغيور على عباده وضعهم من حيث لا يشعرون بين شق الرحى ، بين عوامل التهلكة من جانب ، وبين وحدتنا وتماسكنا وإيماننا بحقنا فى الحياة الكريمة من جانب آخر. إن القرآن الكريم ليسجل أن اليهود أشد الناس عداوة للمؤمنين ويجعل عدوانهم للمؤمنين فى مستوى عداوة المشركين الذين لا يعترفون بالخالق ولا يؤمنون به ، اقرأ قوله تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

ولقد اغتصب اليهود جزءاً من الوطن الإسلامى العربى عزيزاً علينا ، أخرجوا منه أهله وسلبوا أموالهم وشردوهم فى الصحراء فأصبحوا بلا مأوى ، أيموا النساء ، ويتموا الأطفال ، فأضاعوا حياة الملايين وحرموهم متعة الحياة ، والغصب فى طبيعته عمل مذموم حرمته الشرائع السماوية ورفضته القوانين الوضعية ، فلا عجب أن يكون حكم الله فى موالاة هذه الشرذمة أو الاعتراف بها كدولة تقيم فى أراضينا المقدسة مهبط الوحى ، وموقع المسجد الأقصى ومصلى الأنبياء. لا عجب أن يكون حكم الله فى مثل هذا العمل أنه لا يتفق وإيمان من يقدم عليه أو يقوم به ، وهو من أقوى أنواع الموالاة التى جاء القرآن بالنهى عنها وتحريمها والبعد عنها ضمانا لسلامة الأمة وحرصا على كيانها . إن المسلمين أمة واحدة تجتمع على رأى واحد وهدف واحد وغاية سامية واحدة ، وذلك مصدر قوتها فى كل حين تقوى فيه ويعلو شأنها ويتألق نجمها « ويد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذ إلى النار » فلئن حاول إنسان أن يمد يده لفئة باغية يضعها الاستعمار لتكون جسراً له يعبر عليه إلى غاياته ويلج منه إلى أهدافه ، لو حاول إنسان ذلك لكان عمله هو الخروج على الدين بعينه والنكوص الممقوت:

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من

دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء » ، ويقول تعالى : « بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا » .

هذا هو ديننا يضع الخطط أمامنا واضحة والمعالم ظاهرة والصراط مستقيما ونحن اليوم نبتلى ونختبر فهل نحن مضيعون هذه الخطط وتلك المعالم ؟

إن خصوم المسلمين اليوم هم خصوم دينهم ، حفدة اليهود الخائنين أخلاقهم من أخلاقهم ، كيد وإفساد . وقد ابتلانا الله بهم فخذوا حذركم منهم ولا تمدوا أيديكم لهم « ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين » .

إن إسرائيل لا تقف أطماعها عند حد ، تمتد خططهم المدبرة فيما بينهم وبين الممالئين لهم إلى امتلاك البلاد العربية الإسلامية ؛ ولذا كان واجب المسلمين والعرب أن تجتمع كلمتهم لدرأ هذا الخطر ، وأن يبتعدوا عن كل ما يقوى هذه العصبة الطاغية سواء أكان عن طريق الاعتراف بها أم المعونة الفكرية أو المساعدة المالية ، أو ترويج سلعهم بيعا وشراء ، فإن ذلك كله موالاة لهم تثبت أقدامهم ، وذلك كله خطر يهدر فى حكم الشرع والدين دم القائمين به ويجعلهم فى حكم الخارجين على الجماعة الإسلامية .

إننا اليوم فى حاجة إلى طرد هؤلاء الغاصبين وعودة أصحاب الأرض إليها فكونوا يدا واحدة ولا تتثاقلوا فإن التثاقل عن رد عدوانهم أو مد يد المعونة العملية فى كبح جماحهم موالاة للأعداء .

أيها المؤمنون : « قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » هدانا الله ووجهنا إلى الخير وحفظ أمتنا من دعاة الفرقة وموالاة الأعداء ، « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ، « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » .

محمود شلتوت

خاتم الأنبياء

للأستاذ عباس محمود العقاد

محمد رسول الله وخاتم النبيين .

عقيدة يصدقها المسلم تصديقه بعقائد الدين ، ولكنه يفهمها كذلك فهم المرء للحقائق العلمية والقضايا المنطقية ، لأنه إذا فهم النبوة بصفاتها المقررة فى الإسلام علم أنها نبوة تختتم بها النبوات وتتفتح بها فى التاريخ الإنسانى رسالة الرشد والضمير والإلهام .

إن ختام النبوات خاصة محمدية . ولكنها خاصة لا يستأثر بها محمد عليه السلام لنفسه . لأن الخاصة التى يقتضيها تاريخ الأمم جميعا تعم كل مؤمن بالدين وكل مجيب للدعوة ولا تخص صاحب الدعوة فى حياته ولا بعد مماته .

وقد يفهم المسلم ذلك بغير مشقة ، ولكنه على وضوحه للمؤمنين بالرسالة المحمدية يساق عند غيرهم من المتدينين ومنكرى الأديان مساق الغرابة ، ويسىء بعضهم فهمه ، كما يسىء أدبه ، فيزعم أنها أثرة لصاحب الدعوة يغلق بها أبواب النبوة على سواه كما يغلق صاحب السطوة أبواب الملك على من يليه من غير أهله أو من يصطفيه .

ولا حاجة فى هذا المقام إلى مناقشة المنكرين فى أمر الإيمان بختام النبوة دون غيره من أمور النبوات الدينية على تعددها واختلافها ، فإنهم يبدءون بإنكار كل نبوة فاتحة قبل أن ينكروها خاتمة ، ولا يقولون بضرورة النبوة ولا بنفعها فى زمن من الأزمان ، فلا فرق عندهم بين الزمن الذى يستجاب فيه للأنبياء والزمن الذى لا يستجابون فيه ، وكلاهما عندهم زمن يستمع فيه لشىء لا يجوز الإصغاء إليه .

لكن المتدينين الذين يستغربون ختام النبوة إنما يستغربون فى الواقع أمراً ينساق إليه المصدقون بالنبوات سواء فطنوا إليه عن فهم وروية أو أخذوه مأخذ العادة التى لا تحتاج من معتادها إلى تعليل . فقد آمن بختام النبوة كل من آمنوا بنبوات التوارة ، وقد ختم بعض هؤلاء دعوات الدين جميعا بما دانت به سلالة واحدة لا يوحى الله إلى غيرها ولم يوح إلى أحد من قبلها فيما اعتقدوه ويعتقدونه حتى اليوم .

وليس إيمان المسلم بخاتم النبيين على نحو من هذه الغرابة فى التصديق ولا فى التفكير . لأن النبوة التى ختمت النبوات فى عقيدة المسلم هى الدعوة التى تدوم مدى الزمن ، لأنها تكل العقيدة إلى العقل وتقيم العقيدة على الإيمان برب واحد هو رب العالمين .

كانت الأمم - قبل البعثة المحمدية - تفهم أن النبوة استطلاع للغيب وكشف للأسرار والمخبآت ، يستعينون بها على رد الضائع وإعادة المسروق أو الدلالة عليه ، ويستخبرونها عن طوالع الخير والشر ومقادير السعود والنحوس .

وكان من تلك الأمم من يحسب أن النبوة وساطة بين المعبود وعباده للتشفع وتسليم القرابين .

وكانوا يطلبون وساطة الأنبياء دفعا للنوازل التى يستحقونها أو تنزل بهم لأنها قضاء مبرم يتوقعه الصالحون العارفون ويسألون المعبود فى رفعه قبل نزوله .

فجاءت نبوة الإسلام بجديد باق لم تسبق له سابقة فى الدعوات الدينية ، ولا حاجة بعده إلى جديد ولا استطاعة فيه للتجديد ، لأنه يخاطب فى الإنسان صفته الباقية وخاصته الملازمة ، وهى خاصة النفس الناطقة بين الأحياء ، وخاصة الضمير المسئول الذى يحمل تبعته ولا تغنيه عنها شفاعة ولا كفارة من سواه .

إنها نبوة فهم وهداية وليست نبوة استطلاع وتنجيم ، وإنها نبوة هداية بالتأمل والنظر والتفكير وليست نبوة خوارق وأهوال تروع البصر والبصيرة وتروع الضمائر بالخوف والرهبة حيث يعييها قبول الإقناع .

إنها نبوة مبشرة منذرة لا تملك لهم نفعا ولا ضرا ولا تعمل لهم عملا غير ما يعملونه لأنفسهم - بمشيئتهم إذا اهتدوا بهداية العقل المتدبر - والضمير السليم : « قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » .

نعم . ولا إغراء ولا مساومة على قربان أو جزاء بين الأخذ والعطاء : « قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى . قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون » .

وقد جاءت سمعة المعجزة ميسرة لصاحب هذه النبوة يوم مات ابنه ابراهيم وكسفت

الشمس فظن الناس أنها كسفت لموته وأبى النبي الصادق أن يسكت عليها فتكلم ليعلمهم (أن الشمس والقمر آيتان ... لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته) .

وخليق بذوى العقل ، وأولى الألباب ، أن يصدقوا هذا النبي حين يقول لهم : إن المعجزة لا تنفع من لا ينتفع بعقله وضميره « ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ، لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » .

فإذا جاء النبي بهذه الرسالة التي تكل الإنسان إلى « خاصة إنسانية » لا تفارقه وتعطيه البينة من شهوده فيما يراه حوله ولا يغيب عن حسه وفكره ، فأين تنتهى هذه الرسالة ؟ وماذا تعمل الرسالة التي تأتى بعدها لتنسخها وتخلفها ؟ . . . إنها لا تعمل إلا أن تنسخ العقل أو تعود به كرة أخرى إلى القرون الأولى ، وليست هذه ولا تلك بدعوة يحتاج إليها إنسان من الراشدين بعد أن وكل إلى هداه ، فمن لم يكن من الراشدين فحاجته إلى المعلم الذى يدله على ما فاته من هداية النبوة ألزم من حاجته إلى نبي جديد معيد لما تقدمه ، كأنه يسقط واجب التعليم .

ولقد تقدمت نبوة الإسلام دعوات كثيرة من أكبر الدعوات شأنا فى تاريخ العقيدة ، ولكنك لو عرضتها على مؤرخ ينظر فى أدوار التاريخ - كائنا ما كان معتقده فى الدين - لم يستطع أن يختم دور النبوة فى تاريخ الإنسانية بدعوة من تلك الدعوات على جلالة شأنها وبعد أثرها فى العصور اللاحقة بعصرها ؛ لأنها جميعا قد بدأت وانتهت قبل أن توجد فى أذهان الناس فكرة الإنسانية العامة وفكرة الإنسان المسئول المحاسب على أمانة العقل والضمير .

فنبوات بنى إسرائيل لم تزل مقصورة على سلالة بشرية واحدة تنعزل بحاضرها ووعود مستقبلها عن سائر الأمم . وعيسى عليه السلام قد نقل الرسالة نقلة واسعة حين أدخل أبناء إبراهيم بالروح فى عداد أبنائه بالجسد ولكنه أدى رسالته وبقى الإنسان بعده محتاجا أشد الحاجة إلى رسالة تخلصه من الاعتماد على غيره فى النجاة من أوزاره والتكفير عن سيئاته والنهوض بتبعات صلاحه وتربية روحه ، ولن تفرغ أمانة النبوة فى تاريخ الإنسانية قبل أن توجد للإنسانية فكرة عامة فى نفوس أبنائها ، ولن تختتم النبوات قبل أن يوجد الإنسان الذى يخاطب بخطاب العقل ويحاسب بحسابه ويحمل تبعاته على عاتقه ويشترك على سواء بينه وبين إخوته من البشر فى عبادة إله واحد هو رب العالمين أجمعين ، وليس بالرب الذى

يخلق نعمته لسلالة واحدة من خلقه أو لعشيرة واحدة يدركها الخلاص بفضل لم تفضله . وحساب لم تضعه فى موازينها بعمل يمينها .

فلما جاءت نبوة الإسلام صح فى حكم العقل أن تختم بها النبوة لأنها حاضرة فى كل وقت يحضره الإنسان العاقل المسئول وتحضره آيات الله لقوم يعقلون : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » .

ونقول : إن ختام النبوة - بعد الدعوة المحمدية - قد صح فى حكم العقل . ولنا أن نقول كذلك : إنه قد صح فى حكم الواقع والتاريخ ، فإن العالم الإنسانى الذى تعاقبت فيه النبوات قبل محمد صلوات الله عليه لم تظهر فيه نبوة مسموعة بعده ، ولم يظهر فيه غير أدعياء النبوة الذين ذهبوا ولم يستمع إليهم أحد فى حياتهم أو بعد مماتهم ، ولم يظهر فيه من أولئك الأدعياء أنفسهم من يستند إلى رسالته لا يحيلها إلى النبوة الإسلامية بقواعدها وأركانها .

° ° °

إن اختتام محمد للنبوات عقيدة يصدقها المسلم بوحى إيمانه ، ولكنها كذلك حقيقة علمية يفهمها بفكره ويشهد دلائلها فى العصور الغابرة كما يشهدها فى عصره مؤتمراً بأوامر دينه .

وإنه ليطيب للكثيرين من أبناء العصر الحاضر الفخورين بعلومهم ومخترعاتهم أن يهتفوا قائلين : (نحن فى عصر العلم . . نحن فى عصر العقل . . نحن فى عصر الحقائق الواقعة . . نحن فى عصر آيات الطبيعة) .

فليهتفوا بذلك ما طاب لهم أن يهتفوا ، وليذكروه ويعيدوه تحديا لما شاءوا من النبوات إلا النبوة التى ختمت جميع النبوات . لأنها هى قالت للناس قبل أربعة عشر قرنا ما يقولونه الآن ، وهى أوحت إليهم أنهم يعيشون بعد اليوم بهداية بصائرهم ، وما يبصرونه من آيات تلك الهداية فى مشاهد الطبيعة ، وأسرار الخلق ، وبراهين العيان .

وكل أعجوبة من أعاجيب العلم فهى جزء من معجزات هذا الدين ، الذى جاء به خاتم النبيين : « وأبصر فسوف يبصرون » .

عباس محمود العقاد

موقف الإسلام من التطوّر الاجتماعي وفقًا لمقتضيات العصر

للأستاذ الدكتور محمد البهي

لكي يتضح الكلام فى هذا الموضوع يجب أن يشرح أولا : معنى التطور الاجتماعى ، ويشرح ثانيا : مقتضيات العصر .

معنى التطور الاجتماعى :

والتطور الاجتماعى هو تطور علاقات الأفراد بعضهم ببعض ، بحيث يكون الجانب الاجتماعى ، أو بحيث تكون النظرة إلى رعاية الفرد للفرد لا تقل عن رعاية الفرد لنفسه . التطور الاجتماعى هو نمو علاقات الأفراد فى دائرة المشاركة الوجدانية، والتعاون فى سبيل العمل المثمر والخير العام للجميع ، بدلا من استمرار « الفردية » وتحكم الأنانية التى توحى بها طفولة الفرد ، وطفولة المجتمع .

ولكى ندرك معنى التطور الاجتماعى إدراكا لا لبس فيه نعود إلى الجماعات البدائية ، التى لم تع بعد العلاقات المشتركة ، ولم تقر بعد بالوجود المشترك بين الأفــــراد ، ولم تقر كذلك بالهدف المشترك الذى يصح أن يجتمع عليه فريق من النــاس ، وجملة من الأفراد ، ويقيمون بسبب ذلك « مجتمعا » بينهم يسعون جميعا لتحقيق هدفه ، والتعاون جميعا فى سبيل بقائه .

إن الإنسان البـدائى لا يكون مع إنسان آخر بدائى مثله « مجتمعا » ، وإنما يتكون منه ومن نظيره « مجموع » تخضع العلاقات بين الأفراد فيه للأنانية ، ولغريزة حب البقاء ، والدفاع عن النفس دون سواهما من الغرائز الاجتماعية الـكامنة فى الإنسان والتى لم تبرز بعد بتأثير التوجيه والإيقـاظ . ومن ثم لا تعرف هذه العلاقات السلم إلا عند مواجهة ضعيف لقوى بين الأفراد ، أما قاعدة التعامل فهى الاحتكاك عند السعى نحو ما يسد حاجة البطن أو ينفس عن شهوة الفرج . ليست هنـاك علاقات فى واقع الأمر بين أفراد المجموع إلا بمقدار ما يقع بينهم من احتكاك واصطدام من أجل تحقيق ما أشرنا إليه من هدف : ليست هنـاك علاقات أسرية . أى ليست هناك علاقات أبوة وبنوة وأمومة ، وأخوة ... إلى بقية أنواع القربى فى الأسرة، التى تقوم على الدم المشترك ، والوراثة العقلية والمادية ، والوضع الذى لهذه الأسرة . نعم

ينسل الأفراد بصلة الذكر بالأنثى بحكم التفاعل الطبيعى بين الموجب والقابل . ولكن قلما يوجد الشعور بنوع القرابة الأسرية . على معنى أنه قد توجد هناك رعاية من أب لابنه، أو رعاية من ذكر لأنثى أنتج منها ولداً . وعلى معنى أنه قلما يوجد هدف هو المحافظة على الأسرة ، بالسعى فى توفير العيش لها ، وبالدفاع عن أفرادها ، إن احتاج الأمر إلى الدفاع عنها، وصيانتها من الإبادة أو الإفناء . بل كثيراً ما يصطدم الذكر الأب بالأنثى الأم ، أو يصطدم الأب بابنه ، والأخ بأخيه فى سبيل الحصول على لقمة العيش . وكثيراً لا يعرف الذكر عند الاجتماع بالأنثى حرمة لأمه ، ولا لأخته ، ولا للأخريات اللواتى لا يقر « المجتمع » نكاحهن من أفراد معينين لأنهن محارم لهم . ولهذا ليس هناك حد لتعدد الزوجات . وليس هناك إطار للحل والحرمة فى التزاوج . بل ربما لا يوجد رقم معروف يحدد الأفراد الذين ينتمون إلى نسل رجل واحد فى علاقته بعدد من الإناث .

فإذا ما ابتدأ الأفراد يحددون علاقاتهم بعضهم ببعض . ويدركون الإطار الذى تدور فيه هذه العلاقات - هنا يبتدئ قيام « المجتمع » ، وكلما تحددت علاقات الأفراد بعضهم ببعض ، وكلما وضح الإطار الذى تدور فيه هذه العلاقات ، وبالتالى وضحت الأهداف والغايات التى يسعى إليها هؤلاء الأفراد - كلما برز المجتمع ، وكلما وضحت الأمارات مع وجوده القوى .

فإذا أدرك أفراد الأسرة فعلا علاقات بعضهم ببعض ، وارتبطوا فيما بينهم على أساس من التعاون والرعاية المتبادلة عند الأزمات التى تجد بينهم ، أو تطرأ عليهم من غريب عنهم ، وعرفوا حدود ما يجب أن يفعل ، وما يجب أن يترك فى سبيل هذا التعاون وفى سبيل تلك الرعاية ، ووقفوا على أن لهم جميعا هدفا واحدا هو أن تبقى أسرتهم ، وتبقى قوية عزيزة ، فى مواجهة غيرها من الأسر - هنا يكون الوعى الاجتماعى قد تيقظ بين أفراد هذه الأسرة وأخذ طريقه نحو غايته ، ينتقل من مرحلة إلى مرحلة أقوى منها ، حتى يصل الأمر بينهم إلى تكتل أو وحدة .

وإذا ما تجاوبت أسرة مع أسرة فى العلاقات ، وارتبطت معها فى الهدف - هنا يكون المجتمع الكبير قد تأسس . فإذا ما اتسع نطاق العلاقات المشتركة ، والترابط إلى عدد من الأسر ، أو إلى كثير من الأفراد - عندئذ يكون المجتمع الإنسانى قد قطع جملة من المراحل فى سبيل وجوده ، وفى سبيل بقائه أيضا .

وهكذا : النمو الاجتماعى يسير فى اتجاهين: بينما يتجه نحو الامتداد والاتساع ، يتجه أيضا نحو العمق والغور . أى فى الوقت

الذى يسعى فيه إلى جمع أفراد كثيرين، يسعى أيضا إلى تعميق العلاقات بين هؤلاء الأفراد، وتقوية الروابط الإنسانية المشتركة بينهم. وعمق العلاقات بين الأفراد، وقوة الترابط الإنسانى بينهم يبدو أولا: فى التعاون المثمر؛ وثانيا: فى المحبة والأخوة. وبعبارة أخرى يبدو هذا وذاك فى تحقيق أهداف الإنسانية وهى التحرر من السيطرة الحيوانية، وسيطرة الغرائز، وسيطرة الطفولة، على العلاقات بين الأفراد.

مقتضيات العصر:

وإذا كان التطور الاجتماعى هو التحرر من سيطرة الحيوانية، والغرائز والطفولة البشرية، أى التحرر من سيطرة الفردية والأنانية ـ فمقتضيات العصر إن كانت دافعة على هذا التحرر تكون من عوامله ويكون التطور عندئذ أخذ طريقه الطبيعى نحو غايته الأخيرة، وهى الإنسانية فيما تتميز به من محبة، وتعاطف، وتواد بين أفرادها.

وبذلك تحدد مقتضيات العصر تبعا لتحديد معنى التطور الاجتماعى نفسه، وليس تبعا لما يوضع من رغبات، ويوجه المجتمع نحوها بعض الكتاب والمفكرين.

فالطائفية، والحزبية، والمذهبية، والعصبية، والقبلية، لا تعد من مقتضيات العصر.

وتحرير المرأة، على معنى تمكينها من أداء وظيفتها فى الأسرة كأم، وفى المجتمع كعضو يقع عليه عبء تمليه طبيعته كأنثى ـ من مقتضيات العصر.

والدعوة إلى تعاون الزوجين، وإلى منع التعسف، والتحكم من القوى ضد الضعيف، وإلى البر، والتهذيب فى معاملة كل منهما للآخر من مقتضيات العصر.

والدعوة إلى عدم إساءة استعمال الحق، فى الجوار والمعاملة ـ وبالأخص بين الزوجين ـ من مقتضيات العصر.

لكن الدعوة إلى تحرير المرأة، على معنى أن تكون رجلا آخر فى صورة امرأة، فذلك ليس من مقتضيات العصر؛ لأنه ضد طبيعة المرأة نفسها، وضد التطور الاجتماعى ذاته. إذ التآلف، والتواد، والمحبة بين الأفراد، التى هى نهاية التطور الاجتماعى، لا تتحقق إلا إذا وقع انسجام بين الأفراد وتحول فيما بعد هذا الانسجام إلى تآلف، وتواد، وتحاب. والانسجام لا يكون بين متشابهين تماما. بل كلما كانت هناك مفارقة بين الطرفين، وكلما كان هناك خروج عن التشابه التام بينهما ـ كان ذلك أدعى إلى الانسجام بينهما. إذ عندئذ تكون حاجة كل منهما إلى الآخر أمراً واضحا، وبذلك يكون «التعويض»، والتعويض مبدأ دورى

فى الحياة ، لأنه يتجاوب مع مبدأ آخر هو أصل الحياة نفسها وهو « الثنائية » : الفاعل والقابل . والموجب والسالب . فلولا هذه الثنائية ، ولولا هذا التقابل بين القابل والفاعل ، والموجب والسالب لما اجتمع أمران . ولما وقع انسجام فى الحياة إطلاقا.

إن « التشابه » التام بين شيئين سبب من أسباب الاحتكاك والاصطدام ، وليس سببا من أسباب الالتقاء والانسجام . إذ عندئذ كلاهما لا يشعر بحاجة إلى الآخر ، أو كلاهما لا يرى أن به فراغا يسده الطرف الآخر . فتساوى الرجل والمرأة فى الإرادة أوعدم الإرادة مدعاة إلى الفرقة بينهما وليس إلى اللقاء والانسجام ، رغم أن هناك مفارقة أخرى بينهما هى الذكورة والأنوثة . والتشابه فى الصفات الجسمية وفى تكوين البدن ، وفى ملامح الوجه بين الرجل والمرأة . سبب من أسباب الفرقة ، وإن كانت هناك مفارقة أخرى هى الذكورة والأنوثة ، فالمرأة تريد رجلا. أى تريد إنساناً مقابلا لها فى الخصائص النفسية والبدنية . والرجل يريد امرأة ، أى يريد إنسانا مقابلا له فى الخصائص النفسية والبدنية . عندئذ يكون اللقاء بينهما أمرا طبيعيا ، ويكون الانسجام بينهما ظاهرة اللقاء الأول. أى رجل يريد امرأة تكون لها عضلات الرجل ؟ وأى رجل يريد امرأة تتجرد عن عاطفة الأنوثة، وتكون لها الإرادة الصلبة التى للرجل ، ذلك الإنسان الذى مارس الحياة ، وارتاد صعابها وأزماتها ؟ وأية امرأة تريد رجلا له التكوين الرقيق الذى للأنثى فى عضلاتها ؟ وأية امرأة تريد رجلا تسيطر عليه العاطفة فيكون مترددا فى قوله وفى تصرفاته؟ يميل حسبما تتجه به الريح ، وحسبما يكون التأثير عليه .

وهنا تكون « الرياسة » أو « القيادة » فى المجتمع أمرا طبيعياً يقوم على طبيعة هذا المبدأ الضرورى . على معنى أن يكون هناك راع ، وتكون هناك رعية ، وأن يكون هناك قائد أو رئيس ، ويكون هناك من يتوجهون بتوجيهه ، ويتبعون قيادته . ولو فرض أن الأفراد جميعا أرودا أن يكونوا رؤساء لما كان إلا احتكاك بينهم . ولو فرض أنهم جميعا مرءوسون بدون رئيس لما كان هناك مجتمع، ولما كان هناك سبب يحملهم على الانقياد فى اتجاه واحد ، وغاية واحدة . وعندئذ يكون الاحتكاك والاصطدام السائد على العلاقات بينهم إن كانت هناك علاقات .

وهنا ندرك : لماذا يعبد الله ؟ ولماذا يجب على الناس جميعا أن يخضعوا لقيادة موجه واحد ، هو الله سبحانه وتعالى :

إن عبادة الله يفرضها هذا المبدأ الطبيعى للوجود . وهو مبدأ « التقابل » الذى هو

أصل الانسجام فى الحياة ، ومطلوب الإنسان فى حياته أن يكون منسجما مع نفسه ومع من عداه فى وجوده الخاص والعام :

والتطور الصناعى فى وقتنا المعاصر إذا كان فى خدمة الإنسانية فهو فى خدمة التطور الاجتماعى، وعندئذ يكون من مقتضيات العصر.

ومعنى كونه فى خدمة الإنسانية أن يبقى الإنسان ذا سيادة ، وألا تكون الآلة هى السيد . معنى ذلك أن يستخدم الإنسان الآلة فى رفع مستوى معيشته ، وفى وضعه الاجتماعى وفى تخفيف المرض ، وفى إزالة الجهل والأمية وفى التنوير والتبصير بالحياة والكشف عنها لا أن يكون عبدا ذليلا لها تفرض عليه الرق والعبودية ، ويكون مسخرا لها . إذ عندئذ تصبح مصدرا للقلق والاضطراب ، وبذلك تكون معوقا له عن أن يصل إلى الهدف الأخير للتطور الاجتماعى ، وهو التعاون ، والتواد ، والتحاب بين الناس جميعا .

الإسلام وموقفه من التطور الاجتماعى وفقا لمقتضيات العصر :

الإسلام هو رسالة السماء إلى البشر على هذه الأرض ، هو رسالة الله للناس جميعا ، لا فرق بين عربى وأعجمى ، أى لا فرق بين فرد وآخر ، جاء ليهدى البشرية إلى الطريق الذى يصل بها إلى تحقيق معنى الإنسانية فى حياة الإنسان

فإذا كان معنى الإنسانية الأخير — كما شرحنا — هو لقاء الإنسان بالإنسان ، ومودة الإنسان للإنسان ، وأخوة الإنسان للإنسان ، وتعاون الإنسان مع الإنسان ، ومحبة الإنسان للإنسان — فالإسلام جاء ليوقظ فى الإنسان هذه المعانى وينميها فيه ، ويحثه على رعايتها وعلى أن يتمثلها فى سلوكه وتصرفاته .

الإسلام جاء ليدفع الإنسان إلى الخروج من الطفولة البشرية إلى الرشد الإنسانى ، أى أنه جاء لتطوير المعنى الإنسانى فى الإنسان جاء لتطوير المعنى الاجتماعى فى الإنسان ، فليس المعنى الإنسانى إلا ذلك الترابط الاجتماعى . وإلا تلك العلاقات بين الأفراد التى تؤسس على التعاون ، وعلى شتى أنواع الرعاية بينهم . وقد رأينا أن معنى البدائية هو التفكك فى العلاقات بين الأفراد ، أو هو سيطرة الأنانية « والفردية » أو بعبارة أخرى سيطرة الحيوانية والغرائز ، دون ما يتميز به الإنسان من خصائص وينفرد به عن بقية الكائنات الأخرى الحية التى لها الحركة والتى لها السعى فى سبيل حب البقاء .

الإسلام جاء لحث على التعاون فقال . « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » حث على البر فقال : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق

والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » . حث على الإحسان فى المعاشرة فقال : « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها » . وعلى الأخص بين الزوجين فقال . « فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » حث على العدل فقال : « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا » حث على رعاية البشرية وصيانتها من الظلم والعسف فقال : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

كل هذا وغيره مما حث عليه الإسلام هو دفع لنمو العلاقات الاجتماعية ، والتطور الاجتماعى . ورسالة الإسلام تكاد تنحصر فى أمرين : ضغط الأنانية وكبت الفردية من جهة ، وإيقاظ المشاركة الوجدانية وتنمية العلاقات الاجتماعية من جهة أخرى . رسالة الإسلام هى إبعاد الطفولة الإنسانية عن تصرفات الإنسان ، وإحلال الرشد الإنسانى محل هذه الطفولة ليبقى الإنسان متميزا ، ولتبقى له الكرامة والسيادة .

فالإسلام إذ يقول : « ولقد كرمنا بنى آدم » . لا يقصد بتكريمهم إلا أنه ميزهم عن غيرهم بالخصائص الإنسانية . والله إذ أرسل الرسل برسالته لم يقصد إلا أن يمكنهم من الطريق الذى يهديهم إلى تحقيق هذه الخصائص فى سلوكهم وتصرفاتهم .

وبهذا إذا فهم التطور الاجتماعى على نحو ما شرحنا ، وفهمت مقتضيات العصر فى ظل التطور الاجتماعى - كان الإسلام مصدر دفع لهذا التطور ، مصدر تقدير لهذه المقتضيات التى من شأنها أن تدفع إلى هذا التطور .

أما إذا أريد بالتطور الاجتماعى مذهب سياسى خاص ، أو مذهب سياسى معين فالإسلام نظام مستقل يتلاءم مع ما يتفق معه فى الهدف والخطة، ويتنافر مع ما يختلف معه فى هذا وتلك .

وإذا أريد بمقتضيات العصر ضروب خاصة من التصرفات فى المجتمعات القائمة - فقبل أن يحدد موقف الإسلام : سلبا أو إيجابا منها ، يجب توضيحها أولا .

والإسلام على كل حال ليس إلا ذلك النور الذى يهدى إلى الصراط المستقيم . وليس الصراط المستقيم إلا ذلك الطريق الموصل إلى غاية الإنسانية . وهى التواد ، والتعاون، والتآخى ، والمحبة ؟

الدكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

مقومات الروحية أمام المادية العالمية

للأستاذ محمد محمد المدنى

— ١ —

إن مقوماتنا الروحية ومقوماتنا المادية ، كلاهما متماسك مع الآخر ، متعاون معه ، غير منفك عنه .

وهما بهذا التماسك وهذا التعاون ، يسايران وضعا فطريا طبيعيا فى الإنسان وفى الحياة التى يجب أن يحياها ، ليؤدى الرسالة التى من أجلها خلق ، ومن أجلها جعل خليفة فى الأرض .

وهذه ميزة نمتاز بها عن كل الذين يفصلون بين المادية والروحية ، فيجعلون ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله . إننا نجعل المادة والروح كليهما لله ، وفلسفتنا فى الحياة قائمة على ذلك .

فالإنسان من حيث الخلق مادة وروح : مادة عناصرها الجسم بجميع أعضائه وأجهزته تحتاج إلى روافد مادية تغذيها وتنميها ، وتعينها على العمل والبقاء المقدر لها ، وروح عناصرها النفس والعقل والشعور . تحتاج إلى معان . تكون روافد لها أيضا ، تغذيها وتنميها وترضيها .

فليست حاجة الإنسان إلى المعانى التى ترضى جانبه الروحى ، بأقل من حاجته إلى المواد التى ترضى جانبه الجسمى .

والحياة لا يستقيم أمرها بالمادة وحدها ، ولا بالروح وحدها ، ولذلك لم يستخلف الله فى الأرض ملائكة « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » أو - بعبارة أخرى - لم يستخلف هذا الخلق الروحانى الصرف ، كما لم يستخلف خلقا ماديا صرفا ، وإنما استخلف هذا الصنف من المخلوقات وهو آدم ونسله ، بعد أن هيأهم على نحو ثنائى ، أو طبيعة مزدوجة من المادة والروح .

° ° °

وقد اشتهر بين الناس : أن المسيحية تجنح إلى الروحية ، وأن اليهودية تجنح إلى المادية ، أما الإسلام فيجمع بينهما

فإن كان المراد بهذا : أن الأديان نفسها تختلف فى سياستها نحو الإنسان ، فلست أعتقد أن هذا صواب ، فإن الدين واحد ، والديان واحد ، وهو الذى خلق الإنسان ، وخلق الحياة ، وشرع للإنسان ما يتفق وطبيعته ، وما تستقيم معه شئون الحياة .

ولكن ينبغى أن يصحح هذا القول فيقال :

إن المسيحيين هم الذين تصوروا المسيحية هكذا ، روحا فقط ، وذلك أن المسيح

أرسل من الله تعالى فى ظروف اقتضت أن يقاوم سلطان المادية العاتية السائدة فى الناس ، فبرزت التعاليم التى تتمشى مع ذلك ، وجرت على لسانه الأقوال التى تصوره داعية للون خاص من التسامح ، وطلب المغفرة للذين يسيئون ، والتطلع إلى السلام والهدوء ، فظنوا أنه لا شىء فى دينه إلا ذلك ، وأنه لا صلة للرسالات الإلهية بتنظيم الحياة المادية ، ورسخ هذا الظن فى الناس حتى استقر عليه الأمر فى فلسفة الغرب عامة . وبذلك فصل بين الكنيسة والدولة، وقيل اتركوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله .

أما اليهودية فقد جاءت والخوف مسيطر على المجتمع الذى أرسل موسى إليه ، فقد كان فرعون يكتم الأنفاس ، ويقتل الأبناء ، ويستحيى النساء ، ويزعم أنه هو الإله الذى يجب على الناس أن يعبدوه ويطيعوا أمره فى إخلاص وصدق .

ولذلك نجد ألفاظ «الخوف» تتردد كثيراً فى قصة موسى : فأمه قد أصبح فؤادها فارغا من شدة الخوف، حتى قال الله لها : «فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى» وموسى حين يتلق رسالة ربه يرى العصا تتحرك فيخاف فيقول الله له : «يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين» ، «إنى لا يخاف لدى المرسلون» ، ويقول لربه : «فأخاف أن يقتلون . فأرسله معى ردءا يصدقنى إنى أخاف أن يكذبون» ، ويقول الله له ولأخيه : «لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى» ومن قبل ذلك قال الله عن موسى : «فأصبح فى المدينة خائفاً يترقب» . إلى غير ذلك من الآيات التى تتحدث عن مواطن اشتد فيها الخوف نتيجة لما كان منبثا من الظلم والطغيان .

وقد اقتضى ذلك انصراف الناس عن المعانى الروحية ، واشتغالهم بالنواحى المادية التى من شأنها أن تقيهم غوائل الظلم والبغى ، فبرزت فى حياة أتباع موسى هذه الجوانب المادية التى جاءت فى الأصل كتعويض ومقاومة، فظن الناس أن اليهودية مادة صرف ، واشتهر هذا عند اليهود أنفسهم وعملوا به فاصطدموا بالعالم . واصطدم بهم العالم ، فازدادوا خوفا وتصوروا أنهم مظلومون وأن العالم عدو لهم ، فنقموا عليه ، وعملوا على حذق جميع الأساليب المادية التى قدروا أنها تحميهم من العالم ، وعملوا فى الوقت نفسه على بث وسائل الحرب والتدمير والتخريب فكانوا هم تجار الأسلحة ، ودعاة الحروب ، وعناصر الفتنة فى كل جانب من الأرض .

وما كانت اليهودية فى أصلها كذلك ، وإنما كانت دينا هاديا ، وكتابا سماويا يتضمن رسالة إلهية ، وفى القرآن الكريم : «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا» .

* * *

أما نحن - المسلمين - فقد فهمنا ديننا على ما هو

عليه من رعاية لجانبي الروح والمادة جميعا ، فهمنا ذلك وأقررناه وسرنا فى شئون حياتنا عليه ، وأيدتنا تجاربنا التاريخية حيث رأينا كل من أهمل الروح إلى المادة، أو المادة إلى الروح ؛ لم يصب خيراً ، ولم يأت بإصلاح ذى بال .

أما الذين زاوجوا بين الروح والمادة ، وأخذوا من هذه بقسط ومن تلك بقسط ، حسب تشريع الله وما استحبه لعباده ؛ فهم الذين نجحوا وأفلحوا وقادوا وسادوا ، وأفادوا واستفادوا .

ولذلك كان السيد الرئيس جمال عبد الناصر - أيده الله تعالى - موفقا تمام التوفيق حين قال فى بعض خطبه : إننا نقيم صرح نهضتنا على أساسين : هما المادة والروح ، ونعطى كلا منهما حقه من الاعتبار ، فكما يجب علينا أن نبنى المصانع ، ونفتش عن الحديد والبترول ، يجب علينا أيضا أن نبنى الرجال ، ونفتش عن الأخلاق ، ونعرف للدين منزلته ودوره العظيم فى بناء المجتمع .

إن هذا المعنى الذى أشار إليه الرئيس جمال منبثق من القرآن الكريم ، وحسبنا أن نقرأه لنجده فى مئات المواضع يقيم الحياة على هذين الأساسين ، ويدعو المؤمنين إلى أن يطيروا فى آفاقها بهذين الجناحين ، ولنضرب لذلك مثلا فى آية مشهورة ، هى قوله تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين » . فهذه الآية تذكر نصيب الآخرة ، ونصيب الدنيا ، أى نصيب الروح ، ونصيب المادة ، ولكنها تخرج الأمر فى ذلك على نحو من الإدماج بينهما فتقول : « فيما آتاك الله » فالمادة معبر عنها بلفظ « ما آتاك » والروح هى فى إسناد الإيتاء إلى الله حيث قال : « فيما آتاك الله » .

وقوله تعالى : « وأحسن كما أحسن الله إليك » هو أمر بالإحسان المادى ، سواء أكان صدقة ، أم صدقا فى الحديث ، أم حسن معاملة أو سلوك . . إلخ . . ولكن فى تسميته « إحسانا » إشعار بالمعنى الروحى ، وكذلك قوله تعالى « كما أحسن الله إليك » هو تذكير بأن المحسن حين يحسن إنما هو مستند فى إحسانه إلى ما أحسن الله إليه ، شاكر له تعالى على الإحسان بالإحسان .

وقوله تعالى « ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين » فيه نهى قوى عن الفساد ، من حيث إنه قال « ولا تبغ » أى لا تقصده ولا تحبه فضلا عن أن تفعله . ومن حيث إنه سماه فسادا ليصرف عنه النفوس ، ومن حيث إنه أعلن فى تأكيد أن الله لا يحب مرتكبيه ، ونفى الحب مؤذن بشديد المؤاخذة ، دون أية رحمة .

فالآية تتحدث عن الجانبين ، ولكنها لا تسمح بأن تتسرب إلى هذا الحديث روح

تشعر بالانفصالية حتى فى الجملة التى تذكر فيها المادة وحدها، وفى الجملة التى تذكر فيها الروح وحدها!.

* * *

من هذا يتبين أن مركز الإسلام هو المركز الوسط بين الانفصالية فى هذا الجانب أو ذاك.

وأنه هو المركز الطبيعى الفطرى الملائم لخلق الإنسان، ولخلق الحياة على طبيعة الازدواج.

وأن الإسلام هو إصلاح فى ذلك لما انتهت إليه المسيحية، ولما انتهت إليه اليهودية.

وأن مصلحة البشرية جمعاء فى أن تأخذ بالمبدأ الذى أتى به الإسلام، دون أن يصرفها عنه تعصب دينى، فإن الإسلام فى هذا مطابق لغيره فى الواقع:

«وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب، ومهيمنا عليه، فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق».

* * *

وبعد أن عرفنا حقيقة الوضع الفطرى والدينى والحيوى للإنسان وأنه لابد من مادية بجانب الروحية، أو من روحية بجانب المادية، فإننا نذكر «مقوماتنا الروحية» موازنين بينها وبين ما عليه العالم من مادية مظلمة تكاد تفضى به إلى الدمار.

ومقوماتنا الروحية يمكن إرجاعها إلى ثلاثة مقومات هى الينابيع التى تستق منها سائر المقومات:

(١) الإيمان بالله.
(٢) الإيمان بالنفس.
(٣) الإيمان بالمثل العليا.

ولنا عن كل واحد من هذه الثلاثة حديث إجمالى:

(١) فالإيمان بالله قوة دافعة مثبتة، فوق أنها تمد الإنسان بالسعادة والطمأنينة.

إن بعض الناس يتصور أن الإيمان بالله وما يقتضيه هذا الإيمان من التزام بالدين: عقائده وشرائعه، إنما هو تكبيل للنفس وتقييد لها، وأن الناس قد وجدوا ليكونوا أحرارا، ولينطلقوا فى الحياة على طبيعتهم، فليس من مصلحتهم أن يقيدوا بقيد خارج عنهم وعن آفاق تفكيرهم ومراحل تجاربهم، وإلا فما معنى أن نفرض على الإنسان ذاتا يجب عليه أن يرهبها وأن يراقبها فى كل صغيرة من الأمر أو كبيرة، أو أن يتملقها ويترضاها ويعمل من أجل ثوابها؟ إن الرهبة مضعفة للإنتاج والتثمير، وأن الرغبة والملق مفسدان للشخصية مضعفان لها.

ولذلك يقول هؤلاء: اتركوا الناس لأنفسهم ولا تحاولوا أن ترهقوهم بملاحظة القوة الخفية المخيفة التى أعدت دار العذاب، أو القوة المانحة المنعمة التى أعدت دار الثواب.

وإننا نقول لهؤلاء: لقد أثبت علماء

النفس عن طريق الملاحظة والتتبع أن « الفراغ محال » ومعنى ذلك أن العقل البشرى لا يمكن أن يفرغ ويخلو من الشىء وضده ، فإذا خلا من الإيمان بالله ، اشتغل تلقائيا بالإيمان بسواه ، فلا تصوروا أن الذى يخلو قلبه من الإيمان بالله يظل خاليا من الإيمان بشىء آخر ، ولكنه سيؤمن بنواح أخرى تضاد الإيمان بالله ، سيؤمن مثلا بهواه فيشبع هذا الهوى على نحو بهيمى ليس له ضابط ، وسيجر بذلك على نفسه وعلى غيره ألوانا من الشقاء والبلاء .

سيؤمن مثلا بالمال فيجعله إلهه المعبود ، فيكون كهؤلاء اليهود الذين يبيحون فى سبيل المال كل شىء ويهدمون فى سبيل الحصول عليه كل معنى شريف .

سيؤمن باللذة ، فيشرب ويفسق ويتحلل فتضيع بذلك شخصيته ويصبح مصدر خطر على المجتمع أو مصدر ضعف وانحلال فى هذا المجتمع .

والقرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى فيقول : « فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ؟ » أى أنه لا فراغ ، ولا يمكن أن يرتفع النقيضان .

ويقول : « أرأيت من اتخذ إلهه هواه ؟ أفأنت تكون عليه وكيلا ؟ . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » .

وهذا تقرير لحقيقة ثابتة ، أو سنة من سنن الله التى لا تتحول ، وهى أن الذى يضل سبيل الله يقع من حيث يريد أو لا يريد فى مهاوى التخبط ويصبح كالحيوان الأعجم ، بل أضل من الحيوان الأعجم سبيلا ؛ لأن الحيوان الأعجم محكوم إلى حد ما بسنن فطرية فيه ، تجعله يقف عند حد فى تلبية دواعى خلقته .

ثم إن المؤمن بالله يشعر بعزته وكرامته بين بنى جنسه ؛ لأنه مؤمن بأنه (لا إله إلا الله) وهذه قضية معناها : ليس فى الوجود من يستحق أن يخضع له بحق دون شك ، ودون أية محاولة للعصيان ، إلا الله ، وليس فى الوجود من يجوز أن يذل له الإنسان ، إلا الله .

وإذا كان هذا هو معنى قضية التوحيد فلا يجد المؤمن بنفسه حاجة إلى أن يذل لما سوى الله ، بل يشعر بأنه هو وجميع المخلوقين عباد لله متساوون أمام ربوبيته ، خاضعون لألوهيته ، وبذلك يحتفظ بعزة نفسه ، وكرامته بين بنى جنسه .

ثم إن المؤمن الذى يشعر بأن عليه رقيبا يراه فى كل حال ، ويعلم ما تنطوى عليه نفسه ، وما تؤديه جوارحه ، يندفع إلى العمل الصالح ، وينتهى عن العمل الضار ، وليس صحيحا أن هذا الاندفاع إلى العمل الصالح ، أو الانتهاء عن العمل الضار ، من شأنه أن يفسد شخصية الإنسان ، لأنه صادر

عن رغبة أو رهبة ، فإن هـذه سطحية فى التفكير ، إذ الإنسان مخلوق مفطور بطبعه على الانسياق وراء عوامل الرغبة والرهبة ، والذى خلقه وفطره عرف كيف يسوسه سياسة ملائمة لطبيعته ، وماله من غرائز ، وهؤلاء وأمثالهم إنما يتشدقون بمثل قولهم تضيع شخصيته ، أو ، تتحطم إرادته ، أو نحو ذلك ، ولو تأملوا فى أنفسهم ، وخبروا أحوالهم ، لعرفوا أن الواحد منهم لا يكاد يؤدى عمل بر إلا وهو منتظر عليه جزاء من الناس فإذا قطع بأنه لا جزاء عليه من الناس لم يفعله ، أما المؤمن فإنه ينتظر فى كثير من الحالات جزاء ربه فقط ، لأنه يحسن فى حالات لا يراه فيها إلا الله ، وفى حالات لا يستطيع أحد أن يكافئه فيها إلا الله .

وفى العالم الآن دعوة متحللة إلى ما يسمونه (الوجودية) هدفها الخروج بالناس عن دائرة الإيمان بالله ، على أساس ما ذكرناه من فلسفتهم الباطلة التى تريد من الإنسان أن يحيا للحياة ، وألا يعترف إلا بوجود نفسه ، ومقتضيات هـذا الوجود المادى فقط ، وقد تناسوا طبيعة الإنسان المزدوجة التى شرحناها ، ولو كانوا منطقيين مع أنفسهم ومع ما يزعمون من مراعاة « وجود الإنسان » لأخذوا هذا الوجود من الناحيتين كليهما ، ولعرفوا أن الإنسان يجب عليه أن يلبى دواعى فطرته فى كل من المادة والروح لا فى أحدهما فحسب ، وإلا كان وجوده نصفياً أعرج

وأغلب الظن أن هـذه الدعوة الانحلالية دعوة صهيونية هدفها تحطيم الإيمان بالقوى المعنوية ، ثم جر الناس إلى المادية الإباحية ليسهل شراء الأفراد من حكام ومحكومين بالثمن البخس من المال أو المراكز أو الشهوات فإنه لا يقف أمام هذه الصفقات الخاسرة إلا الإيمان بالله ، فإذا زال الإيمان بالله زالت جميع مراكز المقاومة فى الإنسان أو تزلزلت وسهل انهيارها .

وكذلك شأن المجتمعات التى تقوم على المذاهب المادية حتى لو أحــرزت تقدما فى ميادين العلم والصناعة .

ولا أقول ذلك تفضيلا لمبادىء « الرأسمالية » والدول الغربية ، كلا فإن لها أيضا عيوبها ، ولكنها عيوب يمكن علاجها والتفاهم على تطهير العالم منها ، وهو ما اتجه الناس إليه بعد الحربين العالميتين من محاولة لإيجاد رأى عام دولى تمثله هيئة الأمم أو ما يشبهها .

وهذا النظام قد سبق به الإسلام ، إذ أمر بأن يُصلح بين المختلفين ، فإن بغى أحد على أحد كان على الجماعة كلها أن تتعاون على رده عن بغيه ، فإذا فاء إلى الحق كان عليها ألا تتخذ فيئه سببا فى ظلمه واهتضامه : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى

(البقية على ص ٢٨٦)

في ذكرى صاحب الرسالة:

الإسلام حقيقة وجوهر

للأستاذ محمود الشرقاوي

في هذا الشهر: ربيع الأول يحتفل المسلمون في بقاع الأرض بذكرى مولد الرسول الكريم صاحب أعظم النبوات وآخر الرسالات وأكرم الصفات.

وكان المسلمون إلى عهد قريب حين يحتفلون بهذه الذكرى الكريمة الخالدة يرددون في ذلك سيرة محفوظة تذكر انطفاء نار الفرس عند مولده عليه السلام، ونحو ذلك من العلامات.

ولعل بلاداً كثيرة من بلاد المسلمين، ما زال أهلها يرددون ذكر هذه العلامات ويكتفون بترديدها في ذكرى صاحب النبوة والرسالة الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق. ثم ظهر بين علماء المسلمين والفاقهين منهم لدينه ورسالته من أدرك أن الإسلام حقيقة وجوهر وأن المسلمين لكي يكونوا «مسلمين» يجب أن يعرفوا حقيقة دينهم وجوهره ويتمسكوا بأخلاقه ويتأدبوا بأدبه، وأن يحققوا، في ذوات نفوسهم، مبادئه وغاياته ومثله.

لكي يكون المسلمون «مسلمين» يجب أن يتيقنوا أن وراء «الانتساب للإسلام» حقائق بعيدة المنال وعليهم أن يحصلوها في قلوبهم ونفوسهم وأخلاقهم وضمائرهم. وأن يحرصوا عليها ويلتزموا حدودها آمرة وناهية وملزمة، ومهيمنة آسرة مسيطرة. وأن تكون ضمائرهم وسرائرهم وراء أحاديثهم وأقوالهم. وأعمالهم متساوقة متلائمة مع هذا «الانتساب للإسلام»: «ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين»[1].

• • •

يحفظ المسلمون أو يتلون أو يسمعون قول الله تعالى: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»[2].

والآية الكريمة - في أقوم مفاهيمها - لا تريد من المسلمين أن يكون «بعضهم» دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر. بل تريد أن يجعل المسلمون من أنفسهم جميعاً هؤلاء الدعاة للخير، الآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر. وأن يكون كل واحد منهم على هذه الصفة وبهذه المثابة والمنزلة. كما يقول

---

(١) فصلت: ٣٣ (٢) آل عمران: ١٠٤.

الرجل لابنه : سأحسن تربيتك ليكون منك رجل أيّ رجل .

فهل يحاسب كل مسلم نفسه ، وهو يردد هذه الآية الكريمة أو يتلوها أو يسمعها ، هل يحاسب نفسه ويمتحن طويته وضميره عن مدى صدقها عليه ..؟ وتحققها فيه .. ؟

ويحفظ المسلمون أو يتلون أو يسمعون قول الله تعالى وهو يصف الذين كفروا من بنى إسرائيل ويلعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » (١) .

فهل يحاسب كل مسلم نفسه ، وهو يردد هذه الآية الكريمة أو يتلوها أو يسمعها ، ليعرف أمانة أخيه وصديقه وجاره ومجتمعه فيؤدى لهؤلاء جميعا حقهم ، بل واجبهم ، فى التناهى عن المنكر والتناصح بالخير .. ؟

والمسلمون يحفظون أو يتلون أو يسمعون من قول الله تعالى وصية لقمان لابنه وهو يعظه : « يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » (٢) .

فهل يحاسب كل مسلم نفسه ، وهو يردد هذه الآية الكريمة أو يتلوها أو يسمعها ، على إيمانه بهذه الوصية واستمساكه بآدابها وفضائلها وما تلزم به نفسه وخلقه وضميره ..؟

والمسلمون يعرفون من قرآنهم الكريم أن عباد الرحمن هم : « الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ، إنها ساءت مستقراً ومقاما ، والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما » (١) .

فليضع كل واحد منا نفسه حيث تضعه المقاييس الصادقة من عباد الرحمن هؤلاء .

والمسلمون يحفظون أو يتلون أو يسمعون قول الله تعالى : « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين » (٢) .

---

(١) المائدة : ٧٩ .
(٢) لقمان : ١٧ ــ ١٩ .

(١) الفرقان : ٦٣ ــ ٦٩ .
(٢) المؤمنون : ١ ــ ٦ .

فهل يحاسب كل مسلم نفسه ، وهو يردد هذه الآيات الكريمة أو يتلوها أو يسمعها ، وهل يستفتى سريرته : أين هو من هؤلاء المفلحين المؤمنين ؟ .

وهل هو من أولئك المؤمنين « الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون » [١] فلا يخشون غير الله ولا ينافقون يميلون أو يمالئون .

والمسلمون يحفظون أو يتلون أو يسمعون نهى الله تعالى عن المن بالبر والصدقة . وأنه يريد منهم أن يبروا ويتصدقوا مريدين وجه الخير المطلق وحده ، فلا يتبعوا صدقاتهم بالمن والأذى ، فهم عند ذلك قد أبطلوها وجعلوها رياء أو كالرياء الذى يرده الله فلا يقبله ولا يثيب عليه ولا يبق منه لصاحبه إلا كما يبقى من التراب على الصخر الأملس قد غسله المطر الشديد المتدفق .

ويريد منهم أن يحفظو الكرامة الإنسانية حتى على السائل المحتاج الذى يطلب الصدقة. فليردوه من غير صدقة ولا عطاء . ولكن ليقولوا له قولا معروفا وليغفروا له إلحافه إن ألحف فى السؤال ، وشططه إن شط فى الطلب ، لحفظ هذه الكرامة الإنسانية والاستمساك بهذه الفضائل والآداب خير من الصدقة يتبعها أذى أو منكر أو مكروه [١]

فهل يحاسب كل مسلم نفسه ويستفتى سريرته عن ذلك كله وعن مكانه منه وحرصه عليه ؟ .

والمسلمون يحفظون أو يتلون أو يسمعون قول الله تعالى وتأكيده : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » [٢] .

فهل يجد كل مسلم نفسه ، وقد انفلت من صلاته وأن صلاته تلك قد صفت بها روحه ، وطهرت نفسه ، واستقام ضميره . وأنها أصبحت له حاجزا عن الفحشاء والمنكر له منه وقاء وحصن .

والمسلمون يحفظون أو يتلون أو يسمعون آية فى كتاب الله الحكيم تجعل الذى يدع اليتيم ويزجره ويستضعفه ويجفوه ، والذى لا يبذل ولا يطعم المسكين أو يحض غيره على إطعامه. تجعل الآية الكريمة هذا وذاك: « مكذبا بالدين » وتنذر بالويل من يصلون وهم ساهون عن ذكر الله غير مستحضرين خشيته أو محبته . فلا يعرفون للصلاة حقها وأدبها ولم تؤثر فى قلوبهم وضمائرهم أثرها : الذين هم يراءون ويمنعون الماعون .

---

[١] ٢ : ١ الأنفال .

(١) ٢٦٤ : البقرة .

(٢) ٤٥ : العنكبوت .

والمراءون المنافقون فى الدرك الأسفل من النار (١) .

فهل يحاسب كل مسلم نفسه ويستفتى سريرته وقلبه . . . ليعلم مكانه .

على المسلمين أن يحتفلوا بذكرى نبيهم ونبى الإنسانية فى يوم مولده . ولكن عليهم أن يعملوا فى كل يوم ، عمل أهل الإسلام كما وصفهم الله فى كتابه العزيز وكما توحى لهم به سيرة النبى الكريم وشمائله الطاهرة .

ولعل المسلمين ، وهم يحتفلون فى بقاع الأرض بمولد صاحب أعظم النبوات وآخر الرسالات وأكرم الصفات ، أن يؤوبوا لنفوسهم ، وأن يفيئوا لأمر الله . فيعلموا أنهم سيكونون مسلمين حقا حين يجدون فى سرائرهم وقلوبهم وضمائرهم أثر هذه النبوة والرسالة والخلق ، كما أمرهم الله أن يكونوا : خير أمة أخرجت للناس .

حين يعرفون أن الإسلام حقيقة وجوهر ، وحين يحرصون على هذه الحقيقة وهذا الجوهر فيحققوها ـ أو يحاولوا تحقيقها ـ فى حياتهم ومجتمعهم .

« أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ، إنما يتذكر أولو الألباب (١) .

محمود الشرقاوى

سكرتير التحرير

---

(١) يقول الأستاذ الإمام محمد عبده فى تفسير هذه السورة : « إن كثيرا من الناس ، بل الأغلب فيهم ، يقولون إنهم يعتقدون بالدين ويصدقون بالله وبما جاء به رسله وبالحياة الآخرة وينتحلون لأنفسهم المزايا على غيرهم ويظنون أنهم المصطفون ، وأن من يخالفهم قد حقت عليه كلمة الشقاء . ويكتفون فى هذه الدعوة ببعض أعمال رسمها الدين وإن لم يكن لها فى قلوبهم أثر . . مما لا ينقص مالا ولا يجشم مشقة . ثم يقول . . . : فإن الحكم واحد لا محاباة فيه للأسماء المنتحلة التى لا قيمة لها إلا بمعانيها الصحيحة . فالمكذب بالدين هو المحتقر لحقوق الضعفاء كبراً وعتوا ، والذى يبخل بماله على الفقراء ويبخل بسعيه عند الأغنياء لإغاثة أهل الحاجة » : « ص ١٦١ ـ ١٦٤ من تفسير جزء عم ، المطبعة الأميرية ١٣٢٢ »

(١) ١٩ : الرعد

(بقية مقال مقوماتنا الروحية)

تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » .

كما يتبين أن هناك شوائب تشوب إيمان هؤلاء (الرأسماليين) الذين يعبدون الدينار والدرهم ويريدون أن يستعبدوا الأمم والشعوب ويستلبوا خيراتها باسم الاستعمار أو التمدين أو نحو ذلك . فهؤلاء أيضا فقدوا الإيمان بالله عمليا كما فقده أولئك نظريا .

والعلاج الوحيد هو العودة إلى الله : عقيدة وعملا ، فإن العالم حينئذ يهدأ ، ولا يبقى محل لطغيان قوى على ضعيف ، ويكون صوت الرأى العام فيه حاجزا عن كل بغى وكل ظلم .

والبحث موصول إن شاء الله ؟

محمد محمد المدنى

عميد كلية الشريعة

نفحات القرآن

توجيهات علوية من جانب الله إلى عباده

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(١) ادعو ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين .
(ب) ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها .
(حـ) وادعوه خوفا وطمعا ، إن رحمة الله قريب من المحسنين .

(١) هنا دعوة من جانب الله إلى عباده : تتألف من كلمات معدودة . ولكنها نمط فسيح ذو توجيهات حيوية للإنسان فى توثيق صلته بربه ، وفى تنسيق مسلكه فى الحياة بين الناس ... وحينما يتاح للمرء أن يكون على الجادة فى حياته آخذا نفسه بالعدل والاعتدال روحا ، ومسلكا ، وعزيمة ، وقصدا ؛ يكون حقا فى وضعه اللائق به ؛ والكفيل بأهدافه الإنسانية حاضرا ، ومآلا .

وذلك هو المسطح الذى ينشده الدين الحق لمن استمع إلى دعوة الدين .

ولدينا أمر مقرون بالزجر مرتين ، وأمر آخر مقرون بالوعد الصادق ، وبالحث على انتهازه والتعلق بغاياته .

الأمر الأول : ادعو ربكم تضرعا وخفية فالمفروض أن للناس دعاء ينبعث فى خواطرهم ويجيش فى صدورهم ، وهو وسيلة يتخذونها إلى استيفاء ما تتعلق به آمالهم ، وإلى تحصيل ما تكمل به رغباتهم .

فيكون الدعاء على هذا التحديد ترجمة عن شعور الإنسان بنقصه عن الكمال ، وعجزه عن الوصول ، وبحاجته إلى قوة عليا تدنيه من غاياته ، وتحقق له ما يقعد عن تداركه .

وهذه ظاهرة طبيعية تخالج كل امرئ منا عندما تواجهه الأزمات ، أو تغريه المطامع فيجد نفسه بين دوافع ترغبه ، وموانع تحجبه .

فمنذا الذى ينقذه من أزماته ، أو يكفل له تحصيل غاياته سوى ذى قوة قادرة على ما يعجز

عنه الإنسان ، وإن كان ذا جبروت ؟ هو الله وحده وتعالى شأنه !! .

غير أن المرء لسبب طارئ قد يضل عن جهة دعائه ، فيلقى برجائه فى غير موضع الرجاء ويلتمس مبتغاه من غير سبيله : وهنا مزلة الفكر ، وخطأ التقدير ، وتبعات الضلال .

لذلك : تفضل الله علينا فأمرنا أن نجعل دعاءنا لربنا وحده ، حتى لانزل ، ولا نخطىء ولا نكون فى ضلال .

وفى التعبير بالرب غناء عن التعليل ، وعن الشرح ... إذ ما دامت الربوبية لله دون غيره وما دامت النعمة كلها من جانبه وحده ؛ فلا خير فى دعاء غيره ، ولا أمل يرجى من سواه ولا صحة لما يعزى إلى من دونه من سائر خلقه .

وكل ما يجازف به الناس ورا هذه الدائرة فباطل مطروح ، وضلال محظور ، وأمل ضائع ، وإثم ولا جرم .

ومن تمام الرجاء وحسن الاتجاه به إلى رب الناس أن يكون الدعاء ذكرا باللسان لا مجرد خاطر محبوس فى النفس ، فإن الخاطر لا يتعلق به حكم الشريعة ، ولا يعتبر فيه ثواب ، ولا عقاب .

والدعاء بالخير عبادة ، بل هو كما قال الرسول — مخ العبادة — والعبادة بصفة عامة تكون قولا ، أو عملا ، فيثاب عليها صاحبها بما شاء الله من أضعاف مضاعفة وإذا كانت مجرد عزيمة على فعل الخير ولم تنفذ لسبب مانع فثوابه عليها تفضل من الله ونعمة

وكذلك الخواطر النفسية حول أعمال سيئة ، إذا لم تتجاوز حديث النفس المستتر فيها فإن الله ـ سبحانه ـ لا يؤاخذنا عليها .

وكأن الله تعالى يعتبر من الإيمان وسلامة الاعتقاد شفيعا للإنسان فى حديث نفسه العابر ، وفى هذا أفادنا النبى صلوات الله وسلامه عليه : أن تجاوز لأمته عما حدثت به أنفسها .

هذا ـ ومن صفة الدعاء المنشود فى الآية أن يكون فى ضراعة وخفية ، فى الضراعة : وهى المسكنة ، والأدب ، وفى الخفية : وهى عدم المجاهرة تمحيص للدعاء وبعد به عن الرياء ، وذاك هو الإخلاص المطلوب فى الدين كله .

ومن هذا تكون الضراعة والخافة وصفين معتبرين فى سلامة الدعاء من آفات الابتداع ، ومن وسائل قبوله عند الله .

وقد مر النبى عليه السلام بقوم يدعون الله فى مجاهرة وإلحاح ، فقال لهم صلوات الله عليه « اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا أبكم ، وإنما تدعون سميعاً بصيراً » أى :

أشفقوا على أنفسكم وخففوا الجهد فإن الله يسمع ويرى ويعلم وليس بحاجة إلى هذه المشقة .

وقد لا يكون الدعاء لاجتلاب الخير ، بل يكون شراً على أحد ، والتماسا لمكروه ينزل بالغير دون سبب يبيح ذلك ، وهذا اعتداء ، وتحامل غير مشروع ، وحيث أمرنا بالدعاء تقربا إلى الله فى ضراعة فلا ينبغى أن ننحرف به عن بغية الخير . ونستخدم أمر الله به فى طلب التنكيل الذى هو وليد الخصومة ومظهر السخط ، لذلك جاء الأمر بالدعاء فى هذه الآية مقرونا بالزجر مرتين إحداهما : الإعلان بأن الله لا يحب المعتدين فهذا خبر فيه نهى وتهديد على الاعتداء كله وعلى الاعتداء فى الدعاء خاصة .

(ب) والزجر الثانى قوله تعالى عقيب هذا ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها يعنى إذا كان الدعاء مطلوبا لالتماس الخير فلا تصرفوه عن هذه الناحية ، ولا تجعلوه مجلبة للشر فإن هذا يكون فسادا وإفسادا لما بينكم والفساد كله منهى عنه فإن الله يجمع بينكم على دينه الحق ، وشرع لكم روابط الإخاء ورسم معالم المجتمع الذى يعيش فى ضوء الدين وآدابه ، وجعل من أسباب الألفة بينكم أن يكون دعاؤكم بالخير عاما ، ورجاؤكم شاملا حتى يكون فى هذا تأليف للقلوب وتمكين للمحبة ، وهذا ما أفصح عنه النبي صلوات الله عليه وسلامه ـ بقوله « إذا دعوتم فعمموا » فالتجاوز لهذه الآداب فساد ولا شك — والله لا يحب الفساد .

ومع هذا التوجيه إلى الخير ، ومع التحذير من مقارفة الشر ولو بمجرد الدعاء السلبى ، فهناك حالة ينفعل فيها الإنسان ، ويستعجل الشر بالثأر لنفسه من الغير حينما يلاقى ظلما من سواه أو استهانة بحقه ، أو محاولة للإضرار به عن قصد .

وتلك حالة يقف المرء فيها بين طبيعة ثائرة من الإساءة ، وبين دين يزجر عن دعوة السوء ، والجنوح إلى الشر ، فلا يكون أقرب إلى الإنسان حينئذ من اللجوء إلى ربه ، والاستعانة بقوته وعدله .

فالقرآن الكريم لا يحمل الإنسان على غير ما يطيق ، ولا يغفل أحاسيسه بما يتصل به ، بل يأخذه بما له وما عليه فى حدود قدرته .

لذلك جعل الله للمظلوم أن يجأر إلى الله بدعوة السوء على من ظلمه ، وفى هذه تنفيس للضائقة ، وتخفيف للكربة ، وكف للنفس عن الثورة والانتقام الذى يفسح مجال الشر ، ويضرم نار الخصومة ، ويجعل الفساد مستشريا فى الأرض بعد إصلاحها .

والدعاء بالسوء على الظالم أخف الضررين فأباحه الله للمظلوم ، بل أباح له الجهر به ، مع أن الجهر بدعاء الخير مرغوب عنه « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم » فهذا استثناء من النهى ، وهو تنصيص على تخويل المظلوم حق المجاهرة بدعائه على ظالمه : ترضية لنفسه ، وإيضاحا لشكواه ، ولعل فى المجاهرة بذلك زجرا للناس عن تماديهم فى ظلم بعضهم بعضا ، ويؤكد هذا قول النبى صلوات الله عليه (اتقوا دعوة المظلوم ، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب) .

(ح) وفى الآية أمر آخر أن يكون الدعاء كله تابعا من قلب خائف وطامع « وادعوه خوفا وطمعا » . وفى الخوف معدلة عن الشطط ، وعن شغل الإنسان نفسه بما يلهيه عن جانب العمل ، والاكتفاء بالتمنى كما كان يفعل السفهاء من قبل ، وفى الطمع المأمور به ثقة بالله ، وإيمان بقدرته على الاستجابة ، وبين الخوف والرجاء مقام الاعتدال ، وحسن القصد ، وترويج للدعاء فى باب القبول : إذ المفروض أن الطمع فى القبول يكون مسبوقا بالطاعة ، والاهتداء ، ما أن يدعو الداعى دون خوف وخشية من جانبه أن يسرف ويتكاسل ، ويحرم من مبتغاه ودون طمع وثقة فى الله وطاعة له فيما طلب ، فذلك هو الأمل الكاذب الذى لم يقم على أسبابه ، والذى لم تتوافر له مؤهلات القبول كما شرط الله فى قوله « إنما يتقبل الله من المتقين » .

نعم ! ! قال الله : « ادعونى استجب لكم » وهذا إطلاق فى الطلب دون تقيد فيه ، ولكنه محمول على الطلب المشروط بأن يكون الداعى غير ملوث بالحرام فى مطعمه ومشربه وملبسه وإلا كان دعاؤه هباء ، وقد قال النبى صلوات الله عليه « يقول أحدكم : يا رب ، يا رب ، ومطعمه من حرام وملبسه من حرام فأنى « يستجاب له ؟ ؟ » فالأصل أن يكون دعاء ، والشرط أن يكون صحيحا إذا راعينا الأوصاف المذكورة فى آية الموضوع وجدناها أربعة :

التضرع والخفية .. وهذان يتعلقان بوصف الدعاء وصورته شكلا . ثم الخوف والطمع . وهذان يتعلقان بمنبع الدعاء ومبعثه وجوهره ؛ وإذا اكتمل للدعاء وصفه الكامل فى شكله وحقيقته كان - بحق - عبادة ، بل كان مخ العبادة كما تحدث الرسول ؛ وكان دعاء المتقين وهو المقبول وسياق الآية واضح فى أن سرية الدعاء أحب من الجهرية . إلا إذا كان دعاء مشتركا بين إمام ومأمومين أو فى حالة

عامة ، أو كان مقصوداً معه تعليم من يتعلم ، فإن ذلك كله يكون الجهر به خيراً من السرية، والاشتراك فى الدعاء من وسائل قبوله عند الله ... وحين لا يكون مقتض للجهرية تكون السرية عن أسماع الغير تنزها عن الرياء ، وما دام الدعاء حينئذ مناجاة لله ، وضراعة إليه فلا حاجة بنا إلى إعلانه وقد نرى فى آيات أخرى ما يشعرنا بترجيح السرية فى الدعاء وفى التسبيحات عامة : مثل قوله تعالى (سورة ق) « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب . ومن الليل فسبحه وأدبار السجود » . فهنا توجيهات إلى التسبيح لله قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وهذه أوقات يغلب فيها الصمت قبل أن ينهض الإنسان إلى عمله الدنيوى ، وبعد أن يفرغ من يومه ، ويخلد إلى الراحة آخر النهار ، وكذلك أوقات الليل وعقب سجدات الصلوات كلها ساعات خشوع والتسبيح فيها أقرب إلى الكمال ، ومظنة القبول .

وكذا قوله تعالى فى سورة الطور « وسبح بحمد ربك حين تقوم . ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم» فالعبادة بالصلاة أو بالتسبيح مطلوبة حين القيام من نوم الليل وفى جوف الليل وعقب إدبار النجوم من مطالعها ، وهذه أوقات تكاد تكون أوقات خلوة والدعاء فيها مناجاة لله وحده .

وكذا قوله تعالى فى سورة طه : « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى» .إلخ وهكذا نجد الكثير من التوجيهات إلى أدب الدعاء والإسرار به .

. وليس حتما أن يكون القبول بتحقيق نفس المطلوب فقد تكون حكمة الله فى تحقيقه بالذات . وقد تكون فى تحقيق شىء غيره لمصلحة العبد ، وقد تكون نتيجة الدعاء ثوابا عليه ، أو تكفير ذنب بسببه ، والعبد لا يدرى من أمر نفسه ما يكون خيراً له والله هو الأعلم بأمورنا ، ثم قد يكون الدعاء من إنسان لإنسان والله تعالى يستجيب للصالحين من عباده ويحقق رجاءهم ، ويثيبهم على ذلك ولكن هذا لا يجعل الأدعية بضاعة وتجارة يصطنعها المحترفون للدين ، فإن الله لا تخفى عليه خافية ؟ .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

المدائح النبوية فى شعر شوقى

للأستاذ على العمارى

لعلها من أسعد اللحظات تلك التى نعطرها بقراءة المدائح النبوية ، وأن الرجل المؤمن ليجد فى هذه الأشعار لذة ومتعة ، وكلما مضى فى القراءة نسى شيئا فشيئا هذا العالم المادى الذى يعيش فيه ، وعاش فى ذكريات مجيدة ، وماض جميل ، يحس فيه بصفاء الروح ، وهدوء النفس ، ويقظة العواطف ، ومغالبة الأشواق .

وإن أشد ما يأسرنى ، ويبلغ من نفسى فى شعر المديح ، هذا الحنين المشتاق الوثاب إلى زيارة الرسول فى طيبة ، أو إلى مشاهدة الأماكن المقدسة فى مكة .

والناس يختلفون فى تذوق الأشعار ، والتأثر بها ، فمنهم من يتصباه الغزل ، ومنهم منهم من يستميله شعر الجود والكرم ، ومنهم من يستفزه شعر الحماسة والشجاعة والحروب ، وقد يكون فى المديح الصادق ، وفى الشكوى الأليمة ما يحرك بعض النفوس ، ولكن الذى لا أشك فيه أن شعر الحنين إلى الأحبة ، وإلى مشاهدة الديار التى حلوها ، والبقاع التى طيبوا ثراها بعبير أنفاسهم ، لا أشك أن هذا الشعر يفعل فى كل نفس صافية سليمة الفطرة فعل السحر .

وأنا ما نظرت فى أشعار المديح ألا بكيت مع هذا الصوفى المحب ، الصادق الصبابة ، عبد الرحيم البرعى ، وكثيراً ما استوقفتنى أبيات الشهاب محمود التى يصف فيها رحلته إلى الحجاز ، ويعبر أجمل تعبير عن شوقه إلى لقاء الرسول :

وصلنا السرى وهجرنا الديارا
وجئناك نطوى إليك القفارا
أتيناك سعيا تنادى البدا
ر إلى سيد المرسلين البدارا
ولما نزعنا شعار الرقا
د لبسنا الدجى وادرعنا النهارا
نميل من الشوق فوق الرحا
ل كأنا سكارى ولسنا سكارى
ونسرى مع الشوق أنى سرى
ونتبع حادى السرى حيث سارى
ونسأل والدار تدنو بنا
عن الدار فى كل يوم مرارا

وما ذاك أنا مللنا السرى
ولكن دنونا فزدنا انتظاراً
وكيف القرار إلى أن نرا
ك وتدنى المطى إليك المزارا
ومن كان يأمل منك الدنو
و، أيملك دون اللقاء اصطبارا
ترى تنظر العين هذا البشـ
ير يريني على البعد تلك الديارا
لأعطيه روحي سروراً بها
وأوطيه طرفي وخدى اعتذارا
وأمسح عن أرجل اليعملا
ت بأجفان عيني ذاك الغبارا
وأهدى على القرب منى السلا
م وحسبي بها رتبة وافتخارا
ترى هل أناجى هناك الرسو
ل جهارا كما أرتجى أو سرارا
وأعلم أنى على بابه
وقفت وقبلت ذاك الجدارا

ولفتة وامضة إلى الوراء تريناما كان يلاقيه زوار الرسول عليه الصلاة والسلام من الصعاب والمشاق وخوف انقطاع الطريق، والقلق من فوات الأمل الحبيب. ومن هنا ندرك صدق هذا الشاعر وأضرابه، ممن جاشت عواطفهم، ووقفوا بين اليأس والأمل، ما ملوا السرى، ولكن دنوا فزاد انتظارهم وهذا من أدق وأروع ما يعبر به عن قرب الحبيب الذى يخشى أن تحول الحوائل دون لقائه.

أما الشاعر البرعى عبد الرحيم فلا أعدل به أحداً فى صدق العاطفة، وإشراق النفس إلا عمر بن الفارض، ولعل البرعى هو الشاعر الوحيد الذى صور لنا أبلغ تصوير وأتمه عواطف المحب الصادق حين تضعه الحياة بين الرجاء واليأس.

بعد هذه المقدمة القصيرة، نأخذ فيما أردناه من كتابة هذا المقال، وهو الحديث عن مدائح شوقى، وربما كانت هذه المقدمة التى أسلفناها ذات صلة وثيقة بما نريد أن نشير إليه من رأى فى مدائح شوقى.

لشوقى ثلاث قصائد طوال فى مديح الرسول، وهى ـ على حسب ترتيبها فى ديوانه ـ الهمزية النبوية، ومطلعها:

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء
الروح والملأ الملائك حوله
للدين والدنيا به بشراء

وثانيها (ذكرى المولد) ومطلعها:

سلوا قلبي غداة سلا وتابا
لعل على الجمال له عتابا
ويسأل فى الحوادث ذو صواب
فهل ترك الجمال له صوابا

وثالثها (نهج البردة) ومطلعها:

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم
رمى القضاء بعينى جؤذر أسدا
يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم

وقد عرض للإسلام كحادث تاريخى فى قصيدته (كبار الحوادث فى وادى النيل) بمقطوعة مبدؤها :

أشرق النور بالعوالم لما
بشرتها بأحمد الأنبياء
باليتيم الأمى والبشر المو
حى إليه العلوم والأسماء

وقصائد شوقى هذه طويلة وجيدة ، وقد ابتدأ اثنتين منها بالغزل ، وهو ـ فى ذلك ـ يترسم خطى شعراء المديح منذ كعب بن زهير إلى البارودى ، وشوقى وإن لم يصرح بأنه يتغزل متابعة للقدامى فقد صرح بذلك أستاذه البارودى فقال غير موارب ولا متخف :

صدرتها بنسيب شف باطنه
عن عفة لم يشنها قول متهم
لم أتخذه جزافا بل سلكت به
فى القول مسلك أقوام ذوى قدم
تابعت كعبا وحسانا ولى بهما
فى القول أسوة بر غير متهم

ويشير البارودى بكلمة (فى عفة) إلى ما يراه العلماء فى الغزل الذى تبتدأ به المدائح النبوية ـ كما قال ابن حجة الحموى فى خزانة الأدب ـ : يتعين على الناظم أن يحتشم فيه فيتأدب ويتضاءل ، ويطرح محاسن المرد والتغزل فى ثقل الأرداف ورقة الخصر وبياض الساق وحمرة الخد . وخضرة العذار وما أشبه ذلك ، وقل من يسلك هذا الطريق من أهل الأدب .

وهذا التقليد ـ كما هو معروف ـ ليس قصراً على المدائح النبوية ، بل هو تقليد جاهلى قديم ، صحب الشعر العربى منذ نشأ إلى يوم الناس هذا ، وقد ثار عليه الحسن بن هانئ فى أول العصر العباسى ، ولكن ثورته لم تمنع شعراء عصره ولا الشعراء الذين جاءوا فى عصور بعد عصره أن يتغزلوا فى بدء قصائدهم ، وقد سخر من هذا التقليد المتنبى أيضا فقال :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم
أكل أديب قال شعراً متيم

ولكننا لم نر القصيدة العربية تتحرر من هذا القيد إلا فى أيامنا هذه ، وربما وقع لأفراد من الشعراء فى العصور السابقة أن يتخلوا عن هذه السنة ، ولكن ما زال فى الأقطار العربية وفى مصر من يلتزم هذا التقليد فى بدء القصائد ولا سيما قصائد المديح ، وشعراء السودان بصفة خاصة مولعون بالغزل فى بدء مدائحهم .

وهنا ملاحظة عابرة ، هى أن شوقى بدأ ميميته بالتغزل كما فعل البوصيرى فى البردة ،

وابتدأ بائيته بالغزل أيضا كما فعل البوصيرى فى بائيته المنصوبة القوافى وإن لم تكن القصيدتان من بحر واحد ، ومطلع قصيدة البوصيرى :

أزمعوا البين وشدوا الركابا
فاطلب الصبر وخل العتابا

فى حين أنه لم يبتدئ الهمزية بالنسيب كما فعل البوصيرى أيضا فى همزيته فإنه ابتدأها بقوله :

كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماء ما طاولتها سماء

فهل بلغ حب التقليد بشوقى هذا الحد ؟

وملاحظة ثانية وهى أن شوقى لم يختص المدائح النبوية بهذا الصنيع بل نراه يفتتح قصيدته فى مشروع ملنر المشهور بهذه الأبيات :

أثن عنان القلب واسلم به
من ربرب الرمل ومن سربه
ومن تثنى الغيد عن بانه
مرتجة الأرداف عن كثبه
ظباؤه المنكسرات الظبا
يغلبن ذا اللب على لبه

وقد بدا لبعض الكتاب أن يعلل افتتاح الشعر بالنسيب بأنه نوع من الرياضة لقرائح الشعراء ويعتذر الدكتور زكى مبارك عن النسيب فى قصيدة البوصيرى فيقول : والنسيب فى البردة يتصل بالشوق إلى المعالم العربية ، وكنت لمت البوصيرى على هذا فى كتاب الموازنة بين الشعراء ثم تبينت أنه اختار تلك المواطن لصلتها بمولد الرسول ، وخاصة إذا لاحظنا أن النسيب لم يقصد لذاته حتى يتحدث الشاعر عن هواه فى بلبيس أو فاقوس وإنما هو نسيب وقع موقع التمهيد لقصيدة دينية ، ولولا حرص الشاعر على متابعة القدماء فى افتتاح القصائد بالنسيب لما كان للتغزل فى مثل هذه القصيدة مكان .

وأحب هنا أن أجهر برأى طالما راودنى أن أعلنه ذلك أن صنيع الجاهليين فى ابتداء القصائد بالنسيب إنما هو أجمل تقليد شعرى وأن هذه الفطرة الجاهلية هى أهدى سبيلا ، وأصفى موردا ، وأقرب إلى طبائع النفوس من كل أولئك الذين عابوا على العرب تقليدهم الجميل ، والشعر تعبير عن خطرات النفس ، وأشواق الروح ، وليس شىء يهيئ النفوس لتلقيه بالرضا أجمل من استثارة عواطفها ، وهدهدة مشاعرها ، ومن من الناس ليس له هوى ؟ !

فلست أعيب العرب ، ولست أعيب شوقى بأن ينتهج هذه الطريقة ، ويسير على هذا الدرب الجميل المفروش بالورد والريحان .

وعندى أن العربى فى باديته الأولى أشف روحاً ، وأصفى نفساً ، وأقوم فطرة من ألف أبى نواس !.

وقد أطلت النظر فى المدائح النبوية وأطلت التفكير فى مسالك الشعراء فيها ، وقد اهتديت إلى أن هذه المدائح ترجع إلى منبعين أساسيين فمنها مدائح مصدرها العاطفة الصادقة المشبوبة القوية الدافقة ، وآية ذلك هو ما نحسه فيها من الطبع والصدق ، وقوة الانفعال وجيشان المشاعر ، وترك النفس على سجيتها ، وأمراء هذا اللون من المدائح ثلاثة شعراء هم عندى على هـذا الترتيب . عبد الرحيم البرعى ، والبوصيرى ، والشهاب محمود ، ومنها مدائح مصدرها العقل . وفى هذا اللون تتجلى الصنعة والتكلف كما نراه فى مسالك الشعراء الذين اتخذوا من المديح وسيلة لإظهار براعتهم فى النظم كمن ينظم قصيدة يلتزم فى كل بيت منها حروف المعجم أو يلتزم أن يكون أول حرف فى كل بيت كحرف القافية ، أو يلتزم أن تكون جميع القصيدة من حروف مهملة .

ومن ذلك الصنيع المشهور فى اتخاذ المدائح وسيلة لإظهار القدرة على الإتيان بالمحسنات البديعية وأبعد من ذلك فى التكلف ، وكذب العاطفة أن تتخذ هذه المدائح وسيلة لتسمية فنون البديع فيشتمل البيت على النوع البديعى مثالا وتسمية ، ومن أبطال هـذا الفن صفى الدين الحلى ، وابن حجة الحموى ، ولهذا الأخير بديعية شرحها بكتابه خزانة الأدب وهى فى اثنين وأربعين ومائة بيت وهـذا العدد هو عدد ما عرضه من ضروب البديع .

كما إنى أعد من هذا النوع ـ أعنى المدائح التى مصدرها العقل ـ هذا الشعر الذى تتجلى فيه قوة الشاعرية ولكنه يفقد الروح الدينية الخالصة العميقة ، وكثير من قصائد المديح من هذا القبيل ومن ذلك مدائح شوقى . وهذا الرأى الذى يشاركنى فيه كل ذواقة للشعر ، وكل ذى إحساس صادق بمواطن الصدق والتزييف فى العواطف ، يريحنا من خبط النقاد والكاتبين فقد أرادوا أن يوفقوا بين انكباب شوقى على الملاهى والملذات ، وأخذه منها بالنصيب الموفور ، وبين قوله فى مدح الرسول ، أو فى الأغراض الدينية بعامة ، فقال قائل إن ذلك من ازدواج الشخصية ، يريد أن لشوقى شخصيتين ، فهو قد يخرج من الحان إلى المسجد ، ثم يعود من المسجد إلى المقصف ، وهو ـ فى زعمهم ـ صادق العاطفة فى الحالتين .

وقال آخرون : إن شوقى قال هذه القصائد بعد أن ودع طيبات الحياة وتقدمت به السن وهذا فيما أعتقد جهل بالتاريخ ، فما أعرف أن هذا الشاعر تخلى عن طيبات الحياة ، وأعرف أن بعض هـذه القصائد قالها وهو يغذى شاعريته بالصغير وبالكبير .

ولست أستبعد أن يتوب المذنب وأن تصـــدق توبته ، ولا أن يكون الإنسان بشخصيتين ، ولكن شعر شوقى لا يضطرنا إلى هذه الافتراضات ، فهو لا يدل على أن

الرجل متدين ، وإنما كان شاعراً كبيراً يمجد بطلا عظيما .

وبائية شوقى فى ذكرى المولد نحو السبعين بيتاً ليس منها فى هذا الغرض إلا خمسة عشر بيتاً ، ولم يبتدئ فيه إلا فى البيت السابع والأربعين ، ولو كان شاعراً صادق الحب لعجل بذكر المولد ، وذكر صاحبه ولكنه استنفد أكثر قصيدته فى الغزل ، والحديث عن الدنيا وعن الإحسان إلى اليتامى ، فلما جاء إلى ذكر الرسول سماه نبى البر ، وأشار إلى قربه من الله حين عرج به ، ووصفه بأنه صاحب البيان الذى هدى الناس إلى سواء السبيل ، وصاحب الخيل التى كانت ملجأ للحق ثم تحدث فى خمسة أبيات عن المولد النبوى ، وبلغ ذروة الإجادة الفنية فى قوله :

أبا الزهراء قد جاوزت قدرى
بمدحك بيد أن لى انتسابا
فما عرف البلاغة ذو بيان
إذا لم يتخذك له كتابا
مدحت المالكين فزدت قدراً
فحين مدحتك اقتدت السحابا

أما الهمزية ، فقد ضمنها شمائل الرسول ، وأشار إلى نسبه الطاهر الشريف وإلى يوم مولده وإلى الإرهاصات التى صحبت هذا المولد الكريم . وقد أبدع وأجاد فى قوله :

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا
منها وما يتعشق الكبراء
لو لم تقم دينا لقامت وحدها
دينا تضىء بنوره الآناء
زانتك فى الخلق العظيم شمائل
يغرى بهن ويولع الكرماء

ولم ينس أن يتحدث عن القرآن وأنه الآية الكبرى، وعن دعوة الرسول لعقوقه ، وحالهم عند الدعوة ، فقال :

لما دعوت الناس لبى عاقل
وأصم منك الجاهلين نداء
أبوا الخروج إليك من أوهامهم
والناس فى أوهامهم سجناء
ومن العقول جداول وجلامد
ومن النفوس حرائر وإماء

وقد كان المداح الأقدمون يضمنون مدائحهم السيرة النبوية وشمائل الرسول والحنين إلى زيارته والتوسل به ، والشكوى من الذنوب ورجاء العفو والمغفرة ، والحديث عن القرآن ، وعن الصحابة ، وقد قال شوقى فى كل ذلك ما عدا الحنين إلى زيارة الرسول ، لكنه زاد أمورا على جانب كبير من الأهمية .

فمدائح شوقى يشيع فيها الحديث عن الأخلاق ، كما يشيع هذا الحديث فى كل شعره ويشيع فيها الحديث عن الفقراء ، وعن الزكاة ، ويمتدح الشريعة الإسلامية بأنها

راعت حق الفقراء ، ولكن الناس لا يستجيبون لداعي الله :

عجبت لمعشر صلوا وصاموا
ظواهر خشية وتقى كذابا
وتلفيهم حيال المال صما
كأن الله لم يحص النصابا

ويبلغ ذروة الإجادة في هذا المعنى حين يقول:

الاشتراكيون أنت إمامهم
لولا دعاوى القوم والغلواء
داويت متئدا وداووا طفرة
وأخف من بعض الدواء الداء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى
فالكل في حق الحياة سواء
فلو ان إنسانا تخير ملة
ما اختار إلا دينك الفقراء

والشكوى من حال المسلمين وتأخرهم وتفكك الروابط بينهم والاستغاثة بالرسول أن يدعو الله أن يهدي قومه ويبصرهم طريق السداد من الجوانب النبيلة التي عرج عليها شوقي في مدائحه :

ماجئت بابك مادحا بل داعيا
ومن المديح تضرع ودعاء
أدعوك عن قومي الضعاف لأزمة
في مثلها يلقى عليك رجاء
متفككين فما تضم نفوسهم
ثقة ولا جمع القلوب صفاء
رقدوا وغرهم نعيم باطل
ونعيم قوم في القيود بلاء

كما يتحدث شوقي عن أسرار الشريعة الإسلامية ، ويقف بصفة خاصة عند سر حروب النبي ، ويرد على أولئك الذين يعيبون الإسلام باتخاذ الحرب وسيلة لنشر الدعوة ، ويطيل في ذلك ، ومن قوله :

قالوا غزوت ورسل الله مابعثوا
لقتل نفس ولاجاءوا لسفك دم
جهل وتضليل أحلام وسفسطة
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
والشر إن تلقه بالخير ضقت به
ذرعا وإن تلقه بالشر ينحسم

وفي معنى هذا البيت الأخير جاء قوله في الهمزية .

الحرب في حق لديك شريعة
ومن السموم الناقعات دواء

هذا ، وقد امتد بنا نفس القول وموعدنا بالنظر في نهج البردة على حدة حديث يأتي إن شاء الله ، وأصدق ما نختم به هذا الحديث قول شوقي يخاطب الرسول :

أنت الذى نظم البرية دينه
ماذا يقول وينظم الشعراء

وقول البوصيري :

إن من معجزاتك العجز عن وص
فك إذ لا يحده إحصاء
ليس من غاية لوصفك أبـ
ـغيها وللقول غاية وانتهاء

وأفضل الصلاة وأطيب التسليم على صاحب الذكرى .

علي العماري

مولد رسول ورسالة :

الدين حرية

للأستاذ محمد فتحي عثمان

(يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم و الأغلال التى كانت عليهم)

أغلى حقائق الإنسانية ... الحرية !

فالإنسان لا يسير وفق نواميس آلية مطردة كالجماد ، ولا يسير بتوجيه الغريزة وحدها كالحيوان .

لكن الإنسان يتمتع بإرادة ... تتجلى مظاهرها فى الاختيار ، ومن هنا قد تتوفر مقدمات بعينها فى ظروف بعينها ولكنها لا تعطى النتائج نفسها بالنسبة لتصرفات الإنسان ! .

وأداة ممارسة الاختيار ومباشرة الإرادة هى العقل والتفكير ... وهذه الأداة من خصائص الإنسان المتميزة .

فإذا أردنا أن نعبر عن الإنسانية بخصيصة واحدة مفردة تكون علما على الإنسان وصورة لطبيعته لقلنا : إن الإنسانية حرية ...

* * *

تلك حقيقة قررها الفلاسفة بمنطقهم ، وتغنى بها الفنانون بمختلف أساليبهم وألوانهم ... وهى حقيقة سجلتها الوثائق الدستورية ، بعد أن استخلصتها دماء غالية وأرواح عزيزة ... فى كفاح ما أقدسه من كفاح !!! .

والدين ... ما باله فى هذه القضية الكبرى ؟

الدين ... لا يذكر إلا ويذكر الانقياد والخضوع ، والطاعة والاستسلام ! .

فهل يكون للدين شأن فى قضية الحرية ؟

شأن الدين فى مزاعم قوم ، أن يسد منافذ الحرية ، وأن يطبع الإنسان على المهانة والاستكانة ويكون أفيون الجماهير !

والدين الصحيح براء ... من هذا الهراء !

* * *

إذا كانت حقيقة الإنسانية هى الحرية ، فإن مهمة الدين هى تقرير هذه الحقيقة وتقديسها ... إنه يعمق مشاعر الحرية فى مسالك النفس والعقل ، وفى أغوار الفرد والمجموع ، وفى جذور الأمة والدولة ، وفى أصول العقيدة والشريعة ... فتتجاوب فطرة الله فى نفس الإنسان مع دين الله المنزل

على رسله والمودع فى كتبه ، وتتجاوب نواميس الله الكونية مع نواميسه الشرعية ، ويتجاوب كتابه المشهود مع كتابه المقروء !

إن الله يريد أن يستخلص النفس الإنسانية حرة كريمة عزيزة كما برأها ... وهو يؤكد هذه الحرية والعزة والكرامة أيما تأكيد ...

يؤكدها فى قصة خلق الإنسان أصلا ... فإن فيه من روح الله مالا ينبغى أن يذل أو يهون ، بل ما استوجب من أطهر خلق الله الإجلال والتكريم « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » .

حتى إذا ما خلق الإنسان وهبط إلى الأرض أكد الله مكانه فى الكون بين المخلوقات ، « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » ، « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

والله يؤكد حرية الإنسان واختياره ، « وهديناه النجدين » ، « بل الإنسان على نفسه بصيرة » ، « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ...

وعلى أساس هذه الأصول الكبرى عرض الإسلام نفسه على الناس ... فدعا بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادل بالتى هى أحسن ، ونفى - أقطع نفى - أن يكون الإلزام والإرغام طريقا لسوق العقائد إلى القلوب « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

« أنلزمكموها وأنتم لها كارهون » ، « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » ...

ونزل الله العظيم آيات كتابه يناقش ويبرهن ويورد الاعتراضات ويرد ، سبحانه تقدست أسماؤه وجل فى علاه ! ! ! .

تقرأ قول الله العظيم : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » ...

وتقرأ قول الله العظيم : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » ...

وتقرأ قول الله العظيم : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ...

وتقرأ قول الله العظيم : « أم خلقوا من غير شىء ، أم هم الخالقون » ، « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون » ! ! !

وتعجب من هذا النقاش الرائع الآمين ، والجدل الذى يجريه رب العزة مع مخلوقه العزيز ، وتطرب لهذا المنهج الربانى الأقدس فى تربية المؤمن المفكر الحر ! ! ! .

وتسمع فى كتاب الله العظيم تسجيلا دقيقا لكل دعاوى المنكرين والمتشككين « وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » ، « قال الذين كفروا

للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ، ، « وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون : هل لنا من الأمر من شيء ؟ ؟ قل إن الأمر كله لله ، يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك ، يقولون : لو كان من الأمر شيء ماقتلنا ها هنا ... » ! ! ! .

ثم تقرأ بعد ذلك آية الآيات فى أدب الخطاب والجدال ، فترى التحدى الذى لا يتخلى عن الذوق السامى الرفيع « قل لا تسئلون عما أجرمنا ، ولا نسأل عما تعملون » !.

° ° °

هذا الإنسان الحر الكريم ... هل يكون غنيا عن العالمين ؟ ؟

إنه مخلوق يأنس ويستوحش ، يقوى ويضعف ، يستكبر ويستخذى ... فتحريره وإطلاق قواه لن يلغى طبيعته كمخلوق ...

إنه دائم الإحساس بالحاجة إلى استمداد العون والتماس السكينة ، وتحرير الإنسان يبلغ أقصاه حين يرضى الدين فيه احتياجاته جمالا لا ينال من قوته وطاقته وحقيقته الكبرى .

والدين هنا ينقذ الإنسان من أن تستهلكه الشكوك والأهواء الباطلة ، ويعلمه : من يعبد ، وبمن يستعين ! .

إنه يشفق على الإنسان من أن تستعبده الطبيعة الجميلة الجليلة بنواميسها الصارمة البديعة المذهلة ، فيتصاغر المخلوق الحر العزيز أمام الشمس التى تبعث الضوء والحرارة والحياة ، أو أمام القمر الذى ينشر النور والجمال ، أو أمام أعاصير الريح ، أو غيث المطر ، أو أمام ما يسخر بين يدى الإنسان من تفاثات وذريات وصواريخ الفضاء ! !

ويشفق الدين على الإنسان من أن تستعبده الأهواء ... من أن يسبيه إيماء الأفراد ، أو استهواء المجموع ... من أن يجرى المخلوق الحر العزيز الكريم خلف مطالب جزء منه ، فيجرجر كيانه كله تبعا للقمة ، أو شهوة ، أو انقياداً لإنسان سواه من عباد الله ! !

ويفجر الدين الطاقة الإنسانية الصارمة البناءة ، حين يربط الإنسان - فى استعلامه واستسلامه بالله الواحد القهار ! ! .

إن الله وحده - هو الذى « ليس كمثله شيء » « ولم يكن له كفواً أحد » ...

والله - وحده - هو الذى له الحكم والأمر ، وهو - وحده - إذا قضى أمرا فلا يكون لمؤمن خيرة من أمره ، بل عليه الطاعة والامتثال ...

والله - وحده - هو الذى لا يسئل عما يفعل ، وهو - وحده - الذى يحمد على السراء والضراء ولا يحمد على مكروه سواه ...

والناس ... ؟؟ .

الناس جميعاً - أيا كانت منازلهم - أنداد

وأمثال وأشباه ، فالعباد سواء لا يستعلى عليهم إلا الإله المعبود ، والخلق سواسية يتعاونون ويتحاسبون - وهم يسيئون ! -

هذه هى الحرية فى أبعد أعماقها ، ومن هنا تنطلق الطاقة الإنسانية فى أضخم إمكانياتها . إن الحرية عند المؤمن لم تعد صرخة بشريته ونداء فطرته فحسب ، إنها دينه الذى يعبد الله به ويلقاه عليه ، فيرضى نزعته فى الانقياد والاستسلام لقوة كبرى فى الوقت الذى ينطلق فيه إلى أرحب الآفاق ...

إسلام لله ... بالانطلاق فى الكون .

وتعبد لله ... بالتحرر من كل سلطان سواه .

وهكذا يكون نداء الكون هو نداء الدين ، ونداء الخضوع هو نداء العزة ، ونداء الإنسان هو وحى الله « فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم - ولكن أكثر الناس لا يعلمون » . « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً » .

هذه القوة الكبرى التى يدين لها المؤمن فيعتز ، ويسلم فيتحرر ، هى أكرم قوة وقدرة يخضع لها الإنسان ، فضلا عن أن تكون أجدر قوة وقدرة بوجوب الخضوع لها والتسليم .

إنها قوة الغيب ... علت عن كثافة الحس ومطالبه ، ونطاقه العاجز القاصر ! ! ! إنها ترضى فى الإنسان أشواق الروح للإيمان بالغيب ، فى الوقت الذى تطلقه فى عالم الشهادة يعبد الله بالتجانس مع الكون والناس ...

إنها لا تتطلب من الإنسان (أتاوة) خضوع « ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون » . لا تتطلب عصبية هوجاء ولا أحقاداً عمياء ، فالله لن يزيد ملكه بطاعة الطائعين ولن ينقص بمعصية العصاة . فليس الخضوع لله إعلاء لدكتاتورية فرد ، أو سيطرة حزب ، أو احتكار طبقة ، أو تغلب جنس أو أمة ، أو تحكم قبيلة أو أسرة ...

وليس فى الخضوع لله محاباة للخاضعين كطائفة ، ولا تحامل على المنكرين كطائفة « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » « ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

هذا هو رب العالمين بحق ، رب المؤمن والكافر على السواء ، رب كل الأفراد والأجناس والأقوام والطبقات والطوائف على السواء .

لا عجب أن كانت قوته ... أنزه قوة كبرى يخضع لها الإنسان ، وأكرم قوة كبرى يخضع لها الإنسان ، فضلا عن أن تكون أجدر قوة بأن يخضع لها الإنسان ...

«أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار !!!؟؟؟.

* * *

هذا الإله العظيم الذى يدين له الإنسان الحر العزيز فتنطلق طاقاته المذخورة من مكانها دون أن يتبذل فى مراسم خضوع تمسخ بشريته وتشوه معالمه وتبدد قواه ...

هذا الإله العظيم الذى يرعى الناس جميعاً والخلق جميعاً بربوبيته الرحيمة ، يعلم أنه ما من فرد أو جمع يطيق أن يعيش منفرداً فى الكون ، فلا بد لرعاية حرية فرد أو مجتمع من تمكين كل الأفراد والمجتمعات من ممارسة حرياتهم ، ومن هنا كان لا بد أن تتقابل الحقوق والواجبات وأتت شريعة الإسلام تنظم ما فجرته عقيدة الإسلام من طاقات الإنسان وقواه ... جاءت عقيدة الإيمان تعز الضعيف بعزة الله ، وتطامن القوى أمام جلال الله وجاءت شريعة الإسلام ترعى حق المجموع ولا تهدر اعتبار الفرد ، وتقرر المساواة ولا تغفل الحرية .

وقال الخليفة المسلم الصديق (والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه) .

فإذا ما دعت الضرورات التنظيمية إلى المساس بحرية الفرد من أجل حريات الآخرين ، فما أسرع ما يعود الشرع إلى الأصل المقرر فى الحرية - هذه الحقيقة الإنسانية الكبرى ...

قد يمس التشريع مال الفرد لصالح المجموع ... فلا يكاد ميزان العدل يستوى حتى تعود للفرد حرماته وحرياته «وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون» .

ويعلن التشريع الحرب على الفئة الباغية صيانة لحق جماعة المسلمين ... ولكنها ليست حرب إبادة واستئصال «فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين» .

وتقاوم دولة الإسلام المحاربين من المخالفين فى الدين ، فإن كفوا عن العدوان عادت لهم حرماتهم الإنسانية ولو كانوا مخالفين . «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين» .

فما أولى الأحرار بالاحتفال برسالة الحرية الكبرى ... التى لا تغتفر للإنسان أن يفرط فى حريته ، فهى إنسانيته وهى عقيدته فى الوقت نفسه :

«إن الله لا يغفر أن يشرك به ... ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» . . ؟

فتحى عثمان

من القيم الإنسانية فى الإسلام : حرية العقل والفكر والإرادة

للدكتور محمد يوسف موسى

مستشار الشئون الدينية والثقافية بوزارة الأوقاف

لا أريد أن أتجنى على التاريخ أو الواقع فى شىء ، ولا ان أزكى على الله أحدا ، ولكنه سبحانه وتعالى - وهو العليم الخبير بمن خلق ، والحكيم فيما قضى وقدر - هو الذى يقول فى كتابه العظيم عن العرب المؤمنين : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ؛ تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » .

ولهذا جعل الله البلد العربى الأمين مهداً للإسلام ، وجعل العرب - بعد أن هدوا إلى الحق - حماة رسالته العظمى ، ومبلغيها وناشريها للناس جميعا عبر المكان والزمان ؛ وذلك لما يعلمه سبحانه وتعالى من سلامة فطرهم ، وكريم خلالهم ، وقيامهم بالقسط ، ونصرتهم للحق .

ومن ثم ، كانوا أهلا لحمل هذه الأمانة ، أهلا للقيادة والإمامة ، أهلا لأن يقول العليم الخبير فيهم : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا ؛ لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

* * *

وقد صار العرب الذين آمنوا بالله ورسوله ، حاملى النور إلى العالم كله ، والهداة إلى الحق والخير فى كل زمان ومكان ؛ وذلك بفضل القرآن الذى أنزل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، وبفضل ما فى الإسلام من قيم إنسانية نبيلة ، هذه القيم التى أوفت على الغاية وبلغت أرقى مراتب السمو والكمال .

وهذه المعانى والنزعات الإنسانية التى قامت عليها دعوة الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، ودعت إليها ، وعملت على تحقيقها بمختلف الطرق والوسائل ، لا سبيل إلى حصرها ، ولا إلى الإشارة إليها جميعا فى هذه الكلمة .

وإذن ليس لنا فى هذا المقال إلا أن نكتفى

بالكلام عن بعض هذه القيم الإنسانية التى جاء بها الإسلام ، فكرم بها الإنسان، وأنار السبيل للناس جميعا ، بادئين منها بالحرية والمساواة على اختلاف معانيها ، وتعدد مجالاتها وتطبيقاتها .

• • •

الإسلام هو دين « الحرية » بلا ريب بكل ما لهذه الكلمة من معان ومدلولات ، سواء فى ذلك الغربيون والشرقيون ، وقد أعطى لهذه الكلمة من المعانى ما لم يسبق إليه ، كما قدرها تقديراً لم يقاربه فيه دين أو نظام فلسفى اجتماعى سبقه أو جاء بعده .

ذلك بأن « أوجست كونت » الفيلسوف الاجتماعى المعروف . يقول فى بيان معنى الحرية : إن أحسن ما يكون لنا من حرية هو أن نعمل بقدر ما نستطيع لتسود العواطف والميول الطيبة على العواطف والميول السيئة .

ويرى « هيمون Hemon أن الحرية هى سيادة الإنسان لنفسه ، وسيطرته على شهواته وهذا يكون بعمل العقل المفكر والإرادة الطيبة ضد الشهوة والهوى .

وفى العصر القديم ، يقول « إيكتيت » ، الفيلسوف الرواقى المعروف : إن على من يريد أن يكون حراً ألا يخاف أو يرجو شيئا يملكه غيره ، وإلا فلن يكون حتما إلا رقيقا .

ولكن الحرية تشمل أيضا ، بجانب تلك المعانى ، تحرير العقل من الضلالات والتقاليد الباطلة التى ترين عليه وتمنعه من الانطلاق ، وتشمل تحرير الإرادة والعمل فيما لا يتعارض والصالح العام ، وتحرير المستضعفين من سلطان الأقوياء المستبدين وظلمهم وجبروتهم وتحرير المرء نفسه من أسر شهواته وهواه .

وهذا وذاك كله تراه ماثلا فى نزعة الحرية العامة الشاملة التى جاءت بها دعوة محمد صلوات الله وسلامه عليه . فقد جاء الإسلام يقرر للناس جميعا، على اختلاف أجناسهم وأزمانهم ، هذه الحرية على اختلاف أنواعها وضروبها : حرية العقيدة ، وحرية العقل والفكر ، وحرية الرأى والإرادة والعمل ؛ وكل ذلك لم يكن للإنسانية عهد به من قبل ، مع أن الحرية أمر طبيعى ، وأول حق إنسانى نبيل يحرص عليه كل إنسان .

• • •

بدأ الاسلام بتحرير العقل من سلطان ما توارثه الناس من العقائد الباطلة ، هذا السلطان الذى دفعهم إلى عبادة ما يصنعون بأيديهم من أوثان وأصنام ، ويقدمون لها

من القرابين وشعائر العبادة ما يعرفه التاريخ الصادق الأمين .

يعبدون هـــذه الأوثان والأصنام التى لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنهم شيئا ، وإنما يعبدونها بحكم التقليد للآباء والأسلاف الذين لم يكونوا فى هـذه الناحية يعقلون شيئا ولا يهتدون ، حتى إنهم كانوا إذا سمعوا القرآن يقول « اتبعوا ما أنزل الله » ، كانوا يقولون : « بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا » !

حتى إذا رفع هذا الحجاب عن قلوبهم ، وعرفوا بطلان ما كانوا عليه فى ناحية العقيدة وظفروا بحرية العقل والفكر ، هدوا بفضل ذلك إلى الحق الذى جاء به القرآن وأصبحوا يدخلون فى دين الله أفواجا ، وصاروا بعد هذا هم الهداة للحق الذى عرفوه وآمنوا به .

والإسلام حين حرر العقول من الأساطير والأوهام . وحرم عبادة الأوثان والأصنام وأمر بعبادة الله وحده ، قرر حرية العقيدة للناس جميعا بعد أن بين تماما ما هو حق فى هذه الناحية ، وبين ما يكون للمؤمن وغير المؤمن من جزاء عند الله فى الدار الأخرى .

ولهذا نجد القرآن العظيم يقول : « وقل الحق من ربكم ؛ فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر » ، ويقول : « لا إكراه فى الدين ؛ قد تبين الرشد من الغى » ، ويخاطب رسوله الحريص الحرص كله على أن يؤمن جميع من توجه إليهم برسالته بقوله تعالى : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » !

وكذلك يأمره صلى الله عليه وسلم ، فى آية أخرى ، أن يقول : « قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ؛ فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ، وما أنا عليكم بوكيل » .

* * *

وبعد هذا ، إن للبعض أن يتساءل : لماذا إذا كانت الحروب بين المسلمين والكافرين ، ألم يكن الدافع إليها إكراه هؤلاء على الإسلام فيكون الإسلام قد علا أمره وانتشر بحد السيف لا بالإقناع والدليل ؟ .

الجواب عن ذلك كله يجب عند الباحث المنصف أن يكون بالسلب لا بالإيجاب .

فإن الذى يستعرض آيات القتال فى القرآن ويستقرئ التاريخ الثابت الصحيح ، يتبين له بلا ريب أن القتال كان لحماية الدعوة حتى تأخذ سبيلها من الذين يكيدون لها ويقفون ظالمين فى طريقها .

كما كان للدفاع عن المستضعفين من المؤمنين الذى آذاهم المشركون أذى كبيرا ونالهم منهم بلاء شديد ، وذلك رغبة فى فتنتهم حتى يرتدوا عما آمنوا به من الدين الحق بعد أن

استقر فى عقولهم ، وامتلأت به نفوسهم وقلوبهم . ويكفى أن تذكر فى هذا أو ذاك هذه الآيات من سورة البقرة (١٩٠-١٩٣)

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ، فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم ، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » .

إن فى هذه الآيات من الصراحة ما لا يحتمل اللبس ، وهى دليل - أى دليل ! - على أن الإسلام جاء بحرية الاعتقاد ، وأن ما كان من قتال بين المسلمين وأعدائهم إنما كان بعد أن بدأ هؤلاء بالعدوان الشديد الذى كان لابد من رده ، ولهذا يقول الله تعالى بعد ذلك فى سورة الأنفال : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

إن الإسلام هو دين السلام ، ودين العقل والفكر ، فليس به من حاجة إلى القوة لحمل الناس عليه ؛ ومن ثم جاء بالحرية بأوسع معانيها ، ومنها حرية الاعتقاد والرأى ولهذا أمر الله رسوله بالدعوة إليه بالدليل الصحيح المقنع والموعظة الحسنة ، لا بالشدة ، والغلظة فما كانت الشدة ولا القتال فى أى عصر سبباً فى تثبيت ما ليس صحيحا أبداً .

ولنسمع فى هذا قوله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ؛ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين » .

ومن المثل الرائعة للدعوة إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ، هذا المثال الذى نجده فى هذه الآية التى أمر الله رسوله أن يتوجه بها لأهل الكتاب الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وصموا آذانهم وقلوبهم عن دعوة الحق ، وهى :

« قل يا أهل الكتاب ، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ؛ ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله . فإن تولوا ، فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

* * *

ومع هذا وذاك ؛ نرى الإسلام يقرر حرية الفكر والرأى بأوسع معانيها . ويفتح باب المعرفة والعلم على مصراعيه ؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وآيات كثيرة من القرآن

تختم بأمثال هذه الجمل : « إن فى ذلك لآيات لأولى الألباب » ، « لقوم يعقلون » ، « لقوم يتفكرون » ، « لقوم يذكرون » .

والقرآن أيضا يبين لنا فى كثير من آياته أنه سخر لنا مافى السموات والأرض ، ويطلب منا أن نعمل عقولنا وحواسنا فى فهمه . بل ويجعل من يهمل فى ذلك ولا يستعمل عقله وحواسه فى سبيل المعرفة أدنى من الحيوانات وذلك إذ يقول الله تعالى :

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » .

ومن شأن طلب القرآن العلم والمعرفة بكل سبيل ، أن يجعل حرية الفكر والرأى أمرا لا بد منه ، لأن ذاك يستلزم هذا ، ولا يطلب من الباحث إلا بذل الوسع فى استعمال عقله وحواسه كما ينبغى ، ولا عليه بعد ذلك من بأس إذا أخطأ فى بعض مايصل إليه ، بل إن لكل مجتهد بحق نصيب من الأجر .

وفضلا عن هذا ، فإن تاريخ الإسلام لم يعرف (محاكم للتفتيش) ، (ولا مجامع مقدسة) ، تحجر على العلم والمعرفة ، وتحكم على آلاف وآلاف من العلماء بالحرق وهم أحياء ، أو بالإعدام شنقا ، لأنهم وصلوا إلى بعض الآراء التى لا تتفق والمذهب الرسمى كما هو معروف فى التاريخ .

* * *

وبعد ! إن مجال القول ذو سعة فى الحرية التى جاء بها الإسلام ، الحرية العامة الشاملة . ويكفى أن نشير بعدما تقدم إلى حرية الرأى فى شئون السياسة العامة والحكم التى كانت من الصحابة رضوان الله عليهم أيام الرسول نفسه ، وبخاصة فى الأمور التى لم يجئ فيها الوحى الإلهى بالرأى الحاسم والقول الفصل ، وذلك أيام غزوة بدر وغزوة أحد وغيرهما

كما نشير إلى قولة سيدنا عمر بن الخطاب إلى سيدنا عمرو بن العاص : يا عمرو ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ هذه القوله التى لا تزال تدوى أبد الدهر ، ومنها نعلم أن الإسلام هو الذى وضع أسس الحرية والإخاء والمساواة لا الثورة الفرنسية كما يزعم الجاهلون بالإسلام وتاريخه ، أو المغرضون الذين يكذبون عليه وهم يعلمون.

بهذه القيمة الإنسانية النبيلة ، أحس الإنسان بأنه إنسان حقا ، وعرف لنفسه منزلتها وكرامتها ، وصار آمنا مطمئنا عزيزاً كريماً فى كل حال .

(الحديث موصول إن شاء الله)

محمد يوسف موسى

تأليهية القرن الثامن عشر وهل معتقدوها مؤمنون؟

للدكتور محمد غلاب

من بين العبارات المشهورة فى البيئات العقلية قول أحد الباحثين الغربيين : (كان القرن السابع عشر مؤمنا ، والقرن الثامن عشر ملحداً . والقرن التاسع عشر مرتابا ولا ندرى كيف يكون القرن العشرون ؟)

ولقد نزلت هذه العبارة من المثقفين فى الشرق منزلة الحقيقة اليقينية التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها . ونحن حين نمعن فى دراسة إنتاج ذلك القرن المفترى عليه من جهة ، وفى البحوث التى كتبها الأدقاء من معاصرينا عن إنتاجه وروحه وأهدافه من جهة ثانية ، تبين لنا فى وضوح أن تلك العبارة سطحية أو عائمة ، وأن الملحدين فى ذلك القرن لم يكونوا سوى عدد ضئيل وأن الأكثرية الساحقة من أعلامه وأفذاذ مفكريه ، كانت مؤلهة . وقد حملنا هذا التباين فى الحكم على أن ندرس هذه المفارقات ، الهامة آملين أن نصل من وراء ذلك إلى الكلمة الحاسمة فى هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ العقائد البشرية . ولكى يتيسر لنا القيام بهذه المهمة ينبغى أن نضع على بساط البحث هنا ثلاث معضلات :

أولاها كيف نمت التأليهية فى القرن الثامن عشر إلى حد أن اختصمت معها المسيحية وجعلت تناوئها مناوءة الند للند ؟ وثانيتها كيف خلط بعض المؤلفين بين التأليهية والإلحاد ؟ .

وثالثتها كيف كانت تلك التأليهية فى حقيقة أمرها ؟ وما هى المبادئ التى كانت تمثلها إذ ذاك وهل يعتبر معتنقوها من المؤمنين أو من الملاحدة ؟ .

ولكى تتيسر الإجابة على هذه الأسئلة ، ينبغى إلقاء شئ من الضوء على الناحية العقلية فى القرن الثامن عشر ، وإبانة الاتجاهات التى لعبت فيه أدوارا هامة كان لها فى العقائد وغيرها آثار بارزة ، وإليك البيان :

مما لا ريب فيه أن القرن الثامن عشر هو الذى منح التطورات الغربية تلك الصور المتجلية التى نشاهد اليوم نتائجها واضحة المعالم

وأن تلك الحقبة من تاريخ أوروبا ، هى الآونة الحاسمة التى فصلت بين ماضيها ومستقبلها ومن ثم كان من المألوف أن يقرأ الباحث فى منتجات المؤلفين المحدثين — سواء أكانوا من العلماء أم من النقاد أم من المرتابين أم من الماديين — هذه العبارة (نحن الورثة المباشرون للقرن الثامن عشر)

وفى الحق أن عددا ضخما من المؤلفات قد خصص لدراسة اتجاهات المدنية الغربية فى تلك الحقبة ، وأنها جميعها عنيت بأن تقف وقفة المتمعن عند تلك الثورة العقلية والدينية التى سبقت الثورة السياسية وأعدت لها النفوس والعقول . والتى كانت شعار ذلك القرن الذى أطلق عليه أعلام مفكريه اسم (عصر الأنوار) لأنهم كانوا يهدفون إلى « تبديد تلك الكتلة الكبرى من الظلام الذى غمر الأرض » على حد تعبير « ديدرو » .

وفى الواقع أننا نرى فى جلاء أن ذلك القرن كان عصر العقليين وذوى الحجج المقنعة والفلاسفة التجريبيين أى أن أفذاذه كانوا أرباب عقول حادة قاسية ونفوس جافة لا تعرف سوى المكافحات والمناضلات ، والنقد الحازم الحاسم ، وأنهم كانوا يأخذون على أسلافهم أنهم ورثوهم مجتمعا سيئا رديئا اضطهد الطبيعة واستهان بالعقل ، وجعل السعادة غير ممكنة الاقتناص وقد زعموا أنهم هم الذين سيجدون العلاج الناجع المبرأ من كل هذه الأدواء الخطيرة . وأنهم سيلاحقون السعادة حتى يستولوا عليها بمعونة العقل وحده — ولكنها سعادة بشرية فقط تلك التى يعدون وراءها ذلك العدو المتواصل .

غير أنه ينبغى أن نشير هنا إلى أن تعقلية القرن الثامن عشر ، تختلف كل الاختلاف عن تعقلية المدرسة الديكارتية التى لم تكن تعتمد إلا على الجانب الأسمى من العقل ، أى أنها لا تسمح لغير النظر المحض بأن يتدخل فى تشييد قضاياها ، بينما أن تعقلية القرن الثامن عشر كانت تعول - فى استخراج قواعد الفكر والعمل - على التجربة والاستنباط الفرديين ، وفى هذا يقول « لوك » الذى كان يعتبر أستاذ العصر : (إن أفكارنا بل عقلنا نفسه هو نتيجة الأحاسيس التى تسجلها النفس وثمرة العمل الذى تجريه على ذاتها ، أى أنه ليست هناك أفكار فطرية فى النفس) .

ومعنى هذا أن الإنسان بجهوده الخاصة ، هو الذى يجب أن يكون مرشد نفسه فى وسط هذا الخليط المظلم وأن ينشئ معارفه وينظمها وأن يختار تصرفاته حسبما يريد ويستطيع .

ولقد نجم عن هذا المبدأ الصريح الذى

قويت حوله الدعايات ، أننا رأينا أولئك الجرآء - منذ طليعة ذلك القرن - قد بدءوا أعمالهم بحملة قاسية من النقد اللاذع تناولوا فيها كل شيء ، فلم تنج من أقلامهم وخطبهم، بل من هدمهم وتقويضهم أية ناحية من تراث أسلافهم ، فهاجموا العلم والفلسفة والأخلاق والمسيحية والسياسة والحقوق واضعين نصب أعينهم هدم ما هو مألوف من كل تلك الجوانب وإعادة بنائه على أسس جديدة يزعمون أنها غير قابلة للتزلزل ، وإن كانت الأيام قد أثبتت فيما بعد أن كثيراً منها ممكن التزلزل ، بل قد تزلزل فعلا وسقط خاوياً على عروشه . وما أبدع تصوير الكاتب العصرى الفرنسى (پول هازار) لهذا الغرور فى كتابه القيم : (الفكر الأوربى فى القرن الثامن عشر) إذ يقول :

(سنعالج هنا أوضح ما وجد من العقول المستنيرة وإن كانت قد خلفت فى فلسفتها الشفافة متناقضات سيفيد منها الزمن عند ما تقع هذه الفلسفة تحت فعله القارص) .

ومهما يكن من الأمر ، فإن إنتاج القرن الثامن عشر مشتمل - ككل نواحى الحياة - على الخير والشر ، والحسن والسوء . فمن محاسنه أنه سما بحقوق الإنسان ، كالعدالة والمساواة أمام القانون ، والحرية والتسامح وفكرة الإنسانية . ومنها ما قدمه إلى البشرية فى محيط العلوم التجريبية التى جعلت تخطو نحو الكمال خطوات متمهلة حينا ، وسريعة أحيانا .

أما فيما يتعلق ببحوثهم الدينية ، فإننا نعتقد أن أكثرها قد أخفق ، بل كان عنصر فناء مذاهبهم كما يسجل الأستاذ (پول هازار) هذه الحقيقة فيقول :(والآن نصل إلى أخطر أنواع سوء التفاهم الذى فكك مذاهبهم مادام أن الأمر فيه يتعلق بالصلات بين الإنسان والإله) .

كان هذا الخصام أو سوء التفاهم الذى أشار إليه ذلك العالم السالف الذكر ناشئا من حملة المفكرين على المسيحية لا على الألوهية من حيث هى ، إذ أنهم كانوا على الضد من ذلك يكادون يجمعون على أن العقل الذى يدينون به ، يحتم أن يكون لكل فعل فاعل ، ولكل نظام منظم حكيم . وفى هذا يقول فولتير : (كنت أتأمل فى هذه الليلة وكنت منغمسا فى مشاهدة الطبيعة ، وكنت أعجب بعظم وسير وعلائق هذه الكرات غير المتناهية التى لا يعرف الدهماء كيف يعجبون بها وكنت أعجب أكثر من ذلك أيضاً بالعقل الذى يرأس تلك الحركات الواسعة ، وكنت أقول لنفسى ينبغى أن يكون المرء أعمى لكى لا يبهره

هذا المظهر ، وينبغى أن يكون غبيا لكى لا يقر بمنشئها ، وينبغى أن يكون مجنونا لكى لا يعبده) [١] .

من هذا النص وأمثاله يتبين جليا أن أولئك المفكرين لم يكونوا ملاحدة . وأنهم كانوا فى جميع المناسبات يدفعون عن أنفسهم بكل مالديهم من قوة تهمة الإلحاد . غاية مافى الأمر أن غلبة روح التسامح عندهم قد جعلتهم أقل من معاصريهم قسوة على الملحدين الذين كان الرأى العام حتى ذلك الحين يعتبرهم مفسدين مجرمين . وسر هذا التسامح هو أنهم - بدلا من اعتبار الملحد كأنه مجرم - كانوا يغتبطون بأن يمنحوه شيئاً من (الظروف المخففة) كأن يقولوا مثلا : قد لا يكون الملحد إلا رجلا مخدوعا .

على أنه إحقاقا للحق ، كان هناك نوعان من الملحدين ، أولها الملحدون الفاسقون الذين لا أخلاق لهم ، والذين هم ضد الدين ؛ لأن الدين يشهد ضد حياتهم ، وهؤلاء يستحقون الذم . وهناك أيضا ملحدون فضلاء يحبون ما هو خير ومعقول وجميل . وكان هؤلاء يعزون الإنسانية ، ويبدون اجتماعيين ، وهم لم يهووا فى الإلحاد إلا بسبب شرفهم الطبيعى ولكنهم رضعوا الخرافات مع لبن مراضعهم وحينئذ خلطوا بين الخرافات والدين وذلك سوء فهم خليق بالصفح . ومع ذلك فإن إصلاح الملحد أيسر من إصلاح المتحمس أو المتعصب .

غير أن المسيحيين قد نظروا إلى هذه الرحمة على أنها تودد إلى الملاحدة وانعطاف نحوهم (وشبيه الشىء منجذب إليه) كما يقولون . وقد امعن أولئك المتدينون فى اتهام هؤلاء الأعلام إلى حد أن أعلنوا فى صراحة أن التأليهية ليست سوى إلحاد مقنع ، وأنه لا فرق بين معبودى المؤلهين والماديين إلا فى التسمية فالأول يدعى بالإله ، والثانى يدعى بالطبيعة.

ومما لا ريب فيه أن هذا الخلط بين الحق والباطل والافتئات على أولئك المفكرين ، والتهم الجزافية التى صوبت إليهم بغير حساب كل ذلك يدفعنا إلى أن نقف هنيهة عند هذه التأليهية المظلومة ، لنتبين الفرق بينها وبين الإلحاد إحقاقا للحق ووضعا للأمور فى نصابها ولكن ينبغى قبل ذلك أن نشير إلى أن الملاحدة والماديين والمؤلهين - وإن اختلفت عقائدهم وتباينت مبادئهم . كانوا جميعا متفقين فى شىء واحد وهو الهجوم العنيف على المسيحية ، ولعل أهم

---

(١) انظر مادة الدين من « أسئلة حول دائرة المعارف » فى سنة ١٧٧١ . تأليف فولتير .

الأسباب الدافعة إلى هذه الحملة هو أن المسيحية فى ذلك العهد لم يكن لها مدافعون عباقرة كأولئك الأعلام الذين استطاعوا فى القرن السابع عشر أن يسحقوا خصومها من الملاحدة والزنادقة والمتحللين ، وأن يأخذوا بيدها إلى عرش الغلبة والانتصار أمثال : باسكال ، وبوسويه ، وفينيلون ، وماسيون ، وبوردالو ، ومن إليهم . وهذا الضعف من جانب المدافعين هو الذى سمح للتأليهية بأن تقوى وتقف من المسيحية موقف الخاصمة ، وبالتالى هذه هى الإجابة على سؤال المعضلة الأولى كما أن تعبير المتدينين بأن (التأليهية إلحاد مقنع) هو سر الخلط بين المبدأين ، وهذا كله يدفعنا إلى إلقاء الضوء على التأليهية كما وعدنا بذلك آنفا وإليك البيان .

كان المؤلهون من أعلام القرن الثامن عشر يرتفعون بإلههم عن أن يكون محليا أو موضوعيا ، أو خاصا بجنس معين من البشرية ، ويجزمون بأن أولى خصائص الألوهية الصحيحة هى العمومية ، وأن الدين الحق هو الذى لا ينبذ أحداً ولا يدين طائفة ، والذى يسمح لجميع أفراد البشرية بأن يسهموا فى الإيمان به وإليك الخطوط العريضة التى رسمها أولئك المفكرون ، لإلههم إذ يقولون : فى الواقع إن نظرة واحدة تلقى على الخلق تكفى للاحظة نتائج جديرة بالإعجاب . ولما لم يكن من المستطاع تصور نتائج بلا علة ، فإنه ينبغى إذن فرض علة أولى ، ولأنه لا توجد ساعة بلا (ساعاتى) وأن لدينا أمام أعيننا ساعة جيدة الضبط فإنه يوجد إذن عامل ماهر قد صنعها ، وأنه هو الذى ينظم ضبطها وهو الإله :

لأية غاية انتزع الإله العالم من العدم ؟ حقاً إن الإجابة محيرة ، ولكنه يكون أشد مدعاة للحيرة أيضاً أن يقر الإنسان فرض عالم لم ينشئه أحد ، وهو يسير بالمصادفة ، ولا يتجه نحو أية غاية . ولاجرم أن هذا يساوى القول بأن كائنات عاقلة يمكن أن تخلق بلا تدخل العقل . وإذن فيجب علينا حسب المنطق القويم ، أن نفضل العسير على المستحيل ، وأن نقر العلل الغائية ، وذلك حل يمكن أن يكون مرضيا .

إن التأليه يحقق نوعا من التطهير ، ففى الواقع أننا إذا محونا كل ما يبدو لنا خرافياً فى كل مذهب ، فإنه فى نهاية هذه الانمحاءات ، سيبقى الإله ، ولكنه إله غير معروف وغير ممكن المعرفة . ومن ثم فإنه لا يكاد يحتفظ له بغير الكينونة ولا يعطى من بين جميع

النعوت الممكنة سوى أشدها إبهاما وأكثرها إجلالا ، وقد دعى بالموجود الأسمى . وهو لا بد من إجلاله ، ولا يمكن إجلاله إلا بالعبادة الباطنية التى تثوى فى النفس .
وقصارى القول : إن إقرار المرء فى العموم بموجود أول ، وتوجيهه قلبه من وقت إلى آخر نحوه ، وامتناعه عن الأفعال التى تخل بالشرف فى البيئة التى يقيم فيها ، وتأدية بعض الواجبات فى المجتمع ، هذا هو الضرورى الوحيد ، وكل ما يبقى بعد ذلك هو عرضى .

ذلك هو مجمل العبارات التى صور بها المؤلهون إلههم العام ، وهى كفيلة بإبراز الفرق الواضح بين التأليهية والإلحاد . وصريحة فى الإيمان بإله هو قمة السمو ، ولكن هل حسبنا هذه النتيجة الضئيلة ؟ وهل كان من الممكن حقاً أن تكتفى الإنسانية بدين عام أجرد بلا وحى ولا أوامر ، ولا نواه ، ولا تعاليم ولا طقوس . ولا معابد ؟ بل هل وصل أولئك المفكرون إلى الهدف الذى كانوا يرمون إليه من تحقيق دين عام ، أو وحدة اعتقادية شاملة للإنسانية جمعاء ؟ إننا سنجد الرد الشافى الذى يلخص إجابات أدق الباحثين على هذه الأسئلة فى كتاب الأستاذ بول هازار وإليك هذا التلخيص :

(الواقع أنه - بدلا من العمومية التى كان يراد الوصول إليها - قد انتهت الحالة إلى التشتت ، وإلى العزلة وإلى تباينات قابلة للإنقاض حتى إزاء الجزم البسيط وهو (إننى أومن بالإله) لأنه كان ينبغى معرفة أى إله ذلك الذى يجب الإيمان به ، إذ أن المرء حين ينظر عن كثب ، يلاحظ أنه لم توجد تأليهية واحدة ، بل تأليهيات متعددة متباينة ، بل متعارضة ، بل متنازعة . فمثلا : تأليهية بوب ليست هى تأليهية فولتير ، وتأليهية فولتير جد بعيدة عن تأليهية ليسينج . وحيث كان الأمر كذلك ، فإن وحدة الإيمان كانت قد فقدت قطعا) .

والآن - لإيضاح هذا كله ، ولإبانة كل من تلك التأليهيات المختلفة فى حقيقتها وشرح مبادئ كل منها على حدة ومعرفة الفروق الدقيقة بينها وتوضيح النقط الأساسية التى تبعد صاحبها عن الدين الموحى به يجب أن نمر ولو مسرعين ، بتأليهات أولئك المفكرين ، وموعدنا العدد المقبل إن شاء الله .

دكتور محمد غلاب

إفريقيا الجديدة والإسلام

للدكتور جمال الدين الرمادي

أصبحت إفريقيا تضم بين جنباتها دولا مستقلة كثيرة بعد أن كانت قارة المستعمرات التي يستغلها الأجانب استغلالا رهيبا ويستولون على ثمراتها ويستأثرون بخيراتها ويستعبدون الأحرار فيها ، فقد شهدت الشهور الماضية استقلال غانا وتوجولاند والكونغو والكميرون وصوماليا واتحاد مالى وغيرها من المستعمرات القديمة فى القارة البيضاء التى أطلق عليها الدخلاء اسم القارة السوداء .

وقد استقلت فى ٢٦ يونيو الماضى جزيرة مدغشقر القريبة من الساحل الشرقى لإفريقيا وأصبحت تعرف باسم جمهورية ملجاس وعدد سكانها خمسة ملايين ومساحتها ٧٤ ألف ميل مربع ، كما أعلن استقلال داهومى وساحل العاج والنيجر وفولتا العليا وسيعلن فى أكتوبر المقبل استقلال نيجيريا ويجرى قبل مارس عام ١٩٦١ استفتاء بين أهلها الذين يبلغ عددهم مليون وربعمائة ألف نسمة ، يقررون فيه ما إذا كانوا ينضمون إلى نيجيريا المستقلة أم جمهورية الكميرون ، وفى سبتمبر الحالى تنال تنجانيقا الحكم الذاتى كما تتطلع أوغنده نحو هذا الحكم .

اتحاد مالى :

أما اتحاد مالى (فكان قبل الخلاف الذى حل) يضم السنغال والسودان الفرنسى الذى كان أهم مستعمرة لفرنسا فى غرب إفريقيا ، وقد كانت فرنسا لا تألو جهداً فى سبيل محو الثقافة العربية فى هذه البلاد ومنع البعثات الدينية من السفر إلى القاهرة لطلب العلم فى الأزهر الشريف . كما كانت تحارب الجزائريين بجنود هذه البلاد فيحارب المسلم أخاه المسلم .

استقلال توجو :

كما استقلت توجو ، توجولاند سابقا ، فى ابريل عام ١٩٦٠ ورفعت الوصاية الفرنسية عنها . وقد احتلت توجولاند منذ تسعين عاما وظلت السيادة الألمانية عليها حتى الحرب العالمية الأولى حيث استطاعت انجلترا وفرنسا احتلال جزء منها وأقرت عصبة الأمم حكم الأمر الواقع وأصبح لكل من الدولتين الحق فى الحكم فى ظل الانتداب الذى تحول إلى الوصاية بعد الحرب العالمية الثانية . وجرى استفتاء شعبى فى توجولاند البريطانية وتم بعد ذلك انضمام القسم البريطانى ومساحته ١٣ ألف ميل إلى غانا . أما القسم الفرنسى فقد اقترح إجراء انتخابات جديدة تحت إشراف الأمم المتحدة وتمت الانتخابات بفوز حزب الوحدة الذى تزعم حركة الاستقلال

وفشل أتباع الانضمام إلى فرنسا، وتقع توجولاند بين نيجيريا وغانا ومساحة الجزء الفرنسى حوالى ٢٢ ألف ميل مربع ، ويعيش فى توجولاند مليون إفريقى إلى جانب ألف أوربى والعاصمة هى لومى وعدد سكانها ٧٠ ألف نسمة وبها ثروة كبيرة من الحديد والفوسفات وكثير من المعادن غير منتجات غرب إفريقيا الزراعية مثل الكاكاو والبن وجوز الهند . وقد كان المستعمرون يحاولون أن تدفع إفريقيا ثمن تعمير أوربا وما خربته الحرب وأن تقدم مواردها من أجل هذا التعمير

والكونغو :

أما الكونغو فقد استقل فى ٣٠ يونيو سنة ١٩٦٠ بعد أن ظل فترة طويلة تحت حكم بلجيكا منذ أن اكتشفه ستانلى الرحالة البريطانى عام ١٨٨٢ وهو يعمل فى خدمة الملك ليوبولد الثانى ملك بلجيكا وباستقلال الكونغو تتحطم سلطة بلجيكا على هذه البقاع بعد أن ظل الملك ليوبولد مالكا شخصيا لأرض الكونغو ثم آلت ملكيته إلى الحكومة .

والكونغو من أكبر البلاد الإفريقية وأغناها إذ تبلغ مساحتها ٩٠٠,٠٠٠ ك م أى مثل مساحة الهند كلها وأكبر من مساحة غرب إفريقيا وبها نهر الكونغو سادس نهر فى العالم طولا وأوسعها على الإطلاق وتعمل البعثات فيها على نشر الكاثوليكية . وبين سبعين ألف أوربى يعيشون هناك يوجد عشرة آلاف من هذه البعثات ، وهذا يدل دلالة قاطعة على خطورة مهمتها وليس من شك فى أن الإسلام سوف يعود إلى صولته القديمة باستقلال هذه البلاد .

والكميرون :

وقد استقل كذلك الكميرون فى أوائل هذا العام وهو الجزء الأكبر من مستعمرة الكميرون الألمانية القديمة التى حصلت عليها ألمانيا عام ١٨٨٤ ثم تقاسمته بريطانيا وفرنسا فيما بينهما فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ونالت فرنسا الجزء الشرقى وبريطانيا الجزء الغربى ثم وضع الجزء الشرقى تحت وصاية الأمم المتحدة منذ ١٣ عاما .

استقلال الصومال :

انتهت الوصاية الإيطالية على الصومال وانتهت الحماية البريطانية قبلها فى شهر يوليو على الجزء الثانى من الصومال وأعلن ميلاد اتحاد جديد فى إفريقيا هو اتحاد الصومال الذى يبلغ عدد سكانه مليونين .

أما اتحاد الصومال الكبير فيشمل ثلاثة أقاليم أحدها يخضع لفرنسا والآخر ضم إلى كينيا والثالث هو إقليم أوجادين بأثيوبيا

وهذا الإقليم كانت بريطانيا قد أهدته إلى الحبشة مكافأة لها على اشتراكها فى إخماد ثورة المهدى فى الصومال، ثم عادت فأكدت هذه المكافأة بمعاهدة ١٨٩٧ وقد اعترفت فيها بالمصالح الحبشية فى أوجادين وهو إقليم يضم ٣٠٠٠٠٠ صومالى كلهم من المسلمين ويعد أغنى جزء فى الصومال، من الناحية المعدنية وثروة الغابات، كما يقال إن به بعض آبار زيت البترول وقد بدأ الاستعمار الإيطالى بالصومال منذ ٧٢ عاما بالاتفاق بين سلطان زنجبار وإيطاليا على تأجير موانئ بنادر لمدة خمسين عاما وبعد عشر سنوات تقريبا احتاج السلطان إلى مال فباع هذه الموانئ لإيطاليا مقابل ١٤٤،٠٠٠ جنيه وكانت هذه هى بداية الاستعمار الإيطالى وقد أيدت انجلترا فكرة الوحدة على شريطة أن تتم بين الصومال الإيطالى والبريطانى فقط وتعتبر فرنسا الصومال الفرنسى جزءا من الاتحاد الفرنسى وقد تمت الوحدة فى الصومال على هذا الأساس.

نسبة كبيرة من المسلمين :

ومما يثلج صدر المسلمين أن هناك نسبة كبيرة من المسلمين فى هذه الدول وأن الإسلام وصل إليها منذ أبعد الحقب والأزمان، وقد اعتنق ملوك الماندونجو الإسلام فى كنجابا وفى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى، ثم بدءوا يوسعون مملكتهم فى الجنوب والجنوب الشرقى، ولما آل الملك إلى ساندياتا استطاع أن يجعل من مملكته الصغيرة امبراطورية عظيمة هى «امبراطورية مالى» وقد اتسعت رقعة هذه الامبراطورية وبلغت درجة كبيرة من الجاه والسلطان فى عهد الخليفة منسى موسى الذى استطاع قواده أن يستولوا على تمبكتو وأن يضموا جوا فى أواسط النيجر، كما امتدت مملكته من بلاد التكرور غربا إلى ولدى شرقا ومن ولاتا فى الصحراء إلى فوتاجالون جنوبا وكانت القوافل الآتية من مراكش وبرقة ومصر تزور مالى بانتظام وكانت زيارة «منسى موسى» للأراضى المقدسة تحدث دويا كبيرا وصدى عظيما لأنه كان يحج مع عدد كبير من أتباعه ويصحب معه نخبة كبيرة من العلماء نذكر منهم أبا إسحاق الساحلى أو السهلى من أهل غرناطة فى الأندلس وقد بنى مسجدا فى جوا ومسجدا آخر فى تمبكتو ويقول ابن بطوطة: إن المسلمين من أهل مالى يحافظون على أداء صلواتهم ويرتدون الثياب البيض يوم الجمعة ولو لم يكن لأحد إلا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة كما أنهم يعتنون بحفظ القرآن الكريم ويضعون لأولادهم القيود إذا قصروا فى حفظه ولا تفك عنهم القيود حتى يحفظوه. كما أنهم يواظبون على الصلاة ويلتزمون أداءها فى الجماعات ويضربون أولادهم إذا انصرفوا عنها، وإذا

جاء يوم الجمعة هرعوا إلى المساجد لأداء الصلاة فلا يجد المصلى مكانا له إلا إذا بكر بالذهاب إلى المسجد .

الإسلام فى الصومال :

ويوجد فى الصومال عدد كبير من المسلمين ويقال إن عربيا عريقا فى الأصل أجبر على أن يغادر بلاده فعبر البحر إلى (عدل) وأخذ يدعو للإسلام فى تلك البلاد ، وفى القرن الخامس عشر الميلادى جاءت من حضرموت جماعة مكونة من أربعة وأربعين عربيا نزلوا فى بربرة على البحر الأحمر ، وتفرقوا فى بلاد الصومال وأخذوا ينشرون الإسلام ، وقد شق أحد هؤلاء اللاجئين وهو الشيخ ابراهيم أبو زباى طريقه إلى هرر فى حوالى سنة ١٤٣٠م واستطاع أن يجعل كثيرين من أهلها يدخلون فى الإسلام ، ولا يزال قبره موضع إجلال وتعظيم من أهل هذه المدينة ، وبالقرب من بربرة جبل سمى جبل الأولياء تخليداً لذكرى هؤلاء الدعاة الذين يقال إنهم كانوا يجلسون هناك فى خلوة قبل أن ينتشروا فى هذه البلاد للدعوة إلى دين الله ، وفى أوائل القرن السادس عشر كان كل سكان الصومال قد تحولوا إلى الدين الإسلامى عن طريق استقرار العرب من اليمنيين وغيرهم فى المراكز التجارية الساحلية .

مجاهد مسلم :

وقد قام أحد الزعماء الصوماليين وهو محمد ابن عبدالله بشن الحرب ضد الانجليز ، فالتف حوله نفر كبير من الصوماليين ، وانضمت إليه قوات ضخمة من الدراويش الذين تدفقوا من المناطق الشرقية والجنوبية الشرقية ومن مناطق الصومال الخاضعة للإيطاليين وأهل الحبشة ، وأعلن نفسه خليفة للطريقة الصالحية وهى إحدى الطرق الصوفية التى اعتنق مبادئها أثناء تأدية فريضة الحج ، فالتف حوله عدد كبير من الصوماليين وتحمسوا لها تحمسا شديدا وأصبحت شوكة فى جانب البريطانيين الذين أرسلوا الحملات تلو الحملات لإخمادها فكلفتهم كثيراً من الأرواح والأموال ، وقد انتشر التعليم الإسلامى فى الصومال فى القرن العشرين ، وقام المشايخ بتأسيس جميع أنواع المدارس فى المراكز الإسلامية ويطلق على المعلم شيخ أو فقيه .

ويمتلك بعض الشيوخ قطعا من الأراضى يوقفونها على هذه المدارس ، وعلى تحفيظ الصبية القرآن الكريم والحديث الشريف ، ولتخريج عدد من علماء الدين .

ولكن هذه الدول الجديدة لاتزال فى حاجة ملحة لرعاية الإسلام فيها بإرسال البعوث لنشر الدين وبث التعاليم الصحيحة التى تخرج الناس من الظلمات إلى النور .

دكتور جمال الدين الرمادى

كلا، لا ينتفع الميت بعمل الحي

للأستاذ عمر الجندي البهتيمي

نشرت مجلة الأزهر فى عدد رجب من سنة ١٣٧٩ هـ مقالا للأستاذ محمد عبد الحميد البوشي رداً على كلمتى التى نشرت فى عدد جمادى الأولى بعنوان (هل ينتفع الميت بعمل الحي ؟) وقد أيد فيه الرأى القائل بأن الميت ينتفع بعمل الحى .

وللأستاذ البوشي العذر لأن البدعة إذا اعتيد العمل بها تمكنت فى النفوس وصارت ملكة يصعب تركها فتكون هى السنة .

واليوم أعود للكتابة فى هذا الموضوع متناولا الأمر من ناحيتين :

أولا : الرد على الدعوى التى اقتبسها الأستاذ البوشي من كلام بعض المتأخرين المقلدين من الفقهاء .

ثانيا : النظر فى أدلته التى استند إليها فى تأييد دعواه .

أما عن الناحية الأولى فأقول : إن الشريعة ليست إلا ما بينها النبى عليه الصلاة والسلام بقوله (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنة رسوله) والكتاب والسنة ينقضان هذه الدعوى على ما سنبينه بعد : وقبل أن أبين ما قرره القرآن والسنة العملية أبين ما قرره الفقهاء وأئمة الحديث من القواعد المسلمة التى ستكون أساساً للرد وهى أولا : قرروا أن الرأى والقياس العقليين وهما اللذان لا يستندان إلى دليل شرعى لا يكونان فى العقائد والعبادات لأنها لا تعلم إلا من الشارع .

ثانيا : قرر أئمة الحديث بأن من علامات وضع الحديث مخالفته لظاهر القرآن مع عدم إمكان التوفيق بينهما بتأويل تجيزه القواعد الشرعية والأوضاع اللغوية .

ثالثا : المقرر عند الفقهاء أن العبادات البدنية المحضة كالصلاة والصوم لا تصح فيها النيابة فى الحياة ولا بعد الممات .

رابعا : ثواب العبادات يكون لفاعلها ولا ينتقل منه إلى غيره بأى نوع من أنواع التمليك لأنه معنى من المعانى غير معلوم المقدار لا عينا من الأعيان التى تملك وتعين .

وهاك ما قرره القرآن : قرر القرآن قاعدة عامة من قواعد الإسلام ، هى مسئولية كل إنسان عن عمله : قال الله تعالى « أم لم ينبأ بما فى صحف موسى ، وإبراهيم الذى وفى ، ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس

للإنسان إلا ما سعى » . الآية وقال تعالى : « هل تجزون إلا ما كنتم تعملون » وقال : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » إلى غير ذلك من الآيات الدالة بطريق أدوات الحصر التي هي أقوى الدلالات على أن الإنسان لا ينفعه ولا يضره إلا عمله لنفسه دون عمل غيره ، وهذا هو ما فهمه الصحابة رضى الله عنهم من نصوص القرآن حتى قال ابن عباس لا يصلى أحد عن أحد ولا يصوم أحد عن أحد ، وقالت مثله السيدة عائشة وهذا هو ما تقتضيه العدالة الإلهية وتستسيغه العقول السليمة ، وقد استثنى الشارع من هذه القاعدة عمل البر ممن كان الشخص سببا فى وجوده وهم الأولاد بالنسبة للوالدين ، فعمل البر من الأولاد للوالدين مشروع فى أمرين متفق عليهما وهما الدعاء لها والصدقة عنهما وأمور مختلف فى مشروعيتها لها وهى الصلاة والصوم والحج وغيرها من العبادات التى كانت عليهما لله ولم يؤدياها فى حياتهما كما يعلم ذلك من وقائع فتاوى النبى عليه الصلاة والسلام لمن سألوه فإنها كلها كانت منه للأولاد عن والديهم وهذا لا ينقض القاعدة العامة التى قررها القرآن .

روى عن النبى عليه الصلاة والسلام (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) .

وأما عمل القرب للأموات من غير الأولاد كقراءة القرآن والصدقة والذكر فلم يرد بمشروعيته نقل عملى ولا حديث صحيح .

ولو كان عمل القرب للأموات غير الدعاء والصدقة من غير الأولاد لوالديهم مشروعا لفعله النبى عليه الصلاة والسلام ولو مرة تشريعا لأمته ولتوفرت الدواعى على نقله والعمل به ممن شهده من الصحابة وانتشر ذلك فى سلف الأمة .

كما أن جعل الإنسان ثواب عمله لغيره لا يكون إلا بالهبة أو الإهداء وكلاهما يقتضى وجود المهدى له أو الموهوب له حتى يتحقق القبول والقبض اللازمان للهبة أو الإهداء والمهدى له أو الموهوب له وهو الميت معدوم فلا يتحقق القبول والقبض ولا التسليم والتسلم ولو شرعت الهبة أو الإهداء فى الثواب لصح بيعه وشراؤه ولتسابق الفقراء إلى بيعه للأغنياء ، ولم يقل بذلك أحد .

ثم ننتقل إلى الناحية الأخرى . وهى الأدلة التى اعتمد عليها الأستاذ فى رأيه : أما تضحية النبى عليه الصلاة والسلام بكبش عن فقراء أمته الأحياء فى زمنه فقد أقام النبى نفسه نائبا عنهم فى أمر عينى تجوز النيابة فيه فى الحياة وبعد الممات جبرا لخاطرهم ورفعا لشأنهم أمام الأغنياء فالنبى عليه الصلاة والسلام ثواب التضحية وللفقراء شرف

النيابة عنهم . على أن هذه واقعة حال مما اختص به النبي عليه الصلاة والسلام .

وحديث عائشة رضى الله عنها (من مات وعليه صوم صام عنه وليه) يتعين أن يراد من الولى الولد جمعا بين الروايات لأنها القائلة لا يصلى أحد عن أحد أى من غير الأولاد كما قال ابن عباس رضى الله عنه فهى من المسائل المستثناة من القاعدة العامة التى قررها القرآن وشملتها آية « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » . فالاحتجاج به ساقط

وحديث إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه المروى عن ابن عمر قال الأستاذ : إنه إذا كان الميت يعذب ببكاء أهله عليه أفلا يسر وينعم بقراءة القرآن له ؟ وهذا فضلا عن كونه قياسا عقليا فى أمر تعبدى فقد أنكرت هذا الحديث السيدة عائشة وخطأت ابن عمر فى سماعه للفظه أو فهمه لمعناه وقالت وفى القرآن مايكفيكم « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وحديث اقرءوا يس على موتاكم قال الدار قطنى هذا الحديث ضعيف الإسناد والمتن وفيه جهالة أبى عثمان وأبيه وقد قال ابن العربى : كل ماروى من الأحاديث مرفوعا فى سورة يس لا أصل له .

ثم يقول الأستاذ : قال العلماء (إن قضاء الدين عن الميت يسقطه من ذمته ولو كان من أجنبى أو من غير تركته وإذا كان الميت ينتفع بإسقاط الدين عنه من الحى وإبراء ذمته منه فكذلك ينتفع بإهداء الثواب أو هبته له ولا فرق بينهما وهذا مردود بأمرين أحدهما أن هذا قياس عقلى فى أمر تعبدى . ثانيهما : قوله ولا فرق بينهما غير مسلم لأن الدين من الأعيان الموجودة المعلومة المقدار كالذهب والفضة فتصح النيابة فيه فى الحياة وبعد الممات بوصية وبدونها من تركة الميت أو من تركة غيره بخلاف الثواب فإنه عدم وغير معلوم المقدار إلا لله فالفرق بينهما ظاهر ، وما نقله من كتاب الروح لابن القيم من أن ثواب القراءة ملك للقارئ يتصرف فيه كيف يشاء فإذا أهداه إلى الميت يصل إليه كما يصل ثواب الصوم والحج ، خطأ ابن القيم فيه العلماء بأن هذا ، على فرض تسليم وصول ثواب الصوم والحج إلى الميت ، قياس عقلى فى الأمور النقلية وبأن ثواب الصوم والحج لا ينتقل إلى غير فاعله بأى نوع من التصرفات التى تفيد الملكية لأنه عدم وبأنه ليس عينا حتى يملك . وبأن هذا القول مخالف لظاهر القرآن فلا يعول عليه ـ انظر تفسير القرآن الحكيم لآية ولا تكسب كل نفس إلا عليها من سورة الأنعام ـ وما نقله عن الشوكانى من أن أهل السنة قالوا إن للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره مردود بما قررناه من أن السنة العملية التى جرى عليها النبى عليه الصلاة والسلام وسلف الأمة على خلاف ذلك و أن الثواب عدم فلا ينتقل

(البقية على صفحة ٣٢٦)

النحو بين التجديد والتقليد

للأستاذ عبد الخالق عضيمة

قواعد النحو ثمرة لجهود صادقة موفقة بذلها النحويون فى سبيل استقراء كلام العرب ومشافهة الفصحاء .

وقد حرص كل واحد منهم على أن يستدرك على سابقه وما زال باب الاجتهاد فى النحو مفتوحا على مصراعيه لم يزعم أحد أن النحويين فوق مستوى الشبهات أو أن قواعدهم لها قداسة وحرمة .

فهذا أبو الفتح يقول فى الخصائص فى باب القول على إجماع أهل العربية متى يكون حجة ١ — ١٨٩ : لم يرد ممن يطاع أمره فى قرآن ولا سنة أنهم لا يجتمعون على الخطأ كما جاء النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله أمتى لا تجتمع على ضلالة ...

وإنما هو علم منتزع من استقراء هذه اللغة فكل من فرق له عن علة صحيحة وطريق نهجة كان خليل نفسه وأبا عمرو فكره .

ويقول أبو حيان فى كتابه البحر المحيط ٢ — ٣١٧ : وليس العلم محصورا ولا مقصوراً على ما نقله وقاله البصريون ويقول أيضا ٤ — ٢٧١ ولسنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة وينبغى أن يكون نقد النحو قائما على الاستقراء والاستقصاء فيكشف عما فى قواعده من قصور وما وقع فيه النحويون من تقصير أما المهاجمة عند سنوح أول خاطر أو عروض نزوة من نزوات الفكر فهذا مما ينبغى ألا يكون عرض لنقد النحويين ابن مضاء القرطبى المتوفى سنة ٥٩٢ هـ فى كتابه الرد على النحاة[1].

ولم ينفذ فى نقده إلى جوهر النحو وإنما أدار حديثه فى كتابه على أمور ثلاثة لم يتجاوزها وهى العوامل — التعليلات — التمارين الفرضية .

والعوامل فى صناعة النحو إنما هى أمارات ودلالات فوجود إن فى الكلام يحمل المتكلم على نصب الاسم ورفع الخبر وهكذا غيرها ، هذا هو اعتبار النحويين لتأثير العوامل فى الكلام .

وقد بالغ ابن مضاء فى تصوير العوامل عند النحويين ونسب إليهم ما لم يصدر عنهم

---

(١) نقدت هذا الكتاب فى مقال سابق .

كما نسب إلى ابن جنى أنه أنكر العوامل وكتب ابن جنى تنطق بغير ذلك .

على أن ابن مضاء قد اعترف فى مقدمة كتابه بأن النحويين قد بلغوا الغاية فيما أرادوا قال :

وقد وضع النحويون صناعة الكلام لحفظ كلام العرب من اللحن وصيانته عن التغيير فبلغوا من ذلك الغاية التى أموا ، وانتهوا إلى المطلوب الذى ابتغوا .

ثم ألف الأستاذ ابراهيم مصطفى كتابه إحياء النحو سنة ١٩٣٧ ، وسلك طريق ابن مضاء فى نقد نظرية العوامل .

ولما وجد أن إنّ تنصب المبتدأ وترفع الخبر وهذا يخالف أصوله قال : إن نصب الاسم بعد إن . جاء عن طريق الوهم والغلط، وهذه عبارته فى إحياء النحو ص ٧٠ .

لما أكثروا من إتباع إن بالضمير جعلوه ضمير نصب ووصلوه بها وكثر هذا حتى غلب على وهمهم أن الوضع للنصب ، فلما جاء الاسم الظاهر نصب أيضاً .

كما رأى الأستاذ ابراهيم مصطفى أن يجمع الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر فى باب واحد يسمى باب المسند والمسند إليه ص ٥٣-٥٤ محتجا بأن سيبويه فعل ذلك فى كتابه .

ثم سنحت الفرصة للأستاذ ابراهيم مصطفى بالإشراف على تأليف كتب القواعد فى وزارة التربية والتعليم . ففرض هذه التسمية فرضا فى كتب الابتدائى والإعدادى، ونحن لا نقول: إن هذه التسمية خطأ ولكننا نقول : إنها لا تناسب المبتدئ فى النحو .

الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر أوضح وأدل على المراد من المسند والمسند إليه ولو كان هذا الجمع يوحد أحكام البابين ويزيل ما بينهما من فروق لقلنا هذا تيسير طريف يجب أن نترسمه .

ولكننا نرى أن الفعل إذا تقدم على الفاعل تجرد من علامتى التثنية والجمع ، وإذا تأخر عن الفاعل لحقته ضمائر التثنية والجمع .

فالتعبير بالمسند والمسند إليه ليس فيه غناء عن دراسة أسلوب الفاعل ومعرفة أحكامه .

والأساتذة مؤلفو النحو الابتدائى قد طالبوا التلميذ المبتدئ بمعرفة هذه الأحكام فى تمريناتهم وأغفلوا الإشارة إليها فى قواعدهم وهذه هى تمارينهم .

(١) ابدأ الجمل الآتية بالمسند إليه .

خرج الصديقان فى رحلة ـ يفوز الملتفتون إلى دروسهم ـ أمسك الشرطيان اللص .

(٢) ابدأ الجمل الآتية بالمسند .

المصلون وقفوا صفوفا ـ القاربان يتسابقان

فى الماء - المسافرون يعودون اليوم - الزهرتان تفتحتا .

وسيبويه كما عبر بالمسند والمسند إليه عبر بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر فى مواضع كثيرة جدا من كتابه .

بل لو التزم سيبويه هذا التعبير لم يكن صنيعه هذا ملزما لنا ، إذ فى كتاب سيبويه من الاصطلاحات ما لا يناسب المبتدئ ولا غير المبتدئ .

فقد سمى سيبويه الحال خبرا (١ / ٢٠٣ - ٢٤١ ، ٢ / ٢١٦) .

وسمى التوكيد نعتا (١ / ١٤٠ - ٢٧١) .

وسمى النسق بدلا (٢ / ٢١٦) .

وسمى المقصور منقوصا ٢ / ٩٢ .

فهل من تيسير النحو أن نأخذ عن سيبويه مثل هذه المصطلحات . وقديما سئل رجل بكم اشتريت هذه السمكة؟ فقال بدرهمان فقيل له: لم قلت بدرهمان ولم تقل بدرهمين ؟ قال : لأن سيبويه قال فى كتابه ثمنها درهمان .

ألزم هؤلاء الأساتذة أنفسهم التعبير بالمسند والمسند إليه فى كتب الابتدائى والإعدادى .

عبروا عن فاعل نعم وبئس بقولهم الاسم التالى لنعم أو بئس وقالوا يسمى المخبر عنه مسندا إليه كما يسمى المخبر مسندا .

ثم جاءوا فى الثانوى وتكلموا عن حذف الفاعل وأغراضه .

وحذف المبتدأ جوازا ووجوبا .

وحذف الخبر جوازا ووجوبا .

وتقسيم الخبر إلى مفرد وجملة .

٢ - جعلوا ضمائر الرفع المتصلة حروفا فقالوا : -

تلحق بالفعل إشارات تدل على النوع والعدد وهى التاء للتكلم أو المخاطب - ونا الدالة على المتكلمين ، والألف للمثنى - الواو - لجمع الذكور - الياء للمخاطبة - النون لجماعة الإناث - الجزء الثانى من الإعدادى ص٦٣ .

وقد نسب إلى المازنى أنه خالف النحويين وقال : إن الألف والواو والنون وياء المخاطبة حروف . ووافقه الأخفش فى الياء (ابن يعيش ٣ / ٨٨ همع الهوامع ١ / ٥٧) .

وبالرجوع إلى تصريف المازنى نجده يصرح بأن التاء فاعل . قال : وإن كانت التاء التى تجىء فاعلة فالجيد إظهارها . نحو فحصت عنه وفحصت برجلى .

(المنصف شرح تصريف[1] المازنى ٢-٣٢٢).

والسادة المؤلفون لم يقفوا عند رأى المازنى ولكنهم توسعوا فيه وقاسوا عليه .

وأنا لن أرد عليهم بما رد به النحويون على المازنى .

«١» نشرته إدارة إحياء التراث القديم بتحقيق الأستاذ ابراهيم مصطفى وزميله .

وإنما أرد عليهم بما وقع فى كلامهم .

قالوا إذا كان المسند جملة فلابد أن يشتمل على ضمير يربطها بالمسند إليه ويطابقه فى النوع والعدد (٢ - ١٨٩) .

وإذا كان النعت جملة ، فلا بد أن تشتمل على ضمير يربطها بالمنعوت ويطابقه فى النوع والعدد (٢ / ٢٠٠) .

وإذا كانت الحال جملة فلابد أن تشتمل على رابط يربطها بصاحب الحال وهذا الرابط قد يكون الضمير أو الواو أو هما معا (٢ - ٢٠٨) ثم أعربوا الواو إشارة إلى الجمع فى قولهم :

الشبان يرفعون شأن الوطن (٢ - ١٢٣) .

وقالوا فى سئلت المسند إليه المخاطب (٢-١٢٣)

لو سألتهم أين رابط جملة الخبر فى قولهم الشبان يرفعون شأن الوطن وفى أنت سئلت وأنا تكلمت لقد اشترطوا فى الرابط أن يكون ضميرا ولا ضمائر عندهم فى هذه الأساليب . وكذلك الأمر فى جملتى الحال والنعت . إن فى هذا الكلام شيئا من البلبلة ما كان أغنى تلميذ الإعدادى عنها . وهل هذا هو التجديد والتيسير والتقريب ؟ .

٣ — فى المصدر الدال على الهيئة جاءوا بأمثلة من المصدر العام ولا تدل فى أسلوبها على الهيئة . قالوا .

ما أجمل العزة وأقبح الذلة ! ثم ذكروا زينة - خبرة - رشوة - محنة .

والمصدر العام إذا كان على فعلة لا يدل على الهيئة إلا بقرينة إضافة أو غيرها ، فإذا أردنا الدلالة على الهيئة فى الألفاظ المذكورة قلنا : ما أجمل عزة الكريم وأقبح ذلة اللئيم . وزينة العروس ، وخبرة المجرب ، وغير ذلك . وهذا محل اتفاق من النحويين لا نعلم فيه خلافا .

ولكنهم أغفلوا هذا الشرط فخلطوا بينهما ذكروا فى مقدمة كتبهم : تيسير العربية وتقريب قواعدها قد رسمت لها بعض الآراء . ولكن تحقيق هذه الأمنية كان يثير بعض التردد والخشية ، لأن الرجوع عن المألوف أمر غير يسير إلى أن جاءت الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ ومعها العزم الصادق على الإصلاح والرأى الماضى على تذليل الصعاب فهى السبيل للتنفيذ .

كل ما صنعه الأساتذة من تجديد فى النحو لا يتجاوز إطلاق المسند والمسند إليه على الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر وأن ضمائر الرفع المتصلة إشارات .

فهل كان التعبير بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر واسمية ضمائر الرفع المتصلة من آثار العهد البائد؟

لا تظلموا الثورة يا سادة ، فالثورة شعارها البناء والإصلاح والتعمير .

ودعوتها للقومية العربية دعوة منطلقة مدوية قرعت جميع الآذان ، وتفتحت لها الأذهان ،

فى كل مكان على حين أنكم استفحتم التأليف فى كتب العربية بشرشر ومشمش وملء حشوها اللغة العامية . إننا نريد تيسيرا ينفذ إلى الصميم . أما أن يكون غمغمة لا تبين ، ومجمجة لا تتضح ـ فذلك ما لا نرضاه لكم فى عهد الثورة البناءة .

وقالوا أيضاً : ولكن راعينا أن يكون أيسر وأسهل لتناول التلميذ وأكثر اتصالا بالنظريات النفسية والتربوية الحديثة .

اللهم ـ إن كانت هذه البلبلة من وحى النظريات النفسية والتربوية الحديثة فإنى أحمدك على أنى لم أعرف عنها شيئا .

ويؤسفنى أن أقول : إن هذه البلبلة قد سرت إلى مقاييس البلاغة . وسأكتفى هنا بمثال واحد: قمين بمعنى جدير كلمة خفيفة على اللسان مقبولة فى الأسماع جاءت فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى كلام العرب ، فما استثقلها أحد ، حتى جاء مؤلفو كتب البلاغة للثانوى فقالوا عنها إنها ثقيلة الظل متنافرة الحروف مثل مستشزرات !

ويا بعد ما بين قمين ومستشزرات .

إن فى القرآن الكريم كلمة بمعنى قمين وعلى وزنها وهى قوله تعالى : «حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق» .

فلو ترفعنا إلى أذواق هؤلاء الأساتذة ، واحتكمنا إلى قواعدهم لكانت كلمة حقيق فى القرآن الكريم أكثر ثقلا وأشد تنافرا ؛ لأن فيها ، قافين والقاف من حروف القلقلة .

هل يرضى مثل هذا أساتذة جامعاتنا المؤلفين للكتاب وبينهم عميد لكلية الآداب ؟

وماذا يقول عنا إخواننا فى الأقطار الشقيقة ؟ ؟ .

محمد عبد الخالق عضيمة
مدرس بكلية اللغة العربية

(بقية مقال كلا لا ينتفع الميت بعمل الحى ؟)

بأى نوع من أنواع التصرفات التى تفيد التمليك (انظر باب القرب المهداة إلى الموتى فى الجزء الربع من نيل الأوطار) .

وقال الأستاذ البوشى أن الإمام أحمد ذهب إلى أن ثواب قراءة القرآن يصل إلى الميت وهى دعوى غير صحيحة ، بل المروى أن سائلا سأل الإمام أحمد أن الرجل يفعل الشىء من الخير فيجعل نصفه لأبيه أو أمه فأجاب الإمام بقوله يرجى أن يقبل ولم يجزم بالجواب .

هذه كلمة عمادها الكتاب والسنة وماجرى عليه سلف الأمة وكل تشريع يخالف تشريعها يخشى أن يرجع بالأمة إلى الوثنية التى جاء الإسلام لمحوها وعبادة الله وحده ؟

محمد الجندى البهنجى
شيخ معهد دسوق الأسبق

معركة بيت المقدس
وأثرها في الأدب

للأستاذ الدكتور احمد احمد بدوى

كانت وحدة مصر وسورية تحت لواء صلاح الدين فاتحة عهد جديد فى سبيل استرداد فلسطين المغتصبة ، فإن هذا البطل لم يكد يوحد البلاد تحت لوائه ، حتى أرسل إلى جميع أجـزاء امبراطوريته يستنفر الناس لقتال العدو ، ويحثهم على الجهاد ، ويأمرهم بالتجهز له . وكانت هذه الوحدة بين المسلمين سببا دفع الحماسة فى صدور الجند ، فأقبلوا من كل حدب يريدون أن يستخلصوا وطنا طال اغتصابه ، ومضى صلاح الدين على رأس جيشه ، فالتقى بالفرنج عند حطين ، ودارت عندها معركة لم يذق الفرنج مثلها ، منذ قـدموا من ديارهم غازين بلاد الشام ؛ فقد مضوا بين أسير وقتيل لم ينتظر صلاح الدين حتى يجمع العدو شمله المبدد ، بل مضى يتابع انتصاراته ، وأخذت مدن العدو تسقط فى يده ، الواحدة تلو الأخرى ، حتى إذا سقطت البلاد المحيطة بالقدس ، شمر عن ساعد الجد ، وذهب إلى بيت المقدس يريد فتحه ، وهنا رأى العدو أنه لا قبل له بالجيش الزاحف ، فاستكان ، وطلب الأمان ، وفتحت المدينة أبوابها لاستقبال صلاح الدين يوم الجمعة ، السابع والعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة هجرية .

وكان لاستعادة بيت المقدس ، بعد أن ظل فى يد العدو زهاء تسعين عاما — رنة فرح تجاوبت أصداؤها فى أرجاء العالم الإسلامى كله ؛ وسجل الأدب شعره ونثره ما نبضت به قلوب المسلمين لدى هذا الفتح المبين .

— ١ —

وأول ما بدا من ذلك هذه الرسائل التى تأنق فيها كاتبوها ، يذيعون أنباء هذا النصر المؤزر ويسجلون قيمته ، ويروون أحداثه .

وكان لسان الدولة يومئذ القاضى الفاضل متأخرا بدمشق لمرض عرض له ، فكتب إليه السلطان يخبره بذلك الفتح ، ويقول له فى رسالة : « أما الفتح ... فإن الله تعالى سهل ما سجل أهل الدهر بأنه صعب ، وهب نسيم

النصر أيان يقال : ليس له مهب ، وخصنا بهذا الشرف ، وألحقنا فى هذه الفضيلة بصالحى السلف ... وفتحت بهذا الفتح من بيت الله المقدس أبواب الجنان ... وغسلت الصخرة المباركة من أوضارها بماء العيون الفائض الفائق غزارة الأمواه ، وقبلت الشفاه ، وبوشرت بالأفواه ، وطهرت بأهل العلم والحلم من أدناس أهل الجهل والسفاه ، والحمد لله ، ثم الحمد لله ... » .

والكتاب ناطق بتسجيل نظرة المسلمين يومئذ إلى فتح بيت المقدس ، وأنه كان أملا بعيداً يصعب تحقيقه ، فما إن تم حتى بهر الأبصار وملأ الصدور .

ومن كتاب آخر كتبه إليه أيضا :

« نصرنا الله بملائكته المسومين ، وأوليائه المؤمنين ... وهذه موهبة مذهبة ، ومنقبة لا يبلغ إلى وصفها بلاغة موجزة ولا مسهبة ، ونوبة ما بعدها للإسلام نبوة ، وحظوة فى مذاق أهل التقوى والمغفرة حلوة ، وبشرى تجلو الوجوه ببشرها ... وتقر عين المؤمنين فى البعد والقرب بأنوار قربها ... والحمد لله على هذا الإحسان ، حمداً مستمرا على مر الزمان » .

وهكذا مضت الكتب تحمل هذه البشرى إلى القاصى والدانى من رجال الإسلام ؛ فلما برئ القاضى الفاضل كتب رسالة على لسان صلاح الدين ، وبعث بها إلى خليفة بغداد يصف له فيها الفتح وأثره ، وقد تأنق القاضى الفاضل بكل ما استطاع أن يتأنق ، ولقد كانت الصناعة والزخرف أساس الأعمال الأدبية فى ذلك الحين ، وكان الذوق يومئذ يستسيغ هذه الصناعة ويعدها المثل الأعلى للكتابة الفنية والشعر ، فلا غرابة إذا رأينا رسالة الفاضل مغرقة فى استخدام ألوان البديع ، لا تكاد تفلت ما يقع تحت يديها من هذه الألوان الزخرفية .

بدأ القاضى الفاضل رسالته بالدعاء للخليفة يومئذ الناصر لدين الله ، وكان هذا الدعاء متفقا مع الظرف الذى أنشئت من أجله الرسالة ، إذ كان دعاء بالنصر على العدو ، والتوفيق إلى اقتناء المحامد .

وأخذ القاضى الفاضل بعدئذ فى الحديث عن الهدف الذى كتب من أجله رسالته ، فبين النتيجة التى ترتبت على هذا الفتح المبين إذ قال : (... وكان الدين غريبا فهو الآن فى وطنه ، والفوز معروضا فقد بذلت الأنفس فى ثمنه ... وجاء أمر الله وأنوف أهل الشرك راغمة ، فأولجت السيوف إلى الآجال وهى نائمة ، وصدق وعد الله فى إظهار دينه على كل دين ، واستطالت له أنوار أبانت أن الصباح عندها حيان الحين ، واسترد المسلمون تراثا كان عنهم آبقا ، وظفروا

يقظة بما لم يصدقوا أنهم يظفرون به طيفا على النأى طارقا ، واستقرت على الأعلى أقدامهم ، وخفقت على الأقصى أعلامهم ، وتلاقت على الصخرة قبلهم ، وشفيت بها ، وإن كانت صخرة ، كما تشفى بالماء غللهم » .

ويستمر القاضي الفاضل مبينا أن صلاح الدين لم يكن يحارب العدو من قبل إلا لكى يصل إلى هذه الغاية التى كان يرنو إليها ، « وكان الخادم لا يسعى سعيه إلا لهذه المنقبة العظمى ، ولا يقاسى تلك البؤسى إلا رجاء هذه النعمى » . لأنه كان مؤمنا بأن التقصير فى حرب العدو يزيده ضراوة ، ويشجعه على حرب المسلمين ، فضلا عن أنه تقاعس عن أداء فرض الجهاد ، ونكوص عما يجب لهؤلاء الذين اغتصبت أرضهم وديارهم وأموالهم ، وتقصير من الحاكم فيما وكل إليه من وجوب استرجاع الوطن السليب ، « فمن طلب خطيراً خاطر ، ومن رام صفقة رابحة تجاسر ، ومن سما لأن يجلى غمرة غامر ، وإلا فإن القعود يلين تحت نيوب الأعداء المعاجم[1] فتعضها ، ويضعف فى أيديها مهر[2] القوائم فتقضها[3] ، هذا إلى كون القعود لا يقضى فرض الله فى الجهاد ، ولا يرعى به حق الله فى العباد ، ولا يوفى به واجب التقليد[1] الذى تطوقه الخادم من أئمة قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون ...) .

ويعلن صلاح الدين ظفره بالعدو الذى استقرت قدمه طويلا فى الأرض المقدسة ، وكثر بها عدته وعديده ، « وكتاب الخادم هذا . وقد أظفر الله بالعدو الذى تشظت قناته شفقا[2] ، وطارت فرقه فرقا[3] ، وفل سيفه فصار عصا ، وصدعت حصاته وكان الأكثر عددا وحصى ... وعثرت قدمه وكانت الأرض لها حليفة ، وغضت عينه وكانت عيون السيوف دونها كثيفة... فبيوت الشرك مهدومة ، ونيوب الكفر مهتومة ، ... وقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وبدل الله مكان السيئة الحسنة ، ونقل بيت عبادته من أيدى أصحاب المشأمة إلى أيدى أصحاب الميمنة » .

ورأى القاضي الفاضل أن يتحدث عن المعارك التى دارت قبل معركة بيت المقدس ، وكيف حاز فيها النصر على أعدائه ، (وقد كان الخادم لقيهم اللقاة الأولى فأمده الله بمداركته وأنجده بملائكته ، فكسرهم كسرة ما بعدها جبر ، وصرعهم صرعة لا يعيش معها بمشيئة

(١) للمعاجم مفعول به ليلين جمع معجم كمقعد : اسم مكان من عجمه بمعنى لاكه فخبره .

(٢) المهر : الغضاريف .

(٣) قض الشيء دقه .

(١) أى ما يوجبه تقلده للحكم .

(٢) تشظت : انفقت . والشفق : الخوف .

(٣) الفرق : الخوف

الله كفر ، ... وكان اليوم مشهودا ، وكانت الملائكة له شهودا ، وكان الضلال صارخا وكان الكفر مفقودا والإسلام مولودا ، وجعل الله ضلوع الكفار لنار جهنم وقودا ...) !

ويقص القاضى الفاضل فى هذه الرسالة قصة فتح بيت المقدس ، كيف أراد صلاح الدين أن يستولى عليه عنوة ، فجمع حوله العدة والعديد ، ثم رأى العدو أنه لا قبل له بالجيش الزاحف ، فعرض على صلاح الدين أن يؤخذ البلد صلحا لا عنوة ، مبينا أنه إن أصر صلاح الدين على أخذه بالقوة فسوف يقضى العدو أولا على أسرى المسلمين وهم فى المدينة يتجاوزون الألوف ؛ فرأى صلاح الدين أن يوافق على تسلم البلد صلحا .

كما صور القاضى الفاضل ما حاوله الصليبيون من خداع صلاح الدين حتى يكسبوا زمنا تصل إليهم فيه نجدة ربما كسبوا بها المعركة ، ولكن صلاح الدين لم ينخدع بهم .

ولنصغ إلى القاضى الفاضل يصور قصة الفتح بعد أن ذكر المعارك التى تعد مقدمات له ، فيقول : (ولما لم يبق إلا القدس وقد اجتمع إليها كل شريد منهم وطريد ، واعتصم بمنعتها كل قريب منهم وبعيد ، وظنوا أنها من الله مانعتهم ، وأن كنيستها إلى الله شافعتهم . فلما نازلها الخادم رأى بلدا كبلاد ، وجمعا كيوم التناد ، وعزائم قد تألبت على الموت فنزلت بعرصته ، وهان عليها مورد السيف وأن تموت بغصته ، فزاول البلد العصى من جانب فإذا أودية عميقة ، ولجج وعرة غريقة ، وسور قد انعطف عطف السوار ، وأبرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقد الدار ، فعدل إلى جهة أخرى كان للمطامع عليها معرج ، وللخيل فيها متولج ، فنزل عليها وأحاط بها ، وقرب خيمته بحيث يناله السلاح بأطرافه ، ويزاحمه السور بأكنافه ، وقابلها ، ثم قاتلها ، ونزلها وبرز إليها ثم بارزها ، وحاجزها ، ثم ناجزها ، فضمها ضمة ارتقب بعدها الفتح ، وصدع أهلها فإذا هم لا يصبرون على عبودية الجد عن عتق الصفح ، فراسلوه ببذل قطيعة إلى مدة ، وقصدوا نظرة من شدة ، وانتظار النجدة ، فعرفهم فى لحن القول ، وأجابهم بلسان الطول ؛ فقدم المنجنيقات التى تتولى عقوبات الحصون عصيها وحبالها ، وأوترلهم قسيها التى تضرب سهامها ولا يفارق سهامها نصالها .

وفى الحال خرج طاغية كفرهم ، وزمام أمرهم ، ابن بارزان ، سائلا أن يؤخذ البلد بالسلم لا بالعنوة ، وبالأمان لا بالسطوة . . وطرح جبينه فى التراب وكان حينا لا يتعاطاه طارح ، وبذل مبلغا من القطيعة لا يطمح إليه طرف آمل طامح ، وقال : ها هنا أسارى مؤمنون يتجاوزون الألوف . وقد تعاقد

الفرنج على أنهم إن هجمت عليهم الدار ، وحملت الحرب على ظهورهم الأوزار ، بدئ بهم فعجلوا ، وثنى بنساء الفرنج وأطفالهم فقتلوا ، ثم استقتلوا بعد ذلك فلم يقتل خصم إلا بعد أن ينتصف ، ولم يسل سيف من يد إلا بعد أن تنقطع أو ينقصف . وأشار الأمراء بالأخذ الميسور من البلد المأسور » .

وبرغم طول الكتاب لم يره القاضى الفاضل كافيا لتصوير الفتح ، فأرسل مع الكتاب رسولا يشرح كيف تم النصر المبين .

وقد أعجب كتاب عصره بكتاب القاضى الفاضل ، فأخذوا ينشئون كتبا على غراره فى موضوعه ، كما فعل ابن الأثير .

وإذا كان هذا الكتاب قد ظفر بإعجاب الكتاب فى عصره فإننا نراه اليوم غير واف بالغرض الذى أنشئ من اجله ، ونرى التزام الكاتب للمحسنات قد أضر ضرراً بليغاً بالهدف الذى يقصد إليه الكتاب ، إذ قتلت هذه المحسنات حيويته ، وأعجزته عن التصوير الصادق الواضح الذى تبدو فيه العاطفة نابضة بالحياة .

— ٢ —

ومن الطبيعى أن يكون لهذا الفتح أثره فى الخطابة ، وبخاصة تلك التى تلقى على المنابر يوم الجمعة ، ولعل أهم نص لخطبة بقيت لنا من عصر الحروب الصليبية هو الخطبة التى قيلت عقب فتح صلاح الدين بيت المقدس ، ولعلها ألقيت يوم الجمعة رابع شهر شعبان ، كما حدثتنا بذلك رسالة القاضى الفاضل ؛ قال ابن خلكان : « لما فتح القدس تطاول إلى الخطابة يوم الجمعة كل واحد من العلماء الذين كانوا فى خدمته حاضرين ، وجهز كل واحد منهم خطبة بليغة ، طمعا فى أن يكون هو الذى يعين لذلك ؛ فخرج المرسوم إلى القاضى محى الدين[1] أن يخطب هو ، وحضر السلطان وأعيان دولته ، وذلك فى أول جمعة صليت بالقدس بعد الفتح [2] .

افتتح محي الدين خطبته بجميع تحميدات القرآن الكريم : استفتح بسورة الفاتحة ، وقرأها إلى آخرها ؛ ثم قال : « فقطع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمدلله رب العالمين » ، ثم تلا ذلك بتحميدات سور القرآن . وكان المقام يستدعى هذا الحد الكثير ، فقد فتح بيت المقدس بعد أن ظل فى أيدى مغتصبيه

---

(١) هو أبو المعالى محمد بن على بن محمد ، كان فقيها أديبا نظم وخطب رسائل ، وتولى القضاء بدمشق ، وكذلك آباؤه من قبل ، وكان له عند صلاح الدين منزلة عالية . ولد سنة ٥٥٠ هـ وتوفى سنة ٥٩٨ هـ .

(٢) خطب محيى الدين هذا أربع خطب متوالية فى أربع جمع ، ولكن لم يبق من خطبه إلا هذه الخطبة التى نعرضها . ونصها بكتاب وفيات الأعيان ١ : ٤٦٨

زهاء تسعين عاما . وكان المسلمون قد يئسوا من استعادته .

ولم يكتف بتحميدات القرآن ، بل أنشأ هو حمدا قدمه إلى الله . ووصفه بما يناسب هذه النعمة العظيمة ، فقال : « الحمد لله معز الإسلام بنصره ، ومذل الشرك بقهره ، ومصرف الأمور بأمره . ومديم النعم بشكره ، ومستدرج الكفار بمكره ، الذى قدر الأيام دولا بعدله ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأفاء على عباده من ظله ، وأظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خليفته فلا ينازع ، والآمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فما يدافع » .

ثم عاد مرة ثالثة إلى حمد الله قائلا : « أحمده على إظفاره وإظهاره ، وإعزازه لأوليائه ونصره لأنصاره ، وتطهير بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره » .

وبعد ذكر الشهادتين محاطتين بما يناسب المقام غير ناس عند ذكر محمد أنه أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى — اتجه إلى هؤلاء الذين تم على أيديهم هذا النصر المؤزر ، فأثنى على جهدهم الموفق قائلا (أيها الناس ، أبشروا برضوان الله الذى هو الغاية القصوى ، والدرجة العليا ؛ لما يسره الله على أيديكم : من استرداد هذه الضالة ، من الأمة الضالة ، وردها إلى مقرها من الإسلام ، بعد ابتذالها فى أيدى المشركين قريبا من مائة عام . . .) .

ثم أخذ يعدد فضائل المسجد الأقصى : (فهو موطن أبيكم ابراهيم ومعراج نبيكم محمد عليه السلام ، وقبلتكم التى كنتم تصلون إليها فى ابتداء الإسلام ، وهو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء ، ومدفن الرسل ومهبط الوحى ، ومنزل به يتنزل الأمر والنهى ، وهو فى أرض المحشر ، وصعيد المنشر ، وهو البلد الذى بعث إليه عبده ورسوله ، وكلمته التى ألقاها إلى مريم وروحه عيسى الذى كرمه برسالته ، وشرفه بنبوته ، . . . وهو أول القبلتين ، وثانى المسجدين ، وثالث الحرمين ، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ، ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه) ، وهو بذلك يبين لهؤلاء الذين كان لهم شرف فتحه مقدار ما قدموه من فضل يحمدون عليه ؛ ولذا قال بعد ذلك : (فلولا أنكم ممن اختاره الله من عباده ، واصطفاه من سكان بلاده ، لما خصكم بهذه الفضيلة التى لا يجاريكم فيها مجار ، ولا يباريكم فى شرفها مبار ، فطوبى لكم من جيش ظهرت على أيديكم من المعجزات النبوية ، والواقعات البدرية ، والعزمات الصديقية ، والفتوحات

المصرية ، والجيوش العثمانية ، والفتكات العلوية ، جددتم للإسلام أيام القادسية ، والملاحم اليرموكية ، والمنازلات الخيبرية ، والهجمات الخالدية ، فجزاكم الله عن نبيه : محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الجزاء ، وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم فى مقارعة الأعداء ، وتقبل منكم ما تقربتم به إليه من إهراق الدماء ، وأثابكم الجنة فهى دار السعداء) .

وإذا كان الله قد أجرى على أيديهم هذا الفتح المبين فإنه نعمة كبرى يجب أن يقدروها حق قدرها ، ويقوموا لله بواجب شكرها. وهنا يتحدث عن فضل بيت المقدس مرة أخرى ؛ ليبين نعمة الله عليهم فى فتحه ، فيقول : (أليس هو البيت الذى ذكره الله فى كتابه . ونص عليه فى محكم خطابه . فقال تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » . أليس هو البيت الذى عظمته الملل ، وأثنت عليه الرسل ، . . . فاحمدوا الله الذى أمضى عزائمكم . . . ووفقكم لما خذل فيه أمم كانت قبلكم من الأمم الماضين ، وجمع لأجله كلمتكم وكانت شتى ، وأغناكم بما أمضته كان وقد ، عن سوف وحتى . . .) .

وبعدئذ أمرهم بحراسة هذه النعمة بالتقوى وترك العجب والغرور ، وبالاستعداد لإزالة ما بقى من آثار الغاصبين للديار ، فقال : (فاحرسوا ، رحمكم الله ، هذه النعمة عندكم بتقوى الله التى من تمسك بها سلم . ومن اعتصم بعروتها نجا وعصم ، واحذروا من اتباع الهوى ، وموافقة الردى ، ورجوع القهقرى والنكول عن العدا ، وخذوا فى انتهاز الفرصة ، وإزالة ما بقى من الغصة ، وجاهدوا فى الله حق جهاده ، وبيعوا عباد الله ، أنفسكم فى رضاه ، إذ جعلكم من خير عباده ، وإياكم أن يستزلكم الشيطان ، وأن يتداخلكم الطغيان ، فيخيل لكم أن هذا النصر بسيوفكم الحداد ، وخيولكم الجياد ، وبجلادكم فى مواطن الجلاد ، لا والله ما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ، فاحذروا عباد الله بعد أن شرفكم بهذا الفتح الجليل ، والمنح الجزيل وخصكم بنصره المبين ، وأعلق أيديكم بحبله المتين ، أن تقترفوا كبيرا من مناهيه ، وأن تأتوا عظيما من معاصيه ، فتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا . والجهاد الجهاد ، فهو من أفضل عباداتكم ، وأشرف عاداتكم » .

ومضى يذكى فيهم نار الحماسة ، كى يستمروا فى جهادهم ، مهونا من شأن عدوهم ، شادا عزائمهم ، مؤملا أن ينتهزوا هذه الفرصة كى يلقوا بعدوهم إلى البحر .

وفى الخطبة الثانية من هذا اليوم مضى

يدعو لقائد المسلمين فى هذه المعركة ، وهو صلاح الدين ، دعاء حاراً ، ولا عجب ، فقد كانت روحه المعنوية التى بثها فى صدور جنده سببا لهذا النصر المبين ، فقال الخطيب :

(اللهم وأدم سلطان عبدك . الخاضع لهيبتك الشاكر لنعمتك . المعترف بموهبتك ، سيفك القاطع ، وشهابك اللامع ، والمحامى عن دينك المدافع ، والذاب عن حرمك المانع ، السيد الأجل الملك الناصر ، جامع كلمة الإيمان ، صلاح الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، مطهر البيت المقدس ، أبى المظفر يوسف بن أيوب محى دولة أمير المؤمنين . اللهم ، عم بدولته البسيطة ، واجعل ملائكتك براياته محيطة ، وأحسن عن الدين الحنيفى جزاءه ، واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاءه . اللهم أبق للإسلام مهجته ، ووق للإيمان حوزته ، وانشر فى المشارق والمغارب دعوته . اللهم كما فتحت على يديه البيت المقدس بعد أن ظنت الظنون ، وابتلى المؤمنون ، فافتح على يديه دانى الأرض وقاصيها ، وملكه صياصى الكفر ونواصيها . فلا تلقاه منهم كتيبة إلا مزقها ، ولا جماعة إلا فرقها ، ولا طائفة إلا ألحقها بمن سبقها . اللهم ، اشكر عن محمد صلى الله عليه وسلم سعيه ، وأنفذ فى المشارق والمغارب أمره ونهيه ، وأصلح به أوساط البلاد وأطرافها ، وأرجاء البلاد وأكنافها ، اللهم ذلل به معاطس الكفار ، وأرغم به أنوف الفجار ، وانشر ذوائب ملكه على الأمصار) .

وإن هذا الدعاء الحار الصادر من قلب الخطيب ليعبر أصدق تعبير عما كان يشعر به المسلمون فى عصر صلاح الدين من حب وإجلال لهذا القائد الموفق ، وما كانوا يحملونه من كبار الآمال فيه . وإن موازنة بين هذا الدعاء الحار الملىء بالأمل والقوة والتفاؤل ، وبين ما كان يدعى به لنور الدين محمود ، وهو : (اللهم أصلح عبدك ، الفقير إلى رحمتك ، الخاضع لهيبتك ، المعتصم بقوتك ، المجاهد فى سبيلك ، المرابط لأعداء دينك : أبا القاسم محمود بن زنكى . . ناصر أمير المؤمنين) .

إن هذه الموازنة لتدل على الخطوة الواسعة التى خطاها المسلمون نحو تحقيق جزء من أهدافهم فى إجلاء الصليبيين عن أرضهم ، فبينا نور الدين كان مجاهداً فى سبيل الله ، مرابطاً لأعداء دينه ، إذا بصلاح الدين سيفه القاطع ، وشهابه اللامع ، جامع كلمة الإيمان ، وقامع عبدة الصلبان .

ولو أن الخطب التى قيلت يومئذ بقيت لدلتنا على ما خفق به قلوب المسلمين من فرح وابتهاج بهذا الفتح المبين .

— ٣ —

أما الشعر فقد تدفق على ألسنة الشعراء يصف المعركة حينا ، ويتحدث عن نتائجها حينا ، ويصور بهجة المسلمين بها مرة وحزن الفرنج على فقدها أخرى ، وتغنى الشعراء وأطالوا فمن ذلك قول الشريف محمد بن أسعد نقيب الأشراف بمصر ، وقد بدأها بما ينم عن الدهشة والذهول اللذين ألما بالعالم الإسلامى . لدى سماع خبر فتح القدس، إذ قال :

أترى مناما ما بعينى أبصر
القدس يفتح ، والفرنجة تكسر ؟
ومليكهم فى القيد مصفود ، ولم
يُرَ قبل ذاك لهم مليك يؤسر
قد جاء نصر الله والفتح الذى
وعد الرسول فسبحوا واستغفروا
فتح الشآم ، وطهر القدس الذى
هو فى القيامة للأنام المحشر

ثم يصف الشاعر إعجابه بالبطل الذى تم على يديه هذا الفتح ، فيقول :

من كان هذا فتحه لمحمد
ماذا يقال له ، وماذا يذكر
ملك غدا الإسلام من عجب به
يختال ، والدنيا به تتبختر
نثر ونظم طعنه وضرابه
فالرمح ينظم ، والمهند ينثر

حيث الرقاب خواضع ، حيث العيو
ن خواشع ، حيث الجباه تعفر

أما أبو على الحسن بن على الجوينى فيرى الملائكة قد أعانت فى هذا الفتح ، بعد أن مضى على سقوط القدس فى يد العدو أزمان متطاولة ، لم يستطع ملوك المسلمين فيها استرجاعه ، فكأنما كان الفتح مدخراً لصلاح الدين ، فلا غرو أن أخذ الشاعر يدعو لصلاح الدين أن يبقى للإسلام حارسا ، إذ يقول :

جند السماء لهذا الملك أعوان
من شك فيهم فهذا الفتح برهان
متى رأى الناس ما نحكيه فى زمن
وقد مضت قبل أزمان وأزمان
هذا الفتوح فتوح الأنبياء وما
له سوى الشكر بالأفعال أثمان
أضحت ملوك الفرنج الصيد فى يده
صيداً ، وما ضعفوا يوما وما هانوا
تسعون عاما بلاد الله تصرخ والإ
سلام أنصاره صم وعميان
للناصر ادخرت هذى الفتوح ، وما
سمت لها هم الأملاك مذ كانوا
فى نصف شهر غدا للشرك مصطلحا
فطهرت منه أقطار وبلدان
لو أن ذا الفتح فى عصر النبى لقد
تنزلت فيه آيات وقرآن

فالله يبقيك للإسلام تحرسه
من أن يضام ، ويلقى وهو حيران
إذا طوى الله ديوان العباد فما
يطوى لأجر صلاح الدين ديوان

ويرى أبو الحسين بن جبير الأندلسى أن السعد قد أقبل بوجهه على الإسلام بمقدار إدباره عن الصليبيين ، وأن هذا الفتح مؤذن بزوال ملكهم عن الشام ، فيقول :

أطلت على أفقك الزاهر
سعود من الفلك الدائر
فأبشر ؛ فإن رقاب العدا
تمد إلى سيفك الباتر
وكم لك من فتكة فيهم
حكت فتكة الأسد الخادر
كسرت صليبهم عنوة
فلله درك من كاسر
وغيرت آثارهم كلها
فليس لها الدهر من جابر
وأمضيت جدك فى غزوهم
فتعسا لجدهم العاثر
وأدبر ملكهم بالشآ
م ، وولى كأمسهم الدابر
جنودك بالرعب منصورة
فناجز متى شئت أو صابر
ثأرت لدين الهدى فى العدا
فآثرك الله من ثائر
وقمت بنصر إله الورى
فسماك بالملك الناصر
فتحت المقدس من أرضه
فعادت إلى وصفها الطاهر

وللشعراء إنتاج غزير من الشعر يطول بنا وجه عرضه ، فقد عقد صلاح الدين مجلسا استمع فيه لما أنشده الشعراء ، وقرضوه فى عودة القدس إلى أحضان الإسلام ، ومن لم يكن حاضراً هذا المجلس أرسل قصيدته إلى البطل الفاتح .

— ٤ —

وكان لهذه المعركة أثرها فى بعض الأدباء ، فأرخ لها بأسلوب أدبى مؤثر ، وألف كتابا يضع حوادث التاريخ ، مصوغة فى أسلوب أدبى مؤثر ، يراعى فى صوغها ما يراعى فى الكتابة الفنية : من الالتجاء إلى الخيال فى التصوير ، والاعتماد فى التوضيح على التشبيه والمجاز والاستعارة ، والتشبث بأذيال الزخارف ، والزينة اللفظية والمعنوية .

وأظهر كتاب أرخ لهذا (الفيح القسى فى الفتح قدسى) لمؤلفه عماد الدين الكاتب المتوفى سنة ٥٩٧ ﻫ ، وسماه كاتبه بذلك مشيراً إلى أنه نفحة من نفحات قس ابن ساعدة الإيادى الخطيب الجاهلى المشهور بالفصاحة . وقد ذكر المؤلف فى أوله الخطة

التاريخية الأدبية التى انتهجها فى كتابه إذ قال : « هذا كتاب أسهمت فيه بين الأدباء الذين يتطلعون إلى الغرر المتجلية ، وبين المستخبرين الذين يستشرفون إلى السير المتحلية ، يأخذ الفريقان منه على قدر القرائح والعقول ، ويكون حظ المستخبر أن يسمع والأديب أن يقول . .

ولما كان المؤلف قد سار على نهج إيراد الحوادث متتابعة على حسب السنين ، وكان قد بدأ بإيراد الحوادث منذ سنة ثلاثة وثمانين وخمسمائة ، وهى السنة التى فتح فيها بيت المقدس ، قال معللا سبب اختياره البدء بهذا العام : « وأنا أرخت بهجرة ثانية ، تشهد للهجرة الأولى بأن أمدها بالقيامة معذوق ، وبأن موعدها الموعد الصحيح غير المدفوع والصريح غير الممذوق ، وهذه الهجرة هى هجرة الإسلام إلى البيت المقدس ، وقائمها السلطان صلاح الدين أبو المظفر ، يوسف بن أيوب ، وعلى عامها يحسن أن يبنى التاريخ وينسق ، وتسفر عن أهلتها دآدئ المداد وتنشق . . وهذه الهجرة أبقى الهجرتين ، وهذه الكرة بقوة الله أبقى الكرتين ، فإن العرب كانت إذا تناهت فى وصف الرجل بالقوة قالت : كأنه كسر ثم جبر ، والحق أن نقول : إن أطول الحياتين حياة المرء إذا مات ثم نشر ، والعيان يشهد أن أمنع السورين ما عمر بعد أن ثغر . . » .

ويؤكد العماد : أنه لم يسجل فى كتابه إلا ما شاهده وعاينه ، ثم بدأ بالحوادث التى تتعلق بغزوات صلاح الدين ، وجرت منذ أول عام ثلاثة وثمانين وخمسمائة ، وارتضى العماد طريقة السجع منهجا له فى كتابه ، فلم يحد عنه من أول سطر فى الكتاب ، إلى آخر سطوره . ولنعرض نموذجا لمزجه الحقائق التاريخية بالعواطف والانفعالات ، وللتعبير عن ذلك تعبيراً فنيا ، فيه صياغة وصناعة ، قال : « دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وكتب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الأقطار والبلاد ، يستدعى من جميع الجهات جموع الجهاد ، وأهل للاستدعاء أهل الاستعداد ، واستحضر للغزو ، من الحضر والبدو ، وبرز من دمشق يوم السبت مستهل المحرم قبل استنجاد الجنود واستحشاد الحشود ، وإصحار الأسود ، وإحضار البيض والسود . مضى والعز ماضى العزم ، صائب السهم ، ثاقب الفهم ، ثابت السعود ، كابت الحسود ، وخيم على قصر سلامة من بصرى ، وكفت يدرعيه الطولى من الفرنج اليد القصرى ، وأقام على ارتقاب الحجاج ، وقد رتب الفرنج من الأرصاد أفواجا على تلك الفجاج ، لا سيا إبرنس

(البقية على صفحة ٣٥١)

الملامتيّة أو الملاميّة

للأستاذ أحمد عبد الجواد الدومى

الملامتية : غصن طيب قوى من أغصان التصوف المباركة امتد وأورق وأثمر بنيسابور فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى على يد مشايخ ثلاثة هم :

أبو حفص النيسابورى ، حمدون القصار ، أبو عثمان الحيرى . . .

دعانى إلى الكتابة عنهم : قسوة منهاجهم ، وعمق تفكيرهم ، وطول مراقبتهم للحق تبارك وتعالى ، وتحقيرهم للنفس واتهامهم لها على طول الخط ، لأنها - فى نظرهم - ملتقى الخبائث والرذائل ، ومبعث كل الشرور . . .

ولا شك أن هذا سلوك عنيف ، يحتاج فى تطبيقه إلى يقظة تامة ، وهمة عالية ، ومثابرة ومصابرة !!.

كان الملامتى أو الملامى يخفى حسنته ، أى أعماله الحسنة ، كما نخفى نحن أعمالنا السيئة ، وكان يظهر نقائصه بالوضوح والجلاء والقوة التى يظهر بها الكثير من الناس فضائلهم والجليل من الأعمال .

وهناك تعريفات ثلاثة للملامتى وطريقته ، تلقى الضوء الكاشف على هذه الفرقة العجيبة :

١ - جاء فى عوارف المعارف للسهروردى أن الملامتى هو الذى لا يظهر خيراً ولا يضمر شراً . . . .

٢ - قال حمدون القصار : « طريق الملامة هو ترك التزين للخلق بحال ، وترك طلب رضاهم فى نوع من الأخلاق والأحوال ، وألا يأخذك فى الله لومة لائم » .

٣ - وقال أبو حفص : « أهل الملامة قوم قاموا مع الحق تعالى على حفظ أوقاتهم ، ومراعاة أسرارهم ، فلاموا أنفسهم على جميع ما أظهروا من أنواع القرب والعبادات ، وأظهروا للخلق قبائح ما هم فيه ، وكتموا عنهم محاسنهم ، فلامهم الخلق على ظواهرهم ، ولاموا هم أنفسهم على ما يعرفونه من بواطنهم » .

وأول ما يكشف عنه الضوء هنا : اللوم أو الملام الدائم الموجه من الملامتى إلى نفسه ، فلا يبيح لها أن تستريح لثناء ، أو إعجاب ، كما لا يقرها بحال من الأحوال إذا اشتم منها رائحة العجب ، أو ريح الخيلاء !! .

ومداخل النفس - كما سيأتى الحديث عنها -

مداخل مظلمة ، وملتوية الدروب ، غامضة المعالم ، تحتاج إلى ضوء قوى جداً ، يكشف عن خباياها وخفاياها ورزاياها ... وذلك لايكون إلا بنور الإخلاص الوهاج ، وسطوع الإشراق الربانى الفياض ! ! .

ولن يتوهج نور ، ويسطع إشراق ـ فى نظر الملامتى ـ إلا إذا فنيت النفس ، وماتت جذورها وانجابت غيومها ...

ولذلك كان الرياء فى الأفعال والأحوال ، هو العدو اللدود للملامتى ... لا يطيقه ولا تتسع رئتاه له لا من قريب ولا من بعيد ... فهو يفر من مواضع المديح كما نفر نحن من مواضع الذم ، وينفر من أماكن الاستحسان ، كما ينفر الناس من أماكن الاستهجان ! ! .

طبيعة قاسية غريبة ولكنها ـ فيما أرى ـ لذيذة ، ولعلهم يجدون ظلا ظليلا فى كلمة الصديق التى كان يقولها عندما يسمع إطراء أو مديحا :

« اللهم اجعلنى خيراً مما يظنون ، واغفرلى ما لايعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون » .

فلا عجب إذن أن ينشغل الملامتى عن الخلق بالحق ، وعن الظاهر بالباطن ، وعن السطحيات بالعمق ...

ولقد ذكر السهروردى فى عوارف معارفه أن أكبر دليل يرتكز عليه الملامتية فى طريقتهم هو ما رواه الحسن عن حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فيما رواه عن ربه عز وجل :

« الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادى » .

ارتكز الملامتى على هذا الحديث وذاب فى معناه ومدلوله وفاق فى هذا جماعة الصوفية وعامة السالكين ، حتى عد ابن عربى هذه الفرقة فى أعلى الفرق وجعلها فى قمة الهرم الصوفى ، ثم تنبسط الطرق وتترتب بعد ذلك ! !

بل لقد تجرأ ابن عربى وأطلق على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أنه «ملامتى» ، وفى وصف الله جل وعز له بالنبوة والرسالة والرحمة ، الغنى عن كل وصف وبيان .

يقسم ابن عربى السالكين إلى ثلاثة أقسام :

« أولا : العباد الذين غلب عليهم الزهد وأفعال الظاهر المحمودة وتطهير النفس من مرذول الأفعال ، وهؤلاء لا علم لهم بالأحوال والمقامات .

ثانياً : الصوفية الذين يرون الأفعال كلها لله ، وأنهم لا فعل لهم أصلا ، وهم مثل العباد فى الورع والزهد والتوكل ، أهل خلق وفتوة ، يظهرون فى العامة بما ينالونه من الكرامات وخوارق العادات ، وهم بالنسبة إلى الملامتية أهل رعونات وأصحاب دعاوى .

ثالثا : الملامتية، وهم رجال قطعهم الله إليه ، وصانهم صيانة الغيرة عليهم ، لئلا تمتد إليهم عين فتشغلهم عن الله ، قد انفردوا مع الله راسخين ، لا يتزلزلون عن عبوديتهم طرفة عين ، لا يعرفون للرياسة طعما لاستيلاء الربوبية على قلوبهم ، وليس ثم من حاز مقام الفتوة والخلق مع الله سوى هؤلاء » .

وقد يكون ابن عربي مدفوعا بعاطفة الحب ، أو ناظراً بعين الرضا وهي كليلة عن كل عيب . ولكن المتتبع لسلوك كثير من مريدي هذه الطريقة يعجب حقا مما أخذوا به أنفسهم ، وفرضوه على نظام حياتهم !!

◦ ◦ ◦

هل هناك في عالم المناهج أقسى من منهاج الملامتية ؟ .

لننظر مناهجهم ثم نحكم . وهو كما جاء في رسالة الملامتية لأبي عبد الرحمن السلمي :

« الملامتي هو الذي يجمع بين اعتذار آدم ، وصلاح نوح ، ووفاء ابراهيم ، وصدق اسماعيل وإخلاص موسى ، وصبر أيوب ، وبكاء داود ، وسخاء محمد صلى الله عليه وسلم ورأفة أبي بكر ، وحمية عمر ، وحياء عثمان ، وعلم علي ، ثم هو مع هذا كله يزدري نفسه ويحتقر ما هو فيه ولا يقع بقلبه خاطر مما هو فيه أنه شيء ولا أن حاله مرضي . . فإذا ما ظن أنه شيء ، أو أذاع سراً مما هو عليه ، فليطرد فوراً من الجماعة لأن الأحوال أمانات عند أهلها ، فإذا أظهروها فقد خرجوا من حد الأمناء » :

من ساررُوه فأبدى السر مشتهراً
لم يأمنوه على الإسرار ما عاشا
وجانبوه ولم يسعد بقربهم
وأبدلوه مكان القرب إيحاشا
لا يصطفون مذيعا بعض سرهم
حاشا ودادهم من ذلكم حاشا

◦ ◦ ◦

وإذا كان لبعض الناس أو لأكثرهم أن يصرح أو يلمح عن أفعاله فليذكر الملامتي هذه الحقائق ليسد على نفسه هذا الباب :

« ليعلم من أين جاء هو وأين هو ، وكيف هو ، ولمن هو ، وبمن هو ، وإلى أين هو » .

وأنا قد أبديت دهشتي من قسوة هذا المنهاج بادئ ذي بدء ، ولعلك تشاركني ، ولكن قصور عزائمنا اليوم ، أو استغرابنا لهذا المنهاج العظيم لا يجعلنا نشك في أن جماعة وجدت فعلا وطبقت هذه الأصول على أفرادها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ووصلت في ذلك ، إلى الشأو البعيد ! !

وإذا وجد جيل لا يستطيع صعود الأهرام ، فليس معنى هذا استحالة الصعود في سالف الزمان ولا مستقبل الأيام ! !

والمشاركة في الوفاء والبكاء والصبر والسخاء وغيرها مشاركة وجدانية نسبية ، ليست

على قدم المساواة طبعا فى أى صفة من الصفات، فالمطلوب إيجاد شخصية تلتزم هذا المنهاج وتحاوله وتترسم خطاه، «ومن سار على الدرب وصل». وكانت هذ الصفات فى نظر الملامتية هى أهم الفضائل، وأعظم الخلال.

* * *

وحاول بعض العلماء أن يوجدوا صلة بين الملامتية وبين آية المائدة «يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم». وبين آية القيامة «ولا أقسم بالنفس اللوامة».

وأرى أن صلة الآية الثانية بالملامتية أقوى وأشد تماسكا من الآية الأولى، فإن اللوم هو أهم مايشغل بال الملامتى - لومه لنفسه على الصغيرة قبل الكبيرة، ولوم الناس إياه على هذا التشدد والتعنت - فالملام منه وإليه.. وإن كان المقصود فى الآية هو النوع الأول بديهيا !!.

والآية الأولى فيها المبدأ الذى أشار إليه حمدون القصار فى التعريف الثانى كما سبق !!

ولو فتحنا الصفحات الأولى لطليعتنا المؤمنة المجاهدة لوجدنا الكثير من سلفنا الصالح كان يهتم بإنكار ذاته وإخفاء عمله ورد ثناء الناس. فإنه يقطع العنق، ومحاربة الرياء، والعمل فى جوف الليل... وما قصص صاحب النقب، وتنافس أبى بكر وعمر على خدمة المقعدة العجوز ليلا، وأمثالها عنا ببعيد !!.

وهناك خلقان للملامتى ينبغى الإشارة إليهما :

١ — فالملامتى يحقر نفسه ويصغر من شأنها ولكنه يحترم غيره من الناس ويقدره أعظم تقدير.

قال أبو عبد الرحمن السلمى : سئل بعض مشايخهم عن أول طريقهم فقال :

«تذليل النفس وتحقيرها ومنعها عما تسكن إليه أو يكون لها فيه راحة أو إليه ركون، وتعظيم الخلق وحسن الظن بهم، وتحسين قبائحهم».

٢ — والملامتى لا يحقر الدنيا ولا ينظر إليها نظرة سوداء، رأى أبو حفص أحد الملامتية يذم الدنيا وأهلها فقال له : «لا تجالسنا ولا تصاحبنا بعد ذلك».

ويعتبر هذا الخلق الثانى من أهم الفروق بين الملامتى والصوفى، إذ أن الصوفى لا تحسن صوفيته أو لا تستقيم طريقته إلا إذا احتقر الدنيا ومتاعها الفانى القليل. وهذا شأن الكثير الأغلب من الصوفية ... وبعضهم يرى تعديل هذه النظرة، وتقويم الحياة تقويما إيجابيا أكثر من هذا، ولهذا المقال، مجال غير هذا المجال !!

كما أن من الفروق الهامة أن الصوفية فيها جذب وفناء وشطح وإباحة بالسر ونشر للكرامة، والملامتية ليس فيها إلا الصحو وكتمان الأسرار وعدم الميل البتة إلى إظهار

الكرامات ! ! فإذا جاءت الكرامة لأحدهم دون شعور حاول نفيها والتبرؤ منها ... وهو خلق - لعمرك - حميد ... إن جاز القسم ! !

وهناك فروق أخرى يطول بها المقال !!

ومع هذه الفروق فإنى أعتبر الملامتية غصنا طيبا قويا من شجرة التصوف المباركة - كما ذكرت .

وقد تشابك هذا الغصن بين الحين والحين بغصن الفتوة « الصوفية » .

فالقارىء لباب الفتوة فى رسالة القشيرى يجد تشابها كبيرا هنا وهناك .

ويرجع الدكتور أبو العلا عفيفى فى كتابه « الملامتية والصوفية وأهل الفتوة » ذلك التشابك إلى أن الفتوة الصوفية نشأت فى فارس حيث نبتت الملامتية وترعرعت !! .

وقد تكلم الدكتور كلاما طيبا وقيما عن الملامتية وهو الذى نشر رسالة « الملامتية » لأبى عبد الرحمن السلمى وأضاف بهذا النشر زادا كان مفقودا فى المكتبة العربية ! ! وحلل مذهب الملامتية تحليلا لطيفا . . . خرج منه إلى أن الباعث على هذا المنهاج هو تشاؤم الملامتية من النفس وجعلها مقابلة لله عز وجل . وأن البيئة الزرادشتية كان لها أكبر الأثر فى هذه التوجيهات ! ! .

ولو عبر الدكتور بكلمة « العمق فى التفكير » بدل التشاؤم كان خيرا عندى ، كما أننى أرى أن البيئة الزرادشتية ليست هى كل شىء ، بل فى الإسلام وأصوله وفروعه ، الثروة الهائلة للتحذير من النفس ، لأنها « أمارة بالسوء » وأعدى أعدائك . . .

ففى البيئة الإسلامية نفسها أصل التوجيهات ، والذى زاده الملامتية الحساب المفروض ، والتعمق العنيف ، مما جعل الغصن يطول ويطول حتى احتاج إلى تشذيب وتهذيب ! .

نعم : طال الغصن حتى التوى واعوج ! .

فهناك فهوم غامضة للملامتية ، نذكر منها ما فهمه شيخهم أبو حفص فى قوله جل وعز : « أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا » ، من أن السير لغير حج أو غزو أو رؤية شيخ أو طلب علم ، ترك للطريق وإضلال للمريد .

وواضح أن هـــذا تقييد من غير مقيد لعموم الآية الكريمة ، فكم للأسفار البريئة من فوائد ، وكم فاء الرحالون بالإيمان العميق ، والكشوفات الخارقة ! ! .

وكذلك يفلسف الملامتية الخشوع فلسفة غامضة ، نقف عندها طويلا ! ! .

سئل بعضهم عن توضيح هذه الفلسفة فقال : « أوه من فهوم بعدت عن حقائق المعانى . . . الخشوع هو اطلاع الله على الأسرار فتخشع ، فتتأدب الظواهر بذلك الاطلاع ، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى إذا تجلى إلى شىء خشع له . أرأيت كيف تخشع الأسرار ؟ .

ومن قبيل هذه الفهوم والفلسفات أنهم يرون أن النفس كف من عجب فى قالب ظلمة مربوط بشواهد العامة ، وأنها كف من جهل فى قالب الرعونة مربوط بحبال الأطماع، ولذلك يرون ملامها واجبا ، وإظهار شىء من أفعالها شركا ، وإظهار شىء من أحوالها ارتدادا ...

والفهم الأخير على الأخص فهم شاط وسقيم ...

وعندى أن تعريف الصوفية للنفس بأنها لطيفة ربانية مودعة فى جسم الإنسان وينبعث منها الشر ، خير بكثير من كف العجب وكف الجهل ...

ومن هنا قلت : إن الغصن فى حاجة إلى تشذيب ! .

• • •

ذكر السلمى فى رسالته عن الملامتية خمسة وأربعين أصلا من أصولهم . والحق أنها كلها جديرة بالبحث والتعليق ... ولقد هزنى وأعجبنى منها الكثير .

ولنقرأ سويا :

« أصل العبودية شيئان: حسن الافتقار إلى الله عز وجل وهذا من باطن الأحوال، وحسن القدوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى ليس فيه للنفس نفس ولا راحة » .

« أهل الجهد معرفة بربه ، عبد ظن أن فعله وطاعته تستجلب عطاءه . وأن عطاءه يقابل فضله » .

« تقابل عبد الله الحجام مع حمدون القصار وسأله : أأترك عملى لأعبد ربى ؟ فقال حمدون : لأن تدعى عبد الله الحجام أحب إلى من أن تدعى عبد الله العارف » .

« حسن الظن بالله غاية المعرفة ، وسوء الظن بالنفس أصل المعرفة بها » .

« لا تكن عبادتك لربك سبيلا لأن تكون معبودا ، واجعل عبادتك له إظهار رسم الخدمة والعبودية عليك » .

وهكذا تنتقل من زهرة إلى أخرى ، فتشم أريجا أنفذ وأزكى ! .

لقد تمتعت خراسان بهذه الجماعة أول ظهورها ، ثم انتشرت بقدر فى العراق وما حولها ...

وجزى الله السلمى والسهروردى والدكتور أبا العلا عفيفى على ما قدموا خيرا ...

وكم وددت أن أجمع بين اعتذار آدم وصلاح نوح ووفاء إبراهيم وصدق إسماعيل وإخلاص موسى وصبر ايوب وبكاء داود وسخاء محمد صلى الله عليه وسلم ورأفة أبى بكر وحمية عمر وحياء عثمان وعلم على ... ثم لا أفتخر ولا أزهو ! .

هل إلى ذلك من سبيل ؟ .

أحمد عبد الجواد الدومى

من روائع شاعر الإسلام "إقبال"

ترجمة الأستاذ حسن الأعظمي ونظم الأستاذ الصاوي شعلان

الأرض لله :

يحلق إقبال بجناحيه مطلا على الكون بنظرات العقاب ، فإذا الدنيا تبدو أمامه مجلوة الحسن بارعة الصور . هذه هي البذور تلقى فى ظلمات الأرض وتحت طيات ترابها فما تمضى غير أيام حتى ترى الأرض قد اهتزت وأورق نبتها الجميل ، من الذى صنع هذا ؟ وتلك أمواج البحر الصاخبة . من الذى أحالها بخاراً ورفعها فى الفضاء ثم رفع بها سحابا ركاما وساقها إلى الصحراء المجدبة القاحلة تحمل الماء إلى أرض ميتة مغضبة فتنبت فيها الحياة وتخرج لسكان الصحراء فاكهة وأبا متاعا لهم ولأنعامهم . وهذه الورود المفتحة بين الجنات والعيون . من الذى أرسل إليها نسيم الصبا تداعب أوراقها فتميل فى دلال وتميس فى عجب . من هذا الذى أنبت السنابل فى الحقول فبدت تشبه الأغنياء الأقزام الذين ملأوا جيوبهم بالذهب الأصفر . تلك السنابل التى تتم قصة حياتها فى أخريات الربيع وبداية الصيف . من الذى قسم العام إلى فصول يتجدد بها الزمن وتتقلب عليها أدوار الحياة فى مركزها من الكرة حول الشمس ؟ ومن الذى خلق هذه الشمس أيضا . تحتجب فإذا الدنيا ظلام . وتشرق فإذا الحياة موكب وزحام ؟

أيها الأحياء : هذه نعم الله وقدرته الباهرة فى الكون . ولكن لا تغتروا ولا تتخذوها جبروتا وملكا طاغيا . إنكم لا تملكون منها سوى ما يملك المتفرج من الفلم الذى يشهد فيه قصة معروضة ما يكاد ينتهى منها حتى يلقى الستار وتبقى العبرة . هل يملك الإنسان تراب هذه الأرض وهو ترابها . هكذا يصور إقبال الحقيقة ثم يقول : إن الأرض ليست لى وليست لكم . «إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» .

من أسكن الحب ظلام التراب
فأورق الزرع نضير الإهاب
من رفع الأمواج من بحرها
تسق عطاش القفر برد السحاب
من قلد الورد نسيم الصبا
ومن أعاد الشمس بعد احتجاب

من أنبت السنبل حتى غدت
جيوبه تحوى النضار العجاب
من قسم العام فصولا لها
بكل دور فى الزمان انقلاب
أيملك الحى تراب الثرى
وجسمه عما قريب تراب
ليست لى الدنيا وليست لكم
فالعمر فيها مثل ومض الشهاب
الأرض لله وسكانها
ألكل منه وإليه المآب

(٢) متسول

سمعت فتى بالليل من خلف حانة
تحدث عن صحو وإن كان فى سكر
يقول لقد أزرى بنا متسول
على عرشه يختال بالنهى والأمر
يتيه على الشعب الذى قد سما به
إلى العز من سلطانه وهو فى أسر
وقلده تاج العلا وهو لم يجد
قلنسوة تحميه فى وقدة الحر
وقد نسجت أيدى العراة قباءه
حريرا ولكن فى خيوط من التبر
عصير دم الزراع يملأ كأسه
بأجمل ألوان الشقيق من الخمر
وقد بات من حقلى وحقلك يحتوى
كنوز الثرى فى كيمياء من المكر
وما قصره إلا متاحف سارق
وما السارق الجانى سوى صاحب القصر
تمتع من فقر الخلائق بالغنى
ومن عسرهم جمعا تفرد باليسر
إلى صدقات الناس أو لخراجهم
يمد يد المحتاج فى صولة الكبر
تسول من يعييه عد كنوزه
ولم يتسول مؤمن فى لظى الفقر

(٣) قبر يتحدث الى دفينه :

يا أيها الشبح الملم بحفرتى
وعليه ميسم ذلة وصغار
من أى ألوان الخليقة جئتنى
عبدا مهينا أم من الأحرار
فعساك قبل القبر كنت معودا
موت الضمير وقبر الاستعمار
يشكو التراب إلى حين حللته
فحللت من مثواك دار بوار
فبظلم نفسك زاد ليلى ظلمة
يطوى دجاها صفحة الأنوار
وتكاد أرض الله تلفظ جثة
جعلت ثراها مسكنا للعار
رحماك إسرافيل دعه ولا تعد
فى الحشر صورته إلى الأنظار
إن تحى هذا العبد يخلد شره
فحذار ثم حذار ثم حذار

(٤) صرخة من جهنم :

ها هنا معبد يضيق زحاما
بضحايا الأطماع صرعى الأمانى
ذكروا الله عند ما فقدوا الأو
ثان فى ظلمة الوجود الفانى
ليس بدعا تعذيب من عبدوا الأصـ
نام فى مارج من النيران
إنما حيرتى لهذا المصلى
ما له حاد عن طريق الجنان
عله عاش بالثناء غنيا
عن ثواب المهيمن الديان
وفقير يستنزف العين تسكابا
وفيضا من النجيع القانى
يأكل الهم قلبه وهو طاو
ويعانى مرارة الأشجان
ما القصور التى بدت كالرواسى
تصحب الذيل فى ذرى كيوان
ما القلاع التى تطاول ركن
الشمس قدرا وروعة فى المبانى
غيرهمّ قد محا الزمان بقاياه
ويروى حديثه الملوان
وبشير العمران فى هذه الدنيا
نذير الخراب للعمران
شق فرهاد نهره العذب لكن
عاد منه بلوعة الظمآن
هذه الحكمة التى تجمع الشهد
إلى السم من فم الثعبان
والسياسات حين تطوى الزوايا
خلف ستر من زخرف الألوان
والعلوم التى بها يحفر الإنسان
قبر الهلاك للإنسان
كلها حزمة الطغاة التى لم
تبتكر مثلها يد الشيطان
ليس فى أرضى انتداب ولا
استعمار أرض ولا تحكم جان
لا ولا الغادرون من دول الغر
ب ولا السارقون للأكفان
إنما يصلح الفرنج وقودا
يا إلهى فاملأ بهم نيرانى

(٥) أسرار الحرية فى معانى الطبيعة :

أذاعت فى الربى سر الجمال
مصابيح الشقائق فى الجبال
طلائع نورها نور لقلبى
ونفح عبيرها مسرى خيالى
وفى ألوانها الياقوت يزهى
على حلل الزمرد فى اختيال
ترى الأزهار صفا بعد صف
مسبحة بقدرة ذى الجلال
يحار لها الفؤاد وقد تجلت
فنون الحسن فى تلك المجالى

عرائس من حسان الورد تحكى
قوام الحور فى ثوب الدلال

وقد نظمت يمين الطل فيها
عقوداً من لآليها الغوالى

ومن شمس الصباح بدا شعاع
يسيل بها النضار على اللآلى

وفى الغابات أسرار القمارى
سرت بين النسائم والظلال

تحرضنى أغانيها فأشدو
ليفصح عن معانيها مقالى

أطارحها الهوى شدوا بشعر
فتسبقنى إلى السحر الحلال

وجدت الحسن فى الصحراء حرا
طليقا كالنسيم فما يبالى

يطالعنى بحلوته صباحا
ويذهب ضوؤه ظلم الليالى

كمثل النيرات بلا نقاب
وكالعيش المنىء بلا احتلال

يفر من المدائن وهى قيد
وينشد فى الربى رحب المجال

أكان يعلم الإنسان سعيا
إلى حرية ونعيم بال

تعمق فى ضمير الكون واشهد
صنوف الحسن باهرة الجلال

وعش فى عالم الروح انطلاقا
ترى الإقدام يأتى بالمحال

فدنيا الروح فيها ربح مجد
ودنيا الجسم فيها ربح مال

وإن المال قد يأتى ويمضى
وأنت وما ملكت إلى ارتحال

ودنيا الجسم إفساد وختل
وإغراء يصير إلى ضلال

ودنيا الروح سكر بالمعانى
وصحو بالرقى وبالمعالى

فعش للروح فى دنيا وأخرى
تفز بالعالمين بلا زوال

وإن أمسيت للأغيار عبدا
فقدتهما معا فى كل حال

وإن أصبحت فى الأكوان حرا
فأنت من الكمال إلى كمال

وكسب المال للمخلوق حق
ولكن لا تبع شرفا بمال

محمد حسنى الأعظمى

اللهجات العربيّة فى آسيا الوسطى

للأستاذ ج . تزيريتيلى

تعود المعلومات عن العرب فى آسيا الوسطى إلى عهد الفتوح الكبيرة . ويقول الجغرافيون والمؤرخون العرب من القرنين التاسع والعاشر أن السكان العرب كانوا يكونون منذ القرنين السابع والثامن نسبة ما فى بعض مدن ما وراء النهر وخاصة فى بخارى وسمرقند . وقد وردت ، منذ القرن الخامس عشر معلومات عن العرب البدو ، فى وثائق مختلفة (فرامانات) لأمراء بخارى . وفى مطلع القرن التاسع عشر كان عرب بخارى وآكتشى يؤلفون وحدات إدارية خاصة يقوم على رأسها « أمراء هزار » (ولاة الألف) .

وابتداء من القرن التاسع عشر ، أخذ كثيرون من المسافرين ، الذين زاروا إمارة بخارى ، ينقلون أخباراً مفصلة نوعا ما عن عرب آسيا الوسطى . فكانت تعطى معلومات عن عددهم ، وتجرى أبحاث تتعلق بعلم الشعوب وعلم تاريخ أصل الإنسان . غير أنه حتى الآونة الأخيرة لم يكن معروفا إلى أى حد احتفظ هؤلاء باللغة العربيـة ، وما كانت عليه من الناحية اللغوية فيما إذا كانوا قد احتفظوا بها .

وإلى عهد قريب نسبياً أفلح العلماء السوفياتيون فى أن يردوا إلى الأسرة الكبيرة للألسنة العربية ، لهجات جديدة ضائعة فى ظلام القرون وفى سهوب آسيا الوسطى المترامية الأطراف

وعلى أثر تنقيب خاص ثبت أن فى آسيا الوسطى اليوم لهجتين عربيتين مستقلتين : لهجة بخارى ولهجة قشقاداريا . والفرق بينهما كبير إلى حد أن عرب بخارى وعرب قشقاداريا لا يفهم بعضهم بعضا ، فهم يؤثرون التخاطب فيما بينهم باللغتين الطاجكيـة أو الأوزبكية .

إن العثور فى آسيا الوسطى على لهجات عربية كانت مجهولة من قبل هو أمر ذو أهمية كبيرة فى علم اللهجات العربية وعلم تاريخ اللغات المقارن بين اللغات السامية . ولم يعد أى بحث فى هذا الميدان ، وأية دراسة للألسنة العربية ، منذ الآن ، يستطيع الاستغناء عن الوثائق المتعلقة باللهجات العربية فى آسيا الوسطى .

لقد تطورت هذه اللهجات طوال قرون فى بيئة لغات أخرى ، فتأثرت بالطاجكية

والأوزبكية ، كما تأثرت جزئيا بالأفغانية والتركمانية . وبالنظر إلى ذلك حصلت تغيرات هامة فى هذه اللهجات من حيث تركيب الأصوات والصرف وكذلك النحو . وظلت هذه اللهجات طوال مرحلة مديدة دون اتصال باللغة العربية الفصحى ولا بلهجة عربية أخرى ، مما جعلها بعيدة عن التأثر بهما . وإلى هنا يعود السبب فى أن التراث السامى الذى كان يميز عرب آسيا الوسطى فى عهد ظهورهم فى وطنهم الجديد ظل محفوظا لديهم بشكل قريب من شكله الأصلى .

إن اللهجات العربية فى آسيا الوسطى تختلف عن جميع اللهجات العربية المعروفة (سواء من حيث تسرب لغات أخرى إليها ومن حيث التراث السامى الصرف) اختلافا كبيراً يجعلها تؤلف مجموعة مستقلة كل الاستقلال تحتل كالمالطية ، مكانة على حدة بين اللهجات العربية المعروفة .

ولغة عرب آسيا الوسطى تشبه ، تاريخيا ، شبها قويا اللهجة العراقية ، كما تشبه نوعا ما لهجة بدو القسم الأوسط من الجزيرة العربية . ويثبت لنا ذلك سواء من المعطيات المتعلقة بعلم اللغة أو المصادر التاريخية .

ثم إن للغة عرب آسيا الوسطى بعض الملامح التى تجعلها مشابهة لبعض اللهجات العربية الأخرى ، وهذا أمر طبيعى . فبعض أشكال هذه اللغة تصادف فى اللهجة السورية واللهجة المصرية وحتى فى لهجات بعيدة عنها جغرافيا كاللهجة السودانية والمالطية .

وقد احتفظت لهجات آسيا الوسطى ، فى بعض الحالات ، أكثر بكثير من الألسنة العربية الأخرى ، ببقايا جوهر آرامى - عبرانى .

واحتفظت هذه اللهجات بمعظم الأصوات العربية ، ولم تفقد سوى الأحرف الساكنة التى تلفظ ما بين الأسنان وبعض الأصوات المفخمة .

أما الضمائر والأعداد وظرفا الزمان والمكان والأدوات والأفعال ، التى احتفظت بأشكالها القديمة ، فهى ذات أهمية كبيرة ، وظهرت بالإضافة إلى ذلك صيغ لغوية جديدة .

فيمكن أن نلاحظ ، فيما يتعلق باسم الموصوف ، بقاء صيغة النكرة (دون تمييز فى الحالات) . وفى اجتماع اسم الموصوف والصفة ، يلحق التنوين باسم الموصوف وحده كما فى لهجات بدو الجزيرة العربية ، مثال ذلك : فرس أبيض . ومن جهة أخرى ، إن التنوين لا وجود له مع أشكال ظروف الزمان والمكان فى لهجة بخارى . فبعكس ما نلاقيه فى ألسنة عربية عديدة ، نجد هنا كلمة السلام ومرحبا ، بدلا من مرحبا . وهكذا دواليك من الأشكال

المطابقة لأشكال الكلام عند البدو ولا نجد الشكل الظرفى مع التنوين إلا فى لهجة قشقاداريا ، ولكن بشىء من التخفيف مع ذلك .

وقد احتفظت الأسماء بالجمع السالم المنتهى بـ « ين » مع مد الصوت ، مثال ذلك « موكلين » ويغلب الجمع حسب علامة جمع المؤنث السالم أى المنتهى بـ « ات » بدلا من جمع التكسير ، مثال ذلك « إيدات » (الأيدى) ، حتى فى الكلمات المذكرة ، مثل « كتابات » (كتب) . ويستعمل كذلك جمع التكسير مثل « رجل » (الأرجل) وهلم جرا .

واحتفظت أسماء الموصوف أيضاً بصيغة المثنى : « ايدين » (اليدان) و « عينين » (العينان) الخ .

أما المقصود بلفظة « واحد » بمعنى النكرة فقد أصبح « فاد أو فرد » وهى لفظة دارجة فى اللهجة العراقية ، كما أنها تستعمل فى كلام البدو .

وتغير تركيب الجملة العربية تغيرا محسوسا فقد طرأت على لهجات آسيا الوسطى ظاهرات نحوية غريبة عن العربية وغيرها من اللغات السامية ، وهذا ما يفرق بين هذه اللهجات والألسنة العربية الأخرى .

فالتركيب السامى القديم المعروف « بالإضافة » (المضاف والمضاف إليه) ما زال باقيا ، مثال ذلك . أم البنت ، بيد أننا نصادف فى كثير من الأحيان تركيبا غريبا عن اللغات السامية : نجد المضاف إليه قبل المضاف ، مثلا : « حطب مبيع » (أى بائع الحطب) .

واتسع استعمال الإضافة كما هى فى التركية اتساعا كبيرا ، وهنا يوضع المضاف إليه أولا ثم يتبعه المضاف متضمنا صيغة الضمير فى آخره مثال ذلك : « كتابات صاحبين » (لهجة بخارى) ، (ومعناه أصحاب الكتب ، وترجمته حرفيا : كتب - أصحابها) .

أما المفردات فهى بالأساس سامية . ومن هذه الناحية تقترب لهجات آسيا الوسطى من اللهجة العراقية ونوعا ما من لهجات جزيرة العرب ، ويظهر الفرق أيضاً بين لسان بخارى ولسان قشقاداريا فى ميدان الصرف . فكلمة « خلاف » (وخلافة) مثلا الدارجة فى لهجة بخارى ، لا وجود لها فى لهجة قشقاداريا حيث تستعمل مكانها كلمة « اوكوب » . وكذلك لفظة « ايزاب » (حيث) فى لهجة بخارى ، ولفظة « ايزكو » فى لهجة قشقاداريا وكلمة « ماد » (ذهب) فى لهجة قشقاداريا هى غير معروفة فى لسان بخارى . وكلمة « غاداك » (ذهب) الدارجة فى لهجة بخارى تثير الهزء لدى عرب قشقاداريا .

إن هـذه النظرة الخاطفة إلى الخصائص اللغوية للهجات العربية فى آسيا الوسطى يدل على مقدار جدة هذه اللهجات .

وقد أعد الاتحاد السوفياتى نشر مصنف فى أربعة مجلدات عن لغة عرب آسيا الوسطى والمجلد الأول الذى سيصدر قريبا يتضمن نصوصا من لهجـة بخارى مع ترجمتها إلى الروسية . وسيحتوى المجلد الثانى نصوصا من لهجة قشقاداريا مع ترجمتها إلى الروسية ، وسيكون المجلد الثالث قاموسا للهجتين ، أما المجلد الرابع فسيتضمن التحليل الغراماطيقى للهجتين العربيتين فى آسيا الوسطى . إن نشر هذه الوثائق سيعطى المستشرقين فكرة كاملة عن هاتين اللهجتين اللتين يشكل اكتشافهما ودرساهما ـ كما قال الأكاديمى ا. كراتشكوفسكى المستعرب الروسى المعروف ـ صفحة مجيدة فى تاريخ الدراسات العربية المعاصرة وأشياء جديدة كثيرة فى كنز العلوم العالمى [1] .

ج . تزريتلى

عضو أكاديمية العلوم فى جمهورية جورجيا

---

(١) ا . كراتشكوفسكى — محاولة فى تاريخ الدراسات العربية فى روسيا .
موسكو لينغراد ١٩٥٠ . الصفحة ٢٠٣ .

(بقية مقال معركة بيت المقدس)

الكرك ، فإنه كان حريصا على الدرك ، ناصبا شر الشرك ، فلما شم ذلك الذئب رائحته الأسد ، عاود دخول حصنه حذار خروج روحه من الجسد . .

فأنت ترى الحقيقة التاريخية وهى خروج صلاح الدين من دمشق مترقبا عودة الحاج قد لونت بشعور الكاتب إزاء هـذا الخروج واستدعاء الجنود ، وإزاء إبرنس الكرك ، من أنه كذئب شم رائحة الأسد .

وعلى هـذا المنوال يجرى الكاتب فى كل ما أورده من حقائق تاريخية ، يضفى عليها شعوره وإحساسه ، وينتقل من عام إلى عام ، متتبعاً حوادث الفتح وما تلاه من محاولة استرداد الفرنج لبيت المقدس إلى أن انتهت هذه الحروب بصلح الرملة سنة ٥٨٨ هـ .

وبعـد ، فقد كان لمعركة بيت المقدس أثر كبير فى الأدب شعره ونثره . وكانت هـذه المعركة من أكبر المعارك أثراً باقياً إلى اليوم .

أحمد أحمد بدوى

وكيل كلية دار العلوم

محمد والقرآن

فى رأى المستشرق الانجليزى نيكلسون

للأستاذ راشد رستم

الأستاذ رينولد نيكولسن Nicholson Reynold المستشرق الإنجليزى من أبرز علماء الغرب معرفة بروح الشرق، فقد عكف وهو لا يزال مجاوراً بجامعة كمبردج على التمكن من اللغتين الفارسية والعربية حتى صار أعرف بهما من غيره، كما تولى تدريسهما فيما بعد، غير أنه تخصص فى الآداب العربية، وقد تولى كرسى الأستاذية فيهامنذ سنة ١٩٣٩ إلى أن توفى سنة ١٩٤٦ فى جامعة كمبردج [١]، وكان إلى ذلك متصوفا، ألف كثيراً عن التصوف الإسلامى وجعله قابلا لمنهج البحث العلمى. كما أنه ترجم كثيراً من آثار المتصوفين الإسلاميين. وقد حباه الله بموهبة نادرة هى قدرته على نقل الشعر الفارسى والعربى إلى شعر أوربى أصيل، لا يظهر فيه أثر الترجمة فضلا عن المحافظة على الأصل فى سياق شعرى لطيف صحيح. وكنا قد أذعنا له ترجمات إنجليزية من عيون الشعر للمثنوى وابن العربى وابن الفارض وغيرهم، فى البرنامج الأوربى للإذاعة المصرية عندما كنا نتولاها منذ عشر سنوات.

وفى سنة ١٩٠٧ أصدر كتابه الكبير ـ تاريخ الأدب العربى ـ الذى هو عمدة فى ذلك فى العالم الغربى من حيث الإحاطة بالموضوع ومن حيث منهج البحث والتنسيق [١].

* * *

---

(١) تولاه بعده، ولا يزال يتولاه إلى يومنا هذا، تلميذه وصديقنا الأستاذ أربرى Arberry صاحب البحوث والمؤلفات الكثيرة عن الآداب العربية وعن التصوف الاسلامى، وقد أصدر أخيراً ترجمة للقرآن هى أحدث ما صدر من ترجماته العصرية بالانجليزية.

(١) أشار علينا أستاذنا الجليل المرحوم الشيخ محمود أحمد البطراوى ترجمة هذا الكتاب وقد قمنا بترجمة قسم كبير منه صيف سنة ١٩١٤ م وكان الشيخ أستاذا للآداب العربية بمدرسة المعلمين العليا. وكان رحمه الله متمكنا من مادته كما كان محبا للتجديد العصرى الأصيل فى منهج تدريس الآداب العربية. وهو ما حداه إلى طلب ترجمة الكتاب. وكم أفاد الأستاذ تلاميذه الكثيرين علما وفضلا وخلقا.

ويلاحظ أنه ليس من مستشرق غربى وأوربى ، مهما كانت ناحيـــة تخصصه فى الاستشراق إلا ويعكف على دراسة حياة نبى الإسلام محمد عليه السلام . ولا غرابة فى ذلك فإن محمداً هو النبى العربى والقرآن هو الكتاب العربى .

وقد خصص الأستاذ نيكولسن فى كتابه عن الأدب العربى فصلا قيماعن «محمدو القرآن » ، نعرض هنا كثيراً من آرائه وتعليقاته فيه ، دون ذكر ما جاء فيها مما يستوجب البحث والمجادلة إذ ليس هذا مجاله .

يقول إنه لم يكد محمد يظهر حتى زالت الغشاوة الكثيفة ورفع ذلك الستار السميك عن ذلك العصر الذى تقدمه ، ثم نجد أنفسنا قد وقفنا فجأة على حقائق وتقاليد تاريخية صحيحة ثابتة .

ولكى نفهم أسباب ذلك التغيير المفاجئ لابد من ذكر المصادر الرئيسية التى نستمد منها ما نأخذه من معلومات عن حياة النبى وتعاليمه .

١ - فالقرآن هو لاشك أول المصادر ، وهو السجل الإنسانى الكامل البنيان والبيان ، الذى نقف منه على جميع أطوار شخصية محمد ، وعن مختلف العلاقات بينه ، فى حياته الخاصة ، وبين الحياة العامة . وهكذا نجد بين أيدينا هذا الكتاب (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) وإنه لكتاب عزيز ، أى فريد فى بابه نستخرج منه مادة من الحقائق لا نزاع فيها ، كما نعرف منه الأصول والتطورات التى مر بها الإسلام فى أول عهده . وإنها لميزة لهذا الدين لانجدها لغيره من الأديان الأخرى كالبوذية والمسـيحية واليهودية وغيرها .

٢ - الأحاديث

لم يكن للنبى رفيق يلازمه فى غدواته وروحاته يدون عنه كل ما يفعل أو يقول . على أنه ما وقف محمد يوما ليخطب أو جلس ليتحدث إلا وتوجهت إليه البصائر والأبصار - ذلك لأنه لم يكن رجلا عاديا . .

وإن كل كلمة ينطق بها أو حركة يفعلها يلتقطها أصحابه وصحابته ومريدوه - بل وأعداؤه - يقيمون لها الوزن والتقدير والاعتبار .

وقد عرف عن كثير من أصحابه أنهم « المحدثون » ، أى الذين أخذت عنهم الأحاديث بالرواية ، وقد وضعوا لكل حديث أصلين أساسيين - المتن والسند - ولكل من هذين الأصلين فروع ليس هذا موضعها .

٣ - التفاسير

إن محمداً نفسه قام بتفسير بعض الآيات . ولكن الفضل فى وضع علم التفسير يرجع إلى ابن عباس وهو ابن عم النبى .

ولقد كانت سوق الأحاديث النبوية الموضوعة رائجة فى العصر الأول وقد اغتنمت الأحزاب ذلك واتخذوها أسلحة يستعملونها فى أغراضهم السياسية والدينية والاجتماعية .

* * *

ولما بلغ محمد من العمر الأربعين جاءه الملك فى غار حراء وقال له اقرأ . . فقال ما أنا بقارئ . . وقيل إنه قال للملك : ما أقرأ أو ماذا أقرأ ؟ (١)

ثم تولاه الخوف والرعب وخشى أن يكون به مس من الجن لولا أن زوجته المخلصة الصالحة (خديجة) قامت برعايته وهونت الأمر عليه وجعلته يعتقد جازما بأنه لا سلطان للشيطان عليه بل إنه النبى المنتظر المرسل بالحق والهدى .

غير أن الوحى انقطع زمنا طويلا كاد يتولاه فيه اليأس . وما هى إلا « فترة » امتحان حتى عاد فرأى الملك فزال عنه الشك وتولاه اليقين واعتقد بصحة رسالته وهو يقول له ـ يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر (٢) الخ .

ثم أخذ أنصاره يزدادون ولكنه وجدهم فى عنت كبير من أهل مكة الكفار فأمرهم بالهجرة إلى الحبشة ، حيث يدين ملكها وأهلها بالمسيحية السمحة ، فوجدوا عندهم ترحيباً وتكريما .

هذا ومن الأدلة على إخلاص هذا الرجل (محمد . .) أنه لما رأى استحالة الاتفاق الحقيقى مع أهل مكة عبدة الأصنام خشى أن يكون اتفاقه معهم دليلا على اعترافه بوضعهم وتنازلا منه عن مبادئه التى أرسله ربه من أجلها ـ عند ذلك عدل عن اتفاقه مع قريش وأخذ فى شن الحرب على كل صنم أو صورة أو رسم أيا كان شكله وموضوعه ، وجعل يجهر مناديا مكرراً ـ لا إله إلا الله ـ لا إله إلا الله .

وهكذا أخذ محمد يوجه كل قوته لهدم الوثنية وعبادة الأصنام والشرك بالله . ثم كان إسلام عمر بن الخطاب (رجل الدم والحديد) مبدأ للقيام بانقلاب جديد . فلم يعد عبادة المسلمين سرا بل جهروا بها وأخذوا يتجمعون جماعات حول الكعبة تصلون ويقومون بشعائر دينهم . واثقين من أنفسهم ، ظاهرين بشجاعتهم .

وهنا تولى قريشا الرعب والخوف من العاقبة ، فبيتوا لمحمد أمرا . ولكنه أفسد

---

(١) نقلا عن ابن هشام ! !

(٢) يعتقد كثير من المستشرقين المتعصبين إن كلمة « الرجز » هنا هى بمعنى عبادة الأصنام . . كما أنهم يفسرون قوله تعالى : « ووجدك ضالا فهدى » بأن الضلال هنا بمعنى عبادة الأصنام .

عليهم أمرهم وقام ومن معه بالهجرة إلى المدينة ذلك الحدث العظيم .

وفى شهر سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية دخل محمد « المدينة » فاستقبله أهل العصبة من قومها استقبال الفاتحين الظافرين بالقلوب قبل الأجسام .

وقد صار هذا الحدث العظيم رمزا على زوال صولة الجاهلية وابتداء عهد محمد ، وقيام دولة الإسلام .

* * *

أما التعليم والمبادى الأولى التى دعا إليها محمد فى الحقبة التى عاشها بمكة فتتلخص فيما يلى :

أولا : لا إله الا الله .

ثانياً : محمد رسول الله ـ وأن القرآن كلام الله أنزله على رسوله ،

ثالثاً : البعث يوم القيامة حيث الحساب لكل امرئ بما قدمت يداه فى هذه الحياة .

رابعاً : الجنة للصالحين وجهنم للطالحين .

* * *

إن محمداً منذ اللحظة الأولى عرف أنه سيلق ربه يوم اللقاء مسؤولا عما فعل بالرسالة فصار يدعو الناس وهو على يقين بعقيدته ، فجعلت من ضعفه قوة ، ومن خوفه أمناً ، ومن جزعه صبرا ، كما تحمل فى سبيل الرسالة ما تحمل من الأعباء والأرزاء والمصاعب والاضطهاد بقلب سليم ويقين ثابت

هذا ولم يكن محمد خيالياً دون أن يكون عمليا . فنى دينه من الشعائر والفروض ، ما فيه مشقة للنفوس والأجسام كالصوم والحج والجهاد وما إلى ذلك . غير أنه أضفى بروحه وروحانيته على كل هذه الأنواع من المشاق روحانية عظيمة عليها مسحة من الزهد والخضوع والنظام لا تزال رغم القرون تحتفظ بها إلى يومنا هذا .

إن محمداً بما أظهره من أول عهده من آيات العظمة النفسية ليدعونا إلى الإعجاب العظيم به . إذ هو مؤمن بيقينه مدفوع بأسمى فكرة يستطيع الإنسان أن يبشر بها بالحق الذى أوحى إليه به .

على أن محمدا كاد يكون فى تلك الحال منفردا ، ولكنه شجاع لا يعرف الخور ولا الخوف ولا الوجل أمام أقوى صرح للخرافات والمعتقدات الباطلة فلم يستسلم أبدا للتهديد والوعيد والاستهزاء ... بل أوعد وهدد وهزئ هو من أعدائه ، وتحداهم فى صميم عقائدهم رابط الجأش هادئ البال ، لايبالى بما يفعلون .

* * *

ذلك ما كان من عهد محمد فى مكة . فلما هاجر منها إلى المدينة كان قد خلص من مهمة إرساء القواعد الأساسية للدعوة ، وصار الرجل السياسى . .

وبما لاشك فيه أن هجرة محمد أفادت الإسلام فائدة عظمى ، وكانت أكبر عامل فى انتشاره وعلو كلمته وتوطيد دعائمه - ذلك أن محمداً لجأ إلى قوم ليس بينه وبينهم قرابه وإنما تربطه بهم جامعة الدين ووحدة العقيدة . وقد قام بذلك خير قيام فى كياسة عظيمة وحذق كبير .

وليس من شخص آخر على الإطلاق كان أكثر من محمـــد قدرة على التأثير فى أمته وتكييف أحوالها ، ففى عشرين عاما زرع كل بذور التطور السياسى والعقلى التى يمكن أن يمر بها العرب عبر القرون .

هـذا ومهما تمض السنون وتتسع فرجة الزمن بين محمد وأتباعه من الملايين ، ومهما تتوال العصور ومهما يتقدم المسلمون حضارة وتمدينا ، فإنهم لا يزالون يرجعون إليه إماما فى كل شىء وهاديا يهديهم سواء السبيل .

وإذا كانت الأحكام قد تضاربت والآراء قد اختلفت فإنى أنا (رينولد نيكولسن) أعتقد يقينا بأن محمداً ليس دجالا ولا مريضا بأعصابه ، وليس مجرد مصلح اجتماعى كما يريد بعضهم أن يصفوه ، وإنما هو رجل ، من أول أمره وفى كل شأنه وأحواله ، مخلصا متحمسا لدينه ، ملهما به عن حق ، مثل كل نبى من أنبياء « العهد القديم » .

وقال نيكولسن نقلا عن أحد الكتاب واسمه دوجوج de goeje قوله : إننا نرى فى محمد ذلك الإدراك الذى تكسوه الرزانه المعهودة فى عشيرته ، كما نرى فيه الشرف وعزة النفس والحصافة وصحة التقدير والتغلب على النفس - تلك الصفات التى لا يختص بها إلا أولو العزم وأرباب القوة فى العقل السليم والجسم السليم .

ولقد نقلته ظروف الحوادث ومقتضيات الأحوال من نبى إلى مشرع إلى حاكم . غير أنه لم يعبأ لنفسه بشىء من ذلك بل هو لا يبغى ولا يريد إلا أن يكون رسول الله رب العالمين إذ فى هذا التعريف شمول للإسلام كله .

ولقـد كان محمد ، مثل كل عربى أصيل ، سريع التأثر حتى بلغت به الحال أيام كان يجاهد النفس الجهاد الأكبر ، إلى درجة أزعجته هـو نفسه قبل الدعوة ، غير أنه لم يتأثر بالأوهام ولم يكن خياليا يهيم وراء الأحلام ، وإنما وقف يدفع عن نفسه بالبراهين المقدسة ، التهمة التى قيل فيها : إن ما يراه محمد هو أوهام وخيالات من الحواس .

ثم يسأل ويقول : والآن لا أدرى لماذا لا نؤمن به ؟ .

أما نحن فنقول : الله أعلم ؟

راشد رستم

أضواء على تاريخ أديب :

صورة من سماحة الإسلام

للأستاذ محمد رجب البيومي

يقرأ المؤمن المتدبر قول الله عز وجل : « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون » ، فيستشعر إجلالا مهيبا لما يوحى به هذا النص الكريم ، فهو فى نبله الإنسانى يشف عن سماحة حميدة تتسع حتى تشمل المناوئين من أعداء الدين ، وإن لنا فى آيات الكتاب وأحاديث الرسول ، وسير الصفوة من قادة الإسلام لنماذج كثيرة تنحو هذا النحو الرائع ، وتسمو بالمشاعر المسلمة إلى أفق إنسانى ودود . ولم تقتصر هذه السماحة البالغة مع أهل الكتاب عن أن نجادلهم بالتى هى أحسن ، وندعوهم إلى كلمة سواء بيننا وبينهم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، بل شملت غيرهم ممن لا يرجون لقاء الله وكذبوا بما لم يحيطوا به حتى ليدعونا الكتاب العزيز أن نبرهم ونقسط إليهم إن الله يحب المقسطين !!.

وقد أفاض الكاتبون من دعاة الإسلام فى إيضاح هذه الصفحة الوضيئة من صفحات الإسلام بما لا يدع مزيدا لمستزيد ، وأنا هنا لا أحاول أن أكرر معادا ألفته الأسماع واطمأنت إليه العقول ، ولكنى أعرض على ضوء هذا الهدى المشرق سيرة أديب صابئ من عبدة الكواكب ، وسعته سماحة الإسلام عن صدر رحب ، وبشر متهلل ، فبلغ فى دنيا الأدب - كتابة وشعرا - وهو يومئذ عربى يهتدى بعذوبة القرآن وسلاسته - مكانة رفعته إلى أسمى المراتب ، وهيأت له أن ينوب عن الوزير فيما يصرف من مهام ويقرر من شئون ، وكم فى تاريخ الإسلام من أمثال له وسعتهم إنسانيته العادلة فبلغوا الأوج الشاهق دون أن تطمس لهم كفاية مقدورة ، أو يجحد لعبقريتهم فضل ملموس ! ! وإذا كان كل هؤلاء من أهل الكتاب ، فإن العجيب حقا أن يصل إلى هذه المنزلة فى دنيا الإسلام صابئ لا يعترف المسلمون بشرعية دينه ، حتى لقد حاول المأمون أن يرجع تعاليمهم إلى وحى سماوى

حرف فيه الكلم عن مواضعه فلم تسعفه عباداتهم وطقوسهم بما يريد ! إن العجيب حقا أن يصل أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ الحرانى إلى مثل هذه المكانة فى دنيا بنى العباس ، وبغداد يومئذ حاضرة الدنيا وعاصمة الإسلام .

ونحن حين نبحث عن الصابئة فى القرن الرابع الهجرى - عصر أبى إسحاق - لا نتلمس تعليمها بما كتبه الكاتبون عنها فى القرن العشرين !! فأكثره مشاهد شخصية لباحثين متجولين رحلوا إلى أماكنهم المتفرقة فى العراق ، فأخذوا من تعاليمهم المستحدثة وأوضاعهم المستجدة ما حسبوه دينا أصيلا للصابئة ! قد انحدر إليهم من أزلهم السحيق ، ولكننا نرجع إلى ما كتب عنهم أيام أبى إسحاق أو بعده بقليل فنجد مؤرخى الملل والنحل قد جعلوهم فرقتين مختلفتين ، فرقة تقول إن خالق الكون هو الله سبحانه وتعالى ولكنه خلق الكواكب كالشمس والقمر والنجوم لتكون قبلة للدعاء ومركزا للصلاة ، فهى دلائل وجوده ، ووسائل نفعه وضره ، وفرقة ثانية ترى أن الله خلق الكواكب وحدها فقط ، ثم تركها تخلق ما أرادت من إنسان وحيوان ونبات وجماد ، وهى المدبرة لما فى الكون من صحة ومرض ، وخير وشر ، وعلى البشر تعظيمها وإجلالها ، لإنها الآلهة المدبرة المتصرفة والفرق بين الفرقتين واضح ، إذ أن الأولى تنسب الخلق والإيجاد للأشياء لا لله ، والثانية تجعلهما للكواكب ، وأرجح أن أبا إسحاق كان ممن ينتمون إلى الفرقة الأولى ، فمثله فى عقله الثاقب واطلاعه الواسع على أديان عصره أكبر من أن يعتقد هذا الاعتقاد البدائى !! حقا لقد كانت الكواكب مؤلهة عند أكثر الناس فى طفولة البشرية حين كانوا ينظرون فيجدون للشمس والقمر والنجوم من العظمة والإشراق والعلو قدرا كبيرا ، ولكن تطور الخليقة ، واكتمال النظر ، وتتابع الرسالات جعل من هذه العقيدة أسطورة مضحكة لا يجدر بكاتب مفكر أن يعتنقها فى القرن الرابع الهجرى . على أننا مع هذا التقدير لا نستبعد شيئا على الإطلاق فالأمر فى العقائد يخضع لتأثير العاطفة والبيئة خضوعا تتهافت دونه أدلة العقل ، وللتربية الأولى فى عهد الطفولة أثرها المحسوس فى تحديد المذهب وتعيين الاتجاه .

ولقد نشأ الصابئ فى عهد يزخر بأئمة البلاغة وأمراء الأدب ممن تسنموا ذرى الرئاسة والسياسة عن طريق البيان والإفصاح ، فلو كان الرجل فذا مفردا لاشريك له فى أدبه وثقافته لقلنا : إن دولة الإسلام قد احتضنته

على نشوز دينه حين افتقرت إلى سداد بلاغته وسحر مقالته ، أما وقد تألق نجمه فى سماء بزغت بها شموس وضاءة فى النثر والشعر معا مثل ابن العميد والصاحب بن عباد وأبى حيان التوحيدى وأبى الفرج الأصفهانى وأبى بكر الخوارزمى وأبى الطيب المتنبى وأبى فراس الحمدانى والشريفين الرضى والمرتضى وغيرهم ممن لا يحيط بهم الحصر ، ومع هذا التزاحم الشديد على السبق فى مضمار الأدب فقد شق الصابئ طريقه ووجد من أعيان الخلفاء ووجهاء الوزراء من وضعه فى مكانه المرموق ؛ فإن ذلك وحده لينهض دليلا على سماحة بيئته التى نشأ فيها ، ويعطى البرهان الأكيد على أن المسلمين بعيدون عن التعصب بعداً يدعو إليه القرآن وتشيد به أحاديث الرسول .

لقد كان الوزير المهلبى ، وهو ببغداد صاحب الكلمة العليا فى دولة الخلافة صديقا حميما لأبى إسحاق ، يحن إليه إذا غاب فيستدعيه كما يأنس به إذا حضر ويستشيره ، وكثيرا ما أقامه مقامه فى الوزارة إذا ارتحل عن العاصمة فى تسكين ثائرة أو تضميد نائرة ، فلا يجد أحد حرجا من إقامة صابئ منبوذ مقام وزير مسلم فى خلافة سنية تستهدى كتاب الله فيما تقوم به من الأوامر والأحكام ، ولم يكن الوزير المهلبى ضيق الأفق قصير النظر ، فيرمى بالغفلة والحمق فى إسناد الوزارة إلى الصابئ ، ولكنه كما يقول الثعالبى نقلا عن اليتيمة ج ٢ ص ٢٢٣ «كان من ارتفاع القدر واتساع الصدر ونبل الهمة ، وفيض الكف وكرم الشيمة ، على ما هو مذكور مشهور ، وأيامه معروفة فى وزارته لمعز الدولة ، وتدبيره أمور العراق ، وانبساط يده فى الأموال مع كونه غاية فى الأدب والمحبة لأهله ، وكان يترسل ترسلا مليحا ، ويقول الشعر قولا لطيفا يضرب به المثل ، ولا يستحلى معه العسل » هذا الوزير السياسى الأريب وجد من سماحة دينه وسمو إسلامه ما اصطنع به أبا إسحاق عن دربة واختباره فكان كما يقول الثعالبى فى موضع آخر ج ٢ ص ٢٤٣ « لا يرى الدنيا إلا به ويحن إلى براعته ، وتقدم قدمه ، ويصطنعه لنفسه ، ويستدعيه فى أوقات أنسه » وظل وافيا لصداقته حتى قتل فى إحدى الفتن بعمان فقطع الموت مودة حلوة هنيئة وخسر الصابئ بفقده ذخرا ثمينا وكنزاً لا تنى بقيمته كنوز .

ولم يكن الوزير المهلبى فريدا فى اصطفائه أبا إسحاق ، فقد كانت تأتيه هدايا سيف الدولة الحمدانى ، وتحف عز الدوله بختيار بن بويه ، حتى لقد عرض عليه الوزارة نفسها إن أسلم فما استجاب لعرضه ، ولم يشأ أن يجبره على ما لا يريد ، وظل يؤثره بنفائسه وألطافه ،

وما زاده تمسكه بدينه إلا رفعة وسموا فى عينه، وهو بعد دين منبوذ لا يقوم عند غير الصابئة على أصل ولم يأت به نبى تذكره الأديان.

وكان الصاحب بن عباد تياها فخورا يرى نفسه بالمحل الأعلى من السياسة والبيان معا، ولكنه كان يدخر لأبى إسحاق ودا كريما وتقديرا رائعا، فهو يحرص على مودته متلطفا ويستدعيه إليه متحببا، فيقدم تارة، ويحجم تارة، وما كان للصاحب وهو الوزير الرئيس التياه أن يتحمل إحجام فرد ما عن تلبية ندائه، لو لم يكن يقدره قدره، ويزن قيمته فى دولة البيان، ومع أن الصاحب قد جافى أبا حيان التوحيدى المسلم ونابذه لفرط اعتداده بنفسه، فلم تشأ له سماحته الحساسة أن يجافى أبا إسحاق الصابى لإحجامه، بل أخذ يعترف صراحة بفضله وعقله، ويقول: «كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة، الأستاذ ابن العميد، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، وأبو إسحق الصابىء، ولو شئت لذكرت الرابع»، ويعنى به نفسه، فتراه يذكر أبا إسحاق، ويترك أبا حيان!! والتوحيدى باعتراف أساتذة النقد سيد الجميع، فلو أن تعصبا دينيا طاف بنفس الصاحب لأسقط أبا إسحاق كما أسقط من هو أفضل منه من أبناء ملته، ولكنه التسامح المعتدل يفرضه القرآن، وتوجيه الأخلاق، وبهما يعيش أبو إسحاق قرير العين مطمئن الفؤاد.

وأطرف ما يروى فى حياة الصابىء هو صداقته للبيت العلوى فى بغداد، فقد كان نقيب الطالبيين الشريف الموسوى والد الرضى والمرتضى من أصدقائه المحتفين بأدبه وذكائه. ولم يجد الزعيم العلوى غضاضة ما فى أن يتأثل وده بأديب صابىء يفد إلى داره بين الفينة والفينة فيؤاكله ويحادثه، ويصادق شبابه الناشئين لأن الاسلام فى لبابه يحرص على مودة مخالفيه، ويعلن كتابه الصريح أن لا إكراه فى الدين فقد تبين الرشد من الغى، وقد امتدت صداقة أبى اسحاق للبيت العلوى حتى مات الوالد وترعرع الشريف ليؤكد الصلة ويعرق المانة، فكانت صداقة الفتى اليافع والكهل الفانى مضرب المثل بين الناس حتى خرج الصابى عن طوره فرشح الشريف فى بعض أبياته لإمارة المؤمنين، ولم يجد من الخلفاء من يغلظ له الحساب على وعورة المسلك وخطر المركب، وظلت المطارحات الشعرية يتجاوب صداها بين الصديقين أمدا غير قصير، فتفصح عن إخلاص متبادل وتقدير مشترك. ورواة الأدب يذيعونها فى كل مجلس فتتعطر بها الأندية، وتحلو بترديدها الأسمار، حتى مات

أبو إسحاق فجزع عليه الشريف الرضى جزعا نال منه كل منال ، ورثاه بقصيدة فريدة يعدها بعض النقاد من أبلغ مراثى الشريف إن لم تكن أبلغ ما قال !! ثم عاود رثاءه مرة ثانية وثالثة ، فحفظ ديوانه الذائع ثلاث مرثيات خوالد للصديق الراحل، مع أنه رثى والده الشريف الموسوى بقصيدة واحدة! فاى وفاء حى عاش فى مهجة الشاعر لصاحبه الفقيد ! إن الدنيا لتضيق فى عينيه بعده فيكرر الرثاء مرة ومرة ليستريح ، فما ينعم ببعض ما يريد بل يكون مآله كما قال فى إحدى مراثيه :

رثيتك كى أسلوك فازددت لوعة
لأن المراثى لا تسد المرازيا

وهو بيت صادق لا يقل روعة عن قوله فى مرثاته الأولى :

سلوا من الأبراد جسمك وانثنى
جسمى يسل عليك فى الأبراد

وقوله فى مرثيته الثالثة :

أمضى وتعطفنى إليك نوازع
بتنهد كصبابة العشاق

وإن صابئاً ينال هذا التقدير من رئيس دينى وزعيم علوى كالشريف الرضى وأبيه لدليل على أن أبناء الإسلام يعتنقون حكمه الملزم فى المساواة والعدالة بين الأجناس والأديان دون تفريق .

على أن الصابىء كان متشدداً فى اتباع تعاليم الصابئة ، فلم يكن ليتحلل بعض الشىء كما نلحظ فى سير أناس من الأدباء ترهقهم ملزمات الدين فيطلقون لشهواتهم العنان .

وكثيراً ما اشتهروا ببغداد على عهد أبى إسحاق وفيهم شيوخ الدين كالقاضى التنوخى وابن معروف وابن قريعة وأضرابهم ، ولكن الصابى راعى حدود الدين مراعاة تحسب له لا عليه ، فقد حضر يوما مائدة الوزير المهلبى فامتنع عن لون محرم من ألوان الطعام لدى الصابئة ، فقال له المهلبى : كل ولا تبرد ، فأجاب فى أدب : لا أحب أن أعصى الله فى مأكول ، وذكر بعض مؤرخيه أن عز الدولة بختيار بذل له ألف دينار على أن يأكل الفول وهو مما حرم فى دينه فرفضها عن تعفف ، وله شعر جميل نلمس فيه هذه النزعة الدينية المتحرجة كأن يقول :

حمتنى لذتى رتب المعالى
وضنى بالمروءة والوقار
ودين ضاق فيه مجال فتكى
لخوف عقوبة وحذار نار

ولم يزده هذا التشدد إلا إكباراً فى نفوس النصفين ، فما قرأنا فيما كتب عنه على كثرته أن أحدا من خلصائه قد ضاق بتشدده ، بل تركوه يؤدى فرائضه الدينية ، ومقدساته الشرعية، وحسبهم منه أن يجازيهم وفاء بوفاء.

(البقية على صفحة ٣٧٠)

الإسلام والمدنية المثالية

للأستاذ عباس طه

الدين الحق والمدنية السامية يتفقان فى المبدأ والغاية ، ولما كان أمر المدنية من الشئون التى تعتبر فى الدرجة العليا من الخطورة ، لافتتان الناس بها افتتانا يسلبهم إرادتهم ويدفعهم فى سبل محفوفة بالأخطار ، ونظرا لما يفهمه بعض الناس من معنى المدنية وطرائقها وجب علينا أن نوفى هذه الناحية حقها من البحث والتحقيق والتمحيص ، وفى عرضنا لهذا الموضوع المتشابك الحلقات ، نتوخى تحليل أمهات الشبهات تحليلا علميا ، لأن بقاءها ماثلة فى بعض الأذهان على حالة شبهات لا تقبل الدحض ، وكامنة فى نفسية الدهماء وإن لم يستطيعوا الإفصاح عنها بأطراف ألسنتهم ، يجعل كل محاولة لإنقاذهم من سلطانها ضربا من ضروب العبث واللغو فما اتهم المدافعون عن الأديان بأشد من كراهتهم مواجهة الاعتراضات واتقائها بالحيد عن طريقها ، وتركها تفتك بالنفوس والقلوب فتكا ذريعا .

ما الذى أوجد ما يتخيله البعض من التنافى بين الدين والمدنية ، إذا كانت المدنية ثمرة الجهود التى يبذلها الإنسان لتحسين حياته المادية وتسهيل محاولاته المعيشية والذهاب فى ترقية وسائله الحيوية وحاجاته الأدبية والفنية إلى أبعد ما يمكن أن تصل إليه تحت ضوء العلوم والصناعات المختلفة .

ليس فى المدنية الصحيحة ما يعاند الدين الحق أو يقف فى سبيله إذا استثنينا ما تثمره من مذهب فلسفى يرى غير ما يقرره الدين فى مسائل الاعتقادات ، وهذا الخلاف مرده العلم ، والعلم الصحيح لا يعاند الدين الحق فى شىء ، فلا يلبث هذا الخلاف العارض أن ينحسم ، أو يبقى مقصوراً على طائفة لا يؤثر شذوذها على سواد الناس .

إذن فما الذى استحدث هذه الهوة السحيقة بين الدين والمدنية فى نظر بعض الآخذين بمبادئ الحياة العصرية الآلية اليوم ؟ .

أوجدها خطأ جلل تسرب إلى عقولهم ولم يفطنوا إليه ، وهو أنهم خلطوا بين المدنية على وضعها الصحيح وبين ما استحدثه أهل الإباحة على العلم والفلسفة والأخلاق الفاضلة تحت ظل الحرية الشخصية وألصقوه بالمدنية

ومرد هذا الخطأ الشنيع هو ما يراه الناس بأعينهم اليوم من جرى الأمم المتمدينة قاطبة وراء المتع النفسية من مأكل ومشرب وملبس. غير مقيدين فيها بغير ما توجبه عليهم تقاليد تواضعوا على مراعاتها فى المشية والقعدة والسلام والكلام وتناول الشراب والطعام، أما ما وراء ذلك من مخالفة ما يأتونه لأصول الآداب الصحيحة فلا يأبه له أحد.

فالعلم يحرم كل ما يحرمه الدين على مقتضى وجهة نظره الخاصة، فيحرم الخمر والميسر والتبرج والتهتك والزنى والمناظر المثيرة للشهوات، والسماع المميت للقلوب والتواضع على تقاليد تعتبر أدبية وليست من الآداب الصحيحة فى شيء.

ولكن الذين يعتبرون أنفسهم متمدينين لا يقيمون للعلم وزنا، ولا يعتمدون على مقرراته فيما هم مدفوعون إليه من إشباع أهوائهم النفسية، وملاذهم الجثمانية. فهذه المدنية على هذا الضرب ليست علمية، ولا هى ثمرة أى مذهب فلسفى حتى ولا المذهب المادى نفسه، فإن الملاحدة وإن كانوا يكفرون بالقضايا الاعتقادية إلا أنهم لا يبيحون لأحد أن يخرج على مقررات العلم.

فهذه الانحرافات الخلقية التى يسميها فيكون من وراء هذا النهم الثائر لتحصيل السطحيون مدنية، محكوم عليها بالتلاشى، أو ببقائها موصومة بأنها خروج على العلم، وعدوان على الحكمة.

وهناك مدنية تتفق والعلم، ومتى اتفقت والعلم فقد اتفقت والدين، لأن العلم الصحيح لا يجافى الدين الصحيح، بل يوائمه ويماشيه. فالنزاع القائم الآن هو بين المدنية والعلم، أكثر مما هو بين المدنية والدين وموضوعه:

لو التزم الناس وصايا العلم من كبح جماح الأهواء النفسية، والإباحات البهيمية، والاعتدال فى توفية المطالب الجسدية، ألا يؤثر ذلك فى إضعاف العوامل الحافزة للمدنية؟ لأن الناس متى لزموا حدود الحكمة فى مطعمهم ومشربهم، وامتنعوا عن كل ما يقرر العلم إضراره بصحتهم وعقولهم، ولم يخرجوا فى ملاهيهم وملاعبهم واجتماعاتهم عما رسمه من آداب وتقاليد، بطلت المعاقرة والمقامرة والمخاصرة والمكاثرة، هذه الأمور كلها التى تستنزف الأموال، وتبيد الآداب والأخلاق، وتفسد القلوب، وتهتك الأعراض، ويظن البعض - جهلا - إلا أنها تدفع الصناع للإتقان، والفنانين للإبداع، والكتاب والشعراء للإنتاج، وتلهب النفوس كافة إلى التبارى لنيل النشب الذى يوصلهم إلى استيفاء ضروب المشتهيات، والنشب الذى هو المال لا يوصل إليه إلا بالعمل والدأب والإتقان والابتكار

المآرب المنوعة ، دوافع حافزة للتقدم فى جميع نواحى النشاط العقلى والعملى .

ولكن لو اكتفى الناس بتحصيل العيش فى حدود الاعتدال ، ووقفوا من المشتهيات عند ما هو مقرر منها فى العلم خمدت فى نفوسهم جذوة هذه النار المتأججة وراء المآرب المفرطة ، وتبع خمودها تصوح زهرة المدنية ، وبطلان سحرها الفاتن الخلاب ، وربما أدى ذلك كله إلى ارتكاس النوع البشرى إلى عهد الظلام .

ويزيدون على هذا أن العلماء والفلاسفة أنفسهم لا يعملون بما ينصحون به الناس ، فهم يعاقرون الصهباء ، ويقامرون ويفسقون ويرتكبون كل مايرتكبه الجاهلون من العدوان على الآداب العلمية الصحيحة ، والأخلاق الفلسفية السليمة . يقول المعارضون : أتريد دليلا بعد هذا على أن العالم لا يرقى إلا مدفوعا بحوافز من الشهوات مطلقة العنان ، راكبة رأسها لا تبالى فى غلوائها بقانون أدبى ، ولا ترتبط بعهد على على النحو الذى هو عليه الآن ؟.

هذه شبهة يثيرها الإباحيون على كل من يتصدى للإصلاح باسم العلم والفلسفة والدين وهى شبهة مبنية على قصر باع وفتور نظر ، وإنا نبين ذلك فيما يلى فنقول :

إن الذين يرفعون صروح المدنية ويشيدون معالمها ليسوا هم من تقع عليهم العين من المترفين الإباحيين الذين يأكلون ويشربون ويتمتعون كما تتمتع الأنعام ، ولكنهم طبقة من الناس شغلهم ماهم فيه من العمل المتواصل لا أقول عن اللهو والقصف ، ولكن عن حاجاتهم الضرورية ، فهم يصلون الليل بالنهار دأباً كأن قيّم الوجود سخرهم له ، فهم فانون فيه لا يستطيعون عنه تحولا . فجمهور الذين يضعون العلوم ويرتأون النظريات ويقررون المبادئ الأولية من العلماء والفلاسفة لا يكادون يجدون فى عمرهم وقتاً للاشتغال بغير ما هم فيه ، وأكثرهم عاشوا فى فاقة مضنية ، أغنياء بما اختار الله لهم من الأعمال الخالدة . وجميع العباقرة الفنانين الذين وضعوا المثل العليا للفنون الجميلة والآداب العالية كانوا مرضى لا يكادون يسيغون طعاماً ولا شراباً ، ولا يستبيحون لأنفسهم لهواً وهؤلاء جميعاً مدفوعون بقوة قاهرة لعمل ما يعملون ، وكثير منهم بذل فى عمله ماله كله وبات محتاجاً إلى شروى نقير أولئك هم الأغنياء بقلوبهم الأتقياء بمبادئهم .

فالمدنية ليست مدينة للذين يتمتعون بطيباتها ويسرفون ، ولكنها مدينة لتلك الطبقة من الأفذاذ الانعزاليين الذين يبدعون فيما يعملون ، ولا يعبثون بالمعجبين واللاهين ،

بل إنهم يدأبون على ما هم فيه ولو لحقهم أذى من الجامدين والمتعصبين أولئك قوم يختارون العفاف ويعافون الإسفاف ، يدعون الطعام طاوين ويذرون الشراب صادين ، جوف خال ، ومجد عال ، وثوب بال وراءه عز وجمال ، وعقب مشقوق وذيل مفتوق يجره فتى مغبوق .

لله تحت قباب العز طائفة
أخفاهم فى رداء الفقر إجلالا

هم السلاطين فى أثواب مسكنة
استعبدوا من ملوك الأرض أقيالا

غبر ملابسهم شم معاطسهم
جروا على قلل الخضراء أذيالا

فالذين يزعمون أن المدنية لا تزدهر إلا بحوافز من الميول الإباحية التى تعارفها الناس فى هذه العصور القاتمة الحافلة بصنوف الرزايا والنكبات يخطئون أخش الخطأ ، ويحتملون شططا زريا . إذا كان يخطف أبصارهم زبرج الحياة ولألائها إن فى المدنية من المناعة ما يقيها من توالى أمثال هذه الكوارث عليها فإنهم يغفلون عن تاريخ المدنيات البائدة .

وإذا سلمنا لهم بقدرة هذه المناعة ، فأى هدف للنوع البشرى فى أن يبقى على هذا النحو من الحياة والميول المضطرمة ، والسأم الذى أصبح يغرى بعض النفوس المريضة بنسف الكرة الأرضية لو استطاعت إلى ذلك سبيلا . ألم يقل الفيلسوف الكبير روبرت[1] دوهارتمن خليفة شوبنهور زعيم المذهب التشاؤمى : إن الحياة الأرضية ما دامت لا تعدو لفساد تركيبها هذه الحالة البشعة فليس لها إلا حل واحد وهو أنه متى وصل الإنسان فى مستقبل الأيام إلى ابتكار مادة مدمرة قوية تصلح لنسف الكرة الأرضية ، فإنه ناسفها بها لا محالة ليخلص العالم من حياة كلها شرور وآثام ، ومصائب وأهوال ، وكأن الفيلسوف الألمانى نظر بعين الغيب إلى أن العلم فى عصرنا الراهن قد تمخض عن القنبلة الذرية والقنبلة الهدروجينية والصواريخ الموجهة والعابرة للقارات .

إن مدنية تولد مثل هذا القول على لسان قطب من أقطاب الفلسفة فى مدنية فى حاجة إلى مثل أعلى ينظم حركتها ويرأب صدوعها ، وإلا لحقها ما لحق سواها وأصبحت أحاديث فى الغابرين . والمثل الأعلى للمدنية هو آداب الإسلام .

عباس طه

---

(١) روبرت دوهارتمن فيلسوف وعالم ألمانى ولد سنة ١٨٤٢ فى برلين وتوفى بها سنة ١٩٠٦ .

محمد رسول الإنسانية

للأستاذ أحمد عبد المنعم البهى

الإنسانية مدينة لمحمد بن عبد الله بالمعانى السامية التى رفع بها شأنها ، وأوجد بها كيانها ، ذلك أن الحياة قبل بعثته صلى الله عليه وسلم لم تكن رتيبة ندية ، يتمتع الناس فيها بالهـدوء ، وينشدون فيها الاستقرار والطمأنينة ، ويشعرون بقيمتهم فيها .

لم يكن هناك شىء من ذلك ، كما أنه لم تكن هناك نظم ولا قوانين ترعى حقوق الإنسان وتحميها من عبث العابثين ، أو تمنع عنه كيد الكائدين والمعتدين ، وكل ما فى هذه الحياة هو الاعتزاز بالقوة ، والسيطرة على الناس بها ، فما دمت قويا ، لا تبالى بشىء من حقوق الغير وحرماته ، وفى هـذا الجو المضطرب كانت مقاييس الخير والشر ومفاهيم الفضائل والرذائل تخضع للرغبات والشهوات ومعايير الصالح العام تمضى حسبما تتجه إليه الأهواء .

سئل شيخ قبيلة عن معنى العدل والظلم فى نظره فقال : العدل أن أغير على غنم جارى فآخذها ، والظلم أن يغير على جارى فيستردها .

وهذا هو فهمه وفهم غيره من شيوخ القبائل لفضائل الأمور ورذائلها . والشعر العربى يصور لنا جانبا مما كان يسود هـذه الحياة من اضطراب وفوضى ، والتباهى بامتهان حقوق الناس واستباحتها ، ونلمح هذا واضحا فى شعر عمرو بن كلثوم أحد شعراء الجاهلية الفحول الذى كان يفاخر بظلمه وظلم قومه للناس فيقول :

لنا الدنيا ومن أمسى علينا
ونبطش حين نبطش قادرينا

بغاة ظالمين وما ظلمنا
ولكنا سنبدأ ظالمينا

إذا بلغ الرضيع لنا فطاما
تخر له الجبابر ساجدينا

حتى المعتدلين من الشعراء كان هـذا شأنهم أيضا ، فزهير بن أبى سلمى الشاعر المشهور بالاتزان والدعوة إلى الحكمة لم يتخل عن عادة قومه فى الإشادة بالظلم وامتداحه فيقول .

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

على هذا النحو من الفساد والاضطراب واستباحة الحرمات كانت الحياة فى المجتمع العربى قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم. ولم تكن الحياة فى المجتمعات الأخرى خيراً مما كانت عليه فى هذا المجتمع، ذلك أن الفوضى والاضطراب والبغى والفساد فى الأرض بغير الحق كانت مسيطرة بصورة أعم وأشمل على المجتمعات الأخرى التى كانت تخضع لحكم دولتين عاتيتين هما دولتا فارس والروم اللتان كانتا تتنازعان السيادة على العالم فى ذلك العهد، لا بنشر مبادىء الحق والعدل والدفاع عن كرامة الإنسان، ولا بالاعتراف بحقه فى الحياة، ولا بإعادة حريته المسلوبة إليه، ولكن بالقهر والغلبة والجبروت وتكميم الأفواه ونكران الحقوق.

وليت الأمر كان قاصراً على الاضطراب والفوضى اللذين شملا الحياة الاجتماعية فقد تعداهما إلى شتى النواحى حتى شمل العقيدة وضلل الرؤساء الناس عن عبادة إله واحد ليعبدوا أوثانا وآلهة نحتوها وصنعوها بأيديهم، وذلك كله رغم جهود الموسوية والمسيحية اللتين سبقتا الإسلام لتصحيح العقيدة والدعوة إلى عبادة الله بارىء السموات والأرض.

كانت الأمور تسير على هذا النحو قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم، جهل فى العقيدة، وفوضى فى الأنظمة، وامتهان لحقوق الإنسان، وحكم جائر لا سبيل إلى الخلاص من كابوسه، وهيام فى الضلال.

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
إلا على صنم قد هام فى صنم

ولقد بعث محمد بن عبد الله ليخلص الإنسانية من آلامها، وليرفع عنها إصرها ويحطم الأغلال التى كانت عليها، وفى هذا يقول الله تعالى: «الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم، والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به، وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون».

ومن هذا البيان الإلهى نعرف أن رسالة محمد بن عبد الله لم تكن قاصرة على مجرد تصحيح العقيدة وعبادة إله واحد دون اقتلاع أسباب الفوضى، والقضاء على الفساد

الذى استشرى فى كل مكان ، ودون إقامة نظام شامل للحياة ، يقوم على العدالة والإنصاف ، ودون تكريم الإنسانية والنهوض بها وإعلان حقوق الإنسان .

فلقد شملت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كل هذا وكانت رسالة عامة للناس جميعا : أجناسا وشعوبا ، فالحرية فى دينه للجميع ، والمساواة عنده للجميع لا فرق بين سيد ومسود ، والأبيض والأسود والأصفر أمام تعاليمه سواء يتمتعون جميعا فى ظلاله بالحقوق التى جاء بها ،والأخوة التى دعا إليها ، والأمان المنشود أضحى حقيقة واقعة بعد أن كان سرابا بقيعة يحسبه الظمآن ماء . فأمنك الإسلام على نفسك وعرضك ومالك فلا يجوز لأحد أن يعتدى على هذه الحرمات مهما كان قويا ومهما كان جبارا ومهما كنت ضعيفا لا حول لك ولا طول إزاءه ، حماك وجعل حمايتك حقا عليه يدافع عنك ، ويذود عن عرضك ومالك ويردع الظالمين والمتكبرين عن أن تمتد يدهم إليك بل فرض أقسى العقوبات على من يحاول العبث بشىء من ذلك ، قال جل شأنه : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » .

وكما حطم محمد الأغلال التى كانت مضروبة على الناس فى حياتهم وعقيدتهم وتصرفاتهم ، حطم الأغلال التى كانت مضروبة على عقولهم فارتقى بالعقل البشرى وحثه على التعليم والاستزادة من العلم ، وتفهم أسرار الكون وأرشده إلى السير فى مناكب الأرض واستغلال ما فيها وتوجيه كل ذلك لخير الإنسانية « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ، وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » ، ويقول سبحانه وتعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

هذه بعض الجوانب من تعاليم الإسلام التى انتشل بها الإنسانية من وهدتها ، ورفع بها قدرها ، وإنه مما يذكر فى مجال الإشادة بهذه التعاليم أن نقرر أن الإسلام جعل للفقراء من أهل الذمة حقاً فى الزكاة التى تجمع من أغنياء المسلمين ، شأنهم فى ذلك شأن فقراء المسلمين .

وبهذه الحقوق والمبادئ التى جاء بها الإسلام وجد الناس بغيتهم فى العدالة التى افتقدوها ، ووجدوا حقوقهم التى طالما تمنوا أن ينالوها ، ولم يكن بدعا وتلك تعاليم الإسلام ، وهذه بعض جوانبها أن يدخل الناس أفواجا فى هذا الدين الإنسانى . وأن تنتشر دعوته بمثل هذه السرعة التى لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الدنيا وأن تستجيب لدعوته أمم وطوائف ما كان العقل يتصور أن تقوم الألفة بينها أبدا ، وأن ترفرف رايته فى أقل من قرن من الزمان على الأماكن

التى رفرفت عليها وأن ينهار ملك كسرى ، وأن تتحطم دولة الروم بفضل تعاليم الإسلام وسماحته .

ولم يكن انتشار الدين الإسلامى بمثل هذه السرعة عن طريق السيف ، ولا عن طريق الاستعمار كما زعم بعض خصومه وإنما كان عن طريق مبادئه وتعاليمه ، وهذه شهادة عالم من علماء الغرب هو « جوستاف لوبون » يقول هذا العالم المنصف « لم ينتشر الإسلام بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها ، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التى قهرت العرب مؤخراً كالترك والمغول » .

* * *

هذه بعض تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم للبشرية منذ أربعة عشر قرناً تقريباً ، واليوم ونحن فى عصر الذرة وغزو الفضاء ، نجد أعرق الدول فى الديمقراطية لم تصل بعد إلى القضاء على الفوارق اللونية فى شعبها .

بينما قد حل الإسلام هذه المشكلة وفرغ منها منذ قامت دعوته . وما نسمعه اليوم عن تصرفات هذه الشعوب ضد الملونين مما يندى له جبين الإنسانية خجلا لهذا الانحطاط والفهم لمعنى الإنسانية .

واليوم وبعد مرور أربعة عشر قرناً من دعوة الإسلام التى حققت للإنسانية مجدها نجد الفيلسوف المعاصر « برتراند راسل » ينشد التعاون العالمى والوسائل التى يمكن أن تحققه فيقول : « لا بد لكى نصل إلى تعاون عالمى من وجود نظام مستمر ثابت ، ولابد من إيجاد نظم ديمقراطية واشتراكية تكافح الفقر والجهل والمرض ، وتنمى فى نفوس الأجيال الجديدة نوعا من الولاء العالمى وتوفق بينه وبين ولائنا للجماعات القوميه ، ولا بد قبل ذلك من أن نقضى على أسباب العدوان » .

وماينشده هذا الفيلسوف نجده واضحاً مفصلا فى تعاليم الإسلام . فقد حققت هذه التعاليم الخير كله للعالم يوم أن كانت أوربا فى ضلالة الجهل والتأخر ، ويوم أن كانت عالة على ثقافة الإسلام وتعاليمه فتزودت منها بخير زاد وكان هذا الزاد هو النور الذى أضاء جوانبها ، ولكن خصومة علماء الغرب للإسلام نفسه هى التى تحول دون التماس وسائل الإصلاح من تعاليمه . يقول الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه « حياة محمد » : « إن الغرب يستكبر أن يجد النور الجديد فى الإسلام ويلتمس هذا النور فى « ثيوزوفية الهند وفى مختلف مذاهب الشرق الأقصى » .

هذا ومع تمسك الغرب بهذا العناد ، فإن هناك من ينصف الإسلام ، فالمستشرق الفرنسى « رينيه جينو » يعترف بفضل الإسلام على الغرب فيقول : « إن الغربيين لم يدركوا قيمه

ما اقتبسوه من الثقافة الإسلاميه . ذلك لأن الحقائق التى تلقى إليهم حقائق مشوهة حظها من الصحة قليل، فالمؤرخون يبالغون كل المبالغة فى الحط من شأن الثقافة الإسلامية، مثال ذلك ما هو شائع معروف من أن أسبانيا ظلت تحت الحكم الإسلامى عدة قرون بينما لا يذكر التاريخ الغربى قط أن صقلية والجزء الجنوبى لفرنسا كانا تحت حكم الإسلام . . ويخلص الكاتب من بحثه هذا إلى أن الغرب مدين لثقافة الإسلام ومدنيته بهذا التقدم الملموس ويعزى إنكار الاعتراف بذلك إلى تعصب المؤرخين الغربيين».

لا نكون مبالغين أبدا حينما نقول : إن الإنسانية مدينة لمحمد بن عبد الله برفع شأنها وأنه بفضل تعاليم الإسلام وصلت إلى ما وصلت إليه من هذا الرقى الذى فتح الآفاق أمامها . ومهد لها ، ووجهها للعلم والكشف والاستزداة من الخير ، وكل منصف لا يمارى فى هذا ، وتلك حقيقة اعترف بها منصفو الغرب وقرروها وفاخروا بها . ؟

أحمد عبد المنعم البهى

(بقية ص ٣٦١)

ولا ننكر فى هذا المجال أن أبا إسحق الصابىء تعرض فى حياته الطويلة وقد جاوزت التسعين إلى نكبات سياسية قذفت به فى ظلمات السجن والاعتقال ، ولم يكن لدينه الناشز أثر ما فى اضطهاده ، ولكنها السياسة ـ لحاها الله ـ دفعته إلى مناصرة فريق على فريق ثم جاءت الريح بما لا يشتهى ، فتم الأمر لخصومه فنكلوا بجميع أعدائهم ومنهم أبو إسحاق ؛ بل إننا نذكر أن غريمه الحاقد عضد الدولة قد اكتفى بحبسه واعتقاله ، استجابة لشفاعة بعض ذوى الأدب فى شأنه ، على حين قتل من خصومه المسلمين عددا غير يسير ، ولو كان أثر ما للتعصب الدينى فى نفسه لاهتبل الفرصة وطاح به مع الطائحين .

ولن نختم هذا المقال دون أن نشير إلى أن الكاتب البليغ قد حفظ القرآن الكريم حفظا تاماً مجوداً ، فارتقى به معارج البيان والسحر ، واتخذه مورد إلهامه ومناط احتذائه . أفيعتبر بذلك الآن قوم من المسلمين يرون فى جزالته الفصيحة وأسره القوى ما تضيق به عقولهم الواهنة فيحاربون إعجازه الساحر بإسفافهم الشائن ، وتهافتهم الركيك ! أم يكون الصابىء أكثر منهم احتفالا بروعة الكتاب واعتقاداً بأسلوبه الرصين .

محمد رجب البيومى

محمد والقومية العربية

للأستاذ عبد الرحيم فوده

القومية فى عبارة محررة محدودة هى الشخصية المعنوية للقوم والجماعة ، وشخصية القوم تتكون من الروابط والأواصر الجامعة. والخصائص المشتركة ، وهذه الراوبط بعضها يدخل فى مفهوم القومية من أصغر دائرة وهى الأسرة أو العشيرة إلى أكبر دائرة وهى الدولة والأمة ، كرابطة الدين فى دولة يجمعها أو يجمع كثرتها الغالبة دين واحد ، أو فى أمة تجتمع شعوبها المختلفة على دين واحد . وبعضها يدخل فى مفهوم القومية إلى حد لا يتعداه ولا يتجاوزه كرابطة الوطنية أو المصالح المشتركة فى وطن واحد، أو ما إلى ذلك من وحدة اللغة والآمال والآلام وسائر الروابط التى تجتمع عليها الأفراد فتكون منهم قوما أو جماعة منيعة .

وقد قلت فى بعض ما كتبت « إن إطار الدين أوسع من إطار البيئة واللغة والتاريخ والمصالح المشتركة لأنه كالعلم لا وطن له ولكنه ضرورى لصلاح الفرد والجماعة ، وقد يلتقى على الإيمان به والحرص عليه أقوام مختلفون لا يجمعهم نسب أو سبب من الأسباب الاقتصادية والمصالح المشتركة ، ولكنه مع هذا أقوى من كل نسب وسبب لأنه فوق عمله على التقريب بين الأذهان والتوحيد بين الاتجاهات يمتزج بوجدان معتنقيه والمؤمنين به ويعقد مشاعرهم وضمائرهم بمعان ترتبط بها حياتهم ويختلط بها وجودهم أتم ما يكون الارتباط والاختلاط .

إنه عقيدة ، والعقيدة كما يفهم من اسمها فكرة يقتنع بها العقل ويؤمن بها القلب . ويطمئن إليها الضمير وينعقد عليها العزم والتصميم ، وهى بهذه المثابة قوة نافعة وطاقة دافعة وراية جامعة ، وهذا الذى قلته منذ عدة سنين وجدته فيضا من فيض مما يمكن أن يفهم من قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ، قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

قد يقال مع هذا كيف يقحم اسم محمد فى الحديث عن القومية العربية وقد ارسل صلى الله عليه وسلم للناس كافة وكان كما يقول الله فيه «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» ؟ وقبل الإجابة على هذا السؤال أحب أن ألفت الأنظار إلى أن لله نعما عامة ينتفع بها الناس جميعا ، كالماء والهواء والشمس والقمر والأرض والسماء ، ولكن حظوظ الناس فى الانتفاع بها تختلف ، تبعا لاختلاف الظروف والأحوال والمدارك والقوى العقلية ، فالشمس نعمة عامة ولكن انتفاع الناس بها يختلف بحسب قربهم منها أو بعدهم عنها ، وبعضهم يستخدم طاقتها الحرارية فى عدة أعمال صناعية، وبعضهم لا يزال انتفاعه بها قاصرا على الطريقة البدائية . وما يقال فى الشمس يقال فى الماء والهواء وغيرها من النعم العامة التى تفضل بها الرحمن جل شأنه ، وقد جاء الإسلام نعمة عامة للعرب وغيرهم ورحمة من الله للناس أجمعين فكان طبيعيا أن يكون العرب وهم أقرب الناس إلى تلقيه أول المنتفعين به وأكثرهم حظا من خيره وبره ونوره وهداه ، بل كان طبيعيا وقد نزل القرآن بلغتهم . وكان رسول الإسلام منهم أو يكون لهم السبق والصدارة بين عامة المسلمين . وأن يتحملوا أكثر من غيرهم عبء الدعوة إليه والجهاد فى سبيله ، وهذا بعض ما يفهم من قوله تعالى : «وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم» .

وأعود إلى الحديث عن القومية العربية ومدى تأثرها بالرائد الأعظم الذى قاد هذه الأمة إلى أعلى مراتب المجد والخلد فأعرض على القراء أول خطبة ألقاها بمكة ودعا فيها قومه إلى الإيمان . فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد أن حمد الله وأثنى عليه : إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى رسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحسانا ، وبالسوء سوءاً . وأنها للجنة أبدا أو النار أبدا » .

فهذه الخطبة يستشف منها بل يستفاد منها صراحة أنه أرسل إلى العرب خاصة وإلى الناس عامة .

وقد كانت رسالته كما يقول الله «كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور» ، ولكنه مضى بها على النهج الطبيعى فبدأ بأهله وذوى قرباه امتثالا لقول الله : «وأنذر عشيرتك الأقربين» ، وهذا ما يفهم من قوله (إن الرائد لا يكذب أهله) ولم يكن بدؤه بذلك مما يحول بينه وبين دعوة

غير أهله حيثما وجد استجابة لهذه الدعوة لأنه أرسل كذلك للناس عامة ، ومن ثم كان إسلام سلمان الفارسى وبلال الحبشى وصهيب الرومى فى بدء الدعوة إلى هذا الدين القويم .

ومما يؤكد أن الدعوة كانت تتجه فى أول أمرها إلى العرب خاصة أن أبا لهب عقب على هذه الخطبة بقوله لمن سمعها « خذوا على يديه قبل أن تجتمع عليه العرب ، فإن أسلمتموه إذن ذللتم ، وأن أبا لهب كان يخشى أن يكثر أشياعه وأتباعه ويجتمع على الإيمان به والانضواء تحت لوائه العـرب جميعا فلا تستطيع قريش أن تواجههم مجتمعين ، فإن أسلمت محمداً إليهم عاد بهم لحربهم ، وإن منعته قوتلت عليه وقتلت من أجله ، وان أبا طالب أبى أن يجيب أبا لهب إلى ما طلب وكان فى موقفه من ابن أخيه وإصراره على حمايته والدفاع عنه متأثراً بهواتف القومية فى دائرتها الصغيرة وهى الأسرة والعشيرة وقد ظل أبو طالب على وفائه وإبائه فأبى أن يسلمه أو يخذله حتى ائتمر به أهـل مكة وتعاقدوا على « ألا ينا كحوا بنى هاشم وبنى المطلب ولا يبايعوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم حتى يسلموا إليهم محمداً » وكتبوا بذلك صحيفة مختومة ثم علقوها فى سقف الكعبة ، وانحاز بنوها ثم بنو المطلب مؤمنهم وكافرهم فى شعب أبى طالب وظلوا محصورين فيه مضيقا عليهم أشد التضييق نحو ثلاث سنين كما هو مشهور . لا يخرجون من الشعب إلا من الموسم إلى الموسم ، ولا يصلهم طعام إلا ما كان يأتيهم بين الحين والحين خلسة وبعيداً عن عيون أهل مكة ، فقد كان حكيم بن حزام بن خويلد تأتيه العير تحمل الحنطة من الشام فيوجهها نحو الشعب ويضرب أعجازها فتدخل عليهم فيأخـذون ما عليها من الحنطة . وقـد ظل أبو طالب مع بنى هاشم وبنى المطلب على ولائهم وإبائهم مع ما عانوه وقاسوه حتى استجابت لهم نوازع الأرحام ، وانتصر صبرهم على ما كان من عمل الشيطان ، فسعى فى نقض الصحيفة أقـوام من قريش كان أحسنهم بلاء فى ذلك - كما يذكر المقريزى — عمر بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن جذيمة ابن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، وهو يلتقى — كما نرى — مع بنى هاشم فى سلسلة الآباء والأجداد ، فقد مشى فى ذلك إلى زهير ابن أمية ، وأبى مطعم بن عدى بن نوفل ابن عبد مناف ، وإلى أبى البخترى بن هشام وأبى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسـد ومشى كذلك سهيل بن بيضاء الفهرى إلى هؤلاء واتعدوا على أن يجتمعوا فى مكان بأعلى مكة يدعى « خطم الحجون » وتعاهدوا هنـاك على أن يقوموا بنقض الصحيفة .

وما زالوا بها حتى شقوها فإذا الأرض قد أكلتها إلا ما كان من جمله « باسمك اللهم » وإذا عمل الله قد سبق عمل هؤلاء .

ومضى النبى صلى الله عليه وسلم يدعو قومه إلى الإسلام ، ويتحمل فى ذلك من ألوان العناء والبلاء ما لا تتحمله رواسى الجبال ، حتى اجتذب إلى دينه كثيراً من الأنصار وتألف من هؤلاء قومية جديدة ، لا تلغى القومية العربية ، ولكنها تحررها وتطهرها وتعمل على تزكيتها وتنميتها وتقويتها لتقوم بدورها الذى ينتظرها فى خدمة الإنسانية ونشر مبادئ الإسلام ، وقد تحقق ذلك بالفعل ، وصدق فيهم وصف التوراة والإنجيل لهم قبل وجودهم بما يحكيه القرآن بقوله : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا سيماهم على وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » .

نعم ، كان هذا العدد القليل ما زال يكثر ويعز حتى عم الإسلام جميع الأحياء والأنحاء جزيرة العرب ، كالنبات يظهر قليلا فى الحقل ثم تنبت إلى جانب سيقانه فراخ تنمو وتعلو وتمتد وتشتد وتستمد غذاءها من الأصول التى تنبت حولها حتى تستوى معها فى جذوعها وفروعها ويمتلئ الحقل نضرة وثمارا وأزهارا ، وهذا ما كان من عمل الإسلام فى الأمة العربية وفى قوميتها ، فقد دخل العرب جميعا فى حياة جديدة على اختلافهم شعوبا وقبائل وصارت القومية العربية من المنعة والقوة والجمال فى القمة العالية من القوميات ، وكان ذلك كله بفضل النبى الأمى الذى بعثه الله فيهم « رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » وآية ذلك من واقع التاريخ انه كان صلى الله عليه وسلم يغادر هذه الدنيا ويلحق بالرفيق الأعلى حتى استيقظت عوامل الشقاق والفرقة بين العرب وكاد يعود إليهم الداء الذى فرقهم شيعا تتطاحن وتتشاحن وهو داء الفرقة والمنافسة على الرياسة . فقد انقسم المسلمون فى شأن الخلافة ، بعد رسول الله إلى ثلاث فرق بل ظهرت بوادر هذا الخلاف على الخلافة قبل أن يدفن عليه السلام ، فقد بلغ عمر ابن الخطاب والمسلمون لا يزالون مشغولين بتجهيز الرسول أن الأنصار يجتمعون فى سقيفة بنى ساعدة لاختيار خليفة منهم فأنهى الخبر إلى أبى بكر وتوجها مع أبى عبيدة بن الجراح إلى مكان الاجتماع .

ثم دخل الثلاثة على الأنصار وقد أوشكوا أن يجتمع رأيهم على تعيين سعد بن عبادة الخزرجى خليفة للسلمين ، وهم عمر أن يتكلم

فنعه أبو بكر ، وتولى بنفسه الكلام فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه . نحن المهاجرون أول الناس إسلاما وأمسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلمنا قبلكم ، وقدمنا فى القرآن عليكم ، فأنتم إخواننا فى الدين ، وشركاؤنا فى الفيء ، وأنصار على العدو ، آويتم وواسيتم فجزاكم الله خيرا ، نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش ، فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما فضلهم الله به » ولكن هذا المنطق السليم الحكيم لم يكن كافيا لإطفاء شعلة الحماسة للرياسة عند بعض الأنصار - ولهم قدرهم وعذرهم - فقد قام الحباب بن المنذر يعقب على خطاب أبى بكر فقال الانصار « أبى هؤلاء إلا ما سمعتم ، فمنا أمير ومنهم أمير، وهاج ذلك ثائرة عمر فقال : هيهات ، لا يجتمع اثنان فى قرن ، والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ، من ذا ينا زعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته . . ؟ وقام الحباب بن المنذر مرة أخرى يهدد ويزمجر حتى وصل الموقف إلى أعلى درجات التوتر . فتدخل أبو عبيدة ليلطفه وقال « يامعشر الأنصار ، إنكم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا أول من غير وبدل ، ووقعت هذه الكلمة من قلوب الأنصار موقعا عميق الأثر ، وكان أكثرهم تأثرا بها بشير بن سعد الأنصارى فقام يقول لقومه « يامعشر الأنصار . إنا والله وإن كنا أولى فضيلة فى جهاد المشركين وسابقة فى هذا الدين ، ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا ، فما ينبغى أن نستطيل على الناس ، ونبتغى من الدنيا عرضا ، ألا . . إن محمدا من قريش وقومه أولى به ، فاتقوا الله ولا تخالفوهم، وبهذا انطفأت نار الفتنة وبويع أبو بكر بالخلافة ، ولكنه ما كاد يتولاها حتى اندلعت ألسنة الفتنة فى جهات أخرى . فاضطر إلى أن يسير الجيوش لردعها وقمعها ، فقد امتنعت بعض القبائل عن الزكاة وتمردت على خلافة أبى بكر ، وارتد البعض عن الإسلام ، وروى لنا التاريخ موقف أبى بكر مع معارضته أصحابه فى أول الأمر - فى حرصه وإصراره على قتال مانعى الزكاة مهما كان قدرها ، وقوله المشهور فى ذلك « والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه للنبى صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه »، ويلوح من الأقوال التى أثبتها الرواة لبعض هؤلاء المتمردين أنهم لم يتمردوا على الإسلام ، ولم يرتدوا عنه ، وإنما أنفوا من الخضوع لحكومة موحدة يديرها أبو بكر كقول شاعر منهم .

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فيا لعبا والله ما لأبى بكر
أيورثها بكرا إذا مات بعده وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

وكقول مالك بن نويره لخالد بن الوليد حين ظفر به فى إحدى هذه الحروب ، إنه لا يزال على الإسلام لكنه لا يؤدى الزكاة لصاحبه « يعنى أبا بكر » .

كانت الدولة العربية إذا قد أوشكت أن تنهار وتعود إلى حياة الجاهلية الأولى بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله عصمها به حيا وميتا ، وقرن باسمه كل ما وصلت إليه من خير منذ عرفته وآمنت بدينه ، بل إن مولده عليه السلام كان بشيرا بعهد جديد مجيد للأمة العربية ، فقد كان فى عام حادث الفيل ، وهو الحادث الذى هز جوانبها بنشوة الفرح وملأها ثقة بعون الله ، والأمل فى نصره وتأييده ، فقد أقبل أبرهة الأشرم من اليمن بجيش كثيف ليهدم الكعبة ويصرف أنظار الحجيج عنها إلى المعبد الذى بناه بصنعاء ، ولكن الفيل الذى أحضره معه لم يطاوعه فى التوجه إلى الكعبة ، فكان كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح ، وإذا وجهوه إلى غيره من الجهات هرول وأسرع ، ثم أرسل الله على المغيرين أسرابا من الطير ترميهم بحجارة صغيرة فاتكة مهلكة ، وكان ما يحكيه القرآن بقوله « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل ، وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول » .

كان مولده صلى الله عليه وسلم فى هذا العام ، فكان طالع يمن وخير وبركة على العرب ، بل كان قبل أن يولد ويوجد هو الأمل المرتقب ، منذ رفع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قواعد هذا البيت وقالا يدعوان الله « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت السميع العليم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » فإن كل ما وصلت اليه هذه الأمة من مجد وقوة وعلم وحكمة كان التفسير الكبير لقوله تعالى « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ، وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

عبد الرحيم فوده

ما يقال عن الإسلام

الشرق الأوسط في العصر الإسلامي

للأستاذ عباس محمود العقاد

لمؤلفه سدنى فيشر Sydney Fisher

كتاب فى نحو سبعمائة صفحة ، موضوعه تاريخ بلاد الشرق الأوسط وتاريخ العوامل الفعالة التى يرجع إليها تطور الشعوب والحوادث فى هذه البلاد ، وأولها الإسلام .

ومؤلف الكتاب هو الدكتور سدنى فيشر أستاذ التاريخ بجامعة (أوهيو) الأمريكية وصاحب الدراسات المتعددة فى شئون البلاد الشرقية التى يدين الأكثرون من أبنائها بالديانة الإسلامية .

ويدل أسلوبه فى عرض الآراء والوقائع على تورع عن العصبية واجتناب للتشهير . فهو يروى ما يفهمه من المصادر المتناقضة ويحاول أن يجردها من نزعات الأهواء ودسائس الأحقاد المذهبية والقومية ، وإذا وقع فى الخطأ المتواتر فإنما يقع فيه لأنه فى حكم الحقائق المجمع عليها بين المؤرخين ، فلا ينساق إلى الخطأ حبا لترديده ومرضاة لشهوة من شهوات الحفيظة فى نفسه ، ومعظم أخطائه من قبيل المطاوعة لحركة التواتر المطبق الذى يحتاج إلى الجهد الجهيد لمقاومته . وربما شق عليه هذا الجهد الجهيد فلم يتكلف له ما هو أهله من الصبر والدأب والارتفاع بالتاريخ فوق حجاب الحوائل التى تغطى ما وراءها من الأسانيد البينة ، وإنها لبينة جداً لو استطاع الناظر إلى تلك الحوائل أن يتخذ له منفذاً منها إلى الحقيقة .

يقول فى كلامه على صفة الإله : إن الوحدانية المنزهة هى أجل مطالب الإيمان عند النبى عليه السلام ، ويوصف الإله مع الوحدانية بصفات العلم المحيط والقدرة المحيطة والرحمة والكرم والغفران .

ولا يستطرد المؤلف إلى شرح الصفات الإلهية قبل أن يقول : إن توكيد صفات البأس

والجبروت فى كتاب الإسلام إنما تقدم فى أوائل الدعوة التى واجه بها النبى جماعة الكفار الملحدين من الملأ المكى المتغطرس المستطيل بالجاه والعزة ، ولكن المسلم يعلم من صفات الله أنه واسع الرحمة وأنه أقرب إلى الإنسان من حبل وريده . وأنه هو نور السموات والأرض ، وهى الصفة التى بثت عقائد « الصوفية » بين المسلمين وكان لها أبعد الأثر فى اجتذاب العقول إلى معانيه الخفية .

ويقول المؤلف كما يقول غيره من كتاب العصر الغربيين : إن القرآن « صوت حى » ، يروع فؤاد العربى وتزداد روعته حين يتلى عليه بصوت مسموع ، ولكنه لا يفهم هذه الروعة كما لم يفهمها زملاؤه الذين سبقوه إلى الاعتراف ببلاغة القرآن اعتماداً على أثره البليغ فى قلوب قرائه وسامعيه ثم يقفون عند تقرير هذه البلاغة بشهادة السماع .

وبعد بيان مجمل عن بلاغة القرآن وأحكامه وعباداته يضيف المؤلف بيانا آخر فى مثل هذا الإجمال عن الفضائل الإسلامية التى احتواها الكتاب فيقول ما فحواه : إنه كتاب تربية وتثقيف ، وليس كل ما فيه كلاما عن الفرائض والشعائر ، وإن الفضائل التى يحث عليها المسلمين من أجمل الفضائل وأرجحها فى موازين الأخلاق ، وتتجلى هداية الكتاب فى نواهيه كما تتجلى فى أوامره فلا يجوز للمسلم أن يشرب الخمر ولا أن يقامر ولا أن يعتدى ولا أن يستسلم للترف والرذيلة ، ثم يختم كلماته قائلا :

« إننا إذا نظرنا إلى مجال الإسلام الواسع فى شئون العقائد الدينية والواجبات الدينية والفضائل الدينية لم يكن فى وسع أحد إلا أن يعتبر محمدا ـ عليه السلام ـ نبيا مفلحا جدا ومصلحا موفقا ، لأنه كما قال بعض الكتاب وجد مكة بلدة مادية تجارية تغلب عليها شهوة الكسب المباح وغير المباح ويمتلىء فراغ أهلها بمعاقرة الخمر والمقامرة ـ والفحشاء ـ ويعامل فيها الأرامل واليتامى وسائر الضعفاء كأنهم من سقط المتاع ، فإذا بمحمد ـ عليه السلام ـ وهو فقير من كل ما يعتز به الملأ قد جاءهم بالهداية إلى الله وإلى سبيل الخلاص وغير مقاييس الأخلاق والآداب فى أرجاء البلاد العربية » .

* * *

إلا أن الخطأ المتواتر يتسلل إلى هذا الكتاب ، وإلى سائر الكتب التى فى موضوعه . من مجاراة العرف وإحجام العقول عن اختراق الحجب المتكاثفة مع الزمن حتى لا يحسب أحد أنه بحاجة إلى اختراقها ، ولعله لا يرتاب فى قدرته على اختراقها لو أنه قد خطر له أنها تستر وراءها ما هو حقيق بالنفاذ إليه .

وشفيع المؤلف فى هذا الكسل ، أو هذا الاستسلام العقلى ، أنه ينساق إلى تلك الأخطاء المتواترة فى كلامه على المسيحية وعلى الإسلام بغير تفرقة بين ديانته التى يؤمن بها والديانة التى يفهمها من مصادره الغربية أو مصادرها الشرقية الميسرة للغربيين.

يقول بعد الإشارة إلى بعض المشابهات بين آيات القرآن وآيات الزبور على حسب فهمه : « والواقع أن اليهودية وفرعيها المنبثقين منها ـ المسيحية والإسلام ـ مشتركات فى كثير من الأمور وإن كان معظم التشابه فى العبارة دون الجوهر والمعنى » .

هذا الخطأ المتواتر هو الذى يعنينا فى هذا المقال من موضوعات ذلك الكتاب ، لأنه واجب التصحيح ، وسهل التصحيح ، مع إطباقه على أذهان المؤرخين الغربيين ذلك الإطباق الذى يوشك أن يشل تلك الأذهان عن الحركة المهيأة لها فى غير هذا الموضوع .

وأساس الخطأ كله اعتقادهم أن اليهود هم مصدر العقائد الدينية التى احتوتها التوراة ، وأنهم هم الذين تلقوا وحيها لأول مرة من أنبيائهم غير مسبوقين إليها فيما سلف ... وقد سلف قبلهم ، وفى عهود أنبيائهم ، كثير من الرسالات والعقائد مذكورة أو ملحوظة فى القرآن الكريم وليس لها ذكر فى أسفار التوراة .

والأمر لا يحتاج إلى عناء لإظهار وجوه الخطأ فيه ، فإن مراجعة التوراة أيسر مراجعة ترينا أن اليهود تلقوا أهم العقائد الكونية وأهم التعاليم الشرعية ممن تقدم أنبياءهم فى الزمن ، بل من الشعوب التى عاشوا بينها وكان فيها أناس من أتباع الرسل الأقدمين .

فإلى أى نبى من أنبياء بنى إسرائيل يسند اليهود عقائدهم فى سفر التكوين وهو جماع عقائدهم الكونية ؟

إن التوراة الباقية إلى اليوم تبتدىء بسفر التكوين ولا تسنده أحد من أنبياء بنى إسرائيل ، ولا حاجة بعد ذلك إلى القول بأن عقائده سابقة للنبوءات الإسرائيلية وأن اليهود تعلموه من حيث يستطيع كل من شاء أن يتعلمه أو ينقله عن مصادره الأولى ، سواء كانت من وحى الأنبياء الأسبقين أو من تراث الشعوب الموروث عن الأسلاف .

وتأتى أسفار الشريعة بعد سفر التكوين وليس منها ما هو مسند إلى نبى قبل موسى عليه السلام ، ولكننا نقرأ فى هذه الأسفار أن الكليم كان يتعلم التبليغ من نبى عربى تسميه التوراة يثرون ، فيقول الإصحاح الرابع من سفر الخروج إنه : « رجع إلى يثرون وقال له : أنا أذهب وأرجع إلى أخوتى فى مصر » .

ويقول الإصحاح الثانى عشر إن يثرون كان يصلى ببنى إسرائيل فى عهد موسى ومنهم أخوه هارون : « وإن يثرون أخذ محرقة وذبائح لله ، وجاء هارون وجميع شيوخ إسرائيل ليأكلوا طعاما مع حمى موسى أمام الله » . . . فقد كان يثرون - إذن - يقرب القرابين ، ويقيم الشعائر ، ويدعو الله بدعائه الذى دان به قبل بعثة الكليم ، ويتبعه موسى وهارون وشيوخ إسرائيل وصفوة الشعب الإسرائيلى أجمعين .

فأعجب العجب بعد ذلك أن يقرأ المؤرخون هذا فى كتب التوراة ثم يلج بهم الإصرار على أصالة اليهودية ، واعتبار المسيحية والإسلام فرعين من هذه الشجرة لا ينبتان على غير جذورها ، وهى كما رأينا فرع من أصل قديم بل فى عدة أصول .

على أننا نرجع إلى العقائد الإسلامية فلا نرى بينها عقيدة واحدة تتفرع على عقائد اليهود ، كما دانوا بها من قبل ، ويدينون بها إلى هذه الأيام .

وليس أبعد من الفارق بين العقائد الإسلامية والعقائد اليهودية كما تناقلوها عن التوراة والتلمود فى كل أصل من أصول الإيمان عن الله أو عن النبوة أو عن الحساب والعقاب .

إن الله عند بنى إسرائيل إله قبيلة واحدة يختصها بحظوته ، ولكن الله فى الإسلام هو إله الخلق أجمعين لا يفضل أحدا منهم على أحد بغير التقوى والصلاح .

وإن النبوة عند بنى إسرائيل صناعة خوارق وكشف عن الخفايا والمفقودات ، ولكن النبوة فى الإسلام رسالة هداية وتعليم ، وبلاغ إلى العقل والضمير ، يقنع الناس بالبينات والآيات ولا يجعل الإقناع موكولا إلى التهويل بالخوارق والمعجزات .

وإن الحساب عند بنى إسرائيل يأخذ الأبناء بذنب الآباء ويلحق الجزاء بالخلف البعيد انتقاما من جنايات الأجداد والأسلاف ، ولكن الحساب فى الإسلام لا يأخذ إنسانا بجريرة إنسان ولا تزر وازرة وزر أخرى .

وليس فى الإسلام سلطان للمعبد وكهانه على العباد الذين يصلون إليه فى كل مكان تحت السماء ويعلمون أنهم أينما كانوا فثم وجه الله ، ولكن « الهيكل » فى اليهودية هو الذى يتقبل القربان من عباده فلا يحسب لهم قربان بغير وساطة الكهان والأحبار .

فكيف تكون هذه العقائد فرعا على تلك الشجرة وهى تخالفها تلك المخالفة فى أصول الديانة وحقائق الإيمان بالربوبية والنبوة

البقية على ص ٣٨٥

في سبيل الوطن

مسرحية وطنية في فصل واحد

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

بقية ما نشر فى العدد الماضى

المشهد الثانى

« نفس الحجرة السابقة . . . الأم تستأنف عملها . . يطفأ المسرح رويدا . . موسيقا تصور انتقال الأم من اليقظة إلى النوم . . . فى الحلم يظهر طيف ابنها عادل » .

الطيف : أماه

الأم : من ؟

الطيف : أنا عادل

الأم : رباه . ابنى عادل !

« تتقدم إليه لتعانقه »

الطيف : أماه لا تتقدمى إنى خيال ماثل

الأم : ولدى

الطيف : نعم أماه

الأم : كيف تعيش فى تلك العوالم ؟

الطيف : عيشة الأبرار
فى ظل نعماء الإله وبره
وجواره الفياض بالأنوار

الأم :
حمداً له . . الآن تذهب حسرتى
وتنام أحزانى ، وتهدأ نارى

الطيف :
أماه جئت الآن أعلن رغبتى
فى أن ينال أخى الذى يبغيه

الأم : أو قد سمعت حديثه ؟

الطيف : وعرفت رغ
بته ، ويرضينى الذى يرضيه
ولكم يسر أخى إذا وافقته
ولكم أسر ببسمة من فيه

الأم :
ولدى حسبتك ناصرى فى محنتى
وحسبت أنك لا تريد شقائى

فأتيت تطلب ما يزيد لجيعتى
نارا ، وما يغرى الأسى بيكائى
« تنهار باكية »

الطيف :
إنى لأعلم أن ذلك موقف
صعب على قلب كقلبك مرهف
ولقد حزنت لمصرعى وبكيتنى
بالدمع كالنار التى لا تنطفى
حتى تذكرت الإله وعدله
فرجعت للصبر الكريم المنصف
ووهبت نفسك للصلاة ، وعندها
تنجاب غاشية الهموم وتختفى

الأم :
إنى لأشفق أن يكون مصيره
ما ذقته من عصبة الأوغاد
قتلوك

الطيف :
لكنى قتلت جموعهم
لحميت من بغى اللئام بلادى
قتلوا وما نالوا سوى إخفاقهم
وقتلت منصورا فنلت مرادى
وأتوا من الدنيا بميسم خزيهم
وأتيت أحمل شارة استشهادى
فلقيت عند الله حسن جواره
كرما ، وباءوا منه بالإبعاد

الأم :
أبنىَّ إن أخاك منذ قتلت لم
يسعد بلذات الحياة وينعم
مازال يطلب عند أعداء الحمى
ثأرا . لمصرعك الممض المؤلم

الطيف :
أماه لسنا إذ نحارب نبتغى
ثأرا لمن قتلوا من الأبطال
إنا ندافع عن مبادئنا التى
نبنى بها حرية الأجيال
أشخاصنا تفنى ؛ ليسعد بعدها
بخلوده الوطن العزيز الغالى

الأم :
ولدى ... تذكر أننى أم لها
حق على أبنائها لا يُنكرُ

الطيف :
وتذكرى أماه أنا أمة
تبنى الحياة كما تريد ، وتعمرُ
بجهود أبناء كرام ، عزمهم
يملى على التاريخ وهو يسطر
جعلوا الحياة رخيصة من أجلها
فاستبسلوا يوم النضال وكبروا
لولاهمو لعنت لبغى عداتها
ولظل يحكمها الفساد الأكبر

الأم :
أنا لست أطلب منه غير وسيلة
أخرى تؤدى الواجب المطلوبا

حاشاى أن أرضى له بنقيصة
يبقى بها طول الزمان معيبا

الطيف : .

لكنه أدرى بما يختاره
وبما يلائمه من الأعمالِ
وهبيه آثر ما أردت ، وأقبلت
زمر الفساد ، وعصبة الضلال
أترينه متخلفا عن حربهم
مهما يكن فيها من الأهوال ؟
إنى لأعرفه يريد حياته
ملأى بكل عزيمة ونضال
هو من شباب عاش أروع حقبة
من عمره مع ثورة الأبطال
فدعيه يصنع ما يريد ، فكم له
فى صنعه من قـدوة ومثال

الأم :

لك ما تشاء ، ولى رجاء صادق
ألا تسير بى الحياة طويلا
فيجيئنى النبأ المروع مرة
أخرى ليقتلنى أسى وعويلا

الطيف :

أماه ... إن حياتنا هى رحلة
تمضى ؛ لنبلغ عالما مجهولا
فإذا بلغناه التقت أرواحنا
ورأت لديه نعيمها المأمولا
والآن يا أمى وداعا ، ولتكن
نعمى اللقاء من الفراق بديلا

« يختفى الطيف ... يضاء المسرح رويداً رويدا .. الأم تستيقظ من نومها ... ثم تتلفت حولها وتهتف » .

الأم :

رباه .. هل أبصرتُ ما أبصرته
فى يقظة ، أم كان طيف منامِ ؟

« يدخل عصام فى هذه اللحظة »

الأم :

ولدى عصام .. وجدت رأيك صائبا
وعرفت أنك فوق كل ملام
سر فى طريق أخيك . إن طريقه
مجد الحياة ، وعزة الأيام
بالأمس يا وطنى سمحت بعادل
واليوم أسمح بالوحيد عصام

(ستار) .

ابراهيم محمد نجا

من وحى المولد :

نور على الصحراءْ ينساب فى الظلماءْ
كرنة القيثارْ
معطر الأنغام كأنه أحلامْ
سحرية الأسرارْ
حنت إليه البيدْ كطائر غريدْ
يهفو إلى الينبوعْ
واهتز قلب الوجودْ من سحر هذا النشيدْ
وسار فيه الربيعْ
من أين جاء النورْ ؟ من عالم منظورْ ؟
أم عالم فى الخفاءْ ؟
من روعة البدرِ وطلعة الفجرِ
على الربا الفيحاءْ
من كل شىء جميلْ كالروض عند الأصيل
والبحر عند المغيبْ
لما أراد الإله إشراق وجه الحياهْ
بعد الظلام الرهيبْ
ألقى إليها الضياءْ من عالم فى السماءْ
ومن مكان طهورْ
أهداه مهدى الحياهْ من نوره ما اشتهاهْ
ليهدىَ الأرواحْ
شريعة غراءْ الناس فيها سواءْ
لا سيد أو مسودْ
لا ظلم ... لا ظالمينْ وتردع الآثمين
إذا تمادوا .. حدودْ
لكل داء دواءْ فيها ، وفيها العزاءْ
لكل روح شرودْ

وعاد سر النورْ لأفقه المسحورْ
في ظل أسمى مكانْ
فجددوا ذكراه في كل يوم نراه
وليس في كل عامْ
واستمسكوا باليقينْ وفي الضياء المبينْ
سيروا مع الأيامْ
لعلنا أن نعيدْ أمجادنا من جديدْ
بعد البلى والفناءْ

ابراهيم محمد نجا

(بقية المنشور على ص ٣٨٠)

وموازين الحساب والتكليف وحرمات العبادة والتقديس .

إن جاز التشبيه بالأصول والفروع فقد يجوزْ أن يقال إن الإسلام شجرة أخرى تحمل الثمرات التى حملتها اليهودية بعد تهذيب وتجويد ، وإن ثمرات الشجرة الإسلامية لا تحملها تلك الشجرة ولا يتأتى أن تحل فيها محل الفروع من الجذور .

ولكن لا يجوز أن يقال إن اليهودية كانت جذرا أصيلا للعقائد الإسلامية ولو كانت هى المصدر الوحيد للعقائد المشتركة بين الديانتين ، فإذا علمنا أنها قد تفرعت على ما تقدمها ولم تكن جذرا لما تلاها فلا ندرى ما هو وجه التأصيل هنا والتفريع بأى معنى من معانى الأصول أو معانى الفروع

وهذه هى طبيعة الأخطاء المتواترة فى بقائها وإطباقها على العقول ، وهى كذلك طبيعتها فى سهولة الاهتداء إلى موضع الشبهة منها إذا أعيدت إلى طبقتها الأولى ، ولا داعية إلى الأمعان فى العودة إلى ما هو أبعد من الصفحات الأولى فى أسفار التوراة .

إن المؤرخ الغربى ، وهو على اعتقاده الدينى . لا يطالب بإيمان المسلم فيما اعتقد من ربوبية أو نبوة أو تكليف ، ولكنه مطالب عند البحث فى التطور الطبيعى أن يمسك عليه عقله وأن يترفع به عن قبول الباطل البين فى جلائل المسائل ، وهى مسألة العقيدة والإيمان .

وليس من الحلال فى شرعة العقل ، كائنا ما كان دين العاقل ، أن يقيم الشجرة الباسقة على منبت الفرع المبتور ؟

عباس محمود العقاد

الكتب

نقد وتعريف

١ — تقويم الفكر الديني وصلته بالقومية العربية

من مطبوعات مكتبة الأنجلو بالقاهرة

مؤلف الكتاب هو الأستاذ محمود الشرقاوى سكرتير تحرير مجلة الأزهر

قدم الأستاذ الشرقاوى بتمهيد لكتابه تناول فيه أسس القومية العربية كما يجب أن تقوم، والعلاقة بين مصر والحضارة الأوربية كما أرادها الخديو إسماعيل، ثم كتب الورق الأصفر، كينبوع من الينابيع الحلوة الفياضة وركن من أركان ثقافتنا وقوميتنا

ثم جاء الكتاب بعد ذلك فى فصلين طويلين :

فى الأول منهما عرض لسير التشريع منذ الدولة العثمانية وفى عهد إسماعيل، ثم فى مصر الحديثة ثم فى القرن العشرين، وكيف حدثت فيه تطورات استلزمتها تطورات المجتمع نفسه وحاجياته، ثم عقب بأن هناك طريقين لا ثالث لهما : المسايرة أو المكابرة، والنهاية التى ينتهى إليها كل طريق واضحة، وليس أمام رجال الدين إذن إلا أن يسيروا مع الحياة مع الاحتفاظ بجوهر رسالاتهم وغاياتها — لا أن يحاولوا تعويقها أو التصدى لها .

وفى هذا الفصل تحدث عن المذهبية والتقليد . وأكد أن التقليد لا يمت إلى الإسلام بصلة، وعن الحجر والحرية، وأنه لا خطر على الدين والدولة من الحرية وإنما الخطر كل الخطر من الحجر على التفكير، كما أن الحرية لا يمكن أن تضعف العقيدة لأن حرية التفكير مقوم من مقومات العقيدة، ولكن هناك فرقا بين الحريه المطلقة والحرية المعتدلة، فالأخيرة تتفاعل فى حدود المنطق والعقل وليست كذلك الأولى .

أما الفصل الثانى : فقد ناقش فيه الأستاذ الشرقاوى قضايا التطور وروح الشريعة، والاجتهاد كمبدأ مقرر فى الشريعة . وأنه باب لم يقفل وسيظل مفتوحا على مصراعيه إلى الأبد، وقضية المرأة والأسرة . وضرب أمثلة كثيرة من الشريعة فى مسايرتها ومطاوعتها . وفى نهاية الفصل عقد بحثا عن محنة العقيدة، وأنها كانت ولم تزل معرضة للأخطار، واهتم بالعقيدة المسيحية ما لاقته وما تلاقيه

من الأهوال ، ما لاقته على أيدى أمثال فولتير ونيتشه وجرأتهما على مقدساتها ، وتوماس بين من قبل فى كتابه عصر العقل ، وأوجست كونت فى فلسفته التى أقامها على أن المسيحية قد استنفدت أغراضها ، ثم ما نلاقيه الآن على أيدى الشيوعية فى أوطانها والإلحادية فى شتى البلاد .

والذى لاشك فيه أن الأستاذ الشرقاوى فى كتابه هذا أجهد نفسه وذهنه وقدم لنا خلاصة من الثقافة الفكرية الإسلامية لاسيما حين تعرض لحرية التفكير وقضية الاجتهاد والتقليد ، وحين قدم أمثلة حية لمسايرة التشريع الإسلامى لحاجيات المجتمع ، وأمثلة حية من فقه أعلام الفكر الإسلامى .

ولكنا نود أن نتساءل : لم أراد أن يكون عنوان كتابه (تقويم الفكر الدينى . . وصلته بالقومية العربية) مع أن الكتاب لم يتناول القومية العربية إلا فى بضع صفحات فى أوله ، ومع أن مهمة تقويم الفكر الدينى يجب ألا تكون إقليمية ، حيث أن هذا التفكير الدينى فى حاجة إلى التقويم فى شتى بلاد المسلمين .

وفى صفحة ٤٠ قال الأستاذ الشرقاوى : ليس أمام رجال الدين إذن إلا أن يسيروا هم مع الحياة ـ مع الاحتفاظ بجوهر رسالاتهم وغاياتها ـ لا أن يحاولوا تعويقها أو التصدى لها . . . فإنها فى هذه الحال ستحطمهم وتتركهم . . »

الأستاذ الشرقاوى يقصد برجال الدين : « رجال الفكر الدينى » ولكن الذى أتساءل عنه : ماذا يقصد بأن « يسير رجال الدين مع الحياة مع الاحتفاظ بجوهر رسالاتهم وغاياتها » كنت أود أن يضيف كلمة « الصحيحة » إلى كلمة « الحياة » أما الحياة مجردة وفى هذه الانطلاقة الهوجاء فلا يمكن لرجال الفكر الدينى أن يسيروا معها مع الاحتفاظ بجوهر التشريع وغاياته .

وفى التمهيد للبحث ذكر الأستاذ الشرقاوى « إن القومية العربية من الممكن أن تكون وسيلة للوحدة الإسلامية » وفى الظروف القائمة الآن من الاعتبارات ما يجعل تحقيق الوحدة الإسلامية أمراً بعيد التحقيق فى المستقبل القريب » ونحن نعتقد أن الوحدة الإسلامية التى يريدها الإسلام قائمة على أسس متينة ليست أمرا بعيد التحقيق ، والمسألة لا تحتاج إلى أكثر من أن يحسن النيات من بأيديهم نواصى الأمور فى شتى البلاد الإسلامية ، أما الاعتبارات التى لم يوضحها المؤلف فمشهورة وهى مجرد وهم لايمت إلى الحقيقة بصلة .

وفى نهاية الكتاب تحدث الأستاذ الشرقاوى عن محنة العقيدة ، ولكنه لم ينوه إلا بالعقيدة

المسيحية السابقة والحاضرة ، وموجات الإلحاد التى سلطت وتسلط الآن عليها ، ولست أدرى هل لا يعتبر الأستاذ أن العقيدة الإسلامية مرت وتمر الآن بمحنة حتى فى بعض فى بعض البلاد الإسلامية نفسها ، وإلا فالمحنة التى أصابت وتصيب الآن العقيدة الإسلامية من الشهرة والوضوح بحيث لا تحتاج إلى مجرد ذكرها . .

هذه مجرد ملاحظات ، ويبقى الكتاب بعد ذلك دراسة طيبة صال وجال فيها الأستاذ الشرقاوى مساندا حرية الفكر وسعة الأفق .

* * *

٢ — منهج التربية الإسلامية . مطبوعات دار القلم بالقاهرة

قدم الأستاذ محمد قطب لكتابه ببحث موجز عن الوسائل والأهداف فى مناهج التربية ، وذكر أن منهج التربية الإسلامية منهج متميز منفرد فى وسائله وأهدافه بشكل ظاهر لافت للنظر .

ثم فى الحديث عن خصائص المنهج الإسلامى وأنها : الشمول للكيان البشرى كله ومسايرة الفطرة والتوازن والإيجابية السوية والواقعية المثالية ، ولتوضيح وشرح هذه الخصائص قدم دراسة عن منهج العبادة وتربية الروح والعقل والجسد . وأوضح فى هذه الدراسة ترابط الكامل بين جوانب الكيان البشرى فى حقيقة الواقع وفى منهج الإسلام .

وفى الفصل التالى تحدث الأستاذ محمد قطب عن الخطوط المتقابلة فى النفس البشرية ، فالروح والعقل والجسد خطوط عريضة واسعة المدلول ، ولكن فى النفس البشرية إلى جانب ذلك خطوطا دقيقة أو قل أوتارا دقيقة ، والإسلام يوقع عليها جميعا أنغامها المناسبة فى آن واحـــد ، ليستخلص منها « السيمفونية » البشرية الكاملة المتناسقة الألحان ، هذا وقد ذكر من هذه المتقابلات : الخوف والرجاء ، والحب والكره ، والواقع والخيال ، والحسية والمعنوية ، والفردية والجماعية ، والإلزام والتطوع ، ثم السلبية والإيجابية .

وفى الفصل الثالث تحدث عن وسائل التربية وذكر ألوانا منها : القدوة والموعظة والعقوبة والقصة والعادة ، وتفريغ الطاقة وملء الفراغ والأحداث ، وفى الفصل الرابع تحدث المؤلف عن المجتمع السليم وأنه الهدف الأخير من التربية الإسلامية ، وأنه الأداة الموصلة إلى تثبيت المفاهيم الإسلامية ، وفى الفصل الخامس تحدث عن ثمرة التربية وأنها تتلخص فى إيجاد إنسان صالح يعيش

بأقصى طاقته فى عالم الواقع ويحاول فى الوقت ذاته أن يحقق المثال. ثم ختم الكتاب ببحث موجز عن الواقع والمثال . فالإسلام لا يلزم الناس بصورة مثالية معينة ، وإنما يطلب إلى كل إنسان أن يبلغ حدود الكمال الممكن فى حدود الإطار المثالى العام .

والكتاب بعد ذلك فى مجموعه دراسة شاملة للتربية الإسلامية ، بذل المؤلف فيها جهداً مشكوراً إلا أن هذه الدراسة كانت فى حاجة إلى الدقة فى التخطيط والتنسيق لإبراز عناصر البحث الفرعية ، كما أن المؤلف فى بعض الأحايين كان يعمد إلى عدد عديد من الآيات استغرقت فى بعض الأحيان صفحات دون أن يكلف نفسه محاولة الربط بينها .

٣ — جهود المسلمين فى الجغرافيا مطبوعات الألف كتاب :

مؤلف الكتاب هو أستاذ الجغرافيا بالكلية الإسلامية بكلكتا بالهند ، وقام بالترجمة الأستاذ محمد فتحى عثمان أحد كتاب مجلة الأزهر ، وكتب بحثا تمهيديا فى المقدمة ثم عن سعة اطلاع وتوافر الإلمام بالموضوع الذى ترجم له، جاءت هذه المقدمة فى صفحات عشر ولكنها كانت — بحق — مفتاحا لدراسة موضوع الكتاب . وأبانت أن للمسلمين السابقين جهودا فى شى ميادين العلم، ولكن الجيل الإسلامى المعاصر لا يكاد — إلا القلة النادرة — يفهم أو لا يحاول أن يفهم عنها شيئاً . والكتاب يقع فى فصول خمسة . فى الأول نظرة عامة على الموضوع وفى الثانى سجل للجغرافيين المسلمين ومدى ما أحرزوه من تقدم فى المفاهيم الجغرافية ، وفى الثالث معرض لفن الخرائط الجغرافية لدى المسلمين ، وفى الرابع مآثر المسلمين فى الجغرافيا الفلكية ، وفى الخامس والأخير أثر هذه الجهود فى النهضة العلمية الحديثة فى الغرب .

إن الذى يقرأ هذا الكتاب يسر من جانب ، ويتألم من جانب آخر :

يسر حين يقرأه لأنه يضم إلى ثقافته وإلى مكتبته لونا من المعرفة جديدا. ولأن جوانحه ستهتز طربا وفخرا ، حيث إن للمسلمين السابقين جهوداً فى ميادين الفكر اعترف بها الغرب على ما فيه من اعتداد وغرور .

ويتألم القارئ ويتأسف لأنه يرى أن جهود المسلمين السابقين فى ميادين الفكر لم يهتم بها إلا علماء الغرب ، وهذا الأسف أبداه المؤلف نفسه فى فاتحة كتابه حيث يقول:

«لا يزال تاريخ الفكر الجغرافى عند المسلمين فى حاجة لأن يكتب ، وإن تعددت المحاولات للتعرف على مدى الجهود التى بذلها المسلمون فى ميدان الجغرافيا وتقديرها ، ونذكر فى هذا الصدد أعمال بعض المستشرقين الغربيين

ممن هم فى مستوى (دينو ودى جويه ونالينو وسخاو وبارتولد ولى سترينج وكريمو ومينورسكى) فقد أعان هؤلاء على كشف الجوانب المتعددة مما قدمه المسلمون فى سبيل التقدم العام للفكر الجغرافى والمعرفة الجغرافية.

الكلبى والكندى والخوارزمى واليعقوبى والمروزى والبلاذرى وابن رسته وقدامة ابن جعفر وأبو دلف والأصطخرى والبلخى والمهلبى البيرونى والعبدرى وابن جبير والإدريسى وياقوت الحموى وعشرات من أمثال هؤلاء العلماء المسلمين الأفذاذ أسدوا إلى العلم والفكر جهودا مشكورة مرموقة ولكن آثارهم لم يعن بها ويكشف عنها إلا علماء الغرب، والذى ندعو إليه ونعتبره واجبا مقدسا على إدارة الثقافة الإسلامية بالأزهر أن تؤلف لجنة لإحياء هذا التراث العلمى الضخم، ليكون فى متناول الجميع، ودليلا على أن للمسلمين الأولين فى شتى ميادين العلم والفكر جهودا ضخمة لها أثرها فى الشرق والغرب، وقد ساهمت إسهاما فعليا فى تقدم الإنسانية.

إن تقديرنا لهذا الكتاب ومؤلفه الذى بذل جهدا مشكورا، يجعلنا نقدر جهد الأستاذ فتحى عثمان المترجم، لأن تعليقاته على الكتاب كانت ضرورية، أضفت إلى معلومات الكتاب وضوحا، أو زادت عليها معلومات جديدة.

٤ — التشريع الإسلامى وأثره فى الفقه الغربى

منشورات المكتبة الثقافية بوزارة الإرشاد

أستاذنا الدكتور محمد يوسف موسى المستشار الدينى لوزارة الأوقاف من الأعلام المبرزين فى موضوع هذا البحث.

تناول الدكتور نشأة التشريع الإسلامى وتدرجه فقال إن عماده كان القرآن والسنة خلال سنوات البعثة وما بعدها إلى نهاية القرن الأول الهجرى، حيث أضيف إلى هذين الأصلين: الإجماع والقياس، وفى دور النضج والكمال منذ أوائل القرن الثانى نشأ الاجتهاد ونشأت معه المذاهب الكبرى، وأقفل بعد ذلك باب الاجتهاد فى منتصف القرن الرابع وبدأ دور التقليد، واستطاع ابن تيمية وتلميذه ابن القيم أن يثورا عليه، ويفتحا معا باب الاجتهاد من جديد، ثم من بعدهما أبو محمد بن عبد الوهاب الذى ظهرت حركته فى نجد فى القرن فى الثانى عشر.

ثم تناول الدكتور أصول التشريع وأسسه العامة وطبيعته وخصائصه، كما تناول وضع التشريع الإسلامى بالنسبة للقانون الرومانى ودحض الفرية القائلة بأن التشريع الإسلامى

تأثر بالقانون الرومانى مستعيناً بآراء بعض المستشرقين المنصفين من أمثال «فنزجيرالد» وبعد ذلك تناول الدكتور وضع القانون الفرنسى بالنسبة للتشريع الإسلامى حيث أكد تأثر الأول بالأخير ، وساق حججا من القوة بمكان .

وفى آخر البحث تحدث الدكتور عن مستقبل التشريع الإسلامى : حاله بالأمس القريب ، وحاله اليوم ، وكيف نصل إلى ما نريد ، وهل أصبح الاجتهاد ضروريا ؟

يقول الدكتور : إن كل ما نريده هو أن يكون التشريع الإسلامى مصدرا أول لتشريعاتنا الحديثة ، ولا علينا أن نفيد من كل خير نجده فى التفكير القانونى لأية أمة أخرى ، ثم قال عن الاجتهاد : (لا بد من فتح باب الاجتهاد فى الفقه ، لأن الجمود على القديم من سمات الموت) .

إن أستاذنا الدكتور قدم فى هذا البحث خلاصة قيمة عن التشريع الإسلامى ، ولا ريب فى أن القارئ سيجد نفسه أمام بحث مركز يفيد منه كثيراً .

إلا أننا كنا نود من أستاذنا أن يكون بحثه تطبيقا لعنوان كتابه الذى اختاره له ، وهو عنوان يحتاج إلى مجلد ضخم ، نحن فى مسيس الحاجة إليه ، ولكن الذى حدث أن نصيب العنوان من البحث كان بضعا وعشرين صفحة من مائة وثمان وعشرين صفحة .

محمد عبد الله السمان

ملاحظات على كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار

نشرت كلية الآداب بجامعة الإسكندرية كتاب (الاستبصار فى عجائب الأمصار) لمؤلف مجهول . نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد مدرس التاريخ الإسلامى بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية فى (٢٥٢) صفحة غير المقدمة والتصويبات . وألحقت به ترجمة فرنسية فى (٩٠ صفحة) ولا أريد هنا أن أعرض لجميع ما فى الكتاب من مآخذ . بل سأكتفى بأهم الملاحظات التى وجدتها وذكر الأخطاء فى التعليق .

١ — ص ٤ — س ١٧ — تعليقة الدكتور رقم ٢ (الحرمان) صوابها (الحرمين) .

٢ — ص٧ — تعليقة رقم ٥ — ذكر الناشر أن (أيام التشريق) هو الاسم الذى تعرف به الأيام العشرة الأولى من ذى الحجة .

٣ — ص ٩ — هامش ٦ — ذكر الدكتور ما نصه عن الصفا والمروة (فبينهما يجرى طقس من أهم طقوس الحج والعمرة ألا وهو السعى) ولست أدرى ماذا كان يضير الدكتور لو استعمل تعبير القرآن الكريم فقال (شعيرة من أهم شعائر الحج) هذا مع ملاحظة أن كلمة (طقس) لم ترد لا فى لسان العرب ولا فى تاج العروس شرح القاموس .

٤ — ص ١٠ هامش ٥ — كلمة (المسجد) صوابها (البيت) فالكلام عن الكعبة المشرفة وليس عن المسجد الحرام وقد تكرر هذا فى ص ١٥ — هامش ٢ .

٥ — ص١١ — س٧ — (٢٩ ذراعا) صوابها (١٩) فقد مر أن طول الجدار الخارجى ٢٧ ذراعا فى الصفحة السابقة وأنه من الداخل ينقص مقدار السلم ، فيجب أن يكون (١٩) لا (٢٩) ولا يمكن اعتبار هذا من الأخطاء المطبعية فقد ورد نفس الرقم الخطأ أى (٢٩) فى ص ٧ من النص الفرنسى .

٦ — ص١٨ — س ٣ (اللهم إيمانا بك).

٧ — ص ١٨ — هامش ٢ — ذكر الأستاذ نقلا عن ياقوت فى معجم البلدان عند الكلام على الحجر (بكسر فسكون) ما نصه : (ولقد أحاطوه بحائط من حجر ولذلك سمى الحجر) وهذا خلط عجيب فكلمة (حجر) بفتحتين لا علاقة لها (بالحجر) بكسر فسكون . والذى فى معجم ياقوت هو (وحجرت على الموضع (يعنى قريشا) ليعلم أنه من الكعبة فسمى حجراً لذلك) وفرق كبير بين هذا وبين ما زعم الناشر أنه منقول عن ياقوت .

٨ — ص ٢٣ — س ١١ وفى المسجد الحرام (أربع أئمة) صوابها (أربعة) بزيادة التاء المربوطة فهم رجال .

٩ — ص ٢٤ تكلم الناشر فى الهامش ٤ عن الميل الأخضر باعتباره يبين حدود الأرض الحرام مع أن الميل المذكور فى الصلب هو الخاص بابتداء الهرولة فى السعى ولا شأن له بحدود الحرم .

١٠ — ص ٢٤ ذكر المؤلف أن أبواب الحرم (١٧ بابا) وعند بيانها لم يذكر سوى (١٤) وكان ينبغى للناشر الإشارة إلى ذلك فى أحد هوامشه الكثيرة .

١١ — ص ٣٠ هامش ٣ — قال الناشر (فالملاك جبريل الخ) والذى فى اللغة (فالملك) بدون الألف .

١٢ — ص ٣٠ هامش ٤ — ذكر الناشر ما نصه (وإلقاء الحصيات من مناسك الحج والعمرة الرئيسية) قلت : هذا وهم فرمى الجمار من مناسك الحج فقط — وأما

العمرة فهى طواف وسعى بلا رمى جمار .

١٣ — ص ٣١ — س ٤ (ولا ذم عليه) صوابها (دم) بالدال المهملة أى ذبيحة ولا شأن بالذم ضد المدح هنا .

١٤ — ص ٣١ هامش - ٢ - عند الكلام على (مزدلفة) ذكر الناشر ما نصه (وهو المكان الذى يقف فيه الحاج ليلة وقفة عيد الأضحى) وهنا خطآن : أولهما أن الحجاج يبيتون ليلة الوقفة فى (منى) لمن أراد السنة ومنهم من يبيت فى (عرفة) رأساً : والثانى أنهم لا يقفون فى (مزدلفة) وإنما يبيتون بها ليلة العيد فإذا صلوا الفجر فى أول وقفته وقفوا إلى الإسفار ثم أفاضوا إلى (منى) فالوقوف فى (مزدلفة) هو بعد صلاة فجر عيد الأضحى .

١٥ — ص ٤٠ - س ٧ - (والشمس وضحها) صوابها (وضحاها) وفى هامش ٤ أخطأ الناشر فى رقمى السورتين .

١٦ — ص ٤٢ ، ص ٤٣ - ورد لفظ (قبا) خمس مرات بالقصر والصواب (قباء) بالمد كما نصت كتب اللغة .

١٧ — ص ٤٦ فى هامش ٢ ذكر الدكتور الناشر (نهر الإندوس) قلت : ماذا عليه لو قال (السند) .

١٨ — ص ٤٩ س ٦ قال المؤلف إن (الغطاس ليلة ١٠ يناير) وسكت الناشر وكان يجب أن يقول إن الصواب ليلة (١١ من شهر طوبه) وذلك يوافق غالبا ليلة (١٩ يناير) .

١٩ — ص ١٤٢ - س ١٧ ضبط لفظ (مذحج) بضم أوله وفتح الجيم قبل الحاء والصواب (مذحج) بفتح الميم وبكسر الحاء وبعدها الجيم .

٢٠ — ص ١٩٤ ، ورد ذكر (مدينة سكوما) وفى الهامش ما يفيد أنها عن معجم البلدان لياقوت ، والذى فى ياقوت (سقرى) بفتح القاف وسكون الراء ، وفرق كبير بين اللفظين .

٢١ — ص ١١٨ ، وأخيراً : ذكر المؤلف (قصر لخم) بالخاء المعجمة - قلت فات الناشر أن يقول إنه (قصر الجم) بالجيم وهو مسرح رومانى قديم يقع على الطريق الرئيسى بين « سوسة » و « سفاقس » بقطر « تونس » وفى منتصف المسافة بين البلدتين ولا يزال شامخاً ضخماً كما شاهدته منذ سنتين ، ويوجد تحت الأرض فى وسطه سراديب لحبس الوحوش بها أيام الرومان .

هذا بعض ما وجدته من الملاحظات ، أما أخطاء الطبع وأخطاء أرقام سور وآيات القرآن ، فقد أعرضت عنها خيفة الإطالة ، وحبذا لو كان الناشر استعان فى كلامه عن المناسك ببعض العلماء بدل مصدره الإفرنجى إذاً لعصمه ذلك من هذه الأخطاء ، والله ولى التوفيق .

عبد السلام النجار

بريد المجلة

العربية لغة إفريقيا :

عقد فى شهر أغسطس الماضى فى ليوبولدفيل عاصمة الكونغو ، مؤتمر وزراء الخارجية لدول إفريقيا المستقلة كلها ومن القرارات التى أصدرها المؤتمر اختيار لغة ثالثة تقرر للتعليم والمحادثة بين سكان تلك البلاد تشمل الدول الإفريقية المستقلة كلها إلى جوار اللغتين الإنجليزية والفرنسية اللتين أرغم الاستعمار الأوربى سكان تلك البلاد على استعمالها .

وأول ما يتبادر إلى الذهن عند مطالعة هذا القرار أن تكون اللغة العربية هى تلك اللغة الثالثة ، فشعوب شمال إفريقيا لغة التعليم والتخاطب فيها هى اللغة العربية . وهى لغة الثقافة والعلم فيها أيضا وما بقى فى تلك البلاد من أثر للغة الفرنسية خلفه الاستعمار ، سيقضى عليه ، ويمحى أثره فى زمن قصير ، بحكم سيطرة الوعى القومى العربى عليها ، واستلام أبنائها مقاليد الحكم فيها .

واللغة العربية هى لغة السودان ، والجمهورية العربية المتحدة ، تعليما وتخاطبا وثقافة . وفى الجمهورية العربية المتحدة الأزهر ووزارة التربية والتعليم ، وكلاهما يضم مئات من المجندين لخدمة اللغة العربية وتدريسها وإذاعة ثقافتها فى البلاد الإفريقية التى قررت لأهلها لغة ثالثة .

والمسئولون عن الأزهر وغيره من الهيئات الثقافية فى الجمهورية يسرهم أن يبادروا بتلبية رغبات هذه الدول . فى سبيل تعليم أبنائها وتثقيفهم . وأن تبذل هيئاتهم فى هذا السبيل كل ما تستطيع من جهد .

وعندما تكون اللغة العربية هى لغة سكان إفريقيا . فى شمالها كله ، ووسطها وغربها سيجد سكان هذه الدول الإفريقية الجديدة أنه قد تيسر لهم عامل من أهم المؤثرات الثقافية والتعليمية . ومن أهم أسباب الرواج الاقتصادى أيضا ، وسنفيد من ذلك فوائد كبرى .

م . الشرقاوى

١ - حول معركة المنصورة :

سيدى رئيس تحرير مجلة الأزهر الغراء .

لقد كان لمقالكم القيم ، المعركة التى أنقذت الإسلام والعروبة ، الذى نشر فى عدد

(شعبان - فبراير) الماضى أثر كبير فى نفسى وخاصة تعليق سيادتكم على قصيدة جمال الدين ابن مطروح بقولكم الكريم « وقد أجاب الله دعوة الشاعر فعاد حفدة لويس إلى ديارنا يرتكبون الجرائر ، وانتقلت دار ابن لقمان وقيدها وطواشيها من مصر إلى الجزائر » .

فعنت لى بعض خواطر أوردها فيما يلى :

أولا : مؤامرات لويس التاسع ضد سوريا :

قد يتوهم البعض أن لويس التاسع قد رحل يجرر أذيال الخيبة والفشل إلى وطنه فرنسا الذى كان النظام الإقطاعى ينخر فى عظامه وأنه أخذ يبذل الجهد لجمع شتات مقاطعات بلاده المتفرقة ويجمعها تحت حكمه وسلطانه . ولكن شيئا من ذلك لم يحدث . فقد ولى لويس التاسع وجهه شطر الإمارات الصليبية بالشام واستقر بإمارة عكا الصليبية . وأخذ يتحين الفرص للنيل من وحدة الأمة العربية ويحتضن كل حركة ترمى إلى تفريقها بالاشتراك فى المؤمرات ولكن خاب أمله . فقد قيض الله للأمة العربية رجالا عاهدوا أنفسهم على الجهاد والكفاح . فهذا قطز يهزم التتار فى موقعة عين جالوت « رمضان سنة ٦٥٨هـ - أغسطس ١٢٥٩م » ، وهذا الظاهر بيبرس السلطان المملوكى يرسى دعائم سياسته العربية على طرد الصليبيين من الشرق الأدنى .

وقد استطاع الظاهر بيبرس أن يقضى على الأحلام التى كانت تراود البابوية بنشر نفوذها مستعينة بدول فارس المغولية . ولما كانت دمشق قلب العروبة النابض مركزا لهذه المؤامرات تحت حكم المغول فإن يقظة الظاهر جعلته يستطيع أن يرد للأمة العربية قلبها الخفاق سنة ٦٥٩هـ - ١٢٦٠م .

وبين عامى ٦٦٠ - ٦٧٠هـ ، ١٢٦١ - ١٢٧١م اتسمت سياسة الظاهر بيبرس إزاء الإمارات الصليبية بالقوة والعنف ولا عجب فإن الحديد لا يفله إلا الحديد . فقد أخذت إغاراته العنيفة تتوالى على المدن والإمارات الصليبية . وخرب الظاهر عدة مدن بعد الاستيلاء عليها مثل قيسارية وأرسوف مخافة أن تتخذ معاقل للصليبيين مرة أخرى .

وليس هنا مجال الحديث عن الظاهر بيبرس وسياسته العربية إزاء القوى الدخيلة على الشرق الأدنى ولا مدى شجاعته وإقدامه فإن هذا كله تذخر به كتب التاريخ بل وبه تفخر .

ولنتساءل ماذا كان من أمر لويس التاسع وهو يرى توالى الهزائم على الصليبيين بالشام ؟ أجل . كان لابد للويس التاسع الذى تعتز به البابوية أن يقوم بعمل إيجابى إزاء تلك الانتصارات وأن يبحث عن ميدان جديد للقتال يثق فيه من نصر مؤكد أو على حد تعبير رجال الحرب كان لا بد من فتح جبهة جديدة ومن ثم قام لويس بحملة على تونس .

ثانياً :

حملة لويس على تونس وموقف مصر منها :

وبرغم تقدم لويس فى السن فقد حشد حشوده وولى وجهه شطر تونس العربية . وقد اختار تونس لعدة أسباب فهى قريبة إلى حد ما من فرنسا مركز الإمدادات ثم إن أحوال تونس الداخلية كانت تشجع على التدخل فقد كان النزاع محتدما بين أفراد الأسرة الحفصية . فإن الحاكم على تونس فى ذلك الوقت وهو المستنصر بالله أمير المؤمنين أبى عبد الله محمد ابن الأمراء الراشدين كان قد اعتلى العرش بعد أن لطخ يديه بدماء عميه . ووصلت الحشود الفرنسية إلى تونس . فماذا كانت النتيجة ؟ . هل يترك الظاهر بيبرس ـ السلطان المملوكى فى مصر تونس وهى قطعة عزيزة من العالم العربى فريسة لأطماع الفرنسيين الذين هزمهم أبطال المنصورة ؟ .

يحدثنا المقريزى عميد المؤرخين المصريين فى العصور الوسطى فى كتابه السلوك فى معرفة الدول والملوك عما أعده الظاهر بيبرس من استعدادات لمعونة حاكم تونس ، وكيف أنه كتب إليه بأنه أعد جيشا سيصل نجدة له . كما استنفر عربان برقة وبلاد الغرب بالمسير إلى نجدته .

وتدخل القـــدر فأصيب جيش لويس بالطاعون ، بل وتوفى لويس نفسه بالطاعون فى ١٨ أغسطس سنة ١٢٧٠ م ، واضطرت الحملة الفرنسية إلى رفع الحصار عن تونس والجلاء عنها . بعد أن تأكدت أن مصيرها الهزيمة المحققة وبعد أن عرفت بوصول الجيوش والإمدادات العربية إلى تونس الشقيقة .

وهكذا كانت سياسة مصر فى عهد الظاهر بيبرس سياسة عربية خالصة تتوخى العمل على حماية الأقطار العربية ضد أى اعتداء أجنبى . وهى نفس السياسة التى يسير عليها السيد الرئيس جمال عبد الناصر حفظه الله بعد أن حطمت مصر أغلالها ، واستعادت عزتها وكرامتها .

٢ – حول إبراهيم بن أدهم :

نشرت مجلة الأزهر فى عـدد شهر المحرم مقالا للأستاذ الدكتور محمد غلاب عنوانه : « دراسـات فى التصوف » نورد عليـه الملاحظات الآتية :

مجرى البحث عن هذا العارف بالله لم يكن يعتمد فى لبه على نقل صحيح بل إن الكاتب ـ سامحه الله ـ حين يقعّـد لهذا الصوفى الكبير مقامه فى التصوف يقول : (إن إبراهيم ابن أدهم لا يعرف ما بين أيدينا من تاريخ الحركة التنسكية الأولى عن مبدإ حياته شيئاً

ذا بال إذ هو يحدثنا أنه حين رغب فى الزهد اتخذ . . .) على أننا لو رجعنا إلى كتاب واحد من كتب التصوف المعتمدة ككتاب (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) للحافظ أبى نعيم الأصبهانى نجده قد خص هذا الصوفى فى كتابه بما يقارب التسعين صفحة (١) يتحدث فيها عن أصله ونشأته وتنسكه وكراماته ومروياته .

ثم أريد أن أصحح جملة واحدة - إن سمح لى - من جمل الدكتور غلاب وذلك حين يقول : (إذ هو يحدثنا أنه حين رغب فى الزهد) وتصحيح هذا الكلام (أنه حين حبب إليه الزهد) لأن إبراهيم رضى الله عنه لم يرغب فى الزهد عن طواعية وإنما بتوفيق المولى سبحانه وتحبيبه إليه وذلك عن طريق الاجتباء الذى حصل له أو بعبارة أخرى عن طريق — الجذب — الذى ألم به وصدق الله العظيم إذ يقول . والله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب .

سعد الدين ابراهيم الغلاييني

خريج كلية الشريعة من الأزهر

(١) أواخر الجزء السابع وأوائل الجزء الثامن من المرجع نفسه .

٣ — نشر الصور بالمجلة

وبعد فقد ظهر العدد الأخير من مجلة الأزهر « صفر » ، وقد سررت من المباحث المهمة التى نشرت فى هذا العدد .

وفى العدد مقالة عن المرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم ، تمنيت لو صحبتها صورة للشيخ الإمام الراحل كى يستعيد القارئ ملامح الراحل إذا كان قد رآه ، ويعرفه من لم يره . ومعروف أن فكرة بعض الناس عن الصور من جهة التحليل والتحريم غير واضحة ، مع أنها أصبحت اليوم ذات قيمة ، سواء من جهة وسائل الإيضاح أو فى تحقيق الشخصية .

وقد قرأت فى مذكرة التفسير بكلية الشريعة ، أثناء دراستى فيها فى شرح أوائل سورة ص ، ما يفيد إباحة مثل هذه الصور ولذا جئت مقترحا أن تنشر مجلة الأزهر بعض الصور التى تعين فى إيضاح الأمور . أو فى التعرف على أشخاص الكاتبين وخصوصا المقالات التى تتناول مواضيع عن بلاد نائية عنا ؟

عزت عبيد الدعاس

المدرس بإعدادية سعيد العاص بحمص

الاقليم السورى

٤ حول نشأة النحو العربي :

قرأت ما كتبه الفاضل الدكتور تمام حسان فى الجزء الأول من المجلد الثانى والثلاثين من مجلة الأزهر الغراء الصادرة فى محرم سنة ٨٠ هـ بعنوان (نشأة النحو العربى) وقد أعجبت ببحثه القيم وعرضه الممتع ومع هذا فإن هناك بعض الملاحظات على ما جاء فى بحثه .

(١) جاء فى صفحة ٤٨ س ١٢ (ولسنا نعرف منهم من طلب العلم حقيقة إلا الحارث ابن كلدة الطبيب الذى تلقى العلم فى جنديسابور وأدرك الإسلام وداوى سعدا بأمر النبى . والحارث هذا سيد سمية أم زياد وأبو النضر ابن الحارث الذى أمر النبى بقتله) .

ولكن الصحيح بإجماع ثقات المؤرخين أن النضر بن الحارث بن كلدة من بنى عبد الدار قرشى بينما الحارث بن كلدة الطبيب ثقفى [1] .

(٢) ثم نقل الدكتور تمام عدة روايات لنشأة النحو العربى عن أبى البركات الأنبارى فى كتابه (نزهة الألباء فى طبقات النحاء والأدباء) فقد استعرض الروايات التى ذكرها الأنبارى . وإليك خلاصة تعليقه فى

صفحة ٥١ قال : (تقول أولاها وآخرتها : إن غيرة علىّ على لغة العرب دفعته أن يكلف أبا الأسود بوضع النحو ورواية أخرى تنسب ذلك إلى عمر وغيرها إلى زياد بينما رواية أخرى تنسب فكرة نشأة النحو إلى عبد الرحمن ابن هرمز الأعرج وغيرها إلى نصر بن عاصم . وقد ناقش رواية نسبة النحو إلى على ابن أبى طالب وجزم بأن تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف يحمل دعوى ضمنية بنسبة قدر من المران العلى والممارسة للبحث إلى على ، وتلك أمور تقتضى فراغا وعدم انشغال وتلق دراسة ثم أوضح أن عليا كان طوال وقته مشغولا فى مكة والمدينة بالدعوة ثم الجهاد . وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وتولى أبى بكر وبعده عمر ثم عثمان شعر بشيء من الظلم فى تخطى شخصه وقد انعكس هذا الشعور فى تقاعسه عن نصرة عثمان ، ثم شغله معاوية عن كل شيء إلا التفكير فى استتباب الأمن الداخلى .

ولقد راجعت كتاب أبى البركات الأنبارى (نزهة الألباء فى طبقة النحاء والأدباء) وأرى أولا أن نستعرض تعليق الفاضل الدكتور على الروايات التى نقلها كما أسلفنا فقد ذكر أن أولاها وآخرتها تقول إن غيرة على على لغة العرب دفعته أن يكلف أبا الأسود بوضع النحو إلخ . وواضح أن هذا ليس إلا شقا واحداً ، مما تقول الروايتان

---

(١) نسب قريش لأبى عبد الله المصعب الزبيرى ٢٥٥ ص سيرة بن هشام تحقيق الأستاذ مصطفى السقا وأصحابه ج ١ ص ١٢١ — ٣٢٥ وجمهرة ابن حزم ص ١١٧

والشق الآخر أن عليا وضع حدود النحو وأسس قواعده وهذا هو الأكثر أهمية بالنسبة لموضوع بحثه كما أنه إذا كان للفاضل الدكتور تمام كامل الحرية فى تكوين رأيه الخاص عن نشأة النحو أو ترجيح رأى معين فإن أمانة النقل تقتضى أن ينقل رأى أبى البركات الأنبارى كاملا . إذ أن العلامة أبا البركات بعد أن استعرض روايات نشأة النحو قال : (فأما من زعم بأن أول من وضع النحو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج أو نصر بن عاصم فليس بصحيح لأن عبد الرحمن أخذ عن أبى الأسود و يقال عن ميمون الأقرن والصحيح أن أول من وضع النحو على بن أبى طالب رضى الله عنه لأن الروايات كلها تسنده إلى أبى الأسود وأبو الأسود يسند إلى على فإنه روى عن أبى الأسود أنه سئل فقيل له من أين لك هذا النحو ؟ فقال لقفت حدوده من على بن أبى طالب [1] .

٣ — ولنعد إلى إثبات نسبة وضع النحو إلى على التى ينفيها الفاضل الدكتور تمام يقول الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد (وإذا قيل فى قضائه لم يكن أقضى منه بين أهل زمانه صح أن يقال عن علم النحو أنه لم يكن أحد أوفر سهما منه فى إنشاء هذا العلم . وقد أمر أبا الأسود الدؤلى حين شكا إليه اللحن فى ألسنة العرب فقال اكتب ما أملى عليك . ثم أملاه صوراً منها أن كلام العرب يتركب من اسم وفعل وحرف . ثم قال وهذه الرواية تخالف روايات شتى تسند إلى المقابلة بين اللغات الأخرى فى اشتقاق أصولها النحوية ولا سيما السريانية واليونانية ولكن الروايات العربية لا تنتهى بنا إلى مصدر أرجح من هذا المصدر [2] .

كما أن الأستاذ محمد سعيد العريان فى تعليقاته على تاريخ آداب العرب للرافعى رجح نسبة نشأة النحو إلى على بن أبى طالب [3] أما الافتراضات التى ذكرها الفاضل الدكتور فى عدم نسبة المران العلمى إلى على وعدم فراغه للبحث إلى آخر ما ذكره فإن هذه مجرد افتراضات لا تستند إلى مصدر يوثق به وكما هو معلوم أن التاريخ (نقل) وإننا نكتفى بما كتبه الأستاذ العقاد فى هذا الموضوع (يقول لقد لبث على بن أبى طالب زهاء ثلاثين سنة منقطعاً أو يكاد أن ينقطع عن جهاد الحكم والسياسة متفرغا أو يكاد

(١) نزهة الألباء فى طبقات النحاة والأدباء لأبى البركات الأنبارى ص ١٣ ، ١٤ .

(٢) عبقرية الإمام للأستاذ عباس محمود العقاد ص ١٨٢ ط دار الهلال

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية للأستاذ مصطفى الرافعى الهامش للأستاذ محمد العريان ج ١ ص ٣٣ .

يتفرع لفنون البحث والدراسة يتأمل كل ما سمع ويراجع كل ما قرأه ممن يلقاه ويستطلع أنباءه وآراءه وقضاياه. ومهما يكن قسط الثقافة العالمية قليلا فى بلاد الإسلام على تلك الأيام ففيه ولا ريب الكفاية للعقل اليقظان والبصيرة الواعية) [١] ومما سبق نرى أن ما ذكره الفاضل الدكتور تمام من افتراضات يكتنفها الغموض ولا تستند إلى مصدر ثبت. والقول بأن نسبة النحو إلى على بن أبى طالب من وضع الشيعة لم ولن يكفى لنفى ما سجله التاريخ من قيام على بأوفر سهم فى نشأة النحو العربى.

بقى لدينا مدى تأثر النحو العربى بالنحو السريانى وقد أخذ هذا قدراً كبيراً من بحثه فقال فى صفحة ٥٥ (والظن عندى أن واضعى النحو قد أخذوا التقسيمات السريانية أو قلدوها فجعلوا كلامهم اسما وفعلا وحرفا كما جعله السريانيون قبلهم).

ومع تقديرى لهذا الظن أحب أن أسأل هل يوجد مصدر عربى أو سريانى يؤكد هذا الظن؟ أما المصادر العربية التى راجعتها فلم تشر إلى شىء من هذا النقل أو التقليد. ومن المؤكد أن المؤرخين العرب كانوا على جانب كبير من دقة الملاحظة وأمانة النقل. ولقد أشادوا بفضل الطب والفلسفة والمنطق الذى أخذوه عن اليونان بل وأطروا ثقافة بعض من علماء السريان مثل حنين بن اسحاق. ثم ما هو المانع لمؤرخى السريان أنفسهم أن يسجلوا هذا الاقتباس أو النقل ويفخروا به لو كان صحيحا؟؟.

نعم إن بعض المستشرقين أشاروا إلى هذا الاقتباس أو النقل من النحو السريانى إلى النحو العربى ولكن الكلام معهم كالكلام مع الدكتور تمام مع أن منهم من يقول إن نشأة النحو عربية وإن تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف تقسيم عربى خالص. وليت الفاضل الدكتور تمام دعم ظنه بشاهد من نحو اللغة السريانية وحدد وجه التشابه بينه وبين مثيله من النحو العربى. وأحب أن أوضح أن البحث عن نشأة النحو فى الصدر الأول عصر على وأبى الأسود ومن فى طبقتيهما. ولإثبات أن تقسيم الكلام إلى ثلاثة أقسام تقسيم عربى وأن نشأة النحو فى الصدر الأول نشأة عربية نستدل بما يلى عن أحد كبار المستشرقين.

يقول الأستاذ ليتمان Littmann اختلف العلماء الأوربيون فى أصل هذا العلم فمنهم من قال إنه من اليونان إلى بلاد العرب وقال: آخرون ليس كذلك وإنما كما تنبت الشجرة فى أرضها، كذلك نبت علم النحو عند العرب وهذا الذى روى فى كتب العرب من زمن

(٤) عبقرية الإمام ص ١٨٥، ١٨٦.

ونحن نذهب فى هذه المسألة مذهبا وسطا وتقول كما أثبته العالم (Josph, Blranc) وهو أن العرب أبدعوا علم النحو فى الابتداء وأنه لا يوجد فى كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه ، ولكن لما تعلم العرب الفلسفة اليونانية من السريان فى بلاد العراق تعلموا شيئا من النحو، وهذا النحو هو الذى كتبه ارسطاطاليس الفيلسوف ، وبرهان ذلك أن تقسيم الكلمة يختلف عما قاله سيبويه

فالكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل .

وهذا التقسيم أصلى ، أما الفلسفة فتقسم الكلام إلى اسم وكلمة ورباط . أى الاسم هو الاسم والكلمة هى الفعل كما فى اللغات الأوربية (verb) والرابط هو الحرف كما يقال فى اللغات الأوربية . هذه الكلمات اسم وكلمة ورباط ترجمة عن اليونانى إلى السريانى ومن السريانى إلى العربى وسميت هكذا فى كتب الفلسفة لا فى كتب النحو . أما الكلمات اسم وفعل وحرف ، فإنها اصطلاحات عربية ما ترجمت ولا نقلت[1] . وهذا الرأى يؤكد أن نشأة النحو العربى وتقسيم الكلام إلى ثلاثة أقسام عربية محضة وهو يتفق مع ما ذكرته المصادر العربية ، وموضوعنا هذا هو نشأة النحو كما أسلفنا ، فأما ما قد يكون اتفق لبعض النحاة بعد الصدر الأول من الاطلاع على بعض اللغات القديمة وتأثير ذلك فى آرائه فى النحو العربى فلا ننفيه

وآخراً وليس أخيراً فإن الفاضل الدكتور تمام قد أفادنا بمعلومات قيمة فى بحثه وسيكون من المصادر المهمة عن نشأة النحو العربى .

هارون أحمد العطاسى

---

(١) ضحى الإسلام للدكتور أحمد أمين ج ٢ ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

أنباء الثقافة

من أنباء الجزائر أنه عثر على أصغر مصحف فى العالم ، وجد فى زجاجة صغيرة ملقاة على رمال الشاطئ فى مدينة الجزائر . وحجم هذا المصحف سنتيمتران طولا فى سنتيمتر ونصف عرضاً

• يشتغل الأستاذ بطرس البستانى الآن بترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية ، عن اللغة اليونانية مباشرة . وقد أوشك على الانتهاء من الترجمة ، وراعى فى ترجمته استخدام الكلمات والتعابير المتداولة الآن فى اللغة العربية .

• أصدرت دار الكتب المصرية قائمة بيليوجرافية — مكتبية — القومية العربية الاستعمار ، الصهيونية ، الشيوعية . مع ملحقات بأسماء المؤلفين لكل موضوع على على حدة مرتبة على الحروف الهجائية . وتشمل القائمة أسماء المراجع الموجودة فى الدار بمختلف اللغات .

• صدر فى القاهرة الجزء الرابع من تاريخ ابن إياس المعروف باسم « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » يتضمن هذا الجزء تاريخ مصر من سنة ٩٠٦ إلى ٩٢١ (١٥٠١ ١٥١٥م) .

أشرفت على إصداره ، ٤٩١ صفحة ، جمعية المستشرقين الألمانية وقام على تحقيقه الدكتور محمد مصطفى .

وكان فى الإمكان إخراج الكتاب على تحقيق أكمل وبعناية أتم من الصورة التى أخرج بها .

• يقوم المستشرق الألمانى الدكتور رومر بنشر سلسلة من المخطوطات التى تبحث فى تاريخ مصر فى العصور الوسطى .

• نشر المجمع العلمى العربى فى دمشق ، بتحقيق الدكتور شكرى فيصل ، كتاب « فريدة العصر » للأصبهانى .

• تقوم وزارة الثقافة فى إقليمى الجمهورية العربية المتحدة باصدار دائرة معارف تقع فى خمسة عشر مجلداً ، فى كل مجلد منها ألف صفحة .

• يصدر الأستاذ سعد عفرة كتابا مصوراً عن الآثار الفرعونية والقبطية والإسلامية فى الإقليم الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة ، يضم ٤٠٠ صورة ملونة عن هذه الآثار .

وسيطبع الكتاب فى سويسرا باللغات العربية والانجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية .

• يقوم المستشرق الألمانى فاجنر بتحقيق ديوان أبى نواس ، وتصدر فى ألمانيا ، طبعة جديدة من الديوان .

• صدر ، بالفرنسية ، مؤلف يجمع مختارات من الآداب القديمة والشعبية لثقافات العجم والعرب والهند والصين واليابان وتايلاند وكمبوديا وأندونيسيا .

قام بتأليف هذا الكتاب الباحث الهندى ألدون هينجرا وتصدر له طبعة أخرى بالانجليزية فى الولايات المتحدة

• بدأت وزارة التربية والتعليم فى الهند تضع برامجها لتنفيذ مشروع يجعل التعليم إجباريا لجميع أبناء البلاد من الجنسين حتى سن الحادية عشرة .

• أعلن المجمع العلمى فى العراق عن عدة جوائز لأحسن المؤلفات فى بعض الموضوعات . منها : « تقريب العامية من الفصحى » و « أصول الأدب العربى » .

• صدر فى بيروت كتاب جديد للأستاذ لبيب الرياشى هو : « نفسية الرسول العربى » .

• أنشأت حكومة غانا معهدا فى العاصمة : « أكرا » . وقررت إنشاء مركز آخر فى كوماس ، عاصمة الإقليم الأوسط من الجمهورية ، والمعهدان يقومان بتدريس اللغة العربية لأبناء غانا .

• تلقى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر رسالة من الدكتور عبد الله العقيل المقيم فى هامبورج بألمانيا الغربية يشكو فيها من أزماته النفسية ويرجو من فضيلته أن يرسل له مؤلفاته . فأمر فضيلته بإرسالها له .

وتلقى فضيلته بعد ذلك رسالة شكر من الدكتور العقيل يقول فيها إنه شفى من أزماته النفسية بعد قراءته كتب فضيلته .

• انتهت من عملها اللجنة التى سافرت إلى المملكة العربية السعودية لوضع منهج « جامعة الملك سعود » فيها .

كانت اللجنة مكونة من الدكاترة مديرى جامعات القاهرة ، والإسكندرية ، وعين شمس ، ودمشق ، وعميدى كليتى الحقوق والتجارة بالقاهرة .

• من أنباء الكويت أنه تتخذ فيها العدة الآن لإنشاء جامعة كبرى بها تسير على أحدث النظم العلمية .

• تشتغل بعثة دانمركية بالبحث عن الآثار فى البحرين ، وقد عثرت فى منطقة « قلعة البرتقال » بالمنامة على آثار ترجع إلى عهد إسكندر المقدونى .

• طلب عدد من الدول الإفريقية التى استقلت حديثا إلى الجمهورية العربية المتحدة أن تهدى إليها عددا من المصاحف . وقد بادرت الهيئات المختصة بتلبية رغبتها .

ومن هذه الدول : النيجر ، والصومال ، وتوجلاند ، والسنغال .

• صدرت عن إدارة الثقافة بوزارة الثقافة والإرشاد بالإقليم الجنوبى سلسلة كتب هدفها تيسير الثقافة العربية وتقديمها للقارىء فى أسلوب عصرى وعنوان هذه المجموعة هو « مختارات من تراثنا » وتشمل الكتب الآتية : مقدمة ابن خلدون إخراج رضوان إبراهيم وكتاب الصناعتين إخراج محمود أبو ريه ، وثمرات الأوراق إخراج يعقوب عبد النبى ، وحسن المحاضرة إخراج محمد محمود صبح ، والمستطرف إخراج محمد عبد اللطيف الخطيب ، وولاة مصر وقضاتها إخراج إبراهيم العدوى .

* * *

• صدر فى دمشق كتاب : « ملخص أبطال القياس والرأى والاستحسان » لابن حزم الأندلسى ، بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغانى الأستاذ فى جامعة دمشق .

• صدر الجزءان الأول والثانى من كتاب « الدين الخالص للسيد محمد صديق حسن القونجى البخارى ملك بوهبال وصاحب المؤلفات الكثيرة ؛ بالعربية والهندية والفارسية . المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ .

وقد طبع هذان الجزءان على نفقة صاحب السمو الشيخ على بن الشيخ عبد الله آل ثانى حاكم قطر .

• طلبت لجنة التأليف والترجمة بجاوة الوسطى بأندونيسيا إلى وزارة الثقافة بعض الكتب عن الثقافة العربية المعاصرة والقديمة لترجمتها إلى الأندونيسية .

• تصدر الإدارة العامة للثقافة بوزارة الإرشاد فى الإقليم الجنوبى سلسلة كتب جديدة عن الحضارة المصرية ، يصدر منها جزء كل شهر وتتناول الحضارة المصرية من مهدها حتى العصر الحاضر .

• يعقد فى دمشق بين ١٣ — ١٩ نوفمبر القادم مهرجان الإمام حجة الإسلام الغزالى لمناسبة مرور ٩٠٠ سنة على مولده (ولد فى سنة ٤٥٠ هـ ١٠٥٨ م) .

وقد اختارت مشيخة الأزهر الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود أستاذ الفلسفة فى كلية أصول الدين لتمثيل الأزهر فى المهرجان .

• يقام ما بين أيام ٤ ـ ١٠ أكتوبر القادم فى مدينة القيروان بالمغرب احتفال بذكرى مرور ألف ومائة سنة على إنشاء جامعة القيروان .

وقد أجابت مشيخة الأزهر الدعوة التى وجهت إليها للاشتراك فى الاحتفال ، وتقرر أن يمثلها فيه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الأزهر والأستاذ الدكتور محمد البهى المدير العام للثقافة الإسلامية .

• يصدر قريبا كتاب : « تاريخ الفاطميين فى مصر » لابن الدواداري السورى المصرى يشرف على تحقيقه وطبعه الدكتور صلاح المنجد مدير معهد المخطوطات بالجامعة العربية .

• عقد فى موسكو يوم ١٩ أغسطس الماضى

مؤتمر المستشرقين ، وقدم الأستاذ أمين الخولى إلى المؤتمر بحثا عن الصلات التاريخية والثقافية بين نهرى النيل والفولجا .

ويتضمن بحث الأستاذ الخولى آراء جديدة فى تاريخ حكام مصر من المماليك وأصلهم وجنسياتهم .

• نشر المجمع العلمى العربى فى دمشق الجزء الأول من كتاب « الإبدال » لأبى الطيب اللغــوى ، بتحقيق الأستاذ عز الدين علم الدين التنوخى . كما نشر : « رحلة أحمد ابن فضلان إلى أرض الروسيا والبلغار » بتحقيق الدكتور سامى الدهان .

• قررت حكومة مالى ـ الدولة التى نالت استقلالها حديثا فى غرب إفريقيا ـ تدريس اللغة العربية إجباريا فى المدارس الثانوية ، واختياريا فى المدارس الابتدائية .

• نشرت مجلة : « دعوة الحق » المغربية أنه قد افتتح فى استامبول معهد عال للدراسات الإسلامية ، مهمته تخريج مدرسين لتدريس الدين الإســلامى فى المدارس التركية ووعاظ وأئمة فى المساجد .

• ينشأ فى خلال العام القادم معهد للدراسات الإسلامية والعربية فى السنغال ، بعد استقلاله ، وقد اتصل المسئولون فى السنغال بالجمهورية العربية المتحدة للمساعدة فى إنشاء المعهد على أن يوضع ذلك تحت إشراف الأزهر .

وسيحضر من طلبة السنغال عدد لتلقى العلم فى الأزهر على أن يقوموا بعد ذلك بالتدريس فى المعهد الجديد الذى يقبل الطلبة من جميع الدول الافريقية ويعلمهم بالمجان .

• بدأ فى ٢٠ سبتمبر الحالى امتحان طلبة معهد الإعداد والتوجيه التابع لإدارة الثقافة الإسلامية فى الأزهر .

والمعهد يضم خمسة أقسام تدرس فيها اللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية والأردية والأندونوسية لطلبة الأزهــر وخريجيه . والمتخرجون فى المعهد يرسلون فى بعثات ثقافية أو تعليمية .

• أقيم فيما بين يومى ١١ ، ١٧ من شهر سبتمبر فى دمشق مهرجان الشعر العربى الثانى برياسة السيد كمال الدين حسين رئيس المجلس الأعلى للآداب والفنون واشتركت فيه طائفة من شعراء إقليمى الجمهورية وباحثيها .

وألقيت كلمة للأستاذ عباس محمود العقاد تضمنت دفاعا عن الشعر التقليدى ودعوة للحرص على قافية الشعر العربى وأوزانه .

واشترك فى المهرجان من الدول العربية مندوبون من السودان والجزائر وفلسطين والمغرب واليمن .

satisfied with external acts of devotion. He believed that the real faith lies in the spirit. He cites for inistance that a grain of genuine piety is better than a thousand weight of fasting and praying.

Rabaa El-Adawia, a woman, is another sufi whose words are still remembered despite the centuries that separate us from her. Her sufism was an unbounded and enduring ove for God, a love neither Prampted by the promise of heavenly reward nor sought out of a dread of eternal fire, but Pure and untained, inspired only by his eternal beauty.

Muhyi Eldin El-Arabi who lived in Spain and was the auther of several works on sufism, namely the "Ifada" or information, speaks of the fundamental branches of knowledge, God, the rational world, and the world of senses.

In 1201 he published a collection of poems under the title "Turguman El Ashwaq" or Interpreter of love". Later he wrote a commentary on the same work in order to refute the accusation of extolling the pleasures of the flesh in the place of divine love.

On the Persians sufism had a stronger appeal than on the Arabs, and indeed its influence on Arabic literature, though great, is not to be compared with the extraordinary hold it has exercised on Persian thought from the IIth century to the present day.

Ibn El Farid, for example, earned the title of "Lord of all lovers" among the suffis of Persia, and many of their teachings can be traced to him, as well as to Muhuy Eldin El Araly. Awhad Eldin El Karamany in the seventh, and Abdel Rahman El Agamy in the niuth, century, owe a great deal to them.

Sufism, as Sahrawardi says " is neither the creed of poverty nor that of ascetism. It embraces both and something else besides. It introduced a spirit of exaltation in Arabic literature, a spirit that purifies the heart while at the same time it sustains the soul against all earthly pollutions.

THE INFLUENCE OF SUFISM ON THE HUMAN LITERATURE AND THOUGHT

BY

Dr. Gamal Addin Arramadi

Sufism is a form of pantheistic mysticism within Islam. The word " Sufi " is derived from the word " Suf " which means wool. Sufistic people were accustomed at the dawn of sufism to be clad in wool. The quintessence of sufism is to take the way of truth, and salvation, to be assiduous in piety, to be indifferent to all the pleasures and follies of mankind, to renounce wealth, powr, and ambition, and to pick the threads of a lonely life, thinking of nothing but heaven and leading calmly a life devoted utterly to the service of God.

Some researshers noticed the roots of sufism in the life of Mohamed the prophet. In reality Mohamed was not a sufi, but he led a spiritiral life which met in many respects with the mottos of sufism. For instance he says : "Be indifferent to the world to be beloved by God, and be indifferent to that in the hands of people to be beloved by them.

In this way the point of view of Mohamed meets with that of sufic people, but it is essential to refer to the fact that sufism is not only an Islamic Feature. It is known in Christianity and other religions. Vaughan in his book : " hours with mystics " noticed many ressemblances between the beliefs of sufic people and those Christianity such as Tauler, Eckhart, and St. Therese.

Nicholson sum up the sources of sufism in christianity, New platonism, Gnosticism, and Buddhism. He adds that the speculative and philossphical side of sufism, spread out through Egypt and Syria bore remarkable signs of Hellenistic influence.

Hassan of Basra was one of the famous suffic people who left to the Arabic Literature and thought an immortal inheritance. He attached much importance to spiritual righteousness and paid no head to the follies of life. He was not merely

being governed by human infancy and to subjugate these actions to the guidance of maturity to keep for man his peculiarities and to save his dignity and superiority.

When Islam says "we have honoured the sons of Adam." it doth really mean that it has give man significant human traits to distinguish him from all other ereatures Really God on sending his messengers to the peopls, He was aiming at enabling the people to seek the right path by their help, the path which leads them to follow these traits in their personal behaviuor and in their dealing with others.

If it is admitted that the meaning of social development is such as that we have previously mentioned, and if the requirements of the age is looked upon in the light of social development we undoubtedly shall find out the Islam is a source of drive to the advancement of social development and a source of appreciation to the requirements of the age which shall push forward the wheels ofprogress.

But if social development is meant to be a call to a certain political institution or to back a certain political ideology, Islam has nothing to do with such trends. It is an independent institution which fits in with any other iustilution which agrees with it in the aim and the plan to realise that aim. It does not accept as well any other institution wich doth differ from it in both the aim and plan.

If on the other hand, the requirements of the age are taken to be ce tain behaviours and actions as uisualised in certain societies which are existing to-day it will be more appropriat befor announcing the judgement of Islam and its attitude towards such tendencies to discuss fully the aims and obgectives of such tendencies.

In a word Islsm is the light which guides to the right path. The right path is the road leading to the realisation of humane objectives such as love, bratherhood. co-opration and mutual friendships.

them in both his behaviour and actions.

Islam came to raise man from the stage of infancy and ignorance to the stage of maturity and knowledge. It came to develop the human sense in man as well as the social sense. The human sense is nothing but the social solidarity, the co-operative relations amongst individuals based upon love and sympathy. We have already seen that primitiveness doth mean the disintegration of all ties binding the individuals together or doth mean the predominance of egoism and individuality or doth mean in other words the rule of animality and instincts over all the other traits of man which distinguish him from the other creartures which are living, moving and sruggling for existence.

Islam came to urge people to co-operate " Help you one another in righteousness and piety, but help you not one another in sin and rancour." (Surah. 5, Vs. 3). It also came to urge people to be righteous "It is not righteousness that ye turn your faces to the East and the West; but righteous is he who believeth in Allah and the Last Day and the angels and the scripture and the prophets; and giveth his wealth, for looe of Him, to his kinsfolk and to orphans and the needy and the wayfarer and to those who ask and to set slaves free. It urges people to be good in their treatment to each other " If you did well, you did well for yourselves. If you did evil (you did it) against yourselves." (Surah, 17, Vs. 7). It order people to be righteous and just in their dealings with their wives " Either take them back on equitable terms or set them free on equitable terms. " [Surah : 2, V. 231]. It urges people to stick to justice " Whenever you speak, speak justly, even if a near relative is concerned; and fulfil the covenant of God. " (Surah. 7, V. 152). It stresses the importance of safegua rding humanity against tyranny and injustice " And let not the hatred of others to you make you swerve to wrong and depart from justice. Be just : that is next to piety " (Surah. 5, Vs. 9).

By so doing Islam was pushing forward the social relations and social development towards maturity. However the message of Islam is nearly limited in realising two ultimate ends: the curbence of egoism and the inhibition of individuality on one hand and the awakening of the common feeling and the development of social relations on the other hand. The message of Islam aims at saving human actions from

Such reasoning makes it quite clear to our minds why we worship one God and why it is incumbent upon all people to submit to the guidance of one leader the guidance of God.

This natural principle, the principle of contrast guiding our existence makes it incumbent upon us to worship one God. We all seek to complete ourselves and we can only achieve that end by applying that principle which is the origin of harmony in life. No doubt it is the ultimate wish of man to be harmonious with himself and with all the folk around him whether in his own domain or in the public domain.

The industrial development in our time if it is in the service of humanity it will be as well in the service of social development. Thus if it realises both ends, it will be one of the requirements of the age. To be in service of humanity means to allow man to keep his mastery and not to be enslaved by the machine. This implies that man should make use of the machine to raise his standard of living, to better his social status, to mitigate the maladies, to combat ignorance and illiteracy and to propagate enlightenment and knowledge of life. He should not be at all a submissive slave to the machine, sulyngated to its influence and reduced to slavery and bondage under its impact. If he fails to keep his mastery and liberty as a result of its interference in his life then it will be a source of choos and anxiety and it will stand as a stumbling block in his way hindering the realisation of the ultimate aim of social development which is co-operation, love and friendship between all people.

The attitude of Islam towards social development according to the requirements of the age.

Islam is a heavenly message revealed to human beings living on this earth. It is the word of Allah sent to humanity at large without any discrimination between arabs and non arabs. It is a message for all people. It is adressed to everyone without any distinction to guide humanity to the right path leading to the realisation of the full sense of humanity in man's life

If the ultimate aim of humanity in its full sense is, as we have mentioned before, to make people join one another love one another, be brothers and co-operate with one another it is the message of Islam to awaken these good points and to develop them and to convince man to keep these ideals and to follow

be in need of the other. None of them will feel that he lacks something which the other can satisfy. Thus the equality in the will between man and woman is a reason for separation and disunity and not a reason for agreement and attraction although there is a contrast between them from the point of view of manliness and womanhood.

The similarity between man and woman in the form of the body corporeal features and physionomy is another cause of disunity in spite of the contrast between them as a male and a female. The moman doth want a man who stands in psychological and physical traits in contrast to his.

Their meeting on that basis will be then natural. The mutual sympathy will of course emanate as a result of such natural meeting. I wonder if there is a man who wishes to marry a woman with a manly muscles or who likes to have as his wife a woman who is deprived of all feminine emotions and who has the iron will of an experienced man who has gone through the ups and downs of life and who has been trained by facing the situations and hardships of life. I wonder as well if there is a woman who aims at having a husband whose physical constitution is womanly and frail, a husband who is governed by his whims and who is always hestitant in all his acts and deeds, prejudiced unsteady and easily moved like a feather in the face of wind.

The idea of having a president or a leader in the socity to guide and to lead the society is in fact a natural consequence to the application of the principle of contrast. This principle emanated to satisfy a necessity for whenever there is a herd there must be a shepherd to look after them and whenever there is a leader or a president there must be subjects to be guided by his directives and to follow his leadership. If it happened that all the individuals yearn to be heads and leaders then there would be no order and nothing would reign but chaos and struggle and if it happened that all the individuals admitted to be followers without a leader to plan and dircet there would be no society and there would be no common cause to unite their efforts add to make them march towards one target and to make them work to attain a common purpose. As such there would be no relations to tie them together and there would be nothing but friction, war and struggle.

subject to the wishes proposed by certain writers or thinkers who endeavour to guide the society towards realising them.

Thus sectarianism, partisanship, fanaticism, bigotry and tribalism could not be considered as requirements of the age.

The emancipation of woman in the sense of enabling her to fulfil her duties as a mother in the family and as a member in the society who is shouldered with certain responsibilities derived from her natural status in the society; is no doubt one of the requirements of the age. The call to the co-operation of both husband and wife, to the prevention of tyranny and the subjugation of the powerful to the weak, to righteousness and good behaviour in their dealing with each other, is as well a requirement of the age. The call to curb from misusing one's rights in treating one's neighbours or in dealing with them is also one of the requirements of the age.

On the contrary the call to the emancipation of woman in the sense that it would be treated as a man in the guise of a woman is not a requirement of the age because it is against the nature of the woman itself and against the aims of the social development. It is against the aims of social growth because love, friendship and co-operation amongst individuals which are the ultimate ends of social development can not be realise except when there is harmony or agreement between the individuals at first. Such harmony will be developed by the lapse of time into friendship, love and co-operation. The harmory however does not happen between two who are completely similar. The more they differ, the more there is certain points of contrast between them the more they are liable to sympathise with each other and to harmonise with each other. That is simply because every one of them will be then in obvious need of the other. Everyone of them has something which the other lacks. By coming in touch they will complate each other. This asserts the principle of compensation which is a recurring principle in life because it responds with another principle that is the principle of duali sm wich is the origin of life itself: the doer and the done, the active and passive. But for this dualism and but for the contact of the doer and the done, the passive and the active, none would have met in life at all and none would have shown harmony with each other.

The close similarity is in fact a cause to friction and combat and not a cause to attraction and harmony. On being Similar none of them will

bind them and begin to work together collectively with a co-operative sense and mutual care and love for each other, to unite in face of any danger or crisis from within or without, to differentiate between what should be done and what should be left to make such co-operation effective and if such family is full aware that it has a common purpose that is to keep their family strong and united in the face of other families, that will mean that the social conscience of such family has arisen and is paving the way to realise its end gradually and through stages. At every stage such conscience becomes stronger until it reaches maturity wherein they become one block or unit.

If a mutual response takes place between two or more families in their relations and if in the meantime they agree to work for one purpose then the big society will be created. As well when such mutual relations extend to embrace numerous families and so many individuals and when they are bound with a common tie, the human society at large will be going ahead in the way of asserting its existence and revival.

The social development in the light of the aforesaid premises paves its way in two directions : It aims at extension and enlargement at one hand and at attaining depth on the other hand. The social growth while it aims at embracing so many individuals it seeks to deepen the relations amongest the individuals and to strengthen their mutual human ties. The depth of individual relations and the strength of human ties appear in their fruitful co-operation and in love and brotherhood. In other words they appear in their endeavour to realise the human aims which are the freedom from the ferule of animality, the command of instincts and the Predominance of infancy.

The requirements of the age.

However, if the social development is the liberation from the rule of animality, instincts and human infancy is the freedom from the command of individuality an egoism, the requirements of the age will be another factor in the social growth if they prove to be helpful and inciting to such liberation. Hence the development will be considered as pushing through normal paths to attain its end that is the assertion of humanity with all its known traits of love, sympathy and mutual friendship amongst its individuals.

Thus the definition of the requirements of the age is subject to the definition of the meaning of social development. It is by no means.

guidance and education. Thus their relations never tend to Peace except when a weak individual faces a strong man. They never come in contact with each others in their dealings except by sheer coincidence when they meet in their search for sustenance to heap them alive or in their hankering after pleasures to satisfy the call of the flesh In fact there are no relations whatsoever amongst the individuals of such a group except in their struggles and contacts to attain the aforesaid ends. They have no family relations. No fatherly or mothery or filial relations exist among them. They have no other ties as such which depend upon common blood, mental and material inheritance and the status of the family. Although, the individuals give birth to children as a result to sexual indulgence between the male and female which is a natural reaction between the two different sexes, they are so doing without the innate feeling of familial kinship. In other words they never feel that it is incumbent upon them to look after their sons and their wives. They are deprived of any sense of sympathy. They are aimless and have no common purpose to live for such as the maintenance of the family by trying hard to supply it with food, to defend its individuals against famime and annihilation and to keep its existence by all means. On the contrary the father almost attachs the mother as well as the son in their search for food. In a likewise manner the brother wages war against his brothes. In his sexual indulgece he never knous any limit or any forbidden degrees of consanguinity. He marries his mother, his sister, as well as any other woman without any heed to the illegality of such deed and without paying any care to the traditions of the society which forbid such intercourse. Thus polygamy is practised without any limit and there is no any degree of forbidden marriage. We can go too far to say that the offsprings of a certain from the so many women he marries are countless and hardly recognisable.

When individuals begin to set limits for their mutual relations and to feel consciense of the scope within which they display such relations. Then it is the beginning of the rise of a society. The more the relations are limited, the more the scope of its displayment is clear, the stronger the society becomes - for under such circumstances the aims and purposes become likewise so clear.

If the members of a family realise the common relations that

ISLAM AND SOCIAL DEVELOPMENT

by

Dr. Muhammad El Bahay

Director General of The Islamic Culture Administration

It seems appropriate before dealing with such a subject to ex plain what is meant by social development in the light of the requirements of the age.

The meaning of social development.

The social developemet is the development of the mutual relations amongst the individuals in a way to ensure that social welfare is no less in the individual's consideration than his own or in other words that the care the individual takes for his fellow individual is no less than his care of himself. Thus the social development is the growth of the mutual relations amongst individual in the fields of reciprocal sympathy and co-operation in fruitful deads which realise the common weal of the people at large instead of letting loose the individualism and egoism to guide the affairs of the people for individualism and egoism are the characteristics of the childhood of both the individual and the society.

To understand the real meaning of social development we have to pay a retrospective glance upon the status of the primitive peoples who are unconscious of the mutual relations and mutual co-existence amongst the individual. Those primitives who have not yet realised the common purpose at which th People should aim and to which they should work to establish a society to unite them all. To maintain such a society they have to work together to realise its aim and to co-operate to keep it alive.

However, a primitive man never Co'operated with his fellows to build a society. He is only looked upon as one in a groups wherein the relations amongst the individuals are governed only by egoism and the instincts of self existence and self - defence. They have nothing to do with the social instincts inherent in man because they have failed to develop them through lack of

as well as its own discoveries not to stick altogether to what predecessors had bequeathed. So they pondered, searched, verified, chose and ultimately invented. By so doing they had been masters of all scholars and were worthy of God's description : " you are the best of peoples, evolved for mankind, enjoining what is right, forbidding what is wrong ", (Surah, 3, V. 110).

Our hope for a new scientific renaissance.

This is the rôle of Knowledge in the construction of society as ordained by the holy Qur'an. Therefofe I earnestly hope that time would bring the Muslims once again to an era of vigilance and awakening ! an era full of progress and good understanding in order to make up for the sordid past, lead a course of dignified life as set by their fore - fathers and realize that Knowledge has been the first and foremost element in their mastery and strength. They must Know that their humiliation and backwardness are due to ignorance and the wasting of time in false theories, illusive hypothesis, fancies and superstitions.

I strongly feel that scientific renaissance would take place through the unflagging efforts of the sincere and persistent individuals who devate their life to extirpate the seeds of illiteracy and realize the welfare for their people in a bid to live prosperous and happy, and never feel the pains of adversity or develop a sense of inferiority. Thus dignity and honour will be as God wished them to be : " For God and His messenger and the believers" (Surah. 63, Vs. 8).

Thus God equalizes the blessing of man's creation and that of knowledge as a hint that the ignorant man has no real existence in this life. To exalt *the pen* and its rôle in the field of knowledge. God the Almighty has sworn by the pen when He refuted the grievous charge that God's messenger was mad. In this connection He says : " Nun. By the pen and by the (record) which men write, - You are not, by the grace of your Lord, mad or possessed" (Surah. 68, Vs. 1 — 2).

The Pen is not confined only to the knowledg of religion.

As God demands reading as such He also demands knowledge as such without any limitation to certain branch of knowledge; " Are those equal; those who know and those who know not. " (Surah. 39, V. 9). This unlimitedness guides us that *knowledge* from the Qur'anic point of view is not confined to that of religioues injunctions. It goes to any branch of information that may benifit man and help him in the great mission he is showldering since his creation. He was appointed viceregent on earth to inhabit it, to extract its treasures and explore God's secrets therein.

Knowledge, however, comprises all branches of science such as batany, agronomy, veterinary, economy and investment of properties. It also includes industry and industrial resources, medicine and its implications, worfare and so forth. The Qur'an has ascertained this attitude and made knowledge as such a principal element in the life of the Muslims.

Our ancestors conceived the value of knowledge in all its aspects.

The early Muslims had conceived the value, significance and enivitability of knowledge and the role it can play in the creation of individual as well as universal happiness. Thoug they had been an illiterate people yet they were so ardent to expunge all signs of illiteracy that they released any prisoner who could teach certain number of the children of the Muslims how to read and how to write. Furthermore they considered the memorization of the holy Qur'an as a dowery in marriage.

It is advisable to say that Knowledge has elevated and honoured the ranks of those who have no social background or wealth or authority. And if we go back to the past to consult history we will find books of outstanding merit, Islamic and non - Islamic alike. These bear witness that early Muslims were characterized by their profound academic concentrations and that each generation had had its own method

lutes the bonds of co-operation and terminates dignity and authority other tyan ignorance and illness. These two defects are the sources of all evils and the omen of destruction and annihilatisn.

Islam launches a war against ignorance :

This is simply why Islam has taken great interest in all means which purges society of ignorance and illness. It compats ignorance in all its aspects. It compats the most heinous form of ignorance represented in polytheism by means of implanting the seeds of monotheism in men's hearts, of drawing their attention to its signs and evidence and of urging them to think of and scrutinize in these signs to believe that greatness is God's only and to Proceed on the way leading to perfection without being hindered by any false greatness.

Islam also conpats another form of ignorance that is blind imitation and therefore it has denied man's dependence on any autority other than his own mind and will, and has blamed him for his stagnant attitude towards dogmas, knowledge, illusion and superstition bequeathed by his for-fathers.

Learning of writing and reading:

It tackles illiteracy by recommending the learning of reading and writing, and by exalting the status of education. Here we should stop for a short while just to see to what extent Islam cares for putting an end to illiteracy. It is quite enough for us to assure this argument to observe that the first Qur'anic verse sent down from God to His messenger Mohammed was this glorious verse which reads as follows : "Read in the name of your Lord and Cherisher, Who created-created man, out of a (mere) clot of congealed blood : Read ! And your Lord is the Most Bountiful, He Who thaught (the use of) the pen." (Surah. 96, Vs. 1-5).

In this verse God the Almighty commands His messenger to read. And it is noteworthy to state that reading is the means by which man can attain glory and knowledge. Next He guides him to pray in the name of the Lord for succour because He is the Bestower of education and its means on all human beings. Then man can realize that knowledge has a significent status in life. Finally He mentions man's creation and of what he was made combining this with the blessing of knowledge as He says : " Who thaught (the use of) the pen. Taught man that which he knew not. " (ibid V. 5).

and wisdom. Many Qur'anic verses guide us to such wisdom such as the following verse which deals with the initiation of man. This respective verse reads as follows: "Behold, your lord said to the angels: 'I will create a viceregent on earth.' They said; 'will you place therein one who will make mischief therein and shedblood ? Whilst we do celebrate your praises and glorify your holy (name) ?' He said: ') I know what you know not.' And He taught Adam the nature of all things; then He placed them before the angels, and said: 'Tell Me the nature of these if you are right.' They said: 'Glory to you: of knowledge we have none, save what You have taught us: in truth it is You Who are perfect in knowledge and wisdom.' He said: 'O Adam! tell them their nature.' When he had told them, God said; 'Did I not tell you that I know the secrets of heavens and earth, and I know what you reveal and what you conceal?" (Surah 2, Vs. 30-33).

Through such a logical discourse, the wisdom of man's creation was cleary conceived by the angels and they recognised man's superiority over all creation. In this connection God the Almighty says: "It is He Who has made you (His) agents, inheritors of the earth: He has raised you ranks, some above others: that He may try you in the gifts He has given you." (Surah. 6, Vs. 165).

"Believe in God and His messenger, and spend (in charity) out of the (substance) whereof He has made you heirs." (Surah. 57, Vs. 7); "O David; We did indeed make you a viceregent on earth: so judge you between men in truth and (justice)." (Surah. 38, Vs, 26).

Knowledge and Health:

If what we have just mentioned has been the mission of man in life, the wisdom of his creation, of bestowing on him faculties of knowledge and action and of rendering the universe subservient to him, then he should fortify himself by knowledge-to distinguish good from evil, the usful from the harmful and the constructive from the destructive - and protect himself by sound health to integrate his mind, maintain his activities and render his efforts fruitful.

Knowledge and health thus are two elements inevitable for men to lead a perfect life in order to realize the wisdom of the Creator in His creation. All beings, however, are dependent on and in need to both knowledge and health. In as far so we are concerned there is nothing on earth that destroys happiness, disso-

Islam ordains and what the Qur'an calls for; so they reflected, reacted, reasoned, sought evidence and rejected blind imitation. Consequently they became masters of the world and all nations under their rule enjayed justice, equality and prosperity. By the elapse of time they diverted into the vicious extreme, abandoned the sound teaching of Islam and fell under the ferule of imitation. They ignored the essence of man, of the universe and of life. They dissected the integral religion of God, became scattered groups and cancelled God's authorization on His creation, and assumed to be the only authorities in God's religion and law.

They related infallibility to their father's opinions as to place them above criticism. Thus religion was represented through different and inconsistent interpretations. Consequently this divergence of views gave rise to the spread of innovations and superstitions which aroused dark clouds over the firmament of religion in such a way that made people so disgusted and sick of it that they accused it of having no straight attitude and of being fluctuated between permissible and forbidden, between sound and unsound and between strength and weaknees. Eventually they began to seek salvation from this desperate situation as an expression of their vengeance on the religions factions who seperated religion from life.

Such groups have to realize that life is so wide and dynamic that it can by no means be confined to narrow opinions of short-sighted individuals or to the fetters of old legacy.

They ought to consider carefully the land on which they are standing and the method which they are using in order to preserve the law of God and remain steadfast in His commandments.

Man's regency on earth.

Man was neither created just to make fun or rejoice nor to exercise tyranny and despotism. But he was endowed with the faculties of knowledge, conception and the tools of action. The universe as well including earth, sky, water and air was rendered subservient to him for sublime wisdom that is manifestation of God's glorification and beauty. By such an endowment man was prepared to be God's regent on earth to inhabit it and to bring about its reformation, the development of its civilization, the exploration of God's secrets and the maintenance of good and prosperity therein. By an achievement it will be a demonstration of God's mercy to His bondmen and a great sign of His power

Immutability hinders the principle of evolution.

Thus the Qur'an tells us that such People had been sticking to the inherited thoughts and dogmas and had been regarding such abstract ideas as the inheritance of land or of any other material property. Those people were completely satisfied of what they had inherited without causing themselves any trouble to evolve or promote their standard of both knowledge and action. There is no doubt that such an attitude contradicts the nature of the universe as well as the nature of every being which is basicly characterized by growth and generation.

However, the intellcctual reproduction tike that of man, animal and plant-is envitably needed in life. And if the intellectual faculties of man stop functioning, he will be confronted and puzzelled by the copious reproduction of other organisms and, in sequence, will be unable to organize or make use of these creatures which were principally created to be in his service. Consequently he would fail in his mission for which he has been chosen since the dawn of humanity; that is to be God's regent on earth.

Sticking to old opinions is a plunder to man's specific qualitg.

Sticking to the old opinions is a manifest plunder to man's specific cheracteristic i.e., mind which differentiates between right and wrong, and between the proper and the improper. Such plunder puts man in a state of indifference; so he does what he likes and abstains from what he deslikes without any religious background. Man, accordingly, has no choice but only submitts to the images of his fathers and his fore-fathers which always drag him back without having any intrinsic energy to make him advance but is only whir'eled by the current flood of life; 'When they do ought that is shameful, they say: (we found our fathers doing so)" (Surah. 7, V. 28).

In fine sticking to the old opinions of the fore-fathers, to what they have had of knowledge and to their way of thinking is an offense against human nature, a plunder to the dynomism of mind which is man's specific characteristic, a flagrant misrepresentation of God's signs to His bondmen and a false belief which God absolutely disregards.

It is noteworthy to state that the first Muslims had followed what

n the third category after God and Angels; " God bears witness that there is no God but He-and the angels and men possessed of knowledge uPholding justice." (Surah. 3, Vs. 18); and confined the fear of God only to them because they have conceived God's power and greatness; " only those of His servants fear God who have knowledge. " (Surah. 35, Vs. 28). Being as sush depicted Islam has prohibited the following of conjecture and instead has erected faith on an unequivocal proof as well as on conclusive arguments; say : ' have you any (certain) knowledge ? If so, produce it before us. You follow nothing but Conjectu you do nothing but lie (S. 6, Vs. 148 " But most of them follow nothing but fancy : truly fancy can be of no avail against truth ". (Surah. 10, V. 36);

" But they have no knowledge therein. They follow nothing but conjecture ; and conjecture avails nothing against truth." (S. 53, V. 28) and "And pursue not that of which you have no knowledge ; for every act of hearing or of seeing, or of (feeling in) the heart will be enquired into (on the Day of Resurrection). (Surah 17, V. 36).

To ascertain the importance and value of knowledge, Islam has called it authority in many Qur'anic verses; " Those who dispite concerning the signs of God, without any authority come to them, very hateful is that in the sight of God and the believers." (Surah. 40, Vs 35) and " Those who dispute about the signs of God without any authority bestowed on them - there is nothing in their hearts but (the quest of) pride, that they shall never attain" (Surah. 40, Vs. 56).

The Qur'an opposes imitation and blames the imitators :

There are too many verses in the Qur'an which denoun blind imitation and imitators whose chief interest is only to follow the same course of their fore fathers and to inherit their old 'dogmas and tradition without any merits save they are olny fathers or ancestors as if priority of time gives holincss to the old systems, beliefs and interpretations of texts. Accordingly they stick to the old opinions depriving themselves of men's specific characteristic; that is mainly searching and meditation. In this respect God says : "When it is said to them : 'follow what God has revealed' they say :f 'nay ! we shall follow the ways o our fathers ; what ! even though their fathers were void of wisdom and guidance" [Surah. 2, V. 170] and also says : "When it is said to them 'come to what God has revealed; come to the messengers, they say : 'enough for us are the ways we found our fathers following., what ! even though their fathers were void of knowledge and guidance." (Surah. 5, V. 104).

ISLAM : THE RELIGION OF MIND AND KNOWLEDGE

by
His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout
Rector of Al-Azhar University

The strong appeal of the Qur'an to reflect on the dominion of the heaven and the earth is a handsome demonstration of the status of both mind and knowledge from Islam's point of view. This is simply because mind is the means of thinking which produces fruitful knowledge. Accordingly all the Qur'anic verses instigating the believers to such reflection are meant to declare the value of the mind and draw the attention of the people to elevate and strengthen it. These verses also declare the value of knowledge and the importance of acquiring it in order to enable man to conceive facts, to rid himself of the fetters of ignorance and to emancipate himself from the servitude of fallacies and superstitions.

By so doing Islam has been the religion of thinking, mind and knowledge. The attitude of the Messenger of God is quite satisfactory to account for this argument. He did not prove his message through supernatural signs as vehemently demanded by his people, but only through reasoning and sound reflection. In this respect God the Almighty says ; : " Yet they say : ' why are not signs sent down to him from his Lord ? ' Say : ' the signs are indeed with God : and I am indeed a clear warner; And is it not enough for them that We have sent down to you the book which is rehearsed to them ? Verily, in it is Mercy and a reminder to those who believe. " (Surah. 29, Vs. 50-51).

Moreover, Islam has honoured the mind and stated that whoso neglects it will be punished on the day of Resurrection. It narrates what would be the discourse of those who disregard their mind and missed the straight path by saying : " They will further say :'had we but listened or used our intelligence, we should not (now) be among the companions of the blazing fire " (Surah. 67. Vs. 10). It as well has honoured knowledge and classified its possessors

bless as well the cave of Hirraa for it was the place of the Solu's inspiration. No wonder for Thor is in the mount of salvation and Hirraa is in the mount of glorifications.

The world was before the birth of Mohamed suffering from the disintegration of morals and manhood, and the reigning of egoism and falsehood. The force was subduing justice, relationship was subjugatin rights, the authority of capital was degrading humanity and the excess of luxuries was annihilating bravery. Commercial dealings were most unfair. Breach of faith was prevalent. People were behaving like beasts of prey. They were always waging wars, and disputes. Their deads were governed by deceit, prejudice and avarice. But when the great hero and the perfect man had appeared, his manners and good deeds became a striking example of perfect behaviour. He behaved in compliance with religious institutions to teach people by the force of example, to train them by practice and to regulate their instincts by offering the model. His character and call impressed his people and reformed their ways of life. After indulgence in sanguine deeds, animosity and disunity they were reduced to love, friendship and unity. He guided them by the light of the Koran and ruled them by his traditions. He moved them to attack the corruption and immorality of the world. Therein they succeeded in reforming a corrupted world, in cvilizing and educating its people.

Such are the trains of thought which the memory of the birth-day of the prophet excite in the minds of true and grateful believers. Such memory moves us in the meantime to ask what is now remaining in the hearts of moslims, of the spirit, liberty and moral of Mohamed peace and blessings be upon him! Alas Moslems are now leading a life of no importance. They are no more than playthings. They are no more than the serfs of the land. They are no more than the barbarians of the age of ignorance! Could that be their status if they had followed the teachings of their religion and made it their guidance in life and if they had made the sayings of the prophet their directive and the life of their forefathers their example?

The memory of the birth-day of the prophet is the memory of the liberation of humanity from the bondage of illusions, tyranny, and ignorance. As such it would be incumbent upon the free and conscious hearts to bow in reverence and to glorify the memory of the prophet of monotheism and unity, the messenger of democracy and freedom and the propagator of peace, love and brotherhood.

Mohamed was either the annihilation of the soul or the annihilation of the body. It was either the judgement of God or the judgement of man. It was either the predominance of religion or the predominance of the temporal life. But to institute a relation between the subjectivity and the objectivity, between the lamp and the light, between this world and the hereafter and between the human will and the divine will was in fact the real purpose of Mohamed's mission to this universe and its realization was Mohamed's duty as ordained to him by God.

Before the advent of Mohamed the world was crippled by an intellectual slavery which killed initiative and deprived man of his right to think and a corporeal slavery which deprived him his right to act. There was no system to govern family affairs. Neither was there any law to govern the tribe nor any constitution to govern the nation, nor any legislation to regulate the creed. It was an oppressive tyranny which had exceeded all bounds and to which both the society and the indevidual submit. It was up to the father to decide the life and death of his sons as a rule of nature. The head of the clan had by traditions the right to enforce his people to do or to abstain from doing according to his will. The king as well had the right to subjugate his people in the name of religion. The priest too was allowed to mislead the people depending upon their ignorance. Those four only were the leaders who enjoyed their rights while all others were followers, slaves and neglected.

When Mohamed had been sent by God to guide the people to the way of Allah and to be a mercy to the whole universe, he gave birth to liberty, set minds free and ordered people to vie with each other in doing good, to co'operate in the welfare of the society and to compete to win priority by piety. He strengthened the ties amongst people by encouraging love and friendships. He instituted equality to realise fair dealing. He had won the hearts of his People by love and justice in a way that made the weak feel that he is supported by all the powers of God, the poor that all the wealth of the government is at his dsiposal and the lonely that all the moslems are his brethren. The prophet too obliterated all racial distinctions and territorial demarcations. He made the whole world one country for all the people and all the nations one united family governed by mutual love and directed by equality and justice. In such family every member has the right to see his Caliph at any time without intervention or permission. As well he is free to pray and to perform his religions duties without any interference.

God bless the cave of Thor for it was the birth place of liberty. God

THE MEMORY OF THE PROPHET'S BIRTH-DAY

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

The memory of the birth-day of our prophet Mohamed - peace be upon him - is in fact the memory of the rise of the spirit, the birth of liberty and the establishment of the morals. His brith was the first resurrection that purified the souls, constructed the worled and initiated the rights of man. In that it acts as well as the last resurrection which will save the spirit, commence the hereafter and announce the sovereignty of God.

The world was then in a turmoil wherein people were enslaved by materialism, subjected to lust and ruled by force. It led a life without ideals, a life void of noble impulses, human values and heavenly guidance. As such it was reigned by the animal side in man. Bestiality was the dominant factor. Conquering was man's aim in life. Lust was his guidance. Egoism was his law. He was nothing but, lust, prejudice and animality. Siffed to ears in lust he went too far to make intercourse with any woman permissible to any man. Conquered by materialism he deified stone and wood. Driven by Egoism he went to the extent of killing his sons in fear of poverty and need.

Such was the world before the advent of Mohamed - peace be upon him. By his advent a door leading to heaven was opened through the cave of Hirraa. From whence the angels of God have descended and the word of God has been revealed to such disintegrated and misguided world. Consequently the secret of life, the meaning of immortality and the truth of God were instilled into man's mind. Hence the man of the world felt that he has affinity with Heavens which was cut down by a long period of neglect and that he is promised a letter life which he was unable to look for because of his ignorance. Being enlightened in such matters he looked to the far horizon, aimed at coming to the high summit to realise his hopes in a better life through heavenly guidance. This led him to follow the guidance of the prophet revealed to him in the silence of Hirraa at the top of the hill, to ponder upon the secrets of the universe as shown in the inspiring valley and the dreadful space, to praise and glorify the existing grandeur and to dissolve in the absolute existence.

The creed before the advent of

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الخامس — جمادى الأولى سنة ١٣٨٠ هـ — أكتوبر ١٩٦٠ المجلد الثانى والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

ثوراتنا الثلاث تعوزها رابعة

بقلم : أحمد حسن الزيات

تعيش الجمهورية العربية المتحدة اليوم فى ثورات ثلاث كما قال بحق وفعل بصدق مثيرها العظيم جمال عبد الناصر : ثورة سياسية تحقق الحرية وتثبت الاستقلال على الوحدة والحيدة . وثورة اجتماعية تحقق الديمقراطية وتبنى المجتمع على المساواة والتآخى . وثورة اقتصادية تحقق الاشتراكية وتقيم الثروة على العدل والتعاون .

وهذه الثورات الثلاث هى جماع القوى العاقلة العاملة للشعب أخرجتها من السكون والكمون والتعطل يد مصرقة حازمة ، تحكم لتصلح ، وتهدم لتبنى ، وتحرث لتزرع .

فالبلاد كلها من أسوان إلى القامشلى عزمة لاتنى ، وحركة لاتفتر ، وزحف لايقف .

ولكن هذه القوى الثائرة المعمرة لاتستطيع وحدها مهما تنشئ وتنتج أن تكفل لابن آدم المجتمع الذى يجدر به إلا إذا اعتبرناه حيوانا له معدة وليس له قلب ، وله شهوة وليس له عقل ، لا إنسانا ينزل بين خلق الله فى المنزلة الوسط بين البهيم والملك ، يكون بماديته مرتبطا بالأرض ، وبروحيته متصلا بالسماء !

نعم ، تستطيع الثورات الثلاث بقواها المادية والفكرية أن تلين الحديد ، وتزرع الصخر ، وتقهر النيل ، وتنشر المعرفة ،

وتبسط الرخاء، وتيسر الأداة الحياة للعامل والفلاح، وتوفر القوة والعدة للجيش والشرطة؛ ولكنها لاتستطيع أن تضع التقوى فى القلب الأغلف، ولا أن تبعث الحياة فى الضمير الميت، بدليل أننا أصبحنا فى مدى ثمانى سنوات أمة على وجه الدنيا وفى جبهة الركب، نقول فنسمع، ونطلب فنجاب، ونعمل فنجد، ونزرع فنحصد، فى ظل حكم ديمقراطى عادل، ونظام اشتراكى معتدل، يضمنان للفرد مساعدة الكل، ويكفلان للكل مساندة الفرد، ثم لايزال فينا المرتشى والمختلس واللص والمزور والمستهتر والهدام والمنافق والخائن، ومن يستحب العمى على الهدى، ويؤثر منفعة نفسه على منفعة الناس. لابد إذن لهذه الثورات الثلاث من ثورة رابعة تقوم لهن مقام الروح الملهم والشعاع الهادى: هى الثورة الدينية!

ولعل الذوق التى لايستسيغ ذكر الثورة بجانب الدين، لأن مفهومها الذى استقر طويلا فى الأذهان يتضمن التمرد والتهور والاستبداد والاضطهاد والقتل؛ ولكن هذا المفهوم قد غيرته الثورة الناصرية - وهى الثورة الأولى فى بابها من تاريخ الإنسان - فلم يبق منه إلا التحرير والتطهير والتعمير والتطوير والإصلاح. لذلك لم تخضب صحائفها البيض بالبقع الحمر، ولم تسبل على منكرات العهد الذاهب غير ستار المعروف. وعلى هذا المفهوم الجديد للثورة نريد ثورة الدين.

والدين بطبيعته وحقيقته ثورة مستمرة: ثورة على الفساد والشر، وحرب على البغى والعدوان وما دامت هذه الكبائر فى الأرض فالثورة دائمة والحرب قائمة؛ إنما نريد إذكاء شعلتها وإعلاء سناها لتجد فيها ثورتنا العامة القبس الذى يحييها بحرارته ويهديها بنوره.

والمصلح الذى أرسله الله على فترة من المصلحين ليجدد ما اندرس ويبين ما انطمس ويقيم ما انهار، هو الذى يستطيع أن يرفع الإعجام عن كلمة الله، ويدفع الإبهام عن رسالة محمد.

وهو يدرك فيما أدرك من فساد الحكم وعبث السياسة وبغى الإقطاع أن الوازع الدينى قد ضعف فى نفس المسلم، لأن نور الإسلام قد انكفأ فى قلبه أو انطفأ فى ضميره، فلم يعد إسلامه إسلام الصدر الأول الذى فتح الدنيا فى عهده وأضوى العالم إلى كنفه؛ وإنما أصبح خلطا عجيبا من العقيدة السالفة والصوفية الزائفة والأساطير الموروثة والتقاليد الدخيلة، يوهم معتقديه أن الإسلام ليس من شأنه الدنيا، وأن المسلم ليس من همه المادة، وأن ما هم عليه من رتق العقيدة وظلام الفكر وخدر الشعور إنما هو روح الدين ورضا الله وطريق الجنة. ثم لا يعدمون أن يجدوا مصدقا لما يتوهمون فى بعض ما يسمعون أو يقرأون من الأحاديث الموضوعة والأخبار المصنوعة والآراء الملفقة؛

فإن من محن الإسلام حين ضعف أهله وزال سلطانه أن امتزجت به كل نحلة، وسرت إليه كل علة، وتراءت فيه كل حالة. فكل امرئ واجد فيه ما يلائم استعداده ويناسب فهمه. فالثورة الدينية بالمعنى الذى ذكرته هى تحرير العقل من الاقتداء العاجز والمتابعة المسلمة، وتطهير السنة من الأحاديث المكذوبة والأقوال المشوبة، وتطوير الفقه فى حدود ما أنزل الله وبلغ الرسول، ليطابق مقتضيات العصر، ويجابه مشكلات الحضارة، ثم عرض هذا الإسلام الصادق الصافى على الناس فى معرض واضح ومظهر جاذب ومنهج قويم.

ذلك ما يجب أن يدخل فى تخطيط الجمهورية للسنين العشر القادمة؛ فإن النص فى الدستور على أن الإسلام دين الدولة لا يحقق معناه إلا إذا كان للدين الأثر الفعال فى التربية والتعليم والتشريع والسلوك. والأزهر بفضل ما مكن الله له فى التاريخ، وهيأ له من الموضع، وأتاح له من الكفاية، أقدر وراث النبوة على تبليغ الرسالة العظمى وتوجيه الأمة الكبرى إذا تسنى له أن يؤدى رسالته على المرسوم الذى رسمته الثورة، وبالمفهوم الذى أعلنه المؤتمر العام للاتحاد القومى إذ قال: « يعلن المؤتمر إيمانا بالدور الخطير الذى يؤديه الأزهر الشريف فى معركتنا المقدسة دفاعا عن عروبتنا وقيمنا الروحية - تمسكه بضرورة العمل على دعم هذا المعهد الإسلامى الجليل حتى يستمر منارة ترسل أشعتها العلمية والروحية إلى أرجاء العالم، - وتمكينا له من مسايرة تطورنا المعاصر - يوصى المؤتمر بضرورة العمل على أن تؤمن للأزهر الوسائل ليكون أداة صالحة لخدمة أهدافنا الروحية والقومية من تحرير الوطن العربى، وتحقيق وحدته الشاملة فى إطار مفهومات القومية الحقيقية ».

أما رسالة الأزهر فجماعها حفظ التراث الإسلامى وتنقيته من العقائد الواغلة والمذاهب الباطلة والبدع الضارة، ثم نشره على العالم عن طريق التعليم والتأليف والترجمة والدعوة.

وسبيله إلى ذلك - فيما أرى - أن يمكن من جمع هذا التراث المتفرق المشوش فى ثلاثة أسفار: سفر فى التفسير تشرح فيه الآيات الكريمة على ضوء الرواية الصحيحة والعلم الثابت، ويجمع بين ما صح من أقوال السلف وما صلح من آراء الخلف. وسفر فى الحديث يدون به ما لا ريب فيه من الكتب الصحاح ويستعان على شرحه بعلوم التاريخ والاجتماع والأخلاق والفلسفة، وسفر فى الفقه يشمل ما تواتر من الأحكام وصح من المذاهب وسلم من الآراء؛ ثم يوضع متنه موادا كالقانون ويشرح شرحا فنيا يستوعب أصوله ويستقصى

فروعه فى غير حشو ولا استطراد ولا تعمية .

هذه الأسفار الثلاثة ستكون مادة الدراسة ومرجع القضاء ومصدر الفتوى ، ثم يجرد منها مختصرات تدرس فى المدارس وتنشر فى الجمهور وتترجم مع المطولات إلى أكثر لغات الشرق وأشهر لغات الغرب ، ثم ترسل إلى كل بلد يعرف الإسلام أو يريد أن يعرفه .

أما ما عدا ذلك فما كان صحيحا بقى فى المكتبات ليرجع إليه المتخصص والمؤرخ ، وما كان زائفا صنع به ما صنع عثمان فى كل مصحف غير مصحفه ، فإن الإبقاء على الزيف من الأحاديث والآراء لبس للحق بالباطل ، وطمس للنور بالظلام ، وتعمية للطريق على السالك .

أذكر أن أحد الأساتذة الكبار عليه رحمة الله قدم رسالة بالفرنسية إلى (السربون) عن (حال المرأة فى الإسلام) نال فيها من خلق الرسول وشرعه وسلوكه . فلما أنكر عليه من أنكر استدل على كل ما ادعى بأحاديث مروية فى (طبقات ابن سعد) وفى الشفاء للقاضى عياض . ولما ردوا حجته بأن هذه الأحاديث موضوعة قال : ومايدرينى أنها موضوعة والكتب التى نقلت عنها معتمدة متداولة ؟ وأشباه هذا الأستاذ ممن ضللتهم النقول وخدعتهم الكتب يخرجون على الناس كل حين بالرأى المجازف أو الكتاب المخالف

ثم لا ينبههم نقاد الحديث إلى أن ما نقلوه منحول أو مدخول إلا بعد أن يكون الرأى قد سار والكتاب قد انتشر ! فلو أن هذه الأحاديث المفتراة لم تكن منشورة على العيون يقرأها من لا يميز بين ما اتصل منها وما انقطع لما طارت الشبه والظنون حول العقيدة .

فالثورة الرابعة غرض من أغراض الثورة ، وضرورة من ضرورات الإصلاح ، وطبيعة من طبائع الدين ، ووجيبة من وجائب الأزهر ، فإذا شبت مع الثورات الأخرى فكسحت الغثاء ونفت الخبث وطهرت شريعة الله من سموم البدع ، ونقتها من شوائب الفرق والشيع ، فوردها الناس صافية كقطرة المزن خالصة كفطرة الله ، كانت جديرة بأن تبنى للعرب المجتمع المثالى الذى يسير على صراط الله بقيادة الحق ورعاية العلم ورقابة الضمير ، فلا تجد فيه متى يكتمل بناؤه المخازى التى تقترف فى الدواوين ، ولا المآسى التى تمثل فى البيوت ، ولا المهازل التى تشاهد فى الطرق ، ولا المساوئ التى تحدث فى التعامل . ويومئذ يغتبط المصلحون بفتح الثورة ، ويعتز المواطنون بعز الوطن ، ويفرح المؤمنون بنصر الله ؟

أحمد حسن الزيات

صدى جامعة القرويين
فى الجمهورية العربية المتحدة

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد نور الحسن
وكيل الجامع الأزهر

[الكلمة التى ألقاها صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الأزهر فى الاحتفال الذى أقيم فى مدينة (الرباط) لمناسبة مرور ١١٠٠ سنة على إنشاء جامعة القرويين فى شهر أكتوبر الحالى]

أيها السادة :

أحمل لحضراتكم من القاهرة تحية الجمهورية العربية المتحدة ، وتحية الأزهر ، وتحية شيخه الأكبر وعلمائه ، وأحمل إلى المغرب وعلماء القرويين بالذات تهنئة علماء الأزهر وعلى رأسهم شيخهم : الشيخ محمود شلتوت بمناسبة الاحتفال بمرور قرابة أحد عشر قرنا على إنشاء جامع القرويين ، الذى أصبح فيما بعد مركزا فى المنطقة الغربية من العالم الإسلامى لدراسة التراث الإسلامى والعربى .

والقاهرة - عاصمة الجمهورية العربية المتحدة ومقر الأزهر - تذكر لجامع القرويين كثيرا من أوجه الشبه التى تربطه بالأزهر ، وتجعله من ذلك صنوا له ، فى تاريخه وفيما حدد له من رسالة ، وفيما واجهه من أحداث ، وفيما له من مواقف إزاء العدوان الأجنبى على الوطن العربى وعلى مقومات الثقافة الإسلامية والعربية .

(ا) هناك التشابه بين الأزهر الذى قام بالقاهرة وجامع القرويين الذى قام بفاس فى نقطة البداية . كل منهما قام على أنه مسجد ، ثم أصبح بعد ذلك مسجدا جامعا لفترة من الفترات ثم مقرا للدراسات الإسلامية والعربية .

(ب) وعند ما صار كل منهما مقرا للدراسات الإسلامية والعربية تناولت الدراسة فيهما جميع فروع المعرفة المختلفة التى يتكون منها التراث الإسلامى والعربى .

فبجانب علوم اللغة والفقه وعلوم التفسير والحديث والعلوم الأخرى الدينية كانت الطبيعة وكان الطب وكانت الرياضة وكانت الفلسفة ، كل منها يكون جانبا من جوانب فروع المعرفة التى عنى بها الأزهر وجامع القرويين . وكان لكل فرع من هذه الفروع

علماء مبرزون هنا وهناك يرحل إليهم طلاب العلم ويقيمون لديهم فترة طويلة أو قصيرة للتلمذة عليهم فى موضوع المعرفة والتعرف على منهجهم فى البحث. وكان من أشهر العلماء فى الأزهر الأئمة العلماء: ابن الحاجب، وخليل والخرشى، والزرقانى، والعدوى، والدرديرى والأمير، والبنانى، وابن السبكى، وجلال الدين المحلى، والسيوطى، وشيخ الإسلام زكريا الأنصارى، وابن حجر، والعينى، والأسنوى، والأشمونى، والصبان، والملوى، وابن الهيثم الذى وضع الأسس العلية لنظريات نيوتن فى علم الطبيعة. وكان من أشهرهم فى القرويين: الأئمة العلماء الحافظ أحمد بن على بن قاسم الزقاق، والمفتى محمد بن قاسم القصار، والفقيه أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجى، والمتكلم أبو عمرو السلاجى وهو من طبقة أبى المعالى الجوينى فى الشرق، والمحدث ابن رشيد السبتى والحافظ أبو العلاء العراقى، واللغوى ابن زاكور، والرياضى ابن البناء المراكشى، والطبيب أبو القاسم الوزير.

(ج) وكان هناك تشابه بين الأزهر وجامع القرويين فى طريقة الدرس وفى منهاج البحث: فكانت هناك الحلقة، وكانت هناك المناقشة، وكانت هناك المحاضرة والتعقيب عليها، وكان أسلوب الدراسة فى واقع أمره أسلوباً لتربية العقل، وتخطيط طريق التفكير والوصول إلى الحق فى ذاته. وما كان للجامع الأزهر ولجامع القرويين من أسلوب فى البحث إذ ذاك هـــو ما للجامعات المعاصرة اليوم فى منهج البحث.

(د) وهناك التشابه فيما طرأ على التعليم فى كل منهما من تغيير وما أصابه من تقلبات، تبعا للعهود السياسية التى مرت على كل من القاهرة وفاس: فنجد تشابها فى طابع التعليم أيام أن حكم الفاطميون فى مصر والأدارسة فى المغرب، وتشابها فى طابع التعليم أيام أن حكم الأيوبيون بمصر والموحدون بالمغرب. كما نجد تشابها فى إطار المعرفة نفسه: اتسع فترة فشمل جميع الفروع المختلفة التى يضمها اسم التراث الإسلامى والعربى، وضاق فى فترة أخرى فلم يشمل علوم الرياضة والطبيعة والطب والفلسفة.

(هـ) وهناك تشابه كذلك بين الأزهر والقرويين فيما مر على التعليم فى كل منهما من مراحل الإصلاح والتطور: سواء فى طريقة التعليم أو فى نظام الاختبار أو فى تعدد المراحل أو فى منهاج المواد، أو فى تغيير الكتاب: فقسمت مراحل التعليم فى كل منهما إلى ثلاث، وأخذ بنظام المحاضرة بجانب نظام الحلقة فى طريقة التدريس، ورتبت كتب التعليم

على حسب ما بينها من اختلاف فى الحجم وفى أسلوب التعبير ، وعلى أية حال لم ينتقل التعليم فى كل منهما طفرة ليساير الوضع الغربى سواء بسواء بسبب ما لكل منهما من طابع المحافظة على ما ورثناه من تراث روحى وفكرى وعلمى ، وما لها من طابع التمسك بالقيم التى خلفها آباؤنا فى حياتنا وتوارثناها جيلا بعد جيل . وربما كان لهذا الطابع الذى للأزهر وجامع القرويين على السواء دخل كبير فى مقاومة الغزو الفكرى ، والغزو السياسى والاقتصادى للوطن العربى .

(و) ويسوقنا من أجل ذلك الحديث عن وجه التشابه بين الأزهر وجامع القرويين فى موقف كل منهما تجاه المستعمرين الغازين ، وفيما قام به كل منهما من حمل راية الجهاد والكفاح ضد المستعمر الأجنبى ، وفيما أصاب كلا منهما من نقمة المستعمر وعنته ، وفيما سببه المستعمر لحملة التراث الإسلامى والعربى فى كل منهما من أذى وأضرار مادية وأدبية فى المجتمع العربى الخاص والعام . وفيما ضيقه من خناق على هؤلاء وأقامه من عقبات فى سبيل سعيهم فى الحياة ، وفى الحصول على وضع فى المجتمع يجعل منهم مواطنين لهم ما لمواطنيهم الآخرين من حقوق ، وعليهم ما عليهم من واجبات .

(ز) وهناك التشابه بين الأزهر والقرويين فى حفظ التراث الإسلامى والعربى وصيانته من التبديد والضياع . فلم تفتر عناية كل منهما عن رعاية حفظ القرآن الكريم ودرسه وتفهم معانيه ولم تفتر رعاية كل منهما عن نقل ما كان للأولين العرب والمسلمين إلى خلفائهم من بعد جيلا بعد جيل من أفهام فى القرآن ، ومن حلول لمشاكل الحياة ومن معارف كانت تدور فى محيطهم الثقافى . وقد كانت صدور علماء وطلاب كل من الأزهر وجامع القرويين مقرأ للقرآن الكريم ، وكانت عقولهم مرجعاً لتفكير المسلمين ، وكانت ألسنتهم تنطق بأسلوب كتاب الله ، وهو الأسلوب العربى المبين . فحفظوا القرآن من التحريف ، وحفظوا التفكير من الضياع .

(ح) وهناك التشابه بين الأزهر والقرويين فى تأثر الأزهر بعلماء بغداد الذين وفدوا فى عهد المماليك إلى القاهرة فى سنة ٦٥٦ هـ بعد سقوط بغداد ، وفى تأثر القرويين بعلماء الأندلس الذين وفدوا إلى المغرب بعد سقوط الأندلس فى القرن الرابع عشر الميلادى .

(ط) وهناك التشابه فى حركة الإصلاح القوية التى قام بها محمد عبده فى الأزهر فى نهاية القرن التاسع عشر والشيخ أبو شعيب الدكالى فى القرويين فى أوائل القرن العشرين .

(ى) وهناك التشابه بين الأزهر وجامع القرويين فى تربية الحماس القومى ، وتنمية الروح الوطنى ، والقيام بالحركات المعبرة عن سخط الوطن وتكوين الرأى العام ، والدفع إلى بقائه فى النضال بين الدخلاء الغاصبين وبين أصحاب الوطن المعتدى عليهم .

كل هذه الأوجه من التشابه بين الأزهر وجامع القرويين تجعل لجامع القرويين فى القاهرة صدى قويا لا يتضاءل ولا يضعف مهما فرق الاستعمار فيما مضى بين أجزاء الوطن الواحد ومهما حاول بأساليبه المختلفة أن يضعف من الصلات الثقافية والترابط الروحى بين فاس والقاهرة ، ومهما حاول وبذل فى وضع العقبات المادية والمعنوية فى طريق لقاء العربى القاهرى بالعربى المغربى .

وإن احتفال اليوم بمرور أحد عشر قرنا على جامع القرويين سوف يترك صداه وأثره فى القاهرة ، وسوف يذكر بتلك المواقف التاريخية التى وقفها جامع القرويين فى صيانة الوطن العربى وتراثه الروحى والثقافى وصيانة لغة الإسلام وهى اللغة العربية .

وسوف تذكر القاهرة بالفخر لجامع القرويين هذه الأمجاد كما تذكر للأزهر سواء بسواء هذه المواقف والأمجاد نفسها فى تاريخ الوطن العربى فى المنطقة الشرقية منه .

وإن الاستقلال الذى حظى به المغرب ، وحظيت به مصر يرجع كثير من الفضل فيه إلى جامع القرويين هنا والأزهر هناك . ومن أجل هذا كان على جامع القرويين وعلى الأزهر على السواء مهمة جديدة بعد هذا الاستقلال وهى الاستمرار فى حفظ مقومات المجتمع الإسلامى والعربى بحفظ تراثنا الروحى ولغتنا العربية الإسلامية ، ولكن بصورة تجعل من أبناء الجيل المعاصر مؤمنين أقوياء بعروبتهم وبإسلامهم فى مواجهة ما يتحداهم من غزو فكرى وثقافى .

والأمل كبير هنا وهناك فى أن يقوم الأزهر ويقوم جامع القرويين بهذا الدور بعد الاستقلال ليضيفا مجدا إلى أمجاد وموقفا تاريخيا إلى مواقف تاريخية أخرى .

ونحن هنا اليوم نحتفل باسم الأزهر معكم ، وفى بلدكم الطيب بمرور أحد عشر قرنا على إنشاء جامع القرويين ولنا أمل كبير أن تحتفلوا معنا غدا بقاهرتنا العزيزة بمرور عشرة قرون على جامعتنا الأزهرية الخالدة .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمد نور الحسن

وكيل الجامع الأزهر

الأدب العربي القديم

أدى رسالته ويؤديها

للأستاذ عباس محمود العقاد

كثرت فى العصر الحاضر دعوات التغيير والتبديل فى مذاهب الفن والفكر والعقيدة وسائر المذاهب التى تشترك فيها الجماعات البشرية .

وعمت هـــذه الدعوات أقطار العالم ، وأجناس الأمم ، ولم تخصنا نحن فى بلادنا الإسلامية أو العربية .

ولا يستغرب انتشار هـذه الدعوات فى العصر الحاضر لأن أسبابه كثيرة منتظرة قد نجملها فى سببين جامعين : « أحدهما » تلك الرجة العنيفة التى زلزلت أركان العالم بعد الحربين العالميتين ، فلم تدع أمة من أممه على حالة كانت عليها ، و « ثانيهما » شيوع حرية الرأى بين مئات الملايين من الخلق ، بعضهم حسن الثقافة ، ومعظمهم جهلاء فى حكم الأميين ، ولكنهم جميعا ينزعون إلى الاستقلال بالرأى والذوق ، ويقابلون التعليم أحيانا بالتحدى والمقاومة إلى أن يبلغ منهم مبلغ الإقناع أو الطاعة والقبول .

وليست دعوات التغيير كلها نهجا واحداً أو سواء فى قيمتها ، فمنها الصالح المستحسن ، ومنها المتعجل المردود ، ولكنه يصدر عن نية حسنة فلا يستر وراءه باطنا غير الظاهر المتكشف للأبصار والأسماع ، ومنها ما هو من قبيل المكيدة المبيتة لترويج مذاهب الهدم ، وتقويض الدعائم التى تقوم عليها المجتمعات الإنسانية .

والغالب على الدعوات الصالحة أنها إحياء للقواعد السليمة يزيدها قوة ومنعة ولا يمسها فى أساسها بغرض من أغراض الهدم والتقويض ، فهى فى جوهرها محاربة للجمود وخروج بالعقول الإنسانية من سنن الآلات إلى سنن الأحياء الذين يطبقون القواعد فى زمانهم على بصيرة وعلم بما يقتضيه اختلاف الأزمنة والأحوال وكل دعوة من هذه الدعوات الصالحة خليقة أن تترك بعدها قواعد قائمة تضيف إلى ما تقدمها أو تعززه وتقويه ، فهى من عوامل التدعيم والتقويم وليست من معاول الهدم والتقويض .

أما الدعوات المتعجلة ، فإنها تحمل على وجهها طابع العجلة الذى يكشف عن حقيقتها لأيسر نظرة وأقرب روية ، ومثلها فى كل عصر مثل الأزياء التى يقبل عليها طلاب التغيير والتسلية ويعرضون عنها ، كما أقبلوا

عليها بغير سبب مقنع غير « اتباعهم كل ناعق » ، وإيثارهم الناعق الطارئ على الناعق المألوف ، وليس أهون من شأن هذه الدعوات المتعجلة على ناقد يعرفها ويعرف أمثالها ، ويستطيع أن يبطل لغوها بمجرد الإشارة إليه ؛ لأنه من السخف والتهافت بحيث تدفعه إشارة عارضة تنبه الأذهان إلى مواضع الخطأ فيه .

وأصعب من هذه الدعوات علاجا دعوات الهدم والتقويض التي تتراءى للناس فى أثواب النفاق ، وتموه عليهم المكيدة باسم الدعوة إلى الحق والغيرة على الإصلاح . فإن مهمة الناقد هنا مضاعفة مشتبكة ؛ لأنها مهمة الكشف عن الخطأ ، ومهمة الكشف عن سوء النية ، ومهمة التغلب على الأهواء النفسية التى يثيرها دعاة الهدم والتقويض لتخدير العقول ، واجتذاب الأسماع للإصغاء والاقتناع .

وليست هذه الدعوات خاصة بنا فى بلادنا الإسلامية أو العربية ؛ لأن مذاهب الهدم تلقى شباكها حول العالم كله ، ولا ترى أنها تنجح فى بلد واحد ما لم تتردد وتتجاوب فى غيره من البلدان .

ولكن الأمر الذى يخصنا نحن أن الحملة على اللغة فى الأقطار الأخرى إنما هى حملة على لسانها أو على أدبها وثمرات تفكيرها على أبعد احتمال ، ولكن الحملة على لغتنا نحن حملة على كل شيء يعنينا وعلى كل تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدينية وعلى اللسان والفكر والضمير فى ضربة واحدة ؛ لأن زوال اللغة فى أكثر الأمم يبقيها بجميع مقوماتها غير ألفاظها ، ولكن زوال اللغة العربية لا يبقى للعربى أو المسلم قواما يميزه من سائر الأقوام ، ولا يعصمه أن يذوب فى غمار الأمم فلا تبقى له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا إيمان .

* * *

آخر هذه الدعوات التى تعجل بها المتعجلون ودسها معهم الدساسون أن الأدب العربى القديم أدب عتيق لا يصلح للبقاء لأنه كان أدبا « شخصيا » ، ولم يكن أدبا اجتماعيا يخدم الأمم ويمثل حياتها لها أو لمن يقرأ تاريخها من بعدها .

ويكفى أن نعلم أثر الأخذ بهذه الدعوة لنعلم أنها لا تبرأ من شبهة الكيد والنفاق ، وإن تعجل بها أناس من المخدوعين بها على غير علم بعقباها أو على استخفاف بهذه العاقبة .

فإن انقطاع الصلة بيننا وبين ماضينا فى اللغة والأدب أشبه شيء بتجريد الإنسان من الذاكرة وتركه فى أيدى المسخرين له أداة طيعة منقادة لكل ما تقاد إليه ، بل الأمر أخطر من ذلك وأوخم عقبى ، لأن فاقد الذاكرة يبقى

له قوام آدمي ينتفع به على حسب استعداده للنمو والتعلم ، ولكن فقدان اللغة والأدب عندنا يشل ذلك الاستعداد ولا يبقى بعده « قوما إنسانيا لهم قوام » .

أما جانب التعجل من هذه الدعوة فخطبه هين كما تقدم ، وخطؤه ظاهر لا يحتاج إلى أكثر من سطر واحد للإشارة إليه ، وليس له بعد الإشارة إليه من قدم يثبت عليها .

فنقول أولا وآخراً : إنه لا يوجد في العالم أدب يثبت بين قومه جيلا بعد جيل دون أن يكون فيه ما ينفعهم ويعبر عن حياتهم ولو كان مداره كله على الموضوعات التي يسمونها بالشخصيات ، وهي لا تقبل الثبات بعد جيلها لو لم تكن من صميم « العموميات » .

أي موضوع - يبدو أنه من مواضيع «الشخصيات » ألصق بها من موضوع المديح أو موضوع الهجاء ، أو موضوع الغزل أو الرثاء ؟ .

قد يبدو المتعجل أن قصيدة المدح كلام لا يعني أحدا غير السيد الممدوح والشاعر المادح ولا فائدة فيها لأحد بعد ذلك غير كاسب المدح وكاسب العطاء .

وليس أظهر من هذا الوهم عند أقرب نظرة فإن قصيدة المدح لو كانت كذلك لما استحقت من الممدوح نفسه أن يبذل فيها درهما واحدا ، ودع عنك المئات والألوف مما يذكره الرواة في أحاديث الجوائز والهبات .

فلولا أن المجتمع يستفيد شيئا من القصيدة ويحفظها لهذه الفائدة لما احتفى بها الممدوح ولا جاشت بها ملكة التعبير في الشاعر :

إن المجتمع يستفيد من القصيدة أنها تحيي فيه أخلاقا لا قوام له بغيرها في قيادته وسياسته ومعاملاته المتبادلة بين أفراده ، وتلك هي أخلاق الشجاعة والرأي والحزم والكرم والمروءة والحياء ، وشمائل النبل والفداء ، ولم يخطئ أبو تمام حين قال :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بناة العلا من أين تؤتى المكارم

فهذا على التحقيق هو « دور » الشعر في بناء المجتمع والمحافظة على قوامه وأسس تكوينه والدفاع عنه ، وإنه لمن الفهاهة أن يقال : إن الشاعر قد يمدح من لا يستحق المديح وقد يسكت عن إسداء الثناء إلى من يستحقه . فهكذا يمكن أن يقال عن الخطأ والانحراف في تطبيق القانون ولا يقول أحد - من أجله - بإلغاء الحاكم وإسقاط القوانين .

وربما سلم الناقد المتعجل بدور المدح في المحافظة على قوام المجتمع ولم يسهل عليه أن يسلم بمثل ذلك لشعر الهجاء ، فإنه أقرب إلى سقط القول من شعر المديح باستحقاق أو بغير استحقاق .

إلا أن الناقد المتعمق في دراسة المجتمعات

قد يحكم على شعر الهجاء حكمه « الأخلاق » كما يشاء. ولكنه لا يستطيع أن يهمله فى الاستدلال على المجتمع وأخلاق خاصته وعامته وأخلاق شعرائه وأدبائه ووظيفة الأدب والثقافة المعترف بها بين جملة أبنائه.

فمن شعر الهجاء نعرف الصفات التى تحقر صاحبها بين أبناء عصره، ومن الاعتدال فى الذم أو المبالغة فى الفحش نعرف كيف كان المجتمع سليما يكفى فيه القليل من اللوم للمساس بمنزلة الملوم، أو نعرف كيف كان المجتمع موبوءا ملوثا بالعيوب لا يهان فيه المهجو بما دون الإلحاش البالغ فى اتهامه بالرذائل والشبهات، فلا يكفى فيه اللوم القليل لإسقاط الرجل الرفيع فى أنظار عامة قومه، بل لا بد من الهبوط بذلك الرجل إلى الحضيض ليزدريه من يوقره ويرعاه، وقد نعرف من الهجاء هل يهان الرجل لاتصافه بالرذائل المنسوبة إليه أو يهان لاجتراء الشاعر عليه واستخفافه بسطوته وقدرته على الانتقام والتنكيل بأعدائه؟ ونعرف - بعبارة أخرى - أن استبداد الحاكم أهم عند هذا المجتمع من صفاته الصحيحة أو المكذوبة فى معايير الأخلاق.

ولا ريب أن وظيفة الأديب تتمثل لنا من مقدار تعويله على المدح والذم فى تحصيل رزقه، ومن مروءته أو سقوط مروءته فى التوسل بالوسائل المقبولة أو المحظورة لاستدرار الرزق واستحقاقه من الممدوحين، جزاء للبلاغة والإجادة وحسن التقدير أو خوفا من البذاء وحياء ممن لا يبالى الحياء.

* * *

ولو كلف نقادنا المتعجلون أنفسهم مؤنة النظر إلى أقوال النقاد الغربيين الذين ينتحلون آراءهم لعرفوا شيئا عن أثر الغزل العربى الذى زعموه لغوا ذاهبا بغير أثر، ولفظا كاذبا لا يعبر عن عاطفة إنسانية صادقة، ولا عن حياة اجتماعية صحيحة. فإن مؤرخى الآداب الأندلسية قبل الفتح العربى وبعده قد أوشكوا أن يتفقوا على أثر هذا الغزل فى تحول آداب الفروسية وشئون المرأة والبيت التى تتصل بهذه الآداب، وقد نسبوا إلى الغزل العذرى والغزل الصوفى آثارا متغلغلة فى تقاليد القوم وخواطرهم الدينية، ويتواتر هذا الرأى فى كتبهم فلا يتكلف ناقدنا المتعجل جهدا فى مراجعته حيث التمسه من تواريخ الآداب الأندلسية التى تعد بالعشرات.

وفى وسعهم، بغير الرجوع إلى أولئك النقاد الغربيين، أن يدركوا أن غزلنا العربى يعلمنا - بين الكثير مما تعلمه من الشعر البليغ - كيف كان ناظموه ومنشدوه ينظرون إلى محاسن المرأة الجسدية والنفسية وكيف كان الرجل فى العصور المتوالية يكسب عطف

المرأة وإعجابها ويكسبها عطفه وإعجابه ، وكيف كانت خلائق الجنسين فى علاقات التحية ، وعلاقات المعيشة ، وكيف كانت علاقات البيت والزواج إلى جانب علاقات الجنسين فى الحياة العامة . وكيف كانت عواطفهم القويمة وعواطفهم المنحرفة بين عهود الفطرة وعهود الترف وعهود الاختلاط بالأمم الأجنبية . ولا يطلب من فن من فنون الشعر فى اللغة العربية أو سواها أن يصور لنا العالم الذى يشيع بين أبنائه تصويرا أصدق من هذا التعبير .

* * *

ومن لم يفهم من شعر الرثاء فى اللغة العربية إلا أنه شعر بكاء ينتهى بانتهاء مأتمه فليس له أن يتصدى لفهم أدب ولا أن يستخلص أحوال الناس عامة من أقوال الشعراء أو أقوال المؤرخين .

فنحن قد ننسى أسماء الموتى المبكيين فى دواوين شعرائنا الأقدمين ثم نخرج منها بالفائدة الأدبية والفائدة الاجتماعية التى تستفاد من كلام جدير بالاطلاع عليه كيفما كان .

فمن هذا الشعر تتبين قيم الحياة الفانية وقيم الحياة الباقية عند ناظميه والمستمعين إليه ، ومنه تتبين عواطف الحزن ودواعيه التى تنم عن مآثر الأموات والأحياء ومنه تتبين كل خلق يتجلى فى موقف الفراق الأخير ويحمده الناس فى مقام العزاء والوفاء ، ولا تتبين دلالة الرثاء العربى على « الحياة العربية » من شىء كما تتبين فى تخصصه بالناطقين بالضاد وقلة المشابهة بينه وبين أشعار الأمم فى رثاء موتاها ، وإن كان الموت قضاء على الأحياء فى كل أمة وكل لسان .

فالأدب الذى يصح أن يسمى بالأدب « الشخصى » لا وجود له حيث يعيش الأدب جيلا بعد جيله ولا نقول جيلين ولا ثلاثة أجيال ، وقد عاش الأدب العربى كما نعلمه الآن أكثر من خمسين جيلا إذا حسبنا أن الإنسان الواحد تتلاقى فى حياته ثلاثة أجيال .

ومن فضول القول أن نزيد على فضائل الأدب العربى أنه دروس لغة تقوم اللسان وتهدى إلى أساليب التعبير عن خوالج النفس ومعانى الأفكار ، ولا تزال هذه الفضيلة بغية الحكماء والمرشدين إلى هذه اللحظة من القرن العشرين قرن العلوم والصناعات والمنافع المادية والمذاهب التى لا تبالى جمالا فى القول ولا جمالا فى الأخلاق . فإننا نكتب هذه المقال وأمامنا قوائم بأسماء أشتات من الكتب تبحث فى السيمية Semantics وفى « معانى المعانى والألفاظ » وفى تصحيحات قضايا المنطق الواقع التى تقوم على تعديل الأداء اللفظى فى عرض

الفروض والبراهين، وكل أولئك خلاصته أنه تعليم لغة وتعبير، لا يستغرب الإنسان أن يوليه العالم المتحضر هذه العناية إلا إذا نسي هذا الإنسان أنه «حيوان ناطق» قبل كل شيء.

إن خطب النقد المتعجل هين كما أسلفنا في صدر هذا المقال؛ لأنه يحمل طابع الخطأ على وجهه فلا يحتاج إلى أكثر من الإشارة إليه، وهذه الإشارة تقول في كلمات معدودات: إن الأدب الذي يعني شخص قائله ومشتريه بالمال لن يعيش يوما واحدا في عمر أصحابه، فإن عاش خمسين جيلا فهو أدب أناس آخرين غير القائلين والمشترين.

وخطب الناقدين المغرضين عسير لما يبديه من ظاهر خادع وباطن مستور، ولكنه قد يكون في هذه القضية أهون من نقد المتعجلين؛ لأن الغاية منه تحقق مآرب العاملين عليه خفية وجهرة، ولا شك في وجود هؤلاء العاملين عليه ولا في الغاية التي يقصدون إليها وحسبنا هذا وذاك من تحذير غني عن التوكيد والتكرير.

عباس محمود العقاد

لا قطع! وغرم ابن حاطب الضعف!

أو [ادرءوا الحدود بالشبهات]

روى أن غلمانا لابن حاطب بن أبي بلتعة سرقوا ناقة لرجل من مزينة، فأتى بهم عمر، فأقروا، فأمر كثير بن الصلت بقطع أيديهم، فلما ولى ردّه، ثم قال أما والله لولا أني أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه لحل له، لقطعت أيديهم. ثم وجه القول لابن حاطب بن أبي بلتعة فقال: وايم الله إذ لم أفعل ذلك لأغرمنك غرامة توجعك، ثم قال: يامزني، بكم أريدت منك ناقتك؟ قال: بأربعمائة. قال عمر لابن حاطب: «اذهب فأعطه ثمانمائة».

الإيمان بالله

للدكتور محمد البهي

تحدث الناس واختلفوا فى حديثهم حول الإيمان بالله .

وحديث الناس عن الإيمان بالله ، وعن قيمته ، واختلافهم فى هذه القيمة ليس حديث اليوم ، ولا حديث الأمس القريب أو الأمس البعيد ، وإنما هو حديث يتكرر وسيتكرر الحديث عن الإيمان وقيمته ، طالما الإنسان هو الإنسان ، يختلف فى تفكيره ، وما يراه منطقا اليوم يراه غدا وهما أو باطلا .

إن بعض الناس يرى ضرراً فى الإيمان بالله وبعضاً آخر يرى عدم ضرورته فى الحياة . وهناك من يرى ضرورته ووجوبه ، كى يصلح الفرد ويسعد المجتمع .

وهؤلاء الناس الذين يرون ضررا فى الإيمان بالله هم فى واقع الأمر لا يريدون رفع الإيمان من حياة الإنسان ، وإنما يريدون نقل الإيمان من دائرة الإيمان بالله إلى دائرة الإيمان بشيء آخر ، والسبب الذى حملهم على نقل الإيمان من دائرة الله إلى دائرة شيء آخر ، هو الاستئثار بالسلطة فى التوجيه والقيادة ، أو الخروج على الأقل عما يسمى تبعية ووصاية .

فالذى يعرف أن الإيمان بالله احتكرته فى أوروبا هيئة دينية معينة ، وكانت تمارس عن طريق احتكارها للإيمان بالله سلطة فى فهم الدين ، وفى توجيه الناس : فى تفكيرهم ، وسلوكهم على السواء .

وهذا الوضع أثار بعض المفكرين وأثار فيما بعد بعض رجال السياسة فأنكروا على تلك الهيئة المهيمنة سلطتها فى فهم الدين وبالتالى سلطتها فى التوجيه ، وعندئذ رغبوا فى التخلص من هذه التبعية التوجيهية ، ونادوا بالتحرر من سلطة هذه الهيئة ، وهنا نادى بعض رجال الفكر بنقل الإيمان من الله إلى العقل الإنسانى ، ثقة فى قدرة هذا العقل ، وفى استقلاله فى التوجيه ، دون حاجة إلى أن يتلقى التوجيه من سلطة أخرى أجنبية عنه ، وهى تلك السلطة التى تمارسها الهيئة الدينية ، وعندما دعا هذا البعض إلى الإيمان بالعقل ، بالغ فى قيمته ، وجعل له خالقية فى حياة الإنسان .

ومع ذلك لم تسلم هذه الدعوة من نقد ؛ لأن العقل الإنسانى مهما سما ، ومهما تجرد عن الهوى والغرض فى الحكم والتخطيط والتوجيه ، فإنه يتأثر بظروف الإنسان . وهى ظروف متقلبة ومتغيرة ، فالإنسان يشعر بطمأنينة فى لحظة ، ويقلق فى لحظة أخرى تالية ، ويشعر بالصحة فى آن وبالمرض فى آن آخر ، ويشعر بمتعة فى وقت ، وبمرارة فى وقت آخر . . . وهكذا فهو موجود غير ثابت ولذا تفكيره - وهو عملية عقله - غير مستقر كذلك ، ولذا ما يأتى به من أحكام ، أو تصورات وإدراكات لا يخلو من هذا الاضطراب ، وعندئذ لا يصلح أن يكون تفكير الإنسان قانونا يصلح لتوجيه قوم معينين ، فضلا عن أن يصلح لتوجيه البشرية كلها .

وإزاء هذا الاعتراض على قيمة العقل واستغلاله فى التوجيه ، نادى بعض المفكرين فى عهد آخر لاحق بنقل الإيمان من دائرة الله ومن دائرة العقل الإنسانى معا ، إلى دائرة الحس والواقع ، وبرر ما دعا إليه على هذا النحو بأن الدين الذى هو مصدر الإيمان بالله لا يخرج عن كونه مصدر تغرير للإنسان ؛ لأنه فهم الدين من تصرفات رجال تلك الهيئة الدينية المعينة التى احتكرت السلطة فى تفسيره والسلطة فى توجيه الإنسان معا . كما برره بأن العقل إذا استقل عن الحس والواقع ، فهو مخدر خداع للإنسان ؛ لأن العقل كثيراً ما يضل ، وكثيراً ما يتوهم ، وتثبت بعد ذلك بتثبيت الإيمان فى دائرة الحس والواقع .

ورأى أن الواقع هو كل شىء فى حياة الإنسان ، وأن على الواقع أن يملى ، وأن على الإنسان أن يطيع ، وما يأتى به الواقع هو قانون الحياة ، وأن ليس الإنسان إلا طبيعة منفعلة بقوانين الحياة .

وكما لم تسلم دعوة نقل الإيمان من دائرة الله إلى دائرة العقل الإنسانى من نقد ، لم تسلم هذه الدعوة الأخرى ، التى تنادى بنقل الإيمان من دائرة الله والعقل معا إلى دائرة الحس والواقع من تعثر كذلك . وربما كان ما يوجه من نقد إلى هذه الدعوة أعنف وأشد ، أو أوضح وأبين . لأن الحس والواقع إذا كان من طبيعته أن يملى ، فالإنسان هو أيضا من الحس والواقع . ولذا فهو يملى كذلك . فإذا أملى غيره فى الحس والواقع عليه فهو يملى على غيره فى هذا الحس والواقع كذلك ، وإذن هو متفاعل مع الحس والواقع ، وليس منفعلا فقط ومعنى ذلك : أنه يعطى ويأخذ ، ويوجه ويتوجه ، ويؤثر ويتأثر ، وليس شيئا سلبياً ينفعل بغيره دوما .

ومعنى ذلك أيضا أن للإنسان إيجابية ،

كما أن للواقع إيجابية . فدعوى نقل الإيمان من دائرة الله ومن دائرة العقل إلى دائرة الحس والواقع وحده دعوى قائمة على المبالغة وعلى الخداع بالحس والواقع ، كما قامت تلك الدعوة الأخرى التي نادت بنقل الإيمان من دائرة الله إلى دائرة العقل على المبالغة والخداع والعقل .

ومعنى هذا أن قصر الإيمان على العقل وحده ، أو على الحس أو الواقع وحده ، فيه الضرر كل الضرر ، لأنه قائم على المبالغة والخداع ، وليس الأمر على نحو ما أراد بعض هؤلاء المفكرين من تصويرهم الإيمان بالله بأنه ضرر على الإنسان .

والفريق الآخر الذي يرى عدم ضرورة الإيمان بالله في حياة الإنسان — يذكر أنه ما دام في الإنسان ضمير ، يوجهه نحو الخير فلا حاجة إلى إيمان بالله ، لأن الغاية من الإيمان بالله حمل الإنسان على فعل الخير ، وعلى اجتناب المنكر والضار

ومع ما يبدو في هذه الدعوة من مظهر الإقناع ، فإنها لا تلبث أن تكشف عن وهم . إذ أن لسائل أن يسأل : هل كل إنسان عنده ضمير يدفعه إلى الخير ؟ فإذا كان الجواب لا ، فيسأل مرة أخرى : ما هو مصدر تكوين الضمير عند الإنسان ، إذا لم يكن الضمير أمراً فطرياً ولازما عند كل فرد ؟ .

هل الفلسفة هي مصدر تكوين الضمير ؟ .
أية فلسفة هي التي تكون مصدر تكوين الضمير .

وأي فيلسوف هو صاحب هذه الفلسفة التي تكون الضمير ؟ . وهل هذا الفيلسوف إنسان تجرد عن ظروف الإنسان العادي وتقلبه ، وعن عوامل البيئة والوراثة ؟ .

هل هو لا يمرض ولا يصح ؟ هل هو لا يقلق ولا يطمئن ؟ .

هل هو لا يثور ولا يغضب ؟ هل هو صاحب مزاج واحد لا يتقلب فيه بين متعة مرة ومرارة أخرى ؟ وأين يوجد هذا الفيلسوف ؟ وفي أي قوم يوجد ؟ ولأية جماعة ينتسب ؟ أينتسب لجماعة البيض أم لجماعة السود ؟

إذا لم يكن الفيلسوف على هذا النحو ، ففلسفته لا تصلح أن تكون مصدراً لتربية ضمير إنساني يعلو على الحزبية والهوى ويسمو عن الغرض ، ويفعل الخير للناس جميعا .

ولكن حتى هذه اللحظة لا نعرف مقر هذا الفيلسوف .

وإذن فإن مصدر تكوين الضمير لدى الإنسان لا بد أن يكون مصدراً عاما للبشر جميعاً ، فوق الهوى وفوق الغرض ، فوق ألوان البشر وفوق أجناسهم . وليس هذا المصدر إلا رسالة الله . لأن الله هو خالق الناس جميعاً ومدبر الكون كله وهو بالناس رءوف رحيم .

وإذن لا مفر من الإيمان بالله ، إذا أردنا ضميراً فى الإنسان يدفعه نحو الخير. ومن خداع أنفسنا أننا نعتمد على العقل وحده ، كما نعتمد على الواقع وحده .

والواقع أن الإيمان بالله ضرورة بشرية ، يحتمها وجود الإنسان ، وتحتمها طبيعة الإنسان . إن من طبائع الإنسان أن يطيع وأن يعصى ، أى أن من طبيعته أن يختار التبعية ، أو الانفصال عنها . وهو إذا أطاع لا يطيع إلا من هو متفوق عليه فى القوة ، فى الاستغناء وعدم الحاجة ، فى المنح والإعطاء ، فى حسن التدبير وحكمة المعالجة. إلى غير ذلك من أسباب التفوق . وإذا أطاع الإنسان إنسانا غيره لمعنى من معانى التفوق، فإنه لا يلبث أن يتوقف عن هذه الطاعة له، إذا أصبح هو متفوقا مثله ،أو إذا انكشف نقص فى ذلك الذى كان يطيعه . والإنسان هو الإنسان ، لا يتفوق إطلاقا ، ولا يستمر اعتقاد التفوق فيه .

ولذا كانت الطاعة الدائمة لذلك الموجود الدائم فى تفوقه ، وليس هناك فى الوجود متفوق على الإنسان تفوقا دائما إلا الله .

فالإيمان بالله إذن تمليه طبيعة الإنسان .

وإذا كان الإيمان بالله تمليه طبيعة الإنسان ففائدته تتجلى فى أن الإيمان بالله أساس الإيمان بالرسالة التى يأتى بها الرسول ورسالة الرسول ما هى إلا تخطيط للصراط المستقيم، الذى إذا سلكه الإنسان استقام الفرد والمجتمع معا ، وهذا التخطيط للصراط المستقيم هو وحى الله ، أى وحى ذلك الموجود المتفوق على الدوام ، ذلك الموجود المرتفع فوق الأجناس البشرية وألوانها ، وفوق الأغراض والهوى ، وفوق الحاجات وفوق التقلبات والأزمات ، لان المتفوق دائما لا يفتقر ولا يحتاج ، ولا يتقلب ولا يتطور ، وإنما هو متفوق لأن ذاته متفوقة .

وإذا آمن الإنسان بهذه الرسالة ، وهى رسالة التوجيه الخير ، عندئذ يفيد نفسه ، ويفيد غيره معه فى مجتمعه. لأن فائدة الإنسان ليست إلا لأنه مستقر مطمئن . ولا يكون الإنسان مستقرا مطمئنا إلا إذا عرف منزلة نفسه ومنزلة غيره فى وجوده معه ، واستعان فى علاقته به، وأدرك أخيرا أنه وهو أخوان، وإن غايتهما الخير والسلام .

ولا يخشى أن يؤدى الإيمان بالله - وهو لصالح البشرية جمعاء - إلى التعصب .

لأن التعصب فيه معنى الاعتداء ، أما قوة الإيمان فمن مظاهرها سهولة فهم الحياة ، والتسامح فى معاملة الناس . والتعصب مظهر الطائفية ، أما التسامح فليس دليلا على التراخى فى الإيمان وإنما هو دليل على حسن المعاملة والتهذيب فيها . وتلك غاية الدين ورسالة الإسلام ؟ .

الدكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

مقوماتنا الروحية أمام المادية العالمية

للأستاذ محمد محمد المدنى

— ٢ —

الإيمان بالنفس :

وإذا كان الإيمان بالله هو أول مقوماتنا الروحية ، وأعظمها أثراً فى توجيه حياتنا توجيها إيجابياً جامعا بين مطالب النفس ، ومطالب الجسم ، كل منهما فى حدود الفطرة السليمة ؛ فإن هناك مقوما هاما آخر له توجيهه الإيجابى ، وتأثيره الفعال فى حياة الفرد والمجتمع :

ذلك هو الإيمان بالنفس .

فقد دلت الدراسات النفسية قديماً وحديثاً على أن الفرد إذا آمن بأن له كيانا معنوياً خاصاً وأنه ليس مجرد تكرار لغيره ممن يشاركه فى بعض أحواله ؛ فإنه ينبعث فى عمله انبعاثا قويا ، ويثمر ثمرات مبتكرة كثيرة ، أما إذا أحس بأنه شخصية ثانوية فى وجودها أو فيما ترتكن عليه ، أو فى قدرتها على الإنشاء والتثمير ، فإنه حينئذ يكون قوة متراخية نزاعة دائما إلى التخلف والتبعية ، وإلى الاكتفاء بالتقليد والتشبه ، ومن ثم يقولون : إن شخصاً واحداً معتداً بكيانه ، مؤمنا بنفسه ، خير من ألف شخص تبعيين ، ومن هنا أيضاً كان القادة عادة قلة وأفرادا ، بينما المقودون التابعون آلافا وملايين .

وهذا المعنى كما يلاحظ فى الأفراد يلاحظ فى الأمم ، فهناك أمم تعيش لتقود ، وهناك أمم تعيش لتقاد ، وما كان هذا وذاك إلا بأن الأولى آمنت بنفسها ، ووثقت بأن لها رسالة فى الحياة هى مخاطبة بأدائها مخلوقة لها ، وبأن الثانية أخذت عن نفسها ، واستقر فى نفوس أفرادها أنها مجرد تكرار لموجودات خلقت لتكون تابعة .

وقد ربط القرآن الكريم بين خسارة النفس وخسارة الإيمان حيث يقول الله عز وجل : « الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون » ، فجعل عدم إيمانهم مترتباً على خسارهم لأنفسهم ، ذلك بأن الذى يخسر نفسه لم يعد له وجود معنوى وإن كان له وجود جسمانى ، فتراه يعيش ويأكل ويشرب ويتمتع ويتحرك حركات الأحياء ، ولكنه فى واقع الحال ميت معنوياً لأنه لا تأثير له

فى شىء مما به تكون النفوس نفوسا ، وبذلك لا يكون صاحب ذات توصف بأنها مؤمنة أو غير مؤمنة .

* * *

وتاريخنا - نحن المسلمين - خير مثل تطبيق لهذا الذى قررناه فى ناحية الإيجاب والسلب .

فقد نهض المسلمون الأولون نهضة قوية حولت العرب من أمة بدوية صغيرة منطوية على نفسها ، إلى أمة ذات حضارة وقوة وتأثير فى غيرها وقيادة عالمية فى مختلف النواحى ، وشتى الميادين ، وسر ذلك أنهم كانوا مؤمنين بأنفسهم وبأن لهم رسالة هيأهم الله لحملها وتبليغها ، وقد فهموا القرآن الكريم على هذا الأساس ، وطبقوا مبادئه على هذا الأساس :

سمعوا القرآن الكريم يقول لهم : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . ففهموها على أنهم أمة مطلوب منها أن تكون أمة داعية ، لا أن تكون مجرد أمة مدعوة . وإذن فهى أمة يجب أن تكون قائدة ، ويجب أن تحتفظ دائما بجميع المزايا التى هيأتها لهذه القيادة من العلم ، وإعداد العدة والعدل والألفة والاجتماع .

وفهموها على أنهم أمة من واجبها أن تحرص على وجود رأى عام قوى مهيب فيها يأمر أفراده بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، أى يكون مجتمعهم قادراً على محاربة الفساد ، وإشعار أهله بغضبه عليهم ، وإنكاره لفعلهم . وعلى تأييد الصلاح والمعروف ، وإشعار أهلهما برضاه عنهم ، وتأييده لهم .

وهذا يعنى أنهم أمة قادرة على إصلاح نفسها فى داخل نفسها ؛ لأن ما لا يكون صالحا فى نفسه لا يكون صالحا لإصلاح غيره .

آمن المسلمون بأنفسهم على هذا النحو ، فقادوا وسادوا وشادوا ، وكان الفضل فى تلقى الغراس القرآنى وتعهده بالنماء للعرب ، لأنهم هم الذين تلقوا الرسالة الأولى ، وفيهم جعلها الله : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ، حيث يجعلها فى فرد يختاره من بين قومه ، وحيث يجعلها فى أمة يختارها من بين الأمم ، ولا يمكن أن يكون هذا التشريف للعرب بحمل الرسالة ، وتلقى غرسها الأول وصيانته وتعهده ، قد وقع من قبيل الصدفة ، فإن هناك قانونا عاما قرره القرآن الكريم هو ما يرشد إليه قوله تعالى : « والله يخلق ما يشاء ويختار » ، فخلقه على وفق المشيئة ، واختياره على وفق المشيئة ، وكلاهما يدل على نفى المصادفة ، وعلى إثبات غاية الحكمة ؛ لأن مشيئة الله تعالى متقيدة بتمام علمه وتمام حكمته .

هذا الإيمان بالنفس هو الذى نفع العرب أولا . وقد سرى منهم إلى المسلمين من كل جنس فانتفعوا به أيضا ، فكان للإسلام دولة وصولة ودعوة وتوجيه وقيادة فى كل مجال : فى العلوم والبحث . فى النظر العقلى ، فى الإنشاء والاختراع . فى السياسة والحكم ، فى فقه الحياة ووضع الحلول السليمة لمختلف المشكلات ، فى معالجة النفوس وسياستها الروحية ، فى رسم مناهج الحكم ، وإقرار موازين العدل ، فى وضع قواعد التعامل الدولى بين الأمم بعضها وبعض ... وهكذا أثمر الإيمان بالنفس مدنية وحضارة ازدهر بها العالم ازدهارا ، بل لم يعرف العالم ازدهارا عمليا حقيقيا إلا فى ظلهما ، حتى العالم الحاضر الذى لا تسيطر عليه دولة الإسلام ، تسيطر عليه أمهات مبادئ الإسلام وإن زعموها من صنعهم ومن ثمرات تفكيرهم ومدنيتهم .

ثم دار الزمان دورته حين فقد المسلمون إيمانهم بأنفسهم : دار عليهم فأصبحوا تابعين بعد أن كانوا متبوعين ، وأصبحوا موَجَّهين ، بعد أن كانوا موجهين ، وصارت المقاييس والمثل مقاييس غيرهم ومثل غيرهم ، ونسوا قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » ، فصاروا يحكمون أوضاع غيرهم وتقاليد غيرهم . فيقول قائلهم مثلا : « لقد جرى الفقه الفرنسى على كذا ، وقرر الدستور البلجيكى كذا ، ووضع البروتوكول الإنجليزى كذا » ، أى أنهم يستضيئون بما يقتبسونه من مدنية غيرهم . وفقه غيرهم ، مع أن لهم فقهها وعلما وحكما جعلهم الله بها أمة وسطا لغاية معينة هى أن يكونوا شهداء على الناس أى : مراجع للعالم يستهدى هو بهم وينظر إليهم ويقتبس منهم .

ولقد كانت ثمرة هذا الانتكاس فى الإيمان بالنفس ثمرة مرة ذاقها العالم الإسلامى صابا وعلقما ، حينا من الدهر ، حتى أذن الله بانكشاف الغمة ، وأراد أن يمن على الذين استضعفوا فى الأرض ويجعلهم أئمة ، فبعث فيهم من بعث ثقتهم فى أنفسهم ، فكان ذلك عَوْدا إلى السلسلة من ذات الحلقة التى كنا تركنا الإمساك بها .

فواجبنا الآن أن نحرص على إيماننا بأنفسنا ، وأن نعلم علم اليقين أن أعداءنا ليسوا بأقوى منا همما ، ولا بأصبر منا على جهاد ، ولا بأولى منا بقيادة وتوجيه ودعوة ، فعن هذا الإيمان انبثق نورنا يوما ما ، وعن هذا الإيمان صدرنا فى نهضتنا الحاضرة ، فاكتسبنا فى أعوام قليلة ما كنا خسرناه أحقابا طويلة .

وينبغى أن ندرك أن المادية الطاغية الباغية فى هذا العالم ـ وهى تتمثل تارة فى الصهيونية ، وتارة فى الاستعمار ، وتارة فى الشيوعية ـ تقف

منا موقف الذى يعمل على تشكيكنا فى أنفسنا ، وتشكيكنا فى مبادئنا ومثلنا : فقد كنا نسمع - والاستعمار الإنجليزى جاثم على صدورنا - أن المصريين لا يمكن أن يتفقوا ، ولا يمكن أن يستغنوا عمن يسندهم فى المجال الدولى ، وأنه لابد لهم من محالفة الإنجليز ، والآن رأينا هذه الدعاوى تزيف ، ورأينا كيف استطاع جمال عبد الناصر أن يجمع كلمة المصريين ، ثم كلمة السوريين ، بل أقول كيف استطاع أن يجمع كلمة العرب أجمعين ؛ لأنى أقصد الشعوب العربية التى تتألف من أبناء العروبة ، لا من الحكومات المجلوبة ، ولا من الملوك المسخرة ، وكيف استطاع جمال عبد الناصر أن يقضى على خرافة الاستناد إلى حليف من الغرب ، وأن يكون هذا الحليف هو الإنجليز أو غير الإنجليز ، بل كيف أصبح مبدأ الحياد الإيجابى مبدأ عالميا أخذه عنا غيرنا .

وقد قالوا لنا يوما : إنكم فراعنة ولستم عربا ، فصدقنا ، وقطعنا صلاتنا بإخواننا فى العروبة ، أو جمدنا هذه الصلات وذلك ليفيدوا الصهيونية من تفرق الشعوب التى حولها وعدم التفافها حول جامعة تجمعها ، لتخلو لها هذه الشعوب فرادى فتأكلها واحداً بعد الآخر .

والآن لا يقلق الصهيونية شىء كما يقلقها مصيرها المحتوم أمام إيمان العرب بعروبتهم ، وائتلافهم حول قوميتهم ، وإذا كانت الصهيونية يداخلها هذا القلق العظيم على مصيرها ، فإن الاستعمار قد يئس أن يعود بعد اليوم إلى أرض العروبة ، وإنما هو الآن يعانى أعراض التصفية وينزع النزع الأخير إلى حيث لا رجعة له إن شاء الله . وذلك نفسه هو شأن الشيوعية : إنما هو شأن اليأس من أن تجد مبادئها فى أرض العروبة بيئة صالحة لنماء بذرتها . ولذلك حسبها أن ترضى منا بمبدأ « التعايش السلمى » ليس إلا .

ولست إخصائيا فى السياسة . ولا أحب الخوض فيها ، ولكنى إنما أتحدث من ناحية ما كسبناه حين آمنا بأنفسنا ، وأحذر قومى من الإنصات إلى الذين يحاولون تشكيكنا فيما آمنا به ، حرصا على زلزلتنا ، وثقة بأنا إذا تزلزلنا سهل غزونا ، وسهلت هزيمتنا .

إن أشد الغزو هو غزو الأفكار والقلوب ، وليس هو غزو البلاد والأوطان بالسيف والمدفع ، فينبغى أن نضع أمام أعيننا تلك الحقيقة ، وقد قررها القرآن الكريم لنا حيث يقول: «ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا ، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » ، وحيث يقول : « إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ، وودوا لو تكفرون » .

البحث موصول إن شاء الله .

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

نفحات القرآن

موقف الناس بين الدعوة إلى الهداية والجنوح إلى الغواية

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

١ - ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره

٢ - وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره

٣ - وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره

٤ - وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره

هذه آيات أربع تتفق فى مبناها ومعناها، وكل منها تعتبر مطلعاً لقصة نبي من الأنبياء مع قومه، وقد اتفقت كلها - كما وافقتها آيات أخرى - على أن الدعوة كانت إلى عبادة الله وحده، وكانت للتنصيص على أنه الإله الواحد، وليس هناك إله غيره

وهذا هو الأصل الذى تنعقد به صلة الناس بربهم، وهو الوثيقة الى تكفلت رسالات الأنبياء بتبليغها ونشرها بين شعوبهم، وامتدت فى سائر العصور المديدة.

وليس فى هذا الأصل تفاوت بين قوم وقوم مهما تراخت بينهم فترات الزمن.

ووراء هذا الأصل الثابت شرائع يختلف بعضها عن البعض فى شيء من مناهجها وتفصيلاتها.

وإذا كان جانب العقيدة وهو الأصل الأول يؤلف بين الأمم المتنوعة، ويقارب بين أجناسها فى إطار العبودية لله، فالشرائع المبثوثة بين الناس فى أزمانهم المختلفة تجمع بينهم كذلك من ناحية الاتجاه إليه بالطاعة فى أى لون من ألوانها المشروعة، ولا تعتبر الشرائع مفرقة بين أهلها كما يزعم الخاطئون الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً.

فما كانت الديانات إلا توجيها للناس نحو الخير، وإن اختلفت من بعض نواحيها أساليب التوجيه: «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا، والذى أوحينا إليك، وما وصينا به إبراهيم، وموسى وعيسى، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه». هذا مع قوله سبحانه: «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا».

ولو أن الناس استطاعوا أن يتألفوا على الأخذ بالدعوة الدينية فى أصلها وجوهرها الصحيح لوجدوا أنفسهم فى نظام متناسق،

وعاشوا فى غير شقاق ، وتبينوا فى يسر وارتياح أن اتحاد الأصل الذى واثقهم الله به فى العقيدة يأبى عليهم أن يكونوا خصوما . . وتبينوا ثانيا أن الشرائع السماوية لم يخالف بعضها بعضا فيما اختلفت فيه من فروع لغرض التشقيق بين الناس ، وتوزيعهم شيعاً متنابذة ، بل كان التمايز بين الشرائع تطويراً لهم ، وتطويعا لعقلياتهم ، وتمهيدا لتنظيم صفوفهم ، ولجمعهم على طابع يتناولهم من الناحية الروحية ، وهى ناحية التدين ، كما تناولهم جميعا الطابع الإنسانى الذى انبثق بهم عن أب واحد ، وأم واحدة .

ولكن لحكمة ومشيئة علوية تشعب الناس فى تلقيهم لدعوة الدين ، وانقسموا حولها قديما ، وحديثا ، واتسعت بهم جولات الخلاف ، فلقيت كل دعوة من أهلها عنتا ، ولقيت الدنيا من وراء ذلك شقاقا وتناحراً ، وأصاب أهلها سلفا ما أصابهم بسبب ما جنوا على أنفسهم ، ولم يكن للناس فى شططهم عذر يشفع لهم ، قد بين الله لهم سبيل الهداية ، وحذرهم عواقب المخالفة عن أمره ، ثم لما لم يستجيبوا ، أخذهم بذنوبهم ، وجعلهم سلفا ومثلا للآخرين .

نعم ، كانوا ضحية إسرافهم فى العصيان والانحراف ، وكانوا قصصا يحكيه القرآن لمن بعدهم حتى لا يعيش الخلف فى غفلة ، ولا يكونوا على جهالة بالمصير .

وقد نبه القرآن فى غير موضع منه على أن سنة الله فى خلقه سواء . وأن عدله فيهم قائم وأن من تريثت به الأحداث فليس بنجوة منها دائما ، ومن قبيل التهديد بهذا قوله تعالى ناصحا لنا : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » ، « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليم » .

وأنت ترى فيما يقصه علينا القرآن من شأن الأمم السالفة أنها كانت فى الضلال متابعة وأنها كذلك فى الهلاك والدمار سواسية ، وإن اختلف كفرها فنونا ، أو اختلف هلاكها أنواعا : ما بين قحط فى الأرزاق ، ثم إحراق بالصواعق ، أو غير ذلك من ضروب العذاب .

وعلى أى نوع كانت من العصيان فهى أمم مسخوطة ، وكانت عاقبة أمرها شؤماً وبورا .

« فكلا أخذنا بذنبه : فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا . ريحا ترميهم بالحجارة ـ ومنهم من أخذته الصيحة : صوتا ترتجف له الدنيا ، ويهلك من فيها ـ ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

وهذا جانب محدود مما ورد فى القرآن بشأن المتجبرين وما حاق بهم من عذاب الله ، وهو جانب يكفى لإيقاظ المشاعر نحو موقفنا من دعوة الدين وهدايته ، وجنوحنا إلى العصيان والغواية .

وقد يرين على بعض القلوب شيء من الغفلة فنخال أن ذنوبنا لم تبلغ ما بلغته ذنوب الغابرين أو أننا معصومون بما يشاء الله لو أراد بنا سوءا، أو أن النجاة ميسورة لنا بتوبة ندركها يوما ما.

وهذه أمانى مكذوبة، يرددها فى خواطرنا إيحاء الشياطين.

وتستجيب لها النفس فى غمرة لهوها، وفى غفلة الضمير.

تلك الأمانى كانت ولا تزال شباك الشيطان ومفاتن الأنفس، ومصرع الحق ومبعث الباطل، وضيعة الأمل الصادق ولو كانت حقا كما نتوهم لأتيحت لمن سبقونا إليها وتعلقوا بها، ثم خذلتهم الأقدار، وسخرت منهم الدنيا وخرجوا منها دون أن يأخذوا بالحرص من أوله ولم يدركوا الأمر فى أخرياته

وما برح القرآن يذكرنا بتلك السوابق. وبما يحدق بالناس من أحداث كريهة، وينبهنا إلى أن الناس يجنون على أنفسهم بما تكسب أيديهم ... فنحن الذين نتعثر فى الطريق المعبد، ونحن الذين نتخطى الصواب فيلاحقنا الضرر ولا بد، لأننا لم نترفق بأنفسنا فيما نسلك، ولم نرجع إلى توجيهات الدين فيما أقام لنا من معالم، وفيما أوضح من أهداف وما يمكنك أن تعرض للناس غاية يتيهون إليها فى انحرافهم وانحدارهم، ولا يمكنك ان تفرض لهم يوما ينصرفون فيه عن غيهم، فقد عاشوا على ذلك، وما زال الشأن هو الشأن!.

وكأن هامسا يقول. إن الطمع فى ثوب الناس جميعاً إلى هداهم يعتبر إسرافا فى الأمل بل التعلق بالرجاء فى استقامة الجميع يبعد عما أفصح به القرآن: حيث يقول الله تعالى: «ولو شئنا لآتينا كل نفس هُداها»، «ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا». فالهداية لم تكن فى تقدير الله حظا لجميع الناس، بل فريقا هدى. وفريقا حقت عليهم الضلالة لماذا نحاول نحن من حديثنا عن الهداية والغواية، ومن تعرضنا للموازنة فى ذلك بين أناس وأناس؟؟.

والجواب أن المقدور محجوب عنا، وأننا أمام، التكليف سواء، لا يدرى أحدنا من شأن نفسه: أهو من المقربين، أم من المبعدين، والمطلوب منا جميعاً أن نأخذ فى الطاعة ونوجه ميولنا، وإرادتنا نحو الخير ونروض أنفسنا على صالح العمل، وأن نتحبب إلى الله بالكف عن الحرام، وعن مطاوعة الهوى، وذلك هو جهاد النفس وهو الجهاد الأكبر فى مشقته، وفى عظم ثوابه كما أفادنا كلام الرسول عليه الصلاة والسلام.

وهذا الاتجاه يملكه المرء عن نفسه، وهو مناط التكليف الذى نسأل عن تنفيذه أو محاولة تنفيذه «فاتقوا الله ما استطعتم»، «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها».

ومن المسلم به أن التدرج فى الأمر يجعله عادة مألوفة إلى أن يصير فى حكم الخلق المطبوع ومن قبيل ذلك أن الدين يطلب

منا تعويد الصبيان أن يصلوا ويصوموا لتنشأ فيهم الطاعة كعادة متأصلة فلا يرهقهم أخذهم بها بعد أن يشبوا على المخالفة والتمرد فالسنة فيما نحاوله بعيدة عن التشبث بما قدر لنا أو علينا ، بل المطلوب أن نحرص وأن نسدد ، ونقارب ما استطعنا ، فليس لأحدنا أن يتاكأ ويقول : صنعت ما قدر على فعله . إذ ليس لنا علم سابق بما قرر كما أسلفت ، وإنما الأمر موجه إلى مغالبة النفس على هواها وترويضها على الامتثال فى جانب الخير

وكل امرىء ذى عزيمة يلمس من شأن نفسه القدرة على التحكم فى ميله كما هو واقع فى شئون المال والنفقات ، والاقتصاد ، والمأكل . والملبس ونحو هذا مما يتصرف فيه فيمسك او يسرف كما يحب فكيف لا يقدر على الاتجاه نحو الطاعة ، وقسر النفس على الاستجابة ؟.

إن تجارب الحياة وما يملأ سمعنا من القصص عن الغير يفيدنا فى تأكد أن أرباب الغواية انحدروا إليها فى هوادة ، وظلوا حتى كانوا ضحايا العادات التى جرفتهم ، ويفيدنا أن أهل الطاعة والمثاليين فى أخلاقهم أبناء عادات طيبة تركزت فيهم وصارت خصائص يعرفون بها ، ولا يرضون سواها .

ولسنا بحاجة فى هذا السياق إلى الاستشهاد بنظريات الفلاسفة ، ولا بأقوال الحكماء وإن كانت كلها فى هذا الصدد على وفاق معنا فيما نقرره استمدادا من القرآن الكريم ، واقتباسا من توجيهاته إلى العمل بأحسن ما نسمع ، وإلى تحاشى الضلالة وأسبابها وألا نقرب الفواحش ما ظهر منها وما بطن وأن نتحاشى الفتن ، ولا نوقظها لتظل نائمة بين الناس .

ولنا شاهد من واقع الأمر المشهود ، فحيثما نجد الغواة مسرفين فى غوايتهم ، ونراهم يتعللون بالمعذرة عن أنفسهم بأن العبد مسير لا مخير كما يزعم بعض المبطلين من دعاة البحث المذهبى نجد من المسرفين من يقلع اختيارا عن غيه ، ويتدارك نفسه بانتباذ تلك المساقط ، والتعوذ بالله من مفاتن الشياطين ، والأخذ بالعروة الوثقى فيصبح يقظا بعد غفلة ، وجادا بعد مهزلة ، ويبصر برشده ما كان محجوبا عنه فى ظلمة السفه .

وإذا كان مقررا أن المرء يملك توجيه نفسه فى مجال الاقتصاد كما أشرنا فكيف لا يملك مثل هذا التوجيه فى الجانب الأدبى كما طلب إليه الدين .

والذى أريد الاقتناع به هو أن دعوة الدين إلى الاعتدال ليست دعوة تعسفية ، ولا يقف فى سبيلها إلا أن يقلع المرء عن عادات مستهجنة ، يأخذ بدلا منها بعادات مستحسنة ، وإن كانت فى أول أمرها غير هينة ، فإن الطاعة وعمل الخير مجال الحرب

مع الشيطان ، والحرب كلها بحاجة إلى الجلاد والمصابرة ولكل امرئ من دهره ما تعودا .

وهنا تتفاوت مراتب المجاهدين لأنفسهم ، وتتفاوت منازل الناس أمام دعوة الدين « وما منا إلا له مقام معلوم » .

وإذا كان حديثنا هذا صدى لما ينبثق فى الآيات السابقة عن الأمم الخوالى فمن مواصلة الخير بين المسلم والمسلم أن تثير العبرة ، وأن يذكر بعضنا بعضا بوجوب التآزر فى النهوض بمستوانا من كل ناحية حتى تتوازى جوانب المجتمع كلها .

فإذا رجح شأنه من ناحية الاقتصاد ، والتصنيع ، والسياسة ، والتعليم وبدا المجتمع كما هو اليوم فى نشاط يبعث فينا الفخار والغبطة وجب أن يكون كذلك فى ناحية الخلق ، والآداب ، والتدين حتى يكون قوام المجتمع على دعائم قوية تكفل بقاءه ويسلم كيانه من الهزات التى كثيراً ما صدعت بنيان أقوام آخرين .

وهذا هو الكيان الذى تهدف إليه ثورتنا المباركة ، وتتهافت عليه جمهوريتنا الواثبة ، ووصلت إلى مطالبه جهودنا الموفقة .

وما أهل القرآن وسيلة تصل بنا إلى مبتغانا إلا دفعنا دفعا قويا إلى تناولها ، والاستزادة من ثمراتها .

فالعمل ، وتدريب النفس على الجد ، والترفع بها عن السفاسف : كل ذلك من الوسائل الكفيلة بالغايات النبيلة وحينما يحاول المرء أن يتجه إلى وجهات الخير ويلمس من نفسه تراخيا وأناة فليطرق مع عمله باب الدعاء إلى الله أن يعينه على مقاصده .

وباب الدعاء مفتوح ، والله يحب من عبده أن يلتمس الخير عنده ، ويلوذ بدعائه .

وقديما تخلت الأقوام عن دعائه كما تخلفوا عن تلبية رسله فى طاعة ربهم فكان إحجامهم هذا جفاء شرا من تغافلهم حتى فى ساعات البلاء النازل بهم وقد أخذ الله عليهم ذلك الجفاء ، واعتبره قسوة منهم على أنفسهم ، وجنوحا إلى عدوهم الشيطان .

وفى هذا يقول سبحانه « ولقد أخذناهم بالبأساء والضراء ، فما استكانوا لربهم وما يتضرعون » .

« فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا !! ولكن قست قلوبهم ، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » .

فهناك جحود وجود . وهناك حاجة وعناد ، وعند الله هداية ، ورجاء ، ولكن الناس أعرضوا وعاندوا ، ونسوا الله فيما يعملون فأنساهم أنفسهم فيما يرجون ويسألون . ونحن نسأله من فضله ، ونضرع إليه بكرمه وجلاله أن يجعلنا من أوليائه لا من أولياء الشيطان ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

من القيم الإنسانية في الإسلام

المحبة

للدكتور محمد يوسف موسى

إذا كانت « الحرية » هى التى تجعل المرء إنسانا حقا ، فلا قوام لحياته ولا كرامة له إلا بها ، فإن المحبة هى التى تربط بين النفوس وتؤلف القلوب . وتجعل المجتمع والأمة والعالم كله يعيش فى أمن وسلام وهناء . ولهذا . نراها من القيم الإنسانية النبيلة التى جاء بها الإسلام ، وأكدها وحث عليها ، وجعلها الرباط المتين الذى يجمع بين الناس جميعاً ، لا فرق بين جنس وجنس وأمة وأمة . .

إن رابطة الدم تؤلف بين أفراد الأسرة الواحدة ، ورابطة الوطنية تؤلف بين أبناء الوطن الواحد الذى له حدوده مهما كان امتداده وسعته ، ورابطة الدين تجمع بين بنيه وإن تعددت أقطارهم وتناءت بلادهم واختلفت أجناسهم .

ولكن رابطة المحبة أمر وراء ذلك كله ، فهى التى - متى صحت وصدقت - الحبل المتين الذى يلف العالم كله من أدناه إلى أقصاه ، وتجعل الناس جميعا إخوانا يألم بعضهم لبعض ويفرح بعضهم لبعض ، وهنا تذوب فوارق الجنس والوطن والدين .

ومن هذه العاطفة السامية القوية ، تنبع عواطف أخرى لا قوام للإنسانية بدونها ؛ من الرحمة ، والعطف ، والتعاون ، والإيثار ؛ ومن ثم ، يكون الإنسان المحب لغيره ، والذى يسارع إلى تفريج كربته ونفعه بما يستطيع حين الحاجة إليه ، أثيراً لدى الله سبحانه وتعالى ، ومحبوبا منه ، وناهيك بسعادة من يحبه ربه !

وفى الحديث : « أحب العباد إلى الله أنفعهم لعياله » ، أى عبيده ، كما رواه عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنهما . وفى أحاديث أخرى ، يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم الإيمان لا يتم ويكون كاملا لإنسان إلا إذا كان يحب أخاه الإنسان ، ومنها قوله : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وذلك لما يعلمه الصادق الأمين من جلال أثر المحبة متى كانت صادقة . فإنها درع يقى المحبوب السوء ، وسبب لوصول البر والخير إليه ، وعامل للتعاون بين المتحابين فى سبيل الخير العام لهم وللأمة والناس جميعا .

• • •

وإن المرء منا لا يكاد يستطيع تصور إنسان أو مجتمع أو عالم خال من الحب أو المحبة ، اللهم إلا أن يكون إنسانا لا حقيقة له ، ومجتمعا مفككا لا رابطة له ، وعالما كله خواء لا قوام له ولا بقاء .

إن الواحد منا إذا تجرد من هذه العاطفة الإلهية لم يكن إنسانا حقا ، بل يكون كائنا من لحم ودم ، ويغدو ولا صلة تربطه بغيره ، وما أبأس شخصا يكون على هذا النحو ! وإذا تجردت منها أمة صارت قطعانا من حيوانات مفترسة متعادية ، وكذلك الأمر فى عالم لم تجمع المحبة بين أممه وشعوبه .

بل إن مدرسة أو جامعة ، أو أى مؤسسة من نوع آخر ، للزراعة أو الصناعة أو التجارة مثلا ، لا تسود المحبة بين أفرادها والقائمين عليها ، كان عاقبة أمرها خسراً بلا ريب .

وجملة القول فى هذه الناحية ، أن الحياة ، حياة أى إنسان أو مجتمع أو أمة ، إذا خلت من المحبة انطفأت شعلتها ، وجمدت القرائح ، واختفت المواهب ، وأجدبت العقول .

ثم إن المحبة الصادقة ذات الموضوع الطاهر النبيل ، هى التى تدفع الأعمال العظيمة ، وتؤلف بين قلوب الأمة ، وتنسى العامل الناصب ما يلقى من تعب وعناء ، وتجعل الإنسان بنجوة من إغراء الهوى والشهوات وأسر المادة وفتنتها ، وتحمله على التضحيات الجسام فى سبيل الدين والوطن .

يروى ابن هشام فى سيرة النبى ، عليه الصلاة والسلام ، أن امرأة من الأنصار رزئت يوم « أحد » بأعظم ما يصاب به إنسان ، فقد قتل زوجها وأبوها وأخوها وهم يحاربون مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه المعركة .

ولكنها لإخلاصها فى محبة الله ورسوله والجهاد فى سبيل نشر دينه ، لم يذهلها هذا الرزء الفادح ، فقد كان همها أن تسأل : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : خيراً ، هو بحمد الله كما تحبين ، فقالت : أرونيه انظر إليه . فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل ! أى صغيرة .

* * *

هذا . والمحبة غريزة فطرية فى الإنسان ، بل وفى الحيوان أيضا ، فلا بد أن تجد لها متنفسا وموضوعا تنصرف إليه ، وحينئذ يكون لها أثرها الطيب أو الخبيث بحسب هذا الموضوع الذى تعمل للوصول إليه . والمحبة التى يدعو الإسلام إليها ، ونعتبرها بحق من القيم الإنسانية النبيلة التى بلغ موضوعها من السمو والنبل مكانا عليا .

المحبة ، إذاً ، درجات بعضها فوق بعض ، وفى الذروة منها محبة الله تعالى الذى أنعم علينا بما لا يحصيه من صنوف النعم والآلاء ، ثم محبة رسوله العظيم الذى جاءنا بالهدى والنور ثم محبة المثل العليا نتمثلها فى حياتنا ونعمل للوصول إليها أو الاقتراب منها ، ثم محبة الدين والوطن ورجاله العاملين المخلصين وأبنائه جميعا ، ثم محبة الإنسانية جمعاء ممثلة فى كل أناس وقبيل وأمة .

والمحبة متى كانت صادقة قوية ، يكون من شأنها أن تمثل لصاحبها محبوبه ، فلا يتخيل إلا إياه ، ولا يرى إلا وجهه ، ولا يلذه إلا حديثه . وقصارى القول ، يبلغ به الحال ألا يسمع إلاله ، ولا يطيع إلا أمره ، ولا يبصر أحداً غيره ، ولا يتكلم إلا فى سبيله .

ولنبل هذا الحب وشرفه ، نرى الله سبحانه وتعالى يصف نفسه به ، فقد جاء فى كتابه الكريم أنه يحب التوابين ، ويحب المتطهرين ويحب المتوكلين ، ويحب الصابرين ، ويحب الشاكرين ، ويحب المتصدقين ، ويحب المحسنين ، ويحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص .

كما طلب منا أن نحبه ، فقال فى التوراة : « يا ابن آدم ، إنى وحقى لك محب ، فبحق عليك كن لى محبا » ، وأمر فى القرآن الكريم أن يقول رسوله : « إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » ، وتوعد من يعرض عن الإسلام ويرتد عنه بأن يأتى بقوم يحبهم ويحبونه .

* * *

ولكن علينا أن نتساءل : ما معنى محبة الله ورسوله وحقيقتها وما مدى أثرها ونتيجتها ؟ للإجابة عن هذا وذاك يجب أن نكون صرحاء وشجعانا ، وأن نتذكر معنى ما يطلبه منا الدين من الإيمان بالله ورسوله .

إن الإيمان قول وعمل ، وليس بمؤمن بالدين الذى رضيه الله لنا وللناس جميعاً من لا يهتدى بهدى هذا الدين ولا يعمل بما جاء به ؛ فكذلك ليس محباً لله ورسوله من يعلن عن ذلك بلسانه فى كل حفل وناد ومناسبة أو فى غير مناسبة ، ومع هذا فهو لا يجد حلاوة الإيمان فى قلبه ، ولا يعمل بما جاء به من عقيدة وشريعة وخلق ، بل ربما كان فى سلوكه على النقيض مما جاء به .

وهنا يحق لنا أن نتذكر قول الشاعر :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه
هذا لعمرى فى الفعال بديع !
لو كان حبك صادقا لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

إن الله هو - كما نقول جميعا - القادر على كل شىء ، وكل شىء سواه عدم ، فقلوب العباد كلها بين يديه يصرفها كيف شاء ،

ولاحول ولاقوة إلا به ، ومن ثم كان وحده هو المستحق للإجلال والإعظام وللعبادة على اختلاف ضروبها .

وهو مع هذا كله ، هو المنعم المتفضل علينا بالنعم التى لا نستطيع إحصاءها ، وهو الذى أرسل رسوله بالكتاب المبين الذى هدانا به الطريق المستقيم ، وجعلنا به خير أمة أخرجت للناس ، وسخر لنا الأرض وجعلها لنا ذلولا إلى غير ذلك مما هو معروف .

فهو إذاً أهل للعبادة والحب ، وأهل لأن يكون وحده من نرجو ونخاف ، وأهل وحده لأن يكون معقد الرجاء والأمل ، وأن نطيعه فى كل ما أمر ، وأن ننتهى عن كل ما نهى عنه .

ومع ذلك كله ، فالكثير منا يعرض عن أداء ما افترضه علينا ، ويقع فى كثير مما حذر منه ونهى عنه ، ويتوجه إلى غيره بالرجاء معتمداً على هذا الغير وحده ، متناسيا أن الناس جميعا لو اجتمعوا على أن ينفعوا واحدا منهم بشىء لم يرده الله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، ولو اجتمعوا على أن يضروا أحدا بشىء لم يرده الله لعجزوا عن هذا عجزا بينا .

كل هذا نحسه ونعرفه فى كثير من الناس فكيف يكونون محبين لله وهم على هذه الحال من الإعراض عن الله ، ومن عصيانه فى كثير مما يفعلون !

إن المحبة الصحيحة الصادقة تدفع المحب حتما إلى أن يكون فى كل حالاته على ما يرضى المحبوب ، وإلى بذل غاية جهده فى هذه السبيل فكيف إذا كان المحبوب هو الله مالك الأمر كله ، ورسوله الذى أخرجنا الله بفضله من الظلمات إلى النور ، وصرنا أعزاء بعد ذل ، وسادة بعد أن كنا مسودين ! .

إن محبة الله ورسوله تقتضينا ، إذا كنا محبين صادقين ، أن نفهم الإسلام على حقيقته وأن ننزل على أحكامه فى كل ما نأتى ونذر ، وأن نطيعه فى المنشط والمكره ، وأن نبلغ هذا الدين العالمى الخالد إلى الناس جميعا علهم يستضيئون بنوره ، فيسعدون باتباعه .

وإن هذه المحبة تجعلنا أن نتخذ الرسول العظيم قدوة لنا فى كل أمورنا ؛ فهو بنا رءوف رحيم كما وصفه الله تعالى فى كتابه ، وفيه لنا فى عامة أحوالنا وفى كل جيل وزمان أسوة حسنة كما نطق بذلك القرآن .

وإن هذا العامل النبيل السامى ، أى هذه المحبة الصادقة لرسولنا العظيم ، وكذلك محبة الإنسان لإخوته فى الدين والوطن ، حرية أن تنقى قلوبنا من الغل والحقد والحسد ، ومن البخل والجشع ، فهو الذى يقول فى بعض أحاديثه : (لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ،

ولا تدابروا ، ولا تقاطعوا ، وكونوا عباد الله إخوانا) ، كما يقول فى حديث آخر (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام) .

بل إن هذه المحبة الصادقة هى التى تدفعنا إلى التعاون حتى لا يكون بيننا جائع أو محتاج بل تدفعنا إلى الإيثار ولو كان بنا خصاصة ؛ فإن مجرد الإيمان ، بل هذه المحبة ! ، يبعث بلا ريب على هذا التعاون والإيثار .

فالله تعالى يقول : « وتعاونوا على البر والتقوى » . ويقول فى مدح قومه من المهاجرين والأنصار : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » ، ويقول فى شأنهم أيضاً : ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيراً » ، ثم يقولون لهم : « إنما نطعمكم لوجه الله ، لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » .

وبجانب هذه الآيات ، نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له » . وهنا يقول الراوى وهو أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل ، أى فيما يفضل عن حاجته .

* * *

وأخيرا ، لماذا يعيش الناس اليوم فى كرب وضيق ، وفى خوف من حرب عامة لا تبقى ولا تذر ، وتنال الناس بويلاتها فى الشرق والغرب ؟ الجواب واضح ، إنه محبة الإنسانية التى انتزعت من القلوب ، والرغبة فى الغلب والاستعلاء ، واستشعار الدول الكبرى أن بعضها عدو لبعض .

لكن لو نزعنا عن القلوب والنفوس ما ملأها من هذا كله ، وأحب كل منا إخوانه فى الإنسانية ، ولم يصرفه عن هذا الحب أثرة أو اختلاف دين وجنس ، لوسعنا العالم جميعا ولأمكن تعاون «الجميع» على استخراج كنوزه واستغلالها ، والانتفاع بخيراته ليعم الأرض بمن عليها من ناس ، وأمن كل محل الخوف وقام سلام حقيقى يحول بيننا وبين الحرب إلى الأبد .

ذلك كله حرى أن يتحقق ويكون بفضل حب الإنسانية ، والتعاون على البر والتقوى والعمل للخير العام المشترك ، ولعل ذلك يكون قريبا إن شاء الله تعالى ؟

الدكتور محمد يوسف موسى

مشكلة الخط العربي

للدكتور تمام حسان

منذ زمن ليس بالقصير ، أحس الناس وجود صعوبات معينة في استعمال الخط العربي ونما هذا الإحساس في نفوسهم حتى أصبح شعورا ، ثم قوى هذا الشعور في عقولهم حتى بدءوا يحيطون شيئا فشيئا بجوانب مسألة الكتابة العربية بل إن هذه المسألة قد تعدت إقليم المسائل وتجاوزته إلى عالم المشاكل ، وأصبحت كما وصفناها بعنوان هذا المقال : « مشكلة الخط العربي » . وولج الناس باب النقاش جادين يحاولون أن يجدوا حلا يذللون به صعوبات الكتابة العربية ، ولبثوا حيناً من الدهر يقترحون الاقتراحات ، ويهيئون المشروعات التي يمكن بها القضاء على هذه المشكلة وكانت هذه الاقتراحات والمشروعات فردية الطابع حينا ، ورسمية الدافع حينا آخر ، ولكنها في كلتا الحالتين كانت مناط الأمل ومعقد الرجاء . وظن الناس وأملوا أن الخط العربي سيدخل فجر تاريخ جديد ، وأن إصلاحا جديداً لهذا الخط يوشك أن يكمل جهود أبي الأسود والحجاج . ولكن سرعان ما خاب الرجاء ، وتطامنت الآمال حين انسحب إصلاح المصلحين من الحقل الاجتماعي العام ، وانزوى في دور المطابع وآثر الإصلاح ألا يكون إصلاح الكتابة ، بل أن يكون إصلاح الطباعة .

ولست هنا بصدد التعليق على انحراف الإصلاح من الكتابة إلى الطباعة ولا بصدد تحديد العوامل التي عملت على إيجاد هذا الانحراف ، ولكنني أريد أن أعرض لمسألة الكتابة العربية من أساسها ، فأشير إلى مواضع النقص فيها ، وإلى مطالبها من الإصلاح ، ثم أحدد الصعوبات التي تقوم في سبيل الإصلاح ، ولكنها ربما كان من السهل أن يتغلب عليها المصلحون .

لقد لاحظ الأولون أن الخط العربي بصورته التي كان عليها لم يكن وافيا بالغرض المقصود منه لسببين : أولها أن صور بعض الحروف تشتبه بصور بعضها الآخر ولم يكن ثمة ما يميز أحدهما من الآخر ، ومن أمثلة هذا ما كان من صورة واحدة هي للباء والتاء والثاء والنون والياء المتوسطة . وقد عالج العرب الأقدمون ذلك التشابه بوضع نقط في أوضاع وأعداد مختلفة ملحقة بهذه الصورة الواحدة لتميز المقصود بها . والسبب الثاني

أنه برغم اشتمال اللغة على الحركات لم يكن الخط فى صورته حينئذ يهتم بالدلالة عليها فى الكتابة، ومن ثم خلت الكتابة العربية مما يدل على الحركات. وكان لا بد مع عدم تمثيل الحركات فى الكتابة أن يتجه الخطأ باللحن اتجاهين مختلفين أحدهما صرفى يتمثل فى الخطأ فى نطق الحركات التى فى البنية كخطأ بعض الناس فى نطق كلمة «تبمة» و«موظف» و«منطقة» والآخر نحوى يتمثل فى عدم صحة الحركات الإعرابية التى فى أواخر الكلمات. وكان علاج الأقدمين لهذا السبب الثانى من أسباب قصور الخط العربى بإضافة نقط فى مبدأ الأمر يختلف لونها عن لون المداد الذى كتب به النص، ثم صوروا الحركات بصورها الحاضرة فيما بعد.

ولكن هذا النوع من الإصلاح لم يكن عمليا بالقدر الكافى فى الأزمنة اللاحقة ولا سيما فى عصرنا الحديث فلقد ازدادت حاجة الناس إلى الكتابة وأصبح المرء يكتب أكثر مما كان أجداده يكتبون وأصبحت الكتابة عنصراً هاما لا فى التجارة والتدوين والرسائل فحسب كما كانت فى القديم وإنما أصبح الفرد العادى مضطراً إلى الكتابة حتى فى أخص أموره البيتية والشخصية، وطغت الرغبة فى السرعة على طابع الكتابة فاطرح الناس كتابة الحركات، وإن أبقوا على النقط وسرى ذلك من مجال الكتابة اليدوية إلى مجال الطباعة فلم تعد المطبعة تعنى بالشكل إلا فى القرآن الكريم، وكتب تعليم الأطفال.

وبهذا عاد الخط العربى إلى نفس القصور الذى لاحظه الأولون وفطن المعاصرون من علماء العربية والقائمون على أمر تعليمها ودراستها إلى أن هذا النظام الكتابى يتسم بالنقص من النواحى الآتية:

١ — أنه إذ يهمل الحركات يصرف عنايته التامة إلى الحروف الصحيحة حتى أصبح من الممكن أن نصف الكتابة العربية بوصف «الكتابة المقطعية» لأن الحرف الصحيح فيها يدل على مقطع مكون من حرف وحركة لا على حرف واحد فقط. وهنا نجد تطرفا من الإملائيين والصرفيين فى اتجاه، وتطرفا مثله من العروضيين فى اتجاه آخر. فأما الأولون فقد جعلوا من الحركات علامات إضافة على الحروف الصحيحة وجعلوا ألف المد فى صورة الياء أحيانا وحذفوها من الكتابة أحياناً أخرى. وجعلوا الصحاح أصول الكلمات دون العلل، وبنوا دراسة التصريف والاشتقاق على الصحاح دون الحركات وأجازوا فى العلل والإعلال والإبدال ولم يكادوا يرضون ذلك فى الصحاح. وأما العروضيون وهم ألصق بالموسيقى والإيقاع فقد انصرفوا إلى العناية بالعلل والحركات

فجعلوها جوهر دراستهم لما فيها من إمكان ضبط الكمية طولا وقصراً أى ضبط الإيقاع ولما فيها كذلك من الوضوح السمعى إذا ووزنت ، بالصحاح ، وهذا الوضوح الذى فيها يرتبط بفكرة الموسيقى فى الشعر . وأنت تستطيع أن تطيل فى ألف المد مثلا فتغنى بها نغمات مختلفة يطرب لها السامع ، ولكنك لا تستطيع أن تفعل ذلك بسين مشكلة بالسكون . ومن هنا تطرف العروضيون فى إهمال الصحاح والعناية بالحركات والعلل كما تطرف الإملائيون والصرفيون فى عنايتهم بالصحاح وإهمالهم الحركات .

٢ ـــ والناحية الثانية من نواحى قصور الخط العربى أن هذا الخط باستخدامه العلامات الإضافية التى هى النقط والشكل فى الكتابة لا يدع فرصة الانسياب ليد الكاتب ، وإنما يجعله بعد فراغه من كتابة الكلمة يعود إلى هذه الكلمة مرة أخرى ليكملها نقطا وشكلا . ولو كان كل حرف من حروفها متميزاً بشكله الخاص لا بما يضاف إليه من نقط وعلامات، إضافية لكان أولى بالكاتب أن يحس بسهولة لا نظير لها فى الكتابة ، ولكانت الكتابة عند المجيدين لها عملا من أعمال المتعة الحركية كالرياضة والسباحة واللعب .

وهكذا نشأ إحساس الناس ثم شعورهم بمشكلة الخط العربى فعملوا أفراداً وجماعات وهيئات على علاج هذه المشكلة ثم قدر لهم فى النهاية أن ينحرفوا بإصلاح الخط من إصلاح الكتابة إلى إصلاح الطباعة . والحق أن إصلاح الخط العربى بصفة عامة تجابهه عقبات وظروف من أنواع مختلفة منها المالية والقومية والنفسية والاجتماعية والثقافية ، وسوف أشرح كل أولئك بالترتيب بادئاً بالعقبات المالية :

وأقصد بالعقبة المالية ضرورة إعادة طبع الكتب العربية جميعها بالخط الذى يأتى وليد الإصلاح . فإذا علمنا عدد الكتب العربية التى تم طبعها حتى الآن أدركنا المبلغ العظيم من المال الذى يجب أن ينفق على إعادة الطبع سواء أكان ذلك متصلا بإعادة تكييف آلات الطباعة حتى تناسب النظام الجديد ، أو متصلا بنفقات طبع هذه الكتب . وسواء أكان الإصلاح تحويلا أو تحويراً لصور الرموز الحاضرة أم كان استخداما لرموز مستحدثة . ولا شك أن الاقتصاد القومى فى حالته الحاضرة موجه إلى نواح من الاستغلال وإلى مشروعات مدروسة هامة تهدف إلى رفع مستوى معيشة الفرد وإلى تقوية الدولة وإرسائها على قواعد اقتصادية ثابتة ومن الخطل أن ننصرف عن هذا الجهد المبارك إلى جهد آخر غير مضمون النتائج . المسألة إذن ليست مسألة تحمس للإصلاح الهجائى

وكنى وإنما هى مسألة تتصل أوثق الاتصال بمستقبلنا أفراداً وأمة .

أما من الناحية القومية فهدفنا الآن هو التجمع فى أمة عربية واحدة حدودها المحيط الأطلسى غربا والخليج العربى شرقا وجبال طوروس شمالا وخط الاستواء جنوبا . وإن مظاهر وحدة هذه الأمة هى الوحدة فى الإحساس والشعور والأمانى واللغة والموقع الجغرافى والتكامل الاقتصادى وأمور أخرى أحدها دون شك - وأرجو ألا يسخر القارئ من ذلك - هو الوحدة فى النظام الكتابى والإملائى . والمعروف أن بعض أقطار هذه الرقعة العربية مستقل وبعضها محتل ؛ بل إن أقطارها المستقلة فى ظروفها الحاضرة لا تجمع على سياسة موحدة فبعضها ينهج نهج سياسة عربية خالصة وبعضها الآخر ينهج سياسة عربية ، على عينها نقطة ، فإذا بدأ أحد هذه الأقطار بإصلاح خطى كان مخاطراً فى ذلك أكبر مخاطرة . فهو إما أن يصر على هذا الإصلاح وتخالفه فى ذلك أقطار عربية أخرى مستقلة فينقسم العرب إلى شيعتين ويضرب بينهم بسور إملائى ليس له باب وإما أن تتفق كل الأقطار العربية المستقلة على ذلك ، ويبقى العرب المحتلون بعيدين عن هذا التيار الجديد . ولن يكون فى طوقنا حينئذ أن نعينهم على الخلاص من المستعمر بنفس الدرجة التى توجد الآن ، لأننا إن وصلنا إليهم عن طريق الإذاعة وفهمونا فلن يفهموا ما نكتبه موجها إليهم فى صحافتنا ومطبوعاتنا الأخرى . خير الأمور إذن أن يبقى الخط العربى الحاضر كما هو حتى يتم توحيد الأمة العربية كافة وعندئذ نستطيع أن نفكر جديا فى إصلاح هذا النظام الخطى المعيب .

ثم انظر بعد ذلك فى موقف بعض الأمم الإسلامية التى ارتضت أن تكتب لغاتها بخطنا العربى حين تجدنا أصبحنا لا نحترم هذا الخط الذى احترمونا من أجله فاستخدموه قرونا طويلة . إن هذه الأمم ستحس بشىء من الأسى يشبه شعور المخذول الذى خاب أمله فى عزيز لديه .

وكلنا يذكر سخطنا على الأتراك حين نبذوا الحروف العربية واستبدلوا بها الحروف اللاتينية . لقد كنا نحس أن الأتراك بعملهم هذا كانوا يتنكرون لبعض مقدساتهم ويقطعون أنفسهم عن التركة الثقافية التى اغتذوا بلبانها وأعانتهم بعد حياة الرعى على أن يكونوا أمة ذات حضارة وثقافة . ولعل الأتراك لو حوروا الخط العربى الذى كانوا يستخدمونه إلى صورة أخرى لا تبعد به عن حاضره لكانوا قد وصلوا إلى حيث هم الآن ولكن بدون أن يشعر العالم الإسلامى نحوهم

شعور المرارة . كانوا إذن يستطيعون أن يصلوا بتحوير الخط العربى إلى مثل هذا الاستقلال بنظامهم الكتابى دون هذه القطيعة بينهم وبين ماضيهم الثقافى ولكن الصدمة التى شعر بها العالم الإسلامى حينئذ كانت تخف وطأتها . أفئن قطعنا نحن بيننا وبين ماضينا الثقافى على هذه الصورة أفلا يكون صدى ذلك حسرة وحيرة أيضا فى صدور بقية الشعوب الإسلامية ؟ .

على أننا إن فعلنا ذلك فسوف يكون مجتمعنا العربى أشبه برجل منشق الشخصية . فإن أطفال هذا المجتمع سيتعلمون النظام الكتابى الجديد وسيجهلون القديم جهلا تاما ، وإلا فما الداعى الذى يدعو إلى تعليمهم نظامين كتابيين للغة واحدة !. وسوف يتعلم البالغون من أعضاء هذا المجتمع ذلك النظام الجديد ويضيفونه إلى ما تعلموا من النظام القديم وسوف يكون هدفهم من تعلم النظام الجديد أرضاء حاجات الحياة على حين يكون احتفاظهم بالنظام القديم إرضاء لموقف نفسى . وستذكر عنوانك لصديقك حينئذ فيبدأ فى كتابته بالهجاء الجديد ويتعثر قليلا فى هذه الكتابة التى تعلمها فى رجولته وستراه حينئذ يتسكس بشىء من الضيق إلى النظام القديم الذى ألفه منذ طفولته يكتب به العنوان بالسرعة التى تعودها من قبل .

أما المسنون فسوف يثورون فيما بينهم وبين أنفسهم على هذه البدعة ويرفضون رفضا باتا أن يتعلموها أو يعملوا بها . فإذا كان الأمر كذلك أفلست ترى فى هذا الموقف النفسى والاجتماعى عرضا من أعراض الاضطراب مهما كان مؤقتا ؟ وما أغنانا فى هذه الفترة من حياتنا القومية عن إضافة اضطراب جديد إلى ما نحس به من اضطرابات يعود كلها إلى النزاع الذى فى نفوسنا بين الرغبة فى الاتجاه إلى الحضارة العالمية الحديثة والرغبة فى الاحتفاظ بطرق الحياة الإسلامية التقليدية .

ولئن أجرينا إصلاحا أبجديا وفى المكتبة العربية مخطوطات عظيمة العدد فسيضيف ذلك صعوبة جديدة إلى صعوبات نشر المخطوطات وتحقيقها لأن ذلك النوع من النشاط سيصبح لا يقبل عليه إلا قلة بالنسبة لعدد المحققين الآن ، لأن الذى يندب نفسه لتحقيق أية مخطوطة فى الوقت الحاضر إنما يقرأ النص ذا الخط الردىء لتعوده بعد المران الطويل على الطرق التى يمكن أن يلتوى بها الخط العربى ومن ثم يجد سهولة نسبية فى قراءة النص . فإذا نشأ هذا المحقق على خط عربى غير الخط السائد الآن فسيضيف ذلك صعوبة إلى عملية تحقيق النص . وإن مثل هذه الصعوبة لا بد أن يصرف بعض الراغبين

(البقية على صفحة ٤٥٤)

المصطلحات العروضية

للدكتور عبد الله درويش

لقد أوردنا فى كتابنا « دراسات فى العروض والقافية » أنه من الممكن تعديل بعض المصطلحات العروضية [1] ونضيف هنا أن هذه المصطلحات التى استقر العرف عليها يمكن أن تعدل إذا ما نظرنا فى الأساس الذى استنبط منه الخليل بحوره ، وهو الدوائر العروضية .

فهذه الدوائر [2] التى انتظمت جميع بحور الشعر اعتمدت على الأوتاد والأسباب وعلى ترتيبها ترتيبا معينا ، فكل ترتيب بوضع خاص ينتج دائرة خاصة .

ولنا أن نتساءل هل رتبت المقاطع أى الأسباب والأوتاد على أساس منطق معين فتكونت منها الدوائر ؟ لقد حاولت جهد المستطاع أن أكشف عن ذلك ولكنى لم أستطع .

وإذا حللنا هذه الدوائر تحليلا علميا وصفيا فإننا نجد أن كل دائرة إنما رتبت فيها الأسباب والأوتاد على أساس بحر واحد معين ، ثم استخرج من هذه الدوائر المعينة عدد آخر من البحور .

(١) المقدمة ص ١١ .

(٢) دراسات فى العروض ص ١٥٤ وما بعدها .

وهذا ما دعانا إلى أن نسمى الدوائر باسم أول بحر فيها أو باسم البحر الذى اتخذت تفاعيله ، أى أسبابه وأوتاده ، أساسا للدائرة نفسها .

وعلى ذلك أصبحت مصطلحات الدوائر كالآتى :

١ — دائرة المختلف — دائرة الطويل
٢ — دائرة المؤتلف — دائرة الوافر
٣ — دائرة المجتلب — دائرة الهزج
٤ — دائرة المشتبه — دائرة السريع
٥ — دائرة المتفق — دائرة المتقارب

أما البحور التى تستخرج من كل دائرة فهى نفس البحور التى استخرجها الخليل من الدوائر .

وتعديلنا لاسم الدائرة إنما وضعناه بناء على الواقع وهو أن البحر الأساسى فى كل دائرة قد استنبط منه إخوته من البحور التى تشترك معه فى الأسباب والأوتاد .

وينبغى التنبيه إلى حقيقة هامة وهى أننا بذلك لا ننال من عبقرية الخليل فى شىء بل إننا نقف لها إجلالا وإكبارا ، وما كان الخليل ليحتم على الأجيال من بعده أن تقف

جامدة عند آرائه واستنتاجاته ، والمسائل العلمية تتضح وتنمو بالتعليق عليها أو الإضافة إليها أو التعديل فى مصطلحاتها ، وإننا نحاول بهذا البحث المتواضع أن نستهدى بقبس الخليل فيما وضعه من مسائل لا أن نقف جامدين عندها .

وعلى هذا الأساس نلاحظ أن نظام الدوائر قد أدى إلى الأمور الآتية :

١ — النص على استعمال بعض البحور مجزوءة فقط لأنه لم يرد منها قصائد على وزنها الكامل الذى تقتضيه الدائرة . مثال ذلك : الهزج - المضارع - المقتضب - المجتث .

٢ — بعض التفاعيل وإن تشابهت فى النطق . تكتب بصور مختلفة مثل : مستفعلن ومستفع لن ، وكذلك فاعلاتن ، وفاع لاتن .

٣ — بعض البحور لم تستعمل أعاريضه أو أضربه على الصورة الأساسية فى الدائرة مثل الوافر ، السريع .

٤ — ويتبع ذلك كثرة مصطلحات الزحاف والعلل .

فإذا عرفنا أن الدوائر ما هى إلا وسيلة لحصر البحور فقط فهلا يمكننا أن نستغنى عنها إذا ما عرفنا حصر البحور بطريقة أخرى ؟ .

إن عدد البحور العربية المستعملة قليل ويمكن معرفته دون الحاجة لمعرفة الدوائر . بل إن كثيراً ممن يعرفون بحور العروض لا يعرفون هذه الدوائر .

إذن ماذا يحدث لو لم نربط بين الدوائر والبحور ؟ .

لو فصلنا العلاقة بين الدوائر وبحور الشعر لتوصلنا إلى اختصار بعض المصطلحات العروضية . ولوفرنا بعض الجهد والوقت على طلاب العروض والباحثين فيه .

وقد ذكرنا آنفا أن ربط البحور بالدوائر قد ترتب عليه بعض نتائج ذكرنا أهمها وعلى هذا لو تغاضينا عن نظام الدوائر لأمكن أن نصل إلى النتائج الآتية :

أولا — الاستغناء عن التفعيلتين ذواتى الوتد المفروق وهما مستفع لن ، فاع لاتن اكتفاء بالتفعيلتين مستفعلن وفاعلاتن .

ثانياً — البحور التى لم ترد أعاريضها أو أضربها صحيحة يمكن الاستغناء عن ذكر مصطلح العلة فى العروض أو الضرب . فمثلا الوافر يفرض نظام الدوائر أن كلا من عروضه وضربه . مفاعلتن ثم يدخلها القطف الذى هو اجتماع العصب مع الحذف فتصبح « فعولن ، وعلى ذلك يمكننا أن نقول بادئ ذى بدء : إن بحر الوافر وزنه .

مفاعلتن مفاعلتن فعولن
مفاعلتن مفاعلتن فعولن

وكذلك بحر السريع الذى يفرض نظام الدوائر وزنه على هذا الوضع :

مستفعلن مستفعلن مفعولات

مستفعلن مستفعلن مفعولات

فكل من عروضه وضربه لم تستعمل صحيحة بل يدخلها التغيير فيحذف رابعها وسابعها وبعبارة أخرى يدخلها الطى مع الكسف فتصبح مفعلا وتنقل إلى فاعلن .

ونلاحظ بمراجعتنا لأعاريض السريع وأضربه[1] أن السريع له أكثر من عروض ومن ضرب بخلاف الوافر الذى له عروض واحد ولها ضرب واحد كذلك . وتعدد أعاريض السريع وأضربه يمكن أن يبنى على أساس « فاعلن » فنقول : إنه أحيانا يكون « فاعلن » وأحيانا « فاعلان » وأحيانا فعلن بتحريك العين وسكونها .

ويمكن تطبيق هذا أيضاً على بحر البسيط الذى يعتبر أصله بحسب نظام الدوائر .

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

ولكن عروضه وضربه لا يستعملان صحيحين بل يغيران إلى فعل أو فاعل

ويمكننا حين نتخلص من الدوائر أن نعتبر أن عروض هذا البحر تكون فعلن بتحريك العين وضربها إما مثلها وإما فعلن بإسكان العين .

وهكذا يمكننا أن نطبق هذا على كل بحر لم يستعمل فيه عروضه أو أضربه على الصورة التى افترضتها الدوائر فنتخلص من بعض المصطلحات العروضية التى تؤدى كثرتها إلى صعوبة علم العروض ودقائقه على طلاب موسيقى الشعر العربى . على الأقل عند من يتعلم العروض ليعرف أوزان الشعر . أما البحث العلمى فيتطلب الإحاطة بكل ما فيه من مصطلحات ثم إذا عرض للباحث أن يختصر أو يزيد فلا مانع من قبول ذلك متى أقام عليه الدليل ، ومتى ما كان له غرض يهدف إليه .

واختصار الأصل الافتراضى أو التخيلى للتفعيلة لا يضر العروض العربى فى شىء بل بالعكس يخدم هذا العلم حيث يخفف من صعوبته التى جعلته أشبه شىء - « باللوغاريتمات » ولكن ينبغى أن يكون كل تعديل مبنيا على أساس علمى . .

وأساسنا هنا هو المنهج الوصفى Descriptive Approach وهو ما استعملته المدرسة اللغوية الحديثة فى فروع مستويات البحث اللغوى .

ثالثاً — يمكننا أن نربط الزحاف بالبحر لا بالتفعيلة فنجعل زحاف البسيط

---

(١) دراسات فى العروض بحر السريع .

الخبن والطى . منفردين أو مجتمعين فى مستفعلن . ونجعل زحاف الخفيف مثلا الخبن فى مستفعلن دون جواز طيها ، مع ذكر زحاف فاعلن فى حشو البسيط وفاعلاتن فى حشو الخفيف .

وعلى هذا لا داعى لكتابة مستفعلن فى الخفيف بوتد مفروق وكذلك فى المجتث .

وكذلك يمكننا أن نجعل التذييل والتسبيغ شيئا واحدا فنكتفى باصطلاح واحد منهما ، صحيح أن أحدهما داخل على تفعيلة آخرها وتد مجموع والثانى داخل على تفعيلة آخرها سبب خفيف . ولكن هذه التفرقة لا تنافى توحيد التسمية . فيكفينا أن نقول: إن متفاعلن قد تصبح متفاعلان ، وإن فاعلاتن قد تصبح فاعلاتان . وسوف يسمح هذا باطراد القاعدة وعدم اضطرابها . والذى حمل العروضيين على التفرقة بينهما أنهم ربطوا الزحاف بالتفعيلة ففرقوا بين التفعيلة التى آخرها سبب ضعيف وبين التفعيلة التى آخرها وتد مجموع . ومثل هذا يقال فى القصر والقطع . ولكن إذا ربطنا الزحاف بالبحر نفسه فلا نحتاج لهذه التفرقة (١) .

رابعا : إن بحور الهزج أو المجتث أو المضارع أو المقتضب يتكون كل منها من أربع تفعيلات فقط كل اثنتين فى شطر . ولكن العروضيين افترضوا أن أصل كل منها ست تفعيلات بناء على نظام الدوائر ، ولذا قالوا : إن مثل هذه الأبحر يقال له مجزوء وجوبا .

ولكن إذا تخلينا عن فكرة ربط البحور بالدوائر أمكننا أن نقول : إن موسيقى الشعر العربى تستعمل بعض البحور ثمانية التفاعيل دائما وبعضها سداسية التفاعيل دائما . وبعضها رباعية التفاعيل دائما . وأحيانا تستعمل للثمانى والسداسى صورة أخرى مختصرة فتجعل الأولى ست تفاعيل والثانية أربع تفاعيل ، أو بعبارة أخرى نقصر اصطلاح « الجزء » على ما استعمل منه أصله التام . أو بتعبير آخر نبتعد عن الأصل الخيالى الافتراضى . ونظل فى دائرة ما ورد به الشعر فعلا وهو ما تقتضيه طبيعة المنهج الوصفى .

خامسا : يمكننا أن نتوسع خطوة أخرى فى تعريف المجزوء فلا نكتفى كما يقول العروضيون بأنه ما حذف منه عروضه وضربه بل نقول : إنه يشمل ذلك ، ويشمل أيضا ما حذف منه صدر كل من شطريه أى التفعيلة الأولى من كل منهما وسوف لا يؤدى هذا إلى فرق عملى فى مثل الكامل أو الرجز لكنه يؤدى إلى فرق عملى فى مثل الخفيف الذى أصل شطره .

(١) دراسات فى العروض ص ١٤٦ وما بعدها .

فاعلاتن مستفعلن [1] فاعلاتن .

فيكون له مجزوءان :

الأول ما يعرفه العروضيون بمجزوء الخفيف وهو :

فاعلاتن مستفعلن

فاعلاتن مستفعلن

والمجزوء الثانى يكون على هذه الصورة .

مستفعلن فاعلاتن

مستفعلن فاعلاتن

وهو ما يعرفه العروضيون باسم المجتث وإذا أضفنا إلى ذلك التخلص من الدوائر أمكننا أن نستغنى عن كلمة المجتث فى العروض اكتفاء بإدماجه فى مجزوء الخفيف بعد تعديل تعريف المجزوء .

ومثل هذا يقال فى المنسرح الذى شطره .

مستفعلن مفعولات مستفعلن .

فله مجزوءان . الأول ما عرفه العروضيون باسم مجزوء المنسرح وهو :

مستفعلن مفعولات

مستفعلن مفعولات

والمجزوء الثانى يكون على هذه الصورة .

مفعولات مستفعلن

مفعولات مستفعلن

وهو ما يعرفه العروضيون باسم المقتضب وبهذا نكون قد اختصرنا أسماء البحور وبدهى أن ذلك لا يعنى إهمال الشعر العربى الذى على وزن :

مستفعلن فاعلاتن

مستفعلن فاعلاتن

أو على وزن .

مفعولات مستفعلن

مفعولات مستفعلن

أى ما يعرفه العروضيون باسم المجتث أو المقتضب ، بل نكون قد أدمجنا تبعا لهذا المنهج هذين البحرين فى بحرين آخرين هما الخفيف والمنسرح .

وبعد :

فهذه خطوط عريضة لبعض الاصطلاحات العروضية التى يمكن تعديلها . والتى أوحى بفكرتها تطبيق المنهج الوصفى اللغوى على قواعد علم العروض . وعلى أساسها وأساس المشروع الذى وضعه أستاذنا الدكتور ابراهيم أنيس [1] يمكن للباحث أن يضع مشروعا آخر شاملا لتفصيلات البحور ولزحافاتها من جهة وللمصطلحات العروضية بصفة عامة ، ولعل المستقبل كفيل بتحقيق ذلك .

الدكتور عبد الله درويش

---

(١) آثرنا عدم كتابة مستفع لن .

(١) كتاب موسيقى الشعر للدكتور ابراهيم أنيس فصل « مولد مشروع » .

الشيخ عبد الجواد رمضان

للأستاذ علي العماري

تحت هذا العنوان كتب أستاذنا المرحوم الشيخ عبد الجواد رمضان فصولا رائعة فى مجلة الأزهر عن شعراء أزهريين . كان منهم المشايخ حسن القاياتى وأحمد الزين ومحمد الأسمر .

وقد رأيت أن أعيد فتح هذا الباب ، حتى يتسنى أن نوفى النابغين من شعرائنا حقهم ، ونرفع عنهم بعض الظلم الذى لحقهم فى حياتهم ، وليس أولى من مجلة الأزهر أن تكون سجلا تخلد فيه مآثر هؤلاء .

والإنصاف يقتضينى وأنا أعيد فتح هذا الباب ، وأستأنف الحديث عن شعراء الأزهر ، أن أبدأ بصاحب الفضل فى هذا المجال فأترجم له ، وأعرف به ، وأسوق طائفة من آرائه وشعره ، ولعلى بذلك أؤدى بعض الدين ، الذى قلدبه عنق كل متخرج فى كلية اللغة العربية ، أؤديه بمناسبة الذكرى الأولى لوفاته

وقبل أن أمضى إلى الغرض أعرض لظاهرة لاحظها كثير من الراصدين للحركة الثقافية فى العصر الحاضر ، وعلل لها بعض كتابنا ومفكرينا ، هذه الظاهرة هى قلة النابهين من الشعراء بين الأزهريين بالنسبة إلى عدد المتخرجين فيه .

وقد علل الأستاذ العقاد هذه الظاهرة فى كتابه (شعراء مصر وبيئاتهم) بأن القدوة لشعراء الأزهر ـ فى هذا المذهب ـ ما يروى عن الإمام الشافعى ، إذ يقول :

ولولا الشعر بالعلماء يزرى
لكنت اليوم أشعر من لبيد

ويرى غيره أن رسالة الأزهريين دينية خلقية ، فلم يكن من الجائز فى نظرهم أن يسرفوا فى قول الشعر هجاء وملاحاة ، أو يمعنوا فى قرضه خوضا فى عرض أو تأريثا لعداوة ، ورأوا من كرامة العلماء أن يعفوا عن المبالغة فى المدح والإطراء ، والتدلى إلى الكذب ، والتجنى على الناس ... والشعر فى رأى الشاعر الذى لا يتزمت ولا يتعفف ، خيال وتصوير وافتنان ، لاتحرج فيه ولا تصون .

ويرى فريق ثالث أن الأزهرى حائر بين حياته الواقعية وحياته المثالية ، فهو مثلا له عواطف وانفعالات ونزوات ، فلو رغب أن يعبر عنها رأى من حوله نظرة الناس إليه فيمسك .

وأدق تعليل رأيته فى ذلك هو ما قاله صاحب الترجمة « إن الموهبة الشعرية ـ عند

الأزهرى - يساورها فيقهرها ما ركب فى طبيعة دراسته من النهج العلمى القوى العميق المعلل المحدود بالاصطلاحات الفقهية ، والأدلة العقلية ، والأساليب الدقيقة المحكمة وتغلغل هذا النهج فى شعاب تفكيرهم واتجاهات بحوثهم ، وإنما يخدم المواهب الشعرية ويربيها ، ويبلغ بها إلى غاياتها من الجمال الفنى ، الثقافات الأدبية التى تعم ولا تخص ، وتلم ولا تتعمق ، وتجمل ولا تفصل ، وتتوخى المقدمات الخطابية لتنتقل منها إلى الأقيسة الشعرية التى تحلق فى آفاق الخيال . وترصع سماء الأدب ، وتبرز الجمال فى صور بهيجة رائعة مونقة ، تروق المشـاعر وتوقظ العواطف ، وتطرب النفوس ، متهدية إلى سحرها وفتنتها وخلودها ، بفيوض الأذواق الشفافة الذواقة ،لا بأوامر العقول الصارمة » .

على أننا نستطيع أن نقول: إن لكل سبب من هذه الأسباب ضحاياه من وجهة نظر الفن الشعرى ، وقد تكون هذه الأسباب مجتمعة هى السر فى هذه الظاهرة التى حرمت الأدب من عبقريات كثيرة كان يمكن أن تخلف لنا الروائع .

فى أوائل هـذا القرن خرج من بلده (شدموه) من أعمال الفيوم شاب صغير ناحل الجسم ، ضعيف البنية ، كما وصفته - فيما بعد - بعض الصحف ،فتمثلت بقول بشار :

إن فى بردى جسما ناحلا
لو توكأت عليه لانهدم

خرج إلى القاهرة ليطلب العلم فى الأزهر ، ثم عاد منذ عام ، إلى بلدته نفسها ، ليرقد فى ثراها رقدته الأخيرة ، - وكان كثير الحنين إليها - . وفى هذه الحقبة الطويلة التى قضاها فى خدمة العلم والدين والأدب ، طالباً فى الأزهر ، ومدرساً فى الأوقاف الملكية ، ومدرساً فى معهد القاهرة ، وأستاذاً فى كلية اللغة العربية ، كان الصديق الوفى لأصدقائه ، والأب الرحيم لأبنائه ، واليد الحانية العاطفة على من تنكر لهم الزمن من معارفه .

كان أستاذاً يتسم بأصالة الرأى ، وسماحة الخلق ، وعفة النفس ، لم تثنه دنية من الدنايا عن رأى ارتآه ، ولم يخدعه أمل من الآمال عن موقف عزة وكرامة ، ولم يتخل فى يوم من أيام حياته عن فضيلة التواضع .

كان كما يتحدث عن نفسه (إنسانا فى طبيعته العزوف عن الزحام ، ولو أنه على الحياة) . وهذا يفسر لنا سر إحجامه عن نشر كتاب أو ديوان شعر ، إلا ما تطلبه عمله ، أستاذاً فى كلية اللغة .

عرفته منذ أكثر من عشرين سنة كاتباً فى الصحف المصرية ، يشارك فى الأدب والنقد ، ويناضل عن مكارم الأخلاق ، ثم تتلمذت عليه ، فرأيت العلم الغزير ، والعقل الكبير ، والخلق الفاضل .

كان الشيخ فى مقدمة الأزهريين الذين يعلنون عن رأيهم بصراحة، لا التواء فيها ولا غموض، ويدافعون عنه بحجج لا مخادعة فيها ولا تمويه، وينازلون خصومهم فى أدب مقال، ونصاعة بيان، وقد يلجأ إلى النكتة اللاذعة أحيانا.

ولم يدع يوما أنه مجدد، وإن أعلن أنه يرحب بالتجديد، فيقول فى صراحة: «ولقد نشطت حركة النقد فى هذه الأيام نشاطاً بارزاً، واستفاضت فيه البحوث، واتسع مجال النشر فى المؤلفات والمجلات والصحف اليومية وأخذ اتجاهه فى الأعم الأغلب على ضوء من الثقافات الغربية وآدابها وأدبائها، وبأقلام مجددة ثائرة فى أغلب الأحيان، وهى حركة نلقاها - نحن المحافظين - كما تعودنا أن نلقى كل علم وفن، بصدر رحب، وتعطش إلى المعرفة وشوق إلى الإفادة».

«بيد أن كل أولئك لا يلهينا عن أدبنا الخالد ما خلد القرآن الكريم، ولا نرضى أن تدفع من التنكر له أو الانحراف عن سننه ر منهاجه ثمناً لما نغنمه من مذاهب النقد الحديث، فنسكت على هضيمة، أو نتام معه على ضيم».

ويقول فى موضع آخر: «إننى - على الرغم من رجعيتى - لا أبغض التجديد ولا أنعى على المجددين، ولا أثبط من هممهم، وإنما أريد أن يكون للتجديد حدود تعينه ورسوم تضبطه، وعلامات ترشد إليه حتى يعم، وينفع ويعيش، فأما التجديد المرادف للفوضى فلا يبعد الله غيره».

ويشعر بعد وفاة صديقه وصنوه الشاعر محمد الأسمر أن حركة التجديد قد طمت وعمت وأن أمثاله من المحافظين قد قلوا، فيرسل هذه النغمات الحزينة الباكية:

لا تأس، هذا عالم محدث
مبالغ فى التيه، مستكبر
ضاق، فلم يبق لنا موضع
فيه، ولم يبق لنا معشر
أحياؤنا فيه كأمواتنا
ليس لهم فى الفن ما يؤثر
«سلامة»[1] يحقر آدابنا
ولابنى من شعرنا يسخر
هذا الغليظ الأعجمى الذى
بكل عرف فاضل يكفر
أليس فى الموت لنا راحة
من موقف فى الهون يستنكر
ينالنا البغى ولا دافع
ويشتفى منا، ولا نثأر

ولم يكن يرى أن الأزهر متخلف - كما يشيع كثيرون - بل يرى أن حركة التجديد والإصلاح فى الأزهر إن بدت بطيئة جداً فليس ذلك لأنها ضعيفة بل لأن الحركة إنما تبدو بوضوح فيما خف من الأجسام، فأما

(١) يريد الأستاذ سلامه موسى الكاتب الصحفى المعروف.

ذلك المحيط الزاخر فإن حركته وإن كانت أثبت وأرسخ هى فى مرأى العين دقيقة خفية ، وأسرع عقارب الساعة حركة هو عقرب الثوانى كما أن أثبت الخطا خطوة المتريث المتأنى .

على أن الأزهر لو أراد الحركة السريعة ما استطاعها ؛ ذلك بأن مجده منوط بالمحافظة على قديم الإسلام فالتجديد الثائر فيه يقلب حقيقته ، وإنما ينجح فيه التطعيم الثقافى التدريجى الذى يعمل فى التقريب بين الجديد والقديم ، ويوائم بين عناصرها فى أناة ورفق

وكم نود — بجدع الأنف — أن تنقح الكتب ، وتهذب أساليب الدراسة ، بيد أننا نعد من أشنع ضروب الإفلاس أن نترك ما فى أيدينا من قديمنا قبل أن يحصل فيها ما يغنى عنها من الجديد .

أما آراؤه فى الأدب ، فكثيرة ، وهو لا يوافق بعض النقاد فى أن الشعر العربى قد وقف بعد شوقى وحافظ ، وأضرابهما ، بل يرى أنه ما يزال بين بنى العروبة شعراء لا يدافعون عن حياض الشعر ، ولعل الادنى إلى الصواب — كما يرى — أن الذى انقضى إنما هو عهد فحول الشعراء .

وعنده أن أهم الأسباب التى وقفت بالشعر عجز الخيال عن التحليق فى أفق أرفع من الآفاق التى اخترقتها الحقائق العلمية فى هذا العصر ، ويعد العقاد وبيرم التونسى ، أفحل شاعرين فى مصر ، لولا أن أولهما انصرف إلى الكتابة والتأليف فوهبهما صفو عنايته ، وفورة جهوده وأبقى للشعر فى نفسه ركناً مهجوراً ، وأن الآخر استبد به الزجل الذى يجيده ببراعة لا تجارى .

ويناقش الذين يجعلون إيليا أبا ماضى شاعرا فحلا ، قائلين : إن شعره يعد نموذجا كاملا للشعر الجديد يحوى عناصره الفنية جميعا ، فلا ينكر أن أبا ماضى شاعر موهوب يمضى شعره بحظ عظيم من الرقة والعذوبة ، ولكنه يعود فيرميه بأن الجزالة التى هى ملاك الشعر العربى ، وقوام روعته وصولته تعوز هذا الشاعر ، ويرى أن شعر أبى ماضى لا يعدو - على أسمى حالاته - طبقة النوع النازل من شعر البحترى .

وعنده أن إمام النقاد فى الشرق العربى هو الدكتور طه حسين ، وسر ذلك - فيما يرى - أن الدكتور لم يدرس الأدب الغربى إلا بعد أن قتل الأدب العربى بحثا ونفذ إلى أسراره من جميع شعابها ومداخلها .

ويعزو إلى الصحافة المشاركة فى كثرة الشعر التافه وشيوعه بما تسديه إلى من لا يحسنون الشعر ، فكل من استطاع أن يركب كلمات توازن تفاعيل بحر من بحور الشعر ، وجد مجلة أو صحيفة تنشر له ، مع فقدان الموهبة الشعرية ، أو ضعفها ضعفا لا يستقيم عليه شعر .

وأستاذنا الشيخ عبد الجواد شاعر مطبوع له شعر جيد من الشعر الجزل الذى يذكرنا بشعر البحترى والشريف الرضى ، ليس فيه كلمة نابية فى موضعها ، أو زائدة على المعنى ، وقد شرف كثيراً من شعره بمدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، وفى ذلك يقول :

وقفت على أبى الزهراء فنى
كأنى حين أمدحــــه أغنى
ليرويها لسان الدهر عنى
فرادى ـ كالقلائد ـ أو توأما

ويقول فى موشحة جميلة رائعة يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إعطف على بائس أديب
مروع فى الحياة عان
قل لى ـ إذا خفت من ذنوبى ـ
لا تبتئس ، أنت فى ضمانى !

وقد لاحظت أنه كان كثير الحنين إلى أيامه الأولى ، وقلما تأتى مناسبة لا يترحم فيها على ما مضى من أيام الشباب ، وكلما ذكرها ، أتبع بقوله : (وما أوجع الذكرى) .

ولما تقدمت به السن بكى الشباب بدمع هتون ، من ذلك قوله فى مطلع الموشحة التى أشرت إليها آنفا :

أف لهــذا المشيب يمحو
أجمل ما خطه الشباب
يغفى الفتى غفـوة ويصحو
إذا زمان الصبا سراب
روض زها نبته وصبح
يعقبه الجـدب والضباب
يا لك من طارق غريب
عن الهوى والصبا لوانى
أحيا به عيشة الحـريب
بـلا خيـال ، ولا أمانى
يا لهف نفسى على شباب
من المنى ، والحيـاة أحـلى
الظرف ، والقصف ، والتصابى
يوم تولى الشباب ولى
عوجو على ربعـه ركابى
أحط من ذى الهموم ثقـلا
أسبح فى أفقه الرحيب
وأنشق الترب فى المغانى
وأمـلأ الجو بالنحيب
أسى وحزنا على زمانى

وكان وفيا لأصدقائه ، يفارقون هذه الدار فيبكيهم أحر بكاء ، وآخر ما قرأناه له فى الرثاء قصيدته الرائعة ، فى شاعر الأزهر ، محمد الأسمر ، وفى هذه القصيدة يذكر أيامه التى كانت تزخر بالصفاء .

يا صاحبى ؛ معـذرة ؛ إننى
غادرنى خطبـك لا أشعـر !
ذكرنى فقـدك أيامنا
تلك اللواتى بالصفا تزخر
رعى الرفاق الغر روض المنى
فيها ، وحيا الصبا الأنضر

يدور فيما بيننا عندها
ما يسكر الروح ، وما يسحر
حال حماها ، وانقضى أمرها
إلا حديثا قلما يُذكر

ولعله يشير بذلك إلى الأيام التى كان يجتمع فيها نخبة من الشعراء ، فى قهوة (عم حسين بشارع محمد على) هم : أحمد الزين والهراوى والأسمر ورمضان وغيرهم من الشعراء ، وكثيرا ما كان يذكر هذه الأيام ، ثم ينشد :

لله أيامنا المواضى
لو كان ماض لنا يعود

ثم يختم قصيدته فى الأسمر بهذين البيتين الرائعين :

نم هانئا ، إنا على موعد
يطول من بعدك أو يقصر
لا يبعدنْك الله من راحل
بالظرف والإحسان يا أسمر !

وقد جاء الموعد ولم يطل ، ولحق شاعر الأزهر الشيخ الوقور ، بشاعره البلبل الغريد. رحم الله الشاعرين الكبيرين ، وأجزل لهما المثوبة ؟

على العمارى

(بقية المنشور على صفحة ٤٤٣)

فى التحقيق . أضف إلى ذلك أن أوضح ما فى تحقيق المخطوطة من جهد إنما يتجه إلى ادعاء شكل معين لكل كلمة فى هذه المخطوطة فى ضوء نسخها المتعددة التى عثر عليها المحقق فلأن تكون الطباعة بعد ذلك بصورة الخط الذى فى هذه المخطوطة خير ألف مرة من أن تكون النسخة المطبوعة مكتوبة بنظام هجائى مختلف عن النظام الهجائى الذى فى المخطوطة.

تلك إذن هى العقبات التى تقف دون إصلاح الخط العربى . وإن أدنى تغيير فى هذا الخط لابد أن يستتبع كل الذى شرحناه من مصاعب وليست هذه العقبات هى كل ما يعترض طريق إصلاح الخط سواء أكان ذلك فى الكتابة أم الطباعة . ولست أدرى ما الذى جعل المصلحين يتجهون إلى إصلاح الطباعة دون الكتابة أفكان ذلك ليسر هذا النوع من الإصلاح بالنسبة لعسر الإصلاح الآخر ، أم كان لأن المخاطب هنا بالإصلاح عدد من المطابع والمخاطب به هناك عديد من ملايين العرب ؟ لست أدرى ولكن أى إصلاح كما قلت لا بد أن يؤدى إلى ما ذكرته من المصاعب . وعلى المصلحين أن يفكروا فى التغلب عليها .

دكتور
تمام حسان
أستاذ مساعد بكلية دار العلوم

الشباب العربى والحياة المعاصرة

للأستاذ محمود الشرقاوى

لا أعتقد أن شباباً لقى أو يلقى من الاضطراب والبلبلة الفكرية والنفسية والثقافية مثل ما يلقى شبابنا العربى الآن .

وقد لقينا نحن فى السنوات الثلاثين الماضية شيئاً غير قليل من ذلك ، ولكنه كان أيسر وقعا على أفكارنا وأهون محملا على نفوسنا من هذا الذى يلقاه شبابنا المعاصر .

تتفتح عقول الشباب العربى على تيارات متباينة ، بل متعارضة ، من التفكير والتعليم والثقافة ، كما تتفتح نفوسهم كذلك على إتجاهات ومناهج متعارضة متناقضة للسلوك والعمل . تفكيرنا التقليدى فى التعليم والثقافة قائم على تقديس الماضى والتزام حدوده ، وعدم الخروج عنه إلا بقدر ، أو عدم الخروج عنه إطلاقا . وهذا القدر نفسه يحدده بعض أصحاب المذهب التقليدى أنفسهم ، وقد لا يرون الخروج عن شىء منه أبدا ؛ لأنهم لا يزالون يعتقدون صحة القول القديم : « ما ترك الأول للآخر شيئا » .

وهذه دعوة لها وزنها وخطرها والمدافعون عنها ، عن عقيدة أو عن مجاراة ومداراة ، وتقية ومنفعة ، كما هو الشأن فى كل مجتمع مماثل .

ولكن مدارسنا ومعاهدنا وصحفنا وإذاعاتنا وكتبنا وتفكيرنا ، كثير منها ومنهم يدعو شبابنا دعوة جهيرة خلابة قوية مؤثرة لأن يتركوا قديم أوطانهم ويقبلوا على الثقافة المعاصرة - كما يراها الغربيون - فهى التى سودتهم وحققت لهم القوة والسيطرة على الأرض ، وجعلت غيرهم من البلاد والناس تبعا لهم ، أو دونهم فى المنزلة والقوة والثروة . وأصحاب هذه الدعوة يقولون : إن ثقافتنا التقليدية نفسها تدعونا إلى ذلك ، ويعتقدون صدق مقالة الجاحظ من قبل : « إذا سمعت رجلا يقول : ما ترك الأول للآخر شيئاً . فاعلم أنه لا يريد أن يفلح » .

وأصحاب المذهب التقليدى ينادون شبابنا أن يلتزموا فى آدابهم وسلوكهم وعواطفهم ما كان يلتزمه آباؤهم وأجدادهم من التحفظ والتصون والتحرز ، فذلك أكرم لهم وأليق

بحياتهم الشرقية وآدابهم وتقاليد أوطانهم ، ومن قبل ذلك دينهم .

والداعون للحياة الجديدة ، أو الحياة المعاصرة ، بمقاييسها وقيمها — يدعون الشباب لأن يصبغوا عواطفهم وأخلاقهم ، ويقيموا آداب سلوكهم على القواعد التي يسير عليها ويلتزمها أهل السيادة والقوة في هذا العصر . فذلك أقوم لحياتهم وأبهج لنفوسهم وأسعد لأرواحهم وأكثر نفعا لهم في الحياة وأجدى إفادة لتربية ذواتهم ونماء مواهبهم ومعارفهم ، فهو يحقق لهم متعة الحياة وتربية الشخصية ، ويسلكهم في سلك العالم المعاصر المتحضر .

هاتان دعوتان متعارضتان تريد كل واحدة منهما أن تسيطر على الشباب ليقتنع بها ويؤمن بخيرها وجدواها فيتبعها في التفكير والثقافة ويسير على نهجها في الآداب والسلوك والعمل . والدعوة الأولى — دعوة المحافظة والالتزام تساندها قوة من سواد الرأى العام وكثرته ، ومعاهد الثقافة التقليدية في الشرق ، وبعض القوى الرسمية أو كثير منها .

والدعوة الثانية — دعوة التجديد والانطلاق تساندها فئة قد تكون قليلة العدد — ولكنها بمكانتها وثقافتها ، وقوتها ، بالغة الأثر . يعززها كثير من نظمنا العامة في الحكم ، ومناهجنا في التعليم ، ومؤثرات أخرى غير هينة ولا ضعيفة الأثر ، من الصحافة والكتب والإذاعة والسينما ، والسفر والخلطة ، كما تعززها وتؤازرها مظاهر الحياة الجديدة ، بما في الجديد من إغراء وفتنة وخلابة وتأثير وسطوة . وهى تلك القاعدة الصادقة التي قررها عالم المغرب العظيم ، ابن خلدون : قاعدة أن كل ضعيف مغلوب . مغرم بتقليد القوى الغالب . بقوة المتابعة التي ينساق إليها الناس وراء القوى الظاهر المسيطر .

وشبابنا حائر الفكر مضطرب العاطفة موزع القلب ممزق النفس بين هذه الدعوة وتلك .

فكيف نريد من شبابنا أن يكون موقفه من هاتين الدعوتين ، أو القوتين . . ؟

أعتقد أن خير ما ندعو إليه شبابنا العربى هو أن يتخذ موقف الشجاعة أمام كلتا الدعوتين ، أو القوتين . الشجاعة القائمة على الفهم والإدراك والبصيرة . عليه أن يكون شجاع القلب متفتح الذهن أمام دعوة التقليد والمحافظة والمتابعة ، وأن يخضع هذه التقاليد لعملية « فرز » وتمحيص ، وأن ينقدها نقد الصيرفى الفاحص المتشدد ، فيقبل منها مالا يتعارض مع أهداف الحياة المفيدة القوية المنتجة التي تواثم روح عصره ولا تعوقه عن السير مع شباب العالم الذى يقتحم ويسود ويسعد . يُبقى هذه التقاليد التي لا تعوقه

ولا تصده ، والتى تربطه بوطنه وبيئته بل يفخر بهذه التقاليد كمظهر من مظاهر العراقة فى التاريخ ، والأصالة فى الحياة البشرية . ويرفض من هذه التقاليد ما يرى أنه يؤخره ويعوقه ويحول بينه وبين مسايرة الحياة المعاصرة بما فيها من قوة وسطوة ومتاع مباح للنفس وبهجة للروح وفتوة للجسد . وديننا ، فى فهمه القويم ، وثقافتنا التقليدية نفسها يدعوان إلى ذلك : يقول أثرنا القديم : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » ولن تستطيع أن تعمل للدنيا كأنك تعيشها أبدا ، إلا إذا سلكت فيها مسلك الأقوياء السعداء الذين تضمن لهم قوتهم وسعادتهم أكبر قسط من ذخيرة الحياة والبقاء والسيادة . وليس البقاء هو طول العمر وامتداد الأجل ، فالحياة تقاس بعرضها وعمقها ونوعها وقيمتها ، لا بطولها وامتدادها . فدعوتنا لأن نعمل للحياة كأننا نعيشها أبدا ، هى فى جوهرها وصميمها دعوة لأن نسلك سبيل الأقوياء الذين يسيطرون على الحياة ويتحكمون فيها ويسخرونها .

على شبابنا أن يكون شجاعاً بصيراً أمام ما يسمع ويرى من آراء وأشياء تقدمها له الحياة المعاصرة . وأن يلتزم فى ذلك أيضا تلك الشجاعة القائمة على الفهم والإدراك والبصيرة ، فينقدها بعين نافذة واعية متجردة ثم يقبل منها ما يعتقد أنه لابد منه لسيادته وسيادة وطنه ، ولسعادته وقوته .

* * *

تيار الحياة المعاصرة ينحدر الآن كله من الغرب إلى الشرق ، إلينا نحن ، وهو ليس خاليا من الأنانية والانحراف والزلل . وكثير من فلاسفة الغرب ومفكريه ينقده ويفنده ويخوف من عواقبه وخطره على الإنسانية والحضارة . فعلى شبابنا حين يتلقى رأياً ، أو مذهبا ، أو فكرة جديدة ، ألا يخدعه بريقها ، وأن يأخذها مأخذ الجد والبحث الفاحص المتزن المستقيم المجرد .

لا مأخذ الانحياز والانقياد والمتابعة الساذجة . لأنها جاءت من الغرب أو من الشرق . فهذه هى التبعية التى تنتهى بهم إلى التلاشى وتنتهى بأوطانهم إلى الاحتلال أو الاستعمار المذهبى والفكرى ، وهو شر أنواع الاستعمار .

صحيح أن الحضارة الراهنة ليست حضارة الغرب وحده ، بل هى حضارة الحياة المعاصرة كلها ، والعالم القائم كله ، وحضارة الإنسانية جميعها ، كما كانت حضارة العرب وحضارة اليونان يوماً ما .

ولكن هذا لا يضعها فوق النقد وفوق المحاسبة ، ولا يبرؤها من الشر والزيف ،

ولا يجعلها مقبولة لنا على علاتها كما هى ، فأهل هذه الحضارة أنفسهم والمفكرون منهم على الأخص ، لا يضعونها فوق النقد والمحاسبة ، بل يجرحونها فى مواطن كثيرة .

إنى أدعو إلى الحرية والشجاعة . ولكنى مع ذلك ، أو قبل ذلك ، أدعو إلى الثقة بالنفس ، والثقة بالقومية ، والثقة بالوطن ، والثقة بتاريخنا ـ مهما يكن فيه ـ وبمقومات حياتنا الخاصة ، مهما رأينا فيها ، وأن تكون نظرتنا إلى حياتنا الخاصة هذه وتاريخنا ومقومات شعوبنا ووطننا العربى ، نظرة الإعزاز والتمحيص والتقويم القائم على الفهم والمحبة والاحترام . لا نظرة التوجس والازدراء والاستخفاف والهدم القائم على المقت والزراية والتهوين والمتابعة .

حياة شبابنا ، الذى سيحكم أوطاننا فى المستقبل القريب ، يجب أن تقوم على ركيزتين ، وأن تسير على قدمين : إحداهما الصالح المفيد المعقول المستساغ من تقاليدنا وعواطفنا المميزة لنا ، والثانية مذاهب الحياة المعاصرة فى العالم الجديد ، تلك المذاهب القائمة على الحرية والعلم ، وعلى أخلاق الشجاعة الحكيمة والبصيرة المستشرفة والقوة المسيطرة والحياة السارة البهيجة المقتحمة .

* * *

قرأت كلمة لغاندى أعتقد أنها يجب أن تكون نبراسا يضىء طريق شبابنا ودستورا ندعوه لالتزامه ، بل يجب أن تكون كذلك بالنسبة لحياتنا جميعا فى سيرنا نحو مستقبل أكرم وأنفع وأفضل . هذه الكلمة هى : (لا أريد لبيتى أن يكون محاطا بالأسوار من كل جانب ، ولا أريد أن تكون نوافذه مغلقة . بل أريد أن تهب على بيتى ثقافات كل الأمم ، بكل ما يمكن من الحرية ، ولكنى أنكر على أية واحدة منها أن تقتلعنى من أقدامى) . (1)

محمود الشرقاوى

سكرتير التحرير

حق الجوار

كان عدى بن حاتم الطائى يفتت الخبز للنمل ويقول : إنهن جارات ، ولهن علينا حق الجوار .

---

(1) أذيعت من إذاعة المغرب .

آراء معاصرة حول :

التفسير العلمي للقرآن

للأستاذ محمد رجب البيومي

[قرأت مانشره الباحث الحر الأستاذ محمود الشرقاوي فى عدد المحرم من هذا العام حول هذا الموضوع ، فرأيت أن أعرض على القراء هذا البحث السريع لتكتمل وجهات النظر المختلفة فى هذا الموضوع الدقيق] .

ليس كثيراً على القرآن الكريم وهو كتاب الإسلام الخالد ومعجزته النادرة أن تتضافر الجهود المخلصة على تفسير إعجازه ، وإيضاح هديه ، وإن مرور الزمن لايعفى الباحثين فى كل عصر من تبيان آياته ، وتحليل مراميه ، بل إن تقدم العقل الإنسانى مما يزيد فى ضرورة هذا التحليل والبيان على نحو تطمئن إليه البصائر المخلصة ، والضمائر المنصفة ، وإذا كنا نرى النصوص الدينية فى أوربا تؤلف لها المجامع المختلفة من ذوى الثقافات المتعددة ، فيقومون بتوضيح ألغازها وتفسير مضمونها ، كل حسب اختصاصه ومنحاه ، فهذا مؤرخ يستعرض ماجاء فى التوراة والإنجيل من قصص وأنباء ، وذاك طبيب يستنبط من شتى النصوص ما يؤيده تقدم الطب ، وتفوق التشريح ، وذلك اجتماعى يستخلص مما بين يديه قواعد ثابتة لازدهار العمران وانقراضه ، وارتفاع الأمم وانخفاضها ، حتى تضخمت المكتبة الدينية تضخما لايمنع مستقبلا من اطراد البحث ، ومواصلة الاستنتاج ، ! ! إذا كنا نرى ذلك ونقرؤه دارسين متفهمين ، فإننا نرحب بكل مجهود بصير يبذل فى شرح الحقائق القرآنية ، وتفسيرها تحت أضواء هادية من التاريخ والعلم والفلسفة والمنطق ، ونرى كتاب الإسلام فى حاجة دائمة إلى عقول مستنيرة منصفة تستشف أسراره ، وتؤيد إعجازه ، ليتم نور الله فى الآفاق ، فيهلك من هلك عن بينة ويحيا من آمن عن اقتناع .

ونحن الآن فى عصر تقدمت فيه الفتوح العلمية تقدما مدهشا ، ففى كل يوم جديد طارف تحمله انتصارات العقل البشرى ، فتسير به الصحف اليومية مقرظة مادحة ، والمجلات العلمية مفصلة شارحة ، وقد تطوع رهط من أولى العلم والثقافة ، فأخذوا يدرسون آيات الكتاب الكونية دراسة هادية ، ويحاولون أن يستشفوا من خلالها أقباساً

وضيئة ، تشير إلى ما جد من مخترع واستحدث من مكتشف ، على حين قام فريق آخر من أولى العلم أيضاً يناهض هذا الاتجاه ويحاربه ويرى أن تظل نصوص القرآن بعيدة عما يراد لها من التوجيه والاستدلال ، ولا نريد أن نعجل بالحكم فى هذه القضية الدقيقة ، قبل أن نستعرض أدلة أولئك وهؤلاء ، ليطمئن القارئ إلى وجه يرتضيه !

يذهب الذين يريدون أن يفسر القرآن الكريم تفسيراً علمياً ، تؤيده النظريات المستحدثة إلى أدلة واضحة محددة ، فهم يرون أن القرآن ليس للعرب فقط حتى يكون إعجازه بلاغيا يلمسه الفصحاء وحدهم ، ويدركه من فهموا أسرار البيان العربى من ذكر وحذف ، ووصل وفصل ، ولكنه إعجاز بشرى يشمل الناس كافة من آسيويين وأوربيين وأمريكيين وإفريقيين ، وهؤلاء العجم من غير العرب يستطيعون أن يفهموا نواحيه العلمية والنفسية والاجتماعية ! فلو اقتصر الإعجاز القرآنى على الوجه التشريعى أو البلاغى لفات هؤلاء جميعا أن يروا أقباساً وضيئة من نور الله ، كما أن القرآن ليس خاصاً بجيل واحد من الأجيال ، فتنحصر تفسيره فيما يروى عن الصحابة والسلف من أقوال ، ولكنه ذخيرة الأجيال المتلاحقة ، ومن حق كل جيل أن يفهم منه ما يمتد إليه بحثه العلمى والنفسى والاجتماعى من استنباط وقياس !! فإذا حاول أبناء القرن العشرين أن يجدوا فى بعض آياته تعضيداً لما سطعت به الفتوح العلمية من حقائق ، فإنهم بذلك يزدادون إيمانا ويقينا ، وهذا كسب كبير للنصوص الدينية فى عهد يفيض بالشكوك ويمتلئ بالإلحاد !! على أن هؤلاء الملاحدة المتشككين لا يجدون حجة يستطيلون بها على المؤمنين إذا وجدوا الحقائق العلمية تؤيد ما يتشككون فيه من هدى كريم ، فتخرس ألسنتهم أمام الحجج الساطعة ، ويجد كتاب الله له من النظريات الثابتة أسسا تدعمه ، وأركانا وطيدة تقويه وتعليه !!

هذه أهم ما يحتج به أنصار التفسير العلمى للقرآن من أقوال ، وقد بسطها العالم المتمكن الغيور الأستاذ محمد أحمد الغمراوى غير مرة فى أعداد مختلفة من الرسالة [1] ، وجاء كتابه العلمى النفيس (فى سنن الله الكونية) تطبيقا عمليا لما يرتئيه ، وقد احتاط احتياطا مفيداً حين وضع القيود المحكمة لهذا التفسير العلمى فقال نقلا عن الرسالة [2] .

« وقبل أن نورد بعض الأمثلة التوضيحية ، يجب أن ننبه إلى أمرين مهمين ، الاول أنه لا ينبغى فى فهم القرآن الكريم أن نعدل

---

(١) الرسالة : الأعداد ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ١٤٦٦ ، ١٤٨ .

(٢) الرسالة العدد ٧٠٥ .

عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا قامت القرائن الواضحة تمنع من حقيقة اللفظ ، وتحمل على مجازه . لأن مخالفة هذه القاعدة الأصلية قد أدى إلى كثير من الخلط فى التفسير .

أما الأمر الثانى فهو أنه ينبغى ألا تفسر كونيات القرآن إلا باليقين الثابت من العلم ، لا بالنظريات ولا بالفروض ، لأن الحقائق هى سبيل التفسير الحق ؛ هى كلمات الله الكونية ينبغى أن يفسر بها نظائرها من كلمات الله القرآنية ، أما الحدسيات والظنيات فهى عرضة للتصحيح والتعديل ، إن لم تكن للإبطال فى أى وقت » .

وإذن فهذان قيدان مفيدان وضعهما الأستاذ الغمراوى ليحول دون الشطط فى التأويل ، والجموح فى التطبيق وقد جاء الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى بقيد ثالث نضيفه إليهما حين قال « يجب ألا نجر الآية إلى العلوم كى نفسرها ، ولا العلوم إلى الآية كذلك ، ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها [1] » ويمكن القارئ أن يأخذ هذا القيد مستشفا من خلال القيدين السابقين ، إلا أننى آثرت أن أسجله صريحا واضحا ، ليكمل التوجيه المحتوم لمن يتعرض إلى كتاب الله بتفسير على رشيد .

(١) مجلة الأزهر المجلد السادس ص ٦٣٥ .

فى ضوء هذه التوجيهات الصريحة ، قطع العلماء من المتفقهين شوطا حميدا فى تفسير بعض الآيات الكونية والطبية ـ فضلا عن النفسية والاجتماعية ـ فجاءوا بما يعجب ويروق بما لا يتطرق إليه التعسف والافتعال ، وأصبح القارئ المثقف يجد تفسيراً علمياً شافيا لأمثال قول الله تعالى : « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ، ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين » وقوله « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى » .

وإذا كانت بعض الآيات الكونية لا تزال فى دور التطبيق الصريح فإن أكثر الآيات الطبية قد وجدت من العلم نصيرا محبذا ، فأصبح من الإعجاز العلمى للقرآن أن نقرأ قول الله عز وجل : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » وقوله « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » وقوله : « ويسألونك عن المحيض قل هو أذى ، فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن » وقوله « فلينظر الإنسان مم خلق ؟ خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » ونحو ذلك مما

انبسط فيه مجال القول للتخصصين ، فكان إحدى معجزات القرآن الكريم .

أما الفريق الآخر ممن لا يرون أن نجذب التفسيرات العلمية إلى آيات الكتاب ، فيذهبون إلى أن القرآن قد خاطب العرب أول من خاطب من الناس ، وهم قوم أميون لا يحتاجون فى فهم النصوص الصريحة إلى التغلغل فى العلوم الكونية ، والرياضيات الهندسية ، وقد واجههم القرآن بما فى مقدورهم أن يستوعبوه من الكلام ، فأدى رسالته معهم على أحسن وجه يتاح ، إذ فهموا مبادئه ودرسوا شرائعه دون أن تكون بهم حاجة إلى نظرية علمية ، أو فلسفة كونية ، فعلى المفسرين أن يفهموا من القرآن ما فهمه العرب الأوائل ، إذ أن كتاب الله لسان هداية ، ومنار توجيه ، أنزله الله على نبيه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، لا ليتحدث عن أسرار البرق والرعد والمطر والرياح ، ولا ليحدد مواضع الشمس والقمر والنجوم والبحار والجبال .. ثم إن النظريات العلمية فى الكون لا تستقر على حال ، فقد تثبت القضية الكونية لدى جيل من الأجيال ، حتى تصبح أمراً بدهيا لا يجوز فيه الاختلاف ، ثم يدور الزمن فيجد من النظريات ما يقلب الأولى رأساً على عقب ، فإذا فسرنا القرآن بمقتضى النظر العلمى فإننا نجعله ميدانا للتأويل المتناقض المضطرب ، حتى ليجوز أن تتخذ من الآية الواحدة دليلا للإثبات فى زمن ، وللنفى فى زمن آخر ، ومثل ذلك عبث بالغ يجب أن يتنزه عنه كتاب السماء .

ومما جعل الآذان تصغى كثيرا لهذا الفريق أن أناساً ممن لا يجمعون بين النظر الصائب والعلم الصحيح ، قد دفعهم حب الابتكار إلى تفسير بعض الآيات تفسيراً بدائيا لا يستند إلى دليل ، فحين يظهر مكتشف ما من المكتشفات يسارع هؤلاء السطحيون ، فيقتطعون من كتاب الله ما يوهم صاحب النظر المتسرع أنه يسير مع المكتشف الحديث ، ثم يملئون الصحف هراء بتمحلاتهم الكاذبة ، وافتياتهم المقيت ، ويدعون عند ذلك أن كتاب الله قد ألقى إليهم بأسراره ، فهم قد يرون على أن يستنبطوا منه قضايا العلم الحديث ، وينسون أنهم فى تمحلهم الكاذب يخبطون خبط عشواء ! ! .

تجد أحد هؤلاء يتحدث عن التصوير الشمسى فيستدل بقول الله : « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ، ولو شاء لجعله ساكنا » . أو يتحدث عن الأثير فيستدل بقول الله : « ثم استوى إلى السماء وهى دخانٌ فقال : لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها » أو يتحدث عن القمر الصناعى فيستدل بقول الله :

« اقتربت الساعة وانشق القمر » ! أو يلم بآلة التسجيل الهوائى للأصوات فيستشهد بقول الله : « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه » أو يشير إلى تحطيم الذرة فيقرأ قول الله : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب » . وربما تجرأ هؤلاء الأدعياء فكتبوا المؤلفات المتتابعة تحت عنوان (بين العلم والقرآن) وظنوا أنهم بتسرعهم العاجل يقاربون بين العلم والدين !! وأذكر أن فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت قد كتب [1] بالرسالة رداً مسهباً ضافيا يفند فيه ما ذهب إليه هؤلاء الأدعياء من تعسف مقيت ، فبسط الحجج المقنعة على فساد نظرهم الطائش واستدل بالنقل والعقل على شططهم الكريه، ثم قال فى ختام حديثه : « فلندع للقرآن عظمته وجلالته ، ولنخلع عليه قدسيته ومهابته ، ولنعلم أن ما تضمنه من الإشارة إلى أسرار الخلق ، وظواهر الطبيعة ، إنما هو لقصد الحث على التأمل ، والبحث والنظر ليزداد الناس إيماناً مع إيمانهم ، وحسبنا أن القرآن لم يصادم ولن يصادم حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول » .

وكلام الأستاذ الأكبر - كما هو واضح جلى - موجه إلى من يهجمون على التأويل دون دراسة فاحصة فلا يربطون الآيات بعضها ببعض ، أو يلتفتون إلى أسباب النزول وأسرار البيان أو يحكمون السياق الأسلوبى للقرآن ، بل يندفعون وراء الحدس الظنى والخيال الوهمى ثم يجترئون فيطبقون ويؤولون !! أما من يقيدون بالنهج الصحيح فى التزام اليقين الثابت من العلم ، والصريح الواضح من الآية دون أدنى تكلف يدعو إلى الاعتساف والشطط ، فما نظن إلا أن الأستاذ الأكبر يوافق سلفه الأستاذ المراغى على منحاه فى تفسير ظاهر الآية بالحقيقة العلمية دون تكلف أو افتعال ، لأن كتاب الله كما يقول الأستاذ شلتوت « لم يصادم ولن يصادم حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول » !!

هذان رأيان متقابلان وبالنظر إلى أدلة كل رأى على حدة ، نجد أن الذين ينادون بابتعاد القرآن عن التفسير العلمى مصيبون كل الإصابة ، إذا كان التفسير قائما على الظن الوهمى ، أو التعسف التأويلى ، أما إذا كان مستنداً إلى الصريح من القول معتمداً على اليقين الثابت من العلم ، فلا نمنع إطلاقا أن نستضىء بشعاع العلم فى إيضاح حقائق الذكر الحكيم ، وإذا كان القرآن كتاب هداية وإرشاد ، فإن آياته العلمية لا تحول دون هذه الهداية المبتغاة ! بل تؤكدها وتدعو إليها الجاحدين ، أما من يقول: إنه نزل فى أمة أمية

---

(١) الرسالة العدد ٤٠٨ سنة ١٩٤١ .

لا تعرف النظر العلمى فنحن نرد عليه بأنه لم ينزل لأمة واحدة أو قرن واحد ، بل نزل لجميع الأمم فى شتى القرون المتعاقبة ليأخذ كل جيل من هديه ما يناسب استعداده الذهنى والنفسى ، ولن يضير النهر المترقرق أن يرتوى منه غلام ناشىء أو شاب مكتمل ، ولن تجد حجة لمن يدعون تناقض العلم واضطرابه لأننا فى هذا التفسير المرتقب لن نأخذ بغير اليقين الثابت بما صححته الأجيال المتعاقبة دون أن تكر عليه بالنقض والتفنيد ، وسنتمسك بالقيود الملزمة التى فرضها العلماء على أنفسهم وسجلناها مركزة فى صدر هذا المقال ، وقد التفت المرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعى إلى هذه الناحية من الإعجاز العلمى ، فأيد ماذهب إليه العالم التركى مختار باشا فى كتابه « سرائر القرآن » ، ونقل قدرا منه فى الجزء الثانى من تاريخ أدب العرب [١] ، ثم قال الرافعى [٢] .

ولعل متحققاً لهذه العلوم الحديثة لو تدبر القرآن الكريم وأحكم النظر فيه ، وكان بحيث لا تعوزه أداة الفهم ولا يلتوى عليه أمر من أمره ، لاستخرج منه إشارات كثيرة تومئ إلى حقائق العلوم وإن لم تبسط من أنبائها ، وتدل عليها وإن لم تسمها بأسمائها . بلى ، وإن فى هذه العلوم الحديثة على اختلافها لعونا على تفسير بعض معانى القرآن ، والكشف عن حقائقه ، وإن فيها لجاما ودربة لمن يتعاطى ذلك ، يحكم بها من الصواب ناحية ، ويحرز من الرأى جانبا ، وهى تفتق له الذهن ، وتواتيه بالمعرفة الصحيحة على ما يأخذ فيه ، وتخرج له البرهان وإن كان فى طبقات الأرض وتنزل عليه الحجة وإن كانت فى طباق السماء »!! .

ومما يدور حول هذه المعانى ما كتبه الأستاذ المراغى فى مقدمة كتاب « الإسلام والطب الحديث » لعبد العزيز إسماعيل وكنت أوثر أن أنقل بعض حديثه لولا أنه ليس تحت يدى الآن .

على أن هذه الدعوة المخلصة إلى النظر فى كتاب الله على ضوء من العلم الحديث يجب أن ننتفع انتفاعا واعيا بما اصطدمت به عند التطبيقات الأولى فى الغابر والحاضر من أخطاء لتحيد عنها فى دورها التطبيق الجديد ، فنحن نجد أن تفسير الفخر الرازى قد أثقل إثقالا بالآراء الكونية والعلمية التى فاض بها القرن الخامس من الهجرة . فجاء فى كثير من صفحاته بعيدا عن الجو القرآنى حتى قال فيه بعض الباحثين : إنه يجمع كل شىء غير تفسير القرآن!! وأنا أعتقد أن الرازى قد كتبه لخاصة تلاميذه فأتخمه إتخاما حال دون ازدهاره بالقياس إلى غيره ، على جودة حكمه وصائب رأيه ، كما

(١) ص ١٢٧ ط سنة ١٩٥٣

(٢) ص ١٢٥ ط ٣ سنة ١٩٥٣

نجد أن المسألة قد كررت فى صورة مكبرة مجوفة حين جاء الأستاذ طنطاوى جوهرى - رحمه الله - فملأ تفسيره الضخم بمئات الصحائف العلمية التى تتحدث عن مظاهر الكون حديث الكيمائى والطبيعى والفلكى والجغرافى والنباتى، فهو ينتهز كلمة عابرة كالرعد أو الأرض أو النحل أو النمل ليفيض فى دقائق علمية تعرض خواص هذه الأشياء دون أن تدعو إليها حاجة التفسير المعقول للكتاب الكريم ! ! وقد انتقده صاحب المنار السيد محمد رشيد رضا تلميحا فى مقدمة الجزء الأول من التفسير، وتصريحا فى مجلة المنار[1] حيث يقول عنه من حديث طويل : « ثم توسع المؤلف بوضع هذا التفسير الذى يرجو أن يجذب طلاب فهم القرآن إلى العلم ، ومحبي العلم إلى هدى القرآن فى الجملة ، والإقناع بأنه يحث على العلم لا كما يدعى الجامدون من تحريمه له ، أو صده عنه ، فهو لم يعن ببيان معانى الآيات كلها ، وما فيها من الهدى والأحكام بقدر ما عنى من سرد المسائل العلمية وأسرار الكون وعجائبه ، ولا يمكن أن يقال : إن كل ما أورده فيه يصح أن يسمى تفسيراً له ، ولا أنه مراد الله تعالى من آياته ، وما أظن أنه هو يعتقد هذا) اهـ

وإن ما وجه إلى المتبحرين فى مسائل الفلسفة والعلم لأدنى مناسبة واهية كالفخر الرازى والشيخ طنطاوى جوهرى من ناحية ، وإلى المتكلفين أوجه التأويل عن طريق الكناية والمجاز من ناحية ثانية ، ليدعونا دعوة صادقة إلى أن نتجنب كل خطأ وقع فيه أولئك وهؤلاء ، حتى يكون التفسير المنتظر صائب النظر صادق الإقناع . فيشفى النفوس المريضة ويرشد الأبصار الحائرة ويدعو إلى صراط مستقيم ؟ .

محمد رجب البيومى

(١) مجلة المنار شعبان سنه ١٣٤٨ هـ .

حق الأمة لا يورث . . !

خطب الخليفة العادل عمر بن العزيز الناس أول جمعة ولى فيها أمر المسلمين فقال : « أيها الناس . إنى قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأى كان منى فيه ، ولا طلبة له ، ولا مشورة من المسلمين . وإنى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى . فاختاروا لأنفسكم » فقال الناس : يا أمير المؤمنين ، قد اخترناك ، ورضيناك . فلِ أمر المسلمين باليمن والبركة » ، وهكذا رد عمر بن عبد العزيز أمر المسلمين إليهم ، وأثبت أن حق الأمة لا يورث . . !

جامعة القرويين
بين الماضي والحاضر

للأستاذ أسعد حسني

مرت بدنيا العرب والمسلمين ـ فى منتصف ربيع الآخر ـ ذكرى من أمجد ذكرياتهم التاريخية . . إذ احتفل فى المغرب العربى رسميا بمرور ١١٠٠ سنة على إنشاء «جامعة القرويين» فى مدينة فاس .

وجامعة القرويين هى أقدم جامعات العالم على الإطلاق (١) . ويعزى إليها ـ وإلى شقيقتيها : «الزيتونة» فى تونس ، و «الأزهر الشريف» فى القاهرة ، أكبر الفضل فى نشر الإسلام الحنيف والحفاظ على تعاليمه السمحة وحماية لغة القرآن وآدابها والعمل على إثرائها فى جميع فروع المعرفة . . . بالإضافة إلى ما قامت به هذه الجامعات الإسلامية الكبرى من تزويد شعوبنا العربية خلال مراحل تطورها بالقادة والعلماء والمرشدين الروحيين طوال القرون الماضية .

* * *

وتاريخ جامعة القرويين بالذات يرتبط أوثق ارتباط بتاريخ مدينة «فاس» التى كانت منذ إنشائها عاصمة للدولة المغربية فى عهد الأدارسة ومن خلفهم إلى مستهل القرن الهجرى الحالى ، حيث أخذ الاستعمار يتسلل إليها . وقد سارت هذه الجامعة فى تاريخها الطويل العامر ، ككل كائن حى ، تنهض وتنمو آناً ، وتجمد وتتعثر آنا آخر . . . ولكن الأمر الذى لا يمكن أن ينكره أحد عليها ، أنها ظلت ـ فى كل الأحوال ـ تحمل علم الدراسات الإسلامية وما يتصل بها عن جدارة ، فى هذا الجزء الهام من وطننا العربى الكبير . واستطاعت أن تثبت حقا أنها منارة الهدى والعرفان ، وأساس الارتكاز الروحى عند المسلمين كافة فى المغرب العربى .

والفصول الأولى لقصة إنشاء القرويين ، تبدأ ـ كما يجمع المؤرخون ـ مع هجرة ثمانمائة

---

(١) هذا الحكم يجانب الحق لأن مسجد القرويين لم يتحول إلى جامعة للتدريس إلا سنة ٥٣٨ كما ذكر الأستاذ الكاتب ، أما الأزهر فقد هيئ لتدريس الفقه والعلوم فى الربع الأخير من القرن الرابع الهجرى . وعلى ذلك تكون الجامعة الأزهرية أقدم جامعات العالم على الإطلاق . (المحرر)

عائلة أندلسية ، تبعتها هجرة ثلاثة آلاف عربى من القيروان بتونس ، إلى مدينـــة فاس ، واتخاذهم لهـا وطناً ثانياً فى أوائل القرن الثالث للهجرة .

وقد استقر المغتربون من الأندلس فى شرق المدينة بضاحية عرفت فيما بعد ، باسم «عدوة الأندلسيين » . أما المغتربون من القيروان ، فقد استقر بهم المقام فى الجهة المقابلة بضاحية على الضفة اليسرى كانت تسكنها القبائل ، وسميت أيضاً باسم « عـــدوة القرويين »

وكان بين المغتربين التونسيين رجـل ورع ، يعيش فى بسطة من الرزق بسبب ما حمله معه من المـال ، هو « محمد بن عبد الله الفهرى القيروانى » . وقـد توفى عقب فترة وجيزة من وصوله إلى فاس . وخلف ثروة طائلة لابنته « فاطمة أم البنين » وشقيقتها « مريم » .

وعقدت الشقيقتان العزم على إنفاق جزء كبير مما ورثتاه عن أبيهما فى بناء مسجد يخلد اسم أسرتهما واسم البلاد التى نزحتا منهـا . وكان من أهم الدوافـع لهما على ذلك علمهما بحاجة الناس الملحة فى كل « عدوة » من فاس إلى مساجد يؤدون فيها الصلاة ، نظراً لضيق المسجدين القديمين القائمين فيها بالناس .

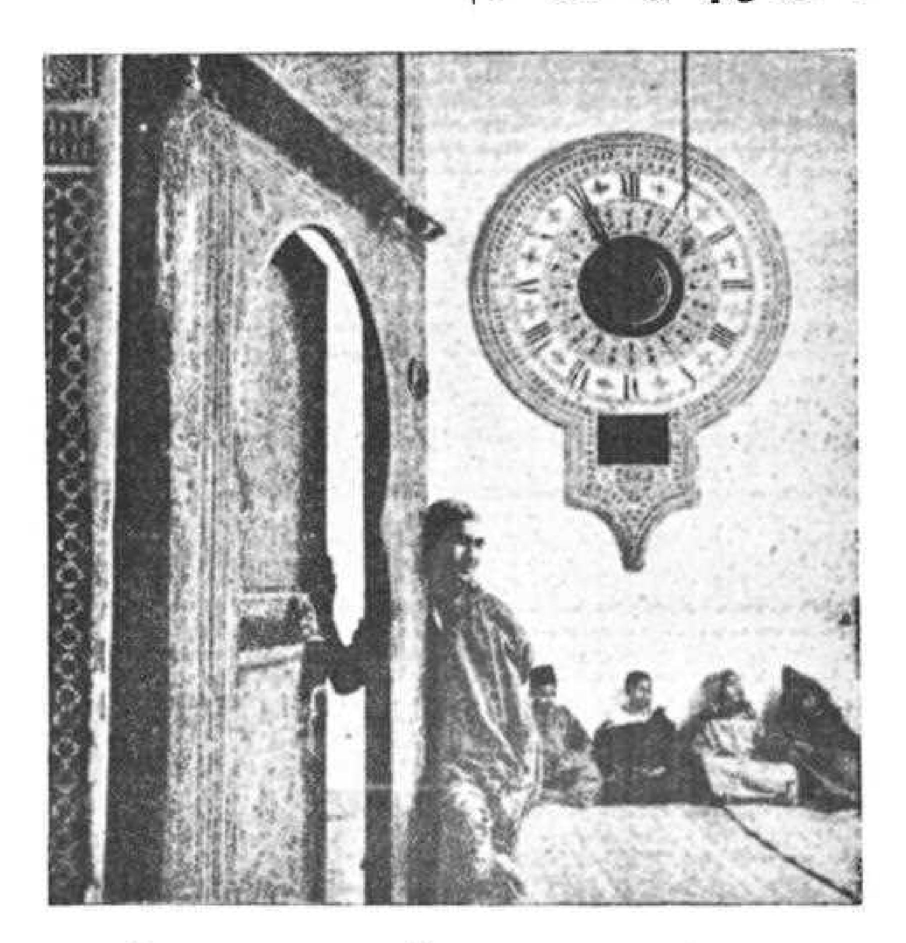
ولم يطل تفـــكير الشقيقتين ، فشرعت « مريم » فى بناء مسجد « الأندلس » فى شرق المدينة . وبدأت « فاطمة » فى بناء مسجد « القرويين » فى جنوبها . وكان ذلك فى يوم سبت ـ وهو يصادف غرة رمضان من سنة ٢٤٥ الموافق ٣٠ نوفمبر من سنة ٨٥٩ — أى منذ ألف ومائة سنة كاملة وهو المسجد الذى عرف بعد ذلك باسم « جامعة القرويين » .

ولقد كانت الطريقة التى سلكها البناءون فى البناء أنهم التزموا أن يأخذوا كل حاجاتهم من الرمال والحجارة من نفس البقعة دون غيرها . كما أنهم عثروا على عـين ماء غزيرة تجاور الموقع الذى اختير لإقامة المسجد . وكان ذلك كله تحريا من المشرقين على البناء كى لا تدخل فى بناء المسجد شبهة — على ما يقول « ابن أبى زرع » فى كتاب « الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى » . وظللت « فاطمة » صائمـة منذ أن شرع فى بنائه ، إلى أن تم واكتمل وأقيمت فيه الصلاة .

• • •

وقرويين الأمس ، ليست هى قرويين اليوم . . . إذ لم تكن القرويين عند نشأتها الأولى ، تشتمل إلا على أربع صحون وعلى محراب وفناء غرست فيه بعض الأشجار . . وحينما بنيت لم تكن بها حلقات للدرس كما أصبحت فيما بعد ، بل كانت مجرد مسـجد يحضره الناس الذين يؤدون فيه صلاة الجمعة ،

وكانت الفكرة فى إنشائها — كما يروى « أبو الحسن على الجزنائى »فى كتابه « زهرة الآس فى بناء مدينة فاس » — هى ضيق المساجد التى يصلى فيها أهل العدوة وافتقارهم



بعض الطلاب فى جامعة القرويين وقد جلسوا تحت الساعة التاريخيه ينتظرون أستاذهم

إلى مسجد جامع يلم شعثهم ويجمع شملهم وتلقى من فوق منبره الخطبة الرسمية .

وكان علماء فاس — فى ذلك العهد — يتشددون كثيراً فى منع الناس من القراءة والتدريس فى بيوت الله ، ويحظرون على كل فرد أن يمارس أى شىء بالمساجد غير شعائر العبادة ، عملا بقوله تعالى : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ».

ولقد تطلب تزايد عدد السكان واتساع نطاق المدينة إدخال إصلاحات جمة على مبانى القرويين القديمة واستحداث مبان وصحون مؤلف كتاب « القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس » .

وكان من أوائل الذين لهم فضل السبق فى



جانب من مدخل القرويين ويشاهد فيه إلى جانب النقوش البديعة عدد من الساعات أهديت من ثراة الشعب .

جديدة ألحقت بها ... فلم يكد ينقضى إلا نحو قرن حتى أصبحت مساحتها أربعة أضعاف ما كانت عليه بعد بنائها . كما ذكر إدخال هذه الإصلاحات على مسجد القرويين الخليفة عبد الرحمن الأموى الذى أسهم بمال كثير فى تجديده ، وكان شديد الشغف بالمبانى

والمنشآت ، وكذلك السلطان على بن يوسف ابن تاشفين ؛ وغيرهما من الأمراء الذين عملوا على توسعة رقعته بشراء الأملاك والأراضى المجاورة له وضمها إلى القرويين ، حتى صار أعظم مسجد فى أفريقيا الشمالية ، وبدأت مع حلول سنة ٥٣٨ هجرية ، تعقد فيه حلقات التدريس فى علوم الفقه والشريعة على أيدى علماء أجلاء وفدوا من القيروان ونقلوا معهم جل العلوم الدينية ، وإليهم يعزى الفضل فى تحقيق هذه الخطوة التى تأخرت قرنين أو يزيد !

° ° °

وتدور عجلة الأيام دوراتها السريعة ويزداد ازدهار القرويين فى عهد المرابطين الذين بنوا فيها للعلم أمجاداً وصروحا شامخة خلدها التاريخ . واستطاعت الجامعة أن تخرج عظماء وعلماء أحالوا المغرب فى مدى قصير من « دويلة » كانت تتهاوى من الضعف ، وأمة يشيع فيها التأخر والجهالة ، إلى دولة يحكمها دستور السماء الكريم الذى أنزل على محمد عليه السلام .

وظلت القرويين معهد دراسة وعلم ، وتخرج فيها ملايين من المغاربة فى أجيال مختلفة . وظلت على مر القرون حصنا للعروبة والإسلام . واجتذبت شهرتها التى طبقت الآفاق عدداً كبيراً من العلماء الأجانب من أنحاء أوربا ومنهم الرحالة « جربرت » والبابا « سلفستر » الذى نقل الأرقام العربية إلى الغرب ، كما نقل نظريات الفقه الإسلامى واستخدمها فى تطوير القانون الرومانى ، وكثير غيرهم من العلماء الأوربيين الذين توافدوا على مر السنين - على القرويين - للإفادة من خزاناتها التاريخية المملوءة بالمؤلفات والكتب والمخطوطات النفيسة النادرة ، فى مختلف فروع العلوم والمعرفة ، وأطلعوا العالم بعد عودتهم إلى بلادهم على الحضارة التى تغمر البلاد الإفريقية والمغرب العربى بنوع خاص !

° ° °

ولعل أزهر عهد تحقق فيه للقرويين ما كانت تصبو إليه من أسباب النمو والتقدم ، كان عهد السلطان « أبى عنان المرينى » ففيه أنشأت الجامعة أضخم مكتبة مزودة بالمخطوطات النادرة ، وشيدت مساكن خاصة للطلاب الذين يردون عليها من أطراف البلاد ، كما أجرى السلطان عليهم « جرايات » شهرية تكفيهم ليتفرغوا لطلب العلم . . . كما كان للعلماء دور خاصة لسكناهم ، وخدم معينون يوفرون لهم كل وسائل الراحة حتى يستطيعوا التوفر على إداء رسالتهم نحو طلابهم على أكمل وجه .

وكان علماء القرويين من أغنى طبقات الشعب، بسبب ما كان يسبغه عليهم الملوك من الهدايا وما يجرونه عليهم من الرواتب الضخمة!

* * *

واستمرت جامعة القرويين تقوم بواجبها، فى حرية تامة . . . إلى أن ابتلى المغرب بالاستعمار الفرنسى ، وأوجس الفرنسيون منها خيفة . . . أرادوا فى مبدأ الأمر أن يوصدوا أبوابها أمام الطلاب ، أو يحددوا عددهم ، زاعمين أن فى ذلك ترقية للبلاد . . . ولكنهم اصطدموا بمعارضة شديدة . . . إذ فطن « المولى يوسف » الجالس على عرش البلاد لغرض المستعمرين من ذلك . . وأدى الصراع بينه وبينهم إلى انتباه جماعة من العلماء واتجاههم إلى بعث الحركة السلفية ومحاربة الجمود ، وتطوير الدراسات لتساير روح العصر . . وكانت الخطوة الإيجابية لتحقيق ذلك الغرض ، عندما عين جلالة الملك محمد الخامس فى سنة ١٩٣٧ ، الأستاذ « محمد الفاسى » ، وهو من علماء القرويين ، ومن الذين استكملوا دراستهم فى جامعة باريس ، مديراً للقرويين فأدخل العلوم العصرية واللغات الأجنبية فى مناهج التعليم ، إلى جانب المواد الدينية ، كما أنشأ قسما خاصا بالقرويين لتعليم الفتيات ، وقد تخرجت فيه إلى الآن عشرات منهن يحملن شهادة « العالمية » !

ويزدان تاريخ الحركة الوطنية فى المغرب بأنصع الصفحات التى سجلها كفاح علماء القرويين وطلابها ضد القوى الاستعمارية . . . ودورها فى تحرير المغرب يماثل تماما دور الأزهر الشريف فى ثورة سنة ١٩١٩ وما بعدها . . .

ويبلغ الآن عدد طلاب القرويين حوالى ستة آلاف طالب . ولها فروع تتمثل فى المعاهد الدينية المنتشرة فى أنحاء المغرب ، سواء فى « تطوان » أو « طنجة » أو « مراكش أو منطقة « سوس » . . . على أن مجموع طلاب هذه المعاهد يناهز ثلاثين ألفاً .

هذه هى « جامعة القرويين » التى ظلت عبر القرون الطويلة معقلا للتراث الإسلامى والحضارة العربية ، فى شمال إفريقيا . . . إن فضل بقاء هذه البلاد الشقيقة على صبغتها العربية الإسلامية ، يرجع إلى هذه الجامعة . . ويرجع أيضا إلى المعاهد الدينية الإقليمية التى تغذيها هذه الجامعة بالعلماء والأساتذة والمرشدين الروحيين الذين انتشروا فى كل مكان من بلاد المغرب ينشرون رسالة العروبة ورسالة الإسلام ! !

أسعد حسنى

أبو الحسن الشاذلى فى معركة المنصورة

للدكتور عبد الحليم محمود

« وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم »

إذا عدنا إلى أواخر النصف الأول من القرن السابع الهجرى ، وذهبنا بخيالنا ترتاد أرجاء مدينة المنصورة ، رأينا ظاهرة لا عهد لمن مارسوا الحروب الحديثة برؤيتها إلا نادراً !! .

تلك هى ظاهرة الإيمان والثقة المطلقة بالله :

إنه من الطبيعى أن تكون مدينة المنصورة فى حركة لا تهدأ ، إنها الحرب ، والمصريون يستعدون لملاقاة العدو المغير الذى احتل دمياط ، ويحاول التغلغل فى البلاد بالاستيلاء عليها .

الاستحكامات تقام ، والمؤن ترد ، والجيوش تتوالى وترتب ، والأوامر تصدر فى حزم وثبات . والظاهر بيبرس لا يكاد يغمض له طرف ، ولا يذوق النوم إلا غراراً .

وفى جانب آخر لويس التاسع ملك فرنسا يقود الجيوش الجرارة من الصليبيين ينازل الإسلام والعروبة فى معركة فاصلة حاسمة ، هى معركة المنصورة .

لقد وقف الغرب كله مستعداً للهجوم على مصر ، يريد أن يدمر الإسلام والعروبة بالقضاء على المصريين ، كما وقف الشرك كله من قبل فى غزوة الخندق ، يريد أن يدمر الإسلام بالقضاء على المدينة المنورة ومن فيها من رجال الإسلام الأول ، وعلى رأسهم رسول الله صلوات الله عليه !!! .

وبين موقعة المنصورة وغزوة الخندق تشابه فى بعض النواحى :

ففى كل منهما أتى الشرك بكل ما يملك وبكل ما يستطيع من عتاد ومن عدد يقضى على التوحيد فى عقر داره :

فقد اقتحم الشرك الأول حرم مدينة الرسول وحاصرها ، أما الشرك الثانى فقد اخترق الحدود وتغلغل فى البلاد ، واحتل بعضها ، حتى وصل إلى أطراف المنصورة !!

وفى كل منهما كان المسلمون - رغم رؤيتهم للخطر المحدق بهم - ثابتى الجنان ، مؤمنين كل الإيمان بنصر الله ، مطمئنين إلى قضائه .

وإذا أردنا تعليل هذه الثقة فى الله عند المسلمين فى غزوة الخندق ، فتعليلها سهل واضح: لقد كان على رأسهم رسول الله ، وفيهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وكبار الصحابة !! وهؤلاء - لثقتهم المطلقة فى الله - يبعثون - بطريق التأسى - الثقة فى نفوس الآخرين !! .

أما فى واقعة المنصورة ، فإن تعليل الثقة والإيمان والاطمئنان الذى كان يسود إذ ذاك ، ويسيطر على قلوب المجاهدين الأبطال ، ويبعث فيهم الجد والنشاط ، وتحمل التعب والسهر ليلا والعمل نهاراً ... أقول : إن تعليل ذلك ليس بالأمر الهين على من يقرأ التاريخ على أنه ساسة مدنيون وقواد حربيون ، وجنود تزيد أو تقل فى العدد .

إذا نظرنا إلى التاريخ بهذا المنظار ، فإن تعليل هذه الظاهرة فى موقعة المنصورة لا يتيسر ولا يستقيم .

وحقيقة الأمر أن مصر إذ ذاك كانت تضم بين أرجائها نخبة ممتازة من العلماء الدينيين الذين أخلصوا جهادهم لله وحده ، فلم تغرهم الدنيا بزخرفها وزينتها .

كان فى مصر إذ ذاك العز بن عبد السلام ، ومجد الدين القشيرى ، ومحي الدين ابن سراقة ، ومجد الدين الإخميمى ، وأبو الحسن الشاذلى ، وغيرهم من خيرة العلماء .

لم يستقر هؤلاء العلماء فى دورهم البعيدة عن الخطر ، وإنما هبوا جميعاً للجهاد فى سبيل الله ، لقد هاجروا إلى المنصورة ليكونوا بين المجاهدين ، ورغم أن العارف بالله أبا الحسن الشاذلى كان فى آخر حياته ، وكان قد كف بصره ، فإنه كان فى مقدمة الذاهبين إلى المنصورة !!! .

ها هم أولئك العلماء بسمتهم الملائكى ، وبإيمانهم الذى لا يتزعزع ، يسيرون وسط الجند ، يحثون ويشجعون ، ويرشدون ويذكرون بالله ، ويبشرون - كما وعد الله - بإحدى الحسنيين : النصر أو الجنة ، وإذا لزم الأمر عملوا مع العاملين . ولقد كان مجرد سيرهم فى الحوارى والشوارع تذكيراً بالنصر أو الجنة ، وكان حفزاً للهمم ، وتثبيتاً للإيمان ، وتأكيداً لصورة الجهاد الإسلامية التى قادها فى عصور الإسلام الأولى رسول الله صلوات الله عليه ، وخلفاؤه الراشدون ، رضوان الله عليهم.

حتى إذا اطمأنوا إلى الأسباب والوسائل المادية الظاهرة ، والمعنوية الباطنة ، وحتى إذا ما جنهم الليل ، اجتمع هؤلاء الأعلام فى خيمة من خيام المعسكر - نعم فى خيمة من خيام المعسكر - يتجهون إلى الله بصلاتهم

ودعائهم ، يلتمسون منه النصر ، فإذا ما فرغوا من ذلك أخذوا يتدارسون كتابا من الكتب ! ! ! .

لقد كانو يتدارسون ، فى إحدى الليالى ، الرسالة القشيرية : تقرأ عليهم وهم يسمعون ويشرحون ! ! .

ماذا كانوا يقرءون ؟ أكانوا يقرءون باب الفتوة؟ أم كانوا يقرءون باب الحرية ؟أم كانوا يقرءونها فى تتابع مبتدئين من أولها ؟ !

كانت تقرأ عليهم ويشرحون ، وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى صامتا يستمع ، فلما فرغوا طلبوا إليه - وهو من أعلام هذا الميدان - أن يتحدث ، وألحوا فى الطلب ، فسكت الشيخ فترة ، ثم تكلم ، فى انطلاق وفى قوة ، وفى روحانية لا يمكن التعبير عن وصفها ، بأسمى من كلمة الشيخ عز الدين بن عبد السلام الذى قال لأصدقائه وزملائه ، حينما سمع أبا الحسن يتحدث .

« اسمعوا هذا الكلام الغريب ، القريب العهد من الله » .

ولا يقدر هذه الكلمة حق قدرها إلا من يعرف من هو العز بن عبد السلام ! !

« الكلام الغريب » لأنه ليس مأخوذاً من الكتب ، ولا محبراً فى الأسفار ! !

« القريب العهد من الله » لأنه إلهام الساعة ووحى الزمن الراهن ! !

وشغل أبو الحسن بأمر المسلمين ، فكان ليله ونهاره مشغولا بالله فى أمرهم حتى إذا ما أخذته سنة من النوم فى ليلة من الليالى ، رأى فيما يراه النائم ، رؤيا تتعلق بحالة المسلمين فى المنصورة ، ومن هذه الرؤيا : ما حكاه صاحب كتاب « درة الأسرار » قال :

« قال الشيخ أبو الحسن : كنت بالمنصورة فلما كانت ليلة الثامن من ذى الحجة ، بت مشغولا بأمر المسلمين وبأمر الثغر ، وقد كنت أدعو الله وأضرع إليه فى أمر السلطان والمسلمين ، فلما كان آخر الليل ، رأيت فسطاطا واسع الأرجاء ، عاليا فى السماء ، يعلوه نور ويزدحم عليه خلق من أهل السماء ، وأهل الأرض عنه مشغولون، فقلت : لمن هذا الفسطاط ؟ فقالوا لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فبادرت إليه بالفرح ، ولقيت على بابه عصابة من العلماء والصالحين نحواً من السبعين ، أعرف منهم الفقيه عز الدين بن عبد السلام ، والفقيه مجد الدين مدرس قوص والفقيه الكمال ابن القاضى صدر الدين ، والفقيه المحدث محيي الدين بن سراقة ، والفقيه عبد الحكيم بن أبى الحوافز . ومعهم رجلان لم أعرف أجمل منهما ، غير أنى وقع لى ظن فى حالة الرؤيا : أنهما الفقيه زكى الدين عبد العظيم المنذرى المحدث ، والشيخ مجد الدين الإخميمى ! !

وأردت أن أتقدم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فألزمت نفسى التواضع والأدب مع الفقيه ابن عبد السلام ، وقلت : لا يصلح لك التقدم قبل عالم الأمة فى هذا الزمان ؛ فلما تقدم وتقدم الجميع ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إليهم يمينا وشمالا : أن اجلسوا وتقدمت ، وأنا أبكى بالهم وبالفرح . أما الفرح فمن أجل قربى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسب ، وأما الهم فمن أجل المسلمين والثغر ، وهمّ طلبى إليه صلى الله عليه وسلم فمد يده حتى قبض على يدى ، وقال : لا تهتم كل هذا الهم من أجل الثغر ، وعليك بالنصيحة لرأس الأمر — يعنى السلطان — فإن ولى عليهم ظالم فما عسى ؟ ! وجمع أصابع يده الخمسة فى يده اليسرى كأنه يقلل المدة . وإن ولى عليهم تقى فـ « الله ولى المتقين » وبسط يده اليمنى واليسرى . وأما المسلمون فحسبك الله ورسوله وهؤلاء المؤمنون - أى العلماء والفقهاء والصالحون الذين بالمجلس - وقال : « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » . وأما السلطان فيد الله مبسوطة عليه برحمته ما والى أهل ولايته ، ونصح المؤمنين من عباده ؛ فانصحه واكتب له وقل فى الظالم عدو الله قولا بليغا : « واصبر إن وعد الله حق ، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون » .

فقلت : نصرنا ورب الكعبة ، وانتبهت .

ونصر الله المسلمين نصرا مؤزرا ، وأسر الملك لويس ، وأسر الكثيرون من قواده ، وأشاد الشعراء بهذا النصر :

ومن قصيدة مشهورة لابن مطروح : نقتطف ما يلى : قال يخاطب لويس :

وكل أصحابك أودعتهم
بحسن تدبيرك بطن الضريح

سبعون ألفا لا يرى منهمو
إلا قتيل أو أسير جريح

وقل لهم إن أزمعوا عودة
لأخذ ثأر أو لفعل قبيح :

دار ابن لقمان على حالها
والقيد باق والطواشى صبيح

ولسنا هنا بصدد تاريخ هذه الموقعة الحربية ، وما أردنا مما سبق ، إلا أن نلقى ضوءاً واضحا على اشتراك أبى الحسن الشاذلى فى الجهاد ، رغم أنه كان يعتذر له عن التخلف لكبر سنه ، ولأنه قد كف بصره ، ولكن أبا الحسن لا يتخلف عن فرض ، وما كان يتأتى له أن يتخلف عن مؤازرة المسلمين .

هذه الصورة نضعها أمام أنظار علماء المسلمين فى العصر الحاضر ، وأمام رجال التصوف الإسلامى ، لعل فيها لهؤلاء وأولئك ذكرى كريمة ومثلا يحتذى !! ؟

الدكتور عبد الحليم محمود
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

تأليهية القرن الثامن عشر وهل معتقدوها مؤمنون؟

للدكتور محمد غلاب

— ٢ —

قبل أن نستعرض الصور المختلفة للتأليهية فى انجلترا وفرنسا وألمانيا فى القرن الثامن عشر ، ينبغى أن نعيد إلى الأذهان هـذا الوصف المحدد الدقيق الذى سجله ذلك الأسقف الشهير ، والمفكر الخطير « فينيلون » والذى يقول فيه : « مما يشرف المؤلهين أنهم يعترفون بإله خالق تبهر العيون حكمته الممثلة فى أفعاله ، ولكن هذا الإله فى رأيهم لا يكون حكيما ولا خيراً لو أنه كان قد منح بنى الإنسان حرية التصرف أى القدرة على الإثم والابتعاد عن الغاية المثلى ، وقلب النظام ، والضلال الأبدى ... ولا جرم أن المؤلهين ـ بهذا المذهب الذى ينتزع من الإنسان كل حرية واقعية ـ يتخلصون من كل جدارة وكل ذم وكل عقاب أى أنهم يعجبون بالإله دون أن يخشوه ، ويحيون بلا وازع تحت سلطان أهوائهم » . من هذا يتضح أن التأليهية قد قدمت عن الإنسان فكرة لا تتفق البتة مع فكرة الأديان الموحاة ، إذ أن تلك التأليهية لا تزيد على أنها قد استكشفت من خلال الطبيعة إلها مهندساً دقيق التنظيم ينتج ويحفظ فى الكون نظاما جديراً بالإعجاب ، ولكنها تأبى أن تقر إلها يمكن الإنسان من المقدرة على الخطيئة وعلى قلب النظام ، وإنما الإله فى رأيها هو الطبيعة أى فى تلك العجائب التى يحللها علماء الكائنات الحية والطبيعيون ، وليس فى النفس البشرية مع أحاسيس الخطيئة ومع السقوط أو الغوث والعناية الربانية التى تصحب تمثل الإله فى النفس الإنسانية . ومعنى هذا أن التأليهية تدع للإنسان العناية بمصيره الخاص .

التأليهية الانجليزية :

غير أن هـذا التنافر بين التأليهية العقلية والمسيحية لم يكن مفهوما دائما فى النقاش الذى كان يدور بين معتنقيهما . وهنا ينبغى أن نسجل أن المدافعين عن المسيحية من الانجليز كانوا قد تأثروا بروح العصر فانحازوا إلى صفوف الفكر ولم يعودوا يعارضون ادعاءات العقل الإنسانى على

الصورة التى رسمها له الفلاسفة أى بوصف أنه مقصور على معرفة الوقائع ، وغير قادر على الارتفاع إلى الموجود المفارق . ولقد كان جميع أولئك المدافعين من أنصار ذلك الدين الطبيعى الذى برهن عليه ذلك العقل الفلسفى، وإن كان هذا الإجماع يشوبه شىء من التفاوت فى درجات الإيمان : ومن ثم فإنهم كانوا جميعاً متفقين فى غاية واحدة هى التدليل على أن الدين الطبيعى - إذا فهم على حقيقته - ينتهى قطعاً إلى الدين الموحى ، ومن أمثلة ذلك أن « شيرلوك » أحد رجال اللاهوت الانجليزى ، يعلن فى إحدى مواعظه فى سنة ١٧٠٥ أن دين الإنجيل هو الدين العنصرى للعقل والطبيعة ، وأن تعاليمه هى التى تعرفنا الدين الطبيعى الذى هو قديم بقدم الخلق .

وإذن فقد كانت المناقشات فى انجلترا تنحصر فى العلاقات الممكنة بين التأليهية والمسيحية . ولهذا كثيرا ما يعثر الباحث بوجه عام على مشابهة بين التأليهية الانجليزية والكتب المقدسة . وسر ذلك أن أكثرية المؤلهين الانجليز كانت من بين المتضلعين فى الثقافة ، أو من الرواة ، وكلا الفريقين لا يستطيع إزدراء الوحى أو الاستغناء عنه، فكانوا يقفون عند الحدود الفاصلة بين العقل والعقيدة ، ويبذلون جهودا جبارة فى إزالة تلك الحدود والحواجز العائقة للاتفاق. ومن آيات ذلك أن شرذمة منهم كتوماس شوب وتوماس مورجان كانت تقرر أن المسيحية الأولى أو التعاليم المسيحية الأصيلة - قبل أن تختلط ببدع اللاهوتيين المتأخرين - كانت تعاليم للحقيقة الأساسية شبيهة بتعاليم سقراط ، وأنها كانت تمثل الدين الطبيعى الحقيقى المشترك بين جميع بنى الإنسان . وفى هذا يقول أشهر المؤلهين النظريين : « ما يتوتا اندال » (١٦٥٦ — ١٧٣٣) : « إن الدين الطبيعى والوحى الظاهرى متجاوبان تماما دون وجود أى فارق بينهما غير الطريقة التى اتصلا بها » [١] .

ولا ريب أن هذا النوع من الخلط بين الدين المنبثق من المعرفة الفلسفية والوحى المسيحى ، ذلك الخلط الذى هو الطابع المميز للتأليهية الانجليزية ، قد اتخذ أشهر صوره على يدى الشاعر الانجليزى الكبير « بوب » (١٦٨٨ — ١٧٤٤) الذى أطلق عليه اسم هو ميروس انجلترا والذى كانت صداقته مع المؤله « بولينبرك » سببا فى أن يصير أحد مشاهير دعاة التأليهية الانجليزية . ولقد نالت قصيدته الفلسفية الرائعة التى عنوانها « محاولة على الإنسان » والتى ظهرت فى سنة ١٨٣٣ ، نجاحا كبيرا .

---

(١) انظر صفحة ٣٢٥ من الجزء الثانى من تاريخ الفلسفة تأليف الأستاذ إميل برهييه .

بيد أن هذا النجاح الباهر لم يمنع من أن يشتعل حول هذه القصيدة لهيب نقاش حاد شغل القارة كلها وآلم بوب إيلاما شديدا . ولكي يتخلص من هذا الحرج أعلن أن مبادئه متفقة مع مبادئ باسكال وفينيلون وهما من أشهر مشاهير المتدينين ، ولم يكتف بهذا في دفاعه عن نفسه بل نشر كدليل على براءته وسلامة عقيدته نشيدا عنوانه « الصلاة العالمية » جزم بأنه صورة أمينة لروح الإنجيل ولكنه كاد يخفق في مشروع التهدئة لأن الإله الذي كان يدعوه ، كان هو أبا كل شيء ، وأنه قد وجد قبل الخلق ، كما كان هو الإله الذي عبده القديسون والمتوحشون والحكماء ، بلا أي تفريق ، وإن اسمه كان في الوقت ذاته جيوثا وزوس والمسيح .

وهكذا لم يزد على أنه أثار العقول أكثر من ذي قبل ، وقد أطلقوا على نشيده اسم « صلاة المؤله » .

كانت قصيدته اعترافا بالعقيدة وكانت صلاة ، وكان القارئ يعثر فيها على كل تعاليم بولينبرك تقريبا ، ولكن كم كانت في مجموعها متباينة وعلى الأخص في اللهجة . وكما كانت الفكرة ذاتها غير يقينية ، ومضطربة ! .

لا تزال « محاولة على الإنسان » تؤثر فينا رغم تغير ذوقنا ، لأننا نشعر فيها بحساسية مرتعدة ، وهي حساسية نفس لم ترض نهائيا عن القواعد التي عليها عليها العقل ، والتي على أثر قولها لنفسها إنها مقتنعة ، تكون في حاجة إلى الاقتناع من جديد ... ومن الممكن ألا يكون في العالم شعر تعليمي ينتقش في الذاكرات بصورة أكثر يسراً . فمن ذلك مثلا : الإنسان يجب أن يقبل ، الإنسان يجب أن يكتفي . الإنسان في منزلة الدقيقة من الكون . الإنسان يجب أن يقر بوجود عقل أسمى من عقله سمواً لا يتناهى ، وبأنه يجيد معرفة ما يعرف ، وبأنه يجيد عمل ما يعمل . الإنسان يجب أن يؤمن بوجود كائن أعلى لا يمكن أن يكون قد نظم العالم لغاية أخرى غير الخير العام .

ويعلق الأستاذ بول هازار على هذا فيقول :

إنها تأليهية شعرية ، تأليهية في حالة التكوين . فقد أراد بوب أن يسبح بين أطراف المذاهب المتعارضة في الظاهر ... وأن يؤلف ـ مستعيراً منها جميعها ـ مذهبا أخلاقيا يكون معتدلا دون أن يكون غير صلب ، وقصيراً دون أن يكون غير كامل . ولكنه خليط غير صلب ، ذلك الذي نجح في إنتاجه ، لأن النقد قد استكشف عنده بحق ، وثنية ، وحلولية ، وجبرية ، وكاثوليكية ، لأنه كان يتحدث عن حالة الطبيعة التي كانت في أصلها سعيدة تماما ، والتي فسدت ، وذلك ما يجعلنا نفترض الإيمان بالخطيئة العنصرية .

وفى هذا يعلن توماس دوكانسيه : « أن ذلك هو تحقيق الفوضى » ويصرح تين بأنه « مزيج من فلسفات متناقضة » ويصفه لويس كازاميان بأن « أقوى بحوثه الفلسفية - وهو « محاولة على الإنسان » - مصنوع من مطروقات مجددة مزدانة بإلهامات عصرية ... إنها لتأليهية غير نقية ، تأليهية كانت تقطن فيها بضعة من عناصر المعرفة السيكولوجية التى كان يراد بالضبط إقصاؤها . إنها كانت مجهود إرادة ، أكثر منها يقينا عقليا ، وكانت قبولا للسر[1] » .

التأليهية الفرنسية :

تتمثل التأليهية الفرنسية فى صورتين مختلفتين كل الاختلاف عن الصورة الانجليزية . فأولى هاتين الصورتين فلسفية منبثقة عن العقل ، ولكنها تمتاز بعدائها العميق للمسيحية التى تتباين مع مبادئها كل التباين . وهذا النوع الذى ذاع فى كل أنحاء القارة هو من إنتاج فولتير .

أما الصورة الثانية التى لم تظهر إلا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر أى حين جعل العقل ينهزم أمام نظرية الحساسية ، فإنها يمكن أن تدعى بالتأليهية العاطفية ومبدعها فى فرنسا هو جان جاك روسو .

والآن إليك الصورة الأولى التى رفع فولتير لواءها .

تأليهية فولتير :

يعرف المشتغلون بالحركة العقلية أن فولتير لم يكن له مذهب فلسفى خاص ، وأنه لم يفعل أكثر من أنه أذاع أفكار لوك ونيوتون فى صورة واضحة محددة ، وأنه كان ينتزع منها فى أكثر الأحايين نتائج منطقية لم ينته إليها ذانك المفكران الانجليزيان . ولا جرم أن منشأ شهرته وخلوده ، هو أنه فهم وأفهم الآخرين ذلك التعارض المنيف الذى وجد بين النقطة التى قادت الفلسفة إليها العقل البشرى ، وطريقة التفكير والحياة لدى أكثر بنى الإنسان الذين رزحوا تحت إرهاق الأوهام والجهل والإفراط . ومما هو جدير بالتسجيل هنا أن طموح فولتير كان يهدف إلى التسامى بالحياة العقلية والدينية والخلقية والاجتماعية عند معاصريه إلى مستوى الفلسفة ، وأنه كان يعتمد فى كل هذا على نور العقل لا على التغيرات الباطنية للإنسان الذى سيبقى دائما كما هو بسبب أنانيته وأهوائه التى لم تكن ضارة إلا بوساطة جهله وأوهامه .

ومما هو غنى عن البيان أن المحيط الدينى يشغل أهم الأمكنة لدى ذلك الداعية المتحمس

---

(١) انظر صفحتى ١٥٠ ، ١٥١ من الجزء الثانى من كتاب الفكر الأوروبى فى القرن الثامن عشر تأليف الأستاذ بول هازار ترجمه الدكتور محمد غلاب .

للأفكار الجديدة التى ترمى إلى اقتلاع الآراء القديمة والحلول محلها .

ولما كان من أشياع الدين الطبيعى فإنه كان فى أوروبا كلها هو المؤله النظرى الأول ، وأنه هو الذى وضع القواعد المحددة للتأليهية فى « القاموس الفلسفى » تحت مادة المؤله حيث قال ما نصه : « المؤله هو إنسان مقتنع بوجود الكائن الأسمى الذى هو خير كما هو قادر ، والذى كون الكائنات المتمددة والنامية والحساسة والناطقة ، والذى يديم أنواعها ، والذى يعاقب الجرائم بلا قسوة ، ويثيب الأفعال الفاضلة بخيرية .

لا يعرف المؤله كيف يعاقب الإله . ولا كيف يمنح الحظوة ، ولا كيف يصفح ، لأنه ليس متهوراً ليتباهى بمعرفة كيف يعمل الإله . ولكنه يعرف أن الإله يعمل ، وأنه عادل . إن الصعوبات التى تنتصب ضد وجود العناية ، لا تهزه فى عقيدته ، لأنها ليست سوى صعوبات كبرى ، وليست براهين . إنه خاضع لهذه العناية لا يلمح منها إلا بضع نتائج ، وبضعة ظواهر ، وبما أنه يحكم على الأشياء التى لا يراها حسب الأشياء التى يراها ، فإنه يعتقد أن تلك العناية تمتد فى جميع الأمكنة وجميع القرون .

ولما كان متحدا بهذا المبدأ مع بقية الكون ، فإنه لا يكون عضواً فى أية شيعة من الشيع التى تتناقض كلها . ودينه أقدم الأديان وأكثرها اتساعا لأن العبادة البسيطة لإله ما ، قد سبقت جميع مذاهب العالم ، وهو يتكلم بلغة تفهمها جميع الشعوب ، فى الوقت الذى لا تتفاهم فيه فيما بينها . وله إخوة من بيكين إلى كايين ، وهو يعد جميع الحكماء إخوة له . إنه يؤمن بأن الدين لا ينحصر فى آراء ميتافيزقية غير قابلة للتعقل . ولا فى أجهزة عابثة بل ينحصر فى العبادة والعدالة » .

كان فولتير إذن مؤمناً بوجود الله ولكنه لم يلح فى التدليل على وجوده إلا من حيث كونه علة غائية ، إذ يعلن أن هذه التحفة الفنية التى هى الكون ، تقتضى وجود إله أزلى أبدى مهندس . ومعنى هذا أن إله فولتير هو إله الطبيعة لا الإنسانية أى أنه إله يطالب منه ضمان نظام الكون ، لا إنقاذ الإنسان لأن هذا الأخير لم يكن قط فى خطر ، وأن دينه طبيعى لا يرى فى الإله إلا منشئا حكيما لطبيعة نافعة للإنسان . وإذن فتأليهيته متعارضة مع المسيحية . ومن ثم فإنه يسدد سهام المهاجمة العنيفة إلى باسكال الذى ـ يوصف بأنه فيلسوف مسيحى ـ يمثل بالنسبة إليه الخصم الأساسى . ولقد ظلت عاطفة كراهية المسيحية تنمو عنده شيئا فشيئا حتى ظفرت فى شيخوخته بالسيادة على كل ما عداها ، وجعل يعبر عنها بمغالاة

(البقية على صفحة ٤٩٩)

جلال الدين السيوطي

للأستاذ حسن الشيخه

عالم جليل ، أملى على التاريخ آيات عبقريته بمحصوله العلمى الذى قد يكون فيه منقطع النظير بين أقرانه ولداته ، وبتآليفه التى زادت فى كثرتها عن كل ما له فى آفاق التأليف والتصنيف .

ترجم الشيخ لنفسه ترجمة وجيزة فى كتابه (حسن المحاضرة) فأغنانا بذلك عن كثير .

وأقيم بحثى هذا على أربعة أسس :

الأول — تأثير سيرة والده فيه .

الثانى — بيئته العلمية وحالة الأزهر فى أيامه

الثالث — عبقريته .

الرابع — مؤلفاته .

° ° °

والده وأثره فى حياته :

ترجم الشيخ لوالده فقال : هو الشيخ كمال الدين أبو المناقب السيوطى ، الذى توفى وسن ولده جلال الدين ستة أعوام . وقد تأثر الولد بسيرة أبيه ميتا أكثر مما كان يتأثر بها حيا .

اشتغل ببلده أسيوط وتولى القضاء قبل قدومه إلى القاهرة ، وهذا يدلنا على أن مدارسة العلم فى هذه الحقبة لم تكن قاصرة على الأزهر وإنما كانت فى كثير من عواصم البلاد . كما هو الحال الآن ، ثم ذكر لنا كيف كانت أحوال أبيه بعد قدومه إلى القاهرة . حيث درس على كبار الشيوخ علوم الفقه والأصول والكلام والنحو والإعراب والمعانى والمنطق والحديث ، ثم يقول (وأتقن علوما جمة ، وبرع فى كل فنونه . وأقر له كل من رآه فى صناعة الإنشاء وأذعن له فيه أهل عصره كافة . بل كان شيخنا قاضى القضاة شرف الدين المناوى فى أوقات الحوادث يسأله فى إنشاء خطبة تليق بذلك ليخطب بها فى القلعة ثم يقول عن والده من الناحية الخلقية :

وكان على جانب عظيم من الدين والتحرى فى الأحكام وعزة النفس والصيانة ، يغلب عليه حب الانفراد وعدم الاجتماع بالناس .

ثم عدد تآليفه فى مختلف العلوم .

فقال :

« وله من التصانيف حاشية على شرح الألفية لابن المصنف ، وحاشية على شرح العضد كتب منها يسيرا ، ورسالة فى الإعراب وأجوبة على اعتراضات ابن المقرى على الحاوى وله كتاب فى التصريف ، وآخر فى التوقيع » .

هذه خلاصة وافية لما كتبه الشيخ جلال فى ترجمة والده ، وقد أسلفت أنه تركه بالموت

وهو فى سن السادسة . فكيف - وهذه هى الحال - كتب ترجمة أبيه المتوفى ، وكيف تأثر بحياته ؟ .

إنه لم يشاهد من حالات والده إلا حالة واحدة ساعده على مشاهدتها أنه كان يقوم بها فى منزله . أما غيرها فلم يشاهده فيها . هذه الحالة هى التى حدثنا عنها بقوله :

« ... مواظبا على قراءة القرآن ، يختم كل جمعة ختمة ، ولم أعرف من أحواله شيئا بالمشاهدة إلا هذا » .

وقد وجد عند والده كل آثاره العلمية والأدبية فحببه ذلك فى الانقطاع لطلب العلم والأدب .

الأزهر فى عهده :

ننتقل بعد ذلك إلى بيئة جلال الدين العلمية وحالة الأزهر وطلبته فى عهده .

الحقبة التى انتسب فيها جلال الدين إلى الأزهر هى منتصف القرن التاسع الهجرى . وكان الأزهر فى ذلك الوقت قد قطع فى بعثه الجديد أشواطا بأنه بعد أن عطله عن الحياة حساً ومعنى - السلطان صلاح الدين الأيوبى ، ليزيل بذلك كل أثر للفاطميين . واستبدل به مدارس تدرس فيها المذاهب الأربعة - بعد هذا جاء عهد السلطان الظاهر بيبرس من ملوك الجراكسة . فقد ولى هذا السلطان ملك مصر عام ٦٥٨ هجرية وكان - أول ما عنى به من الشئون - بعث الأزهر بعثا جديدا بترميمه بعد التهدمة ، وبإعداده ليكون معهداً علمياً تدرس فيه العلوم الدينية ، كما تدرس فيه العلوم العقلية مثل (المنطق - آداب البحث والمناظرة) أما علوم التاريخ والجبر والمقابلة والإنشاء والأدب ، فلم يكن لها نظام معين تدرس به . فقد تدرس وقد لا تدرس ، وإذا رغبها طالب لم يرغب فيها طلبة .

لم يكن هناك مناهج ولا أوقات تضبط الدروس وتحدد أوقاتها . كما أن الطلبة كانوا أحراراً فى كل شىء : فى العلم الذى يختارونه . وفى الشيخ الذى يحضرون عليه ، هذه الحرية فى التحصيل هى التى مكنت الرعيل الذى كان فيه السيوطى من الإجادة والإتقان والتبحر فى مختلف أنواع العلوم والفنون .

فكانوا أعلاما نابهين . أمثال السيوطى ، والعز بن عبد السلام ، والقرافى ، وابن هشام والسبكى وأبناؤه ، وزكريا الأنصارى وغيرهم :

كما كان الزهد فى المال ، طابعا للطلبة يقول العلامة ابن دقيق العيد :

لعمرى لقد قاسيت بالفقر شدة
وقعت بها فى حيرة وشتات

فإن بحت بالشكوى هتكت مروءتى
وإن لم أبح بالصبر خفت مماتى

وأعظمْ به من نازل بملمة
يزيل حيائى أو يزيل حياتى

عبقرية السيوطى :

إذا لم يكن الشيخ قد حدثنا فى ترجمته لنفسه عما يدلنا على عبقريته ـ فإننا نستطيع الحكم عليها من غزارة مادته العلمية، ووفرة مؤلفاته.

تحدث عن قوة حافظته فقال :

« حفظت القرآن ولى دون ثمان سنين . ثم حفظت العمدة ومنهاج الفقه والأصول وألفية ابن مالك» حفظ كل هذه المحفوظات قبل أن ينقطع إلى طلب العلم بالأزهر كما حدثنا .

وتحدث عن تبحره فى العلوم وتعمقه فى فهمها .

« ورزقت التبحر فى سبعة علوم : التفسير، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعانى ، والبيان ، والبديع ... والذى أعتقده أن الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعة ـ سوى الفقه ـ والنقول التى اطلعت عليها فيها لم يصل إليه ، ولا وقف عليه أحد من أشياخى ، فضلا عمن هو دونهم ... ولو شئت أن أكتب فى كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها الفعلية والقياسية ، ومداركها ونقوضها وأجوبتها ، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله ... » .

ويقول أيضا : « وقد كملت عندى آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى » .

ثم يقول فى مقدمة كتابه (المزهر فى علوم اللغة) .

« هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه ، واخترعت تنويعه وتبويبه ، وذلك فى علوم اللغة وشروط أدائها وسماعها ، حاكيت به علوم الأحاديث فى التقاسيم والأنواع ، وأثبت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع، وقد كان كثير ممن تقدم يلم بأشياء من ذلك ، ويعتنى فى تمهيدها ببيان المسالك ، غير أن المجموع لم يسبقنى إليه سابق ، ولا طرق سبيله قبلى طارق » .

هذا ما كتبه الشيخ متفرقا فى ترجمته لنفسه ، وفى مقدمات بعض كتبه .

° ° °

مؤلفات الشيخ :

يقول السيوطى ـ « وقد بلغت مؤلفاتى للآن ثلثمائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه » .

ومن هذا العدد الكبير نعرف أنه كان سريع الكتابة إلى حد كبير، وهو فى ذلك يشبه إمامنا الجاحظ فى السرعة لا فى إشراق الأسلوب ، ولا فى متانة التعبير ، ولا فى إجادة الإنشاء .

إن الثلثمائة كتاب التى ألفها السيوطى تدور فى مدار العلوم الآتية كما ذكرها هو بتعبيراته :

١ ـ فن التفسير وتعلقاته والقراءات .

٢ ـ فن الحديث وتعليقاته .

٣ ـ فن الفقه وتعلقاته .

٤ ـ الأجزاء المفردة (وهى المؤلفات التى يتناول كل منها مسألة واحدة) .

٥ ــ فن العربية وتعلقاته .
٦ ــ فن الأصول والبيان والتصوف .
٧ ــ فن التاريخ والأدب .

هل درس السيوطى كل هذه العلوم فى الأزهر؟ إذا صح أنه درس التفسير والحديث والأصول واللغة العربية وبقية ما عرف من العلوم الأزهرية فى وقته ، فهل درس أيضا التاريخ والأدب على الصورة التى رسمها لنا فى تعداد الكتب التى ألفها ؛ إنه لم يترك طبقة من الطبقات إلا ألف فيها كتابا : (الصحابة ـ الحفاظ ـ النحاة كبرى ووسطى وصغرى ـ المفسرين ـ الأصوليين ـ الكتاب ـ الشعراء ـ الخلفاء) .

كما أنه ألف فى التاريخ العام والخاص والرحلات كتبا كثيرة مثل (حسن المحاضرة ـ رفع الباس عن بنى العباس ـ ياقوت الشماريخ فى علم التاريخ ـ رفع شأن الحبشان ... الرحلة الدمياطية) .

فهل درس الطبقات والتاريخ وكتب اللغة والأدب فى الأزهر فأهلته المدارسة ليؤلف فيها بهذه الغزارة كما ألف فى العلوم الأزهرية ؟

إن السيوطى كانت له صوفية علمية تجعله يدرس التاريخ والسير والمغازى على نفسه ، ولم يكن فى الأزهر حلقات لمثل هذه العلوم .

لقد شبهت جلال الدين السيوطى بالجاحظ فى سرعة الأداء والكتابة ، ولكننى فرقت بينهما من حيث طلاوة الأسلوب ، وإشراق الديباجة . والآن أشبه مرة أخرى السيوطى بالجاحظ فى كثرة الاطلاع ومتنوع الدراسات ، فلقد كان الجاحظ يستأجر دكاكين الوراقين ليطلع على ما فيها من كتب وربما كان يقضى فيها الليالى بأكلها لنهمه فى القراءة والاطلاع . وكذلك الشيخ السيوطى فإنه لم يترك كتابا فى زمانه إلا قرأه واستفاد به .

رحلات الشيخ السيوطى :

وقد كانت له رحلات ، ولكنه لم يكشف لنا عن الدافع إليها ، فقد قال فى ترجمته .

« وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور » وهى رحلات بعضها شاق طويل ، وأى رحلة أبعد من الهند ؟ وأى متاعب أقسى فى زمنه من الجمع بين الرحيل إلى الشام والحجاز واليمن والهند والغرب والتكرور؟ إنه طوف فى ذلك بأكثر أجزاء نصف الكرة الشرق .

وقد ولد السيوطى عام ٨٤٩ وانتقل إلى رحمة الله عام ٩١١ هجرية ؟

حسن الشيخ

• • •

الإسلام فى أمريكا الجنوبية

للدكتور جمال الدين الرمادى

يقال: إن العرب حاولوا اكتشاف أمريكا الجنوبية فى القرن العاشر الميلادى أو أوائل القرن الحادى عشر، ويستند أصحاب هذه الرواية إلى ما كتبه الإدريسى المؤرخ المعروف فى كتابه «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق» فقد ذكر عند الكلام على جغرافية الأندلس أن جماعة من مسلميها من أهل «الحامة» على مقربة من لشبونة يعرفون بالمغرورين وهم ثمانية فتيان إخوة أو أبناء عم أنشئوا لهم مركبا كبيراً وشحنوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر، ثم خرجوا إلى بحر الظلمات من ثغر لشبونة عند مهب الريح الشرقية وساروا نحو الغرب نحو أحد عشر يوما، وفى ذلك يقول الإدريسى: فوصلوا إلى بحر غليظ الموج كدر الروائح كثير «التروش»[1] قليل الضوضاء، فأيقنوا بالتلف، فردوا قلاعهم باليد الأخرى وجروا مع البحر فى ناحية الجنوب اثنى عشر يوما فخرجوا إلى جزيرة الغنم وفيها من الغنم ما لا يأخذه عد ولا تحصيل، وهى سارحة لا راعى لها ولا ناظر إليها، فقصدوا الجزيرة فنزلوا فيها، فوجدوا عين ماء جارية وعليها شجرة تين برى، فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها، فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب اثنى عشر يوما إلى أن لاحت لهم جزيرة فنظروا فيها إلى عمارة وحرث فقصدوا إليها ليروا ما فيها فما كان غير بعيد حتى أحيط بهم فى زوارق هناك فأخذوا وحملوا فى مركبهم إلى مدينة على ضفة البحر فأنزلوا بها، فرأوا فيها رجالا شقراً زعراً، شعورهم مسبطة، وهم طوال القدود، ولنسائهم جمال عجيب فاعتقلوا فيها فى بيت ثلاثة أيام ثم دخل عليهم فى اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربى، ثم سألهم عن حالهم وفيما جاءوا وأين بلدهم، فأخبروه بكل خبرهم، فوعدهم خيراً، وأخبرهم أنه ترجمان الملك، فلما كان فى اليوم الثانى، أحضروا بين يدى الملك، فسألهم عما سألهم الترجمان عنه فأخبروه بأنهم اقتحموا البحر ليروا ما فيه من الأخبار والعجائب فيقفوا على نهايته، فلما علم الملك ذلك ضحك.

---

(١) هكذا فى نسخة مختصر: «نزهة المشتاق» المطبوعة فى روما سنة ١٥٩٦ ويظهر أن المقصود: «القروش» وهى نوع من السمك المفترس.

وقال للترجمان أخبر القوم أن أبى أمر قوما من عبيده بركوب هذا البحر وأنهم جروا فى عرضه شهراً إلى أن انقطع عنهم الضوء وانصرفوا بغير حاجة ولا فائدة تجدى .

ويقول الإدريسى بعد ذلك إن الملك اعتقلهم ثم أمر بتقييدهم وتركوا على الشاطئ حتى أنقذهم لفيف من البربر وأعلموهم أن بينهم وبين الأندلس مسيرة شهرين وأن المكان الذى رسوا فيـــه يقع فى أقصى المغرب ولا يستبعد أن يكون الشاطئ الذى رسوا فيه جزيرة سان بول أو إحدى جزر فرناند الواقعة فى مياه أمريكا الجنوبية على قيد نحو مائة وخمسين ميلا من شرق البرازيل . فإن مثل هذه المدة التى قطعوها تحملهم إلى هذه المنطقة ولا يستبعد بعد ذلك أن يكون هؤلاء العرب قد استوطنوا فى هذه الجزيرة ثم توغلوا فى القارة الجنوبية ونشروا دين الإسلام هناك بين طائفة محدودة من الناس .

ولقد ازداد تيار الهجرة فى العصر الحديث إلى الأمريكتين ولم تكن إذذاك قائمة على جماعات منظمة ذات برامج معينة تهدف إلى تأسيس مستعمرات أو إنشاء مدن جديدة كما كانت عند الفينيقيين .

ولم تتجه الهجرة إلى بلاد ومناطق تضمها الإمبراطورية أو الحكومة الواحدة كما كانت هجرة السوريين إلى بلاد الإمبراطورية الرومانية أو العثمانية أو الخاضعة لحكم العرب ، إنما كانت إلى الأمريكتين حيث الطموح إلى الرزق السابغ والعيش الوارف والحيـــاة الحرة الطليقة من التقـاليد والقيود الاجتماعية والسياسية ، ولابد أن المقيم كان يشجعه على الهجرة نجاح أخيه المغترب فيرحل قسم كبير من أفراد الأسرة أو القرية أو المدينة بالتدريج وقد يتوجهون لنفس المنطقة أو البلد .

وقد علقت مجلة « الجديد » التى تصدر فى سـان باولو بالبرازيل على الهجرة قائلة « وإن المهاجرين الذين استدانوا أجرة السفر فى أدنى الدرجات ونالهم ما لا يتحمله البشر من سماسرة بيروت ومرسيليا وشراسة بحارة البواخر الأجنبية التى كانت تقلهم إلى هـذه الديار ، أصبحوا اليوم والكثيرون منهم أصحاب المعامل الكبرى والتجارات الواسعة والمزارع المترامية الأطراف ، وهؤلاء يسكنون اليوم القصور الفخمة المزدانة بأفخر الأثاث والرياش والأجهزة بأحدث أسباب الراحة والرفاهية ولا يعرفون غير السيارات البديعة مركبا » .

ونجح السوريون فى مختلف الأعمال بالجد والنشاط والأمانة وطلاوة اللسان حتى ضربت بهم الأمثال فى البرازيل فجاء فى المثل البرازيلى « إننى أعمل كسورى » ، وأقبـــل بعض

المغتربين على شراء العقارات مثل عبد الله الحداد الذى اشترى ١٩١٢ مليون متر مربع من الأرض فى نواحى سان باولو فى البرازيل وقسم الأرض إلى مربعات وشق فيها الشوارع ومد الأسلاك الكهربائية واستطاع بعد سنوات أن يبعث العمران فيها ويضيف إلى خريطة « سان باولو » حياً جديداً عامراً بالسكان يخترقه شارع كبير يسمى شارع سوريا وأدخلت المطابع العربية فى البرازيل وأنشئت مدارس للممرضات وطبع كثير من الكتب العربية وصدرت هناك مجلات عربية كثيرة وتعاون المسلمون والمسيحيون هناك على رفع مستوى العربى بعدما كان كثير منهم يئن هو وآباؤه وأجداده من الحكم العثمانى ومن العثمانيين الذين كانوا يطلقون على العربى « كلب عربى » امتهانا لكرامته وتحقيرا لشأنه ، وقد ألفت فى أميركا الجنوبية رابطة للأدباء والشعراء تسمى رابطة العصبة الأندلسية وقد قامت فى أميركا الجنوبية بعد قيام الرابطة التعليمية فى أميركا الشمالية بنحو خمسة عشر عاما وكان أول رئيس لها ميشال معلوف عام ١٩٣٥ .

وقد حاولت هذه العصبة الأندلسية أن تزيل الفوارق بين المسلمين والمسيحيين ونظم شعراؤهم قصائد شتى فى هذا الميدان ومنهم الشاعر رشيد الخورى المعروف بالشاعر القروى الذى يقول فى إحد قصائده :

لم يعن هذا الشعب أنى شاعر
حر ... يحب بلاده متفانى
بل كل ما يعنيه هل أنا مسلم
لله أم أنا لم أزل نصرانى
إنى على دين العروبة ... وأقف
قلبى على سبحانها ولسانى
إنجيلى الحب المقيم لأهلها
والذود عن حرماتها فرقانى
يا مسلمون ويا نصارى ... دينكم
دين العروبة ... واحد لا اثنان

وقد كان من أعضاء هذه الجمعية بعض الشعراء المسلمين كما كان منهم ولا يزال بعض رجال الأعمال فى أمريكا الجنوبية فى الأرجنتين والبرازيل وكولومبيا وفنزويلا وأكوادور وغيرها من أقاليم أمريكا الجنوبية وهم يقومون بدور كبير فى ميدان الحضارة والتقدم ويعيشون جنبا إلى جنب مع أهالى البلاد فى مودة وإخاء .

ويقوم المسلمون بأداء شعائرهم الدينية فى المساجد والجوامع المنتشرة فى أحياء متفرقة من أقاليم أميركا الجنوبية وهناك عدد كبير من الزنوج الذين أسلموا نتيجة لحركة التبشير الدينى التى قام بها العرب الوافدون من أسبانيا وبلاد المغرب ومن الوطن العربى ، إلى جانب تأثرهم بحركة التبشير الدينى بين الزنوج التى ذاعت فى حى هارلم بأميركا الشمالية .

جمال الدين الرمادى

من روائع الفكر الروحي

الانفعال الخلاق

عند الفيلسوف الفرنسي برجسون

للأستاذ محمد فتحي عثمان

« الحكمة ضالة المؤمن
أنى وجدها فهو أحق بها »

هو فيلسوف الروح فى القرن العشرين ...
وهو صاحب البدائع والروائع (الطاقة الروحية)، (التطور المبدع)، (الزمان والحرية) :

لقد أبرز برجسون معالم (الانفعال) فى أغوار الإنسان ، وسجل أرصادا دقيقة فى جنبات الوجدان ... وقدم فى كتبه نتيجة دراساته ، فحاول إيضاح حقيقة الانفعال ليتميز عن غيره من سائر الأحاسيس : فى طبيعته ، وفى نتيجته ، وفى وسيلته .

« وهنا نتذكر الطابع الانفعالى للنظرية البرجسونية ، فالفكرة الخالصة لا يمكن أن تنتهى وحدها إلى فعل ، والتصور لا يمكن أن يؤدى إلى غير تصور . إن تجريداتنا الفكرية وحدها لا تنبت الحركة ما لم تكن ثاوية فيها من قبل !

ويمكن أن نشبه اعتراض برجسون على المذهب العقلى بالاعتراض الذى وجهه شلبنج إلى هيجل : إذا بدأنا بالتصور ، فمهما نوسعه ونضخمه ونمدده - فلن نحصل أبدا إلا على تصور ! !

فالعقل كما بين برجسون فى (التطور المبدع) شرطى ، ومن شأنه أن يقيم العلاقات بين الأشياء ... أما الاختيار الفعال لممكن من من الممكنات العديدة فهذا ما لا يمكن تفسيره بالعقل ، ولن يفسره إلا الانفعال ! .

فبدون الانفعال لا تكون غاية ، ولا يكون (سبب كاف) ، بل تكون كل الممكنات سواسية ! .

إن الانفعال هو الذى يبث فى أفكارنا الشوق إلى الوجود ... ! ! » .

هكذا قدم الأستاذان الدروبى وعبد الدايم ترجمتهما لتحفة برجسون الذهنية الرائعة (منبعا الأخلاق والدين) ، وهو كتاب

تقدم منه لمحات تبرز أهميته بالنسبة لدعاة الفكرة الدينية فى هذا العصر .

* * *

يقدم برجسون لدراسته بتبصير الإنسان بنزعاته الاجتماعية ...

« المجتمع - إنسانيا كان أم حيوانيا - إنما هو نظام ، لأنه ينطوى على اتساق وترتيب ، ويقتضى بوجه العموم خضوع العناصر بعضها لبعض : إنه جملة من القواعد والقوانين : إما أن يحياها المجتمع من غير أن يشعر بها - وهذا هو شأن المجتمع الحيوانى ، وإما أن يحياها ويتمثلها - وهذا هو شأن المجتمع الإنسانى ...

وإن مجموع الواجب كان يمكن أن يكون غريزيا ، لو أن المجتمعات الإنسانية لم تكن مزودة بعقل واستعداد للتبدل ، هو غريزة كامنة كتلك التى تكمن فى عادة الكلام » .

ومثل هذه النزعات الاجتماعية الضرورية ليست هى الأخلاق فى أفقها السامق الشامخ الرفيع !! إنها امتداد للأنانية الشخصية وإن بدت فى قالب غير شخصى !!

« لأن الفعالية العقلية التى قد تخير نا فى الواقع بين المصلحة الشخصية والمصلحة الغيرية يربض تحتها جوهر أصيل هو الفعالية الغريزية التى أقامتها فنيا الطبيعة منذ البداية ، ويكاد فيها أن يختلط ما هو فردى بما هو اجتماعى !!

إن الخلية تعيش لذاتها وتعيش الكائن الحى كله تمده بالحياة ، وتستمد منه الحياة ، وإذا اقتضى الأمر ضحت بنفسها فى سبيل المجموع ، ولعلها تقول لنفسها حينذاك - لو كانت تعى - إنها تفعل ذلك من أجل ذاتها !!

إن الإلزام يتضمن فى الأصل حالة يكون فيها ما هو فردى وما هو اجتماعى مختلطين لا يتميز أحدهما عن الآخر ، والنفس لكونها فى هذه الحال فردية واجتماعية معاً تدور فى دائرة ... فهى مغلقة !! » ، « لأن التضامن الاجتماعى لا يكون إلا فى أن تنضاف فى كل منا (أنا اجتماعية) إلى (الأنا الفردية)... »

فلنستمتع إذن مع برجسون بجولة فى آفاق الأخلاق الحقيقية العليا ... إن هذه الأخلاق تصدر عن انفعال مغاير متميز ، إن الانفعال الجديد هو الذى تصدر عنه عظائم مبدعات الفن والعلم والحضارة ، لا باعتباره حافزاً يهيب بالعقل أن يعمل ، ويهيب بالإرادة أن تدأب - فحسب - فالأمر أبعد من هذا . فهناك انفعالات خلاقة للفكر ، والابتكار - وإن كان عقليا - فإن الانفعال جوهره الثاوى فى أعماقه !

يجب أن نتفاهم على مدلول هذه الكلمات : انفعال ، عاطفة ، حساسية ... الانفعال هزة عاطفية فى النفس ، ولكن شتان بين رجة

تقـــوم على السطح وبين زلزال يعصف فى الأعماق ! الأثر فى الحال الأولى يتبدد ، أما فى الثانيـة فيمكث لا يتجزأ ، هو فى الأولى اهتزاز الأجزاء من غير انتقال أما فى الثانية فالـكل مندفع إلى أمام .... ! !

هنالك نوعان من الانفعال . . . ضربان من العاطفة . . . شكلان من الحساسية . . . لا يشترك الواحد منهما مع الآخر إلا فى أنه حالة انفعالية مختلفة عن الإحساس لا ترد مثله إلى الانعكاس النفسى لمنبه مادى .

. الأول : العاطفة التى تلى فكرة أو صورة متمثلة . . فتكون الحالة الانفعالية ناتجة عن حالة عقلية لا تدين لها بشىء بل تكتفى بذاتها ، وإذا تأثرت بها على صورة غير مباشرة خسرت أكثر مما تربح ... فهذا هو ارتجاج الحساسية بتأثير تصور يقع على صفحتها .

. أما العاطفة الأخرى: فليست ناجمة عن تصور فتعقبه وتبقى متميزة عنه ، بل هى سبب للحالات العقلية التى ستعقبها ـ لا نتيجة لها !!

فهى حبلى بالامتثالات ، وهذه الامتثالات وإن لم تكن تامة التكوين إلا أن العاطفة ستنشلها من بذرتها بتطور عضوى .

الانفعال الأول (تحت ـ عقلى)، وهو ما يعنى علم النفس بصورة عامة وهو ما إليه يقصد حين يوازن بين الحساسية والعقل ، أو حين يعتبر الانفعال انعكاسا غامضا للتصور . أما الانفعال الثانى فنحن نقول عنه إنه (فوق عقلى) ، ولا يفهمن من هـذا القول العلو بالقيمة فحسب ، بل السبق فى الزمن أيضا ، والنسبة بين ما هو موَلِّد وما هو موَلَّد !

إن الانفعال الذى يمكن أن يكون مبدعا لأفكار إنما هو هذا النوع الثانى ... إن علم النفس لما يزل فريسة لخداع اللغة ، فإنه يسمى باسم واحد أنماطا شتى من الانتباه تختلف باختلاف الحالات ، يفترض أنها من نوع واحد ولا يرى فيها إلا اختلافا فى الشدة والمقدار !! . . أما نحن فلن نتكلم فى الاهتمام بوجه عام ، بل نقول إن الأمر الذى يثير الاهتمام امتثال مبطن بانفعال . والانفعال ـ وهو هذا المزيج من حب الاطلاع والرغبة والفرح الذى يسبق حل مسألة معينة ـ إنما هو فريد كالامتثال ، وهو الذى يدفع بالعقل إلى أمام ، ويحطم الحواجز والصعوبات . وهو الذى ينعش العناصر العقلية التى يتحد بها ، بل يحييها ويروح يلتقط كل ما يمكن أن ينتظم معها ، حتى تتفتح معطيات المسألة . والأثر العبقرى فى الأدب والفن إنما هو نتاج انفعال فريد فى نوعه .

كل من توفر على التأليف الأدبى قد عرف ماهنالك من فرق بين العقل الصرف ، وبين العقل الذى يحرقه انفعال أصيل فريد ناشىء

عن اتحاد المؤلف بموضوعه - أى ناشئ عن حدس الذهن فى الحالة الأولى يعمل فى برود: فيؤلف بين أفكاراً قد اندرجت منذ القديم فى ألفاظ وأسلمها إليه المجتمع جامدة متصلبة، أما فى الحالة الثانية فكأن المواد التى يقدمها العقل تنصهر فى بوتقة الانفعال، ثم تخرج منها وقد صُبت أفكاراً جديدة يعلنها الفكر، وإذا وجدت هذه الأفكار ما يعبر عنها من الألفاظ الموجودة كان هذا حظاً غير مأمول، ولا بد فى الواقع من أن نساعد الحظ وتفسر معنى اللفظة حتى تتكيف على حسب الفكرة، والجهد هنا شاق مؤلم والنتيجة تابعة للصدفة فليست مضمونة. ولكن هنا فقط يشعر الفكر أو يوقن أنه مبدع، فهو لا يتناول عناصر موجودة متعددة ثم يؤلف بينها فينتهى بها إلى وحـــدة قد رتبت فيها العناصر ترتيبا جديدا، إنه ينتقل دفعة واحدة إلى شيء واحد فريد يحاول أن يعرض نفسه فى تصورات متعددة عامة مصبوبة سلفا فى ألفاظ!.

* * *

على أساس هذا التوضيح لسمات الانفعال الأصيل، وهذا التميز بينه وبين غيره، يقيم برجسون تفرقة بين نوعين من الأخلاق:

« وعلى هذا فإن الأخلاق قسمان متميزان: الأول علة وجوده البنية الأصلية للمجتمع الإنسانى، وعلة الثانى المبدأ الذى أوجد هذه البنية. والإلزام فى الأول هو ضغط عناصر المجتمع بعضها على بعض بغيه الإمساك بصورة المجموع، ونتيجة هذا الضغط مرسومة فى كل منا بجملة من العادات نأخذ بها أنفسنا وهذه الآلية هى فى عناصرها عادات، ولكنها فى مجموعها شبيهة بالغريزة وقد هيأتها لنا الطبيعة. وفى الثانى ثمة شيء سموه إن شئتم إلزاما، ولكن هذا الإلزام هو قوة تطلع أو وثبة، بل هو قوة هذه الوثبة نفسها التى اوجدت النوع الإنسانى وأوجدت الحياة الاجتماعية، وأوجدت مجموعة من العادات تشبه الغريزة بعض الشبه، ولكن الحافز يتدخل تدخلا مباشرا فلا يتخذ وسيطا تلك الآليات التى عبأ لوابها ووقف عندها مؤقتا ».

وقد نتساءل الآن عن مكان الإيمان فى تصنيف برجسون لمعالم المشاعر المتباينة؟؟

إنه يجيب « قالوا: إن الدين حين ينزل على الناس بأخلاق جديدة فإنما يفرضها بالفلسفة الميتافيزياقية التى يجعل الناس يسلمون بها وبما يأتى به من آراء فى الله وفى الكون وفى صلة أحدهما بالآخر.

وأجاب بعضهم: لا بل إن الأمر على عكس هذا، فالدين إنما يستميل نفوس

الناس ويهيئها لنظرة جـــديدة فى الوجود بأفضلية الأخلاق التى ينزل بها ... وفى اعتقادنا أن كلا الرأيين خطأ ! ! !

فكيف يمكن للعقـل أن يدرك أفضلية الأخلاق التى تعرض له ، وهـو لا يقدر تفاوت القيم إلا بالموازنة بينها وبين قاعـدة أو مثل أعلى ـ هما بالضرورة ما تقدمـه الأخلاق الموجودة ! ! ؟ ؟

وأما النظرة الوجودية التى يأتى بهـا الدين فليست إلا فلسفة جديدة تضاف إلى ما نعرف من فلسفات ، وهب العقل سلم بها فلن ترى فيها إلا تفسيراً نظريا يفضل على غيره من سائر التفاسير ! بل هبها لفرط انسجامها مع ذاتها تأمر ببعض القواعد الجديدة فى العمل ، فإن بين القبول العقلى والانقلاب الإرادى لشقة بعيدة ! !

٭ لا الفلسفة من حيث هى امتثال عقلى محض تجعلنا نأخذ بالأخلاق أو نعمل بها .

٭ ولا الأخلاق من حيث هى مجموعة من القواعد يدركها العقل تجعلنا نفضل العقيدة تفضيلا عقليا . . .

فقبل الأخلاق الجديدة ، وقبل الميتافيزيقا . هنالك الانفعال ! ! يتجلى من جانب الإرادة فى وثبة ، ويتجلى من جانب العقل فى تصور مفسر ! ! !

انظر إلى هـــذه العاطفة التى بشرت بها المسيحية وأسمتها بالمحبة : إنهـا إذا استولت على النفوس تبعها سلوك معين وانتشرت فى إثرها عقيدة معينة ! فلا هذه الفلسفة هى التى فرضت تلك الأخلاق ، ولا تلك الأخلاق هى التى جعلتنا نفضل هذه الفلسفة . . . وإنما كانا الفلسفة والأخلاق يعبر عن شىء واحد :

٭ الأولى تعبر عنه بلغة العقل . . .

٭ والثانية تعبر عنه بلغة الإرادة . . .

ونحن نسلم بكلا التعبيرين متى أحسسنا بالمعبر عنه » .

إلى هنا أوضح برجسون فلسفته فى تكييف الانفعالات وتصنيفها ، وطبق أصولها على مشاعر الأخلاق والدين . . .

وهـــذا العرض محاولة لإبراز تفكير برجسون ــ التى تبهر روعته أشد مخالفيه جحوداً ! ! ـ وسوف يظفر القارىء بالمتعة الكبرى حين يصاحب برجسون مباشرة وحين يتابع كلامه فى أى موضوع ـ ولو كان (الضحك) ـ فستذهله دقة العالم فى الملاحظة والمشاهدة والاستقراء ، وعمق الفيلسوف فى الاستبصار والاستنباط والحدس . . .

ولبرجسون نظرات موفقة فى الآثار الاجتماعيـة للانفعال الأصيل الخلاق وفى الأدوات والوسائل التى تهىء لهذا الانفعال مجال الانطلاق من مكامنه . . . موعدنا معها عدد تال ــ بتوفيق الله .

فتحى عثمان

الدعوى الجنائية فى التشريع الإسلامى

للأستاذ محمد عطيه راغب

لبحث موضوع الدعوى الجنائية فى التشريع الإسلامى ، سنقسم بحثنا هذا إلى مبحثين ، أولهما لتقسيم الدعوى الجنائيـة ، وثانيهما لمن يباشر هذه الدعوى فى الشريعة .

تقسيم الدعوى :

يمكن القول بأن الدعاوى بحسب الشريعة الإسـلامية تنقسم إلى دعوى تهمة ودعوى غير تهمة ، فدعوى التهمة أن يدعى فعـلا محرما على المطلوب يوجب عقوبته مثل قتل ، أو قطع طريق ، أو سرقة ، أما غير التهمة فـكالدعوى المدنية والتجارية المتعارف عليها اليوم فى القوانين الحديثة .

ويقسم الفقهاء دعوى التهمة إلى ثلاثة أقسام ، فهم يرون أن المتهم إما أن يـكون بريئا ليس من أهل تلك التهمة ، أو فاجرا من أهلها ، أو مجهول الحال لا يعرف الوالى أو الحاكم حاله ، فإن كان بريئا لم تجز عقوبته اتفاقا ، واختلفوا فى عقوبة المتهم له على قولين أرجحهما يعاقب صيانة لتسلط أهل الشر والعـــدوان على أعراض الأبرياء ، وهنالا قول لـمالك وأشهب ألا أدب على المدعى فى مثل هذه الحالة إلا أن يقصد أذية المدعى عليه وعيبه وسبه ، وقال بعضهم (١) يؤدب قصد أذيته أم لم يقصد . على أن هناك خلافا فى جواز سماع الدعوى فى هذه الحـالة بمجرد قول المدعى بدون يمين ، فقيل : إن كان حقـا لآدمى ففيه قولان مبنيان على سمـاع الدعوى فإن سمعت الدعوى حلف لها وإلا لم يحلف ، والمشهور أنه لا تسمع الدعوى فى هذه الصورة ولا يحلف المتهم لئلا يتطرق الأشرار إلى الاستهانة بأهل الفضل .

وأما إذا كان المتهم مجهول الحال لا يعرف ببر أو فجور فهذا يحبس حتى ينـكشف حاله عند عامة علماء المسلمين ، والمنصوص عليه عند أكثر الأئمة أنه يحبسه القاضى والوالى ، وإذا كان المتهم معروفا بالفجور كالسرقة ، وقطع الطريق ، والقتل ، ونحو ذلك ، فتى جاز حبس المجهول فحبس هذا أولى فيحبس حتى يتثبت القاضى من أمره .

وقد ثبت أن الشريعة الإسلامية قد عرفت تقسيم الدعاوى الجنائيـة إلى دعوى جنائية عامة ودعوى جنائية خاصة ، وسوف نتـكلم فيما بعد عمن يباشر الدعوى سواء أكان الفرد أم الدولة ، ولـكننا نود أن نذكر هنا أن

---

(١) وهو قول ضعيف .

الدعوى الجنائية العامة إنما تتأثر بالعفو أو النزول عنها ، فليس من شك فى أن الفرد لا يملك النزول عن هذه الدعوى ، إذ أن إقامته لها أو مباشرته إياها إنما هى نوع من أداء واجب ألقاه عليه الشارع ، والواجب بطبيعته لا يقبل من المكلف به النزول عنه، وإن ساغ منه تركه لهذا الواجب .

وكذلك قيام ولى الأمر بتحريـــك الدعوى الجنائية العامة هو واجب عليه ، بل إن ولى الأمر فى ذلك تقدم على الفرد فى الوجوب ، إذ أن ضرورة الفرض على أفراد الناس عينا إنما يأتى نتيجة ترك ولى الأمر لهذا الواجب المقصود هو به أصلا ، وعلى ذلك فالمرجح أنه ليس لولى الأمر ، ولو لوالى المظالم ، ولا للمحتسب ، النزول عن دعوى أقامها أى منهم ولا أن يطلب إلى القاضى وقفها أو الامتناع عن النظر فيها، فإن مقتضى ولاية القاضى من رفع إليه النزاع هو أن يفصل فيه بحكم الله .

أما الدعوى الجنائية الخاصة ، وهى طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية ، لكل دعوى ترتبت على جريمة نالت الفرد المجنى عليه مباشرة وعلق الشارع قيامها على طلبـــه ، فمباشرتها رهن بمشيئة المجنى عليه فيها أو وليه إن شاء أقام الدعوى وإن شاء أوقفها أو أنهاها ، أو عفا عن العقوبة، أو صالح عليها ، ولو بعد صدور الحكم فيها ، ومثال الجرائم التى تترتب عليها هذه الدعوى الجنائية الخاصة جرائم الأموال ، وجرائم القتل ، والجرح.

من يباشر الدعوى ؟

إن مباشرة الدعوى الجنائية العامة فى الشريعة الإسلامية هى حق للفرد من جهة وللدولة من جهة أخرى . ويمكن الإشارة إلى كل من الفرد والدولة فى هذا الصدد على التوالى فى مطلبين اثنين :

الفرد :

أسلفنا أن الشريعة الإسلامية قد عرفت التفرقة بين الجريمة العامة والجريمة الخاصة وعلى ذلك فقد عرفت فيها الدعوى العامة والدعوى الخاصة ومفهوم عمومية الدعوى الجنائية أنها ملك للجماعة ، فللدولة باعتبارها ممثلة للجماعة وكذلك للفرد باعتباره عضواً فى الجماعة وباعتباره الأصل فيها ، أن يباشر لكل منهما هذه الدعوى معا أو على استقلال .

ونظرة الشريعة الإسلامية إلى حق الفرد فى إقامة الدعـــوى الجنائية إذا لم يكن مجنياً عليه مباشرة فيها ، هى نظرة إلى واجب ألقاه عليه الشارع ، ومن مستلزمات القيام به أن يمكن من حق إقامة الدعوى الجنائية والوصول بها إلى العقاب .

ويمكن القول هنـــا بصفة عامة

أن طرق الاتهام فى الشريعة الإسلامية على نوعين ، أولها طريق اتهام شخص يسلكه كل إنسان وقع عليه أو على ماله أى تعد ، فيرفع الدعوى مباشرة أمام القاضى الذى يقبلها متى استوفت الشرائط المطلوبة وبصرف النظر عن كون هذا التعدى يعتبر تعديا على حق من حقوق الله أو من حقوق العباد ، وثانيهما اتهام عمومى جائز لكل إنسان فى حالة واحدة ، وهى حالة حصول تعد على حق من حقوق الله ولو كان هذا التعدى لم يلحق بالمدعى أى ضرر شخصى .

الدولة :

من الثابت أن الدعوى الجنائية العامة كان يباشرها عن الدولة فى ظل نظام الشريعة الإسلامية جهتان : الأولى منها والى المظالم ، والثانية المحتسب . ونتكلم فيما يلى عن كل من هاتين الجهتين فى الفرعين الآتيين :

ولاية المظالم :

ولاية المظالم هى قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة .

ويذهب البعض إلى أن مهمة النظر فى المظالم هى خطة حدثت لفساد الناس ، وهى كل حكم يعجز عنه القاضى فينظر فيه من هو أقوى منه .

وظاهر أن ولاية المظالم داخلة حسب أصولها فى القضاء . وهى من الوظائف التى تمتزج فيها سطوة السلطان بنصفة القضاء . ويطلق على متوليها صاحب المظالم ، وقد عاشت الوظيفتان جنباً لجنب ، ولم يبين لكل منهما اختصاصه ، ولم تحدد الأمور التى تدخل أولا تدخل فى كل منهما تحديداً دقيقاً ، فكانت الأمور المتعلقة بالحدود ينظرها أيضا صاحب المظالم كما ينظر الخصومات ولقد كانت ولاية المظالم تعقد برياسة الخليفة نفسه ، أو الوالى ، أو الأمير أو الوزير أو القاضى أو أحد كبار الموظفين بتفويض من الخليفة .

وهناك فرق بين نظر المظالم ونظر القضاة ، ويتضح ذلك من عشرة أوجه : أولها أن لناظر المظالم من فضل الهيبة وقوة اليد ما ليس للقضاة فى كف الخصوم عن التجاحد ومنع الظلمة من التغالب والتجاذب ، وثانيها : أن نظر المظالم يخرج من ضيق الوجوب إلى سعة الجواز فيكون الناظر فيه أفسح مجالا وأوسع مقالا .

وثالثها : أنه يستعمل من فضل الإرهاب ، وكشف الأسباب بالأمارات الدالة وشواهد الأحوال اللائحة ما يضيق على الحكام فيصل به إلى ظهور الحق ومعرفة الباطل

ورابعها : أن يقابل من ظهر ظلمه بالتأديب ويأخذ من بان عدوانه بالتقويم والتهذيب .

وخامسها : أن له من التأنى فى ترداد الخصوم عند اشتباه أمورهم واستبهام حقوقهم ليمعن فى الكشف عن أسبابهم وأحوالهم ما ليس للحكام إذا سألهم أحد الخصمين فصل الحكم فلا يسوغ أن يؤخره الحاكم ، ويسوغ أن يؤخره والى المظالم .

وسادسها : أن له رد الخصوم إذا أعضلوا وساطة الأمناء ليفصلوا التنازع بينهم صلحا عن تراض ، وليس للقاضى ذلك إلا عن رضا الخصمين بالرد ،

وسابعها: أن يفسح فى ملازمة الخصمين إذا وضحت أمارات التجاحد ، ويأذن فى إلزام الكفالة فيما يسوغ فيه التكفل لينقاد الخصوم إلى التناصف ويعدلوا عن التجاحد والتكاذب .

وثامنها : أنه يسمع من شهادات المستورين ما يخرج عن عرف القضاة فى شهادة العدلين .

وتاسعها : أنه يجوز له إحلاف الشهود عند ارتيابه فيهم إذا بذلوا إيمانهم طوعا ويستكثر من عددهم ليزول عنه الشك ، وينفى عنه الارتياب ، وليس ذلك للحاكم .

وعاشرها : أنه يجوز أن يبتدئ باستدعاء الشهود ويسألهم عما عندهم فى تنازع الخصوم وعادة القضاة تكليف المدعى إحضار بينته ولا يسمعونها إلا بعد مسألته .

على أن الدعوى لم يخل حالها عند الترافع فيها إلى والى المظالم من ثلاثة أحوال: إما أن يقترن بها ما يقويها ، أو يقترن بها ما يضعفها ، أو تخلو من الأمرين .

ويمكن أن نصل إلى أن والى المظالم إنما كان يدخل فى اختصاصه تحقيق التهمة ، فإن رجحت لديه الإدانة رفعها إلى الناظر فى القضاء ليفصل فيها بحكم الله ، ويرى البعض أن هذه كانت هى الصورة الغالبة فى إقامة الدعوى العامة ، وكان لولى الأمر بما له من الولاية العامة وولاية النظر فى المظالم كذلك ، فكان له أى لوالى المظالم إذا لم يكن حاكماً حق مباشرة الدعوى الجنائية العامة بتحريكها أمام القاضى وإقامة البينة على ما يدعونه من وقوع الجريمة ، وكانوا فى مباشرتهم لهذه الدعوى يعتمدون على ما يصل إلى علمهم من رجال الحفظ أو من أفراد الناس شأنهم شأن ما تفعله النيابة العامة طبقا للنظم الحديثة .

الحسبة :

لم يكن والى المظالم هو الذى يباشر عن الدولة الدعوى الجنائية العامة فى ظل الشريعة الإسلامية فحسب ، بل كان كذلك يباشرها المحتسب .

والحسبة هى أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله ، فهى وظيفة من الوظائف الدينية الهامة ؛ لأن قوامها الأمر بالمعروف ، والنهى عن

المنكر ، وغرضها الإصلاح بين الناس ، الذى هو فرض على القائم بأمور المسلمين .

والحسبة واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم فأما ما بينها وبين القضاء فهى موافقة لأحكام القضاء من وجهين : ومقصورة عنه من وجهين ، وزائدة عليه من وجهين ، فأما الوجهان فى موافقتها لأحكام القضاء فأحدهما جواز الاستعداء إليه وسماعه دعوى المستعدى على المستعدى عليه فى حقوق الآدميين وليس هذا على عموم الدعاوى ، وإنما يختص بثلاثة أنواع من الدعوى أحدها أن يكون فيما يتعلق ببخس وتطفيف فى كيل أو وزن ، والثانى ما يتعلق بغش أو تدليس فى مبيع أو ثمن ، والثالث فيما يتعلق بمطل وتأخير لدين مستحق مع المكنة ، وإنما جاز نظيره فى هذه الأنواع الثلاثة من الدعاوى دون ما عداها من سائر الدعاوى لتعلقها بمنكر ظاهر هو منصوب لإزالته واختصاصها بمعروف بين هو مندوب إلى إقامته ؛ لأن موضوع الحسبة إلزام الحقوق والمعونة على استيفائها وليس للناظر فيها أن يتجاوز ذلك إلى الحكم الناجز والفصل البات ، فهذا أحد وجهى الموافقة ، والوجه الثانى أن له إلزام المدعى عليه للخروج من الحق الذى عليه وليس هذا على العموم فى كل الحقوق وإنما هو خاص فى الحقوق التى جاز له سماع الدعوى فيها وإذا وجبت باعتراف وإقرار مع تمكنه وإيساره فيلزم المقر الموسر الخروج منها ودفعها إلى مستحقها لأن فى تأخيره لها منكراً هو منصوب لإزالته .

وأما الوجهان فى قصور الحسبة عن أحكام القضاء ، فأحدهما قصورها عن سماع عموم الدعوى الخارجة عن ظواهر المنكرات من الدعاوى فى العقود والمعاملات وسائر الحقوق والمطالبات ، فلا يجوز أن ينتدب لسماع الدعوى لها ولا أن يتعرض للحكم فيها لا فى كثير الحقوق ولا فى قليلها من درهم فما دونه إلا أن يرد ذلك إليه بنص صريح يزيد على إطلاق الحسبة ، فيجوز ويصير بهذه الزيادة جامعا بين قضاء وحسبة فيراعى فيه أن يكون من أهل الاجتهاد وإن اقتصر به عن مطلق الحسبة ، فالقضاة والحكام بالنظر فى قليل ذلك وكثيره أحق ، والوجه الثانى أن الحسبة مقصورة على الحقوق المعترف بها فأما ما يتداخله التجاحد والتناكر فلا يجوز له النظر فيه ؛ لأن الحاكم فيها يقف على سماع بينة وإحلاف يمين ، ولا يجوز للمحتسب أن يسمع بينة على إثبات الحق ولا أن يحلف يمينا على نفى الحق والقضاة والحكام بسماع البينة وإحلاف الخصوم أحق .

وأما الوجهان فى زيادة الحسبة على أحكام القضاء ، فأحدهما أنه يجوز للناظر فيها أن يتعرض لتصفح ما يأمر به من المعروف وينهى عنه من المنكر وإن لم

يحضره خصم مستعد ، وليس للقاضى أن يتعرض لذلك إلا بحضور خصم يجوز له سماع الدعوى منه ، فإن تعرض القاضى لذلك خرج عن منصب ولايته وصار متجوزا فى قاعدة نظره ، والوجه الثانى أن للناظر فى الحسبة من سلاطة السلطنة واستطالة الحماة فيما تعلق بالمنكرات ما ليس للقضاة ؛ لأن الحسبة موضوعة للرهبة فلا يكون خروج المحتسب إليها بالسلاطة والغلظة تجوزا فيها ولاخرقا . والقضاء موضوع المناصفة فهو بالأناة والوقار أحق وخروجه عنهما إلى سلاطة الحسبة تجوز وخرق ؛ لأن موضوع كل واحد من المنصبين مختلف فالتجاوز فيه خروج عن حده .

ويوجد شبه مؤتلف بين الحسبة من جهة والمظالم من جهة أخرى ، يتمثل هذا الشبه الجامع فى وجهين أحدهما أن موضوعها مستقر على الرهبة المختصة بسلاطة السلطنة وقوة الصرامة ، والثانى جواز التعرض فيهما لأسباب المصالح والتطلع إلى إنكار العدوان الظاهر .

بيد أن الحسبة تختلف عن المظالم من وجهين أحدهما أن النظر فى المظالم موضوع لما عجز عنه القضاة ، والنظر فى الحسبة موضوع لما رفه عنه القضاة ، ولذلك كانت رتبة المظالم أعلى ورتبة الحسبة أخفض وجاز لوالى المظالم أن يوقع إلى القضاة والمحتسب ، ولم يجز للقاضى أن يوقع إلى والى المظالم وجاز له أن يوقع إلى المحتسب ولم يجز للمحتسب أن يوقع إلى واحد منهما ، فهذا الفرق الثانى أنه يجوز لوالى المظالم أن يحكم ولا يجوز لوالى الحسبة أن يحكم .

ولقد كان يشترط فى المحتسب أن يكون فقيها عارفا بأحكام الشريعة الإسلامية التى سيأمر وينهى بتعاليمها ، عفيفا عن أموال الناس متصفا بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة . ولا يكون قوله مخالفا لفعله ؛ لأن فى اتصافه بكل هذا وبغيره من الصفات الحميدة صونا لعرضه وأقوم لهيبته وبعداً له عن الشبهات .

ويمكن القول هنا بأن المحتسب كان عليه إلى جانب ولايته القضائية القاصرة واجب مباشرة الدعوى الجنائية العامة فيما خرج عن اختصاصه ودخل فى اختصاص القاضى ، والأصل فى ولايته هذه هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شأنه فى ذلك شأن الفرد العادى ، إلا أن مباشرة المحتسب لهذه السلطة أو أداؤه لهذا الواجب كان فرض عين لا كفاية فلم يكن له أن يتشاغل عنه بغيره ، كما أن الأصل فى المحتسب أنه منصوب للاستعداء إليه فيما يجب إنكاره ، فتلزمه إجابة من استعداه وليس على الفرد المتطوع ذلك ، وقد ترتب على أن المحتسب صاحب وظيفة

عامة أن أضحى له أن يتخذ على إنكاره أعوانا وأن يؤجر من بيت مال المسلمين ، ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة للفرد العادى .

محمد عطية راغب
المحامى

(١) مراجع البحث : أحمد إبراهيم . المرافعات الشرعية . ط (١٩٢٠) ، على قراعة . الأصول القضائية ط ١٩٢١ ، محمد زيد . الشيخ سلامة . مباحث المرافعات . ط ٢١ محمد زيد الإبيانى مباحث المرافعات . ط ٣ ، شمس الدين بن القيم الجوزية . الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية . ط ١٣١٧ هـ ،عبدالوهاب العشماوى . الاتهام الفردى ط ١٩٥٣ .

علاء الدين الكاسانى بدائع الصنائع فى توقيت الشرائع ج ٧ شمس الدين السرخسى . المبسوط ج ٩ ، أحمد ابراهيم القصاص فى الشريعة الإسلامية وفى قانون العقوبات المصرى ط ١٩٤٤ ، محمد حسنى رحمى . . القصاص . ط ١٩٤٦ ، الماوردى . محمود محمد عرنوس . تاريخ القضاء فى الإسلام اسماعيل حق فرج . القضاء الإسلامى وتاريخه ط ١٩٤٩ . الخطط المقريزية ج ٢ القلقشندى . صبح الأعشى . ج ٥ .

(بقية المنشور على صفحة ٤٨٠)

انتهت بأن أملت أصدقاءه بل أفزعتهم ، وقد أطلق عليه ديدرو اسم « المسيح الدجال » . وأكثر من ذلك أن الأستاذ بول هازار فى دراسته لتأليهية فولتير ينقده ألذع النقد لأسلوبه الساخر ، وطريقته المسفة التى لا تليق بمفكر عالمى مثله والتى تقتاد القارئ إلى الإلحاد أكثر مما تقتاده إلى التأليهية . ثم يختم نقده إياه بقوله : (هناك واقعة ثابتة مجملها أنه قد وجد فى القرن الثامن عشر جنس من البشر لم يعدله من الغذاء الروحى سوى معاداة الإكليروسية ، وقد اتخذ من هذه المعاداة برنامجه الوحيد ، وحسب أن هذه المعاداة تكفى لإعادة تكوين الحكومات ، ولجعل المجتمعات كاملة ولقيادتها إلى السعادة وأن هذا الجنس من البشر قد تتابع ، وهناك مسئولون كثيرون عن هذه الواقعة ، وليسوا جميعاً من معسكر الموسوعيين كما يقال غالبا ، ولكن لا يوجد أحد مسئول عن ذلك بدرجة فولتير) ؟ .

دكتور محمد غلاب

(١) انظر صفحة ١٧٦ من نفس الكتاب .

الوازع الديني والثقافة العلمية

للأستاذ راشد رستم

« إن مصائب النوع البشرى ناشئة عن علتين - حب الشهوات والجهل بالحقائق - وإن علاج ذلك عن وسيلتين : الوازع الدينى والثقافة العلمية » .

هذه الحقيقة الواقعية كانت تدور فى خلد وزير خطير مع قاض كبير [1] عند ما استقر عزمهما على التوجه معاً الوجهة المثلى للقيام بنصيبهما من الواجب الوطنى المقدس لتحقيق غرضهما النبيل .

وقد كان محور قصدهما وموضع اهتمامهما لبلوغ هذا المأرب الحميد المشكور يتركز على ذرارى مصر ، الناشئين فى حمى الوطن ، فهم أبناؤه الصغار الذين يشبون فى معاهدهم الأولى حيث التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر .

وفى الحق أن العناية بأطفال الأمة هى العناية بمستقبل الوطن جميعه .

ورثنا المجد عن كبرى نزار
فأورثنا مآثرنا بنينا

ومنذ ثمانين عاما وقد كانت البلاد فى مهب الرياح العاصفة ، ترجو النجاة على أيدى عقلائها فى ثورتها السياسية الجامحة ، وتنشد الاستقرار فى حياة حرة مستقلة تقدمية ، والزعماء يتخذون مختلف الوسائل فى سبيل تحقيق الأمانى والآمال - اتفق الوزير الخطير والقاضى الكبير على أن يتخذا سبيلهما فى النهوض بأبناء البلاد إلى حيث يجلس الصغار على مقاعدهم فى معاهدهم - يضعان بين أيديهم كتابا [1] لا شك فى عظيم قيمته ونفوذ أثره لو كان قد كتب له الاستمرار ، جيلا بعد جيل ، آباء لأبناء وأبناء لآباء .

(١) على باشا مبارك ، أبرز وزراء المعارف (التربيه والتعليم) فى تاريخ النهضة العلميه المصرية منذ القرن الماضى - مصرى من أذكياء المصريين وعقلائهم وعلمائهم ، بعثوه يافعا إلى فرنسا فعاد منها رجلا يخدم البلاد علما وعملا .

والقاضى صالح بن مجدى من كبار الأدباء والقضاة فى ذلك العهد ، ومن عمداء النهضة المصرية ، وله مؤلفات كثيرة كما اشتهر بالترجمات المختلفة مع المصطلحات العربية فى الفنون والعلوم مما يصح الرجوع إليها للاستعانة بها فى نهضة المصطلحات العربية الحديثة .

(١) كتاب من جزئين - عن الهجاء والتمرين ثم القراءة فى اللغة العربية . مسامرات علمية خفيفة لتحلية الأذهان بمعلومات أدبيـة أخلاقية دينية - عن المطبعة الأميرية ببولاق مصر المعزية ١٨٨٠م .

نعم . لا يزال للكلمة المكتوبة أثرها القوى الدائم ، فهى التى يستسيغها الطالب فى نشأته صغيراً ، ويستبقيها معه فى حياته كبيرا .

هذا واليوم تفخر هيئات التعليم فى المدارس والمعاهد والجامعات بأن معلومات طلابها من العلوم والفنون تفوق ما كان يعلمه أمثالهم من طلبة الجيل السابق أو الجيلين الماضيين . والحق فى هذا الشأن هو أن الإنسان ازدادت معلوماته واتسعت معارفه ، لأن علماءه نشطوا فى البحث والاستقراء ومعرفة المجهول بكل مجهود ، وبما توفق لهم من اختراع الوسائل والآلات التى تزيدهم علماً بما يريدون أن يعلموا وما يريدون به أن يتقدموا .

هذا ما لا شك فيه من حيث تقدم العلم وارتقاء الإنسان فى معلوماته فى الخمسين سنة الأخيرة بأكثر من الخمسين قرنا السابقة ...

ثم انظر كيف يغرى الكتاب الذى نحن بصدده على الاستزادة من العلم مع القوانين الشرعية والسياسية فيقول ، « لا شك أننا من السعداء لوجودنا فى هذا العصر المتمدن (سنة ١٨٨٠) ، ولم لا وإنه يسوغ لأغلب أبناء المكاتب . . (أى المتعلمين . .) أن يفخر بماله من المعارف على كثير من مشاهير الملوك فى القرون الخالية ! . لأن القوانين الشرعية والسياسية الجارى عليها العمل الآن فيما بيننا قد ساوت بين الضعيف والقوى ، والفقير والغنى ، فى العدل ومهدت الثروة والسعادة للكل ، وقد اتسعت دائرة الرفاهية والمنفعة العمومية بواسطة المخترعات الجديدة كالمطبعة وآلات البخار والكهرباء والمواد النافعة للزراعة . . » إلى آخر ما كان معروفا فى ذلك الوقت . . فما بالك اليوم وبين أيدينا البنسلين ومشتقاته واللاسلكى والراديو والتلفزيون والسينما والقمر الصناعى والصاروخ « والذرة » .

على أن التجارب الإنسانية فى كل العصور أثبتت أن الإنسان فى حاجة إلى عقيدة تنجيه من الشطط الذى يحاول دائما شيطان عقله فى تحويله عن الصراط المستقيم المرسوم للحياة النافعة والذى تسهل له السعادة وتحميه من الضلال وتمنعه كذلك من التضليل .

والعلم لا يقيم وحده كيانا ، ولا ينجح وحده إنسانا ، بل لابد أن يعتمد على عقائد نفسية خلقية وصفات طبيعية يستمدها من عقيدته مثل الصبر والصدق والجلد والجهد والاجتهاد والمسئولية وحب الخير وما إلى ذلك من وسائل الإنتاج والتشييد والبناء وكذلك النجاح الذى هو غرض كل إنسان فى هذه الحياة .

ولن ينال المرء تلك العقائد والصفات التى يتوقف عليها نجاحه فى الحياة إلا إذا تأصلت فيه من الصغر ، ومن شب على شىء شاب عليه ، وهى بدورها تنبع من معين الدافع والوازع الدينى . كما أنها تحميه من

التشكك وتبلبل الأفكار فيما يقال عنه بالتفكير الحر والسلوك العلمى .. ذلك المرض الخلق والعدوى اللادينية التى تضيع معها التقاليد الأخلاقية التى تحفظ كيان الأمة .

وإذا كان العلم له معاهده فإن ناشئتنا فى حاجة إلى التلقين الدينى من الصغر على أساس حمايته من شطط العقول وسطوة الشيطان .

ومنذ جيلين وهذا الخطر الشديد الذى نكاد نشعر به اليوم ونخشاه - قد تنبه إليه وزير معارفنا الخطير ومعه زميله القاضى الكبير إذ جمعا بين تلقين العلم والتمكين فى العقيدة ، جاء كتابهما سهلا يسيرا ، وأكاد أجزم بأن شبابا لنا اليوم فى معاهده العالية هو أحوج إلى ذلك النوع من الكتب أكثر من أمثاله الشباب منذ جيل أو جيلين .

انظر كيف يشرح فى سهولة وإيجاز فضل ضبط النفس فى تعدد الزوجات فيقول - من ألزم أنواع القناعات وأكرم مراتب التعففات ضبط النفس والاقتصاد فى الزواج عند الإنسان[1] .

« إن تعود الزواج وإن كان من الأمور التى تألفها الطبيعة ولا تأباها الشريعة ، إلا أنه بإمعان النظر فى أحوال هذه المداة ، والاتباع فيها للطريقة الجادة ، ينبغى أن نعلم أن تعدد الزوجات قد يكون من مجرد اتباع الشهوات ، ولا سيما فى هذا الزمان . . . فالاقتصار على الزوجة الواحدة ما أمكن هو من باب الأمر المستحسن لفقد العدل المشروط للجمع بين الزوجات المتعددة ، ولتدارك ما يترتب على تعددهن فى حسن نظام الأسرة والمنزل من كبير المفسدة .

« والزواج أهم المهمات وأتم أعمال الحياة ، وعقدته عقدة محترمة مباركة - على الخصوص وإن ملائكة الرحمن تحضره كما ورد فى بعض النصوص وقد روى عن النبى أنه قال - لا رهبانية فى الإسلام - والزواج نصف الدين وسنة القوم المهتدين كما ورد فى الحديث الشريف . ومتى تم يجب معرفة قيمته ومراعاة حرمته وعدم التهاون فى حل عقدته لأدنى سبب أو لمجرد تحكم الغضب ، فلا ينبغى فك عروته . اللهم إلا للضرورة . والضرورات معلومات ... » .

ليت شعرى ما أعظم هؤلاء الصغار الذين يكتب لهم هذا الكلام . وقد جئنا به مثلا .

أما عن موضوعات الكتاب ويسميها المؤلفان « المسامرات » وفى التسمية طرافة ، فهى شاملة لأغراض الحياة كلها كثيرة وكبيرة — أركان الدين مع الشرح الواضح اليسير ، وعن قوانين الصحة الفردية والاجتماعية والرياضات الجسمية والفكرية ، وأنواع الصناعات والحرف والمهن ، ومعاملة الناس وصلة الأرحام والرأفة بالحيوان والإحسان

---

(١) (وبالنسبة لغيره من سائر أنواع الحيوانات يقال له السفاد) وهذا استطراد من المؤلف قد يكون لا موجب له ولكنه يريد زيادة المعلومات .

والحنان والعفة والوفاء بالعهد وبالوعد والقناعة والكرم والصدق والصدقة ووضعها مواضعها والشجاعة والهمة والنزاهة والتواضع والصفح والنشاط وعدم الكسل، وفضل العلم والعدالة واجتناب الظلم وما إلى ذلك من هذه «الخصال» كما يسميها الكتاب وكما يشرحها شرحا يسيرا لطيفا مقنعا

انظر ما يقول عن العدل : إن العدل والعدالة متحدان فى الاشتقاق والأصل . العدل هو تصرف الإنسان فى حقه بوجه الحق بحيث يؤدى منه لكل ذى حق حقه ويضعه فى مواضعه . ويرادفه الإنصاف . وضده الجور والظلم ويرادفهما الإجحاف ، وهو التصرف فى حق الغير بغير حق أو مجاوزة الحد المستحق . وقد اتفقت جميع الملل والنحل على أن العدل فضل أى فضل. وعلى أنه واجب بالشرع وبالعقل ، فى حق الآحاد وسائر العباد . وهو من الملوك وأرباب النفوذ أوجب وأفضل . قال تعالى : «إن الله يأمر بالعدل والإحسان» ، والفرق بينهما أن العدل هو أن تعطى ما عليك وتأخذ مالك من غير زيادة ولا نقصان . وأما الإحسان فهو أن تعطى أكثر مما عليك ، وتأخذ أقل مما لك ... برضاك» .

ثم انظر ما يختم به كلامه إذ يقول : رأس الحكمة مخافة الله ،أى اتباع الشرائع المشرعة وما يليها من سنن الأنبياء المتبعة بمعنى امتثال المأمورات واجتناب المحظورات ، وضدها الاستهتار وهو اتباع الهوى وعدم المبالاة ، وهو من أرذل الرذائل وكفاه ذما قوله تعالى : «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه . . » .

° ° °

وإننا لنجد بيننا من يقول بالتفرقة بين علم المرء وخلقه ، وإنه له ما يخصه فى نفسه ولكن هانحن أولاء نسمع ونرى كيف يضل ذوو العقول بعلمهم لحاجتهم إلى سياج النفوس من الفضيلة المستمدة من العقيدة ، إنهم يفسدون فى الأرض ويحدثون فى كيان المجتمع هزات اجتماعية من الانحراف ومن التشكك والتجسس والاختلاس والجنايات .

وهكذا منذ جيلين تنبه إلى هذا الخطر الشديد الوزير الخطير وزميله القاضى الكبير فكان كتابهما التعليمى ليتدارسه الصغار فى نشأتهم الأولى فيثبت فى نفوسهم وعقولهم . .

وما أحوجنا اليوم إلى اليقظة الفكرية والدينية ، فقد كثرت المبادىء الهدامة ، وتشكلت فى أشكال من الإغراءات النفسية والعقلية ، والمادية والاجتماعية .

فإلى «الديدبان الأعظم» هذا الجامع الأزهر . فهو القائم على حفظ العقيدة السمحاء التى لابد لها من الصحة والعافية والذيوع والبقاء . . ؟

راشد رستم

دور الكتب وأثرها فى الثقافة الإسلامية

للأستاذ سعد توفيق حمدى

للكتاب فضل على الأمم عظيم ودور فى حياتها خطير وإن الأمم الراقية حقا لهى الأمم التى تهتم بالكتاب وتؤثره وتنزله من نفسها منزلة رفيعة سامية .. وسيظل الكتاب أبداً نبراسا للباحثين ونوراً يضىء الطريق أمام الشعوب وزاداً روحياً جميلا ينتفع به الناس وسائر البشر أجمعين ..

ولقد لعب الكتاب دوراً فى الإسلام خطيراً وكان أثره فى حياة المسلمين عظيما حتى أضحى شيئاً هاما فى حياتهم فانكبوا عليه يطلبون العلم من بين صفحاته والمعرفة من خلال سطوره فظهرت طبقة من العلماء والفلاسفة الأفذاذ الذين أمدوا حياتنا الثقافية بمعين من العلوم لا ينضب ولم يقتصر أثرهم على العرب وحدهم بل شمل العالم أجمع وطارت شهرتهم إلى الآفاق لما قدموه من خدمات لا تحصى ، وأفضال لا تعد ، ومنافع عظيمة ما زالت الإنسانية تنتفع به إلى الآن .. ولقد عنى المسلمون بالكتاب عناية عظيمة بعد أن استتبت لهم الأمور وبعد أن تلاشت الفتن وتبخرت الأحقاد من الصدور . حينئذ فقط بدءوا يهتمون بالكتاب اهتماما جديا ويعتنون به عناية عظيمة ويولونه من اهتمامهم حظا كبيراً وإن ما خلفوه لنا من آثار أشادوا فيها بفضل الكتاب وعظيم فائدته لتدل دلالة قاطعة على اهتمامهم به وإيثارهم له .. يقول المتنبى :

أعز مكان فى الدنا سرج سابح
وخير جليس فى الزمان كتاب

وهذا آخر[1] يشيد بفضل الكتب واصفا متعتها معدداً أفضالها ومنافعها فيقول :

هم مؤنسون وألاف غنيت بهم
فليس لى فى أنيس غيرهم أرب

لله من جلساء لا جليسهم
ولا عشيرهم للسوء مرتقب

لا بادرات الأذى يخشى رفيقهم
ولا يلاقيه منهم منطق ذرب

وهكذا نرى أن الكتاب أخذ يتسلل شيئا فشيئا إلى حياة المسلمين حتى أصبح ذا قيمة عظيمة فى حياتهم وأخذوا يختلفون على دور الكتب يطلبون العلم والمعرفة من بين رحابها الفسيحة التى كانت تتكون من حجرات كثيرة

(١) هو محمد بن بشير من شعراء الدولة الأموية .

ثبتت على جدرانها رفوف من الخشب جميلة عليها كتب كثيرة ومخطوطات ومجلدات عظيمة (١) وكانت تلك الدور مزودة بعدد وافر من المترجمين والنساخ والأمناء والمساعدين وكانوا يأخذون على عملهم هذا العطاء الجزيل كما كانت لهذه الدور فهارس دقيقة منظمة حتى يسهل على الدارس الاهتداء إلى الكتب التى يريد الرجوع إليها وكانت هذه الدور كثيرة ومتعددة ، فنى بغداد كان يوجد بيت الحكمة ذلك البيت الذى أقامه الخليفة هارون الرشيد والذى ظل يشع العلم من بين رحابه فترة طويلة من الزمن وأخذ الخليفة يزود بيت الحكمة بنفائس الكتب وروائع المجلدات حتى بات مقصد الطلاب والعلماء يأتون إليه من شتى الأقطار ، وظلت المعرفة تتدفق من بيت الحكمة حتى أفل نجمه وكسفت شمسه عندما انقض التتار على بغداد فحولوا جمالها الفاتن إلى خرائب ثم امتدت يدهم الباطشة إلى بيت الحكمة لتلقى بما فيه من كتب ومجلدات فى نهر دجلة فتحول بيت الحكمة إلى رفوف خاوية لايحوى بين جدرانه سوى الظلام الدامس . . . فإذا ما نظرنا إلى القاهرة نجد أن الحاكم بأمر الله الفاطمى قد أنشأ فيها داراً عظيمة هى « دار الحكمة » (١) وكان هدفه من ذلك أن ينافس بها بيت الحكمة ببغداد فأتى لها بكل ما تحتاج إليه من نساخين وخطاطين وزودها بالورق والمحابر والأقلام فأخذ الناس من جميع الطبقات يختلفون إليها للتعلم وظلت دار الحكمة قائمة حتى عهد صلاح الدين الأيوبى الذى أقام مكانها مدرسة للشافعية ... أما الأندلس تلك المدينة الجميلة فقد ازدهر فيها العلم ازدهاراً عظيما وانتشرت فيها المعرفة انتشاراً كبيراً حتى أضحى طلب العلم شيئاً مألوفا فى الأندلس وأخذ أهلها ينهلون من مناهل العلم فنبتت فى أرضها ثقافات كان لها أثر كبير على الثقافة الغربيـــة . وكان الأندلسيون ينظرون إلى الجاهل فى اشمئزاز ، أما العالم فقد كان له فى قلوبهم مكانة عظيمة . وكان الحاكم المستنصر مكتبة ضخمة ضمت ما يربو على الأربعمائة ألف كتاب (٢) .

فقد كان مولعا بالكتب ولعا شديدا وكانت له آراء صائبة وتعليقات مفيدة على الكتب

---

(١) وقيل أيضا : إنه كان بهذه الدور حجرات للموسيقى كان الدارس يختلف إليها كلما شعر بالكلل أو ران عليه السأم والملل .

(١) أنشئت هذه الدار فى جمادى الآخرة سنة ٣٩٥ .

(٢) وقيل أيضا إنهم عندما نقلوها قضوا فى نقلها ستة أشهر كاملة .

التى كان يطالعها وكان يأتى لمكتبته بالكتب من البلاد والأقاليم مهما كلفه ذلك من ثمن . وعند ما سمع بكتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى أرسل إلى مؤلفه ألف دينار ثمنا لنسخة منه فأرسلها أبو الفرج إليه فظهر كتاب الأغانى فى الأندلس قبل أن يظهر فى العراق . لقد كانت الأندلس هى قلعة العلم حقا فقد ازدهر فيها وانتشر وكان له فيها النصيب الأكبر من العناية والاهتمام فكان من جراء ذلك أن ظهرت طبقة من العلماء كان أثرهم عظيما على الثقافتين الشرقية والغربية ، ظهر علماء نبغوا فى الطب والرياضيات والفلك والنجوم وغير ذلك من ميادين العلوم ، أما الفلسفة فلم يكن لها فى العصر الأموى بالأندلس نصيب كبير بل كانت مضطهدة وكان الفلاسفة غالبا ما يتهمون بالزندقة فكانت تجمع كتبهم ثم تحرق ويذكر ابن سعيد : « أن الفلسفة علم ممقوت فى الأندلس لا يستطيع صاحبه إظهاره فلذلك تخفى تصانيفه » . ولكن هذا الجو الخانق الذى كانت الفلسفة تتنفس فيه لم يمنع م ظهور فلاسفة أفذاذ أدوا خدمات لا تنكر فى الفلسفة [1] . على أن الفلسفة لم تزدهر ازدهارا حقيقيا إلا فى عهد أبى يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن فقد كان محبا للفلسفة شغوفا بها جمع كثيرا من كتبها فاستطاعت الفلسفة فى عهده أن تنشط وأن تزدهر ازدهارا عظيما إلا أنها عادت فانتكست مرة أخرى عندما قبض ابنه يوسف يعقوب المنصور على الفيلسوف العظيم ابن رشد وأودعه السجن ثم جاء قتل الفيلسوف ابن حبيب فزاد من خمولها . وهكذا عادت الفلسفة كما كانت من قبل مضطهدة لا تجد من يهتم بها ، على أننا نستطيع القول بأن هذا العصر كان من أخصب العصور التى موت بها الفلسفة الإسلامية . فقد ظهر فيه فيلسوفان من أعظم من جادت بهما أرض الأندلس ألاوهما : ابن طفيل وابن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ) . كان ابن طفيل فيلسوفا عظيما حقا استطاع أن يؤلف عدة كتب فى الطبيعيات والإلهيات وغير ذلك كما استطاع أن يبين الصلة بين العقل والدين كما هو واضح فى رسالته المشهورة « حى بن يقظان » [1] .

وأراد ابن طفيل أن يبين فى هذه الرسالة أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى معرفة الله ولو نشأ فى جزيرة نائية . . . أما ابن رشد فقد كان من أعظم فلاسفة الإسلام . . عرفه الغرب عن طريق شروحه الرائعة لفلسفة

(١) مثل محمد بن عبد الله بن مسرة (٢٦٩ - ٣١٩ هـ) وسعيد بن فتحون السرقسطى .

(١) ترجمت رسالة « حى بن يقظان » إلى اللغة الانجليزية فى القرن السابع عشر .

الفيلسوف الإغريقى « أرسطوطاليس » ، فذاعت فى الغرب شهرته وارتفعت مكانته حتى سماه دانتى « بالشارح الأكبر » ، ومن شروحه لكتب أرسطو كتاب الأخلاق ، وكتاب البرهان ، وكتاب السماء والعالم ، وكتاب السماع الطبيعى ، وكتاب الحس والمحسوس [١] على أنه لم يقتصر فى شروحه على فلسفة أرسطو وحدها بل شرح أيضاً كتاب الأسطقصات (أى العناصر والأصول) وكتاب القوى الطبيعية ، وكتاب العلل والأعراض وكلها من مؤلفات جالينوس ، وقد ارتاد ابن رشد جميع الميادين ، فله فى الطب كتاب « الكليات » ، وله فى الفقه رسالة بعنوان « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » وله عدا ذلك رسالة قيمة هى : « تهافت التهافت » أراد بها الرد على رسالة « تهافت الفلاسفة » للإمام الغزالى . هكذا كان ابن رشد فيلسوفا عظيما وشارحا كبيراً ، وفقيها له آراء صائبة فى الدين والشريعة ، فكان بحق من أعظم فلاسفة الإسلام ، وكان جديراً بما وصفه به أحد العلماء حيث قال إنه « أنبل وأعظم مثال للفلاسفة » [١] .

لقد كان للثقافة الإسلامية فضل أى فضل على الثقافة الغربية ، ولقد ترجمت معظم كتب فلاسفة الإسلام إلى اللغة اللاتينية وإلى غيرها من لغات أوربا ، وما زالت هذه الكتب تدرس فى جامعات أوربا إلى الآن فما أعظم فضل الكتاب وما أجل أثره ذلك الذى وصفه الجاحظ وصفا جميلا فقال : الكتاب وعاء ملئ علما وظرف حشى ظرفا وبستان يحمل فى ردن وروضة تقلب فى حجر ينطق عن الموتى ويترجم كلام الأحياء » .

سعد محمد

---

(١) لخص ابن رشد فلسفة « أرسطوطاليس » فى كتاب سماه كتاب الجوامع .

(١) هو « جييرمو دى أوفرينا » وكان عالما كبيراً كما كان يعرف الكثير عن الفلسفة الإسلامية إذ قرأ لكثير من فلاسفة الإسلام أمثال ابن رشد وابن سينا والفارابى وغيرهم .

ديمقراطية الإسلام

حول "أسامة بن زيد"

للأستاذ عباس طه

إذا تكلم الكتاب عن حياة من سادوا الناس وبلغوا درجة الإمارة فيهم من الموالى: أمثال بلال، وسلمان، وصهيب، وأسامة ابن زيد، فإنما يتكلمون عن قاعدة المساواة ومبدأ الإخاء الذى جعله الحق سبحانه وتعالى أول لبنة بنى عليها صرح المجتمع العالمى الإسلامى وأمر المؤمنين بدينه بالجرى عليها فى هدم ما أقامته الجاهلية من الفروق التى كانت موجودة بين طبقات الناس والقبائل، فأجابه الكل بالسمع والطاعة، حتى قال عمر بن الخطاب: أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا يريد بلالا. وقال سلمان الفارسى لمن سأله عن أبيه: «الإسلام أبى»!.

وأما ما يؤثر عن سيد التابعين سعيد ابن المسيب من رفضه مصاهرة عبد الملك ابن مروان، فليس ذلك لأن ولده هجين بل لأنه قد اتخذ من الجبارين عمالا أمعنوا فى الظلم وأسرفوا فى القتل بغير الحق على علم ورضا منه، وبذلك خلع لباس التقوى التى جعلها الله شعاراً لأوليائه، فلم يره أهلا لمصاهرته.

وعلى ذلك المبدأ الإسلامى أتكلم على حياة أسامة فأقول:

نسبه رضى الله عنه

هو أبو محمد أسامة بن زيد بن حارثة ابن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن زيد ابن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر ابن عبد ود بن كنانة بن بكر بن عوف ابن عذرة بن زيد اللات بن رقيدة بن ثور ابن كلب بن وبرة الكلبى:

وأمه أم أيمن بركة الحبشية، كنيت بولدها أيمن أخى أسامة لأمه. وكانت فى الجاهلية مملوكة لعبد الله بن عبد المطلب، فلما ولد سيد البشر بعد موت أبيه كانت هى مربيته وحاضنته حتى كبر، ولم تزل فى شرف خدمته حتى تزوج بخديجة فأعتقها وأنكحها مولاه زيداً، فولدت له أسامة بن زيد.

مولده ونشأته:

ولد رضى الله عنه بمكة المكرمة، ونشأها النشأة الدينية العالية التى تعجز البراعة عن تقديرها، وتقصر العبارة عن تصويرها

لأن أدبه وثقافته حصلا له من أعظم معلم وأكبر مرب هو سيد البشر صلى الله عليه وسلم

وقد كان عطفه عليه فوق عطف الآباء على الأبناء ، حتى إنه كان لا يكاد يفارقه ، وقد يردفه خلفه إذا ركب لزيارة قريب أو عيادة مريض ، روى عن عائشة رضي الله عنها قالت « عثر أسامة بأسكفة الباب (أى عتبته) فشج وجهه حتى سال الدم ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمصه بفمه ثم يمجه ويقول : لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى ينفقه » . وكان رضي الله عنه أسود اللون أبوه أبيض ، فطعن أهل مكة في نسبه حتى مر عليهما قائف ، وقد بدت أقدامهما من تحت الغطاء ، فأقر النسب . حدثنا البخارى فى صحيحه قال : « عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها مسروراً تبرق أسارير وجهه فقال : ألم تسمعى ما قاله المدلجى لزيد وأسامة ورأى أقدامهما : إن بعض هذه الأقدام من بعض » .

شرفه ومنزلته فى قومه :

إن سيد البشر صلى الله عليه وسلم قد نسخ بقانون الإسلام مبادئ الجاهلية ، وجعل ميدان التنافس بين البشر بالتقوى والعمل الصالح ، فكان أسامة رضى الله عنه ممن حازوا قصب السبق فى تلك الحلبة الدينية المباركة ، وقد رفع الإسلام أسامة كما رفع أباه زيداً حتى قال فيه سيد البشر « إن أسامة لأحب الناس إلىّ » أو « لمن أحب الناس إلىّ » ، وقد سمته الصحابة « حب رسول الله وجعلوا ذلك اسماً خاصاً به ، وكانوا يستشفعون به عند الرسول فى المطالب الهامة التى لا يتقدم فيها سواه . حدثنا البخارى فى صحيحه قال « عن عائشة رضى الله عنها أن امرأة من بنى مخزوم سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فلم يجرؤ أحد أن يكلمه . فكلمه أسامة بن زيد فقال : إن بنى إسرائيل كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه . لو كانت فاطمة لقطعت يدها » .

إن عدالة الإسلام قد رفعت بالكفاية الدينية أسامة بن زيد فوق رجل من صميم قريش ومن كتاب الوحى كان أبوه رئيس العرب فى الكفر ثم كان هو رئيساً عليهم فى الإسلام : هو معاوية بن أبى سفيان .

حدثنا بدر الدين العينى فى شرحه على البخارى قال : جاءت فاطمة بنت قيس القرشية الفهرية إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت له « يا رسول الله إن معاوية بن أبى سفيان وأبا جهم خطبانى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما أبو جهم فلا يضع عصاه

عن عاتقه ، وأما معاوية فصعلوك لا مال له ، انكحى أسامة بن زيد ، فكرهته ، ثم قال « انكحى أسامة ، فنكحته ، فجعل الله فيه خيراً كثيرا .

وقد فرض عمر بن الخطاب لأسامة فى العطاء خمسة آلاف وفرض لولده عبد الله ألفين فقال له « يا أبت أراك قد فضلت على أسامة ابن زيد وقد شهدت ما لم يشهد ، فأجابه عمر بقوله : « إن أسامة وأباه كانا أحب إلى رسول الله منك ومن أبيك » !

إمارته :

كان النبي صلى الله عليه خبيراً بأحوال الذين يقلدهم الأعمال فكان يسند إليهم ما يتفق وكفاية كل منهم ، وقد نشأ أسامة بن زيد مدرباً على الفروسية مبرزاً فى الشئون الحربية ، فلما بلغ عمره ثمانى عشرة سنة قلده الرسول إمارة الجيش فى السنة الحادية عشرة لأربع بقين من صفر . وأمره أن يسير إلى الشام حيث قتل والده زيد . وكان معه من كبار المهاجرين والأنصار أبو بكر وعمر وسعد . حدثنا البخارى فى صحيحه قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثا وأمر عليهم أسامة بن زيد ، فطعن بعض الناس فى إمارته فقال صلى الله عليه وسلم « إن تطعنوا فى إمارته فقد كنتم تطعنون فى إمارة أبيه من قبل ، وأيم الله إن كان لخليقا للإمارة ، وإن كان لمن أحب الناس إلى ، وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده » .

على أن هذا الجيش قد تخلف عن مهمته ولم يسافر به أسامة ، لأن الرسول قد اشتد عليه المرض ، ولكنه أوصى أن يقوم تحت إمرة أسامة ، فلما توفى الرسول وتمت البيعة لأبى بكر كان أول ما بدأ به هو إنفاذ ذلك الجيش وعاد بعض القوم إلى حديثهم فلما علم أبو بكر بذلك وأدرك ما فى نفوسهم من الأنانية والكبرياء الباقيين من تراث الجاهلية قام إلى الجيش حتى شيعه ماشيا على قدميه وأسامة راكب ، فقال أسامة : (ياخليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن » ؟ فقال أبو بكر : « والله لا ركبت ولا نزلت ، وما على أن أغبر قدمى ساعة فى سبيل الله » ثم قال له : « إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل » فلما رأى القوم أبا بكر ماشيا فى ركاب أسامة وسمعوه يستأذن فى تخلف عمر ، لم يجدوا بدا من الخضوع للأمر فساروا مع قائدهم أسامة بن زيد حتى نزلوا بأرض العدو ، وهناك أيدهم الله وآزرهم حتى فازوا بالغنيمة ، وعادوا بالنصر بعد أربعين يوما .

عباس ...

ما يقال عن الإسلام

عقيدة الذات الإلهية في الإسلام

للأستاذ عباس محمود العقاد

ورد البحث فى عقيدة الذات الإلهية عند أمم العالم خلال كتاب مطول ألفه الأستاذ نورروب Northrop وجعل عنوانه ملتقى الشرق والغرب The meeting of east and west متحريا فيه تقريب وجهات النظر فى المسائل الجوهرية المختلف عليها بين أمم الحضارة العصرية وأمم الحضارات الموروثة .

ويرى من عنوان الكتاب أنه مقصور على الملاقاة بين الشرق والغرب جملة واحدة من وجهة عامة ، ولكنه عند تفرع البحث يتحقق من صعوبة هذه الملاقاة قبل الملاقاة بين أمم المغرب على حدة ، وأمم المشرق على حدة فى أمور كثيرة تمتزج بتلك المسائل الجوهرية . فلا بد قبل الملاقاة بين الشرق والغرب من التوفيق بين الحضارتين اللاتينية والسكسونية فى القارة الأوربية . ولابد بعد ذلك من التوفيق بين قوى التفكير الديمقراطى وقواعد التفكير المطلق بين أمم تلك القارة . ولاغنى فى هذه الحالة عن التوفيق بين وجهات الاعتقاد والتفكير منذ القرون وبين هذه الوجهات منذ أوائل العصر الحديث ، مع التناقض بينهما من بعض جوانبها والتشابه بينها من الجوانب الأخرى .

ولكن هذه الفوارق جميعا تنتهى عند المؤلف إلى فارق أساسى واحد : وهو فارق الإيمان بالربوبية فى ذات إلهية والإيمان بها فى معنى غير ذات ، كالمعنى الذى يقول إنه متمثل فى العقائد البرهمية الأولى .

ويحسب المؤلف أن الإيمان بالربوبية فى ذات إلهية من شأنه أن يدفع الأمم إلى طلب الغلبة على غيرها ، وأن طلب الغلبة ليس بالشعور الأصيل عند المؤمنين بالربوبية فى معنى ليست له ذات قائمة تريد وتنفرد بالسلطان المطلق فى الوجود كله منذ القدم ، فإن نزعت الأمم إلى طلب الغلبة لم يكن منزعها هذا من قبل العقيدة الدينية ، بل يعرض لها من قبل الدوافع الحيوية الأخرى أو البواعث السياسية .

والأمم التى تؤمن بالذات الإلهية هى عند المؤلف مجتمعة فى أتباع الديانات الأربعة الكبرى : وهى الموسوية والمسيحية والإسلام والشنتيه Shintoism ديانة اليابان .

ويكاد المؤلف أن يجعل الإسلام قبل غيره مثالا للديانات التى تؤمن بالربوبية فى ذات إلهية ؛ لأن إيمان المسلم لم تتم فيه الملاقاة بالروح العلمية التى تولدت مع الزمن من إخضاع الحقائق للتجارب الحسية كما حدث فى معظم الأمم الغربية ، ولابد من تعديل هذه النظرة ليؤمن المسلم بالله على ضوء الأصول العلمية ولا يحتفظ بإيمانه كما كان فى عهد النبي محمد صلوات الله عليه .

ويتساءل قائلا : هل من المعقول أن ينتظر من ثمانين مليون مسلم فى الهند على هذه العقيدة أن يلاقوا جيرانهم على وفاق بطول أمده ، لمجرد استقلال الهند عن سلطان الدولة البريطانية . ؟

نقول : إن ضلال التفكير عند هــذا المؤلف على سعة اطلاعه وكثرة شواهده يتراءى من ملاحظة واحدة يخرج بها القارئ من كتابه ولا يحتاج إلى سند غير الأسانيد التى اعتمد عليها .

فلو أن المؤلف حجب النتيجة التى وصل إليها عن القارئ ولم يصرح بها فى بحوثه المتابعة مرة بعد مرة لجاز للقارئ أن يفهم أن صاحبنا ألف كتابه ليثبت أن العقيدة الإسلامية هى أصلح العقائد لإيمان الإنسان بالله فى عصر التجارب الحسية والقوانين التى يسمونها أحيانا بالقوانين العلمية .

فلا نعرف ضـــلالا فى التفكير يذهب بالإنسان من مقدماته إلى نقيضها المقابل لها فى الطرف الآخر ، كما ذهب هذا المؤلف من مقدماته الطويلة إلى نتيجته المعكوسة .

وأول ما يؤخذ عليه أنه ظن أن الإيمان بالربوبية معنى بغير ذات فكرة مستطاعة فى الضمائر الإنسانية أيا كان تعبيرها عن تلك الفكرة بكلمات العبادة او مصطلحات الفلسفة .

فربما قال الفلاسفة الأقدمون من البراهمة أن الإله فكرة مجردة بغير ذات تقوم بها ، ولكنهم لا يبدءون الكلام فى الخلق إلا ظهر من كلامهم أن هـذا الاله ذات تريد وتقدر وتتقبل الأرواح المطيعة وترفض الأرواح العاصية ، وتتجلى تارة على مثال الرب الخالق وتارة على مثال الرب الحافظ ، وتارة على مثال الرب المهلك أو المبيد ، وقد نقل عنهم أبو الريحان البيرونى الذى اطلع على كتبهم بلغتها القديمة تفصيلات عقائدهم فى الربوبية فأحسن نقلها كما ظهر بعد ذلك من ترجمانها إلى اللغات الأوربية الحديثة بأقلام الثقات من علماء تلك اللغات هنودا وأوربيين ، ومما نقله عنهم أنهم يؤمنون بالاله برهمن ويعتقدون أنه المطلق الذى لا يوصف ، ولكنه يتجلى على أشكال من الآلهة والمخلوقات ، وأن بشن

Vishnu جعل نفسه أرضا وجعل نفسه ماء وجعلها نارا وجعلها قلوبا تنبض فى صدور الأحياء .

فليس هناك من فارق بين أصحاب العبادات فى تحقيق الذات للمعنى الإلهى إلا أن الإسلام واضح متفق العقائد وأن القائلين بالمعنى الإلهى الذى لا تقوم به ذات مريدة يقررون بالرأى ما ينقضونه بالشرح والتفصيل .

فإذا انتهينا من الإيمان بالذات الإلهية إلى الاختلاف على صفاتها فالإسلام يعطينا الصفات التى توافق حاجة الضمير إلى الدين فى جميع العصور ، وأخصها عصر القوانين العلمية بل عصر القوانين العلمية كما انتهت إليه عند أحدث المحدثين .

إن الضمير الإنسانى لا يطلب الإيمان ليتحول به مع كل تجربة علمية إلى معنى من المعانى الإلهية ملفق على قياسه ومنواله .

فليس من شىء يملأ العقل والضمير بالحيرة والاضطراب كما تملؤه تلك المقررات التى يلغى بعضها بعضا أو تتوقف صحة بعضها على صحة سواه ، فكلها من المعارف المضافة أو المعارف النسبية التى لا يقوم عليها ركن ثابت من أركان الإيمان والثقة بالوجود المطلق والحياة السرمدية .

إن الضمير لم يذهب فى طريقه الطويل إلى الثقة بمعنى الوجود ليفسرها تارة بمذهب داروين وتارة بمذهب كوبرنيكس وحينا بمذهب كارل ماركس وحينا آخر بمذهب برجسون وسواهم ممن يتفلسفون أو يستخلصون القوانين العلمية والنواميس الطبيعية .

وفى هذا العصر — على التخصيص — قد ثبت للعلماء أن التجربة العلمية لا تستطيع أن تقرر قانونا ينبئنا عن تصرف الكهرب كيف يكون فى اللحظة التالية . فهذا الجزء الصغير الذى تتألف منه المادة كلها وتترتب حركاتها جميعا على حركته داخل الذرة وخارجها مجهول الحركة كل الجهل ولا يمكن الحكم عليه إلا على وجه التقريب قياسا على إحصاء المصادفات ، وليس هناك من قانون على معروف غير المقابلة بين هذه المصادفات ، وأخذها بالظن غدا كما أخذوها بالظن أمس وقبل أمس إلى نهاية الرصد المعلوم .

والعلماء القائلون بذلك أمثال ايستر وهايزنبرج وشرودنجر وغيرهم وغيرهم يضربون الأمثال لهذه القوانين الإحصائية ببعض المشاهدات اليومية التى تصور لنا كيف تتفق المصادفة مع التحقيق .

يقولون : مثلا إن شركة التأمين تستطيع أن تبنى حسابها وتنظم عملها وتجنى أرباحها من تقدير نسبة البيوت التى ستتعرض للحريق بواحد فى الألف من جملة البيوت ، ويصدق حسابها على وجه التقريب فيحترق أثناء السنة مائة بيت أو نحو ذلك ، ولكن هذه الشركة لو سئلت عن بيت واحد معين بين هذه البيوت لم تستطع أن تدل عليه قبل

احتراقه . وهكذا يفعل العالم الطبيعي حين يقرر نسبة الكهارب التي ستتحول من جسم معلوم مع المؤثرات الطبيعية الخاضعة للرصد والإحصاء ، فإن ذلك الجسم يحتوي ملايين الملايين من الكهارب التي ترصد حركاتها على ذلك المقال فتعرف بالنتيجة النسبية ولا تعرف على التعيين والتحقيق في كل واحد منها ، وتلك هي القوانين الطبيعية كما يفهمها أساطين العلوم الطبيعية في هذا العصر الذي يظن الأستاذ نورثروب أنه جاء بالقوانين المصححة للدين .

مصادفات نسجلها بموافقات الإحصاء على حسب العادة ، وليس فيها حقيقة واحدة تقيم الإيمان على قرار مكين ، وأين من طبيعة الإيمان قضية تقوم على مصادفات شركات التأمين ؟ .

وندع القوانين الطبيعية وننظر إلى القوانين الاجتماعية التي يدعى لها أصحابها أنها محور التقدم والجمود في حياة الشعوب .

منذ خمسين سنة كان الأكثرون بين أصحاب هذه القوانين ينعون على الإسلام أنه دين جمود لأنه يعوق المعاملات الاقتصادية ولا يسمح بتنظيم المصارف والشركات لتحريمه قروض الربا وإنكاره لكل ربا الجاهلية على كل صورة من صوره البينة أو الخفية (١)

فلم يمض جيل على هذه الصيحة حتى سمعنا أصحاب قوانين أخرى يصيحون بأن رأس المال كله نكبة على الإنسانية وعائق من عوائق الحرية الكريمة والعمل النافع .

فماذا ينفع الناس بين هذه القوانين من إله « نسبي » يتحول مع التجارب الحسية والفروض التي يسمونها بقوانين الطبيعة ؟

إذا كان للناس أن يحسوا بالحاجة الخاصة إلى الإيمان بالربوبية في ذات إلهية لها كمالها المطلق ومشيئتها الباقية فحاجتهم في هذا العصر إلى تلك العقيدة أمس وأقوى من حاجتهم إليها في عصر الدعوة المحمدية ، لأن تزعزع الأساس الذي يسند قوانين العلوم الطبيعية لم يثبت - علميا - كما ثبت في عصرنا هذا الموسوم بسمة التحقيق والتقرير .

هنا يشعر الضمير الإنساني بالحاجة إلى الإيمان بالكمال المطلق والحكمة الخالدة بين أشتات من المعارف والفروض كلها مضاف إلى غيره وبعضها ينقض بعضا في مدى عمر الإنسان .

والإسلام يأذن للمسلم أن يبدل فروضه الحسية كيفما شاء وشاءت له تجارب الحس وضرورات الحياة الموقوتة ، ولكنه لا يأذن له ولا يضطره إلى تبديل إلهه كلما خرجت له تجربة جديدة من هذا المعمل أو ذاك وكلما قال قائل باسم العلم إنه يثبت هذا وينكر ذاك ، وليس وراء كل ثابت ومنكر إلا قلق الضمير ثم اعتماده على الوجود المطلق بين هذه النسب والإضافات

« قل هو الله أحد الله الصمد »

ألا إنه بكل شيء محيط .

والله الذي يحيط بكل شيء ، وبكل زمن ، هو إله الإيمان ، وطلبة الإنسان ؟ .

عباس محمود العقاد

---

(١) انظر في : « بريد المجلة » من هذا العدد فتوى فضيلة الأستاذ الأكبر عن الدين .

مختار من الشعر القديم والحديث

أبوّة و بنوّة

للأستاذ عمر بهاء الدين الأميري

« كان الشاعر مع أولاده الثمانية ، وعدد كبير من أفراد أسرته في مصيف « قرنايل » ثم سافروا جميعاً ، بسبب افتتاح المدارس ، وبقي وحده ، في خلوة شعرية خصبة ، كانت طليعتها القصيدة التصويرية الوجدانية التالية »

أين الضجيجُ العذبُ والشغَبُ ؟ ... أين التدارسُ شابَهُ اللّعبُ ؟

أين الطفولةُ في توقدها ... أين الدُمى في الأرضِ ، والكتُبُ

أين التشاكُسُ دونما غرضٍ ... أين التشاكي ما لهُ سَبَبُ

أين التباكي والتضاحُكُ ، في ... وَقْتٍ معاً ، والحُزنُ والطرَبُ

أين التسابُقُ في مُجاوَرَتي ... شَغَفاً ، إذا أكلوا وإنْ شربوا

يَتَزاحمونَ على مُجالستي ... والقُرْبِ مِنّي حيثُما انقلبوا

يتوجّهونَ بسَوقِ فِطْرتهم ... نَحْوي ، إذا رَهِبوا وإن رَغِبوا

فنشيدُهم : « بابا » إذا فرحوا ... ووعيدُهُم : « بابا » إذا غضِبوا

وهتافُهُم : « بابا » إذا ابتعدُوا ... ونَجِيُّهُم : « بابا » إذا اقترَبُوا

* * *

بالأمس كانوا مِلْءَ منزِلِنا والیوم — ويح اليوم — قدْ ذهبُوا
وكأنما الصمْتُ الذى هبطتْ أثقالُه فى الدار إذ غرَبُوا
إغفاءةُ المَحْمُومِ ، هَدْأتُها فيها يَشيعُ الهمّ والتعَبُ
ذهبوا ، أجَلْ ذهبوا ومَسْكنُهمْ فى القلبِ ، ما شطُّوا وما قرُبُوا
إنّى أراهُمْ أينَما التفتَتْ نفسى ، وقد سكنُوا ، وقد وثبوا
وأحِسُّ فى خلَدِى تلاعُبَهُمْ فى الدّار ، ليسَ يُصيبُهم نَصَب
وبَريقَ أعيُنِهم ، إذا ظفروا ودُموعَ حُرقتِهم إذا غُلِبوا
فى كلِّ رُكنٍ مِنهُمُ أثَرٌ وبكلِّ زاويةٍ لهُم صَخَبُ :
فى النافِذات ، زجاجها حطموا فى الحائط المَدْهونِ ، قد ثقَبُوا
فى البابِ ، قد كسروا مَزالجَهُ ، وعليه قد رَسَمُوا وقد كتَبُوا
فى الصحنِ ، فيه بعضُ ما أكلُوا فى عُلبةِ الحلوى التى نهَبُوا
فى الشّطْرِ مِنْ تُفّاحةٍ قضموا فى فَضْلةِ الماءِ التى سكَبُوا
إنى أراهُمْ حَيثُما اتجهَتْ عينى ، كأسرابِ القَطَا ، سَرَبوا
بالأمسِ فى « قرنايلٍ » نزَلُوا واليومَ قد ضمّتْهُمُ « حلَبُ »

* * *

دَمعى الّذى كتّمتُهُ جَلَداً لمّا تباكَوا ، عندما ركِبُوا
حتى إذا سارُوا وقد نزَعوا من أضلُعى قلباً بِهمْ يَجِبُ
ألفَيتُنى كالطِفلِ عاطفَةً فإذا بِهِ كالغيثِ ينسكِبُ
قد يَعجَبُ العُذّالُ من رجُلٍ يَبْكى ، ولو لم أبكِ فالعَجَبُ
هيهاتَ ما كُلُّ البُكا خَوَرٌ إنى ، وَبِى عَزْمُ الرجالِ ، أبُ

عمر بهاء الدين الأميرى
حلب

الكتب

نقد وتعريف

نار وأصفاد

(ديوان شعر للأستاذ محمود حسن إسماعيل)

بقلم الأستاذ محمد إبراهيم الجيوشي

منذ أشهر صدر ديوان « نار وأصفاد » يؤكد من جديد أن الشعر لم يتخلف عن ركب الحياة ، وأن القصيدة لم تترك معارك التحرير والبعث ، وتنغمس فى الآهات وتضل بين الشكوى والأنين كما رمى الشعر بذلك أناس ؛ بل إن ديوان « نار وأصفاد » جاء ينفى هذه التهمة ويرد عن الشعر المعاصر مسبة التقصير عن المشاركة فى معاركنا الوطنية .

وقد اتخذ صاحب الديوان من الحرية وحدة تدور حولها قصائد ديوانه بأسرها . فهو لم يكتف بأن يجعل من القصيدة وحدة حتى تخطى ذلك إلى ما هو أبعد مدى بأن جعل الديوان كله وحدة تدور فى فلكها قصائده كلها ، وليس هذا الاتجاه بجديد على صاحب الديوان ، فقد رأينا له هذا الاتجاه من قبل ، فى ديوان « أغانى الكوخ » الذى صدر سنة ١٩٣٤ وهو يصور حياة الريف والفلاح والطبيعة ، وفى سنة ١٩٣٨ صدر له ديوان « هكذا أغنى » وفيه يتحدث عن الرق الاجتماعى الذى اتخذ له مظهراً فى ذلك الوقت فى الصراع الحزبى وسيطرة الإقطاع ، وفى سنة ١٩٤٨ صدر له ديوان « ابن المعز » وفيه يتحدث عن الرق الإنسانى. إذن فليس بغريب على صاحب « نار وأصفاد » أن يجعل من ديوانه وحدة متكاملة تدور فى فلكها قصائده كلها .

والديوان مقسم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : نبى الحرية

القسم الثانى : فى معارك الحرية .

القسم الثالث : فجر الحرية .

القسم الرابع : أغانى الحرية .

وقبل أن نمضى مع قصائد الديوان نحب أن نشير إلى أنه كان من الأوفق لصاحب الديوان - ما دام قد اتخذ من الحرية فكرة لديوانه - أن يجعلها عنوانا له كأن يسميه « فى موكب الحرية » أو يسميه ببعض أجزائه « أغانى الحرية » أو غير ذلك ، فإن هذه التسمية فيما أظن أوفق وأدل على مقصد الشاعر وأهدافه . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنك حينما تستعرض قصائد الديوان ترى الشاعر فى القسم الثانى الذى سماه « معارك الحرية » جاء بقصيدة اسماها « هادم الظلم » أنشدها فى المولد النبوى ، وتحدث فيها عن صاحب الرسالة وجانب من كفاحه . وكان الأولى بهذه القصيدة أن تضاف إلى القسم الأول « نبى الحرية » فإنها به ألصق ، فإذا ما أوغلت فى الديوان حتى القسم الثالث رأيت قصيدة بعنوان « عصا المعرى » ولم أستطع أن أهتدى إلى رابط يربط هذه القصيدة بقصائد القسم الذى جاءت فيه وكلها تتحدث عن معارك الحرية .

وتستطيع أن تدرك أى عاطفة كان يجمجم بها صدر الشاعر وهو ينفث قصائده ، حينما تقرأ له فى مطلع الديوان هذه الأبيات الثائرة المنطلقة كالحمم المعبرة أصدق تعبير عن الثورة الحبيسة التى كانت تضطرم بها النفوس فلا تجد لها منفذاً فترتد ضراما يحرق المشاعر ويفرى الأفئدة .

ولما تشاكى القيد حولى وأعولت
من الرق أيامى وضجت سلاسلى

وأخرس جلاد الطغاة قياثرى
وشلّ حديد المستبدّ أناملى

ودوخ أرضى ظالم فصادها
بكفيه أحزان الربى والجداول

وجُنّ حوالى الحياة فدمعة
تقول لأخرى : ذاب فى التيه ساحلى

وحرب على القضبان غنّى عذابه
وآخر حرب فى قيود المجاهل

ومزّق أقوامى غريب فأصبحوا
وهم غربة تشقى بحزن المنازل

وأطرق غابى من ذهول وأوغلت
أفاعى الأسى ، ترمى بسمّ المقاتل

تلفت فانساب الدجى من مزاهرى
مزامير ليل عن خطا الفجر غافل

والذى يلفت المتصفح للديوان أن الشاعر حينما يتناول موضوعا من موضوعاته كثيرا ما يكون غيره من الشعراء قد تناوله ، تجده قد انفرد بجانب لم يلتفت إليه غيره من الشعراء ، ولنأخذ مثلا على ذلك حديثه عن النبى العربى ودعوته إلى الحرية والثورة على الجمود ، وكثيرا ما أنشد الشعراء فى هذا المعنى

واتخذوا من هجرة الرسول نقطة انطلاق لقصائدهم وخيالهم وطافوا بأحداثها ولكن صاحب الديوان يقف عند حادث من أحداث الهجرة ويستغله استغلالا يدل حقا على الخلق والإبداع . استمع إليه حين يتحدث عن نسج العنكبوت على فم الغار ، إنه يأبى إلا أن يكون الحديث على لسان العنكبوت فيقول :

أنا نسّاج الحصون الشم
من أوهى الستور
وقف الدهر على بابىَ
مذعـــور الضمير
وحجاب الشمس لاقانى
بأجفان الضرير
والضحى خرّ كليل
فوق أعتابى أسير
أنا شك جاء يحمى
كل إيمان الدهور

ولا يملك المرء أن يمسك دهشته من هذه الصور المتتابعة فى قوة وتماسك تتدرج فى السمو حتى تبلغ الغاية فى قوله :

أنا شك جاء يحمى
كل إيمان الدهور

ومن السهل أن تدرك أن الشاعر فى القسم الثانى من ديوانه كان كالمقيد المغلول حينما يتحدث عن الحرية ، وضياعها فى هذه الفترة من حياة الوطن ، ولهذا تراه يلف كثيرا ويدور ، ويتغلف بغلاف من الرمز يجعله يجمجم ولا يبين ، وترى ذلك فى قصيدته الموءودة، ويقصد بها الحرية، تلك التى أغلقت كل السبل دونها .

هلكت كل طريق نحـــوها
وانتهى بحثىَ عنها للعـــدم
قيل لى فوق الثرى مسكنها
فضربت التيه واجتحت الظلم

وهو لهذا يسأل عنها كل مظاهر الحياة عله يجد لها أثرا فيعجزه ذلك أيما عجز حتى مظاهر الطبيعة أيضا فقدت حريتها مثل الريح والنجم والطير . استمع إلى جانب من تساؤله هذا :

كم سألت الريح عنها فشكت
برحها وانسربت فوق الجبال
ثم قالت : إننى طوافـــة
هكذا منذ تعلمت الرحال
وخطاى فى يد مجنـــونة
تنهب الأفق ، ولا تدرى المآل
وعصا عمياء تغتاب الصدى
لم تزل تنشد بى أرض الزوال

وهو وإن لم يستطع أن يبكى حرية الإنسان الضائعة خشية البطش والعسف فهو يبكى حرية الطبيعة الضائعة وينطلق مع هلال شوال المبشر بالعيد يرى فيه ذلك

الأحدب النشوان يطل مبتسما ساخرا مما يعانيه الشرق من قيود ، ويدفعه خوف البطش إلى الحديث عن الهلال حديثا معجبا شائقا .

مَن الأحدب النشوان طاف العوالما
وأوما إلى الشرق المصفد باسما ؟
يدب على ساق من النور لم تدع
على الأرض ركنا مظلم الأفق واجما
ويمشى كما يمشى نـبى مبشر
بوحى ، يزف الخطو كالطيف حالما
ويرنو كما يرنو إلى الله عابد
يكاد من الإصغاء يحسب نائما
له قامة أحنت يد الدهر عودها
فهل كان شيخا من حمى الخلد قادما ؟

وهذا الباب من الديوان يتنقل مع معارك الحرية فى الشرق العربى كله من المغرب والجزائر إلى ضفاف النيل وبطاح فلسطين وهو وإن خص معارك النيل مع المحتلين بفيض من قصائده إلا أنك تلمح فيها كما قلنا الخوف من عصا البطش والعسف . ولكنه يزايله هذا الخوف إن تحدث عن فلسطين أو الجزائر . استمع إلى بعض ما قاله فى قصيدة خيمة البهتان التى يتحدث فيها عما يعانيه اللاجئون من قسوة هؤلاء الذين يتظاهرون بالعطف عليهم وتقديم يد المعونة إليهم .

هنا فى كبوة الأقدا ر بين السيل والويل
وبين عواء شيطا ن طريد الجن مختل
يقعقع للرعود السو د مأخوذاً من الهول
سمعت لحيح ثعبا ن على رئتى منسل
تدفق جسمه المقرو ر بين حفائر السل
وبين شتاء بستان بدفء الموت مخضل

وإذا ما انتقل الشاعر إلى القسم الثالث من ديوانه ، ذلك الذى يتحدث فيه عن فجر الحرية وتهزج قوافيه مع ثورة البعث تراه ينطلق فى قوة ووضوح تلمح فى قوله إصرار الحر وانطلاقه فيقول :

وإذا صوت على الوادى له
فجأة الصور وإصرار القـــدر
من دموع الكوخ ، من أشجانه
ولياليه ، الضريرات البصر
من حـديد الفأس ، من نقرتها
وهى تروى عن مآسيها العبر
من أسى الفلاح فى إطراقه
فى الثرى وهـو شق مصطبر
من فم المظـــلوم ، من دعوته
وهى كالغيب إلى الله تفر
من جراحات الضحايا ساقهم
نافخ للحرب كذاب أشر
من كفاح الشعب ، من وقفته
بين إقطاع تمطى وفجـر
زأر الصوت الذى هز الورى
ومضى للقيد حـراً فانكسر

وكما كانت الثورة نقطة انطلاق رمى الشاعر

فيها قيود الزمن وجابه الشمس فى مثل قوتها ووضوحها، كانت كذلك الوحدة، فقد غناها أجمل الأغنيات وأعذبها وأقواها، وانطلق يتغنى بالأمجاد العربية ويقف فى ساحتها الخالدات يعدد مواقفها ويشيد بأيامها.

وقد وجد فى مؤتمر الأدباء بالكويت فى ديسمبر سنة ١٩٥٨ مجالا رحبا يعبر فيه عن آماله وأمجاد أمته فى حلبة كلها تهتف بمجد العرب، فأنشد قصيدته.. راية الوحدة:

وإذا راية تمس يد الشمس
وتمضى لسدة النيرات
نفضت عن جبينها حسرة الذ
ل وداست على جبين الطغاة
قلت: من أنت؟ فانبرت تحصد
الصمت وتروى العظائم الخالدات
أنا بنت الوليد، بنت صلاح الدين
بنت الملاحم الخالدات
البطولات نورت بين كفى
وشع الضياء من عتباتى
والنبوات أشرقت فوق أرضى
وأضاءت بنورها قسماتى
وقف الغرب خاشعا عند بابى
واستمد الوجود من راحاتى
ورمت خيمتى على الكون لجرا
صد عنه الغواشى الحالكات
أنا بنت النجوم والغرب يدرى
قصتى من عصوره المظلمات
كنت إشعاعة الضحى، وهو جاث
راكع العقل ضارع لقناتى

إلى أن يقول:

ردنى فارس العروبة للشمس
ودك الحدود من طرقاتى
ومضى ينسج الضياء لوجهى
ويخوض المعارك الداميات

والقصيدة متماسكة آخذ بعضها بحجز بعض بحيث يصعب عليك كثيراً أن تأخذ بعضها وتترك البعض الآخر.

ولاشك أن الديوان زاخر بالآيات الفنية التى تدل على رسوخ قدم الشاعر وعلو كعبه، وقد كان الشاعر يطالع الناس بين وقت وآخر من خلال المجلات التى كانت تقود الحركة الأدبية فى العقد الماضى من هذا القرن وفى مقدمتها الرسالة، فلما حيل بين الرسالة وقرائها، أحس عشاق الأدب والشعر بفراغ كبير فى حياتهم الأدبية وتعالت الهمسات بتخلف الشعر عن الركب، ولكن الديوان كما قلنا جاء ردا قاطعا على هذه الفرية، وأن القضية قضية النشر لا قضية الشعر.

وبعد: فإن كان لنا من ملاحظة نبديها على بعض ما ضمه الديوان من قيم فنية، فهى حشد الشاعر لطائفة ضخمة من الصور بما لا يتحملها الموضوع الذى قيلت فيه، وأمامى وأنا أبدى هذه الملاحظة قصيدة..

(البقية على صفحة ٥٢٩)

بريد المجلة

بين الرئيس جمال عبد الناصر والأستاذ الأكبر:

أرسل فضيلة الأستاذ الأكبر إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر البرقية التالية لمناسبة رحلته فى سبيل السلام:

السيد / الرئيس جمال عبد الناصر
رئيس الجمهورية العربية المتحدة

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد:

فنرجو لسيادتكم التوفيق فى السفر والإقامة والحل والترحال، وأن يجعل الله من هذه الرحلة المباركة خدمة للإنسانية وإقراراً للسلام العالمى تحقيقاً لدينه القويم فنى رعاية الله وحصانته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

وقد تلقى فضيلته الرد الآتى من سيادة الرئيس:

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد:

فقد تلقيت بسرور برقيتكم التى حملت إلى جميل مشاعركم، وصادق تمنياتكم بمناسبة سفرى لحضور دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة.

راجياً أن يوفقنا الله جميعاً فى كل عمل يعود بالخير والرفاهية على البشرية. ودعم السلام العالمى.

وإننى لأبعث إليكم بأطيب تمنيات الصحة والعافية ؟

جمال عبد الناصر

وأرسل فضيلته إلى سيادة الرئيس البرقية التالية لمناسبة عودته من هذه الرحلة الموفقة:

السيد / الرئيس جمال عبد الناصر

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد:

فتستقبلك أمك الحنون الجمهورية العربية المتحدة بعد أن نشرت فى الأمم المتحدة كلمتها، ورفعت رايتها وأعلنت رسالتها مدوية فى الغرب تطلب للإنسانية السلام والطمأنينة والتعاون على التعايش السلمى، بحمد الله تستقبلك على سلامة وصولك، ونرجو لك دوام التوفيق حتى تأخذ بيد الإنسانية العامة إلى أقصى درج السلام.

وإنى أنتهز هذه الفرصة باسم الأزهر علمائه وطلابه وموظفيه فأبعث إلى سيادتكم بالتهنئة على هذه النهضة الكبرى التى هيأ الله لسيادتك سبلها. دمت مدافعا عن حقوق الإنسانية ورائداً للعروبة وقوة دفاعة لفضائل السلام

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

وتلقى فضيلته الرد التالى من سيادة الرئيس :
فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :
فإنى أبعث إليكم بأخلص الشكر على برقيتكم التى حملت إلى كريم التهانى وصادق المشاعر بمناسبة العودة من الخارج ، وإنا لنحمد الله العلى الكبير على ما أفاء علينا من فضل ، إذ وفقنا فى الجهاد من أجل السلام ونصرة الحق ، وحرية الشعوب وسيادتها .
وإنى لأعرب لكم عن أطيب التمنيات بموفور الصحة والسعادة راجيا للسادة علماء الأزهر وطلابه وموظفيه كل توفيق وسداد ؟

جمال عبد الناصر

موجة من الإلحاد فى إندونيسيا :

الإسلام هو دين الأمة الإندونسية إلا فئات قليلة منها تدين بالبوذية والمسيحية والهندوكية.
والذى نعلمه أن هذه الأمة العظيمة وعلى رأسها الرجل المؤمن الصالح أحمد سوكارنو تؤمن بدينها كل الإيمان وتحرص عليه كل الحرص ، ولم يستطع الاستعمار الهولندى على طول مدته وشدة كيده أن يفتنها عنه ولا أن يشككها فيه . ولكن بعض الناس هناك قد اعتقدوه من غير يقين وتلقوه من غير فهم فخال فى نفوسهم المريضة إلى عقيدة ممسوخة تقبل الزيغ وتحمق الباطل وتموه على الناس دين الله بالآراء الضالة والبدع الدخيلة ، حتى هجموا فى هذه الأيام على ضمائر المسلمين بنحل إلحادية هدامة إذا غفلت عنها الدولة الإندونسية ولم تنهض لها الجامعة الأزهرية تكشفت عن خطر كبير يصيب الإسلام والمسلمين فى هذه الأمة العزيزة .
فقد جاءنا من سفارتنا فى إندونيسيا مذكرتان تعلنان هذا الخطر بظهور أديان جديدة أضلت بعض الناس وأحدثت بعض الحوادث نلخصها فيما يأتى : ـ
ظهر فى إندونيسيا فى الآونة الأخيرة دينان جديدان :

الدين الأول (سابنا دهارما) :

ومعناه الالتزامات السبعة وهى الولاء للبانتشاسيلا الإلهية وأن الله سام فى كل شىء وخالد ، ومن عقائد هذا الدين عدم خرق أى قانون للدولة والاشتراك الإيجابى فى صيانة الدولة والأمة ، والاستعداد الدائم لمديد المساعدة للآخرين والقدرة على الاعتماد على النفس ، واليقين بأن الظروف الدنيوية ليست خالدة الصفات وإنما تتعرض دائما للتغيرات .
ولهذا الدين تعاليمه الخاصة بالزواج والوفاة .
وصرح الكابتن سوسميارتو أحد الداعين إلى هذا الدين أنه لا يجب قمع عقائد هذا الدين لما

فى إندونيسا من حرية دينية ، وإذا ارتكب أحد أتباع هذا الدين جرماً فلا يجب اعتبار ذلك الجرم متصلا بمذهبه الدينى ، وإنما يجب اعتباره عملا فرديا خاصا ، وأن عقائد هـذا الدين لا تخرق قوانين إندونيسيا ولا تخل بمبادئ الأخلاق .

وصرح هذا الكاتب بأن عدد أتباع الدين الجديد حتى الآن عشرة آلاف ، وقد طلبوا من الحكومة الموافقة على قانونية قيامه . وقد أعلن رئيس الشئون الدينية فى جنوب سومطرة أن إمكانياته لا تمكنه من الوقوف فى وجه هذا الدين ، مما يدل على سرعة انتشاره .

والدين الثانى : حقيقات :

وقد ظهر هذا الدين فى منطقة سوكابومى بجاوة الغربية وشوهد بعض أتباعه فى مدينة بوجور على بعد نحو ستين كيلومترا من العاصمة الإندونيسية ويوجب هذا الدين على معتنقيه أن يؤدوا فروضهم الدينية فى المسجد فى عرى تام إذا ما أرادوا التقرب إلى الله .

وقد اكتشف أمر هذا الدين الجديد فى ليلة عيد الأضحى من هذا العام (٤ / ٦ / ٦٠) حين نمى إلى قيادة الفرقة الرابعة أن هذا الدين منتشر فى قرية « شبى دوبوم » بمنطقة سوكابومى وأن ثمة جماعة مجتمعة فى مسجد القرية وهم عراة ـ رجالا ونساء ـ وأنهم شوهدوا فى أوضاع مخجلة يزعمون بذلك أنهم يتقربون إلى الله .

وقد أعلن رئيس هذه الجماعة ويدعى « نواوى » نفسه نبياً .

وقد حدث صدام بين أتباع هذا الدين ورجال الجيش حين أوفدت القيادة قوة منها للتحقق مما بلغهم عن هذا الدين فهاجمها أتباعه بالعصى والسكاكين حتى قتل قائد القوة ، وفى اليوم التالى أرسلت القيادة قوة أكبر قوبلت بمقاومة شديدة من أتباع هذا الدين وإن كانت قد تمكنت فى النهاية من تشتيتهم فى الجبال بعد أن قتل منهم ٢٢ شخصا من بينهم نبيهم نواوى ، وقتل خمسة من أعضاء القوة ، كما سلم ثلاثون شخصا من معتنقى هذا الدين أنفسهم للسلطات .

* * *

كذلك ظهرت بالقرب من « باندونج » نحلة من بين المراسم التى يقوم بها أتباعها أعمال تمس الدين الإسلامى كوطء القرآن الكريم بالأقدام ، ويدعى زعيم هذه النحلة الشريرة أنه إله قدير مقدس يشفى المريض ويبرئ الصم والبكم . ولابد أن يتعرض المتقدم لعضوية هذا المذهب لبعض اختبارات قاسية كوضع أسلاك كهربائية محملة بالتيار الكهربائى فى مواضع مختلفة من جسمه ، فإذا تحملها قبلت عضويته . ويؤدى أتباعه مراسمهم مساء كل يوم جمعة وأحد وسط

الصيحات المنفرة ، ثم يتبعون ذلك بشرب الخمر حتى يغيبوا عن وعيهم . وقد انضم لعضويته بضع مئات من أهالى المنطقة ولم يعرف اسم رئيس هذه الطائفة بعد .

وقام طبيب يدعى الدكتور « صالح » فى جاوة الوسطى بالإعلان عن مذهب دينى جديد يزعم أنه تفسير جديد للإسلام مؤداه أن المسلمين طبقتان : طبقة العلماء وطبقة الشعب وأن العبادة مفروضة على الطبقة الأولى فحسب ، أما الشعب فيكفيه أن يقوم بأعماله التى يتعيش منها ، وأن مجرد قيامه بهذه الأعمال عبادة .

وقد هاجم السيد وهيب وهاب وزير الشئون الدينية فى إندونيسيا أحد الأديان الجديدة التى ظهرت تحت اسم « الإسلام الأبيض » وصرح بأن الهولنديين كانوا يعملون على إيجاد مثل هذه المذاهب وأبدى عجبه من سكوت الجمعيات الإسلامية عن مهاجمة مثل هذه المبادئ والحركات الدينية ، وتهكم عليها قائلا : إنها ربما كانت مشغولة عن الدين بالشئون السياسية وأضاف أن من واجب هذه الجمعيات العمل على نشر التعاليم الإسلامية الصحيحة ، وأن على المدعى العام أن يتخذ من الإجراءات مايراه كفيلا بالقضاء على هذه المذاهب ومنع ظهورها مستقبلا .

كما صرح متحدث باسم إدارة الشئون الدينية فى غرب جاوه بأن أكثر من مائة حركة دينية انتشرت خلال عام ١٩٥٩ وأن كثيراً منها يعتبر حركات ضارة يأتى أتباعها بأعمال منافية للنظام العام والآداب ، من ذلك أن أحد زعماء إحدى هذه الحركات تسبب فى وفاة بعض المرضى وإلحاق كثير من الأذى بآخرين بادعائه القدرة على شفاء الأمراض ، وأن بعض هذه الحركات يقتضى القيام بأداء طقوس تتنافى مع الأخلاق ، ويسبب البعض الآخر تشويشا لأفكار العامة .

وذكرت الإدارة أن تحرياتها أثبتت أن هذه الحركات الدينية تنبع من أحد المصادر الآتية : —

(ا) الرغبة فى فرض شىء من النفوذ الشخصى على الأفراد .

(ب) العمل على زيادة الشعور نحو دين معين .

(ج) نشاط بعض الأحزاب السياسية تدفعها مؤثرات خارجية للعمل على نشوء حركات دينية هدامة .

(د) الرغبة فى الحصول على ربح مادى .

وانتهى المتحدث من تصريحه إلى أن الإدارة أرسلت إلى وزارة الشئون الدينية بجاكرتا اقتراحات لمواجهة هذه الحركات الدينية الهدامة لإحالتها إلى مكتب المدعى العام لاتخاذ الوسائل التنفيذية للحد منها . كما أن الجيش اتخذ خطوات هامة فى هذا الشأن .

وصرح الدكتور جواندا الوزير الأول أنه نظراً لما للدين من دور هام فى حياة إندونيسيا فإن كل ماله علاقة بالدين سوف يخضع لعناية الدولة .

هذا وقد تقرر إعادة تنظيم الرقابة على النشاط الدينى حتى تعمل على الحد من انتشار هذه الحركات التى تظهر تحت اسم الدين وتسئ إلى النظام العام وقواعد الأخلاق . والتى تعتقد أن الغرض الأساسى منها هو النيل من الإسلام ومحوه من هذه البلاد - وقد نيطت رئاسة هذه الرقابة إلى مساعد النائب العام « كاداروسمان » ويتكون أعضاؤها من ١٨ عضواً من ممثلى الهيئات المدنية والعسكرية ، وستقوم بإصدار ماتراه من قرارات خاصة بمنع انتشار هذه الحركات وحماية الشعب من أضرارها .

ومن المعلوم أن الحكومة لاتقف ضد انتشار المذاهب والأديان الجديدة إلا إذا صدر عن هذه الحركات ما يخل بالآداب والنظام والأمن ، أو إذا كان فى وجودها خطر على الحكومة وذلك استناداً إلى الفقرة الثانية من المادة التاسعة والعشرين من دستور عام ١٩٤٥ المطبق حاليا والتى تكفل حرية الأديان والعقائد .

الربا الذى نزل فيه القرآن :

يسأل السيد محمد ناجى المهندس عن حكم تحديد الربا وعن الاقتراض من البنوك بفائدة محددة يتقاضاها البنك هل هو من الربا المحرم . ؟ وما حكم اقتراض الدولة شرعا من بنك أو من دولة أخرى بفائدة؟ وماحكم النظام المالى المعروف بالأسهم والسندات والفرق بينهما ؟ .

وقد أجاب فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر عن هذه الأسئلة بما يلى :

لا شك فى أن القرآن عندما حرم على المؤمنين التعامل بالربا حدده بالعرف الذى نزل فيه القرآن ، أى بالدين يكون لرجل على آخر ، فيطالبه به عند حلول أجله فيقول له الآخر : أخر عنى دينك وأزيدك على مالك فيفعلان ذلك (وهو الربا أضعافا مضاعفة) فنهاهم الله عنه فى الإسلام .

وواضح أن هذا الصنيع لا يجرى عادة إلا بين معدم غير واجد ، وموسر يستغل حاجة الناس غير مكترث بشئ من معانى الرحمة التى يبنى الإسلام مجتمعه عليها ، والتى لو عدمت فى المجتمعات لأصبحت كبقية الحيوانات المفترسة . وهذا النوع من الربا لا تقبل إنسانية فاضلة الحكم بإباحته . وقد قابل القرآن الكريم حرمته فى جميع الآيات التى وجد فيها بالصدقة التى تبذل فى مساعدة الفقير المحتاج ، وتشير هذه المقابلة إلى أن تلك الحالة كان جديرا بها أن تجرى فيها الصدقة ،

وهى التبرع المحض ، فإن لم تكن صدقة فلا أكثر من الرد بالمثل ، ومن النظرة إلى الميسرة : « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » « لا تظلمون ولا تظلمون ، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » أما الزيادة والمضاعفة فيها فهما ظلم وعدوان ، وهما من موجبات المقت والغضب عند الله : « واتقوا النار التى أعدت للكافرين » .

والفقهاء تمشياً مع توسيع نطاق التراحم والبعد عما يفتح على الناس باب التزاحم المادى فى الضغط على أرباب الحاجات ، توسعوا كثيراً فيما يتناوله الربا ، وكان لهم فى ذلك مشارب مختلفة وآراء متعددة ، ورأى كثير منهم أن الحرمة فيما يحرمون تتناول المتعاقدين معا المقرض والمقترض ، وإنى أعتقد أن ضرورة المقترض وحاجته مما يرفع عنه إثم ذلك التعامل لأنه مضطر ؛ أو فى حكم المضطر ، والله يقول : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » .

وقد صرح بذلك بعض الفقهاء فقالوا : يجوز للمحتاج الاستقراض بالربح .

وإذا كان للأفراد ضرورة وحاجة تبيح لهم هذه المعاملة ، وكان تقديرها مما يرجع إليهم وحدهم وهم مؤمنون بصيرون بدينهم فإن للأمة أيضا ضرورة أو حاجة ، كثيرا ما تدعو إلى الاقتراض بالربح ، فالمزارعون كما نعلم ، تشتد حاجتهم فى زراعتهم وإنتاجهم إلى ما يهيئون به الأرض للزراعة ، والحكومة ، كما نعلم ، تشتد حاجتها إلى مصالح الأمة العامة ، وإلى ما تعد به العدة لمكافحة الأعداء المغيرين ، والتجار تشتد حاجتهم إلى ما يستوردون به البضائع التى تحتاجها الأمة وتعمر بها الأسواق . ونرى مثل ذلك فى المصانع والمنشئات التى لا غنى لمجموع الأمة عنها والتى يتسع بها ميدان العمل فتخفف عن كاهل الأمة وطأة العمال العاطلين . ولا ريب أن الإسلام الذى يبنى أحكامه على قاعدة اليسر ورفع الضرر والعمل على العزة والتقدم وعلاج التعطل ، يعطى للأمة فى شخص هيئاتها وأفرادها هذا الحق ، ويبيح لها — ما دامت مواردها فى قلة — أن تقترض بالربح ؛ تحقيقاً لتلك المصالح التى بها قيام الأمة وحفظ كيانها .

تقدير الحاجة :

غير أنى أرى أن يكون تقدير الحاجة والمصلحة مما يؤخذ عن (أولى الرأى) من المؤمنين القانونيين والاقتصاديين والشرعيين ويكون ذلك فى ناحيتين: ناحية تقدير الحاجة، وناحية تقدير الأرباح ، واختيار مصادر القروض ، فلا يكون قرض إلا حيث تكون الحاجة الحقيقية ، ولا يكون قرض إلا بالقدر المحتاج إليه ، ولدفع الضرورة والحاجة ،

ولا يكون قرض إلا من جهة تضمر استغلالنا واستعمارنا ولو أن الأمم الإسلامية تكاتفت على وضع أساس اقتصادى يحقق مصالحها ، ويقيها شر التحكم الأجنبى لوجد من مبادئ الإسلام الاقتصادية ما يجعلهم فى مقدمة الأمم اقتصادا وقوة وحضارة .

أما الفرق بين الأسهم والسندات فهو أن الأسهم من الشركات التى أباحها الإسلام باسم المضاربة ، وهى التى تتبع الأسهم فيها ربح الشركة وخسارتها ، وأما السندات ، وهى القرض بفائدة معينة لا تتبع الربح والخسارة ، فإن الإسلام لا يبيحها إلا حيث دعت إليها الضرورة الواضحة التى تفوق أضرار السندات التى يعرفها الناس ويقررها الاقتصاديون .

محمود شلتوت

معركة بيت المقدس :

اطلعت على المقال الممتع الذى كتبه الدكتور أحمد بدوى عن (معركة بيت المقدس وأثرها فى الأدب) وذلك فى عددى الربيعين من عام ١٣٨٠ هـ فكان لذلك أثره العميق فى نفسى إذ وصلنى من جديد بماضى الجهاد العظيم الذى ينهض به بطل الإسلام أبو المظفر صلاح الدين الأيوبى رضى الله عنه وأرضاه ، وجزاه عن أمة محمد حتى تقوم الساعة خير ما يجزى عبقرى وقف مواهبه على صيانة دينه واستنقاذ مقدساته .

على أن المقال قد أثار فى صدرى لاعجاً من الأسى ، إذ ذكرنى بمالم أنسه بعد من تهجم منكر قام به مدرس للأدب فى ثانوية رسمية من الإقليم الشمالى على اسم صلاح الدين ..

وما أحسبنى إلا معذوراً إذا أنا . أسيت لمثل هذا التناقض العجيب يقع بين ما قرأناه فى مقال الدكتور بدوى عن عظمة صلاح الدين ، وما « نطقه » هـذا الأستاذ من الإزراء بمقام صلاح الدين ...

ولعل مما يثير الدهشة أن حديث هذا التهجم قد ملأ أسماع المثقفين والمدرسين ، حتى إن موظفاً غير صغير قد فاتحنى بأنه تلقى خبره وهو فى دمشق .

ولقد رأيت من واجبى الأدبى والشعبى أن ألفت نظر المسئولين إلى الموضوع رجاء أن يوضع حد لمثل هذه الشعوبية السامة ، يحصن طلابنا المساكين من شرورها ، ويصون لمقدساتنا القومية الشامخة مكانتها فى تلك القلوب الغضة .

وها أنذا أضع قضية هذا التهجم المنكر بين يدى هيئة الأزهر ، وشيخها الأكبر ، ومجلتها الموقرة ملتمساً نشر هذه الكلمة ليطلع عليها الرأى العام بعد الرأى الرسمى .

أبو هـانى

مدرس للأدب العربى

اللاذقية ـــ الإقليم الشمالى

أنباء الثقافة

• يوجه فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر الدعوة إلى علماء المسلمين وأهل الرأى فيهم لعقد مؤتمر إسلامى عام فى القاهرة فى شهر يوليو من سنة ١٩٦١ .

وتشترك وزارة الأوقاف فى تنظيم المؤتمر والدعوة له .

• تطبع قريباً « آيات الدعاء فى القرآن » وهى تجريد الآيات القرآنية الكريمة الواردة فى الدعاء . والتوجه إلى الله . وقد قام بتجريدها فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر . ويطبع منها عدد كبير يوزع على الهيئات فى البلاد الإسلامية والعربية والإفريقية .

• وضع مشروع لإنشاء دار جديدة للكتب الإسلامية والعربية على أن تكون أضخم دار فى البلاد العربية كلها .

• قبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود

(بقية المنشور على صفحة ٥٢١)

« الله والشرق » التى يتحدث فيها عن ملهاة الاستعمار ومحاولته صرف الناس عن قضيتهم ببعض المظاهر الخادعة ، والشاعر يبدأ القصيدة بالاستغاثة بالله من إطباق الدجى :

ربَّاه ضاع السر من يديّا
وأطبق الليل على عينيا
ولم أجد فوق الحياة شيّا
يطفى العذاب الهادر الخفيّا
إلا ندائى فى الدجى يارب

وقد تعجب حينما تراه يعقب ذلك بمزج هذا الجو الصارخ من ظلم الحياة بحديث الأنغام والرحيق والأكواب والشراب فيقول :

طرقت بالأنغام كل باب
وطفت بالرحيق والأكواب
ولم أدع أفقا بلا شراب
وعدت لا أحمل فى عيابى
غير الأسى يسقى الأسى فى قلبى

وبعد : فهذا ديوان « نار وأصفاد » للشاعر الكبير الأستاذ محمود حسن إسماعيل جاء يؤكد من جديد رسالة الشعر ويحفظ له مكانته .

محمد ابراهيم الجيوشى

شلتوت رئاسة الشرف للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى أنشأته وزارة الأوقاف .

وقد استقبل فضيلته السيد أحمد عبد الله طعيمة وزير الأوقاف وبعض كبار رجال الوزارة لوضع الأسس التى يقوم عليها عمل المجلس . وأصدر السيد الوزير قرارا بتعيين أمين عام للمجلس يعاونه سكرتير عام وسكرتير مساعد .

* يتقدم بعض رجال التعليم الذين عملوا فى الباكستان بمذكرة إلى الجهات المختصة فى شأن توثيق العلاقات الثقافية بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة .

ومن المقترحات فى هذا الشأن إنشاء مراكز إسلامية وثقافية فى كل من كراتشى ولاهور ودكان ، واختيار نحو خمسين من مدرسى اللغة العربية للإشراف على تدريسها فى مدارس الباكستان . واختيار عدد آخر من العلماء لشرح أصول الدين لأهل البلاد ، واستقدام النابهين من أبناء باكستان لإتمام دراستهم فى الأزهر وجامعات الجمهورية العربية المتحدة .

* يعمل المجلس الأعلى للفنون والآداب على تحقيق ونشر مجموعة من الكتب التاريخية القديمة منها : ارتياح الخواطر فى معرفة الأواخر ، بلوغ المنى فى تراجم أهل الغنى ، ذيل سلك الدرر ، عنوان الزمان فى تاريخ الشيوخ والأقران ، معادن الذهب فى الأعيان المشرفة بهم حلب ، إعلام الورى بمن ولى نائبا عن الأتراك بدمشق الكبرى ، تاريخ أعيان حلب ، نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر .

* فى الأسبوع الأول من شهر أكتوبر الماضى احتفلت الأوساط الثقافية فى العالم بذكرى مرور ٩١ سنة على ميلاد غاندى .

* يصدر الاتحاد السوفيتى دائرة معارف عالمية لمناسبة مرور ٢٥ سنة على وفاة مكسيم جوركى . يشترك فيها كبار الأدباء والسياسيين فى العالم والجمهورية العربية المتحدة .

* أرسل أربعة عشر طالبا من تايلاند إلى مشيخة الجامع الأزهر يطلبون إلحاقهم بكليات الأزهر ومعاهده . وقد أمر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر بقبول طلباتهم .

* يعقد بالقاهرة فى يناير القادم المؤتمر الدولى الثانى للدراسات الجغرافية فى إفريقيا وآسيا .

* يقام فى شهر مارس المقبل بالقاهرة مهرجان

يستمر أسبوعا لمناسبة مرور مائة سنة على إنشاء المجمع العلمى المصرى . وتشترك فى المهرجان الهيئات العربية العلمية والأدبية ويدعى إليه ممثلون لأكاديميات العلوم فى شتى أنحاء العالم . ويناقش فى المهرجان مائة وعشرون بحثا يعدها العلماء المختصون .

• يفتتح فى شهر يناير القادم فى إندونيسيا مركز ثقافى عربى يقوم على نشر هذه الثقافة فى إندونيسيا والبلاد الأخرى الغير العربية التى يدين أهلها بالإسلام وترغب التوسع فى دراسة الثقافة العربية . وتقع معظم هذه البلاد فى جنوب شرق آسيا .

ويقوم المركز بإنشاء وحدة ثقافية متنقلة بين بلاد إندونيسيا للاتصال بأكبر عدد ممكن من السكان .

• يوجد فى المملكة المغربية ٦٨ مدرسة لليهود تملكها الطائفة الإسرائيلية تضم حوالى ٣٢ ألف طالب ويشرف على تعليمهم ٤٧٠ مدرساً يهوديا .

وقد قررت حكومة المغرب إلغاء هذه المدارس تدريجا وإدماجها فى المدارس الوطنية . على أن تبدأ فوراً فى تدريس اللغة العربية لغة أساسية .

• عقد فى موسكو فى شهر أغسطس الماضى مؤتمر المستشرقين الخامس والعشرين واشترك فيه ممثلون وعلماء من الجمهورية العربية المتحدة والمغرب ولبنان والعراق والجامعة العربية وأعضاء أوربيون كثيرون من المستشرقين .

وعندما اقترح وفد الجمهورية العربية المتحدة عقد الدورة القادمة فى الإقليم المصرى وقف ممثلو العراق وأعلنوا أن العرب كلهم أمة واحدة . وأن عقد الدورة القادمة يستوى عندهم أن تعقد فى دمشق أو القاهرة أو بيروت لأنها كلها عواصم للأمة العربية وأيدهم فى ذلك ممثلو المغرب ولبنان .

وقد قررت هيئة المؤتمر طبع البحث الذى أعده الأستاذ أمين الخولى وألقى خلاصته فى الدورة عن : « صلات بين النيل والفولجا » ونشرت جريدة برافدا الروسية بحثاً طويلا عنه .

وقد تقرر أن تعقد دورة المؤتمر القادمة فى مدينة دلهى بالهند .

الفهرس

The minarets should be eniligh-tened, and the Qur'an should be read every where.

The Fatimid government took the necessary steps to keep discipl-ine and to avoid disturbance.

For this reason the Wali and his assistants stood at the top of the crowded streets to prevent the people from rioting and brawling.

The Moslems during the Ayubid, and Mameluke periods sticked to celebrate this day.

Till now the Moslems in Egypt consider it as a day off, and the government work becomes suspended.

People congratulate one another upon Mohamed birthday, and invoke a blessing on one another.

Palaces, Mosques, streets, are all enlightened on that night, and nearly all the shops are Packed with sweets, sweet dolls, and horsemen for the children.

Benevolent, and philanthropic deeds are widely spread in the course of this day.

The rich spend from their afflu-ence, and wealth on the poor, and the strong show their mercy to the weak, and the old cite the nobe ends, and honourable intentions of the prophet to the young.

In these last aspects appears the quintessence of this glorious memory.

donors grasp this opportunity to show their generosity.

The first of Ramadan, the Persian new year's day, and the memory of birth day of the prophet, and the memory of the bithday of the caliphate were anniversary official feasts during that period held in high respect

The first prince who celebrated Mohamed's birthday.

The prince Abu Said Mozafar Eldin Elerbely died 630 Higra was the first caliphate who celebrated that day throughout the Islamic orient. Many people from Baghdad, Mosel, Nassibine, and Persia associated with him for this purpose.

Many of them dropped at "Irbel" from the beginning of Moharam and remained till the end of the feast.

This prince set up numerous sects for the singers, musicians, and the people passed across them to join the rejoicings.

Moreover he spread many tables provided with different sorts of food for the people.

Instantly the prince comes with his royal procession riding his horse and handling candles, then he returns to his palace where a gerat festival is set on the occasion of this day.

Orators begin to narrate the "Sirah" of Mohawed and the story of "Mirag".

In Egypt the Fatimids paid much attention to religious feasts amongst which the memory of Mohamed's birthday, the memory of the day of Higra, the memory of Ali birthday, and his sons El Hassan and El Hossayn the memory of the birthday of Fatma Elzahraa, the first day of Ragab, and Shaaban, and the middle of Ragab and Shaaban.

The Fatimids insisted on giving Mohamed's birthday what it is due to its glory and religious importance.

They were accustomed to set dining tables and distrilbute thousands of loaves and "dinars" on their subjects.

Numerous tons of sugar were prepared to make many sorts of sweets which were distributed on the judges, readers, orators, and the employees of the mosques.

The ways leading to the caliphate's palace or Azhar mosque should be swept and sprinkled with water.

he was inspired with. He gathered his relatives and asked them whether he was once a liar. They replied to him that he was never this creature.

Then he informed them that he is the God's messenger to them especially, and to all people generally, but his message fell on deaf ears. On the contrary they insulted him invoked evil upon him, left no stone unturned to torment him. and put him to extreme pain.

Thirteen years of suffering.

Mohamed spent about thirteen years suffering this tremendous torture, hearing all sorts of bad names. His opponents accused him of being a quack, or a wizard or an outstanding liar.

They all launched an attack and opened hostilities against him, but in the end he was able to overwhelm all these obstacles, entered Medina, and spread Islam everywhere.

But this is not the time to demonstrate this glorious stiefe of our prophet. To sum up he was able to surrender all the Arab tribes to Islam, planted amity and fiendly relations, among the hearts of the Arab tribes. He abolished vengeance, and fanaticism, and bigotry.

He was capable to establish a central respective government. Owing to Islam the pre-Islamic morals were changed, and virtue found its way to the hearts of people.

No wonder, therefore, that the Moslems celebrate Mohamed's birthday. But it is a matter of fact that the Moslems did not congregate on that day during the life of Mohamed.

No word is uttered in "Hadith" concerning this habit, and no official ceremoniy was made on this occasion at the beginning of Islam.

Many pious people considered the ceremonies and festivals a sort of novelity in Islam, but on the other side other people devoted to Godliness and righteousness found it necessary to celebrate that day to recollect it along the days.

Kargy who was one of the ascetic people offered his life to religious devotion during the fourth century of Higra was accustomed to break his fast only in the Lesser Bariam, the greater, or corban Bairam, and Mohamed's birthday.

Since that time the moslems celebrated that day.

The Abassids spare no effort to attract the attention of their peoples. They distributed gifts, offers, alms, and charities amongst the poor. The

These people were known as Honafaa. The word is derived from the word "Hanif" which was the religion of the prophet Ibrahim.

Across these environments wrapped up in the darkness of idolism God sent Mohamed with God's message to the world to teach the people the immortal fact that there is no God except our single God, who knows alone what is hidden in the hearts of the people, the meaning ot every sight, and God deals with everybody by his own coin, whether it is good or evil.

The birth of light:

The Prophet Mohamed received the light of life on the 12th of Rabie El Awal as it is stated in the majority of the Arabic references.

Mohamed's father died before Mohamed's birth. He gave his infant to a bedouin nurse whose name was Halima to suckle him as it was the dominated habit among the noblemen of koraish tribe.

The baby grew up in the bedouin sphere and was able to master the Arabic language in a short space of time.

His mother died when he was si years old, and Mohamed was accustomed to go out with his foster brothers to graze goats and sheep.

For this reason his heart became filled with mercy, kindness, and bounteous qualities.

Mohamed, worked after that as a merchant, made for Yemen and Syria several times. Consequently he widened his talents, deepened his experience, and became aware of the ways of treetment and the characters of people.

Moreover he was utterly versed in the various styles of buying and purchasing. He was known by his truth, fidelity which was his slogan from the very begining of his life.

He became celebrated amongst his tribe for his modesty, patience, clemency, long suffering, and generousity.

Mohamed loathed the worship of idols, and hated all sorts of wine, and declined earnestly to eat what was slaughtered on the signposts.

He refused to attend the assembly of follies, and evils, preferred solititude, and praying. When he reached the age of forty God communicated the secret to him, God inspired him with the new religion on the 17th of Ramadan, the month of fasting.

A message to an illiterate prophet.

Notwithstanding Mohamed was illiterate, and did not attend any school, he was able to read what

THE BIRTHDAY OF MOHAMED THROUGH HISTORY

BY

Dr. Gamal Addin Arramadi

On the twelfth of last Rabie El Awal festivals were held on the celebration of the memory of the prophet Mohamed's brithday. This induce us to speak about this glorious day through history.

In fact the brith of Mohamed was the exordium of a new life and the preface of blessed days in the history of the Arabs and Islam.

Fortunately for Islam that this happy event occured in the elePhant year through which Abraha Al Ashram the representative of Nagashy on Yemen was overcome and expelled from kaaba,. Therefore Mecca was saved from the tremendous peril of Abyssinia.

For this reason the elephant year was a nice begining for a new century, generally in the history of the Arabs and especially in the history of Koraish tribe.

Religions before Islam :

Idolism before the brith of the prophet spread throughout the Peninsuala. The idolists were accustomed to offer sacrifices to thier gods and to walk Collectively around their temples.

The Jewish religion spread throughout Yemen, Alkira Vally, Yathreb, Knayber, and Taymae.

Christianity spread amongst the tribes of Taghleb, Hassan, and kodaa, in the north, and in Yemen in the south.

Persian religions were well known in Yemen, Haran, and the north of Iraq.

Among the Arabs there were enlightened people who perceive the corruption of the religious conditions, and attempted to rescue themselves from idolism to some high beliefs.

Some of them disdained the worship of idols and were convinced of a single God, and the day of judgement. They came to the conclusion that God will award everybody on his deeds whether they are good or evil.

We deceive ourselves if we depend on the mind or on actuality alone.

Actually, belief in God is a necessity for the existence and nature of man. It is man's inclination to obey that is, by nature he chooses to follow or separate. He only obeys the one whom he considers superior in authority, in wisdom, etc. Once he surpasses the one he believed superior in certain qualities, or discovers some defect in him, he ceases his opedience towards him. Man is man, however, he will never surpass ultimately, nor will the belief of surpass last in him.

Therefore, continuous obedience should be to an ever-surpassing being. It is God alone who is the ultimate surpasser throughout the universe.

Thus, belief in God is dictated by the nature of man. As 'belief in God is dictated by the nature of man, its value is manifested in the fact that belief in God is the basis of the belief in the message, transmitted by the messenger. The message of the messenger is nothing but laying out the straight road which, if followed by man, will lead to perfect individuals and to society. The planning of the straight road is the revelation of thd ultimate superior being, above human partiality to one race or another, beyond all needs and changeability. God is the ultimate, self-sufficient, superior being.

If man believes in this message, the message of the straight road, he himself will benefit, and will benefit others in his society. The happiness of man is achieved when he is satisfied and has gained tranquility. He cannot attain this tranquility unless he realizes his position and that of his fellow men, and cooperates with them as a brother, working for peace and the good.

There is no fear that blief in God, which is for the good of all nations, may lead to fanaticism. Fanaticism bears the connotation of aggression, but the power of belief is manifested in understanding life and tolerance in dealing with people. Fanaictism is a sign of partiality, but tolerance is not a sign of leniency in belief, but a sign of good interaction and discipline

Thie is the ultimate goal of religion and message of Islam.

and actuality just like the doctrine of transfering of beliefs from the circle of God to that of the mind.

This means confining belief to the mind alone, or to senses and actuality alone, is most harmful since it is based on exaggeration and deception. Their argument is not, as some thinkers tried to put it, to picture belief in God as harmful to man.

The other group, that sees no necessity for belief in God in the life of man, states that so long as there is a conscience in man to guide him towards the good, there is no need for belief in God. They contend that for people the ultimate value of believing in God is to persuade man to do good and avoid evil.

This point may sound convincing, but in fact it reveals some deception. One may ask. "Is there a conscience in every person to lead him toward the good ?" If the answer is in the negative, he will ask again: "What is the source of the formation of conscience in man if it is not naturally implanted in him? "

Is philosophy the source of the formation of conscience? And which philosophy is it ? Who is the philosopher, or the father of this philosophy?.

Is he a human being stripped from the ever-changing conditions of man and from the effects of environment and heredity?.

Does he not fall sick, or become unfit? Does he not worry and feel restless? Is he never angry or emotionally upset? Is his life so monotonous that he dose not sometimes feel enjoyment of life and at some other times sadness ?.

Whers is this philosopher? Among what nation is he to be found? To what society does he belong? Does he belong to the white or to the black race ?.

If this philosopher is not above human emotions, his philosophy will not suffice as foundation to bring forth the conscience in man, pure and inclined to do good towards all people.

Up to this moment, we do not know where to find this philosopher. Consequently, the source of the formation of conscience in man must be a general source for all people, regardless of colour and race.This source is nothing else but the message of God, for God is the Creator of all people and He is the organizer of the universe He is merciful to men.

So there is no other way but to believe in God if we acknowledge the necessity of conscience in man as a motivator towards doing good.

capability by assigning to it a creative function in the life of man.

However, this doctrine did not escape criticism. The human mind, even if freed of all subjectivity in judgement, planning and guidance, is influenced by ever changing circumstances of man. Man feels secure at one time and worries at another, he is healthy today and sick tomorrow, happy now and unhappy the next moment an ever-changing, unstable creature. Thus man's thinking, the function of his mind, cannot be taken as foundation for a code of laws for a nation, not to speak of humanity in general.

In the light of this objection to the value of the mind and its suffiiciency in guidance some thinkers, later on, advocated the transfer of belief from the scope of God and the mind of man to the circle of senses and actuality. Their justification was deriven from the claim that religion as the source of belief in God is but a source of deception for man, because man may understand religion from the behaviour of the people of that certain religious organization, who monopolized its interpretation together with the authority in guidance. They also justified their doctrine by asserting that, if the mind was independent from senses and actuality, it would be as deceiving as opium. The mind very often goes astray and very often imagines. Therefore, their circle of belief centered around senses and actuality.

They saw that actuality was everything in man's life: actuality dictates and man has to obey. What is understood by actuality is the law of life and man is part of nature, influenced by the laws of life.

Again, this doctrine like the preceding one, raised criticism, which was probably even stronger and clearer. The criticism goes that if the nature of senses and actuality is to dictate, man is made up of senses and actuality; consequently he also dictates, When man is being dictated, he himself dictates someone else: thus he is acting by means of senses and actuality and not amerely reacting. This means that he gives and takes, directs and is directed influences and is influenced. He is not just a receiver, always influenced by others.

This means also that man has positiveness as well as actuality. The doctrine of transferring belief from the circle of God and that of the mind to the circle of God and that of the mind to the circle of senses and actuality is based on exaggeration, being deceived by senses

BELIEF IN GOD

by

Dr. Muhammad El Bahay
Director General of The Islamic Culture Administration

People have always discussed belief in God and have differed in their opinions.

Their discussion of belief in God, its value, and their different ideas on this subject are not today's topic, nor that of the recent or far past. There are repeated discussions, which will be repeated so long as man is man, ever changing in his way of thinking, and what he believes today to be sound and logical will tomorrow be uncovered as false imaginations.

Some people see harm in believing in God, some consider belief unnecessary for life, while others regard it as a necessity for the good of the individual and the happiness of society.

Those who see harm in believing in God do not actually mean to abolish belief from the life of man but to transfer it from the circle of God to some other circle. The reason for this is to monopolize authority in guidance and leadership, or at least to free themselves from so-called subordination and trusteeship.

It is known that in Europe a certain religious organization monopolized belief in God and in doing so assumed authority to know religion and direct people, in their thoughts as well as conduct.

This situation stirred up some thinkers, and later on some politicians, who denied this organization authority for monopoly over religion and consequently over people. They called for freedom from monopolized religious guidance exerted by the authority of that organization. At this point some thinkers even called for the transfer of belief in God to belief in the human mind, believing in the capability of the mind and its independence in guidance without having to rely on any outside authority such as the authority exercised by this religious organization. But this doctrine of belief in the capability of the mind exaggerated its

original message they all refered to the Islamic prophecy, that is, to its regulations and principles.

Mohammed, being the seal of all prophets, is acceptable to a Muslim through his faith, and furthermore, because it is a scientific fact which he can perceive through his reason and can witness its evidence in past ages as well as in his own age; in doing so he is obeying the orders of his religion.

It may be a pleasure to many in modern times, proud of their achievements in science and their inventions, to say : " We are living in the age of science. It is the age of Signs of Nature."

Let them say as they please. Let them say it again and again in challenge to all prophecies; but not in challenge to the prophecy that sealed all prophecies, the prophecy that, 14 centuries ago, stated what they are saying now. The one that showed them that they are to live guided by their own insight, and by what they witness of these Signs of Guidance in nature, by secrets of creation and visual proofs. Every miracle of science to-day is but a part of the miracles of the religion Mohammed conveyed to us:

"And thou wilt see and they will see."

Such Calls began and ended before the development of the general priciple of humanity and the principle of Man being responsible for the honesty of reason and conscience.

The prophecies of the Sons of Israel are still confined to one human descent, isolated by its past and present from other nations.

Jesus christ made a wide shift when he accepted his spiritual sons of Abraham as his physical sons. He conveyed his Message, but left Man after him badly in need of a message to help him to be self - dependant in trying to escape his own errors and to redeem his bad deeds and be responsible for his own goodness.

The role of the prophecy in the history of humanity will not end unless it succeeds in planting a general meaning of humanity in the souls of human beings.

Prophecies will not be sealed unless Man can be addressed mentally and is accordingly responsible within this scope, and unless Man participates being on the same footing with his fellow men — in worshipping One God, the Lord of the whole universe.

He is not the God who bestows his blessing on one descent in return of naught of their own making.

When the Islamic Prophecy came, it was mentally accepted as a seal of all other prophecies as it is present in all times with the sound-minded responsible Man.

" Do! in the creation of the heavens and the earth, and the difference of night and day, and the ships which run upon the sea with that which is of use to man, and the water which Allah sendeth down from the sky, thereby reviving the earth after its death, and dispersing all kinds of beasts therein, and (*in*) the ordinance of the winds, and the clouds obedient between heaven and earth: are signs for people who have sense."

Again we say, the sealing of prophecies has been accepted by reason after the Mohammedan Call. It can be added that it is acceptable if judged by reality and history. The human world which experienced so many sucessive prophecies before Mohammed, did not experience one sound prophecy after him.

Those who came after Mohammed were but imposters with no followers either in their life or after their death. No one of them had an

Iknowledge of the Unseen, I should have abundance of wealth, and adversity would not touch me. I am but a warner, and a bearer of good tidings unto folk who believe."

True. There is neither temptation nor bargaining for a sacrifice or penalty and reward in give and take :

" Say : I say not unto you I possess the treasures of Allah, nor that I have knowledge of the Unseen ; and I say not unto you : Lo ! I am an angel. I follow only that which is inspired in me. Say : Are the blind man and the seen equal ? Will ye not then take thought ? "

The opportunity came to rumour a miracle of the prophet when the sun eclipsed on the death of his son Abraham ; the people thought it had eclipsed for his death ; but the True prophet would not admit it and said : " The sun and the moon are two Signs of God. They never eclipse on the death or the birth of any one. "

Men of understanding are apt to believe this prophet when he tells them : " The miracle is no avail to those who do not benefit from their mind and conscience :

" And even if We opened unto them a Gate of Heaven and they kept mounting through it. They would say : Our sight is wrong — nay, but we are folk bewitched. "

So if the Prophet came with this Message, which leaves Man to a "human characteristic" and provides evidence through what he sees for himself, and what is not absent to mind and thoughts, where to does this Message end ? and, what is felt for the next message that might come to abolish and succeed Mohammed's Message ?

The only thing left for a new message to do is to abolish the reason or take it back again to early centuries. Such a call is not needed by those sound-minded believers who have been already guided. Those who are not sound-minded are actually in need of a teacher to uncover to them what they could not see of the guidance involved in prophecy, rather than a new prophet to repeat what was established before him.

The Islamic prophecy was preceded by many of the great Calls which had great bearing in the history of faith. If those Calls were given to a historian who studies the developments of history — whatever his religious belief is — he could not possibly seal prophecies in the history of humanity with one of them, despite its eminence and bearing on its succeeding ages. This is because

consider sealing of the prophecies a queer thing, actually do so to a fact which believers in prophecies accept either through understanding and contemplating, or accept it conventionally as something which does not need rationalization. All those who believed in the prophecies of the Bible, also believed in the sealing of prophecies. Some of those sealed religions calls altogether by the religion of one particular descent *(descendants of Abraham)* who was the only descent to receive His Revelation. That was what they believed in the past and what they still believe in at present.

The Muslim's belief in the seal of the prophecies does not involve any queerness either in acceptance or in contemplation. To the Muslim, the prophecy which sealed all prophecies is an everlasting call as it makes Faith a mental conception and establishes it on the basis of the belief in One God, the Lord of the whole universe.

Nations, before the Mohammedan Call, took the prophecy as a means of prediction and uncovering of secrets, by which they could restore what was lost or stolen and to tell of omens of good and evil.

Among the nations were those who took prophecy as a mediation between the worshipped and the worshipper to plead and offer sacrifices.

They asked for the mediation the prophets in order to prevent catastrophes which they deserved or which inevitably befell them.

The Islamic Prophecy came along with an everlasting new thing that had no equivalent in the Calls of the past. It needs nothing new or innovated as it addresses the soul and the responsible conscience in Man, to which neither begging nor redemption is of any avail.

It is a prophecy of understanding and guidance, not a prophecy of prediction and astrology. A prophecy of guidance through contemplation, scrutiny and thinking, not a prophecy of supernatural elements and catastrophes which frighten both sight and insight and plants fear and dread in the conscience when it fails to attain acceptance through persuasion. It is a prophecy that bears good tidings as well as warnings, having no power to benefit or to hurt, it does nothing for the people other than what they do themselves through their own free will, guided by their mind and sound conscience :

" Say : For myself I have no power to benefit, nor power to hurt, save that which Allah willeth. Had

THE SEAL OF THE PROPHETS

BY

Abbas Mahmoud El Akkad

Mohammed is the Messenger of Allah and the Seal of the Prophets.

It is a belief the Muslim accepts in the way he accepts the doctrines of the religion; furthermore, he understands it as he understands scientific facts and logical proposition; because, as long as he perceives Prophecy with its defined characteristics in Islam, he will certainly know that it is a prophecy which seals all prophecies and paves the way in the human history for the message of sound reason, conscience and inspiration.

Sealing of the prophecies is a Mohammedan characteristic, but it is not solely confined to Mohammed, Peace be upon him. This characteristic, being necessitated by the history of all nations, includes every believer and every one who accepts the call; it is not something confined to Mohammed either during his life or after his death.

It is something that a Muslim perceives without trouble, but, despite its vividness in the eyes of the believers, it is taken as something queer by others, pious people and non-believers all the same. Some misunderstand it, and some are rather impertinant and assume that it is an act of selfishness on the part of Mohammed by which he denies others the right to convey their prophecies, in the way a king denies others the right to come to power and confines it to his own folk or those he chooses.

It is needless to argue with those non-believers about this particular case of sealing of prophecies, apart from other various and different cases relating to religious prophecies, as they do not believe in prophecy itself from first to last. They never admit its necessity or utility in all times. To them there is no difference between the time in which People respond to the call, or the time in which they do not; both are times wasted in listening to a thing where it is unbecoming to listen.

But those pious people who

the Hijria, the Prophet joined the Highest Companion. Before his death he had suffered a severe fever for two weeks during which he never ceased to mention God's name and abide to His religious instructions. To be absent from the mosque when Bilal called for prayer was more painful for him than his sickness. On the last day of his sickness, when his body felt light, he wrapped his head. and with great effort leaning on his two cousins, Ali and Al Fadl, left the house of aisha for the mosque. Upon seeing the sick Prophet the people were startled with joy and cleared the way for him. So he stepped inside and sat to the left of Abi-Bakr where he performed his prayers after Abi-Bakr. Finishing his prayers the Prophet ascended the tribune, and knowing that his severe sickness had given some hypocritss the chance for infidelity towards Islam, for the Osud in Yemen, Musaylama in Yamama and Tulayha in Bani -Asad had encouraged their people to rebel against Islam, he thanked God and addressed the people saying: " You people, the fire has spread and hypocracy overshadowed like the darkest. I shall not allow except what Qu'ran has allowed, and shall not forbid except what Qu'ran has forbidden. A slave of God was given the liberty to choose between the world and what God had, and he chose what God had."

Then he stopped. faithful His friend realized that the Prophet meant himself and he burst into tears. When leaving the Prophet prayed for Osama-Ibn-Zay and instructed him to prepare his army to defeat the Romans.* The Prophet returned to his house with a relapse from which he did not recover. Seeds of disunity were sown in the land of Saqifa. The book of God was the only thing left to guide the people, to bring back the ones gone astray and to straighten the road.

This is the month of Rabi Al-Awal, and these are its three parts, the events of which have been summarized as the history of the Prophet· Its times recorded in the various stages of the message. These formed the frame for the holy picture drawn by the hand of the Creator as a beauty for history, or a shade for the divine lamp lit by the holy olive tree, neither Eastern nor Western, whose oil would light without being touched by fire.

In memory of all these events that took place during the month of Rabi Al-Awal in general and on Monday in particular, we should celebrate this month and this day. This is why Monday is the popular day for charity and fasting.

---

* *The Romans, at that time, occupied a part of Arabia.*

and strong personality the plant bore fruit, the light became bright, people united in one belief, the area extended; therefore, Medina became a world, the minority a majority and the three villages, Mecca, Tayef and Yathrib, became three continents, namely Asia, Africa and Europe. Islam, which started with Khadiga, Ali, Abi Bakr and Zeid, became the people's religion, the earth's world, called for at the extreme West, on the shores of the Atlantic Ocean, by Oqba-Ibn-Nafi, who drove his horse to the water saying: " O God, Lord of Muhammad, had it not been for this sea, I would have conquered the whole world to raise Your Word. " God be my witness. At the extreme East, Qutayba El Bahily decided to penetrate China and a fellow of his warned him saying: "You have penetrated Turkey, oh Qutayba, events are between the wings of days, come and go." Qutayba answered · " Being sure of God's victory I penetrated, if one loses the chance, the equipment will be useless. " The friend answered: " Go your way as you please, no one can break this determination except God. "

The blessed migration from Mecca to Medina was the separating Line between Islam and the pre-Islamic era, monotheism and idolatory, nationalism and tribal fanaticism, humanity and beastness and between a long dark night and a bright morning promising security, peace and guidance.

After that the Messenger could, thanks to God, with wisdom and power prevent the unbelievers from doing evil and bring up the Moslems by means of preaching and being himself example. He debated with the disbelievers, using the Logic of Qu'ran the opponents he fought with the sword, until God's victory was obtained, and he saw multitudes of people entering into God,s religion; he rejoiced and thanked his Lord, and he was sure of the fate of his message and his people. He worked on the codification of the Laws showing the people the road which will give them assurance of Leading to their ultimate goal. Before ten years had elapsed since the migration, God's Religion and His grace had been completed and the Qu'ran had been completely revealed while the Arabs were ready to take over the reign of the earth. Muhammad then performed his Last pilgrimage and delivered the welfare speech at Arafa, in which he asked God to be his witness that he had conveyed the message and accomplished the task. On that day was revealed to him: " Today I completed your religion, gave you all My blessing and chose for you Islam as Religion." Then the Prophet knew that God was calling him to rest at His side.

On Monday, the 12th of Rabi Al Awal of the eleventh year after

world, using force and injustice. So when in Mecca the cradle of the Orphan Arab was touched by the hand of God, both Throne and Court collapesed, and a whisper from the unseen said to the two great leaders: "Today history ends and history begins. Never after this day will there be a king, or a master, worship shall be to God, leadership to the Prophet, and sovereignty to religion, government to the Arabs and the world for all."

Mohammad was brought up, an orphan, in the midst of Mecca with its hills and valleys, leading his life in the same way as the Qureish. He worked as a shepherd for his relatives and his people, then started trading, with the help of his wife's money. The care of God was upon him in every step and every stage. God cared for him when he was a poor orphan, when he was a young shepherd. When he was a hired merchant God gave him success. It was God's will to prepare him for His message. He disciplined and taught him, and protected him from the uncleanliness of idolatory. He never drank wine nor took usury, nor gambled; he never witnessed places of amusements nor turned his face towards an idol. The poor orphan became the master of the Island, and the young shepherd a shepherd of the world, and the wandering trader a conqueror of the earth; the pure and honest became ready for receiving the inspiration and for conveying the message of God.

Then a door opened from heaven to the cave of Hira and angels and the Holy Spirit descended to the people on the earth, and the first radiation of God's inspiration burst forth to the heart of Muhammad. So the truthful and honest descended from the mountain of light carryiug the torch of guidance and attacking polytheisms with monotheism; for the sake of spreading God's call, he suffered the hardship of the atheistic leaders of the Qureish.

On Monday, the 8th of Rabi Al-Awal of the first year after the "Incident" of the Elephant the hostility of the Qureish towards the messenger of God had reached its utmost, to the degree that they conspired to kill him.

Muhammad-peace be upon him - had seen that the deserts of polytheistic Mecca had become so dry for implanting the message and therefore the fruit was rotten, the poison of which was about to destroy his effort. He then migrated, under the care of God, to the good town chosen by God to be the base for his tower, a field for his seed, a center for his power and a light house for his guidance. There with patience, truth, faith, firmness, good manners

THE MONTH OF RABI AL AWAL IN THE LIFE OF THE PROPHET

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

It is a surprising coincident in the life of the Prophet that among all the months Rabi Al Awal was his month, and among the days Monday was his day. Monday of the second week of Rabi Al Awal was the day on which he appeared in Mecca, and Monday of the second week of Rabi Al Awal was the day on which he immigrated to Medina. Monday of the second week of Rabi Al Awal was the day he passed away. There is a secret in these coincidents known to those chosen among mankind for God's message. A whisper of this secret is the Rabi Al Awal is the month of prosperity, fertility and beauty, and that Monday was the day of the moon for the ancient people. The moon in Islam is of particular importance: for the people it constitutes a time measurement for fasting and pilgrimage, for the nation as well as the congregation it is the symbol of the banner. The relation between cosmos and fate, i.e. seasons, zodiacs and days, is still a secret to man. If Rabi Al-Awal was the beginning of the Hijra Year, and Monday was the weekly day of rest, this would have agreed with the date of immigration, the glory of the incident, the position of the Prophet and the sanctity of the month.

On Monday, the 12th of Rabi Al Awal, the fifty third year before the immigration, the vast area between the house of Ibrahim, near the mosque and the house of Sayeda Amnah, at Beni Hashem Lane in Mecca, was a place for the angels and the souls of the prophets to sing, thanking God for having relieved the world by the birth of that Arab. Before the birth of Muhammad, Son of Abdulla, the world was indulging in sin and bad deeds, like a blind-beast being led by a blind on an uneven road. This beast was led from the East by the Persians who were in a great state of corruption, and from the West by the Greeks who were in a great state of meaness and wickedness. The Throne of Kisra and the Court of Caesar were quarrelling over the sovereignty of the

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
سكرتير التحرير
محمود الشرقاوي
بدل الاشتراك ٤٠

الجزء السادس — جمادى الآخرة سنة ١٣٨٠هـ — نوفمبر ١٩٦٠م — المجلد الثاني والثلاثون

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

الشعب الذي تحدى القدر وقدر!

"كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله"

بقلم: أحمد حسن الزيات

دلني إن استطعت بالعيان أو بالخبر، فيمن بقى أو فيمن غبر، على شعب غير الشعب الجزائرى الباسل الحر ألح عليه الاستعمار الفرنسى الكافر الفاجر الأهوج بالقهر والفقر، والعذاب والخراب، وسلب الاستقلال، وسوء الاستغلال، وفساد التعليم، ونسخ اللغة ومسخ العقيدة، طوال ثلاثين ومائة عام، ثم لا تزال فى رأسه نخوة العروبة، وفى نفسه حمية الإسلام، وفى يده سيف الفتوح. يذكر ولا ينسى أن له وطنا يحتله الغريب ويستغله المستعمر. على ظهره الولد والبلد والرزق والأمل وفى بطنه الآباء والأجداد والأمجاد والذكرى، فجاهد بالسيف، وصابر بالعزم، ورابط بالقوة ثم ابتلاه العدو فى ماله وفى نفسه بالتقتيل والتنكيل والأذى، فما وهن لما أصابه فى سبيل وطنه ودينه وما ضعف وما استكان!

فلما أراد الله لمأساة الجزائر أن تبلغ فصلها الأخير سول الحمق والطيش لرئيس الحكومة الفرنسية (جى موليه) أن يختطف من الجو زعماء الثورة الجزائرية أحمد بن بيلا ورفاقه وهم فى طريقهم إلى تونس، نهب الجزائريون هبة الإعصار العاتى فزلزلوا الأرض الطيبة تحت أقدام الغزاة والغوازى فطاشوا طيش الفراش وألقوا بأنفسهم فى نار الثورة. فلما أكلتهم أمدهم (جى موليه) ومن بعده (ديجول) بثلاثة أرباع المليون من جنود فرنسا، يشد أزرهم حلف شمال الأطلسى بالسلاح والعتاد والمـــال، ويقوى أمرهم خمسمائة مليون من الناس بالتعصب والهوى والرأى. كل هذا العدد وتلك العدد لقتال عشرة ملايين من الجزائريين لم يلق (لاكوست) منهم غير عشرة آلاف من الثوار العزل. فماذا كان مصير الجيش الجرار. المسلح بالحديد والنار؟. تخطفته المنايا من كل جانب، وأدركته الهزائم فى كل مكان، حى قال قائلوهم: لا يمكن أن يكون هؤلاء الشياطين هم الآدميين الذين عرفناهم هنا منذ قرن وثلث، فربيناهم على الاستكانة، ودربناهم على الطاعة، وقتلنا

فى نفوسهم الإسلام ، وأمتنا على ألسنتهم العربية ، وجهدنا بالظهير البربرى أن نجنسهم بالبربرية ، وأن نبشرهم بالمسيحية ، وأن نفصل بينهم وبين العرب فى الأقطار الأخرى ، فمنعنا دخول الكتب والصحف والمجلات ، وقطعنا أسباب المواصلات والمعاملات ، وأردنا أن نجعلهم قلة مستضعفة فى البلاد ، فسهلنا الهجرة للفرنسيين ، وأسكناهم أطيب البــــلاد ، وأقطعناهم أخصب الأرض ، وملكناهم مقاليد الأمور ، حتى أصبح الجزائريون فى رأينا مسوخا من غير جنس ولا لغة ولا دين ولا تاريخ ولا تقاليد ! . لابد أن يكون هؤلاء المردة من جنس غير الجنس ومن بلد غير البلد ، واتجهت وساوسهم نحو جمال عبد الناصر ، ثم أداروا عيونهم الزائغة فى البحر وفى الجو فرأوا سفينة تحمل السلاح إلى الجزائر فصادروها ، وأبصروا طائرة تقل الأبطال فاقتنصوها ، ثم فركوا أكفهم من السرور وصاحـــوا : لقد كسبنا المعركة ! عرفنا من أين يأتى السلاح ، وقبضنا على من يضربون به ! لا سلاح ولا ضرب بعد اليوم ! ثم بالغوا فى الحيطة وغالوا فى الحذر ، فنقلوا ابن بيلا وإخوانه الأربعة إلى فرنسا فى حراسة خمسة آلاف من الجنود الشداد كل رجل يحرسه ألف . وحملقت فرنسا فى وجوه المخطوفين المخوفين الذين أصلوها النار والعار وهى تحسبهم من أرض غير الأرض فإذا هم حفدة الأبطال الذين قهروا جيوشها سبعة عشر عاما بقيادة الأمير عبد القادر ، وأربعة عشر عاما أخرى بقيادة من خلفوه ، لا يزالون يجرون على أعراقهم من البطولة والصبر والتضحية لم تستطع أن تقتل فيهم الروح العربية بالتعليم المسموم والإبادة المنظمة والفتنة الشديدة والعزلة التامة والاحتلال الطويل ، ولم تستطع أن تفصلهم عن قوميتهم العامة بالحواجز المادية والمعنوية ، ولا أن تخفت فى دمائهم أصوات القرون الأربعة عشر من التاريخ المشرق بأضواء النبوة الهادية والخلافة العادلة والفتوح المحررة والحضارة المعمرة . فما هو إلا أن فعلت فعلتها الحمقاء باختطافها الزعماء حتى ثارت فى نفوسهم حمية الجنس وطغت فى رءوسهم حفيظة الدم ، فغضبوا وغضب لهم خمسة وثمانون مليونا من بنى عمومتهم من مراكش إلى الكويت . وكان مظهر هذه الغضبة إضرابا عاماً شل الحركة فى جميع البلاد العربية يوما من الأيام ! ولم نعلم فيما وعاه التاريخ انتفاضة إجماعية كهذه الانتفاضة من أمة زعم الاستعمار أنه مزقها دولا وأوطانا ، لكل دولة رسوم ، ولكل وطن تخوم .

إن ثورة الجزائر التى ظلت ست سنين

مستعرة الأوار تأكل الأرض وما عليها من إنسان وحيوان وعمران وزرع ، هى كما ذكرت الفصل الختامى لمأساة ظلت تمثلها فرنسا على مشهد من العالم أربعة أجيال كوامل .

وعما قريب سينسدل الستار على أشلاء الاستعمار وأطلاله وأوزاره فى أرض الفاتح العربى عقبة بن نافع ، وسيرى الجزائريون أن وطنهم بفضل مابذلوا فى سبيله من أنفس وأموال قد تطهر من المحتلين المتطفلين الذين رتعوا فى مرعاه الخصيب ثلاثين ومائة عام يخضمون أرزاقهم خضم الخنازير ، ويحتلون بلادهم احتلال الصراصير ، ويفسدون أخلاقهم إفساد الجراثيم ، على أن النفوس التى قتلت ستعوضها الولادة ، والديار التى هدمت ستجددها العمارة ، والزروع التى أهلكت سيعيدها الغراس ؛ ولكن قتيلين من قتلى هذه الحرب الطحون لن يعوضا لا بالولادة ولا بالعمارة ولا بالغرس ، هما شرف فرنسا وضمير العالم ! أما شرف فرنسا فإنه لو كان باقياً لما استجاز بنوها الذين يزعمون أن آباءهم كانوا أول من ثار على الطغيان وأعلن حقوق الإنسان أن يغيروا بسبعمائة وخمسين ألفاً منهم مسلحين بأفتك الأسلحة وأحدث العتاد على عشرة آلاف منا لا يملكون سلاحا غير الإيمان ، ولا عتاداً غير الصبر ، ولا زاداً غير لقيمات لا تكاد تمسك الرمق . فلما أعياهم النصر على هذه الفئة الصابرة المتفرقة على شعاف الجبال ومخارم الأودية ومكامن الطرق ، عادوا إلى الشيوخ والنساء والأطفال فسحقوهم بالقنابل ومزقوهم بالرصاص ، ولا ذنب لهؤلاء وأولئك إلا أن لهم كيانا متميزا يحافظون عليه ، ووطناً خاصا يدافعون عنه .

وأما ضمير العالم فإنه لو كان حيا لما سكن سكون الجماد وقر قرار الحجر فى رجفة من الصراع الحيوى الدموى دام ست سنين بين دولة كبيرة تريد أن تسمن وتطيش ، وأمة صغيرة تريد أن تأمن وتعيش ! .

لقد قتل الفرنسيون فيها مليونا من شباب العرب الأبرار على حين ظل العالم الغربى يتفرج بمشاهد الدماء والأشلاء فى ساحة الجزائر ، كما يتفرج الأطفال بصراع الدمى على مسرح العرائس ! .

ولكن قل لى بربك : هل كان الضمير العالمى حيا يوم رضى أن يخرج الاستعمار مليون عربى من ديارهم وأموالهم ليمنحها عدوة الله وعدوة الناس اسرائيل ؟ .

إن ضمير العالم احتضر فى فلسطين ثم قبر فى الجزائر ، فلم يبق للمجاهدين الجاهدين إلا روح الله وعون الأحرار ونخوة العرب ! .

أحمد حسن الزيات

جهاد الجزائريين فى سبيل الله

نداء من الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

إلى العالم الإسلامى فى أسبوع الجزائر

إخوانى فى الإنسانية :

السلام على من اتبع الهدى، وسلك مسلك السلم، وهدى إلى صراط مستقيم.

وبعد : فما أحوج البشرية إلى آذان صاغية وقلوب واعية تعى الدعوة إلى السلم والسلام والأمن والاستقرار ، حتى تسود المحبة بين الناس أجمعين ، وينتشر فى الأرض نور يضىء لساكنيها طريقهم ، فيخلصوا إلى العمل المنتج والفكرة المثمرة وتقوى روابط الود والإخاء بينهم . ويومئذ لا نرى بغضا ولكن محبة تسود المجتمع الإنسانى ، ولا نرى فرقة ولكن وحدة واتحادا . ما أحوجنا نحن البشر - إلى ذلك كله ، ولكن الداهية التى تضرم الأحزان فى الأفئدة وتقضى على النفس القوية، إنما هى فى استمرار الطاغين فى طغيانهم والباغين فى بغيهم ، يلغون فى دماء البشرية التى خلفتها أسلحة الإثم والعدوان بما تقشعر لهوله الأبدان ، بل تجمد لها القلوب ، فراحوا يقصون أصحاب الأرض عن أراضيهم يرملون النساء ويقتلون الشيوخ ويشردون الأبرياء . « وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . الذى له ملك السموات والأرض ، والله على كل شىء شهيد » . فهم بهذا لا يؤمنون بدين ولا يحترمون أخوة ولا يتجاوبون فى المبادىء .

إن ست سنوات مضت ، وها هو ذا العام السابع يبدأ مسجلا صراع الحق للباطل، ونضال الإيمان فى سبيل الحق وفى سبيل الحرية ،التى خلق الله الناس عليها ،هذا الصراع إنما هو صراع الجزائر المجاهدة صاحبة الحق فى العيش والحياة ، صراعها لطغمة من البشر ادعوا أنهم حماة مبادىء ودعاة حقوق ، وأن حقوق الإنسان أولى برعايتهم مع أن هذه الحقوق قد يئست منهم ، فلوت رأسها وأعرضت عنهم ، وتبرأت منهم ، ولو صدق منهم العزم وصحت الإرادة لكانوا مصادر نزعات طيبة .

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء » . « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً

وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

فكيف يسوغ لإنسان أن يعتدى على أخيه الإنسان، وأن ينسى ما بينهما من هذه الأخوة التى تربط بين كل الناس وتوثق علاقتهم، ولكنه الاستعمار الغاشم الذى تفيض نفسه بالأحقاد وتمتلئ قلوب أصحابه بالأطماع، يحرص دائما — وعلى الأخص فى البلاد الإسلامية — على أن يفسد الضمائر، وأن يضلل العقول وأن يهدم الأفكار حتى إذا عجز عن ذلك لقوة المبادئ والمثل فى نفوس أصحابها قام يمزق الأوصال ويأتى على الأخضر واليابس غير مبق على مبدأ ولا راع لمثل.

وبذا أصبحنا اليوم، ونحن فى بداية السنة السابعة لكفاح الجزائر التى عاشت فى حرب هوجاء عمياء ذات همجية مأفونة وعقلية مجنونة، لا تريد أن تقف عند حد، وإنما تحرص على طحن الأجسام والأرواح، بل تريد أن نقضى على ما للإنسانية من نور وما منح الله الإنسان من حرية ومن حق فى الحياة وحق فى العيش.

وأمثال هؤلاء المعتدين لا يؤمنون بدين، فدينهم السطو على الأنفس والأموال والأعراض، كما لا يعرفون مبادئ فمبادئهم فتنة يشيعونها بين الناس أو تخريب بما يسخرون من أدوات وآلات وصلوا إليها عن طريق ما علمهم الله وأنعم عليهم فلم يشكروا نعمة الله ولا تيقظ الوعى فى نفوسهم.

وبذا كله جعل هؤلاء مستقبل العالم مظلما يكتنفه الشر ويحيط به الشؤم من كل جانب ما لم يشد كل على يد دعاة السلم، حتى إذا ما ترابطوا جميعا وتذكروا معالم الإنسانية الصحيحة ومبادئها السليمة، وعاد الأمن إلى الأرض ورحم الله البشرية مما نزل وينزل بها من نيران الاختراع الذى وجهه هؤلاء جميعاً إلى الشر وقد كان فى مكنتهم أن يجعلوا من ناره نورا، ومن شره خيرا. إننا لا نؤمن بالقوة التى تجانب الحق فإنه لا قيمة لها ولا خير فيها؛ ذلكم أن قوتنا إنما هى قوة الحق الذى تنشده البشرية فهو الحق الطبعى والطريق السوى، إنه الحق الذى نريد أن نتكاتف به ونتضامن مع محبي السلام فى الأرض، فنضع أسسا سليمة ونرسى به قواعد حضارة نطمئن إليها وتسعد البشرية بها. فإلى الضمير العالمى الإنسانى نتجه مخاطبين أولئك الذين كثر حديثهم عن الرحمة وهم لا يطبقون ما يقولون، إلى رجال الأديان على مختلف ألوانها ومذاهبها، إلى الساسة جميعا نحرك فيهم معانى الإنسانية، فيتخذون الطريق الإيجابى لعمل حازم يكف ظلم الظالمين ويمنع قطع الطريق على الإنسانية،

فتظفر الجزائر بحقها فى الحياة والحرية ، ويعود اللاجئون إلى أرضهم فى فلسطين . فلحساب من يقتل فى الجزائر هذا العدد الكبير وهيئة الأمم تقف مكتوفة اليدين لا تحرك ساكنا ولا تكشف عن حق ، ولحساب من يظل مشردو فلسطين تتربص بهم الأيام ، وتمر عليهم الأعوام وهم شرود عن أوطانهم وأراضيهم التى خلقها الله لهم .

إلى كل مسلم يملأ قلبه الإيمان بالله ويحس بإحساس أخيه ويشعر بشعوره ويدرك أن الأمة الإسلامية جسم واحد ، وأن المسلمين أمة واحدة - إلى هؤلاء وهؤلاء أوجه القول فإنه لامنطق ينبغى أن يسمع إلامنطق السلام والأمن والاستقرار ، ومنطق يحق الحق ويبطل الباطل ، ونحرر به رقاب الأمم المستعبدة لتنهض نهضتها ، وتعيش فى أمنها وسلامتها والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ، ومظهر هذا التواد أن نكون من وراء إخواننا المجاهدين فى سبيل الله بأموالنا وأنفسنا نسترخص فى سبيل الحق كل غال ، ونستعذب الموت فى سبيل نصرة الحق ، فإنه لا بد للحق من قوى تسانده وتؤازره : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » ، « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

أما أنتم ، إخواننا المجاهدين اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . والله مؤيدكم وناصركم : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، وثقوا أن عون الله معكم ورعايته تحوطكم « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » .

إن الجزائر المسلمة ستكون مصدر قوة للمسلمين بما يقدم أبناؤها للإسلام وما يضحون به من أجل حقهم وحياتهم .

إخوانى المجاهدين إن النصر والغلب ليس عن كثرة فى العدد ولا قوة فى العدد فحسب ، إنما هما بالصبر والتقوى - والصبر والتقوى معولان إلهيان أودعهما الله قلوب المؤمنين بهما يذيبون الحديد ويطفئون النيران « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » . واعلموا أن عدوكم لمعاند ، وأن

قوتكم المعنوية وروحكم الفتية وإيمانكم بالله كل ذلك هو القوة التى ينصر الله بها عباده، فاشتدوا عليهم ولا تهنوا ولا تضعفوا، فإن حقنا قوى ونحن من ورائه والله من ورائهم محيط: «قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين. ويذهب غيظ قلوبهم».

وإنه لمن يمن الطالع أن تقبل الذكرى السابعة لبداية جهادكم، وقد عاد زعيم العروبة والبطل الإسلامى «جمال عبد الناصر» من الولايات المتحدة منصوراً، أرسى قواعد السلام. وأنار معالم الطريق للذين ينشدون الحق ويبغون الخير، ويحرصون على أن يسعدوا البشرية، ويحققوا للإنسانية ما تريد من صلاح وسداد.

فليستبشر كل مجاهد ممن وضعوا رءوسهم على أكفهم مجاهدين فى سبيل الله بأن الباطل مهما طال أمده واشتدت وطأته فهو أمام الحق والعزم والإيمان بالله خائر القوى، واهى العزيمة مهدم البنيان. فاللهم أحص أعداءنا عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحـــدا.

ونحن إذ نذكر بيومنا هذا ـ وهو اليوم الثانى عشر من جمادى الأولى، والأول من نوفمبر ـ عمر الجهاد الجزائرى فى سبيل الله فإنا نذكر باليوم التالى غدا فلسطين المجاهدة وإخواننا اللاجئين الذين شردوا من بلادهم وتركوا أموالهم وتأيمت نساؤهم ويتمت أطفالهم فكم لنا من هذا وذاك من عبر تحفزنا إلى ربط القلوب وإلى جمع الكلمة وإلى التعاون فى السراء والضراء، وأن نضرب جميعا على يد عدونا بيد من حديد حتى يعود اللاجئون إلى أوطانهم هنا وهناك، وحتى تعود الحرية إلى أهلها وتخلص البلاد من شر الطغاة البغاة الذين أفسدوا فى الأرض بعد صلاحها يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ـ كتلوا البشرية على بغاة البشرية.

كتلوا أعوان الحق ضد الباطل، كونوا مع الحق يكن الله معكم «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز. الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر». جمع الله قلوبنا على الحق وأيدكم بروح منه.

محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر

تيسير على قاعدة

للأستاذ عباس محمود العقاد

من مقاصد اللغة التى يشتغل بها دعاة الإصلاح ، ودعاة التجديد ، تيسيرات كثيرة نذكر منها تيسير الكتابة ، وتيسير النحو ، وتيسير العروض ، وتيسير التعريب .

والتيسير مطلوب لذاته حيثما تيسر ، فلا يحسن بنا أن نستصعب وبين أيدينا باب من أبواب اليسر نطرقه على أمل ، قل أو كثر ، فيما هو أيسر وأقرب إلى الإمكان ، وإنه على حب الأنفس له لأدب من آداب الإسلام فى أمور الدنيا والدين ، ويحق لنا أن نذكر أن الكتابة والنحو والعروض والتعريب إنما هى جميعا فى أصل وضعها تيسير لمطلب لم يكن باليسير ، وربما كان عمل الأقدمين فى تيسير الكتابة بالنقط تارة ، والشكل تارة أخرى ، وتقسيم الخطوط وقواعد الرسم تارات متتابعات ، أعظم كلفة وأبعد أمداً مما نتكلفه الآن لتيسير الرسم والهجاء . أو تيسير أشكال الكتابة والطباعة ، أو تيسير كل ما يستصعب من بقايا المشكلة القديمة إلى العصر الحديث .

أما النحو فهو فى أساسه صناعة تيسر كسب السليقة ، ونجاحه فى هذا المركب الصعب أمر لا يختلف فيه من يطلبون له اليوم مزيداً من النجاح .

والعروض كالنحو فى تيسير الملكة المطبوعة بوسائل الصناعة ، ويلحق بهما التعريب فى إجرائه للكلام الأعجمى مجرى الكلام العربى بلفظه أو بمعناه .

فلا مشاحة فى التيسير ، ولا يعذر قادر على التيسير يتركه لغير ضرورة ليتجشم الصعب العسير وهو مكتوف اليدين .

لكن التيسير فى هذه المطالب الواسعة لن يتيسر على غير قاعدة ، وإنما هو جهد ضائع أو طريق مضلة لا تعرف لها حدود ولا تتضح لها غاية ، إذا أخطأ الوجهة من فاتحة الطريق .

ومن علامات الانحراف البعيد عن الوجهة أن يحسب المجددون أنهم ينتهون يوما إلى كتابة لا تحتاج إلى التعليم أو كتابة تكفى وحدها لتيسير القراءة الصحيحة بمعزل عن اللغة ، أو بلغة خالية من القواعد والأصول التى يجتهد فيها المعلم والمتعلم فى كل مرحلة من مراحل التدريس .

وقد تجسمت علامات هذا الانحراف فى أقوال فريقين من طلاب التجديد أو طلاب التبديل :

فريق يقول : إنه يتمنى للغة العربية أن تصبح كاللغات الغربية يقرؤها الطالب المبتدئ كما تكتب بغير حاجة إلى الحفظ والاستذكار .

وفريق يقول على مذهب بعض فلاسفة التربية فى العصر الحديث: إن العلم كله، سواء علم اللغة أو علم الطبيعة أو سائر العلوم الإنسانية، ينبغى أن يساق إلى التلميذ كأنه تجربة يتلقاها من وحى البيئة المدرسية ومن جهوده المكتسبة، ليختفى أثر المعلم ويختفى تكليف التعلم وتأتى المعرفة إليه طواعية فى مرحلة بعد مرحلة من معاهد التعليم

والفريق الأول ينظر إلى صعوبات اللغة العربية فلا يراها فى اللغات الأجنبية فيحسب أن هذه اللغات خلو من جميع الصعوبات، وهو غير الواقع كما نرى من أقرب نظرة إلى « الأبجديات » الأوربية، وهى ثلاث على الإجمال : لاتينية يكتب بها سكان أوربة الغربية على الأكثر، وغوطية يكتب بها الجرمان على الأكثر وكيرلية يكتب بها مشارقة القارة على الأكثر، ولا يتفق فيها نطق الكلمة المكتوبة على ألسنة أمتين ولو كانت لها أبجدية واحدة من هذه الأبجديات الثلاث .

وأظهر ما يظهر ذلك فى كتابة الأعلام . فإن اسم جيمينز Jimenez مثلا ينطق بالخاء فى الأسبانية وبالياء فى الألمانية وبالجيم المعطشة فى الانجليزية .

واسم Franklin ينطق فرنكلن بالانجليزية وينطق (فرانكلا) بالفرنسية .

واسم Guilliam ينطق جليوم بالألمانية وجيوم بالفرنسية ووليام بالانجليزية .

أما الحروف فمنها ما يلفظ على خمسة أصوات كحرف (T) الذى ينطق (تاء) كما فى كلمة to وثاء كما فى كلمة Think وذالا كما فى كلمة this وشينا كما فى كلمة Mention وسينا كما فى هذه الكلمة نفسها بالفرنسية .

وكذلك حرف الـ (S) ينطق زايا فى is وصادا فى Salt وشينا فى sure وجيما معطشة فى pleasure .

وكذلك حرف (g) ينطق جيما قاهرية كما فى God وجيما قرشية كما فى gem وجيما معطشة كما فى Religion وقد يكتب ولا ينطق كما فى right .

وبعض حروف العلة تقترن فتنطق على أربعة أصوات كما فى هذه الكلمات food moon و blood door .

أما قواعد النحو والصرف فالطالب مضطر إلى حفظ مئات الأفعال لشذوذها فى التصريف بين المضارع والماضى واسم المفعول وإلى حفظ مئات الأسماء لشذوذها عن قواعد الجمع، وإلى حفظ مئات الصفات والظروف، لأنها لا تجرى على قاعدة مطردة فى اشتقاق الصفة والظرف من الاسم أو من الفعل أو من صفة أخرى .

ولا حيلة للطالب فى التفرقة بين صيغ الكلمات المنقولة إلى الانجليزية من اللاتينية أو من الإغريقية أو من السكسونية أو من سائر اللغات القديمة أو الحديثة، والغربية أو الشرقية فإن طريقة الانجليز فى (نجازة) الأعلام والكلمات أصعب من طريقتنا فى التعريب .

فمن ضياع الجهد إذن أن تحاول التيسير بمحاكاة الأبجديات الأوربية ، أو بمحاكاة قواعدها فى التركيب والاشتقاق والإعراب .

ولابد أن نسلم . أولا وآخرا ، أن معرفة الحروف وقواعد الإملاء لا تغنى الطالب عن الحفظ والاستذكار .

أما طريقة التربويين فى تيسير التعليم بإخفاء عمل المعلم أو إسقاط الشعور بواجب التعلم فهى فى الواقع تجاهل لحقائق الحياة وهدم لمعنى الواجب فى أول الواجبات المقدسة التى تصادف الطفل منذ نشأته الأولى .

فمن وقائع الحياة التى لا سبيل إلى محوها أن التعلم ضرورة لازمة من ضرورات الحياة لكل فرد ينشأ بين أبناء نوعه ولا يستطيع - مهما يبلغ من جهده - أن يستوعب محصول المعارف النوعية خلال الأجيال المتعاقبة . وليست له مصلحة فى جهل هذه الحقيقة وهو يتوجه إلى المدرسة لينفى عنه الجهل بما هو أبسط من هذه الحقيقة ويدرك عمل العقل والفهم وحدود الفكر الإنسانى بين الفرد الواحد والنوع الكامل من ماضيه البعيد إلى مستقبله البعيد .

وشر زاد يزوده الطالب الناشئ من معاهد التعليم أن يتعلم منها الاستخفاف بواجب التعلم وهو أول واجب يصادفه فى حياة الطفولة ، ولن يستقر عنده رأى هو أسوأ أثراً فى تربيته وتكوين أخلاقه من أن يستكثر الجهد على المعرفة ، وأن يسقط عن كاهله تذليل الصعاب أو يخطر له أن تذليلها مطلوب فى كل مقصد غير تثقيف العقل والاعتراف بالفضل لمن يتولى تثقيفه ومعونته على تنمية عقله وهو أحوج ما يكون إلى تلك المعونة .

وإلى أمثال هذا الرأى الوخيم يرجع اللوم فى مقال من يسأل مثل هذا السؤال : هل يتعلم الإنسان ليتكلم ؟ هل يتعلم لينطق ؟ هل يتعلم ليقرأ ما هو مكتوب أمام عينيه ؟ .

فإن السائل الذى يفوه بهذا السؤال يخيل إليه أنه سؤال غنى عن الجواب ، وأن جوابه إذا تكلف أحد أن يجيبه هو : كلا . بكل توكيد ! .

ومن سخرية المفارقات أن يفوت سائلا أن الإنسان لا يطلب منه أن يتعلم شيئاً قط كما يطلب منه أن يتعلم ليتكلم ، وأن يتعلم ليحسن الكتابة فيحسن القراءة بغير عناء ، وأن يؤمن بواجب التعليم على « الحيوان الناطق » ليكون حقاً حيوانا ناطقاً يحسن النطق بجميع معانيه .

وسيضيع كل جهد يبذله طلاب الإصلاح والتجديد إن لم يكن معلوما من خطواته الأولى أن التيسير مطلوب حيثما استطاعه المستطيع ، ولكنه لا يستطيع بعد طول العناء أن يسقط واجب الاجتهاد فى تعلم اللغة ، وأن يحسب الجهد فيها أكثر مما تستحقه من المعلمين والمتعلمين . ؟

عباس محمود العقاد

جامعة القرويين وإسهامها في حفظ التراث الإسلامي

للأستاذ الدكتور محمد البهى

تمهيد :

إن المقومات الثقافية لأى مجتمع ، أو لأى شعب ، تتمثل فى اللغة وفى الدين السائد ، وفى المعارف الإنسانية الموروثة المشتركة . فاللغة تحمل بألفاظها وعباراتها القيم العليا التى يعنى بها دين المجتمع أو دين الوطن ، كما تحمل قضايا المعرفة الإنسانية التى يتوارثها أفراد هذا المجتمع أبناء عن آباء ، وآباء عن أجداد والقيم العليا التى لدين المجتمع أو الوطن هى التى تحدد توجيه أفراده ، وتحدد العلاقات بين الأفراد بعضهم مع بعض ، كما تحدد أخيراً الهدف العام الذى يهدف إليه أفراد المجتمع فى سعيهم ، وفى نضالهم فى هذا السعى فى الحياة .

وبغير لغة ، وبغير دين ، وبغير معرفة متوارثة لايقوم مجتمع ، ولا يتميز مجتمع عن مجتمع ، ولا تتحدد معالم وطن ويتميز بهذه المعالم عن وطن آخر . فالمجتمع الذى نعنيه هنا هو مجتمع الإنسان ، والوطن الذى نريده هو وطن الإنسان . وبهذا الاعتبار لابد أن يضفى الإنسان من خصائصه على المجتمع وعلى الوطن معا . وليست هناك خصائص للإنسان يتميز بها عن إنسان آخر إلا فيما يتصل بلغته وبتفكيره ، ومنطقه ، وقلبه وعقيدته وسلوكه فى الحياة .

جامع القرويين وصلته بالمقومات الثقافية للمجتمع العربى فى المغرب :

ونحن إذا انتقلنا ـ بعد الآن ـ إلى تحديد الرسالة التى وكلت إلى جامع القرويين منذ إنشائه فى سنة ٢٤٥ هـ بفاس وقام بها أجيالا عديدة متعاقبة ، وحمل عبئها منذ النصف الأول من القرن الرابع الهجرى حتى الآن ، وأثقلت كاهله مرة فأبطأ السير بها ، وخفت عليه مرة أخرى فسار بها قدما إلى الأمام ـ إذا انتقلنا إلى تحديد رسالة جامع القرويين وجدنا أنها ترتبط باللغة العربية ، وبالإسلام وبالمعرفة العربية الإسلامية المتوارثة ، وعلى العموم بما يسمى بالتراث العربى والإسلامى . وإذا انتقلنا إلى المغرب كوطن وجدنا أنه وطن عربى ، وأن لغة سكانه هى العربية ، وأن دينهم هو الإسلام ، وأن تاريخهم الثقافى ، وتاريخهم فى المعرفة يتصل

بأسلافهم الذين شاركوهم فى هذا التراث سواء أكانوا فى هذا الوطن ، فى هده الرقعة ، أو فى رقعة أخرى من الوطن العربى والإسلامى .

وإذن ، من هذا ترى أن جامع القرويين فى رسالته حمل مقومات الثقافة للمجتمع العربى والوطن العربى فى المغرب . وهو من أجل ذلك يعد مركز هذا التراث القومى أو مركز هذا التراث الأصلى الذى تدور على أساسه حياة العرب فى توجيههم وفى سعيهم فى الحياة فى المغرب .

فإذا ما اضطلع جامع القرويين بهذه الرسالة وحفظها على الأقل من الضياع ، فقد أدى خدمة جليلة لهذا الوطن العربى ، وفى الوقت نفسه أدى خدمة جليلة للتراث الإسلامى والعربى بوجه عام . ولا يعيب جامع القرويين بعدئذ أن يكون قد تعثر فى السير ، أو يكون قد جمد فى مكانه فترة من الزمن ، أو يكون قد اصطدم بعقبات أو أزمات وغالبها ، فغلبته حينا وانتصر عليها أحيانا - لا يعيبه ذلك لأنه على كل حال ما أبطأ فى سيره ، وما جمد فى حركته . وما انهزم فى مغالبته إلا من أجل هذا الوطن العربى . ومن أجل هذا التراث الإسلامى . لا يضير رجاله أن وجهت إليهم سهام النقد وكثير من النقائص والمعايب ، فإنهم كانوا القوة لجامع القرويين يغالب بها فيغلب أو ينتصر ، وكانوا الحافظين فى صدورهم لأصول هذا التراث ، وكانوا المدافعين بمنطقهم وتفكيرهم عن قيمه ، وكانوا الملقنين بألسنتهم للأجيال الجديدة هذا التراث - وبذلك كانوا هم العمد الذين قامت عليهم حياة هذا التراث ، واتصل بوجودهم وجوده وبقاؤه فمن مقال كتبه Lévi - Provençal Imtiation au Maroc فى كتاب [1] .

وقد وجهت الأنظار إلى فاس بعد أن أصبحت مركزاً هاما من مراكز الثقافة منذ بدء القرن الرابع عشر على وجه الخصوص أى بعد أن هاجر إلى مراكش كثير من العلماء الذين يحملون علم الثقافه الإسلامية بعد أن وقعت شبه جزيرة أيبيريا (أسبانيا والبرتغال) فى أحضان المسيحية من جديد ، وذلك تقريبا فى القرن الرابع عشر - فأضفى ذلك عليها ثوبا عليا يرجع الفضل فيه إلى تلك الجامعة العريقة : جامع القرويين » .

الأزمات والعقبات :

وجامع القرويين فى تاريخه الطويل ، أشبه بكائن حى قد يكون سبب تعويق نموه فى عهد من العهود أمر داخلى يتصل بكيانه نفسه ، وقد يكون سبب تعويقه أيضا أمر خارج عن كيانه ، طارئ وقادم عليه مع دخيل أجنبى يتحداه ويقاومه إن أراد أن يعبر عن حياته ووجوده . وقد تعرض جامع

(١) ٧٢ .

القرويين للأمرين معا : تعرض للضعف الذاتى وتعرض للهجوم الخارجى الأجنبى . وإذا كان للمجتمع العربى فى المغرب الذى عاش فيه جامع القرويين بوجه عام فى فترة من الفترات دخل فى ضعفه الذاتى ، فإن الأمر فى هذا الشأن يرتبط أكثر بالقرويين أنفسهم من العلماء والموجهين فيه ، وضعف تأثرهم بأحداث الحياة ، وإيثارهم العزلة عما يدور فى المجتمع الصغير وهو المجتمع العربى فى المغرب أو المجتمع الكبير وهو المجتمع العالمى من أحداث وثورات اجتماعية أو فكرية .

فنحن نعرف أنه بعد القرن الرابع عشر الميلادى وبعد سقوط الأندلس فى أحضان المسيحية هاجر إلى جامع القرويين عدد كبير من مشاهير العلماء الإسلاميين فى شتى العلوم وأنواع المعرفة وفى مقدمتهم الفيلسوف ابن باجة والأطباء : لسان الدين بن الخطيب الوزير المعروف ، وأبو العلاء زهير ، وأبو محمد القاسم بن محمد الغسانى ، والجغرافى النباتى الشريف الإدريسى [1] . وإنه بسبب لقاء هؤلاء العلماء الوافدين بالعلماء والطلاب فى جامع القرويين ، تزايدت حيوية الحركة العلمية فى التراث الإسلامى ، وتناولت تقريباً جميع جوانبه التى عرفت للسابقين من علماء المسلمين من علوم دينية وكونية ، طبيعية وفلسفية ورياضية فضلا عن اللغة وعلومها ، وما يتصل بها من دراسات . وبذلك عدت هذه الفترة فى تاريخ جامع القرويين فترة ذهبية . دلت من جانب على قوة الحياة العلمية ، ومن جانب آخر على سعة الفهم فيما يسمى بالتراث الإسلامى ، وفى مسائل حفظه والإبقاء عليه .

ولكن جد على جامع القرويين قبل الاحتلال الفرنسى فى سنة ١٩١٢ م ما أصاب هذه الحياة العلمية من ركود وضيق فى فهمها ولم يكن السبب فى هذا هو ضعف المجتمع العربى الإسلامى فى المغرب وحده ، وإنما كان السبب الأول - كما أشرنا - هو عزلة علماء القرويين عن الحياة وأحداثها . وربما كان لهم العذر فى ذلك بحكم ما لوظيفتهم العلمية وما لرسالتهم الفكرية من صلة وثيقة بخصائص طبيعة الدين .

فمبادئ الدين كمبادئ نظام للحياة - من شأنها أن يكون لها طابع الثبات . إذ أن المبدأ - كمبدأ - لم يكن مبدأ إلا لأنه انتهى إلى وضع معين عد بذلك نموذجا من جانب وهدفا يسعى الإنسان فى حياته لتطبيقه والاقتراب منه من جانب آخر . ولذا فالعلماء الذين تدور رسالتهم العلمية والفكرية فى إطار المبادئ الهامة الثابتة التى لها قداسة يكون

---

(1) Lévi - Provonçal Initiation au Maroc.

تأثرهم بالحياة التى تحيط بهم وبأحداثها التى تقع فيهـا ليس على نحو تأثر الذى يعيش فى ذات الأحداث أو يقف ليرصدها ويعبر عنها أو يحكم عليها .

ولذا لو وجدنا علماء القرويين قد لفظوا الجوانب الرياضية والفلسفية والطبيعية من محيط التراث العربى الإسلامى ، خارجا عن إطار تفكيرهم ومدارستهم ومناقشاتهم فإن ذلك ربما يعود إلى فهمهم الخاص فى ذلك الوقت للحياة وللدين ، كما يعود إلى إيثارهم البقاء فى دائرة المعرفة الدينية وحدها، توفيرا للوقت فى سبيل العناية بها ، وحفظها من الضعف أو الضياع .

ومع ذلك ، فلولا قداسة الدين ،ولوطبيعة الإيمان به لمـا بقيت العناية بعلوم الفقه والحديث والتفسير ،وما يتصل بشرح الدين، ولما بقيت عناية كذلك بعلوم اللغة العربية التى هى وسائل فهم نصوص الدين . وإذا كانت طبيعة الدين توحى بثبات المبادئ ، ومن ثم قد يتأثر بثباتها هذا بعض المشتغلين بها فلا يتأثرون فى فترة من الفترات كثيرا بالتطورات والتغيرات الخارجية فى المجتمع الخاص أو العام ـ فإن طبيعة الدين نفسها وما تقوم عليه من قداسة وإيمان هما السبب فى الإبقاء على العلوم التى تتصل به ، وعلى علوم اللغة التى تعد وسيلة له . وإذن جامع القرويين ـ لأنه مسجد ، ولأن فروع المعرفة المختلفة التى كانت تدرس فيه لها صلة بالدين ـ كان العامل القوى فى حفظ التراث الإسلامى والعربى ،وإن ابتعد رجاله فى عهد من عهوده عن التأثر بالأحداث الخارجية ، ومن ثم لم يجاروا العالم الخارجى فى تطوراته الفكرية وفى أساليب التأليف وفى مناهج البحث ، وفى صور العرض ، فحفظ التراث الإسلامى والعربى لازم وخصيصة لطبيعة جامع القرويين فى كل ما مر عليه من عهود وعصور، وإن اختلفت صور هذا الحفظ أو اختلف تركيز العناية فيما يحفظ منه .

بعد الاحتلال الفرنسى سنة ١٩١٢ :

إن الاستعمار منذ القرن التاسع عشر ، إن اعتمد مبدئياً على أن يخلق فوضى اقتصادية فى البلد الذى يريد احتلاله كتمهيد للتدخل فى الشئون الداخلية — وإن اعتمد على إنزال قـــوات برية يحتل بهـا المواقع الاستراتيجية فى البلد المحتل ، ثم على مباشرة تصريف الأمور فى المراكز والقطاعات الحساسة فى جهاز حكومة البلد المحتل باختيار بعض رجاله ، وكذا بعض أعـوانه من أهل الوطن المحتل — فإنه يعتمد فى استمرار الاحتلال ، وفى تيسير استغلال موارد البلد المحتل الاقتصادية واستخدام الطاقات البشرية لسكانه ، على قطع الصلات بين المـاضى

والحاضر : بين الأجيال التى تنشأ فى الوطن المحتل ، وبين ما لأسلافهم من قبل من تراث عقلى وروحى ، وأمجاد فى تاريخهم الماضى وما كان سائداً بينهم من قيم ومثل عليا فى الحياة

ويتخذ المستعمر لقطع هذه الصلات بين الماضى والحاضر وسائل عديدة :

(ا) يعمد أولا إلى إضعاف اللغة القومية بإهمال تنقيتها وتدريسها للناشئة وبالاستخفاف بخصائصها وبازدراء أولئكم الذين يتحمسون لها فى الحديث والنطق، وفى الكتابة والتأليف .

ب) ويعمد ثانيا إلى تتبع الأخطاء أو نقاط الضعف فى تفكير السابقين ، ويتخذ من ذلك وسيلة إلى الغض من شأن التراث كله .

حـ) ويعمد ثالثاً إلى إعادة كتابة تاريخ هؤلاء الأسلاف ويسقط منه قصص البطولة ، وما هو موضع فخر واعتزاز بالإضافة إلى ما يضيفه إليه من أحداث مختلفة ، أو تفسيرات مشوهة لبعض الأحداث التى وقعت .

د) وفى الوقت نفسه يعمد إلى تقديم ما له من لغة وتراث عقلى ، ومنهج فى التفكير وتاريخ ، فى صورة تشجع على الاحتفاء به والعناية بأمره ، والارتباط بقيمه ونتائجه . ويخطط مناهج التعليم فى المدارس التى ينشئها بعد احتلال البلاد على أساس دفع ماله من قيم ومثل ، وسلوك فى الحياة دفعا قويا فى حياة الناشئة . وبذلك تتجه الأجيال التى تنشأ بعد الاحتلال إلى قبول التبعية للمستعمر المحتل ولأنها تجهل ما لها من ماض لا تجد لها عندئذ سندا تستند إليه إذا ما أرادت أن تخفف من هذه التبعية ، أو إذا ما رغبت أن تعود إلى الاستقلال فى الشخصية والتوجيه وقتا من الأوقات .

وهذا الذى يصنعه المستعمر منذ القرن التاسع عشر لا يفترق فيه مستعمر عن مستعمر إلا بمقدار ما يغلو أحدهما فى الأمر ، أو يسرع فى تنفيذه . فالذى وقع فى المغرب بعد احتلال فرنسا فى سنة ١٩١٢ وفى تونس سنة ١٨٨١ يشبه الذى وقع فى ليبيا بعد الاحتلال الإيطالى فى سنة ١٩١٢ ويشبه ذلك الذى وقع فى مصر بعد الاحتلال الانجليزى فى سنة ١٨٨٢ م . فلم تعد بعد الاحتلال هنا وهناك عناية باللغة العربية ، ولا بمقومات الثقافة الإسلامية والعربية ولا بتلك المثل والقيم التى سادت حياة المسلمين والعرب ، وتميز بها مجتمعهم عن المجتمعات الأخرى .

وإنما كان هناك إهمال لكل ذلك فى الوقت الذى بدأت العناية باللغة الانجليزية أو الفرنسية أو الإيطالية ، وبدأت العناية كذلك بقيم الحياة الغربية ومثلها ، وبالتفكير الأوربى ومنهجه تزداد يوما بعد يوم ، حتى كاد العربى هنا وهناك ينسى ماضيه ويركز الفخر بحاضره

ولم يكن هناك إهمال فحسب للغة العربية والتراث العربى والإسلامى الروحى والعقلى وإنما كانت هناك سخرية واستخفاف بها ، وسخرية واستخفاف بالقائمين على أمرها . وسخرية واستخفاف - إن همسا ولمزا وإن علانية - بمن يردد قيمها كما هى فى واقع أمرها ، أو يعتز بالانتساب إليها والتمسك بها .

وهنا كان على جامع القرويين فى المغرب ، وجامع الزيتونة فى تونس ، والزاوية السنوسية فى ليبيا ، وجامع الأزهر بالقاهرة ، أن تواجه هذا التحدى المقنع حينا والسافر أحيانا ، وكان عليها أن تقاوم هذا التخريب الموجه إلى أعز ما تملكه الأمة العربية والذى عليه وحده تقوم نهضتها يوم تواتيها الظروف للنهضة ، وهو الذى يمثل تراثها الروحى والعقلى ، وقيمها ومثلها فى الحياة ، ويمثل لغتها وتاريخها الحافل بالأمجاد والبطولات والملىء بأسباب الفخر والإعزاز .

وكان على رجال القرويين والزيتونة والزاوية السنوسية والأزهر أن يحملوا عبء الكفاح وأن يتحملوا مرارة الاحتقار والسخرية التى توجه إليهم باسم التقدم حينا ، وباسم المدنية والحضارة الغربية حينا آخر ، وكان عليهم أيضا أن يتحملوا فيما بعد عبء الطائفية التى حدثت وقويت ، والتى خلقها المستعمر باسم الجديد فى مقابل ما هو قديم ينتسبون هم إليه ويعيشون فى ظله .

ولكن الذى واجهه جامع القرويين من تحدى المستعمر ومحاربة القيم الممثلة فى التراث العربى الإسلامى الذى كان يعنى به ويقوم على صيانته ، كان أعنف وأشد مما واجهه غيره من نظائره فى بقية أجزاء الوطن العربى :

وكذلك الذى واجهه علماء القرويين وطلابه من مرارة السخرية بهم واحتقار ما ينتسبون إليه ، وواجهه أولئكم أيضا من مرارة الطائفية التى خلقها المستعمر باسم الجديد فى مقابل القديم - كان أوضح وأعمق فى مرارته ، مما واجهه إخوانهم فى بقعة أخرى من بقاع الوطن العربى . فالمسيو كوليز مندوب الحماية الفرنسية يصف بنفسه تلك الخطة التى اختطها المستعمر للتحدى الذى أشرنا إليه ولتخريب القيم والسخرية بحامليها أو المعتزين بها فى قوله : « عند إمضاء عقد الحماية وجدنا أنفسنا أمام حالة واقعة إذ وجدنا أمامنا بفاس جامعة القرويين التى زودت دول الإسلام الإفريقية طوال عشرة قرون بقادة الفكر كما وجدنا أيضا فى الحواضر والبوادى عددا كبيراً من الكتاتيب القرآنية يمدها السلطان أو الأوقاف أو مطلق الناس بما تحتاج إليه . نعم وجدنا أنفسنا أمام مجموعة زاهرة بديعة من المدارس كبرى وصغرى تعمل تحت ظل الأحياء الحضرية أو تحت خيام المداشر . لقد سلطت الحماية حربها على هذه المنظمات الثقافية المغربية

فأغلقت عدداً كبيراً من المدارس التى بقيت من آثار هذا التعليم القـــديم ، كما نصبت عداءها المستمر على جامعة القرويين وفروعها فى مراكش ومكناس ، والرباط وطنجة ، ووجدة . وعلى كل المؤدبين القرآنيين »(١).

أما ما يتصل بأهداف المدارس التى ينشئها المستعمر وبالأخص الفرنسى ، فيقـول الأستاذان الدكتوران عمر فروخ ومصطفى الخالدى ما يلى : إن المدارس الفرنسية تتبع سياسة واحدة دائمة وقيادة واحدة فى الأكثر هذه المدارس الفرنسية لا تسعى إلى استغلال النشاط القومى فى تعليم أهل البلاد ، ولا هى تسعى إلى إبراز الخصائص الوطنيـة حيث تفتح أبوابها لأبناء البلاد التى تكون فيها ، ولكنها تجتهد فى أن تجعل من أبناء البلاد الذين تعلمهم سواء أكانت تلك البلاد مراكش أو مصر أو إيران أو الهند الصينية أشباها لأبناء فرنسا نفسها فى المظهر واللغة وأسلوب التفكير والتعلق بفرنسا المستعمرة (٢) .

والسيد عبد المجيد بن جلون فى كتابه : « هذه هى مراكش » ويصف خطة المستعمر بشقيها فيما ننقله هنا من نص ، وعبارته : « إن الفرنسيين والأسبان مالبثوا أن أخضعوا إدارة التعليم الأهلى للإدارة الاستعمارية بحيث أصبح أداة من الأدوات السياسية ، ولذلك أصبح محدوداً مراقباً ،مستغلا ، لأن السلطة الجديدة أصبحت ترى فى انتشار التعليم تهديداً لها فى الصميم ، وبذلك بات التعليم فى البلاد يسير طبقاً لمبادىء استعمارية تهدف إلى :

١ - خلق طبقة من الموظفين محدودة العقلية يصلحون لأن يكونوا أدوات لا للتفكير .

٢ - يجب أن يتلقى الطلاب فى المدارس ثقافة محدودة لكى لا ينقلب من يتلقاها إلى مخلوق مفكر يحسن فهم الحياة المدنية على حقيقتها .

٣ - يجب أن يخلو من اللغة العربية إلا بمقدار ضئيل لا يشترط أى حد لضآلته ، ومن كل ما من شأنه أن يخلق العزة القومية أو يبعث على التفكير فيها من تاريخ وأدب ولكن يجب أن يترع بأمجاد الفرنسيين ، والأسبان ، بصفة تثير الدهشة .

٤ - إنشاء المدارس الفرنسية والأسبانية.

٥ - تقوية اللغة البربرية وجعلها إداة صالحة للكتابة .

٦ - منع الاتصال بمصر وقطع الاتصال الثقافى بين البلدين (١) .

---

[١] المغرب العربى منذ الحرب العالمية الأولى علال الفاسى ص ٦٩ ، ٧٠ .

[٢] التبشير والاستعمار فى البلاد العربية : للدكتورين عمر فروخ ومصطفى الخالدى ص ١١٤ .

[١] هذه هى مراكش : عبد المجيد بن جلون ص ١٤١ ، ١٤٢ .

وإذا اختلف الفرنسيون عن غيرهم من قوى الاستعمار الغربي في محيط الدول العربية في أنهم أوسع وأسرع خطى في تنفيذ خطة الاستعمار المشتركة - فربما ذلك يرجع إلى كثير من الأحقاد التي خلقتها الحروب الصليبية . والشيخ محمد عبده إذ يقول: « إنه لا توجد أمة تبغض المسلم لأنه مسلم لا لأمر آخر إلا فرنسا إنني لما كنت أجتمع مع أحد الفرنساويين للمذاكرة في أحوال الشرق امتعض وينتفض أو يرتعد جسدي كله » ، « إن الفرنساوي إذا مدح الإسلام وذكر شيئا عن مزاياه فلا بد أن يكون غرضه من ذلك منفعة فرنسية . » إذ يقول ذلك فإنما يصف العقلية الفرنسية التي تأثرت أكثر من أية عقلية غربية أخرى بالهزائم التي مني بها الصليبيون في الشرق طوال القرون الثلاثة على يد المسلمين .

وجامع القرويين لذلك إذا وقف في وجه التحدي الاستعماري وفي وجه التحدي الاستعماري الفرنسي على وجه خاص ، وحافظ طوال هذا التحدي على وجوده ، وبالتالي حافظ على ما عني به طوال تاريخه من رعاية التراث الإسلامي والعربي — فإنه يعتبر في واقع الأمر قلعة تحطمت على صخورها الصلدة محاولات الاستعمار الفرنسي في الفصل بين ماضي المجتمع العربي في المغرب وحاضره وفي حمل الأجيال الناشئة في ظله على نسيان مقومات مجتمعهم الأصيل . كما يعتبر مصدرا صان عوامل البعث العربي الإسلامي ، ودفع بها اليقظة العربية في وقتنا الحاضر إلى أن تسعى لسيادة العرب على أنفسهم وسيادة القيم الإسلامية في مجتمعهم وبذلك تحقق استقلال المغرب كما تحقق استقلال مصر وليبيا وتونس وستستقل الجزائر اليوم أو غدا ، لأنها جزء من الوطن العربي ، ولأن مقومات مجتمعها اللغة العربية والإسلام ، والتاريخ العربي المشترك ، وهذه هي عوامل النصر والتحرر من سلطة المستعمر وتحديه التي استعان بها العرب المسلمون في نصرهم وتحررهم .

إن جامع القرويين لم يصن التراث الروحي والعقلي للعرب والمسلمين ، ولم يحفظ اللغة العربية من الضياع فحسب وإنما حفظ الأمة العربية نفسها في المغرب من الذوبان والتبعية والتلاشي .

إن علماء القرويين لهم الفخر — مهما سخر بهم الساخر واستخف بهم المستخف ، ومهما رماهم الرامي بالجمود أو الرجعية أو التأخر في وقت ما — فإنهم الجنود البواسل الذين حرموا ترف العيش ، ومتعة الحياة الرخية في سبيل عزة الوطن العربي وبقاء الرسالة الإسلامية خالصة خالدة ؟

الدكتور محمد البهي
المدير العام للثقافة الإسلامية

مقوّماتنا الرّوحية أمام المادّية العالمية

للأستاذ محمد محمد المدنى

— ٣ —

الإيمان بالمثل :

يأتى بعد هذين المقومين من مقوماتنا الروحية ، أمر ثالث له أهميته القصوى فى حياة الأمم والأفراد ، ذلك هو الإيمان بالمثل ، والقرآن الكريم يسمى ذلك بالتصديق بالحسنى ، حيث يقول : « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى » ويسمى مقابله وهو الكفر بالمثل التكذيب بالحسنى ، وذلك حيث يقول : « وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى » .

وللوجوديين صلة بهذا الجحود فى جانب المثل ، كصلتهم بالجحود فى الجانب العقيدى فهم يقولون : لا داعى لأن نعتبر شيئا من الأشياء فضيلة ومقابله رذيلة ، فإن كلا من الفضيلة والرذيلة ، أو مما نسميه بهذا وذاك إنما هو حقائق اعتبارية أوجدناها نحن واصطلحنا عليها ، ولو أننا اصطلحنا فى شأنها اصطلاحا آخر لكان لنا هذا ، ولأصبح ما نستحسنه قبيحا ، أو ما نستقبحه حسنا ، ويمثلون لذلك بالزواج والمخادنة فيقولون : ما الفرق فى واقع الأمر بين رجل وامرأة اتفقا على الزواج ، ورجل وامرأة اتفقا على أن يفعلا ما يفعله الأزواج ، بدون عقد زواج ؟ إننا نحن الذين اصطلحنا على أن الأول فضيلة ، والآخر رذيلة ، دون مسوغ لهذه التفرقة ، ولو أن مجتمعا انقلب فيه الوضع واستمر زمانا حتى ألفه الناس لما كان هذا المجتمع بمنأى عن الفضيلة ؛ لأن له اعتباره واصطلاحه ، وبعضهم يمثل بالرقص ، فيقول : إن بعض المجتمعات ينظر إلى مراقصة الرجل والمرأة على أنه رقى ومدنية ، ويتخذ منه دلالة على علو الذوق ، وتهذب النفس ، مع أن مجتمعات أخرى تراه خروجا على الآداب ، وهتكا لصيانة المرأة واعتداء على الفضيلة ، فهذا شىء واحد تختلف الفطرة إليه هذا الاختلاف ، فنفهم من ذلك أنه لا صلة له بالفضيلة والرذيلة فى واقع الأمر ، وإنما هو مجرد اصطلاح جماعى أو اجتماعى .

ويقولون مثل ذلك حتى فى العفاف والحصانة فليس على المرأة ولا على الرجل من بأس فى إطلاق العنان للشهوات الطبيعية الجنسية، ولا لزوم للتمسك بما يسمونه للطهارة أو البكارة أو الحصانة أو نحو ذلك، فقد خلق الذكر والأنثى على حالة لا بد لهما من هذا الاتصال المعروف، وهى مسألة طبيعية لا صلة لها بالمجتمع، بل هى تخص أصحابها فقط، كتلبية داعى الفطرة بالتغذى عند الإحساس بالجوع، وبالتدثر عند الإحساس بالبرد، وبالتبرز عند الإحساس بالحاجة إلى التخلى وهكذا ...

ويقولون مثل ذلك فى الصدق والكذب والوفاء والغدر، والشجاعة والجبن ... إلخ فكلها حقائق اعتبرناها، وليس لها وجود ذاتى، ولو عكسنا الاصطلاح فيها لانعكس أفلا يكذب بعضنا على بعض باسم المجاملة فيحسن الكذب، أفلا ينافق بعضنا بعضا لمثل ذلك فنسمى هذا كياسة ولباقة ولا نعطيه اسم النفاق ؟ .

هكذا يقول الوجوديون أو - كما يسميهم القرآن الكريم - المكذبون بالحسنى، أى الذين لا يؤمنون بأن هناك مثلا عليا وفضائل تحمد، ورذائل تذم .

والواقع أن هذا كله ما هو إلا سفسطة ومغالطة :

فإننا نقول لهم : إن الذى يحاول إنكار الخير والشر، والفساد والصلاح، والحسن والقبح، وزعم أن هذه كلها أمور اعتبارية لا وجود لها فى الواقع، ولا حقيقة لها بالذات، إنما يكابر فيما تحس به الفطر، وتلحقه بالبدهيات التى لا تحتاج إلى دليل . وقديما وجد قوم عرفوا باسم «السوفسطائية» مذهبهم أنه لا حقائق للأشياء، ولم يقفوا فى هذا الإنكار عند حد المعانى والأشياء المعقولة، ولكنهم أطلقوا إنكارهم حتى فى الأشخاص المحسوسة، وقد ذكر - كطرفة من الطرف - أن الإمام أبا حنيفة تجادل مع أحدهم فى المسجد طويلا، فكان يلتزم جانب المكابرة واللجاج بالباطل، فأوعز أبو حنيفة إلى أحد تلاميذه بأن يخفى دابة هذا السوفسطائى، فلما خرج من المسجد ولم يجدها، سأل : أين دابتى ؟ فقال له أبو حنيفة : وما دابتك ؟ وهل هناك حقيقة لشىء يسمى الدابة ؟ وبهذا سخر منه وأضحك منه الناس .

وهذا الشعور الفطرى المركوز فى الطباع الذى يؤمن بأن فى الوجود الخير والشر، والحسن والقبيح، والصالح والفاسد، هو الشعور الذى يعتمد عليه القرآن الكريم فى تقريع الجاحدين للبعث والجزاء، فإن القرآن الكريم يحتج لهذه القضية التى هى من

عقائد الإيمان الأساسية بأنه لا يجوز فى منطق العقول التسوية بين الخير والشر، وبين ما هو حسن وما هو قبيح ، وأن انتفاء البعث والجزاء يؤدى إلى التسوية بينهما ، وحكمة الله تعالى تتنافى مع هذا .

يقول الله عز وجل :

« إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاه ، ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير ، وما ويستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات » .

فهذه الآية الكريمة تقرر أولا : أن الذين تنفع فيهم نذارة الرسول إنما هم المؤمنون بالله ، وإن غابوا عنه فلم يروه بأبصارهم ، وهم الذين يقيمون الصلاة التى هى فرع عن الإيمان بوجود الله، وتقرر ثانياً : أن من تزكى بعمل الخير والصالحات فإنما يتزكى لنفسه حيث يفوز بجزائها عند الله، الذى آمن به ، وتقرر ثالثا : أن المصير والمرجع إنما هو إلى الله وبذلك تقرر الألوهية وتقرر المثل التى يتزكى بها من يتزكى قاصداً نفع نفسه ونجاتها ، وتقرر المصير بالرجوع إلى الله ، ثم تأتى بعد ذلك بقضية تسوقها مساق الحقائق التى يسلم بها جميع أرباب العقول ، إذ تنفى المساواة بين الأعمى والبصير ، وبين الظلمات والنور ، وبين الظل والحرور ، وبين الأحياء والأموات ، فكأنها بذلك كله تقول : إن الجزاء على الأعمال بعد المصير إلى الله ، أمر تقتضيه الحكمة والعدل وإلا كان ذلك تسوية بين ما لا يستويان .

ويقول الله تعالى :

« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار ؟ » .

فالذى يسوى بين المؤمنين والمفسدين ، أو بين المتقين والفجار ، مخالف لقضية الفطرة والعقل السليم ، والذى ينسب إلى الله التسوية بين هؤلاء وهؤلاء ؛ عمليا بترك الحساب والجزاء ، يكون ناسبا إليه جل وعلا ما ينافى حكمته وعدله ، أو جاهلا به سبحانه .

قال صاحب الكشاف فى تفسيره لهذه الآية : « لما كان إنكارهم للبعث والحساب ، والثواب والعقاب ، مؤديا إلى أن خلق السماء والأرض وما بينهما عبث وباطل ؛ جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه ؛ لأن الجزاء هو الذى سبقت إليه الحكمة فى خلق العالم ، فمن جحده فقد جحد الحكمة من أصلها ، ومن جحد فى خلق العالم فقد سفه الخالق ، وظهر بذلك أنه لا يعرفه ولا

يقدره حق قدره ، فكان إقراره لكونه خالقا كلا إقرار ، و (أم) منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الإنكار ، والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحوال من أصلح ومن أفسد . ومن اتقى ومن فجر ، ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما » .

وبهذا يتبين أن منطق القرآن الذى يخاطب به العقول ، إنما هو منطق الذى يتحدث عن التفاوت بين الأفعال ، كحقيقة ثابتة تعرفها العقول وتخاطب بها دون احتياج إلى إقامة الدليل عليها ، وهل يقام الدليل على الوجدانيات التى نحسها ! هل أنا بحاجة إلى أن أقيم الدليل لنفسى على أنى جوعان أو ظمآن ؟

وأبو حنيفة رضى الله عنه قد رسم الطريق للرد على هؤلاء ، أو إلزامهم بحكم منطقهم الأعوج فى أنفسهم ؛ فمن حقنا أن نقول لهم بأسلوب أبى حنيفة : أيرضى الواحد منكم أن تنطلق زوجته أو أخته أو ابنته تفعل الخنا ، وترتكب الزنا ، وتأتى بولد من الحرام فتنسبه إلى غير أبيه ؟ أيرضى أحدكم أن يأتمن على أعماله أحد الخائنين ، أو أن يكون له صديق من الغادرين ، أو رئيس من الظالمين ؟

* * *

والله تعالى قد تسمى بالأسماء الحسنى ، وهو رب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، وكل اسم من أسمائه الحسنى مؤذن بحبه لمعناه ، فهو الرحمن الرحيم ، الذى يحب الرحمة ويعامل بها عباده ويحب منهم أن يتعاملوا بها ، وهو المؤمن ، وهو الغيور ، وهو الغفور الودود وهو الصبور ، وهو الحكم العدل . . إلى غير ذلك من أسماء الجمال التى توحى إلى الناس بالمثل العليا وترغبهم فى أن يتمثلوها ويتعشقوها ويتخلقوا بأخلاق الله فيها ، فمن سوغ لعقله أن يسوى بعد هذا بين الجمال والقبح ، فقد سوى بين صفات الله الحسنى وغيرها من صفات السوء ، والنقصان ، وأجدر به أن يكون مطرودا من فضل الله ، محروما من توفيق الله ! « ولله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » .

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

عالجوا السارق بما أمر به الله

للأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى

اطلعت فى بعض الصحف الصادرة يوم الخميس ١٤ / ٤ / ١٩٦٠ على كلمة الأستاذ على جريشه وكيل النائب العام ، وعلى تعليق الأستاذ ميخائيل مكرم عازر بتاريخ ١٩٦٠/٤/٢٧ .

ومع إعجابى بما أشار إليه الأستاذ على جريشه من أن قوانين بلادنا التى جلبت إليها من بلاد عدة أصبحت كالثوب الخلق المؤلف من رقع مختلفة ، كلما هبت الريح طارت برقعة منها ، أقول مع إعجابى ببحثه القيم إنى سأعرض على أولى الأمر رأيى من الوجهة التى ارتضاها الخالق سبحانه وتعالى لمعالجة بعض أمراض عباده الذين يعلم سرهم ونجواهم وعللهم ودواءها . أقول يجب علينا أن نعتبر بالحوادث ، ولا ندعها تمر بنا دون أن نكترث بها . فيصيبنا فى الغد سهمها كما أصابنا بالأمس .

فهذا « اللص القاتل » الذى استفحل شره ، وتعددت جرائمه . فأفزع الآمنين وقتل الأبرياء . وشغل الشرطة بل جهاز الأمن كله حتى سقط صريعا ، ومنذ زمن ليس ببعيد كان « خط الصعيد » ذلك المجرم الذى روع قرى وبلاداً بأسرها يفرض على أهلها الإتاوات ، ويقتل من لا يستجيب لأوامره . ذلك الذى دوخ رجال الشرطة ، ورمل نساء ، ويتم أطفالا ، وأذل رجالا ، وابتز أموالا ، وأما حوادث « سويلم » و « هاشم » وأمثالها فلا تزال ماثلة فى الأذهان .

ولو نظرنا فى أمر هؤلاء وأمثالهم لوجدناهم نشئوا لصوصا أغراهم ضعف القانون من حيث عقوبته الهزيلة . فتمادوا واستفحل شرهم . وأوغلوا فى إيذاء الخلق ، واستهانوا بما توعدهم به القانون من حبس شهر أو بضعة شهور يخرجون بعدها ليكرروا المأساة . وماذا استفاد الموظف الذى نشل مرتبه فى أول الشهر ودخل على أولاده والحسرة تحيطه من كل جانب ؟ ماذا استفاد من حبس السارق شهراً أو شهرين ؟ وماذا فعلنا للمجتمع ؟ إن هذا السارق سيعود ليسرق مرة ومرة ومرات . كما قال الأستاذ جريشه .

ولست أدرى لم لا تنفذ حدود الله ولو فى هذه الجريمة : جريمة السرقة . وهى التى كثرت واشتد خطرها . وهى أكثر

الجرائم ترويعا للناس وشغلا لجهاز الأمن في الدولة .

لعل أكثر من نصف القضايا التي تنظرها المحاكم الجنائية هي قضايا السرقة . وأن قطع يد واحدة لكفيل أن يريح الناس من هذا الشر المستطير . فهذه أرض الحجاز التي كانت في يوم من الأيام مباءة للصوص وقطاع الطرق ، وقد ذاع بين ربوعها السلب والنهب. ما أن نفذت فيها حدود الله ، وقطعت فيها يد السارق ، حتى عم الأمن وأصبحت تمضي الشهور بل والسنون دون أن نسمع بحادث واحد من حوادث السرقة ، وانتهى هناك عهد قطاع الطرق .

ورب قائل يقول : إنها لقسوة أن تقطع يد آدمي ... ولكنني أقول هل من القسوة أن نقتص من الظالم الباغي ... ؟ وهل من الرحمة أن نرفق بوحش كاسر شرير يعدو على الأبرياء من الرجال والنساء، من الشيوخ والأطفال ، يروعهم ، وينتهك حرماتهم ، ويسطو على أموالهم ، بل وعلى أرواحهم يزهق منها من يعترض طريقه ... ؟ .

وهل من القسوة أن نقطع يدا ؛ لنرحم مئات من بطشها ... ؟ وهل من الرحمة أن نصون هذه اليد لتسفك دماء وتعيث في الأرض فسادا ... ؟ .

ورب قائل يقول: إن الأمم الراقية تعمل على تخفيف ويلات المصابين من أبنائها في بعض الحوادث ، فتعمل له رجلا أو يدا صناعية ... فكيف نقدم نحن على تشويه الناس . . . ؟ وأنا أقول : إن هذا علاج لا تشويه . كالعملية الجراحية التي يبتر بها الطبيب رجلا أو يدا مصابة بالسرطان ، فالمجتمع جسم واحد والعضو الفاسد منه يجب أن يجرى عليه مبضع الجراح ، وكم يسر المجتمع أن يتخلص من أمراضه حتى لا تفتك به ، ومن علله حتى لا تقضى عليه . . .

وقد يقول قائل : إن الأمم تعمل على تقليل عدد المتعطلين من أبنائها . كما تعمل جاهدة أن يكون كل فرد منها منتجا فكيف نزيد نحن عدد المتعطلين من أبنائها . كما نمنع أبناء الأمة من الإنتاج بقطع الأيدي : وستضطر الدولة للإنفاق على من قطعت يده دون أن يقوم بعمل أو ينتج شيئا . رب قائل يقول ذلك فنقول له : إن السارق الذي تقطع يده لم يكن منتجا ولكنه كان معول هدم في الأمة يروع المنتجين ويقلق العاملين . وأما ما تنفقه الدولة على هؤلاء ، فلا يعدو أن يكون نوعا مما تنفقه على الوعظ لإرشاد الناس . أو شيئا مما تنفعه في سبيل الإعلان والدعاية لشيء يفيد الناس ويوجههم لما ينفعهم ماديا أو أدبيا أو اجتماعيا . وهل قطع يد السارق والإعلان عن ذلك بين الناس وإذاعته عليهم ومشاهدتهم

له مقطوع اليد ، إلا نوع من الدعاية للأمانة والبعد عن السرقة وإيذاء الناس فى أموالهم بل هو أعظم رادع ، وأقوى زاجر لمن تحدثه نفسه أن يمتهن السلب أو يفكر فى العدوان على الآمنين .

ولا ريب أنه إذا اطمأنت النفـــوس فسينصرف الناس إلى أعمالهم آمنين مجـدين لا يشغلهم شاغـل ولا يلهيهم آثم وتتوفر على الدولة أموال طائلة مما تنفقه على جهاز الأمن ويمتنع قطع اليـد كما قال العربى الأول « القتل أنفى للقتل » وكما قال الله عز وجـل بأبلغ من ذلك : « ولـكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » .

ورب قائل يقـول : ولم لا نعالج المجرم بالإصلاح والتهذيب . والواقع أن هذا كلام فى جملته نظرى أقـرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة . ولست أنسى ما ذكرته الصحف منذ بضع ســنين عن ولد بلغت ســنه أربع عشرة سنةولما اطلع مأمور قسم السيدة على صحيفة سوابقه هاله أن وجد له أكثر من ١٥ سابقة ، فما كان من الولد إلا أن قال ببراءة الفطرة : « لا يمكننى أن أمتنع عن السرقة . فإن يدى تمتـــد ولا أستطيع أن أمنعها ، إن شئت يا سيدى ألا أسرق فاقطع يدى » .

ولم نذهب بعيدا وهذه السجون منذ أنشئت وأنشئ بها الوعظ ، هل أصلحت من اللصوص أحداً . . . ؟ - كما قال الأستاذ جريشه - إن صحف السوابق تشهد أنه يندر أن نجد لصا ليس له عدد عديد من السوابق ومعنى ذلك أنه كلما أطلق سراحه عاد لما كان عليه فلم ينفعه وعظ ولا إرشاد . صدق الله العظيم حيث قال فى أمثالهم : « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » .

وهذا هو النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها » وهناك علاج آخر جاء فى القرآن الكريم نضعه تحت أنظار المسئولين من رجال الأمة لعلهم يجدون فيه غوثا ينقذ الأمة من هذا الشر .

ذلك هو قوله تعالى : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خـزى فى الدنيـا ولهم فى الآخـرة عذاب عظيم) آية ٣٣ من سورة المائدة .

فإذا علمنا أن هذا هو تشريع العليم الخبير بطبائع الناس وما يصلحهم نعلم فساد رأى القائلين : إن الأمم تتجه إلى إلغاء بعض العقوبات الشديدة . فكيف بنا نشدد العقوبة .

ولا شك أننا يجب أن نعمل ما يصلح به

(البقية على ص ٥٦٣)

نفحات القرآن

عداوة الأغنياء للمصلحين من آفات المجتمع

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

> نوح عليه السلام !! « قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين » .
> وكذلك قيل لبقية المرسلين من بعده .

١ — كما تشابهت دعوة الأنبياء لأنهم فى مقاصدها الخـيرة ، ومناهجها البين : تشابهت خصومات الأمم فى المكابرة بالباطل ، والتطاول فى غير حياء ولا وعى .

فحينما يتبلج الحق ، وتنهض حجته لا يعدم خصومة تثار فى وجهه ، ويتشبث بها غبى حاقد زاعما أنه على فطنة ورشد ، وما هو إلا غبا. يسد منافذ الدعوة إلى عقله ويحجب نور الهداية عن قلبه .

وكم من عائب قولا صحيحا
وآفته من الفهم السقيم

٢ — وهذا نوح عليه السلام ، دعا قومه إلى الهدى فلم يكفهم أن تغاضوا عن إجابته ، بل عارضوه ورموه بالضلال المبين .

وكذلك قيل لهود من بعده . وقيل لصالح ولشعيب . ونحوهم من الأنبياء إلى خاتمهم محمد بن عبد الله ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وما كان الأنبياء ، ولا واحد منهم ليتهم بالضلال ، أو يرى بالسفه وهم المبعوثون للهداية ، أو ليوصفوا بالكذب أو غيره من معابة وهم أرشد الراشدين المرشدين .

٣ — وحينما يتحدث القرآن عن الرسالات وتطورها ، وما لقيته دعوته من شطط فى الخصومة والعنت يبدأ بذكر نوح عليه السلام ، كما فى آيات الأعراف التى سقناها فى المقال السابق ، والتى اقتطفنا أولاها فى مطلع حديثنا اليوم .

فسياق الكتاب العزيز فى هذا الشأن يفيد جانبين ـ أحدهما ـ أن دعوة نوح هى نفسها دعوة الرسل من بعده فى أصولها ، ومقتضياتها حتى كانت خاتم الرسالات بالنبى محمد خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم جميعا .

« إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده - شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا » .

الجانب الثانى أن رسالة نوح كانت فى قومه الذين ينتمى إليهم ، ويعيش فيهم ، وهم العارفون لشخصيته ، والشاهدون بكريم سمعته كما هو الشأن فى كل نبى يبعث « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » الآية .

وطبعى أن يكون الاختيار لمن لا تعلق به نقيضة ، ولا تحوم حوله شبهة ، حتى يؤتمن على التوجيه ، ويصلح للقدوة . . فالمفروض أن يلاق إقبالا ويواجه تأييدا ، وخاصة إذا بعث بعد أن عاش بينهم أمدا طويلا وناهيك بنوح الذى بعث بعد زمن قيل إنه مائتان وخمسون عاما قبل الرسالة .

٤ — وهل كان نوح أول من أرسل حتى يعتبره القرآن مضرب المثل فى الوحى إلى محمد والنبيين من بعد نوح ؟؟ .

قال أولوا العلم كان من قبله آدم ، وشيث ، وأوريس ، ولكنهم ما بين نبى فقط كآدم وما بين رسول لم يشاققه ويكفر به قومه كما فعل قوم نوح معه .

فنوح أول رسول اختلف عليه أغبياء قومه فكانت ذكراه فى قصص القرآن مطلع الذكريات ، وكانت العبرة بما جرى معه أول العبر ، وليس لمن سبقه اتصال بالحديث عن الكافرين حتى يسبقوه فى الحكاية عنهم كما سبقوه فى التاريخ ثم : ماذا حصل ؟ ؟ .

قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، قالوا « إنا لنراك فى ضلال مبين » .

ناداهم بالقومية ، والنداء بالقومية ينبه عاطفة الإخاء القريب أو يثير مشاعر الود ويجذب إلى الوحدة والتضامن ، ويطمئن إلى الإخلاص وتوثيق الروابط .

والناس بحاجة إلى كل هذا التجمع فى حياتهم الخاصة والعامة إذا قدروا معنى الحياة ، ولم يفتهم أنها فى أول مراتب الاعتبار بالنسبة للإنسان .

ولذلك الذى نقوله : ترى خطاب النبيين - لأنهم فيما عهدناه من قصصهم - كان دائما بيا قوم أو ما هو بمعنى هذا . .عدا النبى محمدا صلوات الله عليه وسلامه فقد قال (يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً) .

وقد ظل نوح يكرر عليهم نداءه هذا ، ويتدفق عليه جيلا بعد جيل ، وما يسمع منهم إلا تقريعاً له واستهجانا لدعوته « يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا » .

وهو يلاطفهم فترة يقول « يا قوم ليس بى ضلالة ، ولكنى رسول من رب العالمين » . ويقول : « أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون » فالله يوحى إلى بأمر

الغيب ، وأنا لكم مخلص وأمين ، والأمانة والإخلاص من مقتضيات الأخوة الصادقة والقومية الأكيدة ، فضلا عما تقتضيه رسالتى إليكم من ربى . . . فإن لم يكن بكم وفاء ، ولا ولاء فخافوا عذاب ربكم فى يوم عظيم الهول ، شديد الهوان على من خالف .

تصدى له فى دعوته الملأ من قومه ، والملأ هم أصحاب المكانة فيهم ، ودأبوا على مقاومته وصد الغير عنه من أتباعهم والمستضعفين فيهم .

والملأ فى كل جماعة يغيظهم أن يظهر عليهم من يخشون سيادته ، ويكبر فى نفسهم أن يسيروا وراء غيرهم ، ويتخلفوا عن الصدارة ليتابعوا سواهم ولو كان مرسلا إليهم من رب العالمين .

فلم تكن شغلة نوح بأمر التبليغ فقط ، بل شغلوه بالمناوأة والاتهام بالضلال حتى كان يحاول الدفاع ، ويترفق ثم يترفق . . . حتى أخذ منه الغضب مأخذه ، وساوره اليأس منهم ، وعرف أكيدا أن أذاهم له ولمن آمن به غير مقطوع عنهم ، ولكنه لم يكن ليفتر عن نشاطه فيهم حتى صارحه الوحى بقطع الرجاء منهم « وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن » وهنا أيقن أن تركهم على ضلالهم بعد مطاولته لهم عشرة قرون إلا قليلا سيمكن لهم فى الفساد أكثر، وأن من الخير للإنسانية أن يجتاح الله أولئك الكافرين ، لتطهر الأرض من مآثمهم ، وتستقبل الدنيا عهدا قد يكون خيرا من عهدهم .

فكان بعد المصابرة يعلن شكواه إلى الله « رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا . فلم يزدهم دعائى إلا فرارا . وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم، واستغشوا ثيابهم، وأصروا واستكبروا استكبارا . ثم إنى دعوتهم جهارا ، ثم إنى أعلنت لهم، وأسررت لهم إسرارا . رب إنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا » ، وأخيرا ، وبعد أن جأر بالشكوى من متبوعيهم وتابعيهم نفث ما بنفسه من سخط ، وقال « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا - أحدا - إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا » .

وهذه دعوات نبى مستجاب الرجاء ، ومكروب من ظلم قومه له ، وتحديهم بالكفر لرسالة الله إليهم فكانت لحياتهم الطويلة عاقبة وخيمة ، وكان لدعائه عليهم مغبة مشئومة ، حيث أذن الله لنوح أن يصنع السفينة لينجو بها من غرق ماحق ، وأذن له أن يحمل فى السفينة من آمن به ، ويحمل أزواجا من الحيوان والطير ثم أنفذ الله أمره فيهم ، وبغتهم بالطوفان العارم ، يهطل عليهم من السماء ، ويتدفق تحتهم من الأرض ، ونوح ومن معه فى السفينة تجرى بهم فى موج

كالجبال ، حتى استأصل الغرق من كفروا جميعا ، ولم ينج منه إلا نوح مع المؤمنين به « وما آمن معه إلا قليل » .

فهذه قصة واقعية ، كانت الفصل الأخير للمرحلة الأولى من مراحل الحياة الدنيا .

وهكذا انتهت ثورة الملأ على نوح. وانتهت بدنياهم سورة الجهل الذى زين لهم خصومته، وعاقهم عن الأخذ برسالته ، وكذلك تكون العاقبة للمفترين على الحق ، كما كانت عاقبة أسلافهم فى كل أمة خلت بعد نوح ولهم عند ربك فى الآخرة مواقف أنكى وأشد ، وسيتنكر الطغاة بعضهم لبعض ، ويتبرأ المتبوع من التابع، ويلق كل منهما وزره على صاحبه، وأخيرا يقول قائلهم فى وهج النار وبعد اليأس من رحمة الله : « إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد » .

فهل تحققت عبرة لمن ورثوا الدنيا بعد قوم نوح ، ذهب الطوفان ، وعمرت الأرض ثانيا بنوح ومن معه ، ومكث فيها نوح أمدا طويلا ، ثم تطورت الحياة وتغيرت الوجوه ونشأ فى الدنيا قبيلة عاد التى وصفها الله بما وصفها من بأس ، وقوة ، ومال ، وتعمير ، فكانوا شر خلف لشر سلف وأخذهم الله بالريح العاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام ، بحرها وبردها ، حتى تركتهم أخيرا كأعجاز نخل خاوية .

وهكذا تحقق وعد الله فى قوله لنوح عليه السلام حين نجاته من الغرق : « وقلنا يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك ، وعلى أمم ممن معك ، وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم » .

وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا ، وللكلام بقية عن ذلك فى مناسبة آتية .

وبعد : فهذه مقتطفات أجملناها من قصص القرآن ، وهى تمثل ألوانا من حياة المجتمع فى قديمه ، وتعرض لنا صوراً من عقليات كانت تسيطر على أتباع وكانت لها جولات فى توجيه أقوامهم ، ولكنها توجيهات الغباء ، والجهالة ، والجمود ، حتى ذهبت المشأمة الناجمة عن تخبطهم بالمجتمع كله ، وحتى ذهبت أمجادهم التى غرتهم ، وانطمست النعم التى أبطرتهم ، وأصبحوا حديثا تتقزز منه الإنسانية ويتوارى من ذكرها التاريخ .

هذه مقتطفات تسوق لنا العبرة فيما جرى لأولئك الأسلاف لنستفيد منها ، ولا نتأسى بهم ، ولنعرف عنهم ، ولا نخطىء خطأهم ، وقد أتيحت لهم الفرص فى نعمة سابغة ، وحياة طويلة ، وتذكير حق من رسل الله ، ولكن الغواية تمكنت منهم . والحقد على الأنبياء استحوذ عليهم ، وتعثروا فى غرورهم حتى كان من أمر الله فيهم ما كان .

نعم : تعب الأنبياء ، وكم تعبوا . وتعب من

بعدهم مصلحون آخرون فى أقوامهم وكم تعبوا
وماذا يعمل الداعى إلى الخير سوى إبداء النصح فى إخلاص، وسوى التحذير من سوء العاقبة فى هدى الدين، وهدى البصيرة، والإخلاص، والأمانة.

وماذا يساعد الداعى فى دعوته أكثر من الوحى إن كان نبيا، وسوى الاعتماد على الأفهام فى تقدير ما يطلب إليهم الأخذ به؟

الأهداف الطيبة تبدو عادة فى منهاج المصلحين، ويعززها دائما ما يقترن بها من شواهد الصدق فى مسلكهم، وما يعرف من خصوصياتهم.

والعقول من وراء ذلك تحكم بالحق، وتستجيب للصدق، وعند ذلك تلتقى وجهات النظر فإن الحق بطبعه ناهض على الخير، وناطق، وإن الباطل بطبعه خافت وزاهق.

وتلك أو هذه إحدى الغايتين اللتين ينتهى إليهما الأمر بين الداعين والمدعوين.

وكانت غاية الأنبياء خيرا لولا الملأ ونفوذهم فى الضعفاء، فإن تكن الدنيا حافلة بهذا النوع من المستكبرين فإن شؤمهم سيحيق بهم، وبمن يرضى عنهم وهذه سنة الله، والله غالب على كل شىء وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون؟.

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

بقية المنشور على صحيفة ٥٥٨

أمرنا ويأمر به ديننا لا يعنينا من أمرسوانا ما لا غناء لنا فيه.(١)

هـذا ما رأيناه تأييداً لكلمة الأستاذ جريشه. أما كلمة الأستاذ ميخائيل فإنها لا تستحق تعليقا لأنها أقرب إلى النظريات الخيالية منها إلى الحقائق العلمية.

عبد الجليل عيسى

(١) ومن عجيب تصاريف القدر أن يقدم لنا برهانا على صدق خطورة إهمال الحرس ذلك أن ثلاثة لصوص من الخطرين حاولوا نقب جدار حانوت فاتورة تحت المسكن الذى أسكنه بشارع العباسية رقم ٩٢ فى الساعة الثانية بعد منتصف ليلة السبت ٢٢ أكتوبر ١٩٦٠ ولولا يقظة رجال الشرطة لقتل البواب وتمت الجريمة.
ومكان العبرة فى هذا الحادث أنه تبين بعد القبض = على هؤلاء اللصوص أنهم لم يمض على إخراجهم من معتقل الطور سوى بضعة أيام.
ألا يكفى كل هذا أن يكون حافزاً على البحث عن علاج ناجع بعد أن فشلت كل هذه المحاولات المجلوبة من الخارج.

الثورة الرابعة ضرورة محتومة

للأستاذ محمود الشرقاوى

كان المقال الافتتاحى فى العدد السابق من هذه المجلة مقالا موجها ، ملهما ، منيراً .

ودعوة الإصلاح والتجديد للفكر الدينى دعوة طالما صحنا بها ، بل صرخنا ، منذ ثلاثين سنة ، فى كتبنا[1] وعلى صفحات «الأهرام» و «الرسالة» ، ومن قبلها «البلاغ» ومن قبلها «السياسة الأسبوعية» . وكان كثير من ذلك قبل الثورة . فإذا جاء الأستاذ الكبير «الزيات» اليوم يجدد دعوته ودعوتنا هذه . ويقول إن : (ثوراتنا الثلاث تعوزهن رابعة) فحق لنا أن نغتبط ، وأن نلبى وأن نساند .

هذه الثورة الرابعة ضرورة محتومة . ولكننا نريدها ثورة بناءة لا هادمة ، مخلصة حكيمة ، قائمة على الشجاعة لا على التهور ، على الفهم لا على المتابعة ، على الإخلاص والصدق لا على التهييج والمباهاة ، على البصيرة المهتدية الهادية لا على الاندفاع الطائش المخرب .

نريدها ثورة لتقويم الفكر الدينى نفسه . ثورة من الدين لا على الدين . له وليست ضده . هدفها وغايتها أن تعود بالعقيدة إلى ما أراد الله لها من الصفاء والنقاء . وأن ترجع بالشريعة إلى حيث وضعها الله من الطهر واليسر .

والثورة إلى جانب الدين ـ كما قال أستاذنا الزيات ـ إضافة قد تنكرها بعض النفوس ولكنها ، بعد التأمل ، ستسكن إليها وترضى عنها فتألفها ولا تأنفها . والدين نفسه ثورة على الأوضاع الفاسدة والأفهام الضالة التى كانت قائمة ، وكتاب الله الكريم ذم المشركين وعابهم لأنهم كانوا يقولون : «إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون[1]» .

* * *

فى الفكر الدينى : عقيدة وشريعة ، أشياء كثيرة تحتاج إلى تقويم ، بل إلى ثورة ، و «النص» فى الدستور على أن الإسلام دين الدولة لا يحقق معناه إلا إذا كان للدين الأثر الفعال فى التربية والتعليم والتشريع والسلوك كما جاء فى مقال الأستاذ الزيات . وهذه

---

[١] انظر على وجه الخصوص فصلى : «تاريخ له دلالة» و : «المسايرة والمكابرة» من كتابنا الأخير تقويم الفكر الدينى وصلته بالقومية العربية .

[١] الآية : ٢٢ من سورة الزخرف .

أمور ، كما ترى بعضها يمكن أن يمكن الأزهر من القيام به - بوصفه المهيمن على الفكر الديني والتوجيه العقيدى بين المسلمين - وبعضها تقوم به الدولة الحريصة على تقويم هذا الفكر الديني حرصها على تقويم كل أمر آخر .

وعندما أتحدث عن الفكر الديني لا أنظر له نظرة ضيقة تحدها حدود الجمهورية العربية المتحدة . بل أنظر له نظرة شاملة كاشفة محيطة تشمل ألوانه وأنماطه في البلاد الإسلامية كلها فهى تشترك في كثير ، وتفترق في كثير . وكثير من هذا وذاك منحرف عن الفهم الصحيح للدين . ومن ثم يحتاج إلى التقويم . كثير من الكتب التي يطالعها الناس ويتلقون مافيها على أنه من « الدين » ، كثير مما في هذه الكتب لم يجئ به الدين ، بل لعله يجافيه وينكره ، كما ينكره العقل ، وينكره العلم . في بعض هذه الكتب أن نوحاً سفينته من عظام حيوان يبلغ طوله مسافة ما بين السماء والأرض ، ويبلغ عرضه مسيرة عام كامل .

وفى بعض هذه الكتب أن عيسى عليه السلام مر ذات يوم على جبل وبه صخرة في بياض اللبن الحليب ، ولما ضربها ، انفلقت وخرج منها عبد صالح وبجانبه عنقود من العنب ، فسأله عيسى ما هذا ؟ فقال : هذا رزقى يرسله الله جزاء عبادتى السنين الطوال فيقول له من أنت ؟ فيقول : أنا فلان الذى فعلت في العبادة كذا وكذا وصليت كذا وصمت كذا . فيقول الله لعيسى : أرأيت ثواب هذا العبد؟ . فيقول نعم ، فيقول الله : إن ثوابه لا يعدل ثواب رجل من أمة محمد يصلى في ليلة النصف من شعبان ركعتين .

وقد تحدث بهذا الحديث رجل من الذين يحدثون الناس باسم الدين في مسجد من مساجد القاهرة [1] .

ونجد في بعض هذه الكتب أن راعيا كان يرعى غنمه فرأى ذئبا يثب على شاة ليأكلها ، فحال الراعى بينه وبين الشاة ، فأقعى الذئب على ذنبه وقال : يا عبد الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلىّ ؟ ! [2] .

ونجد فيها أن حديثا يروى عن النبى عليه السلام يقول : أدخلت الجنة فرأيت فيها ذئباً فقلت : أذئب في الجنة . . ؟ فقال أكلت ابن شرطى . . ! ثم يزيد القائل إن ابن عباس علق على ذلك فقال : أكل الذئب ابن الشرطى ، فلو أكل الشرطى نفسه لرفع إلى عليين [3] .

ويقول من كتب هذا بعد ذلك : إن هذا الحديث موضوع ، ومع ذلك يرويه ويكتبه

---

[1] انظر جريدة «الأخبار» في ٢٠ مايو سنة ١٩٥٥

[2] و [3] ص ٣٣١ من كتاب : « حياة الحيوان الكبرى للدميرى » ج - ١ - الشرفية ١٣٠٦ و «حياة الحيوان» ليس من كتب الدين ولكن ألوان الثقافة العربية القديمة كانت متشابكة مختلطة . وهذا الكلام يذكر على أنه من الدين فيلصق به .

ويتداوله الناس على أنه من « الدين » .
ولايدلنا كاتبه على الوزر الذى استحق به ذلك الولد البرىء أن يأكله الذئب ، ثم يثاب الذئب على أكله الطفل فيدخل الجنة . وما ذنب ذلك الطفل فى أن يكون أبوه شرطيا .؟

وهل كل شرطى يستحق أن يغتال ابنه ذنب فيدخل الجنة . أو يأكله الذئب نفسه فيرفعه الله ، كما يقول المؤلف ، إلى عليين فى جنة الأبرار . ؟

فأى شىء أكثر من ذلك يدعو إلى الثورة ويجعلها ضرورة محتومة . . ؟ .

وكان الرهبان ، فى القرون الوسطى ، يعكفون على أبحاث عجيبة يظنونها مقدسة .

كانوا يبحثون عن قيمة رقم (٧) فى الدنيا والآخرة ، وعن عدد الملائكة التى يمكن أن تقف على رأس الإبرة ، وعن مكان الروح من الجسد ، هل هو الرأس أم القلب .

وكان أمثالهم من قبلهم ، يبحثون ويتجادلون فى إثبات أن المرأة لها روح كما للرجل روح أو ليس لها . ويعقدون المؤتمرات لذلك .

كان هؤلاء وهؤلاء يشغلون أذهانهم ، ويجهدون عقولهم ، ويصرفون أوقاتهم وأوقات معاصريهم فى مثل هذه الأمور وهم يزعمون أنهم يشتغلون بمباحث مقدسة لها أعظم الخطر فى حياة الناس : حياتهم فى الدنيا وحياتهم فى الآخرة .

كان الرهبان يفعلون ذلك فى القرون الوسطى حين كان المسلمون يشتغلون بالطب ويعرفون التشريح ، وينشرون ، بالفهم والفلسفة ، دعوة العقل والإدراك والتأمل ، ويبشرون بفهم جديد هو الذى ساد الحياة الإنسانية فيما بعد ، ويسودها فى العالم الحديث ، يقوم على البحث والعلم والمطالبة بالدليل .

وما يزال بعض من القوم ، البون بين الحياة المحيطة بهم وبين ما يشغلون به عقولهم وتفكيرهم ، شبيه بما كان من البون بين رهبان القرون الوسطى ورواد البحث العقلى من المسلمين ، من أمثال ابن رشد وابن الطفيل والرازى وابن سينا وابن حزم وأمثالهم .

ما يزال بعض من هؤلاء يقضى عاما كاملا يتناقشون فى « حملة العرش » ، وما صفتهم وهل هم أوعال أو غير أوعال ! [1] .

وقد يكون هذا الوضع قد انتهى من الأزهر ومن جمهوريتنا العربية أو هو يوشك أن ينتهى ، ولكنه ما يزال باقيا فى بعض البلاد الإسلامية والعربية وفى بعض بيئاتها الدينية .

فأى شىء أكثر من ذلك يدعو إلى الثورة ويجعلها ضرورة محتومة ؟ .

* * *

فإذا انتقلنا إلى كثير من الكتب التى وضعت فى الشريعة أو « الفقه » نجدها كذلك تجعل الثورة الرابعة ضرورة محتومة : وذلك

(١) العدد : ٣٥ من مجلة الرسالة : مقال الأستاذ الشيخ محمد محمد المدنى .

شيء واضح بين يعرفه الدارسون والقارئون لهذه الكتب، ويعرفه أكثر من ذلك أمثالنا الذين درسوا «الفقه» فيها أيام الطلب في الأزهر ولكني أذكر طرفاً يسيراً منها لمن لا يعرف.

أذكر من ذلك هذا السؤال الذي يقول: «ما رأيكم في إمام صلى بالناس صلاة العيد، ثم ضحى به الناس بعد الصلاة ؟».

قالوا في الجواب: يكون هذا الإمام أبوه رجل وأمه نعجة، نخرج لأمه .!

نجد هذا السؤال وهذا الجواب، بينما نجد في سيرة الإمام مالك أنه سئل عن أمر ليس مستحيلا كهذا الإمام الذي ولد من رجل و «نعجة» بل كان أمرا ممكنا ولكنه لم يقع، فقال مالك: هل وقع ذلك . . ؟ قال السائل: كلا، لم يقع. فقال له مالك إذا وقع فاسأل.

وأذكر لهم مثل ذلك السؤال الذي يريد صاحبه أن يعرف حكم الجنابة على الرجل إذا دخل، في رحم امرأة . !

ومثل ذلك القول الفقهي الذي يفتي بأن رجم البهيمة إذا زنى بها زان، ويروى في ذلك حديثا عن النبي عليه السلام يقول: «اقتلوا البهيمة ومن أتاها» [1].

وأذكر لهم مثالا من أمثلة الصياغة والتأليف في هذه الكتب هو هذه الفقرة «.. أو ثوب موصوف بصفات السلم فهو بيع للمدعاة من المدعي لغريمه، أو إجارة لها بغيرها منه لغريمه، أو لغريمه، أو لغيرها بها من غريمه له» [1].

ومثل ذلك الذي جاء في كتب: «ونحن مع الدراهم قلة وكثرة» [2] وتأمل ما في هذا القول من إيحاء ومن دلالة ومن «جرأة».

ونجد في مقالة من مقالات هذا العدد [3] بعض هذه الكتب يدرس في جامعة النجف الأشرف بالعراق، كما يدرس في جامعة القرويين بالمغرب، وقد درسناه نحن في الأزهر، فهو محنة تحتوي طلاب الثقافة الدينية في بلاد الشرق العربي كله.

فأي شيء أكثر من ذلك يدعو إلى الثورة ويجعلها ضرورة محتومة ؟.

ونحن لا ندعو لإعدام هذه الكتب أو إلغاء دراستها، ولا نريد أن نناقش أولئك الذين يقولون إن فيها فوائد من شحذ الذهن ومران الفكر وتنمية الملكة العقلية للاستنباط والجدل.

---

[1] ص: ٣٦ من - الأحكام السلطانية - للماوردي، - طبع دار السعادة سنة ١٩٠٩ -

[1] ص ٤ من الجزء الثالث من حاشية البجيرمي على شرح المنهج في فقه الإمام الشافعي باب الصلح - الأميرية سنة ١٣٠٩ -.

[2] حاشية المدابغي على الخطيب في فقه الشافعية - باب الطلاق -.

[3] مقال: - جامعة الأشرف - للسيد الأستاذ محمد رضا المظفر عميد كلية الفقه بالنجف.

فكتب الشريعة والفقه لم تخلق لمثل ذلك بل يراد منها معرفة الأحكام الشرعية بالدليل من كتاب الله وسنة رسوله . وشتان بين ما نجد فى موطأ مالك مثلا أو الأم والرسالة للشافعى أو الموافقات للشاطبى أو المحلى لابن حزم وأمثالها .

لا ندعو لإعدام هذه الكتب أو إلغاء دراستها . بل يجب أن تدرس دراسة تاريخية على أنها نمط من أنماط التأليف فى عصور خاصة تأثرت بمؤثرات خاصة . ولهذه الدراسة رجالها وموطنها ، وليس من هؤلاء طلاب الفقه ، ولا من هذه دراسات الشريعة .

السبيل ، أو بعض السبل ، لتحقيق هذه الثورة الرابعة بعد إصلاح النفوس والقلوب والضمائر - أجده فى مشروع بحث ودرس قبل عشرين سنة [١] . تقدم به يوم ذاك كبير من شيوخ الأزهر إلى شيخه الأكبر ، وهو :

أن تقوم جماعة من كبار العلماء بما يأتى :

أولا :

(١) إيضاح ما قد يخفى من أصول الدين .

(ب) بيان ما هو بدعة وما ليس بدعة .

(ج) بيان أحكام الشريعة فى المعاملات التى جدت وتجد .

ثانيا :

(١) بوضع مؤلفين يجمع أحدهما تفسير القرآن تفسيراً سهل التناول يوافق أصول الدين وقواعد اللغة العربية مع التنبيه على ما فى كتب التفسير المتداولة من الإسرائيليات والآراء التى لا تتفق وأصول الدين العامة وقواعد اللغة . ويجمع الآخر الأحاديث التى تصلح للاحتجاج والتى لا تصلح مع بيان درجاتها المختلفة .

(ب) التنقيب عن الكتب الإسلامية التى يعظم نفعها فى مختلف العلوم والعمل على إخراجها إخراجا صحيحا متقنا .

هذه خلاصة مشروع تقدم به ، قبل عشرين سنة ، كبير من شيوخ الأزهر ولعل ما لم يمكن الأزهر منه من قبل ، يمكن الآن منه فى عهد الثورة التى قامت لتصلح الفاسد وتقيم المائل وتقوم المعوج .

واحدة من اثنتين : إما أن يكون الدين أمراً لا بد منه لتنظيم مجتمعنا والهيمنة على سلوكنا وتنوير بصائرنا وتهذيب ضمائرنا ففى هذه الحالة نجد أن هذه الثورة « الرابعة » ضرورة محتومة ، وإما أن يكون الأمر على غير ذلك . فنحن عندئذ لا نملك إلا أن نردد قول الله تعالى : « والأمر يومئذ لله » ؟

محمود الشرقاوى
سكرتير التحرير

---

[١] محضر جلسة - جماعة كبار العلماء - المنعقدة يوم ١٥ من شوال سنة ١٣٦٠ - ٤ نوفمبر ١٩٤١ .

تطوير الفقه الإسلامى

للدكتور محمد يوسف موسى

الإســـلام هو خاتم الأديان السماوية بلا ريب ، وقد جاءنا بالعقيدة الحقة بعد أن اشتد الخلاف فيها ، وبالشريعة الأصيلة العادلة الصالحة لكل زمان ومكان حتى آخر الدهر، وبالنظم التى تقوم عليها الأمة وتكون حقا خير أمة أخرجت للناس ، ومن هذا وذاك ما نعرفه اليوم باسم «الفقه الإسلامى».

فليس لنا أن ننتظر عقيـدة أخرى تنفتح بها السماء ، ولا شريعة يتنزل بها الوحى الإلهى غير ما جاء به القرآن الكريم وسنة الرسول الصحيحة صلى الله عليه وسلم ، ولا «فقها» آخر غير ما يرجع إلى هذين المصدرين الرئيسيين المقدسين ؛ ففيهما الأساس الصالح المتين لكل ما يحتاج إليه هذا العصر، وكل عصر آخر يأتى بعده ، من تشريعات عادلة حكيمة .

والفقه،كما يذكر الغزالى فى كتابه المستصفى من علم الأصول ، وابن خلدون فى مقدمته : هو معرفة أحكام الله تعالى فى أفعال المكلفين، بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة ، وهى متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة .

ولذلك نجد فقهاءنا الأئمة الأعلام ، ومن جاء بعدهم من المجتهدين فى القرون الأولى ، كانوا حريين حقا بهذا الوصف الجليل ، وصف «الفقهاء»،فكانوا يعيشون فى أزمانهم، وفى خضم الحياة ، لا على هامشها كما هو دأب الكثير منا هذه الأيام ، وكانوا يتعرفون مشاكل العصر ومسائله التى تجد وتتغير من زمن إلى آخر ، ويعملون لمعرفة حكم الله فى كل منها ، وبهذا أدى كل منهم رسالته — باعتباره فقيها — كاملة غير منقوصة .

إنهم درسوا الكتاب والسنة الصحيحة دراسة جادة عميقة، وأيقنوا أن الله لا يشرع أمراً عبثاً ، بل لعلة اقتضته ، فبحثوا عن علل ما جاء فى هذين المصدرين من أحكام تشريعية ، وقاسوا ما لم يرد له حكم على ما ورد حكمه إذا اتحدت العلة .

وكذلك عرفوا أن الحكم يتبع العلة وجودا وعدما ؛ ولهذا لم يجدوا بأسا فى تغيير حكم الأمر الواحد فى زمن عنه فى زمن آخر إذا انعدمت العلة التى استوجبت الحكم الأول ، وكان قدوتهم فى هذا فقه الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم جميعا .

ومن ثم . نجد هذا التراث الضخم المجيد فى الفقه والتشريع ، هذا التراث الذى لانجدما يقاربه فى أمة أخرى فى هذه الناحية ، والذى تناوله من جاء بعدهم بالشرح والتحشية والتقرير ،دون أن يضيفوا إليه شيئاً كثيراً ، وكان ذلك أمارة التقليد والجمود . والجمود أمارة الموت كما نعلم كما أن الحركة أمارة الحياة.

* * *

إن الزمان يا قوم لا يعرف الوقوف ، والفلك دائم الدوران وأنماط الحياة تغيرت إلى حد كبير ، وجدت نظم لم تكن معروفة من قبل فى المعاملات ، على اختلاف ضروبها وأنواعها ، وفى طرق تنمية المال واستغلاله بواسطة الأفراد أو المؤسسات والشركات العديدة .

ذلك كله وما إليه. فضلا عن أعمال المصارف المختلفة ، كان يقتضى منا منذ زمن طويل أن نعمل من أجل « تطوير الفقه الإسلامى » ؛ لنستطيع أن نجد منه أحكاماً تحكم هذه الأعمال والشئون، سواء أكانت هذه الأحكام بالحل أم بالحرمة ؛ فإننا لا نريد من هذا التطوير الذى دعونا إليه منذ سنوات فى كثير مما كتبنا ، أن نجعل شريعة الله ورسوله تجيز كل هذه الأعمال التى نضطرب فيها فى حياتنا الاقتصادية .

وإنما الذى ندعو له ونريده هو ألا يبقى الفقه الإسلامى وهو يعيش على هامش الحياة فى هذا العصر ، بل أن يتدخل فى صميمها وجميع أعمالها ، وذلك حتى نكون على بينة من أمرنا فيما نأخذ وندع .

لقد عمل أسلافنا الأمجاد فى هذه الناحية كل ما فى وسعهم ، فأظهروا لنا ببحوثهم وجهودهم وسعة آفاقهم أن الشريعة الإسلامية صالحة حقا لكل زمان ومكان، وأنها بأصولها تساير كل عصر ، وتقبل التطور مع الزمن ، هذا التطور الذى يجب حتما أن يكون فى حدود كتاب الله المحكم وسنة رسوله الصحيحة .

ولكن الذى حصل بكل أسف أننا ظللنا عاكفين على ما تركوا لنا من تراث قيم لا يُقدر قدره ، ولم نحاول أن نفعل كما فعلوا من النظر إلى مشاكل العصر فنعمل على إيجاد حلول لها تتفق والكتاب والسنة وروح الإسلام .

وبذلك تقدم الفقه الغربى وازدهر، وتأخر الفقه الإسلامى وجمد ، وصار طلاب هذا الفقه ورجاله يعيشون فى حلقة لا يُدرَى أين طرفاها ، حلقة لا تتصل بالعصر الذى نعيش فيه إلا بقدر محدود يكاد لا يتجاوز العبادات والأحوال الشخصية والمعاملات على النحو الذى كان معروفاً فى العصور الوسطى .

ونرى من الضرورى أن نقرر هنا أنه يجب ألا نخشى شيئاً من الدعوة إلى تطوير الفقه

ما دمنا نسير فى هذا على هدى القرآن والسنة، وما دمنا نفيد من تراث فقهائنا الأجلاء الماضين. بل إن الأمر على العكس من ذلك، فإن تطور هذا الفقه، على النحو الذى ندعو إليه جادين منذ سنوات، يجعله فقها حيا، ويجعلنا فى غُنية عن الأخذ من الفقه الغربى، بل عن التبعية له فى كثير من أحكامنا التشريعية والقانونية، وبخاصة أن الاستعمار الفكرى ليس أقل ضرراً من الاستعمار العسكرى الذى تخلصنا منه نهائيا بفضل الله تعالى فى هذا العهد المجيد الذى نعيش فيه.

* * *

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نرى أن التطور سنة من سنن الله تعالى التى لا نجد لها تبديلا، ومع هذا فالتطور قانون من قوانين الحياة التى لا مفر منها، والتى تجرى علينا وإن لم نُرد، فالخير إذن أن نريد هذا التطور ونعمل له جادين.

على أن هذا التطور فى الفقه والأحكام التشريعية بدأ فى فجر الإسلام، أى بعد أن لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى بسنوات قليلة؛ وذلك لأن الحاجة حين ذاك دعت إلى هذا التطور، فكيف بنا اليوم وقد مر على ذلك الحين أكثر من ثلاثة عشر قرنا من الزمان!.

ويكفى فى التدليل لما نقول أن نذكر الأمثلة الآتية، وغيرها كثير لا نرى ضرورة للتعرض له، وكلها مأخوذة من فقه الصحابة والتابعين أنفسهم:

١ — إسقاط عمر نصيب المؤلفة قلوبهم:

جعل الله لهؤلاء المؤلفة قلوبهم نصيبا من الصدقات، وذلك بآية سورة التوبة، وهم نفر معروفون منهم، من حسن إسلامه فيما بعد، ومنهم من لم يحسن إسلامه، ومن هؤلاء الأقرع بن حابس وعُيَيْنة بن حصن، وقد قسم الرسول غنائم خيبر، فأعطى كلا من هذين مائة من الإبل.

وقد أبان الرسول صلى الله عليه وسلم العلة فى هذا الصنيع، وذلك إذ قال لمن أحس بعض الألم من الأنصار فيما رواه أبو سعيد الخدرى: «أوجدتم فى أنفسكم يا معشر الأنصار فى لعاعة [1] من الدنيا تألفت بها أقواما ليسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام»!

وقد ظهر أثر هذه السنة النبوية الحكيمة فى عهد الرسول نفسه؛ فإن صفوان بن أمية، فيما يرويه سعيد بن المسيب. قال: أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه لأبغض الناس إلى، فما زال يعطينى حتى إنه لأحب الخلق إلى، ولذلك جرى سيدنا أبو بكر عليها زمنا من خلافته.

(١) اللعاعة بضم اللام: الشىء القليل

ولكن عمر بن الخطاب لم يكن من رأيه أن يستمر هذا الحكم بعد ذهاب علته ، ولهذا محا الكتاب الذى اقتطع به أبو بكر الأقرع وعيينة أرضا زعما أنها سبخة ليس فيها كلأ ولا منفعة ، وعندئذ غضب هذان وقالا قولا قبيحا ، فقال لهما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألفكما والإسلام يومئذ قليل ، وإن الله قد أغنى عنكما ؛ إذهبا فاجهدا جهدكما ، لا يرعى الله عليكما إن رعيتما !.

وفى رواية أخرى أنه كان فيما قاله لهما عمر: أما اليوم فقد أعز الله الإسلام وأغنى عنكم ؛ فإن ثبتم على الإسلام ، وإلا فبيننا وبينكم السيف ..... .

ومهما يكن ، فإن الصحابة لم ينكروا على عمر ما فعله بعد أن فهموا ما أراده ؛ فإنه لم يرد نسخ الحكم الثابت بالقرآن والسنة ، وما ينبغى لأحد أن يرى هذا فى أية حال . وإنما رأى أن هذا الحكم ذهب بذهاب علته ، وأنه قد يعود إذا وجدت علته فى زمن آخر كما حدث أيام الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز .

هذه هى مسألة سهم المؤلفة قلوبهم ، وكيف أسقطه بعد أن كان يعطيه لهم أبو بكر اتباعا لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم[1] ، وليس هذا إلا تطوراً فى الأحكام التشريعية يقتضيه الزمن الذى تغير ، وهو تطور وفق أصول الفقه وصناعته ، ولا يعارض فى شىء ما جاء فى الكتاب والسنة .

إن الذى كان من عمر ووافقه عليه الصحابة ليس فيه نسخ ولا معارضة لحكم ثبت بالقرآن والسنة ، بل إن فيه تقريراً لصنيع الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه المسألة ؛ فإن الرسول كان يقصد بالإعطاء إعزاز المسلمين ودفع الضرر عنهم ، وهذا ما قصده الفاروق ولكن من وجه آخر .

إن إعزاز المسلمين ، وهو علة الإعطاء ، كان أيام الرسول بالدفع إليهم ، ولكن بعد ما صار المسلمون إليه من القوة والمنعة صار هذا الإعزاز بالمنع ؛ وهذا معناه إشعار أولئك المؤلفة قلوبهم بأن الإسلام لم يبق فى حاجة لهم ، كما أن فيه تقوية لقلوب المسلمين أنفسهم ورفعاً لروحهم وتأييداً لعزتهم ومنعتهم .

٢ — مسألة زيادة حد شرب الخمر :

روى أبو هريرة رضى الله عنه أنه جىء

---

(١) راجع كتاب المعارف لابن قتيبة ، وفتح القدير وشرح العناية على هامشه ح ٤ : ١٤ — ١٥ ، وأحكام القرآن للجصاص ح ٣ : ١٥٢ — ١٥٣ ، السنن الكبرى للبيهقى ح ٦ : ٣٣٩ ، طبقات ابن سعد ح ٥ : ٥٢٨ ، الأموال لأبى القاسم بن سلام ص ٦٠٦ — ٦٠٧ .

الرسول صلى الله وسلم برجل قد شرب ، فقال : اضربوه قال أبو هريرة : فمنا الضارب بيده ، والضارب بنعله ، والضارب بثوبه ، إلى آخر ما قال (١) :

ثم كان بعد هذا أن ارتفع حد الشرب إلى أربعين جلدة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك جرى الأمر أيام خليفته أبى بكر ، ثم زاد فى عهد عمر إلى ثمانين جلدة بعد أن كتب إليه خالد بن الوليد بأن الناس قد انهمكوا فى الخمر وتحاقروا العقوبة ، كما يروى الإمام البيهقى فى سننه الكبرى .

وفى هذا أيضا يذكر الإمام مالك أن عمر ابن الخطاب استشار فى الخمر يشربها الرجل ، فقال على بن أبى طالب : نرى أن نجلده ثمانين ، فإنه إذا شرب سكر ، وإذا سكر هذى ، وإذا هذى افترى ، وحد المفترى ، ثمانون ، أو كما قال : فكان من ذلك أن جلد عمر رضى الله عنه ، فى الخمر ثمانين (٢) .

والآن ، لنا أن نقول: إن الغرض من العقوبة هو الردع والزجر ، فتقديرها بحد معين يجب أن يختلف باختلاف الزمن ، ولذلك لم تكن مقدرة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم كما رأينا ، ولهذا جعلها عمر فى زمنه بعد استشارة الصحابة ثمانين جلدة .

وهذا ليس استحداثا لحكم جديد ، وإن كان هذا ما يظن فى بادئ الرأى ، كما أنه ليس فيه مخالفة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم . فإن الرسول قصد أن تكون العقوبة رادعة زاجرة عن اقتراف هذا المنكر ، وذلك ما يختلف فى زمن عنه فى آخر ، وكان الحد الذى رآه عمر والصحابة هو المناسب فى زمنه وفى هذا دليل ، أى دليل ، على وجوب تطور الأحكام التشريعية ، لتكون مناسبة لكل زمن ، على أن تكون دائما فى حدود كتاب الله وسنة رسوله ، ومحققة للغرض المقصود منها .

٣ — حكم الطلاق ثلاثا :

كان الطلاق الثلاث بلفظ واحد يعتبر طلقة واحدة رجعية ، وذلك فى عهد الرسول وعهد أبى بكر ، ثم استمر على هذا صدرا من إمارة عمر ؛ ولكن الفاروق راعه جريان الطلاق ثلاثة على ألسنة كثير من الناس فقال : إن الناس قد استعجلوا فى أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ، فأمضاه عليهم ثلاثا بعدمشورة منه للصحابة رضى الله عنهم .

وفى هذا يروى عن ابن عباس : أن الرجل كان إذا طلق زوجته ثلاثا جعلوها واحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وصدراً من إمارة عمر ، فلما رأى عمر

---

(١) سنن أبى داود ، ج : ٤ — ٢٢٦ . ٢٢٧

(٢) الموطأ ، ح ٢ : ٧٨ .

تتابع الناس على هذا الطلاق ثلاثا ، قال : أجيزوهن عليهم [1] .

إن الخليفة عمر لم ير هذا الرأى الذى أمضاه إلا لأنه خاف أن يعود الناس إلى ما كانوا عليه فى الجاهلية من الإكثار من الطلاق لغير سبب يرضاه الله ورسوله ، وبخاصة أن الطلاق أبغض الحلال إلى الله كما يقول الرسول ، فرأى بعد استشارة فقهاء الصحابة أن يجعله ثلاثا حقا تقع به البينونة الكبرى زاجراً لمن يصير إليه .

وهو بهذا لم يخالف عن أمر الله ورسوله ، بل كل ما فيه أنه منع من « الرجعة » وهى مباحة شرعا ، إذا أراد الزوج ، ولولى الأمر المنع من بعض المباحات درءاً لمفسدة تربى على المصلحة فى فعل هذا المباح

٤ — حكم اللقطة وضالة الإبل :

أجاز الرسول صلى الله عليه فى أحاديث صحيحة كثيرة التقاط اللقطة من الذهب أو الفضة أو الغنم ونحوها ، وأمر الملتقط بحفظها لديه حتى إذا جاء صاحبها وعرفها دفعها إليه ، وإلا كان له الانتفاع بها إن كان محتاجا أو يتصدق بها على محتاج .

ولكنه نهى عن التقاط ضالة الإبل نهيا شديداً ، حتى إنه لما سئل عنها غضب واحمر وجهه وقال : مالك ولها إدعها ، إن معها حذاءها وسقاءها ، ترد الماء وتأكل الشجر ، حتى يجدها ربها » [1] .

وجرى الأمر على هذا طوال عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم عهد الشيخين رضى الله عنهما ، فكانت الإبل الضالة تترك حتى يجدها صاحبها ، وذلك اتباعا لأمر الرسول ، ولأنها قادرة على الدفاع عن نفسها ، وعلى السير فى المفاوز ونحوها ، وتستطيع أن ترد الماء وتختزن منه فى بطونها ما يكفيها مدة طويلة .

ولكن اختلف فيها فى زمن عثمان وعلى رضى الله عنهما ، فكان الأول يأذن بالتقاطها وبيعها إن لم يعرف صاحبها ، فإذا ظهر أعطى ثمنها . وكان الآخر يأذن أيضاً بالالتقاطها ، ثم بالإنفاق عليها من بيت المال حتى إذا جاء صاحبها أخذها بأعيانها ، وربما كان هذا خيراً له من ثمنها .

ومهما يكن فقد كان فى إذن كل منهما بالتقاط ضالة الإبل مخالفة عن أمر الرسول ونهيه ، ومعنى هذا تغيير لما حكم به . فلماذا ؟ .

الواقع هو أنه فى عهد الرسول لم يكن أحد تحدثه نفسه بأخذ ما ليس له ، ولكن الحال

---

(١) سنن أبى داود ، جـ ٢ : ٣٥١ وراجع أيضا إعلام الموقعين لابن القيم ، جـ ٣ ص ٢٥

(١) راجع مثلا من كتب الحديث ، نيل الأوطار للشوكانى جـ ٢ : ٣٣٨ .

تغير فيما بعد بدخول كثير من غير العرب فى الإسلام ، ومنهم من لا يتورع عن تملك ما ليس له ، فكان الإذن بالتقاط ضالة الإبل وحفظها أو حفظ أثمانها هو الطريق الموصل لأداء الحق لصاحبه ، وهذا هو ما قصده الرسول نفسه حين نهى عن التقاطها ، فلا مخالفة إذن عن أمر الرسول ونهيه ، وتغير الحكم اقتضاه تغير الزمان والناس .

* * *

من هذه الأمثلة ، وغيرها كثير فى كتب السنة والفقه والتاريخ ، نرى أن الفقه الإسلامى أخذ فى التطور بعد وفاة الرسول بسنين معدودة ، فكيف بنا نقف جامدين إلى هذا القرن الرابع عشر من الهجرة ! .

حقيقة إن الثورات الثلاث التى تنعم هذه الأيام بثمراتها ، وهى الثورة السياسية ، والثورة الاقتصادية ، والثورة الاجتماعية ، تعوزهن - كما قال الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات فى مفتتح العدد الماضى من هذه المجلة ، ثورة رابعة هى الثورة الدينية ، هذه الثورة التى يكون ميدانها التفسير والحديث والفقه .

وهذه الثورة الأخيرة هى التى تمكن للفقه الإسلامى وتطوره ، وتجعله يدخل الحياة من أوسع أبوابها ، وذلك ليعمل على إيجاد حلول شرعية معقولة ومقبولة لكل مشاكلنا الاقتصادية ، ومن الله العون والتوفيق ، وربما كان لهذا الحديث تتمة وتفصيل فى العدد الآتى إن شاء الله تعالى ؟

الدكتور محمد يوسف موسى

[١] راجع الموطأ للإمام مالك ج ٢ : ١٢٨ - ١٢٩ ، السنن الكبرى للبيهقى ح ٦ : ١٨٥ المنتقى لأبى الوليد الباجى ٦ : ١٤٣ - ١٤٤ .

الاجتهاد

إن استطاع العلماء سد باب الاجتهاد المطلق فلن يستطيعوا سد باب الاجتهاد الخاص ، وإن استطاعوه ، فلن يستطيعوا سد باب الاجتهاد فى المذهب لاختيار رأى يلائم عرفا عاما أو خاصا ، أو رأى قضت به ضرورة عامة أو خاصة ، أو لاستنباط رأى فى حادثة لم يكن منصوصا عليها . والحق أن الاجتهاد فى المذهب لم ينقطع فى أى عصر من العصور الماضية وهو باق إلى الآن ، وفى كل يوم نجد للقضاة والمفتين حوادث لا عهد للكتب بها ، فيستنبطون لها أحكاما طبقا للقواعد العامة ؟

من كتاب الاجتهاد فى الإسلام
للإمام محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق

صاحب الألفية :

محمد بن مالك

للأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوى

كان لألفية ابن مالك فى النحو العربى والصرف أثر كبير فى دراسة هاتين المادتين ؛ فقد سهل نظمها على الدارسين تذكر قواعدهما، وكانت مركز نشاط واسع فى التأليف ، فكتبت عليها الشروح مختصرة ومطولة ، ووضع على هذه الشروح حواش موجزة ومسهبة ؛ وعد حفظها ضروريا لمن يريد التبحر فى دراسة نحو العربية وصرفها .

وصاحب هذه الألفية هو محمد بن عبد الله ابن مالك . ولد فى مدينة « جيان » بالأندلس سنة ستمائة هجرية (١٢٠٣ — ١٢٠٤ م) ، ويقول بعض المؤرخين : إنه ولد قبل ذلك بعامين ، ويقول بعض آخر : إنه ولد بعد ذلك بعام أو عامين .

ودرس فى مسقط رأسه ، على نخبة من علماء بلده ـ القراءات ، والنحو ، والفقه على مذهب مالك ، ثم رحل إلى المشرق ، فدخل دمشق ، ودرس هذه المواد ، كما درس الحديث على بعض أعلام العصر كالسخاوى وابن الحاجب ، وغيرهما ؛ وانتقل إلى حلب ، وتلقى النحو على ابن يعيش ، شارح المفصل فى النحو للزمخشرى ، وعلى تلميذه ابن عمرون . ولما جاء إلى المشرق انتقل من مذهب مالك إلى مذهب الشافعى .

كان الهدف الأول لابن مالك فى دراسته أن ينبغ فى اللغة والنحو ، وقد وصل فى تحقيق هذا الأمل إلى مدى بعيد ، حتى صار مضرب المثل فى معرفته بدقائق النحو ، وغوامض الصرف ، وغريب اللغة ، وأشعار العرب ، والتحرى فى النقل ، وتحريره لما يرويه .

أخبر الشهاب محمود : أن ابن مالك جلس يوما ، وذكر ما انفرد به صاحب المحكم عن الأزهرى فى اللغة ، وقال الشهاب : هذا أمر معجز ، لأنه يحتاج إلى معرفة جميع ما فى الكتابين .

وتعمق ابن مالك فى دراسة الحديث ، واستكثر من معرفته ، لأنه كان أكثر ما يستشهد بالقرآن ، فإن لم يكن فيه شاهد عَدَلَ إلى الحديث ، فإن لم يجد فيه شاهداً عدل إلى أشعار العرب .

وساعد ابن مالك على تفوقه العلمى ما منحه من ذكاء ممتاز ، وصبر على البحث ، وقدرة على العمل ، ومثابرة دائبة ، وما اتصف به ، من أمانة النقل ، وصدق التحرى ، ودوام

المراجعة ، فما كان يكتب شيئا من محفوظه ، حتى يراجعه فى موضعه ، وهذا دأب ثقات العلماء . قالوا : وما كان يُرى إلا وهو يصلى أو يتلو أو يصنف ، أو يقرأ .

تصدرا بن مالك للتدريس فى مدينة حلب ، بعد أن أتم دراسته اللغوية ، وكان إمام المدرسة السلطانية بها ، فأخذ يلقى بحلب دروسه فى النحو ، ويؤلف ، وهناك نظم الكافية الشافية . ثم انتقل إلى حماة ، حيث تصدر بها مدة ، وتابع هناك دروسه فى النحو ، ونظم ألفيته المشهورة ، وهى خلاصة الكافية الشافية ثم مضى إلى دمشق ، حيث ألقى بها عصا التسيار ، وتصدر بالجامع الأموى ، وبالمدرسة العادلية الكبرى ، التى عين إماما لها .

وكان أكثر ما يلقيه على تلامذته النحو ، كما كان يدرس القراءات أيضا ، ومما كان يدرسه فى النحو ألفية ابن معطى ، وممن درسها عليه أحمد بن عبد الرحيم ابن شعبان . وأقبل الطلبة عليه ، ينهلون من علمه ، وتخرج منهم عدد ضخم ، صاروا أئمة ممتازين ، نذكر منهم ابنه : بدر الدين ، الذى شرح الكثير من كتب أبيه النحوية ، وبدر الدين بن جماعة قاضى القضاة ، وبهاء الدين بن النحاس أستاذ التفسير فى المدرسة المنصورية ، وأبا زكريا النووى الفقيه المشهور ، وأبا الحسين اليونينى وغيرهم ، ولم يأخذ عنه أبو حيان ، مع أنهما تعاصرا زهاء ثلاثين عاما ؛ لأن أبا حيان كان يتعصب على ابن مالك .

ومن المؤكد أن ابن مالك درس لطلبته مؤلفاته فى اللغة والنحو ، والقراءات ، ولما كان النظم سهلا عليه رأينا كثيرا من مؤلفاته منظوما ، وكان وقته مباركا فيه فوضع كثيرا من المؤلفات التى تربى على الثلاثين ، نظمها بعضهم فى أبيات ، وذيلها السيوطى بما بقى من مؤلفاته ، ومن تلك المؤلفات :

١ — الكافية الشافية [1]، وهى أرجوزة نحوية ، فى ثلاثة آلاف بيت ألفها كما قلنا ، فى مدينة حلب ، وأولها :

قال ابن مالك محمد ، وقد
نوى إفادة بما فيه اجتهد :
الحمد لله الذى من رفده
توفيق من وفقه لحمده

ثم شرحها شرحاً سماه الوافية [2] ، وعلق عليه ببعض الفوائد النحوية وشرحها كذلك ولده : بدر الدين محمد .

٢ — الخلاصة ، أو الألفية ، وهى : أرجوزة فى ألف بيت تجمع النحو والصرف اختصر فيها الكتاب السابق . قال بعض المؤرخين : إنه صنفها لولده : تقى الدين محمد

---

(١) مخطوطة بدار الكتب رقم ٢٣٦ و ٢٤٦ نحو .
(٢) مخطوط بدار الكتب رقم ٣٢٦ نحو .

المدعو بالأسد ، ولكن الراجح أن الذى ألفه لهذا الابن هو مقدمة فى النحو ، تدعى : المقدمة الأسدية . أما الألفية هذه فقد ألفت فى حلب ، برسم القاضى شرف الدين ابن البازى .

ولما كانت الألفية مختصر الكافية ، كان كثير من أبيات هذه بنصه فى الألفية .

وقد استن ابن مالك سنة جمع قواعد النحو والصرف فى ألف بيت ، بعالم نحوى قبله ، هو ابن معطى ؛ الذى اعترف له ابن مالك بفضيلة السبق ، وإن قرر أن ألفيته أفضل من ألفية ابن معطى ، وذلك فى مقدمة الألفية إذ يقول ابن مالك :

وأستعين الله فى ألفية
مقاصد النحو بها محوية
تقرب الأقصى بلفظ موجز
وتبسط البذل بوعد منجز
وتقتضى رضا بغير سخط
فائقة ألفية ابن معطى
وهو بسبق حائز تفضيلا
مستوجب ثنائى الجميلا
والله يقضى بهبات وافرة
لى وله فى درجات الآخرة

وقام ابن مالك بشرح ألفيته ، كما شرحها ولده بدر الدين محمد ، شرحا منقحا اشتهر بشرح ابن المصنف [1] ، خطأ فيه والده فى بعض المواضع ، وأورد الشواهد من الآيات القرآنية ، وفرغ من تأليفه فى محرم ٦٧٦ هـ قال الصفدى : ولم تشرح الخلاصة بأحسن ولا أسد ، ولا أجزل منه ، على كثرة شروحها .

وقد ظفرت الألفية ، كما قلنا ، بعناية كبرى من العلماء ، فوضعوا عليها الشروح والحواشى ، مما ندر أن يظفر بمثله كتاب ، كما اختصرها عمر بن الوردى فى مائة وخمسين بيتا ، ولا تزال إلى اليوم أساس دراسة النحو والصرف .

٣ — كتاب الفوائد ، وهو الذى لخص منه كتابه : تسهيل الفوائد [2] ، وتكميل المقاصد .

وكتاب التسهيل يقول عنه صاحب كشف الظنون : هو كتاب جامع لمسائل النحو ، بحيث لا يفوته ذكر مسألة من مسائله وقواعده ؛ ولذلك اعتنى العلماء بشأنه ، وصنفوا له شروحا ، منها شرح المصنف [3] وصل فيه إلى باب المصادر ، ثم أكمله ولده بدر الدين .

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٩٦٥ ، ١٤٤١ نحو .

(٢) بدار الكتب رقم ٧٠١ و ٣ مجاميع شين مخطوط ، و ١٦٠٧ مخطوط ، و ١٠٩١ مطبوع .

(٣) بدار الكتب ، نحو رقم ١٠ شين .

وكتاب الفوائد هو الذى مدحه بعضهم بقوله :

إن الإمام جمال الدين فضله
إلهه ، ولنشر العلم أهله
أملى كتابا له يسمى : الفوائد ، لم
يزل مفيدا لذى لب تأمله
فكل مسألة فى النحو يجمعها
إن الفوائد جمع لا نظير له

٤ — كتاب نظم الفوائد ، وهو ضوابط وفوائد منظومة ، ليست على روى واحد . ولعلها فى اللغة والنحو ، ولعل منها نظمه فى خيل سباق الحلبة :

خيل السباق : المجلى ، يقتفيه مصل
والمسلى ، وتال ، قيل مرتاح .
وعاطف ، وحظى ، والمؤمل
واللطيم ، والفسكل : السكيت ياصاح .

٥ — وألف كتاب عدة اللافظ ، وعمدة الحافظ ، وهو مقدمة فى النحو أيضاً ، سار فيها على طريقته الموجزة ، ثم شرحه .

٦ — وشرح مقدمة الجزولى فى النحو ، والمفصل للزمخشرى ، ونظمه فى كتاب دعاه الموصل ، ثم حل هذا النظم فى كتاب آخر ، سماه : سبك المنظوم ، وفك المختوم .

٧ — ووضع فى الصرف : كتاب التعريف وشرحه ونظم لامية الأفعال ، وهى منظومة لامية من بحر البسيط فى أربعة عشر بيتاً ، فى أبنية الأفعال ، شرحها ولده بدر الدين أيضا[1] . وله منظومة واوية فى المقصور والممدود فى اثنين وستين ومائة بيت ، ضمنها معظم الكلمات التى تنتهى بألف مقصورة أو ممدودة ، ووضع عليه شرحا دعاه : تحفة المودود[2] . وألف مختصراً فى الإبدال ، دعاه الوفاق .

٨ — وجمع له بعض طلبته فتاوى فى العربية .

٩ — ووضع كتابا ، سماه : شواهد التوضيح والتصحيح ، لمشكلات الجامع الصحيح[3] . شرح فيه المشكل من إعراب ما ورد فى صحيح البخارى من الأحاديث ، وعلق على هذا الكتاب ناظم مؤلفاته بقوله :

ويكفيه ذا بين الخلائق رفعة
وعند النبى المصطفى متوسلا

١٠ — وله فى اللغة منظومات وأراجيز : ككتاب الإعلام فى مثلث الكلام[4] . وهو أرجوزة فى نحو ثلاثة آلاف بيت ، أهداها إلى الناصر حفيد صلاح الدين ، ذكر

---

(١) بدار الكتب ، علم الصرف رقم ٣ و ٩ .
(٢) بدار الكتب ، لغة عربية رقم ٣٨٩ و ٣٩٠ شين .
(٣) طبع بالهندسنة ١٣١٩ هـ معجم المطبوعات جـ ١ نهر ٢٣٤ .
(٤) بدار الكتب . لغة عربية رقم ٣١٠ و ٣٨٩ و ٣٩٠ ، ١٩ شين ، فى ١٥٤ صفحة .

فيها الألفاظ التى لكل منها ثلاثة معان ، باختلاف حركاتها ، ورتب تلك الألفاظ على الأبجدية ، فهى كالمعجم للمثلثات . وله منظومة فى الضاد والظاء ، وأخرى فى الصاد والظاء ، وثالثة فى كلمات وردت ذات شكل مختلف وصورة مختلفة ، بدأها بقوله :

تثليث (با) إصبع مع شكل همزته
بغير قيد ، مع الأصبوع قد نقلا

١١ — ونسب إليه فى دائرة المعارف كتاب فى العروض .

١٢ — ونظم فى القراءات قصيدتين : إحداهما دالية ، يقول فيها :

ولا بد من نظمى قوافى تحتوى
لما قد حوى حرز الأمانى وأزيد

والأخرى لامية أولها :

بذكر إلهى حامداً ومبسملا
بدأت ، فأولى القول يبدأ أولا

وآخرها :

وزادت على (حرز الأمانى) إفادة
وقد نقصت فى الجرم ثلثا مكملا

و (حرز الأمانى) هو قصيدة الشاطبى فى القراءات قال فى غاية النهاية : وقد أخذ عنه العربية غير واحد من الأئمة . غير أنى لا أعلم أحداً قرأ عليه القراءات .

صار ابن مالك يضرب المثل بنبوغه فى النحو ، قيل عنه فى دائرة المعارف : إنه كاد ينازع سيبويه شهرته . وكان هو يؤمن بعبقرينه فى هذا الفن ، حتى يستصغر الزمخشرى فيه ، فكان يقول عن ابن الحاجب : إنه أخذ نحوه من صاحب المفصل وصاحب المفصل نحوى صغير ؛ وقدم قصته لصاحب دمشق ، يقول له : إنه أعلم الناس بالعربية والحديث .

هـذا ، ومؤلفات ابن مالك لم توضع للمبتدئين فى هذا الفن ، ولكن للمتوسطين ، يرقون بها إلى درجات النهاية .

ويضم مؤرخو ابن مالك إلى نبوغه فى العلم وعبقريته ، وصفه بالدين ، والورع ، والتقوى ، وكثرة العبادة ، وصدق اللهجة .

وينسبون إليه شعرا غير نظمه التعليمى ؛ ومن أحسن ما رووه له قوله ، وتتغلغل فيه روح الفقيه :

إذا رمدت عينى تداويت منكم
بنظرة حسن أو بسمع كلام
فإن لم أجد ماء تيممت باسمكم
وصليت فرضى ، والديار أمامى

وكان ابن خلكان يعظمه ، ويضمر له أكبر الإجلال ، فكان إذا صلى معه فى العادلية ، فى عهد إمامة ابن مالك بها ، شيعه قاضى القضاة : ابن خلكان إلى بيته ؛ تعظيما له ؛ ولذلك انتقدوا المؤرخ على إغفال ابن مالك من تاريخه ، مع ما يحمله له من هذا التعظيم .

وبعد عمر حافل بالإفادة والاستفادة مات بدمشق ليلة الأربعاء الثالث عشر من شعبان سنة ٦٧٢ هـ . ورثاه بعض العارفين بفضله ، فمن هؤلاء شرف الدين الحصنى ، رثاه بقصيدة شعر فيها بالمشاركة الوجدانية بين مسائل علم النحو والصرف وبين ابن مالك ، فورى فى القصيدة باصطلاحاتهما ، واجتهد فى أن يملأها بهذه الاصطلاحات ، إذ يقول :

يا شتات الأسماء والأفعال
بعد موت ابن مالك المفضال
مصدراً كان للعلوم بإذن الله
ـه من غير شبهة ومحال
عدم النعت والعطف والتوكيد
مستبدلا من الإبدال

ويمضى على هذا النسق ، مستخدما تلك الاصطلاحات ، حتى يقول :

يا لسان الأعراب ، يا جامع
الإعراب ، يا مفهما لكل مقال
يا فريد الزمان فى النظم والنثر ،
وفى نقل مسندات العوالى
كم علوم بثثتها فى أناس
علموا ما بثثت عند الزوال

وبرغم أن القصيدة متكلفة ضعيفة النسج قال عنها الصلاح الصفدى : ما رأيت مرثية فى نحوى أحسن من هذه المرثية .

وإذا قطعنا النظر عما فيها من التكلف استطعنا أن نلمس تقدير الراثى لعلم ابن مالك ونبوغه فى علم النحو ، وتفرده فى زمانه بإحاطته بعلم الإعراب ، وإفادته لطلبته الذين تصدروا للتعلم والإفادة .

وهذا آخر يرثيه ، ويعدد مآثره ، ويذكر آثاره التى ألفها ، فيقول :

سقى الله رب العرش قبر ابن مالك
سحائب غفران تغاديه هطلا
فقد ضم شمل النحو من بعد شته
وبين أقوال النحاة ، وفصلا
بألفية تدعى الخلاصة ، قد حوت
خلاصة علم النحو والصرف مكملا
وكافية مشروحة أصبحت تفى
لعمرى بالعلمين فيها تسهلا
ومختصر سماه عمدة لافظ
يضم أصول النحو لا غير مجملا
وبين معناه بشرح منقح
أفاد به ما كان لولاه مهملا

ويمضى الراثى معددا كتب ابن مالك ، واصفالها على هذا النحو ، حتى يكمل عدتها ثمانية وعشرين كتابا ، إذ يقول :

فجملتها عشرون تتلو ثمانيا
فدونكها نسخا وحفظا تنبلا

ويلحظ بعض مؤرخى ابن مالك أن له كتبا أخرى لم يذكرها راثيه ، فيذيل الأبيات بأخرى من وزنها وقافيتها ، يكمل بذلك عد

مؤلفات الرجل. ويبلغ بها ثلاثة وثلاثين كتابا.

أما تلميذه بهاء الدين بن النحاس فيرثى أستاذه بقوله :

قل لابن مالك : إن جرت بك أدمعى
حمرا يحاكيها النجيع القانى
فلقد جرحت القلب حين نعيت له
فتدفقت بدمائه أجفانى
لكن يهون ما أجن من الأسى
على بنقلته إلى رضوان

مراجع ابن مالك :

١ — كتبه .
٢ — فوات الوفيات ٢ : ٢٢٧ .
٣ — بغية الوعاة ص ٥٣ .
٤ — النجوم الزاهرة ٧ : ٢٤٣ .
٥ — طبقات الشافعية للسبكى ٥ : ٢٨ .
٦ — معجم المطبوعات ج ١ نهر ٢٣٢ .
٧ — السلوك ١ : ٦١٣ .
٨ — الدرر الكامنة ؛ ١٧٠ : ٣ : ١٩٥ .
٩ — المختصر فى أخبار البشر ٤ : ٨ .
١٠ — دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الأول الجزء الرابع ص ٢٧٢ والخامس ص ٢٧٣ .
١١ — غاية النهاية ٢ : ١٨٠ .
١٢ — شذرات الذهب ٥ : ٣٣٩ .
١٣ — نفح الطيب ٧ : ٢٥٧ طبعة فريد رفاعى .
١٤ — كشف الظنون ج ١ نهر ٨٢ و ١٥١ و ج ٢ نهر ١١٦٦ ، ١٢١٩ و ١٣٠١ و ١٣٦٩ و ١٣٩٦ و ١٧٧٤ ، ١٨٠٠ ، ١٩٦٤ .
١٥ — البداية والنهاية ١٣ : ٢٦٧ .
١٦ — مفتاح السعادة ص ٣٥ .
١٧ — طبقات محمد أمين بن حبيب ص ٢٣٦ ب .

الدكتور أحمد أحمد بدوى
وكيل كلية دار العلوم

لا إكراه فى الدين

قال إيتين دينيه فى كتابه « أشعة خاصة بنور الإسلام » : إن القرآن ـ دون الكتب المقدسة الأخرى ـ هو الكتاب الوحيد الذى يأمر بالرفق والإحسان فى الدين . جاء إلى الرسول أحد بنى سالم بن عوف واسمه الحسن ، وقال له يا رسول الله . إن لى ولدين مسيحيين يأبيان الدخول فى دين الله وإنى لجبرهما على ذلك . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « لا إكراه فى الدين » .

رأى له ما يبرره

كتابة المصحف بالإملاء الحديث

للأستاذ محمد رجب البيومى

من نكد الأقلام أن تتصارع فى غير ميدان ، فقد يكون الرأى واضحا تطمئن إليه العقول المنصفة عن يقين ، وتهدى إليه الفطر السليمة عن بديهة ، ثم تجد من يعمد إليه بتوهين مفتعل يعوزه السداد والتؤدة ، فيحوك حوله غبارا ثائراً يلتبس به وجه الصواب ، وقد يجد أسماعا تصغى إليه فيتمادى فى توهينه ونقضه ، حتى يصير البدهى الواضح أمراً معضلا يتطلب الحـــل ، ويستدعى الجلد والمعاناة .

ولقد حفل تراثنا الفقهى المجيد ، بمسائل كثيرة تختلف فيها المذاهب ، وتتعدد حولها الآراء . فكان هذا الاختلاف العلمى فى كثير من أموره باب رحمة تلحق الناس ، ووسيلة توسعة تفسح الطريق ، ولكنه كان فى بعض الأمور أيضا مدعاة شطط وجموح ، ودفع وجذب ، واختلاف الآراء حول المسألة الواضحة يطمس ملامحها الزاهية ، ويفعل بها ما يفعل السحاب الداكن بصحيفة البدر الزاهر ، وإذ ذاك تتطلب من ينهض سريعا لإزاحة ما تلبد من غمام ، فتدور رحى معركة طحون ، وتكثر النقول والشواهد من تراث حافل مديد ، وتتزاحم أسماء الفقهاء تزاحما مذهلا ، حتى لتجد الرأى ونقيضه معا لعالم واحد ! ! والناس من وراء ذلك كله فى حيرة مقلقلة وأمر مريج .

وكتابة المصحف الشريف بالإملاء الحديث تصلح أن تكون مثالا عجيبا لهذا الاختلاف الحائر فى الأمر الواضح ، إذ أننا نرى فريقا من الفضلاء يحرصون على الرسم العثمانى حرصا شديداً يلتمسون له الأدلة ويتكلفون له البراهين ، فإذا حاولت أن تواجه دليلا بدليل ، أو تدحض حجة بحجة ، لا تجد من معارضيك من يستمع إلى رأيك المنصف ، بل تبصر حشداً هائلا من النقول الفقهية يسدد إلى منطقك كما تسدد القذائف الصاعقة دون إمهال ، فمن قائل يقول : إن الإمام مالكا رضى الله عنه سئل : هل يُكتب المصحفُ على ما أحدثه الناس من الهجاء ، فقال لا ، إلا على الطريقة الأولى ! ! ومن قائل : إن الإمام أحمد بن حنبل يقول : تحرم مخالفة خط عثمان فى ياء أو ألف أو واو أو غيره ،

ومن قائل : إن البيهقي قد صرح بأن على من يكتب المصحف أن يلتزم رسم المصحف الإمام !! وهذه أقوال أئمة من كبار الفضلاء ، ولكنها ليست آيات من القرآن أو أحاديث من كلام الرسول ، ولك أن تلتمس نقائضها عند أئمة آخرين ، فقد قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام : لا يجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى ، وباصطلاح الأئمة لئلا يوقع فى تغيير من الجهال ، كما ذكر أبو بكر الباقلانى أن الرسم العثمانى لا يلزم أن يتبع فى كتابة المصحف الشريف ، أما العلامة ابن خلدون فقد أفاض إفاضة مليئة فى الدعوة إلى ترك الرسم العثمانى مما سنبسطه لأهميته بعد قليل !! وإنما ذكرت هذه الآراء المتضاربة لكبار الأئمة والمفكرين ، ليعلم القارئ أن أقوال العلماء وحدها لا تحسم الخلاف إلا إذا وجدت ما يساندها من البرهان والتعليل ، فلنمر بها الآن مروراً سريعا لننقل المسألة إلى مجال هادئ تختفى فيه سيطرة الأسماء اللامعة ، ويقف الدليل أمام الدليل ! .

نحن فى عصرنا الحاضر ـ ولندع غيره من العصور ـ أمام مشكلة حقيقية يصطدم بها آلاف المدرسين من رجال التربية والتعليم ، إذ أن آلاف المصاحف القرآنية توزعْ على الطلاب كل عام ، ليقرءوا بها ما تقرر عليهم شرحه وحفظه فى دروس التربية الدينية ، فإذا تهيأ الطالب للقراءة لاحقه اللحن فى كل آية إذ يجد من اصطلاحات الرسم العثمانى ما لا يعهده فى جميع ما لديه من كتب الدراسة ، فإذا انبرى المعلم لتصحيح اللحن مرة بعد مرة ، وجد الأفهام الغضه لا تسيغ أن تنطق بغير ما ينبئ عنه ظاهر الرسم ، فإذا سأل السائلون عن خط المصحف وطريقة كتابته لم يجدوا فى الإجابة المترنحة ما يقنعهم بفائدة القراءة فى المصحف الكريم ، فإذا أصر المدرس على ذلك غرق فى خضم من اللحن المنكر ، والخطأ المرير ، فيضطر مستسلما إلى كتابة النص القرآنى على السبورة بالإملاء المتعارف لدى التلاميذ ، ويسارع هؤلاء فينقلون الآيات فى أوراقهم ، كما دونها المدرس ثم يطوون المصحف الوزارى وقد اعتقدوا أن القراءة به مدعاة الخطأ المعيب ! وهكذا يصبح كتاب الله نائيا بجفوا لا ينتفع به غير من حفظوا القرآن على معلمى الكتاتيب ، وهؤلاء كانوا منذ زمن قريب كثرة كاثرة فى المدن والريف ، أما الآن فقد اكتسحت المدارس المدنية أكثر أبناء الشعب ، تاركة لجماعات تحفيظ القرآن عددا لا يذكر بالقياس إلى ما كان ! ! حتى أشفق الحريصون على كتاب الله من يوم قريب يبحثون فيه عن الحفظة فلا يجدون غير النذر القليل ! .

نسأل بعد هذا الموقف المحرج عما يدعو إلى تمسكنا الحريص بالرسم العثمانى فى عصرنا الحاضر فنجد لجنة الفتوى الموقرة بالأزهر الشريف تقول نقلا عن مجلة الرسالة (١) وأما طبع المصحف الكريم على قواعد الرسم الكتابى العادى المتبع الآن ، فاللجنة ترى لزوم الوقوف عند المأثور من كتابة المصحف وهجائه ، وذلك لأن القرآن الكريم كتب وقت نزوله على النبى صلى الله عليه وسلم وقد مضى عهده (ص) والقرآن على هذه الكتابة لم يحدث فيها تغيير ولا تبديل ، وقد كتبت بها مصاحف عثمان ووزعت على الأمصار لتكون إماماً للسلمين ، وأقر أصحاب النبى عمل عثمان رضى الله عنه ، ولم يخالفه أحد فيما فعل ، واستمر المصحف مكتوبا بهذا الرسم فى عهد بقية الصحابة والتابعين وتابعى التابعين والأئمة المجتهدين فى عصورهم المختلفة ولم ينقل عن أحد من هؤلاء جميعا أنه رأى تغيير هجاء المصحف عما رسم به أولا إلى تلك القواعد التى حدثت فى عهد ازدهار التأليف فى البصرة والكوفة بل ظل مصطلح القرآن قائما مستقلا بنفسه بعيدا عن التأثر بتلك القواعد ، هاك ما قالته اللجنة الموقرة ونضيف إليه ما قاله البحاثة المتمكن الأستاذ حفنى ناصف رحمه الله وهو صاحب الدعوة الأولى فى مطلع هذا القرآن إلى كتابة المصحف الشريف بالرسم العثمانى حين هم الخديوى عباس بكتابة نسخة منه بالإملاء الحديث إذ كان يخطأ كثيرا فى تلاوته فتزعم حفنى بك ناصف فريق المناوئين لهذا الرأى وقاد حملة أدبية فى المؤيد واللواء حتى انتصر رأيه بلباقته وحميته ، ثم عهد إليه مع زميليه الأستاذين أحمد الإسكندرى ومصطفى عنانى بالإشراف على طبع المصحف الحكومى وتصحيحه وفقا للرسم العثمانى فقام ثلاثتهم بمجهودهم المشكور فى هذا المضمار الكريم ، ! أقول إننا نضيف إلى قول اللجنة الموقرة ما يقوله الأستاذ حفنى ناصف نقلا عن مجلة المقتطف من بحث نشر (١) بعد وفاته رحمه الله :

« ومن هذا يعلم أن المحافظة على رسوم المصاحف العثمانية أمر واجب لمعرفة القراءة المقبولة والمردودة ، لأن هذه الرسوم صارت أصلا من أصول القراءة ، ودعامة من دعائم الإسلام وفى هذه المحافظة احتياط شديد لبقاء القرآن على أصله لفظاً وكتابة ، فلا يفتح فيه باب الاستحسان ، لأنه إذا فتح باب الاستحسان فى الرسم فقد لا يلبث أن يفتح فى اللفظ ، ويتطرق إليه التغيير والتبديل ، فسدوا هذا الباب بإبقاء كل

(١) مجلة الرسالة العدد ٢١٦ سنة ١٩٣٧ .

(١) مجلة المقتطف يوليو سنة ١٩٣٣ م .

شىء على أصله ، حتى ما هو مخالف لقانون الرسم المعتاد » .

نقرأ النصين السابقين فنعرف أن لجنة الفتوى الجليلة ترى أن المصحف قد استمر مكتوبا من عهد عثمان دون أن يلحقه تغيير وتبديل ، وقد تطورت قواعد الإملاء فى عهد ازدهار التأليف بالبصرة والكوفة ، وظل مصطلح القرآن قائما مستقلا بنفسه بعيداً عن التأثر بتلك القواعد فأولى به أن يظل على بعده الآن .

وأنت تعلم أن المصحف الذى كتب فى عهد عثمان كان غير منقوط إذ أن أول من وضع نقط الإعجام فى العربية نصر بن عاصم الليثى ، مستعينا بأستاذه يحيى بن يعمر العدوانى بناء على رغبة الحجاج بن يوسف الثقفى ، فأدخل هذا النقط إلى المصحف الشريف وتغير بذلك عن هيئة يوم وضع فى عهد عثمان للمرة الأولى ، ! وأنت تعلم أن المصحف العثمانى كان غير مشكول إذ أن أول من وضع الشكل فى العربية هو أبو الأسود الدؤلى بأمر من زياد ابن أبيه فى عهد معاوية ، وذلك ما كان بعد كتابة المصحف العثمانى . فأدخل هذا الشكل إلى المصحف بعد قليل من اختراعه ، وتغير بذلك للمرة الثانية عن هيئته يوم وضع فى عهد عثمان ! وأنت تعلم أن المصحف العثمانى لم تذكر به أسماء السور كما ترى الآن فى طبعات الوزارة التى أشرف عليها الأستاذ المتشدد حفنى ناصف ولكنها ألحقت به نقلا عن نسخ متأخرة صدرت بعد العهد العثمانى بأجيال فتغير بذلك المصحف الكريم مرة ثالثة عن هيئته يوم كتب فى عهد عثمان ، وأنت تعلم أن أرقام الآيات مستحدثة لا تكاد تتجاوز القرن الأخير ومع ذلك فقد ألحقت بالمصحف العثمانى فتغير بها مرة خامسة عن هيئته يوم كتب فى عهد عثمان ، أما حروف الهجاء نفسها فقد تغيرت شكلا فى أكثرها ، فمد حرف فى رسمه ، وصغر ثان فى حجمه ، واستدار ثالث فى هيئته . ولديك بدار الكتب المصرية صورة شمسية لصحيفة من مصحف أثرى . جع عهده إلى القرن الأول فلو تأملت بها لرأيت عجبا أى عجب فى اختلاف رسوم الحروف !! فإذا كان المصحف العثمانى قد طرأ عليه ما أسلفنا من التغيير المتعدد أفلا نستجيز الآن تغييراً جديدا فى رسمه ؛ فنكتبه بإملائنا الحديث تفاديا عما يقع فيه الطلاب من خطأ مؤلم ، ولحن شائن كريه !! على أننا نعلم أن المصحف العثمانى قد كتب فى عهد أمى . ومن تولى كتابته كزيد بن ثابت وأبى بن كعب وغيرهما كانوا من البدائية الساذجة فى رسم الكلمات إلى حد أفصح عنه العلامة ابن خلدون حين تعرض لهذا الموضوع

فى مقدمته الرائعة فقال من حديث طويل [1].

وكان الخط العربى لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى متوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش، وبعدهم عن الصنائع، وانظر ما وقع من أجل ذلك فى رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة فى الإجادة فخالف الكثير من رسمهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركا بما رسمه أصحاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم وخير الخلق ـ من بعده، المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه كما يقتفى لهذا العهد خط ولى تبركا ويتبع رسمه صوابا وخطأ، وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه ؟ فاتبع ذلك، ونبه العلماء بالرسم على مواضعه ولا تلتفتن فى ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط.

وإن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل، بل لكل وجهه، يقولون فى زيادة الألف فى لأأذبحنه إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع، وفى مثل زيادة الياء فى بأييد أنه تنبيه على كمال القدرة الربانية، وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن فى ذلك تنزيها للصحابة عن توهم النقص، فى قلة إجادة الخط، وحسبوا أن الخط كمال فنزهوهم عن نقصه، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته، وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه وليس ذلك يصحح، اهـ.

وقد اتضح أن جمهور الأئمة من صدور هذه الأمة قد أذنوا للمصحف الشريف أن يتطور منذ عهد عثمان هذا التطور شكلا و نقطا ورقما وكتابة لأسماء السور، وتعديلا لأكثر رسوم الحروف، فإذا نادينا اليوم بتخليصه من الحروف الزائدة، واتجاهه إلى الإملاء الصحيح، فنحن نسير خطوة لاحقة لها سوابقها الماضيات، ولا نأتى ببدعة مستحدثة، وحسبنا أن ننقذ آلاف القراء من لحونهم المنكرة واضطرابهم المشين !!.

وإذا كانت لجنة الفتوى قد سلكت فى إجابتها مسلك المستريب المحتاط، فإنها لم تدع ما ادعاه الأستاذ حفنى ناصف من أن هجاء المصحف بضبطه العثمانى يمنع القراءة بلغة مردودة غير لسان قريش، إذ أن الاملاء المعاصر لا يجيز للكلمة أن تنطق نطقا آخر غير ما تعارف عليه الناس فكيف نحمله إذاً ما لا يطيق ؟ وإذا كنا نعلم أن عثمان الشهيد قد جمع الناس على لسان قريش، فقطع بذلك السبيل على من يقرءون بلهجات قبلية مختلفة

(١) المقدمة ص ٤١٩ ط مصطفى محمد.

فإن مرور الزمن قد مكن لهذا اللسان القرشي أن يصبح منطق القرآن الوحيد ، وإذا أتيح لكتاب الله أن يطبع بالهجاء المعاصر فلن تصله صلة ما باللهجات المنقرضة ، والألسنة البائدة ، وللقارئ أن ينظر معى إلى هذه الفقرات كما رسمت فى مصحف عثمان (١) ولقد جاءك من نبأى المرسلين (٢) أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم (٣) فستبصر ويبصرون بأييكم المفتون (٤) سأوريكم آياتى فلا تستعجلون (٥) وما دعاؤ الكافرين إلا فى ضلال (٦) اهبطوا مصرا (٧) لا تايئسوا من رحمة الله (٨) لكنا هو الله ربى (٩) أفلم يايئس الذين كفروا (١٠) رسولا من الله يتلوا صحفا مطهرة (١١) لا أذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين (١٢) وتظنون بالله الظنونا (١٣) والسماء بنيناها بأييد (١٤) وثمودا فما أبقى (١٥) إنا اعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا (١٦) ولا تقولن لشاىء إنى فاعل ذلك . للقارئ أن يتأمل هذه الكلمات ذات الهجاء المضطرب - وأمثالها كثير كثير - ثم ليتصور أنها كتبت فى المصحف الجديد هكذا على التوالى ، نبأ ، أفإن ، بأيكم سأريكم ، دعاء - مصر - تيأسوا - لكن - ييأس - يتلو - لأذبحنه - الظنون - بأيد - وثمود - سلاسل - لشىء ؛ ثم ليسأل معى : أهذا الهجاءُ الحديث الميسر يشير إلى لهجة قبلية بائدة كما توهم حفنى ناصف أم أن هجاء المصحف بوضعه الراهن يُعطى قارئ القرن العشرين ما لا تقصده معانى الكتاب العزيز ؟ ! على أن العجيب المذهل أن تجد مَن يتبرعون بتفسير كل خطأ فى إفرادهم الكتب الخاصة برسم القرآن يزعمون أن رسم الكلمة لا أذبحنه بألف بعد اللام يفيد امتناع الذبح ، وأن زيادة الياء فى قوله تعالى بأييد تنبه إلى كمال القدرة ! ! مما ضعفه ابن خلدون فى مقدمته ، وتعجب منه أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات فكتب فى مجلة الرسالة [1] يقول : تعقيبا على فتوى اللجنة « بقى أن لجنة الفتوى لم تذكر الحكمة فى الاستمرار على الرسم المضلل فى كتابة قوله تعالى : « ولا تقولن (لشاىء) لشىء إنى فاعلٌ ذلك غدا » ، والسماء بنيناها (بأييد) بأيد ، (وبأييكم بأيكم المفتون . اهـ »

وأبدى الأستاذ رأيه صريحا فى محاضرة ألقاها بالمجمع اللغوى ونشرها بالرسالة فى ٩ يناير من عام ١٩٥٠ قال : « قالوا لا بد أن نكتب القرآن بالرسم الذى كتب به فى زمن عثمان ، فنكتب الصلاة بالواو ونلفظها بالألف ، ونكتب « والسماء بنيناها بأيد » بياءين ونلفظهما ياء واحدة ، ونكتب (لشىء) بألف زائدة بين الشين والياء ونلفظها بدونها . ولو كان هذا الرسم موحى به من الله على

[١] الرسالة العدد ٢١٦ .

رسوله لآمنا به وحرصنا عليه ، ولكنه من عمل قوم كانوا قريب عهد بالخط فوقع فيه الخطأ والنقص والإشكال . والغرض من كتابة القرآن أن نقرأه صحيحا لنحفظه صحيحا فكيف نكتبه بالخطأ لنقرأه بالصواب ، وما الحكمة فى أن نقيد كتاب الله بخط لا يكتب به اليوم أى كتاب ؟ » .

وقد كان الأستاذ سعيد جمعه الشرباصى أحسن تخريجا ممن نقل عنهم ابن خلدون تفسيرهم العجيب لأمثال كتابة قول الله بأييد بياءين لا بياء واحدة ، إذ ذكر فى كتابه (تطور الكتابة العربية) أن بعض هذه الحروف الزائدة من ألف أو واو أو ياء محاولة بدائية لاستعمال الحروف بدل الشكل إتماماً للضبط !! وكنا على وشك أن نصدق الأستاذ سعيدا فى تعليقه ، ولكننا وجدنا من يتمسكون بهذه الحروف الزائدة وأمثالها فى العصر الحاضر يتمسكون أيضا بالشكل فيجمعون بين البدل والأصل معا !! وما أظن ذلك يستقيم فى منطق مصيب ، وقد اندفع الأستاذ ناصف اندفاعا خطابيا حين زعم أن التغيير فى الرسم يفتح المجال للتغيير فى اللفظ فتستبدل كلمة بكلمة !! وأنا لا أدرى كيف يوحى الإملاء الحديث بنطق جديد ، ونحن نرسم آيات القرآن فى مقالاتنا الصحفية وأبحاثنا العلمية بهجائنا المعاصر ، يفهم منها القارئ أكثر مما يفهمه دعاة الرسم العثمانى أو أقل !! ذلك وهم بعيد !!

نحن نعرف أن الغيرة الشديدة على كتاب الله وحدها تدفع حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة وسواهم إلى المعارضة ، كما نعرف أن محاربة الجديد شىء طبيعى يلاحظه دارسو التطورات الاجتماعية والثقافية فى كل جيل ، ولكننا نعرف أيضا أن هذا التشدد لن يغنى شيئا من الأمر الواقع ، فسيقرأ أحفادنا القادمون كتاب الله بإملائهم المعاصر مستريحين إلى سلامته ويسره ! ولنا أن نأخذ عبرة واضحة من تاريخ الرسم العثمانى فقد كان الإمام الأوزاعى يعارض النقط حين أدخل على المصحف حتى قال فى شأن كتبته المجتهدين « وددت أن أيديهم قُطعت !! » كذلك كان الحسن البصرى وابن سيرين فى بعض ما يروى عنهما يكرهان النقط والشكل فى المصحف الشريف ، ومع ما لهؤلاء الأعلام من المكانة الفقهية ، فقد أجيز شكل المصحف ونقطه ، وتداوله الناس بهذين أجيالا بعد أجيال !! فإذا عارض فريق من علماء اليوم كتابة المصحف بالهجاء المعاصر فلن يقف ذلك أمام حاجة ماسة يلمسها المربون من الأساتذة ، ويجأرون إزاءها بالشكوى الصارخة والضجيج الملحاح ، وللأيام أن تُنضج الرأى الصائب على مهل فيعتنقه الناس مقتنعين !! وإذ ذاك يقرءون قول الله تعالى « ولقد يسرنا القرآن للذكر » فيعلمون أن الإملاء السهل من أدوات التيسير .

محمد رجب البيومى

نهج البردة

للأستاذ علي العماري

أنشد كعب بن زهير أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته المشهورة (بانت سعاد) فلما وصل إلى قوله :

إن الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

ألقى عليه النبي بردته ، وقد بقيت هذه البردة عند آل زهير حتى اشتراها منهم معاوية ابن أبي سفيان بعشرين ألف درهم ، وأخذ الخلفاء يتوارثونها ، ثم انتقلت من الأمويين إلى العباسيين ، وفي مأثور الشعر العباسي ما يدل على أن الخلفاء كانوا يلبسون هذه البردة الشريفة في المناسبات الدينية العامة ، وقد سمج بعض الشعراء وسخف حين قال يمدح المتوكل العباسي :

ولو أن برد المصطفى إذ لبسته
يظن ، لظن البرد أنك صاحبه
وقال وقد أعطيته ولبسته
نعم ، هذه أعطافه ومناكبه

ومن حين أنشد كعب قصيدته ارتبطت هذه القصيدة ببردة النبي ، ولكن القدماء لم يطلقوا اسم البردة ولا غيره على قصيدة كعب ، لأن تسمية القصائد لم تكن من الأمور المتداولة بينهم حينذاك .

فلما جاء القرن السابع الهجري نشأ فيه رجل كان في أول أمره موظفا حكوميا ، عمل في مباشرة الشرقية ، ثم انتهى به الأمر إلى التصوف ، وقد خلف للتاريخ مدائح في النبي ، مشهورة ، ومن هذه المدائح القصيدة المعروفة باسم البردة ، هذا الصوفي هو شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد ، وكان أبوه من بلدة دلاص - على الراجح - وأمه من بلدة بوصير ، وكلتاهما من أعمال مديرية بني سويف ، ولكنه نشأ في بلدة أمه ، لذلك اشتهر بالبوصيري .

وتقترن قصيدة البوصيري بكلمة (البردة) أيضا ، وذلك أنه - فيما روى - أن البوصيري رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فأنشده قصيدته فخلع عليه النبي بردته ، والشاعر سمى قصيدته (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) ولكنها عرفت بالبردة ، وقد كتب عليها واحد وعشرون شرحا .

وفي سنة ١٣٢٧ هـ حج خديو مصر عباس الثاني ، فاستقبله شاعر القصر آنذاك أحمد شوقي بقصيدة في مدح الرسول ، سماها (نهج البردة) وقد شرحها شيخ الإسلام الشيخ سليم البشري في كتاب سماه (وضح

النهج) . والمشهور عند الأدباء أن هذا الشرح من وضع الشيخ عبد العزيز البشرى ، وفى ذلك يقول الدكتور زكى مبارك: (وكنا نسمع فى مجالس أهل العلم بالأدب أن الشيخ سليم البشرى لم يشرح نهج البردة ، وإنما الشرح لابنه الشيخ عبد العزيز البشرى) .
ثم قال فى الهامش : (وهو - يعنى الشيخ عبد العزيز - يؤكد أن أباه رحمه الله صاحب الشرح ، ونحن نؤكد من جانبنا أن الشيخ عبد العزيز هو الذى كتب ذلك الشرح)[1].

والقصيدة معارضة واضحة لبردة البوصيرى وقد اعترف بذلك شوقى فى كلمته التى قدم بها شرح البردة حيث قال : (رأى الله لهذا العبد الخاضع شاعر بيتك الكريم أن يمشى بنور العلمَ الفرد المغفور له البوصيرى صاحب القصيدة الشهيرة بالبردة فى مدح خير الأنام عليه الصلاة والسلام ، وجعلتها يا مولاى لحجتك المبرورة تذكارها) .

وأما قول شوقى :

المادحون وأرباب الهوى تبع
لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم
مديحه فيك حب خالص وهوى
وصادق الحب يملى صادق الكلم
الله يشهد أنى لا أعارضه
من ذا يعارض صوب العارض العرم
وإنما أنا بعض الغابطين ومن
يغبط وليك لا يذم ولا يلم

فإنما يريد أنه ليس أهلا لمعارضة البوصيرى، وإن كانت قصيدته على الوزن والقافية ، لأن البوصيرى أجل وأسمى من أن يعارضه شاعر آخر .

وقد عارض شوقى جماعة من الشعراء المتقدمين ، عارض البحترى بسينيته ، وأشار إلى هذه المعارضة بهذا البيت .

وعظ البحترى إيوان كسرى
وشفتنى القصور من عبد شمس

وعارض نونية ابن زيدون بقصيدته التى مطلعها .

يا نائح الطلح أشباه عوادينا
نشجى لواديك أم تأسى لوادينا

وعارض قصيدة الحصرى (ياليل الصب) بقصيدته (مضناك جفاه مرقده).

والمعارضة اتباع ، وهى محاكاة فى كثير من سمات الشعر . محاكاة فى الغرض ، ومحاكاة فى بعض المعانى ، ومحاكاة فى الوزن والقافية .

ولا يزال النقاد يتحدثون عن تقليد شوقى وتجديده ، ومن رأى الدكتور طه حسين ، أن شوقى بدأ مجددا وانتهى مقلدا ، ويرى آخرون أنه كان مقلدا أيام أن كان فى الأندلس يعارض الرائع من قصائد المتقدمين ، ثم صار مجدداً بعد أن عاد من النفى ، وشارك

(١) كتاب الموازنة بين الشعراء ص ٨٣ ، ٨٤ .

الشعب فى ثورته السياسية ، وتتحدث فريق ثالث عن معارضة شوقى بخاصة ، فيرى هذا الفريق أن معارضات شوقى لم تمح شخصيته ، فبالرغم من تأثره فى ألفاظه وأساليبه ومعانيه بكبار الشعراء إلا أن شخصيته القوية ظلت مسيطرة على شعره تلمس فيه روحه وعصره وثقافته الواسعة وخياله المجنح وموسيقاه العذبة [1] .

وللدكتور أحمد زكى أبى شادى كلمة عن المعارضة وردت فى الجزء الثانى من مجلة (أدبى) أحب أن أنقلها هنا لما لها من صلة بموضوعنا هذا قال : (ليس تعمد معارضة الشعر من الفن الصحيح فى شىء ، بل هو محض صناعة ، والشعر قبل كل شىء عاطفة فكرية عميقة الجذور ، لا بهرج سطحى زائف وقد نقرأ عن بعض الشعراء الممتازين أنه حاول محاكاة شاعر آخر بقصيدة معينة ، ولكن الحقيقة أنه تأثر بموسيقاه أو بموضوع القصيدة فأثار ذلك نفسه الشاعرة ، مثال ذلك معارضات البارودى للشعراء المتقدمين ، ومعارضة كيتس لسبنسر ، وقد كانت تلك المعارضة أول تجربة شعرية لكيتس فإن تلك المعارضات نتيجة الإعجاب بالآثار السابقة ، وأثر وحيها فى النفس) .

على أنه لايفوتنى أن أقول : إن شوقى حين يعارض المتقدمين لا يقع دونهم ، بل ربما بزهم ، حقيقة لم يبلغ فى نهج البردة مبلغ البوصيرى ، ولكنه فى السينية - مثلا - فاق البحترى ، وفى النونية بز ابن زيدون ، بما ضمنها من فنون القول ، وبما أشاع فيها من موسيقى عذبة ، وأخيلة رائعة .

ولعل تخلفه عن البوصيرى يرجع إلى سببين أساسيين أولهما : أن البوصيرى نظم بعاطفة دينية قوية تتجلى فى كل أبيات قصيدته .

وثانيهما : أن شوقى حاول أن يساير البوصيرى فى كل خطواته فى القصيدة ، وأن يأخذ كثيراً من معانيه وهذا أفقده فضيلة الاستقلال .

والنقاد يختلفون فى تفضيل أى الشاعرين فى المعانى التى اشتركا فيها ، فمثلا الأمير شكيب أرسلان يفضل قول شوقى :

يا أحمد الخير لى جاه بتسميتى
وكيف لا يتسامى بالرسول سمى

على قول البوصيرى :

فإن لى ذمة منه بتسميتى
محمداً ، وهو أوفى الخلق بالذمم

وعندى أن بيت البوصيرى أقوى معنى ، وأجل أسلوبا ، فإن البوصيرى جعل له بتسميته محمداً ذمة عند رسول الله ، والرسول أوفى الخلق بالذمم ، فالبوصيرى بمأمن بسبب هذه التسمية ، وتركيبه ذو ألفاظ جزلة محكمة

(١) الأدب والنصوص ج ٣ ص ٣٠٤ .

أما شوقى فقد اكتفى بالجاه ، والتعالى على الناس باشتراكه مع الرسول فى الاسم ، ثم (تسميتى ويتسامى وسمى) وقصد الطباق عما يضعف النسج .

والدكتور زكى مبارك يفضل قول شوقى :

يالائمى فى هواه ـ والهوى قدر ـ
لو شفك الوجد لم تعذل ولم تلم

على قول البوصيرى :

يالائمى فى الهوى العذرى معذرة
منى إليك ، ولو أنصفت لم تلم

وقد أعجب الناقد بقول شوقى (والهوى قدر) ويبدو أن الموسيقى ـ وهى قوية فى الشطر ـ صرفت الناقد عن حقيقة المعنى ، وعندى أن قول البوصيرى أدق ، وبيته أصفى ، ومعناه يكاد يكون له ، فالبوصيرى وصف هواه بأنه عذرى ، ومع ذلك اعتذر إلى لائمه ، ثم قال : إن مجرد الإنصاف يكفى فى ترك الملام ، فجعل مثل هذا الهوى أمراً سائغاعند المنصفين ، ولولم يعشقوا . أما شوقى فقد ألقى ـ أولا ـ التبعةعلى القدر ، ولاندرى لماذا كان الهوى وحده من أعمال القدر ، وثانيا جعل الذى يترك لوم العاشق إنما هو الذى شفه الوجد ، وهذا بطبيعة الحال يعذر بل كل من يرتكب جرما ويبالغ فيه يعذر الآخرين ، وثالثا : المعنى مسروق وواضح السرقة (وإنما يعذر العشاق من عشقا)

ورابعا : هذا التكرار (لم تعذل ولم تلم) والفرق غير واضح بين العذل واللوم ، ولم يدع إلى هذا التكرار إلا الوزن والقافية[1] .

ومما يلفت النظر فى نهج البردة أنها بدئت بالغزل كما بدئت البردة ، وكما كانت تبدأ قصائد أخر ، وقد أشرت إلى هذه فى كلمتى السابقة ، واعتذرت عن شوقى وعن الشعراء ـ بعامة ـ فى ابتداء قصائدهم بالغزل ، ولكن بقى هنا كلام .

ذلك أن الغزل الذى نسوغ الابتداء به ينبغى أن يكون غزلا طبيعيا لا صناعيا ، فأنا ألوم شوقى من هذه الجهة ، لا من جهة أنه ابتدأ بالغزل .

فالتقليد واضح فى أول بيت فى القصيدة (ريم على القاع) فأين من يذكر من الغزليين الآن كلمة الريم ، أو معناه ؟ إن تشبيه المرأة بالظبية قد مضى عهده ، أما البان والعلم ، فهما كذلك لفظان لا وجود لهما فى قاموس الشعر المصرى الحديث ولا فى عواطف شعرائنا و (الأشهر الحرم) كذلك بقية من خيال الأعراب ـ كما يقول زكى مبارك .

والجؤذر والأسد ، وساكن القاع ، وساكن الأجم ، كلها كلمات قديمة لا تثير عند

---

(١) من الضرورى أن أقول هنا : إن الدكتور زكى مبارك فصل القول فى القصيدتين فى كتاب الموازنة وكل ما أكتبه هنا إنما نرد به على ما كتبه ذلك الأديب .

المحدثين عاطفة ولا تحرك لهم شعوراً ، ولست مع الدكتور زكى مبارك فى استظرافه هذا البيت :

رمى القضاء بعينى جؤذر أسداً
يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم

فإن بناءه ومعناه بعيد عن مشاعرنا ، وسواء قال شوقى رمى الجؤذر الأسد ، أو رمى القضاء بعينى جؤذر أسداً ، فإن رأيى لن يتغير ، لأن الجؤذر والأسد غابا عن حديث الحب والصبابة ، والتشبيه بهما أو استعارتهما أصبح من الأمور المتآكلة .

وليس حديث السهم والبان والقنا والآرام ، ومضرب الخيم ، والغصن والصمصامة الذكر بأفضل من حديث الجؤذر والأسد ، فكلها من واد واحد ، ولا داعى لإيرادها إلا الحطب فى حبــال المتقدمين . والتشبيه فى قوله (من المرائس بانا) و (السافرات كأمثال البدور) من التشبيهات القديمة المبتذلة .

وخلاصة الرأى عندى : أن ابتداء القصائد بالغزل أمر لاغبار عليه ، ولكن المعيب أن يكون الغزل بعيداً عن أجوائنا ، وأن يكون غزلا متكلفا لاصدق فيه

وشوقى ـ فى هذه القصيدة ـ مغرم بالمحسنات البديعية ، وقد أكثر ـ بخاصة ـ من الطباق ، مما غض من قيمة المعانى فى بعض الأحايين .

والذى ألحظه بعامة على مدائح شوقى ، ومنها هذه المدحة أنه يجيد حين يتحدث عن الدنيا وعن الأخلاق ، وعن أحوال المسلمين ، فأنا ـ مع بعض النقاد ـ من المعجبين بهذه الأبيات :

يا نفس دنياك تخفى كل مبكية
وإن بدا لك منها حسن مبتسم

لا تحفلى بجناها أو جنايتها
الموت بالزهر مثل الموت بالفحم[1]

كم ضللتك ومن تحجب بصيرته
إن يلق صابا يرد أو علقما يسم

وكذلك تعجبنى هذه الأبيات :

يارب هبت شعوب من منيتها
واستيقظت أمم من رقدة العدم

سعد ونحس وملك أنت مالكه
تديل من نعم فيه ومن نقم

رأى قضاؤك فينا رأى حكمته
أكرم بوجهك من قاض ومنتقم

فالطف لأجل رسول العالمين بنا
ولا تزد قومه خسفا ولا تسم

يارب أحسنت بدء المسلمين به
فتمم الفضل وامنح حسن مختتم

---

(١) يريد أن كليهما قد ينشأ عنه الاختناق ، وهذا معنى علمى يحتاج إلى معرفة أن الزهر يمتص الأوكسجين من الهواء كما يمتصه الفحم . ولكنه جيد .

والقصيدة تبتدئ - كما هو معروف - بالنسيب ، فيشغل منها أربعة وعشرين بيتا ، ثم تنتقل فى رفق إلى الحديث عن الدنيا ووصفها والتحذير منها ، وعن النفس ورغبتها فى اللذات ، وتتخلص تخلصا جميلا رائعا إلى الغرض منها :

والنفس من خيرها فى خير عافية
والنفس من شرها فى مرتع وخم

تطغى إذا مكنت من لذة وهوى
طغى الجياد إذا عضت على الشكم

إن جل ذنبي عن الغفران لى أمل
فى الله يجعلنى فى خير معتصم

ألقى رجائى إذا عز المجير على
مفرج الكرب فى الدارين والغمم

ويمضى الشاعر يمتدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه صفوة البارى ورحمته ، وأنه صاحب الحوض يوم القيامة ، ويذكر شرف نسبه ، وكرم محتده ، وأن آباءه شرفوا به :

نموا إليه فزادوا فى الورى شرفا
ورب أصل لفرع فى الفخار نمى

وأصله الذى أخذ منه أقوى وأوضح ، وهو قول ابن الرومى :

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم
كلا لعمرى ولكن منه شيبان

وكم أب قد علا بابن ذرا شرف
كما علت برسول الله عدنان

فهذا الشطر الأخير أسير ؛ لسهولته ، وصفائه من قول شوقى (نموا إليه فزادوا فى الورى شرفا) .

ثم تطرق الشاعر إلى ذكر بحيرى الراهب ، وحراء ، وذهاب النبى إليه ، وأنسه بالعزلة فيه ، يسامر الوحى قبل مهبطه ، وأشار إلى ما يعرف فى حياة الرسول بالخوارق الكونية من فيض الماء من بين يديه الشريفتين وتظليل الغمامة له ، ثم ذكر بدء الدعوة ، وحيرة قريش حينذاك ، وجهلهم على الرسول ودعوته ، واستطرد إلى ذكر معجزة الرسول الخالدة وهى القرآن الذى لا تزال آياته جددا ، مع انصرام آيات الأنبياء السابقين ، وإلى حديث رسول الله ، وأنه صلى الله عليه وسلم أفصح الناطقين بالضاد ، وقد جاء فى هذا المعرض هذا البيت :

حليت من عطل جيد البيان به
فى كل منتثر منه ومنتظم

وعندى أن هذا البيت غير دقيق ، فما يرفع من قدر حديث الرسول أنه جاء لقوم لا يحسنون البيان ، وهو كذلك يتجافى مع الواقع ، فإن العرب عند بعثة الرسول لم يكن بيانهم عاطلا ، والفخر للنبى أنه جاء لقوم فصحاء أبيناء ، يعدون فرسان الكلام ، فبزهم فصاحة وبيانا .

ولم يفته أن يذكر بشائر المولد ، وأن

(البقية على صفحة ٦٠٠)

الاسلام فى الكونغو

للأستاذ عطية صقر

فى المنطقة الاستوائية من القارة الإفريقية، وفى حوض نهر الكونغو، ثالث أنهار إفريقيا، تعيش عدة قبائل متناثرة أهمها مجموعة قبائل البانتو Bantu الذين يحترفون الرعى والصيد ويعملون فى مناجم النحاس والماس والذهب واليورانيوم التى يزخر بها أقليم «كاتنجا» فى الجنوب.

وقد ظلت هذه المنطقة مجهولة زمنا طويلا، لم يعرفها الغربيون إلا فى القرن التاسع عشر، عندما نشطت الرحلات الاستكشافية والتبشيرية، التى انتهت بتنافس الدول على استعمارها.

وأكبر رجل يرجع إليه الفضل فى كشف هذه المنطقة حديثا هو «هنرى ستانلى» (١٨٤١ - ١٩٠٤) الذى نبه الدول إليها، ومكن للبلجيكيين منها. وقد عمل المستعمرون على طمس معالم التاريخ القديم لهذه البلاد، كما هى عادتهم فى كل بلد يستولون عليه، وذلك ليصنعوا هم تاريخها وينسبون الفضل فى تقدمها إليهم، ولولا شذرات ترد عرضا فى تقارير الرحالة والمكتشفين ومذكراتهم لظل أمر هذه المناطق مجهولا لمن يريد أن يكتب التاريخ.

كانت هذه المنطقة الاستوائية معروفة للعرب والمسلمين قبل أن يعرفها الغرب بعدة قرون، وقد قرر ذلك «ستانلى» فى خطابه الذى ألقاه فى حفل التكريم، الذى أقامه له المصريون مساء الاثنين ٢٠ من يناير ١٨٩٠، وذلك عندما تحدث عن وادى «سمليك» قرب بحيرة البرت، فقال مانصه: - واتضح لى لدى مراجعتى ما كتب عن تلك البلاد أن جغرافيا عربيا اسمه شياد الدين (كذا)، وعصره القرن الرابع عشر للميلاد، وصف هذا النهر وصفا بديعا، ودقق فيه بما لم يبعد عن الحقيقة ... إلى أن قال: والغريب أننا نكشف الآن ماكان معلوما عند الخلفاء والبطالسة والفراعنة قبلهم، وحفظ فى آثارهم التى توارثها الخلف عن السلف، حتى اتصلت بجغرافيى العرب فى زمانهم، ثم عفت آثارها وطمست أخبارها، حتى عدنا فكشفناها فى زماننا [1].

ومهما يكن من شىء فإن الإسلام دخل منطقة الكونغو من عدة منافذ من الأقطار التى تحيط بها، جاء من السودان وأوغندة

(١) ص ٤٦٦ من مجموعة اللطائف لسنتها الرابعة سنة ١٨٩٠.

وتنجانيقا ومن الدول التى تقع إلى الشمال الغربى من حوض النهر وكان دخوله سلميا هادئا على يد تجار العرب الذين توغلوا فى هذه البلاد ، وكان لبساطة العقيدة الإسلامية ، وسهولة تكاليفها ، ونظرتها الواقعية للحياة ، وتجاوبها مع مقتضيات الزمن ، وأهليتها لأن تملأ الفراغ النفسى عند الزنجى الذى يطلب إليه أن يتخلى عن الوثنية ، واكتساب صاحبها معنى أدبيا لم ينله فى ظل الديانات الأخرى وهو المساواة واحترام الحقوق - كان لذلك كله أكبر الأثر فى عدم توجس الزنجى خيفة من هذا الدين الجديد .

ولم يظهر أمر الإسلام واضحاً فى هذه المنطقة إلا فى القرن التاسع عشر ، عندما قامت الحركات التحريرية التى قاومت العدو المستعمر ، والتى بدأها هم ثلاثة من عظماء الرجال « الزبير باشا » فى حوض النيل الأعلى من ١٨٥٦ - ١٨٧٥ ، و « رابح بن فضل » فى حوض تشاد من ١٨٧٧ - ١٩٠٠ ، و « الحاج عمر تال » الذى كون جيشا من مسلمى « غابون » من بلاد الكونغو « إفريقيا الاستوائية الفرنسية الآن » وظل يحارب الوثنيين وينشر دعوة الإسلام حتى توفى سنة ١٨٦٥ .

وكان الفضل الأكبر فى إنشاء مراكز إسلامية فى الكونغو ، وفى تأسيس دولة فيها لرجل عربى نزحت قبيلته من جزيرة العرب واستوطنت شرقى إفريقيا ، وهو « حامد بن محمود » الملقب بـ « تيبوتيب » . ولد هذا المجاهد من جزيرة « زنجبار » حوالى ١٨٣٣ ، واحترف التجارة كأبيه وغامر بالتوغل داخل القارة ، واجتاز بقافلته حدود تنجانيقا ووصل نهر الكونغو ، وجعل ينشئ على ضفافه مراكز ومخازن للتجارة ، أهمها :

ريبا ريبا ، نيانغو ، كازونغو . وأنشأ مزارع منظمة رتب لها العمال ، وحكم هذه المنطقة ما يقرب من خمسة وعشرين عاما .

وإلى هذا المجاهد الكبير يرجع الفضل فى تمكين الرحالة المكتشفين من أداء مهمتهم ، فساعد « لفنجستون » سنة ١٨٦٧ ، ورافق الرحالة « كاميرون » سنة ١٨٧٤ إلى ما وراء نهر الكونغو ، وكانت له اليد الطولى فى تمكين « ستانلى » من كشوفه العديدة وعثوره على لفنجستون المفقود ، وإن كان هو لم يعترف بهذا الفضل ، ووصف « تيبو » بأقبح الصفات فى حفل التكريم المذكور .

وقد خشى المستعمرون من قوة هذا البطل ، وأوجسوا خيفة أن تقوم فى قلب القارة دولة إسلامية تقف دون أطماعهم ، فوقفوا ضده وحاربوه فى عدة معارك ، لم يستطع أن يصمد فيها بجيشه الصغير الأعزل ، أمام جيوش العدو المسلحة ، وظل أصحابه فى مقاومة باسلة

طوال ستة أعوام انتهت بسقوط آخر معقل إسلامى وهو « كازونغو » ، وتوفى البطل فى أوائل القرن الحالى .

والكونغو الذى كان تحت حكم بلجيكا واستقل أخيراً ، والذى يعانى اليوم أزمات خطيرة ، يبلغ عدد سكانه نحو ثلاثة عشر مليونا ، ينتشرون فى مساحة تبلغ ٩٠٠ ألف كيلو متر مربع ، وهى تقرب من مساحة الهند ، من هؤلاء السكان أكثر من ١٠٠ ألف أوروبى ، ٨٠٪ منهم بلجيكيون . ويوجد هناك نحو ١٠ آلاف من المغتربين العرب الذين هاجروا من سوريا ولبنان خلال النصف الأول من القرن الحالى . وهم يشتغلون بالتجارة وفيهم أطباء ومحامون ومهندسون .

والدين الغالب فى هذه البلاد هو الوثنية المسماة Fetichisme يدين بها حوالى عشرة ملايين ، وقد استطاعت الإرساليات التبشيرية أن تدخل فى المسيحية ما يقرب من ثلاثة ملايين ، وذلك بعد بذل الجهود الجبارة ، التى تعرف مقدارها إذا علمت أن من بين كل ٧٠ ألف أوروبى يوجد ١٠ آلاف مبشر .

وليست هناك إحصاءات رسمية دقيقة عن عدد المسلمين هناك ، وتقدر وكالات الأنباء التبشيرية عددهم بنحو ١٣٠ ألفا[1] . ويذكر عربى مولود فى الكونغو أن عددهم ٣٣٠ ألفا[1] كما يقدر عددهم بعض الصحفيين الذين زاروا البلاد أخيراً بنصف مليون .

أكثر هؤلاء المسلمين وافدون من شرقى إفريقيا ومن سلالة المجاهدين الأولين ، كما وفد إلى الكونغو جماعات من السنغال ومن السودان ومن الهند وفارس . وامتزج هؤلاء الوافدون بالوطنيين وأصبحوا لا يكادون يفترقون عنهم . والمركز الرئيسى للمسلمين هو « كازونغو » ، ويوجد منهم عدد كبير فى « ستانلى فيل » ، « بودوان فيل » .

وبالرغم من سيطرة العادات التى تفرضها طبيعة البلاد وعقائدها ، ومن حرص الاستعمار على بقاء الأوضاع الفاسدة ، التى يرى أنها تفيده فى السيطرة والسلطان ، كالخرافات المنتشرة ، والإفراط فى تناول المسكرات ، وشيوع الدعارة بشكل غريب لا يكاد ينجو منه إلا النادر القليل من النساء ، وتعدد الزوجات الذى لم تؤثر فيه المسيحية شيئا ؛ إذ أن بعض المتنصرين لا يستطيعون التخلص من هذه العادات لأنها مقياس غنى الرجل ، إذ أنه يشترى الزوجة من أهلها فإذا أعجبته ضمها إلى نسائه ، وإن لم تعجبه ردها إلى أهلها واسترد الثمن ، أو باعها لرجل آخر - بالرغم من كل ذلك فإن المسلمين متمسكون بدينهم إلى

---

(١) نشرة Fedes فى ١٧ / ١٢ / ١٩٥٥ ، ١٣ / ٧ / ١٩٥٧ .

(١) مجلة العرب بكراتشى عدد ربيع الأول والثانى ٧٩ - ١٩٨١

حد بعيد ، يؤدون واجبهم ويزاولون أعمالهم فى أمن وسلام . والمرأة المسلمة هناك تلبس الملابس الطويلة الساترة ، وتقوم بقسط كبير فى خدمة زوجها وتشاركه أعباء حياته ، كما هى العادة المتبعة فى البلاد ، اذ أن المرأة تقوم بمهمة الرعى والصيد والزراعة وجلب القوت وإعداده لزوجها ، وليس من اللائق أن يساعدها الزوج فى شىء من هذه الأعمال .

وأكثر المسلمين يتكلمون اللغة السواحلية السائدة فى شرق إفريقيا ، وإن كان فى البلاد أربع لغات رئيسية تتفرع إلى ٣٨ لهجة محلية إلى جانب اللغة الفرنسية وهى اللغة الرسمية . وهم يقرءون القرآن باللغة العربية ، ولكن نطقهم غير سليم ، ولا يفهمون ما يقرءون .

وهم فى حاجة ماسة إلى من يرشدهم إلى الدين الصحيح ؛ ذلك لأن أكثرهم ينتمى إلى جماعة القاديانية القادمين من الهند ، وهؤلاء لهم عقيدتهم الخاصة التى تنافى الإسلام الصحيح ، ويعرفون هناك باسم موليدى Mulide ، وقد أمكنهم بثقافتهم وثرائهم أن يسيطروا على الناس ، وهم يحاولون إنشاء المدارس والجمعيات لنشر مذهبهم ، ولهم فى «كيجوما» بتنجانيقا مدرسة من الطبقة الثانية كما يقول المبشرون [1] . وهناك جماعة فرضوا أنفسهم على العامة فى الإمامة والإرشاد ، أكثرهم من السنغال ، لم تنضج ثقافتهم ، ويعيشون على الصدقات التى ترد إليهم من المريدين ، وهؤلاء جميعا يتلقون التوجيهات من المراكز الإسلامية الموجودة فى الأقطار المجاورة ، وأهمها «كبالا» فى أوغندة ، و«يوجيجى» فى تنجانيقا . وهى كلها تنقصها الثقافة الصحيحة السليمة اللازمة لمن يتصدى للدعوة الإسلامية

وإذا عرفنا أن التعليم فى هذه المنطقة متأخر جدا ، لدرجة أنه يقتصر على المرحلة الابتدائية ، ولم يسمح إلا بإنشاء ثلاث مدارس ثانوية وهى ملحقة بمصانع الحكومة أو الشركات ، وقد فتحت جامعة كاثوليكية سنة ١٩٥٤ قوامها ٢٨ طالبا عدد أساتذتهم أكبر منهم ، والمبشرون هم الذين يسيطرون على التعليم بكافة أنواعه — إذا عرفنا ذلك أدركنا سوء الحالة العلمية عند المسلمين ، وأدركنا شدة حاجتهم إلى من يخلصهم من سلطان القاديانية ، ، وجهل الدعاة المرتزقة ، ويزودهم بالمعارف العامة التى حالت بينها وبينهم سياسة المستعمرين وعصبية المبشرين.

وأعتقد أن استيفاء عدد من طلاب الكونغو وتزويدهم بالثقافة الدينية الكافية وإعادتهم إلى وطنهم يرشدون المسلمين بالأسلوب الذى يجدونه مفيدا ، ورعايتهم من الناحية المادية ، أجدى وأنفع من إرسال

(١) نشرة فيدس السابقة .

مبعوثين يجب أن يلموا باللغة الفرنسية إلماما وافيا ، وأن توفر لهم الإمكانيات المادية والأدبية ليستطيعوا أن يجدوا لهم مكانا بين المبشرين الذين ينفقون عن سعة ويتمتعون بامتيازات ، حببت إليهم الإقامة فى هذا المغترب ، الذى لا يجدون فيه وحشة ولا تبرما .

والواجب يحتم علينا أن نعمل شيئا لإخواننا المسلمين ، الذين يعيشون هناك فى دوامة عاتية من الفتن الدينية والسياسية ، وأن تتعاون الدول المتحضرة فى إفريقيا على الأخذ بيد هذا الشعب المسكين ، وذلك لنثبت جدارتنا بالحياة ، ولنحبط قول الكاتب البريطانى ن . دافيدسون « ليس الشىء العجيب فى إفريقيا أن سكانها متأخرون ، ولكن العجيب هو أنهم ما يزالون على قيد الحياة » .

عطية صقر
من علماء الأزهر

(بقية المنشور على صفحة ٥٩٥)

يصف حال العرب عند بعثته صلى الله عليه وسلم ، وحال غيرهم من الأمم ، الذين يفتك أقوامهم بأضعفهم ، كما تحدث عن الإسراء والمعراج . وعن الهجرة ، ثم عاد يفضل الرسول على البدر حسنا وشرفا ، وعلى الجبال والأنجم والليث ، ثم يشبه وجهه تحت النقع ببدر الدجى ، ويذكر يتمه صلى الله عليه وسلم ، وزهده فى الدنيا وجوده ، وأثر شريعته فى الناس ، ويعلل حروب الرسول فى أبيات قوية صافية ، ويستطرد إلى مقام النبى فى الحروب ، ومقام أصحابه ، وبعد ذلك يتحدث عن الإسلام وأن جوهره التوحيد ، وأن العلم والعدل أساسان من أسسه ويستهين بكسرى وفرعون ، لأن مظهر الملك فى نهضة العدل لا فى نهضة الهرم ، ويفضل بغداد على روما ، وخلفاء العباسيين على قياصرة الرومان ويستطرد إلى مآثر هؤلاء الخلفاء .

خلائف إن جلوا عن موازنة
فلا تقيسن أملاك الورى بهم

ويذكر الخلفاء الراشدين ، وحسن بلائهم فى الإسلام ، ثم يصلى على النبى وآله . وأخيرا يطلب من الله اللطف بالمسلمين . وأن يتم الفضل عليهم بحسن الختام ؟

على العمارى

هدنة البقط

للأستاذ عبد المنعم محمد الشيخ

لما مات الخليفة « عمر بن الخطاب » ، دأب أهل النوبة على مهاجمة بلاد الصعيد ونهب ما تصل إليه أيديهم ، فسار إليهم « عبد الله بن سعد بن أبي سرح » على رأس جيش هاجم به عاصمة مملكتهم « دنقلة العجوز » وضربها بالمنجنيق وكان ذلك في عام ٣١ هـ (٦٥٢ م) في عهد خلافة « عثمان بن عفان » .

ولما رأى ملك النوبة « قليدورون Kalidûrûn » أن لا قبل له بجيش المسلمين طلب الهدنة ، فأجابه « ابن أبي سرح » إليها وعقد معه في رمضان من سنة ٣١ هـ (٦٥٢ م) هدنة عرفت في التاريخ الإسلامي باسم « البقط » .

والصيغة التي تواترت في المراجع لهذه الهدنة هي :

« عهد من الأمير عبد الله بن سعد ابن أبي سرح ، لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته . عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد أرض أسوان إلى أرض علوة . أن عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة . أنكم يا معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ألا نحاربكم ولا ننصب لكم حرباً ولا نغزوكم ما أقمتم على الشرائط التي بيننا وبينكم ، على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه ، وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه ، وعليكم حفظ من نزل بلدكم او يطرقه من مسلم أو معاهد ، حتى يخرج عنكم . وأن عليكم رد كل آبق خرج إليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه إلى أرض الإسلام ، ولا تستولوا عليه ، ولا تمنعوا منه . ولا تتعرضوا لمسلم قصده وجاوره حتى ينصرف عنه . وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ، ولا تمنعوا منه مصليا ، وعليكم كنسه وإسراجه وتكرمته ، وعليكم فى كل سنة ثلاثمائة وستون رأساً ، تدفعونها إلى إمام المسلمين ، من أواسط رقيق [1] بلادكم ،

---

(١) واضح من النص أن هذا العدد كان من الرقيق الأصليين الذين يباعون . ويلاحظ أن أهل النوبة فى ذلك الوقت لم يكونوا مسلمين ، بل كان كثير منهم وثنيين . وكانت الدولة الرومانية فى ذلك الوقت ، ولزمن طويل قبله ، تلقى بالرقيق والأسرى إلى السباع الجائعة لتفترسهم ، وتقيم لذلك الحفلات العامة . ولم يكن مجتمع ذلك العصر ينكر الرق فى أى بلد من بلاد العالم المعروف يوم ذاك . أما الإسلام فقد أمر بحسن معاملة الرقيق ، وحث فى كل مناسبة على عتقه (التحرير) .

غير المعيب ، يكون فيه ذكران وإناث ، ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم ، تدفعون ذلك إلى والى أسوان وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه عنكم من حد أرض علوه إلى أرض أسوان ، فإن آويتم عبداً لمسلم أو قتلتم مسلماً أو معاهداً ، أو تعرضتم للمسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم ، أو منعتم شيئاً من الثلاثمائة رأس والستين رأساً ، فقد برئت منكم هذه الهدنة والأمان ، وعدنا نحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا ، وهو خير الحاكمين . علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ولنا عليكم بذلك أعظم ماتدينون به من ذمة المسيح وذمة الحواريين ، وذمة من تعظمونه من أهل دينكم وملتكم . الله شهيد بيننا وبينكم على ذلك » .

كتبه عمر بن شرحبيل فى رمضان عام ٣١هـ

وتنص هذه المعاهدة على أن : مملكة النوبة المسيحية التى عقد معها المسلمون معاهدة البقط هذه تمتد من أرض أسوان إلى سد أرض علوة ، أى من أسوان إلى الخرطوم الحالية ، ويتضح من هذه الوثيقة أنها عبارة عن معاهدة صداقة وحسن جوار . ولم تكن تتم عن غالب قاهر يملى شروطاً على مغلوب مقهور . والشيء الذى يسترعى الانتباه أن المسلمين استطاعوا فى هذه السنين المبكرة من سنوات الفتح الإسلامى أن يصلوا إلى دنقلة . وتدل عبارة « وعليكم حفظ من نزل بلدكم » الواردة فى الوثيقة على تبادل تجارى قديم بين النوبة ومصر ، وعلى أن العرب حريصون على استمرار هذا التبادل والتعاون وتنميته وتنظيمه . كما تدل عبارة « حفظ المسجد » على مبلغ حرص المسلمين على دياناتهم وتكليف أهل النوبة برعاية هذه العقيدة الإسلامية فى بلادهم المسيحية .

وكما هو واضح لم يرد بوثيقة البقط شيء عن « العوض » الذى يدفعه المسلمون مقابلا لما فصلته الوثيقة من الالتزامات التى التزمت النوبة بدفعها إلى إمام المسلمين . ويقول المقريزى فى خططه بصدد هذا « العوض » : إن « عبد الله بن أبى سرح » وعدملك النوبة بعد أن شكا إليه قلة الأرزاق فى بلاده ، بحبوب يهديها إليه ، وفعلا أهدى إليه « ابن أبى سرح » قمحاً وشعيراً وعدساً وثيابا وخيلا ، ثم أصبح ذلك تقليداً ، لزم على العرب سداده عند دفع البقط فى كل عام .

وجدير بنا أن نعرض الآن لما ينتظره القارىء من إيضاح للفظة « البَقْط » . وقد عرض لذلك المقريزى مفترضا أن الكلمة عربية فقال : إنها إما أن تكون من قولهم فى الأرض بقط من بقل وعشب أى نبذ

من مرعى فيكون المعنى نبذة من المال وإما أن تكون من قولهم إن فى بنى تميم بقطا من ربيعة أى فرقة أو قطعة فيكون المعنى فرقة من المال أو قطعة منه، ومنه بقط الأرض أى فرقة منها، وبقّط الشىء أى فرقه . . .
ويستطرد المقريزى فيقول : إن البقط أيضا هو ماسقط من التمر إذا قطع فأخطأ المِخْرَف ويكون المعنى على هذا الأساس : بعض ما فى أيدى النوبة . وهذا جهد كبير من المقريزى فى تحميل اللفظ فوق ما يحتمل، وهو شبيه فى تخريجاته هذه بما يحاوله عامة عصرنا من تفسير لبعض أسماء البلدان كالفيوم ودمنهور على أساس أنها كلمات عربية .

أما الحقيقة التى تلقى ضوءاً على ما تعنيه كلمة « البقط » فهى أن بلاد النوبة وخاصة القسم الشمالى منها تأثرت إلى حد كبير بالثقافات الهلينية والرومانية والرومية، وقد سبق للنوبة أن عقدت مهادنات بينها وبين الروم منها هدنة عام ٤٥١م التى عقدتها مع « مكسيمنوس Maximinus » فى عهد الإمبراطور « ثيودوسيوس Theodosius » الثانى ولا بد أن يكون النوبيون قد عرفوا وقتئذ من الرومان اصطلاح Pactum بمعنى « عقد » أو « اتفاق » ولا ريب فى أن لفظ « بقط » مأخوذ من الكلمة اللاتينية « Pactum » .

وجاء بدائرة المعارف الإسلامية حول كلمة « بقط » مايلى : « وهى الجزية التى كانت تدفعها النوبة، وربما كانت كلمة مصرية معناها عبد"، ظهرت فى المصنفات العربية اصطلاحا على جزية النوبة منذ سنة ٣١ هـ (أبريل — مايو سنة ٦٥٢م) وليست جزية حقيقية لأن المسلمين كانوا يدفعون فى مقابلها ألف أردب من القمح ومثلها من الشعير ... وعلى هذا كان البقط صورة من صور التبادل السياسى، فالبقط إذاً لم يكن جزية، لأننا لم نر المسلمين يدفعون عوضاً عن جزية فى أية معاهدة عقدوها، وكان « الإمام مالك بن أنس» يعد البقص صلحاً بين النوبة والمسلمين.

وأما « يزيد بن أبى حبيب » وهو عالم مصرى أصله من بلاد النوبة، فقد قال عن البقط « ... إن هى إلا هدنة بيننا وبينهم على أن نعطيهم شيئا من قمح وعدس ويعطونا رقيقاً ، فالبقط إذاً معاهدة سلام وتجارة بين طرفين متساويين وليس جزية بوجه من الوجوه » .

ويقول المقريزى عن مكان دفع البقط « كان البقط يؤخذ منهم فى قرية يقال لها القصر مسافتها من أسوان خمسة أميال ... والقصر أول بلد النوبة وبه مسلحة وباب لبلد النوبة » .

(البقية على صفحة ٦١٢)

جامعة النجف الأشرف

"بمناسبة الاحتفال بمرور ألف ومائة سنة على جامعة القرويين"

للأستاذ محمد رضا المظفر
عميد كلية الفقه بالنجف

جامعـــة النجف الأشرف صنو جامعة القرويين فى قدم عهدها ، فقد تأسست أول بناية لها فى القرن الثانى الهجرى ، وهى بناية القبر المطهر ، قبر سيدنا أمير المؤمنين على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، بأمر الخليفة العباسى هارون الرشيد ويظهر أن هـذه البناية ما أسرع أن اجتذبت إليها قلوب المؤمنين من زائرين ومجاورين الذين يتعطشون إلى الانتهال من روحية صاحب هـذا القبر والإستلهام من عقيدته الإسلامية العالية ، وقدسية نفسه الجبارة برغم جفاف هذه البقعة وبعدها عن العمران .

ولكن الحقيقة التى يجب أن تقال : إنه لم يكن لها ذلك الشأن الذى يذكر فى مركزها العلمى المرموق ، إلا فى أواسط القرن الخامس الهجرى وذلك بعد ما هاجر إليها من بغداد سنة ٤٤٨ هـ الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى العظيم المعروف بشيخ الطائفة ، صاحب الموسوعات والمؤلفات الخالدة فى الحديث والتفسير والفقه وغيرها . إن هـذا الرجل من عظماء التاريخ فيما ألف وأسس . وكفى أن يكون له أصلان كبيران من الأصول الأربعـــة فى الحديث للإمامية ، هما : كتاب التهذيب ، وكتاب الاستبصار . وكفى أن يكون له تأسيس المركز العلمى للنجف .

أعود فأقول : إن تاريخ النجف العلمى ومركزها الحساس عند الإمامية يبتدئ من ذلك العهد واستمرت معهـــداً للدراسات الإسلامية بين مد وجزر حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى حيث ألقت المرجعية العامة عصا ترحالها فى النجف وذلك بنبوغ المجتهدين الكبيرين السيد محمد مهدى بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء بعد أن جابت عدة بلاد فى فترات متباعدة كبغداد والحلة وكربلاء وأصفهان .

ومن هذا العهد الأخير كثرت البنايات ، لسكنى الطلاب المهاجرين إليها من مختلف البلاد النائية التى تسمى بالمدارس وهى أشبه ما تكون بالأقسام الداخلية . ويبلغ الموجود منها الآن قرابة ٣٠ مدرسة كبيرة وصغيرة ، بعد أن كانت بناية صحن الحرم العلوى هى المأوى الكبير لهم من أبعد العهود . وفى النجف اليوم حوالى خمسة آلاف طالب من مختلف الأقطار الإسلامية . وتقوم المرجعية العامة بتعيين جرايات شهرية لكل طالب ،

وتعتمد فى مواردها المالية على الحقوق الشرعية التى يدفعها المؤمنون فى مختلف الأقطار، وبعض التبرعات من المحسنين، وليس للمرجعية أى مورد حكومى ولا علاقة لها بالحكومات على اختلافها فى شئونها الخاصة والعامة مادية أو غيرها .

النجف لا تختلف عن الجامعات الإسلامية :

وأهم شىء يحسن ذكره بهذه المناسبة بعد الإشارة إلى تأسيس النجف هو نوع دراستها وأسلوبها لتدهل المقارنة بجامعة القرويين الجليلة .

فإنها لا تختلف كثيراً عن سائر الجامعات الإسلامية القديمة فى نوعية التدريس للعلوم العربية وما إليها . فى كونها دراسة خصوصية لاوصفية وكذلك فى اختيار الكتب ولا تزال على الأسلوب القديم فى ذلك . وإنما تمتاز جامعة النجف بطريقة تحصيل الاجتهاد فى الفقه الذى تختص بفتح بابه الإمامية وغاية الطالب الدينى القصوى أن يبلغ هذه الدرجة العليا التى لا ينالها إلا ذو حظ عظيم .

أنواع الدراسات :

ولذلك تمر على الطالب ثلاث مراحل تدريسية لبلوغ هذه الغاية :

المرحلة الأولى :

مرحلة دراسة (المقدمات) كما يسمونها . والمقصود بالمقدمات النحو والصرف وعلوم البلاغة والمنطق وهى تقرأ فى كتب لا يتجاوزونها إلا نادراً كشرح قطر الندى وشروح ألفية ابن مالك ومغنى اللبيب فى النحو، والشمسية فى المنطق. وهذه الكتب التى ذكرناها هى نفسها التى تدرس فى الجامع الأزهر وجامعة القرويين - فيما نظن - وتختص النجف الأشرف بكتب أخرى فى بعض هذه العلوم ، لا سيما المتون الفقهية كالشرائع للمحقق الحلى . وشروح هذا الكتاب كثيرة .

ونوعية الدراسة فى هذه المرحلة دراسة فردية على الأكثر وربما اشترك فيها أكثر من طالب واحد فيشكلون حلقة صغيرة ، وللطالب الحرية فى اختيار المدرس بل الكتاب وليس عليه رقيب إلا نفسه أو ولى أمره كما أن للطالب والمدرس فى هذه المرحلة كما فى المرحلتين الآتيتين ، حرية النقد والمناقشة وطبعاً تكون الحرية فى هذه المرحلة محدودة بالقدر الذى يسمه أفق الطالب وتفكيره ، والغرض منها التوجيه والتمرين على قوة الملاحظة .

وكثيراً ما ينضم إلى هذه المرحلة دراسة علم الكلام والعلوم الرياضية وبعض العلوم العربية الأخرى كعلوم العروض والقافية . والبديع والنصوص الأدبية ، وهذا كله حسب رغبة الطالب واستعداده فى المشاركة فى المعارف ونحوها .

المرحلة الثانية :

مرحلة دراسة (السطوح) كما نسميها وهى

دراسة متون الكتب الموضوعة فى الفقه الاستدلالى وأصول الفقه ويتبع فيها محاكمة الآراء ومناقشتها بحرية كاملة، وعلى الأكثر تجرى هذه المرحلة على أسلوب الحلقات حيث يجتمع أكثر من طالب واحد فى مجلس أحد المدرسين المعروفين، ويختلف عدد الطلاب فى كل حلقة حسب اختلاف شهرة المدرس فى تفوقه فى أسلوب التدريس وسعة اطلاعه.

المراهق:

أما الكتب الاستدلالية فى الفقه فأشهرها شرح اللمعة الدمشقية الذى هو كتاب ابتدائى فى الاستدلال، وبعده كتاب رياض العلماء والمسالك، ثم المكاسب للشيخ الأنصارى. وهناك مراجع أخرى كثيرة أوسع دائرة وبحثا لا يستغنى عنها الطالب الباحث.

وإذا انتهى الطالب من هذه المرحلة بإتقان استحق أن يسمى (مراهقا) أى مقاربا لدرجة الاجتهاد. وقد ينضم إلى هذه المرحلة دراسة علم الكلام، والحكمة، والفلسفة الإلهية، والتفسير، والحديث، وأصول الحديث، وعلم الرجال.

وهذه المرحلة وما قبلها قد يجتازها الطالب فى عشر سنين فأكثر فى جد متواصل مضن وهى مرحلة شاقة يرهق فيها كثير من الطلاب فيتوقف عن الركب.

وقد لمس كثير من المفكرين صعوبة هذه المرحلة فوجدنا أن من الجدير بنا أن نسعى إلى فتح كلية منظمة لنتلافى بها كثيراً من النواقص التى يشتكى منها. وذلك بتبسيط بعض الكتب، وتنظيم المناهج والدروس، والامتحانات. وهكذا تم لجمعية منتدى النشر أن تفتح (كلية الفقه) لتخريج طلاب لهم الاستعداد الكافى لحضور مجالس دروس كبار المجتهدين بالإضافة إلى القيام بواجب الدعوة إلى الدين الإسلامى، وتبليغ مبادئه على منابرهم وأقلامهم. وقد أضيف إلى دروس المعارف الإسلامية المعروفة دروس فى الاجتماع وعلم النفس والتربية والفلسفة الحديثة، والتاريخ الحديث والفقه المقارن، والأدب وتاريخه والتاريخ الإسلامى بالإضافة إلى لغة أجنبية واحـــدة. ومن سنتين تم اعتراف وزارة المعارف العراقية بنظام هذه الكلية ودرجتها العلمية (درجة الليسانس). وهذه الكلية لا يدرس فيها إلا حملة إجازات الاجتهاد من كبار المجتهدين أو حملة الشهادات الجامعية من الجامعات المعترف بها.

المرحلة الثالثة:

مرحلة (بحث الخارج): وهى حضور مجالس دروس كبار المجتهدين فى الفقه وأصوله وهذه هى آخر مراحل الدراسة التى بها قد يبلغ الطالب درجة الاجتهاد وهى أعلى ما فى النجف من دراسات عالية، وبها امتياز هذه الجامعة عن جامعات العالم الإسلامية فى أسلوب

التدريس ، وفى حرية المناقشة والرأى ، وفى درجتها العلمية العالية .

تكون هذه المرحلة عادة فى دورات يتولاها كبار المجتهدين . ويبتدئ المدرس منهم فى دورة أصولية أو فقهيـة يلقيها بشكل محاضرات يومية فيشرح المسألة شرحا وافيا بعرض الأقوال ومناقشة الآراء فيها وأدلتها ويختار ما ينتهى إليه رأيه مع الدليل ولكل مدرس طريقته الخاصة فى أسلوب البحث وسعة المنهج والأسس العلمية التى يعتمدها .

وهذه الدورات لا تكون إلا جماعية يحضر فيها عدد كبير من الطلاب قد يزيد فى بعض الظروف على ألف طالب وذلك تبعا لشهرة المدرس فى تفوقه العلمى ودقة منهجه وأسلوب تدريسه .

وسميت بـ (بحث الخارج) نظراً إلى أن التدريس فيها لا يعتمد على رأى خاص ولا عبارة كتاب معين إلا ما قد يتخذ منهجا للبحث ، لتسهل على الطلاب المراجعة للتحضير قبل الدرس .

وعلى كل حال فإن ميزة هذه الدورات عمق البحث ودقته وسعة أفقه والحرية الكاملة فى نقد الآراء ومناقشتها مهما كان صاحبها . وبهـذا الأسلوب يغذى الطلاب ليتمكنوا من الاعتماد على آرائهم والثقـة بنفوسهم ليصبحوا مجتهدين يرجع إليهم الناس وتقلدهم الأمة أمورها ويقودونها إلى الخير والسعادة .

وإلى هــذا النهج الدراسى يعزى السر فى تطور الدراسات الفقهية والأصولية فى هذه الجامعة عبر القرون . ومن يقرأ كتابا فى الفقه وأصوله لأحد أعلام القرن الرابع والخامس مثلا . ثم يقرأ كتابا فيها لأحد أعلام هذا القرن يلمس مدى التطور الذى بلغه البحث فى دقته وأسلوبه .

ولإيضاح هذه الجهة قدمت نماذج من الكتب التى تدرس وتقرأ فى هذه الجامعة إلى السادة العلماء فى جامعة القرويين ليطلعوا عليها ولتعكس المراحل التطورية لهذين العلمين .

وحسبنا فى ختام هذه الكلمة أن نسجل لجامعة القرويين وأخواتها الجامعات الإسلامية نضالها فى الحفاظ على لغة القرآن الكريم وآدابه وعلومه بعد أن مرت البلاد الإسلامية بقرون مظلمة كادت تقضى على الإسلام واللغة العربية من الأساس .

وإنى لمتفائل جداً بهـذا الوعى الإسلامى العام فى هذا الظرف بالذات ، وهذا التجاوب بالشعور بالحاجة إلى التآخى والاتفاق والنهوض بأمتنا إلى المستوى اللائق بها فى هذه الأرض التى أخذت علينا من أطرافها . « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

محمد رضا المظفر
رئيس منتدى النشر
وعميد كلية الفقه بالنجف الأشرف

القرآن والقومية العربية

(وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون)

للأستاذ عبد الرحيم فوده

كان من حكمة الله ـ وهو جل شأنه « أعلم حيث يضع رسالته » ـ أن تكون المعجزة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم للعرب وغير العرب معجزة عقلية وأدبية وإصلاحية ، وأن يكون دليله على صدق رسالته هو هذا الكتاب الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ، وأن يكون هذا الكتاب بما تتألق به آياته من بينات العلم والحكمة والسمو الأدبي ، هو حجته البالغة على أنه ـ عليه السلام ـ مبلغ عن الله ، ولا يد له فيما يتلوه منه « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون » .

وقد كان مفاجأة للنبي عليه السلام أن يهبط عليه جبريل وهو يتعبد في غار حراء ـ ولم يكن قد ألفه أو عرفه من قبل ـ ثم يضمه إليه في عنف وقوة ويرسله ويطلب منه أن يقرأ وهو لم يتعلم القراءة والكتابة ، فيرد صلى الله عليه وسلم بما عهد فيه من صدق وأمانة ويقول « ما أنا بقارئ » . وظل صلى الله عليه وسلم مع ما كان يعانيه من ضعف وخوف أمام جبريل يرد بقوله : « ما أنا بقارئ » ، حتى ضمه جبريل مرة ثالثة وأرسله وقال له : « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم . ثم انقطع الوحي وارتفع الملك ، وعاد عليه السلام يرجف قلبه ، ويقص على زوجه خديجة رضى الله عنها ما عاناه وقاساه وشاهده ورآه . ثم يقول لها « لقد خشيت على نفسي » فتجيبه في لهجة الواثقة : « كلا ، والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » .

ويمكن للمتأمل في هذه القصة أن يلمح من خلالها تباشير الصبح الذي فاض على الأمة العربية خاصة والإنسانية عامة بضياء الإسلام الغامر ، وسناه الوضيء الباهر . فإن في قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » ما يشعر بأن قراءته عليه السلام ستكون بقدرة الله التي صدر عنها خلق الإنسان وما تفضل به عليه الرحمن ، لا عن خبرته في القراءة أو قدرته على اكتسابها وتعلمها ،

فليس بعزيز عليه سبحانه أن يقرئه وقد خلقه وخلق كل إنسان غيره من علق . ثم جعل منه السمع والبصر والفؤاد . ونفخ فيه من روحه وسواه فى أحسن تقويم ، بل إنه جل شأنه كما يقول : « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » ولعل مما يؤيد ذلك ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك . فقد كان يخشى أن ينسى شيئاً مما يوحى إليه فنزل عليه قوله تعالى : «سنقرئك فلا تنسى » وكان يحرك لسانه بما يسمعه قبل أن ينقطع الوحى عنه حتى لا يفوته شىء منه فنزل عليه قوله تعالى : « لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه » .

وهكذا شاء الله أن يقرأ الامى ، وأن تكون معجزته كتابا « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » وأن يكون هذا الكتاب دستور أمة أمية لم تكن تقرأ وتكتب ، وأن يكون هذا الدستور أكمل وأمثل نظام عرفته البشرية . وأن يكون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها معجزة الإنس والجن فى كل دهر وعصر كما يقول الله ويشهد الواقع : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

وكان عجبا أن يصنع هذا الكتاب من الأمة العربية : « خير أمة أخرجت للناس » وأن يحولها فى مدى لا يحسب له حساب فى عمر الأفراد بله الأمم إلى الصورة المثالية التى لم يعرف لها التاريخ مثيلا فى كل الأمم والمجتمعات البشرية ، وأن يضع فى يدها مقادة العالم فى كل شىء كان يعرفه العالم ، فلم يمض قرن حتى كانت الكعبة - وهى فى أرض عربية - قبلة الملايين من أبناء الشعوب ، التى شرح الله صدرها للإسلام ، وحتى كانت اللغة العربية - لأنها لغة القرآن - هى اللغة السائدة فى كل الشعوب التى دانت بالإسلام ، وكان ذلك وما إليه مما تزخر به الكتب والأسفار من مختلف ألوان العلوم والفنون هو تفسير البشرى الكبرى التى تألق بها قول الله لنبيه فى أول لقاء له مع جبريل « اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » . بل إن حياة العرب قبل الإسلام وما صارت إليه فى ظله من قوة ومجد ، وعلم حكمة ، وزعامة وإمامة يجمعها على طولها قوله تعالى : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

وليتأمل القارىء معنى قوله تعالى : « وإن

كانوا من قبل لفى ضلال مبين » . ثم يذكر ما كان عليه العرب قبل الإسلام فسيجد أن كلمة ضلال مبين ، تصور حيرة هذه الأمة وضيعتها والظلام الذى كانت تعيش فيه ، والجهالة الرعناء التى كان يضرب بعضها بعضا والتى تمزقها شيعا تتشاحن وتتطاحن ، وتستعر بينها الحروب لأوهى الأسباب ، حتى تمكن الفرس والروم من احتلال جوانبها واعتلاء مناكبها ، وانتقاصها من أطرافها ، ثم ليتأمل معنى قوله تعالى : « ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » فسيجد هذه الكلمات تصور على إيجازها ماصارت إليه هذه الأمة من نماء وزكاء وقوة ، وما ينطوى تحت مفهوم الكتاب والحكمة من ألوان العلم والثقافة والمعرفة ، وقد كان ذلك كله بفضل الله . وبفضل هذا الكتاب الذى أنزله الله كما يفهم من قوله تعالى: « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

كان هذا الكتاب ـ كما قلت فى بعض ما كتبت ـ ولا يزال مصدر هداية للناس جميعا ، ولكنه مع هذا هو كتاب القومية العربية منذ كانت للعرب قومية قوية ، فقد كانت لغتهم عدة لغات ولهجات فصارت به لغة واحدة . وصاروا به أمة واحدة . وكانت أرضهم محتلة الأطراف يخضع بعضها لسلطان الفرس وبعضها لسلطان الروم ، فصارت به أرضا مطهرة محررة تبسط ظل زعامتها على أولئك وهؤلاء جميعا ، ثم انساح العرب فى ظل لوائه يفتحون البلاد شرقا وغربا ، ويفتحون قلوب أهليها بهداية هذا الكتاب حتى دانت لهم الشعوب عن طواعية واختيار ، ولانت ألسنتها بلغة هذا الكتاب الذى أنزله الله بلسان عربى مبين .

ثم امتحن المسلمون والعرب بالمحن الشداد والخطوب الثقال فصار أمرهم إلى غيرهم ، ثم صاروا هدفا لحملات الغزو التترى والاستعمار الأوربى . صاروا قطعا وشيعا يتحكم فيهم الدخلاء أو الأجراء للدخلاء . فذابت أو كادت تذوب كل مقومات قوميتهم لولا هذا الكتاب الذى حفظ لهم لغتهم ، وتناجت به ضمائرهم ومشاعرهم وتلاقت عليه مذاهبهم ومواكبهم ، فقد بقى مرفوع اللواء مسموع النداء « عربيا غير ذى عوج » ينطق فتخفق من حوله القلوب ، وتتفتح له الآذان والأذهان ، وتقوى به الهمم والعزائم ، وبذلك الكتاب وبالعلوم العربية التى نبتت على شاطئيه ، وبالإيمان الذى كان ولا يزال يشد العرب والمسلمين إليه ، بقيت اللغة العربية ، واللغة أهم مقومات كل قومية ، سليمة قويمة لم تنسخ ولم تمسخ على كثرة ما زاحمها وداهمها من لغات الطارئين من الأجانب والمستعمرين ، وعلى كثرة ما بذل

أولئك وهؤلاء من محاولات لنسخها ومسخها، وقطع الأسباب التى تصل العرب والمسلمين بها؛ لتنقطع صلتهم بهذا الكتاب الذى جمعهم على الإخاء ودفعهم إلى المجد، ورفعهم إلى السماء ومكن لهم فى الأرض.

لقد حطم التتار بغداد وأحرقوا نفائسها العلمية، وأطاحوا بخلافتها الإسلامية، وروعوا علماءها وأدباءها، فأبت القاهرة أن تدع العلم بين أقدام الغزاة، وتلقته بكلتا يديها لتحمله وتحميه، ثم أقامت من أزهرها معقلا شامخا للقرآن وعلوم القرآن يفد إليه المروعون من شتى البقاع والأصقاع فيجدون فيه مثابة وأمنا، وحتى الرمز الذى كانت تعتز به بغداد وهو الخلافة أبت القاهرة أن يصبح مجرد ذكرى مجد دارس، فأحيته وجعلته شعارها وشرعت تكافح به ميدانين، تلتقى فى أحدهما بالتتار، وفى الثانى بدول الاستعمار، نجحت فى قهرهما. وحفظت لمصر مكانتها وعروبتها. ثم بقيت تحافظ على ما ورثت من مقدسات الإسلام ومقومات العروبة حتى نكبت ونكب الشرق معها بالغزو الفرنسى. ثم بالاحتلال الانجليزى، ومع طول ما قاست وعانت خلال تلك الحقب والعصور لم يضعف حرصها على مقدسات دينها وعروبتها. بل أخذ كفاحها الشعبى يتجه اتجاها آخر، فوقفت الأموال على الأزهر وعلى تعليم القرآن، وأنشئت المكاتب فى كل مدينة وقرية لتحفظ القرآن، وكان هذا بصورة قوية باهرة فى الوقت الذى كان فيه «دنلوب» يعمل على أن ينتزع من حلوق المصريين، ألسنتهم العربية ويضع فيها ألسنة صناعية انجليزية

وانجلى ليل المحتلين وبقيت مصر عربية إسلامية تتأهب للنهوض بدورها التاريخى الذى عرفت به فى خدمة العروبة والإسلام، وبقى التراث العربى والإسلامى سليما ينتظر أن تمتد إليه الأيدى الطاهرة لتعيد إليه رواءه وبهاءه، وتنفض عنه ما علق به من غبار، فإن هذا التراث الفكرى يحتل من القومية العربية موضع العمود الفقرى؛ لأنه يمثل خصائصها وسماتها وملامحها. بل هو روحها التى تدفعها إلى تحقيق أهدافها ورسالتها، ولا شك أن هذا التراث يدور كله أو جله حول القرآن وعلومه، فإن العلوم العربية كان الباعث على تدوينها وتقنينها هو المحافظة على صلة العرب والمسلمين بهذا الكتاب، وقد نبعت علوم الفقه وأصوله والتوحيد والحديث والتفسير من هذا الكتاب، وتفرعت عن النظر فيه، واستجلاء حقائقه ومعانيه، وبذلك كسب العرب بين عامة المسلمين مكانة الإمامة والزعامة.

ومعنى هذا بعبارة موجزة قصيرة ما يلى:

١ ــ أن اللغة العربية ــ وهى أهم مقومات القومية ــ مدينة ببقائها وسلامتها للقرآن .

٢ ــ أن ثروتنا التشريعية وعلومنا العربية تنبع من القرآن .

٣ ــ أن جميع الشعوب الإسلامية تلتقى معنا على الإيمان بالقرآن وضرورة المحافظة عليه وعلى علومه .

٤ ــ أن عروبة القرآن من حيث لغته ــ لا من حيث موضوعه وتشريعه فإنه عام لكل الخلق ــ تضع الأمة العربية فى مكانة الزعامة بين عامة المسلمين ، ولعل هذا بعض ما يفهم من قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

٥ ــ أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذى يثمر فى إذكاء روح النهضة العربية لإيمان العرب مسلمين وغير مسلمين بأنه كان ولا يزال أقوى مؤثر فى هذه الأمة ، أو فى كثرتها الغالبة .

نسأل الله أن يصلنا به ويجمعنا عليه ، وأن ينفعنا به ويهدينا إليه ، فإنه كما يقول جل شأنه فيه : « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » .

عبد الرحيم فوده

(بقية المنشور على صفحة ٦٠٣)

وتخفيفا عن أهل النوبة أمر المهدى العباسى أن يؤخذ منهم بقط سنة واحدة عن كل ثلاث سنين . وبقيت الصلات بين النوبة والمسلمين طيبة أو على الأقل سلمية : طوال المدة التى كانت مصر فيها تحت سيطرة ولاة من العرب ، ولم يتخلل هذه المدة إلا احتكاك يسير عندما كانت النوبة تمنع البقط ، فلما تولى أمر مصر حكام من غير العرب تبدلت الحال غير الحال . ويقول بعض المؤرخين : إن البقط استمر يدفع بشىء من الانتظام حتى دخول الفاطميين مصر . ولقد أرسل « جوهر الصقلى » عام ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) رسولا من قبله إلى أهل النوبة يدعوهم إلى الإسلام ويطالبهم بدفع البقط على اعتبار أن الدولة الفاطمية هى وريثة الدولة العباسية فى مصر . ولما جاءت الدولة الأيوبية تبدلت علاقة المودة بين مصر والنوبة إلى علاقة جفاء وعداء ؟

عبد المنعم محمد الشيخ
مدرس بكلية الشريعة

النظرية العامة للإثبات فى الحدود

للأستاذ محمد عطيه راغب

الحد لغة : هو المنع . وقد عرفه الفقهاء بأنه العقوبة المقدرة التى تجب حقا لله تعالى . فالعقوبة غير المقدرة لا تسمى حداً كالتعزير فإنه قد يكون بالضرب وقد يكون بالحبس ، وقد يكون بغيرهما ، والعقوبة المقدرة التى تجب حقا للعبد لا تسمى حداً أيضا كالقصاص فإنه حق للعبد يجوز فيه الصلح والعفو بخلاف حق الله تعالى فإنه لا يجوز العفو عنه ولا يصح استبداله ، أو الزيادة عليه أو النقص منه ، ولا يقبل القياس ولا الإسقاط بعد ثبوت سببه عند الحاكم ، وعلى ذلك لا تجوز الشفاعة فيه .

والحدود فى الشريعة الإسلامية هى : الزنى ، والسرقة ، والقذف ، وشرب الخمر ، وقطع الطريق .

ومن المتفق عليه فى الفقه الإسلامى أن الحدود تثبت بالشهادة وبالإقرار ، وأنها لا تثبت بعلم القاضى ، ولا بالشهادة على الشهادة ، ولا بكتاب القاضى للقاضى .

ولذا سنقسم بحثنا هذا بحثين : أولهما سنبحث فيه شروط الشهادة ، وفى ثانيهما سنبحث شروط الإقرار .

المبحث الأول – فى الشهادة :

أجمع الفقهاء فى التشريع الإسلامى على أنه إذا استجمعت الشهادة جميع شروطها ، وجب على القاضى العمل بمقتضاها .

وللشهادة شروط منها العامة ، ومنها ما يجب توافرها فى الشاهد . ولذا سنتكلم أولا عن الشروط العامة للشهادة ، وثانياً عن الشروط الواجب توافرها فى الشاهد ، وثالثا سنبحث فى مراتب الشهادة .

أولا : فى الشروط العامة :

يجب أن تؤدى الشهادة بلفظ أشهد دون غيره عند فقهاء الحنفية ، والشافعية ، والحنابلة .

ولذا إذا لم يذكر الشاهد هذا اللفظ وقال أعلم أو أتيقن ، لا تقبل شهادته عند هؤلاء الفقهاء ، لأنهم يرون أن النصوص القرآنية قطعت باشتراطها ولم يعدل عنها مع كثرة ذلك وتعدده فى مواضع شتى من القرآن الكريم ؛ ولأن فى هذا اللفظ زيادة توكيد لأنه ينبئ عن المشاهدة والمعاينة والامتناع عن الكذب .

أما الراجح فى مذهب المالكية فيرى أنه يصح الأداء بهذا اللفظ أو بغيره مما يفيد معناه كأعلم وأتيقن ، لأنه لافرق عندهم بين لفظ ولفظ ، ولا خصوصية لواحد منها على الآخر ؛ لأن مقصود الشهادة هو إخبار القاضى بما تيقنه الشاهد ، ولا يتوقف هذا على لفظ معين ، وهذا هو ما نراه أيضا ، ذلك لأن النصوص التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم أبعد ما تكون عن اشتراط لفظ الشهادة فى الأداء . هذا فضلا عن أن ترك الأمر فى هذا إلى اصطلاح الناس وما جرى به عرفهم أيسر لهم وأقرب .

كما يجب أن تكون الشهادة عن علم ويقين، لا عن ظن وحسبان ، فلقد أجمع الفقهاء فى التشريع الإسلامى على أن الشاهد لا يجوز له أن يشهد إلا بما علمه وتيقن منه تيقنا لا تبقى معه ريبة فى حصول ما شهد به .

وللاعتداد بالشهادة أيضاً يجب أن تكون موافقة للدعوى فيما يشترط فيه الدعوى فإن خالفتها لا تقبل إلا إذا وفق المدعى بين الدعوى وبين الشهادة عند إمكان التوفيق لأن الشهادة إذا خالفت الدعوى فيما تشترط فيه الدعوى وتعذر التوفيق انفردت عن الدعوى. والشهادة المنفردة عن الدعوى فيما يشترط فيه الدعوى غير مقبولة .

كما أوجب الأحناف عدم التقادم فى الحدود الخالصة لله تعالى كحد الزنى والسرقة وشرب الخمر ، هذا إذا لم يمنع من أداء الشهادة البعد عن القاضى ، أو مرض الشاهد ، أو خوف الطريق . ذلك لأن الشاهد إذا عاين الفعل فى هذه الحدود ، ولم يشهد على الفور حتى تقادم العهد دل ذلك منه على تفضيله الستر على أداء واجب الشهادة ، ولأنه إذا شهد بعد ذلك دل فعله هذا على أن الضغينة هى التى دفعته على أداء الشهادة ، هذا فضلا عن أن التأخير منه فى أداء الشهادة يورث التهمة .

والأصل فى الشهادة القائمة على حقوق العباد أن تكون من المدعى نفسه أو نائبه ، لأن الشهادة هنا شرعت لتحقيق قول المدعى ولا يتحقق قوله هذا إلا بدعواه إما بنفسه وإما بنائبه .

أما حقوق الله فلا يشترط فيها الدعوى ، وإن كانت الدعوى مع هذا قد شرطت فى حد السرقة ، لأن كون المسروق ملكا لغير السارق شرط لتحقق كون الفعل سرقة شرعا، ولا يظهر ذلك إلا بالدعوى فشرطت الدعوى لهذا .

كما يجب أن تصدر الشهادة فى مجلس القاضى ، ولذلك لا اعتداد بالشهادة الصادرة خارج مجلس القضاء ، حتى ولو كان المجلس مجلس تحكيم .

وفى جرم الزنى أوجب الفقهاء أن نسأل الشاهد عن الزنى ، ما هو ؟ وكيف هو ؟

وأين وقع ؟ وبمن زنى ؟ ومتى زنى المشهود ضده ؟ .

وفى جرم السرقة يجب أن يسأل الشاهد عن ماهية السرقة ، وكيفيتها ، وعن مكان وقوعها ، وعن زمانها ، وكم هى ؛ وممن سرق المشهود ضده ؟ .

وفى جرم القذف يجب أن يسأل الشاهد عن القذف ماهو ، وكيف هو ، ومتى وأين وقع ؟ .

وفى جرم الشرب أوجب بعض الفقهاء أن يسأل الشاهد عن ماهية الفعل الذى شاهده ، وكيف هو ، ومتى ، وأين وقع ؟ ولكن دون حاجة لأن يسأل هل شرب المشهود عليه المسكر مختاراً عالما به وبتحريمه أو لا ؟ وإن كان الجمهور من الفقهاء لم يطلب من القاضى كل هذه الأمور .

وإذا رجع الشهود عن شهادتهم قبل الحكم بطلت الشهادة ، ولا يجوز الاعتماد عليها ، لوجود التناقض فى كلامهم ، كما أنه لا ضمان فى هذه الحالة على الشهود ؛ ذلك لأن سبب وجوب الضمان هو إتلاف النفس أو المال ، ولا إتلاف هنا .

أما إذا رجع الشهود بعد الحكم والاستيفاء ، فلا أثر للرجوع فى القضاء ، بل يبقى الحكم نافذاً بعد الاستيفاء ، وواجب النفاذ قبله ، ويؤدب الشهود على رجوعهم إذا ترتب على شهادتهم استيفاء حد غير الزنى ، متى تبين أنهم تعمدوا الكذب ، أما إذا رجع الشهود قبل استيفاء الحد ، فإنه يجب نقض الحكم وعدم نفاذه ، لحرمة الدم وخطره ، ووجود الشبهة ، ولأنه لا يمكن فيها الجبر بإيجاب مثله على الشهود ، لأن ذلك ليس جبراً . ولا يحصل لمن وجب له منه عوض ، وإنما شرع للزجر والتشفى لا للجبر ، بخلاف المال فإنه يمكن فيه الجبر بإلزام الشاهدين عوضا .

ثانياً : الشروط الواجب توافرها فى الشاهد:

أوجب الفقهاء فى التشريع الإسلامى أن يتوافر للشاهد وقت الأداء : البلوغ ، والعقل ، والذكورة ، والنطق ، والبصر ، لكى يعتدوا بشهادته .

كما أوجبوا أيضا أن يتوافر للشاهد : الإسلام ، والحرية ، والعدالة ، للأخذ بشهادته .

ولذا لا تقبل الشهادة عندهم من صبى لم يبلغ بعد ، ولا من مجنون ، ولا من معتوه ، ولا من النساء ، ولا من أخرس ولو فهمت إشارته ، ولا من أعمى ، ولا من كافر ، ولا من عبد ، ولا من مستور حال لا تعلم عدالته ، لجواز أن يكون فاسقا .

كما أوجبت الحنفية ألا يكون الشاهد محدوداً فى قذف وإن تاب ، وهم يستندون فى ذلك إلى قوله تعالى « والذين يرمون

المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » .

أما الشافعية ، والجعفرية ، والمالكية ، والحنابلة ، فيقبلون شهادة المحدود فى قذف بعد التوبة ، وحجتهم فى ذلك أن الاستثناء إذا تعقب جملة بعضها معطوف على بعض فينصرف الاستثناء إلى الكل ، وقد ورد الاستثناء بعد الآية « إلا الذين تابوا » ، وعلى ذلك فتقبل شهادة المحدود بقذف إذا تاب .

وللاعتداد بشهادة الشاهد أوجب الفقهاء الإسلاميون أيضا ألا تكون هناك صلة قوية بالمشهود له ، وألا تجر شهادته إلى نفسه مغنما وألا تدفع عنه مغرما ، ذلك لأن شهادته إذا تضمنت معنى النفع أو الدفع فقد صار متهما ولا شهادة فى الأصل لمتهم .

كما أنهم لم يقبلوا شهادة العدو على عدوه للتهمة ، وذلك تطبيقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (لا تقبل شهادة خصم ولا ظنين ، ولا ذى إحنة ، لأنه متهم فى شهادته بسبب منهى عنه) .

فإذا ما توافرت فى الشاهد كل هذه الشروط وهذه الصفات أدى شهادته بدون يمين عند بعض الفقهاء الذين يرون أن تحليف الشاهد اليمين ينافى إكرامه الذى أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : (أكرموا الشهود فإن الله يحيى بهم الحقوق) ، كما أن لفظ الشهادة فى نظرهم يتضمن معنى اليمين ، وإن كان البعض الآخر من الفقهاء يرى أنه مع توافر الشروط والصفات السابقة فى الشاهد لا مانع من تحليفه اليمين ، وذلك زيادة فى التأكيد لصدقه ، كما أنهم يرون أن قول الرسول عليه الصلاة والسلام السابق الإشارة إليه لا يمنع من تحليف الشاهد ، ذلك لأن تحليف الشاهد ليس فيه إهانة له ، بل فيه مصلحة للناس ونحن نرى هذا الرأى أيضا لنفس الحجج التى يستند عليها أنصار الرأى الثانى .

ثالثاً : فى مراتب الشهادة :

أجمع الفقهاء فى التشريع الإسلامى على أن جرم الزنى لا يثبت عندهم إلا بشهادة أربعة من الشهود العدول ، على رجل أو إمرأة بالزنى على الأقل ، وذلك تطبيقا لقوله عز وجل : (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) ولقوله تعالى أيضا : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) .

ومن أجل هذا لا يثبت هذا الجرم عندهم بشهادة شاهد واحد ، أو بشهادة شاهدين ، أو بثلاثة من الشهود . ولذلك إذا شهد ثلاثة بالزنى ، اعتبروا مقترفين لجرم القذف ،

(البقية على صفحة ٦٣٠)

العدالة الاجتماعية في الإسلام

للأستاذ أحمد علي منصور

الإسلام هو ـ بلا منازع ـ دين العدالة الاجتماعية ، ودين الإحسان والإنصاف ، ودين العمل والإخلاص ، ودين التعاون والإخاء ، ودين الدفاع ورد العدوان بالعدوان ، ودين التوبة والاستغفار .

وهذه المميزات جميعها تلتقى فى النهاية بأبرز ناحية من نواحى الإسلام الحنيف ، وهى أنه دين الكرامة، وعزة الفرد والمجتمع، الذى يدينان به، ويستمدان عزتهما من عزته .

وأول جانب مشرق يطالعنا من عزة الإسلام أنه دين ودولة ، الحكم فيها لله ، وقانونها شرع الله ، وليس للإنسان فيه إلا الفهم وحسن التطبيق ، ولقد صان الإسلام عزة الفرد فى الجماعة الإسلامية ، بما قرره من مبدأ المساواة بين الناس ، على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، وبما أقامه من ميزان العدالة الاجتماعية ، ورفع منار الحق ، والإنصاف فى الأحكام .

فالقوى فى الجماعة الإسلامية ضعيف ، حتى يؤخذ الحق منه ، والضعيف فيها قوى ، يؤخذ الحق له ، أكد ذلك الخليفة الأول ـ رضوان الله عليه — فى دستوره الهادئ الرزين ، وأرسلها صيحة مدوية بأذن التاريخ ، واستهل بهذا أول خطبة خطبها فى خلافته الراشدة . وليس ذلك مبدأ وضعه الصديق أبو بكر ـ نضر الله وجهه ـ ولكنه أصل من أصول الحكم فى هذا الدين العظيم ، نطقت به آيات التنزيل الحكيم ، وأعمال الرسول الأعظم ، وأقواله ـ صلوات الله وسلامه عليه ، ولا ريب أن عزة الفرد فى الإسلام ، أساس عزة الجماعة الإسلامية ، وقد أحاطها هذا الدين المجيد ، بسياج منيع من النظم والأحكام ، التى تكفل للمسلمين استمرار العزة وازدهارها ، على وجه الزمن ، إذا أخذوا بهذه النظم ، وعملوا بتلك الأحكام .

وعدالة الإسلام الاجتماعية ، حقيقة ملموسة ، واقعية ، فى ميزان التاريخ وميزان الاتجاه العالمى ، وميزان الاقتصاد ، وميزان الأحداث الإنسانية .

فقد أعطى الإسلام كل ذى حق حقه ، وسوى بين الرجل والمرأة فى العقيدة ، والتكاليف الدينية ، وحرية الرأى والعمل ،

وجعل لها نصيبا مفروضا فى الميراث ، ولم يسو بينهما فيه ، لأنه جعل نفقتها على الرجال ، رحمة بها ، وإبعاداً لها عن مشقات السعى ، ومتاعب الحياة .

وإنه لمن المؤسف حقا ، أن يظن بعض الناس أن الإسلام لم يعن العناية الكافية بالمرأة ، ولم يحلها المكانة اللائقة بها ، وأباح للرجل تعدد الزوجات والطلاق ، وميزه عنها فى الميراث .

على حين أنه الدين السماوى الوحيد ، الذى خلص المرأة مما كانت تئن تحته من أثقال ، ونهض بها إلى المستوى الملائم لها . وأعطاها كثيراً من الحقوق التى أعطاها للرجل ، ولم يفرق بينهما إلا فى أمور يسيرة ، راعى فيها طبيعة كل منهما ، ونفع الجماعة الإنسانية .

ولقد وجه الإسلام عنايته للأسرة ، لأنها الخلية الأساسية التى يتركب منها ومن أمثالها جسم المجتمع ، فحث على الزواج ، وأظل الزوجين بظله الوارف ، وعطف الإسلام على المرأة فى الزواج أوضح وأظهر ، لأنها تتحمل من تبعاته ونتائجه أكثر مما يحتمل الرجل .

والإسلام أباح تعدد الزوجات ، لأغراض نبيلة ، وحكم سامية ، زادتها حوادث الأيام وضوحا وجلاءاً . واشترط بجانب ذلك على الزوج ، أن يعدل بين زوجاته فى كل ما يمكن العدل فيه ، فإن آنس من نفسه العجز عن العدل ، وجب عليه أن يقتصر على واحدة .

وقد تخفق الحياة الزوجية فى تهيئة أسباب السعادة للزوجين : أحدهما أو كليهما ، فلابد من التفريق بينهما حينئذ بالطلاق . وليس فى شىء من ذلك ما يناقض العدالة الاجتماعية .

ولقد كان كثير من غير المسلمين ، يعيبون نظام الطلاق ، فى الشريعة الإسلامية الغراء ، حتى كشفت الحوادث عن سداده ، وأظهرت لهم الأيام حكمته ، والحاجة الماسة إليه ، فصاروا يطلقون ، ولا يرون فى هذا غضاضة ، بل ذهبوا إلى أن إباحته ضرورية لصلاح المجتمع الإنسانى ، وهذا اعتراف منهم بفضل الإسلام ، وأنه الدين الملائم للطباع الإنسانية ، والنظم الاجتماعية .

وأما نفقتها فواجبة على زوجها ، وعلى بنيها الكبار ، ولم يزج الإسلام بها فى معترك الحياة ، ومضمار العمل ، رحمة بها ، وبعداً عن المشقات والمتاعب ، وأجلسها على عرش المنزل ، ترعى شئونه ، وتدبر أموره ، وتملؤه ـ بإخلاصها ـ سعادة ونعيما .

وسيكون قريبا ذلك اليوم ، الذى يشيد فيه القاصى والدانى ، بفضل الإسلام ومبادئه السامية ، وتعاليمه الحكيمة ، وأنه الدين الحق الخالد ، الصالح لكل زمان ، ولكل مكان ، « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

أحمد على منصور
المدرس بمعهد شبين الكوم

أدب الجنس

جريمة في حق الدين والمجتمع

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

ما الذى نعنيه بأدب الجنس الذى نتحدث عنه فى هذا المقال ؟ .

هل نعنى الأدب الذى يتحدث فيه الأديب عن الجنس الآخر حديث العاطفة الفياضة ، والحب الصادق ، مع شرف القصد ، ونبل الغاية ؟ من غير شك . . ليس ذلك ما نعنيه بهذا الأدب الذى نريد أن نقوض أركانه ، ونزيل دعائمه ، لنحفظ للدين مبادئه السامية ومثله العالية ، وللمجتمع وجهته الصالحة ، وحياته الكريمة .

إنما نعنى بأدب الجنس ، ذلك الأدب الذى يكشف الغطاء ، ويزيح الستار ، عما ينبغى أن يكون طى الخفاء ، من صلة الرجال بالنساء ، لا يبتغى بذلك إثارة الغرائز ، وإطلاق الشهوات ، واستجلابا للشهرة الكاذبة ، والربح الحرام .

ومما يثير الألم ، ويبعث على الأسف ، أن نرى هذا الأدب ينتشر فى هذه الأيام ، وتتسع أسواقه وتزداد ، ويقبل عليه الأدباء وأشباه الأدباء ، ليملئوا جيوبهم بالمال من أيسر الطرق ، ويجعلوا لأسمائهم البريق فى أسرع وقت ! .

وهذا اللون من الأدب لا يكلف صاحبه مشقة ، ولا يطلب منه جهدا ، فحسبه أن يعرض صوراً فاضحة ، ويصور علاقات شائنة بكلمات قد تخلت عن الذوق طلبا للإثارة ، وعبارات قد تعرت من الحياء لتلبس الوقاحة ، حسبه أن يفعل ذلك ليكون قد كتب أدبا فى رأى نهازى الفرص الدنيئة من الناشرين وطلاب المتع الرخيصة من المراهقين ! .

ثم يأتى دور الناشر ، فيطبع الكتاب الطبعة الأنيقة ، ويحلى الغلاف بالصورة المثيرة ويفرض على القارىء الثمن الباهظ . . . وليس بعد ذلك غير الرواج الأكيد . والربح المضمون .

وليس على القارىء ليتحقق مما نقول ، إلا أن يلقى نظرة على الكتب المعروضة فى واجهات المكتبات فيجد أكثرها قصصا

من قصص الجنس ، لكل قصة عنوان يفتح باب « الموضوع » ، وغلاف يمهد الطريق للسير فيه . وليس من الضروري أن تكون صورة الغلاف قد وردت في موضوع القصة ، فذلك أمر ليس من الأهمية بمكان ، مادامت الصورة في ذاتها تحفز على شراء الكتاب ، وقراءة القصة ! .

وبهذه المناسبة أذكر أنني استمعت إلى مسرحية مذاعة من أحد المسارح ، ثم وجدت هذه المسرحية مطبوعة ومعروضة في إحدى المكتبات ، فعجبت كل العجب حين رأيت على الغلاف صورة فيها من الإباحية ما يؤذي الذوق ، ويخدش الحياء ، دون أن يكون لها صلة بأحداث المسرحية ووقائعها التي استمعت إليها ، واشتريت المسرحية لأعلم حقيقة الأمر في هذه الصور الفاضحة التي تبرق فوق أغلفة الكتب، كما تبرق أنوار « النيون» فوق واجهات المحلات ، فما وجدت لهذه الصورة أثراً في أحداث المسرحية ! فالمسألة إذن عند بعض الأدباء والناشرين مسألة إغراء تحشد له كل الوسائل الممكنة ، أيا كانت طبيعتها ، ومهما تكن نتائجها ، اغتصابا للشهرة ، واستلابا للمال ، من جانب أولئك وهؤلاء على السواء .

والمجني عليه بعد ذلك ، إنما هو الدين الذي يجب أن تصان تعاليمه ومبادئه ، والمجتمع الذي ينبغي أن تسلم نظمه ومقوماته . هذه هي المشكلة ! .

وإذا كان لكل مشكلة علاج ، فماذا عسى أن يكون علاج مشكلتنا هذه ؟ في رأينا أن خير علاج لهذه المشكلة يتضمن مقترحات عدة : أولها وأبعدها خطراً ، وأقواها أثراً ، التربية الدينية . . أجل ، التربية الدينية التي تخلق في الشباب حسن الإدراك للأشياء ، وتعينهم على التسامي بالغرائز ، وتجعل نفوسهم من الصفاء ، وقلوبهم من النقاء ، بحيث تنأى عن كل ما يخدش الحياء ، ويجرح الفضيلة . والجهازان اللذان يشرفان على التربية الدينية في وطننا العربي ، هما الأزهر أولا ، ووزارة التربية بعد ذلك . وهذا الإشراف يظهر أثره في مجالين هما : المنزل والمدرسة .

أما الأزهر فإنه يمد المجتمع بالعلماء الذين يبينون للناس تعاليم الدين ، ويمهدون لهم سبل الخير ، وبالمدرسين الذين يغرسون في نفوس الناشئة من الجنسين ، تقوى الله ، ومحبة الفضيلة ، وبالكتب والمجلات التي تنشر الثقافة الدينية على أوسع نطاق ، وتمتد بها إلى أبعد الآفاق . وذلك جهد مشكور لا ينكره إلا من في قلوبهم مرض ، وفي نفوسهم غرض ، وفي عقولهم زيغ . وأما وزارة التربية ، فقد جعلت للدين في مدارسها منهجا إن يكن من حيث الكيف لا بأس به ،

فإنه من حيث الكم ليس كما ينبغي أن يكون ، ثم جعلت له درسا واحداً في الأسبوع ، وقد يضيع هذا الدرس لعارض من مرض أو طارئ من عطلة ، ومن ثم تصبح دروس الدين غير وافية بما يتطلبه المنهج من الإكمال مع حسن العرض ، وجودة الشرح وضرب الأمثلة .

ثم يأتي بعد ذلك دور الامتحان في مادة الدين التي ينبغي أن تكون مادة أساسية قبل غيرها من المواد ، أو مثلها على الأقل . . .

ويؤسفني أن أقرر أن الامتحان في هذه المادة صوري في سنوات النقل ، وأن النجاح فيها مضمون ، دون جهد مبذول ، أما الشهادات فليس فيها امتحان في مادة الدين ! !

وقد وضعت الوزارة منهجا جديداً للدين يدرس في الصف الأول من المرحلة الثانوية ، وهذا المنهج يكاد يكون ملائما للغرض من حيث الكم والكيف ، ولكن الوزارة جعلت لهذا المنهج درسا واحداً في الأسبوع مع أن دراسته تتطلب درسين إن لم يكن ثلاثة دروس ... والنتيجة ؟ . . النتيجة هي اختصار هذا المنهج إلى النصف أو الثلث ، ليلائم الوقت ، ويلائم الدروس ! .

فهل لنا أن نطالب الوزارة بأن تجعل منهج الدين في مدارسها أوسع وأشمل مما هو الآن ، وأن تمنحه من الدروس ما يكفل تدريسه كما ينبغي أن يكون التدريس ، وأن تجعل شأنه في الامتحان شأن اللغة سواء بسواء .

وما أشك في أن وزارة التربية والتعليم حريصة كل الحرص على أن ينشأ هذا الجيل نشأة تجعله أقوم أخلاقا ، وأصلح أعمالا ، وأهدى سبيلا ... وما أشك أيضا في أنها تعرف حق المعرفة أن الدين هو خير الوسائل إلى هذه النشأة الكريمة الصالحة .

وأشهد ـ وأنا أزاول التعليم منذ سنوات أنني بالتجارب الكثيرة قد وجدت ارتباطا وثيقا بين التربية الدينية ، والمبادئ الأخلاقية في نفوس الطلاب ، فما رأيت طالبا تعجبني أخلاقه ، ويرضيني سلوكه ، إلا وجدت أنه قد تلقى في منزله تربية دينية صالحة ، إن لم تكن بالتعليم والتلقين ، فبالقدوة والمثال .

وأنا واثق بأننا لو هيأنا لهذا الجيل مثل هذه التربية الدينية الصالحة ، فلن نجد فيه الأديب الذي يجعل هدفه من الأدب إثارة الغرائز ، والناشر الذي يجعل غايته من النشر ابتزاز الأموال ، والقارئ الذي يجعل غرضه من القراءة إرضاء الشهوات .

وثاني هذه المقترحات : الإشراف الدقيق الحكيم على دور النشر بحيث لا يسمح للناشر بأن ينشر أي كتاب إلا بعد الاطمئنان

إلى أن هذا الكتاب يخلو من كل إثارة جنسية ، أو استهانة بالمبادئ الأخلاقية ، وتقوم بهذا الإشراف لجان أعضاؤها من المشهود لهم بصحة الإيمان ، وسلامة العقيدة ، وسعة الفكر ، ووفرة الثقافة . وليس فى ذلك تقييد للفكر ، وحجر على الحرية ، كما يخيل إلى الخادعين والمخدوعين من الدعاة إلى الفوضى باسم التحرر ، والثائرين على التقاليد باسم التجديد ، ولكن فيه توجيها للفكر إلى غايته السامية ، وفهما للحرية على وجهها الصحيح .

وثالث المقترحات : أن ترصد الدولة جائزة سنوية قيمة للناشر الذى يفوق غيره فى كثرة ما ينشره على الناس من أدب يهيئ لهم صفاء القلوب ، وبقاء الأرواح ، ويملأ حياتهم بالخير والفضيلة والمحبة . ولا شك أن هذا يجعل الناشرين يتنافسون فى تقديم الإنتاج القيم من الفن الثمين ، والأدب الرفيع .

وأخيرا يأتى دور نقاد الأدب ، ولبعضهم أثر كبير فى الترويج لهذا الأدب المنحرف ، والدفاع عنه ، والدعوة إليه وإنى لأطالب هؤلاء النقاد بأن يتقوا الله فى دينهم وأمتهم وإنسانيتهم ،فلا يجعلوا كلماتهم تصفق للأدباء الذين يتملقون غرائز الشباب بالتبذل والتحلل والإسفاف ، بل عليهم أن يجعلوا هذه الكلمات تصفعهم بالأيدى وتركلهم بالأقدام ليرجعوا عن الغى والضلال ، ويثوبوا إلى الهدى والرشاد .

إن الدعوة إلى الأدب المنحل ، لن تخلق لنا عمالقة من أمثال الزيات والعقاد وطه حسين والحكيم،ولكنها سوف تخلق أقزاما من أمثال من لا يستحقون أن ترد أسماؤهم على لسان .

وإننا نبنى الآن مجتمعنا العربى على أسس قوية ، ودعائم ثابتة . والقيم الروحية ، والمبادئ الأخلاقيه ، المستمدة من روح الدين ، وجوهر الإيمان ، هى أقوى تلك الأسس ، وأثبت هذه الدعائم ، فلنحارب هذا الأدب الخليع الوضيع ،فإنه دعوة سافرة فاجرة ، إلى التحلل من مبادئ الدين ، وقواعد الأخلاق ، وهو لذلك جريمة فى حق ديننا المنزه عن الضلال ، ومجتمعنا المتطلع إلى الكمال ، وأمتنا التى تسعى إلى الأمجاد « والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم »؟

ابراهيم محمد نجا

العاطفة الدينية وأثرها في الأدب العربي

للأستاذ محمد ابراهيم الجيوشي

للعاطفة الدينية من قديم سلطانها على الإنسان ، وأثرها البين فى تفكيره وتصوره وإحساسه ، ولا زال للعاطفة الدينية هذا السلطان القاهر وذلك الأثر البعيد فى النفوس على الرغم من تقدم العلم وازدهار الحضارة التى قامت أسسها على العلم وتجاربه .

هذا السلطان الذى فرضته العقيدة الدينية على الإنسان كان له الأثر البين فى كثير مما أنتجه من أدب وفن منذ عصور عميقة الجذور فى القدم ، نرى ذلك فيما وصل إلينا من أدب الإغريق واتجاهاته .

فقد كانت العاطفة الدينية العامل الأول فى نشأة المسرحيات اليونانية إذ قامت على رضى الآلهة وغضبهم ، واتخذت من معاركها أساطير ترمز إلى ما يتحكم فى نظام الحياة من صراع بين الخير والشر .

وحروب الآلهة كانت الباعث الذى دفع « هوميروس » إلى أن ينسج « إلياذته » التى صور فيها الصراع الدامى بين الآلهة وأنصاف الآلهة ، ونسج خياله الخصب من أساطيرها ذلك البناء الفنى الذى لا زال حتى اليوم المثل الأعلى لفن الملاحم .

ولو تتبعنا الآثار القديمة لوجدناها كلها تستقى من نبع العاطفة الدينية وتضرب على ذلك الوتر السحرى فيعلو بالنفس إلى ما تأمله من نعيم فى جوار الآلهة وصحبة الأرباب .

وهذا هو الأدب المصرى القديم ما وصل إلينا منه ليس إلا تضرعا إلى الرب ، وتنصلا مما يكون قد بدر فى الحياة الدنيا من نزوات النفس ونزغات الهوى ، فظلمت أو جارت أو اعتدت فيهتم صاحبها ، ليعد دفاعه ، ويقيم حجته حينما تنصب الموازين ، ويقام موكب الحساب :

والأدب العربى ليس بدعا من هذه الآداب؟ بل إن العربى بما وهب من حدة العاطفة ورهافة الحس وصفاء الوجدان أشد تأثرا بالعاطفة الدينية من غيره وأكثر انقيادا لها وتسليما .

لهذا عرف الأدب العربى الشعر الدينى منذ الجاهلية ، حينما عرف الله واهتدى إلى قدرته ، وأدرك عظمته ، لما فكر فى صنعه البديع ، وملكوته الذى لا يحد ، وظهر هذا الاتجاه على ألسنة المتحنفين من العرب وغيرهم ممن اطلعوا على الكتب السماوية من يهودية ونصرانية .

فهذا قس بن ساعدة الإيادى . خطيب نجران يشير إلى ذلك فى خطبته المشهورة ، حين يقول : « ليل داج وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، إن فى السماء لخبرا ، وإن

فى الأرض لعبرا ... » ، والخطبة كلها من هذا النمط الذى يحاول أن يوجه الأبصار إلى ما فى الأرض والسماء من آيات تدل على عظمة الخالق سبحانه وقدرته .

ولقس وغيره من المتحنفين العرب كثير من هذه المعانى الدينية التى تلقوها من أهل الكتاب فى رحلاتهم وأسفارهم إلى اليمن والشام

وربما كان عدم اقتناع العربى الجاهلى باستحقاق الأصنام للعبادة والتأليه دافعا نفسيا له ألا يقدم بين يديها آيات التمجيد والحمد والزلفى وينسج حولها الأساطير، وينسب لها خوارق العادات كما فعل اليونانى القديم ، وقد يكون ذلك سببا فى خلو الشعر العربى أول الجاهلية من الأهازيج والأناشيد الدينية ، ويعلل لنا الأستاذ عمر الدسوقى هذه الظاهرة فيقول : « سعة العقل ورجاحته قديمة عند العربى ؛ لأنهم أمة تعشق الحرية ، ومن العسير عليهم أن يقبلوا التحكم فى عقائدهم » .

« ولهذه الحرية لم يعرف فى دياناتهم الجاهلية نظام الكهنوت والعبودية للهيكل ورجاله يتحكمون فى عقائدهم ، وسائر شئونهم الدينية والدنيوية ، ويتوسطون بينهم وبين آلهتهم ويفرضون عليهم الجزية والطاعة العمياء ، ويمنحونهم الغفران إن أرادوا أو يطردونهم من رحمة الله إن سخطوا ، وأنى للعربى أن يقبل هذا أو مثله ، وقد ألفت نفسه الفضاء الفسيح ، وامتلأ فؤاده بهذا الإحساس القوى الطبيعى بأنه حر طليق لا تقيده أرض ولا تعرقل تفكيره تلك القيود والعوائق التى تحد من حريته الشخصية [1] .

غير أن ما أورده الأستاذ عمر الدسوقى غير مسلم ؛ فإن كان العربى حقا لم يعرف نظام الهيكل ، ومنح الغفران إلا أنه لا يمكن أن نتجاهل ما كان لكهان العرب من سلطان على مصائر الناس وأنظمة حياتهم ، وكتب التاريخ والأدب حافلة بأخبارهم وارتحال العرب إليهم ، وتلقف الأخبار والفصل فى معضلات الأمور من أفواههم .

إلا أن الحقيقة الثابتة أن العربى لم يكن يحمل لهذه الأصنام فى نفسه تقديسا وإجلالا أو على الأقل لم يضمن شعره هذه المعانى ، بل روى عنه ما يحقرها ويزرى بها ، ومن ذلك قول عمرو بن الجموح ، وقد رأى صنمه فى موطن القذارة مقترنا إلى كلب .

والله لو كنت إلها لم تكن
أنت وكلب وسط بئر فى قرن
أف لملقاك إله مستدن
الآن فتشناك عن سوء الغبن
الحمد لله العلى ذى المنن
الواهب الرزاق ديان الدين
هو الذى أنقذنى من قبل أن
أكون فى ظلمة قبر مرتهن [2]

(١) الفتوة عند العرب ص ١٠٤ — ١٠٥ .
(٢) أصداء الدين فى الشعر المصرى الحديث ص ٤٥ ج ١ .

وغير ذلك كثير مما يشير إلى تحقير الأصنام والزراية بها ، مثل : الشطر الأول من غير البحر .

أرب يبول الثعلبان عليه
لقد ذل من بالت عليه الثعالب

فلما جاء الإسلام ، ونقى عقول العرب من الشرك وطهر نفوسهم من الوثنية ، وأبطل ما كانوا عليه من ضلال ، وسفه عقائدهم ، اشتد الصراع بين الدعوة الجديدة وبين المتمسكين بدين الجاهلية المدافعين عن سلطانهم وجاههم إزاء هذه الدعوة الفتية التى توشك أن تدمر ذلك السلطان المتوارث والجاه القديم .

وخاض الشعر المعركة يدافع عن صاحب الرسالة ويشيد بمبادئه ويهاجم أعداءه ، ويرميهم بالضلال والكفر ، وينذرهم عاقبة عنادهم . ويحمل حسان اللواء ، ويدفعه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « قل وروح القدس يؤيدك » ، فينشد :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم
قد بينوا سنناً للناس تتبع

ويمدح صاحب الرسالة فيقول : —

له همم لا منتهى لكبارها
وهمته الصغرى أجل من الدهر

له راحة لو أن معشار جودها
على البر كان البر أندى من البحر

ويتابعه كعب بن زهير ، وابن رواحة ، فينافح الثانى بشعره مع سيفه فى المعارك بين الكفر والإسلام ، ويمدح كعب النبى صلى الله عليه وسلم فى قصيدته المشهورة « بانت سعاد » ، وفيها يقول :

مهلا هداك الذى أعطاك نافلة
القرآن فيها مواعيظ وترتيل

لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم
أذنب وقد كثرت فى الأقاويل

إن الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

ويمضى الشعر الدينى فى طريقه حاثا على الجهاد محببا فى الغزو والشهادة طيلة الدولة الأموية .

وتظهر الفرق الإسلامية من شيعة وخوارج، ويكون الشعر لسانها الناطق فى التعبير عن آرائها ومعتقداتها والاحتجاج لها ، ويعرف لكل من الفرق شعراؤه من أمثال الكميت، شاعر الهاشميين ، وقطرى ابن الفجاءة وعمرو بن الإطنابة من شعراء الخوارج .

وتقوم الدولة العباسية فى القرن الثانى الهجرى ، وتتسع مدنية العرب ، ويغمرهم الترف ، ويستمرئ خلفاؤها وأمراؤها النعيم ، وتجرى فى قصورهم قصص هذه الحياة الناعمة التى تفوق حد الخيال ، فيرتفع فى هذا الجو الغارق فى الملذات الرافل فى الطيبات صوت النذير المخوف بالآخرة ، المحذر من استمراء هذه الحياة، ويهتف أبو العتاهية بقوله:

ألهو وأيامنا تذهب
ونلعب والموت لا يلعب

عجبت لذى لعب قولها
عجبت ومالى لا أعجب

وتسود المجتمع العربى ظاهرة التصوف ، ويصبح للتصوف أصول وقواعد ولرجاله أحوال ومقامات ، ويتناقل الناس سير المتصوفة ويقفون عندها فى دهشة وإعجاب ، وكيف لا يعجبون من هذه النفوس الكبيرة التى رفضت ملذات الحياة ، وزكلت نعيمها ووقفت عالية شامخة ، لا تخدعها الدنيا ولا تستهويها زخارفها ، فتطلع الناس إلى هذه الأنماط الفذة من البشر ، وألموا برحابها ، ويمموا ساحتها كما يتجه السائرون فى المحيط نحو شعاع المنارة يأنسون به من أهوال الموج وأخطار المحيط .

وتفنى القوم أشواقهم ، وهتفوا بحبهم لله ، وتهالكوا على أعتابه يسألونه الوصول إلى بابه والفوز برضاه ، وينعمون بالفناء فى ذاته ، ولهم فى ذلك الكثير من المنظوم والمنثور تفيض به رسائلهم ودواوينهم .

وانتقل الشعراء إلى المدائح النبوية وراج ذلك أيام المماليك والعثمانيين وبردة للبوصيرة ومعارضاتها مشهورة وكذلك همزيته .

واتخذ الشعر الدينى فى الأندلس مظهراً جديداً أيام ملوك الطوائف ، تساقطت مدنهم واحدة إثر الأخرى فى أيدى أعدائهم من الفرنج الذين استغلوا فرقهم وتنازعهم ، وطفق الشعراء يبكون هذه المدن الضائعة ، ذلك المجد الآفل ويرثون هذه الديار التى فقدها الإسلام ، فأنشأوا القصائد الطوال يستغيثون فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستنهضون همم الملوك والأمراء من المسلمين ومن أشهر القصائد التى تنهج هذا النهج قصيدة أبى البقاء صالح الرندى التى يقول فيها :

لكل شىء إذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش إنسان
هى الأمور كما شاهدتها الدول
من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد
ولا يدوم على حال لها شان

وانتهت هذه الظاهرة باستيلاء الفرنج على الأندلس وانقطاع أمل المسلمين فى العودة إليه .

وظلت المدائح النبوية بعد ذلك هى المتنفس الوحيد للعاطفة الدينية فى الشعر العربى ، واتخذها الشعراء تكأة للبديع خلال العصرين المملوكى والتركى حتى كانت تسمى بالبديعيات وظلت وبقيت كذلك حتى جاء العصر الحديث وتفتحت آفاق النهضة ، وانتبه العرب من سباتهم ، فرأوا أرضهم مضيعة وسلطانهم بأيدى سواهم من المحتلين الغاصبين ، فانطلقت العاطفة الدينية تنطق الشعراء وتمدهم بصيحات يوقظون بها النيام .

محمد ابراهيم الجيوشى
المشرف على الشئون الدينية بالاذاعة

لغويات

للأستاذ محمد على النجار

توتر العلاقات بين الدولتين :

يقال فى هذا العصر : توترت العلاقات بين الدولتين أو بين البلدين إذا ضعفت الصلات بينهما ومالت إلى الانقطاع .

ويرى اليازجي فى مجلة[1] الضياء أن هذه العبارة تفيد عكس المعنى المراد ؛ فإنه يقال : وتّر القوس إذا شدّ وترها ، وتوتر العَصَب ونحوه إذا اشتد فصار مثل الوتر. فهى تدل على قوة الصلات ومتانتها لا على ضعفها . والصواب أن يقال : استرخت العلائق بينهما فى هذا المعنى .

ويمكن تخريج العبارة بما يصح معه المعنى المراد . ذلك أن توتر العصب واشتداده إذا أفرط فيه يشرف به على الانقطاع ؛ وكذلك القوس إذا أفرط فى شدّ وترها أوشك أن ينقطع الوتر .

فأما تراخى الوتر أو العصب فينأى بهما عن الانقطاع والانفصام . ويروى عن معاوية رضى الله عنه أنه قال : [2] « إنى لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى، ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى . ولو أن بينى وبين الناس شَعَرة ما انقطعت . فقيل له: وكيف ذلك ؟ قال: كنت إذا مدوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها » . وأيضاً فإن توتير القوس يكون ليصيب به الرامى صيداً أو عدواً . ويقال : وترت قوسى لفلان إذا آذنته بالحرب ، ويقول الشاعر :

ألم تر أننى وترت قوسى
لأبقع من كلاب بنى تميم

فتوتر العلاقات بين البلدين يعنى أنها مشدودة غير مسترخية ولا لينة وهى مشرفة على الانقطاع .

أكرم العالم كائناً من كان :

وقع السؤال عن إعراب هذا الأسلوب. والجواب أن (كائناً) حال من (العالم) وفيه ضمير هو اسمه . و (من) نكرة موصوفة خبر (كائناً) و (كان) إن كانت تامة فهى مع فاعلها المستتر فى محل نصب صفة لمن وإن كانت ناقصة فاسمها الضمير المستتر وخبرها محذوف أى كأنه ، والجملة أيضا

---

(١) المجلد ٨ ص ٣٣٨ .

(٢) انظر العقد الفريد فى أوائل كتاب السلطان.

صفة لمن وسأسوق نصين فى هذا المقام قال الرضى فى شرح الكافية : « وقولك : لأقتلنّه كائناً من كان ، ولأفعلنّه كائناً ما كان (كائناً) فيهما حال من المفعول ، و(من) و (ما) فى محل النصب على أنهما خبران لكائناً . وهما موصوفان والضمير الراجع إليهما من الصفة محذوف أى كانَه . وفى (كائناً) و (كان) ضمير راجع إلى ذى الحال ، أى كائناً أى شىء كانَهُ » فترى أنه جعل (كان) ناقصة .

ويقول الصَّبان فى كتابته على الأشمونى فى مبحث كان وأخواتها : « واعلم أن أقرب ما قيل فى لأضربنّه كائناً ما كان أن (ما) نكرة خبر كان ، واسمها الضمير المستتر فيها ، و (كان) تامة صفة لما ، أى لأضربنّه حالة كونه شيئاً كان أى كائناً أى شىء وُجد » فهو يخالف الرضىّ فيجعل (كان) تامة وكلا الوجهين محتمل صحيح .

زرار القميص - زرار :

الزرار لفظ عامى محرف عن الزر ، وجمع الزر أزرار ويقول الشاعر :

لا تعجبوا من بلى غلالته
قد زر أزراره على القمر

وقد تناول التحريف لفظ الزر من قديم فأهل الأندلس فى عهدهم العربى السعيد تركوا الزر واستعملوا مكانه الجمع (أزرار) وجمعوا الأزرار على أزرة . وهذا كما يقول الناس المصران للمعى الواحد ، ويجمعونه على مصارين ، وإنما المصران فى اللغة جمع المصير كالكثيب والكثبان .

ويقول الزبيدى الأندلسى المتوفى سنة ٣٧٩هـ فى كتابه « ما تلحن فيه العامة » : « ويقولون أزرار القميص يريدون به الواحد ، ويجمعونه على أزرة . والصواب : زر القميص والجمع أزرار » وقد ورد جمعه على أزرة فى قول نزهون الغرناطية الأندلسية :

البدر يطلع من أزرته
والغصن يمرح من غلائله

وكأن الزرار فى عاميتنا نشأ من أزرار بحذف الهمزة وتحريك الزاى للابتداء بها وجعلها بزنة غراب ، وهذا كما قالوا فى إحرام لكساء يلبس فى الإحرام بالحج حرام ، ويعرفونه فيقولون : الحرام : لما جعلوه ككتاب ، فالزرار محرف عن أزرار المحرف عن زر . ومثل هذا كثير فى ألفاظ العامة .

الميضة - الميضأة :

الميضة معروفة فى المكان الملحق بالمسجد يعد للوضوء والطهارة للصلاة . واللفظ محرف عن الميضأة ، وأصلها الموضأة من

الوضوء . فقلبت الواو ياء . وحذف العامة الهمزة على غير قياس فقالوا : الميضة .

وهذا التحريف قديم . فقد قال الزبيدى : « ويقولون للطهرة : ميضة وبعضهم يقول ميضاة والصواب : ميضأة بالهمز ، والجمع مواضئ » .

وترى أنه فسّر الميضأة بالمطهرة والمطهرة إناء يوضع فيه الماء يحمله المسافر للطهارة وغيرها ، وتعرف بالزمزمية ، فهذا أصل وضع الميضأة . وقد استعملها المولدون فى المكان الذى يهيأ فيه الماء للطهارة . ويقول المقريزى فى الخطط فى الكلام على جامع ابن طولون : « وفى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة جدد الرواق البحرى الملاصق للمئذنة الحاج عبيد بن محمد بن عبد الهادى الهويدى البازدار مقدم الدولة ، وجدد ميضأة بجانب الميضأة القديمة » .

النسائم :

يكثر استعمال النسائم فى جمع النسيم . والنسيم رقة الريح وضعفها وأن تهب هبوبا لينا ويقال أيضا الريح الضعيفة اللينة بالهبوب ومن ثم يقال : نسيم عليل كأنه مريض لضعفه وهذا يستحبه الناس ويستروحون له.

والنسيم مذكر ، فيقال : نسيم عليل لا عليلة . وفى الريحانة للخفاجى ٢١٥ :

يا نسيما من نحو طيبة سارى
مهديا عطر ندها والعرار

وفيها من النثر [1] : « قصر معال يرد الطرف كليلا ، ونسيم الشمال عليلا » وفى ص ١٩٤ :

وسرى نسيم نجــد فابتسمت
له ثغور النور والكمائم

وإذا كان النسيم مذكرا لاينقاس جمعه على النسائم ، فإن فعائل مخصوص بالمفرد المؤنث كما هو معروف ، وقد قال عبد الغنى النابلسى المتوفى سنة ١١٤٣ هـ :

أحن لو مض البرق من جهة الحمى
وأشتاق إن هبت على النسائم

وقد انتقد اليازجى فى مجلة [2] الضياء هذا الجمع على النابلسى ، وانتقد هو بيتا قاله قبل أن يقف على خطأ هذا الجمع ، وهو قوله :

نسائم نجد هل تحملت من نجد
إلى سوى حر الصبابة والوجد

وكأن من جمعوه على نسائم ذهبوا فيه إلى الريح والريح مؤنثة . ولكن مثل هذا إنما

(١) ص ١٧٨ .
(٢) المجلة ٨ ص ٥٨١

يقبل من العرب ، فالأولى ألا يجمع على النسائم ، وإنما قياسه النسم كالكثيب والكثب .

أطاح به سوء خلقه :

يقال فى هذه الأيام : أطاح به الشىء أى أهلكه أو نال منه وأدخل عليه نقصا وضيما .

والذى فى المعاجم أطاحه الشىء متعديا بنفسه لا بالباء . وفى القاموس: « أطاح شعره أسقطه ، والشىء :أفناه وأذهبه » والأقيس أن يقال : طاح به من الثلاثى ، فإنه يقال : طاح الشىء : هلك ، فإذا قيل طاح به الشىء فالباء للتعدية ومعناه : أطاحه ، كما يقال : ذهب به فى معنى أذهبه .

على أنه ورد طوّح به فى معنى أطاحه ، فلنا أن نحمل أطاح على طوّح ؛ إذ كانت الهمزة والتضعيف يشتركان فى التعدية . وقد ورد أيضا طوّحه ، فكما جاز طوحه وطوح به فيسعنا أن نستعمل أطاحه وأطاح به .

ومما يذكر هنا أن العامة تقول : فلان يطوح أى يضطرب فى مشيه ذات اليمين وذات الشمال . وهذا المعنى جاء فى اللغة ، ففى اللسان : « وتطوّح إذا ذهب وجاء فى الهواء » ، قال ذو الرمة يصف رجلا على البعير فى النوم يتطوّح أى يجىء ويذهب فى الهواء :

وأشوان من كأس النعاس كأنه
بحبلين فى مشطونة يتطوح

والمشطونة : البئر .

محمد على النجار

(بقية المنشور على صحيفة ٦١٦)

ووجب إقامة حد القذف عليهم ، وإن كان هناك رأى يذهب إلى عدم إقامة الحد عليهم يؤدى إلى ألا يشهد أحد بالزنى خوفا من أن يقف الرابع عن الشهادة فيحدوا بحد القذف وبذلك تبطل الشهادة عن الزنى .

والعلة فى اشتراط شهادة الأربعة من الشارع الإسلامى فى إثبات هذا الجرم هو تحقيق معنى الستر ، إذ أن وقوف الأربعة على هذه الفاحشة أمر نادر، ذلك لأن الشىء كلما كثرت شروطه قل وجوده .

أما بقية الحدود ، وكذلك القصاص ، فقد اتفق الفقهاء الإسلاميون فيما بينهم على الاكتفاء فى إثباتها بشهادة شاهدين فقط . أى أنهم اكتفوا بشهادة شاهدين فقط لإثبات جرم السرقة ، وجرم القذف ، وجرم الشرب ، وجرم قطع الطريق .

« للبحث بقية »

محمد عطية راغب

الإسلام فى تركيا

للدكتور جمال الدين الرمادى

كانت تركيا منذ عدة قرون أرضا خصبة للإسلام ، وكانت اللغة العربية لغة القرآن الكريم موضع تقدير ورعاية من أهلها بيد أنها لم تلبث أن حادت شيئا فشيئا عن تعاليم الإسلام وشرائعه ، حتى أوشك أن يتلاشى من أرضها لولا هذه المآذن الشامخة والقباب العالية التى تضرب فى عنان السماء ، وتشهد على جهود الأولين فى نشر الإسلام وإقامة الصلاة . ولولا هذه الابتهالات الخافتة التى تتصاعد من هذه المساجد العريقة وتلهج باسم الله ورسوله ، وتشوبها لكنة غريبة فى أغلب الأحيان . وتحتاج إلى معونة هذه القلوب المؤمنة التى تنبض فى الجمهورية العربية المتحدة قلب العالم الإسلامى حتى تقال من عثرتها وتنهض من كبوتها وتهتدى إلى سواء السبيل .

كانت تركيا تحاول تحقيق فكرة الجامعة الإسلامية فى مستهل القرن العشرين . تلك الفكرة التى دعا إليها السيد جمال الدين الأفغانى إذ كان أول مسلم أيقن بخطر السيطرة الغربية المنتشرة فى الشرق الإسلامى وتمثل عواقبها ، فيما إذا طال عهدها ، وامتدت حياتها ، ورسخت فى تربة الشرق ، وأدرك شؤم المستقبل وما سينزل بساحة المسلمين من النائبة الكبرى إذا لبث الشرق الإسلامى على حال مثل حاله التى كان عليها ، فهب جمال الدين يضحى نفسه ويفنى حياته فى سبيل إيقاظ العالم الإسلامى وإعداده لمواجهة الخطر إذا أذنت الساعة ودق ناقوس الخطر فكان يقول «العالم النصرانى على اختلاف أممه وشعوبه عرقا وجنسية هو عدو مناهض للشرق على العموم وللإسلام على الخصوص ، فجميع الدول النصرانية متحدة معا على دك الممالك الإسلامية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا . والروح الصليبية لم تبرح كامنة فى صدور النصارى كمون النار فى الرماد . وروح التعصب لم تنفك حية معتلجة فى قلوبهم حتى اليوم كما كانت فى قلب بطرس الناسك من قبل . فالنصرانية لم يزل التعصب مستقرا فى عناصرها متغلغلا فى أحشائها ومتمشيا فى كل عرق من عروقها ، وهى أبداً ناظرة إلى الإسلام نظرة العداء والحقد والتعصب الدينى الممقوت » .

وبين السيد جمال الدين الأفغانى فى موضع آخر سبب كره الدول النصرانية وهجومها وعدوانها على الممالك الإسلامية فقال إن هذه

الدول تزعم أن الأمم الإسلامية هذه إنما هى من الانحطاط والتدلى بحيث لا تستطيع أن تكون قوامة على شئون نفسها بنفسها، وفوق جميع هذا، فهذه الدول النصرانية عينها لم تفتأ تعمل هذا من ناحية وتتذرع بألوف الذرائع من نواح أخرى حتى بالحرب والحديد والنار، وللقضاء على كل حركة حاولها المسلمون فى بلادهم وديارهم فى سبيل الإصلاح والنهضة.

وقد تلقف السلطان عبد الحميد دعوة الأفغانى وبنى عليها سياسته فى بناء الجامعة الإسلامية وتشييد أركانها، وظلت هذه الدعوة تتردد نحو ثلاثين عاما حتى خلع عبد الحميد عن الحكم. بيد أن الشىء المؤكد أن عبد الحميد لم يكن يقصد وجه الله ولا وجه الإسلام فى هذه الدعوة إذ كانت دعوة من ظاهرها الرحمة ومن باطنها العذاب. فهو يتخذ من الدين ستاراً يخفى وراءه نواياه الخبيثة ومطامعه الاستبدادية. وسرعان ما كشف الشعب أمره فخلعه من الحكم.

وفى الشهور الأخيرة من عام ١٩٢٣ جرت الانتخابات فى تركيا وانتخب الغازى مصطفى كمال حاكما على تركيا، ولم يكد يتسلم مقاليد الحكم حتى فكر فى إلغاء الخلافة - وقد طافت هذه الفكرة بذهنه لما قام به جيش الخلافة أثناء الثورة الكمالية من دور مضاد حتى إن الخليفة المخلوع استغل منصبه كخليفة فى إصدار الفتاوى الشرعية ضد الحركة ورجالها حتى آلى مصطفى كمال على نفسه أن يطيح برأس كل خليفة يحاول أن يتدخل فى أمور الدولة كما اعتبر كل فكرة ترمى لكى يكون للخليفة أى تدخل فى شئون البلاد أو تعرض لشئونها الخارجية أو الداخلية خيانة عظمى.

والطريف أن بعض أنصار منصب الخلافة من الذين كانوا يعتقدون بضرورة بقائه اقترحوا على الغازى مصطفى كمال المناداة بنفسه خليفة ليجمع رئاسة الدولة التركية ورئاسة المسلمين - وأخبره أحد أتباعه الوافدين من الهند أن الهيئات الإسلامية ذات العقد والحل فى تلك البلاد قد وكلته بمبايعته على ذلك ولكن الغازى مصطفى كمال رفض هذه الفكرة برمتها.

وأصدر مصطفى كمال أوامره بإلغاء الوزارة الشرعية ووزارة الأوقاف وربط جميع المؤسسات العلمية والمكاتب والأوقاف الخصوصية من مدارس ومعاهد بوزارة المعارف، كما إصدار أوامره بإغلاق ما كان موجوداً من الزوايا والتكايا وحرم الاشتغال بالطرق الصوفية، وأقفرت تبعا لذلك كلية «الإلهيات» التى كان يدرس بها الدين الإسلامى والشريعة الإسلامية والتفسير والحديث وما إليها من علوم إسلامية.

وأصدر الغازى مصطفى بعض القرارات الخاصة بزى علماء الدين وجعل العلامة المميزة لزيهم عمامة بيضاء وجبة سوداء ، والعلماء مخيرون فى طريقة السلام داخل الأبنية أو خارجها بين رفع غطاء الرأس أو الإشارة بأيديهم غير أن تطبيق القانون فى مراسم عيد الجمهورية الرسمى واجب فيحيي العلماء العيد مكشوفى الرءوس .

أما الحج إلى بيت الله الحرام فقد أصبح شبه ممنوع فى عهد الغازى مصطفى كمال ، وألغى لقب « الحاج » ضمن الألقاب التى ألغيت كما منع عرض الصور التقليدية للكعبة والمدينة ومكة ، وشدد فى عقاب من يطبعها أو يبيعها . وألغى الحروف العربية وأمر باستخدام الحروف اللاتينية وقال فى هذا الصدد « إن لغتنا الجميلة تبرز ساطعة بالحروف الجديدة ، وإن من الضرورى التخلص من إشارات لا تفهم حبست عقولنا من عصور فى نطاق ضيق من حديد » .

وهكذا أساء مصطفى كمال فهم الإسلام ولغة القرآن واندفع متهورا يحطم تلك القيم الإسلامية الكبرى دون وازع من عقل أو رادع من ضمير .

ومنذ ذلك التاريخ قل إقبال الأتراك على الإسلام — وضعت سطوة المسلمين فى هذه البلاد ، بيد أننا يجب ألا نسكت أو نطيل السكوت على هذه الحال - إنما يجب أن نمد يد المعونة إلى المسلمين هناك حتى يتبصروا بأمور الدين ، ويتقنوا تعاليمه — ويتمكنوا من هذه اللغة العربية التى نزل بها هذا الكتاب المبين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فالمساجد التركية لا تزال تحكى عظمة الإسلام فى هذه البقاع ، ويكفى أن نعرف أن بمدينة الأستانة ما يزيد عن ٤٨٠ جامعا منها ٨٩ كنيسة حولها العثمانيون إلى مساجد ، وأشهرها جامع « أيا صوفيا » الواقع على الهضبة الأولى من هضاب استنبول — وكان هذا الجامع قبل الفتح كنيسة تعرف باسم القديسة « صوفيا » بناها قسطنطين الكبير عام ٣٦٠ م ووسعها ابنه « قونستانس » من بعده - واحترق بعضها عام ٤٠٤ م ثم رممها ثيودسيوس ثم احترقت برمتها فأعيد بناؤها على يد الامبراطور يوستنيان الذى استخدم فى بنائها ٤٥٢ قنطارا من الذهب وقال فى حفل تدشينها « الحمد لله ، لأنه جعلنى أهلا لإتمام هذا العمل العظيم فقد غلبتك يا سليمان » .

ويشاء الله العلى القدير أن ينتصر الإسلام ، ويغلب المسلمون ، ولما فتح العثمانيون الأستانة عام ١٤٥٢ م دخلها محمد الفاتح على جواده حتى إذا وطىء صحنها وحد الله تعالى وقال « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، ومنذ ذلك

التاريخ تحولت الكنيسة إلى مسجد ، وبنى فيها محمد الفاتح مئذنة وبنى غيره بعده سائر المآذن ومحا محمد الفاتح جميع المظاهر المخالفة للإسلام ، إذ كانت على جدران هذا المسجد وهو كنيسة صور لبعض القديسيين والملائكة فمحا المسلمون بعضا منها وغطوا البعض الآخر ببعض آيات من القرآن الكريم .

وعلى باطن القبة الكبرى للمسجد كتابة بالذهب طول الحرف منها تسعة أمتار تبدأ بالآية الكريمة « بسم الله الرحمن الرحيم » . « الله نور السموات والأرض » الخ وتتدلى من القبة ثريا كبيرة فيها المصابيح الكثيرة وفي صدر الجامع المحراب وقد نقشت عليه بالذهب في أعلاه آيات تنقش في أكثر المساجد مع تغيير قليل ، ففي المحراب « كلما دخل عليها زكريا المحراب » وتحته « لا إله إلا الله محمد رسول الله » « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » ثم « وليطوفوا بالبيت العتيق » ثم « ونادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب » وبين يدى المحراب شمعتان كبيرتان على قواعد ثابته ، وإلى جانبي المحراب من أعلى « الله » و « محمد » ووراء ذلك أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، والحسن ، والحسين ، وإلى يسار المحراب المقصورة التي كان السلاطين يقفون فيها للصلاة ، وإلى اليمين المنبر ، يصعد إليه بسلم مذهب ، وتلحق بالجامع مكتبة نفيسة ، وبجواره مدفن السلطان سليم الأول وأولاده قتلهم مراد الثاني لما تولى الملك ، وقبور مراد الثاني وتسعة عشر من أولاده قتلهم محمد الثالث لما تولى الملك .

ويوجد جامع « السليمانية » وقد بناه السلطان سليمان القانوني ويشغل معظم الهضبة الثالثة من استنبول ، وله ملحقات من المدارس والمنائر والتكيات والأضرحة والمكاتب والحمامات ، وقد تم بناؤه عام ١٥٦٦ م وتتدلى من القبة في وسط الجامع ثريا كمثرية الشكل تتعلق بدائرتها المصابيح البراقة .

ويعتبر جامع أبي أيوب من أشهر الجوامع في تركيا ويسميه بعضهم جامع السلطان أيوب وهذا خطأ لأنه مقام أبي أيوب الأنصاري أحد كبار الصحابة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد نزل في داره يوم جاء المدينة ، وكان قد دخلها على ناقته ، فأمسك بها بعضهم ، وطلب إليه النزول عند أهله أو غيرهم - فقال النبي صلى الله عليه وسلم « دعوا الناقة فإنها مأمورة » فبركت على باب أبي أيوب والمشهور أن أبا أيوب جاء لغزو القسطنطينية مع يزيد بن معاوية عام ٥١ هـ فمات خارج سورها ، ودفن هناك ، وما زال قبره مهملا حتى جاء الفتح العثماني فبنى محمد الفاتح

(البقية على صفحة ٦٣٨)

رسالة الدين وأثرها في الروح البشرية

للأستاذ عباس طه

إن فسرنا واجب الإنسان نحو ربه ، كان معنى ذلك واجبه نحو الكمال المطلق والخير المحض والمثل العليا فى كل أمر ، فإن الله جل وعز لم يكلفنا إلا بما فيه صلاحنا وفلاحنا ، وتكاليفه أياكانت عبادات أو معاملات أو آدابا بمعناها العام ، المقصود بها تربيتنا تربيـــة قوية ، وإعدادنا لرجولة صحيحة ، وإيصالنا إلى الحقائق التى ترتبط بها سعادتنا الموجودة من طريق العلم والعمل والفضيلة .

مضى الزمن الذى كان يعتبر الدين فيه سخرة ، أو تقييداً للحرية الصحيحة ، أو حرماناً للنفس من مشتهياتها فى الحدود العلمية ، وهذا زمان تجلى فيه بالدليل القاطع أن الدين حاجة أولية للروح لامعدى لها عنه . وإذا قلنا الدليل القاطع قصدنا به الدليل العلمى المؤسس على علم النفس . ولا يتسع المجال الآن لبيان ذلك على وجه يوفى بالحاجة العقلية من كل نواحى هذا الأمر الجلل ، ولكنى أستطيع أن أقول على عجل : إن الفلسفة المادية التى حاولت فى خلال قرون ثلاثة أن تقطع كل صلة بين الإنسان وما فوق المادة ، قد منيت بفشل حاسم لاقيام لها بعده من طريق العلم الطبيعى نفسه لا من طريق الدين ، فقد توصل العلم إلى إحالة المادة إلى قوة أى إلى إثبات أن لا وجود لها ، وأنها عرض من أعراض القوة . وبزاول هذه العقبة الكأداء من طريق العقل الإنسانى انفتحت أمامه ساحة لا حد لها إلى عالم القوة التى هى مصدر كل موجود فى عالم الشهادة . نعم : إن زوال هذه العقبة لم يخرج العلوم من مجالها الطبيعى ، ولكن كان من آثار زوالها اتساع هذا المجال بحيث لايتصور العقل له نهاية ، وهذا وحده كان ذا أثر بعيد فى تأديب الإنسان وردعه عن البت فيما ليس من شأنه أن يبت فيه ، وفى تشكيكه فى كل ما أسسه من الأصول العلمية ، وإعادة وضعها فى الميزان تحت ضوء النقد الصارم والتمحيص الدقيق . فسقط بذلك العجب الذى كان يوهم العلماء بأنهم أدركوا حدود كل شىء وأصبح لهم الحق فى الحكم بالوجود أو بالعدم على كل ما يعرض لهم البحث فيه ، حكما لايقبل المراجعة ولا يحتمل التشكك

يقول قائل : وما تأثير كل هذا فى تقوية عاطفة الدين ؟

نقول له : فى ذلك أبلغ تأثير ، فإنه بعد أن كانت المادة تعتبر مبدأ ومرجعا لكل مخلوق ، انتقل هذا السلطان للقوة ، وعالم القوى أرفع من عالم المادة بما لا يقدر ، ونواميسه أعلى وأعم بقدر هذا التفاوت بينهما والمحتملات التى تنشأ من هذا الانتقال لا تقف عن حد . وإذا أردت أن تقف على مبلغ التحول الذى طرأ على مذاهب العلماء من حدوث هذا الاكتشاف ، فإليك على عجل :

قال الدكتور (فيلبون) فى مجلة (العلم والحياة) ص ٤٥١ سنة ١٩١٧ :

« لقد حلت كلمة (القوة) محل كلمة (المادة) فما يدرينا هل تحل كلمة (روح) محل كلمة قوة ؟ وهذه المسألة المحيرة لا تزال سرا من أسرار المستقبل » .

وقال العلامة (جوستاف لوبون) فى كتابه تحول المادة :

« دامت العقيدة فى صحة المقررات الكبرى للعلم العصرى حافظة لقوتها إلى أن حدثت فى الأيام الأخيرة مكتشفات غير منتظرة قضت على العلم العصرى أن يكابد من الشكوك ما كان يعتقد أنه قد تخلص منه نهائيا ، فإن الصرح العلمى الذى كان لا يرى صدوعه إلا عدد قليل من العقول العالية قد تزعزع فجأة بشدة عظيمة . وصارت المتناقضات والمحاولات الكافية فيه ظاهرة للعيان بعد أن كانت من الخفاء بحيث لا تبلغها الظنون ، فأدرك الناس على عجل أنهم كانوا مخدوعين ، وأسرعوا يتساءلون : هل الأصول المكونة للمقررات اليقينية لمعارفنا الطبيعية لم تكن إلا فروضا واهية تحجب تحت غشائها جهلا لا يسبر له غور » ؟

ثم نقل الأستاذ (جوستاف لوبون) قول العلامة الرياضى (لوسيان بوانكاريه) وهو :

« لا توجد لدينا نظريات كبرى الآن يمكن قبولها قبولا تاما ، ويجمع المجربون عليها إجماعا عاما ، بل يسود اليوم عالم العلوم الطبيعية نوع من الفوضى » .

وعقب عليه الأستاذ (جوستاف لوبون) بقوله : « من حسن الحظ أنه لا شىء أكثر ملاءمة للترقى العلمى من هذه الفوضى ، فالوجود مفعم بمجهولات لا نراها ، والحجاب الذى يحجبها عنا منسوج غالبا من الآراء الضالة ، أو الناقصة التى توجبها علينا تقاليد العلم الرسمى ، فلا يمكن الإقدام على خطوة الأمام إلا بعد أن تتفكك عرى الآراء السابقة » .

نقول : يظهر مما قدمناه أن تأثير سقوط صرح المادة كان بليغا إلى أقصى ما يمكن تخيله

وثمرة هذا الهدم فى مصلحة الروح من كل وجه.

هذا ما يبدو صريحا من أقوال أقطاب العلم ، فقد جاء فى دائرة معارف القرن العشرين الفرنسية تحت كلمة (مادة) بعد أن عرضت جميع المذاهب ما يأتى :

« على هذا لجميع الفروض التى فرضت للآن تعجز عن حل تناقضاتها الذاتية ولا تنطبق على الحوادث فماذا نستنتج من هذه الحال غير أن مدركاتنا العلمية عن المادة ، وهى تتفاوت فى صلاحيتها كوسائل للترتيب والتحليل ، لا نستطيع أن نزعم أنها الحقيقة المطلقة . وهذه الفروض باعتبار أنها لا وظيفة لها إلا تسهيل وتعميم صفات وعلاقات الظواهر المحسوسة ، لا يمكن أن تكون حتما إلا رمزية وخداعة كهذه الظواهر نفسها » .

ثم ختمت الدائرة الفرنسية هذا الفصل بقولها :

« وعلى هذا فلو صرفنا النظر عن المذهب اللا إرادى الذى هو عبارة عن رفض أى محاولة لتفسير الحوادث ، فإن المذهب الذى يذهب إليه علماء العلل الأولية هو : أن المادة باعتبار أصلها تنحل - كما فكر فى ذلك (لبنتز) - إلى وجود روحانى ، طبيعته كطبيعة الوجود الذى يتجلى لوجداننا ، والمسألة التى تبقى بعد ذلك غير محققة هى أن نعرف : هل الوجود مؤلف من ذرات روحية تتميز بعضها عن بعض ، أو أنه كائن واحد عام لا يقبل الانقسام ومستمر على الدوام ، وأنه العلة والمعلول العام » ؟

نقول : إن أثر تدهور الصرح المادى كان بعيداً ، وقد حلت الروح محلها فى التعليلات العلمية الطبيعية كما ترى ، فهل بعد هذا إهابة بالعاطفة الدينية إلى اليقظة والعمل فيما خلقت له ؟.

الإنسان يتألف من جسد وروح ، ولكل منهما مطالب . فكما يألم الجسد إن قطع عنه المدد المادى . كذلك تألم الروح إن قطع عنها المدد الروحانى . وحرمان الجسد من مقوماته يفضى إلى تعطل وظائفه وإلى تحلله ، وحرمان الروح من مقوماتها يؤدى إلى الحيلولة بين إشراقاتها وبين صاحبها وفى تلك الحيلولة كل ما يتخيل من اضطراب النفس ، وفساد القلب ، وغلظ الشعور ، والسقوط إلى الحيوانية البحته ، بل إلى ما هو أسفل منها . فتجد المبتلى بهذا الحرمان من المدد الروحانى يستسيغ ارتكاب القبائح ، ومقارفة الدنايا والانغماس فى الخسائس ، والخوض فى المقاذر ظنا منه أن فى هذه الإباحة الجنونية سكنا لنفسه الجامحة ، ومتنفسا لقلبه المحترق ، ولكنه لا يزداد إلا هلعا على هلع ، ولا يزال يعالج هذه النيران المستعرة فى باطنه حتى ينتهى أجله ، ويذهب إلى حيث يذهب التائهون .

ماذا تتطلب أعصى العقول على الدين بعد أن ألقى الإلحاد سلاحه كما يرى على رءوس الأشهاد ؟ وماذا تنتظر أن نرى من أعلام الحق بعد أن صرح العلم بأن المادة تنتهى إلى روح ، وأن الروح هى أصل الخلق ومنتهاه ؟ .

فهل تنقذ أنفسنا من سيادة المادة علينا ، لا باحتقارها ولا بالهرب منها ، ولكن بإخضاعها لسلطان الروح حتى لا تطغى علينا فتقودنا من شهواتنا إلى حيث تفقدنا كرامة الإنسانية ، وشرف العمل على إقامة دولة المدنية الفاضلة فى الأرض . عمل الإنسان لإقامة دولة الروح هو فى الحقيقة خدمة لنفسه وللإنسانية وللعلم وللمدنية ، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ، فإن الله غنى عن العالمين . فإن كلفنا الله بطاعته فإنما يكلفنا بما يحيينا ويرقينا ويشرفنا ، ويتناسب وغرائزنا الفطرية « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

عباس طه

(بقية المنشور على صفحة ٦٣٤)

(بقية المنشور على صفحة ٦٣٤)

على قبره مقاما ، وشيد بجانبه جامعا ، وجعل أن لا يتولى سلطان عثمانى إلا تقلد سيف عثمان رسميا فى جامع أبى أيوب ، ويقع الجامع وسط منطقة محفوفة بالأشجار والمنازل ، وقبة الجامع قائمة على ستة أعمدة وكتب على الباب الخارجى للجامع بحروف كبيرة « دعوا الناقة فإنها مأمورة » فبركت على باب أبى أيوب ، ويحلل الضريح بالمخمل الأسود المطرز بالذهب ، وعليه آيات وأدعية ، وحول الضريح وراء الشبكة الفضية وعند قاعدته مساند من الخشب عليها مصاحف خطية ، كل منها ملفوف بجوخ أخضر .

وإذا كان جامع السليمانية يمتاز بالمتانة فإن هنالك جامعا آخر يمتاز بالزخرفة واللطافة يسمى جامع « السلطان أحمد » الذى بناه عام ١٠٢٦ بالقرب من « أتميدان » وهى البلد التى قتل فيها الانكشارية ، ويمتاز عن سائر المساجد بكثرة مآذنه فإنها ستة ، وسائر المساجد لا تزيد منائرها على أربع ، ومساحة المسجد نحو مساحة جامع السليمانية .

ويوجد هناك (مسجد نورى عثمانية) وغير ذلك من المساجد التى تمتاز بالفخامة والضخامة . وفى حاجة إلى علماء دارسين ، ووعاظ قادرين وقراء مقتدرين ، وليس معنى هذا أن الأتراك لا يدركون حقيقة أمور دينهم بل هناك مئات قادرة من العلماء قد تمكنت من أمور الدين تمكنا عظيما يدعو إلى العجب والإعجاب حقا ؟

دكتور جمال الدين الرمادى

ما يقال عن الإسلام

ديانات العالم السبع العظمى

للأستاذ عباس محمود العقاد

أحرى بهذا الكتاب أن يسمى معرضا دينيا على الورق ؛ لأنه يجمع أكثر من خمسين ومائتي صورة فنية لمناسك الأديان فى أنحاء العالم ، حيث يقيم أتباع الديانات السبع المشهورة : وهى البرهمية والبوذية ديانتا أهل الهند ، والطاوية والكنفوشية ديانتا أهل الصين ، والإسلام والمسيحية واليهودية .

ألف الكتاب لمجلة الحياة (Life) المصورة طائفة من المتخصصين للمباحث الدينية تناول كل منهم البحث فى ديانة يدرسها ويطلع على مراجعها ، واستغرقت بحوثهم أكثر من سنتين زيدت عليها تنقيحات وتصحيحات استغرقت بضعة أشهر ، ثم ظهر الكتاب أخيراً على صورة طيبة فى شكله وموضوعه وجاءت فصوله التى كتبت عن الإسلام على أطيب ما ينتظر من الباحث غير المسلم حين يتصدى لكتابة عن هذا الدين وأهله فى معترك الخصومات السياسية والمذهبية التى تثير العداء له فى كثير من علاقاته بالدول والشعوب .

وأطيب ما فى تلك الفصول من هذه الوصية أن كاتبها يورد الاعتراضات الشائعة عن الدين الإسلامى ويرد عليها أحيانا بما ينقضها ويجلو حقيقتها ، ويوفق إلى الرأى الصواب فى معظم أقواله .

بدأ بقوله عن النبى صلى الله عليه وسلم : إنه لا يسمى نفسه المخلص ولا يقول : إنه المسيح المنتظر ، ولكنه بشر يبلغ الناس رسالته الإلهية ، وليس فى نشأة هذا الدين غموض ولا مجال للخبط بالظنون ؛ لأنه انبثق فى صحوة التاريخ الساطعة وانتشر بين أمم الأرض بقوة الإعصار ، وسر انتشاره ودوامه أنه عقيدة سهلة واضحة متمكنة فيما تثبته للناس من أصول الإيمان ، وهو أكثر من دين شعائر وعبادات ،

لأنه إلى جانب ذلك، أدب حياة وشريعة سلوك تنظم معيشة الإنسان على مثال لا نظير له فى الحضارة الغربية.

ومن أسباب قوة هذا الدين أنه عند اتباعه الكلمة الأخيرة من وحى الله، وهو يتقبل الديانات الكتابية التى سبقته ولكنه يعلم أتباعه أنها اجتمعت صحيحة خالصة من الحواشى والأوشاب فى آيات القرآن، ولم ينشئ القرآن كهانة ولا مراسم هيكلية تلجئ المسلم إلى وساطة زمرة من الأحبار والرؤساء، لأن فرائضه المعروفة الواضحة مما يؤديه كل مسلم بينه وبين الله بغير حاجة إلى الوسطاء.

يقول كاتب فصول الإسلام فى الكتاب: « إن بعض عادات العرف فى البلاد الإسلامية تحسب من دلائل الرجعية عند الغربيين، ولكن النبي نفسه رفع شأن المرأة ولم تكن قيودها الثقيلة مما يفرضه القرآن، وإنما جاءت من توليدات بعض المتأولين فى عصور النكسة والجمود، وقد أنكر الإسلام وأد البنات ووضع الحدود لتعدد الزوجات بعد أن كان مستباحا فى أيام الجاهلية بغير حدود.

وتكلم المؤلف عن نحل الصوفية فأشار إلى بعض نحلها التى يعترض عليها أهل السنة ثم قال: « إن الصوفية انتعشت واستقامت بهداية الأفكار التى بثها الإمام الغزالى - وهو عبقرى دينى ولد بإحدى قرى فارس سنة ١٠٥٨ ميلادية - ويحسبه المسلمون اليوم فى عداد الأولياء القديسين؛ ويبلغ عدد المتصوفة بين المسلمين نحو ثلاثة فى المائة ينتمون إلى طرق متعددة مختلفة الدرجات ».

ثم وصف الكاتب أذكار بعض الدراويش المنتسبين إلى الصوفية بصفات منكرة، يشاركه فى إنكارها جلة المسلمين، ولكنه عاد بأكثر التقاليد الصوفية إلى العادات المستعارة من غير المسلمين.

واستطرد إلى التبشير بالدين الإسلامى بين غير المسلمين فقال: « إن الإسلام، إلى زمن متأخر، لم يكن له جماعات منظمة للتبشير، لأن هذا الدين الذى جعل المسلم فى غنى عن الوساطة بينه وبين ربه قد جعله كذلك داعيا إلى دينه حيث كان وإن لم تكن له جماعة ينتمى إليها ويتقيد بنظامها لنشر الدعوة، إلا أن الدلائل تشير إلى عناية حديثة من جانب المسلمين بأنظمة التبشير المسيحية، وقد أصبح الجامع الأزهر - ذلك المعقل الثقافى الذى صمد للتيارات الغربية وحال بين مؤثراتها وبين العالم الإسلامى - ينشط الآن لتدريب فئة قليلة من أبنائه كل سنة للعمل فى هذا الميدان، ولاحت علامات النشاط لهذا العمل من جانب بعض النحل المتشعبة

فى الإسلام ومنها نحلة الأحمدية التى تبعث الرسل إلى أوربة والشرق الأقصى وأقطار إفريقية الشرقية ».

قال الكاتب : « إن فى القارة الإفريقية اليوم نحو ستين مليون مسلم من نيف ومائتى مليون عدة أبناء القارة وإذا تزاحم المبشرون من المسلمين والمسيحيين كسب التبشير الإسلامى عشرة كلما كسب التبشير المسيحى واحداً من الوثنيين ، ويشيع بين سكان إفريقية الغربية - ولا سيما نيجيريا - أن الإسلام دين الرجل الأسود ، وأن المسيحية دين الرجل الأبيض ، وأجدر من ذلك بالالتفات أن المسلمين فى الهند وباكستان حيث تزيد عدتهم على عدة إخوانهم فى كل مكان آخر قد تحول أكثرهم عن العقيدة التى تقضى بنبذ بعض الطوائف إلى العقيدة التى تبسط سنة المساواة بين جميع المؤمنين ، وهناك علامات شتى على أن الإسلام يتحرك من سباته الطويل ، ففى كل أمة إسلامية دعوة إلى إحياء الإسلام سياسيا وروحيا وثقافيا بمختلف الأساليب ، وقد أعيد بناء مئات من المساجد فى البلاد التركية بعد مصادرة أتاتورك للتعاليم الدينية وزادت نسبة الطلبة الدينيين فى إيران بمقدار أربعين فى المائة بين سنة ١٩٥١ وسنة ١٩٥٥ ، وتتراءى فى إفريقية الشمالية علامات من هذا القبيل ، ولا يخلو بلد بين بلاد المسلمين اليوم من شعور القلق من جراء الاحتكاك الدائم بالحضارة الغربية . . . وقديما كان المسلمون يقابلون الحضارات المخالفة بقلة الاكتراث حينا وبالنفور حينا وبالانطواء فى جملة الأحيان . . . أما فى الآونة الحاضرة — فالإسلام يجتهد فى التوفيق بينه وبين مستحدثات الحضارة - ولا يجمد على القديم المفقود غير العدد النزر من المتعصبين المتشبثين بالتقاليد المهجورة ، وبين الفريقين طائفة ثالثة ترى أن إحياء الإسلام من داخله عمل مستطاع للوقوف حيال الغرب موقف الأنداد الأكفاء ، متعاونين على شرعة التعاون والاستقلال » .

ويعرض المؤلف بعد ذلك للدور المنتظر من الإسلام بين الديمقراطية والشيوعية ، لأنه وسط فى الموقع ووسط فى العقيدة ووسط فى المصلحة بين المعسكرين ، ثم يؤكد قيام الفوارق بين مبادئ الثقافة الإسلامية ومبادئ الديمقراطية ، ولكنه يخلط فى تقديره فيخيل إليه أن المسلم غير بعيد من الشيوعية إذا عز عليه أن يجد فى الديمقراطية رضاه .

ويختم كلمته عن الدعوة الإسلامية بقوله : « لا ريب أن الوجهة التى سيتجه إليها الإسلام سيكون لها أثرها العميق فى مصير العالم الإنسانى ، وتتوقف هذه الوجهة على مقدار

نجاح المسلمين فى التوفيق بين عقيدتهم ومقتضيات الزمن والتاريخ ، ومن ثم يدرك المسلمون أن قضيتهم العظمى هى قضية العقيدة الروحية ويذكرون كلمة النبي حين قال لأصحابه بعد مرجعهم من إحدى الوقائع : إنهم عادوا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، وهو جهاد الضمير » .

ويلى هذا الفصل عن الدعوة صفحات من ترجمة القرآن الكريم ، يخصصها الناقل للسور والآيات التى تعرف القراء الأوربيين بآداب الكتاب ووصاياه المميزة له بين وصايا الأديان الكتابية ، ويغلب عليه فى جملة ما ينقله أن ينحو بالمقارنة بينها جميعاً منحى الإنصاف ولا يتعمد فيها أن يستر الشواهد للإيحاء بالمغامز والشبهات .

إلا اننا نترقب كثيراً ونغلو فى الثقة بفهم القوم لحقائق هذا الدين إذا ترقبنا من منصفيهم ان يصبحوا مسلمين متحرجين فى تنزيه العقائد الإسلامية عن المظان التى قد تخفى على أناس من المقلدين بين أتباع هذا الدين ، فلا يزال هذا المؤلف وغيره ممن يحسنون القول فى الإسلام إجمالا يتوهمون أن النعيم الموعود لا يعدو أن يكون ألوانا من لذات الحس ومتعة من متع الطعام والشراب ، ثم يتوهمون أن الإسلام قد انفرد بتصوير النعيم على هذه الصورة بين الأديان الكتابية ، ويتناسون أوصاف الكتب الأخرى من القرون الأولى إلى ما بعد القرون الوسطى لكل متاع موعود فى عالم الجزاء والثواب ، وقد يأبون أن يفهموا أن الإجماع منعقد بين العارفين بالكتاب على اختلاف الصفات والموصوفات بين الدنيا والآخرة ، ولكنهم سواء وقفوا بالفهم دون معنى التنزيه الواجب ؛ لأنهم يجهلون أو لأنهم يستريحون إلى المعنى القريب المبذول ـ قد بلغوا طاقتهم من إحسان النية وإحسان المقال .

عباس محمود العقاد

فضيلة الصمت

سأل رجل عمر بن عبدالعزيز قائلا : متى أتكلم ؟ فقال له الخليفة : متى اشتهيت أن تصمت . قال الرجل : فمتى أصمت ؟ قال عمر : إذا اشتهيت أن تتكلم .

هذا كلام حكيم . فإن الرجل متى أحب أن يتكلم واندفع فى القول جمع إلى بعض الصواب كثيراً من الخطأ ، ولكنه إذا اشتهى أن يصمت ثم تكلم اقتصر على قول مايجب قوله ، فلم يقع فى الخطأ .

تحية الضيف العظيم
رئيس جمهورية الباكستان

للأستاذ على الجندى

رق مدحى كأنه تشبيبُ ... ومديحُ الأحباب عندى نسيب
وكأينْ من الرجال لهم سحرٌ ... كبا دونه الغزالُ الربيب
وجمالُ الوجوه . أجملُ منه ... خلقٌ طاهرٌ نأتْه العيوب
ولأيوب ـ صان ربى أيو ... ب ـ خلالٌ تصبو إليها القلوب
شغفتنى حبا على السمع والسمعُ ... طريق إلى الهوى ملحُوب
تعشق الأذنُ مثلما تعشق العينُ ... كذا قرر الحكيمُ اللبيب
ثم إنى ملأتُ عينى منــه ... فاستوى فيه مشهدٌ ومغيب
وعرفناه مخـبراً فعرفنا ... مَلَكا عنصراه : حسن وطيب
قلتُ للشعر : قد وجدتَ مكانا ... فيــه يحلو الإنشادُ والتطريب
فترنم ما شئتَ لا لومَ فيما ... تتغنى به ولا تثريب
إنما الشعرُ ـ حينَ يصدُق ـ وحىٌ ... من سماءٍ علوية مجلوب
فأجاب القريضُ فوق مديحى ... عبقرىٌ فذُّ الصفات أريب
رمت تقليدَه عقودَ ثنائى ... فثنانى جلاله المرهـوب
المعلى خلائقا والمُعنى ... بالمعـالى ، والقائدُ الموهوب
عزٌ بأساً ورقَّ نفساً وطبعاً ... فهو سيفٌ عضبٌ وزهر رطيب
وهو بالمجد والسيادة كاس ... وهو من وصمة العيوب سليب
أحكمته إلى المدى تجرباتٌ ... عاتياتٌ وضرسته الحروب
ومن الدهر منبرٌ منـه تلقى ... بالغـاتُ العظات والتهذيب
جامع الحسنيين : عزم المواضى ... وندى الغيث . والكمالُ ضروب
فوق عرنينه سماتٌ من النبل ... بها يعرف الأغـر النجيب
وأخو الصبر فى عراك العوادى ... وإلى الصبر ينتمى أيوب
والمسمى من اسمه مستفيدٌ ... وله منه مهمةٌ ونصيب

ساس شعبيه بالكياسة والحز م فلم يبق فيهما مستريب
وتولى بالود جيرانه الأدنين فاخضوضر الصفاء الجديب
دولة شادها « نجاح » لها العزُّ رواقٌ والمكرمات طنوب
ورآها « إقبالُ » في عالم الحلم بعين لها تشف الغيوب
فتغنى بها وغنى لها الحنا شجياً كأنه عندليب
فرسا أصلُها وطال لها فر ع على النجم ذيلُه مسحوب
وأتاها فعــزها ورعاها وحماها « أيوبُها » المحبوب
بعد ما عاث فوقها الدهر وردتى فسادا والسهروردى ذيب (١)
كان إلباً مع الخطوب علينا حين حطت على حمانا الخطوب
لم يرعه دينٌ ولا عطفته « نور سعيدُ » وثغرُها مخضوب
فرماه من حالق الحكم شعبٌ عربى الهوى محبٌّ حبيب
من سيوف الإسلام للسمح البيضـــاء من أرضه جنابٌ خصيب
ملكَ الدينُ لبّه وهواه فهو إن يدعه سميع مجيب
ساءه أن يرى الأخوة فى الدين وفى الشرق حبلُها مقضوب
ألفت بيننا أواصرُ شتى ليس يرقى إلى سناها الغروب
إخوةٌ ما ودادُنا حين نبديه مريبٌ ولا الولاءُ مشوب
إخوةٌ كلنا إلى الشرق يعزى وإلى دين أحمد منسوب
إخوة فى السلاح . فينا كلومٌ من قراع العدا وفينا ندوب
كم ليال مرت علينا طوال فجرُها عن عيوننا محجوب
تنزى فى قبضة الظلم . والظلمُ علينا رواقُه مضروب
خيرُنا للغريب يغرفُ منه بيديه وحقنا مغصوب
إن بكى النيلُ شجوه فزع السندُ إليه ودمعُه مسكوب
لم نزل نرتمى على النار حتى باخ منها لهيبُها المشبوب
رحل المعتدون عنا وعنكم وطوى رحلةَ الزمانُ العصيب
غالبُونا على حمانا ـ فلم نغلبْ ـ ومن غالبَ الهدى مغلوب

---

(١) كان السهروردى رئيسا لوزراء الباكستان وقت العدوان الثلاثى فخذلنا وقد انتقم الله منه فزج به فى السجن بعد ثورة أيوب خان واتهم بالرشوة .

ومضى أشعبُ المطامع مقهو رًا وولى بخزيه عرقوب
وحنا الليثُ رأسه فى خشوع وأتانا بما جناه يتـــوب
لا ينالُ الحقوقَ مَن نامَ عنها والأبىُّ الكريم ساعٍ دءُوب
والأمانى عرائسٌ مهرُها غا لٍ ومن مهرِها الدمُ المصبوب
كتب اللهُ أن يَعزّ ويرقى كلُّ شعبٍ فى النائبات صليب

* * *

يا أخا الموطنِ الطهورِ لك الإجلا لُ منا والأهلُ والترحيب
لست ضيفاً على العُروبة لكن أنت فيها أخٌ لنا ونسيب
و « جمال » يُصفيك وُدًّا شقيق ـ ينقضى الدهرُ ـ وهو غضٌّ قشيب
فارسُ السلم والنزال المُلقى راية النصر والمنايا تصوب
رُزق البسطين جسما وعقلا فهو فى جنسه عجيبٌ غريب
همةٌ فى عزيمة فى قضاء فى صفاء كما يروق القليب
وهو غيثٌ لقومه وغياثٌ وهو سيفٌ على العدا ولهيب
ذو فنونٍ فى حكمه وابتكار وله فى دهائه أسلوب
رائدٌ شامتِ العروبةُ منه سيفَ عزمٍ غِرارُه مذروب
وتلافى به الإلهُ حمانا بعد أنْ حوّمت عليه « شعوب »
قد عزنا به وكنا نهابا كلُّ طاغ له علينا وثوب
حاش لله أن تضيع بلادٌ هو فيها لكلِّ داءٍ طبيب

* * *

فأبقيا للعُلا . ودُوما على الودّ فبالوُدّ شمسُنا لا تغيب
وانصرا السلم علَّ من يطلبُ الحر بَ إلى الرشد والصواب يثوب
واحذرا الخصمَ أن يدبّ إلينا فهو أفعى . وللأفاعى دبيب
ذو اقتدار على الأذى وله كيدٌ وفخٌ من حولنا منصوب
بارك الله فى جمالٍ وأيو بَ وحيتهما الصَّبا والجنوب

على الجندى
عميد كلية دار العلوم السابق

الكتب
نقد وتعريف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

١ — اللمع :

لأبى نصر السراج الطوسى المتوفى عام ٣٧٨ﻫ

هذا الكتاب من التراث الصوفى ، قام بتحقيقه الأستاذان : الدكتور عبد الحليم محمود أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين ، والأستاذ طه عبد الباقى سرور .

ذكر المحققان فى تقديمهما للكتاب ومؤلفه : « أن مدرسة الجنيد الصوفية فى بغداد ، كانت تقابلها هناك فى نيسابور مدرسة أبى نصر السراج الطوسى ، وكلا المدرستين اعتصمت بالكتاب والسنة ، واتخذت من سيد المرسلين إماما وقدوة ، وجعلت من أشواق الحب الإلهى ومن إلهامات الروح القرآنى ومن مثاليات الخلق المحمدى منهجا فى المعرفة ، وطريقا فى السلوك ... » .

كما ذكرا أن كتاب اللمع قد رسم المبادىء الصوفية النقية ، وقد استهدف فى كل حرف فيه ، غاية قصد إليها ، وحرص عليها ، وقد كان مؤلفه فيه العالم النفسانى والحكيم الربانى ، وهو مبصر ببصيرة علوية يتسلل بها إلى خفايا الصدور ، وخفقات القلوب ، كما يتسلل إلى دقائق المعرفة ورقائق الذوق .

أما الكتاب فهو عرض للتصوف والمتصوفين ، والأحوال والمقامات ، وأهل الصفوة ، وآداب المتصوفة ، والسماع والوجد والكرامات ، ثم دفاع عن الشطحات الصوفية .

والكتاب كمعظم الكتب الصوفية ، لا تخلو من اهتزازات فى التفكير ، وتكلف فى التأويل ، وشطط فى المعانى ، فللصوفية مستنبطات فى علوم مشكلة على فهوم الفقهاء والعلماء . . والعلم المستنبط هو علم الباطن ، وهو وقف على الصوفية ، كما أنه أهم من علم الظاهر وهو الشريعة . كما يزعم المؤلف .

وليس المجال مجال تعداد لما تضمنه الكتاب من شطحات لا يقرها الشرع ، ولكن الذى أثار عجبى أن الأستاذين المحققين

يذكران فى مقدمتهما من مناقب المؤلف ، أنه وفد فى رمضان إلى بغداد ، فأفردت له غرفة خاصة فى جامع « الشونيزية » وكان الخادم يحضر له رغيفا كل ليلة ، فيضعه فى غرفته، وفى يوم العيد وكان السراج قد رحل، وجد الخادم الثلاثين رغيفا دون أن تمس . . . !

ولنا وقفة سريعة مع الأستاذين المحققين ، فالذى يعد من حسناتهما ، أنهما قد قدما طبعة جديدة كاملة للكتاب ، حيث كان فى طبعة المستشرق الانجليزى نيكلسون الأوربية قسم مفقود ، وبهذا نشر الكتاب كاملا لأول مرة .

ولكن كنا نود أن يكون لجهودهما أثر أكبر فى تحقيقهما للكتاب ، فكل ما فى الكتاب تخريج لما تضمنه من أحاديث نبوية ، قد اضطلع بها شيخ الطريقة التيجانية السيد محمد الحافظ التيجانى ، الذى بذل جهدا مشكورا ، غير أنه لم يذكر درجة بعض الأحاديث ، ومنها ما بلغ درجة المنكر ، كحديث على: علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحداً غيرى .

وكنا ننتظر من الأستاذين أن يعنيا بتحقيق موجز لأعلام الكتاب ، ومناقشة منصفة لما تضمنه من شطحات وألا يقيسا قيمة كتاب صوفى بتزكية بعض المتصوفين له ، فهذا الجانب القلق من الفكر الإسلامى يحتاج إلى كثير من الجهد الذى يمتزج بالإنصاف والنزاهة .

****

٢ — صيد الخاطر :

للإمام ابن الجوزى .

ضبط هذا الكتاب وحققه الشيخ محمد الغزالى:

وابن الجوزى ليس فى حاجة إلى تعريف فهو من العلماء القلائل ، الذين أسدوا إلى الفكر الإسلامى زاداً طيبا خالصا من الثقافة العالية .

والكتاب كما يقول الشيخ الغزالى فى تقديم له : طراز فريد فى الأدب الدينى . . وبحث نفسى يتسم بصدق الفكرة وحسن البيان ، ويستعرض من قضايا السلوك الإنسانى والتأمل الوجدانى مالا تبلى جدته ، أو ينتهى أمده .

والحق أن ابن الجوزى المتوفى عام ٥١٠ هـ ممن وهب الله لهم القدرة على مخاطبة الجماهير ، وتقصى أمراض المجتمع لعلاجها . والجرأة فى مواقف تستلزمها لتوازر الحق .

تناول الكتاب ٣٧٣ موضوعا ، دينيا واجتماعيا ونفسيا . وإنسانيا . ولم يغلب على ابن الجوزى فى تناوله لهذه الموضوعات الطابع الإنشائى ، بل ناقش وجادل ، وأيد منطقه بالقرآن وصحيح السنة . والمعتمد من أقوال السلف الصالح . وإن كان الأسلوب الوعظى قد بدأ واضحا .

ولقد تعقب الأفكار الصوفية المنحرفة ، تعقبا عنيفا قاسيا لا هوادة فيه ،وماذا كان يفعل

غير هذا ، وقد سبقه أبو نعيم فى حلية الأولياء والقشيرى فى رسالته ، والشعرانى فى طبقاته ، فأساءوا إلى الإسلام بما قصوه من أحوال الصوفيين ، وانضم إليهم أيضا الطوسى فى لمعه . وهو يذكر لنا أن أحد الصوفيين تزوج وظلت زوجه معه ثلاثين عاماً وهى عذراء لم تفض بكارتها ، وإخوانه يقصون علينا ، أن عطاء السلمى من المتصوفين قضى أربعين عاماً على سريره لم يغادره من شدة خوفه من الله ؟ ؟ .

ولنا كلمة مع الشيخ الغزالى محقق هذا الكتاب ، فهو يذكر فى تقديمه له ، وهو تقديم جيد فيه غيرة على التراث الإسلامى المهمل ، يذكر أنه خلال قراءته للكتاب ، شعر بأن النساخين والطباعين قد شوهوا نبذا منه ، وكادت بعض أفكار المؤلف تخفى أو تطمس مع كثرة هذه الأخطاء ، فرأى أن يخدم المعنى الصحيح جهد الطاقة ، واختار لموضوعاته عناوين قريبة منها .

وهذا جهد يشكر عليه الشيخ الغزالى ، إلا أن تحقيق أى كتاب دينى يستلزم :

أولا : تحقيق الأحاديث النبوية .

ثانياً : تحقيق الأعلام .

ثالثاً : مناقشة الأفكار التى تحتاج إلى مناقشة ، ولم يخل كتاب ابن الجوزى منها ، وهذا ما لم يفعله الشيخ الغزالى :

إن تحقيق التراث الإسلامى إحياء لها ، والجهد الذى يتكبده العالم فى تحقيق أى كتاب يجب أن يكون شاقا مضنيا .

****

٣ — دعوة الإسلام :

لفضيلة الشيخ سيد سابق .

هذا كتاب جديد جاء فى أربعة أبواب هى :

مصادر دعوة الإسلام :

الوحى ـ معجزة الإسلام ـ القرآن ـ السنة .

فسر الوحى وأنواعه تفسيراً طيبا ، وذكر أنه جاء ليحل مشكلات أعضلت الناس قديما وحديثا ، منها ما يتعلق بالعقيدة ، ومنها ما يتعلق بالمجتمع والإنسان والحياة .

ثم ذكر أن الوحى (أى القرآن) هو معجزة الإسلام الكبرى ، فالآيات الحسية كانت صالحة يوم أن كان العقل البشرى فى الطور الذى لم يبلغ فيه الرشد بعد ، أما وقد بدأ الإنسان يدخل فى سن الرشد ، وبدأت الحياة العقلية تأخذ طريقها إلى الظهور ، لم تعد الآيات الحسية هى الأدلة الوحيدة على صدق الرسالة .

وعرض فضيلته القرآن كمنهاج للتربية بشتى ألوانها ، والسنة كمصدر ـ يأتى بعد القرآن ـ للتشريع الإسلامى ، وروابط المجتمع فى صورها المتعددة ، تثبت بناءه ، وتدعمه ، وتصونه من عواصف الشر .

حين تعرض المؤلف للقرآن كمعجزة كبرى للإسلام ، كان فضيلته مناقشا منطقيا على مستوى أعلى ، وكنا نود أن يسير إلى النهاية فى بحوثه ، لولا أنه قدم لنا موضوعات تكاد تكون مرتبطة فحسب ، بالعناصر الرئيسية التى اختارها لكتابه ، ومستقلة استقلالا ذاتيا من الداخل . .

والواقع أن مثل هذه الموضوعات مكررة ، إلا أن فضيلة الشيخ سيد سابق ، أضفى عليها لونا من المناقشة الأدبية التى اتسمت بجانب من المنطق والأسلوب الجذاب ، وإن كان القارئ المثقف أصبح فى حاجة إلى فكرة تناقش ، وتقارن بغيرها من الفكر القديمة والحديثة ، التى لم يخل - ولن يخلو - منها عصر من العصور ، أصبح فى حاجة إلى الدعوة الإسلامية تقدم إليه كدراسة تأخذ طابع التعمق والتركيز . .

* * *

٤ — نظرية الإسلام الاقتصادية :

للاستاذ عبد الحميد أحمد أبو سليمان

جاء هذا الكتاب الموجز فى ثلاثة أبواب :

المبادئ ، حيث اعتبر المؤلف أن أهداف البشرية من الاقتصاد ، هى الرفاهية فى عدالة ومساواة وحرية ، وأن عوامل الإنتاج هى الأرض ورأس المال ، وأن الأصل فى ملكيتها يرجع إلى المجتمع ، وناقش ملكية الفرد وأنها حق فى الإسلام ، وأن الربح والفائدة تتنافى والإسلام لأن الكسب للعمل ، وناقش نظام الوراثة وأنه فى الإسلام يحافظ على مبادئ وأصول العدالة فى المجتمع ، وذكر أن توزيع عوامل الإنتاج إذا ما اختلت ، اختل التوازن العادل والذى هو من مبادئ العدالة الاجتماعية الإسلامية .

وفى الباب الثانى ، عرض للوسائل ، فعرض جانبا من النظريات الاقتصادية ، واعتبر أن وسائل التنفيذ هى : القرض الحسن ، والمشاركة برأس المال على الربح والخسارة ، ثم قيمة الأرض للزراعة ، ولكن هذه الوسائل فى المجتمع الحديث هى : الفائدة والشركة المساهمة والتخطيط العلمى والضرائب والتأميم والبنوك ، وأسسها على ضوء فلسفة الإسلام ، وضمان الدولة لرأس المال ووعى الشعب والحكومة .

وفى الباب الثالث عرض للتوزيع ، فتحدث عن أهداف تقييم الجهود وتبادلها ، والقيمة فى ظل الأنظمة الحديثة ، ثم فى فلسفة الإسلام .

بذل المؤلف جهداً مشكوراً فى كتابه هذا - واستطاع أن يجمع نصوصا إسلامية واضحة وهو المتخرج فى كلية التجارة ، وكان حسنا منه أن يجمع النصوص الإسلامية فى موضوعها ويتولى التعليق عليها وربطها بالموضوع إلا أن المؤلف كان عليه أولا ، أن يدرس النصوص التى ساقها فى كتب الفقه ، وهو يعرض لموضوع دقيق له خطورته وأهميته ، وألا يكتفى بتجميعها وحصرها ، ثم الضغط عليها لتساير منهج تفكيره فى هذا البحث . .

وحسن نية المؤلف وإخلاصه للإسلام واضحة فى الكتاب ، وهو يقدم أول إنتاجه ، ولازال الطريق أمامه فسيحا .

****

٥ - لماذا أسلمت؟

للأستاذ الكبير زكى عريبى المحامى

محاضرة موجزة مركزة ألقاها الأستاذ الكبير فى جمعية الشبان المسلمين بعيد إعلان إسلامه .

والأستاذ الكبير يلخص الدوافع التى من أجلها أعلن إسلامه فى دافعين ينطويان تحت عنوانين رئيسيين هما : وجدان وعقيدة . ويعزى الدافع الأول إلى البيئة الإسلامية التى عاش فيها : « حى بولاق بالقاهرة » ويعزى الدافع الثانى إلى قوة العقيدة الإسلامية نفسها كما وضح له من دراستها دراسة استيعاب وتعمق .

والحق أن الأستاذ الكبير عرض الإسلام عرضا قيما نم عن دراسة عميقة متزنة ، عما لم يدع مجالا ، فى أن إيمانه ، إنما جاء عن عقيدة راجحة ، وفهم دقيق للإسلام كفكرة حية تجاوب معها العقليات الكبيرة من أمثال الأستاذ زكى عريبى المحامى الكبير .

٦ — دراسات فى اللغة العربية :

للمغفور له الشيخ محمد الخضر حسين .

مطبوعات المكتب الإسلامى بدمشق .

هذا الكتاب ... تناول موضوعات شتى :

أولها : القياس فى اللغة وهو دراسة نال بها المؤلف عضوية هيئة كبار العلماء .

وثانيها : حياة اللغة العربية ، كانت محاضرة ألقاها المؤلف عام ١٣٢٧هـ فى كبرى الجمعيات الأدبية بتونس عندما كان مدرساً بجامع الزيتونة .

وثالثها : الاستشهاد بالحديث فى اللغة ، ناقش المؤلف وجهات نظر القائلين بالاحتجاج بما يروى من الأحاديث والقائلين بغير ذلك .

ورابعها : موضوع علم النحو ، ناقش فيه آراء مؤلف كتاب إحياء النحو لأحد أساتذة الجامعة المصرية .

ثم موضوعات أخرى كتب بحوثها فى مجلة الهداية الإسلامية وقد كان منشئها وجمعية الهداية أيضاً .

تناولت : التضمين فى اللغة ، وتيسير وضع مصطلحات الألوان ، وطرق وضع المصطلحات ، والرد على محاولة تبسيط قواعد النحو والصرف ، ثم رسالة فى الإمتاع بما يتوقف تأنيثه على السماع .

لقد قدم المؤلف لهذه الدراسات بمقدمة جليلة عن فضل اللغة العربية ومسايرتها للعلوم المدنية ، تناولت اللغة : أصلها ، نشأتها ، التأثير المتبادل بينها وبين الفكر ثم تأثير الإسلام فيها .

هذه الدراسات دراسات عميقة ، ولا أظن عالما أو طالب علم أو باحثاً أو محققاً لا يحتاج إليها .

أنباء الثقافة

• يطبع فى هذه الأيام للأستاذ محمد جميل بيهم المؤرخ اللبنانى وأحد مؤسسى كلية المقاصد الإسلامية كتاب جديد عنوانه « فلسفة تاريخ محمد » . . . يصدر الكتاب باللغتين العربية والفرنسية .

• تفتتح بعد أشهر قلائل (الجامعة الإسلامية) التى أنشأتها حكومة المملكة العربية السعودية فى (المدينة المنورة) . . وتقرر أن تقبل الجامعة الإسلامية طلاباً من جميع بلدان العالم العربى والإسلامى . . سينتدب للتدريس فيها أساتذة من هذه البلدان . . بحيث تدرس المواد باللغات العربيـــة والأوروبية والأندونيسية وغيرها . وستجرى الحكومة السعودية منحاً مالية على جميع الطلاب .

• تصدر (دار المعارف) بعد أيام كتاباً عن « جمال الدين الأفغانى » فى سلسلة كتب « نوابغ الفكر العربى » ... وضع الكتاب الشيخ « محمود أبو رية » ... وقد أثبت فى كتابه أن الإمام الأفغانى ينحدر من سلالة عربية لجده هو الحسين رضى الله عنه ... مستنداً فى ذلك إلى ما كتبه الإمام « محمد عبده » فى سيرة جمال الدين .

• نشر المستشرق الإيطالى « الدكتور مارتينو ماريو مورينو » فى مجلة « المشرق » التى تصدر فى روما باللغتين الإيطالية والعربية عدة بحوث عن كتاب (أدبنا وأدباؤنا فى المهجر) الذى ألفه الشاعر المهجرى « جورج صيدح » وتحدث فيه عن أثر الأدباء العرب المغتربين فى المهاجر الأميركية فى تطور الفكر العربى خلال نصف القرن الأخير .

• يطبع الدكتور « صالح الأشقر » الأستاذ بكلية آداب دمشق كتابه عن « نكبة فلسطين وأثرها فى الشعر العربى الحديث » وقد درس فيه كل ما قاله شعراء العربية فى نكبة فلسطين .

• فى إحصاء نشرته أحد الصحف الألمانية أن عدد المخطوطات القديمة فى دار الكتب المصرية بلغ ٧٢ ألفا ، بينما لا يزيد عدد المخطوطات الموجودة فى سائر مكتبات العالم عن ٣٨ ألفاً بما فيها مكتبات استانبول وباريس وفيينا ... وهذه المخطوطات جميعها باللغة العربية .

• يزور القاهرة فى الشهر المقبل « الشاعر القروى » الذى عاش فى المهجر أكثر من نصف قرن ، وذلك للإشراف على طبع

ديوانه على نفقة وزارة التربية والتعليم المركزية .

• صدرت مجلة عربية جديدة فى لندن اسمها « الأصوات » . قال محررها وهو المستشرق «دينس ديفين» أن المجلة ستكون ميدانا لأقلام كتاب العرب ومفكرى أوربا المهتمين بالثقافة العالمية القديمة والحديثة . . وأنها ستعنى فى أبحاثها بتطورات الحياة الاجتماعية فى الأقطار العربية والإسلامية ودراسة الكتب القيمة التى تصدر فى أنحاء العالم .

• يؤلف الأستاذ رشيد الخورى الكاتب الفلسطينى المعروف كتابا عن فقيد العربية الأديب الكبير المرحوم « محمد إسعاف النشاشيبى » يدرس فيه حياته ومؤلفاته . . ينتظر أن يصدر الكتاب بعد ستة أشهر .

• كتاب « القومية العربية » الذى ألفه الأمير « مصطفى الشهابى » سيعاد طبعه على نفقة معهد الدراسات العربية العليا . . إذ نفدت طبعته الأولى . . كان الأمير الشهابى قد ألقى فصول الكتاب على طلاب معهد الدراسات العربية فى العام الماضى .

• دعت الجالية الإسلامية فى الأرجنتين بعض كبار المقرئين للسفر فى شهر رمضان الكريم فى مقر الجمعية الإسلامية بيونس إيريس .

• صدر فى المغرب كتابان عن « جامعة القرويين » لمناسبة الاحتفال بمرور ١١ قرنا على إنشائها ، الأول للأستاذ « عبد الهادى التازى » . والثانى للأستاذ « محمد الطبخى » .

• الأستاذ أنور الجندى انتهى من كتابه عن « المعارك الأدبية فى العصر الحديث » الذى تناول فيه ما كان يدور من المعارك بين أدباء العروبة على صفحات « الرسالة » و« الثقافة » .

• سيصدر بعد شهر الجزء الأول من المعجم الوسيط الذى ألفته لجنة من أعضاء مجمع اللغة العربية وضمنته طائفة كبيرة من المصطلحات الحديثة والألفاظ التى أقرها المجمع وهو موضح بالتعريفات العلمية الدقيقة ومحلى بالصور الشارحة للحيوان والنبات والأدوات وسيصدر جزؤه الثانى فى يناير من سنة ١٩٦١ .

• ستجتمع لجنة النثر فى المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية للنظر من جديد فى مشروع الألف كتاب من حيث الاختيار والإخراج والنشر .

بريد المجلة

إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر

من الأستاذ الأكبر:

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته - وبعد:

فإن كلمتكم بالأمس فى حفل الاتحاد القومى بجامعة القاهرة رفعت شأن العروبة وركزتها على أساس من الإسلام الصحيح والعقيدة القوية والإيمان الصادق وحققتم بذلك فى الأمة الإسلامية وشعوبها قوله تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله».

حققتم ذلك دون تفرقة بعنصرية أو طائفية أو جنسية، فسر فى طريقك فالله معك، ونحن من ورائك صفوفا متراصة، لخدمة الإنسانية عن طريق الإسلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؟

محمود شلتوت

من الأستاذ الأكبر

إلى فخامة الرئيس محمد أيوب خان

رئيس جمهورية باكستان

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته - وبعد:

فإن التقاء الشعب الباكستانى الممثل فى شخصكم الكريم مع الشعب العربى الممثل فى رئيس الجمهورية العربية المتحدة لمن أقوى صور البشريات فى إعلاء صوت الحق وجمع الكلمة على خدمة المبادئ الإنسانية السامية التى نزل بها الوحى الأمين، وكان لكل من الشعبين فى تاريخه الطويل أثر فى استخلاص تلك المبادئ من مصادرها الأولى والمحافظة عليها. وإن الأزهر ورجاله الذى وقف نفسه على خدمة تلك المبادئ ليرحب بكم فى تلكم الزيارة وهذا الالتقاء. ويدعو الله للجميع بدوام التوفيق فى خدمة الإنسانية والسلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؟

محمود شلتوت

الأستاذ الأكبر يستقبل الواعظ الخاص للرئيس أيزنهاور:

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبه الدكتور ادوارد ألسن الواعظ الخاص للرئيس أيزنهاور يرافقه الدكتور تنسى المحامى بأمريكا، ومستر كرينج مدير جماعة الاتصال بالشرق الأوسط بالقاهرة.

وبعد أن رحب بهم فضيلته قال : يجب أن يعمل القادرون على إنصاف الضعفاء ورد حقوقهم إليهم ، وأن تعمل الولايات المتحدة على إقامة عدالة عالمية بين الشعوب .

فقال الزائر : إن الشعب الأمريكي يفهم الحقائق الإنسانية ويقدرها لا من المدنية المعاصرة ولكن من إيمانه بالله وبالمثل العليا ، والمبادئ الإنسانية السامية .

فقال الأستاذ الأكبر : إننا نرجو أن يهيء الله السبيل لغرس كلمة التوحيد فى نفوس الناس جميعا ، حتى يستلهموا النور والهداية والتوفيق فى حياتهم ومعاشهم ، كما نرجو أن تعمل حكومتكم على مساعدة الشعوب المتطلعة إلى الحرية لتنال حقها من الحرية والرخاء .

فقال الزائر : إن العقائد الدينية تسير بين الشعب الأمريكي فى حرية تامة سواء كانت هذه العقائد يتمتع بها الأقلية أو الأغلبية .

فقال الأستاذ الأكبر : إننا لنرجو للشعوب الضعيفة أن تعيش فى حياة من الرحمة والتعاون لتتمتع بأنعم الله فى أرضه فلدينا لاجئو فلسطين . ولدينا ثورة الجزائر لنيل حريتها وهما مشكلتان من المشاكل العالمية الخطورة وأملنا قوى فى أن تعمل أمريكا على رد الحقوق إلى أهلها وعلاج هاتين المشكلتين . كما نريد من أمريكا أن تضع يدها فى أيدينا لإنقاذ هذين الشعبين .

فقال الضيف : إنى لأرجو أن تعلم فضيلتكم بأن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين قد عملت أمريكا على علاجها ، ونحن ننشر هذه الرسالة ونرجو أن يستمر نشرها بين العالم ثم أضاف الزائر بأن من أعظم المبانى الموجودة فى أمريكا مسجد واشنطن الكبير الذى افتتحه الرئيس أيزنهاور عام ١٩٥٧ وإنى ألقى كل عام محاضرة فى معهد الدراسات الإسلامية فى المركز الثقافى الإسلامى بواشنطن ، ومصدر الإشعاع الدينى والروحى فى الولايات المتحدة حتى يفهم العالم حقيقتها .

فقال الأستاذ الأكبر : إن الأزهر يرجو أن يضع الرئيس أيزنهاور يده فى يد الرئيس جمال عبد الناصر لدعم السلام العالمى وتأكيد التحية والوئام بين الشعوب جميعها .

فقال الزائر : إن الساعة التى التقى فيها الرئيسان العظيمان كانت فرصة طيبة لتحسين العلاقات الودية بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة ولا عجب فهما يتمتعان بالروح العسكرية والسياسية والدينية ، وإن الشعب الأمريكي يهتم اهتماما بالغا بإقامة علاقات ودية بينه وبين جميع الشعوب . ومما هو جدير بالذكر أنه يفهم الروح الشرقية فهما بالغا ، ويقدرها حق قدرها .

فقال الأستاذ الأكبر : إن هذه من مبادئ

الإسلام السامية ، والتى إن اتخذتها البشرية عنوانا لها سادها السلام والطمأنينة والرفاهية فالإسلام يدعو إلى التراحم والتواد والتعاطف واحترام الحقوق ورد الأمانات إلى اهلها .

هذا ثم شكر الزائر لفضيلته حسن استقباله وإتاحة الفرصة لهذه الزيارة التى تمتع فيها بالحديث مع فضيلة الأستاذ الأكبر عن نواح ثقافية وفلسفية وإنسانية سامية .

فقال الأستاذ الأكبر : إنى ليسرنى ذلك سرورى بهذا اللقاء الكريم ، ثم أضاف أن الأزهر على استعداد لأن يبعث إليكم بجميع مناهجه وخططه الدراسية والثقافية .

ويسعدنى أن تعلموا أن بالأزهر جهازا قويا لنشر الثقافة الإسلامية بين جميع الشعوب فبالأزهر معهد الإعداد والتوجيه والإدارة العامة للثقافة الإسلامية ، ومجلة الأزهر التى تصدر باللغتين العربية والانجليزية .

كما أن مهمة الأزهر هى أن تتمتع جميع الشعوب بحقها فى الحياة من حرية ومساواة ورخاء .

محمد الأزهرى الأمريكى :

اسمه الآن « محمد الأزهرى » . . أمريكى وأشهر عازف فى أمريكا وأوربا . . والذى دعاه بهذا الاسم الجديد هو « فضيلة الشيخ شلتوت ، شيخ الأزهر عندما أشهر إسلامه على يديه منذ أيام . وأنت لا تلتقى الأمريكى المسلم فى غرفته رقم ٤٤٠ بفندق هيلتون فى أوقات فراغه إلا مصليا وقت الفريضة ، أو قارئا القرآن .

و « محمد نور الدين » - ليوروس سابقا - أصله من كاليفورنيا ، وقد ورث عن أبويه هوايتى الموسيقى والغناء ، ثم اضطر أن يقلب الهوايتين الى احتراف ليعيش ولمع نجمه فى الأندية الليليه وفى الإذاعة وفى التليفزيون وفى السينما بأمريكا ، وفى برودواى قلب أضواء العالم على الأخص . . وعاش يطوف العالم حتى وصل إلى القاهرة ليقدم فيها فنه فترة وما كاد يستقر فيها أياما حتى ذهب إلى شيخ الأزهر يطلب إشهار إسلامه وتلقينه أصول الدين وتعليمه اللغة العربية ، وحقق له الشيخ الأكبر طلباته ، وأتم إجراءات إشهار إسلامه وعين له مدرسا من الأزهر .

سألت « محمد نور الدين » : كيف اعتنقت الإسلام ؟

فأجاب عن : عقيدة . . وهذه أمنيتى من زمن طويل . . وكنت أترقب الفرصة أن أجىء إلى القاهرة لأحققها . . فلما سنحت الفرصة اغتنمتها . إننى أرى فى الإسلام عظمة الدين الحى وجلال الوحدانية . وقد يدهشك أن تعلم أننى لا أشرب الخمر ولا أدخن ولا آكل لحم الخنزير .

وحدثنى عن مشروعاته للمستقبل . . إنه ينوى أن يجعل القاهرة محل إقامته وموطنه

الأصلى ، وأن يتزوج مسلمة منها .. حتى يخدم الإسلام فى قلب الوطن الإسلامى العربى الأكبر .

• • •

لفتة كريمة ... من الرئيس الباكستانى :

فى الحفل الذى أقامه الاتحاد القومى فى ١٩٦٠/١١/٧ تكريماً للرئيس الباكستانى أيوب خان ، تحدث الرئيس الباكستانى ، فأفاض فى حديثه ، ومس ببعض عباراته قلوبنا . قال :

« إننا نعتقد أن ديننا هو دين تقدمى ، وأنه دين يشجع استخدام العقل ، وأنه دين يجب أن يساعدنا على أن نساير الزمن فى التقدم ... ولكن هل يمكنكم القول بأن ذلك قد حدث فعلا ، إذا ما فكرنا فى ذلك أو ألقينا نظرة على المجتمع الإسلامى فى سائر أنحاء العالم ، نجد أن هذا المجتمع الإسلامى أكثر المجتمعات تخلفا وفقراً وقد ظل راكداً ...

ألا يدعونا ذلك إلى الاهتمام بالبحث عن هذه الأخطاء ، وما الذى يجب إصلاحه ، وإنى أعتقد أن مهمة كل مسلم مفكر أن يجد السبب ، وأن نجد ما ينبغى أن نفعله لإصلاح هذا الوضع .. »

هذه بعض عبارات الرئيس الباكستانى ، وضع فيها النقط على الحروف ..

ونحن نتساءل والأسى يملأ جوانحنا :

على من تقع اللائمة فى أن يظل المجتمع الإسلامى رمزاً على التخلف والفقر ، رغم أن الإسلام دين تقدمى ؟

ولا أظن أن هناك خلافا فى القول بأن العقلية الدينية الآسنة هى أقوى وأصلب العقبات فى سبيل النهوض للمجتمع الإسلامى ..

هذه العقلية التى لازالت تتمثل فى فئات عديدة فى سائر البلاد الإسلامية ، ولا تحمل فى عقولها فقها أو علما ، وإنما تحمل فى أيديها هراوات غليظة تهدد بها العقليات المتحررة ، هذه العقلية يحتاج الإسلام أولا إلى التخلص منها لكى يثبت أنه دين تقدمى ... ولكن أين هى القوة التى تعمل على إزالتها من الطريق ..

لسنا بسبب ضرب الأمثلة ، ولكن حسبنا أن نعلم أن فى بعض البلاد الإسلامية لازال يعتبر تعليم البنت جريمة ، وأن فى إنشاء مدارس البنات خروجا على الدين ..

وحسبنا أن نعلم أن فى قلب القاهرة عقليات لازالت تعتبر صوت المرأة عورة ، وعملها فى ميدانها فوضى لايقرها الدين ، وأن فى كشفها عن وجهها عدوانا على الشريعة الإسلامية .

وأن فى قلب القاهرة عقليات ترى أن الصلاة فى الزى الإفرنجى لا تصح ، وأن غطاء الرأس يجب أن يكون للمسلم عمامة ذات ذؤابة مرخاة ، وأن المذياع مزمار للشيطان ، وأن شتى الفنون الجميلة عبث وترف .. !

نحن لا ننكر أن فى البلاد الإسلامية عقليات متحررة تستطيع فى أيام معدودة أن تأتى على العقليات المتزمتة ، ولكن هذه العقليات المتحررة فى بعض البلاد الإسلامية حرة فى تفكيرها وحسب ، ولا تملك من الحرية شروى نقير إذا أرادت أن تعبر عن هذا التفكير ...

هذه لفتة كريمة من الرئيس الباكستانى الذى يحمل للإسلام بين جنبيه إجلالا وتقديراً لعلها تثير خواطر المشفقين على الدين من العقليات المتحررة التى لا ترجو للإسلام سوى المكانة التى تليق به كدين تقدمى .. !

محمد عبد الله السمان

* * *

حول معنى (فصالا)

فى قوله تعالى :

« فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور (٢٢٣) سورة البقرة » .

استمعت إلى إذاعة التفسير قبل التلاوة ، وفيها هذه الآيات . وقد فسر المذيع فصالا . بفطاما . ولم يستسغ ذوقى هذا التفسير ، وسبق إلى ذهنى خطأ المذيع فى النقل ، فأسرعت إلى ما لدى من تفاسير ، فوجدت ما قاله المفسرون فى : الجلالين ، والنسفى ، والخطيب الشربينى ، والتفسير الوسط متفقا مع ما قاله المذيع فرجعت إلى متون اللغة فوجدت مختار الصحاح مادة (فصل) يقول : وفصل الرضيع عن أمه ، يفصله بالكسر فصلا ... أى أبعده عنها . وهذا المعنى هو الذى يتفق وسياق الآيات ... وبالتالى نظرت فى البيضاوى ، فوجدته قد تنبه إلى فهم هذا المعنى غير أنه خصه بأن يكون قبل الحولين ، فكأنه توسط بين أقوال المفسرين وبين ما فهمه .

ووجدت جميعهم متفقين على أن الأم مأمورة ندبا بالرضاع ، والأب مأمور فرضا بالإنفاق ، إلا لضرورة تلزم الأم حفظا لحياة الطفل .

فكان عجيبا منهم بعد إجماعهم هذا تفسير الفصال بالفطام . والفطام لا يكون إلا بعد مدة الرضاع الضرورية . فلا معنى إذا للتراضى عليه والتشاور فيه ! . لأنها إن كانت مؤجرة فالأمر لدافع الأجر ، وإن كانت متبرعة فالأمر لها بعد مضى مدة الرضاع ، فعلى أى يكون التراضى والتشاور ؟

يتبين من هذا : أن السياق ، والمعنى العام

للآيات التى منها هذه الآية يحتمان تفسير الفصال بفصل الولد وإبعاده عن أمه زمن الرضاع ، لا زمن الفطام ... ولهذا كان اشتراط التراضي والتشاور حرصا على مصلحة الولد أولا ، ومصلحة الوالدين ثانياً .

اقرأ قوله تعالى : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف (أى إن كن مطلقات) لا تكلف نفس إلا وسعها، لا تضار والدة بولدها - بأن تلزم بإرضاعه دون مقابل وهى غير زوج لوالده - ولا مولود له بولده - بأن يكلف بما فوق قدرته - وعلى الوارث مثل ذلك - مثل ما يجب على الوالد - فإن أرادا فصالا - أى فصل الولد عن أمه زمن الرضاع - شرع أن يكون ذلك - عن تراض منهما وتشاور - فى هذا الفصل حرصا على المصلحة العامة - فلا جناح عليهما » أى فلا إثم عليهما ، إذ الإثم عند عدم التراضى لما يترتب عليه من ضرر .

ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى بعد ذلك : « وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم - أى مراضع غير الأمهات من وقت الولادة - فلا جناح عليكم - أى لا إثم إذ هذا حقكم » .

فتفسير فصالا بفطاما خطأ واضح ، وتفسير البيضاوى بأنه قبل العامين غير سديد ، والصواب ما ذكرناه ، والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده . وما أردت غير السعى وراء الحقيقة والوصول إلى الصواب .

محمد رضوان أحمد
عضو نقابة الصحفيين بالقاهرة

* * *

الصواب لفظ لوبيا :

ما زال الكثير من الكتاب يستعملون كلمة « ليبيا » بدلا من « لوبيا » عندما يتعرضون لذكر هذا القطر العربى وهم فى هذا الاستعمال إما مدفوعون بحكم العادة وانتشار هذا الخطأ تمشياً مع ما جرى به القول من أن الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور ، وإما أنهم فى استعمالهم هذا يعتقدون صحة هذه الكلمة . وعلى كل فإن الأدلة العلمية المتعددة تدفعنا إلى تخطئة كلمة « ليبيا » وتحتم علينا تصحيحها بكلمة « لوبيا » ، وضرورة الأخذ بهذه الكلمة الصحيحة . وقد سبق التعرض لهذه التسمية ووجوب استعمال الاسم الصحيح لهذا البلد العربى فى كتاب « المجمل فى تاريخ لوبيا » [1] .

فنحن إذا رجعنا إلى المصادر العربية القديمة التى تعرضت لهذه الكلمة نجدها تؤيد

---

(١) مصطفى بعيو : المجمل فى تاريخ لوبيا . الإسكندرية سنة ١٩٤٧ .

صحة كلمة « لوبيا » بدل « ليبيا » فهذا ابن عبد الحكم[١] في كتابه يذكرها لنا بالواو بدل الياء فيقول لنا « ... وكان البربر بفلسطين وكان ملكهم جالوت فلما قتله داود عليه السلام خرج البربر متوجهين إلى المغرب حتى انتهوا إلى لوبية ومراقية ... » وهذا ابن دسته يذكرها لنا بالواو بدل الياء في كتابه الأعلاق النفيسة[٢] فيقول « ثم يصير في عمل لوبية وهي كورة تجرى مجرى كور الإسكندرية ... » وهكذا فعل كل من المقريزي في خططه والسيوطي في كتابه « حسن المحاضرة » .

وأما شيخ العروبة المرحوم أحمد زكي باشا المعروف بتضلعه في اللغة وفقهها وفي التاريخ الإسلامي وحوادثه فقد كتب لنا بخصوص هذه الكلمة في قاموسه[٣] الذي أخرجه لنا ما يأتي « لوبيا اسم الصحراء تفصل ديار مصر وإيالة طرابلس الغرب وتسمى عند الإفرنج « Lybie » وصحة اسمها بالعربية لوبيا كما وردت في كتب الجغرافية العربية وفي طبقات الأطباء وغيره لا بالياء كما نقله المترجمون مراعاة للفظ الفرنساويين بها مع أن الصواب في تعريب حرف الياء اليونانية y هو الواو كما هو في أصل اللغة اليونانية وبها سمي النبات المعروف باللوبيا » .

هذا وقد تعرض المجمع اللغوي بالقاهرة لهذه الكلمة واعتمدها في معجمه الجغرافي على أنها « لوبيا » وقد ساهم في وضع هذا المعجم الأساتذة الأعلام الشيخ السكندري والأب أنستاس الكرملي والدكتور ليتمان إلى جانب من عاونهم من الخبراء المصريين المشهور لهم بالدقة العلمية وطول الباع في البحث الصحيح وقد استجاب لهذا التصحيح الكثير من المؤلفين المدققين وكان في مقدمتهم الأستاذ البحاثة سليم حسن في موسوعته التاريخية التي أخرجها عن تاريخ مصر القديمة في أجزاء متعددة وغيره من الباحثين والعلماء .

والغريب أن هذه الكلمة بقدر ما صادفت من تعثر في اللغة العربية قد لاقت الكثير من التحريف والتبديل في اللغات الأوربية فقد اختلف رسمها باختلاف هذه اللغات ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد . بل كان رسمها أحيانا يختلف باختلاف الكتاب في اللغة الواحدة ، وإذا كان هناك ما يبرر قبول اختلاف رسمها باختلاف اللغات الأوربية حسب نطق أهلها فإن اختلاف رسمها في اللغة الواحدة ، أمر يدعو إلى العجب والتساؤل

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها « ليون سنة ١٩٢٠ » ص ١٧ .

(٢) ابن دسته : الأعلاق النفيسة « ليدن سنة ١٨٩١ » المجلد السابع ص ٣٤٢ .

(٣) أحمد زكي : قاموس الجغرافية القديمة بالعربي والفرنساوي المطبعة الأميرية نمرة ١٨٩٩، ص٣٣ .

فبعض المؤلفين من الانجليز يكتبونها (Lybia) (١) والبعض الآخر يكتبها (Libya) (٢) وقد تختلف كتابة هذه الكلمة فى كتب متعددة تضمها مجموعة واحدة تتناول موضوعاً واحداً من أطرافه المتشعبة كما هى الحال فى مجموعة .

(Handbook on Cylenaica) التى أشرف على إصدارها رجال الإدارة البريطانية لبرقة بالاشتراك مع بعض الأساتذة الإخصائيين وذلك فيما بين ١٩٤٤ - ١٩٤٧ .

وكذلك اختلف المؤلفون الإيطاليون فى طريقة كتابتها ، فبعضهم يكتبها Libya كما هى الحال فى المجلة الإيطالية Rivista Della Tripolitania (١) التى كانت تصدرها وزارة المستعمرات الإيطالية ، أما دائرة المعارف الإيطالية ، فقد رسمتها Libia كما هو فى الجزء الحادى والعشرون منها .

وأما المؤلفون الفرنسيون فقد تعود بعضهم كتابتها Libya كما فى كتاب الأستاذ ديبوا جان (٢) .

هذه عجالة قصيرة توضح لنا ضرورة الأخذ بكلمة « لوبيا » وفى ذلك تصحيح لاسم هذا البلد العربى كما ترينا مدى ما تعرض له اسم هذا البلد من اختلاف فى طريقة كتابته باختلاف اللغات الأوربية بل باختلاف الأفراد أنفسهم .

مصطفى بعيو الطرابلسى

---

١ ــ من أمثلة ذلك :

R. S. Plavfair: Travels in the bootsteps of Bluce, London 1877.

A. J. Cachia: Lybia under the Selgnd ottoman occpation Tlipoli 1945

٢ ــ من أمثلة ذلك :

David Randall: Libyan Notes, London 1901.

---

٢ ــ العدد الثالث . السنة الثالثة (روما ــ ميلانو سنة ١٩٢٧) .

(2) DEPOIS Jean : La Colouisation Italienne en Lybia .

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
سكرتير التحرير
محمود الشرقاوي
بدل الاشتراك ٤٠

الجزء السابع — رجب سنة ١٣٨٠ هـ — ديسمبر ١٩٦٠ م — المجلد الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

مكانة الأزهر في إفريقيا الجديدة

بقلم : أحمد حسن الزيات

أفريقيا التي غاب معظمها عن الوجود الإنساني في ظلام الجاهلية والوثنية والاستعمار والرق منذ دحا الله الأرض أخذت تنبعث وتنتعش وتتحرر . وكان هذا الانبعاث وما تلاه استجابة لنفخة الصور التي صدرت عن الثورة الناصرية في مصر فدوى صداها في أرجاء الشرق كله فأيقظ الراقد ونبه الغفلان .

وكان الإسلام من قبل ذلك قد أرسل بصيصا من نوره في خلال هذه الظلمة الغاشية على أيدي المتاجرين من العرب والمهاجرين من المسلمين ، فرأى من هداهم به الله من الأفريقيين أن فوق الأرض التي يخيم عليها الظلام سماء ينبثق منها النور ، وأن للإنسان الذي استضعف واستغل إلها قاهراً فوق عباده يجعلهم إخوة بالإيمان وسواسية بالعدل ، فربأوا بإنسانيتهم عن الذل ، وضنوا بكرامتهم على الهون . إلا أن هذا البصيص ظل خابيا في قلوبهم لا يشع ولا يشيع لانقطاعه عن مشرق الوحي ، فلم يصله به سبب من لغة الكتاب ،

ولامانة من حديث الرسول ، فهم يحفظون بعض الآيات عن تلقين لا عن فهم ، ويؤدون كل الشعائر عن تقليد لا عن فقه ، ومع ذلك نفذت أشعة الإسلام من بين أطباق هذا الغمام إلى قلوب الوثنيين الآخرين فى سرعة الدعوة المستجابة ، لأنه دين الفطرة فلا تعقيد فيه ولا عسر ، ولأنه مظهر الوحدانية فلا وساطة فيه ولا سر ، فدان به فى الحبشة ثلاثة ملايين ومائتان وخمسة وأربعون ألفا وثلثمائة وتسعون . وفى أوغندة ثلاثمائة وستون ألفا . وفى الصومال الشمالى والشرقى والأوسط مليون وسبعمائة وستة وأربعون ألفا وثلثمائة وواحد وأربعون ، وفى زنجبار ثلاثمائة ألف . وفى كينيا مائتا ألف . وفى تنجانيقا مليون ونصف . وفى روديسيا ونياسالاند مائة وثمانية وثلاثون ألفاً . وفى موزنبيق ستمائة وخمسون ألفاً . وفى جنوب أفريقيا ثمانية وثمانون ألفا . وفى أفريقيا الغربية الفرنسية سبعة ملايين ونصف . وفى نيجيريا ثلاثة وعشرون مليونا . وفى توجو لند ثلاثون ألفا . وفى غانا مائة وخمسون ألفا . وفى غمبيا مائة وعشرون ألفا . وفى ليبريا نصف مليون . وفى الكمرون نصف مليون . وفى الكونغو أربعمائة ألف . وذلك إحصاء أتت عليه عشر سنين . فمن الطبيعى أن يكون قد ازداد بالدخول فى الإسلام وبالولادة من المسلمين .

ولقد دهش لهذه الجاذبية فى الإسلام دعاة المسيحية ورواد الاستعمار من مبشرى الانجليز والفرنسيين والبلجيكيين والطليان والأمريكان وتساءلوا فيما بينهم : كيف عجزوا عن تنصير الوثنيين بالطرق المؤدبة والوسائل المغرية من تعليم وتطبيب وتمدين وإغراء بالمال وإيحاء بالقوة ، حيث استطاع الإسلام الصامت الأعزل أن يتسلل ويتغلغل وينتشر من غير حكومات تسنده ولا جمعيات ترفده ولا مغريات تجذب إليه . ثم حاول المتخصصون منهم والمتفلسفون فيهم أن يجيبوا عن هذا السؤال وأن يكشفوا عن هذه الحال بالدرس والتحليل فلم يستطيعوا . فسلموا بالأمر الواقع وقالوا لا حيلة إلا أن نستغل هذه القوة الكامنة فى الإسلام فى إخراج الوثنيين البدائيين من الظلام إلى النور ، حتى إذا فتحوا أعينهم على أضواء مدنيتنا تهافتوا عليها تهافت الفراش . قال أحد مؤرخى الكنيسة وقد صار كردينالا ما ترجمته . « إن الإسلام قنطرة للشعوب الأفريقية يعبرون عليها من ضفة الوثنية إلى ضفة المسيحية . فمن حقه أن نعامله بالمياسرة والحسنى . ومن واجبنا أن نساعده على اتساع نطاقه وامتداد أفقه ، بإجراء الأرزاق على المساجد ، وتوفير الأموال للمعاهد ، ليكون رائدا لمدنية فرنسا فتفتح على يديه البلاد » .

هـذه هى قوة الإسلام فى رأى المبشر ، وذلك هو أثره فى رأى المستعمر ، فكيف نعوق هذه القوة ونضعف ذلك الأثر بتركهما إلى الطبيعة ينفذان من الحواجز والسدود كما ينفذ الماء اللين السلس بين جلاميد الصخر! سيخرق الماء الحجر على طول الزمن ولا شك فيتدفق الشلال ويفيض النهر وتخصب الحياة . ولكننا لو نسفنا الحجارة من طريقه ، وكشفنا الركام عن منبعه ، اختصرنا الزمن وقربنا المسافة . والأداة التى تنسف وتكشف وتخط وترود هى الأزهر . والأزهر فى القاهرة والكعبة فى مكة هما الكلمتان اللتان تجمعان معنى الإسلام فى ذهن الأفريقى المسلم ، يتجه إلى المسجد الحرام فى معنى عقيدته ، كما يتجه إلى الأزهر الشريف فى معنى شريعته . ولم يقصر الأزهر فى مد القارة المظلمة بالنور على قدر طاقته وفى حدود إمكانه . فأرسل نفرا من فقهائه ووعاظه إلى الصومال والحبشة وبعض جهات أخرى . ثم رأى أن يكون هؤلاء الدعاة والهداة من أهل تلك الشعوب استرشادا بقول الله عزت حكمته : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » فأنشأ مدينة البعوث وآوى إليها طلاب العلم من شباب أفريقيا وآسيا وكفل لهم الغذاء والكساء والمسكن وأخذ يعرب ألسنتهم ويفقه أفئدتهم ، ويزودهم بوسائل الدعوة ليجلوا كلمة الله فى أذهان قوم لبستها عليهم العجمة والجهالة . وإن عـدد هؤلاء الطلاب الأغراب ليربى اليوم على ثلاثة آلاف .

ولكنه عدد لا يزال أقل مما يتطلبه الجهاد الروحى فى أفريقيا الجديدة : فإن تراجع الاستعمار عن أكثرها يفتح الأبواب ويهيئ الأسباب للمجاهدين فى سبيل الدين واللغة . فلابد إذن من تمكين الدولة للأزهر فى هـذه الأرض البكر بأن تمده بالمال وتسنده بالنفوذ ليحقق لها عن طريق الخير والحق ما كانت ترجوه فرنسا منه عن طريق الشر والباطل .

° * °

إن بذل المال والجهد فى معونة الأزهر يحرر أفريقيا الوثنية من عبودية الروح والعقل والجسد . وهـو كسب سياسى ضخم حاول المستعمرون طويلا أن ينالوه بالدهاء والاغراء والدماء والزمن فما استطاعوا . ثم كانت عاقبتهم أن اجتثوا من فوق الأرض الطيبة كما يجتث النبات الطفيلى السام من حقول الحنطة ! ذلك بأنهم استعلوا على أصحاب الأرض . فتميزوا عليهم بالقوة ، واستأثروا دونهم بالثروة ، وتركوهم للعرى والجوع والمرض والجهل والمشقة .

أما الإسلام فسيدخل فيهم دخول النور فى العين والسرور فى القلب والبرء فى السقم والصلاح فى الفساد والنظام فى الفوضى ،

فلا يجدون فى مجتمعه سيدا لأنه أبيض، ولا مسودا لأنه أسود، وإنما يجدون الناس فيه أحرارا كما ولدوا، متساوين أينما وجدوا، يتقاسمون بينهم طيبات الرزق وفرص العيش، لا يتسخط فاقد على واجد، ولا يتسلط قوى على ضعيف.

فإذا استبطنوه بالفهم الصحيح، واستيقنوه بالإيمان الخالص رفعهم إلى أفق الإنسانية الحرة والإسلامية الكريمة، حيث لا يتميز لون على لون، ولا يسيطر عنصر على عنصر، وإنما يكون فيه أبو بكر وعمر وعثمان، بجانب بلال وصهيب وسلمان!

إن الأزهر هو الشكنة المحمدية لجند الله أسلحتها المصاحف لا القذائف، ووسيلتها الحياة لا الموت، وغايتها التعمير لا التدمير، وغنيمتها الخير للناس والسلام على الأرض، فإذا كان أولياء الأمر منا وأصحاب الرأى فينا حراصا على أن يكونوا كما جعلهم الله قوادا لحرية الشعوب، وروادا لسكينة العالم، فليضموا إلى ثكنات القوى العسكرية، ثكنة القوة الأزهرية، ليجمعوا بين أسلحة المادة وسلاح الروح، ويوائموا بين مادية العلم وروحية الدين، ويقيموا فوق أسواق الرقيق التى أقامها الاستعمار فى إفريقيا المكروبة المنكوبة مآذن للحق ومنائر للهدى وملاجئ للحرية.

إن الفرصة متاحة للعمل، وإن الأرض مهيأة للزرع، وإن الأزهر مستعد للبذر، فما على الدولة إلا أن تسوق السحاب إلى النفوس الظمأى فتروى، وإلى البلاد الميتة فتحيا، ويومئذ تلد أفريقيا الرجال، وتستغل الاستقلال، وتبرهن لأوربا البيضاء أن المرء بجوهره لا بمظهره، وأن جوهر الإنسان واحد لا يختلف باختلاف لونه فى الناس، ولا يتغير بتغير موقعه من الأرض.

أحمد حسن الزيات

الاستعمار كما يصفه نائب فرنسى

(جاء فى تقرير النائب الفرنسى مسيو موتيه الذى رفعه إلى مؤتمر الاتحاد البرلمانى فى برن سنة ١٩٢٤)

من المحقق أن الاستعمار عمل لا يسوغه قانون، وكثيرا ما ظهر بمظهر الفظاظة والغلظة، لأنه يقضى بحكم القوى على الضعيف. وقد مضى على وجوده قرون بحجة نشر المدنية والارتقاء بين الشعوب المزعوم جهلها وخمولها. والحقيقة أنه لم ينشر من تلك المدنية وذلك الارتقاء إلا الأسماء التى تنتحلها لنفسها الأمم المستعمرة وقد أراد المستعمرون أن يسدلوا على أعمالهم ثوبا شرعيا قانونيا فقرروا ضم ما استولوا عليه من البلدان إلى ممتلكاتهم، وادعوا أنها جزء من بلادهم، وأن عليهم عبء نشر المدنية والعلوم فيها، والحقيقة أنهم لا يبغون من وراء ذلك إلا مصلحة بلادهم.

ترجمة المفردات أو العبارات؟

للأستاذ عباس محمود العقاد

نبدأ هذا البحث الصغير بسؤال :

ماذا نترجم عند النقل من اللغات الأجنبية ؟.
هل نترجم المفردات أو نترجم العبارات ؟.
وهل نترجم المفردات بمعناها الأصيل أو نترجمها بالمعنى الذى درج عليه الاستعمال من مجاز أو اصطلاح ؟.

عاد إلى ذهنى هذا السؤال بعد قراءة اللغويات التى كتبها الأستاذ المحقق « محمد على النجار » فى العدد الأخير من هذه المجلة وعرض فيه العبارة : (توتر العلاقات) التى ترد كثيراً فى كلام المترجمين عن اللغات الأوربية فقال : إن اليازجى يرى فى مجلة الضياء أن هذه العبارة تفيد عكس المعنى المراد ؟ فإنه يقال وتر القوس إذا شد وترها ، وتوتر العصب ونحوه إذا اشتد فصار مثل الوتر ، فهى تدل على قوة الصلات ومتانتها لا على ضعفها . والصواب أن يقال استرخت العلاقات بينهما فى هذا المعنى .

ويرد الأستاذ النجار على اعتراض اليازجى فيقول : إن تخريج العبارة بما يصح معه المعنى ممكن ، وذلك أن توتر العصب واشتداده إذا أفرط فيه يشرف به على الانقطاع ، وكذلك القوس إذا أفرط فى شد وترها أوشك أن ينقطع الوتر » .

والذى قاله الأستاذ النجار هو المقصود من العبارة عند ورودها فى المصطلحات الأجنبية الحديثة ، فإنهم يريدون هذا المعنى ويريدون معه معنى آخر يلازم التوتر إذا بلغ من الشدة أن يؤذن بالانقطاع ، وذلك أن الخيط إذا توتر أصبح كما يقولون « حساسا » يهتز لأهون لمسة كما يهتز الغاضب للكلمة الهينة التى قد يتقبلها ويغضى عنها ساعة رضاه ، وفى هذه الحالة تسوء العلاقات لما يوجب الاستياء ولغيره مما لا يسوء فى سائر الحالات .

ولكن موضع الملاحظة على نقل أمثال هذه الكلمات والعبارات أن المعنى الذى يفهم منها الآن عندهم وعندنا ليس بالمعنى الأصيل وليس بالمعنى المستفاد من وضع الكلمة كما كانت مفهومة بين الأقدمين ، لأن الكلمة الأصيلة عندهم إنما تفيد معنى الضيق والضغط والعصر ولا تفيد غير ذلك إلا من قبيل الاستعارة المجازية ، وقد تستعمل للوتر كما تستعمل لقميص المجانين أو تستعمل للمضيق البحرى أو للفاقة والإفلاس ، وهى كذلك

أصلا ســواء ردوها إلى مادة (سترين) Strain أو مادة (ستريتن) Straiten وكلاهما واردة متكررة فى أمثال هذه العبارات .

وموضع الملاحظة أننا نعمد إلى معنى مستعار فى لغته فننقله بحرفه ونصه مع وفرة الكلمات التى تؤدى هذا المعنى باللغة العربية ، أصلا واستعارة ، بكل ما يراد منها فى جميع التخريجات .

وعندنا لأداء هـذا المعنى كلمات « الحرج والأزم والبرم والعنت والريبة والضيق » ، وعشرات غيرها تنصرف إلى المقصود بكلمة التوتر على كل تصريف وتأويل .

ومن عجيب التوافق فى مجازات اللغات أن مادة (برم) عندنا تستخدم للفتل الشديد كما تستخدم للضجر وقلة الاحتمال ، ولكن وجه الاستعارة يختلف بين البرم والتوتر فى العبارة الإفرنجية ، فإن الضجر عندهم مقرون بالحساسية وهو مقرون عندنا باللى والتضييق .

ولو نظرنا هذه النظرة إلى مادة الوتر وجدنا فيها معنى النقص ومقابلة الشفع والائتلاف كما نجد فيها معنى الشد والإيذان بالانقطاع .

فسبيل المجاز عندنا أوسع من أن نحتاج فيه إلى النقل من اللغات الأخرى ، وكلماتنا الأصيلة تؤدى معانيها الأولى وتتسع المجاز المعقول والقرائن السائغة على وجوه شتى ، وليست هى من الندرة أو الجمود بحيث تضطرنا إلى الاقتراض من الغريب أو الدخيل .

وربما كانت الاستعارة سائغة قريبة فى عبارة « التوتر » حين تستخدم لفساد العلاقة بين الدول أو آحاد الناس .

ولكن المترجمين ينقلون أحيانا عبارات مستغربة لا تقع فى الأذواق موقعها الحسن كما تقع هذه العبارة .

ومن ذلك قولهم : إن هذا أو ذاك . « يلعب دوراً خطيرا فى السياسة أو التاريخ أو شئون الحياة العامة » وقد يقبح الذوق فى اختيار المواضع لهـذه العبارة حتى يقول القائل : « إن الدين يلعب دوراً جديا فى المسائل الاقتصادية » أو يقـول قائلهم : « إن ذلك البطل العظيم لعب دوراً هاما فى تشريع زمانه » إلى أمثال هـذا السخف الذى يتحرج منه أصحاب اللغة الأجنبية أنفسهم عند استخدام هـــذه العبارات ، ولو أنهم أخذوا مادة « اللعب » بحرفها كما وضعت أصلا لم يكن لها هذا الموقع المعيب عند سامعيها من العارفين بمعانيها ، لأن أصـل المادة عندهم يشمل « الاشتغال » ويشمل « الحركة » التى تحمل الإنسان وراء مشيئته ، ومنها جاءت حركة الرقص وحركات اللعب والطرب ، وأشباه هـذه الحركات التى تدخل فيها حركة اللعب الهازل وغير الهازل .

ولكن الأصل فى مادة « اللعب » عندنا يرجع إلى المهازل الصبيانية ويأتى - على ما نرجح - من قولهم ، (لعب الصبى أى سال لعابه) ولعب فلان أى صنع صنيع الصبيان، وليست الكلمة على معنى من معانيها الأصيلة أو الطارئة بالتى تصلح للاقتران بمعانى التقديس ومعانى الخطر والتعظيم .

ومن قبيل هذا النقل المعيب قولهم : « إنهم أقاموا مأدبة على شرف فلان ! » . . كأنما كان شرف فلان هذا مائدة أو بساطا أو سفرة للطاعمين الشاربين ، ولو كانت ضرورة التعبير عن المعنى المقصود تستدعى التقيد بحرف العبارة المترجمة لكان لهم عذرهم من حكم الأمانة والاضطرار ، ولكننا قد نؤدى المعنى المقصود بكلمات الحفاوة والتكريم والترحيب والتحية وما إليها ، فلا تقصر هذه الكلمات عن معنى المأدبة التى تقام على الشرف . . . فلا تشرفه لفظا ولا معنى وهى مقامة عليه ! .

ومن المنقولات الحرفية المائعة التى نسمعها من الإذاعات الأجنبية كثيرا فى الأيام الأخيرة قولهم : « إن هذه القضية تشكل خطراً دائما على السلام » أو « إن هذه المسألة تشكل موضوعا للبحث » أو « إن هذا العمل يشكل أزمة من أزمات الأمم المتحدة » ... إلى نظائر هذه التشكيلات التى لا شكل لها فى قوام لغة الضاد .

فما ضرورة نقل الكلمة بحرفها من اللغات الأجنبيه وهى تنقل بجميع معانيها فى كلمات لا تحصى من كلمات اللغة العربية .

لم لا نقول : « إن هذه القضية تؤدى إلى خطر دائم على السلام ؟ » ولم لا نقول : إن هذه القضية بمثابة خطر دائم على السلام ؟ » .

ولم لا نقول : إنها ينجم عنها الخطر ، أو إنها تتراءى فى صورة الخطر ، أو إنها ماثلة فى صورة الخطر ، أو إنها تؤلف أو تحدث أو تخلق الأخطار أو ما يشاءون من الأشكال ؟ وكم ورد على الأذهان وعلى الألسنة من هذه التعبيرات فلم ينتظرها قائلوها مئات السنين حتى يخرجها العى والفهاهة من صفحات قاموس يقرؤه صغار التلاميذ ؟ .

إن أشباه هذه المفردات وما تدخله من العبارات والمصطلحات هى التى نريد أن نسأل عنها : هل نترجمها على مثال تلك الترجمات « القاموسية التلميذية » أو نقابلها بما عندنا من اللفظ الأصيل واللفظ المستعار ، وهو كثير ؟ .

ويبدو لنا أن الضرورة لا تقضى علينا بترجمة كلمة من الكلمات الأجنبية فى مصطلحاتهم الشائعة غير الكلمات التى تدل على الأعيان والأشياء ، وإننا نتكلف عناء لا يساوى

الدولة التي صنعها الإنسان والأمة التي خلقها الله

للأستاذ الدكتور محمد البهي

— ١ —

الدولة التي صنعها الإنسان :

يتميز المجتمع الحديث بأن له نظام «الدولة» ومعنى ذلك أن المجتمع سلطة تنفيذية تمثل فيما يسمى بالحكومة ، وأن له قانونا من وضع الإنسان ينفذ لصالح الأفراد ، وأن له كذلك مصدرا تشريعيا يمارس تعديل التشريع القائم أو سن تشريع جديد حسبما يقضي وضع المجتمع ، وحسبما تتطلب ظروف بقائه أو الدفاع عنه .

وهكذا توجد سلطات ثلاث : السلطة التنفيذية ، والسلطة القضائية ، والسلطة التشريعية ، وكل سلطة من هذه السلطات لها اختصاصها ، وتتعاون جميعها على صيانة المجتمع من الأضرار ، وعلى تمكين الأفراد في المجتمع من أن يؤدوا رسالة المجتمع وهي رسالة التعاون ، وتحقيق الهدف الذي من أجله قام المجتمع أو تكون .

ووظيفة السلطة التشريعية – كما أشرنا – هي سن القوانين لحفظ العلاقات بين الأفراد وصيانة حرياتهم في التعبير والاعتقاد ، وصيانة حرماتهم في المال ، والعرض ،

كلفته إذا نقلنا ألفاظهم بأصولها واستعاراتها وهي مفهومة عندنا بما وسعته لغتنا من معنى أصيل أو معنى مستعار ، ولا حرج – مع ذلك – من نقل الاستعارة المجازية حيثما وجدت على وفاق بين أذواقهم وأذواقنا ، وبين قواعدهم وقواعدنا ، ومن قبيلها استعارة «التوتر» واستخدامها لحرج العلاقة ، أو فسادها ، وتعرضها للغضب السريع والاستفزاز المريب ، فربما كنا نحن أولى بهذا المجاز وأقدر على تخصيصه بمدلوله ، لأننا نتلقاه بأسماع ألفت التفرقة بين أصل الكلمة ومجازها وبين التشبيه الطارئ والشبه القديم .

عباس محمود العقاد

والنفس ، ولتمكين جميع الأفراد من فرص الحياة ، بحيث يكون هناك تكافؤ لأصحاب المستوى الواحـــد ، وبحيث لا يتدخل فى استغلال هذه الفرص عامل آخر لا يتصل بالطاقات الإنسانية ، والاستعدادات الفردية عما يعرف بجاه الشرف أو جاه الثراء ، أو يتصل بعصبية مذهبية أو طائفية .

ولكى تكون القوانين التى تشرع ، تمثل هذا الصالح العام وكل المجتمع الحديث سلطة التشريع إلى هيئة تمثل الرأى العـام فيه ، عن طريق الانتخاب الشعبى ، أو عن طريق اختيار السلطة التنفيذية لأصحاب الخبرة والدراية بجوانب حياة المجتمع العديدة .

ووظيفة السلطة القضائية هى تطبيق القوانين التى تسنها الهيئة التشريعية ، مستهدفة فى هذا التطبيق الأغراض التى من أجلها خرجت هذه القوانين ، والتى هى تصور المصلحة العامة للأفراد فى المجتمع ، كما تصور غايات المجتمع نفسها التى بعثت على قيامه ، وتبعث على استمراره فى البقاء .

أما السلطة التنفيذية فهى الهيئة التى تمارس الإشراف على تنفيذ القوانين التى تسنها الهيئة التشريعية ، وتطبقها الهيئة القضائية .

واقتضى تعـدد هذه السلطات أن يتنوع تخصص القائمين على أمرها ، بحيث يساعد هذا التخصص على تنفيذ المهمة التى تناط بكل سلطة منها فى إتقان ، وفى الوقت نفسه فى غير عناء ، او فى غير إجحاف بالمصلحة العامة ، ذلك الإجحاف الذى يترتب على قيام غير فنى أو غير خبير بتنفيذها .

ويبدو من توزيع أجهزة الدولة إلى هذه السلطات الثلاث ومن إسناد هذه السلطات إلى خبراء متخصصين فى شئونها أن « الدولة » تكفل بهذا التنظيم رعاية الصالح العام كما تكفل العـــدل بين الأفراد ، وتمكين الأفراد من فرص الحياة بالتساوى ، وتحسين العلاقات بينهم ، وتدفعهم جميعا إلى التعاون ، وإلى تحقيق أهداف المجتمع وغاياته .

ونظام الدولة من حيث التخطيط على هذا النحو ، نظام مثالى ، ولكن عند التطبيق يتبين أنه يعنى بظاهر العلاقات بين الأفراد ، وبالشكليات القانونية أكثر من عنايته بإقناع الأفراد بالأهداف التى فرضها نظام الدولة غايات له « ويعنى بصورة « العدل » ، وبصورة « المصلحة العامة » أكثر من عنايته بحمل الأفراد ـ عن طريق تكوين « الضمير » ـ على التصرف العادل ، ولتحقيق المصلحة العامة .

إن نظام الدولة فى المجتمع الحديث نظام فرض على الأفراد وأقيم لحملهم ـ بطريق القوة الجبرية ـ على اتباع القانون الذى تسنه الهيئة التشريعية فيه ، دون أن يكون هناك إيمان فى نفوس الأفراد بعدالة هذا القانون ،

أو بملاءمته لمصالحهم كأفراد فى المجتمع . إذ أن القانون مهما توفرت الرعاية أو العناية على تشريعه ، فالمشرعون أنفسهم أشخاص قد يتأثرون بنفوذ القائمين على شئون الدولة أو يتأثرون بالمحيط الذى يعيشون فيه ، أو بالنزعة التى ينزعون إليها كأصحاب اتجاه معين ، أو نظرة معينة فى الحياة . وعندئذ لا يلزم أن يكون القانون ممثلا للعدالة، أو ممثلا « لروح التجرد » التى ينبغى أن تتوفر فى القانون ، إذا أريد تطبيقه على جميع أفراد المجتمع وقصد به أن يحقق المصلحة العامة بينهم.

إن استقرار نظام الدولة ـ بحكم أنه مفروض على أفراد المجتمع ـ رهن بجهاز الرقابة ـ وهو جهاز السلطة التنفيذية ، وبقدر مالهذا الجهاز من استطاعة على « التتبع » فى تنفيذ القانون ، وبقدر ما يبطئ هذا الجهاز أو يغفل أمر التتبع فى تنفيذ القانون ، بقدر ما يضطرب نظام الدولة ، وبقدر ما تفتر العلاقات الاجتماعية بين الأفراد فى المجتمع . ذلك كله لأن نظام الدولة ـ كما ذكرنا ـ لم يعتمد على تربية الضمير الباعث ، بل اعتمد كل الاعتماد على السلطات الثلاث . وهى سلطات لا تنشئ ضميرا ، ولا تنشئ إقناعا ، وإنما تحمل حملا وتقهر قهرا على الطاعة والاتباع ولقد خيل لكارل ماركس ـ يوم أن خط النظام الشيوعى للدولة عن طريق سحب المال من يد الأفراد، وجعله فى يد الدولة وحدها ـ أن الدولة الشيوعية عندئذ سوف لاتحتاج إلى سلطة « بوليسية » لحفظ الأمن ؛ لأن المساواة بين أفراد المجتمع الشيوعى حينئذ أصبحت حقيقة واقعة فلم يعد هناك ما يوجب حقد الأفراد بعضهم على بعض ، وليس هناك ما يوجب احتكاك بعضهم ببعض . طالما المال كله بيد الدولة ، وطالما الدولة ترعى جميع الأفراد بإعطائهم العمل وتوجرهم عليه أجراً مناسباً .

خيل لكارل ماركس أن الدولة الشيوعية هى الدولة السعيدة التى لاتحتاج إلى رقابة خارجية ، لفقدان مصدر الحقد والاحتكاك بين الأفراد فيها : ولكن بالرغم من سحب المال من الأفراد وجعله فى يد الدولة الشيوعية فالرقابة « الخارجية » ـ أى التى هى من خارج الأفراد على الأفراد أنفسهم فى المجتمع ـ فيها أشد قوة ، وأكثر تنوعا وعددا لأن نظام الدولة فى نفسه ـ كما ذكرنا ـ نظام قام على فرض الرقابة الخارجية ، والعناية بها . ولم يكن منبثقا عن « ضمير » ، أو عن قوة ذاتية دافعة ، تدفع الأفراد إلى غايات المجتمع، دون حاجة إلى تلك الرقابة الخارجية أو دون حاجة إلى ما يسمى بالسلطة التنفيذية .

وآية أن نظام الدولة فى المجتمع الحديث هو نظام قام على فرض الرقابة الخارجية ، اهتمام الدولة فى كل مجتمع حديث وعنايتها

بالسلطة التنفيذية : فى عدد رجال الأمن ، وفى تخصصهم وفى أنواع الرقابة على الأفراد ، وكثرة وسائل التتبع فى التنفيذ وفى الوقت نفسه ، هذه العناية وهذا الاهتمام بالسلطة التنفيذية من سلطات الدولة فى المجتمع الحديث يدل من جانب آخر على أنه لولا القوة المادية التى تتمثل فى السلطة التنفيذية لتفككت روابط المجتمع ، وسادت الفوضى فى العلاقات بين الأفراد .

على أنه من ناحية أخرى منذ أن أخذ المجتمع الحديث بنظام الدولة ، هذا النظام الذى يبدو فى ظاهر أمره أنه يغطى العلاقات بين الأفراد فى صورة اجتماعية ، لم تساير هذا النظام العلاقات الاجتماعية بين الأفراد فى حقيقة أمرها ، وظلت « الفردية » هى العامل الذى يحدد هذه العلاقات . ومن هنا تنبىء الجرائم المتنوعة ، وتنبىء الاحتكاكات بين الأفراد فى صورها المختلفة التى تقع فى المجتمع على عدم مسايرة العلاقات بين الأفراد فى حقيقة أمرها ، لما يبدو من تغطية نظام الدوله لتلك العلاقات فى صورتها الظاهرية .

ولذا يلاحظ على نظام الدولة فى المجتمع الحديث أمور ثلاثة :

الأمر الأول : فقدان العناية بالضمير ، أو فقدان العناية بالقوة الذاتية الدافعة للأفراد نحو العمل الجماعى .

الأمر الثانى : فقدان تمثيل القانون للمصلحة العامة أو للعدالة ، أو للمساواة فى تكافؤ الفرص بين الأفراد ، نظراً لتأثر المقننين وأصحاب السلطة التشريعية بظروف حياتهم وبيئاتهم ، أو بنفوذ القائمين على أمر الدولة .

الأمر الثالث : فقدان العناية بالروح الجماعية فى العلاقات بين الأفراد ، وبقاء « الفردية » كظاهرة سائدة فى هذه العلاقات .

ونظام الدولة فى نتائجه هذه لا يستطيع أن يحمل نتائج أخرى سواها ؛ لأنه من صنع الإنسان . والإنسان هو ذلك الكائن صاحب الحكمة والهدى ، وصاحب العقل والغريزة وصاحب الصيرورة من طفولة إلى رشد . هو ذلك الكائن غير المستقر وغير الثابت . هو ذلك الكائن الذى يدبر ولا يخلق والذى يقوم تدبيره على خطأ مرة ، وعلى صواب أخرى .

وقد بدا لأصحاب الدولة الذين وضعوا نظامها ، ودافعوا عنه ، أن الفصل بين السلطات الثلاث ضمان كاف لتحقيق العدالة بين أفراد المجتمع ولرعاية الحرمات الفردية من الحرية فى التعبير ، والاعتقاد والتصرف فى حدود القانون العام ، وأنه كاف كذلك لقيام التعاون وتوثيق الروابط الاجتماعية بين الأفراد . كما بدا لهم كذلك أن فى هذا « الفصل » ضمانا آخر لعدم طغيان سلطة على

سلطة أخرى وخاصة طغيان السلطة التنفيذية على إحدى السلطتين التشريعية أو القضائية ولكن النقص الذى يتصل بهذا النظام ليس فى تداخل السلطات الثلاث ، حتى يكون الفصل بينها ضمانا لتلافى هذا النقص فيه ؛ وإنما العيب الأساسى فيه — كما ذكرنا — أنه يقوم كله على « التنفيذ » بالقوة الجبرية « بقوة البوليس » ، أو « قوة الأمن الداخلى » وأنه يقوم على « جهاز التتبع » دون أن يكون للاقتناع الداخلى أو الإيمان القلبى به دخل فى تنفيذه والطاعة له . فهو نظام « يسوق » الأفراد إلى الطاعة ، من غير أن تكون لهم إرادة حقيقية فيها ؛ وهو من أجل ذلك يبعد عما يجب أن يراعى فى طبيعة الإنسان . وفى تميز هذه الطبيعة عن طبائع الكائنات الأخرى التى تشاركها النمو والحركة إذ الأليق بطبيعة الإنسان أن تكون حركته فى حياته ، وأن تكون طاعته أو عدم طاعته ناشئة عما له من اختيار . ذلك الاختيار الذى ينشأ بدوره عن اقتناعه الداخلى .

وقد بالغ الإنسان صاحب هذا النظام فى المجتمع الحديث فى القيمة التى له وهو فى واقع الأمر بالغ فى قيمة نفسه هو وفى قيمة عمله. إذ الدولة من صنع الإنسان « الثائر » والذى ثار على توجيه غيره إياه ، وعلى أن يكون لوجود آخر سواه — مهما سما وجوده ، وسمت طبيعته — أثر فى حياته ، فضلا عن أن يستأثر هو بتوجيهه وبتخطيط الحياة الإنسانية له .

إن نظام الدولة هو نظام الثورات الأوربية التى تعقبت الماضى واعترضت على رسالة الدين ، وعلى مسئولية الكنيسة فى توجيه الحياة الإنسانية. إنه نظام « العصر الإنسانى » ، والعصر الإنسانى ليس إلا تلك الفترة التى طلب فيها الإنسان أن يستقل بتوجيه نفسه وأن يدفع عن حياته ما سماه بالوصاية غير الإنسانية ، ليس إلا تلك الفترة التى اغتر فيها الإنسان بقيمة العقل الإنسانى ، وبقيمة ما يستطيعه من تدبير وإبداع ، فهو أى نظام الدولة — وليد الفلسفة الإنسانية ، وليد غرور الإنسان بالإنسان ومدى استطاعته فى توجيه الحياة الإنسانية ولذلك هو مصنوع للإنسان وابن مشيئته .

وسيظل الإنسان صاحب هذا النظام يدافع عنه ، ويمنحه القيمة العليا ، طالما هو يؤمن باستقلال الإنسان فى التوجيه وبخالقية العقل وإبداعه فى الحياة الإنسانية .

والمنطق الأصيل لنظام الدولة فى المجتمع الحديث طبقا لهذه الفلسفة الإنسانية الاستخفاف على الأقل بالقيم التوجيهية الأخرى التى تنبثق عن رسالات ليست هى من صنع الإنسان أو يذكر فى شأنها أنها ليست من الإنسان ، وجاءت لهدايته وهى رسالة السماء، ولعل المجتمع الشيوعى فى الوقت الحاضر

هو أوضح المجتمعات الحديثة ، فى مسايرته لهذا المنطق بعدا وقربا . وكلما بدت فى المجتمع الحديث ظاهرة « الثنائية » بين نظام الدولة وبين الإيمان بالدين كلما كان هذا المجتمع متنافرا مع منطق « الفلسفة الإنسانية » التى تأسس عليها نظام الدولة فى المجتمع الحديث.

وربما - من جانب آخر - كان هذا التنافر من مستلزمات المجتمع القائم لأن المجتمع ليس إلا « صورة » من الصور التى تطرأ على حياة الأفراد ، وينفعل البعض منهم . وإذا كان المجتمع صورة طارئة على حياة الأفراد ، فالأفراد أنفسهم هم لبنات المجتمع الطارئ الجديد ، وكذلك المجتمع السابق الذى انقضى وليس من السهل — ولا من الممكن أيضا — أن يتخلى الأفراد عما فى قلوبهم من إيمان ، وعما فى نفوسهم من رواسب ، وعما فى عقولهم من تصورات إثر تكون المجتمع الجديد ، وفور قيامه ، وهنا لكى تلائم قيادة المجتمع الجديد نفسها مع ميول الأفراد ومع أجوائهم النفسية والعقلية ومع إيمان قلوبهم - تتمسك بنظام الدولة وفى الوقت نفسه تعلن مسايرتها للإيمان بالدين السائد بين أفراد المجتمع .

وفى واقع الأمر ، هذه الملاءمة التى تريدها قيادة المجتمع الجديد ، إن هى إلا إعلان عن صراع بين قوتين كلتاهما تبغى الاستقلال فى التوجيه ، والتفرد بالسيادة فى حياة الإنسان : الدين أم الدولة ! .

والحديث فيما مضى عن مسايرة المجتمع الشيوعى لمنطق الفلسفة الإنسانية ، بإبعاده الإيمان عن محيطه ، وعن الصلة بنظام الدولة - هو حديث عن المسايرة الظاهرة . وفى واقع الأمر : التنافر لم يزل حقيقة واقعة فيه ، ولم يزل قائما ، لأن الأفراد الشيوعيين فيه - وخاصة الطبقة المتقدمة فى السن منهم - لم يزالوا يعبرون عن إيمانهم بالدين فى صور مختلفة ، وإن لم يعلنوا هذه الصور فى وضوح خشية من رقابة السلطة التنفيذية ، ومن تتبع الرقابة الخارجية ، التى تمارسها الدولة .

وخلاصة وضع المجتمع الحديث فى أخذه بنظام الدولة أنه مع محاولته فرض هذا النظام على الأفراد ، وسوقهم إلى الطاعة دون أن تكون طاعتهم صادرة عن اختيار ، كما توحى به طبيعة الإنسان ، ويوحى به تميزها عن بقية الطبائع الأخرى النامية المتحركة - أنه يضع الأفراد فى المجتمع فى صراع نفسى بين قوتى الدولة والدين ، وأنه نفسه لا يخلو من هذا الصراع ، مهما حاول الملاءمة بين فرضه لنظام الدولة وخضوعه للإيمان بالدين؟

(البقية فى العدد القادم)

الدكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

الله في القرآن الكريم

للأستاذ محمد محمد المدني

— ١ —

١ — لا نجد في القرآن الكريم حديثا مباشرا عن ذات الله تعالى، لأن الذات الإلهية لا يمكن وصفها ولا تصور كنهها ولا الإحاطة بها، ولو على وجه من التقريب، وإنما نجد القرآن الكريم يأتي بحديثه في هذا الجانب على وجه السلب والنفي، فيقول مثلا: «ليس كمثله شيء» فيعطينا بهذه الجملة القصيرة، قانونا وقائيا عاما نستعمله كلما احتجنا إلى مدافعة وهم من الأوهام، في تصور ذات الله تعالى، ومحاولة معرفة كنهه جلا وعلا.

ويقول: «سبحان الله عما يصفون» فيعطينا بهذه الجملة القصيرة أيضاً ما ندافع به أولئك الذين يحاولون تصوير الله، أو تمثيله بأحد من خلقه.

وكلمة «سبحان الله» معناها تنزيه الله، وتقدير اللفظ فيها: أعتقد تنزه الله أو أنزه الله تنزيها، أو نحو ذلك، وهو معنى سلبي لأن التنزيه هو نفي كل ما لا يليق عن الله تعالى.

ويقول جل شأنه: «بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة» فيرشد أصحاب العقول إلى استحالة أن يكون له ولد، مستدلا على ذلك بأنه ليس له صاحبة وهو معنى سلبي أيضاً.

ويقول: «لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد» فينفي عن ذاته أن تكون متولدة من غيره، أو أن يتولد عنها غيره أو أن يكون له مماثل وكفو.

٢ — وفي القرآن الكريم آيات تنسب إلى الله تعالى: الوجه واليد والعين والجهة والمعية والمصاحبة والعندية والاستواء ونحو ذلك مثل قوله تعالى: «ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام». «فأينما تولوا فثم وجه الله» «يد الله فوق أيديهم» «بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء» «ولتصنع على عيني» «واصنع الفلك بأعيننا ووحينا».

«ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا»

« ووجد الله عنده فوفاه حسابه » « الرحمن على العرش استوى » إلخ .

ولكن القرآن نفسه يرشدنا إلى الصراط السوى فى فهم هذه الآيات وأمثالها حيث يقول : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » .

وخلاصة ما تنصح به هذه الآية أن نقول فيما اشتبه علينا « كل من عند ربنا » أى : فنحن نؤمن به ، وأن نرده مع هذا الإيمان به إلى المحكم من الكتاب الذى جعله الله « أما » له تشبيها بالأم التى يفزع اليها ابنها وفرعها طلبا للأمن والسكن فى أحضان أصله ومنشئه .

فإذا أردنا طمأنينة النفس فى شأن آيات : الوجه والعين واليد وأمثالها فلننظر إليها من أفق الآية الأخرى الصريحة القاطعة المحكمة « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » .

ولذلك يقف السلف منها موقف التسليم ، ويقولون : لله وجه ويد وعين كما أخبر فى كتابه وليس كمثله شىء ويقولون : استوى ولا نسأل كيف استوى .

أما الخلف فيقولون : الوجه واليد والعين أسماء استعملت فى جانب الله على وجه من المجاز للدلالة على الذات أو القدرة أو العناية أو نحو ذلك ، فهما إذا متفقان على أصل التنزيه القطعى ، وإنما يختلفان فى فهم ما ظاهره ينافى هذا التنزيه .

٣ — وقد عنى القرآن الكريم — على أسلوب مباشر — بنوعين من الصفات فيما يتحدث به عن الله تعالى .

النوع الأول : الصفات التى تملأ القلوب بعظمة الله تعالى وجلاله وتبهرها بجماله وكماله .

النوع الثانى : الصفات التى تدل على ربوبيته للعالمين خلقا وإيجاداً ، وإنعاما وإمداداً .

وإنما عنيت آيات القرآن الكريم بالتحدث إلى الإنسان بهذين النوعين من صفات الله تعالى لمعنى تهدف إليه هو أن تقرر فى نفسه أن لا إله إلا الله .

وذلك أن الإله هو الذى تأله إليه النفوس وتنجذب معتقدة أن له سلطانا حقيقيا يستطيع به أن ينفع ويضر دون قيد عليه من غيره ، ولا عجز يعتريه فى نفسه مع اتصافه بالكمال المطلق والعدل المطلق ، وأن عليها لذلك أن ترضاه وتخضع له الخضوع المطلق .

فالنوع الأول من الصفات يراد ببيانه والحديث عنه فى القرآن الكريم أن يقتنع الإنسان بأنه حينما يتجه إلى الله بالعبودية إنما

يتجه إلى الإله الكامل العظيم ذى الجلال والجمال فهو يتجه إلى من هو جدير باتجاهه، ويأله - أى يعشق وينجذب - إلى من هو حقيق بعشقه وانجذابه.

وأهل التصوف لهم فى ذلك عبارات، منبعثة عما تجلى لهم من مقامات معرفة الصفات ومن ذلك قول العارف بالله عمر بن الفارض:

فقت أهل الجمال حسنا وحسنى
فبهم فاقة إلى معناكا
يحشر العاشقون تحت لوائى
وجميع الملاح تحت لواكا

وقول الآخر:

لو يسمعون كما سمعت كلامها
خروا لعزة ركعا وسجوداً

والنوع الثانى يراد به إقناع الإنسان - بالإضافة إلى ذلك - بمعنى آخر فيه طمأنينة لنفسه وسكون لقلبه هو أن هذا الذى عرف عظمته وجلاله فى نفسه، هو مصدر وجود هذا العالم كله ومصدر بقائه. ومصدر إسعاده وإمداده، فهو الخالق المبدع، وهو المحسن المنعم، وهو المتفضل بإرسال رسله إلى خلقه ليهتدوا بهم إلى معرفته، وليرشدوهم إلى طريق الخير والفلاح. ومن كان كذلك فهو الجدير بأن يعبد وحده، لأن العبادة مزيج من الشكر والخضوع؛ والشكر إنما ينبعث عن الإحسان، وإذا كان الإحسان عظيما جليل الشأن انحنت له الرءوس إعجابا به وخضوعا لمصدره أو هى بتعبير آخر مزيج من الشعور بالعظمة والقوة والكمال وتمام الإحسان، ولذلك تتخذ صوراً من الثناء على الله بالقول حينا، وبالانحناء ركعا وسجودا، وبالذكر والشكر تأملا وعرفانا اعترافا بأنه تعالى هو العظيم وهو الوهاب.

اقرءوا فى النوع الأول من الصفات التى وصف الله بها نفسه فى القرآن:

« وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » فهى تثبت « الوحدانية » مع الرحمة الشاملة واقرءوا:

« الله لا إله إلا هو الحى القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما فى السموات وما فى الأرض، من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء، وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يؤوده حفظهما، وهو العلى العظيم ».

عشر جمل متتابعة فى آية واحدة، هى: آية الكرسى المشهورة التى ذكرت الأحاديث النبوية فضلها، وتحدثت عن بركاتها فى التحصين والحفظ. وأنها تشتمل على اسم الله الأعظم، فأول جملة منها: هى إثبات الوحدانية، « الله لا إله إلا هو » أى ليس فى الوجود من له سلطة عليا مطلقة يفعل بها ما يشاء،

دون قيد ولا عجز ، ويستحق بمقتضى ذلك أن يفرد بالعبودية إلا واحد هو الله - وهذه هى الحقيقة الأولى التى جاءت الأديان وبعثت الرسل وأنزلت الكتب لتقريرها .

والجمل التسع التالية لهذه الجملة الأولى ، هى : احتجاج لهذه الحقيقة وبراهين على ثبوتها فالله هو الحى القيوم ، والحياة تختلف باختلاف المتصفين بها ، فحياة النبات نوع من الحياة وحياة الله تعالى هى أكمل حياة لأنه هو واهب الحياة لكل من سواه وما سواه ، ولأنهم جميعا مستندون فى حياتهم إليه ، وليس هو مستندا فى حياته إلى شىء ، ولأن حياته لا تنقطع ، وكل حى يدركه الفناء ، كما أن حياته أزلية لا أول لها ، وحياة غيره محدثة بعد أن لم تكن .

والله تعالى قيوم ، لأنه قائم بنفسه ومقيم لغيره وهى صفة تلخص جميع فنون التصريف وألوان التدبير فى الخلق ، وهى أبلغ من القائم والقوام والقيم بحكم الصيغة التى يعرفها أهل الذوق العربى .

ولما كانت حياة الحى وقيومية القيوم لا تدل بطريق مباشر على استمرار التيقظ لكل شىء وانتفاء الغفلة ولو فى فترة ما ، جاءت جملة أخرى تصف الله تعالى : بأنه لا تأخذه سنة ولا نوم ، أى أن حياته وقيوميته لا تفتران فى وقت ما فلا يمكن أن تغالبه سنة وهى تباشير النوم وأوائله ، وحينما يقبل على الجفون فيداعبها ، ولا نوم وهو أشد من السنة قهراً للأحياء وغلبة عليهم وأخذا لهم ، فهذا وذاك منفيان عن الله تعالى على سبيل الترقى من الأدنى إلى الأعلى .

ثم جاءت الجملة الرابعة تقرر ملك الله لكل مافى السموات ومافى الأرض ، وتقرير الملك شىء جديد بعد إثبات الحياة والقيومية الكاملين .

ثم تأتى الجملة الخامسة منكرة أن يكون لأحد أمر مع هذا المالك الحى القيوم فتقول : « من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه » وقد كانوا يعتقدون أن ما يتخذونه من آلهة ، سيكونون شفعاءهم عند الله ، فأنكر الله عليهم ذلك ، لأن شفاعة الشافع : إما أن تكون لدى سلطان عادل أو سلطان جائر ، فإن كانت عند سلطان عادل فشأن الشافع أن يقول له إنك فعلت ما فعلت ، اعتقادا منك بأنه هو المصلحة ، ولكننى أعلم أن هذا الذى أشفع فيه معذور بكذا أو لم يقصد كذا فإذا قبل منه صاحب السلطان ذلك ، كان هذا لأنه علم ما لم يكن يعلم من أمر المشفوع فيه وهو أمر لا يليق بالله تعالى ، إذ هو الجهل بعينه .

وإن كانت الشفاعة عند سلطان جائر ، فيجوز أن يقبلها ويترك الذنب لأجل مرضاة الشفيع وذلك إفساد لا يليق بالله تعالى .

ولم تقدر الآية هـــذا الشق الثانى ، لأن الكلام إنما هو فى الشفاعة لدى الله جل علاه وهو أعدل الحاكمين ، فبقى الشق الأول وهو الشفاعة لدى الله الحكم العدل ، فجاءت الآية بالجملة السادسة تعليلا لإنكار أن يشفع عند الله أحد إلا بإذنه ، بأنه يعلم كل شىء فلا يمكن أن يخفى عليه من أمر المشفوع فيه ما يجعله ينزل على حكم الشافع ، فهو تعالى كما هو منزه عن الظلم منزه عن الجهل ، وذلك هـو قوله تعالى : « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم » ثم جاءت الجملة السابعة نفيا لأن يكون فى الوجود من يعلم شيئا من علم الله على وجه الإحاطة به إلا ما شاء الله أن يعلمه أحـدا من خلقه ، وهذا حكم شامل للشفعاء .

وقـد جاء فى القرآن آيات أخرى تتحدث عن شأن الشفاعة ، متضمنة علم الله وانفراده بالسلطة ، مثل قوله تعالى: « بل عباد مكرمون. لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » وقوله تعالى « يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما » .

والمراد بقوله تعالى : « إلا بإذنه » و « إلا لمن ارتضى » ، « وإلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا » فيه كلام كثير وخلاف بين العلماء ، وأوفق الآراء أن نحمله على الدعاء ، الذى يقبل الله تعالى عقبه ما سبق فى علمه الأزلى أنه سيفعله مع القطع بأن الشافع لم يغير شيئاً من علمه ولم يحدث تأثيراً ما فى إرادته تعالى ، وبذلك تظهر كرامة الله لعبده فى إيقاعه الفعل عقب دعائه ـ وبهذا فسر الشفاعة ـ ابن تيمية [1] .

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده : إن لهـذا الاستثناء واقعا وهو أن نبينا عليه الصلاة والسلام يشفع فى فصـل القضاء فيفتح باب الشفاعة ، فيدخل فيه غـيره من الشفعاء ، كالأنبياء والأصفياء ، كما ثبت فى الأحاديث وهى مسألة أنكرها المعتزلة وأثبتها أهل السنة ، والله تعالى يأذن لمن يشاء ويطلع على علمه باستحقاق الشفاعة من يشاء ، كما يعـلم من الاستثناء فى هذه الآية وأمثالها [2] .

وتأتى بعد ذلك الجملة الثامنة ، وهى قوله تعالى « وسع كرسيه السموات والأرض » وهى تعبير تمثيلى لشمول سلطان الله وعمومه فى السموات والأرض ، وليست تكراراً مع قوله تعالى من قبل : « له ما فى السموات وما فى الأرض » فإن الحـديث فى إحداهما عن السموات والأرض وفى الأخرى عما فيهما .

---

(١) ص ٣٣ ج ٣ من تفسير المنار .

(٢) المصدر نفسه .

وقد تعددت الآراء فى المراد بقوله تعالى « كرسيه » هل هو علم الله ، أو ملك من ملائكته أو جسم كثيف أو لطيف .. إلخ وخير لنا أن نختار بين أن نتبع رأى السلف فنسلم ونقول : له تعالى كرسى كما أنبأ عن نفسه ولا ندرى ما كنهه ناظرين إلى ذلك من أفق (ليس كمثله شىء) أو نتبع رأى الخلف فنقول كما قيل فى الاستواء على العرش : إن ذلك تمثيل لملك الله على حد ما يعرفه الناس من شأن الملوك .

والجملة التاسعة (ولا يؤوده حفظهما) ضرورية فى تتميم المعنى المراد من بيان عظمة الله تعالى ، إذ أن الملك بذاته لا يقتضى القدرة على حفظ المملوك ، ولا أن هذا الحفظ سهل يسير على المالك لا يشق عليه ولذلك أفاد الله تعالى أنه هو حافظ السموات والأرض كما هو مالكهما ، وأن هذا الحفظ لا يؤوده ولا يحمله على أن يتكلف له ما يشق عليه أو يثقله .

والجملة العاشرة ختام لهذا كله ، ولذلك تضمنت بالإجمال ما تقدمها من تفصيل ، وهى قوله تعالى (وهو العلى العظيم) .

وبيان ذلك أن صفة (العلو) قد ثبتت لله تعالى من أنه لا إله إلا هو ، ومن أنه الحى الذى لا يستند فى حياته إلى غيره ، الكامل الحياة لأنه وهب منها لكل حى سواه ، الباقى الذى يزول كل ما عداه ، ومن أنه القيوم الذى يقوم بنفسه ويقوم به كل ما سواه ، ومن أن حياته وقيوميته لا يغلبهما عارض يعرض فيؤدى إلى الغفلة ولو فى فترة يسيرة ومن أنه مالك لكل ما فى العالم وهذه صفات العلو الكامل عن كل ما فى الوجود ، وصفة (العلى) تلخيص لها .

أما صفات العظمة فهى كونه تعالى ذا هيبة وجلال ، لا يستطيع معهما أحد أن يسبقه بالقول فيشفع عنده إلا بإذنه ، وكونه عالما لكل شأن ، من شئون خلقه ، وكون علمه لا يحاط به بل يعلم منه فقط ما شاء هو أن يعلم . وأن ملكه عام شامل للسموات والأرض وأنه يحفظهما ولا يثقله حفظهما [1] .

فهذه صفات العظمة ، ولذلك كانت الجملة الأخيرة فى آية الكرسى (وهو العلى العظيم) إجمالا — كما قلنا — لصفات العلو والعظمة التى فصلت من قبل .

---

(١) هناك فرق بين قوله تعالى : (له ما فى السموات و ما فى الأرض) وقوله جل شأنه : « وسع كرسيه السموات والأرض » وقد بينا هذا الفرق فيما ذكرناه عن الجملة الثانية ، ونزيد هنا أننا جعلنا الجملة الأولى تعبيراً عن صفة من صفات العلو ، لأن الذى يملك ما فى السموات والأرض عال عن كل ما فى السموات والأرض ، و جعلنا الجملة الثانية من صفات العظمة لأنها حديث عن سعة كرسى الله وشمول ملكه لذات السموات والأرض ، وعظمة الملك مؤذنة بعظمة المالك .

واقرءوا إن شئتم قوله تعالى :

« الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم » .

فالسموات والأرض تعبير عن الكون كله علويه وسفليه وما خلق الله من شىء ، والله نورها والنور هو روح كل موجود وسره ، فلو تصورنا موجودا مظلما لا نور له ، لما كان فى المعنى إلا صورة مساوية للعدم .

وقد أثبت العلم أن كل موجود فلا بد له من النور على نحو من الأنحاء ، وأن انقطاع النـــور انقطاعا تاما عن الموجود إنما هو مرحلة نهايته وفنائه ، وهذا المعنى قد أشار إليه النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض دعائه الذى توجه به إلى ربه حيث يقول : (أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل بى غضبك ، أو تحل على سخطك) والشاهد فى قوله عليه الصلاة والسلام : (أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة) إذ هو تفسير لقوله تعالى : « الله نور السموات والأرض » بأنه لولا نور وجه الله لما أشرقت الظلمات ، ولا صلح أمر الدنيا والآخرة .

وقد وصفت الآية الكريمة هذا النور بوصف مثلته به - ولله المثل الأعلى - مداره على إثبات قوته وصفائه ، وتكامله وتمام بهائه ، فبلغت من ذلك الغاية ، وقربت الأمر أعظم تقريب .

ثم اقرءوا فى النوع الثانى من الصفات مثل قوله تعالى :

« خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون . خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين . والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، إن ربكم لرؤف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق ما لا تعلمون . وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ، ولو شاء لهداكم أجمعين . هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ، إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ، إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون . وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا

وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله، ولعلكم تشكرون. وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم، وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون. وعلامات وبالنجم هم يهتدون».

وبعد أن يعد ذلك كله متتابعا متلاحقا يشد بعضه فى البيان أرز بعض، يعقب عليه مباشرة بقوله: «أفمن يخلق كمن لا يخلق؟ أفلا تذكرون. وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم». فنعلم من ذلك أنه إنما ذكر صفات الخلق، وعدد مظاهر صفات الأنعام، ليقنع الناس بأنه هو الجدير بأن يفرد بالعبودية، وأن المنطق لا يسوى بين من يخلق ومن لا يخلق ومن ينعم ومن لا ينعم.

وهناك آيات أخرى تناولت هذا المعنى على وجه الإجمال حينا، وعلى وجوه من التفصيل أحيانا، مثل قوله تعالى «أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين» «الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون». وهذه الآية الأخيرة هى مطلع سورة الأنعام التى جعلت تخب فى هذا المعنى وتضع من أولها إلى الآية المائة منها. ثم جاءت الآية التالية لهذه المائة بالنتيجة المقصودة.

فبعد أن بينت السورة أن الله هو خالق السموات والأرض وعددت مظاهر قدرته وتصرفه من مثل «خلقكم من طين ثم قضى أجلا»، «وله ما سكن فى الليل والنهار»، «وعنده مفاتح الغيب»، «وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار»، «وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة». «القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض»، «فالق الحب والنوى، يخرج الحى من الميت مخرج الميت من الحى»، «فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا»، «وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها»، «وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة»، «وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه».

بعد أن بينت هذا كله، وتخلله من البيان ما أراد الله أن يتخلله، واستغرق ذلك مائة آية، جاءت الآية الحادية بعد المائة بالنتيجة فقالت «ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه، وهو على كل شىء وكيل».

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

ثورة العالم الإسلامى اليوم

مقال لم ينشر للمغفور له

الأستاذ أحمد أمين

كان العالم الإسلامى إلى عهد قريب يعيش فى عزلة عما حوله ، ولا يدرى عن الغرب شيئا إلا أفراد قلائل ، يتعلمون على أساليبه القديمة ، ويقرءون الكتب القديمة . ويعيشون على التقاليد القديمة ، ويحاربون أيضاً – إن حاربوا – على النمط القديم .

وقد كان الغرب على هذا النمط أيضاً فى القرون الوسطى حتى جاءت الثورة الفرنساوية فقلبت الأوضاع ، وحركت العقول ، وشببت العواطف ، ونادت بعدم احترام القديم ، والتجديد فى كل شىء . وقالت : إن القديم لايقدس لقدمه ، ولا الجديد لجدته ، ولكن يحكم العقل فى القديم والجديد . وامتدت هذه الثورة إلى انجلترا وألمانيا وكل البلاد الغربية المجاورة . وكان من أثرها الانتقاض على الحكومات وعلى كل شىء ، وتأسيس نظم جديدة لكل شىء .

ثم حدثت بعدها ثورة اقتصادية ، وثورة صناعية ، كان من أثرها الاختراعات الحديثة فى البخار والكهرباء ، والموجات الهوائية ، وغير ذلك ، فأكسبهم ذلك قدرة هائلة فى الآلات الحربية ، وتفوقوا فيها على الشرق .

كل ذلك جرى والشرق نائم ، لا يعرف حالة الغرب ، وتفوقه عليه ، وقد كان الغرب قبل هذه الثورة كالشرق أو أقل منه ، ولكنها جعلته بعدذلك يصحو ويعلو ويتقوى فى حين أن الشرق ظل نائما ، لا يعرف من العلم إلا القليل ، ولا من الصناعة إلا الصناعة القديمة ولا من الآلات الحربية إلا القديم .

ثم أن كان الغرب محتاجا إلى مواد خامة لا يجدها إلا فى الشرق ، ومحتاجا إلى أسواق جديدة يصرف فيها ما أنتجته الصناعة الحديثة فلم يكن يكفل له حاجاته إلا الشرق وأسواقه فاحتك الغرب به وغزاه ، وقد كان يتهيبه . فلما احتك به وحاربه تبين له ضعفه وأطمعته الضربة الأولى فى الثانية ، والثانية فى الثالثة حتى أصبح الشرق كله عبدا ذليلا للغرب ، يستغله لمصلحته ، ويأخذ منه المواد التى يريدها ، ويمنعه من مسابقته حيث يريد . فإن أبى ضربه ضربة شديدة يؤدبه بها ، حتى استذله ، ولكن ما لبث أن تبين أن هذه النقمة فى الظاهر كانت نعمة على الشرق فى الباطن ، فقد أخذ الشرق ينشىء المدارس على النمط الغربى ، ويعلم العلوم الغربية ويرسل

أهله بعثات للغرب ، يستمدون منه أهم ما عنده حتى السياسة وأساليبها . ثم يعودوا بعد أن يستكملوا دروسهم ، فيكونوا منارا للشرقيين.

وكذلك اقتبس الشرق بعض صناعات الغرب ، وبعض أفانينه ، كالصحافة والراديو والتمثيل وما إلى ذلك . وكل هذه الأمور كانت تنبه الوعى القومى وتنيره ، وزاد على ذلك أن المرأة أيضاً تنبهت على يد قاسم أمين وغيره ، ممن تعلموا فى الغرب ، واقتبسوا آراءهم فى المرأة منه ، فتقدمت المرأة وقدمت أولادها ، فكل هذه الأمور أعدت الشرق للثورة .

وكانت البلاد الإسلامية كلها تقتبس من الغرب ، كل قطر حسب استعداده وظروفه وحسب منهج زعمائه . فتركيا مثلا على يد مصطفى كمال تريد أن تنقل المدنية الغربية بحذافيرها إلى بلادها ، فتختار قانونا غربيا لتطبقه عليها ، وتختار الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية ، وتلغى المعاهد الدينية ، وتلبس الشعب البرنيطة بدل الطربوش حتى لو استطاعت أن تأخذ المسيحية بدل الإسلام لفعلت ، ومصر تقتبس من المدنية الغربية بحذر ، تأخذ منها ما تريد ، وتدع ما تريد ، ولا تريد أن تترك القديم كله ، ولا أن تأخذ الجديد كله ، فما وافق الإسلام قبلته ، وما خالفه تركته ـ غالبا ـ والبلاد الأخرى التى تجاور مصر تقلدها . وإيران والحجاز واليمن كان اقتباسها من المدنية الغربية أقل من مصر وتركيا ، ثم كان أن انتشرت المدنية الغربية فى كل مرافق الحياة .

وبعد : فماذا يريد العالم الإسلامى من ثورته ؟ يريد وقد تنبه أن يصد الغرب عن جشعه ، وأن يستقل كما استقلوا ، وأن يرعى مصالحه كما يرعون مصالحهم ، وأن تكون غلته لنفسه ، لا للغرب ، وأن يكون حكمه بنفسه ، لا بالغرب . والغرب وقد ذاق لذة الاستغلال والاستعمار والسيطرة يأبى على الشرق ذلك ، فكان الصدام فى كل مكان شرقى ، فى مصر ، فى سوريا فى تركيا ، فى العراق ، لأن النوازع مختلفة والمطالب مختلفة .

وقد كان الشرق قديما يمنى بالوعود فيستجيب ، ويضحك عليه فيرضى ، ويستغفل فيغفل ؛ أما اليوم وقد تنبه وعيه ، فقد أدرك حيل الغربيين ودسائسهم ، وأدرك ألاعيب السياسة ومقاصدها ، فلم ينخدع اليوم كما كان ينخدع من قبل ، وطالب بحريته كاملة غير منقوصة ، وأصبح الاستعمار عسيرا بعد أن كان يسيراً ، وأصبح الأدب والجرائد اليومية والتمثيل والراديو تغذى المشاعر القومية ، حتى إن انجلترا فى هذه الأيام[1] تريد حلا مزوقا ، لا يرضى عنه المصريون ، ولما زار رئيس فرنسا مراكش والجزائر ، قابله جمع

---

[1] : يوم كتب هذا المقال كانت مصر لا تزال تدور فى حلقه المفاوضات البريطانية المفرغة ، ولم تكن قد طلعت شمس النهضة الاستقلالية الحديثة عليها ، ولا على كثير من شقيقاتها العربيات بعد ـ المجلة .

من القواد المغربيين وطالبوا أن يكون التعليم بلغة قومهم ، وثار المغاربة فى العهد الأخير ، يريدون الاستقلال ، ولم يعودوا يطيقون المذلة ، ودعوة الإسلام نفسها تلهب قلوب المسلمين ، ليسترجعوا ما فقد من بلادهم ، ويستقلوا عمن يحكمهم من غير دينهم .

ويظهر أن هذا الصراع سيطول ؛ لأن العقلية الأوربية لا تريد أن تتغير عما عهدته من قبل ، ولا تريد أن تساير الحركة الإسلامية وقد تطورت .

ويظهر أن الزمن سيكون فى صالح المسلمين لأن عوامل إثارة الشعوب من جرائد وكتب ومقالات وخطب تلهب شعورهم مع الزمان . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تلهبهم الحركات الشيوعية التى تعمل عملها فى رفض الاستعمار ومحاربته . فالزمن كفيل بأن الاستعمار يعرض عليهم فيما بعد ما لا يقبلونه وقد كانوا يقبلونه اليوم .

وأيضاً فإن علم المسلمين سيزداد ، وصناعتهم ستتحسن ، وشعورهم القومى سيلتهب بفضل أخطاء الاستعمار ، وبفضل انتشار التعاليم التى تدعو إلى الحرية والإنسانية .

هذا إلى أن هناك نزعة جديدة إلى العودة إلى الإسلام وتعاليمه ، ومتى انتشرت هذه الدعوة دحرت دول الاستعمار ؛ لأن من فضل الإسلام أنه يبث فى معتنقيه العزة والشعور بأن دين الإسلام لا يصح أن يحكم بدين غيره . وهذا ما يخشاه المستعمرون ، وخصوصا الفرنسيين فمن أكبر الأسباب التى تخيف فرنسا من تعليم اللغة العربية ، هو أن اللغة العربية وسيلة القرآن ، والقرآن يناهض الحركة الاستعمارية . وقد صرح كبير فرنسى فى إحدى جرائدهم بذلك . وهو حق .

وتختلف أيضا الأقطار الإسلامية بالتزام تعاليم الإسلام ، واصطباغ أهله حكومة وشعبا بصبغته . وربما كان من أوائل الأمم الإسلامية باكستان . فهى تعتز بالإسلام اعتزازا كبيرا ، وتريد أن تنظم حكومتها ومشاريعها على أساس إسلامى . ولها كل الحق فى ذلك . غاية الأمر أنه يلزمها المرونة فى التشريع حسب مقتضيات الحال والزمان ، كما يلزمها أن تقتبس من العلوم الغربية ما استطاعت فتكون مشاعرها وآدابها إسلامية ، وتكون علومها غربية . ولا ضرر فى ذلك ، بل فيه كل النفع . والإسلام نفسه يدعو إلى ذلك . وأسس الدين لا تتغير . ولكن أسس العلم تتغير كل يوم ، حتى إن علم أفلاطون وأرسطو لا يصلح لتلاميذ مدارسنا اليوم ، بل إن الطبعة الأولى من كتاب علمى لم تعد تصلح بعد ظهور الطبعة الثانية منقحة مهذبة . والله المسئول أن يلهم قادة الغربيين الصواب ، فيفهموا أن السياسة القديمة لا يصلح تطبيقها على العهد الجديد ، ويعصم المسلمين من الزلل فيسيروا على خطة حكيمة حتى فى ثورتهم ليصلوا إلى غايتهم ؟ .

أحمد أمين

نفحات القرآن

مسئولية المرء عن إضلال نفسه

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

> سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق

هناك صرفة وصرف ، أما الصرفة فقول الكفار من قريش : إن القرآن فى ذاته غير معجز بلفظه ولا بمعناه ، ولكن الله صرفنا بقدرته عن الإتيان بمثله .

ومع أن هذا تطاول منهم وإنكار بغير حق ففيه اعتراف ضمن بجلال القرآن وسموه عن مدارك البشر ولكنهم لا يفقهون .

وليس هذا موضوعنا الذى نتجه إليه .

١ — بل موضوعنا صرف الله لبعض الناس عن آياته ، فلا يتدبرونها على الوجه الحق .

وهذا شطر من آية فى القرآن يثير جدلا بين المرء ونفسه ، ويدفع بالإنسان فى مجال فسيح من التفكير فى تحديد مسلكه أمام دينه وربه ، وربما امتد هذا التفكير من الحيز الفردى إلى الجماعة الكثيرة .

وحينما يضطرب الصدر بهذه الأحاسيس الباطنة ويتخذ الإنسان من عقله رائداً فى الموازنة بين ما هو عليه ، وما ينبغى له ، أو بين ما يوحى به الضمير وما تجنح إليه الميول فالغالب أن يجد للضمير غلبة وللحق سلطانا ، فإذا ما طغت نوازع الهوى ، أو تعثر الضمير فضعف لدى الإنسان سلطان الحق فإن صوت الدين غير خافت ، ودعوة الله موصولة بالأسماع ، وغير محجوبة عن الأبصار وبقية الحواس فى كل ما تشهده العين وسواها من صور الطبيعة وألوانها ، وأعراضها .

وقد عهدنا فى القرآن حرصا على هداية الناس بالحث على النظر فى آياته المتلوة والكونية وعهدنا فيه الاحتكام إلى عقولنا فى تقدير دعوته ولاقتناع بكل آياته وتصديق الرسالة ، والاتجاه إلى الطاعة .

ولكن الموطن الذى نحن فيه الآن إزاء ما معنا من آية الموضوع يواجهنا فى صراحة بأن العبرة بما فى الآيات ليست متاحة لكل إنسان، وأن الله يصرف عنها الإنسان فلا يمكنه أن يفطن إلى شىء من هدايتها.

فكيف يستقر الفهم على الجمع بين الاهتداء بالآيات كما أمر الله، وبين صرف الله عن العبرة بآياته كما صرح به فى قوله تعالى «سأصرف عن آياتى ...».

٢ — وجواب ذلك بديهى مبسوط فى نفس الآية، فأن «تمامها» .. الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق. ومن هذا يتضح أن الصرف عن الآيات وفهمها ليس مفروضا دائما، وإنما هو معاملة بالمثل فالذين يتكبرون عن المطاوعة؛ ويتورطون فى الكبرياء بين الناس ويفرضون لأنفسهم تدخلا فى سلطان الله، وفى تشريعه لعباده، ويفرضون سيادة غاشمة بين خلقه: هؤلاء الذين يحاولون ان يتنصلوا من العبودية ويتفلتوا من دعوة التكليف هم الذين أبعدوا أنفسهم عن ذكر ربهم. وأغفلوا نداء الله لهم، فصرفهم الله عن تدارك أنفسهم، وشغلهم فى لهوهم عن الرجوع إلى آياته، وهؤلاء هم الذين تحدث عنهم القرآن بأنهم «نسوا الله فأنساهم أنفسهم» فالجفوة بادئة من جانب الإنسان والجزاء عدل من جانب الله بصرف العبد ...

وقد يقال: إن العبد رهين بالمشيئة من الله فلو شاء الله هدايته لهداه كما نطق القرآن نفسه بذلك فى كثير من آياته «ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها»، «ولو شاء لهداكم أجمعين .. الآيات».

فكيف تلقى على المرء تبعة ضلاله، وتتجه إليه باللائمة، وهو مغلوب على أمره؟..

٣ — ونحب أن نكرر ونؤكد أن للعبد إرادة فى الاختيار، وهو المذهب العلمى الذى ندركه فى سهولة، ونختار الجنوح إليه، وهو المعقول الذى تتضح به مسئولية العبد عن تبعاته، حيث أراد لنفسه ما أراد.

وهو ما يتمشى مع نسق الكتاب العزيز فى كل ما أتى به فى هذا الشأن «كل امرئ بما كسب رهين»، «كل نفس بما كسبت رهينة»، «بما كسبتم»، «بما كنتم تكسبون»، «ليجزى الذين أساءوا بما عملوا».

وزيادة فى البسط مع الإيجاز نذكر الناس بأن للإنسان علاقة روحية بالله، وعلاقة مادية بالدنيا.

وقد جعل الله من سننه فى تربية عباده أن ينبههم دائما إلى العلاقتين، ليعرف الواحد منا حق الله عليه، ويحاول الوفاء به ما استطاع، وليدرك نصيبه من الدنيا ويتمتع فيها بنصيبه المقسوم له متاعا غير مشوب

بكفران ، ولا غفلة عما وراءها من حساب .

وليس بين العلاقتين تعارض كما يتصور ذلك أفراد منا ، وكما يصوره للناس بعض الواعظين .

فمن الحق أن العلاقتين بالنسبة للإنسان كجناحي الطائر يحتاج إليها معا ، ولا يمكنه أن ينهض بأحدهما نهوضا يعتد به في حياتنا هذه أو فيما بعد هذه الحياة .

فالدنيا مجال العمل ، ومرحلة الاستعداد لحياة خالدة ... والعمل فيها لا يكون إلا بالتزود من خيرها ، ولا يكون بالانقطاع عنها ... وإذا كان القرآن يزهدنا فيها ويفضل لنا متاع الآخرة فذلك للتحذير من غرورها والاستسلام لزينتها ومرحها ، ولإيقاظ وعينا نحو ما هو مغيب عنا في الحياة الثانية وما فيها من ترفه لنا ، ونعيم هو خير وأبقى من نعيمنا الحاضر مهما بلغ .

أما الدنيا في ذاتها فهي متاع ، وفيها نعيم وفيها مظاهر قدرة الله ، وأنواع فضله على عباده ، وفيها فرصة الادخار للنعيم المقيم ، وقد أشاد بها القرآن كثيراً ، وامتن الله على عباده بما خلق لهم فيها من ضروب نعمائه .

٤ — وإذا كان في عباد الله من أخذوا منها بالقليل ، وعاشوا فيها على الرضا ، وحذروها أكثر من سواهم فلأن لهم رسالة تستقل بجهودهم ، وتستأثر بأعمالهم ، وتقتضيهم أن يتفرغوا منها لما هو منوط بهم كالرسل عليهم صلوات الله ، فلم تكن حياتهم لأنفسهم بل كانت للدعوة والإصلاح وتوجيه الأمم إلى ما يراد منها ، فحاجة الرسل إلى الدنيا في المكان الأخير بالنسبة لشأنهم هذا .

على أن من الرسل من جعل الله في قبضته رزقا واسعاً ، وجعل له بجانب هذا الرزق سلطانا مكينا ، وحكما نافذاً حتى على الجن والطير ، فلو كانت الدنيا حقيرة كما زعم زاعمون لما منحها خالقها لأكرم الناس عنده وهم رسله الأخيار من عباده .

٥ — وأما علاقة الإنسان بالله روحياً فتلك ملاك الأمر كله فإن سبحانه هو الأول بلا بداية ، ومنه الخلق والرزق والحياة والموت .

وهو سبحانه الآخر بلا نهاية فإليه المرجع والحساب .

والمرء فيما بين أوله وآخره بين أصابع الرحمن ، وتحت سلطانه ، فكيف تنقطع علاقته بربه ، وكيف ينفك من عقاله هذا وعقاله في يد قوية وفي إرساء متين ؟ .

صلة العبد بالله صلة الفقير جدا بالغني جدا فإن تكن حاجة الفقير داعية إلى الأدب ، والتواضع والاعتراف بالجميل فكذلك حاجة العبد أو أشد بكثير وكثير ،

مع ملاحظة الفارق بين العبودية والربوبية .

٦ — وحينما يتبجح الفقير فى وجه الغنى المحسن إليه يكون الفقير قد أساء إلى نفسه ، وانحاز بها إلى الحرمان من خير كان يغمره عن طريق الإحسان ، فهو شؤم على نفسه واللائمة عليه لا على غيره ...

فأولى بذلك الأدب والتقدير عبد من عباد الله مصنوع بيد الله ، وفقير من كل ناحية إلى الله ! ! ...

على أن الله لم يقطع كل خيره عن عبده المنحرف فهو لا يزال يرزقه ولا يزال يتلطف به فى دنياه ويمنحه الكثير من فضله فى صحته ، وماله ، وولده ، وجاهه .

وهذه معاملة إحسان يفيض من الجانب الأعلى : لا وجوبا لنا ، ولا لزاما عليه ، ولكنه يعاملنا بما يليق به هو من كرم ورحمة كتبها على نفسه ، فهى من كماله وجلاله ومن مقتضى ذاتياته القدسية وصفاته العلوية ، فيكون حتما علينا عقلا أن نخضع ونؤمن ، وأن نفكر ونشكر .

هذا توجيه إلى ناحية اتصال العبد بربه من طريق الدين والدنيا ، ويتبين منه واضحاً أن الدين يلتق مع الدنيا فى أصح التئام . وأكرم تقدير : إلا من ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة وتركه لشيطانه يخرجه من النور إلى الظلمات ، فإن رأى آية من آيات الله فلا يؤمن بها ، وإن ير سبيل الرشد لا يتخذه سبيلا ، وإن ير سبيل الغى يتخذه سبيلا وهؤلاء هم الذين كذبوا بآيات الله ، وكانوا عنها غافلين .

٧ — وإن يكن هذا الذى فى آية الموضوع مسوقا فى جانب الكفار من أهل الكتاب أو المشركين فجانب العبرة فيه موجه إلى الجميع بما فيهم المسلمون ، فإنه لتربية الناس عامة ، وليس لتهذيب فريق دون فريق ، فإن عدل الله سواء فى جزاء كل بما عمل ، وما هناك من عفو أو مزيد فى العطاء فإنما يكون لحكمة يعلمها هو ؛ دون استحقاقنا لذلك إلا مجرد فضل من عنده سبحانه وفى حديث قدسى (... وإنما هى أعمالكم ، أحصيها عليكم ، ثم أوفيها لكم) .

وإن التحاكم إلى العقل فى هذا لكفيل برد الفكر عن شططه فى الأمانى ، وكفيل بتركيز إيماننا وتقديرنا لعدل الله فيما يعامل به عباده من غضب وعذاب بعد أن بين لنا الحجة ودعانا إلى الاهتداء ومحاولة التخلص من حبائل الشيطان بطرح وساوسه والاستعاذة بالله من نزغانه .

هذا ـ وقد يبدر إلى الأذهان أن ضلالة المرء هى كفره ، أو جرائمه الشخصية فى عمله الخاص به .

٨ — ولكن هناك جانبا من الضلال لا

يفطن إليه سوى قليل من الناس ، وهو جانب الإضلال للغير ، فتلك وظيفة الشيطان مع أتباعه ، وسياسة شياطين الإنس مع رفاقهم من أهل الأهواء .

وقديما كانت هذه شائعة بين المستكبرين والمستضعفين من الناس فى الإقبال على الإيمان والصدود عنه .

وللقرآن حملات صادقة عنيفة على تحكم المستكبرين فى المستضعفين ، وعلى متابعة هؤلاء الضعفاء لأولئك فى الكفر والتخلف عن دعوة ربهم .

وللقرآن كذلك تصوير صادق ومزعج لحالة الفريقين وموقف كل من صاحبه يوم يتحاجون عند ربهم ، ويلقى بعضهم تبعة جرمه على الآخر .

ولعل هذا النوع من الضلال والكفر المتبادل بين المتبوع والتابع يكون باقيا فى كثير من الأوساط على الرغم من ذيوع التعليم ، وانطلاق الفكر فى مجال البحث والموازنة والاختيار .

فإن كثيرا من البيئات لا تزال غير آبهة بوضعها الدينى ، ولا مقبلة على تصحيح هذا الوضع ، وإن توافرت حولها وسائل الهداية ، وسهلت عليها مآخذ المعرفة ، فيبقى للتقليد أثره الفعال فى نفوس الناشئين فى بيوت يشيع فيها التحلل ، ولا يوجد فيها توجيه صحيح .

ومن هذا نجد ألوانا من الضلال فى العقيدة ، أو فى المسلك شائعة بيننا فى رجال وسيدات ، وفى شبان وشابات محسوبين من البيئة الإسلامية ، وما هم منها إلا فى الإحصاء والتعداد .

وهل تظن أن رجلا بلغ من العمر ما بلغ فإذا سألته عن الصلاة وهو مسلم — فيما يقول — أو سألته أن يقرأ الفاتحة أو يفرق بين الفرض والنفل فى دينه ، أو سألته عن معنى الحج : وقف من سؤالك موقف العجب فى دهشة ، وموقف الجاهل فى خزى مما فاجأته بسؤالك الغريب على عقله ! .

وهل تظن أن سيدة فى عداد المسلمات تسألها عن ربها فتقول : اسمه محمد ، وتسألها عن محمد فلا تعرف شأنه فى الدنيا ! وهى أم تربى أطفالا ! .

وهذه أمثلة من واقع الحياة فى بيوت تحسبها مسلمة ، ولكن جوها ، وطابعها ، وكل ما يدور فيها من أقوال وأعمال هو اقتباس من الغير ومحاكاة للغير ، وارتياح إلى ما عرفوا عن الغير . وهم بعد ذلك كله فى غير قلق لما هم عليه من ضياع . بل ، ولا فى أدنى تفكير للنظر فيما هم عليه . وحسبهم فى حياتهم أنهم سادرون فى غفلة عما وراء حياتهم هذه ما داموا يمرحون ، ويلعبون ، وما داموا يتمتعون ويأكلون ، وإن كانوا يأكلون كما تأكل الأنعام .

٩ - وهناك نوع من الاضلال أشد خطراً مما ذكرنا من فعل الإنسان للجريمة ، في أو تقصيره الاهتداء ! ! .

هناك أناس يتصدون لدعوة الغير إلى ناحية الدين ، أو هم في دعوتهم غير مبالغين لما جاء في كتاب أو سنة ، بل مبتدعون لشئ جديد من عندياتهم ، وغير معتمدين على قول لله ، أو لرسوله أو على أثر لأصحاب الرسول ، فماذا تنتظر من هؤلاء المعتمدين على أنفسهم في التشريع للأحكام سوى المخالفة المردية في الهلاك ، وسوى البعد بالناس عن دينهم الحق .

المفروض في عالم الدين أنه أمين على ماعرف من حكم الله ، وأنه يؤازر الناس ويحبب إليهم ، الطاعة والحرص على أحكام دينهم . . فإذا أتاح لنفسه أن يجتهد فليعتمد على مالديه من دليل منصوص وليستعن برأى العلماء كما كان الرسول أحيانا يستعين بمشورة أصحابه . .

وكما كان الصحابة من بعده يستعين بعضهم ببعض ، ليتعرفوا مالدى بعضهم من نص ، أو ليتعاونوا في التحرى عن وجه المصلحة فيما هم بسبيله من تعرف الحكم المطلوب ! ! .

فما بالنا وقد ابتدع بعض المعاصرين خطة غريبة في التحليل والتحريم ، وما ذلك التشريع إلا حقاً لله وحده ، واستمداداً من تشريعه واهتداء برسوله فيما وضع لنا ونصح به ؟؟ .

أيكفى أن أقول للناس : هذا ما أراه ، وهذا ما أعتقده : دون أن أكون مستصحباً لسند يبيح لى الابتكار في الأحكام ؟ ؟ فضلا عن بعدى عما شرع الله ، وتركز في أذهان المسلمين ، واستقرت عليه الأوضاع ، وأصبح معلوما من الدين بالضرورة ؟ ؟ .

ليس هذا الابتكار الخطير مجرد غلطة ، أو ضلالة شخصية . وإنما هو إضلال للغير ، وليس في الناس أظلم من افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام .

١٠ - أقول ذلك : وفى النفس لاعج من الأسف لأن رجالا وسيدات أيضا يتصدون لتفسير القرآن في مجلات يقرؤها المسلمون تفسيراً عجيباً جداً والمسلمون يرون في هذه التفسيرات الخاطئة جرأة على الكتاب الحكيم .

ويبرءون إلى الله من الأخذ بهذه التفسيرات حفاظاً على دينهم ، وخوفا من ربهم .

ولو تركنا الناس يفعلون المحرم وهم يعتقدونه محرما لكان خيراً لنا وللناس وللدين من أن نقول لهم : هذا الحرام عند الله حلال في رأينا ، أو نقول لهم إن ماترونه مصلحة لكم يبيح ما حرم عليكم : فبهذا التأويل تستباح الحرمات ، وتهدر النصوص وتلغى القيود وترفع الحدود التي وضعها الله بين حرامه وحلاله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه .

هدانا الله جميعاً وعصمنا من الزلل . ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

تطوير الفقه الإسلامي

للدكتور محمد يوسف موسى

الفقه الإسلامي قابل للتطور بلا ريب ، وله من أصوله ما يجعل هذا التطور أمراً ميسوراً مشروعا بل واجبا ، مثل الإجماع والاستحسان والمصالح المرسلة . ولو لم يكن الأمر كذلك ، لما صح أن نقول بحق : بأن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان.

وذلك بأن الأحكام التشريعية التي جاءت بالكتاب والسنة ، والتي أثرت عن الصحابة والتابعين ، بل التي وصلت إلينا عن الأئمة أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة ، هي أحكام تبين وجه الحق فيما كان في تلك الأزمنة الماضية من مسائل ومشاكل تتطلب بيان حكم الله فيها ؛ على حين أن الحوادث والمسائل التي يجب معرفة أحكامها الشرعية لا تتناهى ، بل هي تتجدد وتزيد دائما في كل عصر وزمان ومكان .

وقد فطن كثير من علماء القانون الغربيين إلى هذه الحقيقة ، وهي قبول الفقه الإسلامي للتطور حسب أصوله ، ونادوا بها في كثير من المؤتمرات التي يعقدونها لأبحاث القانون المقارن ، وكان مما قرروه في بعض هذه المؤتمرات أن الفقه الإسلامي فقه أصيل حي ، وأنه قابل للتطور ومسايرة الحياة الحاضرة .

* * *

هذا ، وإذا كنا ندعو منذ سنوات إلى وجوب العمل الجاد لتطوير الفقه الإسلامي في حدود الكتاب والسنة ، فإن ذلك ليس بدعة منا ، بل إن الذي ندعو جاهدين له هو السير على المنهج الذي سنه لنا الصحابة والتابعون أنفسهم رضي الله عنهم ؛ هؤلاء الفقهاء الأجلاء الذين أدركوا هذه الحقيقة ، وعملوا لها ، وضربوا لنا في سبيلها كثيرا من المثل التي يجب احتذاؤها والاهتداء بها .

وقد ذكرنا في المقال السابق بعض تلك المثل الهادية . ونتقدم اليوم ببعض المثل الأخرى ، وكلها من الفقه الأصيل لسادتنا أصحاب الرسول وتابعيهم بإحسان، وهي هذه:

١ — ضمان الصانع والمودع ونحوهما:

من المعروف عقلا وشرعا أن يد المودع يد أمانة كما يقول الفقهاء ، وأن الأمين على

شيء تحت يده لا يضمن قيمته إذا ضاع أو هلك إلا إذا ثبت تعديه وتفريطه فى حفظه كما ينبغى ؛ فالنساج والخياط والحذاء مثلا لا يضمن أحدهم شيئا مما تحت أيديهم ؛ لأنهم أمناء عليه إلا إذا كان أحدهم قد تعدى وفرط ، فحينئذ يكون عليه الضمان ، وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم : « لا ضمان على مؤتمن »[1] .

هكذا كان العمل والحكم أيام الرسول ، فكان لا يحكم بتضمين الصناع والمودعين والمستعيرين ما فقدوه مما كان أمانة لديهم إذا ادعى الواحد منهم هلاكه دون تفريط أو تقصير منه ، وكانت القاعدة تصديقهم فيما يقولون .

إلا أنه حدث أيام الصحابة والتابعين أن أخذ الزمان ينال من ضمائر بعض الناس ، وبخاصة بعد أن دخل فى الإسلام من لم يأخذوا أنفسهم بما جاء به هذا الدين القيم من تشريعات وتعاليم وأخلاق وآداب . ومن هنا بدأت الخيانة تظهر من البعض ، واستهانوا بالكذب فى معاملاتهم ، فكان لا بد من علاج هذا الحال بما يجعل الأمين على شيء يحرص على حفظه كما ينبغى .

وكان هذا العلاج هو الحكم بتضمينهم ما ضاع منهم أو هلك ، إلا إذا أقاموا البينة الشرعية على أن ذلك لم يكن بتفريط أو تقصير منهم . وكان أول من ذهب إلى هذا الرأى الإمام على رضى الله عنه ، وفى ذلك آثار كثيرة يرويها الإمام البيهقى وغيره ، وهى يقوى بعضها بعضا ، وكلها تدل على تضمين الصناع والأجراء ونحوهم ، ونذكر من هذه الآثار ما يلى :

(ا) ضمن على بن أبى طالب العمال والصياغ ، وقال : لا يصلح الناس إلا ذلك .

(ب) وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن عليا كان يضمن الصياغ والصانع ، وقال : لا يصلح الناس إلا ذاك .

(ج) وعن قتادة أن عليا كان يضمن الأجير ، وروى مثله أيضاً عن الشعبى .

وقد تابع الفقهاء على الأخذ بمذهب الإمام على فى ذلك ، ومنهم القاضى شريح ابن الحارث الكندى فقد جاء عن محمد ابن الحسن الشيبانى أن رجلا أتى شريحاً فقال له : دفع إلى هذا ثوبا فاحترق بيتى فاحترق ثوبه ، قال : ادفع إليه ثوبه (يريد ثمنه أو قيمته) ، قال : أدفع إليه ثوبه وقد احترق بيتى ! قال : أرأيت لو احترق بيته أكنت تدع أجرك[1] .

وأخذ من بعد هذا الإمام الشافعى بمذهب القاضى شريح ، فقد ضمن قصاراً

(١) راجع نيل الأوطار ج ٥ : ٢٩٦ ، والسنن الكبرى للبيهقى ج ٦ : ٢٨٩ — ٢٩٠ .

(١) كتاب الآثار ، ص ١٣٥ .

احترق بيتـه ، فقال له هـذا : أتضمننى وقد احـترق بيتى ! فرد عليه بقوله : أرأيت لو احـــترق بيته أكنت تترك له أجرك(١) !.

ونرى من هذه الآثار والنقول أن الفقهاء استحدثوا أحكاما جديدة فى هذه المسألة ، مسألة تضمين من اؤتمن على شىء أو عـدم تضمينه ، وذلك لتغير الزمن وحدوث حال يتطلب هذه الأحكام ؛ وإن كان فى هـذا تخصيص النص النبوى الذى يقـول بأنه لا ضمان على مؤتمن ، أو ترك الأخذ بظاهره فى كل حال وزمان .

٢ — تقدير الدية نقداً :

وإذا كان المثال السابق يدخـــل فى نطاق القانون المـدنى ، فهذا مثال آخر يدخل فى القانون الجنائى ، وهو أن الرسول صلى الله عليـه وسلم قضى بأن من قتل رجلا خطأ فعليه دية مائة من الإبل ، وإن اختلفت الروايات فى بيان أنواعها ؛ فقد جاء فى إحدى الروايات أن هذه المائة يكون منها ثلاثون بنت مخاض ، وثلاثون بنت لبون ، وثلاثون حقـة ، وعشرة بنات لبون ذكر . وفى رواية أخرى أنها تكون عشرين حقـة ، ومثلها جـــذعة ، ومثلها بنت مخاض ومثلها بنت لبون ، ومثلها بنات مخاض ذكر(١) .

وفى حديث آخر رواه أبو داود فى سننه عن عطاء بن أبى رباح أن الرسول صلى الله عليه وسلم فرض فى الدية على أهل الإبل مائة منها ، وعلى أهل البقر مائتى بقرة ، وعلى أهل الشاء ألفى شاة ، وعلى أهل الحلل مائتى حلة . وفى حديث آخر رواه ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام جعل دية رجل من بنى عدى قتل اثنى عشر ألف درهم(٢) .

وبعد هذين الحديثين الأخيرين ، وهما اللذان روى أحدهما عطاء والثانى ابن عباس واللذان يرى رجال علم الحديث أن فيهما مقالا ، يروى عمر بن شعيب أثراً لا ريب فى صحته يقول فيه : كانت قيمة الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم ، فكان ذلك كذلك حتى استخلف عمر رحمه الله فقام خطيبا فقال :

(١) السنن الكبرى ٦ ، ٦ : ١٢٢ .

(١) الحقة هى التى دخلت فى السنة الرابعة لحق أن يطرقها الفحل ، والجذعة ما دخلت فى الخامسة ، وبنت المخـاض ما دخلت فى الثـانية ، وبنت اللبون ما دخلت فى الثالثة وصارت أمها ذات لبن بوضع حمل آخر .

(٢) هـذه الأحاديث وردت فى باب « الدية » فى كتب الحديث والسنة ، وهى كلها فى سنن أبى داود ٤ : ٢٠٦ — ٢٠٨ . وراجع أيضاً الموطأ للإمام مالك ج ٢ : ١٨١ — ١٨٢ ، والجـامع لأحكام القرآن للجصاص ج ٢ : ٢٨٣ وما بعدها .

« ألا إن الإبل قد غلت » ثم فرضها على أهل الذهب ألف دينار ، وعلى أهل الورق اثنى عشر ألفاً ، وعلى أهل البقر مائتى بقرة وعلى أهل الشاء ألفى شاة ، وعلى أهل الحلل مائتى حلة [١] .

هذه أحاديث وآثار وردت فى مسألة الدية وتقديرها ، فما الذى يستطيع الباحث المحقق أن يأخذه منها ؟ أتكون من الإبل وحدها ، أم منها ومن غيرها من أجناس المال؟ .

إن من الثابت الذى لاريب فيه أن الرسول جعلها من الإبل ، والحديثان اللذان فيهما تقديرها من الإبل وغيرها فيهما عند رجال علم الحديث مقال وعلل كما ذكرنا آنفا ، وهذا ما يجعلنا نرجح أنه لم يثبت بطريق لا شك فيه أن الرسول جعلها من الإبل وغيرها .

بقى بعد هذا ما روى من الأثر الصحيح عن سيدنا عمر بن الخطاب ، وهو أنه قدرها بالذهب على أهله ، وبالفضة على أهلها ، وبالبقر على أهلها وبغير ذلك من أجناس المال التى ذكرناها ، كل على أهله .

وكل ذلك لعلة لم تكن موجودة أيام الرسول استوجبت تغيير التقدير ، وهذا ما يتفق وما جاء فى الأثر الذى رواه عمر بن شعيب إذ يقول بعد أن ذكر ما كان عليه العمل أيام الرسول : فكان كذلك حتى استخلف عمر ، إلى آخر هذا الأثر الصحيح .

ومهما يكن ، فإن عمر لم يخالف فى الحقيقة عن أمر الرسول وسنته ؛ لأن المراد هو تعويض أهل القتيل تعويضا مناسبا ، وهذا التعويض قد يكون بالإبل فى حال ، كما قد يكون بغير الإبل فى أحوال أخرى حسب الزمن وأجناس المال الميسور على القاتل أداء الدية منه . [١]

٣ — حكم التسعير :

الغرض من التجارة هو تبادل السلع والربح منها ، ومن قواعد المعاملات التراضى بين الطرفين على المبيع والثمن ، فلا يجوز إكراه البائع على البيع بثمن محدود لا يرضاه ، ولهذا ورد فى كثير من الأحاديث والآثار أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرض « التسعير » حين طلب ذلك منه .

ومن هذه الأحاديث : ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه من أن رجلا جاء إلى الرسول فقال :

« يا رسول الله سعر لنا ، فقال : « بل

[١] راجع الموطأ ٢ : ١٨٠ وشرحه المنتقى للباجى جـ ٧ : ٦٨ .

[١] راجع فى المسألة من جميع نواحيها ، الروض النضير ٤ : ٢٤٩ — ٢٥١ ، وفيه بيان آراء الشيعة أيضا .

أدعو ، ثم جاء آخر فقال مثل ذلك ، فقال الرسول : « بل الله يخفض ويرفع ، وإنى لأرجو أن ألقى الله وليس لأحد عندى مظلمة » .

وفى حديث آخر رواه أنس بن مالك أن الناس قالوا : يارسول الله غلا السعر فسعر لنا ، فقال الرسول : « إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق ، وإنى لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبنى بمظلمة فى دم أو مال » .

وروى البيهقى أن عمر بن الخطاب أمر بائع زبيب أن يرفع سعره أو يدخله بيته كيف شاء . ثم رجع إليه وقال له : إن الذى قلت ليس بعزمة منى ولا قضاء ، إنما هو شىء أردت به الخير لأهل البلد ، فحيث شئت فبع، وكيف شئت فبع [١].

ويؤخذ من ذلك بصراحة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرض بتسعير المبيعات وتحديد أثمانها ، ولهذا ذهب جمهور العلماء إلى عدم جوازه سواء فى حال الغلاء أو الرخاء ، ومن غير فرق بين السلع المحلية والأخرى المجلوبة إلى البلد .

وقد أبان الإمام الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ . وجهة نظر من ذهب من الفقهاء إلى هذا الرأى إذ يقول : إن الناس مسلطون على أموالهم ، والتسعير حجر عليهم ،والإمام مأمور برعاية مصلحة المسلمين . وليس نظره فى مصلحة المشترى برخص الثمن أولى من نظره فى مصلحة البائع بتوفير الثمن ؛ وإذا تقابل الأمران وجب تمكين الفريقين من الاجتهاد لأنفسهم . وإلزام صاحب السلعة أن يبيع بما لا يرضى مناف لقوله تعالى : (سورة النساء الآية ٢٩) : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .

ولكن وجهة النظر هذه لم تمنع كثيرا من فقهاء التابعين وغيرهم من إجازة التسعير ، وفى هذا يقول أبو الوليد الباجى شارح موطأ مالك حين عرض لما جاء عن أشعب من جواز التسعير : ووجهة ما يجب من النظر فى مصالح العامة ، والمنع من إغلاء السعر عليهم، وليس يجبر الناس على البيع ، وإنما يمنعون بغير السعر الذى يحدده الإمام على حسب ما يرى من المصلحة فيه للبائع والمبتاع ، ولا يمنع البائع ربحا ولا يسوغ له ما يضر بالناس [١].

لنا أن نضيف إلى هذا أن على الإمام رعاية مصالح الأمة جميعا ، ورعاية مصلحة الجماعة

---

(١) يراجع فى هذا وما قبله سنن أبى داود ٣ : ٢٧٠ ، والسنن الكبرى للبيهقى ٦ : ٢٩ ، وسبل السلام ٣ : ٢٥ .

(١) المنتقى ، جـ ٥ : ١٨ .

أولى من رعاية مصلحة الفرد من التجار ، فإن فى ذلك دفعا لضرر أكبر ؛ فإن البائع هو فرد أو أفراد ، والمشترون هم الجماعات .

وبذلك يكون التسعير أحيانا ضرورة لابد منها للأمة ، كما فى أثناء الحروب والأزمات الاقتصادية المختلفة ، وبهـذا تحدد الدولة من تحكم بعض التجار وجشعهم ، وتحقق العدالة والمصلحة العامة للأمة كلها ، وفى هذا الخير كل الخير .

ولهــذا ذهب الإمام مالك إلى جواز التسعير ، كما ذهب إليه بعض فقهاء الشافعية فى حال ارتفاع الأسعار ارتفاعا لا مبرر له ، وكذلك ذهب جماعة من فقهاء الزيدية إلى جوازه فى كثير من السلع [1] .

هذا ، وليس لنا أن نرى فى إجازة التسعير - فى رأى من ذهب إليه من الفقهاء - شيئا من المخالفة عن رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن كل ما جاء عنه أنه لم يأمر به للسبب الذى رآه ، ولعدم الحاجة الماسة إلى التسعير .

فإذا كنا نذهب مذهب فقهاء التابعين ، وغيرهم ممن جاءوا بعدهم ، فى أيامنا هذه ، لم نكن إلا موافقين لما يريد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو النظر إلى المصلحة العامة للجماعة ، هذه المصلحة التى تتطلب تسعير كثير من السلع فى أحوال كثيرة نحسها ونلمسها جميعاً .

٤ — خروج النساء للمساجد :

هذه مشكلة اجتماعية حرية أن تنال الرعاية والبحث فى أيامنا ، هذه الأيام التى اشتد فيها اختلاط النساء بالرجال فى كل موطن ، لا فى المساجد ودور العلم فحسب ، بل فى الطرقات والمتاجر ودور التمثيل والسينما وغــيرها بلا ضرورة أو سبب مشروع .

والإسلام - كما نعلم - حرص على تقدير مساواة المرأة للرجل فى الحقوق العامة فى حدود الكتاب والسنة ، كما حرص أيضا على صيانة المرأة وتوفير الكرامة لها ، وعلى إبعادها عن مواطن الشبهات ، وهذا وذاك نجده فى كثير من آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولذلك نجد فى المسألة التى نحن الآن بصددها هذه الأحاديث والآثار ، ومنها نتبين حكم الإسلام فى ذهاب النساء إلى المساجد للصلاة وهى : [1] .

(١) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وســلم قال

---

(١) راجع نيل الأوطار للإمام الشوكانى ، ج ٥ : ٢٢٠ .

(١) راجع الموطأ ج ١ : ١٥٦ - ١٥٧ ، سنن أبى داود ج ١ : ٢٢١ - ٢٢٢ ، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ٢ : ١٩٥ .

« لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » . وعن بسر ابن سعيد أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إذا شهدت إحداكن صلاة العشاء فلا تمس طيبا » .

(ب) وعن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن المساجد كما منعه نساء بنى إسرائيل » .

(ج) وعن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا تمنعوا نساءكم المساجد ، وبيوتهن خير لهن » .

(د) وعن عبد الله بن مسعود أنه عليه الصلاة والسلام قال: «صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى حجرتها ، وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها » [١] .

من هذه الأحاديث نفهم أولا أن الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بألا تمنع النساء من الذهاب إلى المساجد وإن كان يرى أن صلاة المرأة فى بيتها أفضل من ذهابها للصلاة فى المسجد ، ونفهم ثانياً من الأثر المروى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أن الرسول لو بقى حيا حتى رأى ما أحدث النساء من الطيب والزينة وقلة التستر وتسرع الكثير منهن إلى ما هو منكر كما يذكر الإمام السيوطى فى شرحه لموطأ مالك — لمنعهن من الخروج إلى المساجد .

ومعنى هذا بوضوح أن الحكم الشرعى قد يتغير بتغير الزمن ولو فى فترة قصيرة ، فكيف بنا اليوم بعد أن مضت هذه القرون الطويلة ، وبعد ظهور ضروب كثيرة من الفساد والمنكرات يرجع الجانب الكبير منها إلى الفوضى فى اختلاط النساء بالرجال !

ولهذا نرى فى عصر التابعين أن واقد ابن عبد الله بن عمر ، وقد كان مثل جده الفاروق شجاعة وصراحة فى الحق، يقسم بالله أنه لن يأذن للنساء بالخروج إلى المساجد ، ويتبين ذلك من هذا الأثر :

عن عبد الله بن عمر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « ائذنوا للنساء إلى المساجد بالليل » فقال أمين [١] له : والله لا نأذن لهن فيتخذنه دغلا ، [٢] والله لا نأذن لهن ! فغضب أبوه منه وسبه وقال : أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إئذنوا لهن » وتقول لا نأذن لهن ؟ .

والنتيجة أننا فى هذه المسألة أمام موقفين متعارضين ولكل من صاحبهما وجهة نظر جديرة بالتقدير ؛ موقف عبد الله بن عمر من

(البقية على صفحة ٧١٩)

[١] المخدع مثلثة الميم : البيت الصغير يكون داخل الكبير .

[١] جاء فى كتاب جامع بيان العلم وفضله أن هذا الأمين هو « بلال » ، راجع ١ ج ٢ : ١٩٥ .
[٢] الدغل بفتحتين : الفساد ، جاء فى المختار .

الإسلام والحياة المعاصرة

فى أحاديث الرئيس أيوب خان

للأستاذ محمود الشرقاوى

كان الناس يقرءون مقالنا السابق فى هذه المجلة (١) وهم يستمعون إلى أحاديث مخلصة واعية عن الإسلام وحياة المسلمين المعاصرة. أحاديث وجهها إليهم فى القاهرة وفى المملكة العربية السعودية حاكم من أبرز الحكام المسلمين فى هذا العصر ، وأكثرهم دراية وخبرة ، وأعمقهم ثقافة وأنفذهم فهما لروح الإسلام وشريعته، وأشدهم حرصا على تقويم المعوج من مفاهيم هذه الشريعة . وهو الرئيس محمد أيوب خان ، رئيس جمهورية باكستان . ومنزلة الرئيس أيوب خان وتجاربه وثقافته وإخلاصه كل ذلك يجعل لأحاديثه تلك من القيمة والأثر ما نرجو أن يكون حافزاً ومحركا ودافعا . كما نرجو أن يكون فى هذه الأحاديث القوية المخلصة تنبيه لبعض القوم من رجال الفكر الدينى فى جمهوريتنا العربية المتحدة خاصة . فإن عليهم واجبا وكلته لهم الأقدار وحفظه لهم التاريخ . سنعرفه فى ختام هذا المقال .

(١) الثورة الرابعة ضرورة محتومة : عدد جمادى الآخرة .

يقول الرئيس أيوب خان[1] :

« هناك أمر آخر - يهمكم كما يهمنا : هو أننا نؤمن بأن ديننا دين تقدمى يشجع على استعمال العقل وعلى أن يتقدم مع مرور الزمن، ولكن هل يمكنكم أن تشعروا بذلك إذا ما ألقيتم نظرة على العالم الإسلامى ..؟ هناك تخلف وهناك انخفاض فى حالة التعليم وهناك حالة من الركود . ألا يدفعنا ذلك إلى الاهتمام بالبحث عن أسباب هذه الأخطاء وما الذى يجب إصلاحه . وأنا أعتقد أن واجب كل مسلم أن يبحث عن السبب وعما يجب عمله لإصلاح الحال . وينبغى أن تكون لدينا الشجاعة المعنوية لنشير إلى الخطأ وإلى كيفية إصلاحه . وأنا أعتقد أن مجتمعنا الدينى وزعماءنا الدينيين قد قاموا بخدمات كبيرة فى الاحتفاظ بتقاليد الإسلام وتماسك المجتمع الإسلامى ، ولكن رغم المحاولات الكثيرة هل يمكن القول بأننا نستطيع أن نساير

(١) نصوص أحاديث الرئيس أيوب خان الواردة فى هذا المقال تفضلت بها علينا سفارة باكستان فى القاهرة ، والترجمة للسفارة .

الزمن بمجهوداتهم ؟ وقد تتساءلون لماذا يتحتم علينا أن نساير الزمن ؟ والجواب على ذلك أن القرآن الكريم يحض على مسايرة الزمن . وكل من لا يحسن حاله يفنى . وهذا هو الفرق . فإننا إذا لم نساير الزمن فسيسبقنا الزمن . يجب أن نعترف بأخطائنا وأن نزيلها وإلا فسنعود إلى عهود العبودية وحينئذ سيطول أمد هذه العبودية »[1] وكل مدرك لأحوالنا ، نحن المسلمين ، ولأوضاعنا فى الحياة المعاصرة يشعر بمثل هذا الشعور الذى صوره أيوب خان فأحسن تصويره ، ويؤمن بهذا القول الحكيم وهو أن واجب كل مسلم أن يبحث عن أسباب هذه الأخطاء ، وما الذى يجب عمله لإصلاح الحال ، نعم . هذا هو واجب كل مسلم ، أما رجال الفكر الدينى الفاقهين المخلصين ، فإن واجبهم فى ذلك أن يكونوا قواداً وروداً . لا أن يتابعوا الجماهير فيكتمون كلمة الحق ، ويخشون الجماهرة ، ويؤثرون السلامة .

ويقول الرئيس أيوب خان فى انبساط الحياة المادية التى تسعى إليه باكستان . كما تسعى إليه الجمهورية العربية المتحدة والبلاد الإسلامية الأخرى ، وفى علاقة ذلك بالحياة الدينية ، يقول إن هذا التقدم المادى قد يصحبه خطر داهم ألا وهو الغلو فى المادية والإغراق ، كما حدث فى البلاد الغربية . ولذا فإن الحاجة تدعونا لأن نتبع مثلا عليا أدبية وروحية للحفاظ على التوازن مع القناعة الروحية - وليست هذه المثل العليا سوى الإسلام ، وبعد أن أوضحنا هذا نجد أمامنا واجبا جسيما جدا ألا وهو تحديد تلك المثل العليا تحديدا موضوعيا ، ذلك أنه ما من إنسان مفكر يستطيع أن ينكر أنه بالرغم مما فى الإسلام من قوة تقدمية دافعة فإن المجتمعات الإسلامية قد تخلفت عن ركب العالم اليوم .

فالسؤال إذن هو : إلى من يعزى الخطأ ، هل يعزى إلى الناس أم يعزى إلى الدين ؟

إن هناك فئة ممن يبهرهم بريق النظم العلمانية والدنيوية ، التى تتبع فى البلاد الغربية ، تميل إلى إلقاء اللوم على الدين ، وهذا طبعا نتيجة الجهل ، ولكن سبب هذا الجهل مفهوم . فإن مأساة الشباب العصرى هى أن عليه أن يعيش فى عالم يسير قدما ، ولكنه إذا لزم عقيدته وتمسك بإيمانه وجد أن عليه أن ينظر إلى الوراء ، إذ لم يقم أحد بعد بمحاولة جادة لتلقينه روح الدين بالوجه الذى يفهمه على أضواء المعرفة والعلم الحديث . فبينا تتقلص المسافات بين أجزاء الأرض ويتسع أفق المعرفة ، يزداد عدد أولئك الذين يقعون فى شراك الشك ، فإذا أردنا أن ننقذهم من

[1] من خطبه الرئيس فى حفلة الاتحاد القوى ا...كريه ، فى ٧ نوفمبر ١٩٦٠ .

المروق فعلينا أن ننهض الآن ، وأن نعمل قبل فوات الأوان » [١] .

ثم يتحدث عن روح الدين والطقوس الظاهرية والبدع الدخيلة على الإسلام فيقول:

« إننى أعتقد أن اللوم فيما صرنا إليه إنما يقع علينا نحن لا على الدين ، فإن أكبر خطأ ارتكبناه هو أننا نسينا شيئا: أن الدين إنما خلق للناس لا أن الناس خلقوا للدين [٢] . فكانت النتيجة أننا بدلا من أن نضع الدين فى خدمة الإنسان ، جردناه من حقائق الحياة وأخذنا منه بالبدع ـ وهكذا أطلقنا لأنفسنا العنان حتى أصابنا الجمود . ذلك أننا بتجاهلنا لفروض الإسلام ولأهدافه الاجتماعية سقطنا فى حضيض البدع وعبادة المظاهر والرموز وعندها دخلنا مرحلة من الانحطاط والانحلال تشبه تلك التى أدركت أتباع المذاهب الفلسفية الأخرى التى أصابها الوهن .

إن المرء لا يملك اليوم إلا أن يشعر بأن الفكر الإسلامى إنما يعانى من حال للعبودية تعيس ، والسؤال هو ... كيف نحرر هذا الفكر من قيوده ، وكيف نعطيه الفرصة للازدهار بكل ما فيه من طاقة ؟ الجواب البدهى على ذلك هو أن علينا نحن الذين يقضى ديننا بأن التغير والتبدل من أكبر الدلائل على وجود الله — أقول علينا أن نميز بين طقوس الحياة وطريقة ممارسة الحياة وأن نقر حقيقة أن المبادئ لا تتغير وإنما الذى يتغير على مر الزمن هى الطرق والأساليب ، وأن التغيير ينبغى أن يكون نحو الأحسن ، ولا يكون الخير فى التغيير ما لم تتسن للفكر الحرية التامة للتأمل فى الأمور الأساسية من دون حدود أو قيود .

إن نجاتنا لتتوقف على حل هذه المشكلة فإذا لم تحسم هذه المشكلة بالحكمة فلا بد أننا صائرون إلى الزوال ، » [١] لا سمح الله .

أجل أيها الرئيس أيوب خان : لن يكون خير فى التغيير ما لم تكفل للفكر الحرية التامة للتأمل : وما لم يتسم الفكر الدينى بالإخلاص والشجاعة ، على أساس من هذه الحرية .

لقد حل أصحاب الفكر الدينى فى فترة طويلة من حياة الأمة الإسلامية مشاعل

---

[١] من خطبه الرئيس أيوب خان التى ألقاها فى جدة عند زيارته فى الشهر الماضى للملكة العربية السعودية .

[٢] جاء الإسلام شريعة وعقيدة لخير البشرية عامة وصلاح الحياة الإنسانية : « يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا » الأحزاب ٤٥ ـ ٤٦ « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » سورة الأنفال ٢٤ .

[١] من الخطبة السابقة .

النور والحق والمعرفة ثم كان ما وصفه الرئيس أيوب خان فأحسن الوصف فى قوله :

« ومما يؤسف له أن هذه الشعلة القوية من علوم الإسلام لم تدم طويلا ، وحين جاء علينا وقت انحرفنا فيه عن روح الدين طغت السطحية على الحياة الأصيلة وانتفى وجود العقل والحكمة وحل محلهما التطير وأصبحنا عبيدا للتقاليد، وإن الممالك والتيجان التى فقدها المسلمون فى مراحل التاريخ المختلفة لهى أقل أهمية من ممالك التفكير الحر الواعى التى فقدناها خلال العهود التى ركدت فيها حركة الفكر ، وكانت النتيجة أنه — فى حين كانت الحياة تسير فى طريقها ظلت المعرفة الإسلامية تتخبط فى سيرها ، وبدلا من أن يصبح الإسلام الحياة الدافقة الحية ، كما هو مقدر له ، أصبح الإسلام أمر عبادة مما أدى بمعتنقيه إلى أن يتخلفوا عن ركب الحياة . ومن هذه ندرك أنه لكى نحرر روح الدين من الخزعبلات ومن الركود الذى يحيط به ولكى نجعله دينا تقدميا يتمشى مع العلم والمعرفة الحديثة يجب علينا أن نجعل هذا الهدف من أول ما يجب أن يشتمل عليه نظام التعليم عندنا » [1] .

[1] من خطبة الرئيس أيوب خان فى جامعة القاهرة ٩ نوفبر ١٩٦٠ .

وقد كنت أقرأ هذه الأحاديث المخلصة التى تفضلت علىَّ بها سفارة باكستان فى القاهرة ، وأقرأ معها مقالا كتبه مفكر مسلم آخر من الهند ، هو الأستاذ آصف على أصغر فيضى ، فأجده يقول :

« وأعتقد على العموم ، كما يعتقد كثير من الناس ، أن مفهوم الإسلام الآن لم يعد قوة محركة يهدى الناس إلى الوجهة الصحيحة فى هذه الأيام التى يسودها الهياج والاضطراب. فلابد من تفسير جديد لأصوله ومبادئه » [1]

« إن الإسلام يقول بأن فى الكون نظاما وترتيبا ، وهو يصر أشد الإصرار على الحق والجمال ، وعلى البر والفضيلة . أما فى سبيل العلم والحق ، فلا نجد إلا حضارات قليلة أدت واجبها فى نشر العلم والفلسفة ، بمثل ما أدى الإسلام من خدمات بارزة فى هذا المضمار ، فإلى الاسلام فقط يرجع الفضل فى إبراز حضارة عظيمة إلى خير الوجود ، ومع ذلك نجد « المسلمين فقراء اقتصاديا ، متأخرين علميا ، ومفلسين روحيا » [2] « بعد أن خدم الإسلام الحضارة سبعة قرون ، مال نجمه للأفول ، فاختفت روحها بفعل التعصب والتحزب . أما حيوية الإسلام فقد قوض

[1] ١ ، ٢ مجلة ثقافة الهند التى يصدرها فى بمباى مجلس الهند للروابط الثقافية ، العدد الأول من المجلد العاشر يناير ١٩٦٠ — الصفحات : ٣٥ و ٤٠ و ٤١ مقال عنوانه : تفسير جديد للإسلام .

الاستبداد أركانها ، وجعل عاليها سافلها »[1]

ثم يقول الأستاذ آصف : « فلنتم بتخليص الإسلام الذى هو الروح المشرقة للسعادة والرحمة والإخاء والتسامح والاعتدال ، حتى يكون الإنسان العصرى أسعد وأعز ، بفضل تخلصه من القيود والأغلال [2] .

ومن قبل هذا وذاك زار القاهرة عظيم من كبار المسلمين المفكرين ، ومن الحكام الذين يسيطرون على مصائر بلد إسلامى عظيم ، هو إندونيسيا . فسمعناه يقول وهو يتحدث إلى علماء الأزهر وطلابه : « . . . وبتعاليم الإسلام الصحيحة تدرج المسلمون إلى ذروة العز والشرف ، وبتمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله وما أتى به السلف أصبحت الأمة الإسلامية ذات مكانة مرموقة فى هذا العالم . وشهد التاريخ فى كل عصر من عصوره ما للأمة الإسلامية من مكانة مرموقة فى دول الشرق والغرب . والآن ـ وبعد مرور ألف سنة وما ينوف على ثلثمائة عام ـ يجد المسلمون أنفسهم سائرين فى عصر من أحلك عصور الإسلام ، ملىء بالعظات والدروس القيمة » .

* * *

هذه ثلاثة أحاديث التقى فيها على رأى واحد ثلاثة من عظماء المفكرين المسلمين ، فى بلاد إسلامية عظيمة يشغلون فيها مراكز التوجيه والحكم والقيادة والزعامة . وهى تمثل الفكر الدينى المستنير فى الدول الإسلامية الكبرى فى الشرق الأقصى . ومن قبل ذلك سمعنا ، من هذه البلاد نفسها ، أصواتا مماثلة من زعماء آخرين مصلحين ، مثل السيد أمير على وإقبال وأحمد خان ومحمد على الهندى . وكانت هذه الأصوات تلتقى وتتجاوب مع أصوات مصلحين آخرين فى بلادنا الإسلامية العربية ، مثل جمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبده ، والشيخ المراغى .

فهل لرجال الفكر الدينى عندنا أن يصغوا إلى تلك الأصوات المخلصة ويتدبروها ؟ بل هل لهم أن يتلقفوا نداءها وأن يسارعوا لاستجابتها والعمل بدعوتها ... ؟ .

* * *

إن على رجال الفكر الدينى فى الجمهورية العربية المتحدة واجباً حمّله إياهم الرئيس أيوب خان حين يقول : « إن جهودنا وحدها فى هذا السبيل ليست كافية ، ونحن فى هذا السبيل نتطلع إلى المعونة والهداية من القاهرة ودمشق ، وهما المركزان الإسلاميان للعلم والحديث ، ونحن نريد أن نتعاون فى سبيل تحقيق أهداف الإسلام الحقيقية دون

[٢،١] المصدر السابق السيد أدهم خالد نائب رئيس الوزراء ورئيس حزب نهضة العلماء بإندونيسيا . من الخطاب الذى ألقاه فى حفل تكريمه بقاعة المحاضرات بالجامع الأزهر ص ١٧ .

أن يؤثر ذلك على سياستنا القومية وعلى التزاماتنا الدولية . »[1]

هذه الأمانة التى حملها الرئيس أيوب خان لعلماء القاهرة ودمشق كانت أمانتهم على التاريخ ، وكانت واجباً مقدساً وكلته لهم الأقدار ، كما قلنا أول هذا المقال . فنحن نعرف من تاريخنا الفقهى أن العلماء تتبعوا حديث الرسول الكريم الذى يجعل على رأس كل مائة من السنين من يجدد لهذه الأمة دينها [2]، وأنهم وضعوا فى ذلك المنظومات والكتب و « الجرائد » التى تذكر هؤلاء المجددين من العلماء بأسمائهم وتورخ لهم . وقد سجل المؤرخون أسماء هؤلاء المجددين على رأس كل قرن على الوضع الآتى :

« من المائة الأولى إلى القرن الثالث عشر :

عمر بن عبد العزيز ، ثم الإمام الشافعى ، ثم ابن سريج العراقى أو أبو الحسن الأشعرى ، ثم الباقلانى أو الإسفراييني ، ثم الغزالى ، فالفخر الرازى ، فابن دقيق العيد ، فالبلقينى ، فالسيوطى ، فالرملى ، فعبد الله ابن سالم البصرى ، فالدردير ، فالشرقاوى .

ونحن نجد - كما لاحظ القدماء أنفسهم - أن أكثر هذه الأسماء مصرى . وأن الكثرة الغالبة من هؤلاء المجددين ممن أنجبتهم مصر وآوتهم وعلمتهم . فهم ثلاثة عشر مجدداً فى ثلاثة عشر قرناً ، بينهم ثمانية مصريون ، هم : عمر بن عبد العزيز الذى نشأ فى مصر ، والشافعى الذى آوى إلى مصر آخر عمره ، ومات فيها بعد أن وضع مذهبه الجديد ، وابن دقيق العيد القشيرى المنفلوطى ، والبلقينى الذى ينسب إلى « بلقينة » بالقرب من المحلة الكبرى ، والسيوطى ، والرملى المنسوب إلى « رملة » فى « منية العطار » ، والدردير العدوى القاهرى ، والشرقاوى »[1] .

هذه أمانة العلماء من رجال الفكر الدينى ، أمانة الفاقهين المخلصين منهم على التاريخ ، وهى أمانتهم وواجبهم فى حياة المسلمين المعاصرة ؟

محمود الشرقاوى

سكرتير التحرير

(١) من خطابه فى جامعة القاهرة .

(٢) الحديث الشريف : إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها .

(١) ص : ١٣٠ - ١٣١ من كتابنا : « تقويم الفكر الدينى وصلته بالقومية العربية . انظر أيضاً فصل : « الاجتهاد مبدأ مقرر فى الشريعة » من هذا الكتاب .

النحو والمنطق

للدكتور تمام حسان

تختلط الدراسات اللغوية القديمة إلى حد كبير جداً بالنظريات المنطقية والميتافيزيقية ولقد اعتبر كتاب اللغة من الإغريق الجملة حكما منطقيا واعتبروا طرق الإسناد النحوى من قبل الوضع والحمل فى المنطق وإن من يقرأ ما كتبه أرسطو فى التحليلات الأولى والثانية والعبارة والجدل والمقولات ليجده مليئا بالنظريات التى تخلط بين التفكير اللغوى والفلسفى . خذ مثلا من كلامه فى مقولة الكم (١) : « ويقال نفس الشىء عن الكلام . فمن الواضح أن الكلام ذو كمية ، لأنه يقال بالمقاطع الطوال والقصار . وأقصد بذلك الكلام المنطوق » . ويقول فى الفصل العاشر من المقولات : « إن الأزواج المتقابلة التى تنضوى تحت مقولة الإضافة تتضح بنسبة كل منها إلى الآخر ، وهذه النسبة تدل عليها علامة الإضافة أو أى حرف آخر » . ويقول أيضا : « والكلمات التى تقع فى العبارات المتقابلة من جهة الإثبات والنفى تقع بوضوح فى نطاق قسم آخر متميز لأنه من الضرورى فى هذه الحالة ـ وهذه الحالة فحسب ـ أن يكون أحد المتقابلين صحيحا والآخر خطأ » . ويقول : « والكلمات التى تقع فى عبارات متقابلة يقع بعضها فى نفس الوقت عكسا للبعض الآخر ، وتختص الكلمات بهذا أكثر مما تختص به أية مجموعة من الأمور المتقابلة » .

ويعرف أرسطو الاسم بأنه اللفظ الذى لايدخل الزمن فى مدلوله ولا يدل جزء منه مستقلا عن الأجزاء الأخرى (١) » . وهو يقول إن الاسم لايوصف بالصدق أو الكذب إلا إذا أسند ، ويضرب لذلك مثلا بكلمة « وعل » فهى لاتوصف بأى الصفتين إلا إذا أضيف إليها فعل .

وواضح أن الصدق والكذب لايدخل فى نطاق الدراسات اللغوية وإنما هو فى الدراسات المنطقية وصف لحكم وفى الدراسات الأخلاقية وصف لسلوك . أما اللغوى فإنه يحلل العبارة الكاذبة منطقيا وأخلاقيا

---

(1) The works of aristatle translateq into English, Categorae, ch. 6.

(1) Interpretation, ch. 2.

كما يحلل العبارة الصادقة . وإذا سمع النحوى قول الشاعر :

يزيد جمال وجهك كل يوم
ولى جسد يذوب ويضمحل

فلن يفكر فيه منطقيا ولا خلقيا ولن يعنيه أن يكون الشاعر صادقا أو كاذبا فيما ذهب إليه وورط نفسه فى ادعائه ، وإنما يعنيه منه أن يحلل التركيب اللغوى لا أكثر ولا أقل . فإذا عرفنا أن أرسطو يعرف الجملة بأنها : « الكلام المفيد الذى لبعض أجزائه معان مستقلة باعتبارها ألفاظا لا باعتبارها أحكاما إيجابية » (1) أدركنا أن الجملة فى نظره حكم منطقى إيجابى وأنه فى دراسته للغة يدرس القضايا لا الجمل . فالدراسات الإغريقية على سعتها وعمقها لم تخلق للدراسات اللغوية والنحو من بينها منهجها الخاص وإنما استعانت على دراسة اللغة بمجموعة من المناهج أهمها منهج المنطق .

ولم يكن هذا منافيا لصالح اللغة فحسب ، وإنما كان قيداً يكبل المنطق أيضا ، لأن المنطق سلوك فكرى والفكر عالمى ولكن اللغة محلية ، وكان من نتيجة ذلك أن أحس المناطقة على مر الزمن أن استخدام اللغة فى التعبير عن قضايا المنطق يخلق هوة بين المنطق فى لغة والمنطق فى لغة أخرى ، وذلك ينافى طبيعة الأشياء . ومن ثم عدلوا عن التعبير باللغة عن قضايا المنطق إلى التعبير عنها بالرموز والرياضة .

ولقد أخذ السريان من النحو الإغريقى كثيراً من مصطلحاته وتعريفاته وطرق تقسيمه ثم تأثر النحو العربى فى نشأته بنحو السريان وتأثر إبان حركة الترجمة العباسية وما بعدها بالمنطق بطريق مباشر . فما مظاهر هذا التأثر وما نواحيه؟ .

يبدو أثر المنطق الإغريقى فى النحو العربى من نواح ثلاث :

١ — المقولات .
٢ — القياس .
٣ — التعليل .

وحين نقول بتأثر النحو العربى بهذه النواحى لا ندعى أن النحاة العرب قد اجتمعوا على الصورة التى يقررها ابن جنى فى كلامه فى أصل اللغة « وذلك أن يجتمع حكيم أو حكيمان . . . إلخ » ، ولا على الصورة التى صورها جان جاك روسو فى كلامه عن الـ Contrat social فيما بعد ، أقول: إننى لا أدعى أنهم اجتمعوا على هذه الصورة وقالوا : دعنا ندخل فى النحو أفكاراً منطقية معينة . لا ، بل هم انقادوا على غير عمد منهم إلى هذا الطريق بترديد أفكار السابقين حينا وبالخضوع للجو الثقافى حينا آخر وهو جو

(1) Interpretatione, ch. 4,

لم يجعل المنطق فيصلا فى النحو ، فقط وإنما جعله حكما فى كثير من الدراسات الإسلامية وأهمها التوحيد والفقه .

ويعلم القارئ أن المقولات عشر هى : الجوهر والكم والكيف والزمان والمكان والإضافة والوضع والملك والفاعلية والقابلية (أو كما تسميها المتون العربية : أن يفعل وأن ينفعل) . ويعلم القارئ أيضا أن هذه المقولات عليا الأجناس ، أى أن الأجناس فيما عداها أخص منها وتندرج تحتها ولا يعلو على هذه المقولات جنس واحد منها . ثم هى كذلك أسس تفهم الأشياء مبنية عليها ، فللشىء جوهر وكم وكيف وهو فى زمان ومكان ، ويفهم بالإضافة إلى شىء آخر ، ويدرك فى وضع معين ، وقد يكون مالكا أو مملوكا وفاعلا أو قابلا .

نظر النحاة إلى اللغة نظرتهم إلى الأشياء والمحسوسات فجعلوا للكلمة جوهراً ورأوا أن جوهر الكلمة لا يتغير إلا بإعلال أو إبدال . فالجوهر فى قال « قول » وفى فعل الأمر من وفى « أوف » وفى كلمة نهى « نهى » بثلاث فتحات وفى قاض « قاضى » إلخ . ولم يعن النحاة بجوهر الكلمة وحسب وإنما انساقوا أيضا إلى التفكير فى جوهر الجملة فاخترعوا فكرة تقدير ألفاظ غير موجودة فيها . والتقدير بلية فلسفية منطقية ابتلى بها النحو العربى ولا يزال يبتلى .

وأما الكم فواضح أن النحاة والقراء ربما عرفوا أن المدة duration التى يستغرقها نطق صوت من الأصوات لا تتناسب طرداً ولا عكساً مع كميته quantity ومع هذا أصروا على خلق وحدات طولية فكرية فى دراسة الأصوات والحروف العربية . فالحرف المشدد بحرفين وإن قصرت مدة نطقه عن مدة الحرف المفرد فى بعض المواضع ، والحركات أبعاض الحروف كما يقول ابن جنى فى سر صناعة الإعراب ، فالفتحة فى نظرهم نصف الألف حتى إذا قصرت مدة نطق الألف كما فى ألف منى من قولك «منى النفس» حيث يسلك نطق النون الأولى إلى النون الثانية بعد ألف قصيرة جداً بل أقصر من الفتحة فى بعض مواضعها فى النطق . والتفكير المنطقى هنا واضح جداً ولا سيما إذا عرفنا أن بعض التجارب الآلية التى قمت بها على لهجة عدن قد برهنت إلى درجة تعزز ملاحظتى الخاصة على أن الصوت المفرد الأخير الساكن فى النطق أطول من نظيره المشدد فى الوسط من جهة المدة وإن كان أقصر من جهة الكم .

ويتضح خطر هذا التفكير فى الصرف بصفة خاصة حيث تقوم الكمية فى الحروف بدور الفروق بين معانى الكلمات كالتفريق بين الفعلين « عبد » و « عبدا » ، وكذلك « ضرب » و « ضربا » ، ثم « قتل » بالإفراد و « قتّل »

بالتشديد ولست بذلك أريد أن أهجن الاعتماد على الكم فى التفريق بين العناصر اللغوية وإنما أريد أن أنبه إلى الصلة بين مقولة الكم وبين التفكير اللغوى فى تطبيق النحاة والقراء القدماء .

وأما التأثر بمقولة الكيف فهو فى نسبة كيفيات استعدادية لبعض الأفعال الثلاثية وبعض الأسماء وفى تسمية بعض الحروف . فمن أنواع الأفعال الثلاثية الأجوف والناقص وهناك المؤنث المقصور كحبلى والألف اللينة . وتتضح هذه المقولة كذلك فى نسبة كيفيات كمية إلى بعض الكلمات كالمفرد والمثنى والجمع .

وأما تطبيق مقولة الزمان على دراسة اللغة بلا تفريق بين « الزمان » الفلسفى و « الزمن » النحوى فواضح فى تقسيم الفعل وتعريفه دون نظر إلى استعمالاته ، فالفعل إما ماض أو مضارع أو أمر . والماضى مادل على حدث مضى قبل زمن التكلم ويدل المضارع على الحال أو الاستقبال أو الاستمرار التجددى إلخ . ويضطر النحاة إلى الاعتذار بعد هذا كلما خذلهم الاستعمال اللغوى . فهم يعتذرون عن الفعل المضارع الدال على المضى عند اقترانه بلم فيقولون : إن لم حرف قلب وقد جاء المضى منها ، ويعتذرون عن تعبير مثل « إن تكن عاد قد بادت فما بادت خلالها » ، لأن هلاك عاد مضى والفعل فى أول الجملة مضارع . وعن قوله تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح » بأن إذا ظرف لما يستقبل من الزمان والزمن فيها لا فى الفعل . والمعروف أن الزمن أحد معنى الفعل وأن الأدوات والأسماء لا تغنى عن الفعل فى تحمل الزمن . فعذرهم غير مقبول فى ذلك . ولو قد فصلوا فى فكرهم بين الزمن النحوى والزمان الفلسفى فجعلوا الأول مفهوم صيغة والثانى شبيه حركة كما يقول ابن سينا لكان ذلك أولى بهم . ومعنى أن يكون الزمن مفهوم صيغة أن يدل الماضى بصيغته على المضى النحوى لا على المضى الفلسفى .

ويبدو التفكير فى مقولة المكان مسئولا بالتضامن مع مقولة الكيف عن تقدير الحركات على أواخر الكلمات . ففى قوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى » كسرة مقدرة على الألف الأخيرة منع من ظهورها تعذر اجتماع النطق بالألف مع النطق بالكسرة فى وقت معا . وفى قوله تعالى : « فانتظر يوم يدعو الداعى » ضمتان مقدرتان : إحداهما على واو يدعو والثانية على ياء الداعى . وهذه المقولة أيضا مسئولة عن فكرتى الإعلال والإبدال فالإعلال تغيير شكل فى مكان ، والإبدال وضع شىء فى مكان شىء . ومما يتصل بمقولة المكان أيضا القول بحفظ الرتبة حتى إن الاسم المرفوع لو تقدم على الفعل لم يعد فاعلا وإنما يصبح مبتدأ .

ثم هناك مقولة الإضافة ، وقد فهم النحاة كل فعل بالإضافة إلى فاعله فإذا لم يكن للفعل فاعل مذكور فى الجملة فلا أقل من أن يقدره النحاة تقديراً ليكون تفكيرهم متمشيا مع منطق المقولات . وهذه المقولة أيضا تصبغ التفكير فى الإمالة إذ أن الممال ممال بالإضافة إلى لفظ آخر ألفه صريحة مع قطع النظر عن أن كلا منهما أصل فى لهجته التى تنطقه ولو درسنا اللهجة المميلة بمفردها ما احتجنا إلى التفكير فى هذا الباب « باب الإمالة » على الإطلاق .

وأما الخضوع فى التفكير لمقولة الوضع فمثاله أن الجملة برغم عدم إمكان ظهور حركة إعرابية عليها جعل لها وضع إعرابى معين ، فقد تكون الجملة فى محل نصب مقول القول أو صفة لمنصوب وقد تكون فى محل جزم جوابا لشرط وقد تكون فى محل رفع خبرا ، وقد تكون فى محل جر صفة أو مضافة إلى ظرف وهلم جرا .

وهل يستطيع أحد أن ينكر أن مقولة الملك واضحة الأثر فى نظرة الصرف والإملاء إلى الحركات ؟ فالمحل الأول للحرف الصحيح وإنما تأتى الحركة لتكون وصفا من أوصاف الحرف الصحيح على طريقة الوصف بالكيفيات الاستعدادية ، فالحرف إما مجرور أو منصوب أو مرفوع أو مجزوم ولا شك أن الحركة بهذه الصورة ملك يمين للحرف الصحيح . وإن كل لغات العالم الأخرى لتكتب الحروف والحركات جنباً إلى جنب فى روح من المساواة بين الطائفتين ، ولكن اللغة العربية قد جعلت من حركاتها فى الخط علامات إضافية وفى النحو علامات إعرابية فهى علامات لا حروف فى الحالتين .

والمقولتان الأخيرتان (الفاعلية والقابلية) مسئولتان إلى حد كبير عن القول بالعامل فى النحو . فإذا كان الشىء إما فاعلا وإما قابلا فلماذا لا تكون الكلمات كذلك ؟ ولم لا يكون بعض الكلمات عاملا فى بعضها الآخر ؟ ولم لا يعمل بعض المعانى فى الكلمات ؟ ولقد شاع القول فى نقد نظرية العامل فى أيامنا هذه والحجج على ضعف القول بها أكثر من أن تأتى فى ثنايا مقال واحد خصص لموضوع غير العامل .

نرجو عند هذا الحد أن نكون قد بينا للقارىء مدى تأثر النحاة بالمقولات العشر فى تفكيرهم اللغوى ونود بعد ذلك أن نعرض لنوع آخر من تأثرهم بالمنطق وبما كتبه النحاة من الإغريق والسريان من قبلهم وتأثروا فيه بالمنطق .

والمعلوم أن مناهج الدراسات العلمية تقوم الآن على الاستقراء واستخراج ما بين المفردات من جهات الشركة ليكون المستخرج هو القاعدة .

فأما المنطق القياسى فإنه يوجد القاعدة أولا ثم يفرضها على المفردات ولو أبت طبيعة الأشياء. فإذا قلنا فرضا: إن كل منفرج الفم بادى الأسنان فهو ضاحك، فهذه القضية تجعل الأسد الفاغرفاه ضاحكا برغم قول الشاعر:

إذا رأيت نيوب الليث بارزة
فلا تظنن أن الليث يبتسم

ومع أن الرواة قد ضربوا الأمثلة للنحاة بسفرهم إلى الصحراء لجمع مادتهم ومع أن شيئا من الاستقراء قد تم فعلا فى ظروف غير علمية جعلته فى الكثير من حالاته معيبا، لم يستطع النحاة العرب أن يتخلصوا من قبضة المنطق السحرية فاستخدموا القياس على توسع فكان هذا القياس فى أخف صوره ضرراً سببا فى وجود الكثير من التركيبات المعقدة التى لم يتكلمها العرب، وكان وجود هذه التركيبات نتيجة للقول بأن ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ومن أمثلة هذه التراكيب:

زيد عمرو ضاربه هو.
الزيدان العمران ضارباهما هما.
الزيدون العمرون ضاربوهم هم.

ولا يمكننا مهما عمدنا إلى الاختصار أن نشرح آثار القياس على اختلافها فى حدود مقالة واحدة.

أما العلل فقد جعلها أرسطو أربعا هى: المادية والفاعلة والصورية والغائية. والذى يهمنا منها هنا هما الأخيرتان. فإن العلم ليتخذ علله الآن من نوع العلل الصورية فيهتم بكيفيات الأشياء. ولا يستخدم العلل الغائية إذ لا يتجه إلى ذكر غايات الأشياء والغرض من وجودها. فإذا نظرنا فى العلل النحوية وجدنا الكثرة الغالبة منها يتجه إلى الأغراض والغايات فهم يسألون ويعللون سبب الرفع فى الفاعل وسبب البناء فى الأسماء والأفعال فيشرحون الغايات، وحقهم أن يقتصروا على كيفية رفع الفاعل فيكون الجواب بأنه يرفع بالضمة فى حالة الإفراد والألف فى حالة التثنية والواو فى حالة الجمع وهلم جرا. ويقررون بعد ذلك كيفية البناء فى الأسماء والأفعال بأنها على الفتح فى هذه الصورة، وعلى الضم فى الصورة الأخرى، وعلى الكسر فى الثالثة، دون دخول فى الغايات والأغراض.

هذه صورة مختصرة لتأثر النحاة بنواحى المنطق الثلاث - المقولات والقياس والتعليل - وفى كل ناحية منها تفصيل لايتسع له هذا المقام.

دكتور تمام حسان
أستاذ مساعد بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

إنصاف عالم أزهري

التجديد في العروض

للأستاذ على العماري

في عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٠ من مجلة الأزهر، مقال عنوانه (المصطلحات العروضية) للدكتور عبد الله درويش. تحدث فيه الكاتب عن المصطلحات العروضية، وإمكان تعديل بعضها، إذا نظر في الأساس الذى استنبط منه الخليل بحوره، وهو الدوائر العروضية، وذكر أن هذه الدوائر انتظمت جميع بحور الشعر، ورتبت الأوتاد والأسباب ترتيباً معيناً، وأنه - أى الكاتب - حاول أن يتبين ما إذا كان هذا الترتيب على أساس منطق معين، ولكنه لم يصل إلى نتيجة. ثم عاب نظام الدوائر بأنه أدى إلى الأمور الآتية:

١ — النص على بعض البحور مجزوءة فقط، كالهزج والمضارع والمقتضب والمجتث.

٢ — كتابة بعض التفاعيل المتشابهة في النطق بصور مختلفة، مثل: مستفعلن ومستفع لن وكذلك فاعلاتن، وفاع لاتن.

٣ — بعض البحور لم تستعمل أعاريضه أو أضربه على الصورة الأساسية في الدائرة مثل الوافر والسريع.

٤ — ويتبع ذلك كثرة مصطلحات الزحافات والعلل.

والكاتب يرى فصل العلاقة بين الدوائر وبحور الشعر ليتوصل إلى اختصار بعض المصطلحات، وإذا فعل ذلك توصل إلى النتائج الآتية:

١ — الاستغناء عن التفعيلتين ذواتى الوتد المفروق، وهما مستفع لن. فاع لاتن اكتفاء بالتفعيلتين مستفعلن وفاعلاتن.

٢ — يمكن الاستغناء عن ذكر مصطلح العلة في العروض أو الضرب في البحور التى لم ترد أعاريضها أو أضربها صحيحة.

ثم قال الدكتور درويش: وأساسنا هنا هو المنهج الوصفي، وهو ما استعملته المدرسة اللغوية الحديثة في فروع مستويات البحث اللغوى.

٣ — يمكننا ربط الزحاف بالبحر لا بالتفعيلة، ومن أمثلته جعل التذييل، والتسبيغ شيئاً واحداً، وكذلك توحد التسمية بين القصر والقطع.

٤ — إن بحور الهزج أو المجتث أو المضارع أو المقتضب يتكون كل منها من أربع تفعيلات فقط لا كما يقول العروضيون: إن أصل كل منها

ست تفعيلات، بناء على نظام الدوائر . والتخلى عن فكرة الدوائر يجعلنا نقصر اصطلاح (الجزء) على ما استعمل منه أصله التام وأخيراً يقول الكاتب : فهذه خطوط عريضة لبعض الاصطلاحات العروضية التى يمكن تعديلها والتى أوحى بفكرتها تطبيق المنهج الوصفى اللغوى على قواعد علم العروض ، وعلى أساسها وأساس المشروع الذى وضعه أستاذنا الدكتور ابرهيم أنيس يمكن للباحث أن يضع مشروعا آخر شاملا لتفعيلات البحور ولزحافاتها من جهة ، وللمصطلحات العروضية بصفة عامة .

أما مولد المشروع الذى أشار إليه الكاتب والذى جاء مفصلا فى كتاب (موسيقى الشعر) فيتلخص فيما يلى :

أولا : إعادة النظر فى بناء الأوزان الشعرية على ضوء ما روى فعلا من قصائد منسوبة إلى شعراء معروفين ، وتخير أحسن الأوزان وأكثرها شيوعا من بين ما ذكره أهل العروض وترك الأوزان الشاذة النادرة التى تنبو فى الأسماع ، وبذلك يمكن وضع نظام أسهل من النظام الذى وضعه الخليل لبحوره .

ثانياً : إخراج المضارع والمقتضب لأنهما لا وجود لهما فى الأوزان الشعرية كما قرر الأخفش .

ثالثا : وضع المؤلف قواعد مبسطة ميسرة لعشرة من البحور ، فاكتفى بثلاث تفاعيل هى : (١) فعولن (٢) فاعلن (٣) مستفعلن ثم رأى أنه بإضافة مقطع ساكن إلى كل من هذه التفاعيل الثلاث يمكن أن نشتق منها ثلاثا أخرى هى : (١) فعولاتن (٢) فاعلاتن (٣) مستفعلاتن .

وبذلك يتكون ست تفعيلات واضحة الصلة بعضها ببعض ، ثم تبنى الأبحر العشرة من هذه التفاعيل . وقد ذكر هذه الأبحر العشرة وهى ما عدا الكامل ، والوافر ، والهزج ، وقد سبق أنه نفى المضارع والمقتضب ولكنه بقى بحر وهو المتدارك ، والمؤلف قد أهمله كما أهمله الخليل ، كأنه ليس بحرا من بحور الشعر .

رابعا : ألحق الهزج بمجزوء الوافر وجعل وزنه (فعولاتن + فعولاتن) أما تفعيلة الكامل (متفاعلن) فتصير فى غالب الأحيان (مستفعلن) وتفعيلة الوافر مفاعلتن تجد أنها تصير فى غالب الأحيان (مفاعلتن) ، بسكون اللام ، وهـــذه هى نفس التفعيلة (فعولاتن) .

هذا ما ذكره الكاتب ، وما جاء فى كتاب موسيقى الشعر ، وقد حرصت فى التلخيص - طبعا - على رءوس المسائل .

وواضح من عبارة الكاتب أنه يعزو الفضل

فى صنيعه إلى وحى المنهج الوصفى ، وإلى أستاذه الدكتور أنيس .

ونحن نبارك كل خطوة فيها تيسير لعلم من العلوم ، ولا سيما علم كعلم العروض يضيق به الدارسون من الأساتذة والطلاب وهذا الذى ذكره الكاتب ، والذى ذكره أستاذه ، فيه كثير من التيسير ، وفيه كثير من التجديد ، لكننى كنت أحب للكاتب ولأستاذه أن يعزوا الفضل فى كل هذا إلى صاحبه ، فذلك هو واجب العلماء ، وربما لا يكون غريبا عند الدارسين المتعمقين فى دراسة العروض ، وإن كان يعد غريبا عند غيرهم ، أن كل هذا الذى جاء فى مقال الكاتب ، والذى جاء فى (مولد مشروع) سبق به عالم أزهرى ، ونشره فى كتاب يقرؤه الناس ، وكان إلى عهد قريب يدرس فى كلية اللغة العربية ، ذلك العالم الجليل هو أستاذنا المرحوم الشيخ عبد الفتاح بدوى وكتابه هو (العروض والقوافى) .

فقد وردت كل هذه الآراء التى جاءت فى مقال الدكتور درويش فى كتاب العروض والقوافى وجاءت بعض الآراء التى فى كتاب (موسيقى الشعر) فى كتاب الشيخ بدوى أيضا .

وقبل أن أبرهن على صدق هذا القول أحب أن أقول : إن كتاب العروض والقوافى نشر فى سنة ١٩٣٧ م وكتاب موسيقى الشعر نشر بعد ذلك بأكثر من ست سنوات ، والمؤلف لم يكتب تاريخ نشره على غلاف الكتاب ، ولكننى وجدت أنه يجعل من مراجعه العدد (٥٤٣) من مجلة الرسالة ، وهذا العدد ظهر فى أواخر سنة ١٩٤٣ م . أما الدكتور درويش فأعتقد أنه كان لا يزال تلميذا فى المرحلة الثانوية يوم نشر الشيخ بدوى كتابه .

ثم أعود إلى القصد . نقد الشيخ عبد الفتاح بدوى الدوائر أكثر من مرة فى كتابه . وبين الأخطاء التى ترتبت على التقيد بها ، والمنافع التى نجنيها من وراء طرحها ، قال ، بعد أن تحدث عن بحر المديد وأنه ليس إلا بحر الرمل ، وأن العروضيين قالوا إن أصله (فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن) وأنه مجزوء وجوبا . قال : أفلم يرد ولا بيت واحد من شعر العرب الذين يحتج بهم على هذا الأصل الذى زعمتم ؟ قالوا : لا . أثم لا يجوز أن نقول إن هذا المديد يؤلف شطره من ثلاثة أجزاء كما هو فى الواقع والشعر الموجود ، وإن هذا الواقع هو الأصل ، مادام لا وجود لسواه ؟ قالوا : لا . ولئن سألتهم ماذا يدلكم على هذا الأصل وعلى وجوب أن يكون مجزوءا فسيقولون (الدائرة) وليس شىء غير الدائرة ، فماذا عسى أن تكون الدائرة ؟ على الظالمين دائرة السوء ، ولهم عذاب أليم ـ قالوا : دائرة

العروض فاسمع حديثها ... وبعد أن يتحدث عن الدائرة ويرسمها على شكل مربع ويبين كيف تستخرج منها البحور يقول : إننا نقبل أن تكون هذه الدوائر التى تقدمت لك أحداهن وسيتبعها الأخريات وسيلة من وسائل الإيضاح أو الاستذكار فى علم العروض ، لا أزيد من هذا ، أما فى القيمة التى جعلوا لها ، وفى الأهمية التى يتسنى عليها أحكام فلا نقبل ما دامت لنا عقول [1] .

ثم عاد فى ص ١٧٩ إلى نقد الدائرة فقال : ولقد رأيت أن هذه الدوائر ، واعتبارها أساسا علميا تبنى عليه مسائل علم العروض هو الذى أوقع المتقدمين فى كل ما وقعوا فيه من الأخطاء الكبار ، وجر إلى ما رأيت من الخلل والفساد ، فهو قد جرهم إلى اعتبار أن الوتد المفروق قد دخل بعض التفاعيل ولم يدخل البعض الآخر حتى ولو اتفقا فى الصورة كما فى مستفعلن التى فى الرجز والبسيط ومستفع لن التى فى المجتث ، مع أن الوتد المفروق مناف لأن يكون مقطعا موسيقيا أو هو على الأقل لا تدعو إليه ضرورة علمية فلماذا نخلقه فى علم العروض ؟ وجرهم هذا إلى قسر العقول وإلزامها بأمور لا وجود لها كما اتضح غير مرة فى اعتبار بعض البحور مجزوءا وجوبا ، فلا نحن وجدنا شيئا من الشعر يشهد بوجود هذا الجزء المحذوف وظهوره فى عالم الوجود ولو مرة واحدة فى بيت من الشعر أو فى شطر بيت ، ولا نحن نستطيع أن نضع بيتاً تماما من هذه الأبحر المجزوءة وجوبا ثم نقرعليه ويقال إننا صنعنا شيئاً عربيا غير منكور ، وجرهم هذا إلى الإكثار من المصطلحات التى تضيق بها الصدور ، ولا سيما إذا كانت حقيقتها واحدة ومظهرها واحدا كما ترى فى القطع ، فهو مرة يسمى بهذا الاسم ، ومرة يسمى الخرم ، وأخرى يسمى التشعيث وطورا يسمى الخزم وهى كلها تحويل الوتد المجموع إلى صورة سبب خفيف .

هذا بعض ما قاله الشيخ فى نقد الدوائر ، وقد كان أمينا فى العلم ـ فذكر أن بعض المتقدمين أنكر الدوائر ... وإن كان قال : وهذا النقد ـ على كل حال ـ غير ما نقول به نحن الآن ، وإن كان يوافقه فى بعض الأمور .

وقد مر بنا قول الدكتور درويش أنه يرى أن يكون التسبيغ والتذييل شيئا واحدا وكذلك يرى توحيد التسمية بين القصر والقطع ، أما الأول فقد ورد فى كتاب الشيخ ص ١٠٩ حيث يقول : التسبيغ زيادة حرف ساكن على ما آخره سبب خفيف ، وقد مر بك فى المتدارك أن تفعليته (فاعلن) قد يزاد

---

(١) ص ١١٥ وما بعدها

عليها حرف ساكن ، وأنهم سموا ذلك (التذييل) ولست واجدا فرقا بين كل منهما إلا بأن أحدهما فى تفعيلة آخرها وتد ، والثانى فى تفعيلة آخرها سبب ، وما كان أخلق مثل هذا ألا يكون سببا فى إفراد كل منهما باسم خاص حتى لا تضيق مذاهب الناس بكثرة هذه المصطلحات من غير جدوى .

وأما الثانى فقد ورد فى الكتاب فى صفحة (٤٦) حيث يقول : وبعد ، فإنك إذا رجعت إلى (القطع) الذى تقدم فى بحر المتدارك وجدت الخلف الذى هنا فى القصر هو الخلف الذى حصل هناك ...

كان ينبغى أن يكون الاسم واحدا تقليلا للاصطلاحات التى كثرت بدون حاجة ولا فائدة ولا يترتب على الفرق بينهما - كما عملوا - إلا أن يسمى ما حصل فى الوتد (علة) وما حصل فى السبب (زحافا) وقد علمت أنه لا قيمة لتلك التسمية ما دامت النتيجة المترتبة عليها وهى لزوم العلة وعدم لزوم الزحاف مطعونا فيها ... إلخ .

هذا . وقد وحد الشيخ بين ألقاب أخرى فى المصطلحات العروضية ، ولا أدرى إذا كان الدكتور درويش تعرض لها فى كتابه لأنى لم أقرأ هذا الكتاب بعد . ولكن الذى أؤكده أن كل ما ورد فى مقال الدكتور

سواء كان تقعيدا أو تعليلا موجود فى كتاب

العروض والقوافى .

أما مشروع الدكتور أنيس ، وبعض ما ورد فى كتابه ، فبعضه مأخوذ نصا من كلام الشيخ ، وبعضه ناظر إليه . كان اتجاه الشيخ بدوى أن يرجع الأبحر كلها إلى بحر واحد ، هو البحر الذى أهمله الخليل بحر (المتدارك) . وقد وزن جميع البحور بأعاريضها وأضربها المختلفة على هذا البحر بعد أن وضع ألقابا قليلة ، وبعد أن انتهى من هذا العرض قال (قد استعضنا ببحر واحد عن ستة عشر بحرا ، واستعضنا بتفعيلة واحدة هى فاعلن عن عشر تفعيلات واستعضنا عن أكثر من أربعين مصطلحا بستة مصطلحات ، وهذا كثير حين وفقنا إليه ، نحمد وأحمد الله عليه . وأكثر منه أنك لن تجد عروضا ولا ضربا من تلك الأعاريض الكثيرة ، والأضرب المملة التى ذكروها لتلك البحور ، وقد مرت بك بحرا بحرا ، وعروضا وعروضا ، فإن وجدت فيها - ولن تجد - ضربا أو عروضا مما قالوا ، فدلنى عليه ، وألغ جميع ما قدمت إليك فى هذا الكتاب وإن لم تجد - ولن تجد - مما قالوه شيئا - فأعنا على نشر هذه الطريقة الحنيفة الميسرة ، ابتغاء وجه الله تعالى ، والدار الآخرة ، وتحريرا للعقول فى زمن الحريات وتمحيصا لمسائل العلوم ، والله لا يضيع أجر المصلحين

وقد كانت طريقة الشيخ فى الاعتماد على تفعيلة المتدارك أن يلحق بها أسبابا وأوتادا قبلية وبعدية ، أو يحولها إلى فاعلن ،

ويضيف إليها كذلك أسبابا وأوتادا ، وبذلك تسنى له أن يزن كل الأعاريض والأضرب ، والدكتور أنيس فعل هذا حين أراد أن يستغنى ببعض التفاعيل ، فقد رأى أن يضاف إلى فعولن مثلا مقطع ساكن قصير (فعولاتن) . وهكذا .وهو إنما ينظر فى ذلك إلى صنيع المرحوم الشيخ عبد الفتاح .

وأخرى . رد الدكتور أنيس بحر المديد إلى بحر الرمل ، حيث يقول فى ص ٩٤ : (وفى الحق أن هذا البحر يستحق دراسة خاصة فى ضوء بحر الرمل ، فربما أمكن نسبة ما نظم منه إلى بحر الرمل) وهذا نفسه ما قاله الشيخ بدوى فى كتابه ص ١١٥ حيث يقول : (ولا دليل لهم - يريد العروضيين - على مغايرة هذا البحر - المديد - لبحر الرمل إلا أن فاعلن التى فى الوسط يلتزم أنها ترد هكذا فى الشعر ملتزمة على فاعلن ، وهذا استدلال فى منتهى الوهى والضآلة) .

ورد الدكتور أنيس بحر الهزج إلى الوافر ، حيث يقول ص ١٠٦ : (فالهزج وثيق الصلة بمجزوء الوافر . ويظهر أن الهزج تطور لمجزوء الوافر) وهذا هو ما قاله الشيخ بدوى فى ص ١٣٩ حيث يقول : (فليس ثمة شىء اسمه الهزج ، وإنما هو بعض أضرب الوافر ، فهى كلها من مجزوء الوافر المعصوب) .

وهكذا نجد روحا من كتاب الشيخ (العروض والقوافى) فى كتاب الدكتور (موسيقى الشعر) وقد كنا نحب أن يعترف الدكتور بهذا الفضل ، حتى ولو بإشارة فى الكتاب إلى المراجع التى اعتبر منها كتاب (أهدى سبيل) لمؤلفه الأستاذ محمود مصطفى ، ونحن نستبعد أن يكون الدكتور لم يطلع على هذا الكتاب لأنه كان يدرس فى كلية اللغة العربية ، والمفروض أن يبحث كل من يريد أن يؤلف فى مثل هذا العلم عن الكتب التى ظهرت فيه ، والكتاب بعد مطبوع متداول .

بقى أمر ، وهو أنى كثيراً ما جهدت أن أحمل نفسى على أن تعتقد ، أن ما جاء فى كلام الدكتور درويش ، وكتاب الدكتور أنيس هو من باب توافق الخواطر ، ولكن كنت أخفق فى كل مرة ، لأن أبياتا لشوقى كانت تثب إلى ذهنى :

فقد يسطى على بيت
وقد يُسرق بيتان
ولا ينتحل الإنسا
ن أبياتا لإنسان

وأحب ألا يفهم أحد أنى أردت انتقاص الدكتورين الفاضلين ، وإنما أردت إنصاف شيخى ، والإشادة بفضله على كل مجدد فى العروض ، ولو كان الشيخ حيا ما تحرك هذا القلم ، ولكن الشيخ قد انتقل إلى رحمة الله فى سنة ١٩٤٨ م فكان لزاما علىّ وأنا أحد تلاميذه الكثيرين أن أدفع عن آرائه وأفكاره ، وأن أعزو الفضل لصاحبه ، والحق أحق أن يتبع ؟

على العمارى

من روائع الفكر الروحي

أخلاق السكون وأخلاق الحركة

عند الفيلسوف الفرنسي برجسون

للأستاذ محمد فتحي عثمان

« الحكمة ضالة المؤمن أنى
وجدها فهو أحق بها » .

يرى برجسون إذن أن الإلزام في الانفعال الخلاق هو : « ... قوة تطلع أو وثبة . بل هو قوة هذه الوثبة نفسها التي أوجدت النوع الإنساني وأوجدت الحياة الاجتماعية ، وأوجدت مجموعة من العادات تشبه الغريزة بعض الشبه ولكن الحافز هنا يتدخل تدخلا مباشراً فلا يتخذ وسيطا تلك الآليات التي عبأ لولبها ووقف عندها مؤقتا » ...

فما هي النتائج التي تتمخض عن الانفعال في واقع المجتمع الإنساني ؟ ؟ .

وما هي مزية الانفعال الأصيل الخلاق عن غيره ؟ ؟ .

« إن الغريزة الاجتماعية التي وجدناها في أعماق الواجب الاجتماعي - والغريزة ثابتة بعض الشيء - إنما تستهدف أبدا مجتمعا مغلقا مهما يكن المجتمع واسعا ... لأن الأمة مهما اتسعت فإن بينها وبين الإنسانية ما بين المحدود واللا محدود ، ما بين المغلق والمفتوح ! .

ويحلو للناس أن يقولوا : إن الفضائل المدنية إنما تتلقنها في الأسرة ، وإذا أحببنا الوطن كنا نتهيأ لمحبة النوع الإنساني ! فالعاطفة - في رأيهم - هي هي نفسها ، وإنما تتسع في تقدم مستمر وتكبر حتى تشمل الإنسانية جمعاء ! ! .

على أن هذه المناقشة مناقشة قبلية ، وهي نتيجة لفهم النفس فهما عقليا محضا . فتراهم إذ يلاحظون أن هذه الجماعات الثلاثة : الأسرة والأمة والإنسانية التي ننتسب إليها تضم عددا متزايدا من الأفراد - يستنتجون من ذلك أن هذا الاتساع المتتالي في موضوع الحب يقابله اتساع تدريجي في الحب نفسه !! .

ومما يقوى هذا الوهم أن اتفق أن كان القسم الأول من هذه الحقيقة مطابقا للوقائع : فالفضائل العائلية مرتبطة بالفضائل المدنية ، وذلك لأن الأسرة والمجتمع - المختلطين في الأصل - ظلا متصلين أحدهما بالآخر اتصالا وثيقا ...

أما المجتمع الذى نعيش فيه ، فإن بينه وبين الإنسانية عامة ما بين المغلق والمفتوح من تضاد ، والفرق بين هذين الشيئين فرق فى النوع لا فى الدرجة فحسب !! .

قارنوا بين عاطفة التعلق بالوطن وعاطفة محبة الإنسانية ... من ذا الذى لا يرى أن الالتئام الاجتماعى يعود فى جله إلى ضرورة دفاع المجتمع عن نفسه ، وأننا إن أحببنا الأفراد الذين نعيش معهم فعلى حساب كافة الأفراد الآخرين ؟؟.

هذه هى الغريزة البدائية الأولى ... وهى لا تزال موجودة إلى الآن ، وإنما اختبأت - لحسن الحظ - تحت مخلفات الحضارة ! غير أننا ما زلنا نحب آباءنا والمواطنين محبة طبيعية مباشرة ، على حين أن محبتنا للإنسانية مكتسبة غير مباشرة !! فترانا نقبل على هذه فى بعض التواء ، فمن طريق الله يأمر الدين بمحبة الإنسان للنوع الإنسانى ، وعن طريق العقل - الذى نشترك فيه جميعا - يثبت الفلاسفة كرامة الإنسان ويبرهنون على حق الجميع فى الاحترام !! .

ونحن فى الحالين لا نصل إلى الإنسانية فى مراحل مارين بالأسرة فالأمة ... بل نتخطاها فى قفزة ونفوقها من غير أن نكون قد اتخذناها غاية !!! .

إن برجسون يشرح المشاعر ويحللها بدقة العالم وعمق الفيلسوف .

وهو بهذا المسلك يغوص فى أعماق النفس الإنسانية فيطلعك على مكامنها ولا يدعك حتى تشعر كأنك - وإن كنت فى عالم الخوافى والمكنونات - تحسس الحقائق وتقبض عليها بين يديك .

لقد كشف الفارق بين المجتمع المغلق فى الأسرة أو الأمة وبين المجتمع الإنسانى المفتوح ، وميّز بين الإحساس الأسرى أو القومى الذى هو فطرى طبيعى لا مكابدة ولا مجاهدة فى اصطناع النفس عليه ، وبين الإحساس الإنسانى الذى يحتاج إلى تعبئة جبارة لقوى الإرادة والعقل ... والروح قبل ذلك جميعا !!! .

وعلى أساس هذه التفرقة وهذا التمييز ، يقدم برجسون تفرقة أخرى فى عالم الأخلاق: « فإذا نحن بددنا الظواهر حتى لمسنا الوقائع ، وأهملنا الثوب المشترك الذى لبسته فى فكر المفاهيم وعالم اللغة الأخلاق بنوعيها - اللذين ذكرناهما - بسبب ما تبادلا من تأثير ، وجدنا على طرفى هذه الأخلاق : الضغط ، والتطلع.

فالنوع الأول : أخلاق تتضمن فكرة مجتمع لا يبغى إلا البقاء ، فحركته الدائرية التى يسوق فيها الأفراد تجرى فى مكانها لا تحيد عنه فتحاكى ثبات الغريزة بوساطة

العادة !! . ولعل الشعور الذى يصاحب تحقيق هذه الواجبات الصرف حين تحقق هو الشعور بنعمى العيش ودعة المجتمع وهو كالشعور الذى يصاحب سير الكائن الحى سيرا طبيعيا سليا ، وهو أشبه باللذة لا بالفرح !!! .

أما أخلاق التطع: فتتضمن شعوراً بالتقدم والانفعال ، والذى يبعث عليها هو الحماسة للمضى قدما ... بل إن التقدم والمضى قدما يتحدان أحدهما بالآخر !! » .

وبرجسون يبقى على التميز بين المجتمع المفتوح المتحرك والمجتمع المغلق الساكن حتى فى عصرنا الأخير : « فمهما تحضرت الإنسانية ومهما تبدل المجتمع فإن الاتجاهات الأساسية للحياة الاجتماعية قد بقيت على ما كانت عليه فى البدء. فترى أن بنية الإنسان الأخلاقية : البنية البيئية الأساسية - إنما خلقت لمجتمعات بسيطة مغلقة . وهذه الميول العضوية لا تبدو لشعورنا فى وضوح على أنها من أقوى العناصر التى يتألف منها الإلزام الأخلاقى » .

والضغط والتطلع يتلاقيان ... ولكن يتمايزان « إن التطلع يميل إلى التصلب فيأخذ شكل الإلزام المحدود ، والإلزام المحدود يكبر ويتسع فيشمل التطلع - فكأنهما إذن على ميعاد !! يلتقيان فى منطقة الفكر حيث تصنع التصورات، ثم يسفر هذا اللقاء عن امتثالات يجمع الكثير منها بين ما هو علة ضغط وما هو موضوع تطلع ، حتى لقد يغيب عن نظرنا الضغط المحض والتطلع المحض اللذان يؤثران فى إرادتنا ، فما نرى غير التصور وقد انصهر فيه الموضوعان المتميزان اللذان كان يتعلق أحدهما بالضغط وثانيهما بالتطلع. فنحسب أن هذا التصور هو الذى يؤثر فينا. وبهذا الخطأ نستطيع أن نعلل إخفاق النظريات الأخلاقية العقلية ، أى بوجه العموم إخفاق معظم النظريات الفلسفية فى الواجب . وليس معنى هذا طبعا أن ليس للفكرة المحضة من تأثير فى إرادتنا ، ولكن هذا التأثير لا يكون ناجعا إلا إذا اتفق له أن يكون وحده فى الميدان ، وإلا فمن الصعب عليه أن يقاوم التأثيرات المعاكسة وإذا ظفر عليها كان تفسير ذلك أن الضغط والتطلع اللذين تنازل كل منهما عن تأثيره الخاص فتمثلا معا فى فكرة ، يعودان الآن فيظهران فى فرديتهما واستقلالها ويبذلان كل ما لها من قوة » .

ويعزز وجهة النظر التى أدلى بها برجسون أن كثيراً من مجتمعات الغرب المعاصرة على حظها من المدنية والتقدم ، لم تصل بعد إلى مستوى الأخلاق الإنسانية فى انفعالها الخلاق الذى تزول معه الحواجز وتتفتح المجتمعات. فالنزعات العنصرية قائمة فى الولايات المتحدة

ضد الزنوج ، وهى نفسها قائمة - إلى حد كبير - فى بريطانيا ولكن فى الأغوار النفسية البعيدة وعليها طلاء من مظاهر التسوية القانونية ، والمجاملات الشكلية ، وقد أقامت ألمانيا مجدها على أهوال حرب ضروس أشعلتها من أجل خرافة سيادة الجنس الآرى ، وأما فرنسا - بلد الإخاء والمساواة - فقد راحت تشن حرب الإبادة فى الجزائر على ملايين العرب أصحاب البلاد من أجل تثبيت أقدام الفرنسيين النازحين للاستغلال ! .

وما أروع برجسون وهو يعلل الانتكاس الذى يصيب مجرى التقدم الإنسانى بقوله : « ولو أن النفس الإنسانية وثبت من الأول ولم تبلغ الآخر لوقفت عند هذا الحد الوسط ولسادتها أخلاق النفس المغلقة ، فلم تبلغ أو تبدع أخلاق النفس المتفتحة ، ولكانت حالتها - وهى حالة النهوض - فى مستوى العقلية (أى ما دون الانفعال الخلاق) ! . إن هناك طريقا واحدا للانتقال من العمل المحصور فى دائرة إلى العمل المطوف فى الفضاء الفسيح ، من التردد إلى الإبداع ، عما هو دون العقل إلى ما هو فوق العقل !! ومن يقف بين الطرفين فهو بالضرورة فى منطقة التأمل والنظر ، لأنه لم يقف عند الأول ، ولا هو بلغ الثانى ، فطبيعى أن يكون آخذا بهذه الفضيلة النصف وهى الانعزال » ! .

* * *

ما أروع برجسون ...

وإلى اللقاء معه فى جانب آخر من بحثه الممتع ، يتحدث فيه عن السبيل إلى تربية أخلاق الحركة وتكوين المجتمع المفتوح .؟

فتحى عثمان

(بقية المنشور على صفحة ٦٩٧)

وجوب الوقوف عند نص الحديث وضرورة التمسك به ، وموقف ابنه ومعه السيدة عائشة رضى الله عنها من وجوب الإيمان أيضا بالنص ، ولكنه مع هذا يرى ضرورة رعاية علة الحكم وحكمته ، ووجوب أن تدور الأحكام مع عللها ومقاصدها وجودا وعدما.

وليس هذا إلا ما نريده من الدعوة لتطوير الفقه الإسلامى ، فإن فيه تحقيق المراد من الشريعة الإسلامية ، وجعلها تساير كل زمان ومكان.

* * *

ونقف اليوم بعدما ذكرناه من المثل الدالة على أن الفقه الإسلامى بدأ يتطور حقا فى أيام الصحابة والتابعين ، وهو التطور الذى نلح فى الدعوة إليه ما دام فى داخل محيط الكتاب والسنة ويتفق مع روح الشريعة ومقاصدها.

وفى الكلمة الآتية - إن شاء الله - وهى ختام البحث نتكلم عن وسائل هذا التطوير التى اشتدت الحاجة إليه فى هذه الأيام التى نعيش فيها ، بعد أن جمدنا على الماضى قرونا طويلة ، ومن الله العون والتوفيق والسداد ؟

دكتور محمد يوسف موسى

النظرية العامة للإثبات فى الحدود

للأستاذ محمد عطية راغب

٢ - الاقرار

للإقرار فى الشريعة الإسلامية شروط ، منها ما يتعلق بالمقر ، ومنها ما يتعلق بالإقرار نفسه .

أولا : الشروط الواجب توافرها فى المقر :

اشترط الفقهاء لصحة إقرار المقر أن يكون : بالغاً ، عاقلا ، ناطقا ، مختارا . ولذا لا يعتدون بإقرار : الصغير الذى لم يبلغ الحلم ، والمجنون ، والمعتوه ، والسكران والأخرس سواء أقر بإشارة أم بكتابة [١] لأنه قد يكون لديه شبهة قوية لا يستطيع إفهامها لغيره فتحرمه من شىء لغيره القدرة على بيانه والنجاة بسببه ، والنائم ، والمكره لأنه يغلب على الظن أن المقر قصد بإقراره دفع ضرر ما خوف به ،فانتفى ظن صدقه وإن كنا نجد بعض المتأخرين قد أفتى بصحة إقرار السارق المكره .

أما إقرار : الأعمى ، والأنثى والعبد [١] ، والذمى ، والمستأمن ، فيعتد به فى الحدود كلها ، لأن البصر ، والذكورة ، والحرية ، ليست بشرط فى الإقرار فى الحدود عند بعض الفقهاء .

ثانياً : الشروط العامة للإقرار :

للإقرار فى الشريعة الإسلامية شروط يجب أن تتوافر فيه ليعتد به . فيجب ألا يكون فيه لبس أو غموض يجعله محتملا للتأويل أو مثيراً للشك ، ذلك لأن الإقرار الذى يحتمل التأويل أو يثير الشك لا يمكن الاعتداد به ومؤاخذة صاحبه وفقا له .

ويجب أن يكون موافقاً للواقع والحقيقة ، فإن خالف فلا يعتد به لتكذيب الواقع له .

كما يجب أن يصدر عند من له ولاية إقامة الحد . ولذا لا اعتداد فى الفقه الإسلامى بالإقرار الصادر عند من لا ولاية له فى ذلك .

---

(١) أما الشافعى ، وابن القاسم ، وأبو ثور ، وابن المنذر ، فيرون أنه لا مانع من الأخذ بإقرار الأخرس المفهومة إشارته وحركاته ــ محمد الحسينى على سويدان . ص ٢٨ .

(١) عند زفر لا يصح إقرار العبد بشىء من أسباب الحدود إلا إذا صدقه المولى ــ بدائع الصنائع ج ٧ ص (٥٠)

ويجب ألا يكون المقر متهما فى إقراره ، للاعتداد بالإقرار الصادر منه .

يشترط أبو حنيفة وأصحابه ، وابن حنبل ، أن يتكرر الإقرار فى جرم الزنى أربع مرات ، وأن يراجع المقر فى كل مرة ، وهم يستندون فى ذلك إلى ما روى أن ما عزا جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأقر بالزنى فأخر النبى صلوات الله عليه إقامة الحد عليه إلى أن يتم الإقرار منه أربع مرات فى أربعة مجالس ، وكان الرسول يطرده حتى يتوارى بحيطان المدينة ، فلو كان الإقرار مرة واحدة كافيا لما تأخر الرسول صلى الله عليه وسلم فى إقامة الحد عليه ، لأن إقامة الحد عند ظهوره واجب وتأخير الواجب لا يظن مطلقا برسول الله .

أما الشافعى ، وأحمد ، والطبرى ، وأكثر المالكية ، وابن المنذر ، فيكتفون بالإقرار مرة واحدة ، ما دامت القرائن تدل على الإصرار ، ولأن الإقرار مظهر وتكرار الإقرار لا يفيد زيادة الظهور بخلاف زيادة العدد فى الشهادة ، وذلك استنادا على ما جاء فى حديث أبى هريرة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : اغد يا أنيس على امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها ، فاعترفت فرجمها ولم يذكر عددا .

وعند أبى حنيفة ، والشافعى ، ومحمد ، يكتفى بصدور الإقرار مرة واحدة ولا حاجة إلى تكراره فى حد السرقة .

أما أحمد بن حنبل ، وزفر ، وأبو يوسف ومالك ، فلا يكتفون بصدوره مرة واحدة وإنما يوجبون تكراره مرتين فى مجلسين مختلفين ، استنادا لما رواه أبو داود عن أبى أمية المخزومى أنه عليه الصلاة والسلام أتى بلص قد اعترف ولم يوجد معه متاع فقال الرسول صلوات الله عليه (ما أخالك سرقت) قال : بلى يارسول الله ، فأعادها عليه مرتين أو ثلاثا .

إلا أننا نرى رأى من أخذ بما ذهب إليه أبو حنيفة أو الشافعى ، ومحمد ، فلعل التكرار من الرسول صلى الله عليه وسلم فى الواقعة السابقة نظرا لعدم وجود المتاع المسروق مع الجانى .

وأغلبية الفقهاء يكتفون فى جرم القذف بصدور الإقرار مرة واحدة إذ لا حاجة عندهم لتكراره ، وإن كان الفقه الشيعى يتطلب تكراره للاعتداد به .

وأبو حنيفة ، ومحمد ، والمالكية ، وجمهور الفقهاء ، يكتفون بصدور الإقرار مرة واحدة ؟ ولا يوجبون تعدد الإقرار فى جرم الشرب ، إلا أن أبا يوسف ، وزفر ، يوجبان تعـــدد الإقرار مرتين للاعتداد به ، لأن الإقرار عندهما كالبينة بجامع

أن كلا طريق للإثبات ، فيجب فيه التعداد اعتبارا بالزنى ، إلا أنه أخذ على هذا الرأى أن قياس الإقرار على البينة قياس مع الفارق؛ وذلك لأن اعتبار التعدد فى الشهادة إنما كان لتقليل التهمة ولا تهمة فى الإقرار ؛ إذ لا يتهم الشخص فى إقراره على نفسه بما يضره ، ولذلك نحن نرى لا حاجة لتكرار الإقرار للأخذ به فى جرم الشرب .

وأجمع الفقهاء كذلك على قبول رجوع المقر عن إقراره وسقوط الحد عنه فى حد الزنى ، والسرقة ، والشرب ؛ ذلك لأن الرجوع عن الإقرار شبهة فى صحة الإقرار ، والحدود تدرأ بالشبهات .

أما فى حد القذف فلا يقبل الرجوع عن الإقرار فيه ؛ ذلك لأن الإقرار تضمن إثبات حق للغير ، وحقوق العباد اللازمة لا تقبل الرجوع عن التزامها ؟

مراجع البحث : المبسوط . ج ٩ ، القاموس المحيط . ج ١ ، الحدود فى الشرائع لفرج محمد السيد عمار ، الفوائد السمية . ج ٢ ، متن ملتقى الأبحر ، شرح الدر المختار ج ١ ، ابن عابدين . ج ٣ ، الهداية . ج ٢ ، فتح القدير . ج ٤ . ط ١٣١٦ هـ ، الأحكام السلطانية ج ٤ ، البحر الرائق شرح كنز الدقائق . ج ٥ . ط ، بدائع الصنائع . ج ٦ و ٧ ، الزيلعى . ج ٢ ، الإقناع . ج ٤ ، المدونة الكبرى . ج ١٦ ، المغنى . ج (١٠) ، بداية المجتهد . ج ٢ ، عبد القادر عودة . التشريع الجنائى الإسلامى . ج ١ . ط ١٩٤٩ ، كشاف القناع على متن الإقناع . ج ٦ ، محمد عبد السلام خضر . رسالة فى الشهادة ، أحمد ابراهيم . المرافعات الشرعية . ط (١٩٢٠) ، محمد الحسين آل كاشف الغطاء . أصل الشيعة وأصولها . ط ٩ . محمد عطية راغب النظرية العامة للإثبات فى التشريع الجنائى العربى المقارن . (١٩٦٠) .

محمد عطية راغب

من الحكم الشعرية

وما المرء إلا الأصغران : لسانه ... ومعقوله ، والجسم خلق مصور

وما الزين فى ثوب تراه ، وإنما ... يزين الفتى مخبوره حين يخبر

فإن طرة راقتك منه فربما ... أمر مذاق العود والعود أخضر

النحو بين التجديد والتقليد

للأستاذ عبد الخالق عضيمة

— ٢ —

كتبت كلمتي السابقة ولم أنظر وقتئذ في غير الكتب التي بين يدي التلاميذ ثم أمدني بعض إخواني المدرسين بالوزارة بكتب ثلاثة هي :

١ — الاتجاهات الحديثة في النحو - مجموعة محاضرات ألقيت في مؤتمر مفتشي اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية .

٢ — تحرير النحو العربي - كتاب اجتمع على صنعه ثمانية من الأساتذة يتصدرهم الأستاذان إبراهيم مصطفى ومحمد أحمد برانق .

٣ — النحو المنهجي - استقل بتأليفه الأستاذ برانق وأصحاب هذه الكتب والمحاضرات هم الذين تحمل أسماءهم كتب شرشر ومشمش والنحو الابتدائي والإعدادي فلا عجب أن كانت تستهدف الدعاية لما أسموه تيسير النحو وحمل المدرسين عليه .

وقد كان للطعن على النحويين نصيب موفور في هذه الكتب لذلك أرى من واجبي أن أتناول بالتعليق بعض ما تضمنته وسأحرص على أمرين .

(١) إفساح المجال أمام نصوص هؤلاء الأساتذة لتعبر عن أفكارهم وليشترك معي القارئ في تقويم هذه الأفكار .

(ب) الإيجاز في التعليق ما وسعني الإيجاز .

١ — الأستاذ برانق حمل حملات ظالمة على النحويين فالنحويون في نظره طغاة وهم مقصرون .

وضرب لنا مثلا لتقصيرهم في باب التعجب فقال في كتابه النحو المنهجي ص ٥٢ :

وأسلوب التعجب لا يعرف النحويون منه إلا الباب التقليدي المتوارث الذي هو باب ما أفعله وأفعل به ويتحدثون عنه ويفيضون فيه ، ويضعون الشروط الكثيرة التي تبيح للمتكلم أن يتعجب أو تحرم عليه ألا يتعجب وتحدد الصورة التي يتعجب بها تعجبا مباشراً أو بالواسطة ولعله أن يكون أجدى من هذا كله على أبنائنا أن نقدم لهم أساليب التعجب الأدبية التي تفيدهم فيما يقرءون أو يكتبون .

ولست أريد أن أهدر صيغة ما أفعله وأفعل به ولكني أريد أن أقدم للمتعلمين إلى جانبها قول الله تعالى: « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم » ، وقول عنترة :

لله در بني عبس لقد نسلوا
من الأكارم ما قد تنسل العرب

وقول المتنبي فى سيف الدولة :

وكيف تعلك الدنيا بشيء
وأنت لعلة الدنيا طبيب

وكيف تنوبك الشكوى بداء
وأنت المستغاث لما ينوب

وقولهم واهالك ولله دره فارسا وهكذا نجد كثيراً من الأمثلة فى الأساليب الأدبية تفيد التعجب ولم يتعرض لها النحاة ودراستها للبادئين أولى .

وشهد الله أن النحويين لم يقصروا كما زعم الأستاذ كبير المفتشين ففى كتاب التوضيح لابن هشام ما يأتى :

هذا باب التعجب

وله عبارات كثيرة نحو « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم » .

سبحان الله، إن المؤمن لا ينجس - لله دره فارسا .

والمبوب له فى النحو اثنتان . .

وزاد الأشمونى على كلام التوضيح - لله أنت، يا جارتا ما أنت جارة ، وقوله واها لسلمى ثم واها واها .

فقد تعرض النحويون لما ذكره الأستاذ وزادوا عليه .

ولو كان كلامهم ذكر فى غير باب التعجب أو ذكر فى كتب أخرى غير التى درسها الأستاذ لالتمسنا له العذر .

فهل نسى الأستاذ هذا الكلام أو تناساه .

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا

٢ - وللأستاذ برانق رأى طريف هدته إليه التجربة .

يرى أن بعض أبواب النحو لا يجوز أن تكون موضع الدرس فى الفصل، لأن دراستها توقع التلاميذ فى الخطأ .

قال فى محاضرته ص ٧٣ : وأول ما وجه نظرى إليها أن التلاميذ فى المدارس الابتدائية كانوا يستعملون الضمائر استعمالا صحيحا قلما تشوبه شائبة من خطأ ، حتى درست لهم الضمير وعرضت عليهم أقسامه وأنواعه ووجوه إعرابه فى جداول منمقة مزوقة وفهموها وأجادوها داخلنى اطمئنان شأن أى مدرس نجح فى درس مع تلاميذه وفى أثناء استعمال الضمائر فى كتاباتهم أو فى كلامهم بعد هذا كانوا يخطئون أخطاء لم يقعوا فيها من قبل .

فآمنت أن هناك موضوعات لا يجوز أن تكون موضع الدرس فى الفصل .

هذه تجربة الأستاذ ولسان التجربة أصدق ، وفى التجارب علم مستأنف .

٣ - والنحو هين فى نظر الأستاذ برانق وهو يتمنى أن يأتى اليوم الذى ينادى فيه بإلغاء النحو وإحراق كتبه .

قال فى محاضرته ص ٧٢ : ونحن لا نرى

من وراء هذا التيسير التهوين من علم النحو وإن كان هينا ولكننا نرى إلى تأليف قلوب التلاميذ ... ولعلى لا أغضبكم إذا قلت لكم: إنى أتمنى على الله اليوم الذى أنادى فيه بإلغاء علم النحو وإحراق كتبه .

ورحم الله البحترى: فقد قيل له يوما: إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبى تمام فقال والله ما ينفعنى هذا القول ولا يضر أبا تمام والله ما أكلت الخبز إلا به .

٤ ـ أشرف الدكتور عبد العزيز القوصى على مؤتمر مفتشى اللغة العربية ، وقد افتتح هذا المؤتمر بكلمة ذكر فيها أنه غير متخصص فى اللغة العربية ومتخصص فى علم النفس وحصل فيه على درجة، ثم رمى النحو بالتكلف والتعسف وأنه لا يجارى منطق الطفل .

قال فى محاضرته ص ١٦ : سألتنى بنتى مرة قائلة ذاكرَ فعل ماض أو مضارع أو أمر فقلت لها: إنه ماض قالت: لو قلت إذا ذاكرت أخذت الجائزة كيف يكون ذاكر فعلا ماضيا مع أن المذاكرة لم تحدث للآن؟ ولا أنكر أننى استطعت أن أقنعها بمنطق النحو الذى أعرفه ، ولكننى حين أرجع إلى نفسى أجد أن هناك فرقا كبيرا بين منطق النحو وفيه تعسف وتكلف ومنطق الطفل ، وفيه سهولة وصدق .

* * *

ذكر النحويون أن أدوات الشرط تخلص معنى الماضى للاستقبال كما أن لم الجازمة تخلص معنى المضارع للمضى فمن حقهم علينا ألا نوجه لهم لوما، لأنهم لم يغفلوا الحديث عن مثل هذه المواضع وإذا كان كلامهم يشوبه تكلف وتعسف فما هو الكلام الذى لا تكلف فيه ويحسن ذكره فى مثل هذا المقام .

هـذا ما كنا نريد سماعه من الدكتور القوصى أو من غيره .

* * *

وذكر الدكتور القوصى حكاية أخرى لها فى نفسه ذكريات عزيزة قال ص ١٣ : كنت طالبا فى مدرسة المعلمين وكنت أهتم بدراسة التاريخ الطبيعى فوجدت حجرا فى الصحراء فحملته فرحا به مسرورا ، ورآه والدى فسألنى .. فتقبل الأمر باعتباره مسألة تهم ابنه وترضيه ، فلا مانع من احترامها والمحافظة عليها بهذا الاعتبار ، ورأته زوجة أبى فوضعته إلى جوار الباب حتى يظل مفتوحا فكان الحجر فى نظرها أداة تسند الباب .. واستغله بعض إخوتى مثقلة للأوراق حتى لا تطير فى الهواء ، ثم سافرت إلى انجلترا وهناك كنت أذكر تلك القطعة من الحجر وأسأل عنها .

* * *

قد يكون لمثل هذه الحكاية صلة بعلم النفس

أما أن يكون لها أدنى علاقة أو ارتباط بتيسير النحو فهذا ما أعجزنى بيانه .

٥ - يرى الأستاذ ابراهيم مصطفى فى إحياء النحو ص ١٤٢ : أن الاسم الواقع بعد لا النافية للجنس ليس بمستحدث عنه وحقه من الحركات الفتحة والذى عوّض الأمر على النحاة ما قرروه من أن كل جملة يجب أن تشمل مبتدأ وخبرا أو فعلا وفاعلا ولم يعرفوا الجملة الناقصة .

كما يرى أن الجار والمجرور والظرف فى نحو قوله تعالى : « إنهم لا أيمان لهم - لا ظلم اليوم » - ليس خبرا للا - ولست أدرى ماذا يصنع الأستاذ فيما جاء عن العرب من التصريح بخبر لا مرفوعا كما فى الحديث الشريف الذى رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من قوله عليه السلام : (لا أحد أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا شىء أحب إليه المدح من الله ، ولذلك مدح نفسه) . وفى قول الشاعرة :

لا أحد أذل من جديس

وفى قول أبى قيس :

ونعلم أن الله لا شىء غيره
ونعلم أن الله أفضل هاديا

الروض الأنف ٢ / ٢٣ .

* * *

وفى كتاب سيبويه ١/٣٥٦ وتقول: لا رجل أفضل منك إذا جعلته خبرا، وكذلك لا أحد خير منك ، قال الشاعر

وردّ جازرهم حرفا مصرمة
ولا كريم من الولدان مصبوح

* * *

وفى حديثهم عن لا النافية للجنس فى كتابهم تحرير النحو اكتفوا بقولهم ص ١٢٤ : المسند إليه بعد لا النافية للجنس منصوب غير منون إذا أفردت ، أما إذا تكررت فلك فى المسند إليه بعدها أن تنصبه غير منون أو ترفعه منونا مثل : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فلم يقسموا اسم لا إلى مفرد ومضاف وشبيه بالمضاف .

ثم جاء الأستاذ برانق بعد ذلك وقال فى كتابه ص ٩٤ :إن تقسيم اسم لا إلى مفرد ومضاف وشبه فيه بلبلة وتعسير على التلاميذ.

* * *

وماذا نصنع فى أمثلة الشبيه بالمضاف وهى منصوبة منونة بعد لا، أغفل الأساتذة حديثها وتوجيهها .

وفى حديثهم عن المنادى فى تحرير النحو ص ١٨٩ قسموه إلى هذه الأقسام :

(ا) إذا كان المنادى مضافا نصب نحو يا عبد الله

(ب) إذا كان المنادى علما غير مضاف رفع ومنع التنوين نحو : يا آدم اسكن أنت وزوجك - يا نوح اهبط بسلام منا .

(ج) فيما عدا ما تقدم إذا نون المنادى نصب وإذا منع التنوين رفع .

وقولهم إذا نون المنادى نصب وإذا منع التنوين رفع جمع إلى الإيجاز الإبهام نحن فى حاجة إلى معرفة متى ينون المنادى ومتى لا ينون فنصب المنادى أو رفعه إنما يكون بعد معرفة حال المنادى ومن أى الأقسام هو .

ومثل هذا الإيجاز المخل إنما يقبل فى لغة المتون التى رأى أصحابها أن يحملوا ألفاظها فوق ما تحتمل ، أما أن يلق به فى وجه الطالب الإعدادى فهذا تعجيز له .

وهل يكفى أن نقول له : المنادى منصوب أو مرفوع .

ونراهم فى أمثلة المنادى المنون مثلوا بقولهم : يا مؤمنا لا تعتمد على غير مولاك ، وهذا مما سماه النحويون النكرة غير المقصودة :

يا رحيما بالعباد - يا موقدا نارا لغيرك ضوؤها ، وهذا مما سماه النحويون الشبيه بالمضاف ثم ذكروا البيت :

فيا راكبا إما عرضت فبلغن
ندامای من نجران أن لا تلاقيا

وهو من النكرة غير المقصودة ، فخلطوا بين أمثلة النكرة غير المقصودة والشبيه بالمضاف كما ترى ، وكان لهذا الخلط أثره عند الأستاذ برانق فقد مثل فى كتابه ص ١٠٤ بالبيت :

فيا راكبا إما عرضت فبلغن
ندامای من نجران أن لا تلاقيا

للشبيه بالمضاف وهو من النكرة غير المقصودة

وقسم الأستاذ برانق المنادى إلى مضاف وشبيه بالمضاف وإن أخطأ فى التمثيل كما ذكرنا ومعرفة :

ومثل للمعرفة بقوله تعالى : « يا آدم اسكن أنت وزوجك » - « يانوح اهبط بسلام منا » « يا جبال أوبى معه » .

وأغفل النكرة غير المقصودة ثم نراه جمع النكرة المقصودة والعلم المفرد تحت اسم المعرفة ، والتلميذ يستطيع أن يهتدى إلى تعريف نحو يا آدم - يا نوح أما التعريف فى نحو يا جبال فلن يستطيع أن يوضحه المدرس إلا إذا اتبع طريق النحويين وتقسيمهم .

ألست معى فى أن كل ما ذكر لا يعدو أن يكون غمغمة لا تبين وهمهة لا تتضح .

٦ - استفتح ابن مضاء كتابه الرد على النحاة بالحملة على عوامل النحويين وأطال فى ذلك ثم عرض الأستاذ ابراهيم مصطفى فى إحياء النحو لفلسفة العامل ومنشأ هذه الفلسفة ونقد مذهب النحاة فى العامل ص ٣١ - ٤٣ .

ولم يكتف أساتذتنا بما ذكر ، فأعادوا هذا الكلام فالأستاذ برانق يطلب فى محاضرته

ص ٧٣ التخفيف من عمل الأدوات على النحو الذى قرره طغاة النحويين .

ثم يعود لهذا الحديث فى كتابه النحو المنهجى ص ٤٦ ويبسط القول. كذلك شارك فى هذه الحملة الدكتور عبدالفتاح شلبى، والدكتور محمود رشدى خاطر، والأستاذ محمد شفيق عطا، وما كان قولهم إلا معاداً مكرراً .

والعوامل فى صناعة النحو إنما هى أمارات ودلالات كما قلنا وليس لها تأثير حسى .

قال كمال الدين الأنبارى فى كتابه الإنصاف ص ٣٣ :

لأن العوامل فى هذه الصناعة ليست مؤثرة حسية كالإحراق للنار، والإغراق للماء، والقطع للسيف، وإنما هى أمارات ودلالات، والأمارة والدلالة تكون بعدم شىء كما تكون بوجود شىء، ألا ترى أنه لو كان معك ثوبان وأردت أن تميز أحدهما من الآخر فصبغت أحدهما وتركت صبغ الآخر لكان ترك صبغ أحدهما فى التمييز بمنزلة صبغ الآخر .

وفى الخصائص ص ١٠٩ ألا تراك إذا قلت ضرب سعيد جعفراً ، فإن ضرب لم تعمل فى الحقيقة شيئاً وهل تحصل من قولك ضرب إلا على اللفظ بالضاد والراء والباء على صورة فعل فهذا هو الصوت والصوت مما لا يجوز أن يكون منسوبا إليه الفعل ، وإنما قال النحويون عامل لفظى وعامل معنوى ليروك أن بعض العمل يأتى مسببا عن لفظ يصحبه كمررت بزيد وليت عمراً قائم وبعضه يأتى عاريا من مصاحبة لفظ يتعلق به كرفع المبتدأ بالابتداء ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم هــذا ظاهر الأمر وعليه صفحة القول فأما فى الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه لا لشىء غيره .

والعجيب أن ابن مضاء بتر هذا النص وادعى على ابن جنى أنه أنكر العوامل فى النحو .

وليست للعوامل هيمنة على كلام العرب تقبل بعضه وتنكر بعضه كما يدعون، إنما يبحث النحويون عن العامل بعد سماع النص من العرب ، قال الرضى فى شرح الكافية ص ٢٠٨ :

وقال بعضهم المستثنى منصوب بأستثنى كما أن المنادى منصوب بأنادى. وإلا وحرف النداء دليلان على الفعلين المقدرين، وقد اعترض عليه بأنه يلزم منه جواز الرفع بتقدير امتنع ولا يلزم ذلك لأنا نعلل ما ثبت وورد من كلام العرب ولو ورد مرفوعا لكنا نقدر امتنع ونحوه ألا ترى أنه يجب النصب فى إياك والأسد بتقدير، بعد ونحوه ، ولو ورد الرفع نحو أنت والأسد لكنا نقدر أبعد أنت والأسد ونحوه .

وعلى هذا فلا محل لسخرية الأستاذ برانق في قوله ص ١٠٠ :

ولو أن المسند إليه في هذه الأساليب ورد مرفوعا لكان للنحاة فيه مخرج بل ولو أنه ورد مجروراً لكان لهم مخارج فتأمل .

٧ — يرى ابن مضاء ص ٩٩ أن نحو زيد في الدار كلام تام مركب من اسمين دالين على معنيين بينهما نسبة وتلك النسبة دلت عليها في ولا حاجة إلى تقدير كائن أو مستقر، وإذا بطل العامل والعمل فلا شبهة تبقى لمن يدعى هذا الإضمار .

وقد أعجب بهذا الرأي الأستاذ برانق ص ٧٩ .

دفع النحويين إلى البحث عن متعلق الظرف والجار والمجرور نظام الأسلوب العربي، وجدوا أنه قد يسبق الظرف فعل أو اسم فيه معنى الفعل يرتبط به معنى الظرف. ومعنى هذا الفعل كون خاص، فقالوا التعلق الخاص يجب ذكره ولا يحذف إلا عند القرينة تقول هذا الكتاب مطبوع في مصر .

ولو حذفت المتعلق لاختلف المعنى .

ودليلهم على تقدير المتعلق العام ورود ذكره في ضرورة الشعر كقوله :

لك العز إن مولاك عز، وإن يهن
فأنت لدى بحبوحة الهون كائن

ولما كانت الأساليب الفصيحة خالية من ذكره أوجب النحويون حذفه فلا يصح أن تقول منزلنا الكائن بشارع كذا كما يجرى ذلك على ألسنة العامة ، فالبحث عن المتعلق بحث يتصل بسلامة الأسلوب وفصاحته ، وقد حض ابن مضاء في كتابه على البحث في المسائل التي تفيد نطقا وإن نادى بالانصراف عن البحث في متعلق الظرف .

وتعيين متعلق الظرف إنما يحدده المعنى فقد يوجد الفعل قبل الظرف أو الجار والمجرور ثم يتعلقان بغيره .

وقد ذكر ابن هشام في المغني ثماني آيات وحديثا وبيتين وجد فيها الفعل قبل الظرف أو الجار والمجرور ومنع المعنى من تعلقها بهذا الفعل فليرجع إليه من شاء في المغني ١٢٠-١٢١ ، ومما يدل على أن البحث في متعلق الظرف ليس صناعة لفظية فحسب ما ذكره النحويون في قوله تعالى : فلما رآه مستقرا عنده : قال هذا من فضل ربي .

قالوا : إن معنى الاستقرار هنا ليس مطلق الوجود والحصول إنما معناه عدم التحرك فهو كون خاص . المغني ٢ - ٨١ ، البحر المحيط ٧ - ٧٧ العكبري ٢ - ٩٠ للبحث صلة .

محمد عبد الخالق عضيمة

الإسلام فى نيجريا

للأستاذ عطيه صقر

فى المنعطف الجنوبى لنهــر النيجر وعند مصبه ، وإلى الشمال الشرقى من الدلتا حتى بحيرة تشاد ، تقع جمهورية نيجيريا التى نالت استقلالها فى شهر أكتوبر من عام ١٩٦٠ . وهى حكومة اتحادية فيدرالية تتكون من حكومات ثلاث : فى شرق النهر وعاصمتها « إيناجون » . وفى غربيه وعاصمتها « إبادان » وفى الشمال وعاصمتها « كادونا » . وسكانها يبلغون من ٣٥ إلى ٤٠ مليونا . وهم مجموعة من القبائل تزيد على ٢٥٠ قبيلة ، أهمها الهاوسا Haoussa فى القسم الشمالى والإيبو Ibos فى القسم الشرقى ، واليوربا Yourouba فى القسم الغربى . ومن بين هؤلاء السكان ٢٠ ألفا من الأوربيين ونحو ٤ آلاف من عرب سوريا ولبنان ومن الهنود .

ولا يعرف بالضبط متى سكن النـاس هـذه المنطقة ، إلا أن الثابت أن قبيلة بنى Beni ظهرت بقوتها كجنس مسيطر على المنطقة عندما اكتشف البرتغاليون الساحل فى القرن الخامس عشر ، واستمر سلطان هذه القبيلة قائما على جزء كبير من الساحل الغربى حتى القرن السابع عشر ، عندما ظهر الانجليز كتجار الرقيق والمحصولات المختلفة .

ولم يجرؤ المكتشفون على ارتياد المناطق الداخلية لوعورة مسالكها وعدم ملاءمة جوها للأوربيين ، حتى أرسلت الجمعية الكشفية التى تألفت فى لندن فى يونيه سنة ١٧٨٨ المكتشف مونجو بارك Mongo Park فقطع نهر النيجر من سيجو Segu إلى Bussa وتوفى سنة ١٨٠٥ ، ثم تم كشف النهر من بوسا إلى الساحل سنة ١٨٣٠ واكتشفت المنطقـة الشمالية سنة ١٨٢٣ عن طريق الصحراء من طرابلس .

وابتدأ تدخل الانجليز فى المنطقة عندما كانوا يقومون بدور الحكم بين القبائل التى كانت تنشب بينها الحروب والمنازعات فى كثير من الأحيان . ثم اعترف مؤتمر برلين سنة ١٨٥٥ باستعمار بريطانيا لهذه المنطقة . وقد لقى الانجليز مقاومة شديدة من الولايات الإسلامية فى الشمال حتى تمكن « فردريك لوجارد » من الاستيلاء على آخر معقل إسلامى فى سوكوتو فى ١٧ من مايو سنة ١٩٠٣

وفى ٢١ من هذا الشهر نفسه أقيم سلطان جديد أمضى مع الانجليز شروطا دخل بمقتضاها تحت إدارتهم وفعلت مثل ذلك بقية الإمارات ، واستمر استعمار الانجليز قائما على البلاد ، حتى منحوها سنة ١٩٥٤ دستورا ينص على إعطائها الحكم الذاتى سنة ١٩٥٦ إذا وافقت جميع المقاطعات ، وبعد إجراء انتخاب للبرلمان الفيدرالى فى آخر سنة ١٩٥٩ وفوز حزب مؤتمر الشعب الشمالى ، شكلت الوزارة الاتحادية برياسة « الحاج سير أبو بكر تافوا باليوا » ونصب الدكتور « أزيكوى » حاكما عاما لاتحاد نيجيريا ، الذى اتخذ مدينة لاجوس Loags عاصمة له .

وقد قامت فى البلاد ممالك إسلامية كان لها دور عظيم فى نشر الإسلام فى هذه المناطق وغيرها قبل أن يعرفها الغرب ، ويلوثها رجس الاستعمار ، فكانت هناك فى أوائل القرن العاشر الميلادى مملكة «التكرور» ، وفى القرن الحادى عشر مملكة « مالى » التى زارها ابن بطوطة وتحدث عنها ابن خلدون ، وكذلك قامت مملكة « البرناوية » فى الشمال الشرقى .

ودخل الإسلام هذه المنطقة منذ زمن بعيد ، وذلك من أوائل الفتح الإسلامى ، متسللا مع القوافل والتجار الذين كانوا يجوبون هذه المناطق ، غير أنه لم يظهر بشكل واضح إلا فى نحو القرن العاشر أو الحادى عشر بفضل النشاط العظيم الذى قام به المرابطون من قبائل لمتونة ، فحملوا الإسلام إلى مملكة « غانة » ووسط إفريقيا وسواحلها الغربية ودخلت قبيلة « بورنو » المقيمة فى شمالى نيجيريا فى الإسلام فى أوائل الاتصال بالمرابطين ، وأسلم أمير قبائل الماندانج وأسس أحد خلفائه فى القرن الثالث عشر أمبراطورية « مالى » ، وأسلمت دول الهاوسا حوالى القرن الخامس عشر ، ثم أسلمت قبائل « البولز » فى القرن الثامن عشر ، وأخيراً أسلمت قبائل المنطقة الجنوبية « إيبو ، يوروبا » .

وقد ظهرت حركة إسلامية كبيرة فى أواخر القرن التاسع عشر ، تزعمها رجل ينحدر من أسرة تشتهر بالعلم والقضاء ، هو الشيخ عثمان الفودى ، الذى يسميه الغربيون فوديو Fodio ، وقد ولد سنة ١٧٤٤ فى إمارة « جوبير » إحدى إمارات الهاوسا ، وتفقه على مذهب الإمام مالك فى « أجادبس » واعتنق هناك الطريقة الصوفية القادرية ، وعاد إلى مسقط رأسه ينشر العلم ويبشر بالدين ، ثم بايعه أتباعه بإمارة المؤمنين ، وكون جيشاً ظل يحارب به الأمراء والقبائل الوثنية من سنة ١٨٠٤ حتى تم له النصر عليها جميعاً فى آخر سنة ١٨٠٨ ، مساعداً مملكة « بورنو »

الإسلامية التي وقفت ضد أتباعه الذين أرادوا توسيع مملكته ، وبنى ابنه مدينة سوكوتو Sokoto سنة ١٨٠٩ التي كانت هي ومدينة « كانو » القديمة عاصمتين لهذه الدولة العظيمة ، التي تخطت بالدعوة الإسلامية حدود نيجيريا ووصلت بها إلى الكمرون . ولم يقف نشاطها إلا بعد تغلب الانجليز على البلاد ؛ وقد آثر الشيخ عثمان العزلة والخلوة في آخر حياته وتوفى سنة ١٨١٧ .

تقوم في هذه البلاد ثلاث ديانات رئيسية : الإسلام ، والمسيحية ، والوثنية . وليس هناك إحصاء رسمي لعدد المسلمين ولا لنسبة توزيعهم في المناطق الثلاث . إلا أن المؤكد أنهم لا يقلون عن عشرين مليونا إن لم يزيدوا ، فقد أوصل البعض عددهم إلى ٣٠ باعتبار أن عدد السكان ٤٠ مليونا . وهم يكثرون بصفة عامة في الإقليم الشمالي الذي يكون ثلثي مساحة البلاد ، ويقلون في الإقليمين : الشرقي والغربي ، وقد ذكرت الدوائر التبشيرية أن نسبتهم في الشمال ٧٠٪ وفي الغرب ٣٠٪ وفي الشرق ٥٪ ، ولكن كثيراً من الكاتبين يؤكدون أن نسبتهم في الشمال أكبر من ذلك بكثير .

وكثير من القبائل التي اعتنقت الإسلام تدعى أنها من أصل عربي ، فالهاوسا تقول إنها من نسل أحد ملوك بغداد ، واليوروبا من نسل يعرب بن قحطان ، والفولاني من سلالة عقبة بن نافع ، وهكذا . ومهما يكن من شيء فإن الملاحظ أن أغلب المسلمين هناك يجري في عروقهم الدم العربي ، وسحنتهم وعاداتهم توحي بانتسابهم إلى هذه الأرومة الأصيلة ، كما يلاحظ أن اتجاه الشماليين وهم غالبية المسلمين نحو العرب والشرق ، أكثر من اتجاههم نحـــو الغرب على عكس قبائل المنطقتين الأخريين . ومعظم المسلمين في الشمال - إن لم يكونوا جميعاً - تجار رحل ومزارعون صغار ، ورعاة أغنام ، وحالتهم الاقتصادية العامة بسيطة ولكنها لا تصل إلى درجة العدم ، وأغلبهم يقعون تحت سلطان قلة من الإقطاعيين ، وهم يحسون بقلق بالغ وغيرة شديدة من تقدم إخوانهم في المنطقة الشرقية والغربية ، ويجدون للحاق بهم في المضمار الثقافي والاجتماعي ، والمسلمون من قبيلة الإيبو في القطاع الشرقي أكثر من غيرهم تقدما ونشاطا وكفاحا في سبيل النهوض ، غير أنهم تسودهم الروح الانعزالية ، وهو الطابع العام للقبيلة كلها ، التي ترى أن أكبر مجتمع فيها هو الأسرة فقط .

والمسلمون عموما متعصبون لدينهم وتستطيع أن تميزهم من غيرهم بالطاقية البيضاء والسحنة العربية المختلفة عن السحنة الزنجية ، غير أن تدينهم مشوب بالخرافات والسحر والشعوذة

المنتشرة فى البلاد جميعها ، كميراث قديم عن القبائل الإفريقية فى داخل القارة ، وهم يتعبدون على مذهب الإمام مالك ، الذى حمل إليهم على يد الداعين والفاتحين القادمين من شمالى إفريقيا وبلاد المغرب والسودان ، وجميعهم سنيون فى عقيدتهم ، غير أنه يوجد بعض منهم ينتمون إلى جماعة القاديانية الذين يقومون بنشاط بارز فى « لاجوس » ولهم دعاتهم وصحفهم ومدارسهم .

والطرق الصوفية لها نشاط واضح فى البلاد وأشهرها الطريقة القادرية التى أسسها فى العراق فى القرن الثانى عشر عبد القادر الجيلانى .

والطريقة التيجانية التى أسسها فى شمالى إفريقيا فى القرن الثامن عشر أحمد التيجانى المدفون فى فاس ، وهذه الطريقة يشتهر أتباعها بالتزمت وشدة عداوتهم للوثنية ، وعدم انسجامهم مع الطريقة الأخرى ومع غيرها من الجماعات . ويقول بعض المعلقين : إن هذه الطرق صورة للكهنوت الوثنى ، الذى يتمسك بالكرامات وخوارق العادات ، وزيارة القبور وتقديس الأشخاص ، ولهذا فكر المستنيرون فى تنقية الدين من هذه الأمور الدخيلة ، وقصد بعضهم الجامع الأزهر من أجل التزود بالمعرفة الصحيحة ، ليستطيعوا الجهاد فى هذا الميدان .

والطابع الإسلامى يظهر بوضوح فى الإقليم الشمالى كما ذكرنا ، فهناك المساجد الواسعة ذات المنارات العالية ، التى تشتهر على الأخص بها مدينة « كانو » أكبر مدن الشمال ، وهى مركز تجارى هام للقوافل ، بناها المسلمون قبل ألف سنة .

وتقوم بالبلاد جمعيات إسلامية أهمها :

١ ــ جمعية أنصار الدين ، التى تأسست فى لاجوس سنة ١٩٢٣ ، وأنشأت سنة ١٩٣٢ مدرسة إسلامية ابتدائية ، وأصبح لها الآن ٨٠ مدرسة أخرى فى أقسام نيجيريا الثلاثة ، وتمكنت من إنشاء معهد ابتدائى لتخريج المدرسين المسلمين ، وهو داخلى كامل الاستعداد . غير أن العناية باللغة الانجليزية واضحة فى هذه المدارس .

٢ ــ جمعية أنوار الدين ، وهى تبعد عن لاجوس بنحو ٦٠ ميلا ، ولها مدارس ابتدائية وثانوية ، وتعنى باللغة العربية .

٣ ــ جمعية أعضاء المؤتمر الإسلامى ، التى أسسها سنة ١٩٤٥ الحاج محمد الأمين القديسى ، فى بلدة إيجابوا ودى ، وهى تبعد عن لاجوس بنحو ٤٠ ميلا ، ولها ٣٦٠ مدرسة .

وتتزعم النهضة النسائية هناك الحاجة نصرة حرم الحاج محمد الأمين القديسى وقد زارا مصر سنة ١٩٥٣ لبحث وسائل النهوض بالتعليم الدينى كما توجد جماعة القاديانية التى

ينحصر نشاطها فى العاصمة وهى تدرس اللغة العربية فى جميع مدارسها .

وفى البلاد أكثر من خمسين لغة ، ولكل قبيلة لغتها ولهجاتها الخاصة ، غير أن لغة الهاوسا تحظى بقدر كبير من الانتشار ، وبها كلمات عربية . واللغة العربية هى لغة العبادة بالطبع عند المسلمين ، وهى منتشرة فى الجزء الشمالى ، وتوجد كتب مؤلفة فى اللغة والدين ، وأغلبهم يقرءون هذه الكتب ولكن لا يفهم معناها إلا القليلون . وهى اللغة الرسمية فى إمارات الفولا فى سوكوتو . وفى قبيلة « شووا » التى مازالت تعيش عيشة بدوية فى انتجاع مواقع المياه . توجد كلمات عربية فصيحة ، وألفاظ قديمة هجرها العرب أنفسهم واللغة الانجليزية وهى لغة المستعمر منتشرة فى الأوساط المتعلمة . وبفضل البعوث الوافدة إلى الأزهر نشط كثير من الغيورين على الدين واللغة فى فتح مدارس لتعليم اللغة العربية ، وقاموا بنشاط كبير فى نشرها بين الأوساط المختلفة لتكون لغة التخاطب بين المسلمين .

والتعليم عامة فى البلاد متأخر ، غير أن المستوى الثقافى عال جدا فى القسم الغربى وذلك لاهتمام المستعمر بهم ونشاط المبشرين فيهم ، والتعليم الدينى منتشر فى الشمال بحكم الأكثرية الإسلامية الموجودة هناك ، حيث توجد المدارس والكليات وخاصة فى مدينة كانو ومدينة زاريا ، ويوجد اهتمام عام بتثقيف المرأة وتدريبها على أداء واجبها الدينى والاجتماعى ، وذلك نتيجة لاقتراح العالم الإفريقى « جيمس أجرى » الذى يقول : عندما تعلم رجلا فإنك تعلم فردا ، ولكن عندما تعلم أما فإنك تعلم أسرة كاملة .

وتصدر فى لاجوس صحيفة إسلامية هى « الحقيقة » ، وهى الصحيفة الإسلامية الوحيدة التى تصدر فى هذه المناطق .

وكان المسلمون يأخذون علومهم عن علماء المغرب ، ثم اتجهوا إلى المؤلفات التى وضعها العلماء المحليون فى الفقه والتفسير واللغة ، أمثال كتب الشيخ عثمان الفودى وأخيه الشيخ عبد الله ، والشيخ تاج الدين الأدبى الألورى ، والحاج كمال الدين الأدبى . وقد حضر إلى الأزهر سنة ١٩٤٥ الشيخ آدم عبد الله الألورى ثم عاد إلى بلاده وفتح مدارس لتعليم اللغة والدين غير أنها محدودة النشاط لقلة مواردها المالية وعدم وجود المدرسين الأكفاء . وقد أوفد الأزهر سنة ١٩٥١ أحد علمائه الأجلاء ليدرس حالة المسلمين هناك من الوجهة الدينية والاجتماعية والثقافية ، ورفع تقريرا عن ذلك إلى المسئولين ، كان من أثره زيادة المبعوثين

الوافدين إلى الأزهر من هناك ، وكان عدد هؤلاء الطلاب ١٢ فى سنة ١٩٥٦ وسيكونون نواة النهضة الدينية فى بلادهم عندما يعودون إليها بعد إتمام دراستهم .

هذا ـ ولما كانت البلاد حديثة العهد بالاستقلال ، وهى تجتاز فترة هامة من تاريخها وتنقصها الكفايات اللازمة للنهضة الثقافية العامة والدينية بوجه خاص كان لابد من عمل شىء جدى تفيد به هذه المنطقة الحيوية التى تتجه إليها الأنظار .

ذلك أن المبشرين جادون فى التبشير الدينى والثقافى ليكسبوا الجولة فى الصراع العنيف الذى يدور حول الوثنيين الموجودين بين الشمال والجنوب فى منطقة هضاب باوتشى Baoutchi ليمنعوا تسرب الإسلام إليهم عن طريق الشمال وليحولوا اتجاههم نحو الغرب وقد قالوا فى تقرير لهم : « إن خميرة الإنجيل التى رفعت العجين فى الجنوب تبدأ عملها ، وهى لن تتوانى فى أداء مهمتها ، وقد بدأت دخولها إلى القبائل الوثنية فى الشمال ، وسيأتى زمن يكون فيه جميع أهالى نيجيريا قد تأثروا بخميرة الإنجيل حتى تكون أمة مسيحية » .

إن لهم منهجا فى التقرب إلى الوثنيين يقوم على السياسة التى نادى بها بريفييه Breivié فى كتابه « الإسلام ضد الوثنية فى السودان الفرنسى » سنة ١٩٢٣ ، وهى ترمى إلى تحبيب الوثنيين فى الوثنية ، وإظهارها لهم كنوع من الفلسفة والفكر الحر ، حتى يأنس الوثنى إليهم ، ولا توجد هوة بينه وبين الرجل الأبيض . وهذا يبين لنا بوضوح أن غاية التبشير ليست دينية بقدر ما هى سياسية استعمارية ولذلك نراهم يتغاضون عن تعدد الزوجات بين من يعتنق المسيحية من الوثنيين . ويبيحون لهم أن يسموا أولادهم بأسماء وثنية . وذلك كله خشية الإسلام الذى يندفع إليه الناس طواعية واختيارا ، وسيكون له المستقبل بإذن الله ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

عطية صقر

من علماء الأزهر الشريف

الأزهر في سير أعلامه

سيد بن علي المرصفي

شيخ أساتذة الأدب وأعلام الفكر

للأستاذ محمد رجب البيومي

ما أظن أستاذاً من أساتذة الأزهر رزق الحظوة فى تلاميذه ، والنجابة فى أشباله ، كما رزقهما الأستاذان محمد عبده وسيد بن على المرصفى ، فقد كانت دروس الأستاذ الإمام فى تفسير كتاب الله حقلا خصيباً أنتج فى ميدان الإصلاح والتشريع أساتذة أعلاما حملوا الراية وتقدموا الركب ، وحسبك أن يكون منهم على سبيل المثال محمد مصطفى المراغى وعبد المجيد سليم ومحمد رشيد رضا ومصطفى عبد الرازق ، كما كانت دروس السيد المرصفى روضاً يانعاً آتى أكله الشهى فأنتج رياحين وأزاهر ذات عبق شذى ، ومنظر موفق ، وحسبك أن يذكر من أبنائه فى مجال الزعامة الفكرية ، والقيادة الأدبية مصطفى لطفى المنفلوطى وأحمد حسن الزيات وطه حسين وعبدالعزيز البشرى وعلى عبد الرازق وزكى مبارك ، وأن يذكر منهم فى مضمار التحقيق العلمى ونشر آثار السلف فى اللغة والدين محمود حسن الزناتى وأحمد محمد شاكر وحسن السندوبى ومحمد محى الدين عبد الحميد وأن يذكر منهم فى دنيا الصحافة والتحرير محمد المهياوى وعبد الرحمن البرقوقى ومحمد إبراهيم هلال وفهيم قنديل ، أما الشعراء المجيدون من طلابه ، فأنت تعد منهم ولا تعدهم إذ تستطيع أن تختار على سبيل المثال حسن القاياتى وأحمد الزين وعلى الجارم وأحمد شفيع السيد وإبراهيم الدباغ ورمزى نظيم . وأستاذ كالمرصفى يترك هذه المؤلفات الحية من الأفذاذ تنشر معارفه ، وتذيع هديه ، حقيق أن يكتب له فى سجل التاريخ الأدبى المعاصر ، صحيفة وضاءة تتألق سطورها بالزهو والاعتزاز .

لقد استطاع سيد بن على أن يعيد إلى القاهرة فى مطلع هذا القرن مجالس بغداد فى أسطع عصورها الزاهية ، فكنت تتخيله وقد عكف وحده بين زملائه الشيوخ على دراسة الأدب واللغة إماما كبيراً من صدور السلف كأبى عمرو وأبى عبيدة والأصمعى والخليل والمبرد فهو يروى الشعر الجزل ، ويناقش التركيب الناشز ، ويعالج اللفظ الغريب ، ويرد النسبة

الخطئة الى وضعها الصحيح ، ويناقش بعض ما اتفق عليه من قواعد الفقه والتصريف فى ثقة خارقة ، وعن بصر نفاذ ، ولعله كان أشبه أسلافه بأبى عمرو بن العلاء ويونس ابن حبيب ، فقد كانا يؤثران أدب العصر الجاهلى ويفضلانه ، وكذلك كان للمرصفى بهذا الأدب ولع مشغوف ، وصبابة حنانة . وإن كان تأخره الزمنى قد أتاح له من استيعاب المعارف المتشعبة فى مختلف فنون اللغة وأبواب العلوم مالم يتيسر لهما من قبل ، فأينع درسه بكل شهى من ثمار المعرفة ، ورأى فيه طلاب اللغة والأدب مورداً عذب المشرع صافى النمير .

على أن ناحية العجب فى تاريخ الرجل أنه كان فذا غريبا بين لداته ، فقد كانت حلقات الشيوخ من حوله تبدىء وتعيد فى دراسة حواشى مستفيضة فى الشريعة وعلوم اللسان ، فلا تزيد على أن تعيد المكرور المألوف وتلوكه ، وأكثره قد تاه فى بحر من المؤاخذات اللفظية ، والاعتراضات السطحية . وتكلف الاحتمال البعيد ، وتعسف الرد الناشز ، أما دروس الأدب والشعر فلم يلم بهما غير الشيخ فى درسه ، وكان ينظر إلى زملائه فيدهشه هذا التكالب المزدحم على دراسة الخلاف اللفظى ، والتشقيق الفرضى ، ويروعه أن ينصرف العلماء عن أدب اللغة وآثار المتقدمين من الإخباريين والرواة ، وإنه ليعبر عن ذلك فيقول فى مقدمة كتابه « أسرار الحماسة » .

« وقد رأيت نفوس القوم مصروفة إلى تحقيق المسائل العلمية ، والمباحث العقلية والعليم عندهم من نظر إلى الاستدلال ، وأكثر طرق الاحتمال ، وولد مالا يولد ، وأوجد من الأفهام مالا يوجد ، ولو علموا ـ هداهم الله ـ ماعلمناه من خصائص اللغة وأساليبها وما أودعت من لطائف الأسرار فى تراكيبها لهجروا تلك الكتب ذوات التنافر والتعقيد وغنموا لغة القرآن المجيد والحديث الحميد » .

وإن رائدا بطلا يناهض هذا التيار القوى فيقف فريدا بدرس الأدب واللغة موقف المزاحم المنافس حتى يجذب الأنظار إلى حلقته ويجمع الصفوة من الطلاب على مذهبه إن رائدا بطلا يفعل ذلك ، لجدير أن يطلق اسمه على إحدى قاعات المحاضرات بكليات الأزهر وأن ينشأ كرسى باسمه فى كلية اللغة العربية لدراسة آثاره ومنحاه وشروحه ، وأن تطبع مؤلفاته المخطوطة ليعلم الناس أى أديب فذ كان المرصفى ! ! رحمه الله ! .

لقد كانت كتب الأدب لعهد المرصفى أول هذا القرن بجفوة مهملة ، وكان أكثرها مخطوطا منسيا لا يجد النور فى الحياة ، وبعض المطبوع منها على قلته ردىء الطبع ، سيىء التحريف ، كثير التصحيف ، فعمد المرصفى إلى أكثرها صعوبة ، وأوعرها مركبا فأخذ

نفسه بدراستها دراسة ناقدة فاحصة ، فكان الكامل بين يديه يتم قصائده ، ويشرح عويصه، ويتعرض لنسبة الأبيات ، ويترجم لصاحب الأثر ، ويشرح ما تركه المبرد دون إيضاح ، وكانت أمالى أبى على القالى كذلك موضع اجتبائه ، يناقش لغوياتها المعماة ، ويعارض نصوصها المختلفة ، ويبحث فى المخطوطات المتآكلة عما غاب من القصائد ، فيكمل ما نقص ، وقل مثل ذلك فى حماسة أبى تمام وعقد ابن عبد ربه وأراجيز رؤبة والعجاج مما ترك أكثره مخطوطا فى ظلمات النسيان ! ! حتى جعل للأدب فى الأزهر ركنا متين الدعائم ، وكانت حالته به إذ ذاك مدهشة مذهلة ، يصفها الأستاذ عبد العزيز البشرى بالرسالة [1] فيقول :

« والأدب فى ذلك الوقت أن تقول شعرا مقفى موزونا ، فإذا أعوزك العروض ، وعميت عليك أوزان الشعر ، فحسبك أن يكون المصراع فى طول المصراع على شرط أن تتغزل ، فتتغزل كلما طلبت مديحا أو رثاء أو هجاء .وكان الأدب يحمد من (المجاور) عند أشياخه إلا أن يسرف فيه ويجرد له صدرا من وقته ، فإنهم كانوا يكرهون ذلك منه ، لأنه فى الواقع يشغله بقدر ما عن توفير الذهن على الدرس والاستذكار ، ويرون هذا منه آية على (عدم الفتوح) وحسبه فى العام قصيدة يمدح بها شيخه يوم يختم الكتاب ، وقصيدة أو اثنتين يرثى بهما من يموت من علية العلماء ، فإذا أمكن الأستاذ المرصفى فى هذا الوسط المعرض أن يجعل مؤلفات المبرد وأبى على وأبى تمام وابن عبدربه تجد مكانها بين حواشى الإسنوى والصبان والباجورى والسيوطى والعطار ، فذلك فضل كبير .

وأنت حين تحاول أن تدرس الخطوط الأولى لحياة الشيخ ، لا تجد ما تطمئن إليه مما كتب عنه أو تناقله تلاميذه . فجميع من حدثنهم عن نشأة الأستاذ العلمية يذكرون أنه تتلمذ فى الأدب على السيد عبد الهادى نجا الإبيارى أحد علماء الأزهر وأدبائه ، وأنه تأثر به تأثراً دفعه إلى الإكباب على دراسة آثار السلف المتقدم فى اللغة والشعر ، وأنا شخصيا ـ وقد أكون مخطئاً ـ لا أستطيع أن أقر ذلك ؛ إذ أن ما لدينا من إنتاج الأستاذ الإبيارى شعراً ونثراً وتأليفا ، يخالف منهج المرصفى ومنحاه ، بل يقف منه موقف النقيض من النقيض ، فنثره مثقل بالبديع المستكره ، وشعره نمط من الطراز المملوكى فى سطحيته وتكلفه، وتآليفه ضرب من الثقافة الغابرة التى تفضل القشور على اللباب ، ويكفى أن تعرف أنه أصدر كتابا فى مجلدين كبيرين جعله يدور على لغز ذهنى فى اسم الخديوى إسماعيل ، ثم استطرد فذكر فنونا من القول لا يجمعها فى نطاق واحد

(١) الرسالة العدد ٦٩ سنة ١٩٣٤ .

غير التكلف والإرهاق ، وقد يكون الرجل معذوراً فيما يصنع ، لأنه يمثل ثقافة عهده واتجاه معاصريه ، ولكنه مع ذلك لا يمكن أن يتخرج على يديه أديب فحل مطبوع كالمرصفي العظيم ، وربما أكب الطالب على حلقات أستاذه في طفولته الأدبية ، ثم بدا له أن يتحول عنها دون أن تترك أثرا ما في اتجاهه ونسربه وكم من تلاميـــذ شافهوا بعض الأساتذة دون أن ينتفعوا بمـــذهبهم في الرأي ، ونظراتهم للعلم ، وقد هداني الرأي المتئد إلى أن أميل إلى أن الأستاذ حسين المرصفي الأول صاحب (الوسيلة الأدبية) هو أستاذ المرصفي الثاني وملهمه، فصاحب الوسيلة قد شذ على متعارف جيله ، ورجع بالشعر إلى أخصب عصوره في الأدب العباسي،وعلى يديه تخرج البارودي شاعراً فحل التركيب ناصع العبارة ، رائع البيان ، والرجلان بعد من قرية واحدة ، وللكبير مكانة لدى الصغير فلا بد أن تكون الوسيلة الأدبية قد هدت صاحب رغبة الآمل إلى معين لا ينضب من البيان ، فبحث عن الأدب اللباب بما حوته بادئا ، ثم تخطى العصر العباسي إلى عصري الجاهلية وصدر الإسلام فذهبا بإعجابه كل مذهب ، وطفق يبحث عما ضم أدبهما من الكتب ، فقرأ القديم من آثار الجاحظ والمبرد وابن قتيبة وأبي الفرج ، وتخرج وحده على هذه الآثار السلفية أديبا فحلا ، وناقدا لا يشق له غبار ، على أن هذا الهيام الكلف بكتب اللغة والأدب لم يمنعه أن يدرس حواشي الشريعة والأصول ويلم بالنحو والصرف إلمام من يدرك القاعدة العلمية إدراك الناقد المتفرس ، ونظرة منصفه إلى شرح الكامل تدل على ثقافة الرجل وإحاطته، فهو يناقش سيبويه والمبرد وابن جني والمازني والخليل في دقائق غامضة من قواعد النحو والتصريف ، فيناهض دليلا بدليل ، وقاعدة بقاعدة حتى ليخيل إلى القارئ أن الرجل صاحب نحو فقط ، وليس أديبا جامعاً يأخذ من كل فن بجوهره الأصيل .

وإذا كنت لم أقف على ترجمة دقيقة لتاريخ الأستاذ ، تأخذ بيدنا في تحديد مركزه الأدبي في تاريخ الثقافة المعاصرة ، فإن ما ذكره تلاميذه الكثيرون عنه ،في نبذ سريعة، وشذرات موجزة تكفي لأن تصور ملامحه إذا جمع بعضها إلى بعض ، وهي بعد أقوال مخلصة لم تدفع بها رغبة مغرضة في تملق إنسان ، إذ كتب أكثرها بعد وفاة الشيخ من ناحية ، وبعد أن أصبح المتحدث في منزلة أدبية تجعله فوق الملق الرخيص من ناحية ثانية ، على أننا لا نستطيع أن نسرد جميع ما قيل وإنما نكتفي بالبعض عن الجميع ...

فالدكتور طه حسين يحدد مكانة أستاذه بين نقاد اللغة وأساتذة الأدب في عصره فيقول في كتابه « تجديد ذكرى أبي العـــلاء » :

أستاذنا الجليل سيد بن على المرصفى أصح من عرفت بمصر فقها فى اللغة ، وأسلمهم ذوقا فى النقد ، وأصدقهم رأيا فى الأدب ، وأكثرهم رواية للشعر ولا سيما شعر الجاهلية وصدر الإسلام » .

ويعود الدكتور إلى الحديث عن منهجه الأدبى فى مقدمة كتابه « الأدب الجاهلى » فيقول « ومذهب القدماء ما كان يمثله الأستاذ الشيخ سيد المرصفى حين كان يفسر لتلاميذه فى الأزهر ديوان الحماسة لأبى تمام ، أو كتاب الكامل للمبرد ، أو كتاب الأمالى لأبى على القالى ، ينحو فى هذا التفسير مذهب اللغويين النقاد من قدماء المسلمين بالبصرة والكوفة وبغداد مع ميل شديد إلى النقد والغريب ، وانصراف شديد عن النحو والصرف وما ألف الأزهريون من علوم البلاغة .

وكلام الدكتور عن أستاذه يتفق مع حديث الأستاذ أحمد حسن الزيات عنه إذ يقول (١) « كان أستاذنا المرصفى يطبعنا فى النظم : على غرار الحماسة ، وفى النثر على غرار الكامل ، ويزين لنا أن ننظم معلقة كطرفة أو ننشئ خبراً كأبى عبيدة » .

فشهادة هذين الأديبين الكبيرين تؤكد أن الرجل كان مولعا بالشعر الجاهلى وشعر صدر الإسلام ، كلفا بالغريب من القول والعويص من التراكيب ، متجها إلى الذخائر السلفية العريقة فى شرحه وتفسيره ، وإن كنا نقف قليلا عندما قاله الدكتور طه حسين بصدد انصرافه الشديد عن مباحث النحو والصرف لأن ما لدينا من شرحه للكامل ، وهو فى مجموعه صورة أمينة لما ألقى فى حلقات دراسته ، لا يؤكد هذا الانصراف الشديد ، فللمرصفى مع أعلام النحاة والصرفيين مواقف كثيرة تدل على الميل المقتصد لا على الانصراف العازف ، ولكنه لم يتخذ الحديث النحوى مجالا للمماحكة اللفظية والغرض الجدلى ، مما امتلأت به حواشى المتأخرين ، واتجه إليه زملاؤه من الأزهريين ، بل نهج منهج الكسائى وسيبويه والمبرد فى التصدى إلى الجوهر دون العرض ، أما طريقته البارعة فى إنشاء الشعر ، وشرح الغريب ، فقد ألمع إليها تلميذه الأستاذ محمود محمد شاكر حين قال عن أستاذه (١) .

« وكان الشيخ حسن التقسيم للشعر حين يقرؤه ، فيقف حين ينبغى الوقوف ، ويمضى حيث تتصل المعانى فإذا سمعت الشعر وهو يقرؤه فهمته على ما فيه من غريب أو غموض أو تقديم أو تأخير أو اعتراض فكأنه يمثله لك تمثيلا لا تحتاج بعده إلى شرح أو توقيف وكان فى صوت الشيخ معنى عجيب من الثقة

(١) الرسالة العدد ٤٠ سنة ١٩٣٤ .

(١) الرسالة العدد ٦٩٦ .

والاقتدار ، وفى نبراته حين ينشد الشعر معنى الفهم للذى يتلوه عليك . فلا تكاد تخطئ المعانى التى ينطوى عليها ، لأنها عندئذ ممثلة لك فى صوته » .

فإذا أردت بعد ذلك أن تعرف كاف طلابه بدرسه ، فإليك ما حدثنا به عنه أستاذنا الكبير أحمد شفيع السيد فى إحدى محاضراته بكلية اللغة العربية ، حين جاء ذكر المرصفى فأفاض فى تعداد مواهبه ، وكان مما قال - معنى لا لفظا - :

« إن درس الشيخ كان لا ينتهى بالأزهر حتى يبتدئ فى منزله ؛ لأن أفواج الطلاب كانوا يتزاحمون على المسير معه فى الطريق إذا نهض إلى بيته ، فإذا أتاه دخل معه نجباء أبنائه فأخذوا تحيتهم العاجلة ، وظلوا وإياه فى سمر أدبى مشبع بالحب والاعتزاز ، وكانت الكتب الأدبية تتراءى فى حجرة الشيخ مركومة متراصة عن يمين وشمال ، يقرأ فيها الطلاب كما يشاءون ، ويستعيرون ما يريدون فى شغف نهم وإقبال ودود » .

هذه نصوص مختلفة للأجلاء من تلاميذه المختارين ، وأظنها ترسم صورة واضحة من منهجه وخلقه ، وقد أبدع الدكتور زكى مبارك إبداعا موفقا حين لخص ريادته الأدبية ، وقيادته العلمية ، فى مواقف محدودة ، فجاءت كلماته الصائبة فى إيجازها الشامل لسان صدق ومیزان تقويم فهو يقول : عن أستاذه فى اعتزاز [1] .

« كان الشيخ المرصفى أول رجل تسامى إلى نقد مؤلفات الأكابر من القدماء ، وكان أول رجل أقر كرسى الأدب بالأزهر الشريف وكان أول رجل جعل للأديب مكانة بين جماعة كبار العلماء . فكان بتلك الصفات أوحد عصره بلا جدال » .

وتسامى الأستاذ رحمه الله إلى نقد مؤلفات الأكابر من القدماء كان حدثا غريبا فى بابه ، إذ أن زملاءه حينئذ كانوا يتعبدون بأقوال السلف من أولى العلم ، فإذا اضطر أحدهم إلى مخالفة مؤلف سابق جعل يتلمس له المعاذير ، فى وجل وهيبة ، وكأنه يركب مطية ناشزة ، لا تؤمن معها حياة ، فجاء السيد المرصفى ليحاسب المبرد وأبا تمام وأبا على وابن عبدربه محاسبة قوية مفحمة فهو فى شروحه المتتابعة للكامل والحماسة والأمالى والعقد [2] كان صلب المراس قوى المؤاخذة ، شديد العناد ، مما دفع ببعض المتسرعين من الأساتذة إلى وصف الرجل بالغرور والادعاء ! ! وإذا كان أكثر هذه الشروح الرائعة لا يزال مطمورا فى دفائنه الخطية ، فإننا نأمل أن

(١) الرسالة العدد ٣٩٨ .

(٢) كان للمرصفى يسميه « العقد » بضم العين وفتح القاف

يرى النور إذا فطنت إليه لجنة إحياء التراث القديم فى وزارة الثقافة والإرشاد، وحسبنا اليوم أن نحكم على صنيعه بالمبرد فى الكامل فهو الوثيقة الميسرة للباحثين، وبه يتضح الحكم عن حيدة وإنصاف.

لقد اعترف السيد المرصفى فى مقدمة الجزء الأول من شرحه الكبير أنه لم يجعل من رغبة الآمل شرحا تفسيريا لنصوص الكامل فقط بل اهتم ، ببيان ما حاد فيه أبو العباس عن سنن الصواب من خطأ فى الرواية، وخطل فى الدراية، إذ كان المبرد يعتمد كثيرا فى لفظه على جودة حفظه، فربما نزع فى غير فزاغ عن القصد سهمه، أو صعد فى الأدب مرتقى زلت به إلى الحضيض قدمه[1].

فهو إذن يجعل من همه الأصيل بادىء ذى بدء أن يكشف عن أخطاء المبرد، معتقدا أن صنيعه هذا أمر محتوم توجبه الدراسة الناقدة والنظرة الفاحصة، ولو كان الشارح قد بجل على المبرد سقطاته، وستر محاسنه، لقلنا: إنه متحيز ممالىء!! ولكن المرصفى ينصفه من خصومه تارة، وينصف الحق منه تارة أخرى، وإذا كان لنا أن نميل عليه فى شىء فإننا نؤاخذه على قسوة العبارة فى كثير من التعليقات، فقد كان من اللائق أن يطرد النقاش فى هدوء العالم، وسماحة الحليم!!.

على أن المسألة نفسية قبل كل شىء، فقد يكون المرصفى إذ يكتب بعض التعليقات هادىء الخاطر مستريح البال من بعض هواجسه، فيقابل الخطأ الكبير من المبرد بكثير من التسامح، فلا يزيد على أن يقول: غلط أبو العباس، أوسها أبو العباس، وقد يكون ضائق الصدر لبعض المحرجات من شئون الحياة فيضيق صدره لأدنى سهو، ويهاجم الخطأ اليسير مهاجمة قاسية، فإذا نسب المبرد بيتا من الشعر لغير قائله، قال المرصفى فى غلظة: كذب المبرد[1]، وإذا بدل سهوا كلمة مكان كلمة قال المرصفى فى قسوة: هذا خلط وجهالة[2]، وإذا رأى الناقد قولا فى اللغة ينفرد به صاحب الكامل رده وقال هذا مما انفرد به[3]!! ولست مع المرصفى فى ذلك إذ أن من حفظ حجة على من لم يحفظ، وقد يكون أبو العباس مطلعا على مالم نطلع عليه مما غابت دفائنه، وانقطعت روايته، وأولى بالناقد أن ينظر إليه كراوية صدوق، على أن نقد الناقد فى أكثر مناحيه يرجع إلى ذوق شخصى قبل أن يرجع إلى وضع منهجى، وقد أدركنا من قراءة الكامل

---

(١) رغبة الآمل ج ١ ص ٣٨.

(١) رغبة الآمل ج ٣ ص ١٩٦ وغيرها.
(٢) رغبة الآمل ج ٢ ص ٢٣٥ وغيرها.
(٣) رغبة الآمل ج ٢ ص ١٨٣ وغيرها.

وشرحه سعة علم المبرد وكثرة محفوظه كما لمسنا دقة فهم المرصفى ، ورقة ذوقه ، ومن هنا اتسع المجال أمام الشارح للرد والمؤاخذة ، فقد جعل يوازن بين الروايتين ، ويفاضل بين النصين ، فيهديه ذوقه إلى ما يرفض به رواية صاحبه عن ثقة واطمئنان ، فإذا روى المبرد ـ مثلا ـ قول الشاعر فى هجاء الحجاج [1]

أينسى كليب زمان الهزال
وتعليمه سورة الكوثر

قال المرصفى : هذا خطأ والصواب رواية ياقوت فى معجم البلدان ، وتعليمه صبية الكوثر ، والكوثر قرية بالطائف كان الحجاج معلم صبيانها ، والحق مع المرصفى ؛ لأن معلم القرآن الكريم لا يعلم سورة الكوثر فقط بل يعلم غيرها ، فلا وجه لتخصيصها بالذكر دون حادثة معينة يظن أن الشاعر قد اطلع إليها ، أما رواية صبية الكوثر فمنزهة عن الاعتراض ...

وإذا روى المبرد ـ ثانيا ـ قول القائل [2]

فيا بعل سلمى كم وكم بأذاتها
عدمتك من بعل تطيل أذاتى
بنفسى حبيب حال بابك دونه
تقطع نفسى دونه حسرات

(1) رغبة الآمل جـ ٥ ص ٢٨ .
(2) رغبة الآمل جـ ٢ ص ٥١ .

وواللّه لولا أن يساء لرعتها
بما ليس بالمأمون من فتكاتى

قال المرصفى مهتديا بذوقه السليم ، الرواية لولا أن تساء لرُعته ، وهذا حق ، لأنه يقصد ترويع الزوج وإفزاعه ، ويحرص على سلمى وهدوئها الأمين .

وقد يكون للفظ اللغوى معان مختلفة ، فيفهمه المبرد فى سياق خاص على غير وجهه ، ولكن ذوق المبرد من ورائه يشير إلى الخطأ فى بصيرة نفاذة وفهم عميق ، فقد ذكر المبرد مثلا قول الشاعر [1] .

منعمة بيضاء لو دب محول
على جلدها بضت مدارجه دما

لجمله شاهدا على أن بضت مأخوذة من بض يبض بضاضة بالفتح والكسر فى المضارع إذا رق لونه وصفا ، ورآه المرصفى من بض يبض بالكسر فقط إذا ترشح من صخر أو حجر والمصدر البض والبضيض لا البضاضة بمعناها الأول كما فهم المبرد ، وتلك لعمرى دقة بالغة فى الفهم تدعو إلى الاحترام النزيه ولها نظائر وأشباه [2] .

أما إنصافه للمبرد ورده على خصومه ، فقد تكرر كثيرا فى صفحات الكتاب [3] ، وهو

(البقية على صفحة ٧٥٢)

(1) رغبة الآمل جـ ٢ ص ٤٢ .
(2) رغبة الآمل جـ ١ ص ٨٧ وغيرها .
(3) جـ ١ ص ١٤٨ ، ٢١٧ .

الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم فى الإسلام

للأستاذ حسن عبد العزيز فضر

إن المسلمين سبقوا غيرهم من الأمم فى تقديم الخدمات الاجتماعيـــة لطلاب العلم والمعلمين ، وكان التعليم عندهم ركناً هاماً من أركان الحضارة ، وذلك لما جاء فى القرآن الكريم والحديث الشريف من الحث على تعلم العلم وتعليمه فأول ما أنزل من القرآن هو الأمر بالقراءة ، التى هى أساس التعلم ، وإن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نصب نفسه معلماً . لكى يقتدى به المسلمون فى نشر العلوم والمعارف بين الناس . فقد جاء عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه « مر فى مجلسين ، أحد المجلسين يدعون الله ، ويرغبون إليه ، والآخر يتعلمون العلم ويعلمونه ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلا المجلسين على خير ، وأحدهما أفضل من صاحبه ، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه ، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل ، وإنما بعثت معلماً . ثم أقبل فجلس معهم » كما أنه جعل « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

ومن واجب العلماء أن يقوموا بنشر العلم وأن يشوقوا إليه ، ويدعوا الأخذ عنهم وهو أفضل أنواع الجهاد « جاء رجل إلى ابن عباس فسأله عن الجهاد ، فقال له ألا أدلك على خير من الجهاد ؟ ؟ تبنى مسجداً وتعلم فيه الفرائض والسنة والفقه فى الدين » . وأى جهاد أفضل من جهاد الجهل ، وأفضل عبادة طلب العلم « لأن تغدوا فتتعلم باباً من العلم ، خير لك من أن تصلى مائة ركعة وإن تعلمه خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وهو منار سبيل الجنة ...

وعلى هذا نجد المسلمين يتسابقون فى نشر العلوم ، فطلبوها من المهد إلى اللحد ، وبنوا لها المؤسسات المختلفة ، وفتحوا أبوابها للقاصدين وأوقفوا أنفسهم للراغبين.

وأول هذه المؤسسات « هو الكتاب » . وأول من أمر ببناء الكتاتيب هو عمر ابن الخطاب ـــ ولم تكن معلومة عندهم قبله

وجمع بها أولاد المسلمين ، وعين لهم معلمين يعلمونهم ، وفرض للمعلمين والمتعلمين لكى ينصرفوا إلى دروسهم كما فرض للقراء ، وفرض للناس على تعلم القرآن ، فكان الفاروق أول من فرض للمعلمين وللمتعلمين .

وإن بعض الخلفاء من اهتم بتعليم البدو فقد أرسل عمر بن عبد العزيز المعلمين إلى البدو ، يعلمونهم القراءة وأمور دينهم ، وفرض لهم على هذا .

وفى العصر العباسى تنوعت الكتاتيب ، فكان منها كتاتيب خاصة بتعليم اليتامى والمعوزين ، الذين لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم فكان الخلفاء والأمراء وأهل الإحسان يبنون هذه الكتاتيب ، ويعينون لها المعلمين ، ويجعلونها عامة لكل قاصد وكانت تسمى « مكاتب السبيل » .

وأول كُتّاب للأيتام وقفنا على ذكره هو الذى بناه يحيى البرمكى (المتوفى سنة ١٩٠هـ) ثم كثرت هذه المكاتب فى المدن ، حتى لم تكن تخلو منها مدينة .

وكان بعضهم يبنى كتاباً للأيتام ، ويوقف له أوقافا كثيرة ، تصرف على الذين يتعلمون به . كما فعل شمس الدين بن نظام الملك ، فإنه بنى مكتباً للأيتام ، وأوقف عليه وقوفا مستمرة الجدوى والكسوة والطعام . وتعليم الآداب ، وحفظ القرآن ، ومعرفة الحلال والحرام ، فالطلاب مكفولون به إلى أن يبلغوا الحلم ، وبنى بجانب المدرسة الحجازية - بالقاهرة - مكتباً للسبيل ، فيه عدة من أيتام المسلمين ولهم مؤدب يعلم القرآن الكريم ، ويجرى عليهم فى كل يوم لكل منهم ، من الخبز خمسة أرغفة ، ومبلغاً من الفلوس ، ويقام لكل منهم بكسوتى الشتاء والصيف ، وجعلت على هذه الجهات عدة أوقاف جليلة .

وكانوا كثيراً ما يبنون مكاتب السبيل بجانب المدارس ، حتى إذا أتم الطالب تحصيله فى المكتب ، فإنه يلتحق بالمدرسة ، وله الجراية المستمرة ، ومن ذلك أن مجاهد الدين قيماز الرومى (المتوفى سنة ٥٩٥هـ) بنى مكتباً للأيتام فى الموصل بجانب مدرسته التى أنشأها على دجلة . وبنى القاضى الفاضل (المتوفى سنة ٥٩٦ هـ) مكتباً للأيتام بجانب مدرسته الفاضلية ، وبنى غيرها كثير ، خاصة فى القاهرة فإننا قلما نجد أحداً يبنى مدرسة إلا ويبنى بجانبها مكتب سبيل .

ولم تكن هذه المكاتب صغيرة ، فإن بعضها كان يتعلم به مئات الطلاب المعوزين ، أو الذين فقدوا آباءهم ، ولكنهم لم يعدموا من يتولى أمرهم ويحنو عليهم ، ويتعهد تربيتهم وتعليمهم : فقد (سقطت المنارة التى على باب مدرسة السلطان حسن فى القاهرة ، فهلك نحو ثلثمائة نفس من الأيتام الذين كانوا

رتبوا بمكتب السبيل ومن غيرهم) فإذا كان من هلك تحت المنارة ثلثمائة نفس ، فكم كان يحوى هذا المكتب ؟ .

هذا بعض ما وقفنا عليه من أمر التسهيلات التي قدمها المسلمون فى نشر التعليم الابتدائى .

أما الدراسة العالية : فكان لها معاهد مختلفة ، يجد فيها الطالب من التسهيلات ما يساعده على طلب العلم .

فكانت حلقات الفقه والحديث والأدب والسير والتفسير والنحو والفلسفة والطب والأخبار منتشرة فى المساجد ، يتصدر الحلقة شيخ ، يلتف حوله من يريد الأخذ عنه ، وهى عامة لكل قاصد ، وربما تعددت الحلقات فى المسجد الواحد ـ ليلا ونهاراً ـ وقد أحصى المقدسى حلقات العلم فى المسجد الجامع بالقاهرة وقت العشاء ، فإذا هى مائة حلقة وعشر حلقات .

وبجانب هذا نجد المسلمين يشيدون المعاهد العلمية المختلفة كدور الحكمة ، ودور العلم ، ودور الكتب ، وفتحوا أبوابها للقاصدين ، ويسروا لهم أمر الدرس والبحث والنسخ .

أما دور الحكمة : فكانت مفتوحة للعلماء وطلابهم ، وهى مؤسسات للثقافة العالية وأشبه ما تكون بالأكاديميات فى هذه الأيام يشرف عليها أجل العلماء والفلاسفة والأطباء والأدباء ، الذين هم على جانب كبير من العلم والثقافة ، يقصدها الطلاب فيجدون فيها الكتب النادرة من طبية وفلسفية ورياضيات ومنطق وحكمة وآداب وعلوم مختلفة ، وهى بعدة لغات : العربية والفارسية واليونانية والحبشية والأرمية والعبرية وغيرها ، والدار مفتوحة لمن شاء النسخ أو المطالعة أو الترجمة أو الأخذ عن العلماء والفلاسفة الذين هم فى الدار ، وفيها من لوازم الكتابة من أقلام ومحابر وورق وكل ما يحتاجه طلاب العلم .

كل هذا نجده فى دار الحكمة التى أسسها الرشيد فى بغداد ، ثم وسعها المأمون ، حتى صارت من معاهد الثقافة العالية المعدودة فى العالم .

ولم تكن هذه الدار هى الوحيدة ، بل كان منها عدة دور فى العالم الإسلامى ، وهى عامة لمن يقصدها ، بل إن بعضها كان ينفق على من يرتادها ، فكان لعلى بن يحيى المنجم (٢١١ - ٢٧٥ هـ) من نواحى القفص ضيعة نفيسة ، وقصر جليل ، فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة ، يقصدها الناس من كل بلد ، فيقيمون فيها ، ويتعلمون منها صنوف العلم ، والكتب مبذولة فى ذلك لهم والصيانة مشتملة عليهم ، والنفقة فى ذلك من مال على بن يحيى .

وكان فى مدينة طرابلس دار حكمة ، وفى القاهرة دار حكمة أخرى ، وفيها من الحبر والأقلام والمحابر والورق وكل ما يحتاجه من

يقصدها ، كما كان للأغالبة دار حكمة أخرى .

أما دور العلم : فهى مؤسسات ثقافية عامة مفتوحة لطلاب العلم وغيرهم ، وفيها كتب متنوعة ، ويتولاها شيوخ علماء ، وقلما تخلو الدار من طلاب يطالعون فيها ، أو ينسخون عن كتبها ، أو يأخذون عن شيوخها ــ كل هذا بلا أجر ــ .

كانت دور العلم كثيرة فى البلاد الإسلامية ونجد فى بعض المدن الكبيرة عدة دور منها ، كما كان فى بغداد والقاهرة .

وأقدم دار علم هى التى أسسها « جعفر ابن محمد بن حمدان الموصلى (٢٤٠-٣٢٣هـ) فى الموصل ، وجعل فيها كتباً من جميع العلوم وقفاً على كل طالب للعلم ، لا يمنع أحد من دخولها إذا جاءها ، وإن كان معسراً أعطاه ورقا وورقا ، تفتح كل يوم ، ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه ، ويجتمع إليه الناس ، فيملى عليهم من شعره وشعر غيره » .

وكان فى بعض دور العلم مساكن للطلاب ولهم من الجرايات والأرزاق ما يكفيهم ، ومنها أن القاضى أبا حيان المتوفى سنة ٣٥٤هـ « بنى فى مدينة نيسابور داراً للعلم ، وخزانة كتب ، ومساكن للغرباء الذين يطلبون العلم وأجرى لهم الأرزاق » .

وشاركت المكتبات العامة التى كانت منتشرة فى بلاد الإسلام ــ فى نشر الثقافة وتيسير العلم للطلاب فهى مفتوحة لمن يريد الاستفادة ، على أن بعضهم كان يجرى على من يقصدها من المحتاجين والمعوزين . فأنشأ أبو على سَوّار الكاتب (المتوفى سنة ٣٧٢هـ) ــ وهو أحد رجال عضد الدولة البويهيين ــ دار كتب فى مدينة (رام هرمز) على شاطىء بحر فارس ، كما بنى دار كتب أخرى بالبصرة وجعل فيها إجراءاً على من قصدها ولزم القراءة والنسخ بها .

ويضيق بنا البحث عن تعداد ما كان من دور الحكمة والعلم والكتب فى بلاد الإسلام والتى كانت تسهل نشر العلوم والمعارف بين سائر الطبقات .

ونجد بجانب هذه المؤسسات ما كان يغدقه الخلفاء وأهل الخير والمعروف على أهل العلم ــ العالم والمتعلم ــ ومن ذلك :

كتب الرشيد إلى الأمصار كلها ــ إلى أمراء الأجناد ــ أما بعد : فانظروا من التزم الآذان عندكم فاكتبوه فى ألف من العطاء ، ومن جمع القرآن وأقبل على طلب العلم ، وعمر مجالس العلم ، ومقاعد الأدب ، فاكتبوه فى ألفى دينار من العطاء ، ومن جمع القرآن وروى الحديث وتفقه فى العلم واستبحر فاكتبوه فى أربعة آلاف دينار من العطاء ، وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الأمر المعروفين به من علماء عصركم وفضلاء دهركم ، فاسمعوا قولهم ، وأطيعوا أمرهم .

وكان ابن الفرات (٢٤١ - ٣١٢ هـ) وزير المقتدر العباسي ، يجرى على خمسة آلاف من أهل العلم والدين والبيوت والفقراء ، أكثرهم مائة دينار في المشهد ، وأقلهم خمسة دراهم وما بين ذلك :

ولما أراد الخليفة المعتضد بالله العباسي (٢٠٩ - ٢٨٩ هـ) بناء قصره في (الشماسية) ببغداد ، استزاد في الذرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد ، فسئل عن ذلك ، فذكر أنه يريده ليبني فيه دوراً ومساكن ومقاصير ، ترتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية ، ويجرى عليهم الأرزاق السنية ، ليقصد كل من اختار علماً أو صناعة رئيس ما يختاره ، فيأخذ عنه .

هذا ما كان في بغداد — إحدى حواضر الإسلام — أما في القاهرة فإن الأمير طولون اشترى محلة بأسرها وأوقفها على مسجد وعلى من ينزل به من الغرباء وأهل الفضل وطلبة العلم ، نفقة لهم ، حتى لا تختل أمورهم ، ولا يصيبهم من الخلل ، كان هذا في أواخر القرن الثالث الهجرى .

واشترى العزيز بالله الخليفة الفاطمي سنة ٣٧٨ هـ داراً إلى جانب الجامع الأزهر ، وجعلها لخمس وثلاثين من العلماء ، وكان هؤلاء يعقدون مجالسهم العلمية بالمسجد في يوم الجمعة بعد الصلاة حتى صلاة العصر .

وكان الوزير « ابن كلس » يحب أهل العلم والأدب ويقربهم ، وكان يجرى بأمر الله ألف دينار في كل شهر على جماعة من أهل العلم والوراقين والمجلدين - هذا بعض ما كان يجريه على أهل العلم .

على أن هذه الإجراءات والتسهيلات والمؤسسات التي بيناها ، وإن كانت كثيرة ومتيسرة في كثير من المدن فإننا لا يمكننا أن نطلق عليها (التأمين الاجتماعي) بالمعنى الذي يفهم في هذه الأيام ، ولكن الأمور السالفة ساعدت على نشر العلوم في بلاد الإسلام - في الوقت الذي لا نجد لها مثيلا عند الأمم الأخرى .

وإن التأمين الاجتماعي بالمعنى الحقيقي كان في القرن الخامس الهجرى ، وذلك على إثر تأسيس المدارس ، وانتشارها في البلاد الإسلامية ، فكان للمدارس من الوقوف المستمرة ما تكفل للطالب تأمين مسكنه وطعامه وكسوته وما يحتاجه من كتب ولوازم . ففي المدرسة غرف لمبيت الطلاب الغرباء والمعوزين . ولهم جرايات مستمرة من وقوف المدرسة تكفل لهم كافة ضرورياتهم مدة الدراسة .

وأول من كان له الفضل في هذا التنظيم الدقيق هو الوزير « نظام الملك » (٤٠٨ - ٤٨٥ هـ) الموافق (١٠١٧ - ١٠٩٢ م) فإنه

بنى المدارس فى كثير من البلاد الإسلامية ، وأوقف لكل مدرسة ما يلزم لإدامة عمارتها وأثاثها ، وما يحتاجه الطلاب من السكن والكتب والطعام والجرايات الوافرة التى تعينهم على مداومة الدرس .

عرفت هذه المدارس « بالنظامية » وأول مدرسة بناها نظام الملك هى التى كانت فى بغداد فتحت سنة ٤٥٩هـ الموافق (سنة ١٠٦٦ م) ثم بنى غيرها فى كثير من البلاد « فلم يخل منها بلد ، حتى (جزيرة ابن عمر) التى هى بزاوية من الأرض لا يؤتى لها بنى بها مدرسة كبيرة حسنة » .

وبعد هذا نرى الخلفاء والملوك وأهل الإحسان يتسابقون فى بناء معاهد العلم المختلفة ، من مدارس ودور حديث ودور قرآن وزوايا ، وكانوا يوقفون لكل معهد ما يكفى لصيانته وإدامته ، والنفقة التامة على طلاب العلم والمدرسين الذين يتولون التدريس فيه ، فكثرت المؤسسات العلمية فى سائر البلاد الإسلامية حتى صار فى بعض المدن منها ، ما يعد بالعشرات .

وإن بعضهم كان يبنى عدة معاهد فى المدن المختلفة كما فعل نور الدين محمود زنكى (٥١١ - ٥٦٦ هـ) فإنه بنى مدارس ودور حديث ودور قرآن ومكاتب سبيل فى بلاد الشام والجزيرة ومصر والعراق - وكذا صلاح الدين الأيوبى (٥٣٢ - ٥٨٩ هـ) فإنه بنى معاهد مختلفة فى القدس ومصر والشام ، وأوقف لها أوقافا كثيرة ، فكانت بلاد الإسلام عامرة بمدارسها المختلفة بفضل ما بناه أهل الخير ومحبى العلم - حتى أقصى البلاد الإسلامية ، فذكر ابن بطوطة أنه عند ما وصل (مقدشو) أمر السلطان أن ينزل (بدار الطلبة) وهى معدة لضيافة الطلبة وذكر عن بلاد (اللور) أن السلطان أحمد عمر ببلاده أربعمائة وستين (زاوية ومدرسة) وأنه قسم خراج بلاده أثلاثا ، فثلث منه لنفقة المدارس والزوايا والثلث منه لمرتب العساكر ، والثلث لنفقته ونفقة عياله .

وكان فى الموصل سنة ٦٥٦ هـ (٢٨) مدرسة ، و (١٨) داراً **للحديث** ، و (٢٧) زاوية ، سوى المكاتب ودور القرآن .

(البقية فى العدد القادم)

حسن عبد العزيز نصر

الفقه والقضاء

للأستاذ عباس طه

الفقه فى كل عصر وجيل نقطة ارتكاز يرتكز عليها القضاء فى ممارسة ما يعرض له من أقضية وما يتصل به من ملابسات تجعله خاضعا للون من ألوان عصره، وزمانه وقد مكن للقاضى فيما وراء ذلك، ففى عنقه أمانة كبرى هى استنباط العظات والعبر من تجاربه مضافة إلى قوة ممارسته للأحداث والواقعات فيما يصدر عنه من أحكام، فليس القاضى سوى رجل مطالب بأن يجمع بين الاعتبارات والتطورات حسبما تمليه وقائع كل عصر وكل زمن ما دام يستند إلى أصل شرعى، ثم لا عليه بعد ذلك أن يخطئ إذا كان مرد خطئه الاستنباط البرئ. والاستناد إلى أصل شرعى.

حكى الإمام الجاحظ فى كتابه «البيان والتبيين» أن عمر وهو الذى ولى أبا موسى الأشعرى القضاء ترامت إليه الأنباء بأن أبا موسى يصدر فى أحيان قضاءه وهو منحرف عن المحجة وقد أعوزته الحجة فكتب إليه عمر يقول له: يا أبا موسى بلغنى أنك وأنت على دين موفور وعقل راجح وبديهة مخصبة يضل بك المسلك عن إصابة الحجة فلا عليك من ذلك شيء. مادمت قد أخلصت لله فى ترسمك مواقع الصواب وتحريك مدراج العلم واتهاجك منهج أسلافنا الصالحين يا أبا موسى:

إن القضاة إن أرادوا عدلا
وفصلوا بين الخصوم فصلا
فزحزحوا فى الحكم منهم جهلا
كانوا كمثل الغيث صاب محلا (١)

يقول العلامة فخر جيله ورسول إنجيله أستاذنا الإمام محمد عبده فى كتابه «الإسلام والنصرانية» ليس على القاضى فى خطئه إذا أخلص النية تعقيب فهو بشر قبل كل شيء. إنما عليه المآخذ تأخذه بالنواصى والأقدام إذا انزلق فى مزالق الهوى وأحاطت بعنقه الشبهات فالقاضى المتحرر من قيود النصوص وأعباء المراجع التى تحدد إدراكه وتقديره للواقعات غير مبق على كتاب يصرفه عن تكوين رأى أو تأسيس نظر هو قاضينا وهو مجتهدنا «إذن فاعطنى قاضيا ولا تعطنى قانونا».

---

(١) المكان القفر.

فالفقه الإسلامى (وإن كان مصبوغا بلون من ألوان الفقه القديم كالفقه الرومانى والفقه الفرعونى مثلا وما إليهما من ألوان الفقه) قد قطع مرحلة كبيرة فى إشباع الغرائز القوية والفطر السليمة من حيث علاج المجتمع فى علله وأمراضه وما يعرض له من نوبات تجعله فى بعض الأحايين متأرجحا يمشى الوجى إلى الطريق الأمثل. فلقد كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تحمل الهدى والرشاد إلى بنى البشر لأنها (خلاصة مئات من القرون تعاقبت فيها رسل وأنبياء ومرشدون ووعظة وهداة وقضاة فكانت الدعوة النبوية مؤسسة على أفضل الأسس وأقومها لأنها خيار من خيار انتهت فى مصير أمرها عسلا مصفى ولبنا خالصا سائغا للشاربين).

والفقه الإسلامى من أروع وأجل ما صنف العرب منذ أقدم الأجيال حين جمعت الفضائل الخلقيه والغرائز المثالية فى بوتقة واحدة صهرتها ثم جعلت منها نظاما عاما للبشرية يقتفى الناس أثره ويضربون فى الحياة على هداه فالفقه بسليقته قسطاس مستقيم ينهل منه كل صاد لأنه المنهل العذب الذى تصدر عنه شتى مراجع الحياة ومستقرها فهو النور الساطع إذا عميت السبل على الحكام وشملت الحيرة قلوب أهل الخبرة. لكن قيل بعد ذلك هبط إلى الأرض مشترعون ومقننون ومارسوا المراجع الكبرى والأصول العامة كالكتاب والسنة والقياس والإجماع فاختلفوا فى تقديرهم وطرق استنباطهم وطلعوا على الناس بفروع اصطلحوا على تسميتها الفقه. وهى فقه حقا لأنها مست مرافق الحياة وأحاطت بأمراضها وعللها وردت كل فرع إلى أصله حتى أضحت المنهل الصافى الذى ترد إليه عامة الناس وخاصتهم ليستقوا منه ماء النمير غير أن فريقا من المصنفين جاءوا فى حقبة من حقب التاريخ فصاغوا الفقه الإسلامى صياغة لم ترض كل الناس من ذوى الاطلاع ومن أسهموا فى تاريخ الفقه الإسلامى بكل شبر وذراع فكان تعقيد فى العرض والتواء فى المآخذ وعكس فى المقاصد وإبراز فاتر لأرجح الآراء. لأن ؛ جمهرة منهم كانوا من الأعاجم لا من العرب الذين التوت عليهم المقاصد العربية وندوا عن تفهم أصولها ، ومناهجها ، فظهرت هذه العجمة فى العرض والعبارة والاستنتاج حتى ضاق أنصاف المتعلمين والطالبون بذلك العرض وتلك المتون وتبرم بتلك الأساليب فرق كثيرة من أهل الاطلاع والعلم. ومن ذلك نشأت حيرة القاضى فى بعض الأحايين. فالمفروض فى القاضى أن يجد مردا لقضاياه وطريقا معبدا سهلا فى مراجعه ومآخذه فإذا عرضت

له شبهات أسعفه النص الواضح والطريق القويم من التصنيف والقوانين التى تعاقبت على المحاكم فى السنين الأخيرة قد حلت كثيراً من الأحاجى الفقهية وأتت على قسط وافر من أمراض المجتمع غير أنها لم تف الوفاء كله بالمطلوب .

قال العلامة الكبير أبو زيد عبيد الله الدبوسى الحنفى المتوفى سنة ٤٣٢ هـ فى كتابه المسمى « تأسيس النظر » ما يستدل به على أن كثيراً من علماء الفروع مسرفين فى طريقة العرض وطريقة التدليل وطرائق الاستنتاج ولم يسبق فى تاريخ الفقه صنيع يستحق التقدير والثناء كالصنيع الذى صنعه العلامة الدبوسى فى تفصيل هذه المذاهب بين علماء علم الخلاف .

وفى الحق أن الفقه الإسلامى بحالته الراهنة قد مزج المدنيات المتلاحقة فى عصور سابقة بأنبل المثل وأسماها وأسلك الطرق وأنجاها فهو الذى رق بالإنسانية وبعث فيها حوافز الرحمة التى يجب أن تسود بين بنى الإنسان .

إن الإسلام فى دقة مراميه وسمو معانيه قد محا الفوارق بفلسفته التشريعية وقضى على الأثرة والتشيع .

عباس طه

(بقية المنشور على صفحة ٧٤٣)

برهاننا الذى لا يدفع على أن الرجل لا يريد انتقاص صاحبه ، ولا يتكلف الادعاء مغتراً بما علم كما وهم الواهمون[1] ولكنها جمحات القلم فى ظروف خاصة تدفع صاحبها إلى بعض الشطط ثم يعاوده الهدوء المتزن ، فيميل إلى النصفة والاعتدال . ولو كان المرصفى يرى المبرد غير ثقة فيما يقول ، ما عكف على شرح الكامل وتدريسه ، فقطع زهرة شبابه فى تفهم أسراره ، واكتناه مراميه ، وجاء شرحه الفخم فى أجزائه الثمانية دليلا ملموساً على أن المبرد قد عاد إلى الحياة مرة أخرى بالأزهر واستبدل القاهرة بحاضرة العباسيين .

وقد عاش الرجل العظيم مقدراً مهيباً بين تلاميذه ورؤسائه ، مرموق المكانة فى محيطه وأمته ، فكان فى شبابه موضع احترام الأستاذ الإمام وتقديره ، ثم اختير فى كهولته عضواً بارزاً فى جماعة كبار العلماء ليحفظ بها للأدب مكانته ، ولم يفارق الحياة فى سنة ١٩٣١ حتى رأى بعينيه أبناءه فى حلقات الدرس يقودون زمام الرأى فى مضمار الصحافة والتأليف ، ويتسنمون زعامة الفكر فى أقطار العروبة ، فقر عينا بما غرس ، وأدرك أن دوحته الوارفة قد آتت من كل زوج بهيج .

محمد رجب البيومى

---

(١) دارت معركة أدبية حول هذا الوهم بمجلة الرسالة السنة التاسعة سنة ١٩٤١ .

ما يقال عن الإسلام

الإسلام فى إفريقيا الشرقية

للأستاذ عباس محمود العقاد

ألف هذا الكتيب الدكتور ليندون هاريس علم من أعلام التبشير فى القارة الإفريقية، وقصره على البحث فى أحوال الإسلام والمسلمين بين أهل زنجبار وبمبا وتنجنيقا وما جاورها من بلاد السواحل الإفريقية، وجمع فيه معلومات متفرقة يتحرى فى بعضها الدقة العلمية والمطابقة للمشاهدات الواقعة لأنه يريد بها اطلاع العاملين فى التبشير على حقيقة الموقف للاستعداد لها بما يصلح لها من العدة الكافية والوسيلة المجدية، ولا يملك فى بعضها الآخر أن يتجرد من آرائه وأهوائه كلما تعرض لشرح العقائد الإسلامية وتفسير الحوادث التاريخية ومآثر المسلمين فى العالم كله وفى تلك البلاد على التخصيص، فهو فيما عرض له من هذه الأمور مصطبغ بصبغته التبشيرية على الرغم منه أو باختياره ورضاه، مطاوعة لغايته وهواه.

بدأ معلوماته باقتباس كلمة الحكيم الانجليزى صمويل جونسون التى يقول فيها: إن المسيحية والإسلام فى عالم العقيدة هما الديانتان الجديرتان بالعناية، وكل ما عداهما فهو بربرية...».

وعقب على هذه الكلمة فقال: إن وصف البربرية شديد بالنسبة إلى الديانات الأخرى التى كشفت حقائقها بعد عصر الدكتور جونسون، ولكنه استرسل فى وصف الإسلام ليقول: إنه الديانة الوحيدة التى تعد على الدوام «تحديا» أو مناجزة لجهود التبشير والمبشرين، ثم مضى يسرد المعلومات التى تطابق الواقع أحيانا وتناقضه أحيانا ونجتزئ منها بالمهم من وجهة النظر الإسلامية فى السطور التالية:

يقول الدكتور ليندون هاريس - بعد ذلك التمهيد - بصريح العبارة: إن جهود التبشير بين المسلمين فى إفريقية الشرقية عقيمة لا تؤذن بالنجاح القريب ولا بالنجاح المضمون، وإن نتيجتها كلها إلى اليوم عدم (Nil) ولا يرجى أن تتغير هذه الحالة بغير جهود متواصلة يطول عليها المطال.

ويخرج من هـذه النتيجة بتقرير الواقع الممكن من أعمال التبشير . وهو توجيه الجهود إلى أبنـاء البلاد الإفريقيين الوثنيين ، فإن الجهود فى هذه الوجهة لا تذهب سدى ولا يزال الأمل فى نجاحها مفتح الأبواب لمن يحسنون الوصول إليها ، وإن كانت هـذه الأبواب مفتحة للمبشرين وللعاملين على نشر الدعوة الدينية من المسلمين ، ومفتحة كذلك للمسلمين الذين يستميلون الوطنيين إلى دياناتهم بغير دعوة منتظمة .

ويذكر الدكتور ليندون عقبات الدعوتين بين القبائل الوطنيـة التى تحكم على الغرباء بالسمعة العامة بين سابقة ولاحقة .

فالمسلمون يشيع عنهم ـ أو يشاع عنهم ـ أنهم هم وحدهم المسئولون عن أعمال النخاسة فى العصور الماضية ، ولا يذكر المؤلف شيئاً عن النخاسة فى إفريقية الغربية ، وهى تدل بآثارها على الفارق بين النخاسة المنسوبة إلى تجار العرب وغيرهم من الآسيويين ، وبين النخاسة الأوروبيـة الأمريكيـة التى نقلت السود إلى العالم الجديد ، وعدتهم الآن هناك لا تقل عن ستة عشر مليونا من الرجال والنساء ، وهم أضعاف الأرقاء السود الذين نقلوا من بلادهم إلى الأقطار الآسيوية فى عدة قرون .

أما التبشير المسيحى فالدكتور ليـندون يقول عن السمعة العامة التى تعوقه : إن الوطنيين يقرنون بين الرجل الأبيض والمستعمر وبين ديانته وديانة المبشرين ، وإن جماعات التبشير تحسن صنعا إذا اتخذت فى السياسة مسلكا يعزل فكرة التبشير عن فكرة الاستعمار فى عقول أبناء البلاد الأصلاء .

ويروى المؤلف من أعمال الدعوتين أن القرآن الكريم ترجم إلى اللغـة السواحلية ترجمتين : أحـدهما بقلم كانون دبل المبشر (سنة ١٩٢٣) لم يقبل عليها أحد من الوثنيين وكاد أن ينفرد المسلمون باقتنائها ، وإن كانوا لا يعولون عليها .

والترجمـة الأخرى نقلها « الأحمديون » الهنود وحشوها بالبحوث الفقهية (اللاهوتية) التى لا يطيقها أبناء البلاد الأصلاء ، ويرتضيها المسلمون أهل السنة من قراء الكتاب باللغة العربية .

ويتطرف المؤلف فى هذا السياق إلى الشيع الإسلامية فيروى كلمة للشاعر محمد إقبال ينعى فيهـا على المسلمين فى بلاده أنهم أصبحوا كالبراهمة فى تعدد الشيع والنزعات .

ومن المشاهدات التى يرددها المؤلف أن أثر المسلمين فى بلاد العرب الجنوبية أظهر من أثر إخوانهم الذين ينتمون إلى سائر الأقطار الآسيوية ، ويستدل على ذلك بعدد الإفريقيين الذين يقبلون على مساجد هؤلاء .

وهؤلاء ، وبالصلات الاجتماعية التى تنعقد بين كل من الفريقين وبين الإفريقيين السواحليين وغير السواحليين الذين يدينون بالإسلام ، فإن أبناء البلاد الأصلاء يأنسون إلى الجالية العربية عندهم منذ عهد بعيد .

ولا يحاول المؤلف أن يطمس الفارق بين أثر العرب وأثر الأوربيين الأسبقين إلى استعمار إفريقية الشرقية ، فإنه يقرر أن البرتغاليين قضوا فيها نحو مائتى سنة لم يتركوا بعدها أثراً من آثار الحضارة النافعة ، ولم يعقبوا بعدهم غير ذكرى الخراب الذى حل على أيديهم بالمعاهد والمعابد الإسلامية ، ولم يزالوا حيثما نزلوا يخربون وينهبون حتى استغاث السواحليون بالإمام سعيد صاحب عمان ، وهو والد سعيد الأول سلطان تولى من هذه الأسرة حكم زنجبار .

أما العرب الذين انتقلوا إلى السواحل فإنهم نقلوا إليها الكتابة والعمارة وأدوات الحضارة وطبعوها بطابعهم فى كثير من أحوال المعيشة .

ويتساءل المؤلف عن المستقبل فيقول : ماذا عند العرب يعطونه الإفريقيين بعد اليوم وماذا عند الأوربيين ؟ .

ثم يجيب قائلا : إن الأوربيين يعطون المدارس والمستشفيات والمرافق العصرية ويرجحون على العرب بمدارسهم التى تعد الطالب الوطنى لأعمال الحياة العامة والخاصة فى العصر الحديث ، ولكن المدارس العربية ينحصر عملها فى تحفيظ القرآن وتعليم الهجاء والمطالعة الأولية ، ولا تصحب هذه المدارس - أو المكاتب - أعمال أخرى من قبيل أعمال الخدمة الاجتماعية التى ينشئها الغربيون ، إلا قليلا من المعونة يقوم بها أهل الخير هنا وهناك من قبيل الصدقة والإحسان .

يقول : « إن الإقبال على التعليم الحديث وفقا للبرامج الأوربية يقبل عليه المسيحيون والمسلمون على السواء . وقد كان المسيحيون يدخلون أبناءهم مدارس المبشرين ويؤثر المسلمون لأسباب دينية أن يعلموا أبناءهم فى المدارس الحكومية ، ولكن هذه المدارس الحكومية مبعثرة متباعدة بين أطراف البلاد الداخلية ، وأكثر التعليم على البرنامج الغربى تتولاه مدارس التبشير » .

ثم يقول : « إلا أن مدارس السواحل الإسلامية التى تشرف عليها الحكومة تقارن بأفضل المدارس التى يديرها المبشرون ، ويقبل عليها أبناء الهنود والعرب ، مع اتجاه الرغبة أخيراً إلى نشر التعليم العصرى وقيام الطائفة الإسماعيلية على الأكثر ببناء المدارس لنشر هذا التعليم ، وقد تم بناء نحو خمسين مدرسة على البرنامج الحديث منها ثلاث مدارس ثانوية نشأت كلها بعد الحرب العالمية الثانية » .

ويوازن المؤلف بين الوسائل فيرى أن

وسائل الإسلام أقل من وسائل المبشرين ، ولكنه قدم لذلك بتردده فى الحكم على المستقبل فقال : « إنه ليس فى الوسع أن ينبئ أحد بمصير الأمور فى بلاد تتوالى فيها المفاجآت على غير انتظار ، فلا يبعد أن يميل وقاص الساعة كرة أخرى إلى جانب الإسلام ؛ لأنه عامل من العوامل الحاضرة أبدا فى هذه البلاد » .

وعند المؤلف أن المؤثرات المعنوية تتقابل فى نفوس المسلمين فتعطيهم من جانب عوضا عما تسلبهم من الجانب الآخر ، ولا يلبث المسلم أن يستكين شعوراً منه بالفارق بينه وبين الغربيين فى الزمن الحديث حتى تثوب إليه العزة فخرا بماضى الإسلام العريق ، وأن هذا الفخر - كما يقول المؤلف - لعامل مهم جداً فى هذا الموقع من بلاد العالم ، إذ ليس للإفريقى تاريخ يذكره ويفخر به قبل أجيال معدودات .

ويخلص المؤلف من ذكريات الماضى ونبوءات المستقبل إلى خطة يرى أنها كفيلة بإتمام جهود المبشرين الأوربيين التى يعجزون عنها فى موقف المقابلة بين التراث الإسلامى العريق والتراث الإفريقى الحديث ، فإن المبشر الأوربى قليل الجدوى فى هذا المجال ، ولكن جدواه القريبة إنما تنتظر من المبشرين أبناء البلاد الأصلاء الذين تحولوا عن عقائدهم الأولى على أيدى بعثات التبشير منذ سنين . فإنهم أحرى أن يقابلوا الدعوة الإسلامية بشعورهم الوطنى الدينى ، فيؤدون هنا عملا لا ينتظر من المبشرين البيض .

قال : « إن ابن القبيلة الإفريقى يلمح نظافة المسلم شخصا وبزة كما يلمح المكانة التى يكسبها بأدب (الحشمة) الاجتماعية وتملق مكانة الرجل الإفريقى بهذه الحشمة المصطلح عليها ، وهى مكانة ذات شأن حيث يعيش الناس على مرأى بعضهم من بعض فى حيزهم المحدود ، فلا جرم أن يعتز المسلم بهذه الحشمة فوق اعتزازه بكل شىء ؛ لأنها مقياس خلقه وحياته ، وبها يستدعى المناظرة ومحاولة التشبه به من أبناء البلاد الأصلاء » .

ثم ختم الرسالة ملحاً على التنبيه إلى « المناجزة المتحدية » من قبل الإسلام ، مهيباً بأنصار التبشير الغربيين أن يضاعفوا العون الذى لا غنى للتبشير عنه لبلوغ الغاية منه ، ... « فليس فى وسع البعوث التبشيرية أن تعهد للمبشرين من أبناء إفريقية الأصلاء دعوة إخوانهم المسلمين ، ولكنها بغير هؤلاء لا يرجى لها نجاح » . ؟

عباس محمود العقاد

العابد المثالى

" الفجر "

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

من وراء الظلام أقبل يسرى عابد فى ثيابه البيضاء
وعلى وجهه يرف صفاء مستمد من قلبه الوضاء
أينما سار ، فالظلام ضياء عبقرى الأطياف والآلاء
جاء يسرى ، والبدر فى الأفق يسرى كسرى المستهام فى الظلماء
تارة يأمن العيون ، فيبدو فإذا خاف . جد فى الاختفاء
ورياح المساء تبعث نجوا ها لروح الطبيعة العذراء
فتثير الحنين فى كل قلب من قلوب العشاق والشعراء
وأنا جالس على الربوة الخضراء ، والروح سابح فى الفضاء
ساهر أنظم الحياة بروحى فى قصيد يزهو بسحر الأداء
وأبث الوجود أشواق نفسى لعهود قد أمعنت فى التنائى
وأغنى . . . ويا له من غناء ! ثم أبكى . . . ويا له من بكاء !

⁂

ظل يسرى حتى أتى الغاب فانسا ب إليه كالجدول المتراءى
ومضى فى رحابه مستشفا كل ما فيه من بديع الرواء
وقفة عند أيكة تتجلى عن غرام مستعذب وغناء
عند غصن يداعب النور عطفيـــه ، فيغضى وينثنى فى حياء
وتريق الندى عليه النسما تُ ، فيهتز هزة الحسناء
عند زهر كأنه الشفق الحا لم بين السحائب الشهباء
عند نهر كأنه الامل البا سم يبدو فى ظلمة البأساء

وعلى الجدول الذى راح يصغى في فتون إلى حديث المساء
وقف العابد التقى يصلى للإله العظيم رب السماء
ويناجيه فى خشوع عميق كنبي فى ساعة الإيحاء
قال : يا خالق الوجود جميلا لقلوب إلى الجمال ظماء
إن هذا الجمال يغمر نفسى بضياء الهدى ، ونور الصفاء
إن هذا الجمال يسمو بروحى فى جواء طليقة الأرجاء
فأرانى بها هزارا طليقا يتغنى بأمنيات وضاء
هز أشواقه نداء خفى فهفا هائما وراء النداء
عائدا للخفاء موطنه النا ئى ، وقد جاء من ضمير الخفاء
كسفين أضله البحر دهرا وهداه السرى . . . إلى الميناء
وأرانى بها شعاعا رقيقا يتسامى بالشوق نحو العلاء
هائما سابحا إلى الشاطئ الثا ئى ... على موجة من الأضواء
إن هذا الجمال لحن جميل ساحر الجرس ، فاتن الأصداء
أنت أبدعته ، فكان نشيدا هز روحى وخافقى ودمائى
هو بين الهول همس ونجوى وهتاف فى القمة العلياء
كل ما فى الوجود روح جميل رائع فى الظلام أو فى الضياء
ساحر باهر خريفا وصيفاً مشرق فى الربيع أو فى الشتاء
غير أن العيون لا تسبر الأعماق . . بل تستقر فوق الماء
وأنا أبصر الوجود بروحى فأرى كل ما به من بهاء
يا إلهى لأنت نبع حياتى وحياتى من أعظم الآلاء
فلك الشكر يا بديع البرايا ولك الحمد مبدع الأشياء
يا إله الوجود تلك صلاتى ملؤها نشوتى وهذا دعائى
فتقبلهما مناجاة روح برئت من نوازع الأهواء
واعف عنى إن لم أحظ بك علما أنت فوق النهى ، وفوق الذكاء
ووداعا يا أيها الغاب حتى يأذن الله بيننا باللقاء

ابراهيم محمد نجا

آراء وأحاديث

زعيم المسلمين فى الفلبين :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبه السيد / أحمد ألونتو زعيم المسلمين بالفيليبين وعضو الشيوخ ، ودامت المقابلة أكثر من ساعتين سجل فيها فضيلة الأستاذ الأكبر حديثاً يتصل بالإسلام عقيدة وشريعة إجابة على الأسئلة التى قدمها السيد ألونتو إلى فضيلته ، وسيذاع هذا الحديث فى كل من الفيلبين وإندونيسيا والملايو وتايلاند .

وقد شكر السيد الزائر فضيلة الأستاذ الأكبر على جهوده القيمة التى يبذلها فى سبيل نشر الثقافة الإسلامية فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، كما شكره على إجابته على الأسئلة التى قدمها إلى فضيلته .

كما حمله فضيلته حديثا إلى جميع مسلمى الفيلبين ودعاءه لهم بالتوفيق والعمل بكتاب الله وسنة رسوله .

نص الحديث :

إخوانى وأبنائى المسلمين :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد : فإنه ليسعدنى أن أتحدث إليكم فيما يخص الشئون الإسلامية ويوضح معالم الطريق أمامكم ويكشف لكم عن كثير من جواهر الدين الإسلامى ودرره ، وإننى لأشكر أخى فى الله السناتور أحمد دوماكو ألونتو على ما رفع إلينا من أسئلة تحقق لنا ولكم هذا الاتصال الطيب ، وأشكره كذلك على ما قدم إلينا من شكر على ما سماه عناية بأمور المسلمين ، وعلى اتصالنا بكم فى مطلع شهر رمضان وفى أول يوم من أيام عيد الفطر المبارك ، وأقول له : إن ذلك كله واجب دينى تحتمه شريعتنا ويفرضه ديننا نحو إخواننا المسلمين فى العالم أجمع ، وكذلك أشكره على ما قدم لنا من عرفان بجميل الأزهر الشريف وقبوله طلابا من أبناء المسلمين فى الفيلبين ، وكذلك عن استقباله فى قاعة المحاضرات الكبرى فى الأزهر الشريف يوم أن ألقى محاضرته الطيبة ، فكانت صلة بيننا وبين ثلاثة ملايين مسلم ، وأقول له : إن أملنا فى نهضة المسلمين ودفعهم إلى الأمام وتعريفهم بشئون دينهم الذى جمع بين سعادتى الدنيا والآخرة ليجعلنا نسقط من حسابنا كل جهد يبذل وكل مشقة تكون ، سائلين المولى أن يجعل المسلمين على قلب رجل واحد ، أمة واحدة

متراصة البناء قوية قويمة ، لتقف أمام كل بغى أو طغيان ، كما كانت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده ، ولذا فإننى أبدأ بالإجابة عما قدم أخى السيد / أحمد دوما كاو وأدعو الله أن يوفقنى بدوام الاتصال بكم لنقف على أسرار كتاب الله وسنة رسول الله ، فأقول والله المستعان .

١ — إن واجب المسلم نحو حكومته هو الطاعة مالم تخالف أوامرها أمر الله ولا أمر الرسول أو تنافى مصلحة المسلمين وعلى المسلم فى هذه الحدود السمع والطاعة وما لم يكن فى ذلك معصية لله ولرسوله فعلى المسلم السمع والطاعة فقد عرف شرعا أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

٢ — وواجب المسلم لا يختلف ولا يقل ولا يخف نحو حكومته ما دام كل عملها للمصلحة العامة وما دامت لا تخالف أوامرها أو أمر الله ولا أوامر الرسول ولا فرق فى ذلك بين حكومة علمانية أو دينية وخاصة إذا ما كانت الحكومة دائما ترعى شئون المسلمين وتحرص على شعائر الإسلام يخطئ من يفهم أن أولى الأمر الذين أوجب الله طاعتهم فى قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» يخطئ من يقول إنهم الحكام مطلقا وإنما هم أولو الشأن الذين يعرفون أوامر الله ويقدرون مصلحة الناس بدليل قوله تعالى «وأولى الأمر منكم» فالحكومات المستعمرة التى تتدخل فى شئون المسلمين الدينية لا تقدر مصلحة الناس ولا تحرص على شئون المسلمين ، فهذه لا طاعة لها — أما الحكومات التى هى من صميم الشعب فقد بينا حكم طاعتها فيما أسلفنا وأنه يجب على المسلمين أن يطيعوها فيما لا يخالف أمر الله

٣ — الضريبة متى كانت عادلة يراد بها تحقيق مصالح الشعب مثل إنشاء المعاهد والمستشفيات وتعبيد الطرق والمواصلات وكل ما يعود بالنفع والخير على الأمة وجب على المواطنين جميعا أداؤها وإلا كانوا مقصرين فى حق دينهم وفى حق أوطانهم . ويجب أن يعلم هنا أن مال الضرائب التى تفرضها الدول العادلة بناء على تقدير أهل النظر والاختصاص فى المصالح شىء وراء الزكاة فلا تغنى عنه الزكاة ، فالزكاة شىء والضريبة شىء آخر فقد جمع الله فى بعض آياته بين الأمر بالزكاة وبين الحث على الإنفاق وذلك فى قوله تعالى : «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون»

فأنت ترى من هذا أن الصدقات شيء آخر وراء الزكاة .

٤ – قد قرأنا فى صدر الكلام أن أوامر الحكومات مالم تختلف مع أوامر الدين أو تناقضها وجب تنفيذها وطاعتها .

العلم والفن فى نظر الإسلام :

ما رأى فضيلتكم فى :

أولا : واجب المسلم تجاه البحث عن العلم والمعرفة بصفة عامة ؟.

ثانياً : ماهو العلم والمعرفة فى نظر الإسلام .

ثالثاً : هل يعتبر الإسلام المعرفة ناحية أساسية فى تقدم الإنسان ؟.

رابعاً : هل يستطيع المجتمع الإسلامى أن يحفظ كيانه وبالتالى يبقى على الإسلام إذا رفض أن يعنى بأسباب المعرفة لمجرد أن المدارس الموجودة علمانية فقط ؟.

خامساً : مامدى واجب المسلم فى تحصيل العلوم الطبيعية مثل الطب والهندسة والزراعة والجغرافيا والرياضة والفلك وما شابه ذلك من العلوم مثل التاريخ والعلوم السياسية واللغات والآداب والفنون الجميلة مثل الموسيقى والرسم والرقصات التقليدية والنحت وما شابه ذلك ؟ .

سادساً : هل يجوز للمسلم – فى حالة عدم وجود مدارس إسلامية أو علمانية – لكى يحصل على المعرفة ، الالتحاق بمدرسة دينية غير إسلامية تفرض على تلاميذها دراسة الدين (غير الإسلامى) .

سابعاً : عندما يوجد عدد من المدارس الحكومية العلمانية ، ومدارس دينية غير إسلامية ، ومدارس إسلامية تقوم بنفس الوظيفة ، هل يجوز للمسلم أن يطلب العلم فى غير المدرسة مفضلا عليها المدرسة العلمانية أو الدينية غير الحكومية ؟.

ثامناً : هل يجوز للمسلم أن يحرم على المسلمين طلب العلم فى مدرسة غير إسلامية أو مجتمع غير إسلامى ؟ وهل تعلم اللغة الانجليزية أو لغات غير المسلمين حرام ؟ وفى هذه الحالة ما هو واجب المسلمين المتقدمين تجاه إخوانهم الذين تخلفوا ؟.

وقد أجاب فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا :

الإسلام رفع من شأن العلم والعلماء ووردت آيات كثيرة وأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ، وقد حث القرآن بنوع خاص على التفكير فى الأرض وفى السماء والهواء وما سخر الله من شىء للإنسان لمعرفة أسرار الله فى الكون والانتفاع بها فى الحياة وبذلك كان العلم فى نظر الإسلام غير خاص بالعلم الدينى أى بمعرفة الحلال والحرام والطاهر والنجس وإنما يعم كل إدراك يفيد الناس فى حياتهم . فإدراك ما ينبت البذر

ويصلح الأرض ، علم وإدراك القوى الحربية علم ، وإدراك كل ما يقدم الناس فى حياتهم علم . فالطب والكيمياء والهندسة والصناعة والذرة كل ذلك علم مما نوه الإسلام به ولا فرق فى أن تعلمه المدارس الدينية التى يديرها المسلمون والمدارس التى يديرها غيرهم ، أما المدارس التى تلزم المسلم بتعلم غير دين الإسلام فهذه يجب على المسلمين أن يبتعدوا عنها ، فإنه لا يصح للمسلمين أن يتعلموا فيها .

واجب المسلم القوى نحو أخيه الضعيف :

أما واجب المسلمين المتقدمين بالنسبة للمتخلفين فهو واجب المسلمين الأقوياء بالنسبة للمسلمين الضعفاء فى تخليصهم من أسباب الضعف والهوان ومعنى هذا أنه يجب على المسلمين العلماء أن يعلموا إخوانهم غير المتعلمين ويحثونهم على العلم إذ العلم طريق رقى الأمم وحياتها . والجمهورية العربية بما آتاها الله من قوة فى العلم وفى المعرفة أولى أن تعنى عناية خاصة بهذه الشعوب المتفرقة فى آسيا وإفريقيا تبصرهم بشئون دينهم وتعرفهم بشئون دنياهم فإن كثيرا من هؤلاء كان الجهل يأكلهم ويسد الطريق أمام تقدمهم - كما يحول الاستعمار بينهم وبين معرفة دينهم . ولذا فإنى أعود فأقول : إن من حق المسلمين على الجمهورية العربية المتحدة أن تقدم لهم كل ما يحتاجون إليه من علوم ومعرفة ويجب على المسلمين عامة فى أنحاء الأرض أن يساعدوا إخوانهم فى إنقاذهم من الجهل وتعليمهم أمور دينهم . كما يجب عليهم إنقاذهم من أيادى الاستعمار فإن الجهل شر على الأمم من الاستعمار .

تعلم اللغات الأجنبية :

وتعلم اللغات الأجنبية شأن من شئون التقدم الإنسانى العام وبقدر ما تجهل الأمة من لغات العالم بقدر ما تجهل من علومه وآدابه ، وقد عرفت الترجمة والمترجمون فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كما استخدمت الترجمة فى نشر الدين وتعريف أحكامه فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فى الصدر الأول وقد أثر ترجمة « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » ، ولما اختلط المسلمون بالدول غير العربية اتسعت معارفهم عن طريق تبادل اللغات وترجم الغربيون كثيراً من علوم المسلمين وانتفعوا بها كما ترجم المسلمون كثيراً من علوم الغربيين وانتفعوا بها ونزولا على هذه المبادئ قرر الأزهر الشريف فى عهده هذا تعليم اللغات الغير العربية شرقية وغربية لينشر الدين باللغة العربية وغيرها .

عادات بين مسلمي الفلبيين :

يا صاحب الفضيلة ، إن بعض العادات البالية فى بلادى تقف حجر عثرة فى سبيل التقدم والرقى : هـذه العادات تتعلق بأمور كثيرة : مثل حالات الوفاة والزواج ، والاحتفالات : فعلى سبيل المثال تعتبر الوفاة فرصة للإسراف فى إنفاق أموال الورثة على اعتبار أنها صـدقة تمحو سيئات المتوفى إذ يدعو الورثة أهالى المنطقة جميعا ويوزعون عليهم ما يسمونه (بالصدقة) كما يدفعون للذين يصلون صلاة الجنازة والذين يسيرون فى الجنازة : بل أكثر من ذلك يستمر الإنفاق مدة سبعة أيام حيث يدعى الناس لبيت المتوفى يأكلون ويشربون ويؤجرون وذلك ليقوموا بالتكبير والتهليل .

ثم وجه السنتور دوماكو ألنتو لفضيلة الأستاذ الأكبر طائفة من الأسئلة أجاب عنها فضيلته قائلا :

أما ما تذكرون من عوائد الإنفاق والبذل فى المآتم على النحو الذى ذكرتم من الإسراف فليس إنفاقا فى سبيل الله وليس إنفاقا يأمر به الإسلام ولا صدقة تنفع الميت ، والصدقة المطلوبة تكون للفقراء والمساكين ، أما الإنفاق من أموال اليتامى القصر فهذه جريمة دينية نص القرآن على تحريمها ، إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ، والإسلام ليس له مراسم خاصـة ولا طقوس معينة فى الجنازات ، وإنما يرى أنه يجب على المسلمين وفاء لأخيهم المسلم أن يبادروا جميعا بمجرد العلم لتشييع جنازته حسبة من غير أجر ومعونة لأهـل الميت ، وكذا الصلاة والدفن ، وكل هذا من غير أجر ويحرم على المسلمين أن يأخذوا أجرا على تشييع جنازته وتغسيله وتجهيزه وكل شىء يتصل به وإنما يفعلون كل ذلك حسبة يلتمسون أجـره من عند الله ، وكما ينكر الشرع أخذ الأجر على هذا ينكر الشرع التكبير والتهليل أمام الجنازة أو فى بيتـه أو إقامة سرادقات أو استقبال المعزين. وما كان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يخصصون أياما للتعزية ، ولا أماكن لتقبل هذه التعازى . إنما الذى كان يقع ويعمله الصحابة أنه بعـد الدفن ينصرف كل إنسان إلى عمله ، وإذا اتسع حال أحد من أهل الميت أو من غيرهم بالتصدق أو مواساة أهل الميت بإعداد الطعام لهم لأنهم مشغولون بمصيبتهم يجوز لهم ، وقد عرف ذلك فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

ويجب على الحكومات الراشـدة مكافحة هذه العادات فى طوائف المشيعين والمغسلين وقراء القرآن على القبور .

زواج المسلم بغير المسلمة :

يجوز للمسلم أن يتزوج غير المسلمة بشرط

أن تكون من أهل الكتاب ، وقد جاء فى القرآن « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان » .

على هذا درج المسلمون يتزوجون من المسلمين ومن غير المسلمين بشرط أن تكون كتابية يهودية أو نصرانية أما المجوسية التى تعبد النار أو الشمس والقمر ، فلا يجوز للمسلم أن يتزوجها كما لا يجوز للمسلمة أن تتزوج غير المسلم ولو كتابيا (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) .

لا يجوز إكراه البنت على زواج لا ترضاه :

والصحيح من المذاهب الإسلامية المؤيدة بالأدلة النقلية الصحيحة أنه لا يجوز للأب ولا لولى الأمر أن يكره الفتاة على زواج من لا ترضى بزواجه فالرضا شرط صحة للزواج من الجانبين ويجوز للمرأة أن تباشر العقد بنفسها من غير وليها متى كانت عاقلة تفهم معنى الزواج وتقدره ، وقد رد النبى زواج البنت عندما أخبرته أن أباها قد أكرهها على الزواج من غير من تحب .

أما الشروط الأساسية للزواج فمنها كما تقدم الرضا بين الزوجين (رضاها ورضاه) وصيغة العقد هى أن تقول هى « زوجتك نفسى » أو أن يقول وليها زوجتك موكلتى فلانة على كتاب الله وسنة رسوله زواجا شرعيا على صداق قدره كذا وليس بلازم أن تقول على مذهب أبى حنيفة أو غيره . وأن يقول الزوج قبلت زواجك أو زواجها وذلك بحضور شاهدين غير معروفين بالفسق والخروج عن الدين .

والصداق شأن من شئون الزواج لا بد منه وقد أباح النبى صلى الله عليه وسلم الزواج مهما كان المهر ولو على خاتم من حديد ، وهذا هو حده الأدنى فالمهر هو ما تراضى عليه الطرفان قل أو أكثر ، والمغالاة فى المهور بمعنى توقف الزواج على المهر الكثير الذى تنوء به قدرة الزوج ليس من الإسلام فى شىء ، وما المهر إلا وسيلة من وسائل قضاء المصلحة والتعاون والذى يدفع المهر هو الزوج وهو ملك له ، ويبدأ استحقاقها للمهر بالعقد ويتم بالدخول ، ولا يأخذ أحد من أهل الزوجة شيئا منه أبدا وإنما هو ملك لها .

والحكمة فى دفع المهر أنه حفظ لكرامة المرأة وتعاون على تكوين البيت وتكوين الأسرة .

والاحتفال بالأعياد هو فى الواقع احتفال بذكريات أحـــداث كان لها شأن فى تاريخ

الإسلام فالاحتفال بها إحياء لوعي ما تضمنته من إرشاد وتوجيه وإقدار على الخير وسعي لبناء مجتمع فاضل يقوم على أساس من الإيمان الصحيح والعقيدة الحقة، وهي دروس تاريخية فالهجرة ترينا وتذكرنا بهجرة الباطل وأهله إلى الحق ونصرائه وأن أرباب الحق لا بد أن يهجروا الباطل والإسراء يذكرنا بفضل الله على نبيه وقدرته على إيوائه وإكرامه. وليلة القدر تذكرنا بأكبر نعم الله على عباده وهو إنزال القرآن الذي به هداية المسلمين وسعادة الناس أجمعين وكذلك الاحتفال بميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما الاحتفال بالعيدين فهو يذكرنا بتوفيق الله للمسلمين على صوم رمضان وتوفيقهم لأداء نعمة الحج بالنسبة لعيد الأضحى، أما عن عاشوراء ونصف شعبان فلم يرد في الاحتفال بهما شيء يعتد به.

وإن الأهمية في هذه الأعياد أنها من باب الذكريات. والذكريات تحيي الأمم وليس لها طقوس خاصة إذ الاحتفال إنما هو الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم وبما كان يفعله أصحابه.

وأخيرا فإن الاحتفالات التي انتشرت بين المسلمين يجب النظر فيها من جهات:

أولا: من جهة بعدها عن المحرمات وخلوها من الإسراف والتبذير وينبغي أن يعنى أهل العلم بشرح آثارها التي ترتبت على أحداثها وتوجيه المسلمين إلى أهدافها.

وعلى العلماء جميعا أن يبينوا للناس ما هو مشروع من هذه الأشياء. وما هو غير مشروع نسأل الله أن يجمع الجميع على ما فيه خير الإسلام والمسلمين.

وإني أكرر شكري للسيد الوزير وللشعب الفيليبيين وأحمله تحياتنا إلى هذا الشعب أسأل الله التوفيق وأن يطهر بلادنا من الاستعمار وأن يحميها من الجهلة والمبتدعين

وليس للصدقات أوقات معينة وإنما وقتها وقت ظهور الحاجة إليها من الفقير والمسكين، وأما أرواح الموتى فشأن غيبي لا يعلمه إلا الله لا ندري متى تحضر ولا متى تغيب.

ولا ينبغي تلقيب الرسول صلى الله عليه وسلم بالمقدس وكما ورد في سؤالكم، إنه صلى الله عليه وسلم بشر وعبد من عباد الله اصطفاه الله بالوحي وكرمه بالمنزلة العالية والمقام المحمود وأما الصدقة على روحه صلى الله عليه وسلم فنقول إنها لا تختص بإنسان دون الآخر وإنما هي مال ينفق في سبيل الله ويسد حاجة الفقير والمسكين. والله المستعان «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم»، «وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله».

الكتب

نقد وتعريف

عرض لكتاب « اللغة الشاعرة »

للكاتب الكبير الأستاذ عباس العقاد

الناشر مكتبة الانجلو المصرية فى ١٦٠ صحيفة قطع متوسط

كتاب « اللغة الشاعرة » دراسة عميقة ، وبحث واف مركز ، عن لغتنا العربية .

والكتاب يتناول إجمالا ناحيتين هامتين تشبع الأولى منهما نهم الباحث اللغوى ، الذى يحلل المشكلات اللغوية من وجهة نظر علم اللغة Linguistics كما تحقق الثانية رغبة الناقد الأدبى الذى يعنى بالفكرة فى إطار العبارة والأسلوب .

وينتظم القسم الأول من الكتاب الموضوعات الآتية :

الحروف ، المفردات ، الإعراب ، العروض ، أوزان الشعر ، المجاز والشعر ، الفصاحة العلمية .

أما القسم الثانى فموضوعاته هى :

لغة التعبير ، الزمن فى اللغة العربية . الشعر ديوان العرب ، نقد الشعر العربى ، النقد العلمى .

الشعر العربى والمذاهب العربية الحديثة :

فموضوعات صدر الكتاب تبين أهمية لغتنا العربية بما خصت به من مزايا لاتوجد فى غيرها ، وقد فصل فيه القول دبألة علمية موضوعية تعتمد على اللغة نفسها ، فحروفها واضحة المخارج ومفرداتها موسيقية المقاطع فهى لغة تندرج كل كلمة فيها ضمن نوع معين من موسيقى التركيب اللغوى « الأوزان الصرفية » كما أن الإعراب قد خلق فيها حرية التركيب والبناء ، فلا يلتزم الفعل والاسم فيها موضعا معينا كما فى غيرها من اللغات بل البناء من حيث يرتبط فهم المعنى بالإعراب فى أواخر الكلمات .

ومن أجل هذا جعلها علماء اللغات فى القمة بين اللغات الكاملة التصريف .

أما العروض فأوزانه التى تعتمد على المقاطع المركبة من توالى الحركات والسكنات بوضع خاص ، فهو قمة الموسيقى الفنية فى لغتنا العربية وقد وضح الأستاذ العقاد كيف أن فن الوزن فى العروض يحمل فى طياته الجمال الموسيقى ، وهذه خاصة من خصائص الشعر العربى ، بخلاف الشعر فى اللغات الأوربية التى نعرفها ، فإن اعتماده على ما يصاحبه من رقص أو توقيع أو غناء أو موسيقى أو إنشاد ، وغيرها من الأمور التى بدونها يصعب تمييز الشعر عن النثر .

وقد أكد الأستاذ العقاد أن هذا الفن ليس أثراً من آثار المزاج السامى السريع الاستجابة للمؤثرات ، ولكنه قد اعتمد فى نشأته على الحداء ، والحداء غناء منفرد موقع على نغمة ثابتة ، ولا بد للغناء المنفرد من القافية ، لأنها هى التى تنبه السامع إلى المقاطع والنهايات ، خلافا للغناء المجتمع الذى يشترك فيه الكثيرون فيعرفون من سياقه أين يكون الوقوف وأين يكون الاسترسال ... ولا بد للغناء اللازم لحركة واحدة من الحداء لمسايرة الحركة ومجاراتها فى إيقاعها » .

وقد نعى الأستاذ العقاد على ما يسمى « بالشعر الحر ، فهو فى نظره قصور وإفلاس وسوء نية ، لأن الدعوة إلى إلغاء الأوزان ذات البحور والقوافى لا تأتى من جانب سليم ولا تؤدى إلى غاية سليمة ، فلا يدعو إليه غير عاجز عن النظم ... وقد استطاع الشاعر العامى نظم القصص التاريخية والملاحم فى بحور الشعر العربى ، دون أن يعرف العروض » .

ولكن الأستاذ العقاد لا يرى مانعا من قرض الشعر على أوزان أساسها التفعيلة العروضية العربية ، فقد أشاد ببحث الأستاذ « خليل اللاوردى » الذى انتهى من بحثه إلى إمكان التنويع فى الأوزان العروضية ... فمقاطع العروض وتفاعيله ، أشبه بحدود الكلمات التى تتألف من الحروف الأبجدية ، على حين أن الحروف الأبجدية قلما تزيد على الثلاثين » .

ويعقب الأستاذ العقاد فى هذا الموضوع على الأستاذ « خليل » فيقول « فمهما يكن من تيسير الأوزان بالتنويع والتوفيق ، فـلا مناص بينها وبين الكلام المرسل فى سهولة الأداء . . . ولا بد فى هذا السياق من تفرقة أخرى ، هى التفرقة بين القواعد والقيود فى كل فن من الفنون . . . ومن تجاربنا فى الشعر العربى يتبين لنا أن قواعد النظم عندنا مؤاتية للشاعر فى كل تصرف يلجئه إليه تطور المعانى والتعبيرات فى مختلف البيئات والأزمنة » .

أما المجاز فقد فند فى هذا الفصل الأستاذ العقاد فكرة بعض المستشرقين التى تزعم أن الصناعة اللفظية - من التشبيه والاستعارة والكناية وغيرها - هى موضع العناية الكبرى فى الأدب العربى ، وأوضح سبباً لذلك انعدام التذوق اللغوى لدى المستشرقين ، هذا التذوق الذى يجعل العربى بفطرته لا يفهم من المجاز أو التشبيه إلا المعنى المباشر ، دون نظر فى التفصيلات .

أما الفصاحة العلمية فقد حدد المؤلف فى هذا الموضوع السمات والمظاهر التى تكون فصاحة الكلمات العربية المتركبة من حروف « أصوات لغوية » وكيف أن هذا وغيره كان السبيل لتوحيد اللهجات العربية المتفرقة فى لهجة واحدة « لغة مشتركة » ينظم بها الشعر وتستعمل فى المهم الجاد من القول ، وبلغت أوجها حين نزل بها القرآن الكريم .

أما القسم الثانى من الكتاب الذى يعنى الناقد الأدبى ، فقد أوضح فيه المؤلف كثيراً من القضايا التى يحاول البعض أن يقحمها على لغتنا العربية مما هو مختص ببعض اللغات الأوربية .

فمثلا بين لنا الأستاذ العقاد فى موضوع « الزمن فى اللغة العربية » أن لغة الضاد ليست عاجزة ، وأن أجروميتها ليست ناقصة حين جعلت الزمن « النحوى » ثلاثة أنواع ، على حين أن هذا الزمن يبلغ ضعف ذلك أو يزيد فى بعض اللغات الأوربية . فليس هذا عن إهمال لشأن الزمن فى لغتنا ، بل إن اللغة العربية تذهب إلى العناية بالزمان مذهبا بعيدا فقد جعلت لكل فترة من فترات اليوم اسما خاصا ، فهناك الهزيع والفجر والشروق ، والضحى والظهيرة ، والقيلولة والعصر ، والأصيل والغروب والعشاء والعتمة وغيرها .

ونضيف من جانبنا أن بعض الأفعال فى العربية يدل بصيغته على الزمن النحوى ، وباشتقاقه على وقته من اليوم الفلكى . ويتضح هذا جليا فى بعض أخوات « كان » مثل أصبح وأمسى وأضحى وأظلّ وبات .

فمن ناحية الأفكار والمعانى نجد العربية أدق وأوفى . أما الأجرومية فتختص بتركيب وبناء المفردات فى الجملة ، فلكل لغة أسلوبها الخاص وقواعدها الخاصة . ويجب ألا يقحم نظام الأجرومية فى لغة على نظامها فى لغة أخرى . ولا وجه حينئذ للمقارنة أو المفاضلة .

فيظهر أن كتاب « اللغة الشاعرة » برمته كان مجموع مقالات وأبحاث أعدها الأستاذ العقاد سلفا ، إذ كثيراً ما يشير إلى أنه فصل ذلك فى مقال سابق . كما أن بحثه القيم « الزمن » كان قد ألقى كمحاضرة باسم المجمع اللغوى . وهذا تقليد حبذا لو تبعه الباحثون حين يكتبون فى هدوء وروية بحوثهم ، ثم يجمعونها فى كتاب خاص لتعم الفائدة .

هذا ولم تخش المطبعة مقام الأستاذ العقاد، فغيرت بعض الكلمات تغييرا قد يعده من يتقصى الهفوات خطأ مقصودا . فقد ذكر المؤلف فى ص ٣٣ - ٣٤ بعض آيات من القرآن الكريم وأن موسيقاها وافقت بعض أوزان الشعر . وقـــد ذكر هذه الآيات كنماذج للبحور : الطويل والمديد والبسيط والكامل والخفيف والرمل ، على التوالى — وهذا هو الترتيب الطبيعى للأنواع الأولى من البحور العروضية ، وقد ساق الآية الثانية مثالا لبحر المديد وهى : « إن قارون كان من قوم موسى» على حين أنها من بحر الخفيف وتقطيعها : إن قارو — فاعلاتن . ن كان من — متفع لن . قوم موسى — فاعلاتن . فيكون هذا المثال مكرراً كنموذج للخفيف مع هذه الآية : « وتوكل على العزيز الرحيم » .

وبعد : فالكتاب قد أنار السبيل أمام الباحثين فى الثقافة العربية الأصيلة العميقة ، وأمدهم بأسلحة علمية ، ونظرات صائبة حين يتعرضون للرد على « دعاة الهدم المستترين وراء كلمات التقدم والتجديد ... ولا خير فى دعوة يتولاها العجز العقيم والضغينة النكراء .

دكتور عبد الله درويش

١ - الرد على ابن النغريلة اليهودى

لابن حزم ونشر دار العروبة بالقاهرة .

يحتوى هذا الكتاب الذى قام بتحقيقه الدكتور إحسان عباس الأستاذ بجامعة الخرطوم ، على أربع رسائل لابن حزم .

الأولى فى الرد على ابن النغريلة اليهودى فى افتراءاته على الإسلام ، والثانية فى مناقشة فقهاء المالكية ومجادلتهم ، والثالثة أسماها : التلخيص لوجوه التخليص ، وهى رد على أسئلة متفرقة والرابعة فى الرد على الكندى الفيلسوف .

وفى الرسالة الأولى لم يكتف ابن حزم - كما يقول المحقق بالرد على مفتريات اليهودى ، الذى ألف كتابا فى نقض القرآن ، ووصل فى الأندلس إلى مرتبة الوزير فى عهد ملوك الطوائف ، ومات قتيلا من جراء تسلطه على الإسلام ، لم يكتف ابن حزم بالرد على أضاليله ، وإنما كان يشفع كل رد بنقد لاذع لإحدى مسائل التوراة لافتا نظر اليهودى إلى أن بيته من زجاج ، وفى القسم الثانى من الرسالة ناقش ابن حزم بعنف جانبا مما أسماه « الطوام » التى وردت فى كتب يهود .

وفى الرسالة الثانية : ناقش ابن حزم فقهاء المالكية ، والخصومة بينهم وبينه كانت دائما على أشدها فمطالبة ابن حزم بإلغاء : القياس والرأى والتقليد ، لم تكن تعنى سوى إشعال حرب شعواء لا هوادة فيها — كما يقول الأستاذ المحقق .

وفى الرسالة الثالثة : التلخيص لوجوه التخليص، فهى «خلاصة للاستقصاء فى البحث والقدرة على الوضوح والوعى والدقة وفهم أحوال الدين والدنيا، وجاءت دراسة لمسائل على جانب من الأهمية . تناولت الكبائر وهل تتفاضل ، ومتى تكفر ، ومتى ترجى النجاة للإنسان ، وهل هناك شفاعة ؟ كما تناولت قضيتين أخريين : الأولى قضية نزل الخالق إلى سماء الدنيا — كما ورد فى الحديث المشهور - ومناجاته لعباده أن يطلبوا منه سبحانه الغفران ، وأقر ابن حزم هذا الحديث .

والقضية الأخرى : قضية الفتنة التى عمت بلاد الأندلس الإسلامية يومئذ من جراء مطامع الحكام وشهواتهم ، واعتبر ابن حزم هؤلاء محاربين لله ورسـوله وساعين فى الأرض فسادا .

أما فى الرسالة الرابعة ، فقد تولى ابن حزم مناقشة الكندى الفيلسوف فى كتابه «التوحيد» وهى الرسالة التى كتبها الكندى فى الفلسفة إلى المعتصم بالله العباسى ، وهذه الرسالة المنسوبة إلى ابن حزم مضطربة السند إلى درجة أن المحقق استبعد نسبتها إلى ابن حزم ، وغلب نسبتها إلى أستاذ ابن حزم «محمد ابن الحسن المذحجى» إلا أن ابن حزم قرأها وزاد عليها بعض تعليقات من لدنه .

هذا عرض موجز لرسائل ابن حزم الأربع قام بتحقيقها الدكتور إحسان عباس ، وقدم لها بمقدمة تمهيدية بلغت أكثر من أربعين صفحة ودلت على سعة علم الدكتور وعنايته العناية التامة بما التزم تحقيقه ، والحق يقال : إن لهذه المقدمة تقديرها لدى كل مثقف مطلع ، وقد بذل المحقق جهداً مشكوراً عليه ، واستطاع أن يقدم لنا عقلية إسلامية ناضجة .

إلا أن الدكتور ، لم يعن بتحقيق الأعلام التى ورد فى الكتاب ، ولهذا أهميته كما هو معروف ، كما لم يعن بتوضيح معان وردت كما عنى بتفسير قليل من الألفاظ العسيرة ، وكنا نود بعد ذلك أن تنال الرسائل الثلاث الأخيرة ما نالته الرسالة الأولى من العناية فى تحقيقها .

* * *

٢ - شعراء نجد المعاصرون :

الأستاذ عبد الله بن إدريس :

المؤلف من خيرة أدباء المملكة العربية السعودية ، وممن يحتلون مكاناً قيما بين أدباء الطليعة هناك ، وكتابه هذا والذى يقع فى أكثر من ثلثمائة صفحة من القطع الكبير ، كتابٌ جديد فى فكرته ، وأعتقد أنه الكتاب الأول من نوعه .

قدم له ببحث تمهيدى مسهب ، عرض فيه

للشعر ونشأته وتطوره ومركز نجد فى الشعر ، ووضع نجد تجاه النهضة العربية ، كما عرض للشعر المعاصر واتجاهاته فى نجد ، لا سيما الاتجاهان : الرومانتيكى والواقعى .

واحتل بقية الكتاب وهو القسم الأكبر منه ، تراجم للشعراء المعاصرين ، ونماذج من أشعارهم ، وإلقاء أضواء لتحليل شعرهم، وفى مقدمة هؤلاء : ابن عثمين ، وخالد الفرج ، والأمير عبد الله الفيصل ، وناصر أبو أحيمد ، ومحمد الفهد العيس . . وغيرهم .

ذكر المؤلف فى المقدمة أنه حين فكر فى الكتاب وضع نصب عينيه : أن الشعر المعاصر فى منطقة نجد يكاد يكون مجهولا كل الجهالة ، ومطموراً فى متاهات النسيان من قبل القراء والمثقفين فى العالم العربى ، وأنه مضطر « إلى أن يسلك هـــذا الدرب شبه المغلق عسى أن يهتدى فيه إلى ميدان التجمع العربى - فكريا - ومن ثم يعبر الطريق رواد آخرون ... » .

وهذا قول صدق ، وقد بذل المؤلف جهداً كبيراً مضنياً ، حيث لم تكن هناك مراجع ذات أهمية يمكنه الاعتماد عليها ويعتبرها مصادر لبحوثه .

إلا أن المؤلف وعد فى المقدمة نفسها ، بدراسة مايقدمه من نماذج للشعراء المعاصرين ، على نحو جديد من البحث « السيكولوجى » للعوامل الاجتماعية والأحداث ، والمؤثرات الإنسانية التى ساعدت على تطور الشعر فى نجد ...

ونحن نقف مع المؤلف وقفة سريعة هنا :

فالأستاذ عبد الله بن إدريس ترجم لأكثر من عشرين شاعراً معاصراً ، وقدم مجرد دراسة سريعة خاطفة لشعرهم من الجانب النفسى للشاعر ، ولكنه لم يقدم لنا نقداً فنياً متكامل البناء لهذا الشعر ، وبذلك تأتى الدراسة كاملة ناضجة ..

كما أن المؤلف الأديب فى معظم القصائد لم يعن بشرح الألفاظ العسرة ، كما لم يوضح اتجاهات الشاعر فى ماقصد من المعانى .

والإلفاتة الأخيرة ، أنه قدم نماذج لبعض الشعراء جاءت كلها مديحا مصطنعا ، وتزلفا رخيصا ، وقد يعتذر ، بأنه لم يحصل على إنتاج لهم سوى هذا ، وهو عذر مقبول . .

وبعد : فالكتاب مع هـذا وذاك سفر له قيمته ، وحسبه من التقدير أن يكون مرجعا يتيما فى هـذا الموضوع ، إلا أننا كنا نود أن يسبق هذا الكتاب كتاب عن شعراء نجد منذ العصر الجاهلى إلى ما قبل العصر الحديث ، فيصبح لدينا مرجع متكامل له أهميته ..

• • •

٣ — الفقر والتصوف :

للعلامة : عبد الحميد الزهراوى

هذه الرساله هى العدد الرابع والعشرون من سلسلة الثقافة الإسلامية التى تصدر بالقاهرة . والعلامة الزهراوى ليس مجهولا ، فهو من زعماء النهضة السياسية والفكرية فى سوريا فى أوائل هذا القرن ، وكانت معارضته العنيفة للسياسة الديكتاتورية هى التى وضعت حبل المشنقة حول عنقه فى دمشق . .

وعقلية العلامة الزهراوى من أنضج العقليات الإسلامية ، وأشدها قسوة على الجمود الفكرى والتزمت الدينى ، والأضاليل التى ألصقت بالإسلام زوراً وبهتاناً . .

وهذه الرسالة الموجزة قسمان :

قسم تناول فيه قضية التقليد ومحصها تمحيصا دقيقا ، فعرض التقليد هزيلا مهلهل الثياب ، وأعلن عليه حملة شعواء أتت عليه .. ولم تذره إلا هشيما .

وقسم تناول التصوف ، ناقش فيه ماهية التصوف ، وأوضح أن هناك فى مجال التصوف صادقين وكاذبين ، والصادقون من المتصوفين هم من التزموا آداب الشرع ووقفوا عند حدوده .

وكان فى كلا القسمين : عالما متعمقا جريئا فى الحق ، وليس هناك من مأخذ على أسلوب الرسالة إلا المبالغة فى العنف والإسراف فى التهكم ، وربما كان العصر الذى كتب فيه هذه المناقشات العنيفة أهلا للمبالغة فى العنف ، والإسراف فى التهكم ، ويخفف من وطأة هذا المأخذ ـ إن عد مأخذاً ـ أن العلامة المؤلف رحمه الله ، لم يكن فى مناقشته خطيبا أو واعظا ، وإنما كان عالما فاضلا وأستاذاً جليلا .

٭ ٭ ٭

٤ — المستقبل للإسلام :

للأستاذ أحمد عبد الجواد الدومى

فى هذا الكتاب تحدث فضيلة المؤلف عن بشارة التوراة والإنجيل برسالة محمد صلوات الله عليه ، وعن مكة وموقعها الجغرافى الذى أهلها لأن تكون مصدر الإشعاع والنور للعالم كله ، وعن زحف الإسلام المقدس فى شكل زهاء ستين غزوة وسرية ، ورسائل إلى ملوك العالم من رسول الله تحمل فى طياتها الهداية والنور .

ثم حدثنا المؤلف عن أسباب تخلفنا وأبرزها : الكيد للإسلام ، والترف والاستبداد ، وكذلك حدثنا عن تربع حضارة الغرب على عرش العالم بعد غروب شمس الإسلام وتخلف قطاره عن خطه الحديدى المرسوم له ، وفى نهاية الكتاب حدثنا عن حال المسلمين اليوم وما صارت إليه ، ثم دعا إلى ثورة على ما نحن فيه من جمود . .

هذا ملخص سريع لكتاب الأستاذ الدومى :

ونحن مع المؤلف بتحفظ فى معظم ما تعرض له من موضوعات تلمس عواطف القارئ ، ولكن الذى أود أن أتساءل عنه :

هل هناك أدنى صلة لهذه الموضوعات بمستقبل الإسلام وهو عنوان الكتاب ؟.

نحن لا نرى أى مانع من أن يتعرض المؤلف لماضى الإسلام وحاضره ولكن فى إيجاز وتركيز ؛ ليكون ذلك أساساً يعتمد عليه فى تخطيط منهج لمستقبل الإسلام .

أما الكتابات الثائرة الملتقطة من هنا وهناك، ثم اختيار عنوان عاطفى مثير ، ثم بعد ذلك يلتئم شمل الموضوعات على هذا العنوان فيصبحان معاً كتاباً ، فهذا ما لا يرضاه الكاتب نفسه ، ومع ثقتنا بغيرته المخلصة للإسلام ودعوة الإسلام ...

* * *

٥ — قضايا الفكر فى الأدب المعاصر :

للأستاذ الأديب وديع فلسطين

المؤلف أديب لامع واسع الثقافة ، تعرفه سائر الصحف العربية . ظل أمداً أستاذاً بالجامعة الأمريكية وله دراسات شتى فى الأدب وقضاياه .

وكتابه هذا إسهام منه فى معارك الرأى التى يراها : « معارك سليمة العاقبة تفضى فى ختام الأمر إلى نفع الأدب ودفعه » .

وقد دفع المؤلف إلى وضع هذا الكتاب « منازعات أدبية شتى انقسم فيها الكتاب إلى شيع وأحزاب » .

أما ما أسهم فيه المؤلف من هذه المنازعات فهى قضايا : العامية والفصحى وكان أن وقف بجانب الفصحى بكل ما أوتى من قوة ، ثم قضية الشعر : الحر والموزون ، وكان أن وقف بجانب الشعر الموزون أيضا ، ورد على القائلين بالتجديد ، فالتجديد يجب أن يتناول القالب لا الجوهر ، ثم قضية المصطلحات العلمية ، ويرى المؤلف « أن هذه المصطلحات من القضايا التى يحلها الزمن فهو الكفيل بإقرارها ليأخذ منها السمين وينبذ الغث . ثم قضية قواعد اللغة ودعا إلى الأخذ بيدها لتحتل مكانها فى أدبنا وصحافتنا وإذاعتنا ، وتناول الكتاب بعد ذلك قضايا أخرى : كالحروف اللاتينية ، والالتزام فى الأدب ، والأدب الواقعى ، وانحراف رسالة النقد والترجمة والمسرح .. وما إلى ذلك .

والحق : أن الكتاب دراسة عميقة لها قيمتها ، وقد أثار بالطبع كثيراً من الأقلام ، إلا أننا كنا نود : أن لا تخلو بعض دراسات هذا الكتاب من تقديم نماذج مما نال منه قلم المؤلف ، كما كنا نود أيضا أن يكون واضحا جليا رأى المؤلف فى كل موضوعات الكتاب التى تعرض لها ، لا فى بعضها كما حدث .

محمد عبد الله السمان

أنباء الأزهر

الرئيس يشكر شيخ الجامع الأزهر :

تلقى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر برقية من السيد الرئيس جمال عبد الناصر ردا على برقيته بمناسبة عودته من السودان هذا نصها :

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ وبعد :

فقد كان لبرقيتكم المتضمنة أجمل المشاعر وأصدق التهانى بمناسبة عودتنا من رحلة السودان أحسن الوقع ، وإنا لنرجو أن يوفقنا الله جميعا إلى ما فيه جمع كلمة العرب ورفع راية العروبة حتى يتحقق ما نرجوه لها من عزة ومجد .

ويسرنى أن أعرب لكم عن أخلص الشكر مقرونا بأطيب تمنيات الصحة والهناء .

جمال عبد الناصر

إسلام صحفى فى المكسيك :

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه السيد / توماس باريو جبرائيل الكاتب الصحفى المكسيكى الذى طلب أن ينطق بالشهادتين أمام فضيلته . ولما سأله فضيلته عن سبب رغبته فى اعتناق الإسلام أجاب بأنه يرغب فى ذلك لأنه تبين له أن الإسلام دين المساواة والعدل والحرية وذلك بعد دراسة وافية لمبادئ الإسلام وتعاليمه . وإزاء ذلك سمع منه فضيلة الأستاذ الأكبر الشهادتين ، وصار بذلك مسلما ، وغير اسمه إلى : عبد الكريم باريو جبرائيل .

الأستاذ الأكبر يستقبل وكيل همرشولد :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبه مستر هرنان تفارس دى سا ـ وكيل الأمين العام للأمم المتحدة للإعلام ، ومستر أولاف ريتر مدير مكتب الأمم المتحدة للإعلام بالقاهرة والأستاذ على خليل نائب مدير مكتب الأمم المتحدة لهذا المكتب .

وبعد أن رحب بهم فضيلته قال : إننا لنشكركم على هذه الزيارة وأحب أن أؤكد أن الناس يفضلون الحديث فى شئون الاقتصاد أو الاجتماع أو غير ذلك

ولكنى أفضل الحديث فى شئون إسعاد البشرية . فمهمة الأمم المتحدة إنقاذ الضعفاء وإعطاؤهم حقوقهم ، ولقد أوتيت الأمم المتحدة القوة لذلك ، وواجبها أن تعمل فى أسرع وقت ممكن لرد حقوق الجزائريين والفلسطينيين إليهم ، وأن تعمل على وضع الأمور فى نصابها أينما كانت « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » .

فرد السيد الزائر قائلا : إننى لأشكركم أعمق الشكر أن أتحتم لنا هذه الزيارة التى تؤكد مدى قوة الحكمة التى تنبع من الأزهر وعلى رأسه فضيلتكم ، ثم أضاف : وسيسرنى أن أبلغ ما ذكرتم للسيد الأمين العام للأمم المتحدة وهى مهمة عظيمة ، ويسعدنى أن أستمد الوحى والتوجيه من المعانى التى أفضتم بها لنا ، لنخدم بها الإنسانية .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إنى لأعتقد أن رسالة الأمم المتحدة مستمدة من رسالة الأديان جميعا ، وقد عرض القرآن الكريم لمبدأ الأمم المتحدة فقال : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » .

فقال الزائر : إن الأمم المتحدة تحاول أن تحقق هذا المبدأ الإسلامى النبيل ، وستعمل على تحقيق ما صورتم للإنسانية من مبادىء إسلامية سامية .

فقال الأستاذ الأكبر : كما أن على الأمم المتحدة ألا تعمل من أجل دولة معينة أو من أجل صالح الدول الكبرى فحسب ، بل يجب أن تعمل لصالح الدول الصغرى قبل الكبرى ، وهذا ما تقرره المبادىء الإسلامية .

فقال الزائر : إن هذه المبادىء هى بالفعل مبادىء الأمم المتحدة التى تحاول أن تضع الأمور فى نصابها كما قلتم فضيلتكم ، ولقد كان الأمين العام للأمم المتحدة يبحث موضوع الدول المتطلعة إلى الحرية منذ وقت قصير

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن الأزهر لينتظر منكم نتائج طيبة تعود على العالم أجمع بالخير والرخاء . وعندما تحقق الأمم المتحدة ما وعدتم به وما تعد به الأمم المتحدة فإنها تستحق الشكر من الله والناس .

فقال السيد الزائر . إنه ليسرنى أن أسمع هذا الحديث الذى يعبر عن شعوركم وشعور الأزهر نحو الإنسانية ، وقد تحقق لى أن الأزهر أقدم جامعات العالم يفيض بالتوجيه والإرشاد .

ومما هو جدير بالذكر أنى قد تعلمت فى جامعة أنشئت فى القرن الرابع عشر ، وكنت أظنها أقدم الجامعات ، فإذا بى أجد الأزهر أقدم منها بمراحل .

وقد أهدى الأستاذ على خليل نائب مدير مكتب الأمم المتحدة للإعلام — فضيلة الأستاذ الأكبر ثلاث مصاحف باللغات العربية والانجليزية والأسبانية .

الأستاذ الأكبر ووزير تجارة الصومال:

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر فى مكتبه السيد دكتور شيخ عبد الله محمود وزير تجارة الصومال يرافقه السادة الحاج عبديو وحسين عمر وياسين عبد الرحمن ومحمد على فارح أعضاء فى البرلمان الصومالى والسيد محمد حاج حسين والسيد على محمد فارح . كما يرافق الوفد السيد عبدالحميد الشوربجى . المستشار التجارى بالصومال والسيد صفوت أباظة بالشئون العامة بوزارة الاقتصاد .

وقد رحب بهم فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا . إنا ليسرنا أن نستقبل إخواننا الصوماليين فى الأزهر مركز الإشعاع الروحى الذى يشع على المسلمين فى جميع أنحاء العالم بالعلم والهداية ونرحب بأعضاء الوفد الكريم لا باعتبارهم ضيوفا بل باعتبارهم منا ونحن منهم ، يجمعنا الدين الإسلامى الحنيف واللغة العربيـــة ، والكفاح من أجل الحرية والاستقلال . فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ،وكاليدين تغسل إحداهما الأخرى، فنحن معكم كاليدين تغسل ما بكم وأنتم تغسلون ما بنا .

إننا نرحب بكم والأزهر جميعه يرحب بكم فلقد اتصل الأزهر بالصومال اتصالا وثيقاً من زمن بعيد ، فالأزهر يوفد العلماء ليعلموا أبناء الصومال ويرشدونهم إلى خير دينهم ودنياهم ، والصومال يرسل أبناءه إلى الأزهر ليتعلموا ولينهلوا من منهله ليعودوا وقد تفقهوا فى الدين يحملون رسالة الأزهر السامية وينشرون الثقافة الدينية بين مواطنيهم فيلتق بذلك العلم والتعليم ويرتبط البلدان ارتباطاً وثيقا يجمع بين القلوب والأهداف .

ويسرنى أن أعلن لكم أن عدد الأساتذة الموفدين إلى الصومال الآن ثلاثون وعدد الطلاب الصوماليين الذين يدرسون فى الأزهر واحد وستون طالبا فى مختلف كلياته ومعاهده ويقيم هؤلاء الطلاب بمدينة البعوث الإسلامية بجانب إخوانهم طلاب هذه البعوث الذين يمثلون أكثر من خمسين جنسية يفدون من جميع أنحاء العالم الإسلامى ويعاملهم الأزهر بعناية فائقة عناية أبوية كريمة لا يفرق بين إقليم وإقليم ولا بين طائفة وطائفة ، وإنما الكل سواء عماده فى ذلك قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، « واتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

فهذا رباط مقدس يربط بين البلدين الشقيقين برباط قوى بجانب الرباط الإسلامى الوثيق الذى يجمع بين القلوب على تباعدها .

« فرد السيد الزائر قائلا » : إننى باسم

الوفد الصومالى وباسم الحكومة الصومالية وباسم الشعب الصومالى أجمع نقدم للأزهر الشريف وشيخه خالص تحياتنا وتقديرنا .

فالأزهر هو الذى يمثل الإسلام فى جميع أنحاء العالم وإننا لمسرورون أن تزداد الروابط بين الأزهر والعالم الإسلامى وخاصة الصومال.

ونحن إذ نشكر لفضيلتكم هذه الحفاوة والتكريم ليسرنى أن أحمل لفضيلتكم تحيات مواطنى الصوماليين شاكرين لكم جهودكم فى سبيل نشر الثقافة بين أبنائهم .

ومما هو جدير بالذكر أن بعثة الأزهر الدينية قد اتجهت إلى الإقليم الشمالى بالصومال ـ ذلك الإقليم الذى كان يحتله الانجليز ـ اتجهت البعثة لتثقيف أبناء الصومال هناك ، ولإيجاد روابط ثقافية متينة معه .

هذا وقد زار الوفد خلال إقامته بالقاهرة مدينة البعوث الإسلامية والمكتبة الأزهرية والجامعة الأزهرية وقاعة المحاضرات .

* * *

وزير التربية والتعليم فى الملايو :

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه السيد / أنشى عبد الرحمن بن حاجى طالب وزير التربية والتعليم بالملايو يرافقه السيد / سفير الملايو بالقاهرة .

وقد دار الحديث حول النواحى الثقافية التى تتعلق بطلاب الملايو الذين يدرسون بالأزهر . والطلاب الذين يستقبلهم الأزهر للدراسة فى جامعته ومعاهده .

وقد شكر السيد / الوزير فضيلة الأستاذ الأكبر على عناية الأزهر بطلاب الملايو ، وعلى سعة صدره لاستقبال كل من يوفد لتلقى العلم بالأزهر .

فقال الأستاذ الأكبر : إن الأزهر يهتم اهتماما كبيراً بجميع الوافدين من الطلاب ليدرسوا فى الأزهر وهو لا يميز بين جنسية وجنسية بل الكل سواء . ثم شكر الوزير على زيارته للأزهر . ودار الحديث فى جو ودى خالص . ثم أهدى كلا منهما مؤلفاته .

* * *

الوحدة الطبية تكرم مديرها السابق :

أقام أطباء وموظفو الوحدة الطبية بالأزهر حفل تكريم فى فندق شبرد للسيد الدكتور حسن أبو السعود مدير الوحدة السابق . وحضر الحفل نيابة عن فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، الأستاذ الدكتور محمد ماضى المدير العام للأزهر .

وألقى كلمة الأطباء وموظفى الوحدة السيد / الدكتور يوسف عيد مدير الوحدة .

ثم ألقى الدكتور حسن أبو السعود كلمة تحدث فيها عن فكرة الوحدة وتاريخ إنشائها ومراحل تقدمها فقال :

فى الأسبوع الأول من إسناد المشيخة إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق - عليه رحمة الله - أمرنى بإنشاء دار لعلاج طلاب الأزهر الشريف .

فكان هذا الأمر أحب إلى من كل متاع فى الدنيا . إذ وافق ما كانت تصبو إليه نفسى ؛ لاعتقادى أنها أشرف رسالة أسندت إلىّ لخدمة طلاب الجامعة الأزهرية .

وبعد أن ذكر مراحل التطور والتوسع التى مرت بها الوحدة بفضل إخلاص القائمين عليها وتعاونهم قال :

وإن أنسى تلك اليد الكريمة والأريحية الممتازة والتضحية التى لا تقدر التى مدت إلينا من أساتذة طب جامعة القاهرة وأساتذة طب جامعة عين شمس . فبأيديهم جميعا ويد الله معنا أمكننى أن أقوم بهذه الرسالة ولولاكم لتعثرت فيها .

فهذه الوحدة الطبية هى بحق مستشفى الجامعة الأزهرية أتركها أمانة فى أعناقكم وقد شرحت طريقى فى السير بها وبموظفيها فسيروا على بركة الله إلى الأمام وظل قائد ثورتنا جمال عبدالناصر وفقه الله ، وفى رعاية صديق والدى وصديقى الذى أعتز بصداقته وأفخر بمحبته فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

والسلام عليكم ورحمة الله »

دكتور

حسن أبو السعود

مهندس سنغالى :

شكلت لجنة لاختيار الطالب المهندس عبد الله ديون السنغالى الذى وفد من السنغال للدراسة فى الأزهر ، وبعد اختباره ومعرفة مستواه العلمى .

قررت اللجنة أن الطالب المذكور عنده استعداد خصب وعناية ملحوظة بالدراسات الإسلامية على وجه يمكنه من نفع المسلمين فى بلاده وزيادة معارفهم الإسلامية .

وقد هنأه فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بالدرجة العلمية التى تضمنها تقرير اللجنة المذكورة . وأصدر فضيلته شهادة بذلك هذا نصها :

« رفع إلينا السيد الأستاذ الدكتور محمد البهى - مدير الإدارة العامة للثقافة الإسلامية تقريراً يتضمن رأى اللجنة التى كونتها المشيخة لاختيار الطالب المهندس عبد الله ديون السنغالى الجنسية ، ومعرفة مدى مستواه العلمى وفهمه للإسلام وقدرته على إرشاد

المسلمين إلى أحكام دينهم عن طريق التعبير باللغة العربية .

وبناء على ما تضمنه ذلك التقرير من أن اللجنة تقرر أن الطالب عنده استعداد خصب وعناية ملحوظة بالدراسات الإسلامية على وجه يمكنه من نفع المسلمين فى بلاده وزيادة معارفهم الإسلامية ـ بناء على هذا كله نهنئ الطالب المذكور بالدرجة العلمية التى تضمنها تقرير اللجنة المذكورة ونبارك له فيها .

داعين المولى سبحانه أن يشد أزره بما لديه من معلومات فى الإسلام وتعريف إخوانه المسلمين بأحكامه .

ونسأل الله له التوفيق » .

ثم استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر السيد أحمد ألنتو مرة أخرى بمناسبة مغادرته القاهرة ليشكر فضيلة الأستاذ الأكبر على حديثه على أبناء الفيلبين وإندونيسيا وتايلاند والملايو .

ثم شكر الأستاذ الأكبر على عناية الأزهر بطلاب الفيلبين الذى قبلهم الأزهر للدراسة فيه والذين يربو عددهم على المائة . ثم أشاد سيادته بجهود وزارتى الأوقاف والخارجية على ما قدمته كل منهما من عون وجهد أثناء إقامته بالقاهرة وأضاف أنه يدعو لفضيلته بالصحة وطول العمر حتى يتم رسالته كشيخ للأزهر يجمع المسلمين على رباط الدين والوحدة الإسلامية المكينة بنشر الثقافة الإسلامية وتعاليم الإسلام .

ثم خص سيادته بالشكر سيادة الرئيس جمال عبد الناصر على كرم ضيافته ، مشيداً بما يبذله سيادته للإسلام والمسلمين من جهود موفقة ، مؤكداً بأن الرئيس جمال عبد الناصر هو المثل الأعلى لقواد العالم بما حققه للجمهورية العربية المتحدة خاصة والعروبة والإسلام عامة من وحدة وقوة .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إننى بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن الأزهر الشريف هذا المعهد العتيد الذى يحمل تعاليم الإسلام وينشرها فى آفاق العالم الإسلامى ـ نشكركم على روحكم الطيب وحبكم للدين والمسلمين عامة وعلى جهودكم التى لا تدخرونها فى سبيل الأخذ بيد المسلمين بالفيلبين ، وندعو الله أن يكثر من أمثالكم ليكونوا خير قدوة لبلادهم ولدينهم كما ندعوه أن يشد أزر المسلمين جميعا ليحولوا دون أعمال المستعمرين لبذر بذور الفتن بين أبناء الإسلام الذين هم فى حاجة إلى مثل هذا الغيرة على الدين .

ثم أضاف فضيلته : ولو أن زعماء المسلمين تنبهوا إلى ما يفعله السيد/أحمد ألنتو لنضجت بذلك أفكارهم وفاض وعيهم القومى بالقوة المانعة من الانحلال والتفكك .

الإسلام والحياة وحقوق الإنسان :

ثم قال فضيلته : إن الأزهر له ما يزيد على عشرة قرون ينشر تعاليم الإسلام ، ومن المؤسف أن يقال : إن الإسلام ليس فيه إلا الصلاة والصوم ، ولكن الإسلام يتصل بكل مقتضيات الحياة لقد عرض القرآن للثروة النباتية ، والثروة الحيوانيـــة ، والثروة الجبلية والثروة البحرية وهذا كله يحتاج إلى فهم وتمحيص وتأمل . لقد زعم المستعمرون أنهم أصحاب فكرة « حقوق الإنسان » ولكن الإسلام جاء بها منذ أربعة عشر قرنا ، أما حقوق الإنسان عندهم فتبدو فى الجزائر وفلسطين والكونغو وغيرها .

وأعتقد أننا لو اتجهنا للقرآن وما فيه من أحكام فإنا نستغنى بذلك عن معونة الغربيين، وغيرهم ، كما أعتقد أنه إذا صلحت رءوس الزعماء فى كل مكان وقادوا الشعوب إلى الحق فلا بد أن ينبض الإسلام ويكون كما كان فى زمن محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .

فقال السيد الزائر : هذا هو الإلهام الذى تلهمون به شعب الفيلبين والذى يدفع المسلمين هناك لدعوتكم لزيارتهم فى أقرب فرصة ، وسترون بأعينكم مدى لهفتهم إليكم وشوقهم إلى اللقاء بكم ، وإنى لأدعو الله أن يمنحكم الصحة والقوة لتحقيق هذه الزيارة المرتقبة .

ثم تطرق الحديث إلى دور الجمهورية العربية المتحدة وقائدها جمال عبد الناصر فى نشر الوعى القومى بين جميع الشعوب وخاصة الشعوب المكافحة المتطلعة إلى الحرية ـ فقال السيد أحمد ألنتو : إن الجمهورية العربية المتحدة منذ قيام ثورتها العظيمة وهى تكشف قناع الاستعمار وتفضح ألاعيبه فى كل مكان .

فقال الأستاذ الأكبر : إنها ثورة طيبة بيضاء ، قامت دون إراقة دماء ، فهى لم تهدم وإنما بنت ، إنها حدث عظيم وما قام بعدها من أحداث عظيمة فى العالم أجمع إنما هو امتداد لها وسير على نهجها .

ثم أضاف أن الفضل فى ذلك يرجع إلى الإخلاص والإيمان الذى يتمتع به الرئيس جمال عبد الناصر فهو غيور على وطنه ومواطنيه ، بل غيور على الحرية فى جميع أنحاء العالم . وهو على استعداد للتضحية فى سبيل إيمانه وغيرته . ونرجو أن يقتدى به قواد العالم فى كل مكان وبصفتى شيخ الأزهر أعاهد الله على التضحية فى سبيل الدين ونصرته كما أعاهدكم على ذلك أيضا ، هذا هو عهد الله بينى وبينكم ، ثم وضع يده فى يد السيد الزائر قائلا: إن أرواح الرسول وأصحابه الآن ترفرف فوق رءوسنا تبارك عهدنا وجهودنا ـ ثم تلا

قوله تعالى « والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» ثم قال بلغ إلى إخوانى فى الفيليبين تحياتى إلى أن أراهم بنفسى .

مدير مكتب الأمم المتحدة :

كما استقبل فضيلته مستر أولاف ريتر مدير مكتب الأمم المتحدة للأعلام فى القاهرة والذى طلب من فضيلته أن يذيع حديثا على العالم بمناسبة يوم الأمم المتحدة يوم ١٠/١٢/١٩٦٠ ـ وذلك لما عهده من فضيلته من حرص على نشر السلام فى أنحاء الأرض .

وقد رحب به فضيلته ثم قال : إننا نرجو أن تعمل الأمم المتحدة على إراحة الشعوب من الأنين الذى نسمعه من الشعوب التى يجثم على صدورها الاستعمار .

ثم أضاف أن الإسلام يهتم بحقوق الإنسان ويدعو إلى التراحم وتعميم السلام فى جميع أرجاء العالم وأن يطمئن كل إنسان على حقه فى الحياة الحرة الكريمة كما يدعو إلى إنصاف الضعفاء من الأقوياء ، وأنا بدورى أريد أن أطمئن إلى أن كل ذلك تهتم به الأمم المتحدة وأحب أن أسمع أنها قد أخذت بيد الشعوب المتطلعة إلى الحرية وآتت لأهل الجزائر وفلسطين والكونغو بحقوقهم كاملة غير منقوصة .

إن الدماء تسيل بغير وجه حق ، بينما ممثلو الأمم المتحدة واقفون صامتين . لمصلحة من هذا الصمت . إنهم إخوانكم فى الإنسانية فخذوا بأيديهم والله معكم .

ثم وعد فضيلته الزائر بأن يسجل حديثا بمناسبة يوم الأمم المتحدة .

هذا ـ وقد شكره السيد الزائر على ذلك ، ثم قال : إن الأمم المتحدة تعلم جهودكم فى سبيل السلام ولذا فإنى قد أتيت اليوم تلبية لرغبة الأمم المتحدة فى أن تذيعوا هذا الحديث الهام لأبعثه بدورى إلى السيد السكرتير العام للأمم المتحدة .

ثم انصرف شاكراً لفضيلته حسن استقباله على أن يعود لأخذ الحديث المذكور .

بريد المجلة

فى ذكرى ابن تيمية :

كتب الأستاذ طاهر الطناحى كلمة بهذا العنوان فى عدد شهر ديسمبر من مجلة الهلال عارض فيها إقامة مهرجان على لشيخ الإسلام ابن تيميه وبنى معارضته هذه على الأسس الآتية : —

(١) أنه كان يقول فى الله بالتجسيم مستشهداً برواية ابن بطوطه فى رحلته .

(٢) أنه كان يطعن فى الصحابة بنسبة الخطأ إليهم .

(٣) أنه كان ينتسب لمذهب الإمام أحمد مع تحلله من هذا المذهب .

(٤) أنه كان يعتبر المحلل ممنوعا شرعا والطلاق الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة .

(٥) سجن عدة مرات لاتهامه بالزندقة كمعارضته تفسير القدر وأسماء الله الحسنى .

(٦) وهناك فلاسفة مسلمون أولى منه بهذا المهرجان وهم أسبق منه ولم يطعن أحد عليهم ،

ونقول فى الرد على الأول :

إن ابن بطوطة كاذب فى روايته كما كذب فى كثير من فصول رحلاته أو وهم . أو روى إشاعات يزعم أنه رآها . وليس ابن بطوطة بالحجة فى هذا المقام للطعن فى إمام ملأت رسائله وفتاواه أقطار الدنيا ، وكلها تنادى بعكس ما يزعمه ابن بطوطة . وكلام ابن تيمية فى كتبه ورسائله المخطوط منها والمطبوع أقوى حجة وأولى بالاخذ به فى تزييف إشاعات موهومة يرددها أمثال ابن بطوطة وابن حجر الهيثمى وزاهد الكوثرى وأمثالهم ممن نصبوا أنفسهم وأوقفوها لحربه والتشهير به وحسب الكاتب الفاضل أن يرجع إلى رسالة ابن تيمية فى تفسير (قل هو الله أحد) وكتابه فى (فضل قل هو الله أحد) . وفتاواه الكبرى المطبوعة فى الهند وهى فى دار الكتب المصرية وفى مكتبة بلدية الإسكندرية فى عدة مجلدات ضخام . ومجموعة الرسائل والمسائل فى مجلد واحد طبعة دار المنار ومجموعة الرسائل الكبرى فى عدة مجلدات طبعة القاهرة وكتابا تلميذه الأول وصنو حياته وثمرة علمه الإمام الفقيه شمس الدين ابن قيم الجوزيه « الصواعق المرسلة فى الرد على الجهمية والمجسمة والمعطلة »

و « اجتماع الجيوش الإسلامية فى الرد على — المجسمة والمعطلة والجهمية — والجهمية هم أتباع جهم بن صفوان القائلون بالحلول والمجسمة هم القائلون بما ينسب زوراً لابن تيمية : الأمر الذى نصب رضى الله عنه نفسه لمحاربته . والمعطلة هم القائلون بتأويل الصفات وعدم اتباع السلف فى فهمها والتسليم بمدلولها والمراد من الله تبارك وتعالى . لأن الأسماء لها مسميات تختلف عن مسمياتها بالنسبة للمخلوقات ، فكلمة عالم وحكيم وقادر ألفاظ يشترك فيها المخلوق مع خالقه ولكن مسمياتها بالنسبة للخالق تبارك وتعالى تختلف عن مسمياتها بالنسبة للمخلوق لأنها بالنسبة للمخلوق مقيدة محدودة متناهية ولكنها بالنسبة للخالق جل وعلا مطلقة لا متناهية ولا يمكن تأويلها أو تفسيرها تفسيراً يبعدها عن حقيقة معناها الذى أراده الله تعالى .

ونقول فى الرد على الثانى :

إن ابن تيمية كان يحارب البدع والضلالات والأوهام التى دخلت فى الإسلام على يد من ترجموا خزعبلات الفرس ووثنيات اليونان وهرطقات الهنود وكان يذود عن الإسلام ويحض الناس على اتباع الصحابة ورجال الصدر الأول وكان يحث على إجلال الصحابة وتوقيرهم وكان يجد أمامه قوما يؤمنون بعصمة مشايخهم ويقلدونهم تقليداً أعمى بلا دليل أو برهان من كتاب محكم أو سنة متبعة فكان يرد عليهم بأن كل إنسان يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الصحابة غير معصومين فما بالك بمن بعدهم ممن هم أقل درجة وعلما منهم وأن عمر بن الخطاب أخطأ فى كذا وكذا . . . وأن عليا أخطأ فى كذا وكذا وليس معنى ذلك أن ابن تيمية يغض من مقام عمر أو على أو يوهن من شأنهما رضى الله عنهما وإنما يضع كل امرئ فى المقام الذى ينبغى أن يوضع فيه بلا تقديس ولا كهنوتية ولا ادعاء العصمة إلا لصاحب الرسالة العظمى صلى الله عليه وسلم

ونقول فى الرد على الثالث :

إن ابن تيمية لم يكن حنبليا بمعنى أنه أحد أئمة المذهب وإنما كان مذهب أحمد هو المدرسة الأولى التى تخرج على يد أئمتها وعلمائها وليس ملزما بأن يتبع حرفية ذلك المذهب ، ومذهب أحمد باعتباره آخر المذاهب الأربعة فهو أقرب إلى استيعاب أكثر الأحاديث التى رويت عن الأئمة الذين سبقوه ومن هنا كان أقرب المذاهب إلى السنة والدليل النقلى ، ولكن ابن تيمية ينادى بعدم التقليد والأخذ من الكتاب والسنة مباشرة (وطبعا هذا موجه للعلماء ممن أوتوا وسائل الأخذ المباشر من الكتاب والسنة) ويقول بالرجوع إلى الدليل وتحرى الحق فى النص ويخالف

مذهبه إذا كان الدليل مع غيره ، وينظر إليه بعين التقدير والإكبار لسمو غايته وحرصه واجتهاده .

ونقول فى الرد على الرابع :

من الذى قال إن هذا المحلل جائز فى الإسلام، إن الأحاديث الواردة فى تحريمه لا تحصى وحسبك ما ورد فى السنة عن النبى صلى الله عليه وسلم « لعن الله المحلل والمحلل له » « وما ورد من وصفه بالديوث المستعار »

أما الطلاق ثلاثا بلفظ واحد فإنه طلقة واحدة عند جمهور العلماء وهو المفهوم من نصوص القرآن والسنة وهو المأخوذ به فى قانون الأحوال الشخصية عندنا اليوم ويكاد الإجماع ينعقد على ذلك ، فليس هذا برأى تفرد به ابن تيمية وليس هذا بعيب فى مذهبه حتى يعد صارفا عن إقامة المهرجان المزمع له.

أما سجنه وامتحانه واضطهاده فليس ذلك بالأمر الذى يعاب عليه ، وإنما هذا عيب عصره المتأخر الضارب فى ظلمات الجهالة بحكامه وقادته . ومفخرة ابن تيمية أنه ظهر فى عصور المماليك وعصور الانحلال والجمود والتأخر والجهل فكان ثائراً بمعنى الكلمة وكان جريئا لا يخشى لومة لائم فيما يؤمن به ويعتقد أنه الحق . ولكى تعرف مبلغ أثره فى عصره والثورة التى أحدثها اقرأ كتاب « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لشيخ الاسلام الحافظ المعاصر لابن تيمية ابن حجر العسقلانى » وهو طبعا غير ابن حجر الهيثمى .

أما معارضته تفسير القدر وتفسير الأسماء الحسنى فهو كلام مردود لأنه لا يقوم على سليم من الاطلاع على كتب الشيخ ومؤلفاته وهى طافحة بالتفسير المعقول الواعى لآيات القضاء والقدر وفى ذلك من فلسفة الإسلام ما يجعل ابن تيمية أعظم درجة وعلما من أولئك الفلاسفة الذين استعاروا الفلسفة من علوم اليونان والهند أما ابن تيمية ففلسفته من صميم الإسلام ، على أنه ينبغى فى هذا المقام التفرقة بين الفلسفة الإسلامية وفلسفة الإسلام لأن الأولى هى كل ما قام به علماء وفلاسفة المسلمين من نشاط فى ترجمة ونقل واعتقاد ما رددوه عن أرسطو وأفلاطون وجورجياس وبيدبا وغيرهم ، أما فلسفة الإسلام فإن إمامها الأول أحمد بن حنبل الذى امتحن فى معركة خلق القرآن على عهد المأمون وأكبر أتباعه هو أبو العباس بن تيمية الحرانى الدمشقى الذى قال فيه الحافظ الذهبى : « فى ميزان الاعتدال فى نقد الرجال، وكل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث » والذى قال فيه طه حسين ما مؤداه « كان ابن تيمية إذا إذا تكلم فى فن يظن أنه لا يعرف غيره من عمقه وطول باعه ومع ذلك كان يعرف كل شىء »

وأخيراً ينبغى قراءة كتاب « شفاء العليل

فى القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن قيم الجوزية وهو صورة حية من عقيدة أستاذه شيخ الإسلام المجدد المصلح أبو العباس تقى الدين ابن تيمية ، وكتبه ؟

محمد نجيب المطيعى

* * *

تعقيب على مقال :

١ ــ ذكر الأستاذ الدكتور أحمد بدوى أن لابن مالك منظومة واوية فى المقصور والممدود .

وقصيدة ابن مالك فى المقصور والممدود قصيدة همزية من بحر الطويل بدأها بقوله .

بدأت بحمد الله فهو سناء
وللنطق منه بهجة وبهاء

وختمها بقوله :

وأسأل لى عفوا ونيل جوارهم
غدا فإلى ذا سارع السعداء

وهى مطبوعة بالقاهرة سنة ١٣٢٩ هـ .

٢ ــ قال الأستاذ عن لامية الأفعال : وهى منظومة لامية من بحر البسيط فى أربعة عشر بيتاً .

وأبيات اللامية ١١٤ ــ أربعة عشر ومائة بيت .

٣ ــ عرف الأستاذ كتاب نظم الفوائد بقوله :

وهو ضوابط وقواعد منظومة ليست على روى واحد ولعلها فى اللغة والنحو .

ونظم الفوائد رجز فى النحو ، نثره ابن مالك فى كتابه الفوائد فهو أصل للفوائد كما أن الفوائد أصل للتسهيل .

فى حاشية الخضرى ١ ــ ١١ قال ابن رشد ونظم رجزا فى النحو عظيم الفائدة تستعمله المشارقة ثم نثره فى كتابه المسمى بالفوائد النحوية والمقاصد المحوية ثم صنف كتابه المسمى بتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد تسهيلا لذلك الكتاب وتكميلا .

٤ ــ ذكر الأستاذ أن الكتب الآتية من المخطوطات وهى من المطبوعات فالكافية الشافية طبعت بمطبعة الهلال بالفجالة سنة ١٩١٤ وشرحها لابن مالك طبع مع حاشية ياسين بفاس سنة ١٣٢٨ هـ فى جزئين كبيرين .

وكتاب الإعلام فى مثلث الكلام طبع فى القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ مع تحفة المودود فى مجلد واحد .

وذكر الأستاذ أن كتاب شواهد التوضيح والتصحيح طبع بالهند سنة ١٣١٩ هـ وأقول إنه طبع بمصر أيضا بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى سنة ١٩٥٧ م .

محمد عبد الخالق عضيمة

مجلة راية الإسلام والشيعة :

نشرت مجلة راية الإسلام التى تصدر عن مدينة الرياض مقالا شديدا عن الشيعة وجهه كاتبه ابراهيم الجبهان إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر باعتباره داعيا إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية ، ولم يراع الكاتب فيما كتب آداب البحث ولا أخلاق العلماء ولا مصلحة المسلمين وأثار عاصفة من الغضب والاستنكار بين علماء الشيعة فردوا عليه فى مجلة (العرفان) واحتجوا على الحكومة السعودية أن سمحت بنشر هذا المقال المفرق فكان من أثر هذا الاحتجاج أن جاءنا هذا التصريح :

صرح مصدر سعودى كبير لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بأن ما نشر فى العدد الخامس من مجلة راية الإسلام التى تصدر فى الرياض حول الشيعة بقلم ابراهيم الجبهان لا يمثل رأى الحكومة أو جهة ما فى المملكة السعودية ، وأن كاتبه ليس سعوديا ، والمجلة لا تمثل رأى الحكومة ولا غيرها فيما تكتب وأنه قد لفت نظر القائمين على تحرير المجلة فى حينه وعدم تكرار مثل هذا وجوب الحرص على ما يجمع كلمة المسلمين .

ابن يعيش وديكارت :

نعلم كيف أثبت ديكارت وجود نفسه فقد قال : « أنا أفكر فأنا إذن موجود » .

وبالأمس كنت أقرأ فى شرح ابن يعيش على مفصل الزمخشرى فوقفت فيه على قوله « ألا ترى أنك إذا قلت : (عـدمتنى) فمعناه علمتنى غير موجود . ومحال أن تعلم شيئا وأنت غير موجود ، لأنك إذا علمت كنت موجودا وصحته على الاستعارة ص٨٨ ج ٧ فأنت ترى أن ابن يعيش المتوفى سنة ٦٤٣ هـ سبق ديكارت الذى عاش سنة ١٥٩٦ – ١٦٥٠م إلى الشعور بالفكرة التى قام عليها عمود من أعمدة الفلسفة الحديثة .

بغداد – ماهر مصطفى

والفرق أن ديكارت فيلسوف بنى على فكرته مذهبا وابن يعيش نحوى كان يناقش تركيبا بعينه . ولكن الفيلسوف والنحوى وقعا على فكرة واحدة وهى أن علم الإنسان الشىء أو التفكير فيه دليل على وجوده .

إلى الأستاذ محمد على النجار :

١ — تقول كتب النحو من صغيرها إلى كبيرها أن تميز العدد من ثلاثة إلى عشرة حقه أن يكون جمعا مثل سبع ليال وثمانية أيام وخمسة آلاف ، فما بالنا نقول : ثلثمائة وخمسمائة بإفراد لفظ مائة وهو تميز العدد ولم نقل ثلثمئات وخمسمئات كنص القاعدة وكما تقولها فى الألف وما وجه العلة فى جمع الألف دون المائة .

٢ — وتقولون إن ألفاظ العدد من ثلاثة

إلى عشرة تكون على عكس المعـــدود فى التذكير والتأنيث ، فما قولكم فى قوله تعالى : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها حذف التاء من عشرة مع إضافتها إلى الأمثال واحدها مذكر وما تعليل ذلك ؟ .

٣ — وقلتم إن لن حرف وضـــع للنفى المؤبد ، فإذا كان ما قيل صحيحا فما لى اقرأ فى كتاب الله قوله « فلن أكلم اليوم أنسيا » فأرى كلمة اليوم فى الآية جاءت بعد النفى بلن فأفسدت القاعدة ، ولو كانت لن لتأبيد النفى لما كان هناك موجب لقيد هذا النفى باليوم . وكذلك أقرأ قوله تعالى: « ولن يتمنوه أبدا » فأرانى متحيرا فى إيراد لفظ أبداً بعد لن ، ولو صح ما قالوه من تأبيد النفى بلن لكان لفظه أبدا تكرارا لا داعى له . وحاشا لكلام الله أن يخضع لأحكامكم .

محمد ابراهيم
مدرس لغة عربية

اليوم الذى يساوى خمسين ألف سنة :

قال تعالى « تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » .

أراد الله سبحانه وتعالى أن يبين فى هذه الآية الكريمة أن المسافة التى يمكن للإنسان أن يقطعها فى مدة خمسين ألف سنة (إذا ما سار بسرعة معلومة) تعادل المسافة التى تقطعها التموجات الأثيرية عند ما تسير مدة يوم واحد .

لقد أثبت العلماء منذ زمن ليس بالقريب أن هناك كمية ثابتة طبيعية لا تتغير بتغير الأزمان وهذه الكمية الثابتة هى سرعة الضوء والتى يبلغ مقدارها ٣٠٠٠٠٠ كيلو مترا فى الثانية وهى سرعة التموجات الأثيرية بكافة أنواعها سواء أكانت تلك تموجات ضوئية أو تموجات حرارية أو تموجات كهربائية أو غير ذلك مما وصل إليه العلم الحديث .

والآن نحسب المسافة التى تقطعها هذه التموجات ذات السرعة الثابتة (٣٠٠٠٠٠ كيلو مترا فى الثانية) إذا ما سارت مدة يوم واحد .

اليوم = ٨٦٤٠٠ ثانية .

∴ المسافة التى تقطعها التموجات الأثيرية عندما تسير بسرعتها الثابتة لمدة يوم واحد .

= ٣٠٠٠٠٠ × ٨٦٤٠٠ كيلومترا

= ٢٥٩٢٠٠٠٠٠٠٠ كيلومترا

ومن الناحية الأخرى نحسب المسافة التى يتمكن الإنسان من قطعها فى زمن مقداره ٥٠ ألف سنة عندما يسير بسرعة معلومة .

لقد تواجدت فى حياة الإنسان سرعات مختلفة ، فهناك الحيوانات التى تمكن الإنسان من استخدامها فى ترحاله منها البطىء ومنها السريع ، وهناك المخترعات الحديثة كالسيارة

والقطار والطائرة والصاروخ وما سوف يستحدثه الإنسان من مخترعات .

ولكن السرعة التى نريد أن نعتبرها مقياسا لحسابنا يجب أن تكون كما أوضحنا سرعة معلومة . ويجب أن تكون أيضا معروفة لدينا سواء فى زمننا الذى نحياه الآن أو فى زمن نزول القرآن الكريم ، فالقرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان .

هذه السرعة التى نريد أن نعتبرها مقياسا لنا هى سرعة الخيل والتى كانت أقصى سرعة تمكن الإنسان من الوصول إليها أيام نزول القرآن الكريم وليس من المنطق أن نعتبر سرعة الطائرة مثلا مقياسا لحسابنا فإن الطائرات لم تكن موجودة أيام نزول القرآن الكريم علاوة على أن سرعتها غير محددة فإنها تزداد بازدياد تقدم العلم

والسرعة التى وصل إليها الإنسان باستخدام الخيل هى ٦٠ كيلو متراً فى الساعة .

ولنحسب المسافة التى يقطعها الإنسان إذا ما استخدم الخيل وسار بها لمدة خمسين ألف سنة .

وباعتبار متوسط عدد الأيام للسنة الهجرية والميلادية هو ٣٦٠ يوماً .

٥٠٠٠٠ سنة = ٥٠٠٠٠ × ٣٦٠ × ٢٤ ساعة

= ٤٣٢٠٠٠٠٠ ساعة .

وباعتبار المسافة المقطوعة فى الساعة الواحدة هى ٦٠ كيلو مترا كما أوضحنا .

∴ المسافة التى يقطعها الإنسان فى مدة ٥٠٠٠٠ سنة .

= ٦٠ × ٤٣٢٠٠٠٠٠ كيلوا مترا

= ٢٥٩٢٠٠٠٠٠٠ كيلو مترا

وهكذا يتضح أن المسافة التى تقطعها التموجات الأثيرية فى يوم واحد فقط تساوى المسافة التى يقطعها الإنسان بفرض أنه تمكن من السير لمدة خمسين ألف سنة بالسرعة المعلومة التى توصل إليها .

محمد عبد الرحمن سيد فهمى
مهندس بمشروعات السكة الحديد

حول كتابة المصحف :

جاءتنا ثلاث كلمات فى التعقيب على ما نشره الأستاذ محمد رجب البيومى فى العدد الأخير من مجلة الأزهر عن كتابة المصحف الكريم بالرسم الحديث : الأولى من الأستاذ حسام الدين القدسى يؤيد الفكرة ويختم قوله برأى للمرحوم الشيخ حسين والى فى كتابه (الإملاء) ص ٤٩ قال فيه : « ولو كتبنا القرآن بخطنا المستعمل الآن خرجنا من العهدة وقمنا بالأمر أحسن القيام ، كمن كلف شيئا ففعل خيرا منه ؛ لأنك قد علمت أن الخط الحاضر أحسن مما كان عليه من

الطريقة القديمة التي كانت في زمن الصحابة رضي الله عنهم » .

أما الكلمتان الأخريان فتعارضانها: الأولى للأستاذ عبد الوهاب عثمان يونس من علماء الأزهر، والأخرى للشيخ محمد السباعي عامر المدرس بقسم القراءات بكلية اللغة العربية .

يقول الأستاذ عبد الوهاب عثمان يونس :

استولت على الدهشة عندما قرأت في مجلة الأزهر (جمادى الآخرة سنة ١٣٨٠ هـ) أن عالما أزهرياً يدعو إلى تغيير كتابة المصحف الإمام في وقت تعرضت فيه الديانات لهجوم عنيف تارة وهمز ولمز تارة أخرى .

وإذا كانت هذه المشكلة قديمة قدم الإسلام ، ولدت معه ، وعاشت معه هذه القرون الطويلة . ولم يقتصر الشعور بها على عصرنا الحاضر . فماذا فعل المدرسون السابقون مع طلابهم حتى نجحوا في حفظ القرآن على ما هو عليه ، فليت شعرى كيف حل المدرسون الأول من عهد عثمان إلى الآن هذه المشكلة وسهلوا لتلاميذهم حفظ كتاب الله كما أنزل .

ومع أنهم لم يخف عليهم أن صناعة الكتابة وصلت في عصور الإسلام الأولى الذروة في الإتقان . فإنهم لم يقبلوا أن يمس الرسم الذى رضيه كبار الصحابة وأئمة الصدر الأول ، وهم خير رجال هذه الأمة .

أما ما ذكره الأستاذ البيومى من الأدلة على أن التغيير قد حصل فعلا في الصدر الأول ، فإليك تلك الأدلة ، وسترى أنها في واد والدعوى في واد آخر .

يقول الأستاذ : إن المصحف الإمام لم يكن به نقط ، ولا شكل ، ولا فيه أسماء السور ، ولا أرقام الآيات ... إلخ ونحن إذا علمنا أن أصل الموضوع إنما هو المحافظة على رسم حروف الكلمات كما كتبها كتاب الوحى الأول ، وأن ما ذكره الأستاذ إنما هو من الأمور الشكلية التى لم تمس رسم تلك الحروف في شيء ، نعلم أن هذا الدليل قد انهار من أساسه .

أما قوله عن ابن خلدون إنه : (أفاض إفاضة مليئة في الدعوة إلى ترك الرسم العثمانى) فهو قول بعيد عن الحقيقة ، لأن ابن خلدون فضلا عن أنه أشار إلى عدم المساس بالرسم العثمانى حيث قال : (رسمه الصحابة بخطوطهم، ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركا بما رسمه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وخير الخلق من بعده ، المتلقون لوحيه من كتاب الله ، اقتفى التابعون الصحابة كما يقتفى في هذا العهد خط ولى تبركا ويتبع رسمه صوابا وخطأ وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه ؟ فاتبع ذلك) . ومعنى هذه الجملة الأخيرة من كلام ابن خلدون أنه إذا كان الناس في العهد الأخير يقتفون خط الصالحين

تبركا ، ويتبعون رسمهم صواباً أو خطأ . فاتباع رسم الصحابة أولى ، لأن منزلتهم أعلى من منزلة أكبر صالح من غيرهم ، فعليك باتباع آثار الصحابة .

ثم بعد كتابة ما تقدم أرشدنى بعض إخوانى إلى ما جاء فى مقدمة تفسير القرآن الكريم لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الجليل عيسى فوجدت فيها : لما رغب كثير من المسلمين فى كتابة القرآن على طريقة الإملاء الحديثة تصدى لمحاربة هذه الرغبة مؤمنون بصيرون بالعواقب . غيورون على قدسية الكتاب الكريم . وكان الصواب حليفهم فى محاربة هذه الرغبة ؛ لأن القرآن هو عمدة هذا الدين ، وطرق الإملاء الحديثة تختلف باختلاف أقطار المسلمين ، بل قد تختلف باختلاف جوانب القطر الواحد ، فإذا فتح باب كتابة بالإملاء الحديث ، تسرب له ما تسرب للكتب السابقة من التحريف والتغيير ونال من قدسيته ما نال من قدسيتها ، فأثر فى قيمتها الدينية والعلمية .

وقد يحسن ألا نغادر هذا المقام قبل أن نسجل لفتة نبيلة بدرت عن محكمة استئناف مصر منذ أمد ليس بالبعيد ، نقلها إلينا رجل فاضل عن الأستاذ على منصور المستشار بمجلس الدولة ، تلك هى أن المحكمة حكمت بمصادرة مصحف كتب بما يخالف إملاء المصحف الإمام ، ملاحظة فيما لاحظته أن الأمم الراقية تحافظ على آثار سلفها وتقدسها ، ومن ذلك أن الشعب الانجليزى مع تغير كثير من كلماته وطرق إملائه عن العهود فى عصر شاعرهم العظيم شكسبير ، فإنه لم يسمح لطابع ما ولا لنا شر أن يكتب أشعار شكسبير بغير لغة العصر الذى عاش فيه . لأن شعره أصبح فى نظره مقدسا ، لا يجوز المساس به حتى فى طريقة إملائه ، أفلا يكون أولى بالمسلمين ، بل الواجب عليهم ، وهم يقدسون كتابهم أشد من تقديس الانجليز لشعر رجل عظيم منهم أن يحافظوا على إملائه كما هو ، لما سبق ، وللمعنى الذى أشار إليه ابن خلدون فيما تقدم .

اللهم وفقنا للصواب ، واحفظ كتابك من التعرض للتغيير والتبديل .

أما الأستاذ السباعى عامر فيستند فى معارضة كتابة المصحف الشريف بالإملاء الحديث إلى أمرين : الأول أن هذا الإملاء الحديث قد يتغير فى المستقبل ، فكيف يكون الحال عندئذ ... ؟ هل يتغير رسم المصحف أيضا فيصبح القرآن الكريم عرضة للتبديل والتغيير ... ؟ أم يبقى على رسمه الإملائى الحديث ـ الذى أصبح قديما ـ فنعود كما نحن الآن ... ؟ أليس من الخير أن نبقى رسم

المصحف كما كتبه الصحابة والمسلمون من عهد عثمان إلى الآن ..؟ .

والأمر الثانى : هو إسقاط رأى ابن خلدون الذى استدل به الأستاذ البيومى . فإن ابن خلدون ليس حجة فى القراءات ولا فى علوم القرآن . وقد وضع ابن خلدون أسسا للتاريخ فى مقدمته ثم نقضها فى تاريخه . على أن رأى ابن خلدون فى إجازة رسم المصحف بالإملاء الحديث يعارضه رأى الأئمة الأعلام من كبار الصحابة والتابعين وغيرهم . وليس رأى ابن خلدون نديداً لرأى هؤلاء جميعا، ولا هو خيرا منهم . بل هم خير منه .

ثم يقول الأستاذ السباعى - وهو كفيف - :
وقد أشرت فى كتابى « الألفية فى اللغة الانجليزية» إلى ما يوجد فى هذه اللغة من الخلاف بين ما يكتبونه وبين ما ينطقون به بقولى :

أما بنو جرجى فليس يغلب
توافق بين الذى قد يكتب
لديهمُ وبين ما به لفظ
بل يكثر الخلاف حسب ماحفظ
من ذاك قولهم « ورِنسْ » خفق
فإن دى فى الخط لا فى المنطق
و« نايت » و« رايت » قد زيد فى
كليهما إتشا وجى فلتعرف
وربما تلقاه فى الختام
كبال وام فى الميم ثم اللام
ومثله « آر » ، « وإن » فى الراء
والنون ، هكذا يراه الرائى
والاسم قد يخلو من المسمى
كما « لإنش » فى الهاء وقيت الذما

إلى أن قلت :

وإن ترد ما شذ عما مرا
أرهقتنى من عند أمرى عسرا
وصادقا تقول ما من قاعدة
إلا وأشيا عن حماها حائدة
كثيرة مرجعها للصمم
لا للقياس وصحيح الفهم

والمشكلة بعد هذه الأرجوزة الطريفة لا تحل بذكر ما قال العلماء فى هذا الموضوع فإنه معلوم ، والمهم أن نتلمس فيما قال العلماء رأيا يجيز كتابة المصحف بالإملاء الحديث تسهيلا على القارئ العادى فإن اطمأنت قلوبنا إليه أخذناه وإلا أغفلناه .

تصويب آيتين بالجزء السابق :

وردت فى مقال الأستاذ محمد رجب البيومى الذى نشر بالجزء السابق — آيتان محرفتان ونعيد كتابتهما هنا صحيحتين ، والآيتان الكريمتان بصفحة ٥٨٨ وهما : «ولا تيأسوا من روح الله » . « أفلم ييأس الذين آمنوا » .

« ونظلموا الدين » :

قرأت فى عدد الجمهورية الصادر فى يوم السبت ١٢ - ١١ - ١٩٦٠ تحت عنوان :

حديث الأسبوع هذه العبارة : « ويعود توفيق الحكيم بذاكرته إلى السنوات الأولى لهذا المسرح الجديد فيقول : كانت الحركة الأدبية فى ذلك الحين : حوالى سنة ١٩٣٠ حركة منفلوطية لغوية جامدة . معظم القائمين عليها من خريجى الجامعة الأزهرية ، الذين كانوا يقرءون الأدب بالدين واللغة وقواعدها بسنن الوضوء والزكاة المقدسة التى لا تقبل النقاش أو الجدل ، وكان من المستحيل على عقلية كهذه أن تقبل أن يؤلف للمسرح . إذ المسرح والتمثيل كانا أشياء ينظر لها على أنها وسائل وضاعة وانحلال » .

وقد حاولت أن أجد لهذه العبارة وجها حسنا أحملها عليه ، فلم أجد ، ولم أستطع أن أفهم منها إلا أمرين :

أولهما : أن الحركة الأدبية فى سنة ١٩٣٠ كانت منفلوطية لغوية جامدة .

وثانيهما : أن سبب هذا الجمود هو الدين الذى لا تصلح فرائضه ولا سننه ولا مثله وأخلاقه أن تكون مادة للأدب المتطور .

وليس من ريب فى أن هذين الأمرين يجانبان الحقيقة ، أما الأول : فلأن الأفذاذ الذين خلدوا ذكرهم بما تركوه لنا من روائع فى الشعر والنثر ، هم أساتذة سنة ١٩٣٠ وما قبلها . وكيف نستطيع أن نصف أدب شوقى وحافظ والمازنى والرافعى والبشرى وغيرهم من أعلام الأدب بالجمود .

أجل كيف نستطيع أن نرمى إنتاج الأدباء فى هذه الفترة بالجمود ، وبيننا اليوم منهم قمم لا يجرؤ أحد أن يتطلع إليها أمثال : طه حسين ، والعقاد ، والزيات ، وغيرهم من أئمة الأدب .

ثم لو كان الدين جامدا ، لوقفت تعاليمه ، وتجمدت فى جزيرة العرب ، بل فى مكة والمدينة ، ولما استطاعت أن تنساب إلى الآفاق البعيدة فتغمرها ، أو بعبارة أخرى : لو كان الدين جامداً لما ظهرت فى رحابه حضارتنا الإسلامية بما فيها الأدب — التى سيطرت على معظم دول العالم قرونا عديدة ، وتتلمذت عليها هذه الحضارات التى تتدله بها تاركين الأصل الذى نبت فى ربوعنا .

هذا بالنسبة للدين عامة ، أما بالنسبة لما خصصته بالذكر من سنن الوضوء والزكاة المقدسة . فأسفاً ومعذرة بالنيابة عن هؤلاء الأفاضل الذين درسوا اللغة وقواعدها بسنن الوضوء والزكاة المقدسة ، لقد شرفت اللغة ، وشرفت قواعدها ، إذ درست بسنن الوضوء ولو درست أيضاً بنواقضه ، لنالت من الشرف ما لا يستطيع أن يحققه لها المسرح والسينما على وضعهما الراهن .

وبعد : فالدين بما فيه من سنن الوضوء والزكاة المقدسة يمد يده بما يسهم فى تربية المواطن الصالح ، بما فى ذلك المسرح والسينما .

عبد الله محمد الفرماوى

الفهرس

The Qur'an advises to behave politely and to hold high characters. God specifies his prophet Mohamed with these qualities. God says : "For thou art of a noble nature. But thou shalt see and they shall see" (Surah, .The pen V. 4).

No quality equals this quality in the Qur'an.

It was told in "Hadith" by means of Mohamed Ibn Nasr Al-Marwazy that a man made for the prophet, and stood infront of his face, and then asked him "Oh messenger of God" What is the best quality ? Mohamed answered "God temper". Then the man turned to the prophet's right and repeated his question but the prophet gave the same answer, then the man turned to the prophet's left and asked him the same question but the prophet gave the same answer. Then the man stood behind the prophet, and adressed him the same question. Mohamed the prophet, insisted on the same reply turned his face to him and said Don't You understand Good temper !

Then, good temper, according to the Qur'an is the key of many Problems. Ill-natured people fail to succeed in life. They are exposed to failure due to their insolence, foul mouthedness, and ribaldry.

Some interpreters of the Qur'an consider good temper includnig great bashfulness, piety, favour patience, mercy, cheerfulness, and gratitude. The good natured person is one who avoides slander, avarice envy, and grudge. He hates for God's sake, and loves for God's sake: He becomes angry for God, and becomes contented for God.

The Qur'an advises the people to give the trusts to their owners, and not to delay to accomplish this task.

For this purpose God says, "Verily God enjoineth you to give back your trusts to their owners, and when ye judge, between men, to judge with fairness. Excellent is the practice to which God exhorteth you. God heareth, beholds" Surah "The women". V. 58 and others.

In this way the Qur'an is a sacred book above suspicion. That this verily is the word of an apostle worthy of all honour ! And that it is not the word of a poet, how little do ye believe ! Neither is it the word of a soothsayer how little do ye receive warning ! It is a missive from the Lord of the worlds.

with the wind and become unalbe to proceed in the field of civilization, and progress.

The Koran advises the people to take the opinion of one another. It considers counsel the foundation of any prosperous country. The Qur'an asks the Muslims not to bethink one self but be zealous to one's opinion.

God Says " And who hearken to their lord and observe prayer, and whose affairs are guided by mutual counsel, and who give alms of that whith which we have enriched them" " Surah The counsel V. 38 ".

In this way the people can pick up the threads of a happy life free from personal aim, and individual gluttonies.

The Koran advises the people to fulfil their promises, whether they consern financial debts, or spiritual pledges, or any thing else.

It is a matter of fact that faithless damage friendly relations among the people. Perfidy drags away confidence from the hearts. Treachery creates hatred, abhorrence, and strong aversion instead of amity and friendship.

This vice leads to shatter the means of treatment amongst the people and removes the roots of security and tranguillity.

God says " Verily God enjoineth justice and the good and gifts to kindred, and be forbiddeth wickedness, and wrong, and oppression. He warneth you that haply ye may be mindful.

Be faithful in the convenant of God when ye have convenanted, and break not your oathes after ye have pledged them, for now have ye made God to stand surety for you. Verily God hath knowledge of what ye do " Surah The Bee V. 90 - 91 "

The Qur'an advises us to deal with our parents kindly, and to feel mercy towards them because they enduce to the extreme without camplaint for our sake.

This virtue is an universal one which leads the society to happiness and progress, and held in high respect in all the holy books.

God says " Thy Lord has ordinated that ye worship none but him, and kindness to our parents whethr one or both of them attain the old age with thee, and say not to them Fie, neither reproach them, but speak to them both with respectful speech, and defer humbly to them out of tenderness and say Lord have compassion on them both, even as they reared me when I was little " Surah "The night journey. V. 22 and others".

God says " Consume not your wealth among yourselves in vain things, nor present it to judges that ye may consume a part of other men's wealth unjustly, while ye know the sin which ye commit Surah The cow " V. 188 ".

The Qur'an orders the Muslims to take always permission when they enter other houses, and exhorts them to ornament themselves with this virtue because the act of entering a house without permission annoies its tenants, and enable the coming from knowing what the tenants are not ready to appear.

God says " ye who believe! enter not into other houses than your own untill ye have ashed leave, and have saluted its inmates. This will be best for you, haply you will hear this in mind" Surah "the light". V. 27 "

The Qur'an incites the people to co-operate with one another, because dispute leads to failure and disappointment.

Contest always scatters the power with which the country can face all obstacles in its way, and soon can get rid of them all. It can remove with the power emerged from cooperation all the difficulties which hinder its progress.

By means of co-operation the country can attain its patriotic aims, and national hopes. We can extract many examples from the Arab countries strife. Whenever the Arab nations co-operate with one another they are ready to overwhelm thier foes, attain victory and crown their efforts with success.

God orders the Muslims to take the neccssary steps, and precautions against their enemies.

God says " Make ready then against them what force ye can, and strong squadrons wherely ye may strike terror into the enemy of God and your enemy, and into others beside them whom ye know not, but whom God knoweth. All that you shall expend for the cause of God shall be repaid you, and ye shall not be wronged " Surah " The Spoils V. 60 ".

Thus the Qur'an advises to spend on that purpose without hesitation, or avarice. The Qur'an gives pledges to those who spend to reward them on the day of judgement.

Whenever the country achieve this policy it is held in high respect amongst all the world. whenever the country delay to protect its self, and enables the worms of dispute to gnaw at its bones, its efforts go

VIRTUES FROM THE QUR'AN

. BY
Dr. Gamal Addin Arramadi

Amongst the high Virtues which the Qur'an includes is the Virtue of moderation. The Qur'an incited us to avoid extravagancy, extravagance, parsimony and stinginess.

The Qur'an invokes a curse on the extravagant, and disdains the avaricious. The Qur'an asks the people to be equinox and take the moderate side.

God says "And let not thy hand be tied up to they neck. not yet open it with all openness, lest thou sit thee down in rebuke, in beggary. (Surah the night journey V. 29).

No doubt that the extravagant person will fall abruptly in a catastrophe, and will be unable to stand up again. The person who expends his money in follies, voluptuousness, corporal desires, will complain soon bankruptcy, poverty, and need,

Extravagnt countries are exposed to economic colapses, and corruption.

Not only the miser is liable to lead a miserable life, and prevents himself from enjoying life, and having its acute necessities, but also he is contemptible everywhere, for his rough aspect, and disdainful attitude.

The Qor'an prohibited the Muslims from giving authority to the foolish to spend money, because they spend it blindly, and without any atom of reason, but with insavity.

The Qur'an considers the money of the foolish among the income of the government, because one who loses one's reason is liable to give the money to the wicked who stop at nothing to use this money for nasty purposes.

For this reason the Muslim government does not hesitate to interdicate these people, put an end to thir silliness and stupidity, and only gives them what is essential to afford their lives.

The Qur'an prohibits to lay hands on the money of the sane without any right for fear of breaking the civil law, and arousing controversies, and alcrations which lead to vehement litigations.

non- Muslim as long as he makes ssure of it.

When we consider the two women as one man in the conrse of certainiy, it does not mean that she is weak in mind. Shaykh Muhammed Abdou says, "Woman has no bearing on Fiscal treatments and commercial exchange. Therefore she is not considered an authority in this field ; as for domestic affairs she is more active and mindful than man because such business is suitable to her nature and abilities ".

The abovementioned verse was sent in accordance with the nature of women who mostly do not attend buying or selling occasions and who have no interest in commercial businesses. Conversely so long as the verse has been sent as a rule of certainly, then it would be valid and applicable in an environment in which women work in commercial and financial businesses. In such environment judges should consider women on the same footing as men in ascertaining and assuming facts.

Besides. Jurists have stipulated that in some cases, testimony of of women only is accepted, and generally these instances are not customarily within man's purview, such as laying, virginity and other affaires relating to the knowledge of women, while at the same time there are other instances in which the testimony of man alone is accepted.

Further more we do not need to wander in the realms of thought and fantasy when the Quran declares that woman's testimony is like that of the man in the case of any charge of adultery launched by one of the spouses against the other. In this connection it says : "And for those who launch a charge against their spouses, and have (in support) no evidence but their own, their solitary evidence (can be received) if they bear witness four times (on oath) by God that they are solemnly telling the truth. And the fifth oath (should be) that they solemnly invoke the curse of God on themselves if they tell a lie. But it would avert the punishment from the wife, if she bears witness four times (on oath) by God that he (her husband) is telling a lie. And the fifth should be that she solemnly invokes the wrath of God on herself if he (her accuser) is telling the truth" (Sura, 29. Verse, 6 — 9).

This is justice in Islam in distributing the common rights between man and woman, which proves and emphasizes that they are partners in life and humanity in general.

the previous sustenance to maintain her dignity and prestige. The Quran says.

"For divorced women maintenance (should be provided) on a reasonable scale. This is the duty of the righteous".

As regards the man he is burdened with responsibilities of a great magnitude; he should manage his own life, maintain his children and wife, and should undergo the difficulties and hardships of life. In addition he is responsible for the maintenance of his parendts and his poor relatives.

After all, what is man's superiority over woman ? He is shouldering the greatest responsibilities from which the woman is He is shouldering the greatest responsibilities from which the woman is exempt. How fortunate the woman has been placed and how unfortunate man is ! This is the foundation upon which Islam has dealt the distribution of shares in respect of inheritance of which the woman is entitled to a half share while the man is allotted a full share. However these considerations are of no relevancy and have no affinity with their partnership in life.

Woman's testimony.

The Quranic verse which says, "And if there are not two men, then a man and two women" Sura 2 Verse 282, has not been revealed to show the way of giving testimony but rather to guide along the straight and certain way whereby the dealers are sure of their preservation of their rights. In this connection the Quran says, "O' you who believe; when you deal with each other in transactions involving future obligations in a fixed period of time, reduce them to writing. Let a scribe write down faithfully as between the parties. Let not the scribe refuse to write : as God has taught him so let him write. . . And get two witnesses, out of your own men and if there are not two men, then a man and two women, such as you choose for witnesses so that if one of them errs, the other can remind her "Sura 2 Verse 282.

The above verse provides the best guarantee and assurance whereby the rights would be maintained. This does not mean that the testimony of a single woman or of many women backed by no man would be disregarded; because the ultimate aim of the law is clear evidence. IbnEl Qayyem, the great scholar, declared that evidence is legally of a wider sense than testimony and that all what leads to truth or reveals secrets is evidence recognised by judges. Therefore the judge considers the unequivocal proof and the testimony of the

the following in support of their contention,

" And who kills a believer by mistake, it is ordainedithat he should free a believing slave and shouid pay compensation to the deceased's family". (Surah, 4. V, 92).

It is unanimously agreed amongst all that this verse is both applicable to man and woman alike and hence the compensation payable to a woman must necessarily be the same as that payable to man.

Woman's Inheritance.

There are still many who hold and the opinion that the position of a woman is less than that of the man consequently she is given half of the share alotted to a man in an inheritance. They argue that this share was laid down in the Holy Quran and cite the following in this connection.

"As regards your children's inheritance : to the male a portion equal to that of two females" Sura 4 Verse ll and "And if there are not two men, then a man and two women" Sura 2 Verse 282.

In fact the share of a woman in an inheritance is not based on the said argument but rather on another basis relevant to the nature of woman and her function in society. The nature of a woman is such that it necessitates that man should provide the sustenance of his wife, children and poor relatives; that he should also pay the woman's dowry as an expression of his desire to marry her and that the woman should take care of the house, and attend to her requirements such as pregnaancy, laying and nursing the children.

In the light of these cricumstances it can be noted that it is obvious that the woman is more fortunate than the man when compared to him. Islam prescribes to her an unlimited dowry.

"Even if you had given the latter a whole treasure for dower, take not the least bit of it back" Sura 4 Verse 20.

It shoulders man with her sustenance, including lodging, clothes, servants and all that she unlavishly needs. After being divorced, it ordains man to support her in a manner similar to her Previous marital life during the period of "AL-IDDAH" (a period of three months of seclusion upon dissolution of a marriage whether by death or divorce to determine the question of any issues being born to her so as to determine the Paternity of the child if born after a dissolution of a marriage). Islam further entitles a divorced woman to a certain sum of money payable by the man in addition to

dealt with in the said verse by prescribing the law of equality and by recommending mercy.

Man and Woman are equal in compensation.

As long as man and woman are partners in life, sharing the same blood; shouldering the same responsibilities and subject to the same punishments or rewards tn similar cases, it has been said that the verses concerning the unintentional killing of man should be applied to the unintentional killing of a woman. This is because whoever purposefully kills a man or woman, he shall forever abide in Hellfire in addition to incurring the wrath of God.

However if we refer this case to the Qur'an the Constitution of the Muslims, we will find that the verse dealing with compensation for killing is the same in respect of man and woman. For example the following verse states.

"Never should a believer kill a believer but (if it so happens) by mistake, compensation is due: if one slave kills a believer it is ordained that the he should free a believing slave, and pay compensation to the deceased's family". (Surah, 4. V, 93.)

This verse obviously declares that compensation should be paid, in case of an unintentional killing of a man or woman, to the deceased's family without any distinction between male or female in this respect. However there was a difference of opinion among religious authorities as regards the quantum of compensation payable. The question that was in issue was whether compensation was payable in equal manner to both males and females alike or whether compensation for females was only half of what was payable to males. This question has been reviewed by Imam Al-Razi and he has referred to both views on this matter in his comprehensive interpretation of the Holy Qur'an wherein he says as follows "Many jurists see that woman's compensation is half of what is payable to man". Other Jurists have expressed the opinion that compensation payable to a woman is the same as that payable to man.

The grounds on which those who advocate the payment of half to a woman are that Omar, Ali and Ibn Masaaud had considered and applied this; further the woman's share of inheritance being half of what man inherited so must it be in the case of compensation which should be payable in the same manner. Those who argue that compensation is payable in equal terms with man state that this was manifest in the Quranic verse previously mentioned and cite

to the same degree as the man as for instance, the following sura says:

"We ordained there in for them life for life" (Surah, 4. V, 48) and "O' you who believe; the law of equality is prescribed for you in cases for murder" (Surah, 2. V, 178).

Therefore the punishment in the Hereafter, for murder, on a woman is the same as that meted to a man.

"If a man kills a believer intentionally, his recompense is Hell, to abide therein (for ever); and the wrath and the curse of God are upon him, and a dreadful penalty is proposed for him" (Surah, 4. V, 93).

In this verse, God, the Almighty has ordained such penalty or punishment according to the quality of faith in which man and woman are undoubtedly partners. The Islamic Legislators, however, agreed amongst each other that this is applicable to men and women alike.

"O' you who believe; the law of equality is prescribed for you in cases of murder; the free for the free, the slave for the slave, the woman for the woman" (Surah, 32. V, 178).

Some readers who have read of the above, perhaps may assume the idea that a man should not be punished by way of the penalty of death for the murder of a woman and vice versa. There is no doubt that such a misunderstanding would certainly cause an increase of crimes of murder resulting in the extermination of the human being and a serious threat to human society and endanger the existence of the two principal elements, i.e. the male and the female.

In fact the verse is meant to eradicate the custom of the pre-Islamic Arabs who indulged in murder as a mode of revenge or retaliation for the slain and not to build their punishment on the principles of "AL-QUISSAS". It was their custom not only to take revenge against the murderer himself but also against one superior than him. If for example a slave had murdered another slave, apart from the murderer himself, the master of the slave would also face death as a result. If a woman had been murdered by another of the same sex, the revenge will not be limited to the woman who murdered but will be extended to the killing of a man of the tribe to which the woman murderer belonged.

Therefore the revenge will not be limited to the women who actually committed the murder, but would be extended to the killing of a man of the tribe to which the woman belonged.

This pre-Islamic custom has been

not their fathers'affair".

Nevertheless Islam empowers the father and the guardians the right to raise any objection to a marriage if the woman deviates in choosing her husband, or to prevent the marriage when they are absolutely sure of her unwise decision and wrong choice and that she is about to mary a man who is incapable of maintaining her. This is simply because a marriage contract has an affinity with the family affairs; therefore guardians should have some interest in it in order to maintain the dignity and prestige of the family. Thus they are permitted to interfere whether it be by an objection or by prevention, only in so far as the dignity and the prestige are at stake if the contract of marriage was to be performed.

In this respect Ibn El Kayyem has said: "A woman's consent to marriage is ordained by God in Whose religion we believe, and is in conformity with the Hadiths and the Traditions of the Messengers of God and also withe his commandments, the principles of the Law and with the welfare of his people. The father has no right to deal with the possessions of his daughter who is mature and sound' no matter how few these possessions may be, unless she appeases; and he is not allowed to enforce her to spend any trifle amount therefrom unless she acquiesces. Then how could he be said to impose his will and power to foist a marriage on her? It is a well established fact that spending all her possessions is far more easier than imposing the man on her and whom she does not like".

This is the right of the woman in entering into contracts and in dealing with all civil and personal sanctions as laid down by the Quran, the Prophetic Traditions and the origins of Islamic Law.

Man and woman are partners in Life:

In Islam, therefore, we notice that women are obliged to study everything that comes in useful in life for the reason that she is not only held responsible to her self, but also to her family and the society in which she lives. Consequently as a direct result of this urge to seek knowledge, we find that there are in societytoday amongst women, the scientist, the medical practitioner, the writer, jurist and the devout. This has been attributed to her partnership with man in life and her effect on this partnership has obviously manifested itself in many aspects of Islamic Legislation. It must be noted that she is criminally responsible

"When you divorce women and they fulfil their term of IDDAT (a limited Period of seclusion upon termination of a marriage whether by death or by divorce) do not prevent them from marrying their (former) husbands, if they mutually agree on equitable terms" (Surah, 2 Verse, 232).

"There is no blame on you if they dispose of themselves in a just and reasonable manner" (Surah, 2 Verse, 234).

The genuine Prophetic Traditions have stipulated that a woman's endorsement and consent should be obtained for her marriage. Such Traditions made it incumbent for the previously married woman to declare her consent openly while in the case of the virgin girl, it would suffice to express her consent and approval by means such as tacit silence or assent by means of an insinuation, because she is comparatively timid. The Messenger (O. W. B. P.) says : "The previously married woman is more responsible of herself than her guardian but the virgin should be asked opinion and her tacit silence or consent is interpreted as her tacit acceptance".

It is not reasonable or customary that the consent of an individual is considered in the validity of some actions.

As long as the virgin is similar to the previously married woman with regard to her judgment and puberty, it is then illogical to differentiate between both of them such as to enforce the virgin to marry one whom she does not like or to consider her exercise of the marital contract as invalid and void.

Furthermore we find in some books of theH anafi Sect that the woman has the right to make her marriage contract because she is deemed capable as long as she is sound and mature. Therefore she enjoys an absolute liberty to deal with her money and to choose her husb and likewise. Similarly Al-Bukhari and Muslim, the Traditionists narrate that previously married woman called Khansaa daughter of Gozam was unwillingly married and her father made the marital contract. She came to the Prophet complaining and the Prophet dissolved her marriage.

Abdullah son of Abbas also narrated that a woman slave belonging to Abu Bakr had come to the Messenger of God and told him that her father had forced her to marry aganist her will ; then the Messenger informed her that she was at liberty either to continue her marital fife or to divorce her husband. She said : " I have approved what mother had done to me but I only wanted to show women that their marriage is

apparent therefore that the position of the contractual capacity of the woman has been quite lucidly stated by Islam and the woman is treated in the same manner as the man in all contractual relations. We are not aware of any Muslim jurist who has contradicted this attitude in Islam who has conceded that the texts in Islam on this subject relate purly to man and not to a woman.

In conferring this contractual capacity on a woman, Islam has considered as a human being both capable and competent to manage her own contractual obligations since the Western woman in the present civilization and the alleged man's rights have not yet reached the standard of women in Islam and has not enjoyed this human right.

Woman's right in entering into matrimonial contracts:

The subject of the woman's right in entering into matrimonial contracts has been discussed at various times and many opinions have been expressed. One could imagine certain voices that would arise from certain quarters and seek to ask: How could it be said that Islam gives the right to a woman to enter into civil contracts while together with some Islamic Schools, it deprives the right to enter into a marriage contract for herself or for somebody else? The other question is how does one reconcile this position with that of the right of the guardian of a virgin female to enforce her to marry another without her consent and whom she does not like. There is no doubt that the woman's self is dearer to her that any other material possession, then one is inclined to ask the question as to what would one feel with regard to the deprivation of her right to express her opinion in a matter which concerns her and which is vital to her whole existence in life.

The answer to these question is that in reviewing the position of women in Islam, we have adhered to the Teachings of the Quran which is the foremost and primary source of Islamic legislation. The Quran grants the woman to make her marriage contract and express her opinion regarding the man she is to be married; and at the same time it warns men from infringing the woman's right in this regard. The following verses will clearly and lucidly give an illustration of the true position.

"If a husband divorce his wife (irrevocably), he cannot, thereafter remarry her until after she has married another husband" (Surah, 2. Verse, 230).

inherit her legal portion on the ground that it has afforded her an opportunity of volunteering in war.

It is a well attested fact that the Prophet (O. W. B. P.) had granted women the same rights as men, with regard to their share of the spoils and held that it was justified in killing any woman who was in the ranks of the enemy's ranks.

Therefore Islam has fixed a portion from the inheritance for women, whether she be a mother, wife, daughter or sister, and detailed their portion according to their cases. In this regard the Quran says: "From what is left by the parents and those nearest related there is a share for men and for women, whether the property be small or large, - a detremined share" (Surah, 4. Verse, 7).

It has blamed the heathens for their shameful attitude towards women as follows :"And they assign daughters for God ! Glory be to Him And for themselves (sons, the issue) they desire. When news is brought to one of them, of (the birth of) a femal (child), his face darknes, and he is filled with inward grief. With shame does he hide himself from his people, because of the bad news he has had ! Shall he retain it on sufferance and contempt, or bury it in the dust ? Ah ! what an evil (choice) they decide on" (Surah,16. Verse, 57—59).

The Quran openly declares that both male and femal are a blessing bestowed by God upon His bondmen which ordains them to be thankful : "And God had made for you mates (and companions) of your own nature, and made for you, out of them, sons and daughters and grandchildren, and provided for you sustenance of the best" (Surah, 16. Verse, 72).

Islam thereafter granted every woman the right to enter into contracts and other transactions such as the buying and selling of goods etc. It must be categorically stated that Islam has not in any way violated nor affected the contractual capacity of a woman in the exercise of such transactions after she has shouldered both personal and common responsibilities.

Islam therefore permits her to exercise the right of ownership and possession, and to deal with freely whatever she possesses, to appoint an attorney to act on her behalf in legal proceedings and she exercised the right to guarantee others transactions and enjoyed the right to be guaranteed in her transaction. It is

Prophet, says, "It was the habit of the Prophet to take some women with him in times of war to supply the warriors with water and to nurse the wounded".

However, nursing the sick, healing the wounded and serving the army had been a primitive and easy matter during the reign of the Prophet, but now it has become an intricate and difficult task which requires certain preparation and training. Women, therefore, in order to perform this noble duty would have to study the various methods pertaining to such duties.

In this connection certain Jurists have expressed the opinion that if the nation is attacked, then participation in times of war would be the task of every individual, whether man or woman, in society. The burden of the defence of the nation rests on all irrespective of the fact whether they be man, woman or boy. The following linse will clearly illustrate this Point, "God Ye forth, (whether equipped) lightly or heavily, strive and struggle with your goods and your persons, in the cause of God" (Surah, 9. Verse, 41).

This is the first and foremost field in which we find that Islam has decreed that women should participate and cooperate with man. This principle has been drawn up since the Call of Islam and since the Muslims began to defend their faith. But the present word is experiencing a period of diversity and transition which directly influence all conditions and institutions. Therefore, in order to maintain the dignity of women, if it becomes necessary for her to make her contribution towards the common struggle, we must put her in the proper place which will protect her from any indecency or frivolity, and also from the evil intentions of ill-hearted people who may be members of the army or of the society to which she belongs.

This is a matter which could be easily organised by leaders with foresight and wisdom and who have a sense of honour and who believe that the moral virtues and the immaculate conceptions are the path to prosperity, success and victory.

Woman in the Pre-Islamic Era:

The attitude previously mentioned has been representative of the Islamic view which destroyed the foundations upon which the heathen Arabs had built and adoPted their policy of depriving the woman of her right of inheritance under the pretext that she could not defend her motherland. But Islam has annulled this rule and given her the right to

of sound thinking and capable of expressin a considered opinion and wellfonded views.

Teaching of Women.

Thereis no doubt thot the responsibilities which rest oo the shoulders of a woman affords her an apportunity and a right to ascertain and study everything that would enable her to perform her obligations that arise from the responsibilities which she is called upon to undertake. She is called upon in the light of these responsibilities, te enjonin justice and forbid evil, and lead a life of piety, righteousness and virtue.

Therefore. Islam has tacked the woman with the knowledge of creeds and worship as well as with the knowledge of the permissible and the forbidden regarding diet, drinks and other activities of life.

We do not recognize any religious distinction whatsoever between man and woman regarding their capacity in performing their religious duties except that the woman is requested to Perform her religious obligations prior to the man due to the fact that she reaches the age of puberty before him.

In some instances Islam has exempted women from performing certain religious duties, but this does not mean that she is incapable of performing these duties but it is rather an indication that Islam aims at mere mitigation to afford her an opportunity to rest calm and pay attention to her household duties and the upbringing of her children. These duties are the performance of the Friday Prayer and the participation in AL-JIHAD (the religious defence) respectively, but if she prefers to attend the congregational prayer or to take part in the war, there will be no restrictions against her doing so.

Participation of Women in War:

This is a caption laid down by the AL-BUKHARI, the Traditionist, in his book which deals with the Prophetic Traditions wherein he narrates that a woman in the age of the Prophet said, "We have fought with the Messenger of God, peace and mercy of God be upon him, we had been giving hand to the warriors, supplying them with water, nursing the wounded and burying the dead martyrs" .

Another woman narrates, "I have participated with the Messenger of God in seven battles, looking after their goods, serving their meals, nursing the wounded and the sick". ANAS, one of the companions of the

up to this moment but I think you are no longer his wife". she said "But he has not uttered the divorce formula". The woman continued her discussion with the Prophet which was protracted, until she said " I have little children who would starve if I took them and would be lost if he took them". Then she raised her hands upwards and turned her face towards heaven and said, "O' God : I am pleading to you. I beg of you to reveal a verse concerning my case at the tongue of your Messenger". No sooner had she finished her Petition when the four verses tackling this problem were revealed. In this connection the Quran says.

"God has indeed heard (and accepted) the statement of the woman who pleads with you concerning her husband and carries her complaint (in prayer to God); and God (always) hears the arguments between both Parties amongst you; for God hear and sees (all things)". (Surah, 58. Verse, 1).

These verse are meant to denounce these who address their wives in such terms, to put an end to these fallacies and lies and to declare that AL-ZIHAR (the assimilation of one's wife to his mother) is neither divorce not a cause for separation.

"Nor has He made your wives whom you divore by ZIHAR your mother" (Surah, 33. Verse, 4) and "If any men among you divorce their wives by ZIHAR (calling them, mother), they cannot be their mothers; none can be their mothers except those who gave them birth. And in fact they use words (both) iniquitous and false". (Surah, 58. Verse, 2).

Moreover, you could see in the first verse of the chapter of AL-MUGADALAH how God actually elevates the sratus of women, how he appreciates and respects her opinion, how he makes her an interlocution to the Prophet when He equalizes both of them in his saying, "And God (always) hears the arguments between both sides amongest you", (Surah, 58. V, 1.) and how He legalizes her opinions and makes it an article of the comprehensive and eternal Muslim Law. You would certainly realize that the verses concerning AL-ZIHAR and its injunctions in the Islamic Law as well as in the Glorious Quran, and that the chapter of AL-MUGADALAH are not but natural consequences emanating from women's thought, a divine eternal decree in which we observe throughout a handsome picture of a waman's position in Islam. A woman is not a mere flower whose sweetness a man enjoys but on the contrary she is considered a rational being capable

Hypocrites, men and women, (have undarstanding) with each other. They enjoin evil and forbid what is just, and are close with their hands. They have forgotten God; so He has forgotten them. Verily the hypocrite are rebellious and perverse. God has promised the hypocrites, men and women, and the rejectors of faith, the Fire of Hell: therein shall thay dwell; sufficient is it for them ; for them is the curse of God, and an enduring punishment ". (Surah, 9 V. 67 - 68 .) .

It is of paramount importance to note that the enjoining of good and the forbiddance of evil is one of the most important responsibilities in Islam in which man and woman are equal. Therefore the teaching of Islam stipulates that the woman should be passive and leave the enjoining of good and the forbidding of evil to man only under the pretext that it is a matter for him alone as he is stronger than her. This is attributed to the fact that man has his own circle and woman has her own, and life can by no means be prosperous unless both of them coordinate and cooperate. If either of them becomes egoist or takes a passive attitude, then life would inevitably deviate from the straight pa th.

Woman's views in Islam :

Furthermore Islam has raised the status of women and decreed that in return of her responsibilities, her views, like those of men should be respected so long as they are valid and sound. If Islam attested the views of some men, it also chose some views pertaining to women.

The Chapter of AL MUGADALAH (the woman who pleads) started with four verses which were revealed on the occasion of an event that occured between a man called AWS son of AL-SAMET and his wife KAWLA daughter of THAALAB. AWS said to his wife, " You are to me like my mother" - it was the habit of the Arabs in the pre-Islamic era that if a man addressed his wife in the said manner, he was not permitted to have sexual reletions with her - and then he invited her to have sexual intercourse but she refused him and said, "By God's name, I would not allow you to contact me sexually, after wat you have said, until God and His Messenger judge between both of us". Then she come to the Messnger of God, on whom be peace, and said, "O' messenger of God, I tell you that AWS married me while I was a desired girl but when I became old and ugly he made me like his mother ; and if you have any solution, O' messenger of God, to this Problem, please say it to me ". The Messenger, peace and mercy of God be on him, said, " I have no solution to your problem

female and have faith, they will enter Heaven, and not the least injustice will be done to them". (Surah, 17. Verse, 124).

and He also says "And their Lord accepted of them, and answered them. Never will I suffer to be lost the work of any of you, be male or female : you are members, one of another" (Surah, 32. Verse, 195).

Let us Pause here for a moment and consider what was contemplated by God in the aforegoing verse "You are members, one of another" and how he restrains the superiority of man by making him a part of the waman. Nothing whatsoever could illustrate the sense of equality between man and woman better than the said verse which demnostrates the nature of both of them without any distinction. The Holy Quran refers to that notion in the following words : "To men is allotted what they earn, and to women what they earn". (Surah, 4 Verse, 32).

This is the Islamic Law as ordained by God; the woman is responsible for what she dose and the man is responsible for what he does; and neither of them is responsible for the other's sins. God, Glorious be He, says, "God sets forth, for an example to the unbelievers, the wife of Noah and the wife of Lutt : they were (respectively) under two of our righteous servants, but they were false to them (husbands), and they profited nothing before God on their account, but *were told,* "Enter you the Fire along with (others) that enter". And God sets forth as an example to those who believe, the wife of Pharoah : Behold she said, "Oh My Lord ! build for me in nearness to You, a mansion in the Garden, and save me from Pharoah and his doings, and save me from those who do wrong".

Woman's responsibility is common and comprehensive.

Thus we have already seen that woman has personal responsibilities towards har religious duties and herself. Yet Islam considers her as having general responsibilities as regards enjoining good, the exhortation to justice, the guidance to virtues and the forbiddance of vices. The Qur'an has openly declared these responsibilities and made the woman similar to man therein. It says, " The believers, men and women protectors, one of another ; they enjoin what is just, and forbid what is evil ; they observe regular, prayer practise regular charity and obey God and his Apostle. On them will God pour His mercy : for God is exalted in Power, Wise ". (Surah, 9 V. 71).

And goes further to state, " The

is in harmony with the necessities of nature. Under Islam the mother is considered the first nurse who brings up the child and nurses him up to a stage after which the father is deemed the second nurse who is responsible for the sustenance and maintenance of his family.

Similarly it stipulutes that the money should be earned through just and lawful means and spent reasonably and neither extravagantly nor niggardly. Furthermore it stipulates that the relationship should be on the basis of amity and cooperation without exploitation or subjugaiton.

Response to the Call of Life.

We note that Islam is the comprehensive answer to the Call of Life and it is the straight path to those who understand it and relate it to its original sources.

Those critics who state that Islam is no longer adaptable to the present needs fall into the following tow categories :

(i) Men who received the Islamic teachings from persons who misunderstood it and who strayed from the straight path, and held what they believed in as religion.

(ii) Men who know Islam well and its values, but who would not accept it due to their inherent prejudices and their bitter antagonism towards it. These persons indulged in unwarranted and fallacious criticism and attributed to Islam a false notion to suit their vicious whims.

It is incumbent upon zealous Muslims to adhere to their old Traditions and to convey the Divine Message to the world. They have to abandon and disregard the age of immitation and to adopt the attitude to progress rather than stagnation. Thay must re-read the Book of God and the Traditions of the Holy Propht in ordnr to get a clear perspective and proper understandidg of the religion.

Woman is responsible.

Islam holds the woman responsible for her actions; she is considered independent and responsible for her own actions, her religiaus duties, her family and her society She enjoys a much responsibility as man and is rewarded for her meritorious deeds as well as punished for her misdeeds. Man's obedience does not accrue to her benefit so long as she deviates from the correct path and similarly his disobedience does not affect her so long as she leads a virtuous, pious and righteous life. In this connection the following words of Almighty God is worthy of note, "If any do deeds of righteousness, be they male or

acquire to realize the virtuous standard of humanity. This is more fully illustrated in the following, "Oh Manking, reverence your Guardian Lord, Who created you from a single person, created of like nature his mate, and from them twain, scattered (like seeds) are countless man and women" (Surah, 4. V, 1.). And " Oh Mankind, we created you from a single (pair) of a male and female, and made you into nations and tribes, that you may know each other (not that you may despise each other). Verily the most honoured of you in the sight of God is (he who is) the most righteous of you" (Surah, 49. Verse, 13).

The Quranic Teachings give man and woman an honoured place and enjoin their chidren to bestow kindness towards their parents; "Servv God, and join not any partners with Him! and do good to parents." (Surah, 4. Verse, 36)

The Quran goes further and demonstrates the exhaustive efforts and endeavours and the burden of the mother in bringing up her children and which the father is exempt from, and is aptly described as follows, "And we have enjoined on man (to be good) to his parents! travail upon travail did his mother bear him, an in years twain was his waning" (Surah, 31. Verse, 14.)

The mother's position is further illustrated in the answer of our Holy Prophet (O. W. B. P) when he was asked by a man, "Who deserves my good company?", the Prophet said: "Your Mother". The man repeated "Who is next?", to which the Prophet again replied "Yaur Mother". Once agatn he asked the Prophet "Who is next?" to which the Prophet again replied "Your Mother". Then the man asked again "Who is next?" to which the Prophet said "Your Father".

Legislation is in accordance with Nature :

What is really meant to be conveyed by the aforementioned paragraphs when the Quran ornained children to sho respect to their parents and in particular to bestow kindness upon the mother, is the fact that this is in conformity with the nature of creation, and the nature of women whose hearts ara filled with tenderness and sympathy. This is amply demonstrated during her period of pregnancy, and lactation, the early upbringing and care of her children till they reach the age of maturity.

If we compare the Islamic teachings with the nature of creation, we shall find that the Islamic law is based upon a logical reasoning and

without further campaigns mainly based on false pretences as a defence of women's rights. To achieve this they began to porPagate their deceptive and base methods to lure women and win them to their side. Furthermore, false doubts have been created in many minds regarding this aspect and inaccurate pictures have been protrayed in many minds as to the real status of women in Islam.

The Western Woman:

Islam in fact, has given woman all good and kept her away from any evil. It has just illustrated what is meant by liberty and to what extent she is entitled to enjoy this liberty and freedom not as conceived by Western civilization. I am quite sure that the Western woman, when she realizes her human nature, would shed tears on the lost prestige, honour and happiness. Any woman, whosoever would certainly realize, sooner or later, that the only shelter to which she might restore and in which she might feel secure and honoured are the divine teachings of Islam whose antagonists are desperately endeavouring to defile or depict Islam as mere fetters enchaining women and depriving her of her natural rights.

In the following pages we shall andeavour to portray the real position enjoyed by a woman in accordance with the teachings of Islam as laid in the Holy Qur'an with a view to guide people regarding the rights, the injunctions and the status of women and the place accorded to her in society. She is considered as the foundation upon which the edifice of Islamic Society is built, and should her rightful place be in any manner be affected or weakened, then society looses its strength and its integrity.

The origin of Man.

The Holy Qur'an attributes the existence of mankind to the partnership of man and woman, and does not distinguish between them. With the passage of time mankind became grouped into clans. tribes, families and individuals. Accordingly man enjoyed a state of baternity while the woman enjoyed a state of maternity. The Glorious Qnr'an considered this as a blessing bestowed upon man and made it incumbent upon him to be thankful to his Creator and ordained him to be pious, virtuous, righteous and dutiful to God.

To illustrate this point of view, we may state that there lies no distinction between man and woman in humanity. The only distinction which elevates one another is the virtuous characteristics which either of them

THE POSITION OF WOMEN IN ISLAM

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

Women in the Quran

The Glorious Qur'an has dealt with Woman's affairs in more than 10 Suras (Chapters) two of which are called the major and minor suras of women, i.e. the Woman's sura and the Divorce Sura. The subject of women has been dealt with in the chapters of the Cow, The Table, The Light, The Confederates, the Woman Who pleads, the woman to be examined and the Prohibition.

This clearly indicates that Islam protects women and affords them a status whereby they enjoy rights and previleges in Islamic society. This status, however, was not accorded to any woman before the advent of Islam, in any divine law or man made society. Nevertheless the position of women in Islam has been the subject of much discussion and one of the most controversial topics. Various opinions have been expressed and some of them for instance, assume that Islam filched her rights, degraded her status and made her a trivial means of enjoyment at the disposal of men, but the Qur'an says:

" And women shall have rights similar to the rights against them, according to what is equitable"(Surah 2. Verse, 228).

In point of fact the subject has not been discussed in a just and equitable manner but rather viewed with religious bias and prejudices. In other words, it has been looked at with a jaundiced eye.

Personal Affairs :

Among the bitter consequences that resulted from foreign occupation of our land and the Imperialists, systematic inroads our institutions and beliefs has been the rejection by Muslims of the criminal and civil laws ordained by Islam. Nothing was left in the Islamic Law except certain rules governing family and women in particular. Even this remainder of Islamic legislation has not been left

bring their attention to the mistakes before the spread of the opinions and the books.

Had the false Traditions not been available to those who cannot distinguish between them and the true ones, the suspicion about faith could have been limited.

The Fourth Revolution, then, serves one of the Revolution's aims. It is also a necessity in the process of Reformation and in the nature of religion as well as in the responsibility of Al-Azhar.

When this Fourth Revolution matures with its sister, it can cast off the dirt and purify God's Religion from the poison of innovation and sects and congregations in order that people may imbibe it filtered. Then, such a Revolution will be apt to construct for the Arabs an ideal society which walks on God's path, guided by truth, surrounded by knowledge and conscience. When the construction of such a society is completed, you will not find any longer the evils committed in the governmental departments, nor the catastrophies taking place in the houses, nor the queer characters seen in the streets, nor the shortcomings in our transactions. Therefore the reformers will be pleased to see the harvest of the Revolution, the citizens will be proud of the Nation's status, and the believers will rejoice in the victory granted them by God.

---

unorganized divided heritage into three sections: the first for interpretation and explaining the Glorious Quran in the light of true Traditions and real science; the second for Traditions, collected from the trustworthy books, assisted in explanation by the sciences of history, sociology, ethics, and philosophy; the third for jurisprudence. This last section will include the right verdicts and true doctrines. The text of this section should be articles like law being explained in legal terms in such a way that it refers to the origin and mentions the branches without interpolation or vagueness.

These three sections will be the subject of study, the reference for judicial purpose, and the source of legal decision. From these three texts, some abridged books may be written for the schools and to be spread among the public. These abridged books can also be translated along with the texts into most of the Oriental Languages as well as into the famous languages of the West and then be sent to every country that knows Islam or desires to know about it.

Except for those writings on the three sections, all the previously written books on jurisprudence, interpretations and collections of traditions should be reviewed and divided into two categories: those which contain truth may remain in the libraries as references for specialists and historians; and those which contain false knowledge should be done away with as did Othman with every Quran except his own. For, preserving the fabricated Hadiths and false beliefs is very injurious, dangerous and misleading.

I remember that a great scholar, who passed away, presented a thesis in French to the Sorbonne on "The Status of Women in Islam". The writer in his thesis did injustice to the Prophet's characteristics, religion and moral life. When he was disputed, the writer supported his claims by Traditions mentioned in "Tabakat Ibn Sa'ad" and in "Al-Shifa" by Al-Qadi Iyad. When his evidence was rejected because those Traditions were not true, the writer said, "How can I know that such Traditions are not true in view of the fact that I quoted respectable writers and widely read books?".

Every now and then people read different opinions and different books written by such scholars who are misled and deceived by such books. The critics of Traditions most likely do not have the chance to

It is a pity and plague for Islam that, when its people became weak and its sovereignity decreased, many foreign elements penetrated its body to the degree that everyone was able to interpret it to suit his desires

The religious revolution, then, as I mentioned, aims at liberating the mind from the impotent leadership and blind imitation. It also aims at purifying the traditions from the false Hadiths - after that the jurisprudence can be rewritten in the light of the original Islamic sources, Qur'an and true Hadiths to suit the conditions and circumstances of time as well as to face the problems of civilization. Finally, this purified true Islam can be Exhibited in its attractive from and straight style.

That is what should be conside-red by the Republic in National Plan-ning for the net ten years; for the Constitution's declaration, that Islam is the official national religion, does not make sense unless the effect of religion can be seen in the processes of socialization, education, egislation, and morality.

To execute such a vital policy, no institution can function or perform this duty as efficiently as AL-AZHAR. AL-AZHAR, the radiating centre of Islamic thought and culture, has a unique history, position and capacity, and is the most capable institution for disseminating the great Message and orienting the big nation. This can be done if Al-Azhar is entrusted with the plan drawn by the Revolution to play the role defined by the Gene-ral Conference of the National Union, "The Conference - believing in the vital role carried on by the Honoura-ble Azhar in respect of our Holy struggle defending Arabism and our spiritual values - declares its insiste-nce this great Islamic Institute in order that it continues to be the li-ght - house which sends its spiritual and scientific rays to every part of the world. And as to enable it to join the evolutionary movement of our present time, the Conference recom-mends that AL-AZHAR should be secured the means by which it can become a useful Institute for serving our spiritual and national aims and to liberate our Arabic Nation as well as to materialize its overall unity in the frame of true national conception".

The central core of the Message of Al-Azhar is to reserve the Islamic heritage and purify it from strange beliefs, false doctrines and harmful innovations. After that, Al - Azhar should spread true Islam all over the world via education, writing, translation, and missionary work.

Its means to this end, in my opi-nion, is to work on collecting this

and those selfish opportunists despite the fact that our nation has improved in the last eight years to the degree that, internationally we are heard whenever we speak, are given when we demand, find the result of our work, and harvest the fruits of our plant in the shade of a democratic regime and socialistic system both of which guarantee the individual as well as the nation the cooperation of each other. A Fourth Revolution, therefore is necessary to function as the intuitive spirit of this threefold one, serving as its guiding ray. This needed revolution is the religious one.

Perhaps the pious taste does not tolerate mentioning revolution beside religion. The connotation of revolution for a long time gave it the mean ing, of rebellion, precipitancy, tyran ny, persecution and assassination. But the Nasserite revolution - the first of its kind in human history - has changed this old connotation. It now denotes liberation, purification, construction, evolution and reformation, for it did not colour its white page with bloody spots, nor did it cover the black spots of the previous regime with anything less than good manners.

According to this new interpretation of revolution, we need a religious revolution. Religion by nature and definition is a continuous revolution against corruption and evil, and war against injustice and inequity. As long as those evils exist on earth revolution should continue and war should be declared. All that is needed is to increase the flame of religion and brighten its light in order that our general Revolution may find in its heat a source of strength and in its light the origin of guidance.

The reformer who is chosen, in the series of reformers, to revive what has been forgotten, define what has become vague, and reconstruct what collapsed, is the man who can uncover the word of God and define the message of Muhammad. Such a man realises that corruption in government and in politics, and that feudalism have weakened the religious impulse. Thus, the light of Islam became dark in the conscience of the Muslim whose religion deos not resemble that of the early Islamic generations who conquered the world.

Islam today became a strange mixture of old traditions, false sufism, handed-down myths, and alien customs which deceive the believers that Islam is not concerned about this life, and the Muslim is not concerned about material things. Such people think that their superstitious beliefs represent the spirt of religion and lead to the path of heaven and the mercy of God. They do not lack support of some false opinions or fabricated traditions.

OUR THREEFOLD REVOLUTION NEEDS A FOURTH ONE

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

The United Arab Republic lives today in a threefold Revolution as its great agitator, Gamal Abdel Nasser truthfully said; a political revolution to provide freedom and stabilize liberation on the basis of unity and neutrality; a social revolution to furnish democracy and build society on the basis of equality and fraternity; and an economic revolution to ensure socialism and establish wealth on the basis of justice and cooperation.

This threefold revolution is the center of the laborious wise power of the nation. It was initiated by a strong flexible hand which sought ruling as a means of reformation, tearing down for rebuilding and ploughing for planting. Thus, the whole nation from Aswan to Al-Qamsheli, is dynamic in its will and determination.

But this constructive revolutionary power alone, no matter how much it produces or initiates, cannot provide the suitable surroundings for the human being unless we consider him a mere animal - with just a stomach but no heart; with just emotion but no mind - rather than human, who on the ladder of God's creation, occupies the middle range between beast and angel. His physical entity attaches man to earth, while he is connected with the sky by his spiritual attainment.

Yes, it is possible that the threefold revolution, with its physical and mental power, may soften the iron, cultivate the stone, conquer the Nile, spread knowledge, make life more comfortable for the worker and the peasant, and supply the army and the police with more powerful weapons. All this is possible, but the threefold revolution cannot fill the closed heart with piety nor can it revive the dead conscience. The evidence is that there are still amongst us the bribee, the defalcator, the thief, the forger, the loose character, the subversive, the hybocrite, the traitor,

ملحـق

للجزء السابع من مجـلة الأزهر

الصادر فى رجب سنة ١٣٨٠ ﻫ .

« فى موضوع الربا ورأى العلمـــاء فيه »

ملحق بمجلة الأزهر

لعدد رجب سنة ١٣٨٠ هـ

بعد طبع الجزء السابع من مجلة الأزهر لرجب من عام ١٣٨٠ هـ اطلعنا على العدد الحادى عشر وملحقه من مجلة لواء الإسلام لشهر رجب من هذا العام فقرأنا فيه مقالا لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت عنوانه : « نظرة الإسلام للربا » منقولا عن مجلة الهدى النبوى ، وقد بنى عليه من بنى أن لفضيلة الشيخ الأكبر رأيين فى الربا .

وليس فى ذلك من بأس فإن للفقيه أو للشرع أن يرى رأيا ثم يجد من المصلحة أن يعدّل فيه أو يعدل عنه ما دام مستندا فيما يرى إلى دليل شرعى . والعلماء يعرفون أن الإمام الشافعى له مذهبان : مذهب فى مصر يخالف مذهبه القديم فى العراق ، وكلا المذهبين مؤيد بالقرآن والسنة ، على أن فتوى الشيخ الأكبر لم تكن بدعا من آراء العلماء الثقات ، ولا معارضة لروح الدين الذى شرعه الله لكل قوم ولكل زمن ، فقد قال الفخر الرازى فى تفسيره :

« المسئلة الثالثة : اعلم أن الربا قسمان : ربا النسيئة ، وربا الفضل ، أما ربا النسيئة فهو الأمر الذى كان مشهوراً متعارفا فى الجاهلية ، وذلك أنهم كانوا يدفعون المال على أن يأخذوا كل شهر قدرا معينا ويكون رأس المال باقيا ثم إذا حل الدين ، طالبوا المديون برأس المال ، فإن تعذر عليه الأداء زادوا فى الحق والأجل ، فهذا هو الربا الذى كانوا فى الجاهلية يتعاملون به ، وأما ربا النقد : فهو أن يباع منّ الحنطة بمنوين منها وما أشبه ذلك ، إذا عرفت هذا فنقول : المروى عن ابن عباس : أنه كان لا يحرم إلا القسم الأول ، فكان يقول : لا ربا إلا فى النسيئة ، وكان يجوز بالنقد ... وحجة ابن عباس أن قوله : « وأحل الله البيع » . يتناول بيع الدرهم بالدرهمين نقدا ، وقوله : « وحرم الربا » لا يتناوله ، لأن الربا عبارة عن الزيادة ، وليست كل زيادة محرمة ، بل قوله : « وحرم الربا »

إنما يتناول العقد المخصوص الذى كان مسمى فيما بينهم بأنه ربا ، وذلك هو ربا النسيئة ، فكان قوله : « وحرم الربا » مخصوصا بالنسيئة ، فثبت أن قوله : « وأحل الله البيع » يتناول ربا النقد ، وقوله : « وحرم الربا » لايتناوله ؛ فوجب أن يبق على الحل ، ولا يمكن أن يقال : إنما يحرمه بالحديث ؛ لأنه يقتضى تخصيص ظاهر القرآن بخبر الواحد وهو غير جائز ، وهذا هو عرف ابن عباس .

وجاء فى كتاب الأشباه والنظائر للشيخ زين الدين بن نجيم الحنفى [1] ما يأتى :

الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة . ولهذا جوزت الإجارة على خلاف القياس للحاجة ولذا قلنا : لا تجوز إجارة بيت لمنافع بيت لاتحاد جنس المنفعة فلا حاجة ، بخلاف ما إذا اختلف ، ومنها ضمان الدرك جوز على خلاف القياس ، ومن ذلك جواز السلم على خلاف القياس ؛ لكونه بيع المعدوم دفعاً لحاجة المفاليس ، ومنها جواز الاستصناع للحاجة ، ودخول الحمام مع جهالة مكثه فيه وما يستعمله من مائه ، وشربه السقاء ، ومنها الإفتاء بصحة بيع الوفاء حين كثر الدين على أهل بخارى وهكذا بمصر ، وقد سموه بيع الأمانة ، والشافعية يسمونه الرهن المعاد ، وهكذا سماه به فى « الملتقط » وقد ذكرناه فى شرح الكنز من باب خيار الشرط . وفى القنية والبغية : « يجوز للمحتاج الاستقراض بالربح » .

وقال الشيخ محمد عبده : « وتعريف الربا للعهد : أى لا تأكلوا الربا الذى عهدتم فى الجاهلية » وكذلك يقول : « ... قد علم مما تقدم فى تفسير آيات الربا : أنها نزلت فى وقائع كانت للمرابين من المسلمين قبل التحريم ، فالمراد بالربا فيها ما كان معروفا فى الجاهلية [2] من ربا النسيئة ، أى ما يؤخذ من المال لأجل الإنساء أى التأخير فى أجل الدين ، فهذا . . . . ما ورد القرآن بتحريمه لم يحرم فيه سواه ، وقد وصفه فى آية آل عمران التى جاءت دون غيرها بصيغة النهى وهى قوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنو لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة » وهذه أول آية

---

(١) صفحة ٤٦ من الكتاب .

(٢) صفحة ٩٤ حـ ٣ تفسير الإمام الشيخ محمد عبده .

نزلت فى تحريم الربا ؛ فهو تحريم لربا مخصوص بهذا القيد ، وهو المشهور عندهم[1] وللشيخ الإمام فتوى معروفة فى تحليل ما يؤخذ من فائدة على الأموال المودعة فى صندوق التوفير . وهذا نص فتوى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر : —

الأسهم والسندات

ضرورة الأفراد وضرورة الأمة

(س) : من المشاريع العامة التى تعود بالخير على المسلمين مايحتاج إلى قرض من المصرف يتقاضى عنه المصرف ربحاً ، فهل يحجم المسلمون عن ذلك على أنه ربا ، ويترك المجال لغير المسلمين ـ وما حكم الشرع فى الأسهم والسندات ؟ .

* * *

(ج) : لاشك فى أن القرآن حرم على المؤمنين التعامل بالربا ، والربا حدد بالعرف الذى نزل فيه القرآن بالدين يكون لرجل على آخر ، فيطالبه به عند حلول أجله فيقول له الآخر : أخر عنى دينك وأزيدك على مالك ، فيفعلان ذلك (وهو الربا أضعافا مضاعفة) فنهاهم الله عنه فى الإسلام .

وواضح أن هذا الصنيع لا يجرى عادة إلا بين معدم غير واجد ، وموسر يستغل حاجة الناس غير مكترث بشىء من معانى الرحمة التى يبنى الإسلام مجتمعه عليها ، والتى لو عدمت فى المجتمعات لأصبحت كغابات الحيوانات المفترسة ، وهذا

---

(١) صفحة ١١٣ ، ١١٤ من المصدر السابق .

النوع من الربا لا تقبل إنسانية فاصلة الحكم بإباحته ، وقد قابل القرآن الكريم حرمته في جميع الآيات التي وجد فيها ، بالصدقة التي تبذل في مساعدة الفقير المحتاج . وتشير هذه المقابلة إلى أن تلك الحالة ، كان جديرا بها أن تجرى فيها الصدقة ، وهى التبرع المحض ، فإن لم تكن صدقة فلا أكثر من الرد بالمثل ومن النظرة إلى الميسرة : « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » [1] لا تظلمون ولا تظلمون ، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » [2] . أما الزيادة والمضاعفة فيها ، فهما ظلم وعدوان ، وهما من موجبات المقت والغضب عند الله « واتقوا النار التي أعدت للكافرين » .

الضرورات والحاجات :

والفقهاء تمشيا مع توسيع نطاق التراحم ، والبعد عما يفتح على الناس باب التزاحم المادى في الضغط على أرباب الحاجات ، توسعوا كثيراً فيما يتناوله الربا ، وكان لهم في ذلك مشارب مختلفة وآراء متعددة ورأى كثير منهم أن الحرمة فيما يحرمون تتناول المتعاقدين معاً : المقرض والمقترض ، وإنى أعتقد أن ضرورة المقترض وحاجته مما يرفع عنه إثم ذلك التعامل لأنه مضطر ، أو في حكم المضطر ، والله يقول : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » [3] .

وقد صرح بذلك بعض الفقهاء ، فقالوا : يجوز للمحتاج الاستقراض بالربح وإذا كان للأفراد ضرورة أو حاجة تبيح لهم هذه المعاملة . وكان تقديرها مما يرجع إليهم وحدهم وهم مؤمنون بصيرون بدينهم فإن للأمة أيضاً ضرورة أو حاجة ، كثيراً ما تدعو إلى الاقتراض بالربح ؛ فالمزارعون كما نعلم تشتد حاجتهم في زراعاتهم وإنتاجهم إلى ما يعيشون به الأرض والزراعة . والحكومة كما نعلم تشتد حاجتها

---

(١) الآية ٢٧٦ من سورة البقرة .

(٢) الآيتان ٢٧٩ ، ٢٨٠ من سورة البقرة .

(٣) الآية ١١٩ من سورة الأنعام .

إلى مصالح الأمة العامة ، وإلى ما تعد به العدة لمكافحة الأعداء المغيرين ، والتجار تشتد حاجتهم إلى ما يستوردون به البضائع التى تحتاجها الأمة وتعمر بها الأسواق ، ونرى مثل ذلك فى المصانع والمنشآت التى لاغنى لمجموع الأمة عنها ، والتى يتسع بها ميدان العمل فتخفف عن كاهل الأمة وطأة العمال المتعطلين . ولا ريب أن الإسلام الذى يبنى أحكامه على قاعدة اليسر ودفع الضرر ، والعمل على العزة والتقدم ، وعلاج التعطل يعطى للأمة فى شخص هيئاتها وأفرادها هذا الحق ، ويبيح لها ـ ما دامت مواردها فى قلة ـ أن تقترض بالربح تحقيقا لتلك المصالح التى بها قيام الأمة وحفظ كيانها .

تقدير الحاجة والمصلحة لأولى الرأى :

غير أنى أرى أن يكون تقدير الحاجة والمصلحة مما يؤخذ عن (أولى الرأى) من المؤمنين القانونيين والاقتصاديين والشرعيين ، ويكون ذلك فى ناحيتين : ناحية تقدير الحاجة ، وناحية تقدير الأرباح ، واختيار مصادر القروض ، فلا يكون قرض إلا حيث تكون الحاجة الحقيقية ، ولا يكون قرض إلا بالقدر المحتاج إليه ، ولدفع الضرورة والحاجة ، ولا يكون قرض إلا من جهة لا تضمر استغلالنا واستعمارنا ، ولو أن الأمم الإسلامية تكاتفت على وضع أساس اقتصادى يحقق مصالحها ، ويقيها شر التحكم الأجنبى لوجدوا من مبادئ الإسلام الاقتصادية ما يجعلهم فى مقدمة الأمم اقتصادا وقوة وحضارة .

أما الفرق بين الأسهم والسندات ، فهو أن الأسهم من الشركات التى أباحها الإسلام باسم المضاربة ، وهى التى تتبع الأسهم فيها ربح الشركة وخسارتها ، وأما السندات وهى القرض بفائدة معينة لا تتبع الربح والخسارة ، فإن الإسلام لا يبيحها إلا حيث دعت إليها الضرورة الواضحة التى تفوق أضرار السندات التى يعرفها الناس ويقررها الاقتصاديون .

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
سكرتير التحرير
محمود الشرقاوي
بدل الاشتراك ٤٠

الجزء الثامن — شعبان سنة ١٣٨٠هـ — يناير ١٩٦١م — المجلد الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

من الفتوة الإسلامية
بمناسبة ذكرى صلاح الدين

بقلم : أحمد حسن الزيات

روعت أوربا وأخذها المقيم المقعد حين علمت أن صلاح الدين قد استرد مدينة القدس وقوض مملكة اللاتين في فلسطين وسورية. وورد على انجلترا وفرنسا من قوة الجيش المصري وقدرة العاهل الأيوبي ما أقلقهما على حاضر الإقطاع الصليبي في الشام ومستقبل الاستعمار الأوربي في الشرق، فألبتا عليهما الفروسية المسيحية بقساوتها وضراوتها وتعصبها وحقدها وغدرها لتقلم أظفار الجيش الظافر، وتحبس عنان القائد الطموح. وكان موقف فيليب وريكاردوس من صلاح الدين هو موقف حفيديهما جي موليه وإيدن من عبد الناصر. والسبب الأول للموقفين واحد، هو خطر الجيش المصري القوي على الغزو الصليبي الذي بدأ في آخر القرن الحادي عشر واستمر حتى منتصف القرن العشرين!.

أقبلت جيوش الغزوة الصليبية الثالثة إلى الشام سنة ١١٨٩ م يقودها سبعة وعشرون

ملكا وأميراً يتقدمهم فيليب أغسطس ملك فرنسا، وريكاردوس قلب الأسد ملك بريطانيا، وفريدريك باربروس ملك بروسيا، فبدأت بحصار عكا، ثم انتهت بعد ثلاث سنوات بهدنة الرملة. وحسبي من حديث هذه الغزوة أن أجلو لك من صفحاتها صفحة الفتوة أو الفروسية التي تجلت في شجاعة صلاح الدين وشهامته ونبله:

طلب إليه الملوك الصليبيون قبل القتال أن يجتمع بهم ليسمع منهم ويسمعوا منه. فسار إليهم في كتيبة من أقوياء جنده وسألهم ماذا يريدون. فقالوا له: إن أوربا رمتك بما لاقبل لك به من ملوك وجيوش وقادة. وإن من الخير لك ولقومك أن تجلو عن بيت المقدس وإلا ذقت وبال أمرك.

فقال صلاح الدين: إنكم تعتزون بكثرة العدد ونحن نعتز بقوة الإيمان، وإنكم تحبون الدنيا وتتعلقون بها، ونحن نحب الآخرة ونعمل لها. ولن ينتصر من أحب الحياة، ولن ينهزم من طلب الموت.

فنهض ملك انجلترا من بين الملوك وقال للترجمان: قل لصلاح الدين: إني أنا قلب الأسد والقوة عندنا هي كل شيء. وسأريه البرهان. ثم دعا بقضيب من الحديد قطره ثلاثة سنتيمترات ووضع طرفه على منضدة وطرفه الآخر على منضدة، ثم سل سيفه وأهوى به على القضيب فاخترطه نصفين. ثم عاد إلى مكانه بين تصفيق الحضور ولغده منفوخ وأنفه شامخ. فضحك صلاح الدين ضحكة المستهزئ وقال لريكاردوس: ليست الحرب صلابة سيف وقوة ساعد. وإنما هي مضاء حد وسداد يد. ثم أخرج من منطقته منديلا من الحرير الرقيق وقذف به إلى أعلى ثم تلقاه بسيفه فشطره. ثم تناول شطري المنديل بشباة سيفه وألقاهما في حجر قلب الأسد وهو يقول: بمثل هذا السيف سنلقاكم غداً! وانصرف وترك الملوك والفرسان مبهوتين مشدوهين ينظر بعضهم إلى بعض وقد استولى عليهم صمت عميق. ثم انفجروا معجبين بصلاح الدين حين حاول ريكاردوس أن يقطع المنديل بإمراره على حد سيفه فلم ينقطع!.

* * *

قال العماد الأصفهاني كاتب صلاح الدين في كتابه (الفتح القدسي): «وصلت في مركب ثلثمائة امرأة إفرنجية مستحسنة متزينة، قد اجتمعن من الجزائر، وانتدبن للجرائر، واغتربن لإسعاف الغرباء، وقصدن بخروجهن تسبيل أنفسهن للأشقياء، وأنهن لايمتنعن من العزبان، ورأين أنهن لايتقربن بأفضل من هذا القربان، وزعمن أن هذه قربة مافوقها قربة، ولا سيما فيمن اجتمع فيه

غربة وعزبة . وتسامع أهل عسكرنا بهذه القضية ، فعجبوا كيف تعبدوا بترك النخوة والحمية » . ومضى العماد يذكر ماذا كان يفعل أولئك النسوة فى استغواء الأغرار واستراق الأخبار واستلاب الأنفس . وتكتيب الغوانى فى جيوش الاستعمار سياسة سنتها فرنسا ونهجتها انجلترا ، وصادفت هوى فى نفوس الصهيونيين فطبقوها على نطاق واسع فى السياسة والتجارة والحرب ، ولا يزال إخواننا الفلسطينيون يذكرون سوء عقباها فى التمهيد لقيام إسرائيل !

* * *

كان من بين هؤلاء الحسان المجندات فتاة استخلصها الملك ريكاردوس لنفسه فكانت تقوم على خدمته فى خيمته ، وتعنى براحته مع أخته وزوجته ، وكانت الفتاة على حظ عظيم من جمال الوجه ورقة القلب وخفة الروح ، فأحبها قلب الأسد كل الحب ، وأخلصت هى له كل الإخلاص ، فكانت عينه على أقرانه وأذنه بين قواده ، فعلمت من طريقها الخاص أن فريقا من القادة قد ضاقوا بحدة طبعه وشراسة خلقه فائتمروا به ليقتلوه . فأخبرته بما علمت ، فاتهم الخبر وأبى أن يصدق أن أحداً من خلق الله يجرؤ على مواجهته بالسيف . وكان من عادة ريكاردوس أن يطوف بالليل على قواده وأجناده ليتعرف حالهم ويطمئن بالهم . فافتقدته الفتاة فى خيمته ذات ساعة من الليل فلم تجده . فخرجت تبحث عنه فضلت الطريق ودخلت فى معسكر المسلمين ، فظنها الحراس جاسوسا فرماها أحدهم بسهم فسقطت على الأرض تتلوى وتئن . واتفق حينئذ أن مر صلاح الدين فى طوافه بهذا المكان فسمع الأنين فاقترب من مصدره فإذا الفتاة مضرجة بالدم فاقدة الوعى ، فاحتملها على ذراعيه إلى أول خيمة فى المعسكر . ودعا لها بطبيب أخرج النصل من فخذها وتعهدها بالعلاج حتى برئت . وكان صلاح الدين يسأل عنها الحين بعد الحين . فلما مثلت بين يديه بعد البرء راعه ما رأى من جمالها فأضمر حبها فى قلبه ، وأنزلها على الرحب من عطفه .

وفى إحدى الأماسى عرض قواده عليه بعض كبار الأسرى وهو فى خيمته فعرفت الفتاة من بينهم قائداً من خواص قلب الأسد فاستأذنت السلطان أن تتحدث إليه فأذن فلما سألته عن مولاه أخبرها أنه سمع اليوم أثناء المعركة أن خصومه من الفرنسيين والانجليز قد قرروا اغتياله فى هذه الليلة ولولا أنه وقع فى الأسر لذهب إليه يحذره ، فجزعت الفتاة على مليكها ، ولم تملك سوابق دمعها ، فاسترسلت فى البكاء . فسألها صلاح الدين عما بها ، وعما قاله الأسير لها ، فأفضت اليه بجلية الأمر .

لو لم يكن صلاح الدين مطبوعا بحكم نشأته وعقيدته على خلال الفتوة الإسلامية لاغتبط بهذه المؤامرة التي ستكفيه شر عدوه وهو عماد الحرب الصليبية وفارسها الأول، ولكنه فعل ما نشر في آفاق الغرب فضله، وخلد على وجه الزمان ذكره! أرسل إلى مكان المؤامرة الذي عينه الأسير سرية من أشجع فرسانه لينقذوا ريكاردوس من كيد خصومه.

وكان قلب الأسد قد خرج على عادته بعد المعركة يتفقد أحوال جنده. وكان قد خرج في هذه الليلة وحده، لأن القواد الثلاثة الذين كانوا يرافقونه في جولاته أسر أحدهم وقتل الآخران في اليوم نفسه، أخذ يمشي في ساحة القتال ساهما حزينا يتوسم الوجوه ويتسمع الأنات فيترحم على القتلى ويتألم للجرحى، وينحني على من يعرفه منهم فيودعه بالرحمة أو يشجعه بالأمل. حتى رأى قائداً ملقى على وجهه، فجثا على ركبتيه يقلبه فعرف فيه قائدا فرنسيا كان يقدمه ويكرمه، فاشتد حزنه عليه وأطال وقوفه عنده. فلما أدار ظهره إليه لينصرف نهض من رقدته ونفخ في بوق صغير فإذا رجال يقومون من بين القتلى ويحدقون بريكاردوس وقد شهروا السيوف! فدهش الملك من المفاجأة أول الأمر ثم تذكر سيفه فأعمله فيهم وكاد يأتي عليهم لولا أن احتوشوه في الظلام وطوقوه بالكثرة فأيقن أنه هالك. وفي هذه اللحظة الحرجة جاءته نجدة صلاح الدين فصرعتهم من حوله. ثم طلبوا إليه أن يصحبهم إلى السلطان فسار معهم مطمئن القلب لاعتقاده بأن الملك الذي ينقذ عدوه من القتل، يستحيل عليه أن يسلم ضيفه إلى الأسر.

وكان لقاء السلطان للملك لقاء جميلا نبيلا كأنهما لم يقتتلا طوال اليوم، ولن يقتتلا طوال الغد! وبالغ صلاح الدين في إكرام ضيفه فدعا بحبيبته إليه. فلما رآها تخرج من خيمة السلطان خالجه فيها الشك وساوره عليها الغضب، ولكن بطل الإسلام ورمز الفتوة أخبره بما كان منها وبما حدث لها فضمها الملك مسرورا إلى صدره، وخرج بها مخفورا إلى معسكره.

* * *

كان صلاح الدين قد أحب الفتاة كما قلت، وكان في مقدوره ومن حقه أن يتخذها سبية حرب، ولكنه حين علم منها أن الملك يحبها وأنها تحبه لم ينس أنه صلاح الدين. فمحا صورتها من ذهنه، وغلب في أمرها وفاءه على حبه، كما غلب في أمر ملكها مروءته على بغضه!.

أحمد حسن الزيات

بيان للمسلمين

من الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

إخوانى وأبنائى المسلمين :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ؛ وبعد :

فإن الاستعمار الغاشم الذى طبع دائما على سلب الناس حرياتهم وأمنهم، وعلى زعزعة مبادئهم ومعتقداتهم تمكينا له فى كل بلد ينزل إليه . ليمتص خيراته ، ويستغل إمكانياته ، ويحرم أصحاب الحقوق من حقوقهم ، بل يشردهم عن أراضيهم، هذا الاستعمار يوم أن ازداد وعى الناس وقوى إيمانهم بحقهم فى الحياة، ورأى سلطانه يتقلص ، وسيطرته تنكمش ، اتخذ لنفسه مخالب تحقق أهواءه ونزواته ، وسيطرته واستعباده فكان أن أقام عصابة ماتت فيها المثل والقيم ، وضاعت فيها معانى الإنسانية ، تلكم هى إسرائيل التى سرعان ما اغتصبت حق الناس فى الحياة فاستولت على أراضيهم وشردت الآمنين من أوطانهم ، واستباحت لنفسها كل عبث ، لم تعرف خلقا ولم يتحرك فيها ضمير . وفى كل يوم من أيام حياتها المجرمة نرى اعتداءاتها المتكررة على كل صقع من أصقاع الأرض ، ومن ورائها الاستعمار الذى لا يقف طمعه عند حد ، يحركها كيفما شاء وأينما أراد ، وما يوم الاعتداء الآثم على بور سعيد عنا ببعيد ، بعد أن كان لهم فى فلسطين وشهدائها ولاجئيها ما سطره التاريخ خزيا وعارا عليها وعلى أولئك الذين يزعمون أنهم رعاة حقوق الإنسان ، وبناة مبادئه ، مع أنهم لا يرعون فى الله إلا ولا ذمة لأنهم لا يؤمنون؛ ولكنهم بربهم يجحدون كما أنهم لا يحسون بالإنسانية ولا يقيمون لها وزنا ، وهذه فرنسا إحدى دعائم الاستعمار التى زعمت أنها وضعت حقوق الإنسان لتكفل له حريته ، وتحقق له العدالة فى مجتمعه ، والمساواة بين أفراده ، فأين هذه الحقوق وهى لا تزال تستولى على الجزائر المسالمة وعلى حريتها التى فطرها الله عليها ؟ .

بل وأين ذلك من اعتدائها على الإنسانية جمعاء فى تفجيرها القنبلة الذرية فى وسط أناس لهم حق الحرية والأمن والحياة غير مبالية بما يترتب على ذلك من إضاعة لحياة الآمنين من أبناء البشرية . وبلجيكا أيضا التى تعيث فى أرض الكونغو الفساد فتفرق بين أبناء الأمة الواحدة لتسود هى ولتبقى تمتص من دمائهم ، وتأكل من خيراتهم وتحرم أهلها حق الحياة ، وبريطانيا فى الجنوب العربى وفى كل مكان تستطيع يدها أن تمتد إليه .

فالاستعمار هو هو لم يتغير ولم يتبدل ، بالنسبة للمعتقدات ويتجلى ذلك فى قالة بعضهم يرفعها إلى سادته « أنه لا بقاء لنا فى أرض يوجد فيها القرآن » . ولقد تكشفت نوايا إسرائيل الخبيثة وقصدها السىء على دينكم فى طبعها القرآن الكريم ، كتاب الله العظيم فى صورة محرفة ، قامت بتوزيعها فى إفريقيا وآسيا ، تريد بذلك القضاء على دينكم ومعتقداتكم وذلك حينما فشلت فى أن تهدم بنيان المسلمين وكيانهم عن طريق السياسة والاستعمار ؛ ذلكم لأن السيطرة على القلب وعلى العقل هى المعول الهادم الذى يقوض بناء الأفراد والأمم .

« من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع ، وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين » .

« ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين ، لم يأتوك يحرفون الكلم من بعض مواضعه ، يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه ، وإن لم تؤتوه فاحذروا ، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ، أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ، لهم فى الدنيا خزى ، ولهم فى الآخرة عذاب أليم » .

فإلى كل مسلم فى أنحاء المعمورة ، له من دينه وإيمانه غيرة على مصدر هـذا الدين وعلى المصباح الذى يضىء لنا الطريق ، وعلى كتاب الله الذى أنزله هدى ونوراً للعالمين « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » ...

فإلى كل مسلم أوجه حديثى هذا توجيها مبعثه الإيمان بالله والغيرة على ديننا ، وإن هؤلاء لأصحاب عداوات قديمة منذ كان محمد صلى الله عليه وسلم يرفع راية الإسلام وينزل عليه الوحى ، فكان من مهمتهم أن يحرفوا كتاب الله ؛ ليضلوا الناس عن طريقهم المستقيم وليكبتوا الدعوة الإسلامية ، فهم اليوم يمارسون ما كان يفعله آباؤهم ، فاحذروهم وأجمعوا كلمتكم واجعلوها سيوفا باترة قاطعة لأطماع هذه الفئة الضالة الباغية ، واعملوا جميعا على قلب رجل واحد ، لتحفظوا مصدر سعادة البشرية ، كتاب الله العظيم ، فإنه لا خير للمسلمين إلا به ولا سعادة لهم إلا عن طريقه ، وأن تردوا هذه الطبعة التى حرفتها إسرائيل ولا تقبلوها .

وإن الأزهر اليوم ، وجميع الهيئات الإسلامية فى الجمهورية العربية المتحدة تناشد دينكم وضمائركم الحية فى أن تقفوا جميعا لوقف هذا العمل الإجرامى الذى يراد به طعن دينكم طعنة تقضى عليكم وعلى كيانكم .

والأزهر الذى قام على حفظ كتاب الله وسنة رسوله كفيل بأن يمدكم بما تحتاجون إليه من كتاب الله إمداداً صحيحا « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، « يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » .

حقق الله القصد وأعان المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها على حفظ كتاب الله ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر

الحروف العربية "أصلح الحروف لكتابة اللغات"

للأستاذ عباس محمود العقاد

إن الأمم التى تعتمد على الحروف العربية فى كتابتها أكثر عدداً من كل مجموعة عالمية تعتمد فى الكتابة على الحروف الأبجدية ، ماعدا مجموعة واحدة ، وهى مجموعة الأمم التى تعتمد فى كتابتها على الحروف اللاتينية .

لأن الحروف العربية تستخدم لكتابة اللغة العربية ، واللغة الفارسية ، واللغة الأوردية ، واللغة التركية ، واللغة الملاوية ، وبعض اللغات التى تتصل بها فى الجزر المتفرقة بين القارات الثلاث : إفريقية وآسيا واستراليا .

ونسبة الكاتبين بين هذه الأمم أقل فى هذا العصر من نسبة الكاتبين بين أبناء الأمم التى تعتمد على الحروف اللاتينية .

ولكن الأمر فى صلاح الحروف للكتابة لا يعود إلى كثرة الأفراد الذين يكتبونها ، بل إلى أنواع اللغات التى تؤدى ألفاظها وأصواتها .

وعلى هذا الاعتبار تكون الحروف العربية أصلح من الحروف اللاتينية أضعافا مضاعفة لكتابة الألفاظ والأصوات ؛ لأنها تؤدى من أنواع الكتابة ما لم يعهد من قبل فى لغة من لغات الحضارة .

فالحروف اللاتينية تستخدم للكتابة فى عائلة واحدة من العائلات اللغوية الكبرى ؛ وهى العائلة « الهندية الجرمانية » .

وهذه العائلة الهندية الجرمانية هى العائلة التى يقوم فيها تصريف الكلمات على « النحت » أو على إضافة المقاطع إلى أول الكلمة أو آخرها ، وتسمى من أجل ذلك باللغات « الغروية » من الغراء اللاصق فى أدوات البناء والنجارة .

أما الحروف العربية فهى تقوم بأداء الكتابة بهذه اللغات وبكثير غيرها فهى تستخدم لكتابة الفارسية والأوردية وهما من لغات النحت ، أو من عائلة اللغات الغروية .

وتستخدم لكتابة التركية وهى من العائلة الطورانية ويرجعون فى تصريف ألفاظها إلى النحت تارة وإلى الاشتقاق تارة أخرى ، فهى وسط بين اللغة الفارسية واللغة العربية .

وتستخدم الحروف العربية بطبيعة الحال لكتابة لغة الضاد المميزة بمخارجها الواضحة، الدقيقة، بين جميع اللغات، وهي أعظم لغات الاشتقاق التي اشتهرت باسم العائلة السامية.

وتكتب بالحروف العربية لهجات ملاوية تتفرع على لغات المقاطع القصيرة والنبرات الصوتية المنغومة، ويختلفون في نسبتها إلى إحدى العائلات الثلاث حتى اليوم؛ لأنها مستقلة بكثير من الخصائص وقواعد التعريف، ولعلها عائلة مستقلة من العائلات اللغوية الكبرى تشعبت فروعها لتفرق الناطقين بها بين الجزر المنعزلة.

وقد استطاعت هذه الأمم جميعاً أن تؤدي كتابتها بالحروف العربية دون أن تدخل عليها تعديلا في تركيبها ولا أشكالها المنفردة، ولم تتصرف فيها بغير زيادة العلامات والنقط على بعض الحروف، وهي زيادة موافقة لبنية الحروف العربية وليست بالغريبة عنها؛ لأن العرب أنفسهم أضافوا النقط والشكل عند الحاجة إليها، وليست زيادة شرطة على الكاف بأغرب من زيادة النقط على الحروف، مفردة أو مثناة وفوق الحرف أو تحته، للتمييز بين الأشكال المتشابهة أو المتقاربة.

وعلى كثرة اللغات، والعائلات اللغوية، التي تؤديها حروف العربية لم يزل ضبطها للألفاظ أدق وأسهل من ضبط الحروف اللاتينية التي تستخدم لكتابة عائلة لغوية واحدة، وهي العائلة الهندية الجرمانية.

فالأسباني يقرأ الانجليزية على حسب قواعد لغته فيحرفها كثيراً ويبلغ من تحريفها مبلغا لا نعهده في نطق الفارسي الذي يقرأ الأوردية أو التركية أو العربية، ولا نعهده في نطق العربي الذي يقرأ الفارسية بحروفها ولو لم يكن على علم بمعانيها، ولكنه إذا عرف معناها لم يقع في خطأ من أخطاء النطق ولم يكن هناك خلاف بينه وبين أبناء الفارسية في كتابتها وقراءتها.

هذه حقيقة لا جدال فيها، ينبغي أن نحضرها أمامنا لنعرف مدى التهويل المفرط في شكوى الشاكين من صعوبات الكتابة العربية المزعومة؛ فإن حروفنا إذا قيست بغيرها لم نجد لها نظيراً بين حروف الأبجديات على تعددها وكثرة التحسينات التي أدخلت عليها.

وينبغي أن نحضر هذه الحقيقة في أيامنا هذه بصفة خاصة؛ لأنها غابت عن أذهان بعض الباحثين في مشكلة الكتابة عند طوائف من الأمم الشرقية الإسلامية يميل بعضها إلى اختيار الحروف اللاتينية، لكتابة ألفاظه ومترجماته المنقولة إليها.

فقد أخذت طائفة من قبائل الصحراء الإفريقية فى كتابة سجلاتها التجارية ومراسلاتها المتداولة بينها وبين سكان الشواطئ بالحروف الفرنسية ، وأخذت فئة من الملاويين فى كتابة أمثال هذه السجلات والمراسلات بالحروف الهولندية أو الحروف الانجليزية ، وظهر بين كتابها من يستخدم هــذه الحروف فى الموضوعات الأدبية والفكرية .

فمن الواجب أن نذكر هنا أن عوامل السياسة والاقتصاد هى التى جنحت بتلك الطوائف إلى اختيار الحروف اللاتينية ولم يكن سبب هذا الاختيار نقصا عسير العلاج فى أصول الكتابة العربية ، ولولا عوامل السياسة أو الاقتصاد لما اختار فريق من الملاويين حروف الانجليزية واختـــار فريق آخر حروف الهولندية ، على حسب العلاقات بين البــلد الملاوى وبين إحدى هاتين الدولتين .

ومن المعلوم أن صعوبات النطق بين الألفاظ الانجليزية والألفاظ الهولندية تتجسم فى بعض الحروف كالجيم والياء كما تتجسم فى حروف العلة عند مواضع الإمالة والإشمام على نحو يسهل تداركه فيما يكتب بالحروف العربية .

فلا ذنب لحروفنا العربية ولا للأبجدية العربية بجملتها فى هـذا التحول من هذه الحروف إلى ما عداها ، ولا يحسب على الكتابة العربية عيب واحد يصعب استدراكه على الكاتب العربى ويتيسر استدراكه على الكاتبين بالحروف اللاتينية ، حتى حركات الإمالة التى يبالغون فيها وهى عندنا أهون خطبا من نظائرها عند الأوربيين ... فإن حرف الألف (A) وحرف الياء (I) يمالان على غير قاعدة مطردة بين الانجليزية والفرنسية والهولندية ، وقد استطاع حفاظ القرآن الكريم أن يضبطوا مواضع الإمالة والإشمام فى القراءات المختلفة ضبطا لا يعسر تعميمه بعلاماته عند الحاجة إليه فى سائر الموضوعات .

وعلينا أن نسقط من حسابنا تهويل المهولين باختلاف نطق الحروف على حسب اللهجات الفصحى أو العامية ، فإن الملايين من أبناء العربية يكتبون الجيم بشكلها الأبجدى المعروف وينطقها ابن القاهرة وابن الصعيد وابن دمشق كل منهم على حسب منطقه الذى نشأ عليه ، ، وليس فى شيء من ذلك ما يدعو إلى تغيير شكل الحرف ولا إلى تغيير قواعد الكتابة ، وإنما هى عادات تعرف ويحسب حسابها بغير مشقة ولا كلفة كما نرى ونسمع كل يوم منذ أجيال ، وكما هو معهود ومتواتر فى كل لغة من لغات الحضارة بين المكتوب والملفوظ وبين الملفوظ فى إقليم والملفوظ فى إقليم آخر ،

(البقية على الصفحة التالية)

الدولة التى صنعها الإنسان والأمة التى خلقها الله

للأستاذ الدكتور محمد البهى

— ٢ —

الأمة التى خلقها الله :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس : تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » تلك هى الأمة التى خلقها الله وذلك هو المجتمع الذى كونته الإرادة الإلهية . وهى الأمة التى عرفت المعروف والمنكر ، وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر ، وآمنت قبل ذلك بالله . فهى أمة لها رشد إنسانى ، ولها سلوك أخلاقى . هى أمة أدركت وتهذبت : أدركت ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك ، وأدركت الحقيقة الأولى الكبرى : وهى الحقيقة الإلهية . وتهذبت : ففعلت ما يجب أن يفعل . وتجنبت ما يجب أن يترك ، هى أمة لها إرادة ولها اختيار . تفصل فصلا واضحا بين أنواع السلوك الإنسانى وتتخذ منه أحسنه وأقربه إلى تمثيل الإنسانية وإلى تحقيق خصائصها .

هى أمة إنسانية ؛ تسلك سبيل الرشد الإنسانى . ولكنها لا تسير فى ضوء تحديد الإنسان للحياة ، وإنما تسير فى ضوء هداية الله . هى لا تتعثر فى سلوكها الطريق ؛ لأنها لا تتبع الإنسان المحدود : الإنسان الذى يخطئ ويصيب : الإنسان الذى إن حاول أن يتجرد مما يؤثر عليه فى حكمه لا يتجرد وإنما يقع تحت التأثر بمؤثر ما ؛ لأنه وليد بيئة معينة ، ووراثة خاصة ، وتوجيه حزبى أو طائفى ، أو مذهبى .

ولو كان كل من الإقليمين منسوبا إلى وطن واحد ودولة واحدة ، ومن راقب ذلك فى اختلاف النطق الأمريكى والنطق الانجليزى أو فى اختلاف نطق العاصمة ونطق الريف أو استخدام الصحافة واستخدام الإذاعة لم يكترث لذلك التهويل الذى لج فيه الشاكون من صعوبات اللغة العربية وهى عند القياس أهون الصعوبات وعند البحث الرصين المنصف تشهد للأبجدية العربية بأنها أصلح من سواها لكتابة جميع اللغات ؟

عباس محمود العقاد

أفرادها لا يساقون إلى اتباع المعروف وتجنب المنكر . وإنما يسيرون مختارين فى طواعيتهم لهـذا أو لذاك ، أمة أفرادها يدفعون إلى العمل وإلى الحركة بدافع ذاتى هو دافع الضمير القائم على الإيمان بالله والخشية منه ، والله الذى يؤمن به الافراد ويخشونه هو مركز القيم العليا كلها ، ومركز الكمالات التى يتقرب إليها الأفراد بالتوجه نحوها وبتمثلها فى تصرفاتهم وأعمالهم .

ومجتمع هذه الأمة إذن هو مجتمع ليست فيه « رقابة » ، وليس فيه « جهاز تتبع » ، وليس فيه « قهر وجبر » . ولذا لا يحتاج إلى سلطة تنفيذية كقاعدة أساسية ، على نحو تلك التى يحكيها نظام الدولة . وإن وجدت فيه سلطة التنفيذ ـ وجوداً ضرورياً أيضاً ـ فهى لدفع الشذوذ ، ولدفع الانحراف الذى لا يخلو منه مجتمع ما . ولكن اعتماد الأمن والطمأنينة فى هذا المجتمع فى العلاقات بين الأفراد يقوم أولا وبالذات على الضمير ، وعلى إدراك القيم ، وعلى إدراك الفرق بين المعروف والمنكر ، وليس على تلك السلطة الخارجة عن ذوات الأفراد .

فهى أمة لها غاية خلقية إنسانية ، ومن أول قيامها تحددت أهدافها وغاياتها فى الحياة : وهى الإنسانية ، والتهذيب .

وأفراد هذه الأمة فى الوقت الذى نيط سلوكهم الخلقى والإنسانى بضميرهم وبعالمهم من قوة ذاتية تدفع نحو العمل داخل أنفسهم ـ حملوا مسئولية الرعاية ، بحيث أن كل فرد فيها راع لنفسه ، أو لنفسه ولغيره : (كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالرجل راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئوله عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته) . فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، وبمسئولية الرعاية هذه التى يحملها كل فرد فى هذه الأمة توافرت عناصر الحرية الفردية ، كما توافرت عناصر الترابط المشترك بين الأفراد جميعا . إذ نطاق الحريه الفردية عندئذ ضمير الفرد وشعوره بمسئولية التصرف الذى يأتى به . أما عناصر الترابط المشترك فهى منبثقة من « الرعاية » التى أضيفت لكل فرد فى محيطه الخاص ، أو فى محيط آخر ليشمله ويشمل غيره وهو إذ يرعى نفسه فى محيطه الخاص يوفر لغيره حرمات الوجود المشترك . إذ رعاية الفرد لنفسه هى فى أن يعرف حدود نفسه سواء بحسب إمكانياته ، أو بحسب نطاق الحياة التى يعيش فيها .

وكما ذكرنا ـ أن اعتمد مجتمع هذه الأمة على الضمير القائم على الإيمان بالله والخشية منه اعتمادا أوليا ، فهو فى حاجة مع ذلك إلى السلطة التنفيذية ، ولكن ـ كما ذكرنا أيضا ـ

لا تلعب هنا هذه السلطة الدور الذى لها فى أهميته وأصالته فى نظام الدولة فى المجتمع الحديث .

فالإسلام الذى تحدد منه معالم الأمة التى خلقها الله - أعطى الوالى حق إقامة « الحدود » على مرتكبى الجرائم فى المجتمع ، وهى الجرائم التى تمثل اعتداء على الحرمات الفردية من نفس ، ومال ، وعرض . ووكل إليه تنفيذ هذه الحدود بالنظام الذى يراه كفيلا بتحقيق الغاية المرجوة من إقامتها . وهى توفير الاطمئنان لأفراد المجتمع على حياتهم ، وأموالهم ، وأعراضهم .

وهذا الذى أعطاه الإسلام للوالى من حق إقامة الحدود ، هو « حق التنفيذ » الذى هو ركن من أركان نظام الدولة فى المجتمع الحديث . ولكن الإسلام مع ذلك ركز اهتمامه الأول فى الاعتماد على الضمير . تلك القوة الذاتية الدافعة للفرد عن طريق الإيمان بالله ، عند ما كلف الوالى أيضا فى الوقت نفسه درء الحدود بالشبهات إذ يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « ادرءوا الحدود بالشبهات » . ومعنى درء الحدود بالشبهات الرغبة فى عدم تنفيذ العقوبات الخاصة بالجرائم التى أسماها بالحدود ، إلا عندما يتوفر اليقين على ارتكابها من فاعليها وفى ذلك إفساح « للضمير » فى أن يأخذ مكانه فى العمل على استقرار العلاقات بين أفراد المجتمع . وكذلك استبعد الإسلام أن تقع هذه الجرائم - عند ما تقع - من مؤمن بالله ، أى من فرد يكون عنده « الضمير » القائم على الإيمان بالله والخشية منه . فيقول الرسول عليه السلام : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » .

وإذن ركن السلطة التنفيذية ، الذى هو أحد أركان نظام الدولة فى المجتمع الحديث - يوجد أيضا فى مجتمع الأمة التى خلقها الله . ولكن مع العناية بالضمير وشغل القلب بالإيمان بالله . والإيمان بالله هو الطريق الموصل للإيمان بالإنسانية وبالأخوة فيها ، وبما يترتب على ذلك من تعاون فى سبيل الخير ، ومحبة الفرد للفرد بحيث يجعل غيره فى مستوى نفسه ، فى حق التمتع بالحياة . وإذن ما فقده نظام الدولة من ضمير لدى الأفراد . معتمداً اعتماداً كلياً على السلطة التنفيذية وحدها ، توافر هنا بجانب السلطة التنفيذية نفسها ، وأيضاً مع توافر الكرامة الإنسانية للفرد ، التى تتمثل فى الحرية الفردية : الاختيار فى الحكم أو فى العمل . وبذلك بعد مجتمع الأمة التى خلقها الله عن أن يكون مجتمعاً يساق ويدفع من خارج

أفراده ، ويكون أشبه بمجتمع الكائنات الأخرى التى قدر للإنسان بحكم طبيعته أن يسودها، وأصبح معبراً عن المجتمع الإنسانى الذى تسوده خصائص الطبيعة الإنسانية .

وكذلك إن وجد « حق التنفيذ » فى مجتمع الدولة التى أرادها الله — على نحو ما شرحنا — فإنه يوجد فيه أيضا « حق القضاء والفصل بين الناس فى الخصومات التى تنشأ بينهم » . ويراعى فيه العدل كما هو مفروض أن يراعى أيضا فى السلطة القضائية التى هى الركن الثانى فى نظام الدولة فى المجتمع الحديث . فالقرآن الكريم يقول : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا » . ويقول أيضا : « وإذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » . فهو يطلب أن يكون الأمر عدلا بين المؤمنين فى الحكم والقول ويتشدد فى طلب ذلك بحيث لا يتأثر العدل فى الحكم والقول بمحسوبية ولا هوى ، كما يطلب أيضا العدل إذا كان الحكم لغير المؤمنين ، فيقول: « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » . ولكن وجود « حق القضاء » فى مجتمع الأمة التى خلقها الله يختلف عن وجود « السلطة القضائية » فى نظام الدولة فى المجتمع الحديث ولهذا الاختلاف يتميز عنه لمصلحة العدالة ، وبالتالى لاستقرار العلاقات بين أفراد المجتمع .

فالإسلام إذ يطلب العدل فى الحكم والقول بين المؤمنين وبين غير المؤمنين ، ويقرن هذا الطلب فى كل آية طلب فيها العدل بأن يراعى الله ، وبأن يكون القاضى أو القائل على ذكر منه عندما يقضى أو عندما يقول ، ولذا نراه يعقب بقوله : « إن الله نعما يعظكم به » « وبعهد الله أوفوا » ، « ذلك وصاكم به » . « واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » ، فهو يذكر بالله ؛ ليجنب الإنسان فى قضائه ، وفى حكمه ، وفى قوله ، الهوى والميل . وهذا يرده إلى ضميره فيحتكم إليه قبل أن ينطق بحكمه وبقوله . وهنا اعتمد « حق القضاء » على الضمير ، كما يعتمد طبعا على الفقه ، ومعرفة ما حلله الله وما حرمه ، وما شرعه للناس جملة .

بينما السلطة القضائية ، فى نظام الدولة فى المجتمع الحديث ، تعتمد أيضاً على الفقه ، وعلى الضمير ، ولكنه فقه الإنسان وضمير الإنسان ، وليس شرع الله ، وليس الضمير القائم على الخشية من الله ، والفرق بين شرع الله ، وفقه الإنسان ، هو الفرق بين

المطلق والمحدد ، والفرق بين ما يتأثر وما لا يخضع للتأثير ، والفرق بين ضمير الإنسان والضمير القائم على الخشية من الله ، هو الفرق بين قوة تتحدد بعوامل البيئة وبالوراثة ، وبنفوذ السلطة التنفيذية ، وبين قوة تعلو عن هـــذا التحديد ، وتستوحى توجيهها من الله وحده .

وعنصر الفقه ، وعنصر الضمير فى القضاء أمران ضروريان فى تحقيق العدالة . ولكن نوع الفقه ، ونوع الضمير أشد ضرورة فى تحقيق العدالة نفسها ، بل ربما يتوقف عليه وحده وقوع العدل أو عدم وقوعه .

ولتقدير الضمير الذى هو قائم على الإيمان بالله والخشية منه فى قيمة العدالة ، وتحقيق العدل ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام للمتخاصمين عنده : (إنما أنا بشر . وقد يكون بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضى له فمن قضيت له بشىء من مال أخيه ، فإنما أقتطع له قطعة من النار) .

وبجانب « حق التنفيذ » ، و « حق القضاء » فى مجتمع الأمة التى خلقها الله يوجد أيضاً « حق التشريع » مما يقابل السلطة التشريعية فى نظام الدولة فى المجتمع الحديث ، و « حق التشريع » ليس موكولا هنا لطائفة تتكون عن طريق الاقتراع الشعبى ، أو عن طريق اختيار السلطة التنفيذية لرجالها . وإنما هو موكول إلى جماعة تتكون عن طريق انتخاب الطبيعة ، أى عن طريق الانتخاب الذاتى الذى تبرز فيه الكفايات الفردية ، وتكون هذه الكفايات وحدها الأمارة على الانتخاب والتميز ، وهذه الجماعة هى « أولو الأمر » فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » . أولو الأمر هم الذين تفوقوا ، باجتهادهم فى فهم ما أنزل الله ، وتفقهوا فى كتاب الله وتميزوا فى استنباط الأحكام للوقائع والأحداث التى لم تقع بأشخاصها على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ قياسا على وقائع وأحداث أخرى تسرى على أحكامها ، وعرف الأمر فيها بحلها أو بحرمتها ، هؤلاء هم المجتهدون ولذا كان اجتهادهم إن أجمعوا عليه ، حجة تتبع . وتجب طاعتهم ؛ لأنها من طاعة الله ورسوله .

وعندئذ ربط الإسلام طاعة الفقه الذى يستنبطه الفقهاء المجتهدون ، بطاعة الله وطاعة رسوله وهنا تكون الطاعة للتشريع طاعة قائمة على إقناع وإيمان معا . وبذلك يقل الانحراف والشذوذ عنها ؛ لأنها لم تفرض من الخارج ،

ولم تكن محددة ومقننة من بشر لأنهم بشر فحسب . وإنما لأنهم بشر حكموا الله فيما نفذوا ، وفيما أتوا به من أحكام .

* * *

وهنا نخرج من هذه الموازنة بين الدولة التى صنعها الإنسان والأمة التى خلقها الله ، بأن نظام الحكم ، أو أن نظام توجيه الأفراد فى المجتمع الذى يعتمد على الأسس التى لابد من رعايتها فى المجتمع ـ وهى أسس التنفيذ والقضاء ، والتشريع ـ وهى موجودة فى كلا المجتمعين ، لأن ذلك ضرورة تقتضيها سياسة المجتمع فى أية صورة من صوره . وبعد وجود هذا النظام للحكم فى المجتمع الحديث لحقت به عيوب ، تجعله غير كفيل بتحقيق أهداف المجتمع من الاستقرار بين الأفراد ، وإتاحة الفرص المتكافئة للجميع . وفى الوقت نفسه يجعل من أفراد المجتمع مجموعة من الأفراد تساق دون أن تصان لها الحرية الفردية ، والكرامة الإنسانية بمعناها الأولى وهى تلك الصلة التى تجعل الإنسان ذا اختيار وذا سيادة وذا اقتناع .

وقد سبق أن وضحنا هذه العيوب التى لحقت بنظام الدولة فى المجتمع الحديث ، وقد تلافاها نظام الحكم فى مجتمع الأمة التى خلقها الله . وأهم ما يتميز به مجتمع هذه الأمة ، رعاية الضمير الإنسانى ورعاية الإيمان بالله . وعن هذين المبدأين تتوفر الحرية الفردية وكرامة الأفراد كبشر ، فى الوقت الذى تكون فيه العلاقات النفسية بين الأفراد قائمة على التعاون والمحبة ، والأخوة . وذلك أقصى ما يطلبه المجتمع البشرى ، وأقصى ما تحققه قيادة إنسانية لمجتمع بشرى .

وليست الأمة التى خلقها الله هى أمة إلهية ولا مجتمعها مجتمعا له قداسة ، ولا القائمون على الأمر فيه ، تعصمهم نسبتهم إلى كتاب الله عن الخطأ . وإنما هى أمة أفرادها بشر ، ومجتمعها مجتمع بشرى ، والقائمون على الأمر فيها أناس يجوز عليهم الخطأ والصواب .

وليست الحكومة التى تقوم فى مجتمع الأمة التى خلقها الله حكومة إلهية ، تجب طاعتها دون أن تسأل ، ويستمع لها دون أن تناقش إنما هى حكومة تخضع للشورة ، وتبقى طالما تصيب ، فى الحكم وفى رعاية علاقة الأفراد بعضهم ببعض .

والإنسان فى مجتمع الأمة التى خلقها الله . هو إنسان عليه أن يباشر ملكاته وطاقته ، وعليه أن يسمى ، وعليه أن يفكر ، وهو يصيب مرة ، ويخطىء أخرى .

وفقط الفرق بينه وبين إنسان المجتمع الحديث أنه لايغتر بإنسانيته ولا يخدع باستقلال عقله . بل عليه ـ بجانب استخدام عقله وملكاته البشرية ـ أن يستوحى كتاب

الله . وليس كتاب الله إلا تخطيطا عاما لصالح البشرية . فإن وجد تحديد لكتاب الله ووجدت إساءة فى هذا التحديد ، فتلك صنعة الإنسان لا تمت لكتاب الله بصلة .

وفى مجتمعنا الشرق الإسلامى ، لم يستطع الإنسان المسلم حتى هذه اللحظة أن يدرك إدراكا واضحاً أن الثنائية التى قامت فى أوربا بين الكنيسة والدولة ، لا تتصل بالإسلام ولا بنظامه .

الإسلام ليس كنيسة ، ورجال الفقه وعلماؤه ليسوا كهانا . بل المسلمون جميعا سواء ، هم مسلمون ، ثم بعد ذلك أصحاب حرفة أو أصحاب مهنة . ليست فى الإسلام جماعة تمارس سلطة باسم الإله ، ولا هيئة تحدد منطقة نفوذ لها فى الإنسان إما فى روحه وإما فى جسده . وإنما هم جميعاً أبناء أمة واحدة . هى تلك التى أشار إليها القرآن الكريم فى قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

والإسلام بعد ذلك ، ليس مسئولا عن تحريف الإنسان إياه ، ولا عن إساءة فهمه له . ومسئولية الإسلام فى قرآنه فقط : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ، إن الله شديد العقاب » .

إن نظام الدولة فى المجتمع الحديث اتخذ مجاله جسم الإنسان دون روحه . ولعله عنى بذلك ليترك « الروح » للكنيسة ، كمنطقة نفوذ لها ، تطبيقا للوضع الذى تم عليه الأمر بين الكنيسة والدولة منذ الثورة الفرنسية .

أما نظام المجتمع فى الأمة التى خلقها الله ، فقد جعل الإنسان كله - جسمه وروحه - مجال عنايته . وبذلك عنى بجسمه كما عنى بالروح ، واتخذ من الإنسان وحدة واحدة ، يتبع قيادة واحدة . وحمله حملا معنويا - عن طريق الضمير - إلى أن يكون ذا دفعة نحو الحركة ، ونحو توثيق العلاقات بينه وبين غيره ، ونحو الاطمئنان والاستقرار ، من نفسه لا من غيره .

ولعل شر ما ابتلى به نظام الدولة فى المجتمع الحديث هو « الثنائية » بين الدين والدولة ، بين سلطة الكنيسة كسلطة دينية ، وبين سلطة الدولة كسلطة مدنية .

أما الأمة التى خلقها الله ، فمجتمعها غير موزع بين سلطتين ، وإنما نظامه قيادة واحدة ، وتوجيه واحد .

« صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » .

الدكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

الله في القرآن الكريم

للأستاذ محمد محمد المدني

— ٢ —

١ — بعض الناقدين للإسلام يقولون : إن الإسلام يصور الإله بصورة رهيبة فهو الجبار المنتقم القهار . . . إلخ ... فأين هذا من المسيحيين الذين يسمون الإله باسم « الأب » الدال على معانى الرحمة والحب لأبنائه ؟ .

٢ — والواقع أن هؤلاء النقاد إما غافلون أو متغافلون عما وصف به الإسلام رب العالمين .

فإن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » .

وقبل أن ندخل فى بيان ما توحى به هذه الآية نسارع فنقول : إن الله تعالى سمى نفسه « رب العالمين » وكلمة رب هذه تدل على معنى التربية والتعهد وتنطبق على ما لله تعالى من فضل على جميع العوالم ، بإعدادها وإمدادها فمن تأمل كيف أنعم الله بالتهيئة والإمداد فى كل عالم : من عالم النبات إلى عالم الحيوان إلى عالم الجماد ، إلى عالم الكواكب إلى غير ذلك من العوالم ، فإنه يرى آثار الرحمة الإلهية واضحة ويكفى أن تنظر إلى ذلك مثلا فى خلق الجنين وتكوينه ورزقه وحفظه فى رحم أمه وولادته وإرضاعه إلخ .. لنرى أن الله يغمره بالرحمة والتربية غمرا ، وأنه بعد ذلك يتعهده فى كل خطوات حياته إلى أن ينتهى ، بألوان من التعهد والعناية لا تذكر بجانبها عناية الأب بابنه ، لأن الأب محدود وقدرته وعلمه محدودان.

وإذن فوصف الله تعالى بأنه رب العالمين هو أبلغ وأقوى فى إفادة معانى الرحمة والعناية والتعهد من وصفه عند المسيحيين بالأب ، هذا إلى ما فى لفظ الأب من الإيحاء بعلاقة لا يستحبها الإسلام ، بل يجب تنزيه الله عنها ، « قل هو الله أحد ، الله الصمد . لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » .

٣ — وإذا نظرنا بعد ذلك إلى ما توحى به الآية الكريمة وهى قوله تعالى : « ولله الأسماء

الحسنى، فإننا نستطيع أن ندرك كيف حرص القرآن الكريم على أن يصف لنا الإله بمجموعة من الأسماء أو الصفات التى نستطيع أن نقول : إنها ينابيع الخير والعدل والحق والجمال والجلال ، فهو لا يريد أن نرى من الإله جانبا واحدا فيكون إدراكنا لعظمته جانبيا ، أى مرتبطا بجانب ، ولكنه يريد أن نرى من الإله كل الجوانب ، لأن من رأى جانبا واحدا ، أو بعض الجوانب ، لم يكن مدركا للعظمة من جميع نواحيها ، وبعبارة أخرى يعلمنا الإسلام أن ننظر الى صفات الله كلها كمجموعة ولا نكتفى بالنظر الى جانب واحد منها ، وإلا كنا قاصرين عن إدراك كمال الله تعالى أو مقصرين فيه .

يروى أن بعض المتصوفة كان من شأنه أن يتأمل فى صفات الله واحدة بعد واحدة ، فربما استغرق بضع سنين لا ينظر إلا فى صفة « الرحمن » أو « الرحيم » فيتأمل فى آثار الرحمة الإلهية تأملا عميقا ، ويقف عند كل أثر من هذه الآثار وقفة الخاشع المعجب ، ويستمر على ذلك لا يشغل نفسه بتأمل صفة أخرى من صفات الله لمدة أعوام حتى إذا امتلأ بهذه الصفة قلبه ، وعمق الإيمان بها فى أعماق نفسه ، انتقل إلى صفة أخرى كصفة « العزيز » مثلا ، فجعل يتأمل مظاهر هذه العزة فى الكون وفى الناس مدة أخرى وهكذا ...

هذا المسلك الصوفى مسلك حسن من غير شك ، ولكنه فى نظرى ليس أحسن المسالك وإنما يجتلى المؤمن عظمة ربه كاملة إذا شغل نفسه بمظاهر صفات الله كلها وتقلب بفكره فيها فيتأمل مظاهر الرحمة والنعمة ، ويتأمل مظاهر البأس والنقمة ، ويتأمل مظاهر العلم ومظاهر الحكمة ، ويتأمل مظاهر العدل ومظاهر الجبروت ، وهكذا .

وقد يدلنا على هذا المعنى أن القرآن الكريم حين يذكر صفات الله تعالى يذكرها غالبا متابعة دون عطف بحرف ، فيقول : « إن الله عزيز حكيم » . « إن الله غفور رحيم » ، « والله عليم حكيم » . وأظهر مثال لذلك هو ما جاء فى آخر سورة الحشر حيث يذكر الله تعالى مجموعة من أسمائه الحسنى متابعة مترادفة دون تفريق بين سابق منها ولاحق فيقول : « هو الله الذى لا إله إلا هو ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى، يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » .

٤ — فأخذ الأمور على وجه من الجانبية هو الذى جعل هؤلاء الناقدين ينظرون إلى أن الإسلام يصف الإله بالأوصاف المخيفة ويغفلون أو يتغافلون عن الأوصاف الأخرى أو الأسماء الأخرى . ومن واجبهم أن يعلموا

أن الكمال المطلق يقتضى أن يتصف الكامل بجميع الصفات الحسنى وإلا لكان ناقصا فى جانب كاملا فى جانب ، فنحن إذا علمنا أن فلانا من الناس شجاع ولم نعلم بغير هذه الصفة فيه ، فإننا ربما تصورناه مهيباً مفزعا مخيفاً ،ولكن إذا علمنا أن هذا الشجاع يتصف بأوصاف أخرى مثل : الجود والرحمة والعلم والحكمة فإن قيمته تزداد فى نظرنا ، ونطمئن إلى أن شجاعته ليست من النوع الخطر ، على معنى التهور مثلا ، وكذلك لو علمنا أن فلانا من الناس رحيم القلب ، ولم نعلم بغير ذلك من صفاته فربما تصورناه لشدة رحمته متراخيا أو ضعيفا عن غيره ، أوطمعنا فى رحمته فلم نخف من سطوته ، ولكننا لو علمناه مع الرحمة قويا شديد البأس فى موضع البأس ، ازداد تقديرنا له ، وازددنا علما بجوانبه وإدراكا لمجموعة صفاته التى بها يتميز عن غيره .

وإذا أردنا أن نعبر عن هذا المعنى بعبارة أخرى ، فإننا نقول : قد يوجد مزيج من الدواء هو مجموعة من مقادير مختلفة من أنواع وعناصر مختلفة ، فإذا عرفناه على هذا التركيب باسم معين ، فلا يمكن أن نطلق هذا الاسم على آخر فقد بعض عناصره ، أو فقد نسبة المقادير التى ركب على حسابها .

ولله المثل الأعلى ، فمن نظر إلى صفة واحدة من صفاته فإنه لا يستطيع أن يزعم أنه أدرك الله فى كماله وجلاله .

٥ ـ وفى الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أن لله تسعة وتسعين اسما ـ مائة إلا واحداً ـ من أحصاها دخل الجنة » .

والمفسرون يوردون هذا الحديث وما فى معناه حين يتكلمون عن تفسير قوله تعالى: « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » ، ولكنهم مع ذلك يوردون أحاديث أخرى تدل على أن لله تعالى أكثر من هذا العدد من الأسماء الحسنى ، ومن أشهر الأحاديث التى تدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود وفيه (أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك . أو استأثرت به فى علم الغيب عندك) ولذلك يحاولون التوفيق بين هذه الأحاديث ، بأن الحديث الأول غير حاصر للأسماء فى هذا العدد ، وإنما يذكر هذا العدد فقط ، وبعضهم يستخلص هذا العدد من القرآن فإذا رأى العدد زاد عن تسعة وتسعين حاول إرجاع بعض الصفات إلى بعض وأنها فى معنى واحد باعتبار الأصل ، مثل (الغافر والغفار والغفور) و (الشاكر والشكور) ونحو ذلك .

ولى رأى فى هذه المسألة أبديه فى إيجاز : وهو أن الآية الكريمة «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها» لا تقصد إلى تحديد أسماء معينة أو صفات معينة تشير إليها بذلك ولا تقصد إلى معنى الاسم الذى هو لفظ يطلق على الذات لتعريفها ، كما نسمى إنسانا من الناس محمداً مثلا ، وإنما تقصد الآية - والله أعلم - إلى تقرير أن الله تعالى هو مصدر كل المعانى الكاملة المعبر عنها بالأسماء الحسنى فما من معنى من معانى الخير والحق والجمال والجلال إلا وهو لله أصلا ومن الله مبدأ ومصدرا .

والتعبير بالأسماء هنا شبيه أو قريب من التعبير بالأسماء فى قصة آدم حيث يقول الله عز وجل : «وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين» فليس المراد هناك ما تبادر إلى أذهان كثير من المفسرين من أنه علمه اسم كل شىء حتى القصعة وكذا وكذا .. ، ولكن المراد - والله أعلم - أنه علم آدم ، أى علم الإنسان وركز فى طبعه ومواهبه وسائل التعرف للحقائق واكتناه الأشياء والمعارف والخواص ، وهذا ما ميزه به على الملائكة الذين لم يهبهم هذه الموهبة ، ولم يطبعهم على ما طبع عليه الإنسان منها ، وقوله تعالى : «وعلم آدم» معناه : وكان علم آدم ، أى طبعه وفطره على طبع وفطرة تجعله عالما بالأسماء كلها ، ولا يصح أن نفهم أنه علمه الأسماء أى ألقاب الأشياء بعد مناقشة الملائكة ؛ لأنه حينئذ بمثابة أن يعترض عليك أحد فى تفضيل فلان عليه فتريد ان تبرهن له على أن فلانا هذا خير منه ؛ فتعلمه بشىء لا تعلمه المعترض ، فإن له ولكل عاقل أن يقول لك : أنت علمته ولم تعلمنى ، ولو علمتنى مثله لكنت مثله أو يقول: إننى وإياه متساويان ولكنك منحته علما لم تمنحنى إياه ، وجددت له هذا العلم حين سألتك عن سر تفضيله ، وهذا لا يعطيه مزية وأفضلية من دونى .

هذه خلاصة الفكرة عن الأسماء فى قصة آدم ، وهى تقرب من الأسماء بمعنى المعانى فالله وصف نفسه بأن له الأسماء الحسنى ، أى جميع المعانى الفاضلة الخيرة ، التى لا يرقى إليها من سواه ؛ لأن الحسنى مؤنث الأحسن ، فكأنه قال ما من صفة من الصفات الحسنة إلا وهى فى الله تعالى ، وصادرة منه وهو ينبوعها الأول ، وهى فيه جل شأنه على الوجه الأكمل والأحسن لا يشاركه فى ذلك مشارك .

وبهذا التفسير نعلم أن الأحاديث ليس لها غرض فى الحصر والعدد وإنما تريد بيان الكثرة على حد «سبعين مرة» أو «سبعة وسبعين» إلى غير ذلك مما جاء على

مألوف العرب فى إفادة الكثير بالسبعين والتسعين ... إلخ .

٦ — وإذن فالأسماء الحسنى التى تذكر فى القرآن والحديث ما هى إلا عبارات عن هذه المعانى التى تصور الكمال المطلق فى الله فى كل جانب .

ولهذه الأسماء إيحاءات إلى الكمال ؛ فإن الإنسان واله إلى الآله أى منجذب إليه متخلق بأخلاقه ، والإيمان يزيد هذه الطبيعة فى الإنسان ، فهو يتأثر مولاه ويتتبعه ، فإذا علمت أن الله رحيم ، فقد علمت أن الرحمة كمال يجب أن ينشد . وإذا علمت أن الله عليم ، فقد علمت أن العلم كمال يجب أن ينشد . وهكذا . حتى صفات الانتقام والأخذ الشديد هى أيضا مثل تحتذى ، على أن توضع فى مواضعها كما يضعها الله تعالى فى مواضعها ، فإذا كان أحد من الناس يحسن أخذ الظالم المستحق للأخذ ، ويحسن كيف يشتد فى أخذه انتقاما من شدة ظلمه ، فإن هذا يعد وصفا حسنا فيه إذا وضعه فى موضعه .

وقصارى القول أن للأسماء الحسنى التى يتسم بها الله جل جلاله إيحاء بعظمة الله وجلاله ، كما أن لها إيحاء بأخلاق الجمال والكمال .

٧ — بعد هذا نعود إلى الذين ينقدون الإسلام بأنه يصف الإله بأوصاف تخيف ويوازن بين الإسلام والمسيحية التى وصفت الإله بأنه الأب ، وهو لفظ مفيد لمعنى الحنو والرحمة .

نعود إلى هؤلاء كرة أخرى فنقول لهم :

بأى حق تتحدثون عن تنزيه الله ، وأنتم الذين نسبتم إليه ما ينافى التنزيه فى كتبكم ؟ .

ـ لقد ذكرت التوراة فى الإصحاحين : الثانى والثالث من سفر التكوين قصة آدم وحواء وخروجهما من الجنة ، وذكرت أن الله أجاز لآدم أن يأكل من جميع الأثمار إلا ثمرة شجرة معرفة الخير والشر وقال له : لأنك يوم تأكل منها موتا تموت ، ثم خلق الله من آدم زوجته حواء ، وكانا عاريين فى الجنة ، لأنهما لايدركان الحسن والقبح ، وجاءت الحية ودلتهما على الشجرة وحرضتهما على الأكل من ثمرها ، وقالت : إنكما لاتموتان ، بل إن الله عالم أنكما يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتعرفان الحسن والقبح ، فلما أكلا من ثمر الشجرة انفتحت أعينهما ، وعرفا أنهما عاريان ، فصنعا لأنفسهما مئزرا ، فرآهما الرب وهو يتمشى فى الجنة ، فاختبأ آدم وحواء منه ، فنادى الله آدم أين أنت ؟ فقال آدم : سمعت صوتك فاختبأت لأنى عريان ، فقال الله من أعلمك بأنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة ؟ .

ثم إن الله بعد ماظهر له أكل آدم من الشجرة قال : هو ذا آدم صار كواحد منا عارف

بالحسن والقبح ، والآن يمد يده فيأكل من شجرة الحياة ، ويعيش إلى الأبد ، فأخرجه الله من الجنة ، وجعل على شرقيها مايحرس طريق الشجرة . وذكر فى العدد التاسع من الإصحاح الثانى عشر : أن الحية القديمة هو المدعو إبليس والشيطان الذى يضل العالم كله .

انظر كيف تنسب كتبهم إلى الله أنه كذب على آدم وخادعه فى أمر الشجرة ، ثم خاف من حياته وخشى معارضته إياه فى استقلال بملكته فأخرجه من الجنة ، وأن الله جسم يتمشى فى الجنة ، وأنه جاهل بمكان آدم حين اختفى عنه ، وأن الشيطان المضل نصح آدم ، وأخرجه من ظلمة الجهل إلى المعرفة وإدراك الحسن والقبح (ص ٣٦ من كتاب البيان فى تفسير القرآن) .

وإننا لنجد هذا اللون كثيراً فى كتب العهدين القديم والجديد ، ونرى كيف يصفون الأنبياء ، فابراهيم كذب على فرعون ، وعرفه أن سارة أخته بينما كانت زوجته ، فاتخذها فرعون زوجة له ، وآتى ابراهيم أموالا من غنم وبقر وحمير وعبيد إلخ ، ولما علم فيما بعد أنها زوجة ابراهيم ، ردها له وعاتبه فى أنه لم يعرفه بهذه الحقيقة .

وإذن فابراهيم فى نظر هؤلاء متصف بصفة الكذب ، وبصفة السكوت على انتزاع زوجته منه .

وفى قصة لوط يذكرون أنه زنى بابنتيه بعد أن سقتاه خمراً ، وأنه أحبلهما ولدين : أحدهما (موآب) أبو الموآبيين ، والثانى (بن عمى) وهو أبو (بنى عمون) .

وفى قصة اسحاق أنه أراد أن يعطى بركته أحد أبنائه وهو عيسو ، فخادعه يعقوب ، وأوهمه أنه عيسو وسقاه خمرا ، فأعطاه هو البركة ، ولم يعطها لعيسو ، ولما راجعه عيسو فى ذلك ، قال له ما معناه : لقد انتهى الأمر .

وفى ذلك معنى أن الأنبياء يزنون ويسكرون ويخدعون ، وأن بركة الرب تعطى جزافا . والنبوة تؤخذ عن خديعة ... وهكذا .

فمن أين لهم هذا الهراء وهذا التخريف .

وكيف مع هذا يعيبون على الإسلام ما وصف به الإله الحق ؟ ؟ .

محمد محمد المدنى

عميد كلية الشريعة

نفحات القرآن

الغضب مجلبة لسوء الظن والندم
والإكراه معذرة في الخطأ
والاستغفار طهرة من الشوائب

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(ا) « ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ، قال بئسما خلفتمونى من بعدى ! ! أعجلتم أمر ربكم ؟ وألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه.

(ب) قال : ابن أم ! ! إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء ، ولا تجعلنى مع القوم الظالمين .

(ج) قال : رب اغفر لى ولأخى ، وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين » .

حياة موسى عليه السلام كانت مرحلة زمنية حافلة بالأحداث والعجب ، وفى كل جانب منها فصول تلقنها الإنسانية فى مصابرة ، وعرفت منها الدنيا مالم تكن رأت فى أحقابها الأولى .

فإذا تجاوزنا الحديث عن طوره الأول - فى عهد فرعون وما أحاط به من مخاوف - إلى الحديث عنه رسولا إلى بنى إسرائيل ، وما كان من شئونهم مع موسى وجدنا متسعا للقول ، وأحداثا يستغرق ذكرها أو قاتا ، ويثير الحيرة فى أمر هؤلاء اليهود .

نعم ! ! تاريخ اليهود حافل بالعجب ، وقضاياهم بارزة فى صفحة هذا الوجود .

فإن يكن لهذه الطائفة بين سائر الشعوب نشاط فى الدنيا ، وجولات فى المجال الاقتصادى فكأن الله خلقهم على نمط خاص بهم فى التفكير ونسج لهم تاريخا من مناهجهم فى الحياة ، ومن شئونهم فى الدين ، ومواقفهم أمام رسالات الأنبياء .

وإنك لتجد الكتب زاخرة بالقول فيهم ، وتجد القرآن يتناولهم بالشىء الكثير ، حتى لتشعر - صادقا فى شعورك - أنهم رموز حية لشياطين الإنس . وأن جانبهم لا يؤمن ، وإن غلبت عليهم المودة والزلفى ، وتلمس فى غير ريبة أن عهدهم وإن وثقوه عهد منقوض وفى سياساتهم مع موسى عليه السلام أمثلة تنبيك عن طباعهم واتجاهاتهم فى دنيانا فضلا عما كان لهم مع غير موسى من الأنبياء ، وماضيهم لا يختلف عن حاضرهم ، وهم فيما سلف أشبه بما نراه منهم اليوم ، وربما كانوا فى غدهم شرا مما عرفنا عنهم .

ولكن الله لن يرفع لهم راية ، ولن يعلى لهم شأنا كما سجل عليهم غضبه ، وهددهم بشر وعيده فى القرآن، ولن يخلف الله وعيده معهم.

حينما اجتاز موسى بهم البحر ، وتجلت فيهم المعجزة بإغراق فرعون وجنوده ، ونجاة موسى وأتباعه من طغيان الفراعنة : ما كادت أقدام اليهود تستقر على أرض سيناء حتى اقترحوا على موسى أن يتخذ لهم أصناما يعبدونها كما رأوا هناك جهلة كفاراً يعبدون الأصنام « يا موسى ! اجعل لنا إلها كما لهم آلهة . . . » .

فنهاهم موسى عن ذلك التقليد ، وذكرهم نعمة الله عليهم بالنجاة من فرعون ، وكانوا فى ضنك من حكمه عليهم بمصر ، وفى شقاء من مطاردته لهم وتقتيل أولادهم واستحياء نسائهم . . ولكن طبائع الشر كامنة فيهم ، فما انصرفوا عن طلبهم ذاك إلا تحينا للفرصة وانتهازاً للوسيلة ، وذلك دأب النفوس المتمردة الخبيثة .

وحينما استقر بهم موسى حيث استقروا فى سيناء ، وعـد الله موسى أن ينزل عليه كتابا يتلقاه بالوادى المقدس - وهو المعروف بطوى - بجبل الطور فى تلك الصحراء .

وفى الموعدة التى وعد الله موسى أخذ معه سبعين رجلا من خيارهم ليصحبوه إلى الميقات ويحضروا معه ما يتلقاه من ربه ، وترك هارون مع القوم ينتظرون .

وفى طريقهم إلى الوادى المقدس تعجل موسى فى سيره ليسبق ، ووعد أصحابه اللقاء عند الميقات .

وفى هذا سؤال الله تعالى « وما أعجلك عن قومك يا موسى ! ؟ » وفيه جواب موسى « قال : هم أولاء على أثرى وعجلت إليك رب لترضى » .

مكث موسى وأصحابه ثلاثين ليلة . ثم عشرة أخرى ، أراد الله زيادتها فى الموعد ولم يكن هارون ومن معه يعلمون بتلك العشر الليالى فراب القوم غيابه ، وأخذوا ينتقضون عليه ويتحللون من دينهم ، ويسارعون فى الكفر كما كانوا يشتهون من قبل ، وبعد تلقى موسى للتوراة ، وقبل انصرافه إلى أكثرية القوم فى مقرهم الأول مع أخيه هارون وزيره . أخبره الله أن القوم غمرتهم الفتنة فى غيابه ، وأن موسى السامرى أحد أتباعه ، دبر لهم فتنة الكفر التى ارتكسوا فيها .

ومع أن موسى كليم الله ، وصاحب الحظوة بالحديث إلى ربه لم يستفسر عن تفصيل الفتنة ، لأنه يعهد فى الكثير من يهوده ذبذبة الفكرة ، ووهن العقيدة ، فشغله الهم لذلك وقفل راجعا ليتدارك القوم فى محنتهم .

(١) عاد فأبصر أكثر قومه حول تمثال

من الذهب لعجل من البقر يعبدونه .

فكانت ظاهرة الغضب فى أمور ثلاثة :

١ — أنكر على قومه فى شدة ، قال : بئسما خلفتمونى من بعدى !! أعجلتم أمر ربكم ؟ ، يريد بئس العمل الذى عملتموه فى غيابى عنكم وهل استبطأتم حضورى فتعجلتم أمر ربكم ، ولم تنتظروا عودتى بما آتيكم به من عند الله .

٢ — « وألقى الألواح » ، وضع التوراة حيث وضعها ، فى شىء من التسرع والانفعال لما رأى عليه قومه ، وكان المفروض أن يتهادى ويتئد فى وضعها ، ولكن الغضب قد بلغ منه مبلغه .

وهنا توسع أناس ، وعلقوا على هذا الإلقاء بأن التوراة تحطمت ألواح منها وذهب جانب كبير من أصولها الأولى ، ولكنها روايات لا ينبنى عليها علم صحيح .

٣ — الأمر الثالث « وأخذ برأس أخيه يجره إليه » لما ظنه موسى بأخيه أنه تسامح مع القوم فلم يزجرهم عن عبادة العجل ، ولم يقم فيهم بالإرشاد كما أوصاه موسى .

وطبيعى أن يساء الظن بمن كان معهوداً إليه فى أمر ثم لا يفى به على الوجه المطلوب .

(ب) ولكن هارون أبدى معذرته لموسى وأقنعه بقوله : « ابن أم !! إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ، فلا تشمت بى الأعداء ، ولا تجعلنى مع القوم الظالمين » .

طابت نفس موسى وسكت عنه الغضب ، إذ أصبح على بينة من الأمر ، واقتنع بأن أخاه هارون لم يتسامح ، بل نصح وقاوم حتى كادوا يقتلونه ، وأن موسى السامرى ومن انتقضوا معه قد تغلبوا ، وصنعوا العجل من الذهب ، وأخذوا يعبدونه كما كانوا يتهافتون على الشرك سابقا .

(ج) وإذا كان موسى ظانا بأخيه غير الواقع ، وكان هارون معذوراً فى شأنهم فلم يسع موسى إلا أن يبادر إلى الله يطلب العفو عنه وعن أخيه مما كان من غضبه وسوء ظنه بهارون ، ومما يكون من تخلف هارون عن الذهاب إلى موسى وإخباره كما عتب عليه ذلك فى قوله « يا هارون !! ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى » فمع وضوح المعذرة لموسى ولهارون فى موقفه أناب موسى إلى الله بالدعاء « قال : رب اغفر لى ، ولأخى ، وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين » .

وكذلك شأن الأتقياء يطلبون المغفرة ولو لم يكن ذنبا . ويطلبون الرحمة لهم وللناس فى كل حين ، لأن النفوس الخيرة تشعر دائما أنها دون الكمال فى القيام بحق الله ولو كانت كاملة وتطلب المزيد من رحمته تفضلا منه تعالى : لا استحقاقا على الله ، بخلاف الجهلاء الذين يحفزهم الخيال والحمق على الاعتزاز بأنفسهم ، فيقول المرء منهم عند النعمة : ربى أكرمنى —

لاستحقاق ذلك الإكرام ويقول عند النقمة ربي أهانني، وأنا لا أستحق الإهانة وكان من هذا القبيل أن يستهين الكفار بالإيمان، ويقولوا عن المؤمنين «لو كان خيرا ما سبقونا إليه» فهذا شموخ الحمق الذين يعيبون الإيمان. «وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم». وفيما تقدم توجيه لنا إلى ناحية الغضب والإكراه

فالغضب نزعة بشرية طبيعية في الإنسان، وهي لا تنقص شأن الأنبياء، لأنهم أناس كغيرهم ولكننا نختلف في هذه النزعة شدة، وهوادة، وهذا فرق ما بين الحليم والغضوب وما كانت هذه النزعة لتأخذ على نبي من الأنبياء حلمه المفروض، إلا أنهم يغارون على دين الله ويغضبون لله، وكذلك كان موسى، بل كان أكثر الأنبياء انفعالا كما يقول بعض المفسرين.

وواضح أن لموسى عذره في مزيد استيائه لأنه بعث في قوم ليسوا جهلاء فقط وإنما هم خبثاء ماكرون، وجبناء مستذلون لا يحترمون لأنفسهم شخصية، وكأن مقامهم في حكم فرعون أورثهم المهانة، وعلمهم الخداع، فضلا عن أنهم لا يوفون بعهد، ولا يشكرون نعمة، ولا يتخلفون عن رذيلة ولا يأمرون بمعروف، ولا يتناهون عن منكر ... وتلك أوصافهم التي يحكيها عنهم الله الذي خلقهم وابتلاهم بتلك النقائص.

فالانفعال من موسى إزاء هؤلاء غير معيب منه، ولا كثير عليه لما يحتاجون من زجر وتقويم ...

وربما كان الغضب في كثير من الأحيان أجدى من الحلم في علاج أمثال اليهود ...

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف في موضع الندى

وقد أوضح العلماء أن الغضب في حقيقته جمرة نفسية تتوقد في الصدر، ولذلك كان علاجه في هدى الرسول صلى الله عليه وسلم أن من غضب فليضطجع، فإن لم يذهب غضبه اغتسل. ومما ورد في ذلك: (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس. فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع) وقوله صلى الله عليه وسلم كذلك: (إن الغضب من الشيطان. وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ) وهكذا مما نصح به الرسول في مقاومة الغضب بالجلوس من قيام، وبالاضطجاع، وبالوضوء، وبالاغتسال، ومهما يكن للغضب من أسبابه ومبرراته ففضل الحلم مشهود به، وثواب الاحتمال مضمون في قول الله سبحانه مدحا في المتقين: «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس» ومن قبيل هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (الحلم سيد الأخلاق).

وقد تعرض الفقهاء للغضبان إذا طلق زوجته في غضبه، فكثير منهم لا يعتبر

الغضب مانعاً من وقوع الطلاق ، وفريق يرى الغضب مانعاً من وقوع الطلاق فى حالة شدة الغضب ؛ لأن المرء لا يكون مدركا لما قال بل أخبره غيره بما حصل منه ، ففى تلك الحالة فقط يعتبر كالمجنون فلا يؤاخذ ، والإكراه كذلك له أثره فى محاسبة المرء على عمله .

ومن قضية هارون عليه السلام أنه لم يكن متسامحا مع قومه فى تعهدهم ، وهو نبى ووزير لأخيه موسى فى رسالته فلم تكن عليه تبعة فى انحرافهم وما ارتكبوا من خطأ جسيم لأنه مكره ؛ إذ هددوه بالقتل ، فتحاشاهم لأنه لو تمادى وقتلوه ، لكان ملقيا بنفسه إلى التهلكة دون ثمرة لهذا .

وكذلك تشريع الله للناس يعفيهم من تبعة الإكراه على المخالفة إذا نفذت الحيلة وعجزت المحاولة، والله لا يكلف نفسا إلا وسعها والمكره عاجز ولا شك وفى ذلك يقول النبى صلوات الله عليه وسلامه : (عفى لأمتى عن الخطأ - غير المقصود والنسيان ، وما استكرهوا عليه) .

بل القرآن نفسه يتحدث عن الإكراه على الكفر بالقتل مثلا ، إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ،

فتلك حالة صادفت فسحة فى الدين ، وعفوا من جانب الله .

ولكن يراعى فى الإكراه المعفى من التبعة ألا يجد الإنسان منفذا منه ، فالمكره فى دينه مطالب بالهجرة إلى وطن آمن سوى وطنه إذا عجز عن الجهاد والقيام بواجبه .

والمدافع عن ماله أو عرضه إذا اقتضاه الأمر أن يقتل المعتدى عليه فله قتله والتخلص من عدوانه ؛ لأنه يعتبر مكرها على فعله هذا من جانب المعتدى نفسه ، ومهما يكن من تجاوزنا فباب التوبة مفتوح لمن ينيب إلى ربه بالتوبة والله يعفو عن السيئات ، ويهدينا إلى صراطه المستقيم ؟ .

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

فقير وغنى

مررت بالفقير فقال لى : أبحث عن طعام لمعدتى

ومررت بالغنى فقال : أبحث عن معدة لطعامى !

كيف نصل إلى تطوير الفقه الإسلامي

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

في هذه الأيام المباركة ، وفي هذا العهد الطيب الذي لا يعرف رجاله الوقوف والجمود، بل هم دائما في حركة مطردة ومسير دائب إلى الأمام ، نرى أن على رجال الفقه والقانون واجبات ثقالا يجب أن يقوموا بها ، وأن يعملوا لتحقيقها جادين ومستهينين بما يقوم في سبيلهم من صعاب وعقبات .

ولعل أهم هذه الواجبات وأجلها خطراً ، هو أن يكون بعضهم لبعض معيناً وظهيراً على إقالة الفقه الإسلامي من عثرته والنهضة به وعلى تطويره ؛ ليكون حقاً صالحا لهذا العصر الذي نعيش فيه ، وبذلك يكون الأساس الأسمى الأول لكل ما نحتاج إليه من نظم وقوانين .

إن شعارنا اليوم هو « القومية العربية » ، وبهذا نستمسك ونفخر ونعتز ؛ فإن العرب هم — كما يقول ابن المقفع — الذين أدبتهم نفوسهم ، ورفعتهم هممهم، وأعلتهم قلوبهم ، وألسنتهم ، حتى دفع الله لهم الفخر ، وبلغ بهم أشرف الذكر ، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر ، وافتتح دينه وخلافته بهم إلى الحشر على الخير فيهم ولهم ، فقال فيهم سبحانه : « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

° ° °

ولكن العرب صاروا إلى ما صاروا إليه من كرامة وعز ومجد ، وعلا سلطانهم على كل سلطان ، بفضل الإسلام الذي جاءهم بالعقيدة الحقة بعد أن كان الناس منها في أمر مريج ، وبالشريعة العادلة الصالحة لكل جيل وعصر إذا فهمت على أصولها ، وعمل رجالها على تطويرها في حدود كتاب الله وسنة رسوله لتكون حقا صالحة لكل زمان ومكان .

وهكذا كان يعمل رجالنا الأولون من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم وهكذا كان يعمل فقهاؤنا الخالدون أئمة المذاهب المعروفة ، وهكذا كان يعمل تلاميذ أولئك الفقهاء والأعلام الذين نهجوا نهج أئمتهم واتبعوا طريقهم . وفي تلك العصور المجيدة كانت شريعة الله ورسوله هي القانون الذي ينزل الناس جميعا على أحكامه ، وكان فقهاء كل عصر يتفهمون مسائله ومشاكله ويعملون

على إيجاد حلول وأحكام لها تتفق والقرآن والسنة .

ثم مرت القرون ، وضعفت الهمم ، وران على قلوبنا وعقولنا حب التقليد بل الكلف به فإذا بالفقه الإسلامى يجمد على ما تراه فى بطون الكتب وإذا به ينزوى عن الحياة ، وإذا بنا نهرع للفقه الغربى نأخذ منه ونجعل القوانين التى اتخذت منه ، هى الفيصل فى شئوننا وننسى ذلك التراث المجيد الذى ورثناه عن أسلافنا الأمجاد وهو تراث صلحت الإنسانية به قرونا طوالا ، ولا يزال ما فيه من تشريعات صالحا لقيادة الإنسانية أكبر الدهر لوجد رجالا ! .

* * *

هذه كلمة تبين لنا أنه آن لنا أن نتحرك ونعمل وأن نبذل كل ما نستطيع من جهد لتطوير الفقه طبقا لأصوله ، وبذلك لا يجد أحد من رجال القانون والتشريع حاجة إلى الأخذ عن قوانين الغرب ، هذه القوانين التى قد يقوم عليها أمر من وضعت لهم ، ولكنها لا يمكن أن تصلح لنا ، وذلك لاختلاف ما بيننا وبينهم فى العقيدة والتقاليد .

وإننا بهذا الذى نطلبه جاهدين منذ سنوات ، لا نريد بدعاً من الأمر ؛ فقد سبقنا الفقهاء الأصلاء فى العصور المختلفة ، إلى استبدال كثير من الأحكام التشريعية بأخرى كانت ثابتة مستقرة قبلها ، وذلك أخذا بأصول الفقه ، ومنها العرف والاستحسان والمصالح المرسلة ؛ وبهذا تطور الفقه حقاً فى هذه الأحكام ، وكان هذا خيراً كثير .

ونذكر من هذه الأحكام . على سبيل التمثيل لا الحصر ، إجازتهم أن يأخذ معلم القرآن أجرا على عمله ، وكذلك إمام المسجد وخطيبه ، مع أن مثل هذه الأعمال ما كان يجوز أخذ أجر على القيام بها ؛ لأنها من الأعمال الدينية التى يفرض القيام بها على القادر عليها قربة لله تعالى .

ومن هذا القبيل أيضا ، ما كان من إجماع الصحابة رضى الله عنهم أيام سيدنا أبى بكر الصديق على جمع القرآن وكتابته ، رعاية للمصلحة العامة للإسلام والأمة ، بعد أن توقف الصديق أول الأمر عن الإقدام على هذا العمل ، وكان يقول : كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ولكن عمر ظل به يراجعه حتى شرح الله صدره له .

ثم جاء سيدنا عثمان رضى الله عنه ، ورأى اختلاف المسلمين وقد تناءت بهم الديار فى البلاد المختلفة ، فأمر بجمعه فى مصحف واحد فرّق منه نسخا فى البلدان ، ثم أمر بحرق ماسواه من الصحف ذوات القراءات المخالفة .

ومن ذلك أيضا إجازة الإمام مالك سجن المتهم ، وإجازة أصحابه ضربه أيضا ، ليكون ذلك عاملا لإقراره وظهور الحقيقة ، مع أن الأصل هو أن المتهم برىء حتى تثبت إدانته ، وإذن يجب أن يكون بمنجاة من الأذى قبل أن تثبت جنايته .

هذا ، والعمل الجليل الذى ندعو إليه يقتضى بلا ريب منهجا مرسوما مدروسا ، وأول خطوة من خطوات هذا المنهج هى اقتفاء أثر فقهاء الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ، وإن الذى ينظر فى فقه هؤلاء الفقهاء الأعلام نظرة فاحصة عميقة يتبين له بوضوح - كما أشرنا إليه فى الكلمتين السابقتين - طريقتهم فى معرفه أحكام ما كان يحدث من نوازل ووقائع ، كما يتبين النتائج التى وصلوا إليها ، ونذكر الآن القليل من هذه وتلك :

١ — أنهم كانوا لا يلجئون إلى الاجتهاد بالرأى إلا إذا لم يجدوا فى نصوص الكتاب المحكم والسنة الصحيحة حكم الواقعة التى يبحثون عن حكم الله فيها ، ومن ثم كان تحرجهم فى الفتوى بالرأى فى كثير من هذه الحالات .

٢ — أنهم أيقنوا أن الله لم يشرع الأحكام عبثا ، بل لعلة اقتضتها ومقاصد تتحقق بها ، ومصالح حقيقية تعود على الفرد أو المجتمع منها ، ومن ثم ، نراهم لا يقفون جامدين أمام النصوص التشريعية ، بل رأوا أن الأحكام التى تؤخذ منها قد تتغير مع الزمان وذلك لتغير عللها التى أدت إليها ، أو لأن المقاصد التى كانت تراد بها أصبحت لا تتحقق إلا بأحكام أخرى رأوا من الواجب استحداثها .

ومن مثل ذلك جعل عمر الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلاقا ثلاثا تبين به الزوجة بينونة كبرى ، وإسقاطه سهم المؤلفة قلوبهم ، والحكم الذى صار إليه على وعثمان بجواز التقاط ضالة الإبل ، وما صار إليه كثير من التابعين من ضمان المودع بلا تغير منه .

٣ — تركهم العمل فى كثير من الحالات بالنصوص العامة أو المطلقة حين يظهر أن العمل بها ينافى المصلحة الحقيقية ، فكان أن عمد كبار التابعين إلى تقييد النص أو تخصيصه أو ترك ظاهره . ومن هذا القبيل إجازة التسعير ، ورد شهادة القريب لقريبه وأحد الزوجين للآخر .

وهذه الطريقة الحكيمة التى سار عليها أولئك الفقهاء الأعلام من الصحابة والتابعين ، والتى أدت إلى النتائج الطيبة التى أشرنا إلى بعضها ، هى - كما قلنا فى كتابنا : فقه الصحابة والتابعين ، الذى ظهر منذ ست سنوات - الطريقة المثلى التى تجعل من الفقه الإسلامى كائنا حيا على مدى الزمان ، وتجعله نظاما

خالداً يصلح به العالم فى الحاضر والمستقبل كما صلح به فى الماضى البعيد .

ونقول اليوم: إنها الخطوة الأولى التى يجب أن نخطوها لنصل إلى ما نريد من تطوير هذا الفقـــه الخصب الزاخر بمقومات الحياة أبد الدهر .

* * *

والخطوة الثانيـة تقتضى من رجال الفقه والقانون جهداً كبيراً أيضا ، وتعاونا مشتركا من الجانبين ، وبهذا وذاك نصل بفضل الله إلى ما نريد لقوميتنا وشريعتنا من الخير الكثير .

إن كتب الفقـه المنشورة تكاد تكون « مغلقة » أمام كثير من رجال الفقه ورجال القانون ؛ وذلك لتعسر البحث فيها ، وصعوبة الوصـول إلى مواضع المسائل التى اشتملت عليها ، وكثير من هذه المسـائل يجىء فى مواضع لا يكاد الباحث يظن وجودها فيها .

وهذا مما يفرض علينا وجـوب نشرها نشراً علميا صحيحا ، وفهرستها فهرسة دقيقة ، حتى ييسر للباحثين الوصول إلى ما يريدون البحث عنه : وعلينا هنا ألا نقتصر على نشر كتب مذهب واحـد ، أو على المؤلفات فى المذاهب الأربعة المعروفـة ، بل يجب نشر أمهات كتب المذاهب الأخرى أيضا ؛ مثل مـذاهب الزيدية والإماميـة من الشيعة ، والمذهب الظاهرى . ففى هذه المذاهب ثروة فقهية ضخمة ، وفيها ما ينبغى أن نفيد منه فى نهضتنا التشريعية .

وفى ذلك يقول الأستاذ الجليل الدكتور السنهورى : « هذه الشريعة الإسـلامية ؛ لو وطئت أكنافها ، وعبدت سبلها ، لـكان لنا فى هـــذا التراث الجليل ما ينفخ روح الاستقلال فى فقهنا وفى قضائنا وفى تشريعنا ، ثم لأشرفنا نطالع العالم بهذا النور الجـديد فنضىء به جانبا من جوانب الثقافة العالميـة فى القانون »[1] .

ومتى تم لنا معرفة الفقه الإسـلامى معرفة طيبة فى مذاهبه العديدة المختلفة كان علينا أن نقوم بدراسته دراسـة تاريخية مقارنة ؛ بين بعض هـذه المذاهب والبعض الآخر من ناحية ، وبينها مجتمعة وبين القوانين الحديثة والفقه الحديث من ناحية أخرى .

إن هذه الدراسة التاريخية المقارنة ، تجعلنا نؤمن بأن الله لم يخص بالحـــق فقيها معينا أو مـذهبا فقهيا معينا وحـده ، وتضع مادة خصبة للذين يقومون بوضع القوانين الحديثة فيفيدون منها ، وربما دفعهم هـذا إلى جعل الفقه الإسلامى هو المصدر الأول لما يضعون

---

(١) من الكلمة الافتتاحية لكتاب نظرية الالتزامات ، الجزء الأول فى نظرية العقد .

من تشريعات وقوانين تناسب العصر الذى نعيش فيه .

على أننا نرى بحمد الله تعالى غير قليل من رجال القانون عرفوا للفقه الإسلامى قيمته ، وأخذوا فى الكتابة فيه والإفادة منه ، وعلى رأسهم العلامة الدكتور السنهورى ؛ هذا الرجل العظيم الذى ظهر له حتى اليوم ستة أجزاء من كتاب واحد فى التشريع الإسلامى وهو كتاب « مصادر الحق فى الفقه الإسلامى » بحث فيه هذه الناحية بحثا علميا دقيقا مقارنا .

لقد أحس الأستاذ الكبير ما نحسه من وجوب تطوير الفقه الإسلامى حتى يكون منه قانون عام للبلاد العربية الإسلامية ، وقرر فى بعض ما كتبه — عن إيمان عميق — بأن الفقه الإسلامى لا يقل عن القانون الرومانى فى العراقة ودقة المنطق والصياغة والقبول للتطور ، وأنه مثله صالح لأن يكون قانونا عالميا كما كان فى الماضى ، وأنه - إذا أحييت دراسته وانفتح فيه باب الاجتهاد - قمين أن ينبت قانونا حديثا لا يقل فى الجدة ومسايرة العصر عن القوانين اللاتينية والجرمانية .

ثم بعد أن قرر ذلك نجده يقول ما نصه : « والهدف الذى نرمى إليه هو تطوير الفقه الإسلامى وفقا لصناعته ، حتى نشتق منه قانونا حديثا يصلح للعصر الذى نحن فيه ... وليس القانون المصرى الجديد ، أو القانون العراقى الجديد ، إلا قانونا مناسبا للوقت الحاضر لمصر أو العراق . والقانون النهائى الدائم لكل من مصر والعراق ، بل لكل البلاد العربية ، إنما هو القانون المدنى الذى نشتقه من الشريعة الإسلامية بعد أن يتم تطورها .

وقد تكون البلاد العربية عند ظهور هذا القانون قد توحدت ، فيأتى القانون يدعم وحدتها ؛ وقد تكون فى طريقها إلى التوحيد فيأتى القانون عاملا من عوامل توحيدها ، ويبقى على كل حال رمزا لهذه الوحدة .[1]

والخطوة الثالثة ، وهى الأخيرة التى بها نصل إلى ما ندعو إليه ، هى فتح باب الاجتهاد للقادر عليه ، فإن سبب ما أصبنا به من جمود ووقوف عن مسايرة الزمن فى هذه الناحية ، هو إقفال باب الاجتهاد منذ قرون طويلة ثقيلة ، وبذلك تخلف فقهنا واضطررنا للأخذ من الفقه الغربى ولسنا بهذا ندعو إلى التنكر لتراث الماضين ، فإنه لا يفعل ذلك إلا جاهل أحمق ، بل ندعو إلى السير فى الطريق الذى ساروا فيه ، مع الإفادة بما خلفوه لنا من ثروة ضخمة لا يقادر قدرها . على أن نعرف حكم

---

(١) راجع : العالم العربى : مقالات وبحوث ، الكتاب الثانى ، بحث القانون المدنى العربى ص ٢٨ — ٢٩ : نشر الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية مطبعة مصر سنة ١٩٥٣ م .

الله ورسوله فيما جدت فى أيامنا من مسائل ومشاكل ومعاملات لم تعرض لهم فى عصورهم.

إن الزمن - كما قلنا فى كتاب سابق لنا - يتغير، والمعاملات تجد وتتطور، فكان أن وجد منها كثير لم يكن موجودا بالأمس، فليس لنا أن نمسك عن بيان حكم الفقه الإسلامى فى كل منها، معللين بأن الفقهاء الماضين لم يتكلموا عنها، وكيف كان لهم أن يتكلموا فيها وهى لم تعرض لهم ! بل إن علينا أن نجتهد فى ذلك مستفيدين من جهود الماضين ومعتمدين قبل كل شىء على كتاب الله المحكم وسنة رسوله الصحيحة.

والسبيل الوحيد - فيما أرى - لتنظيم الاجتهاد ولتكون الأحكام التشريعية التى نصل إليها عن طريقه صالحة - هو إنشاء ما يمكن أن يسمى «مجمع الفقه الإسلامى»، ويختار أعضاؤه من صفوة الفقهاء من جميع بلدان العالم الإسلامى، ويكون معهم أعضاء آخرون من رجال القانون الذى عرفوا الفقه الإسلامى وآمنوا به؛ ويكون المركز الرئيسى لهذا المجمع بالقاهرة مثلا، كما تكون له مكاتب فى البلاد الأخرى.

ومتى تم تكوين المجمع على هذا النحو، يجمع المركز الرئيسى المسائل والمشاكل التى يجب بحثها وبيان أحكامها الشرعية، ثم يرسل بها إلى جميع الأعضاء. ليقوم كل منهم ببحثها حسب طاقته ويجتمع المجمع بكامل أعضائه كل عام مثلا للنظر فيما وصل إليه كل من الأعضاء متفرقين، وليقرروا أخيرا الأحكام التى ينتهون إليها، ويكون لهذه الأحكام الصفة التشريعية الاجتماعية، وتكون تشريعات واجبة الالتزام للمسلمين جميعا.

إنه بفضل هذا المجمع نصل إلى معرفة أحكام المعاملات التى جدت فى هذا العصر، مثل معاملات سوق العقود، ومعاملات البنوك، ومعاملات الشركات على اختلاف أنواعها وأعمالها، ومعاملات الجمعيات التعاونية ونحوها ...

وبعد: إننا بذلك نكون قد أدينا ما علينا لشريعة الله ورسوله، وما علينا للعصر الذى نعيش فيه، ونكون فقهاء أحياء حقا، لا فقهاء جامدين أو مقلدين بغير علم.

ومن الله العون والسداد، ولن يضيع سبحانه وتعالى أجر العاملين ؟

الدكتور محمد يوسف موسى

جهالة وضلالة

للأستاذ محمود الشرقاوى

[لم أر ، غير الإسلام دينا ، حفظ أصله وخلط فيه أهله]
« الإمام محمد عبده » « * »

شهدتُ وشَهِدَتْ القاهرة فى الشهر الماضى مشهداً عجيباً ، ينأى عنه الخلق ، ويأباه جد الحياة ، وينكره الدين . بل هو فى الدين جهالة جهلاء ، وضلالة عمياء .

شهدت آلافا كثيرة تركت عملها فى الحقل والمصنع والمتجر ، وتجمعت فى مسجد سيدنا الحسين تضج وتعج وتفور . ثم خرجت منه متتابعة فى صفوف ، يندس بينها من يعلم الله خلقه ودينه . وقد يكون غير بعيد عن التهمة والسجن والمخدرات .

كانت صفوف القوم متتابعة متزاحمة يختلط فيها النساء بالرجال فى زحمة منكرة غير مأمونة ولا مستساغة ولا مقبولة ، يحمل بعضهم الدفوف وبعضهم الطبول وبعضهم الربابات . ولدفوفهم وطبولهم دوى قوى منكر . ويلبس بعضهم الثياب البيض والأحزمة السمر والعمامات الحمر .

وهم يقفون أو يسيرون فى حركات عنيفة شاذة . وظل جمعهم هذا متوالا متتابعا من المسجد حتى امتد إلى منطقة كبيرة من الأحياء التى تحيط به . وتأذى الناس من ذلك وضاقت سبلهم الواسعة فترة طويلة كان خيرا لهم أن يفيدوا منها ، أو يستريحوا .

وقرأت بعد ذلك فى الصحف شكوى الناس من ذلك وتعجبهم ، وكان هذا المشهد لجماعة من رجال الطرق ، يحتفلون بمولد شيخهم . وشاركهم فى هذا المسير بعض ضباط الشرطة وجنودها .

ولكى ندرك تأصل هذه الآفة وعمق هذه الجهالة فى مجتمعنا ، نذكر صفحة عن ذلك سجلها شيخ من كبار المؤرخين فى القرن الثامن عشر . بل هو عمدة المؤرخين المصريين جميعا

(*) ابن رشد وفلسفته لفرح أنطون : ص ١٧٣ .

وهو الشيخ عبد الرحمن الجبرتي . وهي صفحة لا تسجل فقط ، بل هي تشير و تفصح و تنير . و تبين للناس كيف اتخذ ، ويتخذ ، كثير من الأفاقين والعاطلين وأصحاب الحيلة ، كيف اتخذ هؤلاء ، وغيرهم مقامات الأولياء ومزاراتهم وسيلة رخيصة للعيش والإثراء وتحقيق مآرب أخرى .

« كان القاهريون وغيرهم ، يحتفلون ، كما يحتفلون الآن ، بمولد الحسين ، والسيدة زينب ، والإمام الشافعي ، والسيدة نفيسة ، وكثير غيرهم من الأولياء والصالحين ، كما يحتفلون جميعاً بمولد السيد البدوي في طنطا ، والسيد ابراهيم الدسوقي في دسوق .

ولنتخذ مولد الحسين مثلا لما كان يجرى في غيره من الموالد .

فالجبرتي يتحدث في الجزء الرابع من كتابه عن نشأة الاحتفال بهذا المولد . فيقول : إن هذا المولد ابتدعه مباشر لوقف المسجد الحسيني كان يسمى السيد بدوى بن فتيح ، أصابه مرض ، فنذر ، إن شفاه الله ، أن يقيم هذا المولد ، وكان المولد أول الأمر ، هو إضاءة المسجد وقبته ، بالقناديل والشموع ، وترتيب فقهاء يقرءون القرآن نهاراً ، ويتدارسونه . وآخرون يقرءون ليلا ، دلائل الخيرات . ثم تغير الحال ، وانضم إلى الفقهاء كثير من الجهلة ، وأهل البدعة . فنهم من يقيم حلقات الذكر ، ويردد اسم الله ، محرفاً ، وينشد له المنشدون القصائد والموالات . ومنهم من يقول أبياتاً من بردة البوصيري في مدح النبي عليه السلام ، ويجاوبهم آخرون مقابلون لهم بصيغة الصلاة على النبي ومنهم جماعة من المغاربة ، يجلسون صفين متقابلين ، وينطقون بلغتهم ، كلاما معوجا بنغم خاص ، وطريقة جروا عليها ، وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها ، على قدر النغم ، ضرباً شديداً ، مع ارتفاع أصواتهم.

وتقف جماعة أخرى مقابلة لضاربي الدفوف واضعين أكتافهم في أكتاف بعض ، لا يخرج واحد عن الآخر ، يتلوون وينتصبون ، ويرتفعون وينخفضون ، ويضربون الأرض بأرجلهم ، كل ذلك مع الحركة العنيفة ، والشدة الزائدة ، بحيث لا يستطيع ذلك إلا كل من عرف بالأيد والقوة ، وهذه الإيقاعات ، والحركات ، تجرى على نمط الضرب بالدفوف ، فيقع بالمسجد ، من هذا كله ، ضجيج كبير ، ودوى عظيم ، وإلى جانب هؤلاء كثير من الفقراء ، والمنشدين ، كل له طريقته ، ونشيده . ثم يقول : (هذا مع من ينضم إلى ذلك من جمع العوام ، وتحلقهم بالمسجد ، للحديث والهذيان ، وكثرة اللغط والحكايات ، والأضاحيك ، والتلفت إلى حسان الغلمان ، الذين يحضرون للتفرج ، والسعي خلفهم ، والافتتان بهم ، ورمى قشور اللب ، والمكسرات ، والمأكولات في المسجد ،

وطواف الباعة بالمأكولات على الناس فيه، وسقاة الماء، فيصير المسجد، بما اجتمع فيه من هذه القاذورات، والعفوش، ملتحقاً بالأسواق الممتهنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكان يجتمع إلى هذه الموالد، العامة، والسوقة، وأهل الحرف السافلة، ومن لا يجد ما يأكله. يحملون القناديل، والشموع والطبول، والزمور. وينطقون بكلام محرف يظنون أنه ذكر، وتوسلات يثابون عليها. فإذا اعترضهم معترض، أو تصدى لهم لائم، رموه بالاعتزال والخروج والزندقة. ثم يمضون ليلتهم ساهرين فإذا أصبح الصبح، عجز كل عن أداء عمله.

ويقول الجبرتي: إن هذا المولد، استمر الاحتفال به عشر سنين، وناذره، السيد بدوي فتيح، لم يزدد إلا مرضاً ومقتا. ثم بطلت إقامته عندما دخل الفرنسيون القاهرة. ولكنهم بعد ذلك، أمروا بإقامته. (لأن ذلك يوافق هوى العامة، لأن أكثرهم مطبوع على المجون والخلاعة، وتلك هي طبيعة الفرنساوية).

ومن الذين ترجم لهم الجبرتي من أصحاب الأضرحة والموالد، الشيخ على البكري ويعرفه سكان القاهرة، كما يعرفون مولده ومسجده بالقرب من جامع الرويعي. وكان السيد على البكري، كما يصفه الجبرتي، رجلا أبله، يمشي عريانا في الطريق، مكشوف الرأس والسوءتين غالبا، وكان له أخ صاحب دهاء وحيلة. وكان دائم المنازعة والخصومة لأخيه الشيخ. ثم بدا له فيه أمر. فقد وجد الناس، على عادة أهل مصر، يعتقدون في أخيه الولاية والكرامة، ويلتمسون منه البركة. فحجر عليه، ومنعه من مغادرة البيت، وألبسه ثيابا. وأظهر للناس أنه قد أذن للشيخ بلبس الثياب لأنه تولى قطباً، وتكاثر الناس، وخاصة النساء، يسعون إلى بيت الشيخ والتبرك به، والإصغاء إلى ألفاظه وتخليطاته وتأويلها بما يلائم رغبة نفوسهم. وتكاثرت مع هؤلاء المريدين والزائرين، الهدايا والنذور والأموال. وكان أخوه، صاحب الدهاء والحيلة، يذيع في الناس من كرامات الشيخ ومعرفته أسرار النفوس ما يشاء. وامتلأ بيت الشيخ وأخيه بالأموال والخيرات. وزاد جسم الشيخ، كما يقول الجبرتي، ضخامة، من كثرة الأكل والفراغ والراحة، حتى صار مثل «البو العظيم»! وظل هذا حال الأخوين حتى مات الشيخ سنة ١٢٠٧هـ فأقام له أخوه ضريحا ومقاماً، وزاد في ذكر كراماته وفيوضاته، وخصص له المقرئين والمنشدين والمداحين، يشيدون بولايته وقطبانيته، ويذكرون أوصافه في قصائدهم، وهم، يتواجدون ويتصارخون ويمرغون وجوههم على شباكه وأعتابه، ويغرفون بأيديهم من الهواء المحيط به، ويضعونه في جيوبهم وعبهم، وهذا الشيخ البكري هو

الذى قال فيه البدرى الحجازى قصيدته التى يقول فيها : ـ

ليتنا لم نعش إلى أن رأينا
كلّ ذى جنة ، لدى الناس ، قطبا

ولم يكن الشيخ من أسرة البكرى . بل جاءته هذه النسبة لأنه كان يسكن فى سويقة البكرى.

الشيخة أمونة :

وعندما كان الشيخ على البكرى يمشى فى الطرقات عرياناً ، قبل أن يحجبه أخوه ، تعلقت به امرأة تسمى الشيخة أمونة . وصارت تسير خلفه أينما سار ، وهى تلبس إزارا . وأخذت هى الأخرى تخلط فى ألفاظها عندما تدخل معه إلى بيوت الناس . واعتقد الناس أيضا فى ولاية الشيخة أمونة ، وأسرعوا إلى مهاداتها بالمال والملابس ، وقالوا : إن الشيخ لحظها وجذبها فصارت من الأولياء . وزاد ذلك من تطرفها ، فنزعت ثياب النساء ولبست ملابس الرجال وصارت ظلا للشيخ ، لا تفارقه أبدا . وكلما سارا تبعهما الأطفال والعوام ، ومنهم من اقتدى بهما فنزع ثيابه « وتحنجل » فى مشيته . وكل من فعل ذلك قال الناس إن بركة الشيخ مسّته بجذبته. وزاد الحال . ونشأ أمر الشيخ والشيخة حتى كان يسير خلفهما جمع كبير من أوباش الناس والصغار . وصاروا ، عندما يمرون بالأسواق ، يخطفون ما يحلو لهم من شىء . ولهم فى سيرهم ضجة عظيمة . فإذا جلس الشيخ فى مكان ، اجتمع حوله خلق عظيم ، ووقفت أمونة على درج دكان ، أو مرتفع من الأرض تتكلم بفاحش القول ، بالعربى ، والتركى . والناس يصغون ، يقبلون يدها ويتبركون بها »[1] .

وهذه الجهالة والضلالة من الانحرافات التى تحتاج إلى تقويم وإلى شجاعة ، والتى يكثر نقد الناقدين لها من رجال الفكر الدينى ورجال الإصلاح الاجتماعى أيضا .

وكثيراً ما شكا المخلصون للدين والعقيدة من هذه الآفة المخربة للخلق وللمجتمع ، المنافية للدين . وكثيراً ما ألفت اللجان وصدرت القرارات تحاول أن تخفف بعض الشر الذى يقع فى الاجتماعات التى تقام فى هذه الأضرحة وحولها ، وفى موالد الأولياء والمشايخ ، ولكن هذا الشر لا يحسم بتكوين اللجان وإصدار القرارات ، بل بتهذيب النفوس وتنوير العقول والإبانة الواعية الشجاعة عن دين الله ، وهذه بعض مهمة الفكر الدينى للعقيدة وللناس وللمجتمع .

ولا نريد أن نطيل الحديث فى ذلك ، فهو أمر واضح يعرفه وينكره كل من اتصل بهذه الشئون وهذه البيئات . ولكن من الخير أن نورد إحصائية رسمية تبين مدى الخطر ، ومدى الشناعة التى ما تزال حقيقة واقعة فى حياتنا ومجتمعنا . وهذه فقرات من هذا التقرير .

---

(١) ص ١٣٣ ـ ١٣٥ من كتابنا : [دراسات فى تاريخ الجبرتى ، مصر فى القرن الثامن عشر] الجزء ـ ١ ـ الطبعة الثانية .

« كل يوم يظهر فجأة شيخ جديد لا يعرف تاريخ حياته . . ويقام له ضريح . . ويجتمع حوله الأتباع والمريدون مثل جبريل والكلح والصديق والست أم زايد وركابى ودانش وشبيكة وأبو روح والشيخ عواض بن إسحق الطهلوشى وأبو اليزيد البسطامى الذى ادعى البعض أنه كان شقيقا للنبى فى الرضاعة » .

ثم يورد التقرير تعداداً للأضرحة التى تقام لأولياء خياليين أو مزعومين ، وعن الموالد التى تقام لهم ، واطراد الزيادة فى هذا العدد اطرادا غير طبيعى فيقول :

« فى عام ١٩٥١ كان عدد الأضرحة ١٩٢ وفى عام ١٩٥٩ أصبح عدد الأضرحة فى بعض المناطق فقط ٥٦٨ ضريحا بواقع ١١٠ أضرحة فى المنوفية و ٦٩ فى المنيا و ٥٥ فى الإسكندرية و ٩٠ فى بنى سويف و ٤٤ فى أسوان و ١١١ فى البحيرة و ٨٩ فى القاهرة .

ومع زيادة عدد الأضرحة زادت عدد الموالد التى تقام فى كل عام حتى وصل عددها إلى ٨٩٢ مولداً » .

وقد أصدرت هذه البيانات لجنة رسمية فى وزارة الشئون الاجتماعية هى لجنة « التقاليد والعادات » ثم علقت عليها بما يلى :

« إن اعتقاد الناس فى المشايخ لا يقف عند حد إيمانهم بأنهم شيوخ صالحون .. بل إن الاعتقاد يتمادى إلى حد اعتبارهم أصحاب سر إلهى وكرامات لا حدود لها ولا قيود ، فهناك من يقضى المطالب مهما كانت هذه المطالب ، وهناك الذين يشفون من الأمراض ، وهناك من يرد الغائب ، ومن يزيل العقم ، ومن يرزق البنات بأولاد الحلال .

وصحيح أن عدداً من هذه الأضرحة لمشايخ صالحين مجتهدين فى الدين .

ولكن الباقى لشيوخ وهميين لا يعرف أحد تاريخهم أو ماضيهم .

وتصوير الدين بصورة الرهبانية هو عمل مشايخ هذه الأضرحة .

إنهم يحاولون إقناع السذج بأن الإسلام هو التوجه إلى الآخرة على ما هو شائع فى ديانات الهند والصين . . ولا بد من محاربة هذه البدعة وإلا فإنها مع مضى الزمن سوف تشيع بين الناس روح الكسل باعتبار أن ما هو كائن إنما هو كائن بالفعل عمل الإنسان أم لم يعمل .

وهناك من بين هؤلاء المشايخ من يزين للناس حب الفقر والرضا برثاث الثياب ، ثم أن هناك ما هو أخطر من هذا كله وهو انتشار الخرافات والخزعبلات والأساطير .

ثم يقول رئيس اللجنة التى وضعت هذا التقرير وجمعت هذه الإحصاءات ما يلى :

« إن التقارير والإحصائيات فى لجنة التخطيط تؤكد أن انتشار مثل هذه الخرافات أدى إلى وجود كثير من الطاقات المعطلة فى الميدان الاجتماعى . ولو استطعنا أن نستغل حب الناس للدين لتوجيههم وتثقيفهم ، لاستطعنا

أن تقضى على هذه الخرافات وتقضى معها على الطاقات المعطلة »[1].

ونعتقد أن ما أوردناه من تقارير وإحصاءات وتعليقات فيه كفاية لإدراك ما لهذا الانحراف وهذه الجهالة من الخطر، وإدراك ما يجب أن يعمله الفكر الديني لتقويم هذا العوج ودفع هذا الشر المنكر الخطير عن العقيدة وعن المجتمع .

* * *

بعض رجال الفكر الديني ، وبعض المشتغلين بالشئون العامة والطرق الصوفية يرون مجاراة العامة في هذه الأمور ، على رغم إنكارهم لها .

وإلى هؤلاء أسوق هذه الكلمات ، التى تصور موقفهم ، وتتكفل بتفنيده :

[قال سبحانه « ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذن لمن الظالمين »[2]

ونحن نقرأ هذا التشديد والوعيد ونسمعه من القارئين ، ولا نزدجر عن اتباع أهواء الناس ومجاراتهم على بدعهم وضلالاتهم ، حتى إنك ترى الذين يشكون من هذه البدع والأهواء ، ويعترفون ببعدها عن الدين ، يجارون أهلهم عليها ، ويمازجونهم فيها .

وإذا قيل لهم فى ذلك قالوا : ماذا نعمل ... ؟ ما فى اليد حيلة ... ! العامة عمى ، آخر الزمان . وأمثال هذه الكلمات هى جيوش الباطل ، تؤيده وتمكنه فى الأرض ، حتى يحل بأهله البلاء ويكونوا من الهالكين .

وأعجب من هذا أنك ترى هؤلاء المعترفين بهذه البدع والأهواء ينكرون على منكرها ، ويسفهون رأيه ، ويعدونه عابثاً أو مجنونا إذ يحاول مالا فائدة فيه عندهم . فهم يعرفون المنكر ، وينكرون المعروف ، ويدعون - مع ذلك - أنهم على شئ من العلم والدين .

وأعجب من هذا الأعجب أن منهم من يرى إزالة هذه المنكرات والبدع . ومقاومة هذه الأهواء والفتن : جناية على الدين ... ! ويحتج على هذا بأن العامة تحسبها من الدين، فإذا أنكرها العلماء عليهم تزول ثقتهم بالدين كله ، لا بها خاصة . ! ! وبأنها لا تخلو من خير يقارنها ، كالذكر الذى يكون فى المواسم والاحتفالات التى تسمى بالموالد ، وكلها بدع ومنكرات حتى إن الذكر الذى يكون فيها ليس من المعروف فى الشرع][1] . وهذه هى كلمة الحق الذى يجب أن يقولها المخلصون .

وقد قرأت وعلمت أن الحكومة منعت هذه المنكرات فى مولد السيدة زينب . فعسى أن تكون هذه بداية للقضاء عليها قضاءاً تاما فى جميع الموالد والبلاد .

محمود الشرقاوى
سكرتير التحرير

---

(١) التقرير والإحصاءات والتعليق — التى وضعناها بين اقواس - نشرت فى جريدة الأهرام بتاريخ ٨ فبراير ١٩٦٠ . (٢) ١٤٥ البقرة .

(١) الشيخ رشيد رضا : مجلة المنار ، ص ١٢٧ من الجزء ٧ .

آراء العلماء في الربا

لعالم باحث

انبعث فى هذه الأيام جدل طويل فى بعض المجلات الإسلامية بمناسبة فتوى أصدرها صاحب الفضيلة شيخ الأزهر ، أباح فيها للفرد المضطر أن يتعامل بالربا ليسد حاجته الضرورية — أما ما تحتاج إليه الدولة من قروض لتستعين بها على صلاح شئونها ، فيرجع الأمر فى تقدير الحاجة إلى أهل الرأى ، وما يرونه من المصلحة .

وكأن شيخ الأزهر قد أتى ـ بهذه الفتوى ـ أمرا إدا يفترى به على الإسلام ، أو أنه قد أحل للناس الحرام .

وقد بدا فى جدل هؤلاء الذين اعترضوا على فتوى الشيخ أنهم قد أرسلوا كلامهم بغير تحقيق علمى . ولا إدراك للمصلحة : عامة كانت أو خاصة ، على حين أن الأمر فى نفسه خطير يحتاج إلى طول البحث ، والأناة فى الدرس ، على أن يتولى ذلك علماء محققون يعرفون ماذا يقولون، ويدركون عاقبة مايقررون ! .

ذلك بأن الذى يتصدى لهذا الأمر يجب عليه قبل كل شيء : أن يبين للناس ما هو الربا القطعى الذى جاء القرآن بتحريمه ، وماهو الربا الظنى ؟ وهل الربا الذى يجرى عليه التعامل بين الناس اليوم هو هو الربا القطعى الذى كان العرب فى الجاهلية يتعاملون به ، بحيث يقع من يتعامل به تحت طائلة الوعيد الإلهى الفظيع للذين يأكلون الربا ؟ أو هو غيره ؟ وإذا كان هو : فماذا يصنع المسلمون الآن وقد قذفتهم تيارات النظم الاقتصادية العصرية فى الوقوع فى بليته حتى أصبحوا لا يستطيعون أن ينقذوا أنفسهم منها ؟ وما هو المخرج وبلادنا قد صارت بوضعها الاجتماعى كحلقة فى سلسلة التعامل الاقتصادى العالمى لا يمكن لها أن تنفك منها ، وقد دفعها الاضطرار إلى مجاراة غيرها فى نظمها ؟ وما هو موقف الإسلام تلقاء هذا الاضطرار الذى وقع فيه أهله ، وهو الذى يوافق مصالح الآخرين به فى كل زمان ومكان ؟ وهل وضع قواعد وأحكاما تخرجهم مما يقعون فيه من الحرج فى مثل هذا الأمر ؟ وهل تتغير الأحكام بتغير الزمان ؟ وما الحكم فيما إذا تعارض النص والمصلحة ؟ ثم هل روعى بعد ذلك كله نهضة بلادنا بعد الثورة : وحاجتها إلى

القروض لإصلاح شأنها، وأن هذه القروض لا يمكن الحصول عليها إلا بالفائدة أى بالربا ؟.

كل ذلك لم يعرض له الذين اعترضوا على فتوى شيخ الأزهر وإنما وقفوا جميعاً عند نقطة واحدة وهى قولهم كما يقول العوام : إن الربا كله حرام! وأن ما أفتى به شيخ الأزهر يخالف أحكام الإسلام .

ولو أنهم درسوا هذا الأمر على نور ما ترمى إليه أغراض الدين ونظروا فيه إلى ما تقتضيه فى هذا العصر مصالح المسلمين ، لانتهوا إلى إقرار شيخ الأزهر على ما أفتى به .

إن أمر الربا قد درسته بعض الحكومات الإسلامية فى هذا العصر الدراسة الواجبة الصحيحة وقدرت الضرورة قدرها لكى تخرج أممها من العسر الذى وقعوا فيه ، فأباحوا لها التعامل بالربا ، وكذلك فعلت حكومتنا عند ما رأت أن الضرورة تقضى عليها بالاقتراض بالربا .

على أننا بعد ذلك كله نسائل الذين يقفون اليوم فى وجه فتوى شيخ الأزهر ، ومن على شاكلتهم عن رأيهم فى أمر هذه الحكومات التى قررت التعامل بالربا بعد أن رأت الضرورة ماسة إليه والحاجة الملحة تدعو إليه .

هل يقفون فى وجه هذه الأمم حتى ترجع عن أن تتعامل بالربا ؟ وهل يكفرونها إذا لم ترجع إلى رأيهم ؟ .

إنهم إذا كفروها بما تصف ألسنتهم بأن هذا حلال وهذا حرام فإن تكفيرهم إياها ، يمتد ولا ريب إلى حكومتنا ، لأنها تعقد القروض الضخمة كل يوم لإصلاح مرافقها - وإنشاء مصانعها ، وشراء القمح وغيره لغذاء أهلها وكل هذه القروض - كما هو معلوم - تأخذها بالفائدة (أى بالربا) فهى واقعة إذن لا محالة على قولهم فيمن تقع عليهم لعنة الله - والعياذ بالله .

* * *

وإنا نأتى هنا بنظرة فى الخطبة التى ألقاها الأستاذ العالم الشيخ عبد العزيز جاويش فى المؤتمر الذى عقد فى سنة ١٣٢٦ هـ بقاعة مدرسة عبد العزيز[1] لأن السياق يقتضيها :

ذلك أنه بعد أن ذكر ما قرره كبار العلماء من أن الربا القطعى المحرم لذاته هو (ربا النسيئة) قال :

إن أمامنا أمرين : الأول : أن نتابع جماعة المسلمين فى تحريم الربا القليل احتياطا أو تحرز[2] كما حرمنا الكثير المضاعف

---

(١) ألقيت هذه الخطبة فى ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٢٦ هـ .

(٢) ذكر الشيخ جاويش فى هذه الخطبة أن الربا الذى ليس فيه مضاعفة - كأن يحصل القرض بفائدة قليلة ، لم يؤخذ تحريمه من الكتاب الكريم ، وإنما أخذ من القاعدة الأصولية القاضية بإعطاء القليل حكم الكثير سدا للذرائع وإغلاقا للباب ص ١٢ من كتاب ميزان الذهب .

بعبارة القرآن الكريم ، والمخرج إذن من هذه الشدة التى كادت تزهق النفوس أن نلجأ إلى المقارنة الشرعية ...

الثانى : أن نقتصر على تحريم ما حرم الله فى كتابه — وهو ربا النسيئة المضاعف الذى نزل فى القرآن ، وليس فى العرب إذ ذاك ربا سواه . وهنا نخالف الجمهور بحكم العقل أو بحكم الضرورة ، فنتجاوز عما قل من الفائدة التى لا تماثل الدين قدراً ولا تؤدى إلى غبن المدين غبنا فاحشاً . كما فعلت الحكومتان الإسلاميتان العثمانية والفارسية. وأن القول بتكفير مستحل هذا النوع القليل ينبنى عليه تكفير خلفاء المسلمين وفقهائهم وعلمائهم ؛ فإن قضاة الترك الشرعيين فى البلاد العثمانية يقومون بتنفيذ الأحكام فى البلاد التى تحت رياستهم ! فليتأمل المسلمون فيما عسى أن تكون عاقبتهم ، وليتدبروا ، فإن الخطر وراءهم محيط [1] .

وهذه كلمة صغيرة استخرت الله فى كتابتها خدمة لدينى ولبلدى وللمسلمين عامة أرجو أن تتفضل مجلة الأزهر بنشرها لعلها تجد آذانا صاغية وقلوبا واعية .

قال ابن كثير فى تفسيره : باب الربا من أشكل الأبواب على كثير من أهل العلم .

وقال أحد العلماء الكبار : ليس فى الشريعة الإسلامية مسألة مدنية وقع فيها الخلاف والاضطراب منذ العصر الأول ، وما زالت تزداد إشكالا وتعقيداً بكثرة بحث العلماء ، إلا مسألة الربا — أما ما جاء فى النصوص القرآنية فيها فبين كالشمس لا مجال للشبهات فيه، وأما السنة العملية القطعية فيها فهى تنفيذ لحكم الكتاب الإلهى ، وأما الأحاديث النبوية القولية فهى قسمان : —

الأول : نص صحيح الرواية قطعى الدلالة فى حصر الربا فيما حرمه الله منه فى كتابه وهو (ربا النسيئة) الذى لم تكن العرب تفهم منه غيره ؛ لأنه هو المعروف عندهم دون غيره وهو حديث أسامة المرفوع المتفق عليه «لا ربا إلا فى النسيئة» هذا لفظ البخارى ولفظ مسلم (إنما الربا فى النسيئة) .

الثانى : نهى النبى عن البيوع التى قد تؤدى إليه لسد الذريعة دون ارتكابه كنهيه صلى الله عليه وسلم عن خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية سداً لذريعة الزنا المحرم بنص كتاب الله تعالى وهو حديث عبادة [1] وغيره وهو الذى سموه ربا الفضل .

---

(١) ص ١٤ و ١٥ من نفس المصدر .

(١) حديث عبادة بن الصامت رواه الشيخان ونصه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة ، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح ، مثلا بمثل، سواء بسواء ، يدا بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد » ، ورواه مسلم =

هـذا هو الربا بنوعيه كما بينه بعض العلماء المحققين - ولـــكن الذين أولعوا بتكثير الأحكام فى الحلال والحرام، وضعوا لأنفسهم قواعد للاستنباط ومناطات التشريع أدمجوا بمقتضاها الربا المحرم القطعى بالنص الإلهى - المتوعد عليه فيه بالوعيد الشديد لما فيه من الضرر الفظيع والظلم العظيم - فى البيع المنهى عنه لسد الذريعة، ومنهم من سوى بينهما - ولم يكتفوا بذلك بل وضعوا بآرائهم أحكاماً جديدة فى الربا ليس فيها نص من الشارع، قطعى ولا ظنى، ولا تتفق مع أصول الدين ولا حكم التشريع - وبذلك كثروا مسائل الربا وخرجوا بها عن محيط المعقول والمنقول معا، فجعلوها من التعبديات التى لا تثبت إلا بنص صريح قطعى من الشارع ا. هـ.

ربا الجاهلية المحرم بالقرآن:

ولا بد لنا هنا من أن نبين ما هو الربا الذى كان معروفا عند عرب الجاهلية وجاءت الآيات القرآنية بتحريمه تحريما قاطعا.

إن اللام فى الربا هى للعهد وأشير بها إلى ما هو المتعارف عند نزول القرآن بينهم أى ربا الجاهلية.

روى ابن جرير الطبرى عن مجاهد [1] أنه قال فى الربا الذى نهى الله عنه [2].

كانوا فى الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدين فيقول: لك كذا وكذا وتؤخر عنى فيؤخر عنه.

وقال ابن جرير: وإنما قيل للمربى مرب، لتضعيفه المال الذى كان على غريمه حالا، أو الزيادة عليه فيه لسبب الأجل الذى يؤخره إليه فيزيده إلى أجله الذى كان له قبل حل دينه عليه، ولذلك قال جل ثناؤه: «يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة». وبمثل الذى قلنا، قال أهل التأويل.

وقال أيضا عند الكلام على قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة، واتقوا الله لعلكم تفلحون» (ص ٥٥ ج ٤).

عن مجاهد فى قول الله عز وجل: «يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة» قال: (ربا الجاهلية) حدثنى يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: سمعت ابن زيد يقول فى قوله: «لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة»

= عن أبى سعيد الخدرى ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلا بمثل يدا بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطى فيه سواء.

(١) قال قتادة وخصيف: أعلمهم بالتفسير مجاهد وقال ابن جريج لأن أكون أسمع من مجاهد أحب إلى من أهلى ومالى، قال مجاهد: ربما أخذ لى ابن عمر بالركاب - أى بركابه.

(٢) فى تفسير قوله تعالى: «الذين يأكلون الربا» إلخ.

كان أبى يقول : إنما كان الربا فى الجاهلية ، فى التضعيف وفى السن : أن يكون للرجل فضل دين فيأتيه إذا حل الأجل فيقول له : تقضينى أو تزيدنى ، فإن كان عنده شىء يقضيه قضى ، وإلا حوله إلى السن التى فوق ذلك ، فإن كانت ابنة مخاض [1] يجعلها ابنة لبون [2] فى السنة الثانية ثم حقة [3] ثم جذعة ثم هكذا وفى المعنى (الذهب والفضة) يأتيه فإن لم يكن عنده أضعفه فى العام القابل ، فإن لم يكن عنده أضعفه أيضا ، فتكون مائة فيجعلها إلى قابل مائتين ، فإن لم يكن عنده جعله أربعمائة يضعفها له كل سنة أو يقضيه قال : فهذا قوله : « لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة » .

وقال القرطبى فى مسائل آيات البقرة من تفسيره المشهور (جامع أحكام القرآن) الرابعة عشرة) قال تعالى : « إنما البيع مثل الربا » أى أن الزيادة عند حلول الأجل آخرا كمثل حل الثمن فى أول العقد - وذلك أن العرب كانت لا تعرف ربا إلا ذلك ، فكانت إذا حل دينها قال للغريم . إما أن تقضى وإما أن تربى ، أى تزيد فى الدين ، فحرم الله سبحانه ذلك ورد عليهم قولهم بقوله الحق : « وأحل الله البيع وحرم الربا » .

وروى مالك عن زيد بن أسلم فى تفسير آية آل عمران قال :

كان الربا فى الجاهلية أن يكون للرجل على الرجل حق إلى أجل فإذا حل قال : أتقضى أم تربى ؟ فإن قضاه أخذه ، وإلا زاده فى حقه وزاد الآخر فى الأجل .

قول ابن القيم فى الربا :

ثم قال المفسر المحدث الفقيه الأصولى ابن قيم الجوزية فى كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين ما نصه :

الربا نوعان : جلى وخفى ، (فالجلى) حرم لما فيه من الضرر العظيم ، (والخفى) حرم لأنه ذريعة إلى الجلى . فتحريم الأول قصداً ، وتحريم الثانى وسيلة .

فأما الجلى فربا النسيئة ، وهو الذى كانوا يفعلونه فى الجاهلية ، مثل أن يؤخر دينه ويزيده فى المال ، وكلما أخره زاد فى المال حتى تصير المائة عنده آلافا مؤلفة وفى الغالب لا يفعل ذلك إلا معدم محتاج - وبذلك - يشتد ضرره وتعظم مصيبته . . إلخ .

وأما ربا الفضل ، فتحريمه من باب سد الذرائع لما يخافه عليهم من ربا النسيئة وذلك أنهم إذا باعوا درهما بدرهمين ، ولا يفعل

---

(١) ابنة المخاض ابنة الحول ودخلت فى الثانية .

(٢) اللبون ولد الناقة إذا استكمل الثانية ودخل فى الثالثة .

(٣) الحق ما كان من الإبل ابن ثلاث سنين ودخل فى الرابعة والأنثى حقة .

هذا إلا للتفاوت الذى بين النوعين ، إما فى الجودة وإما فى السكة وإما فى الثقل والخفة وغير ذلك ، تدرجوا بالربح المعجل فيها إلى الربح المؤخر وهو عين ربا النسيئة . وهذه ذريعة قريبة جدا ، فمن حكمة الشارع أن سد عليهم هذه الذريعة ومنعهم من بيع درهم بدرهمين نقدا ونسيئة ، فهذه حكمة معقولة وهى تسد عليهم باب المفسدة .

وقال الفخر الرازى ص ٥٨ - ج ١ عن ابن عباس : إنه كان لا يحرم إلا ربا النسيئة ، وكان يجوز ربا النقد (كأن يباع إردب قمح بإردبين) ، وحجة ابن عباس أن قوله : « وأحل الله البيع » يتناول الدرهم بالدرهمين نقداً ، وقوله « وحرم الربا » لا يتناوله ؛ لأن الربا عبارة عن الزيادة وليست كل زيادة محرمة بل قوله تعالى : « وحرم الربا » إنما يتناول النقد المخصوص الذى كان مسمى فيما بينهم بأنه ربا .

يعلم من ذلك كله أن الربا الذى كان يتعامل به العرب فى جاهليتهم ليس بينه وبين دين الربا الذى يتعامل به الناس اليوم أى سبب فلا هو مثله ولا هو يشبهه .

التنبيه : فما هو الربا القطعى الذى حرمه الله :

ظهر لك مما بيناه قبلا أن الحق فى الربا الذى نهى الله تعالى عنه فى كتابه ، وتوعد فاعله بما لم يتوعد بمثله على ذنب آخر — أنه ربا النسيئة الذى كان معروفا فى الجاهلية كما قال من ذكرنا عباراتهم : من أعلام العلماء لا بمجرد التعبد بالآراء والأقوال ممن لا تعد آراؤهم وأقوالهم حجة بإجماعهم وإجماع الأمة كلها .

الربا الذى ليس فيه مضاعفة :

علمت مما تقدم أن الربا الذى كان معروفا فى الجاهلية إنما هو ربا النسيئة المضاعف وأما الربا الذى ليس فيه مضاعفة — كأن يحصل القرض بفائدة قليلة لم يؤخذ تحريمه من الكتاب الكريم وإنما أخذ من القاعدة الأصولية القاضية بإعطاء القليل حكم الكثير سدا للذرائع وإغلاقا للباب بالمرة .

ومعلوم أن قاعدة إعطاء القليل حكم الكثير سدا للباب ليست القاعدة الإجماعية أى لم يجمعوا عليها .

كلمة حاسمة فى هذا الأمر الخطير :

عند ما اشتدت الحركة الوطنية سنة ١٩٠٧ ضاق صدر الإنجليز بها ، وأرادو أن ينتقموا من أهالى مصر بسببها فأوعزوا إلى عميدهم اللورد كرومر إلى جميع البنوك فى مصر بأن يسحبوا أموالهم ولا يتعاملوا مع المصرين فحدثت أزمة مالية شديدة خنقت البلاد خنقا ففكر بعض العلماء النابهين أن يعالجوا هذا

الأمر الخطير فعقدوا مؤتمرا بقاعة مدرسة عبد العزيز وألقوا فيه خطبا رائعة بحثوا فيها مشكلة الربا التى تأخر المسلمون فى اقتصادهم بسببها لعلهم يخرجون بحل لهذه المشكلة يبيح إنشاء بنوك تفرج ما وقع الناس فيه من ضيق . وكان من كبار من خطبوا فى هذا المؤتمر الشيخ عبد العزيز جاويش وحفنى ناصف ـ والسيد رشيد رضا ـ رحمهم الله جميعا ، وكانت خطبة هذا السيد فى يوم ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٢٦ بهذه القاعة ـ وقد قال حفنى ناصف عن هذه الخطبة :

إنها أحسن ما سمعته فى هذا المقام وإنها على إيجازها يصح أن تكون فصل الخطاب (١)

خطبة العلامة الكبير السيد محمد رشيد رضا: (٢)

إن الله تعالى قد حرم ربا النسيئة الذى كانت عليه الجاهلية تحريما صريحا ، ونهى عنه نهياً مؤكداً ، وورد فى الأحاديث الصحيحة تحريم ربا الفضل والنهى عنه .

فالبحث فى هذه المسألة من وجهين :

الوجه الأول : النظر فيها من الجهة النظرية المعقولة فنقول :

إن كل ما جاء به الإسلام من الأحكام الثابتة المحكمة فهو خير وصلاح للبشر ، وموافق لمصالحهم ما تمسكوا به ، ولكن من الناس من يظن أن إباحة الربا ركن من أركان المدنية لا تقوم بدونه ، فالأمة التى لا تتعامل بالربا لا ترتقى مدنيتها ولا يحفظ كيانها ! وهذا باطل فى نفسه ، إذ لو فرضنا ، أن تركت جميع الأمم أكل الربا فصار الواجدون فيها يقرضون المعدمين قرضا حسنا ، ويتصدقون على البائسين والمعوزين ويكتفون بالكسب من موارده الطبيعية كالزراعة والصناعة والتجارة والشركات ومنها المضاربة ـ لما زادت مدنيتهم إلا ارتقاء ببنائها على أساس الفضيلة والرحمة والتعاون . . وقد قامت للعرب مدنية إسلامية لم يكن الربا من أركانها فكانت خير مدنية فى زمنها ــ فما شرعه الإسلام فى منع الربا هو عبارة عن الجمع بين المدنية والفضيلة ــ وهو أفضل هداية للبشر فى حياتهم الدنيا .

الوجه الثانى : النظر فيها من الجهة العملية بحسب حال المسلمين الآن فى مثل هذه البلاد ، فإننا نرى كثيرين يوافقوننا على أنه لو وجد للإسلام دول قوية وأمم عزيزة تقيم الشرع وتهتدى بهدى القرآن ـ لأمكنها الاستغناء عن الربا ، ولكانت مدنيتها بذلك أفضل ! فلا اعتراض على الإسلام فى تحريم الربا ، لأن شرعه لا يمكن أن يبيح الربا وهو دين غرضه تهذيب النفوس ، وصلاح حال المجتمع ، لا توفير ثروة بعض الأفراد من أهل الأثرة .

---

(١) ص ١٢٦ من كتاب ميزان الذهب .

(٢) ألقيت هذه الخطبة النفيسة من ستين عاما وكأنها ألقيت اليوم .

ما هو الحل لحياتنا الحاضرة :

ولكنهم يقولون : إننا نعيش فى زمن ليس به أمم إسلامية ذات دول قوية تقيم الإسلام ، وتستغنى عمن يخالفها فى أحكامها ، وإنما قام العالم فى أيدى أمم مادية قد قبضت على أزمة الثروة فى العالم حتى صارت سائر الأمم والشعوب عيالا عليها ، فمن جاراها منهم فى طرق كسبها - والربا من أركانه - فهو الذى يمكن أن يحفظ وجوده معها ومن لم يجارها فى ذلك انتهى أمره بأن يكون مستعبداً لها ! فهل يبيح الإسلام ، لشعب مسلم هذه حاله مع الأوروبيين كالشعب المصرى أن يتعامل بالربا ليحفظ ثروته وينميها فيكون أهلا للاستقلال ؟ أم يحرم عليه ذلك والحالة حالة ضرورة - ويجب عليه أن يرضى باستنزاف الأجنبى لثروته ، وهى مادة حياته ؟.

هذا ما يقوله كثير من مسلمى مصر الآن : والجواب عنه - بعد تقرير قاعدة : أن الإسلام يوافق مصالح الآخذين به فى كل زمان ومكان - من وجهين ، يوجه كل واحد منهما إلى فريق من المسلمين :

أما الأول : فيوجه إلى فريق المقلدين - وهم أكثر المسلمين فى هذا العصر ، فيقال لهم : إن فى مذاهبكم التى تقلدونها مخرجا من هذه الضرورة التى تدعونها - وذلك بالحيلة التى أجازها الإمام الشافعى - الذى ينتمى إلى مذهبه أكثر أهل هذا القطر ، والإمام أبو حنيفة الذى يتحاكمون على مذهبه كافة [1] ومثلهم فى ذلك أهل المملكة العثمانية التى أنشئت فيها مصارف (بنوك) الزراعة بأمر السلطان [2] - وهى تقرض بالربا المعتدل مع إجراء حيلة المبايعة التى يسمونها المبايعة الشرعية .

---

(١) كان المصريون حينئذ يتحاكمون فى الأمور الشرعية على مذهب أبى جعفر .

(٢) كان مسلمو البوسنة والهرسك قد أرسلوا إلى المشيخة الإسلامية بالدولة العثمانية ، يسألونها رأيها فى إنشاء مصرف إسلامى ببلادهم سد الحاجيات البلاد واحتفاظا بمصالحهم الاقتصادية - وسبب هذا السؤال أن إنشاء المصارف من المسائل المختلف عليها فى الشريعة الإسلامية فأحيل هذا السؤال على باب الفتوى الجليلة ، فصدرت من لدنها ٢٨ شوال سنة ١٣٢٨ هـ الجواب المهم الآتى : « إن السؤال المقدم من فخر الدين دفير فيك بتاريخ ١٠ شوال سنة ١٣٢٨ هـ المتضمن بيان المحسنات والفوائد الكثيرة العائدة من إنشاء المصارف بالممالك الإسلامية ، والمستفهم عن جواز أو عدم جواز إنشائها الذى سبق أن أحاله فضيلة شيخ الإسلام على دار الفتوى ، قد قرىء - وبعد الاطلاع على النصوص الشرعية حررنا الجواب الآتى :

إن مشايخ الإسلام السابقين قرروا أنه ما دامت الأموال المودعة بهذا المصرف ، والتى تستقرض أو ترد ، والمبالغ التى تؤخذ أو تترك بأى صورة ، ما دامت تعود بربح قليل وتسير حسب إحدى الطرق التى نص عنها فقهاؤنا الكرام ، فهى والحالة هذه محللة ص ٢٥ ، ٢٦ ج ٣ مجلة الهداية .

وفى قاموس القوانين ص ٤٦٣ طبعة محمود بك أن الدولة العثمانية أباحت للقضاة أن يحكموا بالفائدة بشرط أن لا تبلغ مثل الدين الأصلى .

وأما الثاني : فيوجه إلى أهل البصيرة في الدين ، الذين يتبعون الدليل ، ويتحرون مقاصد الشرع فلا يبحثون لأنفسهم لخروج عنها بحيلة ولا تأويل ، فيقال لهم :

إن الإسلام كله مبني على قاعدة اليسر ، ورفع الحرج والعسر ، الثابت بنص قوله تعالى : « ٢ : ١٨٥ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقوله « ٥ : ٦ ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج » .

وأن المحرمات في الإسلام قسمان :

الأول ما هو محرم لذاته لما فيه من الضرر وهو لا يباح إلا لضرورته — ومنه ربا النسيئة ، المتفق على تحريمه ، وهو مما تظهر الضرورة إلى أكله ، أي إلى أن يقرض الإنسان غيره . فيأكل ماله : ضعافا مضاعفة كما تظهر في أكل الميتة وشرب الخمر أحيانا .

والثاني ما هو محرم لغيره : ـ كربا الفضل المحرم لئلا يكون ذريعة وسدا لربا النسيئة وهو يباح للضرورة — بل وللحاجة كما قاله الإمام ابن القيم وأورد له الأمثلة من الشرع . فقسم الربا إلى جلي وخفي وعده من الخفي .

ما يجب على الأفراد :

فأما الأفراد من أهل البصيرة فيعرف كل من نفسه هل هو مضطر أو محتاج إلى كل هذا .

كيف تحل ضرورة الأمة للتعامل بالربا :

الربا وإيكاله غيره ـ فلا كلام لنا في الأفراد ـ وإنما المشكل تحديد ضرورة الأمة أو حاجتها ـ فهو الذي فيه التنازع ، وعندي أنه ليس لفرد من الأفراد أن يستقل بذلك ـ وإنما يرد مثل هذا الأمر إلى أولي الأمر من الأمة أي أصحاب الرأي والشأن فيها ، والعلم بمصالحها عملا بقوله تعالى في مثله من الأمور العامة (٤ : ٨٣) : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » .

والرأي عندي أن يجتمع أولو الأمر من مسلمي هذه البلاد ـ وهم كبار العلماء والمدرسين والقضاة ورجال الشورى ، والمهندسون والأطباء ، وكبار المزارعين والتجار ، ويتشاوروا بينهم في المسألة ثم يكون العمل بما يقررون أنه قد مست إليه الضرورة ، أو ألجأت إليه حاجة الأمة هـ .

خاتمة :

بذلك نختم هذه الكلمة بنتائج ما بيناه فيها مع ذكر آيات وأحاديث وقواعد أصولية استنبطها فحول العلماء من الشريعة الإسلامية لاتصالها بما بيناه من قبل ولكي ينتفع القراء بها :

قال الله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

وقال الله تعالى : « ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج » .

وقال الله تعالى : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » .

وقال الله تعالى : « قد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لاضرر ولاضرار) رواه مالك فى الموطأ مرسلا وأحمد وابن ماجه ،

وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم :

قواعد (1) .

المادة ١٧ — المشقة تجلب التيسير ، يعنى أن الصعوبة تصير سببا للتسهيل ويلزم التوسيع فى وقت المضايقة : يتفرع على هذا الأصل كثير من الأحكام الفقهية كالقرض والحوالة والحجز وغير ذلك ، وما جوزه الفقهاء من الرخص والتحقيقات فى الأحكام الشرعية مستنبط من هذه القاعدة .اهـ

١٨ — (الأمر إذا ضاق اتسع) ، يعنى أنه إذا ظهرت مشقة فى أمر يرخص فيه ويوسع .

٢١ — (الضرورات تبيح المحظورات) (الضرورات تقدر بقدرها(2))

(1) من المجلة التى تحتوى على القوانين الشرعية بالدولة العلية الصادرة فى غرة المحرم سنة ١٢٨٦هـ .

(2) تقرير الضرورة للفرد يرجع إلى نفسه وإيمانه وتقديرها للجماعة يرجع إلى أهل الرأى فيها .

باب المصلحة أوسع من باب الضرورة .

٣٢ — (الحاجة تنزل منزلة الضرورة) عامة أو خاصة ، ومن هذا القبيل تجوز البيع بالوفاء لما كثرت الديون على أهل بخارى مست الحاجة إلى ذلك فصار مرعياً .

٣٩ — (لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان .

قواعد أصولية من غير المجلة :

١ — أساس الشريعة الإسلامية « درء المفاسد وجلب المصالح » .

٢ — العلة فى تحريم كل حرام هى المضرة فى (الدين أو النفس أو العقل أو العرض أو المال) فما لاضرر فيه لايحرم .

٣ — أساس المعاملات فى الشريعة : أن كل محرم ضار وكل نافع حلال .

المحرم لذاته ـ وهو ما كان ضارا بذاته ـ إذا كان مما يضطر إليه ، كأكل الميتة ولحم الخنزير وشرب الخمر ، ومنه ربا النسيئة ، يباح للضرورة .

٤ — والمحرم لسد الذريعة كرؤية الطبيب لعورات الرجال والنساء لأجل التداوى أو رؤية المرأة الأجنبية يباح للمصلحة الراجحة ولا يشترط فيه الضرورة .

٥ — جرى الأستاذ الإمام (محمد عبده) فى مناظراته القولية والكتابية :

على أن الإسلام قد جاء بإصلاح يوافق مصلحة البشر فى كل زمان . وهذا التوفيق ينبنى على ما جاء فى كتاب الله وسنة نبيه التى مضت بالدوران مع المصلحة فى كل حال بحسبها لا على ما جاء فى كتب الفقهاء .

٦ ـــ قاعـــدة للإمام مالك : وجوب الاستمساك بظواهر النصوص فى العبادات ، ومراعاة المصلحة العامة ومقاصد الشرع فى أحكام المعاملات .

حديث غير صحيح :

قبل أن نفرغ من إيراد ما اخترناه من الآيات القرآنية والقواعد الأصولية نقول : إن رجال الدين جميعاً يجرى على ألسنتهم عند ما يتكلمون فى الربا ، حديث يعتبرونه صحيحاً وهو غير صحيح ذلك الحديث هو :

(كل قرض جر نفعاً فهو ربا) .

* * *

هذه عجالة بينا فيها الربا فى الإسلام كما حققه فحول العلماء ، وأنهم قد خرجوا فى تحقيقهم إلى أنه ينقسم قسمين : قطعى وظنى وأن القطعى هو (ربا النسيئة ، وهو الذى كان يتعامل به العرب فى جاهليتهم وحرمه الله تحريما قاطعا ـ وهذا الربا غير الربا الذى يتعامل به الناس اليوم بغير شك وهو محرم لذاته ويباح للضرورة .

وربا ظنى وسموه ربا الفضل ـ وهو محرم لسد الذريعة ـ ويباح للمصلحة الراجحة وبينا كذلك : كيف السبيل إلى خروج المسلمين الآن من حرج التعامل بالربا الذى أصبح من النظام الاقتصادى العالمى واضطر المسلمون إلى اتباع هذا النظام ؛ لأنه صار ضرورة من ضروريات الحياة وإذا لم يتبعوه أصبحوا أذلة ضعفاء بين الأمم وأتينا بالقواعـــد الأصولية التى وضعها الإسلام لحل مشكلة الربا بعد أن أصبحت بلوى عامة حتى يتحقق القول : بأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان وأنه لا يقف فى سبيل أى نظام ما دام نافعا للناس وليس فيه ضرر .

وأنه بما أوردناه فى كل ذلك يكون ما أفتى به شيخ الأزهر هو ما يجب العمل به فى هذا العصر ، وأنه لم يخرج فى فتواه عن قواعد الإسلام وما يريده الله من اليسر على عباده ، وأنه ما يريد أن يجعل عليهم فى الدين من حرج ، وأنه لم يكن بدعا فيما أذاعه على الناس ، بل هو مؤيد فى ذلك بما قرره كبار العلماء فى هذا الأمر منذ عشرات السنين ، هدانا إلى الصراط المستقيم . ووفقنا إلى ما فى الخير والصلاح إنه سميع مجيب ؟ .

الآثار الأدبية فى إنتاج الفلاسفة

للدكتور محمد غلاب

احتفظ مؤرخو الحركات الأدبية العالمية بمكان فسيح من مؤلفاتهم لعدد من الفلاسفة فى عصور مختلفة مهما تكن النظريات التى عالجوها دقيقة عميقة . ومنشأ ذلك إما أن أولئك الفلاسفة قد صاغوا نظرياتهم فى صور أدبية خالصة كالقصائد والمحاورات والروايات والمسرحيات والأساطير ، وإما أن أساليبهم بسحرها وفتنتها ووضوحها — قد تلألأت فى سماء الأدب فاحتلت فيها منزلة رفيعة جديرة بالاعتبار .

نعم ، إن هناك فريقا من الفلاسفة — كالمدرسيين فى العصور الوسيطة ، واسبينوازا وكانت ، وهيجيل ، ومن إليهم — كانت منتجاتهم مفرطة فى التجريدية والجفاف ، معراة من الرشاقة الأدبية . وهؤلاء يؤلفون جماعة منعزلة ، ولكن تاريخ الفلسفة الطويل الحافل يفيض فى كل العصور بالفلاسفة المغرمين بالفن الأدبى ، المفتونين بالأساليب الأنيقة ، والتعبيرات الرشيقة . فالفلسفة الإغريقية فى العصور الأولى تقدم إلينا فلاسفة من أفذاذ الشعراء كأمبيدوكليس ، وبارمينيديس وإكسينوفانيس الذين لا يكاد الباحث ينظر فى منتجاتهم حتى تتجلى أمامه أعمق النظريات الفكرية ، يتضوع من عباراتها شذا الشعر الفاتن أو يعبق من أساليبها عبير النثر الساحر . فمن هؤلاء مثلا بارمينيديس ، إذ أن منتجاته العقلية تنحصر فى قصيدته الفلسفية الكبرى التى عنوانها « عن الطبيعة » ، والتى أخضع فيها النظريات العويصة الشديدة التعقد للألفاظ السلسة السهلة ، وصاغها فى قصيدة بديعة التنظيم رشيقة التنسيق ، جذابة الأسلوب ، محتوية على كثير من التشبيهات الخيالية والاستعارات والمجازات ، ولكن بهيئة احتفظت للحقيقة الفلسفية بجوهرها الكامل . ولا ريب أن فى هذا برهانا ناصعا على أنه لم يكن فى مذهبه الفلسفى متموجا ولا متلجلجا ، وإنما كان متمكنا من آرائه ، قابضا على زمام أفكاره .

تتألف هذه القصيدة من مقدمة ومقالتين :

ففى المقدمة يحدثنا الشاعر الفيلسوف فى أسطورة شيقة عن صعوده فى مركبته إلى السماء والتقائه بابنة الشمس أو إلهة الحقيقة وإرشادها إياه إلى ما يبغيه من الوصول إلى اليقين وفى المقالة الأولى يعرض فكرة الموجود ويبسطها ويحللها ثم يستنتج منها المحامد

التى يجب أن يمتاز بها . ولا ريب أن طبيعة البحث المثبتة فى هذه المقالة أميل إلى النظر العقلى ، وأكثر صعودا نحو التجرد . ولهذا كان ما ورد فيها من طرائق الجدل ، وعناصر الفكر ، ومبادىء المنطق جديدا مبتكرا إلى حد حمل الباحثين على القول بأن المؤسس الأول للجدل العقلى هو پارمينيديس . وقد بقيت من هذه المقالة شذرات كثيرة استطاع النقاد بفضلها أن يكونوا عن آراء هذا الفيلسوف النظرية فكرة لا بأس بها .

وفى المقالة الثانية يبسط آراءه عن العالم الحس وعن كيفية إدراكه . ولا شك أن هذه المقالة الثانية هى أكثر شرحا لعالم الحس . وطريقة معرفته ، وقيمة العلم به إلى جانب العالم العقلى ، ولكن الشذرات التى بقيت من هذه المقالة ضئيلة مبتورة لم تمكن العلماء من إصدار حكم صريح على آراء پارمينيديس فى عالم المحسات .

ولما كانت الناحية الأدبية هى التى تعنينا هنا ، وكانت مقدمة هذه القصيدة هى اللوحة الأمينة لشاعرية هذا الفيلسوف والصورة الصادقة لمنزلته الأدبية ، فقد أردنا أن ننقل لك منها نموذجا لتقف على خيال هذا الشاعر والروح الشعرية عنده . وإليك هذا النموذج :

« إن الجياد التى كانت تجر مركبتى تقلتنى إلى حيث كان حماسى يشتهى ، إذ أنها أصعدتنى إلى الطريق الماجد ، طريق الآلهة ، ذلك الطريق الذى يقتاد العلماء من الفانين إلى أعمق جميع الأسرار ... وكانت فتيات ترشدنا فى سيرنا ، وهن بنات الشمس اللواتى غادرن دار الليل إلى دار النور ، واللواتى زحزحن الحجب بأيديهن من فوق أفوادهن ، وكان الصفير يسمع من محاور العجلات التى تكاد تلتهب فى مراكزها ؛ لأن الحركة الدائرية كانت تضغطها من الجانبين كلما ضاعفت الجياد سرعتها ، وكانت العناية التى يتجه إليها سيرنا هى المكان الذى يوجد فيه بابا طريق الليل والنهار ... ولما كانت العدالة الحازمة هى التى بيدها مفاتيح هذين البابين ، فلم يكن من أولئك العذارى إلا أن اتجهن إليها بعبارات عذبة وأقنعنها فى مهارة بأن تزحزح رتاج الباب ففعلت وانفتحت العضاضتان على مصاريعهما بعد أن دارت الرزات فى إثقوبها ، وعلى الفور دفعت العذارى المركبة والجياد فى سهولة من هذا الباب ، فاستقبلتنى الإلهة استقبالا حسنا ، وتناولت يدى اليمنى ووجهت إلى هذه العبارات : أيها الشاب أنت الذى ترشدك قائدات من الآلهة ، استمع فليس مصيرا مشئوما ذلك الذى جاء بك إلى هذا الطريق المجهول من الأناسى ، وإنما هو العدالة والقانون . وينبغى أن تحيط بكل شىء فتعرف الفكرة المضبوطة عن الحقيقة البعيدة

عن الخطأ ، وتعرف الآراء العابثة التى تحتل رءوس الأناسى ، والتى لا تسودها أية عدالة ، وهكذا تعرف كيف يجب أن تحكم على كل شىء بطريقة متزنة » .

أما عملاق الفلاسفة الأكبر ، وأستاذهم الأمجد أفلاطون ، فقد كان فى عصره سيد الكتاب بلا منازع ، وحسبنا أن نشير هنا إلى قول أحد معاصريه عنه : « لكأنى بالنحلة تصب جناها على لسان أفلاطون » . ومما لا ريب فيه أن محاوراته الفلسفية التى نيفت على الثلاثين ، تعتبر من عيون النثر الفنى الراقى الذى ترك فى العالم الأدبى آثارا ليس فى مكنة الزمان محوها أو النيل منها ، وذلك بسبب رفعة مبانيها ، وسمو معانيها ، وصورها الأخاذة . ولا غرو فإنه — بفضل هذه الصور الأدبية الرائعة التى كانت ولا تزال تفيض بالحيوية — قد استطاع أن يمنح أعمق النظريات وأعوص الفكر من السهولة واليسر ما جعلها فى متناول العقليات العادية . وفى هذا يقول عنه أحد النقاد الأقدمين : « لو أن مذهب أفلاطون كتب بغير أسلوب أفلاطون لما فهم منه أحد شيئا » .

بلغ الفن الحوارى عند أفلاطون من الكمال حداً رفعه إلى مرتبة الصف الأول من كتاب العصور الأثرية كما كان أول أعلام العقل بلا منازع . ولا ريب أن هذا الكمال المرموق طالما كان موضع محاكاة ، ولكنه لم يكن البتة موضع مساواة ، لا بين الكتاب ولا بين الفلاسفة .

تمتاز محاورات هذا الحكيم بأنها مشتملة — فى أكثريتها الغالبة — على قوة حيوية جديرة بالملاحظة والتسجيل ، وبأنها أشد ما تكون واقعية ودنوا من الحياة العملية رغم ما تعزوه الكافة إلى مؤلفها من الانغماس فى الأخيلة والأحلام . ومن آيات ذلك أن المفكرين الذين يضع على ألسنتهم آراء خصومه هم أشخاص حقيقيون عاصروه أو عاصروا أستاذه سقراط وناقشوهما مناقشات واقعية ، وكان لهم حقا نفس تلك المذاهب التى عزاها أفلاطون إليهم . وتلك خطة لها دلالتها وقيمتها ، إذ هى ترمى إلى تسجيل مذاهب ذلك العصر وتحليلها ، وتمحيصها ونقدها ، وتأييد الصالح منها ، ونقض الفاسد ، وتقويض ما فيها من معاقل الزيف وحصون الضلال .

ومما لا ينبغى الإغضاء عنه هنا أن هذه المحاورات الشيقة التى تتخذ إما صور المآسى العميقة ، وإما صور المهازل الرشيقة ، تعنى أتم العناية وأقصاها برسم الزمان والمكان وتصوير الأحداث والظروف والأشخاص تصويراً دقيقا محدوداً لا تعزب عنه أية واقعة مهما صغرت ولا يغيب عنه أى تفصيل مهما ضؤل . وتلك هى نهاية الفن الرائع ، وقصوى درجات الاقتدار الساطع . ومن

دلائل تلك الدقة تصويره أصدقاء سقراط ، إذ يقدم إلينا مثلا كريتون صديق سقراط منذ الطفولة ، وهو شخص عظيم الوفاء إلى حد البذل والفدائية ، ولكنه قوى العاطفة ، سريع الانفعال ، شديد التأثر بما يحوطه من أحاسيس الحياة لا يملك مشاعره عند اصطدامه بأحداثها ووقائعها مما لا يلتئم مع فطرة سقراط الرزينة الهادئة . ولذا هو يوجه إليه العبارة التالية : « أوه يا عزيزى كريتون . إن حماسك كان يمكن أن يكون أكثر تقديراً لو أنه كان أشد تعقلا » .

وكذلك هو يصور لنا فيدون تلميذاً وديعاً عطوفاً يجلس إلى جانب قدمى سقراط فى ساعاته الأخيرة . فيرسم لذلك الموقف صورة خليقة بأن تستمطر العبرات من العيون .

ومما تجب العناية به هنا أن أفلاطون فى هذه المحاورات يقـدم إلينا لوحة أمينة ناطقة بالصور الواقعية لشباب أثينا المترف المثقف الذى يمتاز بكثير من الخلال الساحرة والصفات الفاتنة كالصفاء والذكاء ، والبساطة والنشاط ، والتحمس ، للنقاش . والتأهب للحوار ، والشغف بسماع دروس مشاهير الأساتذة أياً كانت مذاهبهم وآراؤهم . ومن نماذج هؤلاء الشبان خارميديس ، وليسيس ، وفيدوروس ، وهيبوكراتوس الذى يصوره لنا المؤلف مهرولا إلى منزل سقراط عند الفجر ليدعوه إلى سماع بروتاجوراس ولكنه لما كان يعلم شعور هذا الحكيم نحو السوفسطائيين ، كان يختلج فى نفسه شىء من الاضطراب . ومن ثم فإنه حين يسأله ماذا ينتوى أن يفعل بسماعه بروتاجوراس يجيب وقد احمر وجهه من الخجل قائلا : « إنه من الواضح أنى أفكر فى أن أصير سوفسطائيا » .

ومما يلفت النظر فى هـذا المقام نزاهة أفلاطون بإزاء خصومه لاسيما السوفسطائيين الذين صورهم فى محاوراته فأجاد تصويرهم إلى حد أن خيل إلى القارىء أنه قد بعث شيوخهم من مراقدهم ، وحال بين شبابهم وبين الفناء فكانت محاوراته بالنسبة إليهم كأنها يد القدر التى خطت لهم سطور الخلود .

وأبدع ما يسترعى الانتباه فى شأن هؤلاء الأعلام ، أن فيلسوفنا قد خلد معهم فصاحتهم وبلاغتهم ، وأدبهم الرائع ، وأسلوبهم الساطع ، وبيانهم الساحر ، وحوارهم الباهر ، وأنه لم يغمطهم من حقوقهم كبيرا ولا صغيرا ، فاعترف بمجدهم وسجل امتيازاتهم ، وسلك بإزائهم أعدل المسالك وأنبلها . ولم يحارب منهم سوى الجوانب المفعمة بالأخطاء والأضاليل ، وطالما أثبت على ألسنتهم أرق الصيغ وأرشق العبارات ، وأبدع المعانى وأعمق الدلالات . ولقد أجاد تحليل آرائهم ، وتعيين مذاهبهم ،

وعزا إلى كل منهم ما صدر عنه موزونا بالقسطاس المستقيم الجدير بتلميذ سقراط وحامى الفضيلة ، ورافع علم الأخلاق .

ومن الدقة التى تبهر عين العقل النافذ أن هؤلاء السوفسطائيين الذين رسمهم حكيمنا فى محاوراته لا يتماثلون فى أى شىء سوى إجماعهم على جحود الحقيقة العامة المطلقة ، واتفاقهم فى الهزيمة أمام منطق سقراط .

وإذا غادرنا الفلسفة الإغريقية واتجهنا إلى الفلسفة اللاتينية ألفيناها تقدم إلينا تحفا من الشعر كتلك القصيدة الشهيرة التى صاغ فيها الشاعر الموهوب لوكريس مذهب أستاذه إبيقور لجلاء تجلية جديرة بالإعجاب . وكذلك لا نستطيع أن نغضى عن شيشيرون الذى بذل جهود الجبابرة فى أن ينحى عن الفلسفة المجادلات المجردة ، وجعل يعلم مواطنيه فى محاضراته الفصيحة ، ومنتجاته البليغة ، روح الفلسفة الإغريقية وآراءه الخاصة فى معانيها ومراميها .

وإذا تركنا الأقدمين وعرجنا على فلاسفة الإسلام ، ألفينا بين منتجاتهم السحر الساحر ، والفتنة الفاتنة ، وليس عليك إلا أن تلقى نظرة عاجلة على النصوص ، أو المدينة الفاضلة ، أو التوفيق بين الحكيمين للفارابى ، أو على القصيدة العينية لابن سينا ، أو رسائل إخوان الصفاء ، أو حى بن يقظان لابن طفيل ، فإنك ستهتف معنا قائلا : « إن من البيان لسحرا » .

ولقد كنت أحب أن أقف بك هنيهة عند رسائل إخوان الصفاء ؛ لأقدم إليك نموذجا من نماذج الرشاقة والأناقة ، والعذوبة والرقة والدقة ، ولكن المجال لا يسمح لى الآن بهذه الوقفة ، وهو يكرهنى على مغادرتها دون توفيتها ما تستحقه من عناية . وحسبى أن أقول عنها : إن كل تصوير لها لابد أن يشتمل على قصور أو تقصير ، غير أننا لا نود أن نغادر هذا المجال دون أن نقف بك وقفة وجيزة عند قصة « حى بن يقظان » التى بلغت من الروعة حداً فتن كتاب الأوربيين ودفعهم إلى محاكاتها ، وإليك هذه الوقفة :

تأثر ابن طفيل فى مبانى الرسالة بخيال ابن سينا ، وتأثر فى معانيها وآرائها بمذاهب : أرسطو ، والفيثاغورية والأفلاطونية الحديثتين ، فجاءت هذه الرسالة خيالية شيقة فى صورتها وأسلوبها ، فلسفية عميقة فى موضوعها ومراميها على نحو رسائل أفلاطون والأفلاطونية الحديثة التى كان مؤلفوها يصوغونها فى صيغ أساطير قديمة ، ويضعون لها أبطالا يجرون على ألسنتهم آراءهم وآراء خصومهم . أما غاية المؤلف من هذه الرسالة فلم تكن - كما فهم عبد الواحد المراكشى -

محاولة عرض كيفية بدء الخلق أو بيان أصل النوع الإنسانى فيما يرى الفلاسفة ، وإنما غايته الأساسية هى إيضاح رأيه فى كيفية المعرفة ، وهو يتلخص فى أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى إدراك الحقائق ولو كان قد نشأ فى عزلة تامة ، ولم يتلق أية ثقافة خارجية ، ولم يخضع لأقل أثر من غيره إلا أثر العقل الفعال الذى ينير عقله ، وكذلك يستطيع أن يدرك هذه الحقائق ويتذوقها إذا لقنه غيره إياها ، ولكن على شرط أن يكون هذا الإنسان من الخاصة الذين منحتهم السماء موهبة فلسفية كحى بن يقظان بطل رواية فيلسوفنا الذى أدركها وحده ، وكصديقه (أسال) الذى أدركها أولا بوساطة الدين ثم بوساطة (حى) وذلك لأن العامة ليس لديهم الاستعداد لإدراك هذه الحقائق ؛ ولأن المجهود الذى يبذل فى تهذيبهم يذهب عبثا كما ذهب مجهود (حى) وصاحبه فى تهذيب أهل الجزيرة الأخرى .

بدأ ابن طفيل بعد فراغه من المقدمة ، فى الرواية نفسها ، فأوجد لنا حى بن يقظان من غير أب ولا أم ، أو من إحدى الأشجار التى تثمر أطفالا ، أو من سيدة ضن بها شقيقها عن أن يزوجها من غير كفء ، فأحبت شابا يدعى « يقظان » وتزوجت منه سراً فكان « حى » ثمرة هذا الزواج ، ولكن السيدة خشيت بطش شقيقها ، فوضعت الطفل فى صندوق ثم ألقته فى البحر ، فقذفت به الأمواج إلى جزيرة غير مأهولة عند خط الاستواء [1] ، وهناك ساقت إليه الأقدار ظبية كانت قد فقدت ولدها فسمعته يصرخ ، فحنت عليه وأخذت ترضعه حتى شب ونضج بين الوحوش . وفى تلك الجزيرة أعقب المؤلف على بطل روايته أطوار المعرفة المختلفة التى تبدأ بإدراك الحسيات ثم تنتقل منها إلى إدراك المعقولات المؤثرة فيها ؛ وهذا الرأى يتناسب بلا ريب مع حالة الطفل الساذج الناشئ فى جزيرة موحشة ، ولكنه أيضاً متأثر برأى أرسطو الذى يتخذ الطبيعة وسيلة إلى إدراك ماوراء الطبيعة ، ويستخدم المحسات فى فهم المعقولات .

ولقد أحدث هذا الكتاب فى عالم الفكر ضجيجا عظيما : فى البيئات العربية كان مصدراً هاما لنظرية التوحد التى بدأها ابن ماجة ونماها ابن طفيل . وفى البيئات الأوربية فاز هذا الكتاب أيضا بحظ عظيم من الاهتمام فترجمه إلى العبرية موسى الناربونى فى منتصف القرن الرابع عشر ، وترجم إلى

(١) تعمد ابن طفيل أن يضع بطل روايته فى جزيرة عند خط الاستواء ؛ لأنها هى المنطقة المعتدلة فى رأيه حتى لا يخضع الطفل لآثار الإفراطات الجوية ، ولكن العلم الحديث أثبت أن منطقة خط الاستواء ليست كما فهم هذا الفيلسوف .

اللاتينية بوكوك الانجليزى ونشره فى أكسفورد مع النص العربى فى سنة ١٦٧١م ثم فى سنة ١٧٠٠م ثم ترجمت هذه الترجمة اللاتينية إلى اللغة الانجليزية مرتين ، ثم ترجم النص العربى إلى الانجليزية أيضا ونشر فى سنة ١٧١١م ولا ريب أن إحدى هذه الترجمات هى التى يسرت للكاتب الانجليزى « دانيل دى فويه » التأثر بخيال ابن طفيل حتى يحاكى رسالة حى ابن يقظان فينشئ فى سنة ١٧١٩م على غرارها راويته الفخمة « روبينسون كروزويه » Robinson Crusoë التى يشاهد فيها الباحث لوحة أمينة للرقى المنهجى والعواطف الأخلاقية الملموسة فى رواية ابن طفيل .

وترجم هذا الكتاب إلى اللغة الهولاندية فى سنة ١٦٧٢م . وقد ترجمه إلى الألمانية « بريتيوس » فى سنة ١٧٢٦ م ثم ترجمه إلى نفس اللغة « إيشون » فى سنة ١٧٨٣ م .

وإذا ودعنا عصر الفلسفة الإسلامية ، ونظرنا فى فلسفة النهضة الأوربية والفلسفة الحديثة ، ألفينا أن الفلاسفة الإنسانيين لا سيا الأفلاطونيين منهم كارسيل فيسان أو الشاعر العظيم : بيترارك ، قد عادوا إلى تجديد العلائق الوثيقة بين الفلسفة والأدب وكذلك ألفينا أن « خطابة على المنهج » لـ « ديكارت » Descartes و « الفكر » لـ « باسكال » Pascal ينتميان إلى الأدب بقدر ما يعالجان الفلسفة .

أما القرن الثامن عشر فإن جميع فلاسفته كانوا يحرصون على أن يكونوا من الأدباء حرصهم على الانتساب إلى أهل الفكر ، وقد نجحوا فى هذا نجاحا باهرا ، إذ من ذا الذى يجحد فى عالم الأدب والفلسفة كليهما ، أسماء : لوك ، وفولتير ، وديديرو ، وجان جاك روسو ، ومونتيسكيو وغيرهم ؟ .

وكذلك فى القرنين التاسع عشر والعشرين استمر الفلاسفة يكتبون للكافة ، لا للصفوة كما كان الفلاسفة المتزمتون يفعلون وجعلوا يعنون بالصور الأدبية عناية فائقة ولطالما — سطعت فى هذين القرنين أسماء الأدباء المفكرين الذين تبسطوا فى دراسة عدد وفير من نظريات عصرهم : الواقعية والروحية ، والتوفيقية والتلفيقية والتطورية ، والبراجمية ، والبيرجسونية ، والوجودية وما إلى ذلك . ومن هذه الأسماء اللامعة : « رينان » و « تين » و « اسبنسر » و « فيكتور كوزان » و « نيتشه » و « لاميتيه » و « پول بورجيه » ، الذى عالج فى رواياته آراء « تين » و « مارسيل بروست » ، الذى صير البيرجسونية فى متناول عقلية الكافة .

وأخيرا « پول سارتر » الذى بسط تفاصيل المذهب الوجودى فى رواياته ومسرحياته .

الدكتور محمد غلاب

الإسلام فى تايلاند

للأستاذ عطيه صقر

فى شبه جزيرة الهند الصينية ، وبين ممالك كمبوديا ولاوس وبورما تقع مملكة كانت تعرف باسم «سيام» ، ثم عرفت بعد سنة ١٩٣٩ م باسم تايلاند Thailande ومعناه بلاد الأحرار . وتبلغ مساحتها نحو ٥٢١ر٥٣١ كيلو متراً مربعا ويروى أرضها نهران هما : ميكونج ومينام ، ويبلغ عدد سكانها نحو ٢٣ مليونا كما جاء فى إحصاء سنة ١٩٥١ م . وهم خليط من السياميين الأصليين الذين يكونون الأغلبية الساحقة ، ومن الصينيين الذين يبلغون نحو ٣ ملايين ، ومن الأوربيين الذين يقرب عددهم من ٥٠ ألفا أغلبهم فرنسيون .

وبين هذه الملايين يعيش نحو ثلاثة ملايين من المسلمين ، كما قدر عددهم وزير خارجية تايلاند فى تصريحه بمؤتمر باندونج ١٩٥٥ م . ويعيش أكثرهم فى الولايات الأربع الجنوبية ، وتوجد منهم جماعات صغيرة منبثة فى ضواحى الولايات الوسطى يبلغون نحو ٢٠٠ ألف ، وفى العاصمة «بانجكوك» يوجد حوالى ١٠٠ ألف مسلم .

والدين الغالب فى البلاد هو البوذية ، ويوجد عدد من المسيحيين اعتنقوا هذه الديانة مؤخرا بجهود المبشرين ، ولكنهم يقلون كثيرا عن المسلمين .

وقد دخل الإسلام هذه المملكة من طريقين : الصين والأرخبيل المالايزى . وقد انتشر الإسلام بوضوح أيام الفتح المغولى الذى حكم الهند من سنة ١٥٢٦م إلى ١٨٥٧م ويقول أحد المستشرقين : إن قبائل «شامس» التى أنشأت مملكة «شاميا» ، جنوبى آنام حاليا ، كانت تدين بالإسلام عند ما أخرجها الصينيون والأناميون من البلاد ، وتعيش هذه القبائل الآن فى شبه الجزيرة وفى سيام ، ولكنها ارتدت إلى ديانتها البدائية ، ما عدا جماعة منهم تقيم شعائرها الإسلامية مع الاحتفاظ بالتقاليد البرهمية .

والنفوذ السياسى فى البلاد للبوذيين ، كما أن النفوذ التجارى للصينيين ، والمسلمون بين هؤلاء لم يصلوا إلى حقهم الكامل فى الناحية السياسية ، ومتخلفون جداً فى الميدان الاقتصادى . فكبار الموظفين من البوذيين ،

ولا يكاد مسلم يشغل وظيفة أو يلتحق بالكلية الحربية إلا إذا غير اسمه إلى اسم بوذى ، ولا يعرف باسمه الإسلامى إلا بين قومه وعشيرته ، والبرلمان الذى يقوم على مجلس واحد يضم ٢٤٠ عضواً ، لا يمثل المسلمين فيه إلا عضوان فقط ، ولو روعيت نسبة المسلمين وهى ١٥ ٪ من السكان ، لكان لهم فى البرلمان أكثر من ٣٠ عضوا .

وتقوم اقتصاديات المسلمين على الزراعة ومزاولة المهن البسيطة وبعض الوظائف ، فإن ٧٠ ٪ منهم يعملون فى حقول الأرز ومزارع المطاط ، و ٢٥ ٪ يعملون فى البساتين وصيد الأسماك والتجارة وشغل بعض الوظائف ، و ٥ ٪ منهم فى الجيش . والموجودون بالمدن يزاولون الحرف والصناعات البسيطة ، ويقيمون فى مساكن متواضعة ينقصها النظام والنظافة .

وتعين الحكومة ممثلا للمسلمين فى كل منطقة يكثر عددهم فيها ويسمى هذا الممثل بلغتهم Pard ham أى الرئيس . وهؤلاء الممثلون ينتخبون من بينهم المستشار الدينى العام ، ويسمى بلغتهم Ghula Rajmentrie وهو يعد شيخ الإسلام هناك . وقد جاء فى التقارير أن هؤلاء المستشارين يختارون غالبا من الطبقة الرجعية . وأنهم يدينون للحكومة بالطاعة والولاء ليضمنوا مراكزهم ، وهم لا يتدخلون مطلقا فى الشئون السياسية . بل لا يستغلون مركزهم فى نفع المسلمين ، فنشاطهم فى هذه الناحية محدود جداً أغضب عليهم أكثر المسلمين التقدميين . ويعاون هذا المستشار فى مهمته مجلس مكون من ١٢ عضواً على غرار المجلس الملى .

كما تدل التقارير أيضا على أن للمسلمين هناك اتجاهين : الأول يتزعمه طائفة يعرفون بالعلماء ، استمدوا ثقافتهم البسيطة من مكة وغيرها ، وعددهم كثير ، وأفقهم ضيق ، وتفكيرهم محدود ، لا يفهمون الإسلام على وجهه الصحيح ، فهم يحرمون مثلا تعلم اللغة الوطنية ، ولا يشجعون من التعليم أى نوع إلا التعليم الدينى البحت ، فحسب الإنسان ليفوز برضوان الله أن يديم تلاوة القرآن الذى لا يفهم معناه ، ولا يستطيع أن يطبق أحكامه بالطبع ، بل لقد بلغ من شره هذه الفئة — كما تقول التقارير — أنها توحى إلى التلاميذ بأن إكرام العلماء وبرهم بالهدايا والصدقات أولى وأفضل عند الله من إكرام الوالدين وصلة الأرحام ، ولذلك يؤثرونهم بالزكاة وما يستطيعون من قرب . وهذه الطائفة تحظى بعطف الحكومة التى ترى فى مسلكهم هذا رجوعا بالمسلمين إلى الوراء ، وزحزحة لهم عن معترك الحياة ، وهو ما يريده المسئولون وسادتهم الغربيون

الذين يلقنونهم هـذه الدروس ويرسمون لهم هذه الخطط .

والاتجاه الثانى: يتزعمه الشباب المثقف الذى يستمد ثقافته من باكستان وغيرها من البلاد التى أخذت بحظ من المدنية والتقدم ، وهؤلاء يريدون الإسلام نقيا من الخزعبلات والأضاليل التى يرمون بها الطائفة الأولى ، ويودون أن يكون منهم رجال ذوو شأن فى مضمار الحياة السياسية والاقتصادية كغيرهم من المواطنين ، وذلك عن طريق العلم وفروعه المتعددة ، وعن طريق الجد والكفاح والمغامرة ، ولكن ينقص هذه الجماعة الموارد المالية الكافية ووجود سند من النفوذ السياسى . وبين هاتين الطائفتين نزاع دائم وجدال مستمر حول مسائل لا تتصل بجوهر الدين كالصيام برؤية الهلال وبالحساب ... ويرى بعض المهتمين بالشئون الدينية أن هؤلاء الشباب يتصرفون على ضوء المذهب الأحمدى الذى أنشأه غلام أحمد القاديانى فى الهند وباكستان .

والتعليم العام فى البلاد إجبارى من سن السابعة إلى الثانية عشرة ونسبة الأمية ١٠٪ والمدارس كلها ـ سواء منها الحكومية والأهلية ـ تسير تبع المنهج الحكومى ، وهو يحرم تعليم أى دين فى أوقات الدراسة ، وإن كانت البوذية تلقى التشجيع الكبير عن طريق دراسة نصوصها فى منهج الأدب .

ومن هنا فكر المسلمون أخيرا فى تكوين جمعيات وإنشاء مدارس خاصة لهم ، غير أنه يتحتم على هذه المدارس أن تتبع المنهج الحكومى ، وألا تدرس الدين فى الأوقات المقررة للمناهج ، ويلتحق بهذه المدارس مسلمون وغير مسلمين ، وتتلقى إعانات من الحكومة ، وليس للمسلمين من حظ فى هذه المدارس إلا أنها تحت إدارتهم ، ويمكنهم أن يدرسوا الدين لأبنائهم فيها فى غير أوقات الدراسة ، ويعودوهم على أداء العبادات .

وقد أنشأ المسلمون لهذا الغرض ٣٠٠ مدرسة يتردد عليها نحو ٥٠ ألف تلميذ ، ويقوم بالتدريس فيها نحو ١٢٠٠ مدرس ، غير أن مستوى التعليم فيها ضعيف جداً ، وذلك لأن معظم المدرسين لا يحملون شهادات فنية عالية ، ولجهل المشرفين على المدارس وعدم فهمهم الفهم الصحيح لرسالة الإسلام ونفوذه إلى كل مناحى الحياة ، ولتشجيع الحكومة للبوذية وحدها دون الديانات الأخرى .

ولعدم كفاية هذه المدارس وعدم مرونتها يلجأ الكثيرون من أبناء المسلمين إلى المدارس الحكومية أو التبشيرية التى تصور الإسلام بصورة مشوهة لا تجد من يصححها ، وقد

أنشئت فى بانجكوك كلية إسلامية ، أرسل إليها الأزهر مناهج الدراسة للقسمين الابتدائى والثانوى .

والعطلة الأسبوعية فى هذه المدارس هى الأحد كالنظام العام ، إلا أنها فى الولايات الجنوبية يوم الجمعة ، وذلك لكثرة المسلمين هناك .

وتعليم البنات لا يلقى تشجيعاً من المسلمين مع شدة الحاجة إليه ، ذلك أن الشبان يلجئون إلى التزوج من البوذيات لثقافتهن ، واستطاعتهن القيام بالواجبات المنزلية ، وتطورهن مع العصر الحديث ، وقد عرف بعض المستنيرين هذه الحقيقة فأنشئوا أقساما للبنات فى بعض المدارس كمدرسة « رشكارون Rashkarone » ، وهى مدرسة تابعة لجمعية أنصار السنة الإسلامية ، نظام الدراسة فيها ٤ سنوات للمرحلة الابتدائية ، و ٣ سنوات للمرحلة الثانوية الأولى ، و٣ سنوات للمرحلة الثانوية الثانية ، ثم بعد ذلك سنتان للمرحلة الإعدادية للجامعة ، وبهذه المدرسة قسم داخلى للطلبة الوافدين من الأقاليم يتسع لنحو ٦٠ تلميذا ، وبها حوالى ٣٠٠ تلميذة من المسلمات وغيرهن .

واللغة السائدة فى البلاد هى السيامية ويتكلمها المسلمون كلغة رسمية ، كما أن اللغة الملايوية لها حظ من الانتشار ، ولكن بين الملايويين وفى بيوتهم ومعاملاتهم الخاصة ، أما اللغة العربية فحظها قليل جدا من التعليم والاستعمال ، وتوجد صحيفة إسلامية وحيدة تسمى « الهدى » يشرف عليها الشيخ إبراهيم قرشى .

والمسلمون هناك جميعهم سنيون يتعبدون على مذهب الإمام الشافعى ، مما يؤكد الصلة بينهم وبين سكان الأرخبيل الماليزى حيث ينتشر هذا المذهب . وفى وادى نهر ميكونج يعيش ¼ مليون مسلم يرجعون فى شئونهم الدينية إلى مجلس العلماء فى جاوة .

وهم يتحاكمون فى مسائل الأحوال الشخصية حسب القانون العام ، ولهم أن يطلبوا التحاكم إلى الشريعة الإسلامية ، فيكتب القضاة إلى ممثلى المسلمين يطلبون منهم الفتاوى فى المسائل التى تعرض عليهم . وتعدد الزوجات قليل فى المدن ويكثر نوعا فى القرى ، للحاجة إلى المعونة فى فلاحة الأرض . والطلاق نادر لأنه يعد عاراً كبيرا . وينقص المسلمين هناك مستشفى إسلامى ، ذلك أن المرضى يتحرجون من دخول المصحات الحكومية والتبشيرية ، لوجود التحيز والطائفية فى المعاملة ، ولعدم ملاءمة الأطعمة لهم . ومن مات فى هذه المصحات لا تجرى عليه الطقوس الإسلامية ، بل تدفن جثته بعد أن تحرق .

هذا وقد رأت الحكومات فى السنوات

الأخيرة أن تخفف من القيود المفروضة على الديانات الأخرى ، فتمكن المسلمون من مزاولة النشاط الديني بشكل أوسع ، فأكثروا من بناء المساجد والمدارس وإنشاء الجمعيات فهناك نحو ١٥٠ مسجدا نصفها فى العاصمة ، لكل مجموعة من الأسر مسجدها الخاص ، وبجواره مقبرة إسلامية . ويوجد هناك نحو ٢٤ جمعية ، غير أن أكثرها معطل من زمن بعيد ، ومن أهم هذه الجمعيات : —

١ - جمعية الإصلاح ، التى أسسها منذ نحو ٢٥ سنة الشيخ أحمد الخطيب ، وهو رجل مسن ويتمتع بنفوذ إسلامى واسع .

٢ - الجمعية السلفية ، التى أسسها أيضا الشيخ أحمد الخطيب ، لتدريس الكتاب والسنة ، ولها دار اجتماعات كبيرة ، وتدير مدرسة مشهورة ، ولها فرع خاص بالسيدات المسلمات ، لقى معارضة كبيرة من بعض المسلمين .

٣ - جمعية أنصار السنة الإسلامية ، التى أسست مدرسة رشكارون المتقدمة .

٤ - جمعية الشبان المسلمين .

وقد اندمجت هذه الجمعيات فى رابطة واحدة سميت : « رابطة مسلمى تايلاند » ، يرأسها الأستاذ عبد الوهاب عبد الله مصطفى ، وهو شخصية محترمة فى الوسط الإسلامى وبين الرؤساء ، وكان عضواً فى البرلمان ، ثم حرم من عضويته لما دعا فى المؤتمر الإسلامى بكراتشى - وكان رئيسا لوفد سيام - إلى واجب الدول المستقلة ، نحو الأقليات الإسلامية فى البلاد غير الإسلامية .

والواجب يحتم على المسلمين أن يعملوا شيئا لإنقاذ المسلمين هناك من الجهل الذى فرضه عليهم جماعة لم يفهموا الإسلام فهما صحيحا ، ولتصحيح الفكرة الإسلامية فى هذه المنطقة التى ينشط فيها المبشرون ، وللأخذ بيد القبائل البدائية التى تعيش فى المنطقة التى تسمى بالأراضى العالية ، حيث لا يوجد هناك مطلقا أى نوع من الإرشاد الدينى الصحيح ، ويتأكد هذا الواجب على الدول والشعوب القريبة من هذه البلاد ، والتى تستطيع أن تخاطب القوم بلغتهم بسهولة ، وتعالجهم على ضوء العادات والإمكانيات التى توجد هناك ، والأزهر هنا قد فتح أبوابه للوافدين من هذه الجهات ، وهو يعدهم إعدادا سليما يستطيعون به بعد عودتهم إلى بلادهم أن يكونوا مشاعل نور وهداية لإخوانهم الحيارى وسط التيارات ، التى تثيرها الأطماع الاستعمارية ، وتستغلها الإرساليات التبشيرية ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

عطية صقر
من علماء الأزهر
وبالمكتب الفنى للوعظ

العاطفة الدينية عند البارودي

للأستاذ علي العماري

ما بين سنتى ١٨٣٨ ، ١٩٠٤م عاش محمود سامى البارودى ، حياة حافلة بكل ما تمتاز به حياة رجل من عظماء الرجال ، وقد ذاق فيها النعيم ، والبؤس ، والضيق ، والخفض ، وارتفع إلى ذروة المجد ، ونزل إلى هوة السجن والأسر ، وكان — منذ نطق لسانه بالقريض — معبراً صادق التعبير عن كل خلجة من خلجات نفسه ، وكل ظاهرة مرت بأفق حياته ، ولهذا نعرف البارودى من شعره على صورة تنطبق تمام الانطباق على ما رواه لنا التاريخ من سيره وأخباره ، كما يقول :

فانظر لقولى تجد نفسى مصورة
في صفحتيه ، فقولى خط تمثال

وهذه آية الشاعرية الأولى لأن الشعر تعبير ، والشاعر هو الذى يعبر عن النفوس الإنسانية فإذا عجز عن وصف نفسه كان عن وصف غيره أعجز ، وكذلك ترى فى الديوان ترجمانا لكل خالجة من خوالج هذه النفس الشاعرة ، وأثرا من آثار حياته الظاهرة والباطنة ، فليس الذى فى الديوان شجاعة البارودى ومرحه وصبوته فحسب ، بل دهاؤه وإربته وحصافته التى حدثنا عنها التاريخ ، من ذلك وصاته : —

أكتم ضميرك عن عدوك جاهدا
وحذار لا تطلع عليه رفيقا
فلربما انقلب الصديق معاديا
ولربما رجع العدو صديقا

وإذا بلغ التوافق بين خلائق المرء وشعره هذا المبلغ ، فتلك آية التعبير الصادق المبين ، أو تلك آية الشاعرية ، والملكة الفنية ، — كما يقول الكاتب الكبير الأستاذ العقاد .

وقد كرر البارودى فى ديوانه المعنى الذى أشار إليه الأستاذ العقاد ، وهو أن شعره صورة لنفسه ، ومن ذلك قوله : —

تدبر مقالى ، إن جهلت خليقتى
لتعرفنى ، فالسيف يعرف بالإثر

وكان البارودى فى غنى ، ألا يسجل على نفسه هذا ، فإن فى شعره ما يحرص بعض الناس على ألا يعرفوا به ، ولكن الرجل كان صادقا ، وكان يؤثر أن تظهر نفسه على حقيقتها ، فطالما ذم النفاق والمنافقين : —

وفى الناس من تلقاه فى زى عابد
وللغدر فى أحشائه عقرب تسرى

إذا أمكنته فرصة نزعت به
إلى الشر أخلاق نبتن على غمر

كان البارودى من أبناء الجراكسة ، وهم آنذاك من أهل الخفض والنعيم ، قد واتتهم فرص الحياة ، وجرت لذاتها بين أيديهم كما يشتهون ، وقد انغمس أكثرهم فى هذه الحياة العابثة اللاهية ، ولكن هذا الفتى اليتيم ، الذى مات أبوه وخلفه فى السابعة من عمره ، عزف عن هذه الحياة ، وأخذ نفسه بحياة الجد ، ووجد بعد أن تخرج فى المدرسة الحربية ، ولم يجد عملا ، وجد فى كتب المتقدمين مرتعا لنفسه ، ومرتادا لهواه ، كما وجد فى أبناء الطبقة المتوسطة التى تأخذ نفسها بالفضيلة، وتعيش فى جو إسلامى محافظ ، وتتجافى عن سفاسف الأخلاق ، وعن تبذلات أبناء العلية ، وجد فى هذه الطبقة أصدقاء لروحه ، ووسطا لوائم أخلاقه وطبائعه . وما هو إلا أن وفد على مصر السيد جمال الدين الأفغانى، حتى كان البارودى أحد تلامذته ، وظل يتردد على هذا السيد الجليل فى منزله حتى روى من علمه، ومبادئه، وأخلاقه ، وتفرس السيد فى هذا الشاب الطموح المتوثب ، والمؤمن النقى العقيدة ، فأحبه ، وامتدحه ، وقال فيه كلمته المشهورة، التى تعتبر شهادة يعتز بها البارودى ، قال السيد الأفغانى عن البارودى : « هو أفضل من عرفت من المسلمين » .

وإذا رجعنا إلى شعر البارودى فى هذه الحقبة ، من أول شبابه إلى أن نفى إلى سرنديب ـ نجده يتضمن أنماطا من أخلاق، وربما كان بعضها يناقض بعضا . ولكن الذى يتعمق هذه الأشعار ، ليستخلص منها شيئاً للتاريخ ، يظهر له أن الرجل لم يحرم نفسه من طيبات الحياة . وربما أصاب شيئاً مما يتحرز عنه الرجل المتدين ، ولكن الشيء الذى لا ينكر أنه كان شديد الحفاظ على الأخلاق الفاضلة ، ذاكراً لشعائر الدين .

ونادى مناد للصلاة بسحرة
فأحيا الورى من بعد طى إلى نشر
فبادر لميقات الصلاة ومل بنا
إلى القصف ما بين الجزيرة والنهر
إذا قضينا واجب الدين حقه
فليس علينا فى الخلاعة من وزر

فهو يذكر الصلاة ، ويطلب إلى رفيقه المبادرة إليها ، ولكنه ـ مع ذلك ـ يأخذ حظه من الخلاعة ، مادام قد قضى واجب الدين حقه .

ولو استشرنا شعر البارودى لوجدنا أن هذه الخلاعة لا تعدو أن تكون لهواً مباحا ، فهو يحدث عن نفسه بأن شيمته تأبى الدنايا ، وأنه لم يأت فى الحب زلة تعاب عليه ، أو تغض من ذكره فى المحافل .

ولكننى طوفت فى عالم الصبا
وعدت ولم تعلق بفاضحة أزرى

بل يبالغ فيصف نفسه بانه لايرى عابثا ، ولا مزاحا ، ولا تصحب الفتاة الرواح ، وإنما يلهج بذكر الحرب ، وهمه فى طلاب العلا ، وأن سواه هو الذى يطرب بتحنان الأغاريد .

ويتحدث عنه كاتب مقدمة ديوانه ، ـ وهو عالم من علماء الأزهر ـ فيقول : « كان لايحب الفحش ، ولا ينطق به ، ولا يرضى أن يذكر أحد فى مجلسه بنقيصة ، ولا يذكر من أحوال من عاشرهم إلا المحاسن والفضائل ، ويقول ـ يعنى البارودى ـ : لا أجد بقلبى بغضا لأحد ولو أساء إلى .

ومن هنا نعلل قلة الهجاء فى ديوانه ، على أن ما جاء فيه من أهاج لم يعرف معها من قيلت فيهم .

ولا ينسى ، وهو يعدد أخلاقه ، أن يرسل هذه الكلمة :

وأخلصت للرحمن فيما نويته
فعاملنى باللطف من حيث لا أدرى

وهذه اللفتة تدلنا على مكان الإخلاص لله فى نفسه ، وأنها نفس لم تخل من صدق العاطفة الدينية .

وتخفق الثورة العرابية ، وينفى البارودى إلى جزيرة (سرنديب) ويبقى هنالك سبعة عشر عاما ، يتذكر ماضيه ، وأهله ، ووطنه ، ويسجل كل ذلك فى شعر قوى رصين .

والسن قد تقدمت به ، والجو الذى يعيش فيه ، جو محافظ لامجال فيه للهو ولا عبث ، ويشتغل هناك بالوعظ والإرشاد ، يخطب القوم ، ويعلمهم ، فيساعد كل ذلك على إبراز عاطفته الدينية ، قوية واضحة ، وتظهر هذه العاطفة ، فى معارض مختلفة ، وفى مناسبات متعددة ، فنرى اتجاهه إلى الله فى كثير من شعره ، ونرى أحاديث عن الزهد ، وأخيراً نجد مدحته الرائعة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإذا كان قبل النفى ، يناجى ربه فيقول :

لك الحمد إن الخير منك وإننى
لصنعك يارب السموات شاكر

فأنت الذى أوليتنى كل نعمة
وهذبتنى حتى اصطفتنى العشائر

فقرب لى الخير الذى أنا راغب
وباعدنى الشر الذى أنا حاذر

فليس لمن تقصيه فى الناس نافع
وليس لمن تدنيه فى الناس ضائر

ولا لامرئ ألهمته الرشد خاذل
ولا لامرئ أوردته الغى ناصر

فإنه بعد النفى يتوجه بكل نفسه إلى الله أن يخلصه مما فيه ، ويرى أن أمله فى الله هو كل شىء :

ولى أمل فى الله تحيا به المنى
ويشرق وجه الظن والخطب كاشر

إذا المرء لم يركن إلى الله فى الذى
يحاذره من دهره فهو خاسر

أو يقول :

يظننى من يرانى ضاحكا جذلا
أنى خلى وهمى بين أضلاعى
ولا وربك ما وجدى بمندرس
على البعاد ، ولا صبرى بمطواع
لكننى مالك حزمى ومنتظر
أمراً من الله يشفى برح أوجاعى

وإذا كان شوقى قد قال فى أول قصيدة قالها بعد رجوعه من المنفى يخاطب الوطن :

أدير إليك قبل البيت وجهى
إذا فهت الشهادة والمتابا
ولو أنى دعيت لكنت دينى
عليه أقابل الحتم المجابا

فيرتكب حماقة غريبة ؛ لأنه يلقى قصيدته فى حفل أقيم لتكوين جمعية للبر ، ومع ذلك يصرح أمام الجماهير بأنه يدير وجهه إلى وطنه قبل أن يديره إلى بيت الله الرحمن ، وأن دينه الذى يقابل عليه الموت هو الوطن ، مع أنه يقول فى آخر القصيدة (ولولا البر لم يبعث رسول) . إذا كان شوقى ارتكب هذه الحماقة فإن البارودى يقدم دينه على وطنه حيث يقول :

لم أقترف ذلة تقضى على بما
أصبحت فيه فماذا الويل والحرب
فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى
ذنب أدان به ظلما وأغترب

وهذا له دلالته النفسية على مدى العاطفة الدينية عند كل من الشاعرين .

وتتجلى عاطفته الدينية فى أصدق صورها فى مدحته التى عارض عارض بها البوصيرى فى مدح الرسول فإن حديثه فيها عن عواطفه حديث يزخر بانفعالات الشوق والحنين ، والحب ، نستمع إليه ، وهو يذكر لهفته على زيارة الرسول فيقول :

يا حادى العيس إن بلغتنى أملى
من قصده فاقترح ماشئت واحتكم
سر بالمطايا ولا ترفق فليس فتى
أولى بهذا السرى من سائق حطم
ولاتخف ضلة وانظر فسوف ترى
نورا يريك مدب الذر فى الألم
هذى مناى وحسبى أن أفوز بها
بنعمة الله قبل الشيب والهرم

ويقول فى موضع آخر :

تا لله ما عاقنى عن حيكم شجن
لكننى موثق فى رتمة السلم [1]

---

(١) السلم : الأسر : وهذا البيت ـ وله نظائر فى القصيدة ـ يدل على أنها قيلت فى المنفى ، فلا معنى لقول بعض الكاتبين إنه لا يعلم متى قيلت القصيدة لأن بعض أبياتها صريح فى أن البارودى كان فى سرنديب وقت إنشائها .

فهل إلى زورة يحيا الفؤاد بها
ذريعة أبتغيها قبـــل مخترمى

بل نرى هذا المعنى يستعلن فى قصيدة كلما سنحت له فرصة مما يدلنا على أنه صادر عن عاطفة قوية ، والشاعر المتكلف يجعل لكل معنى من القصيدة موضعا يبرزه فيها ، طبيعة الأعمال العقلية . أما المعانى العاطفية فهى تجىء دون تصنع أو تعمل ، وتظهر فى أثر الشاعر أو الكاتب كلما واتتها الفرصة للظهور ومن ذلك فى هـذه القصيدة مما يتصل بهذا المعنى ، أن البارودى بنى قصيدته على نظم السيرة المحمدية كما وردت فى سيرة ابن هشام فلما جاء إلى القصة المشهورة ، وهى الاختلاف فى وضع الحجر الأسود ، ورضى المختلفين بأول داخل عليهم ، ودخول محمد بن عبد الله مصادفة ، ورفعه الحجر ووضعه فى موضعه تفلت من البارودى هذه الأمنية :

يا ليتنى والأمانى ربما صدقت
أحظى بمعتنق منـه وملتزم

وقد علل البارودى ـ فى هذا الموضع ـ تقبيل الحجر الأسود ، بأن يد النبى مسته :

لو لم تكن يده مسته حين بنى
ما كان أصبح ملثوما بكل فم

وهو تعليل يدل على مدى حب الشاعر للرسول ، وإيمانه به .

هذا . وقد لفت نظرى وأنا أراجع ترجمة البارودى فى بعض البحوث التى كتبت عنه ، أن المترجمين له لم يعنوا بهذه الناحية فى شعره ، والذين ذكروها منهم لم يطمئنوا إلى صدورها عن طبيعة فى نفسه ، ولاسيما شعره فى الزهد ، فقد كتب أحد علماء الأزهر يقول : « فأما شعره فى الزهـد وغيره من الحكم والنصائح وما إليها ، فهو لا يمت إلى طبيعة فى نفسه ، إذ أن نفسه من النفوس التواقة الطاعيـة الطموح ، وإنما لجأ إليه بعد أن تحطمت فى يده سهام العظمة القاهرة ، والقوة القادرة ، كما يلجأ الذين تتقدم بهم السن ، ويحالون إلى المعاش ـ إلى العبادة والتزهيد فى الحياة ، على أن حكمه ومواعظه من النوع الذى ينشأ عن التجارب وطول الخبرة ومجاراة الأقدمين لا من الأنواع التى تولدها نظرات فلسفية وعلمية[1] .

وبعد ذلك بسنوات كتب أحـد أساتذة دار العلوم ، يردد نفس الفكرة ، ويقول ، «ولعل قوله فى الزهد يرجع إلى تلك الحالات النفسية التى غلبه فيها اليأس على أمره ، وهو وحيد شريد يعانى غصص الفراق والنفس ، وإلا فهـذه النفس الطموح التى خاطرت وغامرت وتطلعت إلى الملك وتلذذت وتنعمت بالحياة كانت بعيدة عن الزهـد فى الحياة ، ولعلها لم تزهد إلا مرغمة .

ومما يتصل بهذا الموضوع مدحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وحكمه على العموم قريبة

[١] مجلة الأزهر . المجلد الرابع عشر ص ٣٤١ .

المآخذ ليست فيها فلسفة عميقة ولا تدل على مذهب فى الحياة »[1].

والذى يتأمل ما قدمناه من ظروف الحياة التى عاش فيها البارودى ، ومن المؤثرات التى أثرت على نفسه ، ثم يطالع ديوانه فيرى أن الرجل كان فى كثير من حالاته عزوفا عن الملذات ، وكان — كما يقول — لا يميل إلى الوفر ، ولا يعد المال ربا :

رضيت من الدنيا وإن كنت مثريا
بعفة نفس لا تميـــل إلى وفر

ويرى أن المال لا ينفع صاحبه مالم تحمده العشائر ، وأن أسباب السيادة ليست بالغنى وأنه بلغ المكارم وهو عار من المال ، ولو أراد المال لجاءه وافراً ، ولكنه أبى ، أن يأتى ما يعاب به . أقول الذى يتأمل كل هذا يجد أن المعانى التى جاءت فى زهديات البارودى ليست غريبة عليه ، وما كان الطموح فى يوم من الأيام ليصرف شاعراً مثـــل البارودى عن حقائق الحياة ، وأنها زائلة ، وأن ما فيها من جاه ومال وشباب ، كل ذلك زائل .

حقيقة أن البارودى ردد ما يحكم به السن من وقار وبعد عن الهوى والضلال فجاء مثل قوله :

أبعد ستين لى حاج فأطلبها
هيهات ما لامرئ بعد الصبا حاج

إن ابن آدم فى الدنيا على خطر
لا يستقيم له ظـــل ومنهاج

لا أحفل الطير إن غنت وإن نعبت
سيان عندى صفار وشحاج

ومثل قوله :

بلغت مدى خمسين وازددت سبعة
جعلت بها أمشى على قدم الخضر

فكيف ترانى اليوم أخشى ضلالة
وشيبى مصباح على نوره أسرى

ولكن هذا يؤيد ما نراه من صدق العاطفة عنده ، ولا ينفيه ، لأن الإنسان إذا أدرك الحقيقة الكبرى فى الحياة ، ولو كان بعيداً عنها ـ والبارودى لم يكن بعيدا ـ فإن تعبيره عنها يتسم بالصدق ، ولا يمكن أن نقول : إن هذا التعبير لا يمت إلى طبيعته بصلة .

والذى عندى أن البارودى كان ذا عاطفة دينية قوية منذ صدر شبابه ، وأن طموحه وطلبه الملك وتنعمه بطيبات الحياة لا يتعارض مع هذه العاطفة ، فلما رمت به الأحداث فى المنفى كان لهذه العاطفة أن تظهر واضحة قوية ، لاسيما وقد غذاها البارودى بما ندب نفسه له من تعليم أهل سرنديب القرآن ، ووعظهم[1] وإرشادهم إلى الدين القويم .

[1] مجلة الأزهر . المجلد الرابع عشر ص ٣٤١ .

[١] ظهر أثر الوعظ فى معانى البارودى وأساليبه ، فجاء كثير من شعره كأنه خطب منبرية كما ظهر الاقتباس من القرآن كقوله :

يأيها الناس اتقوا ربكم
واخشوا عذاب الله والآخرة

واعتبروا من غفلات الهوى
واعتبروا بالأعظم الناخرة

وكما ظهر الاقتباس من الحديث الشريف .

وعجيب قول عالمنا الأزهرى : إن حكم البارودى من النوع الذى ينشأ عن التجارب وطول الخبرة لا من النوع الفلسفى ، وما هو النوع الفلسفى إن لم يكن ينشأ عن التجارب وطول الخبرة ، ومتى كانت هذه الحكم التى جاءت بها التجارب صادقة ، فهى النظرات الفلسفية التى تعتز بها الحكمة .

ثم من حكم البارودى حكم كثيرة تتصل بالحماسة والحرب ، وعلو الهمة ، وعزة النفس وما إليها ، فكيف ساغ لهذا الكاتب أن يرمى حكم البارودى جملة بأنها لا تمت بصلة إلى طبيعة نفسه .

وأخيراً نجد البارودى فى أخريات حياته يعكف على تهذيب شعره ، ويبدو أنه لم يرض عن بعضه ، يدلنا على ذلك تحرزه فى مقدمة الديوان من أن يؤخذ عليه شىء فى عقيدته ، فقد اعتذر عن إسناد الأفعال إلى الدهر ، حيث يقول : (وقد يقف الناظر فى ديوانى هـــذا على أبيات قلتها فى شكوى الزمان فيظن بى سوءا من غير روية يجيلها ، ولا عذرة يستبينها ، فإنى إن ذكرت الدهر ، فإنما أقصد به العالم الأرضى ؛ لكونه فيه من قبيل ذكر الشىء باسم غيره لمجاورته إياه كقوله تعالى : « واسأل القرية » أى أهل القرية .

ولا أقول هذا تبرؤا من الوهم ، ولا اعتمادا على صحة الفهم ، فإن المرء وإن كثر إحسانه لا يسلم من الزلة لسانه ، وقل من توغل فى حرجات[1] القريض فنجا أن يغص بالجريض) .

ونختم هذا الحديث بقول البارودى :

فاضرع إلى الله واستوهبه مغفرة
تمحو الذنوب ، فجانى الذنب يعتذر
واعجل ولا تنتظر توبا غداة غد
فليس فى كل حين تقبل العذر

وقوله فى آخر مدحته للرسول :

يا غافر الذنب ، والألباب حائرة
فى الحشر ، والنار ترمى الجو بالفدم
حاشا لفضلك وهو المستعاذ به
أن لا تمن على ذى خلة عدم
إنى لمستشفع بالمصطفى وكفى
به شفيعا لدى الأهوال والقحم
فاقبل رجائى ، فمالى من ألوذ به
سواك فى كل ما أخشاه من قحم
وصل رب على المختار ما طلعت
شمس النهار ولاحت أنجم الظلم
والآل والصحب والأنصار من تبعوا
هداه واعترفوا بالعهد والذمم
وامتن على عبدك العاصى بمغفرة
تمحو خطاياه فى بدء ومختتم

على العمارى

---

[١] الحرجات : الشجر الملتف ، والجريض : الريق الذى يغص به

أعداء العروبة والإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .
(قرآن كريم)

تسلل اليهود إلى الحجاز وأقاموا فى أماكن متفرقة فيه ينتظرون مجداً كانوا يحلمون به ، ونبوءة كانوا يتطلعون إلى تحقيقها ، وقد شيدوا حول المدينة القلاع والحصون ، وحالف بعضهم الأوس وبعضهم الخزرج على ما كان بين الأوس والخزرج من خلاف مستمر . وقتال يستحر بين الحين والحين ، بقصد أن يبقوا فى هذه الأماكن ، يثيرون الفتن ، ويحركون الدسائس ، ويسعرون نار الحرب بين هاتين القبيلتين لتبيدهما أو تضعفهما ، وبذلك تبقى لهم شوكتهم وقوتهم حتى يظهر النبى « الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » ، وكانوا يرجون أن يكون هذا النبى منهم ، فإذا ظهر وجدهم على أتم الأهبة والاستعداد لإقامة الملك الذى يحلمون به ، والدولة التى يتطلعون إلى قيامها ، وبذلك وبعد ذلك ينطلقون إلى الشمال والجنوب والشرق والغرب ، وينتقمون من أعدائهم الذين شردوهم وطاردوهم ، وكانوا لا يخفون عن أهل الكفر هذا الأمر إذا قامت بينهم ملاحاة وشعروا أمامهم بذلة الضعف أو الهزيمة ، بل كانوا يتعللون بأنه سيكون لهم عليهم الفتح والنصر كما يفهم من قوله تعالى : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » .

وكان كفرهم به استجابة للنزعة العنصرية المنحرفة التى عرفوا بها منذ عرفتهم الدنيا حتى الآن ، والتى دفعتهم إلى التحريف والتزييف فى التوراة ، فهم فيما يزعمون شعب الله المختار ، وهم فيما يزعمون « أبناء الله وأحباؤه » ، وهم مهما فجروا وغدروا يقولون « لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات » ، وعلى هذا الأساس الذى صنعه الوهم الكاذب لا يؤمنون

إلا بما أنزل عليهم ، فكيف يؤمنون بمحمد وهو عربي من ذؤابة العرب . وكيف يؤمنون بالقرآن وهو بلسان عربي وقد أنزل على إنسان عربي ... ؟ إنه لا يعنيهم أن تكون صفات هذا النبي مطابقة لما عندهم من حقائق صفاته في التوراة ، ولا يعنيهم أن يكون الكتاب الذي أنزل عليه « مصدقا لما بين يديه » من التوراة والإنجيل ، إنما يعنيهم أن يكونوا هم دون غيرهم المصطفين الأخيار ، وأن تكون لهم دون غيرهم القيادة والسيادة على الناس لأنهم شعب الله المختار ، « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله ، قالوا نؤمن بما أنزل علينا ، ويكفرون بما وراءه ، وهو الحق مصدقا لما معهم » .

ومن ثم شعروا بخيبة أمل مرة حين ظهر أن النبي ليس منهم ، وزاد شعورهم بالمرارة والخيبة حين رأوا العرب في المدينة يخفون إلى لقائه ويفرحون بمقدمه ، ويلتفون حوله ، ولكنهم كتموا - على الرغم منهم - هذا الشعور وأخفوه تحت ستار الملاينة والمداهنة ، وانتظروا يتربصون بالنبي وبالذين آمنوا به دائرة السوء .

وكان طبيعيا أن يطمع النبي في إسلامهم ؛ لأنهم أهل كتابه ، ولأن إيمانهم بكتابهم يقتضيهم أن يؤمنوا بما في الكتاب الذي جاء به لأنه مصدق لكتابهم ومطابق له في جملة ما اشتمل عليه من عقائد وقواعد ، ثم لأنهم على أي حال أقرب إليه من أولئك الذين يعبدون من دون الله ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر .

ورأى النبي صلى الله عليه وسلم - لأنه رسول السلام والإسلام - أن يعقد محالفة بين جميع سكان المدينة تجمعهم على الدفاع عنها والتضامن في حماية الأرواح والأموال فيها ، فكتب بهذه المحالفة صحيفة نص فيها على أن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وأن جميع سكان المدينة متضامنون في حماية الناس وصيانة أرواحهم وأموالهم ، وأنهم جميعا جبهة واحدة ضد من يعتدي عليهم ، وأنهم لا يصح لأحدهم أن يطعن الآخر بعقد صلح منفرد دون رغبته وعلمه ، وأن المدينة دار أمان للجميع إلا من ظلم وأثم ... إلخ .

ولكن ، متى كان اليهود أوفياء بالعهود وهم كما يقول الله فيهم : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض » .

لقد نشط المهاجرون المكيون في التجارة وأصبحوا ينافسونهم فيها حتى أوشكوا أن ينتزعوا منهم السيادة الاقتصادية ، فكيف يصبر هؤلاء على ذلك والمال عندهم هو الإله المطاع ...

وقد كف المسلمون عن التعامل بالربا فانقطع عنهم مورد الكسب الحرام وأكل أموال الناس بالباطل ، وهم الذين لم ينتهوا

عنه ، ولم يسمعوا قول الله فيه : « وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل » .
« لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون » .

وقد كان المسلمون يصلون إلى بيت المقدس فإذا هم يتحولون إلى المسجد الحرام ويولون وجوههم نحوه عملا بقول الله : « فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » .

وكان هؤلاء يتربصون بالمسلمين دائرة السوء فى حرب تنسفهم نسفا أو تعصف بهم عصفا فإذا المسلمون يعودون من غزوة بدر منتصرين ظافرين سالمين غانمين .

هذه العوامل وغيرها كانت تنفخ فى نار الحقد والكراهية « ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم » ، فلم يستطيعوا الصبر على ما تتميز به قلوبهم من الغيظ . وكان ما يحكيه القرآن بقوله « قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر » .

مع بنى قينقاع :

وبدأ بنو قينقاع سلسلة من حوادث الاستفزاز والغدر وكانت أول حادثة تكفى لإشعال نار الحرب ، لولا أن رأى النبى صلى الله عليه وسلم إنذارهم وتحذيرهم من عواقب استهتارهم بحرمات المسلمين ، فقد كانت إحدى نساء الأنصار جالسة بسوق الصاغة فغافلها يهودى وعقد ذيل ثوبها بغطاء رأسها وهى لا تراه ، فلما قامت انكشفت سوءتها فصاحت تستغيث ، وأسرع رجل من المسلمين إلى اليهودى فقتله وقام جماعة من اليهود إلى المسلم فقتلوه .

ولما بلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم دعا رؤساءهم وحذرهم من عواقب هذه الحوادث فاستخفوا بوعيده وتهديده وقالوا : (يا محمد : لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم ، والله لئن حاربتنا لتعلمن أننا نحن الناس) .

بذلك — وبغير ذلك — لم يبق لهؤلاء أن يحتموا بظل المعاهدة وقد نقضوها وأعلنوا غيظهم من انتصار المسلمين على مشركى مكة فى غزوة بدر حتى لقد قال كعب ابن الأشرف — وكان من شعرائهم — حين سمع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة يبشران أهل المدينة بالنصر : والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء لبطن الأرض خير من ظهرها ، ولما تيقن الخبر خرج إلى مكة يحرض على رسول الله ويبكى أصحاب القليب من قريش الذين قتلوا فى بدر .

ولم يبق أمام النبي وقد أعذر وأنذر ورأى منهم مع ذلك التمرد والتهديد بالحرب إلا أن يضعهم أمام أمرين : الجلاء عن المدينة لتظل ساكنة آمنة . أو الحرب التي لوحوا بها وصرحوا بأنهم الناس فيها ، ولهذا مضى بجموع المسلمين لحاصرهم فى ديارهم خمسة عشر يوما حتى اضطروا إلى التسليم والجلاء عن المدينة إلى أذرعات على حدود الشام .

مع بنى النضير :

وكان دور المسلمين مع يهود بنى النضير كدورهم مع يهود بنى قينقاع من حيث البداية والنهاية ، فقد ذهب صلى الله عليه وسلم إليهم يستعينهم فى دفع دية قتيلين من حلفائهم : بنى عامر . عدا عليهما عمرو بن أمية الضمرى ليثأر أو ليدرك بعض الثأر لأربعين مسلما قتلوا غيلة بعد أن اطمأنوا إلى جوار بنى عامر : قوم هذين الرجلين ، ولم يكن عمرو يعلم أن هذين الرجلين أخذا عهداً من النبى صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا أبى النبى إلا أن يتحمل ديتهما ، ورأى أن يستعين بحلفائه بنى النضير فى دفع هذه الدية .

ولما ذهب إليهم قابلوه متظاهرين بالفرح والترحيب ، وسمعوا منه ما يريد منهم فقالوا : نعم يا أبا القاسم . نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه . ثم جلس عليه السلام إلى جوار جدار بيت من بيوتهم مطمئنا إلى ما سمع ورأى منهم ، فرأوا الفرصة سانحة للفتك به والتخلص منه ، وخلا بعضهم إلى بعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، فمن رجل يعلو سطح هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ، وأسرع واحد منهم فتطوع باقتراف هذه الجريمة ، وصعد البيت ليلقى على النبى الصخرة وهو بين أصحابه أبى بكر وعمر وعلى ، ولكن الله - وقد وعد نبيه بقوله : « والله يعصمك من الناس » - أوحى اليه بما يضمر هؤلاء من نية الغدر والمكر ، فنهض عليه السلام وغادر المكان قبل أن يتم تدبير الشيطان .

وفهم أصحابه واليهود من حولهم أنه ذهب لقضاء حاجة ثم يعود . . . ولكنه لم يعد . فلحق به أصحابه وعلموا منه فى المدينة ما كان من نية الغدر وتدبير الشر ، وكان ما لا بد أن يكون .

فقد أمرهم النبى بالتهيؤ لحربهم ، ولما رآهم اليهود قادمين إليهم أسرعوا إلى حصونهم يتجمعون فيها ، ويعتصمون بها ، ثم رأوا رسول الله يضرب الحصار عليهم ويأمر بقطع نخيلهم وتحريقها ، ففزعوا وصاحوا يا محمد : قد كنت تنهى عن الفساد وتعيب على من صنعه . فما بال قطع النخيل وتحريقها ؟ . ووقع فى بعض النفوس شيء من هذا الكلام . ثم تبين أن هذا العمل لم يكن برأى النبى صلى الله عليه وسلم وإنما كان بإذن الله لحكمة خاصة بهؤلاء الذين عرفوا بشدة الحرص على

المال وحب الدنيا ، فقد نزل فى ذلك قول الله : « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين » .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد بعث إليهم - قبل أن يطبق الحصار عليهم - إنذاراً بالجلاء عن منطقة المدينة إلى حيث يشاءون ففزعوا وجزعوا ، ولكن عبد الله بن أبى كبير المنافقين فى المدينة حرضهم على رفض الإنذار ، ووعدهم أن يعاونهم إذا اشتبكوا فى حرب مع المسلمين ، ولهذا استأسدوا وتمردوا ، ورفضوا الإنذار حتى ضرب عليهم الحصار ، ثم طال بهم انتظار المعونة من المنافقين فى المدينة دون جدوى ، فلم يجدوا بداً من التسليم والجلاء .

وكان صلى الله عليه وسلم عظيما كريما كشأنه فى كل مواقفه ، فأباح لهم أن يحملوا ما تستطيع إبلهم حمله من الأموال والأمتعة دون السلاح ، ثم تولى محمد بن مسلمة الأنصارى الإشراف على إخراجهم ، فحملت النساء والصبيان على الهوادج وعليهن الديباج والحرير والخز الأخضر والأحمر وحلى الذهب والفضة ، وحملت الأمتعة على ستمائة بعير .

وخرج بنو النضير فى ضجة الدفوف والمزامير متظاهرين بالفرح فنزل بعضهم فى خيبر ، وبعضهم تابع الرحيل إلى الشام ، وقد ظهر من القرائن التى سبقت جلاءهم وظهرت أثناء حصارهم وبعد رحيلهم أن مؤامرتهم على النبى لاغتياله لم تكن إلا سبباً واحداً من عدة أسباب تكون فى مجموعها خطراً على المدينة ، وعلى المسلمين يجب توقيه وتلافيه ، فقد أظهروا الفرح بهزيمة المسلمين فى غزوة أحد كما أظهر بنو قينقاع الغيظ بانتصارهم فى غزوة بدر ، وقد أكثروا من الكلام فى المسلمين والتهوين من أمرهم بعد هذه الغزوة التى منى فيها المسلمون بالهزيمة فى أول الأمر ، كما أكثر بنو قينقاع الكلام المغيظ المحنق فى المسلمين بعد انتصارهم فى غزوة بدر ، وقد ظهر تحالفهم مع المنافقين من أعداء المسلمين فى المدينة ، كما ظهر اتصال بنى قينقاع بالمشركين من أعداء المسلمين فى مكة ، وتحريضهم على قتالهم واستئصالهم .

هذا وكثير غيره ، مما يؤكد انتقاضهم على المعاهدة التى كتبت بها الصحيفة ميثاقا وثيقا بين جميع السكان فى المدينة وضواحيها .

وقد فضح الله أمر هؤلاء وأمر هذه الخيانة فقال جل شأنه : « ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب : لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبدا ، وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون . لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون » .

(البقية على صفحة ٨٧٩)

النحو بين التجديد والتقليد

للأستاذ عبد الخالق عضيمة

– ٣ –

٨ – عبر سيبويه عن المبتدأ والخبر والفعل والفاعل بالمسند والمسند إليه في الجزء الأول ص ٧ ونقل ذلك الأستاذ إبراهيم مصطفى في إحياء النحو ثم كرر ذلك الدكتور شلبي ص ٨٤ .

والأستاذ برانق ص ٥٤ ثم يقول باستعمال هذا المصطلح نكون قد جمعنا ثلاثة أبواب في باب واحد وباعدنا بين تلاميذنا وبين أمور كانت تنبهم عليهم ولا يفهمون لها تعليلا والأستاذ عبد العليم إبراهيم المفتش الأول للغة العربية أسهم في هذه الحملة بمحاضرتين ، وفي الحق أنه صاغهما صياغة أدبية بارعة والذي نأخذه عليه أنه أبعد في الخيال جداً حيث يقول ص ٩٨ والاتجاه الجديد فوق ذلك يعفي التلميذ من ذلك القلق النفسي الذي يستحوذ عليه ويستبد به حينما نريده على أن يفهم أن هناك فرقا بين قتل اللص التاجر ، واللص قتل التاجر ، في قتل اللص التاجر ، اللص فاعل فهو قاتل مجرم وإذن فاقبضوا عليه ، وخذوا على يديه ، وفي اللص قتل التاجر ، اللص مبتدأ وليس بفاعل، وإذن فهو برىء مظلوم فأطلقوا سراحه ، وابحثوا عن الفاعل الحقيقي تجدوه مختفيا ومختبئا ومستتراً في زاوية من زوايا الفعل ، هذا هو منطق النحاة فضعوا بجانبه منطق التلميذ ومنطق الفعل ثم انظروا الأمر بعد ذلك كيف يكون ؟ .

لا يفهم التلميذ أو غير التلميذ من اللص قتل التاجر ، إلا أن اللص مخبر عنه بقتل التاجر أو محكوم عليه بقتل التاجر .

سيبويه عبر في مرة بالمسند والمسند إليه ولكنه لم يجمع الأبواب الثلاثة في باب واحد .

وإذا بقيت لكل باب أحكامه الخاصة فما هي الثمرة التي نجنيها من وراء هذا الجمع .

لقد ذكر الأساتذة أحكام تأنيث الفعل مع الفاعل جوازاً ووجوبا وأحكام تقديم المبتدأ والخبر ومواضع ذلك . التحرير ١٠٧ – ١٠٨ – ١٠٩ .

ولا شك أن الحديث عن حذف المبتدأ والخبر جوازاً ووجوبا ومواضع ذلك مما يخص باب الابتداء وحده .

وكيفية بناء الفعل للمجهول مما يخص نائب الفاعل وحده ، وإذا سلمنا أنه لا فرق فى المعنى بين قتل اللص التاجر ، واللص قتل التاجر فهل نسلم بأنه لا فرق بينهما فى الإسناد وبين قـتل التاجر .

إن التلميذ المبتدئ يستشعر الفرق فيعود إليه ذلك القلق النفسى الذى تحدث عنه الأستاذ عبد العليم بسبب جمع هذه الأبواب الثلاثة فى باب واحد .

ولعل أطرف ماصادفنى فى الدفاع عن هذا التيسير ، ما ذكره الأستاذ برانق فى إعراب قوله: الطائر مقصوص جناحاه على أنه نموذج يحتذى فى الإعراب قال فى محاضرته ص ١٠٩ كلمة مقصوص فى الجملة الأولى مسند والمسند إليه جناحاه والمسند والمسند إليه (مقصوص جناحاه) مسند الى المسند إليه الأول الطائر .

لقد مثل علماء البلاغة لتنافر الكلمات بقول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر
وليس قرب قبر حرب قبر

وقالوا إنه لا يتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث مرات متواليات دون أن يتعتع .

وأنا أطلب من القارئ أن يردد إعراب الأستاذ برانق ثلاث مرات متواليات ثم يحكم على يسر هـذا التجديد أو جفوته ، على أن يراعى أن الأستاذ برانق ترك إعراب الطائر .

فكان عليه أن يبدأ إعرابه بقوله : الطائر مسند إليه ... وبذلك يتكرر لفظ مسند فى إعراب هذه الجملة سبع مرات ، وما رأى الأستاذ عبد العليم الذى أراد أن يفاضل بين الاتجاهين فقال ص ٩٧ — ٩٨ : الاتجاه الأول يقتضى أن تذكر فى تحليل هـذه الجملة (محمد لعب) ثلاثا وعشرين كلمة معظمها مصطلحات جافة ، على حين أن الاتجاه الجديد لم يكلفنا إلا ست كلمات .

ولست أدرى أظل الأستاذ عبد العليم على رأيه هذا بعد أن سمع إعراب زميله فى محاضرته ، وعاين وقعه فى آذان المستمعين ، إن مثل هذا التكرار الممل مما لا يحسن أن نرمى به فى وجه الطالب الإعدادى ، ومن أين لنا الطالب الذى يستطيع ترديد هذا الإعراب .

قلت إن التعبير بالمسند والمسند إليه لا يناسب المبتدئ والتعبير بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر أوضح وأدل على المراد ، والأستاذ برانق يستدل على يسر هذا التجديد بطريقين :

الطريق الأول ظنى : وهو ما يتكلم به علماء التربية وما يعرضونه من نظريات .

الطريق الثانى قطعى : وهو التجربة نفسها ونتيجة التجربة .

وقد بدأت الوزارة بالسير على هذا المنهج

الميسر ، وقام على تدريسه المدرسون بعد ما وجهوا فنجحوا نجاحا كبيراً ١٢٠ - ١٢١ .

والأستاذ محمد رضوان ١٥٢ يقول : إن الطفل وهو فى سنواته الأولى يستخدم علاقة الإسناد فى حديثه حين يتكلم ، ويتفهمها حين يستمع إلى غيره من الناس ، ويدرك معناها فى حديثه واستماعه إدراكا سليما . وإذن فهذه العلاقة ليست جديدة عليه .

ويقول فى موضع آخر ١٤٨ : إن المنهج الجديد يتفق مع المبادئ التربوية والنفسانية ويستدل لذلك بنظرية نفسانية حديثة تسمى نظرية الجشتالت .

لقد عاب أساتذتنا على النحويين أنهم فلسفوا النحو فأفسدوه ، ثم يأتى الأستاذ فيتصيد نظرية الجشتالت ليدافع بها عن هذا التيسير المزعوم.

وسأكتفى بذكر هذه القصة - قال ابن السيد البطليوسى فى كتابه المسائل والأجوبة : جمعنى مجلس مع رجل من أهل الأدب فنازعنى فى مسألة من مسائل النحو ، وجعل يكثر من ذكر الموضوع والمحمول ، ويورد الألفاظ المنطقية فقلت له : أنت تريد أن تدخل صناعة المنطق فى صناعة النحو ، وصناعة النحو تستعمل فيها مجازات ومسامحات لا يستعملها أهل المنطق: وقد قال أهل الفلسفة . يجب أن تحمل كل صناعة على القوانين المتعارفة بين أهلها ، وكانوا يرون أن إدخال بعض الصناعات فى بعض إنما يكون من جهل المتكلم ، أو لقصد المغالطة والاستراحة بالانتقال من صناعة إلى أخرى ، إذا ضاقت عليه طرق الكلام الأشباه والنظائر ٣-٧٣ - ٧٤ مع التلخيص

٩ - رأى ابن مضاء أنه لا حاجة لتقدير الضمير المستتر فى الفعل أو فى الوصف ١٠٠ - ١٠٣ .

ونادى بهذا الرأى جمهور أساتذتنا دون أن يشيروا إلى سبق ابن مضاء بهذا الرأى.

كما رأوا أن الضمائر المرفوعة المتصلة حروف لا أسماء . وقد نوه الأستاذ برانق بالمازنى الذى قال بهذا الرأى وهو أستاذ المبرد وأحد ثلاثة لم يكن مثلهم فى زمانهم .

ويهمنا الآن أن نبحث ماذا أفاد اختيار هذه الآراء تيسير النحو . النحويون قسموا الجملة إلى جملة فعلية وجملة اسمية .

وجاء الأساتذة فسلخوا من الجملة الفعلية الفعل الرافع ضميرا مستترا أو ضميرا متصلا ، فلم يجعلوه جملة فعلية ، وعلى هذا كانت أنواع الحال عندهم كما يأتى .

(١) فعل وحده . (٢) جملة فعلية . (٣) جملة اسمية . (٤) ظرف . (٥) جار ومجرور ، وكذلك الصلة والصفة والخبر .

(ينظر التحرير ٣٣ - ٣٤ - ١٣٩ - ١٦٧)

فزادوا نوعا جديداً فى كل باب من الأبواب السابقة .

والضمائر المتصلة مرفوعة كانت أومنصوبة أو مجرورة لها دلالة واحدة ، فإذا عرض للتلميذ أن يسأل :

لماذا جعلنا الضمائر المرفوعة المتصلة حروفا دون الضمائر المتصلة المنصوبة والمجرورة ؟ والحرفية والاسمية إنما مرجعهما إلى ما تدل عليه معنى الكلمه فبماذا نجيبه ؟ .

وهل يتفق هـذا الاختيار مع ما قاله الأستاذ برانق .

إن الوزارة رأت أن لا تزحم المناهج باصطلاحات لا يجنون من ورائها فائدة .

وهل يتفق أيضاً مع ماقالوه : إنهم آثروا التعبير بالمسند والمسندإليه ليجمعوا الأبواب الثلاثة تحت باب واحد ، لأن معناها واحد لا يختلف .

١٠ ــ صادفت اللغة التى سماها النحويون بلغة أكلوهم البراغيث هوى فى نفوس أساتذتنا، فقالوا : إن هذه اللغة يعززها القرآن فى قوله : « وأسروا النجوى الذين ظلموا »، « ثم عموا وصموا كثير منهم» ويعززها الحديث والشعر الأستاذ عبد العليم / ١٠٠ .

ويقول الأستاذ برانق ٦٨ : إن النحويين تعسفوا فى تأويل الآيتين ، ليخرجا عن هـذه اللغة .

سيبويه الذى نقل هذه اللغة قال عنها : وهى قليلة ١ - ٢٣٦ ، وذكر الأستاذ أبو الحسن ابن عصفور أنها لغة ضعيفة ، البحر ٣-٥٣٤.

لقد استشهد الأساتذة لهـذه اللغة بالقرآن والحديث والشعر ، فهل جاءوا فى هـذا الاستشهاد بشواهد لم يذكرها النحويون ؟ كلا ما زادوا على أن رددوا ما ذكر فى كتب النحو المتداولة ، وقد ذكر ابن الشجرى فى أماليه شواهد كثيرة ، ثم أضاف إلى ذلك ما جاء على هذه اللغة من شعر أبى الطيب المتنبى ،

أمالى الشجرى ١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ .

قال النحويون : إن هذه اللغة قليلة وضعيفة فلا يحسن تخريج القرآن عليها ، ولا سيما مع وضوح التخريجات الأخرى ، فهل نسمى هذا تعسفا ؟ .

يقول الدكتور شلبى ٦١ : وأبرز هـذه المحاولات جميعا وأظهرها محاولة الأستاذ ابراهيم مصطفى ، إذ تعـد فى رأيى الشعلة التى أنارت السبيل لكل من فكر فى محاولة جديدة لتيسير النحو ، ومن هنا أود أن أعرض الخطوط العريضة لهـذه المحاولة الكبرى .

ومنهج الأستاذ فيها - منهج الأستاذ ابراهيم مصطفى .

١ ــ مراقبة ما ورد فى القرآن الكريم خاصا بالموضوع الذى يدرسه وعدم الاقتصار فى ذلك على قراءة حفص المشهورة .

٢ - استقرار الشواهد العربية من الشعر والنثر وكلام العرب . . إلخ .

لقد ارتضينا يا دكتور هذا المنهج ونريد أن نسير على ضوئه ونحتكم إلى قضائه .

تعالوا نستقصى ماوصل إلينا من قراءات للقرآن الكريم ثم ننظر حظ هذه اللغة من هذه القراءات. فإن كان نصيبها موفوراً حكمنا آنئذ على النحويين بالتعسف وبما شئتم من الأحكام .

° ° °

لقد يسر الله لى وأعاننى على استقراء لكل ماوصلنا من قراءات للقرآن الكريم متواترها وشاذها وسواء ماورد منها فى كتب القراءات أم فى غيرها ، ونثرت ما جمعته على أبواب النحو والصرف، وسجلت ذلك فى ثلاثة مجلدات كبيرة سعة المجلد قرابة ألف صفحة .

وها أنذا أثبت جميع ما ورد محتملا لهذه اللغة فى القراءات المختلفة .

١ — وأسروا النجوى الذين ظلموا .

٢ — ثم عموا وصموا كثير منهم .

٣ — لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً .

جوز الزمخشرى أن تكون هذه الآية على هذه اللغة ورد عليه أبو حيان بردود كثيرة الكشاف ٢/٤٢٣ ، البحر المحيط ٦/٢١٧ .

٤ — قد أفلح المؤمنون قرأ طلحة بن مصرف قد أفلحوا المؤمنون وهى من الشواذ ، شواذ ابن خالويه رقم ٩٧ الكشاف ٢/٤٢ البحر المحيط ٦/٣٩٥ .

هذا هو كل ما ورد من قراءات محتملا لهذه اللغة وتأويله على غيرها سائغ .

وأين هذا القدر الضئيل من الكثرة الطائرة فى الآيات الأخرى التى لا احتمال فيها لهذه اللغة ؟ .

فهل تنكب النحويون طريق الجادة بحملهم القليل على الكثير ؟ ولعل الأساتذة يذكرون قول سيدنا عمر لعبد الله بن مسعود : أقرئ الناس بلغة قريش فإن ؛ القرآن لم ينزل بلغة هذيل .

° ° °

١١ — عرض الأستاذ برانق للتأليف فى النحو فقال رقم ٦٩-٧٠ : ألف الأعاجم فى النحو وأخضعوه للفلسفة والمنطق ، ثم قال كيف كان يعلم النحو — علم النحو أول ماعلم فى النصوص الأدبية التى كانت تدرس فى مجالس الأدباء وأماليهم كما فعل المبرد فى كتابه الكامل، وكما فعل أبو على القالى فى أماليه ، وكما فعل المرتضى فى أماليه أيضا ثم استقل بذاته وصار علما يلقنه المعلم لتلاميذه على أى نحو يراه .

° ° °

لقد استقل النحو بذاته يا أستاذ قبل أن يؤلف المبرد كامله، فكتاب سيبويه كان يدرس قبل ذلك ، والمبرد نفسه ألف كتابه المقتضب وهو كتاب كبير فى النحو قبل أن يؤلف الكامل ، وجميع المسائل النحوية التى ذكرت

فى الـكامل مذكورة فى المقتضب وإن اكتفى المبرد فى الإحالة على المقتضب بأحد عشر موضعا .

وكان يقول قد فسرنا هـــذا على غاية الاستقصاء فى الـكتاب المقتضب .

أما أبو على القالى فلم يعرض فى أماليه لشىء من مسائل النحو ، وإنما كان يهتم بشرح بعض الألفاظ اللغوية :

وكذلك أمالى السيد المرتضى ليس فيها شىء يذكر من النحو ، ومجالسه كانت تدور حول تفسير بعض الآيات ثم لا يهتم بالجانب النحوى .

وإذا أراد الأستاذ التمثيل بكتب الأمالى التى جمعت الأدب والنحو على غرار الـكامل فليذكر أمالى ثعلب وهى المعروفة بمجالس ثعلب ، وأمالى ابن الشجرى ففيها نحو كثير ، ولقد فهرست مسائلها النحوية فشغلت ثلاثين صفحة . ومثل هذا الخطأ التاريخى خطأ آخر وقع فيه الأساتذة فى الجزء الثانى من النحو الإعدادى ص ٥٢ فقد نقلوا من رحلة ابن بطوطة ما يأتى : وصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين وثلثمائة وألف إلى مدينة دمشق الشام ، هكذا كتب التاريخ بالحروف .

ويا للدهشة ! ابن بطوطة الذى ولد عام ٧٠٣ هـ يمتد عمره إلى أن يكون معاصرا لنا .

قلت ربما يكون هذا الخطأ قد وقع فى طباعة رحلة ابن بطوطة ونقله أساتذتنا دون أن يصوبوه .

ورجعت إلى الرحلة أستوضحها الأمر فوجدت النص فى الرحلة هكذا .

وصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان عام ستة وعشرين إلى مدينة دمشق الشام — ١/ ٥٠ الطبعة الأولى ثم قلت قد يكون الخطأ فى مهذب الرحلة الذى ، طبعته الوزارة بتحقيق المرحومين العوارى وجاد المولى ولـكن لم أجد فيه هذا الخطأ - مهذب الرحلة ٦٨ .

ولو رجع أساتذتنا إلى الوراء قليـــلا لوجدوا أن ابن بطوطة قال خرجت من طنجة مسقط رأسى فى يوم الخميس الثانى من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة ثم أخذ يتابع رحلته ، ويؤرخ لها فقد أظله عيد الفطر فى تونس ، وعيد الأضحى فى طريقه إلى طرابلس أواخر شهر المحرم من عام ستة وعشرين . . ، فزيف أساتذتنا التاريخ بهذه الزيادة .

وهل نقول : إن هذا تيسير فى التاريخ كما كان ذلك تيسيرا فى النحو .

كتاب تقرره الوزارة فى مدارسها ويحمل أسماء سبعة من كبار الأستاتذه ، يتقدمهم الأستاذان : إبراهيم مصطفى ومحمد برانق ثم يقع فيه مثل هذا الخطأ المشين وليتهم اقتصروا على نص ما فى الرحلة فلم يزيدوا فى نصوص

المؤلف هذه الزيادة التى نقلته من القرن الثامن إلى القرن الرابع عشر .

١٢ — تحرير النحو العربى كان ثمرة جهود ثمانية من كبار الأساتذة وقصدوا إلى أن يكون مرجعا قريبا للعلم يجمع تلخيص قواعد النحو ويشمل ما أقر من اقتراحات الإصلاح والتيسير .

وليس فى الكتاب من جديد سوى التعبير بالمسند والمسند إليه وحرفية ضمائر الرفع .

وليس فيه من جهد يذكر ، فقد ذكروا القواعد كما ذكرت فى كتب النحو ومثلوا لها بأمثلة النحويين .

وهذه بعض ملحوظات على الكتاب :

فى المواضع التى يقترن فيها جواب الشرط بالفاء ، قالوا ص ٩٧: أو فعلا ماضيا منفيا بما ، أو فعلا مضارعا منفياً بلن ، فيوحى كلامهم بأحد أمرين .

(أ) أن ما النافية لا تدخل على المضارع كما أن لن لا تدخل على الماضى

(ب) ما النافيه تدخل على المضارع ، ولكن المضارع المنفى بها لا يقترن بالفاء إن وقع جوابا للشرط .

وكلا الاحتمالين باطل ، فما النافية تدخل على الماضى وعلى المضارع ، ويجب معها اقتران الجواب بالفاء وقد صرح بذلك الرضى فى شرح الكافية ص ١٤٥ وغيره .

وقد يكون مبعث هذا الوهم أن التوضيح لابن هشام اقتصر فى التمثيل على الماضى المنفى بما ، وكذلك فعل الأشمونى ، أما ابن عقيل فقد اقتصر فى التمثيل على المضارع المنفى بما .

ونظير هذه المسألة ما ذكره الأساتذة فى الجزء الثانى من النحو الإعدادى ص٥٤-٥٥ فقد قالوا :

يكون الفعل معتلا إذا كان فى آخره أو وسطه حرف من أحرف العلة ، وهى الألف والواو والياء — وقالوا :

إذا تأملت فى كل منها لم تجد حرف العلة فى آخره أو فى وسطه ، ولذلك تسمى هذه الأفعال أفعالا صحيحة .

فالمعتل عند الأساتذة ، ما كان فى وسطه أو فى آخره حرف علة ، أما ما كان فى أوله حرف علة نحو وعد ويئس فلا يسمى معتلا فى اصطلاح الأساتذة ، وهذا لون آخر من ألوان التجديد . ولو قالوا كما قال النحويون المعتل ما فى أصوله حرف علة ، والصحيح ما ليس كذلك لأوجزوا وأوضحوا .

مثلوا للممدود وجمعه فى التحرير ص ٢٢ بحدأة وحدآت ، ولم يقل أحد بأن نحو حدأة من الممدود لأن الممدود ما آخره همزة قبلها ألف زائدة ، وقد ظل الممدود بعيدا عن منطقة التجديد كما يعلم ذلك من الرجوع إلى النحو المنهجى ص ٨٤ .

ويا سبحان الله ! أيكون التعبير بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر وإسمية ضمائر الرفع قيودا وأصفادا وسلاسل وأغلالا ، ويظل النحو راسفا فى قيوده مكبلا بأغلاله حتى يأتى أساتذتنا فيفكوه من إساره ويطلقوه من عقاله بتأليفهم كتاب تحرير النحو العربى.

١٣ - كتاب الاتجاهات الحديثة : مجموعة محاضرات ألقاها كبار المفتشين فى مؤتمر جمع مفتشى اللغة العربية .

والناظر فى هذا الكتاب تطالعه فيه كلمة الأبحاث فى مواضع كثيرة منه فى أول صفحة وفى آخر صفحة وفى ثناياه .

تكررت فى محاضرة الدكتور محمود خاطر أربع مرات، وجاءت فى محاضرة الدكتو شلبى، والأستاذ عبد العليم ، وفى مقدمة الكتاب وفى توصيات المؤتمر .

ونسمع كلمة الأبحاث تصدر عن السادة الأطباء وغيرهم فنتقبلها منهم . أما أن تتكرر فى محاضرات كبار المفتشين ، وتلقى فى جموعهم من غير أن ينكرها منكر فذلك فالا نرضاه لأساتذة تخصصوا فى اللغة العربية ويقومون على حمايتها وحراستها .

وفعل الصحيح العين لا يجمع على أفعال وقد ورد السماع فى بعض ألفاظ ، وليس من بينها بحث وأبحاث ، ففى لسان العرب جمع البحث على بحوث وفى كتاب سيبويه ١٧٦/٢ : واعلم أنه قد يجىء فى فعل أفعال مكان أفعل، وليس ذلك بالباب فى كلام العرب ، وفى المقتضب للمبرد ١٧٦ : فأما ماجاء من فعل على أفعال فمشبه بغيره خارج عن بابه .

ومثل هذا فى جميع كتب الصرف .

ولكم الله يا مدرسى الابتدائى والإعدادى فقد فرض عليكم ترديد هذه الاصطلاحات ، وإن خفى عن المبتدئ معناها . وأشهد لقد عجزت (وأنا المتخصص فى النحو منذ ربع قرن) عن أن أجعل هذه المصطلحات تأخذ طريقها إلى عقل ابنى ووعيه .

ويبدو لى أن كبار المفتشين يرون أن لهم أن يقولوا وعلى غيرهم أن يسمع ويطيع ، ثم على دار المعارف أن تنشر .

وعلى مؤسسة المطبوعات الحديثة (الوجه الآخر لدار المعارف) أن تلتزم التوزيع .

وبرغمى أن أتمثل بقول المرحوم الشيخ عبد الله عفيفى :

قالوا الجديد فقلنا ما جديدكم
وما حوى من جديد الرأى والفكر
دعوى تطول وأحلام مموهة
ومنطق كجديد الشيب فى الطرر
وقيل : هاتوا الجديد الحر فابتدروا
شنا من القول إن تنفخه ينكسر

ولست أنكر أن النحو فى حاجة إلى تيسير بل أرى أن النحو أحوج العلوم إلى التيسير وسأبين فى كلمة مقبلة إن شاء الله كيف يكون تيسير النحو .

محمد عبد الخالق عضيمة

الإسلام والسلام

للدكتور جمال الدين الرمادى

كان الإسلام ولا يزال دين الأمن والسلام والسكينة والصفاء والمودة والإخاء، ولم يكن فى وقت من الأوقات دين حرب أو نزال أو مشاحنة وبغضاء، إنما كان يهدف أولا وقبل كل شئ إلى السلام بل إنه فى لفظه مشتق من مادة واحدة مع السلام.

وقد قامت دعوة بعض المستشرقين على أن الإسلام انتشر بحد السيف، ولكن الواقع أن الإسلام لم يكن فى وقت من الأوقات يستخدم السيف للتحكم فى رقاب الضعفاء أو التسلط على أعناق الأبرياء، إنما كان السيف وسيلة لتأمين الدعوة، ولكنه مع هذا أبان للمؤمنين عدم ضرورة القتال إذا لم يكن هناك ضرورة لذلك. قال تعالى: «فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم، وألقوا إليكم السلم، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا».

كما قال تعالى فى سورة الأنفال: «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم».

وقد حض الإسلام على تأمين الدعوة والدفاع عنها ضد من يقف فى سبيلها حتى لا يخشى من يريد الدخول فى الإسلام الفتنة عن دينه، كما حدث عندما تمالأ أهل مكة مع غيرهم من العرب على قتال الرسول، بيد أنه لم ينصح بالاعتداء. فقال عز وجل: «ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين».

فالإسلام إذن لم يسلك سبيل القتال إلا لهذه الأغراض، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث بعثا قال: «تألفوا الناس، وتأنوا بهم، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم، فما على الأرض من أهل بيت، من مدر ولا وبر إلا أن تأتونى بهم مسلمين، أحب إلى من أن تأتونى بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم».

وقد عاهد سيف الله المسلول خالد بن الوليد أهل الحيرة على الصلح دون تعنت أو ظلم ودون استبداد أو بطش، ودون تحكم القوى فى الضعيف أو سيطرة المنصور على المخذول فجاء فى كتاب العهد: «هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد نقباء أهل الحيرة، ورضى بذلك أهل الحيرة وأمرهم به. عاهدهم على مائة وتسعين ألف درهم تقبل فى كل سنة جزاء على أيديهم فى الدنيا، رهبانهم وقسسهم إلا من كان منهم على غير ذى يد، حبيسا

عن الدنيا تاركا لها ... وعلى المنعة وإن لم يمنعهم فلا شيء عليهم حتى يمنعهم ».

ولم يكتف بذلك بل قال: « وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات ... إن كان غنيا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعيل من بيت المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام »!.

ويذكر التاريخ أن المسلمين كانوا يعوضون الناس عند الضرر الذى يلحقهم خطأ من المسلمين. ومثال ذلك أن ذميا جاء إلى عمر ابن الخطاب فى أثناء فتوح الشام، وشكا إليه أن بعض المسلمين قد قطعوا عنبا من كرومه دون إذن منه، فخرج عمر من المعسكر فإذا به يرى مسلما خارجا من الكرم وقد حمل بعض العنب على ذراعه فصاح به فى غضب وحدة: « وأنت أيضا قد شرعت ترتكب مثل هذه الحماقات؟ » فاعتذر الرجل بأنه لم يفعل ذلك إلا لاشتداد جوعه فأمر عمر بأن يعوض الرجل عما فقد من عنبه حتى أرضاه.

وعندما شرع عمر بن الخطاب ينظم إدارة العراق عقب فتحها استدعى زعماء البلاد غير المسلمين إلى المدينة ليستشيرهم ويستأنس آرائهم. وجاء فى المقريزى أنه كان يفعل ذلك فيما يتعلق بمصر فاستشار المقوقس عظيم القبط فى أمور شتى.

وعندما فتح عمر بن الخطاب الشام صالح أهل « إيلياء »، وأمن أهلها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وأعطاهم عهدا بذلك وهو المعروف بالعهدة العمرية وقد أوردها محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه وهذا نصها:

« بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله: عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها: أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ..

« وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيوتهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم، وعلى بيوتهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض — فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية

ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ـ وأنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم . وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية » .

وقد كتب هذا العهد فى العام الخامس عشر للهجرة وشهد عليه : خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان .

وهكذا كان الإسلام دين مودة وإخاء لا دين عنف واستبداد ، وإذا كانت الأمم الحديثة قد شرعت بعض القوانين الدولية والمواثيق السياسية فى القرن التاسع عشر أو القرن العشرين فإن الإسلام قد شرع هذه القوانين قبل هذه الدول بقرون طويلة ومن ذلك ما جاء فى صدد إعلان الحرب إذ أن الدول كانت تتحرش بجيرانها على حين غرة ودون سابق إنذار ، فتطلق المدافع وتهوى القنابل على السكان الآمنين وهم يزاولون أعمالهم اليومية فلا يستطيعون حماية أنفسهم وأهليهم ، إنما يصبحون مذهولين محطمين إزاء هذا الخطر الداهم وتلك الفاجعة الكبرى التى حلت بغتة بساحتهم فأذاقتهم هولا يشيب منه الولدان .

تنبهت الدول إلى هذه الناحية فى مستهل القرن العشرين فعقدت فى لاهاى فى هولندا عام ١٩٠٧ مؤتمراً لهذا الغرض قرر ألا تبدأ الأعمال الحربية إلا بعد إخطار سابق لا لبس فيه ، يكون إما فى صورة إعلان حرب مسبب أو فى صورة إنذار نهائى يذكر فيه اعتبار الحرب قائمة بين الطرفين . هذا إذا لم تجب الدولة الموجه إليها الإنذار طلبات الدولة التى توجهها .

وهذا القرار الذى أصدره مؤتمر لاهاى فى أوائل القرن العشرين جاء فى القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان فقال تعالى : « وإما تخافن من قوم خيانة ، فانبذ إليهم على سواء : إن الله لا يحب الخائنين » .

وأوجب الإسلام احترام العهود والمواثيق وتنفيذها بدقة وأمانة حتى مع الوثنيين : « إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين » .

ولقد كان فريق من أهل الكتاب يوفون بعهودهم إلى أهل ملتهم ولكنهم لا يرون الوفاء واجبا بعهودهم مع المسلمين : « يقولون ليس علينا فى الأميين سبيل » . فجاء القرآن الكريم ناعيا عليهم هذا التفريق مبينا أن الوفاء بالعهد واجب إنسانى كبير فقال تعالى : « بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين » .

وإذا أقيمت المنظمات الدولية من أجل السلام فقامت عصبة الأمم على أثر انتهاء الحرب العالمية الأولى ثم انتهى أمرها بالفشل ثم أقيمت الأمم المتحدة عقب الحرب العالمية الثانية وانعقاد مؤتمر يالتا ومؤتمر سان فرانسيسكو وقامت هذه المنظمات تدافع عن السلام حتى نصت فى مواثيقها عليه . وكما جاء فى ديباجة ميثاق الأمم المتحدة ، فإن الإسلام دعا إلى السلام قبل ذلك وإلى التعاون والتعارف فجاء فى كتابه العزيز «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» ، كما ناشد القرآن الكريم المسلمين إحسان معاشرة غيرهم من أهل الأديان والمذاهب إلا فى حالة العدوان وفى القرآن الكريم : «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم ، أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون» .

وقد جعل الله السلام حالة من حالات النعيم فى الجنة فقال تعالى فى سورة الواقعة : «لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما . إلا قيلا سلاما سلاما» وقال فى سورة ق : «ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود» وقال فى سورة الأحزاب : «تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريما» . بل إنه جعل السلام اسما من أسمائه عز وجل فقال فى سورة الحشر : «هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام» كما دعا بالسلام على الأنبياء والمرسلين فدعا بالسلام على نوح وعلى ابراهيم وعلى موسى وهارون وعلى آل ياسين وعلى المرسلين .

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن السلام دائما هو جوهر من جواهر الإسلام وهو الذى أصبح اليوم هدفا من أهداف الدول المتمدينة ومن أجله تشرع القوانين وتوقع المواثيق وتؤلف المجالس وتعقد الجلسات فى الأمم المتحدة مرة ومجلس الأمن مرة أخرى ومحكمة العدل الدولية إذا حزب الأمر بين الطرفين .

والمعروف أن هذه المنظمات جميعا تهدف إلى السلام وقد تكون مجلس الأمن وهو هيئة متفرعة من الأمم المتحدة بل أداة تضطلع بمسئولية المحافظة على السلم والأمن الدوليين والنظر فى تسوية المنازعات واتخاذ التدابير اللازمة لصيانة السلم إذا لم تجد الوسائل السلمية. والواقع أن هدفه الذى يرمى إليه إنما هو هدف الإسلام الأول الذى يرنو إلى السلام ويصبو إليه . زد على ذلك أنه يختلف عنه فى تحكم الدول الكبرى فى الدول الصغرى .

والإسلام من هذا براء ، وإذا رمز الغربيون إلى السلام بفرع الزيتون تارة وبالحمام

تارة أخرى فلقد أقسم الله فى كتابه العزيز بالتين والزيتون وطور سينين كما كان الحمام آية على السلام . وفى المسجد الحرام آلاف مؤلفة منه يحرم الله قتلها ويحميها وتجوب أسرابه زرافات ووحدانا فى أجواء المسجد الحرام شرقا وغربا وشمالا وجنوبا .

ومن ذلك يتبين لنا أن للسلام رموزا فى الإسلام منذ العصور الأولى وهذا يدل على مبلغ حرص المسلمين عليه وإيثارهم له ، وتمسكهم به ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

فإذا ارتفعت عقيرة العالم اليوم بالسلام فليس هذا بجديد ولا بمستحدث ، وليس هذا بشىء تفتقت عنه عقول العلماء فى هذا العصر ؛ خدمة للبشرية ورعاية للإنسانية إنما هذا شىء متأصل فى الإسلام قد جرى فيه مجرى الدماء فى العروق والروح فى الأجساد .

وإذا حرصت المنظمات الدولية على استتباب السلام ورعاية حقوق الإنسان فإن هذه الحقوق جاء بها الإسلام كذلك فقرر مساواة الجنس البشرى فى أصله ومنبته « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » .

كما حض الإسلام على الكرامة فقال عز وجل : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

وهكذا يستطيع من ينعم النظر فى كتابه العزيز أن يدرك أن تلك الحقوق الإنسانية التى جاءت بها المواثيق الدوليه الحديثة من أجل المحافظة على حرية الفرد والسلام الدولى قد جاء بها من قبل كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

الدكتور جمال الدين الرمادى

(بقية المنشور على صفحة ٨٦٦)

وقد حزن عبدالله بن أبى وحزن المنافقون معه لجلاء بنى النضير وإن لم يجدوا الجرأة على إظهار حزنهم . شأنهم فى ذلك شأن المنافقين فى كل عصر ودهر ، وبذلك تطهرت المدينة فى الداخل بإخراج بنى قينقاع ، واستراحت من بعضهم فى الخارج وهم بنو النضير ، وبقى بنو قريظة على مقربة منها يتمتعون بأمن المعاهدة التى كتبت بها الصحيفة ولكن إلى حين .

فقد فعلوا مثل ما فعل بنو قينقاع وبنو النضير ، بل فعلوا ما هو أكبر وأكثر خيانة وجرما وظلما فى غزوة الأحزاب ، مما سنرى تفصيله فى عدد قادم إن شاء الله ، وما سنرى فيه صدق قوله تعالى « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

أراح الله العرب والمسلمين منهم .

عبد الرحيم فوده

مثل من زيغ الكتاب الأوربيين

مكانة الإنسان فى الإسلام

للأستاذ يوسف القرضاوى

كتاب باسم « حضارة الإسلام » للمستشرق النمساوى الأصل ج . ا . فون جرو نيباوم... ترجمه الأستاذ عبد العزيز توفيق جاويد ضمن مشروع « الألف كتاب » الذى تشرف عليه « إدارة الثقافة العامة » بوزارة التربية والتعليم .

وفى الكتاب أخطاء كثيرة عن الإسلام فى عقيدته وتشريعه وحضارته وتاريخه وهو ما لا يمكن أن يخلو منه مستشرق لا يؤمن بالإسلام دينا ، ولا بالقرآن وحيا، ولا بمحمد رسولا ، فلابد أن يفسر هذا الدين وآثاره بما يلائم اعتقاده فيه .

وقد عقب الأستاذ المترجم على بعض هذه الأخطاء. ولكنه أولا لم يستوعب وثانياً .. لم يوف التعقيب حقه .. وثالثاً فصل التعقيب عن أصله ، وجعله فى آخر الكتاب .

ولسنا فى مقام النقد للكتاب كله الآن ، وإنما نكتفى بإيراد مثل من انحراف المؤلف عن السداد مما لم يعقب المترجم عليه :

قال فى فصل (الإنسان الكامل) ص ٢٨٣ .

« والإسلام منذ بداءته لم يعترف للإنسان إلا بقليل من التقدير ، وينزع القرآن إلى إقناعه بمهانة أصله الجسدى ؛ فيصف خلق الفرد وتكوينه تفصيلا :

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر » .

فليس للإنسان أى فخر فى بداياته ؛ فهو ليس مكونا من مادة مهينة فحسب ؛ بل هو ضعيف عديم الحس ساعة ينحدر إلى هذه الحياة - ولا يحفظه فى وجوده المحفوف بالخطر إلا إرادة الله .. وهو غرض لسهام الأمراض والآلام ، وهو يكابد الجوع والعطش شاء أم لم يشأ ، وهو يريد المعرفة ولكن الجهل نصيبه ، وهو يريد أن يتذكر ولكنه ينسى ، وإنه ليدبر مايدبر من خطط الفكاك ولا يبلغ قط حد الاطمئنان على الحياة أو المركز . .

ويتأمل الغزالى أمره قائلا : « وما نهايته إلا الموت الذى يرده إلى خمود الحس المصاحب لبداياته والذى يعرضه للتجيف الكريه المنفر ،

وإن أدنى تأمل فى مصادر الإسلام ليرد على المؤلف دعواه ، أن الإسلام لم يعترف للإنسان إلا بقليل من التقدير ، ويدحض استدلاله الواهن على ما ادعاه .

وقد اعتمد المؤلف فى هذه النقطة - كما ذكر فى مراجعه - على كلمات ذكرها الإمام الغزالى فى كتاب « الكبر » من الإحياء . . ومثل هذه الكلمات التى ذكرها الغزالى لا تصلح معتمداً لتقرير مبدأ خطير يتعلق بمكانة الإنسان فى الإسلام ؛ فهو إنما ذكرها فى بيان الطريق إلى معالجة الكبر ، وفى مخاطبة المستكبرين ، ولكل مقام مقال كما يقولون .

إنه يريد أن يذكر هذا المتكبر بأيام ضعفه يوم كان جنيناً فى بطن أمه ، بل حين لم يكن شيئاً مذكوراً ؛ ليعلم أنه لاقيام له بذاته ، ولا استغناء له عن ربه « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا . إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا . إنا هديناه السبيل ، إما شاكراً وإما كفوراً » .

قال الغزالى بعد ذكر هذه الآيات [1] : ومعناه أنه أحياه بعد أن كان جماداً ميتاً : ترابا أولا ، ونطفة ثانياً ، وأسمعه بعد ما كان أصم ، وبصره بعد ما كان فاقداً للبصر ، وقواه بعد الضعف ، وعلمه بعد الجهل ، وخلق له الأعضاء بما فيها من العجائب والآيات بعد الفقه لها ، وأغناه بعد الفقر ، وأشبعه بعد الجوع ، وكساه بعد العرى ، وهداه بعد الضلال ، فانظر كيف دبره وصوره وإلى السبيل كيف يسره ، وإلى طغيان الإنسان ما أكفره ، وإلى جهل الإنسان كيف أظهره فقال :

« أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين » ، « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون » .

فانظر إلى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة (خسة التراب وقذارة النطفة) إلى هذه الرفعة والكرامة فصار موجوداً بعد العدم ، وحيا بعد الموت ، وناطقا بعد البكم ، وبصيراً بعد العمى ، وقويا بعد الضعف ، وعالما بعد الجهل ، ومهديا بعد الضلال ، وقادراً بعد العجز ، وغنياً بعد الفقر ، فكان فى ذاته « لاشىء » وأى شىء أخس من لاشىء ، وأى قلة أقل من العدم المحض - ثم صار بالله شيئا » .

هذا ما ذكره الغزالى عن الإنسان فيما اقتضاه مقام معالجة الكبر والمتكبرين ، وهو لا يثمر النتيجة التى انتهى المؤلف إليها .

ولو أنصف المؤلف لاستشهد بما ذكره الغزالى فى مناسبات شتى ، بين فيها مكانة

---

(١) ص ٣٠٩ من كتاب الكبر ربع المهلكات - طبعة مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٤٦ هـ .

الإنسان فى الكون ، وقيمته عند الله وخصائصه الروحية العالية ، وحسبنا من ذلك ما ذكره فى كتاب « المحبة » من ربع « المنجيات » من إحيائه ؛ فهو بعد أن ذكر أن من أسباب المحبة المناسبة والمشاكلة ، لأن شبيه الشئ منجذب إليه ، والشكل إلى الشكل أميل ، قال : (1)

وهذا السبب أيضاً يقتضى حب الله تعالى لمناسبة باطنة . لا ترجع إلى المشابهة فى الصور والأشكال ، بل إلى معان باطنة ، يجوز أن يذكر بعضها فى الكتب ، وبعضها لا يجوز أن يسطر .

فالذى يذكر : هو قرب العبد من ربه عز وجل فى الصفات التى أمر فيها بالاقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية ، حتى قيل : تخلقوا بأخلاق الله ؛ وذلك فى اكتساب محامد الصفات التى هى من الصفات الإلهية . . من العلم والبر والإحسان و للطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق ، والنصيحة لهم ، وإرشادهم إلى الحق ، ومنعهم من الباطل ، إلى غير ذلك من مكارم الشريعة ؛ فكل ذلك يقرب إلى الله تعالى ، لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات .

وأما ما لا يجوز أن يسطر فى الكتب ـ من المناسبة الخاصة التى اختص بها الآدمى ـ فهى التى يومئ إليها قوله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » ؛ إذ بين أنه أمر ربانى خارج عن حد عقول الخلق .

وأوضح من ذلك قوله تعالى : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى » ، ولذلك أسجد له ملائكته .

ويشير إليه قوله تعالى : « إنا جعلناك خليفة فى الأرض » ؛ إذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى إلا بتلك المناسبة .

وإليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله خلق آدم على صورته » ، حتى ظن القاصرون أن لاصورة إلا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس ، فشبهوا وجسموا وصوروا ـ تعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علواً كبيراً ـ .

وإليه الإشـــارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدنى ، فقال : يارب ، وكيف ذلك ؟ ! قال : مرض عبدى فلان فلم تعده ، ولو عدته وجدتنى عنده .

وهذه المناسبة لاتظهر إلا بالمواظبة على النوافل بعد إحكام الفرائض ، كما قال الله تعالى ـ يعنى فى الحديث القدسى ـ : « لايزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به . وبصره الذى يبصر به ... إلخ » .

* * *

(1) ص ٢٦٣ من كتاب المحبة ربع المنجيات .

إن الآية التى استدل بها المستشرق - والتى بينت أطوار خلق الإنسان من نطفة فعلقة فمضغة إلخ - لاتهدف إلى إقناع الإنسان بمهانة أصله الجسدى - كما يقول - وإنما تهدف هى وما يماثلها من آيات إلى الرد على قوم أنكروا الآخرة والبعث بعد الموت، واستبعدوا أن يحيا الإنسان بعد مارم وبلى، فجاءت هذه الآيات تلفت أنظار منكرى النشأة الأخرى إلى النشأة الأولى، وتنبه العقول الغافية إلى قدرة الله الكبير الذى خلق الإنسان من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة، ولنقرأ قوله تعالى: «ويقول الإنسان: أئذا ما مامت لسوف أخرج حيا؟ أو لايذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا؟!». «أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين. وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال: من يحى العظام وهى رميم؟. قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم».

فهل يفهم منصف من سياق هذه الآيات تحقير الإنسان؟ وأن الإسلام لايعترف له إلا بقليل من التقدير؟.

لقد عنى القرآن بالحديث عن الإنسان فى عشرات من آياته، وعشرات من سوره، وحسبنا أن أول فوج من آيات الوحى الإلهى استقبله قلب رسول الله - وهى خمس آيات - لم تغفل شأن الإنسان، وعلاقته بربه: علاقة الخلق والإيجاد، وعلاقة التعليم والهداية، واختارت الآيات لفظ «الرب» لما يشعر به من التربية والرعاية والترفيه فى مدارج الكمال: «اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم».

بين القرآن فى كثير من آياته علاقة الإنسان بالله، وهى علاقة القرب القريب، الذى حطم أسطورة الوسطاء والسماسرة المرتزقين بالأديان «ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد»، «وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب»، «فأينما تولوا فثم وجه الله»، «وهو معكم أينما كنتم».

وبين القرآن مكانة الإنسان عند العوالم الروحية العلوية، وهى مكانة اشرأبت إليها أعناق الملائكة، وتطاولت إليها نفوسهم فما بلغوها: مكانة خليفة الله فى الأرض «قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك، ونقدس لك؟ قال: إنى أعلم ما لا تعلمون»: مكانة من علمه الله الأسماء كلها، وأمر ملائكته بالسجود له تحية وإجلالا «إذ قال ربك للملائكة: إنى خالق بشرا من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين. فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس».

وكانت عاقبة عدو الإنسان الذى تمرد على أمر ربه بتحيته والسجود له هى اللعنة والطرد الأبدى « قال : اخرج منها فإنك رجيم. وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين » .

وبين القرآن مركز الإنسان فى هذا الكون المادى العريض ، وهو مركز السيد المتصرف ، الذى سخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا « الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه » .

وما الذى بوأ الإنسان هذه المكانة فى الكون - على مافيه من أجرام ضخام - ؟ إنه استعداده لحمل الأمانة الكبرى : المسئولية . . التكليف تلك المسئولية التى صورها القرآن تصويراً أدبياً رائعا فقال : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان » تلك المسئولية التى جعلت مصير كل إنسان بيده إما إلى جنة وإما إلى نار « بل الإنسان على نفسه بصيرة » ، « من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها » .

ذلك بعض ماذكره القرآن عن مكانة الإنسان ، وإن فيه لغناء لمن أراد الإنصاف ، وحسب الإنسان شرفا هذان النداءان المباشران من الله إليه بعنوان الإنسانية : « يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك » ، « يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه » .

يوسف القرضاوى

مثل كريم

كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، ينظر ليلا فى شئون الرعية فى ضوء سراج ، فجاء غلامه يحدثه فى شأن من شئون بيته ، فقال له عمر : أطفىء السراج ثم حدثنى ؛ لأن هذا الدهن من بيت مال المسلمين ، ولا يجوز استعماله إلا فى مصالحهم .

شريعة الله الخالدة

للأستاذ ابراهيم عبد الباقي

نظرة فى عالمنا الحاضر تريك نظرة الشريعة الإسلامية وما أبعدها من نظرة ؟ وحكمتها وما أبلغها من حكمة ؟ ، ترى الشريعة الإسلامية إعدام القاتل ، ويجوز العفو عنه والدية .

أما شريعة اليهود فلا تجيز العفو ، وشريعة النصارى لا تجيز القتل . فشريعة الإسلام وسط بين الاثنتين ، كما أنها ليست جسدية بحتة ولا روحية محضة ، وقديما قيل : خير الأمور الوسط ـ هذا ولقد جنح بعض المشرعين الغربيين إلى استبدال عقوبة القتل بعقوبة أخرى محبذين رأيهم بأن إعدام القاتل أثر من آثار الوحشية وخسارة على الأمة ، هذه حجتهم ولكن التجارب فندت مزاعمهم وردتهم على أعقابهم خاسرين ؛ إذ أن الوحشية إنما هى فى هذا القاتل الذى استباح دم أخ لأمر ما ، ومن استباح دم نفس واحدة سهل عليه غيرها . قال سبحانه : « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً » .

أما أنه خسارة على الأمة فمنطق معكوس ، وحكم باطل تحيله بداهة العقل ، ويبطله الواقع المحس ، فإن إبقاء القاتل لا يطفئ نيران العداوة ويبقى الأخذ بالثأر أبد الآبدين حتى تفنى عائلات . والموتور لا ينام عن وتر ، وضعيف اليوم ربما يكون قويا فى الغد .

وإن من محاسن هذه الشريعة الإسلامية أنها لا تخالف طبيعة الإنسان ولا تصادم أية مصلحة اجتماعية أو فردية ولا تناوئ التطور ولا تخاصمه ، بل تتمشى معه وتسايره ، ولقد تعاقبت عليها دهور قامت فيها حضارات ومحيت . وسعدت شعوب وشقيت ، وأبرمت قوانين ونقضت ، ولا تزال تتجلى فى جلباب العظمة والرفعة ، وتترا،ى فى مظهر القوة والمنعة ، فيها لكل حادثة حكم ولكل ضلة هداية ولكل ظرف تقدير ، وإن النظريات العلمية والآراء الفلسفية لا يمضى عليها إلا قليل من الزمن حتى تأذن الأيام ببطلانها ، وتأتى على عكسها ، خلا الشريعة الإسلامية فلا تزال تتحدى الزمن . وتغالب الأيام فمحال أن يصيبها شلل أو تدركها الشيخوخة ، ما دام

فيها عنصر المرونة التى تنطبق على كل جيل وقبيل ، لأن الزمان متجدد لا يقف ، وهل الشريعة إلا هداية روحية ، وسياسة اجتماعية ومدنية .

أما الهداية الروحية فبناها على العبادات التى فيها غذاء النفوس وإصلاح القلوب وإيقاظ الضمير وإخراج الناس من ذل العبودية إلا لله وحده ، يرجون رحمته ويخافون عذابه فلكل عبادة من العبادات الصحيحة أثر فى تقويم الأخلاق وتهذيب النفوس متى أقيمت على وجهها الصحيح ، كما أن الأصل فى العبادة البطلان حتى يقوم دليل على الأمر ، إذ لا حرام إلا ما حرم الله ولا واجب إلا ما أوجبه الله ، ولا مندوب إلا ما ندبه الله ، ولا مكروه إلا ما كره الله ، ولا دين إلا ما شرعه الله — أما الأصل فى العقود والشروط فالصحة إلا ما أبطله الشرع أو نهى عنه ، وهذا هو القول الصحيح فإن الحكم ببطلانه حكم بالتحريم والتأثيم وهذا لا يكون إلا من الله تعالى . فكل شرط وعقد ومعاملة سكت عنها الشرع فإنه لا يجوز القول بتحريمها فإن سكت عنها فهذه رحمة منه من غير نسيان أو إهمال ، فعن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال[1] : «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » فهذه رحمة منه سبحانه من غير نسيان وإهمال . ألا وإن مما خالف فيه الناس تعاليم نبيهم أنهم انصرفوا عن الكتاب والسنة وعبدوا الله بآراء علماء لا يسلمون من الخطأ ، وحصروا الشريعة فى المذاهب الأربعة ولو كان ذلك فيه مخالفة لصريح السنة وظواهر الكتاب . وأعجب من هذا وذاك أنهم أبطلوا الاجتهاد ولم يعلموا أن فى ذلك إهدارا للعقل ووأدا للفكر وركودا للشريعة الخالدة ، وعدم صلاحيتها لكل زمن وجيل ، إنها لأحدى الكبر أن يحكم هؤلاء بإعدام العقل الذى هو هبة الله للإنسانية فيبطلون عنصر المرونة التى اختصت بها الشريعة الإسلامية . ومن أراد المزيد فليطلع على مقال قيم فى هذا الموضوع كتبه الأستاذ محمود الشرقاوى سكرتير تحرير مجلة الأزهر (شوال سنة ١٣٧٩ هـ أبريل سنة ١٩٦٠ م) تحت عنوان « المذهبية والتقليد » .

أما السياسة الاجتماعية والمدنية فقد طبقها المسلمون فى العصور الأولى للإسلام وساروا على منهجها فاستطاعوا أن يؤسسوا حضارة زاهية ويكونوا مجتمعا صالحا ويرفعوا الراية الإسلامية فى الصحارى والقفار والبر والبحر ،

[١] للدارقطنى فى الأربعين النووية .

ويخاطبوا ملوك الأرض ، ويعبروا المحيطات ، ويشقوا الجبال ، ويتغلغلوا فى أحشاء أوروبا حتى دانت لهم الملوك وما كان ذلك إلا من قوة مبادئ الدين القويمة الرشيدة التى لم تكن مقتبسة من أحد ولا مما تعارفه البشر . وإنما كانت من مشكاة الوحى الإلهى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

هذا وقد أجمع علماء الأمة سلفهم وخلفهم على أن أصول التشريع أربعة: الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والاجتهاد . أما القياس فيراه جمهرة العلماء وبعضهم يقيده والاجتهاد إنما يكون فى الأمور التى ليس فيها نص من الكتاب والسنة ولا إجماع الصحابة، فالعلماء يجتهدون فى استنباط الأحكام من الكليات التى تناسب كل عصر وجيل ، وأما العوام فيجتهدون فيما يلق إليهم فيختارون ما تطمئن إليه نفوسهم من الدليل ، أما التعصب المذهبى فليس من الدين فى شىء ، وهذا الاجتهاد لا يكون فى العبادات لأنها تمت أصلا وفرعا، أما المعاملات فقد جاءت كلية لم تنص على الجزئيات ، وفوضت للعلماء أن يستخرجوا منها الأحكام التى تناسب تطور الزمان وارتقاء العمران ، واختلاف البيئة ، وفى ذلك يقول عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه: « تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا » .

والأمثلة فى ذلك كثيرة منها :

أنه كان غلمان لحاطب بن أبى بلتعة سرقوا ناقة لرجل من مزينة فأتى بهم عمر فأقروا فأرسل إلى عبد الرحمن بن حاطب فجاء فقال له إن غلمان حاطب سرقوا ناقة رجل من مزينة وأقروا على أنفسهم فقال عمر : يا أبا كثير بن الصلت اذهب فاقطع أيديهم . فلما ولى بهم وهم ، ناداه عمر ثم قال : « والله لولا أنى أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له ، لقطعت أيديهم ، وأيم الله إذا لم أفعل لأغرمنك غرامة توجعك، ثم قال: يامزنى بكم أريدت منك ناقتك ؟ قال : بأربعمائة .قال عمر : اذهب فأعطه ثمانمائة . وذهب أحمد رضى الله عنه إلى موافقة عمر .

المثال الثانى [1] أن عبد الرحمن بن الحكم الأموى أحد ملوك الأندلس باشر إحدى نسائه فى رمضان ثم ندم على جريمته وجمع الفقهاء وسألهم عما يكفر به . فقال له يحيى ابن يحيى تلميذ الإمام مالك بن أنس وفقيه الأندلس فيما بعد : تكفر بصوم شهرين متتالين ، فلما خرجوا قال له بعض الفقهاء لم لم تفته بمذهب مالك وهو التخيير بين العتق والصيام والإطعام ، فقال يحيى : لو فتحنا له هذا الباب لسهل عليه أن يباشر كل يوم ويعتق رقبة ، ولكن حملته على أصعب الأمور لئلا يعود .

---

[1] الاعتصام للشاطبى ج ثان ص ٢٧٦ .

وأرانى مضطرا إلى أن أبين أن السنة هى الدرجة الثانية من الكتاب ، وأن السنة العملية مقدمة على السنة القولية فى عهد الرسول والصحابة . أما بعدهم فلا ، وكان الإمام مالك رضى الله عنه يقدم عمل أهل المدينة على قول الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه يرى أنهم ثقة وعملهم من عمل الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولكن لما تأيدت دولة الحديث من بعده ظهر أن ثلث أقوال الرسول تخالف مذهب الإمام مالك ، لأنه كان من تابعى التابعين . وقد مضى على عمل الرسول عليه السلام أكثر من قرن ، فهذه المدة الطويلة حدثت فيها أعمال مخالفة لأعمال الرسول صلى الله عليه وسلم مما لا يجعل عمل أهل المدينة حجة مطردة بل يكون حجة إذا وافق كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ـ رحم الله الإمام وعلماء الدين وجزاهم خيرا عن الإسلام والمسلمين .

أما اجتهاد غير علماء الدين من أولى الأمر فإنما يكون فى الأمور الإدارية والقضائية والحربية وكل مايتعلق بسياسة الأمة وشئون الدولة ، وقد تركها الله تعالى للعقل البشرى لأنه يستطيع أن يهتدى إليها بالتجارب والممارسة

وإجمال القول أن الشريعة الإسلامية قد أفرغ الله فيها جميع ما ينشده البشر من المتع المباحة واللذائذ المشروعة ، وكل ما كان فى دائرة الطيبات من غير إفراط ولا تفريط ، قال سبحانه[1] : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » . ولم تقتصر على تنظيم العلاقات بين العبد وربه بل تجاوزته إلى تنظيم العلاقات بين الناس بعضهم ببعض بما شرعته من آداب وتشريع ، وقد وقفت من المعاملات موقف المصلح الاجتماعى والشارع القانونى فجعلت المعاملات المالية مبنية على قاعدتين : الأولى لاضرر ولاضرار ، والثانية دورانها على العرف فى دائرة الطيبات : أحلت البيع والشراء والمضاربة والعارية والإجارة والشفعة والسلم والمزارعة وغير ذلك مما لا غبن فيه ولاحيف على أحد المتعاقدين ، وحرمت الربا والعقود الفاسدة لما فيها من الأضرار الجسيمة أوكان ضررها أقرب من نفعها . كذلك نظمت القوانين الجنائية والمعاهدات الحربية تنظيما لم تسبقه شريعة من الشرائع السماوية ولا الوضعية . شهد بذلك كثير من الأجانب المستشرقين . « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون »[2].

ابراهيم عبد الباقى

---

[1] سورة الاعراف رقم ٣٢ .
[2] سورة البقرة رقم ١٣٨ .

الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم فى الإسلام

للأستاذ حسن عبد العزيز نصر

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

أما فى الشام فقد وصف أبو البقاء البدرى صالحية دمشق وما فيها من المعاهد العلمية فقال : ومن محاسن الشام الصالحية ، مشحونة بالزوايا والترب والمدارس ، حيث إن بها قصبة دون ميل ، تمشى فيها بين ترب ومدارس بناء جميل . وذكر أيضاً : أنه فى كل شرف من دمشق عدة من المدارس والمساجد ، ولكل واحد مايكفيه من الأوقاف ، وذكر ما يبذله أهل دمشق لطلاب العلم فقال : وتقرب أهلها إلى الله تعالى ببناء المدارس ، رغبة فى جوار المجرد الفقير البائس ، ورتبوا له من الخبز واللحم والطعام والزيت والحلوى والصابون والمصروف فى كل شهر على الدوام .

وذكر ابن جبير عن جامع دمشق : « وفيه حلقات للتدريس ، للطلبة والمدرسين ، فيها إجراء واسع . وللمالكية زاوية للتدريس فى الجانب الغربى ، يجتمع فيها طلبة المغاربة ، ولهم إجراء معلوم ، ومرافق هذا الجامع المكرم للغرباء وأهل الطلب كثيرة واسعة ، وأغرب مايحدث به : أن سارية من سواريه - هى بين المقصورتين القديمة والحديثة - لها وقف معلوم ، يأخذه المستند اليها للمذاكرة والدرس .

ويذكر أيضا : أن بالجامع المكرم عدة زوايا على هذا الترتيب ، يتخذها الطلبة للنسخ والدرس والانفراد عن ازدحام الناس ، وهى من جملة مرافق الطلبة ، ويذكر « أن الحركة العلمية لاتنقطع فى هذا المسجد - نهاراً ولا ليلا - وأنه كان يجرى فيه على أزيد من خمسمائة إنسان كل يوم ممن يقرءون القرآن الكريم - وهذا من مفاخر هذا الجامع المكرم فلا تخلو منه القراءة » .

ويذكر عن أوقاف الشام فيقول « ومرافق الغرباء بهذه البلدة أكثر من أن يأخذها الإحصاء . ولاسيما لحفاظ كتاب الله عز وجل ، والمنتمين للطلب . فالشأن بهذه البلدة لهم عجيب جداً ، وهذه البلاد المشرقية كلها على هذا

الرسم لكن الاحتفال بهذه البلدة أكثر ، والاتساع أجود » .

وعلى هذا نراه ينصح طلاب أهل المغرب أن يرحلوا إلى بلاد الشرق فيجدوا لهم كل مساعدة فى الحصول على العلم فقال « فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ، ويتغرب فى طلب العلم ، فيجد الأمور المعينات كثيرة ، فأولها فراغ البال من أمر المعيشة وهو أكبر الأعوان وأهمها ، فإذا كانت الهمة فقد وجد السبيل إلى الاجتهاد ولا عذر للمقصر ... »

وهذه الحركة العلمية شاهدها ابن بطوطة الذى زار الشام بعد ابن جبير بقرنين من الزمن ـ كان ذلك بفضل ما أرصد لها من الأوقاف الكثيرة ، وتقديم المساعدات المختلفة لطلاب العلم وذكر أن أهل دمشق يتنافسون فى عمارة المساجد والزوايا والمدارس، حتى أن بعضهم كان يهتم بتعليم الرجال الذين تعداهم سن التعليم ولم ينالوا نصيبهم من العلم ـ فقد رأى فى صالحية دمشق « مدرسة تعرف بمدرسة ابن عمر موقوفة على من أراد أن يتعلم القرآن الكريم من الشيوخ والكهول ، وتجرى لهم ولمن يعلمهم كفايتهم من المآكل والملابس » .

وأحصى النعيمى ما كان فى دمشق من معاهد العلم فإذا هى (سبع) دور قرآن ، و (١٩) داراً للحديث ، و (٥٩) مدرسة للشافعية ، و (٤٥) مدرسة للحنفية ، و (١١) مدرسة للحنابلة ، و (٣) مدارس طب ، فضلا عن التدريسات التى كانت فى المساجد والزوايا ـ هذا ما كان فى مدينة واحدة من مدن الشام .

أما فى القاهرة فكانت معاهد العلم فيها كثيرة ، بحيث عجز ابن بطوطة عن إحصائها ، فذكر عنها بأنه « لا يحيط أحد بحصرها لكثرتها » كما أن بعض الجوامع فيها كانت أشبه ما تكون بالكليات فى هذه الأيام ، نظراً لما يدرس فيها من العلوم المختلفة . فالجامع الأزهر لم ينقطع منه التدريس منذ أسسه الفاطميون ، ثم تنوعت فيه حلقات التدريس فى زمن الأيوبيين ومن تلاهم ، وأخذوا يوقفون له الأوقاف الكثيرة ، حتى صار عدد طلابه فى القرن الثامن الهجرى (٧٥٠) طالباً من مختلف الأجناس ، وتقرر فيه نظام الأروقة ، فكان فيه لكل طائفة رواق ، والجامع عامر بالدروس المختلفة ، بأنواع العلوم كالفقه والحديث والتفسير والنحو والأدب والفلسفة والحكمة ، والطلاب مكفولون بما أوقفه أهل البر والإحسان من محبى العلوم والمعارف، وفضلا عن هذا فإن أرباب الأموال كانوا يقصدون من فيه بأنواع البر من الذهب والفضة والفلوس ، وتحمل إليهم أنواع الأطعمة والخبز والحلاوات وغير ذلك ـ

ولا يزال الأزهر فى مقدمة المراكز العلمية الإسلامية ، فكثرت معاهده ، وتنوعت مناهجها ، وبلغ عدد من يدرس فيه عشرات الألوف كل ذلك بفضل أوقافه الكثيرة .

وكانت الحركة العلمية فى جامع الحاكم لا تقل عن الأزهر . ففى سنة ٧٠٢ هـ أعاد بناءه بيبرس الجاشنكير، ورتب فيه دروساً أربعة لإقراء الفقه على المذاهب الأربعة ، ودرساً لإقراء الحديث ، ودرساً للنحو ، ودرساً للقراءات السبع ، وشيخاً لافادة العلوم ، وعمل فيه خزانة كتب جليلة وجعل فيه عدة شيوخ لتلقين القرآن الكريم ، ومعلماً يقرئ أيتام المسلمين وأجرى على جميعهم معالم دارة .

وكانت التدريسات فى جامع ابن طولون سنة ٦٩٦ كما فى جامع الحاكم المار ذكره إلا أنه يزيد عليه أنه كان به مدرس يدرس الطب ، ومدرس للتفسير ، وبلغت مستغلات وقفه عشرين ألف دينار .

وقد أحصى المقريزى سنة ٧٤٩هـ الحلقات العلمية التى كانت فى جامع « عمرو بن العاص» فإذا هى بضع وأربعون حلقة لإقراء العلم - ولها الأوقاف المستمرة .

هذا بعض ما كان فى جوامع القاهرة . أما المدارس فكانت كثيرة ، وكلها عامرة بالتدريس .

فكان فى المدرسة الصالحية سنة ٦٤١ هـ دروس أربعة للمذاهب الأربعة وعدة معيدين ولها أوقاف كثيرة .

وكانت المدرسة الظاهرية التى بناها بيبرس البندقدارى (٦٦٠ - ٦٦٢) من أجل مدارس القاهرة . فيها مدرسون للمذاهب الأربعة ، ومدرس لعلم الحديث ومدرس للقراءات ، وخزانة كتب تشتمل على أمهات الكتب فى سائر العلوم ، وبجانبها مكتب للأيتام ، ولهم الجراية المستمرة والكسوة .

وفى سنة ٨١٠ هـ بنى الأمير جمال الدين الاستادار مدرسته . وجعلها من أعظم مدارس القاهره ، وجعل لها الشبابيك من النحاس المكفتت بالذهب والفضة ، وأبواب مصفحة بالنحاس البديع الصنعة المكفت . وجمع فيها من المصاحف والكتب فى الحديث والفقه وغيره من أنواع العلوم جملة ، وكان فيها عشرة مصاحف طول كل مصحف ،نها أربعة أشبار إلى خمسة فى عرض يقرب من ذلك ، أحدها بخط ياقوت والآخر بخط ابن البواب ، وفيها خطوط منسوبة . ولها جلود فى غاية الحسن ، معمولة فى أكياس الحرير الأطلسى ، ومن الكتب النفيسة عشرة أحمال .

ورتب فيها أربعة شيوخ لتدريس فقه المذاهب الأربعة ، ومدرسا للحديث ، وآخر للتفسير ، وقرر عند كل مدرس طائفة من الطلاب ، وبنى بها مكتبا للأيتام .

وأجرى لكل من فى المدرسة ثلاثة أرطال من الخبز فى كل يوم ، وثلاثين درهماً فلوساً فى كل شهر ، وجعل لكل مدرس ثلثمائة درهم فى كل شهر ، ورتب فيها بعد هـذا شيخاً للإقراء وإماما وقومة ومؤذنين وفراشين ومباشرين ، وأوقف لها أوقافا كثيرة .

أما فى الإسكندرية ، فقد حدثنا ابن جبير عن أوقاف صلاح الدين الأيوبى فيها فقال : « ومن مآثر هـذا البلد ، ومفاخره العائدة فى الحقيقة إلى سلطانه ، المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطلب والتعبد ، يفدون من الأقطار النائية ، فيلقى كل واحد منهم مسكناً يأوى إليه ، ومدرساً يعلمه الفن الذى يريد تعلمه ، وإجراء يقوم به جميع أحواله ، واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء القارئين حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك ، ونصب لهم مارستاناً لعلاج من مرض منهم ، ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم ، وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر فى مصالحهم التى يشيرون بها من علاج وغذاء » .

أما مدارس بغداد فكانت كثيرة ، وقد ذكر ابن جبير أن عدد مدارس الشرقية منها (الكرخ) ثلاثون مدرسة ، ومامنها إلا وهى يقصر القصر البديع عنها ، كما أن التدريسات كانت فى الكثير من مساجدها ، فتجد فيها حلقات العلم المختلفة ، وتجد فى بعضها ما فى المدارس من الإجراءات على المدرسين والطلاب .

وأعظم مدارس بغداد : النظامية ، والمستنصرية .

أما النظامية فقد بناها نظام الملك سنة ٤٥٩ هـ ، وكانت أشبه ما تكون بالكلية فى هذه الأيام ، فيها مدرسون لمختلف العلوم والمعارف ، وفيها مساكن للطلاب ، ولهم جميعاً من الإجراء والمخصصات ما يكفيهم ويسهل عليهم أمر الدرس ، وهى أول مفخرة من مفاخر نظام الملك الذى بنى المدارس فى كثير من بلاد الإسلام ، ويسر أمر التعليم للطلاب .

أما المدرسة المستنصرية ، وهى التى بناها الخليفة المستنصر بالله العباسى سنة ٦٢٥ هـ . فكانت من مدارس العالم المشهورة ولا تزال بنايتها باقية إلى اليوم .

وإذا نظرنا إلى التنظيمات الدقيقة التى كانت فى المستنصرية ، فإننا نجدها لا تقل عما نراه اليوم فى الجامعات ، وهى تمتاز عن الأخيرة بأنها مفتوحة للغنى والفقير وللغريب وابن البلد ، ألكل سواء لهم حق الدرس فيها ، وحق التمتع بالجرايات التى شرطها الواقف وإليك ما كان فيها .

شرط الخليفة أن يكون عدد طلاب الفقه فيها مائتين وثمانية وأربعين طالبا ، من كل طائفة اثنان وستون ، وأن يجرى لهم المشاهرات الوافرة والإجراءات المستمرة من الخبز واللحم والحلوى والفواكه واللبن والصابون .

وفيها دار للحديث ، يتولاها شيخ عالى الإسناد ، وقارئ وعشرة طلاب حديث ، ولهم من الجراية ما لطلاب الفقه .

وفيها ثلاثون صبياً أيتاما ، يتلقون القرآن المجيد من مقرئ متقن صالح ، ويحفظهم معيد معه . ولهم جراية مستمرة .

وفيها شيخ نحوى يشتغل عليه عدد من الطلاب بعلم العربية . ولهم من الجراية المستمرة ما لغيرهم .

وفى المدرسة من يشتغل بعلم الفرائض والحساب إلى غير ذلك .

وفى المدرسة طبيب حاذق مسلم ماهر ، وعشرة طلاب من المسلمين ، يشتغلون عليه بعلم الطب ، ولهم جراية مستمرة مثل ما لغيرهم .

وبنيت للطبيب صفة فاخرة مقابلة للمدرسة يجلس فيها يطب لمن يعرض له مرض فى المدرسة . ويعطى المريض مايصف له الطبيب من أدوية وأشربة من الصيدلية التى كانت فى المدرسة . كما كان الطبيب يتردد إلى مرضى المدرسة فى بكرة كل يوم يتفقدهم .

وفى المدرسة مخزن فيه الأطعمة والأشربة والكسوة والشمع والصابون والأدوية — وكلها تقدم إلى الطلاب والمدرسين متى احتاجوا إليها .

وكان فى المدرسة من كل طائفة إمام يصلى بهم ، وقارئ للسبعة وداع يدعو .

وفى المدرسة ناظر يتولى أمور أوقافها ، يساعده مشرف وكاتب ، وفيها معمارية وفراشون وبوابون وحمامى ومزين وقيم وطباخ وخازن الآلات وخزنة الديوان ومزملاتى ومؤذن ونفاط ، ولكل منهم جرايات ومشاهرات .

وفى المدرسة مكتبة تحوى آلاف الكتب المختلفة التى يحتاجها المدرسون والطلاب ، ولها من يقوم بأمرها : خازن ومشرف سوى المقيمين والفراشين والخدم .

وذكر المؤرخون أن الخليفة المستنصر بالله أمر بنقل كتب إلى خزانة المكتبة يوم فتحها ، فنقل إليها من الربعات الشريفة ، والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والعربية ما حمله ١٦٠ حمالا — سوى ما نقل إليها بعد ذلك ، وذكر بعضهم أن عدد الكتب التى أمر الخليفة المستنصر بإيداعها إلى مكتبة المستنصرية كان ثمانين ألف مجلد ، ورتبت أحسن ترتيب مفصلا لفنونها بحيث يسهل تناولها ، ولا يتعب مناولها .

أما أوقافها : فقد ذكر بعضهم أن قيمة ما وقف عليها يساوى ألف ألف دينار ، وبلغ ارتفاع وقوفها فى العام نيفاً وسبعين ألف مثقال من الذهب ، وحتى قيل عما أوقف لها من القرى فقط ، أن ثمن التبن من غلات ريعها يكفى المدرسة وأهلها » .

هذا ما كان فى المدرسة الإسلامية قبل ثمانية قرون ، وهو يدلنا على مدى اهتمام القوم بالعلم وأهله ، وبذلهم الأموال الوافرة فى سبيل إراحة الطلاب وتسهيل أمر الدراسة لهم .

وأن هذا التأمين الاجتماعى للعلم وأهله ، صار من الأركان التى لا يمكن أن تستغنى الدولة عنه ، فما أوقفه ملك أو أمير أو تاجر يبقى وقفاً مهما تبدلت الأوضاع السياسية للبلد ، فيبقى المعهد كما كان ، وأوقافه محبوسة عليه لا تمتد إليها يد ، ولا يتسلط عليها غاصب ، فشرط الواقف كنص الشارع . ولذا نجد بعض المؤسسات العلمية الإسلامية التى مضى عليها ما يزيد على ألف سنة ، لم تزل محافظة على مركزها العالى ، وهذا الجامع الأزهر خير دليل على ما نقول ، وهو لم يزل فى توسع ببنائه ومعاهده وعدد طلابه وشيوخه ، كل هذا بفضل الأوقاف الكثيرة التى رصدت له . ومايقال عن الأزهر يقال عن كثير من المدارس القديمة والتى هى عامرة إلى اليوم مع أنه مضى على بعضها عدة قرون . فالمشهد الرضوى فى النجف ، ومدرسة أبى حنيفة ببغداد ، وجامع الزيتونة بتونس ، وجامع القرويين بالمغرب ، والجامع الأموى بالشام ، وغيرها من المعاهد العلمية التى حافظت على مركزها بفضل ما أوقف لها .

هذا التنظيم الدقيق لخدمة العلم والأخلاق ، وضعه المسلمون ، وجعلوه ركناً هاما من أركان الحضارة التى شادوها ، وأناروا للعالم سبل الهداية فى القرون المظلمة ، فى الوقت الذى كانت أوروبا فيه تتخبط فى دياجير الظلام ، ويعتقد أهلها أن الجبر نوع من السحر ، وأن الساعة الدقاقة يحركها شيطان ، وحين كانت القراءة والكتابة محصورين فى رجال الدين والنبلاء ، بينما كان أهل الأندلس يقرؤن ويكتبون وقلما نجد بينهم من لا يحسن القراءة والكتابة وتكاد الأمية تكون معدومة بينهم .

هذه نبذة عن الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم عند المسلمين فى بعض المدن . ولو أردنا استقصاء البحث فى غيرها لاحتاج الأمر إلى بحث طويل ؟

حسين عبد العزيز نصر

لغويات

للأستاذ محمد على النجار

قولهم ثلاثمائة وتسعمائة

سأل الأستاذ محمد إبراهيم فى الجزء السابق من مجلة الأزهر ، عن الذى دعا العرب إلى أن أفردوا تمييز الثلاث وما بعدها إلى التسعة إذا كان مائة . فتراهم يقولون : ثلاثمائة وأربعمائة ، وكان القياس على النظائر أن يجمعوا المائة فيقولوا : ثلاث مئات وتسع مئات مثلا ، كما يقولون : خمسة آلاف وتسعة آلاف .

وأذكر أن هذا الاختلاف نبه عليه النحويون فى أوائل تدوينهم للنحو؟ . فسيبويه فى الكتاب ١ / ١٠٧ يقول : « وأما ثلاثمائة إلى تسعمائة فكان ينبغى أن يكون مئين أو مئات » . ومعنى هذا أن قولهم : ثلاثمائة جاء فى العربية على خلاف ما كان ينبغى لهذا الضرب من العدد ، وأن فى هذا شذوذا عن النظائر . وتراه يقول بعد فى هذا الموطن : « فقد يشذ الشىء فى كلامهم عن نظائره ، ويستخف الشىء فى موضع ولا يستخفونه فى غيره » .

وليس معنى الشذوذ هنا الضعف والخروج عن الفصاحة اللغوية ، فإن هذا هو الفصيح لا يقبل غيره . فلا تقول خمس مئات أو أو مئين ، ولو قلته كنت مخطئا وجه الصواب ، وإن كان هو الأصل والقياس ، فرب قياس اطرحه العرب وخالفوا عن أمره ، بل قد يؤثر هذا عن العرب فيحمل على الشذوذ فى الاستعمال . ومن هذا قول الفرزدق :

ثلاث مئين للملوك وفى بها
ردائى وجلت عن وجوه الأهاتم

وقول الشاعر :

ثلاث مئين قد مررن كواملا
وها أنا هذا أشتهى مر أربع

وينبغى أن يعلم أن المائة إذا وقعت تمييزا لهذه الأعداد كان معناها المئات . وترى سيبويه يقول : « وليس بمستنكر فى كلامهم أن يكون اللفظ واحدا والمعنى جميع ، حتى قال بعضهم فى الشعر من ذلك مالا يستعمل فى الكلام . قال علقمة بن عبدة :

بها جيف الحسرى فأما عظامها
فبيض وأما جلدها فصليب

وقال الشاعر :

لا تنكر القتل وقد سُبينا
فى حلقكم عظم وقد شجِينا

وقال الآخر :

كلوا فى بعض بطنكم تعفوا
فإن زمانكم زمن خميص

فقوله : جلدها فى البيت الأول يريد جلودها . وهو يصف طريقا شاقة على السالكين تسقط فيها الإبل إعياء فتهلك وهى حسرى ، فتأكل السباع والطير ما على العظام من اللحم فتبدو بيضاء واضحة ، وتبقى الجلود صلبة يابسة إذ لم تلين بالدباغ . وقوله فى البيت الثانى : فى حلقكم يريد : فى حلوقكم فوضع الواحد موضع الجمع . وقوله فى البيت الثالث : فى بعض بطنكم يريد : فى بعض بطونكم .

وهنا يبرز السؤال العتيد ، وهو : لم اختار العرب هذا الوضع أى استعمال المفرد فى معنى الجمع مع المائة ، ولم يجروا هذا مع الألف ، فقالوا : خمسمائة ولم يقولوا : خمسة ألف ؟

وقد أشار سيبويه إلى الجواب عن هذا السؤال فى إيجاز ، فذكر أن هذه الأعداد شبهت بعشرين وأحدعشر فجاء تمييزها مفردا ويشرح السيرا فى كلام سيبويه ويبين وجه الشبه ، فيذكر أن الثلاث مع المائة وما بعدها إلى التسع بعدها عقد ليس من لفظها ، وهو الألف ، وكذلك أحد عشر إلى تسعة عشر بعدها عقد ليس من لفظها وهو العشرون ، ومثلها فى ذلك العشرون إلى التسعين بعدها عقد ليس من لفظها وهو المائة ، ولما كان تمييز الأحد عشر والتسعة عشر والعشرين إلى التسعين مفردا حمل عليها تمييز الثلاثة إلى التسعة إذا ميزت بالمائة فأتت المائة مفردة ، فأما الثلاثة إلى التسعة مع الألف فليس فيها هذا ، ألا ترى أن التسعة مع الألف أى تسع المائة بعدها عشرة آلاف وهو عقد من لفظ تسعمائة وأسلوبه بخلاف تسعمائة فبعدها ألف كما سبق .

فإن قال القائل : إذا كانت هذه الأعداد شبيهة بعشرين وأحد عشر فهلا كان تمييزها منصوبا ؟ فالجواب أن لهذه الأعداد شبها بالثلاث إلى التسع التى ليس تمييزها المائة إذ كان الجميع يشتركن فى أن بعدها عقدا ليس من لفظها ، فهنا بعدها الألف وفى تلك الأعداد يليها العشرة ، فحملت ثلاثمائة على ثلاث نساء فى الإضافة إلى التمييز وجره ، وهكذا أربعمائة إلى تسعمائة .

ويقدم ابن الحاجب فى شرح كافيته وجها آخر لسبب هذا الشذوذ ، فهو يرى أنه لو ميزت هذه الأعداد بجمع المائة فقيل : ثلاث

مئات لقيل فى بعض المواطن : ثلاث مئات امرأة ، وهنا يجتمع تأنيثان وجمع والجمع مؤنث ، فيكون هنا اجتماع ثلاثة تأنيثات فيما هو كالكلمة الواحدة أى المركب الإضافى وهم يستثقلون اجتماع الأمثال ، بخلاف ما إذا قيل : ثلاثمائة امرأة ، وتراه لم ينظر إلى تمييز الثلاث بالمئين ، وهو الجمع الآخر الوارد فى الشعر كما سبق ، لأن التمييز بجمع المذكر السالم لا ينقاس كما أبانه الرضى ، ولما لم يجتمع مثل هذا فى قولك خمسة آلاف امرأة جاءوا فيه على القياس ولم يشذوا فيه .

ويرى الرضى فى شرح كافية ابن الحاجب أن المائة إذا وقعت تمييزا تخطر فى الذهن المائة الواقعة بعد التسعين ، وكأنما هى شيء واحد ، والمائة الواقعة بعد التسعين وما قبله مما هو على صورة جمع المذكر السالم لا يحسن أن تأتى بصيغة جمع المؤنث السالم أى مئات لما هنالك من التنافر بين الجمعين ، فلهذا عدل عن مئات فى هذا المقام إلى مائة .

ويرى القارئ : أن تعليلى ابن الحاجب والرضى مبنيان على أن وقوع مئين فى التمييز لا ينقاس ، وأنه لو كان هناك جمع تكسير للمائة كما هناك جمع تكسير للألف لما ساغ هذا الشذوذ .

من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها :

وسأل الأستاذ أيضاً عن وجه تذكير العدد فى الآية الكريمة مع إضافته إلى الأمثال وواحدها مذكر ، وكان الواجب التأنيث .

ويذكر النحويون فى الجواب عن هذا أن المعدود هنا محذوف دل عليه ما قبله ، وهو الموصوف بأمثالها ، والتقدير : فله عشر حسنات أمثالها وهذا يفبنى على قاعدة فى العدد وهى أنه إذا كان المعدود صفة نائبة عن الموصوف اعتبر حال الموصوف لا حال الصفة . ويرى أبو على الفارسى من أعلام النحاة أن الأمثال اكتسب التأنيث من المضاف إليه وهو ضمير الحسنة ، على حد قوله : ذهبت بعض أصابعه ، وكما جاء فى قراءة : تلتقطه بعض السيارة ، وهى قراءة الحسن ومجاهد وغيرهما ، وهى من شواذ القراءات .

لن الناصبة وتأبيد النفى :

ويعترض الأستاذ على قول النحاة : إن لن تفيد تأبيد النفى باعتراضين ، الأول قوله تعالى : « فلن أكلم اليوم إنسيا » ، والثانى قوله تعالى : « ولن يتمنوه أبدا » . ففى الآية الأولى قيد النفى باليوم ، وهذا ينافى التأبيد . وفى الآية الثانية يكون قوله (أبدا) تكرارا مع ما أفاده (لن) ، والقرآن ينزه عن مثل هذا .

وإنى أسوق هنا آراء النحاة فى (لن) .

يقول سيبويه فى الكتاب ٢/٣٠٥ : « ولن نفى لقوله : سيفعل » يريد أن لن تفيد نفى الحدث فى الزمن المستقبل . ويقول ابن يعيش فى الكلام على لن : « وهو نقيض سوف وذلك أن القائل إذا قال : سوف يقوم زيد فنفى هذا : لن يقوم زيد » وترى أن سيبويه لم يزد على أنها تفيد النفى فى المستقبل ، ولم يعرض فيها لتأبيد ولا تأكيد .

وجاء الزمخشرى فذكر أن لن تفيد تأكيد النفى وتشديده . ذكر هذا فى المفصل والكشاف فهو يقول فى المفصل فى مبحث الحروف « ولن لتأكيد ما تعطيه لا من نفى المستقبل تقول : لا أبرح اليوم مكانى . فإذا وكدت وشددت : قلت ، لن أبرح اليوم مكانى . قال الله تعالى . لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين » وقال : « فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى » وقال فى الكشاف عند قوله تعالى فى سورة الأعراف : لن ترانى : « فإن قلت : ما معنى لن ؟ قلت : تأكيد النفى الذى تعطيه لا . وذلك أن لن تنفى المستقبل . تقول : لا أفعل غدا ، فإذا أكدت نفيها قلت : « لن أفعل غدا » وقد تبعه ابن الحاجب والرضى .

وينسب ابن هشام فى المغنى إلى الزمخشرى أنه فى كتابه الأنموذج فى النحو يرى أن لن تفيد تأبيد النفى . وقد رجعت إلى نسختين من الأنموذج ، إحداهما مطبوعة فى مطبعة الجوائب ، والأخرى فى مطبعة المدارس الملكية فإذا فيه : « ولن نظيرة لا فى نفى المستقبل ، ولكن على التأكيد » فلعل ابن هشام وقعت له نسخة فيها : « ولكن على التأبيد » . وفى ارتشاف الضرب لأبى حيان : « ولا تدل على نفى الفعل فى جميع الزمان المستقبل ، نقل ابن مالك أن الزمخشرى خص النفى بالتأبيد » وإنى أرى أن الزمخشرى لو كان يقول بذلك لكان أخلق المواطن بذكره تفسير قوله تعالى فى سورة الأعراف لن ترانى ، إذ يكون هذا حجة لمذهب الاعتزال فى استحالة الرؤية ، وقد علمت أنه فى هذا الموطن يذكر أنها للتأكيد .

وقد أورد النحاة على القول بالتابيد الاعتراضين الذين أوردهما السائل وأجابوا عن الآية الأولى بأن تأبيد النفى إنما هو عدم التقييد ، فأما عند التقييد كما فى الآية فلا ، إذ أن النفى قيد باليوم الحاضر . وأجابوا عن الآية الثانية بأنه لا تكرار فيها ، إذ التكرار إنما يكون بإعادة اللفظ نفسه أو إعادة مرادفه ، و (أبدا) و (لن) ليسا مترادفين ، إذ أن (لن) تفيد النفى والتأبيد ، و(أبدا) لا تفيد النفى ، وعلى فرض التكرار فهو من باب التوكيد وهو كثير فى القرآن الكريم .

(البقية على صفحة ٩٠٥)

النفقة وصلتها بقانون الوضع الجديد

للأستاذ عباس طه

منذ ثمانية عشر عاما تقريبا رأت اللجنة المنوط بها وضع مشروع قانون العقوبات بوزارة العدل ، رغبة منها فى حماية الأسر ، إضافة نص بمعاقبة كل من يلزم بالانفاق على أحد من ذوى قرباه ، ويمتنع عن أداء هذا الواجب بالحبس مدة لا تزيد على سنة ، أو بغرامة لا تزيد على مائة جنيه : غير أن القانون خرج على الناس لا يحمل هذه العقوبة مما أفضى إلى التقاعس عن الاستجابة إلى أحكام المحاكم فى مواد النفقات .

وفى هذا البحث نفصل ضروب النفقة تنويراً للأذهان وتنويها بفضل شريعة القرآن فى بناء العمران .

نوّع التشريع الإسلامى النفقة إلى ثلاثة أنواع : نفقة واجبة على الزوج لزوجته ، ونفقة واجبة للأبناء ومن فى حكمهم على الآباء ومن فى حكمهم . ونفقة واجبة للأبوين ومن فى حكمهما على الأبناء ومن فى حكمهم .

ففرض فى باب النفقة الزوجية تلك النفقة على الزوج لزوجته ولو فى بيت أبيها مالم يطالبها الزوج بالنقل وتمتنع بغير حق ، وفرضها كذلك فى حالة ما إذا كان الزوج موسرا وكانت لامرأته خادمة تجب عليها نفقتها بقدر ما يكفيها على حسب العرف ، بشرط أن تكون الخادمة متفرغة لخدمتها لا شغل لها غيرها . وإذا زفت إليه بخدم كثير استحقت نفقة الجميع إن كان ذا يسار ، وإذا رزق أولاداً لا يكفيهم خادم واحد يفرض عليه نفقة خادمين أو أكثر على قدر حاجة أولاده . وفى حالة ما إذا مرضت المرأة مرضا يمنع من مباشرتها بعد الزفاف والنقل إلى منزل زوجها أو قبله ثم انتقلت إليه وهى مريضة أو لم تنتقل ولم تمنع نفقتها بغير حق فلها النفقة عليه ، فلو مرضت فى بيت الزوج ثم انتقلت إلى بيت أهلها فإن طالبها الزوج بالنقل ولم يمكنها الانتقال لمخافة أو نحوها فلها النفقة .

وقد أوجب التشريع الإسلامى النفقة

للأبناء على الآباء بأنواعها الثلاثة : فأوجب للإبن النفقة على الأب الحر ولو ذميا لولده الصغير الفقير ذكرا كان أو أنثى حتى يبلغ الذكر حد الكسب وحتى تزف الأنثى إلى بعلها : وأوجب على الأب النفقة لابنه الكبير الفقير العاجز عن الكسب كزمن وذى عاهة تمنعه عن الكسب ، ومن كان من أبناء الأشراف أو من فى حكمهم ، ولا يستأجره الناس فى عمل من شأنه أن يغض من سمعة بيته أو يزرى بكرامته ، وللأنثى الكبيرة الفقيرة ولو لم تكن بها زمانة أو عاهة إلا إذا تزوجت ، فإذا تبين أن الأب ليس عاجزا عن الكسب أو به عاهة تحول دون استدرار النفقة على غيره ألحق بالميت ، وتجب فى هذه الحالة النفقة على من يليه فى المرتبة مع تحقق شرائط الوجوب ، ومعلوم أن النفقة تعتمد الجزئية والإرث فى وجوبها أما إذا كان الأب معسرا ولا زمانة به ولا عاهة تحول دون اكتسابه فلا تسقط عنه النفقة لمجرد إعساره لولده ، بل مفروض عليه أن يكتسب وينفق بقدر الكفاية ، فإن نفقة الأقارب معتبرة عند الفقهاء ضرورة طارئة ، وإنما تقدر الضرورة بقدر ملابستها ، فإن أبى مع قدرته على الاكتساب يجبر على ذلك ويحبس فى نفقة ولده ، فان لم يف اكتسابه بحاجة الولد أو لم يكتسب لعدم تيسر الكسب أمر القريب بالانفاق على الولد بالنيابة عن أبيه ليرجع على الوالد إذا أيسر مستقبلا :

والأم فى حالة إعسار الأب أولى من سائر الأقارب بالانفاق على ولدها ، فإذا كانت موسرة مع إعسار الأب أمرت بالإنفاق على ولدها ولا يشاركها الجد ، فاذا كان الأبوان معسرين ولهما أولاد يستحقون النفقة أمر بها القريب من منزلتهما كما أسلفناه . فاذا أبى الانفاق عليهم مع يسره أجبره القاضى عليها ويكون إنفاق الكبير فى هذه الحالة دينا على أبيهم المعسر يرجع به القريب عليه إذا أيسر سواء كان المنفق أما أوجدا أوغيرهما ، فإن كان الأب معسرا أو زمنا عاجزا عن الكسب فلا رجوع لأحد عليه بما أنفقه على ولده ، وإذا كان أبو الصغير الفقير معدما وله أقارب موسرون من أصوله فإن كان بعضهم وارثا وبعضهم غير وارث وتساووا فى القرب والجزئية يعتبر الأقرب جزئية ويلزم بالنفقة. فإن كان له أم وجد لأم فنفقته على الأم ، وإن كان أصوله وارثين كلهم فنفقته عليهم بقدر استحقاقهم فى الإرث ، فلو كان له أم وجد لأب فنفقته عليهما أثلاثا : على الأم الثلث وعلى الجد الثلثان . فإن كانت أقارب الطفل الفقير المعدم أبوه بعضهم أصول وبعضهم حواش فإن كان أحد الصنفين وارثا والآخر غير وارث يعتبر الأصل لا الحاشية ويلزم بالنفقة سواء كان هـو الوارث أم لا .

عباس طه

البقية فى العدد القادم

ما يقال عن الإسلام

كلام عن الإسلام والعرب

فى كتابين حديثين

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتابان من المطبوعات الحديثة قرأت فيهما كلاما عن الإسلام والعرب ، وعن تقدير الحضارة العربية .

فتحت أحدهما فوجدت فى صدره فصلا مطولا بعنوان : « إسلام القرن العشرين » فخطر لى أن المؤلف يتكلم عن تطور الإسلام فى هذا القرن ويشرح آراء المجددين المصلحين من أئمته أو عادات المسلمين المعاصرين مع المقابلة بينها وبين عادات المسلمين فى القرون التى سبقت القرن العشرين .

ولكننى لم أقرأ من الفصل بضعة أسطر حتى ظهر لى أن المؤلف إنما يتكلم عن الشيوعية الماركسية ويحذر العالم الغربى من أخطارها لأنها - كما يقول - غزوة جديدة تهدده فى كيانه كما هدده الإسلام فى القرن السابع للميلاد . . !

وإنه لتضمين من المؤلف أوضح وأبلغ من التصريح ، لأنه يعلن رأيه ورأى قرائه المقصودين فى موقفهم من الإسلام ، ويبين لنا أن هناك قوما من بنى جلدته يحسون أن اسم الإسلام نذير بالخطر يكفى أن يذكر لهم ليدركوا أنهم مهددون بما يوقظ النائم وينبه الغافل ولا يحتاج بعده إلى نذير .

وفرغت من الفصل فلم أجد فيه وجها من وجوه المشابهة غير أن الإسلام دعوة والشيوعية دعوة ، أو هى كما سماها (دين دنيوى) يقوم على عقيدة (إيمانية) تجرى مع الشعور ولا تجرى مع المنطق والمعرفة البرهانية وهذا كل ما هنالك من مشابهة بين النذيرين . ! .

وقد زعم المؤلف أن خطة ستالين فى (تشييع) القارة الآسيوية أو إكراهها على قبول الشيوعية ليست إلا تكرارا لخطط القادة الآسيويين أمثال محمود الغزنوى وطغرل بك وألب أرسلان ، وأن هذه الخطط جميعا تعتمد على سلاح الدولة وسلاح العقيدة وتتخذ العقيدة أحيانا وسيلة لقلب الدولة كما تتخذ الدولة أحيانا أخرى وسيلة لقلب العقيدة .

لكن ما هو وجه الشبه بين دعوة تخاطب الناس من كل طبقة وبين دعوة تلغى الإنسانية

ولا تعرف لها تاريخا أو مستقبلا غير تاريخ طبقة واحدة ؟.

وما هو وجه الشبه بين دعوة تصحح المجتمع أو تعالج أدواءه وبين دعوة تهدم المجتمع ولا تبقى منه بقية تربط بين حاضره وماضيه ؟.

وما هو وجه الشبه بين دعوة تحصى عدد الضحايا من أعدائها ومقاوميها فلا يزيد على بضعة ألوف فى مائة سنة، وبين دعوة تحصى عدد ضحاياها فى موطنها وحده فيزيد على عشرين مليونا فى بضع سنوات ؟.

وما هو وجه الشبه بين الصديق والفاروق، وبين لينين وستالين ؟.

إن كل شىء فى الإسلام والشيوعية يختلف أشد الاختلاف غير اسم الدعوة أو اسم العقيدة. إن صح وصف المؤلف للشيوعية بأنها عقيدة دنيوية.

ولكن الشبه المهم الذى جمعه المؤلف تحت عنوان فصله إنما هو فى « النذير » الصريح باسم الدعوتين، وكفى به عنوانا يغنى عند قرائه المقصودين، وعندنا نحن، عن صفحات ومجلدات !.

هذا الكتاب اسمه « الشيوعية من وجهة العلوم الاجتماعية والنفسية »، واسم مؤلفه الأمريكى جول مونيروت، ويقول مقرظوه : إنه ناقد ثاقب النظر يرى بنظره إلى بعيد. ! .

ﻩ ﻩ ﻩ

أما الكتاب الآخر فاسمه « العرب »، واسم مؤلفه « هارى أليس »، وهو كاتب صحفى قضى فى الشرق الأوسط حقبة غير قصيرة مشتغلا بمراقبة الأحوال ومراسلة الصحف العلمية، وكتابه أشبه بكتب الدراسة فيما يعرض له من التاريخ القديم، وأشبه بمقالات السياسة فيما انتهى إليه فى ختام فصله الأخير.

يبدأ المؤلف تاريخه الموجز من العصور السابقة للأديان الكتابية، ويعتبر تاريخ العرب أصلا لتواريخ الحضارات التى عمرت طويلا بين النهرين وبين البحرين، أى البحر الأحمر وبحر الروم.

ثم يوجز الكلام عن دعوة الإسلام فيقول، بعد خليط من الحقائق والأوهام : إن سنة ٧٣٢ م وافقت ذكرى وفاة النبى محمد (صلوات الله عليه) فبلغت بدعوته أقصى المغرب وكادت أن تصل إلى أقصى المشرق، ولم يكن السيف وحده قوام الدعوة بل كان كثير من أبناء البلدان المفتوحة يقبلون على الإسلام لتفضيلهم إياه على عقائدهم، أو لأن الدخول فى الإسلام يرفع عنهم الضرائب التى تجبى من غير المسلمين، ولكن

لايفهم من ذلك أن المسلمين الذين دخل آباؤهم فى الإسلام فراراً من الضريبة كانت عقيدتهم الإسلامية هينة عليهم ، بل كان هؤلاء المسلمون يذودون عن دينهم مستميتين مستشهدين كلما هوجمت ديارهم بعد سقوط « الامبراطورية الإسلامية » حوالى القرن الثالث عشر للميلاد .

قال : « وإن العرب الذين كانوا قبل الإسلام بدوا جفاة جلبوا إلى دولتهم الواسعة هديتين جليلتين : إحداهما الديانة التى نشر بها محمد (عليه السلام) ... والأخرى اللغة العربية ... فأصبح اللسان العربى واسطة المعاملة كما أصبح واسطة التعليم والتثقيف ، فزاد عدد الكتب التى كانت تظهر باللغة العربية بين القرن التاسع والقرن الثانى عشر للميلاد على جملة الكتب التى ظهرت يومئذ بجميع اللغات الأخرى ... »

ولم يخالف المؤلف ديدن زملائه فى خصلتين ملازمتين لأكثر الكاتبين عن الإسلام والعرب من الأوربيين ، فإنه ليستريح إلى الإقلال من عدد المتكلمين باللغة العربية فيحصيهم بنحو خمسين مليونا وهو يستطيع أن يعلم بغير حاجة إلى البحث الطويل أن خمسين مليونا يتكلمون العربية ويعيشون فى إفريقية الشمالية وحدها دون سائر الأمم الإفريقية الأخرى وراء مراكش والجزائر وتونس وليبيا ووادى النيل ، ولا يقل المتكلمون باللغة العربية إلى الغرب من القارة الآسيوية عن ثلاثين مليونا بين جزيرة العرب ووادى النهرين وسائر أقطار الهلال الخصيب ، وقد يبلغ العارفون بالعربية من غير العرب عدة ملايين .

والخصلة الأخرى التى ينساق إليها المؤرخ الغربى عن سوء فهم منه للظواهر الفنية أحيانا هى التطفيف من نصيب الذوق العربى الخالص من نهضة الفنون والثقافة فى الدول الإسلامية أو « الامبراطورية » الإسلامية كما يسميها

فقد يكون المهندسون أجانب عن السلالة العربية الخالصة ، ولكن الذوق العربى بلا جدال هو الذوق الذى غلب على هندسة المعمار فى كل قطر من أقطار المشرق والمغرب ، وما من أحد ينظر إلى العمدان والأقواس التى تحمل القباب ثم يشك فى قيامها جميعا على أساس من إلهام « النخلة » بقوامها المديد النحيل وقبتها المعرشة وأقواسها المتناسقة على جهاتها الأربع ، وليس التقابل بين الأشكال الهندسية على النسق المعروف عند الإفرنج باسم (الأرابيسك) إلا تكراراً فى فن البناء للتقابل بين القوافى والأعاريض والشطور فى فن القريض .

ولا نكران لنقد الناقدين من جهابذة الفن الذين يأخذون على فن « المعمار » العربى

خلوه من صور الكائنات الحية ومن صور النبات فى أكثر الأحايين ، ولكن هؤلاء النقاد ينسون أن مذهب المعمار العربى قابل للدفاع عنه من الجانب الفنى الخالص وإن ظنوا أن الدفاع عن هذا المذهب مقصور على الجوانب الدينية ، فقد رأى الفيلسوف الكبير « عمانويل كانت » أن الفن الخالص يتمثل فى المعمار العربى وحده ، وقلما يتمثل على هذا النحو فى فنون المعمار الأخرى ، لأن جماله مستمد من جمال الأشكال الهندسية غير مستعار من الصور والأشباه التى يقاس جمالها بغير مقاييس الهندسة ومقاييس البناء ، ومن الإنصاف للذوق العربى أن نذكر أن أشكال الهندسة أقرب إلى قوام الجدار والسقف والعمود الحجرى من الصور الحيوانية أو النباتية ، فإذا حسنت التحلية بصور الأحياء أو صور النبات فأحرى أن يوكل ذلك إلى نقش الرسوم التى تعلق بألواحها على الجدران ، كأنها بعض الأثاث الجميل بين سائر المقتنيات الفنية التى تحتويها الحجرات والبيوت .

وما دام الأمر لا يرجع إلى فقدان التعاطف بين الإنسان وسائر الخلائق الحية فلا معابة فيه على الذوق ولا على الشعور ، ولكنه تقسيم لمواضع الجمال الفنى حيث ينبغى أن توضع من جدران البيوت أو مقتنيات البيوت .

أما أن تجريد المعمار العربى من الرسوم الحية لم يكن يرجع إلى فقدان التعاطف بين العربى وسائر الخلائق الحية ، فهو حقيقة لا تخفى على من يروى القليل من الشعر العربى فضلا عن الكثير . فإن الشاعر الذى لا ينسى الناقة ولا الفرس ولا الربيع والمرعى قبل عصر الحضارة خليق أن يحس الحياة والأحياء تحت قبة السماء ، ولا ينتظر أن يخلق إحساسه بها تحت قباب الهياكل والقصور .

* * *

وينتقل المؤلف من حديثه عن عصر الحضارة إلى حديثه عن قضايا العصر الحاضر ، فلا يفوته أيضا أن يدلى بدلوه فى تلك السخافة التى تعاهد عليها زملاؤه الصحفيون ، أو المؤرخون العصريون من أبناء الغرب كلما ذكروا قضية فلسطين .. فهى عندهم قضية كسبتها عصابات إسرائيل من الأمم العربية فى ميدان القتال وانتصرت فيها بجيشها وسلاحها على دول العرب مجتمعات ، ولم يكن أحد بعيدا عن الشرق الأوسط ـ يجهل أن إسرائيل كانت تحارب بسلاح الدول الغربية وما لها ، وكانت تلقى التشجيع من تلك الدول فتزحف على الأرض المحرمة ويصبح احتلالها تلك الأرض « أمرا واقعا » و « حقا مكتسبا » على حين يضطر العرب إلى الجلاء عن أماكنهم بأمر السادة المسلطين على حكوماتهم وجيوشهم ، ثم يقتل وسطاء الهيئات الدولية الذين

يكفون إسرائيل عن العدوان أو يترددون فى استجابتها إلى دعواها فلا ينالها من جراء فتلهم جزاء. ولا يحول بينها وبين المزيد من معونة السلاح والمال.

إن البعيدين عن الشرق الأوسط يعلمون ذلك فلا ينساقون إلى القول بانتصار إسرائيل عن حسن نية، ولا يقررون هذه السخافة إلا وهم يتعمدون المغالطة ويسترون الجريمة المشتركة بين حكوماتهم وعصابات الصهيونية العالمية، فإذا بدرت تلك السخافة من مقيم فى الشرق الأوسط مطلع على الأخبار من مصادرها فهو فى الواقع يبتدع تلك السخافة ويعمل على ترويجها ولا يتورط فيها مضطرا إليها بعد اختراعها وترويجها.

وبيت القصيد من هذا كله ينجلى عند ختام الكتاب من الأسطر القليلة التى عقب بها المؤلف على كلامه عن النفط فى البلاد العربية وعن القوة التى تستفيدها هذه البلاد من تزاحم الأمم على آبارها وإدراكهم لخطر مراكزها فى معترك السياسة العالمية، وهذه هى أسطر الختام منقولة بحروفها:

«... كلما ازدادت ثقة العرب بقوتهم وجب عليهم أن يثقوا بشعوب الغرب التى تعودوا أن يسيئوا بها الظنون منذ أيام الوصاية والانتداب، وعلى الغربيين — من جانبهم — أن يذكروا أنه قبل قرون عديدة سبقت وصول الرجل الأبيض إلى أمريكا كان العرب سادة الدنيا وزعماء حضارتها؟»

عباس محمود العقاد

(بقية المنشور على صفحة ٨٩٨)

وابن يعيش فى شرح المفصل يرى مذهبا آخر فى التأبيد. فتأبيد النفى عنده بلن يكون على حسب الفعل المثبت قبل ورود لن فإذا قال القائل: سأسافر فقلت: لن تسافر فمعنى ذلك تأبيد نفى السفر المطلق، وإذا قال سأسافر غدا فقلت: لن تسافر غدا، فمعنى ذلك عنده تأبيد نفى السفر فى الغد أى فى جميع أوقات هذا الزمن، وعلى ذلك قول مريم عليها السلام: فلن أكلم اليوم إنسيا. معناه تأبيد نفى الكلام طول اليوم كما لو قالت: لا أكلم اليوم إنسيا أبدا أى فى جميع أوقات اليوم، وكذلك قوله تعالى لن ترانى. لا يفيد استحالة الرؤية ونفيها فى الآخرة على القول بأن لن تفيد التأبيد وأن موسى عليه الصلاة والسلام إنما سأل الرؤية فى الدنيا فقوله، «لن ترانى» أى فى الدنيا، فهى تفيد تأبيد نفى الرؤية فى الدنيا فأما الآخرة فلا حديث عنها.

محمد على النجار

مختار من الشعر القديم والحديث

ذكرى الوحدة

للأستاذ محمد رجب البيومي

[روح صلاح الدين البطل الخالد يتحدث عن الوحدة الرائعة بين مصر وسوريا] .

طرتُ عن عالم العيانِ وحلقتُ مليـاً على ضفافِ الغيوبِ
أتخطى الذُرى لأسبحَ فى النو رِ على قمـة الفضاء الرحيب
حيثُ تأوى فى قبةِ الخلد أرْوا حُ البهاليل من بُناة الشعوب (١)
تأخذُ العينَ بالسَّنا ويفوحُ الأ رجُ من حولها بأذكى الطيوب (٢)
فتسمعتُ نبـأة هفت الأسما عُ منها إلى بَشيرٍ حبيبِ
هتفتْ عـذبةٌ فلاح وقارٌ يتجلى من وجـه شيخ مهيب
قالَ : مِن سُنة الطبيعة أن يَدْ لهمَّ الدجى فتنتفض الآ
يَدْلهمَّ الدجى فتنتفض الآ مالُ شوقاً إلى صباح قشيبِ
فإذا النورُ راقصٌ رقصة المو جِ على مَسرح الخضم الرغيب (٢)
سَيعيدُ التاريخُ ما كان بالأمْ سِ فتبدو ذُكاهُ بعـد المغيب
قلتُ : أفصحْ ، فربما كانَ مِثلى فى اكتناهِ اللبابِ غيرَ لبيب

• • •

قال كان الشام العزيز لعهـدى مثل مصرٍ يشكو سُعارَ الخطوب
زحف الغربُ يستحثُ الرزايا مزبدات فى موج جيش صليبي
فجّر الأرض بالدماء وفاض الد معُ من فوقها كغيث صبيبِ !
عاصف يمحق الزروعَ ويرمى آهلاتِ القصورِ بالتخريبِ

---

(١) البهاليل : السادة . (٢) الطيوب : جمع طيب . (٣) الرغيب : الواسع .

رام سحق الإسلام فى موطن الإسـ لام إذ شن جائحات الحروب
فشكت يثرب ، ومكة دوت بالنحيب الرنان إثر النحيب
والمحاريب كالمآذن تدعو دعوة الضارع الشجى الحريب
عصفت نخوتى وفارت عروقى فتقدمت لانتقام رهيب
قلت لا بد أن أوحد قومى وبهم أتقى مهب الكروب
فالتقت مصر والشآم معا فى وحدة ضمدت ثخين الندوب
وحشدت الصفوف حولى وداهمت قوى الظالمين غير هيوب
كم كمى من البواسل عندى علم الضاريات صدق الوثوب
الصناديد هاجهم هائج الثأ ر فخفوا إلى الحمى المسلوب
يغتذى من دمائهم وهج الحقد وللحقد حرقة كاللهيب !
أكبر الحقد إذ يشب على با غ أثيم فى قلب شهم غضوب
إنه الثأر للكرامة يمحو حسرة العار بابتهاج القلوب
روع الغاصب الدخيل لزحف سد فى وجهه طريق الهروب
حاول الكر واثبا فرأى الكر نذيرا بهول يوم عصيب
فانثنى ينشد الفرار فأطبقنا عليه بجاحم من شعوب (١)
فتهاوى على الدروب قتيلا دنست منه طاهرات الدروب
هكذا الوحدة الأبية أهدت راية النصر للشرى المغلوب
قلت : من أنت ؟ قيل هذا صلا ح الدين فاهتز خافقى بالوجيب
حدثتنى نفسى به إذ عرفت البطل الفذ من صدى الأسلوب
وجلا بسمة فلاح وقار يتجلى من وجه شيخ مهيب !
ثم والى الحديث ؛ مر زمان سارت الشمس فيه نحو الغروب
فإذا الشرق والعروبة أربا ض تدجت بحالك غربيب (٢)
نعق البوم فى مرابعها السحم ودوت غربانها بالنعيب (٣)
اللصوص الأوغاد عادوا إلى الشـرق فساموه قسوة التعذيب
ذهبوا بالدم الصبيب نواحيه فأضحت وحشية التذهيب

---

(١) شعوب : الموت (٢) غربيب : أسود (٣) السحم : جمع سحماء هى الظلمة .

سلبوا خيره ليحيوا بما غا ... لوا من الرفـة والرخاء الخصيب
وذووه إن اشتكوا صولة البغى ... ننتهم بشاعة الترهيب !
حذق الغرب كل دهياء تربى ... شرها الجم حنكة التجريب (١)
ففرنسا كانجلترا تستبيحان ... بمصر وأختها كل حوب (٢)
فصموا وحدة العروبة كى يهووا ... على أهلها حداد النيوب
ثم زادوا ففجروا فى فلسطين ... براكين من لظى مشبوب !!
علة أعضلت وليس سوى الو ... حدة فى برء دائها من طبيب
خاطر جاش فى فؤادى فغرد ... ت أناجيه كالخيال الحبيب
لتمنيت أننى أدع الخلد ... بما فيه من صفاء وطيب
ثم آتى الحياة كى أجعل الحـ ... ـلم عياناً يزيل مض الكروب
ما أحب الحياة يجتازها الليث ... بيأس جَلْد وعزم صليب
غير أن الهتاف فى مصر دوى ... فتسمعته بقلب طروب :
صاح فيها «الرئيس» بالوحدة ... الكبرى فألقى «شكرى» أعز مجيب
وضعا محكم الأساس لصرح ... شاهق صدّ كل ريح هبوب
أرأيت السحاب جاد على البحر ... بفيض من الحيا المسكوب
فعلا الموج ثائراً يقذف اللج ... ويرمى بدافق شؤبوب :
ما يصادفْ من الحوائل يحطمه ... فينهدُّ كانهيار الكثيب :
هكذا الوحدة الأبية غالت ... شانئيها فى زحفها المرهوب
زحزحت كل عائق وترامت ... تستحث الخطى لنصر عجيب
بزغ الصبح صبحها فتهادى ... ى الشرق زهواً فى ضوئه المحبوب
وغداً يغمر الضحى كل شعب ... عربى يبغى اقتياد الشعوب !
إن من سنة الطبيعة أن يبـ ... ـسم وجه الحياة بعد القطوب
يدلهم الدجى فتنتفض الآمال ... شوقاً إلى صباح قشيب
يقفر الموج من تعاشيبه الخضر ... فما فيه غير محل جديب
ثم يأتى الربيع مؤتلق الوجه ... فيكسوه كل زاه رطيب

---

(١) تربى : تزيد . (٢) حوب : ذنب .

قال ما قال واستراح فراع ... الخلد بيان ساحر موهوب

سل فى عصره السيوف فلما ... ورد الخلد سل سيف الخطيب

وتقدمت أستزيد فشعت ... بسمة لألات (١) ببشر خلوب

قلت : هــذا تفاؤل قال بل ... حق أكيد يجب زيف الريوب

قلت : أين الدليل ؟ قال جلى ... ليس فى حاجــة إلى تنقيب

ومضى فى تساؤل همت الأ ... ماع منه إلى بشير حبيب

* * *

قال : هــل ثم أجنبي دخيــل ... قلت : كلا ، قد بان كل غريب

قال : هــل ثم ذلة وانهيار ... قلت : بل عزة الحسيب النسيب

قال : هل فى الصفوف بعض اختلاف ... قلت : إجماع معشر مستجيب

قال : ما كان موقف الغرب منكم ... قلت : أمسى بلوعة المنكوب

أبرم الخطــة الدنيئة للغــز ... و وولى بصفقة المغــلوب

قال : حدث عن اليهود بإسر ... ائيل قلت ابتلوا بشر حزيب (٢)

هاجهم سؤدد العروبة فارتا ... عوا يشقون سابغات الجيوب

أيقنوا أن وحدة ذات بأس ... سوف تودى برهطهم عن قريب

قال : ما تبتغون ؟ قلت سلام ... تتصافى لديه كل القــلوب

قال : أين السبيل ؟ قلت حياد ... حال بين التشريق والتغريب

نحن فى شرعة المساواة أندا ... د فمن شذ ، باء بالتثريب (٣)

قال : فيما ذكرت أقوى دليل ... زاد من غبطتى فيا نفس طيبي

* * *

ومضت لحظة فشطت عن العــين تهاويل عالم محجــوب

فأتيت الحياة أعلن ما كا ... ن لقومى ولم أكن بكذوب

أرصد الوحدة التى تشمل العر ... ب جميعاً مع الغد المرقوب (٤)

آه من لى بساعة كالتى مرت ... سريعاً على ضفاف الغيوب

محمد رجب البيومى

(١) لألات : أشرقت . (٢) حزيب : مهلك . (٣) التثريب : اللوم . (٤) أرصد : أرقب .

بريد المجلة

إلى الأستاذ محمد زكي عبد القادر :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . وبعد :

فإنا نعتقد أن الغيرة على الأزهر تكاد تكون طبيعة فى نفس كل مسلم بل فى نفس كل عربى ، فلا عجب - يا أخى - أن يخط قلمك ويسجل ما تراه واجباً على أمتنا نحو هذا المعهد العتيد الذى جعله الله قوة واضحة الأثر فى مجتمعنا بل فى العالم الإسلامى عامة .

ونحن إذ نحى فيكم روحكم الغيور ، لنرجو من صميم قلوبنا أن يقتدى بكم غيركم ممن يملك سبيل النقد والتوجيه فى هذه الفترة الحاسمة على الأزهر وما يشعه من نور وهداية ومعرفة على المسلمين فى جميع البقاع .

والحق يا أخى أن الأزهر فى عهده الجديد ليس فى عزلة ، ولا هو يعرف العزلة وإنما هو وطيد الصلة بالمجتمع - مجتمعنا الأكبر الذى يتسع لرسالة محمد بن عبد الله ، ذلكم أنه ما من مشكلة دينية أو اجتماعية أو ثقافية أو توجيهية ، إلا كان له فيها رأى ولعلمائه فيها فكرة ، ولهم فيها نشاط . وأنه ما من مناسبة من المناسبات الوطنية أو العالمية إلا أسهم فيها بكل إمكانياته ومقوماته .

لقد وقف الأزهر سدا عاليا فترة حاولت فيه بعض المبادئ الهدامة أن تتدفق إلى أرضنا الطيبة فحال دون هذه المبادئ أن تجد السبيل إلى صرحنا المكين فأصدر البيانات القوية ، ونظم الدراسات التوجيهية للسادة الوعاظ ، مما كان له الأثر الطيب والنتيجة الرائعة .

إننا جادون دائما فى أن نربط بين الأزهر كشعلة مضيئة فياضة بالعلم والمعرفة وبين مقتضيات الحياة التى يراها الناس أمراً ضروريا فى حياتهم وفى اتجاهاتهم ، فلأول مرة يصدر الأزهر كتابا فى الفتوى يجمع بين احتياجات المسلمين على اختلاف أجناسهم ويحقق الترابط بين ما جد من أمورهم وبين الشريعة الغراء ، ولأول مرة يصدر الأزهر مؤلفات قيمة تحيط بجميع النواحى الإسلامية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله فى قالب أخاذ يستميل النفس والمشاعر إلى ما حقق الإسلام من عدالة وتوجيه ، معالجة بذلك مشاكل المسلمين الدينية والاجتماعية بل السياسية أيضاً . فهذا كتاب «من توجيهات الإسلام» ، «وكتاب الإسلام عقيدة وشريعة» ، «والإسلام والعلاقات الدولية» ، الخ .

إن رسالة الأزهر التى تنفذ إلى القلوب والتى تنبثق منها القوة الفعالة لا بد لها من أيد أمينة تعاون على حملها ونشرها فى العالم أجمع حتى يتم الترابط الوثيق بين حالة الأزهر

ومقتضيات الحياة على اختلاف مقاصدها وأنواعها . ومع وجود عناصر الخير وحب النهضة للأزهر كدعامة قوية من دعامات الخير فى أمتنا ، نجد الصحافة ، وهى الأيدى الأمينة التى ينبغى أن تعاون الأزهر على أداء رسالته خير أداء . نجدها ـ مع تقديرنا لمهمتها الإنسانية الكريمة ـ لا تعطى الأزهر حقه الكامل من الاهتمام والتقدير ، فهل تتخيل يا أخى أن البيانات الناهضة ، والتوجيهات السامية التى يخرج بها الأزهر على الناس تضن الصحف بنشرها ، وإذا ما نشرت فقد تختزل إلى حد قد لا يمكن القارئ من الوصول إلى الغرض المقصود .

إننا نعتقد أن الصحافة من أقوى الأجهزة التى تعين على نشر الوعى ، وتثبيت قواعد النهضة التى نرجوها لأمتنا ، والأزهر فى حاجة إلى هذا الجهاز الموجه . يحتاج إلى معاونة المخلصين من أبناء الصحافة التى ينبغى أن تؤمن بالأزهر كعامل فعال من عوامل نهضتنا ، وقوة روحية من قوى الخير .

إننا لنطمئنكم على هذه القوة النابعة من الأزهر ، نطمئنكم على أنه اليوم أشد منه قوة بالأمس ، مع بقائه حفيظا أمينا على تراث أمتنا ، ومعينا يرده كل مسلم وينتهل منه كل محب للإسلام ، وسيظل أبداً راعى المثل والقيم والمبادئ ، فلا تستطيع المبادئ الهدامة أن تجد لها مكانا فى أمتنا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

عبد الحكيم سرور

مدير مكتب شيخ الجامع الأزهر

مقال الجبهان والشيعة :

لاتزال الضجة قائمة بين علماء المسلمين وعقلائهم على الكتاب الشديد الذى وجهه إبراهيم الجبهان إلى فضيلة الأستاذ الأكبر فى مجلة (راية الإسلام) التى تصدر فى الرياض باعتباره داعيا إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية . فقد تلقى مكتب شيخ الأزهر سيلا من البرقيات والرسائل من مختلف البلاد العربية والإسلامية يحتج فيها مرسلوها على ماجاء فى هذا المقال من الطعن فى مذهب الشيعة فى الوقت الذى يعمل فيه زعماء المسلمين على توحيد الكلمة وتوكيد الوحدة . والمقال فى ذاته لا يستحق هذا الاهتمام لأنه رأى كاتب غير مسئول أخطأ الصواب فيما كتب ، ومجلة غير رسمية خانها التوفيق فيما نشرت . وليس الكاتب سعوديا فقد تبرأت السعودية من فعلته ، ولا كويتيا فقد أخرجه الكويت من أرضه . والوحدة الإسلامية أقوى من أن ينال منها مثل هذا العبث ، والطائفة الشيعية أوسع صدراً من أن تضيق بهذه الجرأة . وقديما افترى أهل الفتن مخدوعين أو مدفوعين فذهب الباطل وبقى الحق .

هذا وقد تلقينا صورة من الكتاب الذى رفعه جماعة من أهل العلم فى النجف إلى فضيلة الأستاذ الأكبر حول هذا الموضوع هذا نصه :

فضيلة العلامة الجليل الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر سلمه الله تعالى : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، فقد قرأنا

الكتاب الذى وجهه إلى فضيلتكم المدعو إبراهيم جبهان ونشرته مجلة راية الإسلام، الصادرة فى الرياض بعددها الخامس.

وهذه المجلة كما تدل عليها مواضيعها وتبنيها لأمثال هذا الكاتب إنما هى راية نشرت على الإسلام وتستر خلفها أعداء الإسلام وخصومه ممن ساءهم أن يتنادى المصلحون من علماء النجف الأشرف والأزهر الشريف أمثالكم إلى العمل على توحيد كلمة المسلمين والقضاء على الرواسب المفرقة التى خلفتها القرون المظلمة بوحى من ألاعيب السياسة، وجاء المستعمرون ودعاة الكفر والإلحاد فعمقوا جذورها وأثقلوها بأرزاء باعة الضمائر ممن تسوروا على الإسلام بما استأجروه من أقلامهم وذلك حين أحسوا بخطر الدعوة الإسلامية على مصالحهم فى البلاد الإسلامية فأرادوا إلهاء المسلمين عن واقعهم وإبعادهم عن روحية مبدئهم المقدس بإثارة معارك جانبية من قبل هؤلاء المأجورين ولو قدر لها أن تستمر لكان من أولى ضحاياها الإسلام نفسه فضلا عن البلاد الإسلامية ومقدساتها.

ولاشك أنكم قرأتم ذلك الكتاب وشممتم فيه رائحة (النفط) كما شممنا منه ذلك وأدركتم مغزى صدوره فى هذا الوقت بالذات حيث تكشفت ملامح الصراع بأجلى صورها بين الكفر بمختلف واجهاته الاستعمارية والإلحادية والطبقة الواعية من المسلمين على اختلاف مذاهبهم وإلا فبماذا تفسرون صدور مثل هذا التجنى والافتئات والدس الرخيص على أعز مقدساتنا وأغلاها من هذا المتكلم باسم الإسلام وهو أبعد ما يكون عن تمثل روحه ومبادئه بلغة لم يسبق أن انحدر إليها أحد من عملاء الكفر والإلحاد قبله، أليس معنى ذلك أن أسياده من المستعمرين بدءوا يحسون عمق ما تركته دعوتكم الإصلاحية فى كيانهم من غور وبخاصة بعد أن عززت من قبل إخوانكم علماء النجف والأزهر وقم، وتنادى لها المصلحون فى كل مكان شاعرين بجدوى مثل هذه الدعوة فى القضاء على جذور التفرقة من الأساس واعتبار المسلمين جبهة واحدة أمام مطامعهم الاستعمارية والتبشيرية فى بلادنا.

إننا يافضيلة الشيخ لم نكتب إليكم هذا الكتاب لتردوا على هذه الآفات فإنكم أسمى من أن تهبطوا إلى مستوى أمثاله وإنما كتبنا إليكم لتنشروا على الناس بيانا يعرى أمثاله من عملاء الاستعمار ويؤكد دعوتكم الجليلة لتوحيد الكلمة ويحذر المسلمين من أن يندس فى صفوفهم أمثال هؤلاء فيلهوهم عن قضيتهم الكبرى فى مكافحة الاستعمار بمختلف واجهاته وتطهير البلاد من جراثيمه الفتاكة. أخذ الله بيدكم لنصرة الإسلام والمسلمين وأبقى لكم التأييد والتسديد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

حول تجديد العروض:

فى عدد «رجب» من مجلة الأزهر الغراء،

نشر الأستاذ الفاضل الشيخ على العمارى تعقيبا على مقالى فى العدد الأسبق من المجلة وجمادى الآخرة ، والذى كان عنوانه « المصطلحات العروضية » وقد لخص الأستاذ العمارى - مشكوراً - الأسس العامة للتخفيف من المصطلحات العروضية وهى الأسس التى ذكرتها فى مقالى . كما ذكر ملخص الفصل الخاص بذلك ، من كتاب موسيقى الشعر للدكتور ابراهيم أنيس .

وقد أشار الأستاذ العمارى إلى أن ملخص نظريتى ونظرية الدكتور أنيس منقول عن كتاب العروض والقوافى للمرحوم الشيخ عبد الفتاح بدوى .

ولقد توقعت حين ابتدأت فى قراءة مقال الأستاذ العمارى أن أجد مستنداً يثبت النقل ، أو نصاً متشابهاً ، أو فكرة متحدة ، فلم أجد .

ولقد اشتبه الأمر على الأستاذ العمارى ، فظن أننا نحن الثلاثة قد اتفقنا فى الفكرة .

وعلى فرض هذا كان من المتوقع حيث لم يجد اتفاقا فى التعبير أو تحديد الفكرة ، أن يعزو هذا إلى توارد الخواطر ، ولكنه على العكس تسرع فأصدر حكمه - سامحه الله - باستبعاد فكرة توارد الخواطر .

والحقيقة التى نود إيضاحها هنا تتعلق بمسألتين : الأولى كتاب الشيخ بدوى ، والثانية نظرية التجديد فى العروض .

أما المسألة الأولى : فإننى أقرر أنه لم يقع لى كتاب المرحوم الشيخ عبد الفتاح بدوى ولم أسمع به إلا حين قرأت مقال الشيخ العمارى . والكتاب لم تنشره إحدى المكتبات ، كما روى لى ذلك الشيخ العمارى نفسه ، والعهدة عليه ، فقد أوضح لى أن الشيخ بدوى - رحمه الله - طبعه لحسابه فى إحدى المطابع وتولى توزيعه بنفسه بصفة ملازم على طلابه ، وأن الشيخ العمارى أسعده الحظ باقتناء نسخة منه . وقد ذكر لى الشيخ العمارى أن بعض الأساتذة الفضلاء مثل الأستاذ « الشايب » لديه نسخة من هذا الكتاب وقد اتصلت به ، فبحث فى مكتبته والآن لم يعثر عليه ، وكذلك لم أعثر على الكتاب فى دار الكتب الأزهرية ولا فى مكتبة كلية اللغة العربية .

هذا وقد أخبرنى فضيلة الشيخ محمد سرحان الأستاذ بكلية اللغة العربية : أن الكتاب لم يكمل ، وأن لديه الملازم الأولى منه . وهى كل ما طبع من الكتاب .

وإضافة إلى ذلك فقد ذكر الشيخ على استبعاد اتصالى بالشيخ بدوى ؛ لأننى كما ذكر فى مقاله كنت مازلت طالبا بالثانوى ولكنه استبعد عدم اتصال الدكتور أنيس بالكتاب لأنه كان يقوم بتدريس العروض فى كلية اللغة العربية وقتاً ما وقد اتصلت بالدكتور أنيس فنفى ذلك نفيا باتا واستغرب أن يكون قد اطلع على كتاب ولا يذكره فى ثبت مراجعه لكتاب موسيقى الشعر . على حين أنه ذكر من بين تلك المراجع كتاب « أهدى سبيل فى علم الخليل » للأستاذ محمود مصطفى هذا وموسيقى الشعر قد ظهر منذ أكثر من عشر سنوات . وكتب عنه الدكتور شوقى ضيف فى مجلة الثقافة عام ١٩٤٩ - والأساتذة العراقيون فى مجلة

الرسالة . ولم يشر واحد منهم إلى هذه المسألة ، فلماذا لم يكتب عنه الشيخ العماري للآن ؟ .

وأما المسألة الثانية ، وهي التي تتعلق بفكرة تجديد العروض تتلخص في أنني أثناء قيامي بتدريس هذا العلم في كلية دار العلوم أخذت أبحث عن طريقة تبسط قواعده ، فراجعت كثيراً من الكتب ومن ضمنها « موسيقى الشعر » واهتديت إلى أساس يمكن أن يتخذ نقطة بدء للتبسيط . وفكرتي مغايرة لفكرة الدكتور أنيس ، وهما مغايرتان لفكرة الشيخ عبد الفتاح بدوي كما يذكرها الشيخ العماري .

ففكرة الشيخ - رحمه الله - ترجع البحور كلها لبحر واحد . وفكرة الدكتور أنيس تختصر عدد التفعيلات . أما فكرتي المتواضعة ، فترتكز على أساس عدم الربط ، وفك الصلة بين الدوائر وبين البحور ، وكذلك عدم ربط الزحافات بالتفاعيل وذكرت بعض النتائج التي تترتب على ذلك .

فالنظريات الثلاث - إن ساغ لنا أن نسميها بذلك - تختلف بعضها عن بعض . وإن كان الهدف واحداً وهو تبسيط العروض .

وزيادة على ذلك فإنه لم يخطر ببالي مطلقا أن أدعي لنفسي السبق أو التفرد في هذا المضمار ، بل على العكس ذكرت في آخر مقالي : أنني استفدت من بحوث المتقدمين ومن بينها بحث الدكتور أنيس ، فبحثي يعتبر مكملا له ، وإن اختلفت الزاوية التي ينظر منها كلانا للموضوع . ثم أردفت ذلك بأن هذا مجهود مبدئي يحتاج إلى أن تعقبه مجهودات أخرى . أو بعبارة ثانية . أتوقع أن تسنح لي الظروف أو لغيري باعتناق فكرة التيسير وحلها من زاويته الخاصة . سواء أكان ذلك الغير عربيا أم مستشرقا . فالعلم لا وطن له . وكلنا يذكر أن العلوم الأدبية عند العرب لم تكن مجهود فرد واحد ، بل كانت مجهود أفراد متعددين ، فالنحو مثلا لم يضعه سيبويه وإنما كان مجهود ثلاث طبقات قبله من النحويين .

دكتور عبد الله درويش
الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم

حول كتابة المصحف بالإملاء الحديث :

جاءنا من الأستاذ عبد المحسن سليمان المشرف على قسم "القراءات بالأزهر ، رد على الأستاذ محمد رجب البيومي فيما نشره عن كتابة المصحف بالإملاء الحديث قال فيه بعد مقدمة لا تدخل في باب المجادلة بالحسنى :

« كتب القرآن في الصحف في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . وكتب في عهد الخليفة أبي بكر الصديق ، وكتب في المصاحف في عهد الخليفة عثمان بتكليف منه لزيد بن ثابت واشترك معه الصحابة - ولا يخفى أنهم كانوا كتاب الوحي - وأقرهم الرسول وأبو بكر على ما كتب في صحفهم ثم تمت كتابة المصحف في عهد سيدنا عثمان على الرسم المعروف بالعثماني بإجماع الصحابة — ولهذا الإجماع أصبح الرسم العثماني سنة متبعة لا يقف أمامها

رأى فيلسوف أو ملحد بعد ذلك . وإلى ذلك أشار العالم الشنقيطى فى كتابه المسمى بكشف العمى بقوله :

رسم الكتاب سنة متبعة
كما نحا أهل المناحى الأربعة
لأنه إما بأمر المصطفى
أو باجتماع الراشدين الخلفا
وكل من بدل منه حرفا
باء بكفر أو عليه أشفى

فإذا ما كتب المصحف بالرسم الإملائى الحديث كاقتراح الكاتب فمعنى ذلك أن تكون القراءة تابعة للكتابة — إذا ماذا نفعل فى مثل - كهيعص وفى (يوم يأت لا تكلم) « والظنونا » — لا شك أننا سنثبت الياء فى (يأتى) ونحذف الألف فى (الظنون) تبعا للقاعدة الإملائية ، ولاشك أن اللفظ القرآنى سيتغير . إن رسم القرآن الكريم معجز كما هو معجز فى معناه . . وقد كتب هكذا ليحمل الروايات الصحيحة التى نزل بها القرآن الكريم ،فمثلا (وإيتاء ذى القربى)(والعلق) وهكذا بزيادة الياء والواو إشارة إلى قراءة حمزة عند الوقف : (وملك يوم الدين) بحذف الألف إشارة إلى قراءة من حذف الألف . والألف مقدرة عند من يثبتها وحذف الياء فى قراءة (ما كنا نبغ) إشارة إلى لغة هذيل — ولو أثبتناها لضاع اللفظ القرآنى بهذه الرواية — وهكذا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر .

إن الإمام مالكا رضى الله عنه حذرنا من الإقدام على مثل ما يقترحه الكاتب ، وهو تابع للتابعين - وإمام دار الهجرة وحذرنا من كتابته بالرسم الإملائى حيث يقول الإمام الشاطبى فى العقيلة : (وقال مالك القرآن يكتب بالكتاب لولا مستحدثا سطرا) إننا نحسب أن يطالب الكاتب بإعادة فتح مكاتب تحفيظ القرآن فى القرى وغيرها وتشجيعها كما كانت قديما . كانوا يحفظون القرآن صغارا وكبارا عن ظهر قلب — والقرآن هكذا يرسم منذ عهد الصحابة للآن لم يقف حائلا بينه وبين حفظته — فأين نحن الآن من التلامذة الذين كانوا يحفظونه فى سن مبكرة - رحم الله تلك الأيام التى لو قام فيها المبتدئ وقرأ (أفلم ييأس الذين كفروا) لقامت الدنيا وقعدت - فما بال الكتاب الذين يدعون العلم اليوم وهم لا يعلمون

لقد أخلد الكاتب ومن شايعه إلى ابن خلدون ونسى أو تناسى أن التغيير الذى حدث فى عهد أبى الأسود والخليل بن أحمد لم يكن فى صلب الرسم ، ولكنه كان فى الشكل والنقط ، وبديهى أن الشكل والنقط ليسا توقيفيين ولم تجمع عليه الصحابة ولم يكن موجودا فى عهد الخلفاء ، ولا فى عهد عثمان رضى الله عنه حتى يقرهم عليه كما أقرهم على الرسم . وإلى ذلك أشار الإمام الشاطبى بقوله :

(تجردوه كما يهوى كتابته
ما فيه شكل ولا نقط فيحتجرا)

ومن هنا جاز الشكل والنقط لأنه لم يغير من الرسم شيئا . أما تغيير الرسم فلا فرق بينه وبين ما عزمت عليه وقامت به إسرائيل من تحريف فى طبع المصحف وتوزيعه ، بل هو فرصة لتنفيذ أغراضها فى ظل هذا الغبار المصطنع .

إن الهجاء الإملائى عرضة للتغيير والتبديل حسب ما تقتضيه العصور ، والقرآن ليس كذلك ، تنزيل من حكيم حميد ، لا يتبع الأهواء ، ورسمه هكذا حق مؤبد (والحق أحق أن يتبع) .

إننا ننتظر بعد ذلك أن يعلن شخص آخر أن التلاميذ الأجانب لا يعرفون القرآن بالرسم العربى ، ولذلك فإنه يقترح أيضاً أن يكتب المصحف بالرسم الانجليزى أو الألمانى وإلغاء الرسم العثمانى .

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ، ورحم الله الإمام البيهقى إذ يقول فى كتابه شعب الإيمان : (من يكتب مصحفا فينبغى عليه أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير عما كتبوه شيئاً ، فإنهم كانوا أكثر علماً ، وأصدق قلباً ولسانا وأعظم أمانة فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم) انتهى بلفظه .

والأستاذ محمد رجب البيومى يقول :

حاولت أن أجد فيما نشر بالجزء الأخير من مجلة الأزهر حول مقالى عن تغيير رسم المصحف العثمانى ما يقنعنى من الرأى فلم أوفق ، إذ أن من عارض فكرتى من القراء قد سلك فى النقد مسلكا خطابيا يعوزه البرهان الدقيق ، وماذا نقول فيمن يتمسك بالرسم العثمانى ، لأن المدرسين الأوائل من عهد عثمان لم يغيروه ، ولأن نقولا كثيرة لبعض الأئمة تدعو إليه ، وتشدد فى وجوب اتخاذه ، ولأن بعض المستشارين بمجلس الدولة أيدهم فى حكمه القضائى ، أليس فى مقالى السابق ما يدحض ذلك كله ؟ فهل أكرر ما سطرت من جديد ، أو أدعو الناقدين إلى معاودة القراءة عن تؤدة وإمعان ، وإذا كانت الدهشة قد استولت عليهم حين وجدوا عالما أزهريا يدعو إلى تغيير رسم المصحف ، فماذا تصنع بهم الدهشة حين يعرفون أن عالما أزهريا جهيرا كالأستاذ حسين والى قد دعا إلى ذلك ، وهو رئيس لجنة الفتوى بالأزهر وأحد أعلام جماعة كبار العلماء وأئمة المجمع اللغوى ! ! على أننا لا نتعبد بالأسماء ولكننا نسجل على أنفسنا أننا متبعون لا مبتدعون !! .

محمد رجب البيومى

choisir l'opinion juridique la plus appopriée et de doener la préférence à l'avis le plus heureux.

L'historien El Kandi rapporte dans son ouvrage intitulé " Al Woultes Wa Al Koudates " (Les Walis et les Juges) qu'un juge, adepte de l'Ecole Chaféite, vivait au Caire au emps du grand savant Al Imam Al-Tahawi. Ce juge était connu par sont intégrité sa foi solide et sa liberté de fonder son jugemeut sur l'avis qu'il estime equitable prenant les avis de toutes les doctrines sans-se borner à l'une d'elles et il prouva; son tintement un jour il sollicita l'opinion du grand savant relativement à une question d'ordre juridique charéi. Le savant lui demend : " Vous sollicitez mon opinion ou celle d'Abou Hanifa ? ".

"Et pourquoi donc cette interpellation ?„ ' demande le juge

El Tahawi réplique : "J'ai cru que vous me prenez pour un imitateur."

"Non, rèpond le juge, . Nul n'imite que le fanatique ou le sot."

Or, cette grande fortune juridique n,a été cachée aux hommes que par l'ancienne forme de rédaction. Aujourd'hui que le civilisation a évolué et que la mentalité a changé, il convient que les livres et l'enseignement aillent de pair avec les exigences du siécle.

Chers Auditeurs,

J'ai fini avec la troisiéme épreuve que traverse actuellement la langue arabe, sauf que dans celle ci l'attitude de l'Azhar doit être positive. Il doit, pour dètourner cette épreuve, opposar l'action à l'action, la vigilance à l'ntrigue, et la propagande à la propagande.

Il doit se tenir toujour en èveil pour confondre ceux qui essaient, soit par passion, soit par ignorance, d'altèrer la langue de Musulman et d'affaiblir le lien qui unit les Arabe.

Les Azharistes qui ont si bien gardé le dépôt de Dieu et portè aux peuples la missive de son Prophéte durant plus de dix siécles, sont à mêmede détourner le danger de ces écoles libertaires et de cette anarchie littéraire pour protéger la langue et la religion, et, ce, en se jettant de tout cœur dans la lutte et en se souvenant qu'ils sont les soldats de Dieu qui les opposé à l'ennemi à chaque moment, en quelque lieu et sous n'importe quelle forme. Ils doivent ainsi vivre pour la mort en soldats, travailler pour la vie, comme les généraux et se détourner des biens de ce monde comme les Apôtres.

Hommes de l'Azhar, Croyants et Fidèles :

Le Très Haut a promis d'assurer à la langue arabe la vie ne son éloquence par la vie du Coran et c'est par vous, comme par nous, vos aides, que Dieu Soit Loué, a tenu sa promesse.

poètes continua à faire usage de l'arabe correct, pour tenir la corrspondance des rois, ou pour composer des livres à l'usage des classes instuites et cultivées. c'est ainsi que la laugue vulgaire domina la vie de la nation et prit le dessus dans les affaires publiques comme dans ses différents buts. car la langue populaire est libre et n'admit pas les restrictions. Elle est naturelle et rejette tout art. Elle recoit tout ce qu' on lui donne, emrpunte à toute langue et à toute forme d'expression, selon n'importe quelle régle. Pour se comprendre entre eux, les hommes préférent le facile. Ils sont de l'usité qui est à leur portée. le retard apporré par une flangue à suivre la marche du temps et à s'accorder avec la vie signifie pour elle l'inertie. Or, la fin certaine d'une langue inerte est la mort résulrant de l'avantage pris sur elle par les dialectes populaires qui finissent par prendre ses lieu et place.

L'Académie de langue Arabe s'est rendue compte de ce danger er a donné suite à une proposition que j'ai faite et qui tend à :

1) libérer l'application des règles de grammaire de façon à régir indistinctement le régulier et l'irrégulier.

2) libérer également de la restriction du temps et des lieux, les mots qui ont été introduits dans la langue par oui-dire, de façon à ce que l'on admette, comme arabes, les mots que l'on entend de nos jours des différentes classes de la société, comme les maçons, le menuisiers et autres gens de métiers ou d'arts.

3) Ouvrir aux contemporains la porte de formation et d'introduction dans la langue arabe de nouveaux mots, et ce en ayant recours, soit aux préfixes, suffixes et dérivés, soit à l'improvisation.

4) Reconnaitre en conséquence, comme arabes, les nouaeaux mots qui seraient ainsi introduits dans la langue, au même titre que les anciene.

C'est en s'inspirant de ces directions et d'autres que l'Académle a préparé son dictionnaire "Ai Wassitt" qui paraitra prochainement.

Quant à l'innovation dans la jurisprudence en [matière religieuse (Al Igtihad), les portes de cette science ont été originairement ouvertes par des savants maitres qui furent à la hauteur de leur tâ che, Mais, une fois que ces [sciences ont été complétées et établies à travers les siècles, sur des bases solides et sur des opinions sages à mêne de satisfaire doux les besoin sociaux, à répondre aux questious des adeptes de toutes les écoles doctrinales et à donner solution à doux probleme qui survieux les savauts, se sont passés de l'innovation ayant des richesse en abondance el leurs effarts se sont dirigés vers une autre variété de jurisprudence, celle de trier et de

La différence entre les livres de l'Azhar et les livres moqernes d'enseignement, est celle existante entre une boutique à Ghourieh et une maison de commerce à Kasr El-Nil. Il se pourrait que la vieille boutique contienne des marchandises et des objets d'art introuvables au grand magasin mais le fait de les tenir cachès dans un coin invisible et de ne pas les exposer convenablement diminue leur valeur et en détourne l'acheteur.

Or, si nous étalons les trésors de l'Azhar dans une belle exposition qui attire par ses leçons, ses conférences, ses mémoires et ses livres, nous rendons ces trésors accessibles aux étudiants qui pourront en rovfiter et en saisir les beautés, sans peines ni dur labeur.

***

La mission de l'Azhar s'asseoit, comme je viens de le dire, sur deux bases : la religion et la langue. Mais les moyens qu'il doit employer pour remplir sa double mission sont tout à fait différents. La religion est parfaite parce qu'elle est l'œuvre de Dieu, mais la langue est imparfaite étant l'œuvre de l'homme. Le perfection divine ne s'altère ni par le lieu ni avec le temps. Elle n'est hostile ni à la civilisation ni à la science. Elle est toujours neuve, toujours bonne et à jamais immuable.

Par contre, l'imparfait est sujet à la décomposition, à l'inertie et au retard comme il est l'objet de la croissance, du renouvellement et de l'évolution. C'est pourquoi, l'innovation est une nécessité que la nature exige, car la langue ne peut demeurer immuable à l'instar de la religion, ni se tenir indépendante au même titre que le vivant. Elle est constituée par un ensemble de mots par lesquels chaque peuple exprime ses besoins, et les besoins ne finissent jamais, et les idées ne s'épuisent pas non plus. Les humains ne peuvent donc pas demeurer muets alors qu'ils voient et constatent que les besoine se renouvellent, que les indées renaissent, que la civilisation leur fournit journellement une nouvelle invention et que la science leur réclame des termes nouveaux.

Rien ne justifie ce mutisme sauf que les Bédouins, qui étaient assiégés dans les limites du temps et de l'espace, n'ont, en leur temps, pu prévoir ces choses pour leur donner les dénominations adéquates. De fait de la négation du droit pour les "Mouwalladines" (Arabes créoles) d'introduire de nouveaux mots dans la langue, (ce droit ayant été excusivement réservé aux Arabes régions sisesà l'intérieur de l'Arabie - Al-Amssar jusqu'à la fin du 2éme siécle de l'Hégire, et, aux bédouins du désert jusquu'à la fin du 4iém siécle il est résulté que la langne vulgaire déborda l,éloquente et que, seule la classe des savants, des lettrés et des

des livres d'Al-Azhar comme Al-Akkad, El-Rafféi, Chawki et Hafez Ibrahim en Egypte — Al-Boustani, Al-Yazigui 'Al-Chidiac, Moutrane et Al-Khoury au Liban — Al-Maghrabi, Al-Chéhaby, Al-Gabri, et Al-Santawi en Syrie—Maarouf Al-Rassafi, Al-Zahaoui, Kachef El-Chatta, Al-Chabibi, et Al-Assari en Iraq — et enfin Al-Nashashibi et Al-Sakakini, en Palestine.

Mes Chers Auditeurs,

Je suis un fervent partisan d'une réconciliation entre la langue arabe éloquente et le dialecte parlé. A l'Académie de Langue Arabe, j'ai demandé à inclure dans la langue pure. les mots et les expressions dont fait usage le dialecte populaire pour désigner les noms des objets et des choses que la civilisation a introduites dans la Vie publique, ce qui limitera l'étendue de la difference existanr entre les deux façons de s'exprimet et finira par les amalgamer en une seule langue grâce à la presse, à la radio et à l'école et ce en emprintant, à l'arabe pur, la correction, l'élégunce, l'éloquence et la noblesse, et, au dialecte, la finesse, le naturel, la vitalité, la nouveauté et la précision.

Quant à admettre que notre langue devienne comme celle des peuplades sauvages, c'est à dire sans régles, ni beauté, ni perffection, sans aucun lien qui rattache le passé au présent et à l'avenir et à l'avenir et sans aucune unité qui nous réunit; cela constituerait une erreur grave que personne ne saurait admettre et une fausse opinion que nul sage ne pourrait y souscrire.

Par contre, si nous laissons les choses en l'état où elles se trouvent, nous aboutirons au débordement du dialecte populaire, car, l'oreille s'y étant habituée et les règles en étant naturelles, on n'aurait pas besoin pour l'apprendre d'un livre, d'un professeur ou d'une école, mais bien d'un concierge, d'un domestique ou d'une rue.

Comme je l'ai déjà expliqué, le fait par langue populaire de l'emporter sur la langue éloquente signifie le détachement des lettres de la religion et du présent du passé ainsi que l'affaiblissement des liens qui unissent les Arabes entre eux.

D'autre part, je suis persuadé que pour remédier à cet état de choses et venir en aide à notre belle langue, il nous faudra pénétrer profondément ses secrets, comprendre à fond ses règles et apprendre complètement ses lettres. Cela exige, de notre part, de l'effort et du travail. Nous devons bien préparer le maître et le sujet. Nous devons recourir à l'expérience pour établir les méthodes et les programmes, et au goût et à la logique, pour composer les livres. Or les livres que nous avons eu en mais pour nous instruire et dont nous nous ervons encore sont des trésors des sciences auxquels manquent cependant la facilité, la mise en ordre et la beauté de la présentation.

Ils en veulent à ceux qui leur conseillent de modérer lour hâte, qui les soumettent à un dur labeur ou qui leur expliquent que nul, dans le passé comme dans le prèsent, n'a pu devenir écrivain, poét, romancier ou autreur, sans avoir au préalable ètudiè et approfondi les régles fondamentales de sa langue, règles qui permettent d'écrir et de discourir correctement.

Si, en lisant un journal ou un livre, vous n'y relevez aucune faute de nature à découvrir le secret de la fraude, c'est bien grâce à l'effort et à la science de ces soldats inconnus, ces Azharistes de mérite qui veillent jour et nuit dans les bureaux de presse et de publicité et qu'on nome les "prôtes". Ils passent leur plume à l'encre rouge sur les fautes, redressent les erreurs et éliminent les mots inusitès ou étrangers et donnent de la force aux expressions faibles.

Nous ne trouvons aucune objection à ce qu'on simplifie aux étudiants et aux éléves les régles de grammaire, de syntaxe et de rhétorique; mais les mal réside dans l'étendue de ces simplifcations. Aucun mal à supprimer, des manuels destinés aux débutants, les régles des "sous-entendus", des "justifications" et de la philosophie, de la langue, ou à éliminer les diverses possibilités ou variétés d'analyses que la langue a conservèes, eu égard à la diversité des dialectes des arabes de la Gahileya, dialectes qui ont bouleversé la langue arabe à tel poin qu'ils ont même servi à justifier toutes les erreurs. Mais, tout le mal consiste à dégarnir les sciences arabes de tous les attributs de la force, de la fertilitè et de l'art pour en faire un squelette qui jouit de la légéreté, de la forme et de la simPlicité et auquel manquent les muscles, les uerfe et l'âme.

Que resterait-il de ces sciences ainsi diminuées et aussi sujettes à l'oubli ? Peu de chose bien loin de suffire à la vie d'une langue et à l'existence d'un art littèraire. Ces restes peuvent suffire à passer un examen ou à obtenir un diplome. Mais ils ne peuvent certainement pas suffire à former ceux que l'Azhar a pu former avec ses livres et ses savants cheikhs, tels que :

1) Mohamad Abdou, Saad Zaghloul, Al-Manfalouti, Al-Bichri et Taha Hussein.

2) Ceux instruits à Dar El-Ouloum, tels que Abdel-Aziz Jaouiche, Al-Mahdi, Al-Khodary, Al-Sacandri et Al-Garem.

3) Ceux qui ont fait leurs études à l'Ecole des Juges Charéis, à n'en citer qu'Ahmad Amine, Azzam, et El-Kholi.

4) Ceux qui ont été étudiants à l'Ecole Normale Supérieure "Dar Al-Mouaallimine", tels que Choukri, Al-Mazini et Abou-Hadid.

5) Ceux enfin qui ont fait usage

advint aussi que les flots de la littérature europée ne débordèrent avec leurs nouvelles écoles pleines de futilités et de fiel et que ces écoles influenceèrnt ces jeunes qui n'ont reçu qu'une molle et insuffisante culture arabe. Epris de l'enseignement de ces écoles, ces candidats se détournèrnt ee leur prore culture et oublièrent leur histoire. Ainsi, les "Françaisés" parmi eux connaissent, Victor Hugo; mais ne connaissent pas "Al-Moutanabbi", étudient "Voltaire" mais non "Al-Jahez", lisen "Lamartine" et ne lisent pas "Al-Badie Al-Hamazani" : D'où cette sujétion imposée par notre jeunesse à nos lettres, au profit des lettres de l'Occident. Les formes de leur style sont celles des Européens, leurs écoles littéraires sont celles des auteurs occidentaux, ainsi que les mesures de leur art critique.

Ils voudraient même que la langue arabe, fille du désert dècouvert, du soleil levant et de la nature franche et souriante, adoptât le symbolisme, fils de l'horizon nuageux, de la langue bêguaieuse et de l'âme en complexe. Ils voudraient aussi que l'existentialisme, fils des moeurs en décomposition, du goût inverse et des sens libres, soit admis par la langue arabe, de la divine missive qui a ennobli l'homme et qui l'a distingué de l'animal, en lui retraçant des limites établies par la religion et les moeurs, limites qu'il est raisonnable, ni outrepasser tant qu'il demeure croyant.

Mes Chers Auditeurs,

Entre les lettres et la science, l'espace est vaste et la différence est bien grande :

Les lettres appartiennent à lâme et la science aux hommes. Les lettres sont citoyennes d'une même patrie ; et la science n'a point de patrie. Les lettres comme lâme dans le corps et coulent comme le sang dans les veines. Elles forment la personnalité de l'être pour qu'il vive indépendant par lui-même et distinct des autres. Elles révèlent et affirment la personnalité d'un peuple qui se distingue par les hommes qui le forment. Les lettres comportent une race, une langue, un goût, un milieu, une mentalité, une croyance, une histoire et des traditions.

Tout autre chose est la science.

Il nous est naturellement permis d'emprunter aux autres une part de leur science pour parfaire notre insuffisance et compléter ce qui nous manque; mais il n'est point permis de leur emprunter ce qui représente nos âmes et nous-mêmes, soit une part des lettres. Le perfectionnement de l'étude de la langue arabe d'après les mèthodes vraies et productives ne coûte pas aux candidats plus d'efforts que l'étude du français ou de l'anglais. Malheureusement ils vivent dans le siécle de la vitesse et visent le proche facile. Ils ont hâte d'acquërir la science et de produire.

assimilent leur lange, et approfondissent ses lettres et qui savent Pourquoi telle expression doit-elle prendre telle forme plutôt qu'une autre. Et, si ces belles figures venaient à disparaitre, auraient elles des successeurs capables de garder le dépôt de la langue et porter loin la missive des lettres ?

C'est à l'Azhar qu'ils appartient de répondre. C'est lui qui, par as nature et sa raison d'être, se trouve être le rempart, le refuge et le sauveteur de la langue arabe dans le passé comme dans le présent.

Quant aux autres écoles, tout porte au pessimisme en ce qui les concerne. Elles appliquent une méthode pratique presque vide de règles et un enseignement superficiel et insuffisant qui ne visent que le succès, aux examens, de l'étudiant ou de l'éléve, par n'importe quel moyen. On y voit les cours se résumer en précis, et les Précis en résumés sténographiés. Qu'en reste t il dans la mémoire ? Des réminiscences d'idées flottantes et nuageuses, floues et imprécises, le tout ajouté au dégoût de l'étudiant de produire un effort utile pour cultiver la langue et la plume et pour appofondire le fond et soigner la forme. Il se contente en somme du peu qui lui permette le passage d'une année à l'autre ou l'obtention d'un certificat ou d'un diplôme.

Une fois que le jeune débutant quitté ces écoles, n'emportant qu'une faible notion de sa langue, mais se sentant cependant doué par la nature, et enclin vers les letteres il rejette les trésors de l'art littéraire arabe pour se tourner vers les chefs d'œvre de l'art de l'Occident. Il s'applique à en approfondi l'ètude et à en saisir les beautés. Une fois qu'il les assimble, sa mémorie en déborde et ses sens se réveillent. Il a la volonté et le désir d'écrire quelque chose d'utile et il a le sentiment d'avoir la faculté qui crée et l'image qui plaît et qui réjouit; mais il ne possède pas la langue qui exprime ni la plume qui touche. Furieux et pris d'une rage impuissante, il a l'audace de prétendre que la langue arabe serait impropre à exprimer la pensée et que l'analyse des mots serait un obstacle infranchissable. Il va jusqu'à devenir extrémiste en incitant les écrivains à se libérer absolument de toutes règles et à écrire comme bon leur semble.

Quant à l'autre espèce, le candidat ordinaire, celui-ci redevient illétré comme à l'origine s'il lit il ne lit que le facile et ne le cherche que dans un roman populaire, qui anesthésir les sens, ou dans une revue humoristique qui éveille les passions. Les romans et les revues de cette nature étant ainsi trop recherchés, les écrivains légers se mirent à offrir en abondance des brochures contenant le produit d'une basse littérature nuisible et inutile. Il en

à en former des langues distinctes, et qu'une fois qu'ils débordaient la langue éloquente. aucune compréhension ne serait plus possible entre Arabes, ce qui affaiblira le culte, rompra les liens de l'unité, dispersera la force et permettra au colonisateur d'engloutir les pays arabes, sans peines ni difficultés.

Cette propagande a été vouée à l'échec par le fait de la faiblesse de la colonisation et grâce au réveil des nations arabes.

Quant à l'ignorance, qui constitue l'autre origine du mal, elle succéda a la colonisation dans sa propagande criminelle. Par ignorance, il faut entendre le fait par les Arabes d'ignorer leur langue et de rejeter ses sciences et ses lettres. C'est ici qu'apparait le crime des écoles civiles récentes qui ont échoué, après bien d'expériences et un temps plus ou moins long, à fromer le lecteur qui comprend ce qu'il lit, l'écrivain qui sait ce qu'il écrit, et le penseur qui réfléchit. La preuve la plus palpable de cet échec est le cas de l'élève qui fréquente ces écoles. Il y passe dix années d'é udes à apprendre la grammaire. Une fois qu'il quitte, il se sent incapable d'écrire ou de s'exprimer correctement. S'il se sent doué par la nature, il ne trouve de mieux, que d'écrire en arabe vulgaire et d'inciter les autres à limiter et à s'affranchir des règles et des restrictions de la langue, substituant ainsi l'anarchie à l'ordre, et l'erreur à la correction.

Autrefois, l'arabe et les sciences y afférentes étaient enseignés à l'Azhar et par ses filiales "Dar El Ouloum" et l'Ecole des "Juges Charéis", ainsi que dans d'autres écoles qui appliquaient ses métthodes tant en Egypte, q'au Liban, en Syrie et au Maghreb, Cet enseignement était profond et permettait à l'étudiant doué et appliqué de comprendre ce qu'il lisait, d'approfondit ce qu'il savait, de motiver ce qu'il critiquait et d'analyser se qu'il goûtait. Si plut atrd, les thèories acquises étaient complétées par la pratique, le candidat doué se révélait prosateur de mérite, poéte de talent ou critique de valeur. Par contre, le candidas sans talents littéraires, mais doué toutefois de patience et de jugement, devenait un savant qui préparait les moyens, facilitait les sources, dirigait les talents et raffermisait les pas.

C'est à ces deux sources que le mouvement littéraire puise ses éléments vitaux qui lui permettent de se développer pour fleurir, de croître pour se propager et de s'élever pour durer. C'est à cette catègorie des adeptes des anciennes mèthodes de l'Azhar qu'appartiennent les vèritables hommes de lettres qui ont sauvegradé l'héritage de cette langue, qui ont renouvelé la jeunesse de l'art littéraire et qui ont jeté les bases de cett restauration littéraire récente. Heureusement, il en reste un certain nombre dans les pays arabes. Nobles figures et fins littérateurs qui

De plus, clairvoyance se révéla par l'envoi en Europe de ces étudiants choisis pour y parfaire leur éducation, tels que : Ibrahim Al-Nabarawi, Ahmad Hassan Al-Rachidi, Mohamad Aly Al-Bakli, Rifaa Al-Tahtawi et Aly Moubarak.

Ce nouveau bienfait, à enregistrer, contribua au relèvement de la langue arabe.

La langue arabe traversa donc ces deux épreuves consécutives et s'en tira indemne, grâce à l'Azhar. Ce fut pour le plus grand bien du Livre de Dieu et de sa religion.

Mais la langue arbe passe actuellement une troisième épreuve qui menace de la bouleverser, de parter atteinte au Coran, de couper la religion de sa base, détacher l'Arabe des siens, descendre l'art littéraire du Parnasse de son inspiration et du temple de ses dons où resident le sublisme, la grandeur, la noblesse, pour la jeter dans la fange du matérialisme où résident la bassesse, le dévergondage et la dépravation.

Cette épreuve est celle venant de l'école dite "libre" ou plus exactement de l'école des libertaires qui met la langue vulgaire au dessus de la langue éloquente, qui préfère les lettres populaires à celles des grands lettrés, les sujets qui excitent à ceux qui éclairent. Elle enseigne que l'écrivain et le poète sont libres d'écrire comme bon leur semble et qu'ils n'ont pas à se conformer aux règles et aux préceptes de la grammaire, de la syntaxe, de la littérature de la poésie, ni non plus aux règles de la morale.

Cette épreuve a pour origines la colonisation et l'ignorance.

La colonisation s'est rendue compte que la religion et la langue forment les deux liens qui unissent les Musulmans de tous les pays et que, tant que la nation de Mohamed demeure unie par ces liens, l'indépendace des pays arabes doit, tôt ou tard, s'accomplir. Aussi, c'est pour arrêter cette marche vers l'indépendance que la France a toujours essayé de détourner les Berbères de leur religion.

A ces fins, elle décréta Loi connue sous le nom d' "El-Zahir" et s'employa à faire la guerre à la langue arabe, en l'éliminant des écoles et des administrations de l'Etat. Toutefois, la religion de Dieu fut plus forte que " le Zahir " de la France, et la langue du Coran fut plus tranchante que celle de l'épée.

Quant à l'Angleterre, elle fut plus astucieuse et plus diplomate. Elle se contenta de propager le dialecte populaire par l'organe des orientalistes, des fonctionnaires et des missionnaires, car elle se rendait compte que ces dialectes différaient totalement les uns des autres jusqu'

Nous ne citerons que le Firozabadi, Abil-Séoud, Al-Fanari, Moulla Khesrou, Al-Gami, Al-Khiali, Khoja Zadé, Moulla Mesquine, Moulla Loutfi, Hajji Khalifa, Tachokéri Zadé, et Ibn Kamal Pacha.

Les sultans ottomans eux-mêmes étudaient l'arab et ses lettres au même titre que le Turc. Parmi eux, on compte des poétes qui composaient en langue arabe ou qui retenaient par coeur plus d'un poème.

A titre d'exemple, nous citons un beau poéme lyrique composé par le Sultan Ahman Ier :

"J'ai aimé, sans pouvoir y arriver ni captiver,

une gazelle qui fait la guerre .

"Avec ses yeux armès d'èpées et de son regard qui m'a blessé au fond du coeur.,,

Les savants turcs ne commencérent à négliger et à délaisser la langue arabe que sous le régne des sultans Mahmoud II et son fils Abdel-Hamid Ier, et à l'époque où ces deux monarques restaurérent la langue turque en simplifiant ses regles et en rendant l'accès facile. Depuis lors, cette langue fut dénommée "langue ottomaney. Vous voyez ainsi que la langue arabe a passé six siécles entre l'agonie et la mort, dont trois sous la domination mongole et trois autres sous la domination ottomane. Durant ces six siécles, elle cessa de vivre aux Indes, au Khorassane, en Iraq, en Andalousie et dans les pays ex-Romains, pour continuer à survivre dans les pays arabe en y menant la vie d'un malade qui se dèbat devant la mort et dont il ne reste plus que le souffle. C'est justement ce souffle que l'Azhar a retenu a nourri, a fortifiè et lui a prodigué tous les soins salutaires.

Puis, le jour où les ténèbres de la domination ottomane se dissiperent et que Dieu voulut que le soleil de la civilisation réapparaisse dans la Vallée du Nil, la langue arabe de son inertie et de sa faiblesse. Elle se remit à vivre. C'est dans l'Azhar qu'elle avait trouvé secours et asile, et c'est à l'Azhar qu'elle doit sa vie et sa résurrection,

L'épreuve de l'occupation napoléonienne ayant passé, une nouvelle ère de prospêrité s'ouvrit et un nouveau mouvent de restauration se dessina du fait de l'indépendance de l'Egypte.

Cette nouvelle ère de progrès, qui date de l'avènement de Mohamad Aly, est redevable de tout à l'Azhar, menur du peuple dans sa rèvoluion et guide du gouvernement dans ses réformes. Il ètait représenté à cette époque par ses brillants savants : Khali El-Bakri, Abdallah El-Charkaoui, Mohamad El-Mahdi, Soliman El-Fayyoumi et Hassan El-Attar.

C'est par ses avantages et prérogatives que l'Azhar devint, sans conteste, le grand maître de la culture dans tous les pays arabes et musulmans pendant les 7ème, 8ème et 9éme siècle de l'Hègire et c'est ainsi qu'il a pu sauver et conserver l'existence même de la langue arabe et empêcher la décadence des lettres et des sciences. Sans l'Azhar, tout lien, entre l'ancien et le nouveau monde littéraire, aurait été incontestablement rompu.

Mais, ce n'est pas tout : une autre épreuve menaça la langue arabe du fait de l'invasion turque; et cette fois aussi c'est à l'Azhar que revient le mérite de l'avoir détournée. Au début du 10ème siècle, et plus exactement en l'an 923 de l'Hégire, le Sultan Salim conquit l'Egypte et la Syrie. et, de ce fait, le Califat devint Ottoman et non plus Abbasside. La capitale de l'Islam devint Constantinople et non plus le Caire, et la langue officielle devint ainisi le Turc. Le conquérant sejournerent huit mois en Egypte pour la dépouiller de ses plus précieux joyaux: à savoir ses livres et ses objets d'art, héritage laissé par les artistes de génie, tous anciens élèves de l'Azhar dont les oeuvres remontaint aux trois siécles précédant l'invasion turque. De plus, ces conquérants ont vite fait de substituer leur langue à la langue arabe dans les diverses administrations de l'Etat et de persécuter l'arabe dans les écoles, à tel point qu'ils faisaient enseigner, en turc les règles de la grammaire arabe, en Syrie et en Iraq. Il en est résulté qu'un flot de mots et de termes antiques et de pure arabe disparuent de la composition en vers et en prose. D'où en épais nuage de ténébres et de despotisme qui couvrit les âmes et un dédain de la part des gouvernants pour tout ce qui est science ou savoir, arrêtant ainsi tout progrès et tout mouvement littéraire ou scientifique.

Cependant, ayant sont rendu Turque en Egypte (politique, administration, armée, enseignement, ...), les envahisseurs n'osèrent toucher ni méconnaître l'Azhar, car ils furent saisis de sa majesté et de son passé glorieux. Ils vinrent, recueillis, frapper à sa porte pour solliciter aide et conseils, toutes les fois qu'ils se trouvaient en difficulté ou qu'un événement grave surgissait. Le Sultan Salim luimême l'a visité plus d'une fois, sois pour y prier, soit pour y implorer la bènédiction divine.

Bien avant l'invasion ottomane, l'Azhar avait déjà conquis la Turquie, non par la force des armes, mais par ses livres, ses sciences et ses lettres. Plus d'un Turc y a ètudié et perfectionné ses connaissances en arabe jusqu'a pouvoir y composer des vers ou écrire des livres.

6) Il a assuré et assure à ses professeurs et à ses éleèves les moyens de vivre et de s'instriure en leur fournissant le logement le couvert, l'habillement et les livres ;

7) Il a ouvert ses Portes aux réfugiés qui ont fui les Mongols pour sauver leur foi, leurs sciences et leurs lettres. Cet exode des savants vers l'Egypte, de tous les pays d'orient et d'occident, contribua dans une large mesure à l'épanouis sement des sciences et des lettres. Il nous rappelle l'exode des savants du christanisme de constantoninople à Rome, ce qui contribua à la renaisseuce des sciences et des lettres en Italie ;

8) Les rois Ayoubites l'ont soutenu et encouragé matériellement et moralement, car, bien qu'ils fussent Kurdes, ces rois parlaient la langue arabe et avaient adopté les lettres et les coutumes arabes. Bon nombre d'entre eux s'est rendu célèbre en poésie, en sciences ou en histoire, tels les rois Al Moawad Emadéddine et Al Afdal Aly Ibn Salahéddine. Ce dernier roi, qui était faible et simple, fut détrôné par Adel Abou Bakr et son frère El Aziz. Il a eu alors recours à ses talents de poètes pour solliciter l'aide du Calife Abbasside. Il lui adressa en pure langue arabe un bon poème digne d'être cité.

(Citation du poéme en lengue arabe) .

De leur côté, les rois Mamelouks donnerent à l'Azhar tout leur appui car ils avaient adopté l'Egypte comme patrie, l'Islam comme religion et l'arabe comme langue. On compte parmi ces rois plus d'un excellent poete, à n'en citer que le Calife Kanse El Chouri.

Ces Mamelouke favoriserent les savants, encouragerent les hommes de lettres, les professeurs et les auteurs, aidant ainsi Al Azhar à former, sous leur égide ces grands maitres et ces auteurs de génie doués par la nature et inspirés par Dieu qui confierent à leurs oeuvres les tresors de leur sagesse et la richesse de leur savoir.

Nous n'en citons que les plus célèbres; Gamal El Dine Ibn Mansour, Gamal El Dine Ibn Hicham, Chamseddine Al Nouéri, Ibn Fadlallah Al Omary Chamseddine Al Zahali, Al Hafez Ibn Hogre Al Assalgui, Abil Abbas Al Kalakachandi, Taquiéddine Al Maqrizi, Badraddine Al-Aiyni, Sérageddine Al-Balkini, Badréddine Addamassini, Chamséddine Assakhaoui, Kamaléddine Addoumaiyri, Galaléddine Assioutti, Taquiéddine Al-Kouchaiyri, plus connu sous le nom de Ibn Dakik El-Omdah.

des dépendances de l'EmPire Ottomn en l'an 925 de l'Hégire.

Vous voyez par là que les Arabes ont été ainsi contraints, pendant 560 ans, à n'avoir ni pouvoir, ni royaume et que, tant de leurs pays que leurs richesses morales et matérielles devinrent la proie des Mongols, des Turcs, des Persans, des Cherkess, et, plus tard des Espagnols. Etant tous sauvages et illétrés, ces vandales détruisirent les monuments et objets d'art et se livrèrent au viol. Mais, le coup le plus dur a été porté à la langue, à ses sciences et à ses lettres; car ces vandales incendièrent les bibliothèques, fermèrent les écoles, démolirent les observatoires et tuèrent les savants.

Il en fut de même à Boukhara et en Andalousie, où Tatares, Européens et Croisés se sont révalisés de cruauté et de vandalisme.

Si donc la langue arabe aurait disparu par les malheurs des temps, à l'instar de ses soeurs sémites, sa mort aurait été dans la nature des choses et dans la logique de l'histoire. Elle demeura pourtant la langue de la religion, des sciences, de l'Etat et de la nation, tant au Maghreb, en Egypte et en Syrie, qu'à la presqu, île arabique et dans tous les pays arabes. De plus, n'était ce le fanatisme des Persans etu l'orgueil des Turcs, elle aurait continué à être la langue de tous les Musulmans.

C'est donc grâce à l'Azhar que cette langue a continué à vivre malgré les épreuves du temps et la chute du pouvoir des mains de ses enfants. Elle a subsisté grâce à cette institution et aux prérogatives suivantes :

1) L'Azhar est de pure essence arabe par sa nature et son milieu;

2) Il est situé à égal distance entre le Proche et le Moyen Orient; ce qui fait de lui le render vous des uns comme des autres;

3) Il est prés du Hégaz et sur le chemin des pelerins et des savants explorateurs de l'Afrique et de l'Andalousie;

4) Il a formé un grand nombre de savants, maîtres, jurisconsultes et littérateurs qui ont réuni et groupé les principes épars de la langue, des sciences et de lettres en de grands volumes semblables aux encyclopedies;

5) Il occupe dans les coeurs de tous les Musulmans et de tous les hommes d'Etat un rang de sainteté, ce qui lui a permis de résoudre certaines difficultés d'ordre politique et social.;

le Judaïsme pour l'Hébreu, le Christianisme pour le Syriaque, et l'Islam pour l'Arabe, ces trois langues auraient cesser d'exister. Toutefois, la différence entre ces trois existences est celle existant entre l'âme et le souffle de l'agonie, ou entre l'être vivant et ses traces.

L'Azhar, qui est l'héritier de la prophétie, le protecteur de la foi et le propagateur du Culte ne peut qu'assoir sa noble mission sur ces deux bases : La religion et la langue. Cette missioh a été si bien remplie que le monde de l'Islam lui confia son commandement et lui décerna son auréole de gloire.

Il est vrai que d'autres écoles ou mosquées pourraient prétendre avoir pris part, avec l'Azhar, à l'évolution et à l'épanouissement des sciences relatives au Coran et à la langue, telles que les écoles et les mosquées institués par les sultans au Caire, à Damas, à Alep, à Baghdad, à Nagaf, à Cordoue, à Zaitounah et en Cyrène, et dont les plus célèbres étaient : Al-Nasriah, Al-Kamhia, Al-Salahieh, Al-Mouaidia, Al-Mansouria, Al-Chaikhounia, Al Zahiria, Al Kamiliah et Al Nizamiah,

Cependant, ces écoles, dont la plupart a cessé d'exister, ne purent, leur vie durant, et prises ensemble ou séparément, disputer à l'Azhar l'honneur insigne d'avoir assurer jusque'à nos jours l'existence de la langue comme interprète de la science et comme lien unissant les Musulmans.

Mes chers auditeurs.

La langue du Coran a traversé deux épreuves noire qui auraient pu consommer sa perte, sans le secours divin :

La première de ces épreuves fut l'invasion des Mongols survenue au milieu du septième siècle, époque à laquelle le Royaume des Abbassides était déchiré par l'antagonisme des Persans et des Turcs et par les querelles entre Chiites et Sunnites. Ces circonstances portèrent atteinte au prestige et à la majesté du Califat et Permirent à Holaco de lui, porter le coup fatal en l'an 656.

De plus, le Royaume des Ommayades en Andalousie fut déchiré par les barbares et les esclaves affranchis qui le partagèrent entre eux en petits Etats, ce qui a permis aux Européens de l'avaler bouchée par bouchée et de l'engloutier ensuite en prois facile en l'an 898.

Ce fut ensuite le tour du Royaume des Fatimites en Egypte et en Syrie, qui tomba entre les mains des Ayoubites puis dese Mamlouks pour ensuite devenir une

Il en est de même pour la Bible et l'Evangile qui ne se lisent dans le monde de Chrétienté que traduits dans la langue du pays où on les lit. Or, ces Livres n'ont laissé qu'une faible influence sur les oeuvres littéraires des pays de Chrétienté, jusqu'au jour où ils ont été traduits en la langue latine et au vieux teuton.

Il n'en est pas de même pour le Coran : car les Muslmans ont toujours cru, et avec raison, que la langue arabe dans laquelle il a été révelé fait partie intégrale de l'essence même de l'Islam, parce qu'elle a servi d'interpréte à l'inspiration divine, de langue à son saint livre de moyen à sa predàcafiou, et de mircal à son Prophéte. Cette langue a été par la suite polissée par le Prophéte grâce à ses discoures et à ses enseignements "Hadith", comme elle a été propagée par l'Islam et rendue éternelle par l'éternel Coran.

Le Coran n'est vraiement le Qurân qu'en cette langue et la priére n'est point la priére s'elle n'etait pas récitée en elle Aussi, s'empressent ils de l'apprendre, de la parler, de s'en servir pour écrire, d'en devenir fanatques de prendre sa défense. C'est ainsi qu'elle prit lieu et place de persan en Iraq, du Grec en Syrie de Copte en Egypte et du Berbére au Maqreb. Ainsi est elle devenue à époque Abbaside (son epoque la plus prospér) la langue de la religion celle de la scieuce, de la politique et de l'administration dans la plus grande partie de l'ancien monde, les Musulmans, quelle que fut leur race, pouvaient se transporter dans n'importe quelle contrée de leur monde islamique comme s'ils se déplaçaient dans leur propre patrie, ne trouvant aucuue difficulté à parler à traiter une affaire.

Puis, les Musulmans s'adonnérent entiérement au Coran. Il devient leur priére dans la Mosquée, le régulateur de leur vie dans la maison, comme dans le travail, et l'organisateur de leur gouvernement. Ses préceptes s'enracinérent dans leurs âmes et ses inspirations se confondirent avec leur nature. Il imprima ses traces sur leurs langues, leurs coeurs et leurs reglements. Aucun autre livre divin n'a produit autant d'influence sur ses adeptes.

Il en est résulté que la culture musulmane se trouve assise sur deux bases ; à savoir : la religion et ses diverses sciences et la langue et ses arts connus. Ces deux bases se serrent et s'entrelacent, car, sans la langue arabe, l'Islam s'obscurcit et s'affaiblit, et, sans l'Islam, l'arabe perd son élan et sa vie.

Les langues sémitiques doivent leur subsisitance aux religions : Sans

Saint que les mots arabes sont devenus plus doux, la composition plus raffinée et l'expression plus précise. C'est dans le divin Coran que la langue a puisé la force de la logique, la variété des idées et la profondeur de la pensée. C'est le Coran qui a été à la base des sciences nouvelles jusqu'alors inconnues ; telles que les lois charitable et les préceptes littéraires dont les matières ont été conservées par les règles et les dictionnaires et dont le cercle a été élargi par les mots choisis et les termes appropriés. C'est ainsi que prirent naissance la grammaire (Al-Sarf), la syntaxe (Al-Nahou) et le "dérivé (Al-Ichtiqaq) pour empêcher que les fautes soient commises lors de la lecture du Saint Livre.

D'autres scienes virent le jour telles que les figures de style et de réthorique et des idées ('Al-Maani,' 'Al-Bayane', Al-Baddie,) et ce en vue d'arriver à comprendre et à faire ressortir les beautés divines et inimitables du Coran. C'est dans ce même but qu'on s'est mis à l'étude de la langue, des racines et de l'étymologie des mots ('Ilm Al-Lougha) et de la littérature ou art littéraire ('Al-Adab'). Quant aux sciences du "Handith" (maximes, sagesses et commandements enseignés par le Prohète), du "Oussouls" (bases organiques des sciences juridiques), du "Fikh" (esneignements des lois religieuses), et enfin du "Tafsir" (interprétation du Coran), ces sciences n'ont été créées qu'en vue d'y puiser les lois qui doivent régir le monde de l'Islam.

C'est donc le Coran qui a unifié la langue arabe, qui l'a propagée partout et qui l'a conservée pendant 14 siècles environ sans usure ni faiblesse ni alteration aucune, ainsi que le proclame Dieu Lui-Même lorsqu'Il dit : "C'est Nous Qui avons révelé le Coran et c'est Nous certainement qui Le" conservont.

Or, pour apprendre le Coran, il faut nécessairement apprendre sa langue.

De l'étude de l'histoire des religions l'on constate que nulle religion divine ou terrestre, à part l'Islam, n'a conservé la langue originaire de son Livre. Seul le Coran a porté sa langue arabe à toutes les nations de l'Orient et de l'Occident durant 1380 années; et, cette langue a conservé, à travers les siècles et les pays, son entité, sa fortce et son génie.

Les Livres des autres religions ne se lisent que traduits, sauf dans le pays où le Livre a été écrit. Seuls les servants de ces religion, ou peu d'entre eux, détiennent ou connaissent la langue d'origine. Ainsi, les livres de Bouddha ne se lisent, en Chine ou au Japon, que traduits en Chinois ou en Japonais.

triste où l'ignorance se propagea, le Califat s'affaiblit, le secours disparut et le peuple courba les échines.

L'Azhar signifie aussi la deuxième "Kibla", (le point de mire) vers laquelle les Musulmans dirigent leurs prières et leurs coeurs, dans tous les pays du monde, pour chercher, la faveur de ses lumières, le Chemin de la vérité et la voie vers Dieu.

L'Azhar signifie le refuge du peuple opprimé toutes les fois que le despotisme le secoue et que le gouverneur l'oppresse. C'est en lui que ce peuple a toujour trouvé un asile sûr et un protecfeur puissant.

L'Azhar signifie cette Université mondiale vers laquelle affluent, de tous les continents, les étudiants de toutes les races, et de toutes les couleurs pour étudier les lois et les régles de la religion et pour qu' ensuensuite, rentrés dans leur pays, ils y prêchent le bien et appelent à la vertu, ne visant par la ni fortune, ni grandeur, ni célébrité.

C'est le lieu beni et hospitaliér qui abrite les pieux les ascetes, les prédicateurs, les réciteurs de Coran et les porteurs des bénédictions.

L'Azhar signifie la base spirituelle redoutée par les colonisateurs qui ont tant fait pour la réduire, mais qui désespérés de la saper pour en éviter la force et le prestige, lui, tendirent une main flatteuse pour l'attirer et en exploiter l'influence.

C'est le foyer national qui attisa toutes les révolutions contre la corruption, qui a formé les porte-étendards des guerres saintes et qui a servi de tête et de main aux mouvements libérateurs des Arabes, en leur insuflant l'âme et en leur prêtant la force. Il a fait la guerre à l'invasion français sous le commandement de six de ses savants Ulémas. Il s'est révolté contre le despostisme Turc, sous le commandement de son recteur Abdallah El-Charkaoui, contre la tyrannie du Khédive, sous le commandement de son fils azhariste Ahmad Orabi et contre l'occupaton britannique, sous la conduite de son autre fils azhariste Saad Zaghloul.

L'Azhar signifie donc tous ces faits grandioses que j'ai cités et d'autres faits aussi nobles que méritoires.

Cependant, je ne vous parlerai ce soir que de l'oeuvre bienfaisante de l'Azhar en ce qui a trait à la langue arabe.

Mes chers auditeurs.

L'ouevre bienfaisante de l'Azhar, en ce qui a trait à la langue arabe, trouve sa source dans les bienfaits du Coran. C'est grâce à ce Livre

COMMENT L'AZHAR A ETE ET DEMEURE LA FORTERESSE DE LA LANGUE ARABE

PAR

MAITRE AHMAD HASSAN AL-ZAYYAT

Mes Chers Auditeurs,

Nous voici réunis au sein de l'Azhar. De ce mot, "Al-Azhar", où enfend une | illustere Université Musulmane où l'on enseigne les sciences de la religion et de la langue. Mais, pour le croyant, mêditant qui s'en souvient ou qui y pénétre, tenant l,âme en éveil et muni de dispositions naturelles pour a se faire des liens. Spirituels avec son passé lumineux et son histoire chargé de gloire, le mot "Al-Azhar" évoque des indices, des souvenirs et des réminiscences qui remplissent l'âme de recueillement, de majesté et de ravissement. Oui, le mot "Al-Azhar" est un de ces mots géneraux qui renferme tant de signifiapions, sa prononciation révéle et réveille; et son sens rayonne et inspire: c'est un temps et un espace; c'est une religion, un monde et une histoire.

L'Azhar signifie entre ses autre sens le phare qui s'éleva sur le chemin du grand appel vers Dieu, dont l'édifice est resté inébranlable au plus fort de cataclysmes et dont la lumière s'est propagée malgré les tourments des tempêtes C'est lui qui a conduit les peuples de l'Islam, dans les nuits des malheurs et dans le tourbillon des guerres, vers le salut, la dignité et l'unité. L'Azhar signifie pour nous le rempart qui a protégé et sauvegardé la culture arabe durant plus de mille ans, en veillant sur elle et en augmantant les richesses pour les distribuer aux assoiffés de la science. en Orient comme en Occident : et ce, aux jours où l'ignorance et la mécréance venaient de saper les bases de cette langue, à Baghdad et en Andalousie.

Al-Azhar signifie aussi le rempart derrière lequel s'abrita la langue arabe pour se couvrir des attaques de la "Chéoubia", et de dialect-vulgaires secte turco-persane hostile à (tout ce qui est arabe) à l'époque à laquelle la langue arabe devint étrangère et à laquelle le pouvoir passa aux mains des Turcs ; époque bien

to choose the suitable judgments and rules.

Gentlemen : such jurisprudential legacy was not soundly understood because of the old style of writing. Today civilization has developed and mentality has changed and it is necessary that both education and books should be in accordance with the necessities of the present age.

Gentlemen : That is the third tribulation which Arabic is undergoing today and which is no less harmful than its two predecessors. Therefore Al Azhar should take a positive measure in this regard to foil the conspiracies, to launch a counter campaign and to be in a state of alertness against those whose ignorance and whims despoil the language of the Quran to undermine the bonds of the Arabs.

The Azharites, who carried this noble mission and conveyed the Noble Message of the Prophet for more than ten centuries, are quite prepared to defend their language and religion so long as they are sincere in their struggle and as long as they consider themselves God's soldiers by whom God defeats the hostile enemy at any time in battle, As a result they live to sacrifice their lives as soldiers, work as leaders and abandon the world lust like the prophets.

God, the almighty, has guaranteed for the Arabic the survival of its eloquence and brilliance as long as the Quran exists. By your endeavours and ours, O' sincere Azharites, God has fulfilled his promise and He is the best of Truthful.

Errata

In the last issue of Al-Azhar Magazine the para. 4, page 17 has been as follows : " It is not reasonable or customary that the consent of an individual is considered in the validity of some action".

Addenda

This paragraph should have bean read as follows : "It is not reasonable or customary that the consent of an individual is to be considered in the validity of some actions meanwhile his personal practice in connection with the same actions is disregarded".

the Editor

of religion due to the fact that language is a collection of words whereby people express their thoughts and opinions. Such thoughts and opinions do not end and the People cannot stay dumb forever while seeing the objectives and meanings reproduce and develop as a result of the new discoveries of science and civilization.

However those who had existed after the rise of Islam and were not purely Arabs, were not entitled to invent new words in the language. This previlege was confined to the trustworthy pure Arabs of the urban society tell the end of the second century after Hijra; and to the Beduins of the desert till the end of the fourth century after Hijra. This gave birth to the overwhelming prevalence of the colloquial language over the classical one and tightened the sphere of the classical in the classes of savants, literary figures, poets and writers to use it in their writings to the Kings and the elite.

This was because the people preferred in understanding the easy style and use the common and attainable. And when the language laggs behind and is no longer adaPtable to the needs of time and the current daily life; it would obviously mean that it is stagnant and will face its inevitable end which is complete annihilation and will be supperseded by the colloquial dialects.

The synod of Arabic language has become aware of this danger and therefore adopted a suggestion which I offered as to open the door for the contemporary grammarians to invent words in the language according to the rules of derivation; to release the linguistic analogy from any traditional obstacle; to liberate the hearing from the fetters of time and space to comprise everything that is used by the different classes of society such as masons, carpenters and other artisans; and to legalise the invented words and make it similar to the old ones. On this basis, the Synod of Arabic Language has made its medium lexicon which will appear shortly afterwords.

The case of religion is quite different. Its doors were widly open for the well equipped and prepared savants who expressed their free opinions and views. These various opinions were abundantly expressed and made the Islamic Jurisprudence full of sound judgments and good rules which sufficed the needs of the Muslims and solved their social and legal problems. Therefore the Islamic Jurisprudence had been quite satisfactory for the needs of the Muslims and they devoted their endeavours

style and its words have no rules for guidance whatsoevr. Consequently its attainment does not require any book or school but can be achieved by any doorkeeper or servant or layman. In other words, it means the separation of literature from religion, severing the ties between the past and the present and weakening the bonds amongst the Arabs.

I am of the opinion that it cannot be effectively amended except by the old method, namely, the full comprehension of its secrets, the adequate apprehension of its grammatical rules and the wholehearted memorization of its literatures. The implementation of this requires the unflagging efforts and continual seriousness, as regards the preparation of efficient teachers, sufficient knowledge and fruitful experience as regards the curriculum, good taste and sound logic as regards the making of books.

The Azharite book which we have studied and to which we still make our references, is a treasure of knowledge but lacks the easiness, good classification and representation. The difference between such books and the modern ones is like the difference between a spice shop in Al Ghorreyah (a Popular quarter in Cairo) and a commercial house in Kasr El Nil (the centre of the city of Cairo). The old shop may have precious ornaments or trades but bad exhibition of which weakens the vogue therein and decreases i's value.

Practically speaking, if we present the Azharite books in an interesting and palatable manner, they be lessons or lectures or notes or books, then this would render its fruits attainable and would facilitate the task of the students to comprehend without difficulty or hardship.

The mission of Al Azhar, as I have already mentioned, is built on two pillars, namely, religion and language. But it actually carries this mission out in a different manner. This is due to the fact that religion is perfect being the work of God while language is imperfect because it is the product of man. So long as religion is perfect and divine, it cannot be affected by the environment or by the passage of time or by civilization and science. It is ever new, ever valid, and ever solid. In contrast with this, the language being imperfect, is subject to corruption, stagnaton and backwardness. Likewise it is subject to increase, reconstruction and development.

Therefore the development of the language is a necessary and natural matter. Because the language cannot be like the established facts

Nevertheless the concise remainder of these sciences cannot afford the existence of both language and literature. It is true that modern educational institutions Provide for the graduation of a considerable number of students in the sphere of Arabic language but they are by no means similar to those graduates of prominence from Al-Azhar and savants like Mohammed Abdou, Saad Zaghloul, Al Manfalouti, Al Bishri, and Taha Hussein. Nor are they like the graduates from Darul Aloum such as Shaweesh, Al Mahdi, Al Khodari, Al-Sakandari and Al Garem; nor do they bear any semblance to the graduates of the Higher School of Islamic Jurisdiction like Ahmed Amin, Azzam and Al Khouli. Furthermore, they differ from the graduates of the Supreme School of Teachers (Al-Mullimeen) like Al Mazni, Shukri, and Abou Hadeed. They are also distiact from those who have received their education and knowledge from the books of Al-Azhar, such as Al Aqqad, Al Refei, Shawki and Hafiz in Egypt; the Bustanis, the Yazzigis, Al Shedyak, Matran and Al Khouri in Lebanon; Al Maghrabi, Al Shehabi, Gabri and Al Tantawi in Syria; Al Rassafi, Al Zahawi, Kashif El Ghetaa, Al Shabibi and Al Athari in Iraq; Al Nashashibi and Al Sakakini in Palestine.

Gentlemen : frankly speaking, I am one of the supportetrs of the reconciliation between the classical and the colloquial Arabic. My method in the Synod of the Arabic Language is to supply the classical Arabic with the words and expressions of modern civilization which colloquial language is full of, in order to bridge the gulf between the dialects. By virtue of such a trend and through the medium of the press, brodcasting and education, these two dialects will become one integral language which comprises the characteristics of the classical Arabic of the correct style, abundance, eloquence and brilliance; and the characterisitics of the colloquial Language of adequacy, natural character, dynamism, refreshment and obviousness.

But with regard to the trend that calls for the negligence of the grammatical rules and which deprives the language of its brilliant style and makes it void of any eloquence; and consequently it cannot serve as the link between our past and the future, and is unable anymore to gather us in our general terms; it must be said that such trend cannot by any means be propagated by any serious man, and cannot be listened to by any sound individual. If we left things to continue this way, then the colloquial language would prevail because of its frequent repetition in

environment while science is universal. Literature is like the soul to the body or like the blood which flows in a human being's veins which creates the personality of the independent individual and portrays the picture of the unique people. Literature constitutes certain breed, language, taste, environment, mentality, belief, history and traditions while science is something differnt from the abovementioned. Therefore it is permissible for us to borrow from others what might perfect our science but we are by no means allowed to borrow any type of literature to be representative of ours.

The study of Arabic in fact, after graduating from Colleges, in an authentic and productive manner does not demand much effort and time as the study of French and English. But they seek in the age of speed the easy and feasible objectives in so far as science and production are concerned. Whenever criticism is levelled against them in respect of their method of approach to studies, it is very often met with grudge and spiteful sentiments. Wise critics claim that authors who are unaware of the rules of their respective language are not considered neither in modern nor olden literature as true authors or poets or novellists.

When people read newspapers and books and do not grasp any grammatical errors which might reveal the ignorance of the author and thereby expose him to the general reading public then one must remember the unknown soldiers of the Azharites who are called correctors and who devote night and day in the Press publishing houses correcting grammatical mistakes and strengthening the style of the Arabic language.

It is no harm to facilitate the task of the students of the Arabic language in respect of the rules of Grammar, Morphology and Rhetoric but it is harmful and detrimental to exaggerate the importance of such practice. It is therefore better to mitigate the difficulties of the various interpretations an justifications through which grammarians had philosophized grammar, and to eradicate the contradictory forms of declension which are nothing but mere remainders of the different dialects of the pre-Islamic era and which convert the right to mistake and vice versa and thereby tend to confuse the minds of the general readers.

But it is detrimental by all means to deprive the sciences of Arabic of their characteristics of strength, fertility and expansion in the same manner as the skeleton which possesses a form but lacks the soul and flesh.

impassable obstacle. He resorts to the extreme when he calls for absolute liberty to the writer to express the way he likes.

This is the state of the graduate who has literary inclinations by nature. As for the common graduate, unfortunately, he continues his shallow knowledge by reading the simple works as represented in the colloquial stories which deceive common sense; or in the humourous magazines which stimulate sexual cravings. The readers are so excessively interested in this type of literature that worthless writers have indulged immensely in the production of such pornographic and base literature and which is most harmful to society. In addition to this there is also the prevalence of the Western literature with all its doctrines, trends and defects which have a great influence upon the minds of youth who have had access to this fragile and worthless literary culture.

Such half baked knowledge has made them ignorant of their own literature and their language and past history. Those adherents of French culture and literature, for instance, are fully aware of Hugo and do not know who is Al-Mutanabbi; they study Voltaire and not Al-Gahiz; and read La Martine not Al-Badee. Hence as a result of this trend and attitude, there arises the dependence of our literature on the literature of the Western writers. This dependence has affected the literature of our young writers. Therefore one could notice that their style, critical views and opinions are very often identical or else similar to these of their Western contemporaries. Even Symbolism, which is the outcome of the complexed self and the clouded horizon, has found admirers here who are endeavouring to propagate it in the Arab World which is known as the land of the barren desert, of the shining sun, and of simple nature. Similarly attempts are being made to apply the principles of Existentialism, which is the product of dissolute morality, abnormal taste and libertine instinct, to Arabic which is the language of the Divine Revelation that honoured man and made him superior to animal by virtue of certain previleges of religion and morality.

The case of literature is not the same as that of science. This is because literature relates to noble instincts and sentiments and balanced minds while science is meant for all people without any distinction. Literature is the outcome of certain

of poetry, prose and criticism. From these two categories the literary movement derived its inspiration as well as its vital factors to become flourishing, advanced, brilliant and eternal.

This old method had produced many distinguished literary figures who were responsible for the preservation of the language, gave it a new life and laid the foundations of a modern literary renaissance. There are in the Arab world still a small groud of these literary men of noble repute who are discovering the secrets of their language and deeply engrossed in their literature. But it must be remembered that their places in the literary world would fall vacant at some future date and there would arise a problem, namely, would there be successors to undertake this mission of literature and would they be entrusted with the legacy of the language? It is Al-Azhar alone that could supply the answer to this query. It is by virtue of its characteristics the only refuge and asylum of the language in the past and in the future.

As for the other institutes, it must be frankly stated that these institutes render the impression of pessimism. This must be attributed to their poor curriculum which has but the slightest rules of grammar and to the superficial and scanty education which has no object except to make the student pass an examination. The original volumes, for instance, are summarized and the concise books are further abridged leaving nothing left in the memory of the student save vague language which makes no sense. In addition to this the distaste of the youth to look for the serious and useful studies of the language and literature which hampers them to penetrate into the original sources and attracts them only to search in the subsidiary branches which satisfies their needs just to enable them to pass an examination and obtain a certificate. When the student graduates with this poor educational background and finds himself amidst the treasures of Arabic literature, he develops a tendency to disregard such works because he lacks the qualifications which such treasures of literature demand. Instead he resorts to the cheap literature of the West to quench his thirst and takes it as an example to be followed. As soon as he finds himself capable of producing some piece of literary work, he finds that although he is possessed with the creative faculties, he connot find the correct language to express his thoughts nor can he develop a style which would impress his readers. Consequently he becomes disgusted and rebels and assumes that the rules of the language are no longer valid and that the declension of the word is an

discreet only launched a campaign against classical Arabic but encouraged and promoted the colloquial form of the language at the hands of British officials, missionaries and orientalists. This is due to the fact that the colloquial dialects varies from place to place in the Arab lands to such an extent that each dialect could be considered an indigenous and independent language. And if the classical language, which is the common language, is defeated by any dialect, then understnading would be difficult and impossible, the faith would weaken, relationships would sever, unity would be dissipated and strength would vanish. It would thus be easy for the Imperialists to devour the Arab countries one by one without experiencing any form of difficulty or resista nce.

Fortunately this destructive movement has ended in utter failure as a result of the vigilance of the Arabs and this spelled the doom of the Imperialists in the East.

The second tribulation which beset the Arabic language was ignorance which followed imperialism in this criminal trend. By ignorance is meant the ignorance of the Arabs of their language and their neglect of its sciences and literature. This is the offence of the modern school which failed after passing considerable time and many experiences, to produce the reader who can understand what he reads, the writer who has a cultural background and the intellect who is the real originator.

The proof of this failure is manifest from the fact that the student devotes more than ten years during the course of which he had been incessantly studying Arabic and when the time approaches for him to express his opinions, he finds himself in a difficulty to express his thoughts whether it be orally or in writing. When his literary aptitude urges him to express his ideas in writing, he resorts to the colloquial language rather than the classical and calls for the negligence of the grammatical rules to make disorder, errors and disability prevail.

The science of Arabic language has been studied in Al-Azhar, Darul Aloum and other similar educational institutions in Lebanon, Syria, Iraq and Morocco. Such studies were marked by profound characteristics which enabled the Promising and industrious students to understand, apprehend, justify and analyse well. It is this fruitful study which produced good and prolific writers, poets and critics. It also produced the professional litrary figures who had been guiding the literary men in respect

Al-Hzhar, as destiny would have it, was solely responsible to overcome all these tribulations and turmoil. God, the Almighty had willed this to preserve His Book and His religion.

There is however another recent development which has been gradually taking proportions of much alarming magnitude that nevertheless calls for attention. This recent development which besets the Arabic language is about to perplex tongues, annul the validity of the Quran, defile the genuine sources of religion and dissolve the bonds enchaining Arabs to their legacy. It would pollute the purity, sublimity and magnitude of literature as derived from the Revelation of God and would degrade it and cause it to be relegated to the lowest standard of materialism, meanness and indecency. This distress is exemplified in the linguistic libertism which propagates and prefers colloquial to classical Arabic; which appreciates the common literary works while rejecting the sophosticated classical works of literature and which welcomes the exciting subject and not the guiding and enlightening one. This latest subversive trend in literature urges the writer when he writes and the poet when he versifies, to pay no attention and disregard the rules of grammar or morphology, rhetoric or rhyme or even the moral principles.

However this state of affairs has two underlying factors or causes, namely imperialism and ignorance. As regards Imperialism, it must be mentioned that it has realized the fact that the bonds which link the Muslims all over the world, no matter how distant and different their countries may be, are fundamentally the religion and the language. The Imprialists at one stage considered the nationalist movements of the Arab and Muslim countries as mythical but now they emphatically believe that so long as the Muhammedan nation remains united and integral by virtue of the religion of Islam and the Arabic language, it will inevitably achieve its independence and will sooner or later put an end to the exploitations of imperialism.

France, therefore has continually attempted to keep and wean the Berbers in Algeria away from their religion by propagting false ideas and pretences, and persist in endeavouring to prevent the Arabs from the sources of their language by expunging it from the schools and governmental offices and organisations.

But the teachings of God have been stronger than the French trials and the language of the Quran more powerful and decisive than that of the sword. England being cunning and

but nevertheless_these attempts proved futile as a hole. However, during this pericd the Arabic language had been removed from its firmaments of India, Khorasan, Iraq, Romiland and Andalusia. In the Arab domain it had experienced a very critical and pitiful stage and was almost on the verge of extinction and being completely forgotten and neglected. But there always remained a ray of hope that some support would be given or forthcoming from whatever source to retrieve it from the abysmal state into which it had fallen. This support which was needed at a very crucial stage ultimately came from Al-Azhar which gave immeasurable support and restored the Arabic language to its pristine state of glory and due to which assistance Arabic still survives. Hence Azhar became known as the saviour of the Arabic language to the Arabs and the Islamic world. Al-Azhar nurtured it, gave it strength, and protected it. When the shadow of the Ottomian Rule receded, God the Almighty, willed that the sun of awakening should rise again to cast its brilliant rays over the length and breadth of the Nile valley and thereafter the Arabic language rid itself of its subduing forces; and its historic career and unique and powerful characteristic were restored. Al-Azhar has ever remained the shelter of Arabic and the principal cause of its survival and resurgence.

Since the French occupation till the reign of Muhammed Ali, Al-Azhar had been the source of inspiration to the populace in their struggle and to governments in their reformatory movements. In its guiding role and in the forefront of its activities were many illustrious and eminent Rectors such as Khalil El Bakri, Abdullah El Attar and many others of great repute.

With its vast resources of energy it has gone ahead with laudable Plans and it must be noted with great pride and deep appreciation that it has led a pioneer movement in that it sent many promising students to Europe to further their intellectual advancement. The first mission was composed of the best talents such as Ibrahim El Nabarawi, Ahmed Hassan El Rashidi, Muhammed Ali El Bakli, Refaah El Tahtawi, and Ali Mubarak. This was another great characteristic of this glorious institution which had strived to preserve the Arabic language as an integral one.

Gentlemen : it is therefore quite evident and manifest to you all in the light of the aforementioned facts stated that Arabic had been subjected to great stress and threat of extinction during two successive reigns and that

grammar through the medium of Turkish in both Syria and Iraq. Consequently there was a spread of colloquial language with words interpolated profusely while the eloquence and brilliance which were ever present in the poetry and prose of the learned and erudite of the past, made a quick exit from the intellectual and cultural works in the sphere of literature. This period was plunged into persecution and darkness and the talented lights that once shone were soon extinguished and an era of gloom pervaded the whole atmosphere mainly due to the lack of enthusiasm and desire for knowledge in the rulers.

The Turks however dominated the machinery of government in Egypt in the domain of political, military, admnistrative and educational affairs. Their efforts to subdue Azhar ended in disaster for the reason that they were deeply impressed with its cultural and religious magnitude and glory. Hence they held it in reverence and esteem, and they sought from it whatever support that was forthcoming and looked forward to it for inspired solutions to their problems. Sultan Selim himself had visited it considerably to seek in prayer the divine blessings for his reign.

It should be noted that Azhar made inroads to the Turkish lands in the sphere of culture by disseminating its knowledge of literature through books and this resulted in the interest shown by Turks to study the Arabic language. In fact many Turkish individuals studied and spoke the Arabic language and even published books in Arabic. There arose eminent personalities and scholars such as Alfayrouzabadi, Abou Al Soud, Al-Fanari, Mala Khesrou, Al Gami, Khugah Zadah, Mala Meskeen, Mala Lotfi, Haji Khalifa, Tashkebri Zadah and Ibn Kamal Pascha.

The Turkish Sultans themselves had studied Arabic and Literature to the same degree and standard as Turkish literature. The Arabic language had never been weak or neglected under the Turkish rule except in the reigns of Sultan Mahmud the Second and his son Sultan Abdul Majid the First when they revived the Turkish language and accorded it a great place and even called it the Ottoman Language.

You can conclude, Gentlemen, from what you have now heard, that Arabic had undergone many attempts directed towards its extinction during the era of Moghul rule and Ottoman domination which lasted about three hundred years respectively

it and aided it because they had chosen Egypt as their home, Islam to be their religion and faith, and Arabic to be their language. They also had amongst them poets like Sultan Qansawah Al Ghuri. The Mamelukes extented their moral and material support to the religious authorities, literary figures, scholars and authors and encouraged the intellectual advancement. Under their auspices Azhar had produced eminent scholars who pooled their knowledge and propagated their ideas and published them. From amongst these scholars there were many prominent and illustrious personalities such as Gamaluddin son of Manzour, Gamaluddin son of Hisham, Shamsuddin El Zahabi, Al-Hafiz Ibn Hagar Al Asqalani, Abou El Abbas El Qaulqashandi, Taqeyyuddin El Maqrizi, Badruddin El Aini, Seraguddin El Balquini, Badruddin El Damassini, Shamsuddin El Sakhawi, Kamaluddin El Domayri, Galaluddin El Syouti and Taqeyuddin Al Qushayri who is known as IBN DAQIQ EL EID. Such intellectual advancements have focussed the attention on Al Azhar and during the seventh, eighth and ninth centuries it was acknowledged by the Arab and Muslim nations as the centre of cultural and religious activity in the Islamic world and providing an unsurpassed leadership.

Throughout its ancient and historic period and to the present day, it has maintained the existence of the Arabic language, preserved the standard of literature and disseminated religious and cultural thought and had it not been in existence, the link between the ancient and modern literature would have been dissolved and disappeared.

The second tribulation which had eclipsed Arabic and from which it emerged safe and integral, thanks to the efforts of Al-Azhar, had been the Turkish invasions in the beginning of the 10th century when Sultan Selim assumed control over Egypt and Syria in 923 A. D. Then the Caliphate became Ottoman and not Abbassite and the capital of Islam shifted from Cairo to the city of Constantinople, and the Turkish language became the official language instead of Arabic. Sultan Selim the invader, ruled supreme in Egypt for 8 months and during which period he had plundered the most precious monuments of books, ornaments and antiquities executed by the most skilful artists and brilliant authors who had graduated from Azhar and produced their works during the three centuries preceding the Turkish invasion.

The invaders propagated their own language in the schools and in the administrative machinery of the government in such haphazard manner that they taught the Arabic

It has been Al-Azhar which maintained the existence of this language inspite of the lost power and prestige. This is simply because God the Almighty, has previleged this Glorious Al-Azhar by certain merits which have marked characteristics in it. Some of these merits partly belong purely to the Arabic nature of the studies by virtue of its early establishment and environment, and of its situation in the center between the near and middle easts. Consequently it has become the threshold of Muslims from all parts of the world. Another merit attributed to it is its proximity to Hedjaz and thus it has become the route to Mecca for those on pilgrimage and other nomad scientists from Africa and Andalusia. Further Al-Azhar has produced many great scholars well versed in Islamic studies and Arabic literature, who had compiled the fragments of Arabic sciences and literature in great volumes which look like Encyclopaedia. Al-Azhar has also enjoyed a great stutus which might have reached the degree of sanctity in the hearts of all Muslims and rulers and which had played a great part in solving many political as well as social problems. It has catered to the needs of the professors and students and has extended its benevolence for the cause of humanity and has further supported or afforded financial assistance to the needy students in respect of living accomodation, clothing, board and tuition fees. It has granted asylum to those who had run away from the Moghul invasion which had swept away Khorasan and Iraq and spared their lives, religion, knowledge, literature and books. Those learned immigrants both from East and West sought asylum in Cairo and achieved scientific discoveries and made great contribution to the advancement of cultural affairs. They were in many respects similar to the Christian scientists who had immigrated from Constantinople to Rome, and who had been the pioneers of the scintific as well as the cultural age.

Amongst the many reasons which contributed to the great success of Al-Azhar, it must be remembered that the AYYUBIS had to a large extent afforded both moral as well as financial support in a very effective manner. Although they had been KURDS yet they had spoken Arabic and studied its literature and from amongst them there emerged the genius poet, scholar, historian, such as King Muayyed Emaduddin Abou El Fedda and King Afdal Ali Ibn Salahuddin.

It is also worthy of note that Mameluks had taken great pains to preserve Al-Azhar. They had supported

no longer exist, could not individually or collectively rival Al-Azhar in its everlasting favour on the Arabic language as being the medium of sciences and the common link which bound all Muslims to this date.

Gentlemen: Arabic, the language of the Quran, has undergone two bitter and lethal trials. First the tribulation of Moghul invasion in the second half of the seventh century when the Abbassite Caliphate in Iraq weakened as a result of the competition between Persians and Turks, of the conflict between the Shiis and the Sunnis and of the lack of respect and prestige of the Caliphs which all together had paved the way for Hulaco to destroy the abbassite Caliphate in 656. Furthermore, the deterioration of the Ommayyad dynasty in Andalusia when the Berbers and subjects took over their kingdom and divided it into statelets. such disintergration had facilitated the path for the Frankish to swallow up these statelets one by one till they absorbed them completely in 898. In addition to these catastrophes the Fatimate dynasty in Egypt and Syria collapsed and fell into the hands of the Ayyubis and then to the Mameluks who assumed control until their power was wrested by the Ottoman Turks in 923.

You can realise, gentelmen, from these historical events that the Arabs had spent 560 years with no power or kingdom. Their legacy and homes had been subject to common pillage and exploitation by the Moghuls, Turks, Persians, Greeks and by Spanish shortly afterwards.

These non-Arab invaders had been illiterate and marauding hords who had indulged in vandalism and passions; and ultimately brought about the downfall of the language and its literature as well as its sciences. They wantonly scorched libraries, annulled schools, exterminated scientists and learned intellects. Further, there was the conquest of the Tartars and their ravages in Bokhara Baghdad, the Crusaders in Syria and th Frankish in Andalusia. Had the Arabic language been abolished and joined its two co-semitic languages, it would not have been considered out of the nature of things or an innovation in the logic of history.

Nevertheless it has survived as the language of religion and science, of the government and peoples in Morocoo, Egypt, Syria, and the Arab Peninsula. Had it not been for the arrogance of the Turks and the fanaticism of the Persians, it would have been spoken by Muslims all over the world.

to defend it, and to propagate it until it had replaced the Persian language in Iraq, the Rumi in Syria, the Coptic in Egypt and the Barbarian in Morocco.

During the Abbassite Caliphate, the golden age of the Arabic Language, it became the language of religion, literature, science, politics, administration and civilization. The Muslims whosoever had been travelling rom one country to anothr in the Islamic world felt as if he were going from one place to another in his native land and he never faced the difficulty of being understood nor did he experience any hardship in dealing or adversity of living.

Muslims, Arabs and Persians alike, had been absolutely follwoing the teachings of the Holy Qur'an. It has been their petition and supplication in the mosques, their discipline in their homes, their way of life and their constitution. It has penetrated deeply into their souls and nature, and has affected their tongues, traditions and minds in such a manner that never had a parallel in the history of divine scriptures.

Henceforth, the Islamic culture has been based upod two basic principles: the religion and its various sciences; and the language with its different branches. The relation between these two pillars has been mutual and interacting at the highest pressure in the sense that Islam without Arabic is obscure and backward and Arabic without Islam shrinks and dies away. Therefore they are closely knit together or inter-related.

It must be stated that all Semitic Languages are chiefly indebted in their survival to religion. Judaism, Christianity and Islam have been the causes of the survival of Hebrew, Syriac, and Arabic respectively. Yet the difference between the survival of Arabic and the survival of both Hebrew and Syriac is like the difference between the body and the soul.

Al-Azhar being the heir of Prophethood, protector of the Faith, and the propagator of the Call, has established its mission on those two pillars. i.e. religion of Islam and the Arabic Language. Thanks to God's help and care, Al-Azhar has undertaken this glorious mission in such a manner that it has gained the place of leadership in the Islamic world. It might be said that its laurels in the sphere of religion and language might be shared more or less by some schools and mosques founded by the Sultans in Cairo, Damascus, Aleppo, Baghdad, Gordova, Qayrawan and Zaytounah, such as the schools of Nasseryeh, Qamheyyah, Salahyyah. Muayyad, Mansouryyah, Shaykhyyouriah, Zaherryyah, Kamellyyah and Nezamyyah. However such schools, which

also invented to illustrate the unimitatability of the Quran while the Prophetic Traditions, origins of jurisprudence, interpretations of the Quran, were introduced to explain religious injunctions.

Thanks to the Quran, the Arabic language is being spoken by all the Arabs , and has been disseminated everywhere. It has been preserved for almost 14 centuries without being altered or affected or stagnant. This is in accordance with God's saying :"We have, without doubt, sent down the Quran; and We will assuredly guard it (from corruption) " (Surah. 15, V. 9). It is therefore quite clear that the preservation of the Holy Quran necessitates the preservation of its language.

If one takes a short glance at the history of the divine and secular religions, he will realize that there is no religion which has been carried from the extreme east to the extreme west by its own language except the religion of Islam and the Arabic language which has marvellously achieved this object for 1380 years while at the same time remaining strong, dynamic, integral and maintaining its own characteristics.

In contrast with this the original books of the other religions had been only read in the very land in which these religions appeared, but when they spread to other lands, they were read through translations while the original books were read by a few religious figures.

Buddhist books, for instance, are read by the followers of this sect in both China and Japan through their respective languages. Likewise, Torah and the Bible are read in the Christian world through the different languagas of every individual christian nation. Therefore they had but a slight impact upon the different literatures until they were translated into the Latin language. Then they had a strong influence on the European literatures.

However this is not so in the case of the Qur'an. This is due to the fact that the Muslims have actually believed that the language of the Qur'an is a part of of its essence and the fact that it was an expression of the Revelation of God ; the language of His Book; a Miracle of His Messenger ; and the language of His Call. The Messenger in turn elevated it by his Traditions ; the religion diffused it and the Qur'an made it eternal.

The Qur'an is not actually called Qur'an unless it is recited in Arabic and the prayer is not perfectly performed unless it is said in Arabic. Therefore the people hastened to study it and speak it and to publish books in it, to be enthusiastic about it, to

Muslims throughout the world turn their hearts seeking guidance therefrom to lead the way of God and along the path of truth. Al-Azhar, too, represents the asylum of the obsessed people in which they find a staunch protection when they are subject to tyranny or dispotism.

Conversely, Al-Azhar is a universal university to which students from every nation, breed and colour come to further their religious studies to Propagate the Divine Call when they return back to their countries. Al-Azhar has been the sacred place in which the worshippers, ascetics, preachers, the memorizers of the Holy Koran and the blessed people had lived.

Al-Azhar has been the spiritual base which frightened the imperialists who implicitely and explicitely attempted to bring about its downfall and destruction in order to be safe and secure. When they failed to achieve this object, they began to compromise and flatter it in order to take advantage of it.

Al-Azhar has been the national institution which fought against corruPtion, brought forth national leaderships and contributed effectively to the awakening of the modern Arab world and its peoPle. It has inspired it and strengthened it. Perhaps if we look back into the pages of past history, we would find six learned Azharites who had opposed the French invasion, one resisted the Turkish tyranny, viz. Shaykh Abdullah Al Sharkawi, the legendary figure Ahmed Orabi who had opposed the Khedival oppression, and Saad Zaghlul who had fought against British Imperialism. Hence all these previously mentioned may be conceived from the word of AL-AZHAR. However tonight I shall confine my lecture to the Arabic Language in particular and not to any other subject.

Gentlemen: the care of Al-Azhar towards the Arabic language arises from the care of the Glorious Quran towards it. If we enumerate the benefits and merits bestowed by the Quran on the Arabic language, we would find that the words in it become mellifluous, its construction melodious, its meaning adequate, its logic powrful and its vocabulary rich and copious.

It has brought forth religious and literary sciences which preserved its vocabulary by virtue of gramatical rules and lexicons. The Quran has further expanded the domain of terminology and Arabic expressions. Consequently many sciences have been produced, such as, Morphology, Arabic Gramma , and philology, to prevent the Arabic tongue from grammatical mistakes. Rhetorics were

AL-AZHAR: ITS RôLE AS THE GUARDIAN OF THE ARABIC LANGUAGE

by
AHMED HASSAN EL-ZAYAT
Editor - in - Chief

We are now assembling in Al-Azhar auditorium. The notion which occurs first our mind when we mention the word of Al-Azhar is that it is an Islamic university in which scinces of religion and language are being taught. But when the conscious and scrutinizing believer mentions or enters it-while at the same time being prepared by nature to contact his spiritual legacy, his shining past and his eventful history-he would undoubtedly remember the glorious memories, magnificent recollections and solemn implications. Al-Azher is a comprehensive and meaningful word which has spiritual and moral significances. It constitutes time, place, religion, life and history.

Al-Azhar stands as the lighthouse which has been raised as a guidance through the history of the Great Call, and which has been firmly established unshaken by the tremors and earthquakes. Its light has ever shone to guide the Muslim peoples during the dark ages and under adverse circumstances to enjoy the sense of safety, dignity and unity. Al-Azhar has been the shelter which maintained the existence of Arabic culture more than thousand years past. It has been watching over it, expounding it and extending it to the seekers of knowledge, from East and West alike, who resort to it in quest of knowledge. In other words Al-Azhar has been the radiating centre of Islamic thought and culture. Meanwhile this Arabic culture had been destroyed by ignorance and blasphemy in Baghdad and Andalosia. Furthermore, Al-Azhar stands as the refuge to which the Arabic language has resorted from the inroads of sectarianism, colloquial language and Turkish when the rulers had been alien to the people, when ignorance had prevailed, the caliphate had weakened and the real possessors of land had been subject to utter humiliation.

Moreover Al-Azhar has been the second niche to which all

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
سكرتير التحرير
محمود الشرقاوي
بدل الاشتراك ٤٠

الجزء التاسع — رمضان سنة ١٣٨٠ هـ — فبراير ١٩٦١ م — المجلد الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

اللزوميات والصيام

للأستاذ عباس محمود العقاد

يقول الدكتور طه حسين في كلامه على اللزوميات : « إن لزوم ما لا يلزم هو شعار أبي العلاء في جميع أطوار حياته بعد رجوعه من بغداد . فقد التزم في شعره ونثره وسيرته أشياء لم يلتزمها من قبل ، ولم يكن من الحق عليه التزامها ، وإنما آثرها حين راض نفسه على تكلف المشقة واحتمال المكروه . فالتزم في اللزوميات أن تكون القافية على حرفين ، أي أن يلتزم حرفا لو أسقطه لما كان متجاوزا قواعد القافية » .

ويقول الدكتور كامل حسين في تعليل كلف المعرى بالتزام ما لا يلزم : إنه « كان بطبيعته متديناً غاية التدين . . . ودليل التدين أمران : أن يعمل الإنسان أعمالا صالحة ليس مضطراً إلى عملها إلا بدافع من نفسه ، وأن يمتنع عن أمور سيئة لا يمنعه منها إلا وازع من نفسه . . فالتدين في الواقع ليس إلا لزوم ما لا يلزم إيجابا وسلباً » .

هذان تفسيران لطريقة المعرى في نظم اللزوميات تلتقيان في معنى واحد ، وهو تطوع

المعرى لاحتمال الشدة التى لا يحتملها غيره إلا مطيعا للسلطان المفروض عليه . فهو فى التزامه ما لا يلزم فى نظم الشعر ، يجرى على العادة التى التزمها فى ملازمة داره ، وفى الصيام عن اللحوم ومآكل الترف والنعمة ، وفى العزوف عن غرور الجاه والثراء ، ويجوز أن يكون هذا الالتزام كما ترى نوعا من « التحدى » للمصائب والمحن كأنه يقول لها : « بيدى لا بيد عمرو » . كما يجوز أن يكون ذلك أنفة من الزحام الذى يعجزعنه ويقدر أنه يعرضه للعبث والسخرية وهو الذى استكثر على وقار أبيه أن يخف للزحام فى موقف الحشر حين رثاه فى أوائل صباه فقال :

ويا ليت شعرى هل يخف وقاره

مع الناس أو يأبى الزحام فيستأنى

وقول الدكتور كامل حسين : إن التزام ما لا يلزم ظاهرة من ظواهر الفريضة الدينية قول صحيح يصدق على سليقة التدين وعلى أصل من أصوله العميقة وهو الرضا بالتضحية والفداء والصبر على المشقة والصيام عن الملذات . وكلا التفسيرين يوافق المعهود من خلق المعرى ومن سيرة حياته ، وقد يغنى عن المزيد فى تفسير اللزوميات لولا ملاحظة لا بد منها عند النظر إلى أدب المعرى وأدب معاصريه ، وهى أن المعرى لم يكن وحيداً فى عصره وأن طريقته هذه لم تكن هى الطريقة الوحيدة بين شعراء عصره وأدبائه ، فإنهم كادوا جميعاً أن يلتزموا شيئاً لا تلزمهم إياه قواعد العروض أو قواعد الكتابة ، وقد عرضوا لنا من هذه الناحية ظاهرة عصرية تحتاج إلى تفسيرها ولا يغنينا فيها تفسير طريقة اللزوميات أو مزاج أبى العلاء .

فلماذا هذا الولع بما لا يلزم بين أبناء الجيل كله ومن يليهم من الشعراء والكتاب إلى القرن السادس أو بعده بقليل ؟ .

لاخفاء بسبب هذا الولع إذا نحن تذكرنا أن القرن الرابع للهجرة هو القرن الذى جاء بعد عصر المخضرمين ، وشاعت فيه شبهات العجمة وغلبة السيادة الأعجمية على البلاد العربية فخولطت فيه لغة العرب بلغة الدخلاء والمولدين وقيل فيه : إنه طليعة عصر المتأخرين ونهاية عصر الأوائل الذين يحتج بهم ويجوز للأديب أن يستشهد بكلامهم للتمييز بين الفصيح والأعجم ، وبين العربى والدخيل .

إن تسمية أدباء ذلك العصر باسم المتأخرين والمولدين هى الشبهة التى وقرت فى نفوسهم وكلفتهم أن يدفعوا تلك الشبهة بالمبالغة فى التزام ما لا يلزم على شتى الوجوه والأساليب وكلفتهم – مع هذا – أن يصطنعوا شعر الحكمة والمثل السائر ، مخافة أن يقال : إن السلف قد

ذهبوا بالحكمة وجوامع الكلم ولم يترك المتقدمون قولا للمتأخرين .

ولقد كان أبو العلاء أشدهم حرصا على عروبته ودفعا لشبهة التخلف فى لغته وأدبه ، وفخرا بالتقدم على غيره ، ولم ينظم شعراً فى الفخر إلا جعل ، هذا التقدم ، أول مفاخره فيه ، فهو القائل :

وإنى وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل

وهو القائل ويريد مكانته كما يريد وجهته وقبلته إقبالا وإعراضاً مع الكبراء والأمراء :

ورائى أمام والأمام وراء
إذا أنا لم تكبرنى الكبراء

وهو الذى جعل اللغة ومشكلاتها وأسرار كلماتها وألغازها شغله الشاغل فى رسائله ومصنفاته . وقال الدكتور كامل حسين ، بحق : إنها حلت عنده محل ألغاز الأساطير وأسرار العبادات عند اليونان الأقدمين .

فإذا كان مزاج المعرى هو الباعث الأول له على تحديه للحن وأنفته من الزحام فمزاج العصر كله هو الذى كان يوحى إلى الشاعر « المتأخر » أن يقول : إنه صانع لما لم يصنعه الأوائل ، وقادر على التزام ما لم يلتزموه ! .

وكان غيره من شعراء القرن الرابع يلتزمون شيئا لم يلتزمه الأوائل ، فيقول (أبو الفتح البستى) فى شعره :

إذا أقر على رق أنامله
أقر بالرق كتاب الأنام له

ويجانس فى قافيته فيقول :

ولا تعد لحديث إن طبعهم
موكل بمعاداة المعادات

وهو القائل فى منثوره : « من أصلح فاسده أرغم حاسده ... والمنية تضحك من الأمنية . . . وعادات السادات سادات العادات » .

ويمضى الملتزمون ما لا يلزم على هذا السنن حتى نرى الحريرى ينظم الأبيات من حروف مهملة أو حروف معجمة أو يوالى بين الحروف حرفا مهملا يتلوه حرف معجم .

أو ينظم البيت من بحرين وقافيتين كما قال :

يا خاطب الدنيا الدنية إنها
شرك الردى ، وقرارة الأكدار
دار إذا ما أضحكت فى يومها
أبكت غداً ، تبا لها من دار

ويزيد بعض المتأخرين فيلتزم القافية ثلاث مرات أو أكثر فى البيت الواحد كما قال النابلسى من التسميط .

جزيل السخاء ، جميل العطاء
جليل العلاء ، من النجم أهدى
سريع الجواب ، رفيع الجناب
وسيع الرحاب ، حبا الوفد رفدا

وكان بديع الزمان يلتزم ما لا يلزم على طريقته فيبدأ الكتاب من ختامه ويعيده بعد تمامه ، ويحكيه الكتاب والشعراء فى ضروب من الالتزام ، على هذا النظام وعلى غير هذا النظام .

وقل من شعراء القرن الرابع وما بعده من لم ينظم القصائد الطوال فى الحكمة والمثل السائر ، ليدفع عن المتأخرين شبهة التقصير عن شأو المتقدمين .

فالبستى المتقدم ذكره هو صاحب النونية الحكيمة — التى يقول فى مطلعها :

زيادة المرء فى دنياه نقصان
وربحه غير محض الخير خسران

والتهامى صاحب المرثية الحكيمة التى يقول منها :

طبعت على كدر وأنت تريدها
صفوا من الأكدار والأقذار

ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلب فى الماء جذوة نار

والطغرائى يقابل لامية العرب بلامية العجم ويقول فيها من الحكمة :

أصالة الرأى صانتنى عن الخطل
وحلية الفضل زانتنى لدى العطل

أعلل النفس بالآمال أرقبها
ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

وغير هؤلاء بين أواخر القرن الثالث وأواخر القرن السابع كثيرون من شعراء الافتنان فى لزوم ما لا يلزم على أنماط وأشكال ومن شعراء الحكم والأمثال لكيلا يقال : إنهم دون المتقدمين فى هذا المجال .

وكل هؤلاء شركاء للمعرى فى سبب أصيل من أسباب الولع بالتزام ما يلزم واصطناع الحكمة والمثل وليس يمتنع مع هذا أن يكون للمعرى سببه الذى غلبت عليه فطرة التدين والتضحية المقصودة للتحدى والاطمئنان إلى الحرمان . . . فإن النفس البشرية شبكة عجيبة من الدوافع والموانع ، تجمع بين النقائض ولا يمتنع عليها أن توفق بين التضحية ونقيضها من الفخر وحب الاستعلاء ؟

عباس محمود العقاد

نداء من لاجىء . . . !

أخى فى الشرق والأمجاد ، والتاريخ ، والدين .
حنانك إن ليل التيه يعصف بى ويطوينى .
أخى قد عربد الإعصار ، مد يديك واحمينى .
ومزق عن يدى قيدى ، فقيد الذل يضوينى . . !

كيف كان الأزهر حصنًا للغة العربية

بقلم : أحمد حسن الزيات

أن المعنى الذى يبدر إلى الذهن من لفظ الأزهر أنه جامعة إسلامية تدرس فيها علوم الدين واللغة ، ولكن المؤمن المتأمل الواعى إذا ذكره أو دخله وكان مهيأ بطبعه للاتصال الروحى بماضيه المشرق وتاريخه الحافل انثالت على خاطره منه دلالات وذكريات وطيوف تملأ النفس خشوعا وجلالا وروعة ، فالأزهر كلمة من الكلم النوابغ الجوامع ، فى لفظها استيعاب ووعى ، ولمعناها إشعاع ووحى ، فهى زمان ومكان ودين ودنيا وتاريخ ، يعنى الأزهر فيما يعنى المنار الذى ارتفع فى طريق الدعوة العظمى ثم ثبت بنيانه على رجف الزلازل وانتشر ضوءه على عصف الرياح ، وقاد الشعوب الإسلامية فى ظلمات الخطوب والحروب إلى ملتقى السلامة والكرامة والوحدة .

ويعنى الأزهر فيما يعنى المعقل الذى حفظ الثقافة العربية ألف سنة ونيفا ، يسهر عليها ويزيد فيها وينفق منها على طلاب المعرفة فى الشرق والغرب ، على حين دمر الجهل والكفر حصونها فى بغداد والأندلس .

ويعنى الأزهر فيما يعنى ، الحصن الذى اعتصمت به اللغة العربية من عدوان الشعوبية والعامية والتركية حين استعجم اللسان واستترك السلطان وفشت الجهالة ، وضعفت الخلافة وعز الناصر وذل الأهل .

ويعنى الأزهر فيما يعنى القبلة الثانية التى يوجه المسلمون فى جميع أقطار الأرض قلوبهم إليها يتلبسون على هداها الطريق إلى الحق والسبيل إلى الله .

ويعنى الأزهر فيما يعنى الملاذ للشعب المظلوم كلما عسفه الطغيان وبغى عليه الحكم فيأوى منه إلى ركن شديد وحام قادر .

ويعنى الأزهر فيما يعنى الجامعة العالمية التى يؤمها الطلاب من كل أرض ومن كل جنس ومن كل لون ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، لا يبغون من وراء ذلك مالا ولا جاها ولا شهرة .

ويعنى الأزهر فيما يعنى الخانقاة التى آوت العباد والزهاد والوعاظ وحفظة القرآن وحملة البركة .

ويعنى الأزهر فيما يعنى القاعدة الروحية التى كان يخشاها المستعمرون فحاولوا سرا وعلنا أن يدمروها لينقوها ، فلما استيأسوا

(*) نص المحاضرة التى ألقيت فى قاعة المحاضرات الكبرى للجامعة الأزهرية .

من تدميرها أو إضعاف تأثيرها سالموها ونافقوها. ثم جهدوا أن يستميلوها ليستغلوها.

ويعنى الأزهر فيما يعنى، الصرح الوطنى الذى أجج الثورات على الفساد، وخرّج القيادات للجهاد، وقام من نهضة العرب الحديثة مقام الرأس واليد، يمدها بالروح ويرفدها بالقوة. ثار على الغزو الفرنسى بقيادة ستة من علمائه، وثار على الطغيان التركى بقيادة شيخه عبدالله الشرقاوى، وثار على الظلم الخديو بقيادة ابنه أحمد عرابى، وثار على الاحتـــلال البريطانى بقيادة ابنه سعد زغلول.

كل أولئك يعنيه لفظ الأزهر، وأكثر من أولئك يلازم معنى الأزهر، ولكنى بسبيل الحديث عن نصيب اللغة العربية من فضل الأزهر فلا أخوض فى حديث غيره

إن فضل الأزهر على اللغة العربية مستمد من فضل القرآن الكريم عليها؛ وبعض فضله أنه كسبها عذوبة فى اللفظ ورقة فى التركيب ودقة فى الأداء وقوة فى المنطق وثروة فى المعانى. وكان سببا فى استحداث العلوم الشرعية والأدبية التى حفظت مادتها بالقواعد وفى المعجمات، ووسعت دائرتها بالألفاظ والمصطلحات، كالنحو والصرف والاشتقاق لدفع اللحن عنه، والمعانى والبيان والبديع لتقرير الإعجاز فيه، وعلى اللغة والأدب لتفسير غريبه وتوضيح مشكله، والحديث والأصول والفقه والتفسير لاستنباط أحكام الشرع منه، وهو الذى وحدها على كل لسان، ونشرها معه فى كل مكان. وحفظها أربعة عشر قرنا إلا قليلا لا تفسد ولا تجمد ولا تتغير مصداقا لقول الله تعالى: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»، وحفظ القرآن يستلزم حفظ لغته، والناظر فى تاريخ الأديان السماوية والأرضية لا يجد دينا حملته لغته التى أنزل بها أو كتب فيها إلى أقصى الشرق وأقصى الغرب فى مدى ١٣٨٠ سنة ثم بقيت محافظة على قوتها وجدتها ووحدتها وطبيعتها إلا دين الإسلام ولغة العرب. أما سائر الأديان فلا تقرأ كتبها الأصلية إلا فى لغة البلد الذى ظهرت فيه. فإذا نقلت إلى بلد آخر عن طريق الدعوة قرئت مترجمة إلى لغته، واختص بمعرفة الأصل طائفة قليلة من رجال ذلك الدين، فمدونة الأسفار البوذية المسماة بالسلات الثلاث لا يقرأها أتباع هذه الملة فى الصين واليابان إلا منقولة إلى الصينية واليابانية، والتوراة والإنجيل ـ وهما كتابان منزلان ـ لا يقرآن فى العالم المسيحى إلا فى لغة كل قطر من أقطاره، لذلك ظل تأثيرهما فى الآداب الأخرى ضئيلا حتى ترجما إلى اللاتينية والتوتونية القديمة فظهر أثرهما قويا فى الآداب الأوربية.

وليس كذلك الحال فى القرآن ، فإن المسلمين اعتقدوا بحق أن لغته جزء من حقيقة الإسلام ، لإنها كانت ترجمانا لوحى الله ولغة لكتابه ومعجزة لرسوله ولسانا لدعوته ، ثم هذبها النبى الكريم بحديثه ونشرها الدين بانتشاره وخلدها القرآن بخلوده . فالقرآن لا يسمى قرآنا إلا فيها ، والصلاة لا تكون صلاة إلا بها ، لذلك سارعوا إلى تعلمها والتكلم بها والتأليف فيها والتعصب لها والدفاع عنها والدعوة إليها حتى حلت محل الفارسية فى العراق والرومية فى الشام والقبطية فى مصر والبربرية فى المغرب ، وأصبحت فى عصر بنى العباس وهو عصرها الذهبى لغة الدين والأدب والعلم والسياسة والإدارة والحضارة فى أكثر الدنيا القديمة ، وأصبح المسلم على اختلاف جنسه ينتقل من قطر إلى قطر فى عالمه الإسلامى كما ينتقل من بلد إلى بلد فى وطنه الأصلى ، لا يجد مشقة فى التفاهم ، ولا صعوبة فى التعامل ، ولا شدة فى المعيشة . ثم شغل المسلمون - عربهم وعجمهم - بالقرآن وفرغوا له ، فكان دعاءهم فى المسجد ، ونظامهم فى البيت ، ومناهجهم فى العمل ، ودستورهم فى الحكومة ، فسرى هديه منهم مسرى الروح ، وجرى وحيه فيهم مجرى الطبع ، وأثر فى ألسنتهم وأفئدتهم وأنظمتهم تأثيراً لم يؤثره كتاب سماوى آخر فى أهله .

ومن هنا كانت ثقافة الإسلام قائمة على ركنين أساسيين هما الدين بعلومه المختلفة واللغة بفنونها المعروفة ، وهذان الركنان يشد أحدهما الآخر ويمسكه ، فالإسلام بغير العربية ينبهم ويضمحل ، والعربية من غير الإسلام تنكمش وتزول ، واللغات السامية مدينة ببقائها للدين ، فلولا اليهودية ما بقيت العبرية ، ولولا المسيحية ما بقيت السريانية ، ولولا الإسلام ما بقيت العربية ، ولكن الفرق بين بقاء العربية وبقاء العبرية والسريانية هو الفرق بين الروح والذماء أو بين العين والأثر . والأزهر وهو وارث النبوة وحامى العقيدة وناشر الدعوة لا يمكن أن تقوم رسالته إلا على هذين الركنين ، وقد أداها بتأييد الله وتوفيقه تأدية أحلته من العالم الإسلامى كله محل الزعامة .

على أن فضله على علوم القرآن وعلوم اللسان قد يشاركه فيه بالكثير أو بالقليل طائفة من المدارس والجوامع أنشأها السلاطين فى القاهرة ودمشق وحلب وبغداد والنجف وقرطبة والقيروان والزيتونة ، كالناصرية والقمحية والصلاحية والمؤيدية والمنصورية والشيخونية والظاهرية والكاملية والنظامية ؛ ولكن هذه المدارس التى عفى على أكثرها الزمن لم تستطع فى حياتها منفردة أو مجتمعة أن تطاول الأزهر فضله

الخالد على اللغة العربية فى بقائها لسانا للعلم ورباطا للمسلمين إلى اليوم .

* * *

تحيفت الخطوب السود لغة القرآن فى محنتين أشفت فيهما على الموت لولا أن تداركها الله بفضله : محنة الغزو المغولى فى منتصف القرن السابع حين انتكث فتل العباسيين فى العراق بتنافس الفرس والترك ، وتحارب الشيعة والسنة ، وذهاب جلال الخلافة من النفوس ، فقوض هولاكو عرشها سنة ٦٥٦ﻫ ، وتضعضع أمر الأمويين فى الأندلس بتغلب البربر والموالى على ملكهم وتقسيمه بينهم إلى دويلات سهل على الفرنج ازدرادها قطعة قطعة حتى ابتلعوها لقمة سائغة سنة ٨٩٨ ﻫ . . . ودالت دولة الفاطميين فى مصر والشام فوقعتا فى أيدى الأيوبيين ، ثم صارتا إلى المماليك وظلتا تحت سلطانهم حتى دخلتا فى حكم الأتراك العثمانيين سنة ٩٢٣ ﻫ ، فأتى على العرب ستون وخمسمائة عام لم يكن لهم فيها سلطان ولا ملك ، فأصبحت ديارهم وآثارهم نهبا مقسما بين المغول والترك والفرس والجركس ثم الأسبان بعد قليل ، وكان أكثر هؤلاء الأعجام وحشيين أميين فخربوا الدور وهتكوا الخدور وجمعوا اللغة وآدابها وعلومها بتحريق المكاتب وتعطيل المدارس وتقويض المراصد وتقتيل العلماء . ناهيكم بما فعله التتار فى بخارى وبغداد ، والصليبيون بالشام ، والفرنج بالأندلس ، فلو أن الزمان عفى على اللغة العربية وألحقها بأخواتها السامية لما كان ذلك خارقا لطبيعة الأشياء ولا بدعا فى منطق التاريخ ، ولكنها بقيت على الرغم من هذه الخطوب لسانا للدين والعلم ، ولغة للحكومة والأمة فى بلاد المغرب ومصر والشام وبلاد العرب والجزيرة ، ولولا نعرة الترك وعصبية الفرس لكانت لغة المسلمين كافة .

والفضل فى بقائها بعد إدبار الزمان والسلطان عن أبنائها ، إنما كان لهذا الأزهر الجليل الذى اختصه الله بمزايا تميز بها على غيره ، منها صبغته العربية الخالصة بحكم نشأته وبيئته ، وموقعه الوسط بين الشرقين الأدنى والأوسط ، فكان ملتقى المسلمين من هنا ومن هناك ، ومنها قربه من الحجاز فكان طريق الحجاج والرحالين من علماء إفريقية والأندلس . ومنها تخريجه طائفة كبيرة من أعلام الفقه وأعيان الأدب جمعوا شتات اللغة والعلوم والآداب فى أسفار أشبه بدوائر المعارف ، ومنها مكانته التى بلغت من قلوب المسلمين والحاكمين مبلغ القداسة وكان لها أثر بالغ فى حل بعض المشكلات السياسية والاجتماعية ، ومنها كفايته الأساتذة والطلاب مؤونة العيش بأن كفل لهم الغذاء والكساء والمأوى والكتاب ، ومنها إيواؤه الناجين بحياتهم ودينهم وعلمهم

وأدبهم وكتبهم من غارة المغول حين اكتسحوا خراسان والفرس والعراق، فكان من مهاجرة هؤلاء العلماء من الشرق والغرب إلى القاهرة من البحث والابتكار ما كان لمهاجرة علماء المسيحية من القسطنطينية إلى روما من البعث والازدهار. ومنها مناصرة الأيوبيين له بالمال والتعضيد، لأنهم وإن كانوا أكرادا قد تكلموا بلغة العرب وتأدبوا بأدب العرب ونبغ من بينهم الشاعر والعالم والمؤرخ، كالملك المؤيد عماد الدين أبي الفداء، والملك الأفضل على بن صلاح الدين، وكان هذا الملك ضعيف الرأى كثير الغفلة فغلبه عمه العادل أبو بكر وأخوه العزيز عثمان على ملك الشام ومصر، فكتب إلى الخليفة الناصر العباسى كتابا يشكو إليه فيه ذلك وقد بدأه ببيتين من الشعر أجاد فى نظمهما كل الإجادة وهما :

مولاى إن أبا بكر وصاحبه
عثمان قد أخذا بالسيف حق على
فانظر إلى حرف هذا الاسم كيف لقى
من الأواخر ما لاقى من الأول

يريد بأبى بكر عمه، وبعثمان أخاه، وبعلى نفسه، فأجابه الخليفة الناصر بقوله :

وافى كتابك يا ابن يوسف معلنا
بالصدق يخبر أن أصلك طاهر
غصبوا عليا حقه إذ لم يكن
بعد النبى له بيثرب ناصر
فاصبر فإن غدا عليه حسابهم
وابشر فناصرك الإمام الناصر

والجزالة ظاهرة فى شعر الملك الكردى ظهور الركاكة فى شعر الخليفة العربى !.

كذلك أقول فى المماليك فقد أيدوه وأمدوه؛ لأنهم اتخذوا مصر وطنا، والإسلام دينا، والعربية لغة، وكان من بينهم شعراء عالجوا القريض وأجادوه كالسلطان الغورى، هؤلاء المماليك قد عضدوا العلماء وقربوا الأدباء، وشدوا أزر المعلمين والمؤلفين، حتى خرّج الأزهر فى ظلهم أولئك الأئمة الذين استودع الله صدورهم ذخائر العلم والحكمة فأودعوها الكتب، وأخرجوها للناس : كجمال الدين بن منظور، وجمال الدين بن هشام، وشمس الدين النويرى، وابن فضل الله العمرى، وشمس الدين الذهبى، والحافظ بن حجر العسقلانى، وأبى العباس القلقشندى، وتقى الدين المقريزى، وبدر الدين العينى، وسراج الدين البلقينى، وبدر الدين الدمامينى وشمس الدين السخاوى، وكمال الدين الدميرى، وجلال الدين السيوطى، وتقى الدين القشيرى المعروف بابن دقيق العيد.

لهذه المزايا انتهت إلى الأزهر فى القرون الثلاثة السابع والثامن والتاسع زعامة الثقافة

فى جميع البلاد العربية والإسلامية ، لحفظ وجود اللغة ، ورفع سقوط الأدب ، وجمع شمل العلم ، ولولاه لا انقطع ما بين الأدبين القديم والحديث .

أما المحنة الأخرى التى امتحنت بها العربية وكان للأزهر الفضل فى وقايتها وسلامتها فهى محنة الغزو التركى فى أوائل القرن العاشر حين استولى السلطان سليم على مصر والشام سنة ٩٢٣ هـ فاصبحت الخلافة عثمانية لاعباسية ، وعاصمة الإسلام القسطنطينية لا القاهرة ، واللغة الرسمية التركية لا العربية ، ومكث الغازى سليم فى مصر بعد الغزو ثمانية أشهر سلبها فيها أنفس أعلاقها من الكتب والتحف والآثار لنوابغ الفنانين والمؤلفين الذين تخرجوا فى الأزهر وأنتجوا فى مصر مدى القرون الثلاثة التى سبقت الغزو العثمانى ، وأخذ الغزاة يغلبون لغتهم على اللغة العربية فى الدواوين ، ويطاردونها فى المدارس ، حتى كانوا يعلمون قواعد اللغة العربية باللغة التركية فى الشام والعراق ! ففشا فى اللغة العامى والدخيل ، وذهبت أساليبها من النظم والنثر ، وخيم الظلم والظلام على النفوس فخمدت القرائح ، وضعفت رغبة الحكام فى العلم ، وانقطعت أسباب الطلب له ، واستطاع الترك أن يتركوا كل شىء فى مصر من سياسة وإدارة وتعليم وجيش إلا الأزهر ، فقد راعهم ما أحسوا من جلاله وما سمعوا عن مجده ، فوقفوا على أبوابه خاشعين يلتمسون منه العون على ما ينجم من أحداث ، والرأى فيما يشكل من الأمور .

والسلطان سليم نفسه قد زاره مرارا فصلى فيه وتبرك به . ومن قبل قد غزا الأزهر بلاد الأتراك بعلمه وأدبه وكتبه فعرب طائفة منهم تعلموا العربية وتكلموا بها وألفوا فيها كالفيروزابادى وأبى السعود والفنارى وملا خسرو والجامى والخيالى وخوجه زاده وملا مسكين وملا لطفى وحاجى خليفة وطا شكيرى زاده وابن كمال باشا . وكان سلاطين العثمانيين أنفسهم يدرسون العربية وآدابها كما كانوا يدرسون التركية وآدابها ، ومنهم من قرض الشعر العربى ورواه كالسلطان أحمد الأول فقد رووا له قصيدة غزلية مطلعها .

ظبى يصول ولا وصول إليه
جرح الفؤ بصارمى لحظيه

ولم تضعف عناية علماء الترك بالعربية إلا فى عهد السلطان محمود الثانى وابنه السلطان عبد المجيد الأول حين أحييا اللغة التركية وقربا مواردها وبسطا قواعدها وسمياها اللغة العثمانية . فأنتم ترون أن اللغة العربية قد أتى عليها ستة قرون قضتها بين الاحتضار والموت ، ثلاثة منها فى العصر المغولى ، وثلاثة أخرى فى العصر العثمانى ، امحت فيها من الهند وخراسان والعراق وبلاد الروم والأندلس ، وبقيت

فى الأقطار العربية بقاء المريض أشرف على الموت ولم يبق منه إلا رمق ذلك الرمق هو الذى كفله الأزهر وتعهده فغذاه وقواه ورعاه ، حتى إذا انجاب عن مصر قتام الحكم العثمانى وأراد الله لشمس الحضارة أن تشرق مرة أخرى على وادى النيل زايل اللغة الوهن وسرت فيها الحياة ، فنى الأزهر كان ملاذها وغياثها ، وفى الأزهر كان بقاؤها وانبعاثها .

كان الأزهر بعد انتهاء تلك الغمرة باحتلال نابليون ، وابتداء هذه النهضة باستقلال محمد على ، قائد الشعب فى الكفاح ورائد الحكومة فى الإصلاح . تمثلت قيادته فى شيوخه الأجلاء خليل البكرى ، وعبدالله الشرقاوى ، ومحمد المهدى وسليمان الفيومى . وحسن العطار . وتجلت ريادته فى طلابه النجباء الذين أرسلوا إلى أوربا ليستفيدوا ويستزيدوا ، كابراهيم النبراوى ، وأحمد حسن الرشيدى ، ومحمد على البقلى ، ورفاعة الطهطاوى ، وعلى مبارك ، وتلك يد أخرى لهذا المعهد الجليل على اللغة العربية ، ساعدها على النهوض ، كما حماها من قبل دون السقوط .

* * *

هاتان هما المحنتان اللتان عانتهما العربية فى عهدين متواليين ، ثم جعل الله نجاتها منهما بفضل الأزهر حفظا لكتابه وصونا لدينه .

وهناك محنة ثالثة تجتازها اللغة اليوم وتوشك أن تبلبل اللسان وتعطل القرآن وتقطع الدين عن أصله ، وتفصل العربى عن أهله ، وتهبط بالأدب من جبل الوحى وهيكل عطارد حيث الترفع والسمو والنبل ، إلى حضيض المادية حيث التسفل والتبذل والفحش .

تلك هى محنة الإباحية اللغوية التى تغلب العامية على الفصحى ، وتؤثر أدب العامة على أدب الخاصة ، وتفضل الموضوع المثير على الموضوع المنير ، وتريد أن يكتب الكاتب وينظم الشاعر كما يشاء ، لا يتقيد بقاعدة من نحو ولا قياس من صرف ولا نظام من بلاغة ولا وزن من عروض ولا مثال من خلق . ولهذه المحنة أو المشكلة أصلان : الاستعمار والجهل . أما الاستعمار فلأنه رأى أن الرابطة بين المسلمين على اختلاف أقطارهم وتباعد ديارهم هى الدين واللغة ، وما دامت أمة محمد روحا واحداً بالإسلام ، ولسانا واحداً بالعربية ، فإن استغلالها موقوت وإن طال ، وإن استقلالها آت وإن تأخر ، لذلك سعت فرنسا سعيها الدائب فى الجزائر لفتنة البربر عن دينهم بإصدار الظهير المعروف ، وقطع العرب عن لغتهم بطردها من المدارس والدواوين . ولكن دين الله كان أقوى من ظهير فرنسا ، ولغة المصحف كانت أمضى من لغة السيف . واكتفت انجلترا على عادتها من الدهاء

والكياسة بمحاربة الفصحى فدعت إلى العامية بلسان موظفيها ومبشريها ومستشرقيها ؛ لأن اللغات العامية تختلف في البلاد العربية اختلافا شديداً يكاد يجعل من كل لهجة منها لغة مستقلة . وإذا انهزمت أمامها اللغة المشتركة وهى الفصحى استحال التفاهم وضعفت العقيدة وانقطعت الصلة وتفرقت الوحدة وتبددت القوة واستطاع المستعمر أن يلتقمها لقمة لقمة فلا يغص ولا يشجى . ولكن هذه الدعوة فشلت بضعف الاستعمار فى الشرق ، وقوة الوعى فى العرب . وأما الجهل وهو الأصل الآخر لمحنة اللغة العربية فقد خلف الاستعمار فى هذه الدعوة المجرمة ، والمراد بالجهل جهل أبناء العربية بها ، وعزوفهم عن علومها وأدبها ، وهو جناية المدرسة المدنية الحديثة ، فقد فشلت بعد طول الزمن وكثرة التجارب فى تخريج القارئ الذى يقرأ بفهم ، والكاتب الذى يكتب عن علم ، والمفكر الذى يفكر عن أصالة ، وليس أدل على هذا الفشل من أن الطالب يتعلم النحو عشر سنين دأبا ثم لايستطيع بعد ذلك أن يعبر عن فكره تعبيراً صحيحاً لا بلسانه ولا بقلمه ، فإذا دفعه استعداده الأدبى إلى الكتابة آثر العامية على الفصحى ودعا إلى التحلل من القواعد والقيود ليجعل الفوضى نظاما والخطأ مذهبا والعجز شركة . كانت علوم العربية تدرس فى الأزهر ودار العلوم ومدرسة القضاء الشرعى وفيما يجرى على منهجه من معاهد لبنان وسورية والعراق والمغرب دراسة عميقة تمكن الطالب المجتهد المستعد من فهم مايقرأ وفقه مايعلم وتعليل ما ينقد وتحليل مايذوق . فإذا اتصل النظر بالعمل واقترن الحكم بالتطبيق وصادف ذلك استعدادا فى المتعلم ظهر الكاتب الذى يكتب فيجيد ، والشاعر الذى ينظم فيبدع ، والناقد الذى يحكم فيصيب ، أما إذا فتر الاجتهاد وضعف الاستعداد ظهر الأديب العالم الذى يهيئ الوسائل ويقرب المناهل ويوجه المواهب ويسدد الخطى ، ومن هاتين الفئتين تستمد الحركة الأدبية عناصرها الحيوية فتقوى لتزدهر وتنمو لتنتشر وتسمو لتخلد . وكان من خريجى هذا المنهج القديم أولئك الأدباء الأصلاء الذين حفظوا تراث اللغة وجددوا شباب الأدب وأسسوا هذه النهضة الأدبية الحديثة ، ولا يزال من هذه الطبقة الكريمة فئة قليلة فى أقطار العروبة تستبطن لغتها وتتعمق أدبها وتعرف لماذا تكتب الجملة على وضع دون آخر ، فإذا خلا المجتمع بعد أجل طويل أو قصير فهل يخلف من بعدهم خلف يحملون أمانة اللغة ويبلغون رسالة الأدب ؟

الجواب عن هذا السؤال عند الأزهر وحده ؛ فهو بحكم طبيعته وعلة وجوده معتصم

اللغة ومنجاها فى الماضى والمستقبل ، أما المعاهد الأخرى فكل شىء فيها يبعث على التشاؤم : منهج تطبيقى يكاد يخلو من القواعد ، وتعليم سطحى مقتضب لاهدف له إلا اجتياز الامتحان العام بأية وسيلة ، فالمطولات تختصر ، والمختصرات تختزل ، فلا يبقى بعد ذلك فى ذاكرة الطالب إلا رموز على معان عائمة غائمة لا هى مستقرة ولا هى واضحة . ذلكم إلى زهادة فى الجدى النافع من ثقافة اللسان والقلم تقعد النشء عن تعمق الأصول وتقصى الفروع ، وتقنعهم بالقدر الذى ينقلهم من سنة إلى سنة أو من شهادة إلى شهادة ، فإذا ما تخرج الناشئ بهذا الحظ المنكود من اللغة وكان فى نفسه ميل إلى الأدب ، وفى طبعه استعداد للكتابة ، انصرف عن كنوز الأدب العربى ، لأن مفاتيحها ليست عنده ، وأقبل على روائع الأدب الغربى يحاكيها ويستوحيها حتى إذا امتلأ ذهنه وفاض شعوره وأراد أن ينتج شيئا يفيد الناس وجد فى نفسه الملكة التى تخلق وفى حسه الصورة التى تمتع ، ولكنه لا يجد فى لسانه اللغة التى تعبر ، ولا فى قلبه الأسلوب الذى يؤثر ، فيضيق ويسخط ويثور ، ويزعم أن قواعد اللغة غصة لا تساغ ، وأن إعراب الكلمة عقبة لا تذلل ، ثم يتطرف فيدعو إلى إطلاق الحرية للكاتب فيكتب كما يشاء .

تلك حال المتخرج الأديب بطبعه أما المتخرج العادى فإنه يعود أميا كما بدأ ، لا يقرأ إذا قرأ إلا السهل ، ولا يطلب هذا السهل إلا فى قصة عامية تخدر الشعور ، أو فى مجلة فكاهية تنبه الشهوة ، حتى نشأ من إفراط القراء فى هذا الطلب ، إفراط الكتاب الخفاف فى عرض الأدب اللذيذ الذى لا ينفع ، أو الأدب الماجن الذى لا يرفع ، ذلكم إلى طغيان الأدب الأوربى بمذاهبه ونزعاته وترهاته على عقول الناشئين الذين ثقفوا هذه الثقافة الأدبية الهشة ففتنتهم عن أدبهم وصرفتهم عن تاريخهم ، فالمتفرنسون منهم يعرفون هوجو ولا يعرفون المتنبى ، ويدرسون فولتير ولا يدرسون الجاحظ ، ويقرءون لامرتين ولا يقرءون البديع ، ومن هنا نشأت هذه التبعية التى فرضها الشباب على أدبنا لأدب الغرب ، فأساليبهم الكتابية اليوم هى أساليب الكتابة فى الغرب ، ومذاهبهم الأدبية هى مذاهب الأدب فى الغرب ، ومقاييسهم النقدية هى مقاييس النقد فى الغرب ، حتى الرمزية وهى بنت الأفق الغائم والنفس المعقدة واللسان المغمغم يريدون أن تتبناها العربية بنت الصحراء المكشوفة والشمس المشرقة والطبع الصريح ، وحتى الوجودية وهى بنت الخلق المنحل والذوق المنحرف والغريزة الحرة ، يحاولون أن تتقبلها العربية لغة الرسالة الإلهية التى كرمت الإنسان

وفصلته من سائر الحيوان بحدود من الدين والخلق لا يتعداها وهو عاقل ، ولا يتحداها وهو مؤمن .

ليس الأمر في الأدب كالأمر في العلم ، الأدب للنفس والعلم للناس ، الأدب مواطن والعلم لاوطن له ؛ الأدب روح في الجسد ودم في العروق يكون شخصية الفرد فيحيا مستقلا بنفسه ، ويبرز شخصية الشعب فيحيا متميزا بأفراده ، الأدب جنس ولغة وذوق وبيئة وعقلية وعقيدة وتاريخ وتقاليد. والعلم شيء غير أولئك كله ، فإذا جاز طبعا أن نأخذ من غيرنا مايكمل نقصنا من العلم ، فلا يجوز قطعا أن نأخذ من هذا الغير ما يمثل أنفسنا من الأدب .

إن دراسة العربية على النهج الصحيح المنتج بعد المدرسة لا يكلف المتأدبين من الجهد والزمن أكثر مما تكلفهم دراسة الفرنسية والانجليزية : ولكنهم في عصر السرعة يطلبون القريب ويتوخون السهل ويتخطفون العلم ويتعجلون الإنتاج ، ثم يحقدون على من يلزمونهم التأني ويجشمونهم الدرس ويقولون لهم إن أحداً لايعرف في تاريخ الآداب القديمة والحديثة من يعد في لغته كاتبا أو شاعرا أو قصاصا أو مؤلفا ، وهو لايعرف من قواعدها الأساسية ما يقيم لسانه وقلمه ، وإذا كان الناس يقرءون الصحيفة أو الكتاب ولا يقعون فيها على الخطأ الذي يفضح المستور ويكشف الغش . فالفضل لأولئك الجنود المجهولين من الأزهريين الذين يرابطون ليل نهار في دور الصحافة والنشر ويسمونهم المصححين ؛ فإنهم يمرون بأقلامهم الحمر على المعوج فيستقيم ، وعلى المعجم فيعرب ، وعلى الركيك فيقوى .

لا بأس أن ييسر النحو والصرف والبلاغة على الطلاب : ولكن البأس كله في المدى الذي بلغه هذا التيسير ، لا بأس أن تخفف على غير المتخصصين من عبء التقديرات والتعليلات التي فلسف بها النحاة النحو ، ومن حفظ وجوه الإعراب التي بقيت في اللغة أثراً لاختلاف اللهجات في الجاهلية فهوشت القواعد وجعلت كل خطأ صوابا وكل صواب خطأ ، ولكن البأس كله في أن تجرد علوم العربية من خصائص القوة والخصوبة والبراعة لتصبح أشبه بالهيكل العظمى ، فيه الخفة والبساطة والشكل ، وليس فيه العضل والعصب والروح .

إن ما يبقى من هذه العلوم بعد النقصان ، وما يبقى من هذا المنقوص بعد النسيان ، لا تحيا به لغة ولا يبقى عليه أدب ، فإذا استطاع يوما أن يجيز امتحانا أو ينيل شهادة فلن يستطيع أبدا أن يخرج أمثال من خرجهم الأزهر بشيوخه وكتبه ، كمحمد عبده ، وسعد زغلول ، والمنفلوطى ، والبشرى ،

وطـــه حسين ، ولا أمثال من خرجتهم دار العلوم كشاويش ، والمهدى . والخضرى والسكندرى والجارم ولا أمثال من خرجتهم مدرسة القضاء الشرعى . كأحمد أمين وعزام والخولى . ولا أمثال من خرجتهم دار المعلمين العليا ، كالمازنى وشكرى وأبو حديد . ولا أمثال من خرجتهم كتب الأزهر كالعقاد ،والرافعى ، وشوقى ، وحافظ فى مصر . وكالبستانيين واليازجيين والشدياق ومطران والخورى فى لبنان . وكالمغربى والشهابى ،وجبرى ، والطنطاوى ، فى سورية . وكالرصافى ، والزهاوى وكاشف الغطاء ، والشبيبى ، والأثرى ، فى العراق ، وكالنشاشيبى والسكاكينى فى فلسطين .

إنى أدعو إلى التوفيق بين الفصحى والعامية ، ومذهبى فى مجمع اللغة العربية إمداد الفصحى بما تزخر به العامية من ألفاظ الحضارة وتراكيبها التى دخلت فى الحياة العامة حتى تضيق مسافة الخلف بين اللهجتين وينتهى بهما الأمر بفضل الصحافة والإذاعة والتعليم إلى لغة واحدة عامة فيها من الفصحى السلامة والجزالة والبلاغة والسمو ، وفيها من العامية الدقة والطبيعية والحيوية والتجدد والوضوح . أما أن تكون لغتنا كلغة الهمج لا تقوم على قواعد ، ولا تجرى على أنظمة، ولا تشعرنا بجمال ، ولا تحفزنا لكمال ، ولا تربطنا بماض ، ولا تصلنا بمستقبل، ولا تجمعنا فى وحدة ، فذلك مذهب لا يقول به رجل وهو جاد ، ودعوة لا يستجيب لها إنسان وهو عاقل .

فإذا تركنا الأمور تجرى كما تجرى انتهت بنا إلى تغلب العامية لأن أساليبها غالبة على السمع ، وقواعدها جارية على الطبع ، فلا يحتاج تحصيلها إلى كتاب ومعلم ومدرسة ، وإنما يحتاج إلى بواب وخادم وشارع وتغلب الأساليب العامية معناه كما قلت فصل الأدب عن الدين وقطع الحاضر عن الماضى وتوهين الصلات بين العرب . وفى يقينى أن أمر العربية لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله : فقه أسرارها كل الفقه ، وفهم قواعدها أدق الفهم ، وحفظ أدبها أشد الحفظ ، وذلك يستلزم الجهد والجد فى إعداد المعلم ، والعلم والخبرة فى وضع المنهج ، والمنطق والذوق فى تأليف الكتاب ، والكتاب الأزهرى الذى تخرجنا عليه وما زلنا نرجع إليه كنز من المعارف لا يعوزه إلا سهولة مأخذه وحسن تنسيقه وجمال عرضه ، فالفرق بينه وبين الكتاب الحديث فى العرض كالفرق بين حانوت من حوانيت العطارة فى الغورية ، وبيت من بيوت التجارة فى قصر النيل ، قد يكون فى الحانوت القديم ما ليس فى المتجر الحديث من السلع التواجر والطرف النوادر ؛ ولكن

اختفاءها فى ركن غير ظاهر ، وعرضها فى معرض غير لائق ، يضعف الإقبال عليها ويقلل الاستفادة منها ، فإذا عرضت الكنوز الأزهرية عرضا جميلا مشوقا فى الدروس والمحاضرات والمذكرات والكتب كان ذلك عسيا أن يدنى قطوفها من الطلاب على غير مؤونة ولا كد ذهن .

* * *

إن رسالة الأزهر قائمة كما قلت على ركنين من دين ولغة ، ولكن الأمر فى تأديته إياها جد مختلف . الدين كامل لأنه من عمل الله ، واللغة ناقصة لأنها من عمل الإنسان ، والكامل الإلهى لا يتأثر بالمكان ولا يتغير بالزمان ولا يضيق بالحضارة ولا يبرم بالعلم ، فهو جديد أبدا ، صالح أبدا ، ثابت أبدا . أما الناقص فهو عرضة للفساد والجمود والتخلف ، وموضع للزيادة والتجديد والتطور ؛ لذلك كان الاجتهاد فى اللغة وعلومها أمرا تحتمه الضرورة وتقتضيه الطبيعة ؛ لأن اللغة لا يمكن أن تثبت ثبوت الدين ، ولا أن تستقل استقلال الحى ، فهى ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، والأغراض لا تنتهى ، والمعانى لا تنفد ، والناس لا يستطيعون أن يظلوا خرسا ، وهم يرون الأغراض تتجدد والمعانى تتولد ، والحضارة ترميهم كل يوم بمخترع ، والعلوم تطالبهم كل حين بمصطلح ، ولا علة لهذا الخرس إلا أن البدو المحصورين فى حدود الزمان والمكان لم يتنبأوا بحدوث هذه الأشياء، ولم يضعوا لها ما يناسبها من الأسماء .

نشأ من إنكار حق الوضع اللغوى على المولدين وحصره فيمن يعتد بعربيتهم من عرب الأمصار حتى آخر المائة الثانية ، أو أعراب البوادى حتى آخر المائة الرابعة ، أن طغت اللغة العامية طغيانا جارفا حصر اللغة الفصحى فى طبقات العلماء والأدباء والشعراء والكتاب يكتبون بها للملوك ، ويؤلفون فيها للخاصة ، وسيطرت على حياة الأمة فى شئونها العامة وأغراضها المختلفة ؛ لأن العامية حرة تنبو على القيد ، وطبيعية تنفر من الصنعة ، فهى تقبل من كل أنسان ، وتستمد من كل لغة ، وتصوغ على كل قياس . والناس فى سبيل التفاهم يؤثرون السهل ، ويستعملون الشائع ، ويتناولون القريب . وتخلف اللغة عن مسايرة الزمن وملاءمة الحياة معناه الجمود . والنهاية المحتومة لجمود اللغة اندراسها بتغلب لهجاتها العامية عليها وحلولها محلها ، وقد تنبه مجمع اللغة العربية لهذا الخطر فقرر فيما قرر استجابة لاقتراح عرضته ، فتح باب الوضع اللغوى للمحدثين بوسائله المعروفة من الاشتقاق والتجوز والارتجال ، وإطلاق القياس ليشمل ما قيس من قبل وما لم يقس . وتحرير السماع من قيود الزمان والمكان

ليشمل مايسمع اليوم من طوائف المجتمع كالبنائين والنجارين وغيرهم من أرباب الحرف والصناعات ، واعتماد الألفاظ المولدة وتسويتها بالألفاظ القديمة ، وعلى هذه المبادئ وغيرها وضع معجمه الوسيط الذي سيظهر قريبا .

أما الاجتهاد في الدين فقد فتحت أبوابه أول الأمر لمن تجهز بجهازه واعتد له بعدته، حتى إذا زخر الفقه الإسلامي على اختلاف مذاهبه ومدى عصوره بالآراء المحكمة والوجوه المحيطة ، وجد فيه المسلمون جوابا شافيا عن كل سؤال يخطر على الذهن ، وحلا جامعا لكل إشكال يعرض في المجتمع ، وحكما عادلا في كل قضية ترفع إلى القضاء ، فاستغنوا بغزارته وإحاطته عن الاجتهاد فيه، وانصرفوا إلى اجتهاد من نوع آخر هو الاجتهاد في اختيار الرأي المناسب ، وترجيح الحكم الموفق . جاء في كتاب الولاة والقضاة للكندي أن قاضيا شافعي المذهب كان بمصر في عصر الإمام الطحاوي وكان يتخير لأحكامه ما يرى أنه يحقق العدل من آراء الأئمة ولا يتقيد بمذهب من المذاهب ، وكان مرضى الأحكام لم يستطع أحد أن يطعن عليه في دينه ولا في خلقه ولا في حكمه ، سأل هذا القاضي الإمام الطحاوي عن رأيه في واقعة من الوقائع فقال الطحاوي . أتسألني عن رأيي أو عن رأي أبي حنيفة ؟ قال القاضي : ولم هذا السؤال ؟ قال الطحاوي ظننتك تحسبني مقلدا فقال القاضي : لا يقلد إلا عصي أو غبي . هذه الثروة الفقهية الضخمة لم يحجبها عن الناس إلا أسلوب التأليف القديم، واليوم وقد تطورت المدنية وتغيرت العقلية ينبغي أن يطابق التعليم والكتاب مقتضيات العصر .

هذه هي المحنة الثالثة التي تعانيها اللغة العربية اليوم .

وهي لا تختلف عن سابقتيها إلا في أن موقف الأزهر منها يجب أن يكون إيجابياً :

يقابل العمل بالعمل ، ويرد الكيد بالكيد ، ويقاوم الدعاية بالدعاية ، ويقف بالمرصاد لكل من يسول له جهله أو هواه أن يعبث بلغة الإسلام، ويوهن رابطة العرب. والأزهريون الذين حملوا أمانة الله ، وبلغوا رسالة نبيه أكثر من عشرة قرون يستطيعون أن يدرءوا خطر هذه الإباحية عن اللغة والدين متى صدقوا الجهاد وذكروا أنهم جند الله يرمي بهم العدو في كل وقت وفي كل أرض وعلى أي صورة ، فيعيشون للموت كالجنود ، ويعملون للحياة كالقادة ، ويعزفون عن الدنيا كالرسل ، والله سبحانه وتعالى قد ضمن للعربية بقاء البيان ببقاء القرآن وعلى أيدي أبناء الأزهر ـ المؤمنين برسالته ـ صدق الله وعده ، إن الله لهو خير الصادقين ؟

أحمد حسن الزيات

شهر القرآن

للأستاذ محمد محمد المدنى

١ - رمضان هو ذكرى بلوغ الانسانية مرحلة الرشد العقلى.
٢ - على جميع أرباب العقول أن يتدبروا القرآن.

القرآن الكريم هو المنحة الإلهية الخالدة للبشر بعد بلوغهم مرحلة النضج العقلى، وصلاحيتهم لأن يتلقوا آخر رسالة من السماء، لا تحتاج مع هذا النضوج إلى رسالات أخرى.

فقد كانت الرسل تبعث، والكتب تنزل، قبل رسالة الإسلام، تعهداً للناس بين الحين والحين بهداية السماء، وأخذاً لهم بأسلوب التدرج والتنقل من تشريع إلى تشريع، ومن رسول إلى رسول، رفقاً بهم أن يدفعوا إلى الخطة الكاملة دفعاً قبل أن يتهيئوا لها، وملاحظة لظروفهم الزمانية والعقلية فى عصورهم الأولى، فلما نضجت البشرية واستوت وحصُفَت بما مر بها من تجارب طويلة، وما أنزل عليها من رسالات هادية، وما كشفته من آيات الدلالة الكونية وآنست السماء منها الرشد، بعث الله خاتم النبيين بخاتمة الشرائع، وأنزل عليه آخر الكتب فكان هذا الحادث العظيم الفذ فى تاريخ الإنسانية نقطة تحول وانبعاث إلى حياة جديدة يعتمد فيها الناس على أنفسهم فى هدى ما أنزل إليهم من ربهم، دون أن يترقبوا رسالة سماوية أخرى.

لذلك ربط الله تعالى بين القرآن الكريم ورمضان، فجعل من هذا الشهر الذى نزل فيه كتابه عيداً وموسماً لهذا الكتاب، أو لهذا الرشد البشرى الذى يؤذن به ختم الرسالات بهذا الكتاب، يذكر به، ويعيد أمام المؤمنين تاريخهم الأول يوم كان الرسول فيهم، وكتاب الله تعالى ينزل عليه، وأصحابه رضى الله عنهم يسمعونه منه، ويوم كان هذا الكتاب مصدر عقيدتهم، ومصدر تشريعهم وهدايتهم، والنور المبين الذى يعتمدون عليه فى سلوك سبل الحياة المعقدة المظلمة.

ولم يرد الله تعالى أن يكون هذا الربط بين القرآن وشهر رمضان مجرد مرور هذا الشهر وتذكر الناس بمروره أنه هو الشهر الذى نزل فيه القرآن، ولكنه أراد أن يكون التفاتهم إليه قويا فجعل هذا الشهر ظرفا لعبادة روحية عظيمة الأثر فى التربية النفسية، وعلى خلاف العادة فى الشهور كلها. وهى عبادة الصوم من أول يوم إلى آخر يوم فيه، فلا يمكن بعد ذلك أن ينسى رمضان ولا أن يمر بالناس مروراً فاتراً وله هذا الأثر الواضح فى نظام حياتهم، ولا بد أن يفكر الناس

فى الرابطة بينه وبين كتاب ربهم ، وفيما يجب عليهم من الانتفاع بعبرته التاريخية ، وأن يقيموا عليه شأنهم فى جميع أحوالهم ، كما كان عليه سلفهم من قبل .

لذلك كان المسلمون وما زالوا ، يعتبرون شهر رمضان هو موسم القرآن ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه ، وكان جبريل يدارسه إياه فى رمضان من كل عام ، وكانت صلاة التراويح فرصة جمع عمر ابن الخطاب بها المسلمين على قارئ واحد ، فكانوا يستمعون إليه فى صلواتهم طوال الشهر وظل المسلمون كذلك إلى يومنا هذا ، وكانت مجالس القرآن فى رمضان هى الطابع المميز لهذا الشهر ، فالناس يستمعون إليه فى البيوت والمساجد ويستمعون إلى دروس تفسيره ويتفهمون عبره ومغازيه .

وملاحظة لهذه المناسبة ، يحسن بنا أن نعطى قراء هذا العدد الذى يصدر فى أول رمضان فكرة مركزة عن موضوع من موضوعات الدراسة القرآنية ، هو تفسير القرآن بالرأى .

فقد وردت روايات تدل على حرمة الاقتحام على القرآن ، والتكلم فى معانيه بغير علم . وألفاظ هذه الروايات موهمة أنه لا يجوز تفسير القرآن بالرأى ، مع أن هناك كثيراً من الأدلة يفيد جواز النظر فى القرآن بل وجوبه ووجوب التدبر فى آياته .

فأما الروايات التى قد يفهم منها عدم جواز التفسير بالرأى ، فمثل ما رواه الترمذى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من من النار) . وما رواه أيضا عن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ) . ومن مثل ما روى عن أبى بكر الصديق من أنه سئل عن تفسير (الأب) فى قوله تعالى : « وفاكهة وأبا » ، فقال : أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى إذا قلت فى القرآن برأيى .

وهذه الروايات محمولة عند المحققين من العلماء على أن الرأى المذكور فيها هو ما كان صادرا عن الهوى ، أو ما كان من قبيل الخواطر التى ترد على الذهن دون تحقيق لها ، وتأمل فيها لمعرفة صحتها أو فسادها ، فإن هذا اقتحام للقرآن وتسور عليه ، فلو فرض أن صاحبه أصاب كبد الحقيقة فهو مخطئ من جهة أنه أقدم على ما لم يستعد له . ولم يدخل فيه على بصيرة ، على حد (رمية من غير رام) .

وأما الأدلة الدالة على وجوب النظر فى القرآن والتدبر فيه فكثيرة .

١ — منها قوله تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » ، فقد أفادت هذه الآية ترتيب أمرين اثنين على إنزال الذكر .

أحدهما : تبيين الرسول للناس ما أنزل إليهم ، وهو التفسير بما ورد عن الرسول . صلى الله

عليه وسلم ، ويدخل فيه جميع الأحكام التشريعية التي جاء بها القرآن الكريم ولحق بها بيان من النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك كإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان ، فكل ذلك ورد به القرآن على سبيل الإجمال ، وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله ، فكان بيانه تفسيرا للمراد به وشرحا شرعيا لمعناه .

والثاني من الأمرين اللذين رتبا على إنزال الذكر : رجاء تفكر المؤمنين المفهوم من قوله تعالى : « ولعلهم يتفكرون » والمراد تفكرهم في الذكر وما جاء به من تشريع أحكام ، وبيان سنن وضرب مثل ، ولفت نظر ، وإشارة إلى حقائق أو معارف وغير ذلك ، وهذا هو تفسير القرآن الكريم بالرأي أي بما يراه المتفكر المتدبر فيه ، ويلحق بذلك كل ما استنبطه العلماء من كتاب الله في ميادين العلم والنظر والتشريع اعتمادا على ما يفيده الكلام بعبارته ، أو بإشارته ، أو بدلالته ، حسب اصطلاحاتهم الأصولية وهذا هو الإمام الشافعي يقول : لقد تطلبت دليلا على حجية الإجماع فظفرت به في قوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » . وكذلك يقال في استنباط الحكم بشرعية القياس الأصولي من قوله تعالى : « فاعتبروا يا أولي الأبصار » . وفي الاستدلال بالآيات على أحكام الدين عامة .

٢ — ومنها أن عائشة رضي الله عنها قالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من كتاب الله إلا آيات معدودات علمه جبريل إياهن .

ولا بد أن يكون المقصود من التفسير في هذا الذي قالته عائشة ما وراء بيان الأحكام الشرعية التي تضمنها القرآن ولحقها تفسير من الرسول بفعله أو قوله .

فإذا لاحظنا هذا علمنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحرص على أن يعطي الأمة تفسيراً عاما للقرآن الكريم ، بالمعنى الفني للتفسير ، وبتعبير آخر لم يحرص على أن يضع أمام الأمة معنى لكل لفظ ورد في القرآن ، أو لكل عبارة تركيبية جاءت فيه ، كما حاول بعض المفسرين أن يفعلوا حين أرادوا أن يفسروا كل تركيب برواية مأثورة ، فجاء التفسير بالمأثور بحراً خضما متلاطم الأمواج فيه كثير من الأقوال عن الصحابة والتابعين ، ولا يمكن أن يكون ذلك كله مرويا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لما قالته عائشة من أن تفسيره قليل ؛ ولما يوجد في هذه الأقوال كثيراً من تخالف وتضارب ، فلو كان مصدرها السماع لرجع بعضهم إلى بعض ، ولا يتصور أن يكون الرسول قد قال الشيء وخلافه ، وبذلك يتبين أن أصحاب هذه الأقوال إنما قالوا ما استنبطوه بآرائهم وما ظهر لهم وفي ذلك يقول الغزالي والقرطبي : لا يصح أن يكون كل ماقاله الصحابة في التفسير مسموعا

من النبي صلى الله عليه وسلم . (وروى البخاري في صحيحه عن أبي جحيفة قال : قلت لعلي هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله ؟ قال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن) .

وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) قال القرطبي: فإن كان التأويل مسموعا كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك ؟.

وقد ورد الحث الشديد في الكتاب والسنة على تدبر القرآن والتفكر في معانيه ومقاصده وأهدافه .

ومن ذلك قوله تعالى: «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها» . ففي هذه الآية توبيخ شديد على ترك التدبر وإظهار الذين لا يتدبرون القرآن بمظهر الذين وضعت على قلوبهم الأقفال فهم محجوبون عن أن تنفتح قلوبهم لهدايته ، وأن يدركوا أسراره ، وما أبلغ قوله : «أم على قلوب أقفالها» حيث جعل الأقفال خاصة بالقلوب، وليست أقفالا للقلوب وغيرها فكأنها نوع من الحجب خصصت به قلوب الذين لا يتدبرون .

وفي الحديث عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه) ومعنى (أعربوا القرآن) أقيموه على نهجه العربي فلا تميلوا به وتحرفوه عما عهده العرب اتباعا لفطرهم الصافية ، ومآثرهم ومثلهم الرفيعة ، وذلك من معنى قوله تعالى : «ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون . قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون» . فقوله: «لعلهم يتذكرون» حث على النظر والتدبر ، وقوله: «قرآنا عربيا غير ذي عوج» . هو منهج إجمالي للأسلوب الذي يجب اتباعه في تفهم القرآن والتذكر به ، وهو أن يلاحظ أنه قرآن عربي ليس فيه انحراف ولا اتجاه إلى ما لا يعرفه العرب الذين أنزل عليهم وجعلوا حملته ورافعي لواء دعوته ، وقوله : «لعلهم يتقون» . هو توجيه لهم في التمسك بطابعه ، وتحذير من الالتواء عنه ، وذلك أيضا معنى قوله تعالى : «وكذلك أنزلناه حكما عربيا ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق» .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (والتمسوا غرائبه) ففيه دلالة على أن القرآن ذو غرائب وأسرار، وأن الأمة كلها ،وفي جميع عصورها، مخاطبة بذلك ، مكلفة بأن تلتمس هذه الغرائب ولا يكون ذلك إلا عن طريق التدبر والتفهم وطول النظر وإعمال الفكر .

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال : حدثنا من كان يقرئنا من الصحابة أنهم كانوا يأخذون من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات ، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل .

وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما : آيات القرآن خزائن ، فكلما فتحت خزينة ينبغي لنا أن ننظر ما فيها .

ولذلك قال العلماء : إن تدبر القليل من القرآن أفضل من قراءة الكثير بغير تدبر .

وهذا كله يدل على أن الله تعالى يبيح لكل قارئ أن يتفهم المعاني ؛ لأن الناس مطالبون بقراءة القرآن متدبرين لافرق بين العامة والخاصة وفي ذلك يقول الله تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » أي أن القرآن ميسر للذكر ، وكل إنسان يستطيع أن يقتبس منه على قدر فكره وقوة عقله ، والله تعالى ينص على ذلك بقوله : « فهل من مدكر » . فلا ينبغي أن يحال بين أحد وبين أن يتدبر في كتاب الله تعالى .

وقال الغزالي : إن من موانع الفهم للقارئ أن يكون قد قرأ تفسيراً واعتقد أن لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد ، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأي فهذا من الحجب العظيمة . .

ولقد علمنا أن الله تعالى وعد بحفظ كتابه الكريم بقوله : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . وهذا وعد متحقق لاشك فيه ، وهو منسحب على جميع العصور والأزمان ، فلنا أن نقول : ما فائدة هذا الحفظ والتخليد إذا لم يبح للمتأخرين أن ينظروا فيه كما نظر المتقدمون ؟ أو إذا لم يبح لهؤلاء وأولئك أن ينظروا فيه إلا عن طريق ما روى لهم وما سمعوه ؟ إن الفائدة حينئذ تتمحض في مجرد تلاوته والتبرك به ونحو ذلك ، ولكن كتاب الله تعالى إنما أنزل ليكون هدى للناس في مختلف شئون حياتهم العملية والعلمية من عقائد وتشريع وآداب وإشارات إلى سنن الله في الكون ونحو ذلك ، وهذا كله لا يكون إلا بتدبره ، والتأمل فيه ، ومحاولة التعمق في استخراج ذخائره ، وقد ورد أن القرآن لا تنقضي عجائبه ، فإذا كان التفسير بالمأثور فقط كانت عجائب القرآن محدودة منقضية ؛ لأن الروايات ختمت ولم يعد هناك جديد يرشد إلى عجائب جديدة ، فلم يبق إلا أن القرآن تظهر منه بالتدبر والتأمل كل يوم عجائب ؛ لأن العقول تتفاوت ، والأيام تتقلب ، ويبدو للناس في زمان ما لم يكن قد بدا لهم في زمان آخر .

وإذن فالرأي الصواب هو : جواز تفسير القرآن بالرأي ، ولكن لمن كان مستعداً لذلك متهيئاً له بعلمه وعقله ومعرفة لغة العرب وما لهم من أساليب في كلامهم ، وبشرط أن يكون نظره غير مشوب بالهوى أو التعصب وألا يتبع ما يرد عليه من الخواطر دون درس لها وتأمل فيها ، لمعرفة مدى قوتها ، ومناسبتها للقرآن الكريم .

محمد محمد المدني
عميد كلية الشريعة

نفحات القرآن

ضراعة الأخيار شفاعة للمذنبين

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(أ) « واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا .

(ب) فلما أخذتهم الرجفة قال : رب ! ! لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى ! !

(ج) أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟ ؟ إن هى إلا فتنتك ، تضل بها من تشاء ، وتهدى من تشاء . . أنت ولينا فاغفر لنا ، وارحمنا ، وأنت خير الغافرين » .

١ — من شعب القصص عن موسى عليه السلام طلبه – أولا – ثم طلب قومه ثانيا – رؤية الله تعالى شأنه رؤية عينية . . وآيات الكتاب الكريم تفيدنا أن طلب الرؤية حصل مرتين .

الأولى – فى الميقات الذى كان موعوداً لموسى أن يتلقى فيه التوراة .

الثانية – كانت بعد نزول التوراة وحدوث فتنة السامرى بصناعة العجل من الذهب ، واتخاذه إلاها يعبدونه فى غيبة موسى عنهم .

وحديثنا عن الأولى من باب توفية الموضوع وأما الثانية فهى التى تتجه إليها بشىء من الإيضاح والتعليق .

٢ — حينما حضر موسى إلى الوادى المقدس « طوى » فى طور سيناء ، ومكث المدة المحدودة أربعين ليلة يتعبد فيها ، وحان موعد المناجاة مع الله ، وتجلى فضل الله بمكالمته طمع موسى فى المزيد من تكريم الله له ، فتعلق أمله برؤية الله كما سمع كلامه على الوجه الذى يعلم الله وحده صفته ، فقال : « رب أرنى أنظر إليك » .

فكان الجواب تلطفا بموسى ، وتعليما له أن هذا طموح فى أمر لا يتعلق به الأمل ، ولا تطيقه أنت « لن ترانى ، ولكن انظر إلى الجبل ، فإن استقر مكانه فسوف ترانى »

وهذا إشعار لموسى أن شأن الرؤية خطير ، وأن ما يبدو لك من الجبل يكفيك إقناعا بمقدار ماطلبته ، وبضعفك عن احتماله بجانب

الجبل الذى هو أضخم شىء ترونه « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقا » ومعنى تجلى ربه للجبل :

تكشف الله للجبل تكشفاً جزئيا ، تدريجيا بقدر ما تقضى به الحكمة الإلاهية ، فلم يتحمل الجبل رهبة التجلى ، ومهابة القدسية لعظمة الله تبارك شأنه .

صار الجبل دكاً ، بمعنى ساخ فى الأرض، وتطامن حتى لم يصر جبلا شامخا . . وعندئذ سقط موسى مغشيا عليه من هول ما رأى . . وأيقن أن طلب الرؤية كان تعلقا بأمل فوق احتمال البشرية .

ولما أفاق موسى من غشيته ، وتنبه إلى تلطف الله به ، ورعايته بالخير له : « قال سبحانك إنى تبت إليك وأنا أول المؤمنين » .

لم يكن موسى مذنبا فى طلب الرؤية ، بل كان طامعا فى المزيد من فضل الله عليه بالرؤية لذاته على أى صفة ، كما سمع كلامه العلوى على أى نظم شاءه الله .

وإنما بادر موسى بتسبيح الله وتنزيهه عن كل شبه ، وبادر بالتوبة من تسرعه فى الطلب دون أن تكون الرؤية موعوداً بها مع المكالمة التى كانت على وعد سابق ، وأعلن موسى إيمانه ، بل أنه أول المؤمنين فى وهن ، لا لأنه كان جريئا فيما طلب .

وعبرتنا فى هذا الموقف أن تكون وجهتنا إلى الله ، وجهة صالحة كما كانت وجهة موسى ، وأن تكون آمالنا دائما فى غير إسراف ، وأن تكون ألسنتنا دائما رطبة بالاستغفار ، والتوبة والدعاء بالخير .

(ب) الموقف الثانى - فى طلب الرؤية - وهو موضوعنا - لم يكن من موسى نفسه ، وقد سبقت له العبرة من شأن الجبل ... بل كان من قومه بعد انزلاقهم فى فتنة السامرى وعبادتهم لعجله الذى صنعه وعبدوه .

١ — أمر الله موسى أن يختار ممن معه طائفة يحضر بها إلى موقف المناجاة فى طور سيناء ، ليعتذروا ، ويتوبوا إلى الله من عبادة العجل ، فاختار موسى سبعين رجلا من خيارهم فى اعتباره ، ولما بلغوا الميقات وسمعوا بآذانهم نجوى موسى لربه لم يتجهوا إلى الاعتذار كما جاءوا ، ولا حرصوا على التوبة من جريمة قومهم التى جرفتهم ، بل تمردوا على موسى ، وتحدوه ، وقالوا « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة !! » .

فماذا يكون شأن أولئك المتناقضين ؟ ؟

٢ — لهم سابقة فى طلب الآلهة يعبدونها من دون الله ، ولهم سابقة فى عبادة العجل ، رغم أن هارون وعظهم وأنكر عليهم ، وأن موسى عاتبهم على فعلتهم ، ووبخ السامرى فى شدة ، وهدده بعذاب الله ثم هذه

سابقة جديدة بعدولهم عن التوبة إلى التحدى بطلب الرؤية لذات الله .

لو كان إيمانهم بالله إيمانا متأصلا فى قلوبهم، أو لو كان تصديقهم لموسى عن طمأنينة لما تعثروا فى هذه الكفريات ، ولا تهافتوا على تلك السفاسف ، ولكن إيمانهم من أول الأمر إيمان اللاجئ من فرعون وجبروته ، والمحتمى بموسى ريثما ينقذهم من مذلة الاستعباد .

فإذا ما ابتعدوا عن سلطان فرعون فى مصر ، واطمأنوا إلى حياة آمنة فى سيناء عاودهم التمرد ، وبدا فيهم لؤم الطبيعة ، وخساسة الأنفس ، ونقضوا ما تعاهدوا عليه فى ساعة ضعفهم ، وفى وقت طواعيتهم للرسول ، وماذا يستحق هؤلاء فى موقفهم هذا ؟

٣ ـ أخذتهم صاعقة محرقة ، مدوية ؛ ارتجف لها الجبل ، وماتوا بها مغضوبا عليهم من الله ، فكيف استقبل موسى هذه الفاجعة لمن كانوا فى صحبته ، وقومه يعلمون أنه ذاهب بهم ليتوبوا ، وأنهم عائدون معه آمنين ؟

خشى موسى ـ أولا ـ أن يكون هذا الشر مجتاحا للآخرين الذين لم يذنبوا بعبادة العجل ، والذين لم يتحدوه بطلب الرؤية لله تعالى .

وخشى ـ ثانيا ـ أن يساء به الظن من أهليهم الذين لا يعلمون تمردهم عليه ، وهنا تتجلى عاطفة الخير من جانب موسى عليه السلام ، فيتدارك الموقف بضراعته إلى الله ، وبدعواته الطيبات ، ويستعطف ربه فيقول « رب !! لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى » يعنى يا رب : ليتك أهلكتهم وأهلكتنى معهم قبل حضورهم معى إلى هذا المكان ، وقبل مشاهدتى لهذا الهول ، وقبل تعرضى لاتهام القوم ، « أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟ » هل تكون نقمتك علينا جميعا بسبب ما فعل السفهاء منا ؟ لا تجعل بلاءك عاما لنا ، والطف بنا فى محنتنا هذه .

« إن هى إلا فتنتك ، تضل بها من تشاء ، وتهدى من تشاء » .

ما هذه المحنة إلا اختبار منك ، يتميز به المؤمن الحق عن غير المؤمن ، ويتكشف لنا به ما خفى من أمورنا ، فيثبت به على الدين من صدق فى دينه ، ويرضى بما جرى من قضاء الله فى خلقه ، وينحرف إلى الفتنة من كان مزعزع الإيمان ، فيتضح هذا من ذاك ويكون المنحرفون مستحقين للنقمة « ليمحص الله الذين آمنوا ، ويمحق الكافرين » وفى هذا التوسل من موسى إشارة إلى ما سبق فى المناجاة حين نزول التوراة من قول الله سبحانه « إنا قد فتنا قومك من بعدك ، وأضلهم السامرى » .

فتلك الفتنة هى الاختبار الذى يتعلل به

موسى فى طلب التجاوز من جانب الله عن إهلاك الجميع .

وكأنه يقول : يارب ! ! هـذا اختبار اقتضته حكمتك ، ولا يمكن أن يكون عبثا ، بل لا بد له من نتيجة ، وهى نجاة البعض من النكوص فى الكفر ، وإخفاق البعض ممن علمتهم غير ثابتين على عهدك ؛ فلا نعترض على نظامك ، ولكننا نرجو النجاة من غضبك بسبب جريمة من أجرم ، بل نسألك اللطف بالجميع ، فأنت اللطيف بعبادك ، « أنت ولينا ، فاغفر لنا وارحمنا ، وأنت خير الغافرين » .

أنت المتولى أمور الجميع ، فاغفر لنا بسترك الجميل ما يعلق بنا من شوائب المخالفة حتى نكون أطهاراً من حوبة المعصية ، وأهلا لتكريمنا بلطفك ورضوانك وإن تقصيرنا فى طاعتك لا يغالب عظيم فضلك يا خير الغافرين ، ويا أرحم الراحمين .

٤ — هذا : وإنك يا قارئى ! ! لتعهد فى ذوى العطف من رحماء الناس ألا يضيق صدرهم بإساءة المسىء ، بل ينتظرون الهداية وينظرون إلى مرضاة الله فيتجاوزون عن المساءة رجاء فى صلاح الحال .

فما بالك بالأنبياء ، وهم أرحم عباد الله بعباد الله ؟ ؟

تراهم يتراحمون على المخالفين ، ويسألون لهم الهداية ، وكما يطلبون لأنفسهم الخير يطلبونه للجميع : إلا إذا أذن الله لهم بغير ذلك ، كما دعا نوح على قومه أخيرا .

وحينما دعا موسى بما دعا كان قوى الرجاء فى الإستجابة ، واثقا أن الله ذو رحمة على العالمين ، ولذلك لم يكتف بطلب الغفران والرحمة ، بل توسع فى ضراعته فقال : « واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك ! ! » يعنى حقق لنا جميعا حسنة فى الدنيا وهى الهداية ، ونعم الحياة ، وحقق لنا فى الآخرة حسنة وهى القبول والرضوان ونعم الجنة . . ويقول « إنا هدنا إليك » يعنى رجعنا إليك باعتذارنا عما فرط من بعضنا .

ولكن الله يجيب موسى بما يفيد عدالة الله فى جزاء عباده فيقول سبحانه : « عذابى أصيب به من أشاء ، ورحمتى وسعت كل شىء » يعنى عذابى ليس شاملا بل هو لمن أشاء تعذيبه من خلق ، وهم الكافرون الذين لم يستجيبوا لدعوة رسلى ، والعصاة الذين لم يتوبوا ولم أغفر لهم .

أما رحمتى فقد وسعت فى الدنيا كل شىء حتى شملت المخالفين من عبادى ، فهم يتمتعون فى الدنيا بأرزاق وأموال وبنين ، وبصحة وحياة وغير ذلك ، وهذه الرحمة مظهر فضلى على عبادى جميعا وإن لم يشكرونى جميعا ، والله يعطى الدنيا لمن يحب ، ولمن لا يحب .

ولكن العدل الإلهي يقتضي تفاوت الناس في حظهم من رحمة الله في الآخرة التي هي دار الإقامة والخلود على الحالة التي قسمت لهم فيها.

والعدل الإلهي يأبى التسوية بين من أسلم وجهه لله وهو محسن، وبين من حارب الله بعصيانه غير مكترث بما جاءه من النذر والآيات.

وإزاء هذا تكون الرحمة في الآخرة حظوظا مقسومة، يتفاوت الناس فيها كما تفاوتوا في الدين، وفي الإخلاص في الأعمال.

وتكون رعاية الله للأخيار من عباده متجلية في رحمة خاصة بلا زائدة على سواهم ممن لم يبلغوا شأوهم، بل السابقون إلى طاعته سابقون غيرهم في منازل الجنة ونعيمها.

وهذا هو قوله تعالى: «فسأكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة، والذين هم بآياتنا يؤمنون»، فلا يتخلفون عن دين الله، ولا يكذبون بما جاءهم من عند الله حاضرا وغائبا، فهؤلاء هم المؤمنون بالغيب والشهادة ومن آمن بالغيب بما جاء من عند الله فقد أوفى على الغاية.

وفي هذا الجواب غنية لموسى عن طلب جديد في هذا الصدد، وتحديد لمطامع الناس في المغفرة.

هذا جانب من القصص عن موسى عليه السلام، عرفناه من طريق كتاب الله الكريم على لسان رسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه

ومنه نتعلم ـ أولا ـ ألا يشتط المرء في طلبه كما اشتط بنو إسرائيل في طلب الرؤية لله تعالى ونتعلم ثانيا ـ أن المرء يعتبر بما جرى لغيره حتى لا يذهب ضحية المجازفة كما ذهب بنو إسرائيل بالصاعقة، ونتعلم ثالثا ـ أن أفعال السفهاء شؤم على سواهم، وأن دعاء الطيبين قد يخفف من غضب الله على السفهاء كما دعا موسى لقومه، ونتعلم ـ أخيرا ـ وهو آكد ما نتعلمه ـ أن الله ذو فضل على بني آدم وإن كانوا يهودا لم يتركوا موبقة إلا انغمسوا فيها ولا عهداً إلا نقضوه ولا يزالون يطلعون مع كل يوم بأقبح الأعمال، وشر الأحداث والله يزيد في طغيانهم، ولكنه بالمرصاد لهم.

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

الحقوق والواجبات فى الإسلام

للدكتور محمد يوسف موسى

---

١ – الواجب قبل الحق :

« كل حق يقابله واجب » ، هذه قاعدة مطلقة ، لا استثناء فيها ، وهى تحكم علاقة الإنسان بربه سبحانه، كما تحكم علاقات الإنسان العديدة المختلفة بغيره من الناس على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية . ولكونها قاعدة يرضاها المنطق والعقل السليم ، نرى الشرائع السماوية التى شرعها الله لعباده قد اتفقت عليها فى كل زمان ومكان .

وكذلك نرى القوانين الوضعية التى وضعها الإنسان فى قديم الزمان وحديثه ، وفى الشرق والغرب على السواء ، قد اتفقت عليها أيضاً .

وهكذا رسمت الشرائع الإلهية والقوانين الأرضية للناس طريق الحياة ونظام السلوك ، وبينت ما يجب على كل إنسان أداؤه لنفسه ولغيره ؛ ليكون مواطنا صالحا ، كما بينت ماله من حقوق ، وبذلك لا يعتدى أحد على أحد ، ولا يظلم الناس بعضهم بعضا .

وإذن فليس من العدل ولا من المنطق أن يطلب إنسان حقا من حقوقه عند الناس إلا إذا كان قد أدى ما يقابله من الواجب ، وبذلك تقوم العلاقات المختلفة بين الناس جميعا على أسس سليمة ، وقواعد ثابتة عادلة ، وبذلك يسعد الفرد والمجتمع والأمة .

وإذا كان الأمر هكذا ، فإن الإسلام يتكلم عن الواجبات أكثر مما يتكلم عن الحقوق ، ويجعل القيام بالواجب أساسا لطلب الحق والحصول عليه . ونرى مصداق ذلك فى القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة، كما نرى مصداق ذلك أيضا فى الحياة العملية التى نحياها .

فى القرآن يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، ويقول : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ، ويقول : « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ؛ فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » .

هنا نجد بعض ما لله سبحانه وتعالى من واجبات فى الطرف الأول ، ونجد فى الطرف الثانى بعض ما تفضل الله به علينا ، ووعدنا به من الخير ، وسماه حقا لنا . فإذا

كان منا الإيمان بالله حق الإيمان الذى يؤدى إلى العمل ، وإذا نصرنا شرائعه وتعاليمه بالعمل بها والدفاع عنها - إذا كان منا ذلك ، كان حقا علينا أن نرجو النصر على الأعداء. وتثبيت الأقدام عند اللقاء .

وإذا أدينا ما علينا فى أموالنا من حق معلوم للسائل والمحروم ، وأنفقنا منها فى سبيل الله ، كان لنا أن نرجو أن يتحقق لنا ما وعد الله به من الأجر الكبير والثواب العظيم ، ومن أوفى بعهده من الله ، ومن أصدق منه قيلا !

وبعد ذلك يقول عز وجل فى سورة الليل: « فأما من أعطى ، واتقى ، وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » كما يقول فى سورة أخرى: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ؛ يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » .

فنى آيات سورة الليل نرى تقابلا بين واجبات علينا - بلا ريب - أداؤها لله وللمجتمع الذى نعيش فيه ونفيد منه ، وبين ما نسميه حقوقا لنا إذ تفضل الله سبحانه وتعالى فوعدنا بها ؛ بين واجب البذل من المال للمعسرين وذوى الحاجات وفى سبيل الله ، واتقاء حرمات الله وما نهى عنه من المعاصى ، والتصديق بالخلف من الله وحسن الجزاء على ما نعمل من خير - نجد تقابلا بين هذا كله . وبين ما جعله لله حقا لمن يقوم بهذه الواجبات من تيسير دخول الجنة وتمتعه بما فيها من نعيم مقيم .

وكذلك فى الآية الأخيرة ، التى ذكرناها آنفا ، نجد التقابل بين واجب الإيمان بالله وعمل الصالحات ، وبين ما يكون جزاء عن ذلك من نصر المؤمنين والتمكين لهم فى الأرض ، وتأمينهم بعد خوف على دينهم وأنفسهم وأموالهم ، وذلك إذا قاموا بما يجب عليهم لله القوى العزيز .

وإذا كان الأمر هكذا فى القرآن العظيم : أداء للواجب أولا ، ثم فوزاً بما نسميه حقا ثانيا ؛ فإن الأمر كذلك فى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى حديث صحيح رواه مسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم من رجال الحديث : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ؛ ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ؛ ومن ستر مسلما ، ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه) .

فنى كل فقرة من هذا الحديث الجامع لكثير من ضروب الخير ، نجد التقابل واضحا بين

الواجب وبين الحق؛ بين الواجب الذي يجب أداؤه أولا، وبين الحق الذي يكون ثانيا. وشتان بين هذه الواجبات التي من اليسير القيام بها على الإنسان، وبين ما يناله عن كل منها من الجزاء العظيم في الدنيا والآخرة!.

وكذلك من هذه الناحية أيضا، ما جاء عن الرسول من قوله: (من سره أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أجله؛ فليتق الله وليصل رحمه)، وقوله: (من توكل على الله كفاه)، وقوله: (من اتقى الله وقاه كل شيء)، وقوله: «من تواضع لله رفعه الله».

إن في هذه الأحاديث، وأمثالها كثير، حثا لنا من الذي لا ينطق عن الهوى على القيام أولا بما علينا من واجبات لله ولإخواننا في الدين والوطن والإنسانية؛ وحينئذ يكون لنا الحق في أن نفوز بما نرجو من البسطة في الرزق، والفسحة في الأجل، ووقاية الله لنا من السوء، وعونه لنا في كل حال.

وفي سياسة الأمة بصفة عامة نجد الأمر كذلك أيضا؛ هذا هو سيدنا أبو بكر رضي الله عنه يقول في أول خطبة له بعد أن ولي الخلافة: (أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم). وهذا معناه أن للخليفة حق الطاعة على الأمة جميعا، ولكن هذا الحق العام الذي لابد منه مشروط بأن يقوم هو أولا بما يجب عليه نحو الله والرعية فإن خرج عن أمر الله ورسوله، وأمر بما هو معصية لا ريب فيها، ولم يحكم في الرعية بالعدل، لم يكن له أن يطلب حقه، وهو أن تسمع له الرعية وتطيع.

وبناء على هذا الأصل العام، يعني أن الواجب قبل الحق، يروي أبو عبيدة القاسم ابن سلام، في كتابه القيم (الأموال)، أن رجالا من البادية سألوا واليهم أبا عبيدة ابن الجراح أن يرزقهم من مال الأمة الذي تحت يده، فقال: لا، حتى أرزق الحاضرة، فمن أراد بحبحة الجنة فعليه بالجماعة.

ويفسر هذا التصرف الحكيم قول سيدنا عمر بن عبد العزيز لعماله: «مر للجند بالفريضة وعليك بأهل الحاضرة، وإياك والأعراب، فإنهم لا يحضرون محاضر المسلمين، ولا يشهدون مشاهدهم».

يريد رضي الله عنه أن لأهل البادية العون في أوقات الشدة، ولكنهم ليسوا كأهل المدن الذين تجب لهم فرائض مالية ثابتة في كل حال، وذلك لما يقدمون من خدمات وعون دائم للأمة إذ يعيشون بين الناس، لا كأهل البوادي الذين لا يعنيهم أمر غيرهم كالأولين.

٢ — نحو الله سبحانه وتعالى:

إن القاعدة التي افتتحنا بها هذا البحث

كل حق يقابله واجب ، وأن الواجب ينبغى أن يؤدى قبل الحق ، تحكم ما بين الناس من علاقات ، كما تحكم كذلك ما بيننا وبين الله سبحانه وتعالى من علاقات أيضا .

إن الله العليم الحكيم هو الذى يقول فى محكم كتابه : «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان» ، ويقول : «إنما تجزون ما كنتم تعملون» ، ويقول بصفة عامة : «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره» ، «ومن أصدق من الله حديثا» .

ومن البدهى أن الله هو الذى أوجدنا من العدم ، وسوانا وجعلنا فى أحسن تقويم وآتانا من ضروب النعم مالا نستطيع له عدا ، وإذا ، يكون فى الذروة من الواجبات التى علينا ما يكون منها لله سبحانه وتعالى .

فهو جل وعز الذى يحس المؤمن أنه بجانبه فى كل حال من العسر واليسر والشدة والرخاء ، وهو الذى يعينه إن نزل به ضيق ، ويشد أزره إن ألم به ضعف ، ويرشده ويسدده إن زلت به القدم .

وهو الذى يربط على قلبه ويواسيه ويجزل له الأجر إن حلت به مصيبة فذكر الله وصبر على ما أصابه ، ويبعث الأمل والرجاء فى نفسه إن طاف به اليأس ، ويغفر له إن أذنب ثم تاب إليه وأناب ، وهو الذى ، كما جاء فى كتابه الكريم «يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء» .

وإذا كانت نعم الله علينا ليس إلى إحصائها من سبيل ، فإن واجباتنا نحوه سبحانه وتعالى ليس لإحصائها أيضا من سبيل ، وأول هذه الواجبات هو الإيمان به حق الإيمان ؛ إيمانا يملأ النفس والقلب حتى لا يعيش المؤمن إلا به وله ، ويدفعه إلى العمل الصالح فى كل حال وذلك لخير المؤمن نفسه ، والمجتمع الذى يعيش فيه ، والأمة التى ينتسب لها .

وأساس هذا الإيمان أن يسلم المرء وجهه لله ، وأن يخلص له فى عبادته كأنه يرى الله الذى يراقبه ، وألا يرجو غيره ، أو يخاف سواه ، فإن من أمارات الإيمان الصحيح الرجاء والخوف منه سبحانه وتعالى .

الرجاء الذى لا يدعو إلى اليأس من مغفرة الله وواسع رحمته ، فإنه لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الخاسرون ؛ والخوف الذى لا يكون سبيلا إلى التفريط اعتمادا على أن رحمته تعالى وسعت كل شىء ، فإن من لا يخاف حرى بأن يقع فى كثير من الذنوب والآثام .

إن من الناس من يرى أنه مؤمن بالله تعالى ولكنه مع هذا يخاف رئيسه مثلا أكثر من خوفه من الله مالك الأمر كله ، ومن بيده ناصية الناس جميعا . وإن منهم من يرفع رجاءه إلى بعض ذوى الجاه والنفوذ ويعتقد أنه إن وصل إلى واحد من هؤلاء

فقد وصل إلى ما يرجوه . مع أن واحدا من هؤلاء لا يملك لنفسه شيئا فكيف بغيره .

نقول بأن الواحد من هؤلاء الذين يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ، والذين يعتمدون فيما يرجون على أمثالهم من عبيد الله أكثر مما يعتمدون على الله ، ليسوا مؤمنين حق الإيمان بالله ، وليسوا من الذين يقومون كما ينبغي بما يجب عليهم لله الذى بيده ملكوت السموات والأرض وما بينهما .

إنه ليس للمؤمن بالله أن يعتز بغيره ، أو يستند إلا إليه ، أو يستعين إلا به ، أو يقدم لأحد غيره - مهما يكن سلطانه ونفوذه وقوته - شيئا من ضروب العبادة التى يجب أن تكون خالصة لله مالك الملك وحده .

ولهذا يقول الله فى كتابه الكريم : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة » ، كما يقول : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » .

إن الله افترض علينا الفرائض المعروفة ، وإن مناط اعتبارها وتقديرها منه سبحانه وتعالى هو الإخلاص فيها ، فلا نكون أدينا واجب عبادته إلا إذا أتقناها كما ينبغى ، وأخلصنا فى أدائها ، وقصدنا وجه الله وحده فيها .

وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) وجاء فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، فأى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال : (من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله) .

ومن الواجب علينا لله سبحانه وتعالى ، بعد تقواه ومراقبته ، أن نستقيم فى كل ما نقول ونعمل ، ولذلك أمر الله رسوله بقوله : « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك » وقال فى سورة أخرى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون » .

وبجانب هذا ، يروى الإمام مسلم فى صحيحه أن رجلا من الصحابة قال للرسول : يا رسول الله ، قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك ، فقال : (قل آمنت بالله ، ثم استقم) .

وبعد ! تلك بعض الواجبات التى علينا لله سبحانه وتعالى ، وبأدائها وإخلاصنا فيها نكون حريين بعون الله ورعايته وإحسانه فى كل حال ؛ فهو الذى يقول وقوله الحق ووعده الصدق : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ، ويقول : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه » ، ثم يقول : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ، ذلك أمر الله أنزله إليكم ، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا » .

(الحديث موصول بإذن الله) .

الدكتور محمد يوسف موسى

إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه

للأستاذ محمود الشرقاوى

كرّم الله شهر رمضان وخصه بالمنزلة العظيمة فلم يذكر فى القرآن سواه من الشهور باسمه الصريح : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان »[1]. وميّزه بالمكانة التى لا تقارَب ولا تدانى فبدأ فيه نزول القرآن الكريم ، كما تقول الآية .

وكرمه المسلمون منذ هداهم الله بهداية الإسلام فجعلوه موسم الصلاة والعبادة وتلاوة القرآن . كما جعلوه موسم البر والمودة والمعروف ، اقتداءاً بالنبى الكريم : (كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس . وأجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل . وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة)[2] .

ومن حق العابدين الصائمين أن يعرفوا العبادة المقبولة ليحرصوا على أدائها فما كلّ عبادة يقبلها الله فيثيب عليها

وقد فصل ذلك الحارث المحاسبى فى بيان صادق فقال :

« وإنما الوجه الذى هو أشد الرياء وأعظمه إرادة العبد العباد بطاعة الله عز وجل ، لا يريد الله عز وجل بذلك . كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : (أن تعمل بطاعة الله تريد الناس) ... وكذلك يروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : (إن الله تبارك يقول : أنا أغنى الأغنياء عن الشريك ، من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء وهو للذى أشركه) . فأبان بذلك أن من الرياء إرادة الله عز وجل وإرادة خلقه .

« وقال طاووس : (جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله الرجل يتصدق ويحب أن يحمد ويؤجر ، فلم يدر النبى صلى الله عليه وسلم ما يقول ، حتى نزلت هذه الآية : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » ، فأنزلها الله عز وجل جواباً لقول السائل ، إذ سأل : من أراد الله عز وجل وأراد حمد المخلوقين .

---

(١) ١٨٥ سورة البقرة .

(٢) رواه ابن عباس : صحيح البخارى ص : ١٩٨ الجزء - ٤ - الأميرية .

وقال عمر رضى الله عنه لمعاذ بن جبل ورآه يبكى : ما يبكيك ... ؟ قال : حديث سمعته من صاحب هذا القبر ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ، سمعته يقول : (إن أدنى الرياء : الشرك) . والحديث الذى يروى : « يسير الرياء شرك » [١].

والصدقة من أقرب القربات إلى الله فى رمضان وفى غيره . ولكن الصائمين العابدين يعرفون أن للبر فضائل وآدابا وأن هذه الفضائل والآداب قد تكون مقدمة على العمل الآلى المادى من البر . لأن العمل نفسه قد تكون له دوافع من الأثرة والأنانية والتظاهر .

تأمل قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب ، فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شئ مما كسبوا ، والله لا يهدى القوم الكافرين » [٢].

فقد نعلم من هذه الآية الكريمة أن الفضائل والآداب التى تلابس الصدقة والبر وبذل المال ، هى أهم وأفضل من المال المبذول نفسه - على حب النفس للمال وحرصها عليه - فستر الصدقة واصطحابها بالكلمة الطيبة المواسية ، أو بالصمت الرقيق المهذب العطوف ، مقصد أسمى تدعو إليه وتأمر به هذه الآية الكريمة عند بذل الصدقة وتقديم العون والمعروف . أما من يصحب بذله بالمن والأذى فمثله كما صورت الآية الكريمة .

ونتيجة عمله أنه لم يكسب ثوابا ولم يعمل خيراً ولا معروفا . مع أنه أنفق وبذل وتصدق . وهذا تحديد للصدقة المقبولة . وتربية ، أى تربية ، للضمير والإحساس . وتهذيب ، أى تهذيب ، للخلق .

والصلاة - فريضة وتطوعا فوق الفريضة المكتوبة - من أقرب القربات إلى الله . ولكنها الصلاة التى يعرف لها صاحبها حقها ، من الخشوع والخضوع والإخلاص . الصلاة التى وصفها الله بأنها : تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وبعض الصلاة - صلاة المرائين المنافقين - قال الله إنه لا خير فيها : « لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس » [١] .

وجاء فى الحديث الشريف : (إن العبد إذا صلى فأحسن الصلاة صعدت ولها نور ، فإذا انتهت إلى أبواب السماء فتحت أبواب السماء لها ، وتشفع لصاحبها ، وتقول : حفظك الله كما حفظتنى ، وإذا أساء فى صلاته فلم يتم ركوعها ولا سجودها ، ولا حدودها صعدت

---

(١) ملخصا عن ص : ١٣٦ - ١٣٧ من : « الرعاية لحقوق الله » للمحاسبى . وهو شيخ الامام الغزالى .

(٢) ٢٦٤ سورة البقرة .

(١) ١١٤ سورة النساء .

ولها ظلمة ، فتقول : ضيعك الله كما ضيعتني ، فإذا انتهت إلى أبواب السماء غلقت دونها ، ثم لفت كما يلف الثوب الخلق ، فيضرب بها وجه صاحبها » [١] .

والتوجه إلى المشرق والمغرب فى الصلاة ليس وحده برآ ما لم يقترن بالإيمان والبذل والوفاء والبر والصبر وغير ذلك من الفضائل : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب . ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال ـ على حبه ـ ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس . أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » [٢] .

والصائمون العابدون الذين يرجون أن يتقبل الله صومهم وعبادتهم ، يجب أن يذكروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن : « المفلس » وأن هذا المفلس من عمل الخير ومن الثواب يوم القيامة ، قد تكون له صلاة يظنها مقبولة وهى مردودة : (عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتدرون ما المفلس ... ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . قال : إن المفلس فى أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته . فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه . ثم طرح فى النار) [١] .

والصائمون العابدون الذين يرجون أن يقبل الله صومهم وعبادتهم يجب أن يذكروا ويتدبروا حديث رسول الله عليه السلام الذى يقول : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) [٢] وحديثه الذى يقول : (رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع . ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر) [٣] .

وأن يذكروا ويتدبروا أن بعض الصلاة المقبولة التى يعرف لها صاحبها حقها ويلتزم جوهرها وآدابها وغايتها ، خير من صلاة كثيرة يتطوع بها صاحبها ولكنه لم يعرف لها حقها ولم يلتزم جوهرها وغايتها :

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث أنس رضى الله عنه .

(٢) ١٧٧ البقرة .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب .

(٢) أخرجه البخارى عن أبى هريرة : صحيح البخارى ، كتاب الصوم .

(٣) أخرجه ابن ماجة عن أبى هريرة : ابن ماجة ، كتاب الصوم .

(عن أبي هريرة قال : قال رجل : يارسول الله : فلانة ، يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها . غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها قال : هي في النار . قال : يا رسول الله : فإن فلانة : يذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها وأنها تصدّق بالأثوار [1] من الأقط[2] ولا تؤذى جيرانها بلسانها . قال : هي في الجنة) [3] .

فالعبرة ليست بالعدد والكثرة ، بل بالإحساس والضمير والوازع .

فتلك امرأة كثيرة الصلاة والصيام والصدقة وهي مع ذلك من أهل النار ، لأن عبادتها هذه لم تهذب نفسها ولم تحجزها عن أذى جيرانها . وهذه امرأة أخرى قليلة صلاتها وصيامها وصدقتها ، وهي من أهل الجنة . لأن هذا القليل من العبادة عصمها عن أذى الجار .

° ° °

بل هناك أمر يتصل بأصل الإيمان نفسه ، وهو هذه الآية الكريمة من سورة الماعون : « أرأيت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين » [1] فهي تجعل الذي يدع اليتيم ويزجره ويؤذيه . والذي يبخل على المسكين فلا يحض على إعطائه ويعطيه . لا تجعله الآية رقيق الإيمان ولا مذنبا ولا عاصيا . بل تجعله مكذبا بالدين . ثم تذكر الآية الكريمة أن قوما يصلون ، ولكن الويل لهم ـ مع صلاتهم هذه ـ لأنهم ساهون عنها ، ولأنهم قد اتصفوا باثنتين من صفات الرذيلة : المراءاة وحبس المعونة عمن يحتاجها : « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » [2] وفي الآيات الكريمة

(٠) في : « النهاية من غريب الحديث والأثر » . التور : إناء من صفر أو حجارة قد يتوضأ منه . وقد يشرب فيه . يشير الحديث إلى أنها كانت تتصدق بالشيء القليل .

(٢) الأقط ، أو الأقط : شيء يتخذ من اللبن المخيض . وهو من ألبان الإبل خاصة ، أو المعز .

(٣) مسند أحمد ، الجزء ٢ ص ٤٤ .

(١و٢) : ٣و٤ الماعون . ويقول الإمام الشيخ محمد عبده في تفسير هذه السورة : « إن كثيرا من الناس ، بل الأغلب فيهم ، يقولون إنهم يعتقدون بالدين ويصدقون بالله وبما جاء به رسله وبالحياة الآخرة ، وينتحلون لأنفسهم المزايا على غيرهم ، ويظنون أنهم المخلصون ، وأن من يخالفهم قد حقت عليه كلمة الشقاء . ويكتفون في هذه الدعوى ببعض أعمال رسمها الدين وإن لم يكن لها في قلوبهم أثر كالصلاة وما يشابهها مما لا ينقص مالا ولا يجشم مشقة .

« وسواء كان المحتقر للحقوق ، البخيل بالمال والسعي ، مصليا أم غير مصل . فصلاته لا تنفعه ولا تخرجه من صف المكذبين بالدين » .

ثم يقول الشيخ عبده بعد ذلك كلاما أوضح وأصرح لا نريد أن نطيل الاقتباس بذكره . فليرجع إليه من يشاء : [ص ١٦١ ـ ١٦٤ من تفسير جزء عم ، الأميرية سنة ١٣٢٢ هـ] .

من أدوات التوكيد ما نرى. وقد صاغها الله فى أسلوب لا نجد أبرع منه ولا أقوم ولا أقوى تأثيراً فى الضمائر ووقعا على القلوب.

ومن ذلك حديث النبى عليه السلام الذى يقول: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [١] والذى يقول: (ليس المؤمن بالذى يشبع وجاره جائع إلى جنبه) [٢] وذلك الذى يقول: (وأيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى) [٣].

* * *

نريد من الصائمين العابدين أن يكونوا من عباد الله الذين نسبهم إلى رحمته فسماهم «عباد الرحمن»: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما. والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما» [١].

وأن يحرصوا على أن يكونوا من عباده المؤمنين: «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون. الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. أولئك هم المؤمنون حقا، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم» [٢].

«ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا» [٣].

«إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور» [٤].

صدق الله العظيم، وتقبّل من المتقين.

محمود الشرقاوى

سكرتير التحرير

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان. حديث: ٧١ وفى رواية «لجاره» بدل يحب «لأخيه».
(٢) عن ابن عباس. الجامع الصغير ص ٢١٧، الجزء ٢.
(٣) مسند أحمد، الجزء ٢ ص ٤٤.

(١) ٦٣ - ٦٤ الفرقان، إلى آخر السورة.
(٢) ٦١ الأنفال.
(٣) الإسراء: ٢٥.
(٤) فاطر: ١٠.

رمضان في تاريخ مصر الإسلامية

للأستاذ محمد رجب البيومي

تحتفل الدول الإسلامية جميعها بشهر رمضان احتفالا تأتلق به البهجة ، وتغمره البشاشة ، فالمسلمون يتهيئون إلى لقائه فرحين مغتبطين ، ويأخذون في إعداد لوازمه وواجباته قبل أن يأزف موعده، فإذا أشرق هلاله وجد الاستقبال الحافل ، والترحيب الجزيل ، ومصر كانت ولا تزال من أسبق الشعوب إلى الاحتفاء بمقدمه ، والتنويه بجلاله ، منذ أشرق عليها نور الإسلام إلى عهدها الراهن، وقد تدرج احتفالها به تدرجا طبيعيا وفق قانون التطور والارتقاء ، فهو في أيامها الأولى عقب الفتح العربي كان هادئا وقوراً ، تظهر دلائله في المساجد المضاءة ، والصلوات المتتابعة ، والأذكار المخلصة، دون أن تتخذ له مواكب حافلة تملأ الطريق ، إلا ما كان من الذهاب إلى المقطم يوم الرؤية للتأكد من طلعة الهلال ، ثم الرجوع ثانية إلى المساجد ، ولم تك مصر بدعا في وقارها الهادئ إذ ذاك ، فقد كانت المدينة عاصمة الدولة الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة تكتفي بالاحتفال النفسي لا الرسمي، فالقلوب متجهة إلى السماء ، والمشاعر مخلصة في التسبيح والصلوات . والنفوس مستبشرة بما أتيح لها من صيام وقيام وزكاة ، وقد كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أول من أضاء المساجد طوال الليل بالمدينة ، وعنه سرى هذا التقليد الحميد إلى شتى العواصم ، حتى قال علي كرم الله وجهه : (نوّر الله على ابن الخطاب في قبره كما أنار مساجد الله) ومصر من بين العواصم التي رحبت مبدئيا بهذا التقليد المشرق، ثم بالغت فيه بعد ذلك مبالغة جعلت جميع المنازل والميادين تموج بالنور وكأن ليلها في رمضان نهار وضاء !

وقد قدر لها أن يحكمها في بعض سنواتها الزاهية أحمد بن طولون ، وكان رجل خير ، يجمع إلى الحزم والبطولة صفاء النفس ورقة الفؤاد ، وإخلاص الضمير ، وقد نظر إلى شهر رمضان نظرة عميقة مخلصة فرآه حقلا خصيبا لاستثمار الفضائل ، وإنماء المكارم ، فهو في لبابه مظهر التعاون الإنساني بين الناس، ومجال البر والخير والتراحم والتواد ، فليس الحرمان به عن الطعام هدفا مقصودا لذاته ، ولكنه وسيلة قوية إلى تضامن النفوس ، وتحاب القلوب، وإذ ذاك أمر بدعوة الأغنياء والحكام في مختلف الأقاليم إلى منزله في أول

يوم منه ، ثم قدم إليهم موائد الإفطار حافلة آهلة ، وجمع إليها حشدا من الفقراء والمستورين ، ! ! وما فرغ المفطرون من طعامهم حتى وقف ابن طولون وأعلن أنه دعا الأمراء والحكام لينظروا إلى ما يجب عليهم من السخاء طيلة أيام الشهر ، فهم مسئولون أمامه عن إطعام الفقير وتعهد المسكين ، ثم أصدر بذلك قرارا وزعه على البلاد المتفرقة فى القطر الواسع ، وتهدد من لا يمتثل أمره بأشد العقاب والنكال ، فصار رمضان لعهده فى أكرم صوره وأنبلها ، وأصبح على يديه مثابة خير ومورد إحسان ، حتى إن بعض الحكام كان يبعث أعوانه إلى بيوت الفقراء ليحملوهم بالقوة إلى موائده ثم يثوبوا بعد الإفطار وقد شغلوا أيديهم بما يطعم الأبناء والنساء ، وقد مر أول يوم من أيام رمضان بعمال البناء فى مسجده ، فرآهم يشتغلون حتى يؤذن المغرب ، فتألم لذلك وقال : متى يتمكن هؤلاء الضعفاء من شراء الطعام لأسرهم وإعداده ؟ ثم أمر بصرفهم جميعا حين يؤذن العصر ، فكانت سنة جديدة يحتذيها من حكم البلاد من بعده ، وسطرت له مع غيرها بأحرف من نور . . . رحمه الله .

وجاءت الدولة الفاطمية ، وهى من الترف والنعمة والثراء بمحل لا يوصف ، حتى اشتهر المعز لدين الله بذهبه ، وضرب به المثل فى الكثرة فقيل : (ذهب المعز وسيفه) . ثم تدفقت بين يديه خيرات الوادى الخصيب تدفقا غمر كنوزه المختلفة بطوفان يفيض ولا يغيض ، فرأى أن يحتفل بالمواسم الدينية احتفالا تظهر به أبهة الخلافة وجلال السلطان وبهجة الإسلام . وكان لرمضان من هذه المباهج الفاتنة حظ أى حظ : فقبل أن يأزف ميعاده تقفل أبواب الحانات ، ويحرم بيع المسكرات ، وتأخذ المساجد فى أسباب التجميل والزينة ، فتطلى الجدران ، وترم الصدوع . وتفرش البسط الفاخرة ، وتعد القناديل والشموع والمجامر ، ثم يطوف القضاة بأنفسهم على بيوت الله فيشاهدونها بعد أن أخذت زينتها وبهاءها ، ويضعون عنها تقريراً أمينا يرفع إلى دار الخلافة ، فإذا كانت ليلة الرؤية خرج الخليفة من باب الذهب متحليا بأجمل اللباس ، وحوله الوزراء بملابسهم المزركشة . وخيولهم المطهمة ، ذات السروج المذهبة ، وقد أشرعت الرماح المحلاة ، والسيوف المزينة ، ورفرفت الأعلام والرايات ، ومن ورائهم فرق الجند المختلفة تصدح بالموسيقى العذبة ، ويتلوها كبار الوجهاء من علماء وقضاة وأدباء ، وكتاب وتجار ، وصيارفة وصاغة ، وقد تنافس الناس فى إقامة الزينات على البيوت والمتاجر والمصانع ، فأشرقت الأنوار ، وتوهجت الثريات ، وتطلعت النساء من المشربيات يحيين الموكب الحاشد بالزغاريد والأغنيات ، ويمر المحفل

بين القصرين إلى أن يخرج من باب الفتوح ، ثم يدخل باب النصر عائدا إلى باب الذهب ، حيث يجلس الخليفة فى قصره ، فيستمع آيات الكتاب الكريم يرتلها أشهر القراء ، ثم يوزع الصدقات والهدايات ، ويكتب إلى الولاة وحكام الأقاليم مبشرا بقدوم الشهر الكريم .

وفى أول يوم من أيام الشهر توزع الأعطيات الثمينة على الأمراء والحكام ، فتهدى إليهم أطباق الحلوى تتوسطها صرر الذهب ، ويدعو الخليفة كل يوم فريقا من رجال الدولة قبيل الغروب ، فيستمعون قليلا إلى المرتلين والمنشدين ، حتى إذا أذن المغرب دارت أكواب الزبيب والتمر والتين فيشربون مفطرين ، ثم ينهضون إلى صلاة المغرب جماعة فيسرعون فى أدائها ، ويرجعون إلى أماكنهم ليجدوا موائد الإفطار قد زينت بطاقات الزهر ، ووضعت عليها المآكل والفواكه وأنواع الحلوى على هيئة صور ، وتماثيل ، وقصور ، فإذا انتهوا من إفطارهم جاء الخدم فحملوا ما بقى من الطعام - وإنه لكثير - ووزعوه على طوائف الفقراء والمساكين فنالهم أكثر مما يشتهون .

ثم ينتقل الحاضرون بعد الإفطار إلى بهو القصر ، وهو فسيح متسع ، يشرف على الحدائق الظليلة ، فيتمتعون بسمر شهى رائق حتى تؤذن العشاء ، فينهض الجميع إلى صلاة القيام ، ويعودون إلى مجلسهم بين يدى الخليفة

وفى كل ليلة يبدأ القراء فيتلون بعض السور الكريمة ، فى ترنيم ساحر ، وترتيل أخاذ ، فإذا انتهوا من قراءتهم نهض المؤذنون فأخذوا يكبرون ويهللون ، ويشيدون بفضائل الشهر وبركاته ، خاتمين لحونهم بالدعاء للخليفة والثناء عليه . ثم يفسحون المجال للوعاظ ، فيتحدثون عن فضائل الصيام ويفسرون آيات القرآن ، ويرددون الرقائق من الأحاديث النبوية والروائع من العظات الدينية ، فإذا فرغوا من واجبهم نصبت حلقات الذكر ، فنهض إليها الكبراء من العلية مسبحين ذاكرين ، فإذا انتصف الليل تهيــأ القوم للسحور ، فأكلوا واستطابوا ، ووزعت عليهم الحلوى والفطائر ليحملوها إلى منازلهم مسرورين ، ومن يسعده الحظ بالجلوس على مائدة الخليفة فى السحور ذاق من أطايب المآكل والمشرب ما يظل سمر حديثه بين الرفاق ، ثم يرجع إلى أهله وقد حمل أطيب ما يقدم والد لأبنائه من تحف وألطاف . وتستمر ليالى الفاطميين على هذا المنوال الرائع عدة ليالى الشهر الكريم .

أما مصر الأيوبية فقد شاء لها القدر أن تضطلع بعبء الدفاع عن البلاد الإسلامية أمام الجيوش الصليبية الزاحفة فى حملاتها المتتابعة ، فلم يجد صلاح الدين من وقته وماله ما يبذله فى الاحتفال بسهرات هذا الشهر الكريم ، وإذا كان الجهاد يجيز للمسلم أن يفطر فلا يصوم فإنه من باب أولى يحتم عليه

أن يهمل كل احتفال بسهرات رمضان ولياليه فاقتصر الأمر على إضاءة المساجد والمآذن ، وقد ظن بعض المؤرخين أن الدولة السنية الجديدة بمصر ، ترى ما كانت تصنعه الدولة الشيعية المنقرضة من أبهـــة الاحتفالات بالمواسم الدينية حراما محظوراً ، فتجنبته لحرمته ، ولم تشأ أن تتورط فيه ، وهذا وهم لا يسنده الواقع ، إذ أن كثيراً من الأيوبيين حكاما وقادة ، كانوا يحتفلون بهذه المواسم حين يفرغون بعض الشيء من غارات الصليبيين فالملك المظفر صاحب إربل وزوج أخت صلاح الدين كان أعظم ملك احتفل بالمولد النبوى الشريف[1]. وحسام الدين لؤلؤ قائد الأسطول الحربى لعهد صلاح الدين الأيوبى، كان يحتفل بشهر رمضان احتفالا مشهوراً ، فيملأ ثلاث سفن كبيرة بالطعام كل يوم ، ويدخل الفقراء إليه فى صفوف منتظمة وهو قائم مشدود الوسط ، وبيده مغرفة وأطباق ، فيعطى كل صائم حظه من السائل والجاف ، ويبدأ بالرجال فالنساء فالغلمان دون أن يتزاحم أحد عليه لاطمئنان كل فرد إلى وصول حقه إليـه ، مستمراً على عادته تلك طيلة أيام رمضان !! فلو كانت الدولة الأيوبيـة ترى تحريم هذه الاحتفالات الدينية ما نهض بها ملك عظيم من خلصائها ، وقائد خطير من كبار رجالها كما قد قيل ، ولكن الحرب الطاحنة قد شغلت المسلمين عن كل شيء وأيسر الأمر أن تشغلهم عن المواكب والاجتماعات.

على أن دولة المماليك قد تداركت ما تركه الأيوبيون من أبهة واحتفاء ، ففى ليلة الرؤية يخرج قاضى القضاة ، ومعه القضاة الأربعة المذاهب الشرعية ، ووراءهم رؤساء الطوائف والصناعات من تجار وحدادين وسباكين وحائكين وشماعين لرؤية هلال رمضان من فوق منارة قلاوون ، فإذا ثبتت الرؤية أضيئت الأنوار على المتاجر والدكاكين ، والمآذن والمنارات ، وسار قاضى القضاة فى موكب رائع يجمع علية القوم فى المقدمة ، وجمهرة العامة فى الوسط والنهاية ، تحف بهم الشموع والفوانيس ، ويتقدمهم الجند وحملة المشاعل والمباخر ، حتى يصلوا إلى ميدان القلعة ، فيروا السلطان فى سرادقه المنصوب ، وإذ ذاك يتقدم إليه الخليفـة وقاضى القضاة بالتهنئة ، ثم ينهض السلطان ليستعرض أحمال الدقيق والخبز والسكر وطوائف الغنم والبقر المخصصة لصدقات رمضان ، وتمر من أمامه بعد أن يتم عرضها من قبل فى مختلف الشوارع والدروب ، بين تصفيق المشاهدين ، وزغاريد الحاضرات ، وقد كانت دروس الدين تلقى بالمساجد بين المغرب والعشاء أيام الأيوبيين على غير سنن مرسوم ، فختم المماليك على كبار العلماء قراءة صحيح البخارى بالجامع الأزهر

(١) لنا حديث شامل عن هذا الملك العظيم بمجلة الهلال سبتمبر سنة ١٩٥٩ .

من أول ليلة إلا أن تختم أحاديثه ليلة العيد فى احتفال مهيب يحضره السلطان والخليفة وقضاة المذاهب ثم توزع الخلع والهبات على العلماء والفقهاء والطلبة داخل المسجد ، وعلى الأيتام ، والأرامل والمرضى ، والمهاجرين خارجه ، فيكتمل لليلة العيد من السرور والبهجة ما يجعل يومها التالى عيداً بروحه ومعناه قبل أن يكون عيداً بتاريخه وساعاته.

ولعل من الطريف أن نذكر أن الأوقاف على رمضان لم تعرف قبل العصر المملوكى ، فالمماليك أول من رصدوا فى حجج أوقافهم العقارات والأطيان الزراعية لتنفق غلاتها فى إقامة الشعائر الدينية ، وتوزيع النفحات المالية ، طوال أيام رمضان ، ! وذلك لن يكون إلا عن عناية حافلة واهتمام أكيد .

وقد اطردت العناية بهذا الموسم الجليل بعد العصر المملوكى ، فنى أيام محمد على لم يهتم المصريون بالاحتفال الرسمى الذى يتصدره المحتسب والقاضى حين ينهضان مع الجند والأتباع إلى رؤية الهلال ثم يذيعان النبأ ! ! ولكن الشعب يؤلف موكبه بنفسه ، فكل أصحاب حرفة من الحرف كالطحانين والخبازين والجزارين والزياتين والعطارين ، يلتفون حول شيخ الحرفة ، ويتتابعون فى موكب شعبى يطوف بالشوارع الهامة ، وأمام كل حرفة ما يميزها عن غيرها ، لتعرف بدلائلها وأوصافها فلا يتفقدها أحد من المشاهدين ، ويتحول الحى الحسينى بعد العصر من أيام رمضان ، إلى سوق عامرة مكتظة ، إذ أن القاهريين فى القرن الماضى كانوا يرون زيارة مسجد الإمام الشهيد كل يوم قبيل المغرب منسكا يختتم به الصوم ، والجائلون من الباعة يرون ازدحام الناس بالميدان الحسينى فيزيدونه تكدسا بعرباتهم المثقلة ، وسلعهم المختلفة ، حتى يؤذن المغرب فيسرع كل صائم إلى منزله ، ويخلو الميدان المكتظ فجأة من آهليه ، وما هى غير ساعة حتى يعود كسابق عهده قبل الغروب ، فتغص المساجد بالمصلين ، والشوارع بالمارة ، والمقاهى بالسامرين .

أما الريف فقد كان ولا يزال المظهر المحتشم لاستقبال رمضان ، فإضاءة المساجد والمآذن تسبق اليوم الأول من الشهر معلنة قدومه ، وطواف المسحر فى الأزقة والحارات بطبلته ومصباحه تقدم صورة أخرى من تقاليد رمضان ، وكذلك استمرار الذبائح يومياً بالقرى بعد أن كانت لا تشهدها إلا فى المواسم المتفرقة مرتين أو ثلاثا فى العام الطويل ، وإلقاء العظات الدينية بالمساجد عصراً وبعد صلاة الغروب ، والتفاف الأطفال جماعات حول المئذنة ينتظرون الصيحة الأولى من الآذان ، فإذا دوت فى الفضاء تبعها صياح وضجيج ، ثم قراءة القرآن قبل الإفطار فى مجالس عامة تعقد فى منازل الأغنياء وذوى

اليسار ، وتسمى « التعصيرة » ويؤمها المستمعون والمتطلعون إلى الإفطار من ذوى الحاجة وأبناء السبيل ، فإذا أذيع العشاء عقدت مجالس القرآن مرة ثانية فى المنازل ، وتوافد الزائرون من كل ناحية يستمعون ويشربون البارد أو الساخن وفق الزمن والطقس ، حتى يحين وقت السحور فيقدم صاحب المنزل مائدته لمن يريد ثم يتجه المجتمعون إلى صلاة الفجر بالمسجد ، وتزدحم الشوارع الضيقة بالمارة ، حتى لكأن النهار قد سبق ميعاده بساعات ، ولفجر رمضان فى القرى من الروعة والجلال ما لا يبلغه الوصف ، فالمسجد آهل غاص ، والترتيل موقع منسق، والصلاة تكتسب من الخشوع والإقبال روعة لا توجد فى غير فجر الصيام وتراويحه بعد العشاء ، فإذا كادت أيام الشهر أن تنصرم وزعت زكاة الفطر على الفقراء فى عطف وتواد ، واحتفل باليوم الأخير (وقفة العيد) احتفالا تضاعف فيه الذبائح وترتفع الأجور أو تنخفض وفق الإقبال والإعراض ، وما زال الريف فى الجمهورية العربية المتحدة مغرس الإيمان ، ومنبت الخشية والصلاح ، وقد كادت هذه المظاهر الجميلة تزول بعض الشئ من القاهرة والريف، لتقعد أسباب الرفاهية ، وانصراف الصائمين فى رمضان إلى المذياع يقطعون معه سهراتهم الطويلة ، التى تبتدئ بعد الإفطار مباشرة ، وتستمر حتى يصلى الفجر بالمسجد ، على أن الإذاعة تقدم فى برامجها الحافلة السمين والغث فهى تعمد كثيراً إلى إذاعة المسليات الهابطة ترفيهاً عن المستمعين من أغنية تافهة أو تمثيلية ضاحكة ، وأحرى بها أن ترتفع فى أكثر ما تذيعه بالسامعين ، لا أن تكون فى أكثر ساعاتها مدعاة لهو وفراغ . وأذكر أنها عمدت فى رمضان الأسبق إلى كتاب عيسى ابن هشام فمسخته مسخاً يبرأ منه المؤلف ، ويرحب به السوق اللاهى وكان فى عرضه على حقيقته إعلاء للسامع ، ورعاية لمكانة الصوم وتقدير للوعى الناهض ، وقد حمدنا لها أن قدمت كل يوم بعض الفصول الروحية من الحديث ، وندعوها هنا أن تتوسع فى هذه الناحية بحيث يكون الطابع الروحى أكثر من غيره ، ولها فى فصول المراغى وشكيب وشلتوت والرافعى والزيات وفريد وجدى وعزام والعقاد مدد لا ينقطع ، وذخيرة تغنى وتلهم وتدعو إلى سبيل الحق بالحكمة والموعظة الحسنة.

وبعـــد : فإذا كان الاحتفال برمضان فى عهدنا الأخير قد وكل فى أكثر أحواله إلى الإذاعة العربية ـ والتليفزيون أخيراً ـ فإننا نطمع أن نجد لديهما سعة الأفق ، وكمال التوجيه ، وروائع التقدير .

محمد رجب البيومى

فريضة الصيام وتطورها فى المجتمعات الانسانية

للدكتور جمال الدين الرمادى

أقبل شهر رمضان فى هيبته ووقاره، يتهادى على الدنيا، ويتيه بين الشهور والأيام ويحرص المسلمون على الصيام فى هذا الشهر المبارك تقربا إلى الله عز وجل، وتأدية لفريضة هامة من فرائض الإسلام.

وللصيام حلاوته وعذوبته. ومنفعته وأهميته، ولقد حرصت شعوب الأرض منذ نشأة الخليقة على الصيام، ولكن تعددت أشكاله باختلاف الأمم والشرائع، وكان عندهم فى أغلب الأحوال تهذيباً للنفس وترويضاً للحس وعاملا على السمو والارتقاء.

ولعل الكف عن الكلام هو أغرب أنواع الصيام، وقد ذكر العالمان سبنسر وجيلين فى كتابهما عن سكان استراليا الوسطى حالات كثيرة من هذا القبيل، منها أن المتوفى عنها زوجها يجب أن تظل مدة طويلة تبلغ أحيانا عاما كاملا صائمة عن الطعام، ويظهر أن بعض الديانات القديمة كانت تسوغ مثل هذا الصيام بدليل قوله تعالى فى سورة مريم: «إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا. فأشارت إليه».

الإمساك عن الطعام:

والإمساك عن الطعام والشراب يتبع على وجوه شتى فمنه المطلق الذى يشمل جميع المأكولات والمشروبات كصيام الصائبين والمانوية والمسلمين، ومنه المقيد الذى يتم بالكف عن بعض أنواعها كبعض أنواع الصيام عند المسيحيين ومن المتصوفة المسلمين من يصومون طيلة حياتهم عن الطعام والشراب، ولا يفطرون إلا عند الغروب، ويعتقدون أن الصوفى من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، وانقطع إلى الله عن البشر، واستوى عنده الذهب والمدر.

مناسبات الصوم:

ويصوم بعض الشعوب فى مناسبات عديدة منها حدوث ظاهرة غريبة تستهوى الناس وتحير العقول، وتذهل النفوس. مثل حدوث الكسوف أو الخسوف، أو ثوران البراكين، أو حلول الزلازل، لقد كان الإنسان يعتقد أن حدوث مثل هذه الأمور يعتبر غضبا إلهيا منصبا على الدنيا، ومن فيها وما فيها، فكان يتقرب إلى الله تعالى

عن طريق الصوم ، كما أن بعض الشعوب يصوم إذا ما توفى عزيز لديها أو انتزع من أهله انتزاعا ، ويصوم بعض الشعوب ابتغاء التكفير عن الذنوب المقصودة أو غير المقصودة ، أو التحلل من بعض الواجبات أو الالتزامات الدينية التى لا يتمكن بعضهم من أدائها على الوجه الأكمل ، وكم صامت شعوب من أجل التقرب إلى الله تعالى حتى يمس الإنسانية برحمته من جراء وباء خطير ، يحصد النفوس حصدا أو طوفان غزير يدمر المدائن والقرى أو قحط شديد أو حريق هائل يأتى على الأخضر واليابس .

وقد يتخذ الصوم تمهيدا لعبادة أخرى لجعلها مقبولة أو عنصرا هاما من عناصرها ومن ذلك الصوم الذى يسبق أو يصاحب تقديم القربان ، أو إيتاء بالنذور ، أو الوفاء الزكاة وإخراج الصدقات .

وكثير من الديانات الهندية المؤسسة على تقديس الشمس توجب على متبعيها الصيام كل يوم من غروب الشمس حتى شروقها ، ورؤية جرمها بالسماء ، فإن صحبتها السحب عند طلوعها وجب مواصلة الصيام حتى تبزغ ومن الغريب أن هذا النوع من الصيام متبع عند عشائر السناتيموك Snataimuk من قبائل السالیش Saliches وهى إحدى قبائل الهنود الحمر التى يتألف منها السكان الأصليون لأمريكا الشمالية .

وقد فرضت ديانة البوذيين الصيام من شروق الشمس إلى غروبها فى أربعة أيام من كل شهر قمرى هى أيام اليوبوزاتا Uposatha وتقع فى مبدأ كل منزلة من منازل القمر الأربع كما أوجبت الراحة التامة ، وحرمت مزاولة أى عمل حتى إعداد طعام الإفطار ، ويصوم الخرسانية والكلدانيون والصائبة أحد وعشرين يوما فى تشرين الثانى « نوفمبر » منها تسعة أيام لرب البخت ، ويفتون فى كل ليلة الخبز ، ويخلطون معه الشعير والتين واللبان ، ويرشون عليه الزيت .

والصوم عند المسيحيين هو الانقطاع عن الطعام والشراب مدة محدودة من النهار ، ثم يتعاطى الصائم مأكولات خالية من الدسم ؛ تذليلا للنفس والجسد ، وتنويراً للعقل ، وله فوائد منها أنه يشعرهم بحالة المحتاجين لكى يرثوا لحالهم ، وليشعروا بخطاياهم ، والصيام أنواع عند المسيحيين ، منه صيام يوم الأربعاء من كل أسبوع ، لأنه تمت فيه المشورة على موت المسيح ، ويوم الجمعة من كل أسبوع لأنه صلب فيه - كما يعتقدون - وصوم الميلاد ومدته ٤٣ يوما ، ويمتنع الصائم فيه عن الأكل والشراب حتى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وهناك صوم تينوس ، والصوم

الكبير ، ومدته ٥٥ يوما ، وصوم السيدة العذراء ، والبرامون الذى يسبق عيدى الغطاس والميلاد إلخ .

تربية النفس :

والواقع أن الصيام عند المسلمين تربية للنفس ، وإيقاظ للدوافع الكامنة فى نفس الإنسان ، وتعديل سلوكه وميوله وغرائزه الفطرية تعديلا صالحا ، وقد شرع الإسلام الصيام تخليصاً للنفس من أدران المادة ، ورياضة لها حتى تستقيم على منهاجها السوى فتعدل عن بذل قواها لمزاحمة الغير والتسلط عليه بغير حق ، وإلى بذلها لتطهير نفسها ، والتسلط على إرادتها ، وهو فرض على كل مسلم عاقل مقيم طاهر قادر على الصوم .

وكان النبى عليه السلام وأصحابه يتناولون عند الغروب تمرات ثم يقومون للصلاة ، فإذا أدوها عادوا لتناول ما تيسر من الطعام دون إفراط ، ومكثوا للعشاء فصلوها ، ثم قاموا إلى مضاجعهم أو إلى عبادتهم حتى قرب الفجر ، ثم هبوا لتناول ما تيسر من الطعام ، ثم توضأوا واستعدوا لصلاة الصبح فإذا قضوها ذهبوا إلى أعمالهم حتى الظهيرة ، فيقيلون إلى نحو العصر ، ثم يقومون للصلاة منتظرين الغروب .

ولقد خصص النبى اعتكافه فى العشرة الأيام الأخيرة من شهر رمضان ، لجعله اعتكافا وثيقا ، وهو الذى طالما صام وانقطع عن الزاد زاهداً متعبداً ، ملهما الإيمان فى غار حراء . فكان يغدو صائماً مصلياً مسبحاً تالياً كتاب الله القدير ، احتراما لفريضة الصوم وإكراما لكتاب الله الذى أنزل فى هذا الشهر ، طامعاً فى التقرب إلى الله تعالى ، وكان يقول وهو خاشع متبتل من خشية الله :

(المعرفة رأس مالى ، والعقل أصل دينى ، والحب أساسى ، والشوق مركبى ، وذكر الله أنيسى ، والثقة كنزى ، والحزن رفيق ، والعلم سلاحى ، والصبر ردائى ، والرضا غنيمتى ، والفقر فخرى ، والزهد حرفتى ، واليقين قوتى ، والصدق شفيعى ، والطاعة حسبى ، والجهاد خلقى ، وقرة عينى فى الصلاة) .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أفطر قال : (اللهم لك صمنا ، وعلى رزقك أفطرنا . فتقبل منا إنك أنت السميع العليم) . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من قال اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، وعليك توكلت ، كتب له من الأجر بعدد من صام ذلك اليوم) وكان إذا أكل قال : (الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وأشبعنا ، وآوانا فكفانا) وكان يقول لعلى رضى الله عنه : (إذا شربت ماء فقل الحمد لله

الذى سقانا ماء عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا تكتسب شاكرا).

وقد ألهم رمضان الأدباء والشعراء واعتبره بعضهم حبيبا عزيزاً ، لا يودون فراقه ، ولا يبتغون الانصراف عنه ، أو التخلص منه فقال العتابى الشاعر :

شهر الصيام غـدآ مواجهنا
فليبهجن رعيـة النسك
أيامه كونى سنين ولا
تفنى فلست بسائم منك

كم قال شاعر آخر :

قد جاء شهر الصوم فيه الأمان
والعتق والفوز بسكنى الجنان
شهر شريف فيه نيل المنى
وهو طراز فوق كم الزمان
طوبى لمن قد صامه واتقى
مولاه فى الفعل ونطق اللسان

واهتم الشعراء بوصف لياليه وأسماره وتقاليده وعاداته كأكل القطايف والكنافة وما إليها وجاء ذكرها فى شعر كشاجم وابن الرومى وغيرهما ، ووصف بعضهم القطايف بحقاق العاج أو الوصائف فقال شاعر :

لله در قطايف محشوة
من فستق دعت النواظر واليدا
شبهتها لما بدت فى صحنها
بحقاق عاج قد حشين زبرجدا

وقال شاعر آخر :

وقطايف محشوة بلطائف
طافت بها أكرم بها من طائف
شبهتها نضرت على أطباقها
بوصائف قامت بجنب وصائف

وقال الجزار الشاعر فى وصف الكنافة :

ومالى أرى وجه الكنافة مغضبا
ولولا رضاها لم أرد رمضانها

وهكذا كان رمضان وكانت أطايبه ملهمة للأدباء والشعراء غير أن الصيام ليس هو الصيام عن الطعام ، فقد صدق الرسول الكريم حين قال : (كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش) وحين قال كذلك: (من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) فلا بد ألا يقترن الصيام بمعصية أو يصاحبه إثم أو تحف به غيبة أو نميمة ، أو يكتنفه شر من الشرور .

الصوم حماية ودواء للمجتمع :

وقد أثبت الطب فائدة الصوم فى إراحة الجسم عما يعانيه من جهد متواصل فى العمل ووقاية النفوس من التهور واليأس من مواجهة الصعاب - كما يعد تدريبا لخلايا الجسم - ومنها خلايا المخ والأعصاب على التقشف - والاحتفاظ بحيويتها ونشاطها . لأن الامتناع

عن الطعام والشراب يؤدي إلى هبوط مقدار السكر فى الدم - أى مقدار الغذاء اللازم لهذه الخلايا ، ويجدى فى حالات المرض وتصلب الشرايين كما ثبت أن الامتناع عن الأطعمة الدهنية الدسمة يقلل من البشرة الدهنية والإكزيما الدهنية ، والالتهاب الجلدى الدهنى كما أن الامتناع عن تناول ألوان معينة من الطعام يفيد فى معالجة أمراض زيادة الحساسية مثل الأكزيما والأرتيكاريا ، والحكة الجلدية وما إليها .

كما أثبت علم النفس أن الصوم تربية صحيحة للنفس وكبح لشهواتها ، وهذه التربية الصحيحة للنفس هى الدعامة الأولى للفضيلة كما يرى العلماء والفلاسفة فالمفكر الفرنسى الشهير جان جاك روسو يعتقد أن التربية الصحيحة هى ترقية الفضيلة فى الإنسان ولا يتأتى ذلك إلا بطرق عملية لإيقاظ القوى الطبيعية الكامنة فى النفس وترقيتها ، ويرى الفيلسوف « كانت » أن التربية سبيل لترقية الإنسان إلى درجة الكمال أما هربرت سبنسر Herbert Spencer فيرى أن التربية توجه عنايتها إلى الناحية النفسية الخلقية ، وتكوينها تكوينا اجتماعيا صحيحا يتفق والتعاليم الدينية .

ولو أننا درسنا الصوم دراسة وافية لأدركنا أنه أكبر حافز على تربية النفس وترويضها ، وخلق الإرادة الحازمة ، والصبر على المكاره وما تأتى به حوادث الأيام من الشدائد والمحن وهو ما دعا إليه الإسلام قبل أقطاب الفلسفة والتربية فى أوربا .

وما أصدق الرسول الكريم حين قال : (الصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم ، فلا يرفث ، ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله ، فليقل إنى امرؤ صائم والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما . إذا أفطر فرح ، وإذا لقى ربه فرح بصومه) .

فما أخلقنا أن نتعلق بهذه التربية الكريمة ، ونتمسك بهذا الهدى النبوى المبين ، وهذه الموعظة الربانية الحسنة ، موعظة الصوم فى هذا الشهر المبارك .

دكتور

جمال الدين الرمادى

بغـــداد

بغــداد يا دار للسلام على الوجود   مجد العروبة من ديارك لن يبيد

فشبابك المقدام يقتحم السدود   حفظ الأمانة عبر ماضيك التليد

الأستاذ الأكبر الشيخ ابراهيم حمروش

للأستاذ محمد على النجار

نص الكلمة التي ألقيت في حفل التأبين
الذي أقامه مجمع اللغة العربية في يوم الأربعين

أعزز علىّ بأن أقوم بتأبين الأستاذ الأكبر الشيخ ابراهيم حمروش (١) وأن أقف هذا الموقف أعدد فيه مآثره، وأعرض حياته الحافلة بكل جليل، فتزيدني ذكراه أسفا وأسى، وتبعث فيّ من البث والحزن ما أجهد أن أنساه فلا ينسى.

ولقد حرصت أن أجنب هذا المقام فلم يقدر لى. فاللهم ارزقنا الصبر والعزاء على هذا المصاب الجلل.

ولقد تعلقت بأسبابه، ووصلت حبلي بحبله في سنة ١٩٣٧ حين عملت في التدريس في كلية اللغة العربية وكان عميدها، فأولاني من عطفه، وأخذ بضبعي، وكان لى منه الخير الكثير.

صحبته إذن، وقد استوى على صهوة المجد والشرف الباذخ. فهو من رجالات الأزهر وأولى الأمر فيه، وهو عضو في مجمع اللغة العربية، وهو حجة في علوم الدين واللغة.

كان جامعا بين الحزم في سياسة الكلية وتدبير الأمور في الأزهر، والاضطلاع بالمطالب العلمية التي يتطلبها المجمع والأزهر.

كان ساهراً على رعاية الكلية، خبيرا بما فيها، لايشذ عنه شيء من أحوالها. حريصا على أن تتبوأ المركز اللائق بها، فكان يختار لها المدرسين الكفاة من الأزهر وغيره، وكان ينظم امتحان مسابقة لدخول الطلاب فيها، ولم يكن ذلك مسنونا في قانون الأزهر، ولكنه الحرص على أن يكون طبقة ممتازة من الطلاب.

ولقد كان يطوف بحجر الدراسة في اليوم غير مرة، ويسأل الطلبة في دروسهم، ويقف على درجة تقدمهم وتخلفهم، ويطب لكل مقام بما يقتضيه.

ولقد مرت فتن سياسية وأعاصير هوج كان الطلبة يسلكون فيها في بعض الحين مسلك الشطط والنزق، فكان يعالج الأمر بالحزم والكياسة، يخلط الشدة باللين، والمخاشنة بالمحاسنة، فيعود الطلبة طوع يديه، يأتمرون بأمره ويقفون حيث أحب.

ولقد بلغت كلية اللغة العربية أوج مجدها، وكانت غرس يديه.

وترك كلية اللغة إلى كلية الشريعة في ٢٤ من أكتوبر سنة ١٩٤٤م فأصلح من شأنها،

---

(١) ولد الشيخ ابراهيم حمروش: في ربيع الأول ١٢٩٧ هـ أول مارس ١٨٨٠ م — وتوفى في ٢٦ جمادى الأولى ١٣٨٠هـ — ١٥ نوفمبر ١٩٦٠م.

وقوم من أودها ، وثقف من قناتها ، وكان له فيها أثر محمود حتى استقال من رياستها فى ٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٤٥ م على أثر أمور فى الأزهر لم ترضه . ولكنه بقى عضوا فى جماعة كبار العلماء .

وأسند إليه منصب مشيخة الأزهر فى ٣٠ من ذى القعدة سنة ١٣٧٠ هـ (٢ من سبتمبر سنة ١٩٥١ م) وبقى متقلداً هذا المنصب الجليل حتى يوم ٩ من فبراير سنة ١٩٥٢ م .

وكان الوطن فى أيام توليه مشيخة الأزهر فى محنة مع الإنكليز فى قناة السويس وفى حاجة إلى جمع الصفوف وتوحيد الكلمة ، فكان للشيخ السهم الموفور فى هـــذه الدعوة الشريفة » .

فنراه ينشر على الناس فى يوم ١٩٥٢/١/١٥ كتابا يقول فيه :

« أيها المصريون ، أتوجه إليكم فى هـذه الظروف التى غشيتكم فتنتها ، وحزبتكم شدتها ، أن تكونوا إخوانا فى الوطن متآخين متحابين ، رائدكم الإخلاص لبلادكم وأنفسكم « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

« وإن شر ما تبتلى به الأمم فى محنتها أن تتفرق كلمتها ، وأن تنحل وحدتها ، وتنقطع أواصر المودة بين جماعاتها ، فيشق العدو الطريق إليها ، وينفذ بسهامه إلى صدور أبنائها » .

« وهذه مصر ، بلادكم العزيزة ووطنكم المحبوب تناديكم جميعا ، شيبا وشبانا ، رجالا ونساء ، أقباطا ومسلمين ، أن تكونوا سهاما مسددة نحو عدوها ، وأن تلقوا الغاصب صفا واحداً كأنكم بنيان مرصوص ، بقلوب لا تعرف إلا الوطن والدفاع عن حوزته » .

« وأذكركم - حتى لا يغيب عن أذهانكم - تاريخ هـذا الغاصب الرابض فى دياركم ، وما اعتاده من سياسة التفريق طلبا للسيادة ورغبة فى السلطان وبسطا للنفوذ ، لمصلحته هو لا لمصلحة أحد سواه . وأذكركم جميعا مسلمين وأقباطا بماضيكم المجيد . فقد قمتم كتلة واحدة تطالبون باستقلال البلاد واستكمال حريتها ، وتبوئها مكانة سامية بين الأمم . وأشهدتم العالم كله على وحدتكم وائتلافكم » .

« وإنى أعيذكم بالله من التفرق واختلاف الكلمة ، فتضيع جهودكم الكبيرة التى بذلتموها فى سبيل عزتكم وعزة بلادكم » .

« واعلموا أن النصر المؤزر لقضيتنا رهن باتحاد صفوفنا واجتماع كلمتنا ، ووقوفنا جميعا فى وجه عدونا ، حتى تظفر بلادنا بما تصبو إليه من السيادة والحرية والاستقلال ، ويتمتع أهلها جميعا بالأخوة الصادقة والاطمئنان على أموالهم وأنفسهم » .

وحين اشتد حنق الإنكليز فى القنـــاة والإسماعيلية فأنزلوا عذابهم على القرى

الآمنة أصدر الشيخ منشورا جاء فيه :

« إن شعب وادى النيل الباسل فى كفاحه السلمى لإخراج المغتصبين المحتلين من بلاده لم يجاوز حقه الشرعى فى الدفاع عن عقيدته والمطالبة بحريته ، ولكن هذا الدفاع لم يرق فى أعين المحتلين من الإنجليز ، فعملوا بكل الوسائل العدوانية على توهين وحدته ، واندسوا فى صفوفه ، يشيعون الأراجيف لتفريق كلمته . فلما واجههم الشعب وحدة متراصة ، وقام فى وجههم على قلب رجل واحد يطالب بحقه فى الحياة الحرة طاشت أحلامهم ولجئوا إلى القوة الغاشمة يسلطونها على الآمنين فى ديارهم ، وعلى النساء فى خدورها ، وعلى الأطفال فى مهادها » .

« وكلما زاد الشعب تمسكا بحقه وصبرا على هذا العنت زاد عسفهم ، وتعددت مظالمهم ، حتى خرجوا على كل شرعة ، وبزوا كل ماعرف من أعمال التنكيل التى اشتهرت بها محاكم التفتيش ، وما قام به النازيون من أعمال وحشية ، فأزالوا القرى الآمنة من الوجود بدباباتهم ، وهدموا البيوت بمدافعهم الثقيلة ، وشردوا النساء والأطفال الأبرياء ، وانتهكوا كل الحرمات ، واعتدوا على المساجد والكنائس ، ولم يبق جرم إلا ارتكبوه ، ولا شناعة إلا فعلوها . ولم تقف شناعتهم عند حد ، فراحوا يطلقون النار على حفظة الأمن ورجال الشرطة ، ويقتلونهم تقتيلا فى رائعة النهار ، ويأسرون من نجا منهم ... » .

« وإنى باسم الأزهر علمائه وطلابه لأعلن استنكارى لهذا الإجرام الفظيع الذى انتهكت فيه الأعراض ، واستبيحت الأموال واعتدى على حرية الإنسان وحقه المشروع فى أن يطالب بحريته واستقلاله ، وأحتج بشدة على هذه الأعمال العدوانية التى تنافى جميع الشرائع والأديان . وأهيب بالضمير العالمى أن يثور على هذا الوضع المهين لكرامة الإنسان ، وأن يهب لوقف هؤلاء المستبدين عند حدهم ، ليعلموا أن فى العالم ضمائر تتحرك لنصرة الحق ، ونفوسا تثور للأخذ بيد العزل المكافحين لنيل حرياتهم .. » .

وليعلم الإنجليز أن هذه الفظائع التى يصبونها على رءوس أبنائنا لن تلين للشعب قناة ، ولن ترده عن المطالبة بجلائهم الناجز عن وطننا العزيز ، وأن وادى النيل كله لن يسكت بعد اليوم على ضيم يراد به ، ولن يفرط فى حق من حقوقه ، مهما ابتلى بالشدائد ومهما ضحى من أرواح غالية .... » .

« وإنى إذ أستمطر رحمة الله ورضوانه على شهدائنا الأبرار أتوجه إلى أبناء الوطن جميعا مناشداً إياهم أن يشدوا من عزائمهم ، وألا يجعلوا لهذه الأحداث أثراً فى نفوسهم ، فلايهنوا ولا يحزنوا ولا يضعفوا ، وهم

الأعلون إن شاء الله . فلا بد للجهاد من تضحية وللحرية من ثمن . يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

وإن النيل من الإنجليز وجبهم بالغليظ من القول فى ذلك العهد لم يكن بالسهل الهين ، ولا يقاس به عهدنا الحاضر الذى نعمنا فيه بجلائهم وذهاب سلطانهم عنا . فقد كان الإنكليز لا يزال لهم من السلطان على صاحب القصر ورجاله الشىء الكثير ، وكان القدح فيهم لا يطور به من ذوى المناصب إلا من لا يتمسك بمنصبه ، ويؤثر الحق على زينة السلطان وجلاله الكاذب ، وأكبر الظن أن إقالته من المشيخة ترجع إلى هذا المنزع السياسى الذى ضاق به الإنكليز .

وإنى أقص هنا سيرة الشيخ ونشأته حتى استوى سيد اجليلا .

ولد الشيخ فى قرية الخوالد التابعة لمركز إيتاى البارود من أعمال مديرية البحيرة فى العشرين من شهر ربيع الأول ١٢٩٧ ﻫ (أول مارس ١٨٨٠ م) ونشأ فيها فحفظ القرآن الكريم حين بلغ الثانية عشرة من عمره ، وأرسله والده إلى الأزهر ، وكان يحكى أن والده إذ ودعه حين ذاك أوصاه أن يحافظ على الصلاة لأول وقتها ، وحافظ الشيخ على هذه الوصاة طوال حياته ، فإذا دخل الوقت كان أكبر همه أن يؤدى الصلاة ، وفى يوم وفاته قدر له أن صلى العصر ، ولم يلبث أن وافاه الحمام .

وجاور الشيخ فى الأزهر فأخذ عن الشيوخ المتفعين الذين كان الأزهر ملآن بهم . وكان الشيخ ذكيا ثقفا لقفا عرف بالذكاء والزكانة طول دهره ، فحصل تحصيلا عجبا ، وفطن لدقائق العلوم ، واستحكمت عنده الملكة الأزهرية .

وقد تلقى الفقه الحنفى عن الشيخ أحمد أبى خطوة واختص به ، وكان يثنى عليه كثيراً ، وأخذ عن الشيخ محمد بخيت وأخذ النحو على الشيخ على الصالحى المالكى . ولزم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فى دروسه فأخذ عنه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز والبصائر النصيرية فى المنطق . وقد يرجع إلى تلمذته للشيخ محمد عبده الفضل فى تحرر فكره واتساع أفقه وحسن التصرف فيما يعلم .

وكان إلى جانب اشتغاله بعلوم الدين واللغة يشتغل بالعلوم الرياضية ، وكان رياض باشا رحمه الله قد أعد مكافآت مالية لمن يفوز فى امتحانات الرياضة ففاز الشيخ فى هذه الامتحانات غير مرة .

وقد أتم تحصيله فى سنة ١٣٢٤ ﻫ (١٩٠٦) وتقدم لامتحان شهادة العالمية وكان صغير

السن بين أقرانه فى ذلك الحين . وكان امتحان العالمية فى أصول الفقه يكون فى مسألة من مسائل مقدمة جمع الجوامع ، ورأى شيخ الأزهر الشيخ عبد الرحمن الشربينى تجاوز المقدمة والامتحان فى مسألة أخرى حتى لا يقصر الطلبة جهودهم على المقدمة ، فعيّن مسألة للامتحان فى القياس فتخلف عن الامتحان كثير ممن جاء موعد امتحانهم ، فأبيح التقدم لمن بعدهم وتقدم الشيخ ففاز فى امتحان دقيق كان شيوخنا يحدثوننا عن عسره وكان الطالب يقضى فى الامتحان سحابة نهاره ، ولكن الشيخ لم يتجاوز ثلاث ساعات ، وكان الامتحان فى أربعة عشر علما.

وعقب تخرجه نظم فى سلك مدرسى الأزهر فى ٢١ من نوفمبر سنة ١٩٠٦ . وكان رحمه الله أحيانا يتحدث بما أفاء الله عليه من النعمة ، وما كان عليه الأزهر فيقول : كان مرتب المدرس فى الأزهر خمسة وسبعين قرشاً فى الشهر ، ولقد كان أول ما تسلمته بعضا من هذا القدر إذ كان دخولى فى التدريس فى أعقاب الشهر ، ولقد كان فرحى بهذا المال الذى هو أول مال اكتسبته من الأزهر عظيما : إذ كان فيه وصل لحبلى بحبال علماء الأزهر . وقد اختير لتدريس الرياضة بعد ، وكان يتقاضى على ذلك خمسين ومائة قرش فى الشهر ، وهو مع ذلك يدرس العلوم الدينية واللغوية . ويذكر بعض من تلقى العلم عنه فى هذه المدة فيقول : كان الشيخ جميل البزة مونقها غير متزمت فى هديه ، يلقى الدرس فى ترتيب عجيب وسياق لطيف يأخذ بألباب السامعين ، يبعد عن الحشو والتطويل واللغو من القول ، ولا يطيل فى المباحث اللفظية ، له نغمة حلوة فى الإلقاء تجذب الطلاب .

وفتحت مدرسة القضاء الشرعى فى ذلك العهد ، وكان على أمرها عاطف بركات رحمه الله ، وكان يختار لها من الأزهر المبرزين الفوقة ، فذكر له الشيخ فاختاره ، وكان ذلك فى سبتمبر سنة ١٩٠٨ فبقى فيها إلى ١٢ يونية سنة ١٩١٦م . وقام فيها بتدريس الفقه وأصول الفقه ، فتخرج عليه الثقات الكفاة الذين تقلدوا مناصب القضاء ، والإفتاء ، أذكر منهم الشيخ فرج السنهورى ، والشيخ حسنين مخلوف ، والشيخ حسن مأمون . والشيخ علام نصار ، وغيرهم كثير.

وولى بعد المدرسة منصب القضاء الشرعى ، فكان القاضى الفاضل الذكى البصير بالأحكام ومكايد الخصوم ، الصادع بالحق ، الناطق بالفضل ، وكان أخوه الشيخ أحمد حمروش قاضيا ، وكذلك كان عمه الشيخ عبد الحميد حمروش قاضيا ، فهو من أسرة تأثل فيها هذا المنصب الرفيع . ولقد عرفه فى ساحة القضاء الشيخ المراغى رحمه الله ، فلما ولى مشيخة الأزهر نقله إلى الأزهر يستعين به

فى أمره ، فكان له فى الأزهر اليد الطولى فى شئونه وتقلب فى مناصبه حتى صار شيخا لكلية اللغة العربية فى ١٣ يونية سنة ١٩٣١ .

وتتوج حياته العلميـة فى الأزهر بدخوله فى جماعة كبار العلماء فى ٢٨ من صفر سنة ١٣٥٣هـ (١٠من يونية سنة ١٩٣٤م) .
وقد قدم لنيل هذه الدرجة رسالة جليلة فى « عوامل نمو اللغة » تدل على تحقيق ودقة نظر فيما تناول من المسائل ، يقول فى مقدمتها :

« وبعد : فإن اللغة العربية بفضل عواملها المتعددة رحب صدرها ، واتسع نطاقها ، وكثرت مادتها ، وتنوعت أبنيتها ، وصار لها جمال المنطق وجـلال الدلالة وحسن الديباجة ولطف العبارة ، وقد وسعت بتلك العوامل علوم اليونان والفرس وغيرهما ؛ وصارت لغة العلم والدين » .

« وقد كتبت كلمة فى التوليد بالزيادة والإبدال والقلب والاشتقاق والترادف والاشتراك والمجاز والنحت والارتجال والتعريب » .

وأذكر هنا مبحث التعريب فى ختام الرسالة ليكون نموذجا لمباحثها . وعنوان البحث : « أثر التعريب » : « فى التعريب زيادة مادة اللغة بالألفاظ الدخيلة فيها ، وقـد أجرت العرب على بعضها أحكام الألفاظ العربية من القلب والاشتقاق وغيرهما ، وقد جرى العلماء على تسمية ما أدخله العرب بالمعرب ، إلى أن اختلطت العرب بغيرها وفسدت اللغة وما أدخله غير العرب بعـد فساد اللغة والاختلاط بالأعاجم سموه مولدا ، وهناك قسم آخر يسمى بالعامى ، وهو ما أخذ من غير مادة عربية ، أو من مادة عربية ولكن بتحريف وتبديل لا تجيزه قواعد اللغة » .

« بقى الكلام الآن فى أمر هو محل نزاع الباحثين وموضع اهتمامهم ، وهو أن المعانى الجديدة ، والمستحدثات العصرية كثرت وتعددت بعد أن وقف التعريب ، وأصبحت اللغة العربية لا تنهض بالدلالة على تلك المعانى ولا تقوم بحاجة التعبير عنها ، فهل للموجودين أن يعربوا ألفاظ المعانى والمستحدثات تمشيا مع الحاجة ، ودفعا للضرورة ورفعا لعيب نقص اللغة العربية عن الاضطلاع بحاجة أبنائها » ؟ .

« ذهب فريق إلى التعريب ، وقال : إن اللغة كائن حى كسائر الموجودات وكل موجود حى يتدرج فى الرقى ، وكما تدرج أهـل اللغة يجب أن تتدرج اللغة ، وإن التعريب يؤدى إلى اتحاد لغـة العلم ، ويحفظ للمخترع اسمه ، ويبقى له ذكره » .

« وذهب فريق إلى أنه لا حاجة إلى التعريب وأن اللغة العربية يمكن أن تنهض بالدلالة على المعانى الجديدة باتخاذ الوسائل المؤدية إلى ذلك ، فعندنا مهجور فى اللغة لا يستعمل الآن ، وبنقله إلى المعانى الجديدة يقوم بالدلالة

على بعضها ويتداول بين الناس فتحيا به اللغة العربية . وعندنا المجاز ، وهو يدل على غير الموضوع له بواسطة العلاقة والقرينة وعلاقاته كثيرة متعددة، وعندنا المشتق، ومنه قسم مطرد».

«وبهذه الوسائل يمكن اللغة العربية النهوض بالدلالة على المعانى الجديدة».

«على أن فى التعريب فشو الكلمات الدخيلة فى اللغة، وهو يودى باللغة الفصيحة، ويذهب بجمالها وورونقها . وفى ضياع اللغة الفصيحة تعطيل الأداة الصالحة لفهم القرآن والحديث، وهما عماد الدين وإليهما يرجع المسلمون».

«وفى جواز التعريب ضياع أخص مميزات الجنس العربى ؛ لأن الجامعة الجنسية لا تكون بغير اللسان العام الذى يتفاهم به الجميع على السواء . فلو تساهل كل شعب فى استعمال ألفاظ أعجمية لضاعت روابط الجنسية ، وأصبح لكل شعب لسان خاص».

«وأما أن التعريب يوحد لغة العلم ويحفظ للمخترع اسمه فكلام لا يلتفت إليه ؛ فإن اتحاد لغة العلم إنما يكون إذا اتحدت أبجديات الأمم وهى مختلفة جداً . وحفظ اسم المخترع لا نبالى به إذا كان فى عدم الالتفات إليه صيانة اللغة العربية».

«هذا حاصل كلام الفريقين باختصار . وأرى أنه إذا أمكن باتخاذ الوسائل المتقدمة أو باتخاذ وسائل أخرى غيرها أن تنهض اللغة العربية للدلالة على جميع المعانى والمستحدثات العصرية فلا نقدم على التعريب حفظا للغتنا العربية التى هى أداة فهم القرآن والحديث اللذين هما أساس الدين وعماده . وإن لم يمكن أن تقوم اللغة بعد اتخاذ الوسائل بالدلالة على جميع المعانى أقدمنا على التعريب بقدر الحاجة فقط ، مع المحافظة على اللغة الفصحى ، بأن نذكر اللفظ ونذكر بجانبه معناه ، وأنه مما عرب للدلالة عليه ، ونبين تاريخ التعريب ، فيكون ما وضعه المتقدمون معروفا ، وما ألحق باللغة معروفا ، فتتحقق المحافظة على الموروث عن السلف».

وأراني قد ألممت ببعض حياته فى الأزهر، وسألم ببعض حياته فى المجمع .

دخل الشيخ — رحمه الله — المجمع لأول نشأته فى سنة ١٩٣٤ م فاختير فى معظم لجانه، وشارك فى بحوثه ، وكان من الرعيل الأول الذين أرسوا قواعد المجمع وأقاموا عمده . وكان له فيما يعرض فى اللجان ومجلس المجمع ومؤتمره الرأى السديد والبصر النافذ واللحظ الناقد والبحوث المستفيضة فى الشئون العلمية .

ومن آرائه أن اللفظ المولد إذا اشتهر يستعمل فى غير اللغة والأدب .

وعرض المجمع فى بعض جلساته لرسم المصحف وطلب إلى الشيخ أن يكتب رأيه، فكان رأيه الوقوف عند الرسم المعهود له ، ولا ينبغى كتابته بالرسم العادى ؛ لأنه عرضة للتغيير والتبديل فى كل عصر ، فلو أبيح هذا

لتعدد رسم المصحف ، وكان مظنة لأن يعزى إليه الاختلاف لحفظ القرآن وصونه يقضى بإبقاء رسمه على الكتبة الأولى .

وقدم أحد الأعضاء المراسلين بحثا فى كلمة « الضرر » رأى قصره على الزمانة وفقد البصر وأنه مصدر لفعل لازم على زنة فرح ، وإن لم يجىء هذا الفعل فى المعاجم ، وأنه لا يقال : أصاب فلانا الضرر فى ماله أو فى حميمه مما ليس بداء لازم وخطأ الجوهرى فى جعله الضرر اسما بمعنى الضر ، وارتاب فى الحديث : لاضرر ولاضرار ، وأثار مسألة الاحتجاج بالحديث فى اللغة فقدم الشيخ بحثا رد به حجج هذا الباحث وأورد من الشواهد مالا يقبل الجدل ؛ كقول جرير :

فإن تدعهم فمن يرجون بعدكم
أو تنج منها فقد أنجيت من ضرر

وقول أبى تمام :

لو كان فى البين إذ بانوا لهم دعة
لكان فقدهم من أعظم الضرر

وله بحث قيم فى التضمين ونيابة بعض الحروف عن بعض ، وبحث فى الاشتقاق الكبير .

وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ عجيب الاستحضار لما يقرأ ويسمع ، كثير المحفوظ من الشعر ، حسن الاستشهاد به فى المقامات المناسبة ، جرى مرة فى لجنة الأصول الحديث فى التضمين ، وأنكر بعض الحاضرين أن يضمن فعل متعدّ معنى فعل آخر متعد ، فقال الشيخ : أذكر قول الشاعر :

علفتها تبنا وماء باردا

وقد قال اللغويون : إن علف هنا مضمّن معنى أطعم ، وكلاهما متعد .

وكان بيته محجة أولى العلم ينهلون من مورده العذب ، ويجدون ما طاب من حديث فى دقائق العلم ممزوجا بفكاهة حلوة وطيب سمر ، وكان الشيخ طيب النفس بعيدا عن التزمت مؤنسا للجليس لا يمل مجالسه . وفى يوم الجمعة الذى توفى بعده اجتمع الشيوخ عنده عقب الصلاة فجرى البحث فى تفسير قوله تعالى : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض » . وأفاض الشيخ فى الحديث فيها ، وكان الشيخ يفسح الكلام لمن يتكلم ويعقب برأيه السديد .

وكان رحمه الله عطوفا على ذوى الحاجات يسعى فى قضاء حاجهم بما له من جاه عند أولى الأمر لا يدخر وسعا فى ذلك ، ولقد رعى أسرا عضها الدهر بنابه ، وأناخ عليهم بكلكله ، حتى استقام أمرها ، وبان رشدها .

وإن الأزهر والمجمع ليبكيان فيه التقى والصلاح والعلم الجم والفضل الغزير ، فرحمه الله رحمة واسعة ، ورزقنا العزاء والأجر على التأسى بفقده ، وأسكنه فى جنات النعيم ؟

محمد على النجار

المسلمون في الهند

للأستاذ أبو الحسن علي الندوي

كنت في رحلتي في الشرق الأوسط أواجه سؤالا يتكرر ويوجه في كل مجلس وفي كل مناسبة ما عدد المسلمين في الهند ؟ فأجيب إنهم أربعون مليونا ، وهناك يندهش الناس ويندفع بعضهم قائلا ياسلام . . ! أربعون مليونا ، فلولا ثقتهم بالضيف ولولا الجد في الجواب والصرامة لسارعوا إلى التكذيب أو الشك على الأقل ؛ لأنهم كانوا ينتظرون أن يكون المسلمون في الهند ، بعد ما سمعوا من موجات الهجرة الكبيرة وعدد النازحين الضخم ، أنهم سيكونون مليونا واحدا فضلا عن أربعين مليونا ، إذن فلا غرابة في استغرابهم .

لقد كانت هذه مفاجأة لا تفارقني أينما حللت ونزلت ، مفاجئة الطرفين ، مفاجئة للسائلين عن عدد المسلمين في الهند ومفاجئة للمجيب لاستغرابهم .

وهناك مفاجئات أخرى فيما يتصل بالمسلمين في الهند ، فالذين كانوا يعرفون أن في الهند عددا كبيرا من المسلمين - على قلة هؤلاء - كانوا يعتقدون أن المسلمين لا شأن لهم في هذا القطر العظيم ، ليست لهم حضارة خاصة ولا ثقافة واسعة ولا آداب سامية ، ولا مؤسسات علمية ولا نشاط ولا إنتاج في العلم والأدب ، إنما هم كالرعاع أو أمة قد أفلست في كل مقومات الحياة وفي كل ما تعتز به أمة من علم وأدب ، ودين واجتماع ، وأخلاق ومروءة .

بل كان بعض الإخوان يسأل هل في الهند مساجد ؟ هل فيها مدارس دينية ؟ هل عندكم علماء ؟ هل يوجد هناك من يحسن أن يقرأ القرآن ؟ هل هنا من يفهم العربية ؟ أسئلة تدل على أن معلومات إخواننا العرب عن المسلمين في الهند بسيطة جدا ، وتدل كذلك على أنه قد أثير نقع كبير حول المسلمين في الهند .

ويدل كذلك على تقصير علماء الهند في القيام بمهمة التعريف بهذا القطر العظيم وبهذه الأمة الإسلامية العظيمة التي مثلت دورا رائعا في تاريخ الإسلام وتاريخ العلم العام . وأضافت ثروة ذات قيمة عظيمة إلى مكتبة الإسلام

العامة ، وأتحفتها بطرف غالية تتجمل بها المكتبة العربية وتزدهى على سعتها وغناها ، وتفردت ببعض العلوم الإسلامية ، التى كانت ولا تزال فيها الهند زعيمة العالم الإسلامى وحاملة لوائها عدة قرون كعلم الحديث والفقه وأصوله فى القديم ، والسيرة النبوية وعلم الكلام وشرح النظام الإسلامى فى هذا العصر .

وأنجبت رجالا شهد لهم علماء العرب بالفضل وعكفوا على كتبهم ومؤلفاتهم ينقلون ويقتبسون ، ويستدلون ويحتجون ، كالإمام الصغانى اللاهورى صاحب العباب الزاخر ، والسيد مرتضى البلكرامى الزبيدى دفين مصر صاحب تاج العروس ، والشيخ أحمد السرهندى صاحب الرسائل الخالدة فى الحكم الشرعية والإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولى الله الدهلوى صاحب حجة الله البالغة .

وهنا لك كتب أفاد منها العلماء فى الأقطار العربية واعترفوا بفضلها ، ككتاب تبصير الرحمن وتيسير المنان للشيخ على المهائمى وكنز العمال للشيخ على المتقى ، وكشاف اصطلاحات الفنون للشيخ محمد على التهانوى ، أما الفتاوى الهندية فلا تزال معروفة فى دوائر القضاء الشرعى وأوساط المشتغلين بالفقه الحنفى والإفتاء .

وقد أنجبت كذلك علماء يندر نظيرهم فى الذكاء وسيلان الذهن والابتكار العلمى ، كالشيخ محمود الجونبورى والسيد غلام على آزاد البلكرامى ، والشيخ عبد العزيز الدهلوى والشيخ رفيع الدين الدهلوى والشيخ إسماعيل ابن عبد الغنى الدهلوى ، والملا نظام الدين اللكهنوى ، ومولانا عبد العلى بحر العلوم والشيخ محمد قاسم النانوتوى .

وأنجبت كذلك علماء لا يضارعون فى كثرة المؤلفات والإنتاج ، كالأمير السيد صديق حسن خان والشيخ عبد الحى اللكهنوى ، والشيخ أشرف على التهانوى .

وقد أنتجت من الملوك رجالا يتفردون فى حسن سياستهم وتنظيمهم للدولة وسن القوانين العادلة كشيرشاه السورى وأورنك زيب عالمكير ، وفى الصلاح والعدل كناصر الدين محمود غياث الدين بلبن ، وفى حماية العلم والعلماء كاسكندر بن بهلول اللودهى والسلطان إبراهيم الشرقى. وفى كثرة الفضائل العلمية والخلقية كالسلطان مظفر الحليم الكجراتى والسلطان محمود الكجراتى . ومن الوزراء الجامعين لأشتات الفضائل كعبد العزيز آصف خان ، ومحمود كاواك ، وعبد الرحيم خان خانان .

ولا تزال الهند مأهولة بشعب مسلم قوى فى دينه ، غنى فى علمه ورجاله ، مخصب فى عقله ، متوقد الذهن نشيط ، مصمم على الإقامة فى وطنه الذى خدمه ألف سنة وأغناه فى العلم والحضارة والدين والاجتماع ، وكانوا من صانعيه .

إن من الجفاء أن تبقى هذه البلاد الغنية برجالها وأعمالها ، وماضيها وحاضرها مجهولة عند أصدقائها فى الخارج مطمورة فى صفحات التاريخ ، ولكن التبعة فى ذلك على أبنائها قبل أن تكون على أصدقائها ؛ لأنهم فرطوا فى تقديم هذه البلاد وما تمتاز به من فضل وعلم وحياة ونشاط إلى الناطقين بلغة الضاد ، وانطووا على نفوسهم ، وعاشوا فى عزلة عن العالم .

ولكنى إذا ذكرت أبناء الهند بالتقصير فى جنب بلادهم الأم ، فإنى أعتذر إلى روح مؤرخ الهند الكبير الذى خلف لأبناء البلاد العربية مكتبة كاملة فى تاريخ الهند ووصفها وقام وحده بما تقوم به المجامع العلمية فى أوربا برجالها وعدتها ، ألا وهو العلامة السيد عبد الحى الحسنى ، مدير ندوة العلماء الأسبق ، الذى ألف فى تراجم أعيان الهند كتابه : « نزهة الخواطر » فى ثمانية مجلدات كبار تشتمل على نحو خمسة آلاف ترجمة ، وفى تاريخ الهند العلمى والتعليمى كتابه : « عوارف المعارف » ، وفى خطط الهند وآثارها كتابه : « جنة المشرق » ، فإنه قد قضى ما عليه وزاد ، جزاه الله عن المسلمين فى الهند خير ما يجزى العاملين المخلصين .

أرانى قد قسوت بعض الشىء مع إخوانى الكرام فى الأقطار العربية العزيزة ، الذين لم تمكنهم شئونهم الخاصة من دراسة تاريخ الهند وحاضر المسلمين وغابرهم ولكنى - والحق يقال - وجدت فيهم عدداً لا يستهان به من المتتبعين لأحوال الهند والمطلعين على آثارها الإسلامية ، الذين لا يزالون يشيدون بفضلها فى بعض العلوم الإسلامية وحراستها لأمانة الحديث الشريف بعد ما ركدت ريحه فى البلاد العربية .

وقد رأيت حرصا كبيراً فى كل بلد عربى على معرفة الهند وتطلعا إلى أحوال المسلمين فيها وعناية خاصة بشئونهم ، وانجذابا إليهم بحكم الدين والثقافة الإسلامية ، بسبب ما عرف به المسلمون فى الهند قديماً وحديثاً ، من الغيرة على الإسلام والتعصب للعلوم الإسلامية العربية ، والحرص على الوحدة الإسلامية .

كل ذلك يدفعنى إلى أن أتحدث إلى إخوانى فى الشرق الأوسط عن الهند الحبيبة إليهم ، وعن إخوانهم المسلمين فيها قديما وحديثاً ، ويتناول هذا الحديث نواحى شتى فى الحياة العلمية والاجتماعية والدينية .

ما أضافوه إلى ثروة البلاد وما أدخلوا عليها من إصلاحات :

سأتحدث عما حمله المسلمون إلى هذه البلاد الحبيبة مع دخولهم فيها كدعاة مرشدين ، أو غزاة مجاهدين ، أو ملوك فاتحين ، أو علماء

محققين ، من خيرات وحسنات ، وتحف وطرف ، وعن بعض ما أضافوه إلى ثروتها الدينية والعلمية ، والخلقية والاجتماعية ، والصناعية والمدنية فى عهدهم الطويل الجميل الزاهر

دخل المسلمون فى هذه البلاد بدافع دينى مجرد من كل مصلحة ومنفعة ليحملوا إلى أهلها رسالة الإسلام الرحيمة العادلة وليخرجوا الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها ، وليضعوا عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، كما فعل أولئك الدعاة المخلصون الذين ارتمى فى أحضانهم مئات ألوف من الأشقياء المعذبين ، وأحبوهم أكثر من آبائهم وأولادهم . كالسيد على الهجويرى ، والشيخ معين الدين الأجميرى ، والسيد على بن شهاب الهمدانى الكشميرى ، ودخلوها حيناً آخر كغزاة فاتحين ، وملوك طامحين ، كالسلطان محمود الغزنوى ، وشهاب الدين محمد الغزنوى ، وظهير الدين بابر التيمورى ، وقد كانوا مؤسسى دولة عظيمة ازدهرت مدة طويلة ، وخدمت البلاد ، وتقدمت بها فى نواحى الحياة المختلفة .

وكان كل من هؤلاء وأولئك مصمما على الإقامة فى البلاد أو على الاتصال بها اتصالا مباشراً مستمراً ، معتقدا أن الأرض لله يورثها من يشاء ، وأن كل ما كان لله فهو للمسلم عن طريق الخلافة والوصاية العالمية التى كلف بها المسلمون ، وكانوا يخدمونه بكل ما أوتوا من ذكاء ونبوغ وقوى ومواهب ، وكانوا يعتقدون أن كل ما يضيفونه إلى ثروتها إنما يضيفونه إلى ثروتهم ، ويحسنون إلى أنفسهم وأجيالهم القادمة ؛ لأنهم أهل البلاد وأمة المستقبل ، وكان نظرهم إلى البلاد يختلف بطبيعة الحال عن نظر الأوربيين المستعمرين الذين يجلبون خيراتها إلى بلادهم الخاصة ، ويحلبون البلاد كبقرة مستعارة لا تقيم عندهم وسوف لا يجدون إليها سبيلا ، ذلك سر عناية المسلمين بهذه البلاد وحرصهم على تقدمها ورقاهها .

دخل المسلمون فى الهند وهى تعتز بحضارة أصيلة عريقة فى القدم وفلسفة عميقة وعلوم رياضية دقيقة ، وخيرات عظيمة من حبوب وثمار وفواكه ومواد خامة ، ولكنها كانت على كل ذلك تعيش فى عزلة قد فصلتها عن العالم المعمور الجبال فى جانب ، والبحار فى جانب آخر ، وكان آخر من دخلها من العالم المتمدن هو الإسكندر الكبير ، وهكذا انطوت هذه الأمة العظيمة على نفسها وعاشت قرونا طويلة فى عالم محدود محصور ، لا تستورد شيئاً من الأفكار ، والديانات ، والنظم ، والصنائع ، والعلوم من الخارج ، ولا تصدر إليه شيئاً .

دخل المسلمون فى الهند وهم أرقى أمة

فى الشرق بل فى العالم المتمدن المعمور فى ذلك العهد يحملون ديناً جديداً سائغاً معقولا سهلا سمحا، وعلوما اختمرت وتوسعت، وحضارة تهذبت ورقت حواشيها، يحملون معهم محصول حقول كبيرة كثيرة، وتاج حضارات متنوعة متعددة، يجمعون بين سلامة ذوق العرب ولطافة حس الفرس وبساطة الترك، وكانوا يحملون للهند وأهلها غرائب كثيرة وطرفا غالية، وكان أغرب ما كانوا يحملونه فى الدين توحيد الإسلام النقى الذى لا يرى الوساطة بين العبد وربه فى العبادة والدعاء، ولا يعترف بتعدد الآلهة والمظاهر والظلال وحلول الله جل وعلا فى بعض البشر وظهوره ويؤمن بالإله الواحد، الفرد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحـــد، له الخلق والأمر، وله الكبرياء فى السموات والأرض.

أما فى الاجتماع فكان أعجب ما حمـــله المسلمون معهم هى المساواة الإنسانية التى لم يكن للهند عهد بها، فلا نظام طبقات، ولا منبوذ ولا نجس بالولادة، ولا جاهل يحرم عليه التعلم، ولا تقسيم أبدى للحرف والصناعات، فالناس يعيشون معاً ويأكلون معاً، ويتعلمون سواء، يختارون ما يشاءون من الحرف والصناعات، وقد كان ذلك صاعقة للذهن الهندى، والمجتمع الهندى، ولكن لا شك أنها أفادت الهند كثيراً، ولطفت من شدة النظام الطبقى السائد وكانت باعثاً قوياً على رد الفعل ضد هذا النظام، وحافزاً للدعاة إلى الإصلاح الاجتماعى ونسخ اللمس المنبوذ.

وكانت الثالثة احترام المرأة والاعتراف بحقوقها وكرامتها كعضو محترم من أعضاء الأسرة الإنسانية وشقيقة الرجل. وعظمة هـذه الهدية فى بلاد كانت السيدات يحرقن أنفسهن بالنار على وفاة أزواجهن ولا يرين ولا يرى المجتمع لهن حقا فى الحياة بعـــد الأزواج أقول: إن عظمة هذه الهدية فى مثل هذه البلاد واضحة لا تحتاج إلى تحقيق.

نقل المسلمون إلى الهند علوما جديدة كذلك من أجلها وأنفعها ـ إذا تركنا العلوم الإسلامية التى لا تتوقع من الهند ـ علم التاريخ فقد كانت البلاد فقـــيرة فى التاريخ، ليس فى مكتبتها كتاب تاريخ بالمعنى الصحيح، إنما هنالك صحف دينية أو ملاحم مقصورة على حرب أو عهد كمها بهارث وراماين، أما المسلمون فقد كونوا فى التاريخ مكتبة هائلة من أوسع المكتبات التاريخية فى العالم. ونظرة فى كتاب معارف العوارف فى أنواع العلوم والمعارف، للعلامة السيد عبد الحى الحسنى تظهر ما كان للمسلمين من نشاط غريب وإنتاج ضخم فى تاريخ الهند وفى التاريخ العام.

وقد اكتسبت الهند من المسلمين بصفة عامة توسعا فى الخيال وجدة فى التفكير ومعانى جديدة فى الأدب والشعر لم تكن تخطر على بال لولا عملية التوليد العقلى والتلقيح الفكرى والأدبى وكان مما منح المسلمون الهند هذه اللغة الجميلة الواسعة التى أصبحت لغة التفاهم ولغة العلم فى الهند التى عرفت بكثرة اللغات واللهجات أعنى لغة أردو .

وكان تأثير المسلمين فى المدنية والصناعة وأساليب الحياة أبرز وأقوى منه فى نواح أخرى ، فقد أدخلوا فى هذه البلاد حياة جديدة تختلف عن الحياة القديمة فى هذا القطر كما تختلف الحياة فى أوربا اليوم عن الحياة فى القرون الوسطى.

كان الهنود يعيشون حياة بسيطة كأمة منقطعة عن العالم ليس عندهم توسع فى المطاعم والملابس . وأكثر لباسهم من الكرباس والقطن الثخين العادى والصوف الخام ولكن سرعان ما تقدمت البلاد فى الأطعمة والملابس وتنوعت تنوعا كبيراً . وقد حدث التاريخ أن الحاكة كانوا ينسجون القطن والصوف على ثلاثين طرازاً فى عهد الملك المغولى أكبر وهو عهد متقدم ، أما فى العصور الأخيرة فقد وصلت صناعة النسج إلى حد يستدعى العجب حتى جاء الإنجليز وقضوا على الصناعات الوطنية ترويجا لبضائعهم الأجنبية .

وكانت البلاد على رغم خصبها وغناها قليلة الفواكه والثمار وأكثرها برية لم تلق العناية اللازمة حتى جاء المغول وهم أصحاب ذوق رفيع وأبناء بلاد كثيرة الفواكه والثمار فأدخلوا فيها فواكه كثيرة وثمارا جديدة يعرفها المستقصى من كتاب « توزك بابرى » و « تذك جهانكيرى » وقاموا بعملية التلقيح والتهذيب لبعض الثمار الهندية حتى جاءت أشهى وألذ وألطف كما كان الشأن مع « المانجو » فلم يكن يوجد منه إلا ما ينبت بالبذر فلقحوه حتى جاء ما يسمونه فى الهند « قلمى » ، وكان منه أنواع فى العهد الأخير لعلها تزيد على أنواع التمر فى بلاد العرب .

وكذلك الفن الإسلامى فن ممتاز فى الهند تتجمل به الهند وتتطاول على البلاد الأخرى ولا يزال (تاج محل) آية فى الهندسة والبناء ودليلا ناطقا على ما بلغوه من رقة الذوق ولطافة الحس والإبداع فى الفن .

أما بعد : فقد كان ما اكتسبته الهند من المسلمين أعظم وأغلى مما استفاده المسلمون منها وكان دخولهم فى هذه البلاد فتحا جديدا فى تاريخها وحياتها ومكسبا عظيما .

كان المسلمون فى الهند أوفياء لوطنهم لا يتشاغلون عن خدمته والتقدم به فى ميادين

العلم والصناعة والمدنية ، أوفياء لدينهم وثقافتهم الإسلامية العربية لا يتخلفون عن ركبها ولا ينقطعون عنها وقد تراهم فى بعض فترات التاريخ فى مقدمة القافلة ومأخذ الزمام . إن الجمع بين ثنائيتين تتناقضان كثيراً أو تلتقيان قليلا . وإن الوفاء لوطنين ـ مادى وروحى ـ مهمة عسيرة معقدة لا نعرف شعباً من شعوب الإسلام نجح فيها نجاح مسلمى الهند .

إن مؤلفات المسلمين فى الهند فى العلوم الإسلامية لا تحصى كثرة ، وذلك موضوع كتاب كبير ككتاب الفهرست لابن النديم أو كشف الظنون للجلبي ، وكتاب « معارف العوارف فى أنواع العلوم والمعارف» للعلامة السيد عبد الحى الحسنى . يعرف العالم مركز الهند فى الثقافة الإسلامية ، وقسط علمائها ومؤلفيها فى حركة التأليف والنشر ، إنما أقتصر هنا فى هذا الحديث الوجيز على الكتب التى تخطت شهرتها حدود الهند وسارت بذكرها الركبان ، واحتفى بها علماء العرب وأذكر مؤلفيها .

من هذه الكتب العالمية كتاب « العباب الزاخر » ، للإمام حسن بن محمد الصغانى اللاهورى من رجال القرن السابع الهجرى الذى عد من مراجع اللغة العربية وغرس كتبها ، وقد اعتنى به أئمة اللغة قديما وحديثا واعترفوا له بالدقة والإتقان وغزارة المادة واعترفوا لصاحبه بالفضل والإمامة فى هذا الشأو ، قال السيوطى : إنه كان إماما فى اللغة والفقه والحديث . وكذلك كتابه « مشارق الأنوار » فى الحديث من الكتب المشهورة المقبولة فى العالم الإسلامى وقد ظل مدة طويلة من كتب التدريس .

ومنها كتاب : « كنز العمال » للشيخ على ابن حسام الدين المتقى البرهانيورى من رجال القرن العاشر ، وهو ترتيب جمع الجوامع للسيوطى ، وهو من الكتب التى انتفع به علماء الحديث كثيراً واعترفوا لصاحبه بجهود عظيم وفر عليهم وقتاً كبيرا وأغناهم عن مراجعات كثيرة . قال الشيخ أبو الحسن البكرى الشافعى من أئمة العلم فى الحجاز فى القرن العاشر : إن للسيوطى منة على العالمين وللمتقى منة عليه .

ومنها كتاب مجمع بحار الأنوار فى غرائب التنزيل ولطائف الأخبار للشيخ محمد بن طاهر الفتنى (٩٦٦ م) قال العلامة السيد عبد الحى فى نزهة الخواطر : جمع منه المؤلف كل غريب الحديث وما ألف فيه فجاء كالشرح للصحاح الستة وهو كتاب متفق على قبوله بين أهل العلم منذ ظهر فى الوجود وله منة عظيمة بذلك العلم على أهل الإسلام وكذلك كتابة تذكرة الموضوعات من الكتب السائرة المتداولة فى الموضوع .

ومنها كتاب « كشاف اصطلاحات الفنون » للشيخ محمد أعلى التهانوى من رجال القرن الثانى عشر وهو كتاب عظيم تلقاه المشتغلون بالعلم فى بلاد العرب بالقبول وأثنوا عليه لأنه كمعجم للمصطلحات العلمية يغنى عن مراجعة آلاف من الصفحات ومئات من الكتب وهذا موضوع لم يكن فيه كتاب كبير على شدة الحاجة إليه .

ومنها بل من أعظمها كتاب حجة الله البالغة للإمام ولى الله الدهلوى (١١٧٩م) فى أسرار أحكام الشريعة وفلسفة التشريع الإسلامى ، وهو كتاب مبتكر فى موضوعه لا يوجد له نظير فى المكتبة العربية على سعتها ، وقد أجله علماء هذا الموضوع وأعيد طبعه فى مصر مراراً ، ومما تجب الإشارة إليه أن هذا الكتاب يتسم بنصاعة العربية وقوة العبارة وانسجامها وبعدها عن السجع البارد وتقليد الحريرى الذى كان فاشيا فى عصره ، وقلما نجا منه مؤلف وكاتب فى القرون الأخيرة . وهو يعد - بحق - المثال الثانى للنثر الطبعى السلسال والتعبير العلمى العامر بعد مقدمة ابن خلدون فى عصور الخطاط العربية وغلبة العجمة والصناعة على الكتاب والمؤلفين فى العالم الإسلامى ، ومنها كتاب تاج العروس شرح القاموس للسيد مرتضى بن محمد البلكرامى المشهور بالزبيدى (١٢٠٥ هـ) الذى هو أشهر من أن يعرف وهو مكتبة لغوية علمية عظيمة فى عشر مجلدات كبار وقد اشتهر أمر هذا الكتاب فى حياة صاحبه فاستكتب منه الخليفة العثمانى نسخة وسلطان دار فور نسخة وملك الغرب نسخة وطلب منه أمير اللواء محمد بك أبو الذهب نسخة ، وجعلها فى مكتبة مسجده الذى أنشأه بالقرب من الأزهر وبذل فى تحصيله ألف ريال ، ومن الكتب التى اعتنى بها العلماء فى الأقطار الإسلامية وعدوها من خيرة ما كتب فى الموضوع كتاب « إظهار الحق » للشيخ رحمة الله الكيرانوى (١٣٠٩ م) وفقه اللسان للقاضى كرامت حسين الكهنوى (١٣٣٥ م) ومعجم المصنفين للشيخ محمود حسن التونكى من رجال هذا العصر .

ومما يجب ذكره أن الهند الإسلامية أنجبت رجالا مبتكرين وعماليق فى الفكر الإسلامى والعلوم العقلية فى عصور عقمت فيها الأقطار الإسلامية الأخرى وغشيتها سحابة من الجمود والإعياء الفكرى ، فقد أنجبت فى القرن الحادى عشر الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندى ، وفى القرن الثانى عشر الإمام ولى الله الدهلوى ، وفى القرن الثالث عشر العلامة رفيع الدين بن ولى الله الدهلوى صاحب كتاب تكميل الصناعة وكتاب أسرار المحبة الذى بين فيه سريان الحب فى الأشياء كلها ،

وأوضح للناس أطواره والشيخ إسماعيل بن عبد الغنى الدهلوى صاحب كتاب العبقات .

ولم يزل شعار المسلمين فى الهند منذ العهد الأول : الاعتناء الكامل باللغة العربية والتعصب لها . وقد حافظوا عليها كلغة التأليف والعلم ، وكان فيها مؤلفون كبار كالسيد صديق حسن خان أمير هوبال والشيخ محمود حسن التونكى والسيد عبد الحى الحسنى والشيخ حميد الدين الفراهى الذين ظلوا أطول عمرهم يؤلفون بالعربية ، وكان فيها شعراء مفلقون كالقاضى عبد المقتدر الكندى الدهلوى (سنة ٧٩١) والشيخ أحمد بن محمد التهانيسرى (٧٣٠) والشيخ غلام آزاد البكلرامى) صاحب السبع السيارة (١٣٠٠) والمفتى صدر الدين الدهلوى (١٣٨٥) والشيخ فيض الحسن السهارنبورى (١٣٠٣) والشيخ ذو الفقار على الديوبندى (١٣٣٢) وأدباء محققون كالأستاذ عبد العزيز الميمنى والشيخ أبو عبد الله محمد السورتى .

ولا يزال المسلمون متمسكين باللغة العربية يدرسون أمهات كتبها فى مدارسهم التى يسمونها « المدارس العربية » ويؤلفون ويكتبون فيها ، وقد خرجت دار العلوم التابعة لندوة العلماء طائفة من الكتاب البارعين فى اللغة العربية وأوجدت نشاطا أدبيا ملحوظا فى الهند ومحصولا ذا قيمة أدبية لا يجمل بمؤرخ الأدب العربى أن يغفله إذا أراد أن يستوعب الحركة الأدبية فى الأقطار الإسلاميه ويذكر مدراسها المختلفة .

مظاهر نشاطهم العلمى والدينى ومراكزه الكبيرة :

إن أكبر معهد دينى فى الهند الذى يستحق أن يسمى أزهر الهند هو معهد ديوبند الكبير وقد بدأ هذا المعهد كمدرسة صغيرة لا تسترعى الاهتمام ثم لم تزل تتوسع وتتفخم بفضل جهود أساتذتها والقائمين عليها وإخلاصهم وزهدهم فى حطام الدنيا حتى أصبحت جامعة دينية كبيرة بل كبرى المدارس الدينية فى قارة آسيا وكان افتتاحها فى قرية ديوبند من القرى التابعة لمدينة سهارنبور فى مسجد صغير سنة ١٣٨٣ هـ أسسها العالم الجليل المخلص الشيخ محمد قاسم النانوتوى المتوفى ١٣٩٨ هـ وكان الاعتماد فيها على الله ثم على تبرعات فقراء المسلمين وعامتهم ورزقت من أول يومها رجالا عاملين مخلصين وأساتذة خاشعين متقين فسرت فيها روح التقوى والاحتساب والتواضع والخدمة ولم يزل نطاق المدرسة يتسع وصيتها يذيع وشهرة أساتذتها فى الصلاح والتقوى والتبحر فى علم الحديث والفقه تطير فى العالم حتى أمتها الطلبة من أنحاء الهند ومن الأقطار الإسلامية

الأخرى حتى بلغ عددهم فى الزمن الأخير إلى خمسمائة وألف وزيادة وبلغت ميزانيتها إلى ثلثمائة ألف وخمسين ألف روبية سنويا ويقدر عدد الذين اشتغلوا فى هذه المدرسة بالعلم بأكثر من عشرة آلاف والذين نالوا الشهادة منها بنحو خمسة آلاف والذين ارتووا من مناهلها من خارج الهند كباغستان وأفغانستان وخيو أو بخارا وقازان وروسيا وأذربيجان والمغرب الأقصى وآسيا الصغرى وتبت والصين وجزائر الهند والحجاز والأقطار العربية نحو خمسمائة وكان للمتخرجين من دار العلوم تأثير كبير فى حياة المسلمين الدينية فى الهند وفضل كبير فى محو البدع وإزالة المحدثات وإصلاح العقيدة والدعوة إلى الدين ومناظرة أهل الضلال والرد عليهم وكانت لبعضهم مواقف محمودة فى السياسة والدفاع عن الوطن وكلمة حق عند سلطان جائر .

وشعار دار العلوم ديوبند التمسك بالدين والتصلب فى المذهب الحنفى والمحافظة على القديم والدفاع عن السنة .

ويلى دار العلوم الديوبندية فى كثرة الطلبة والتمتع بالثقة مدرسة مظاهر العلوم فى مدينة سهارنبور التى تأسست فى سنة ١٣٨٣ أيضا وهى تشارك دار العلوم فى العقيدة والمبدأ والشعار وقد خرجت عددا كبيرا من العلماء الصالحين والرجال العاملين فى ميادين العلم والدين ولعلمائها ومتخرجيها آثار جليلة فى شرح كتب الحديث وخدمة هذا الفن الشريف وتمتاز هذه المدرسة وأساتذتها وطلبتها ببساطة فى المعيشة والقناعة بالكفاف وحسن السمت

وتقابل مدرسة ديوبند وشقيقاتها وما كان على شاكلتها من المدارس الدينية القديمة الجامعات المدنية العصرية التى أسسها المسلمون فى عليكره ودهلى وحيدرآباد لتعليم أبناء المسلمين وشبابهم العلوم العصرية واللغات الأجنبية وإعدادهم للوظائف الرسمية والمراكز الحكومية وللمساهمة فى حياة البلاد وخيراتها وإدارتها . وأشهر هذه الجامعات وأقدمها وأعظمها تأثيرا فى عقلية المسلمين وسياستهم جامعة عليكره أسسها الزعيم المسلم سرسيد أحمد خان وقد أصيب المسلمون على أثر فشل الثورة العظيمة التى قاموا بها سنة ١٨٥٧ بجمود على واجتماعى وتسرب اليأس إلى نفوسهم وفقدوا الثقة بأنفسهم ومستقبلهم وأصابتهم دهشة الفتح وأساءت الحكومة الانجليزية الظن بهم واستغنت عنهم فى وظائفها وإدارتها فأصبح المسلمون ـ الذين كانوا يملكون زمام البلاد فى العهد الماضى القريب ـ لا نصيب لهم فى سياسة البلاد وإدارتها ولا نشاط لهم ورأى السيد أحمد خان ، وكان رجلا شديد التأثر مرهف الحس ـ أن علاج ذلك هو تعلم

اللغة الانجليزية التى قاطعها المسلمون والظهور فى مظهر سيد البلاد فى الزى واللباس والحضارة والاجتماع وتولى الوظائف الحكومية حتى يزول مركب النقص . وقد نجحت جامعة عليكره فى رسالتها نجاحا كبيرا وأقبل عليها أبناء الأسر الشريفة الارستقراطية فى عدد كبير وتخرج منها رجال كثيرون شغلوا وظائف كبيرة فى الحكومة وتمتعوا بثقتها وقد لعبت الجامعة وأبناؤها دورا مؤثرا فى حياة المسلمين وسياسة البلاد ومنها نبعت حركة القومية الإسلامية تقابل حركة القومية الهندية والوطنية يتزعمها رجال فى الطبقة الارستقراطية من المسلمين .

وقد انفصل عن جامعة عليكره بعض أبنائها وخيرة متخرجيها أيام حركة الخلافة الوطنية وأسسوا جامعة شعبية مستقلة فى سياستها وتعليمها يتزعمها الزعيم الإسلامى الكبير مولانا محمد على وقد انتقلت من عليكره إلى دهلى واشتهرت باسم الجامعة الملية الإسلامية يمتاز أساتذتها ورجال إدارتها ـ وعلى رأسها الرجل التعليمى العالمى ـ الدكتور ذاكر حسين خان مدير الجامعة الملية السابق ومدير جامعة عليكره فيما بعد ـ بنزعتهم الوطنية وروح التضحية والإيثار ظلوا مدة طويلة يكافحون التيار ويعيشون فى شظف وعسر ، وكان لهم نشاط ظاهر فى ميدان الثقافة والتعليم وحصول ذوقيمة فى الأدب والعلوم .

وتمتاز الجامعة العثمانية فى حيدرآباد أنها أول جامعة درست العلوم العصرية فى أردو لغة الهند العلمية وعنيت بنقل العلوم الحديثة وترجمة الكتب المهمة فى الفلسفة والعلوم الطبيعية والطب والسياسة والقضاء والتاريخ إلى لغة الأردو ووضع المصطلحات العلمية فيها وبذلك أدت خدمة عظيمة للمسلمين وثقافة الهند .

وتتوسط بين المدارس القديمة التى تتمسك بالقديم وترى العدول عنه ضربا من التحريف ونوعا من البدع وبين الجامعات المدنية التى تقدس الجديد وتستهين بكل قديم تتوسط بين تلك وهذه دار العلوم التابعة لندوة العلماء التى تأسست فى لكهنؤ سنة ١٣١٢ هـ بيد العالم الربانى الشيخ محمد على المونكيرى وزملائه المخلصين الذين خافوا على المسلمين من المحافظين الجامدين ومن العصريين المتطرفين ومن اعتزال العلماء عن الحياة وتخلفهم عن ركب الثقافة والعلم ، ومن العصبيات المذهبية والمشاجرات الفقهية التى قويت ونشطت فى العهد الأخير .

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع وبين الدين الخالد الذى لا يتغير والعلم الذى يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهـــل السنة التى لا تختلف

فى العقيدة والنصوص وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد فى كل عصر ومصر وأن يزاد فيه ويحذف منه بحسب تطورات العصر وحاجات المسلمين وأحوالهم .

عنيت دار العلوم بصفة خاصة بالقرآن الكريم وتدريسه ككتاب كل عصر وجيل والرسالة الخالدة وعنيت باللغة العربية التى هى مفتاح فهمه وأمينة خزائنه ووجهت عنايتها إلى تعليم هذه اللغة الكريمة كلغة حية من لغات البشر يكتب بها ويخطب لا كلغة أثرية دارسة لا تجاوز الأحجار والأسفار كما كان الشأن فى الهند وقللت قسط بعض العلوم القديمة التى لا تفيد كثيراً وأبدلتها ببعض العلوم العصرية التى لا غنى عنها للعالم العصرى الذى يريد أن يخدم دينه وأمته واجتهدت أن تخرج رجالا مبشرين بالدين الإسلامى الخالد لأهل العصر الجديد شارحين الشريعة الإسلامية بلغة يفهمها أهل العصر وبأسلوب يستهوى القلوب أمة وسطا بين طرفى الجمود والجحود وقد نجحت فى مهمتها نجاحا لا يستهان بقيمته فأنجبت رجالا هم خير مثل للعالم المسلم العصرى لهم آثار جميلة خالدة فى الأدب الإسلامى وعلم التوحيد لأهل العصر الجديد والسيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام والتاريخ .

وقد أنشأ المتخرجون من الندوة جمعية دار المصنفين فى « أعظم كيره » وهى من المؤسسات العلمية الكبيرة فى الهند نشرت كتبا كثيرة متنوعة فى الدين والأدب والتاريخ لا تستغنى عنها مكتبة فى الهند وهى تصدر مجلة علمية راقية شهرية باسم « معارف » .

ومن المؤسسات العلمية الكبيرة فى الهند التى كان لها فضل كبير فى إحياء الكتب العلمية وبعثها من مدافنهـــا فى المكتبات العتيقة ونشرها فى العالم الإسلامى دائرة المعارف فى حيدر آباد التى نشرت عدداً من كتب الحديث وأسماء الرجال والتاريخ عرفها العالم الإسلامى والأوساط العلمية من عهد بعيد وتسامع بها العلماء والمدرسون فكانت خدمة جليلة للعلم والدين وبرهانا على ما كان ولا يزال للمسلمين من اتصال روحى فكرى بالثقافة الإسلامية وحب عميق لها .

إذا كانت المؤسسات العلمية والنشاط الفكرى والإنتاج العلمى دليلا على حياة أمة ونموها وقابليتها للبقاء فالمسلمون فى الهند أمة حية لهم ماض معدود وحاضر مشهود ومستقبل موعود ولله الأمر من قبل ومن بعد ؟ .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

لكهنؤ (الهند)

آراء العلماء في الربا

لعالم باحث

— ٢ —

سقط مني سهواً في المقال الذي نشر في الجزء الماضي من مجلة الأزهر بعنوان (آراء العلماء في الربا) مقدار صفحتين في أمر مهم وهو (تعارض النص والمصلحة) .

والذي سقط : هو ما قرره الإمام الجليل نجم الدين الطوفي الحنبلي من (تقدم المصلحة على النص والإجماع) عند التعارض مستدلا على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة ، وبإجماع ما عدا الظاهرية ، وقد جعل مدار تعليل الأحكام الشرعية على هذه المسألة ، ودعم ذلك بالاستدلال عليها بالنظر العقلي ، وسقط مني سهوا أيضا ما رآه فيلسوف الإسلام السيد جمال الدين الأفغاني من أن للإمام - إذا رأى المصلحة - أن يجيز الربا المعقول .

ولأن ما تكلم به هذان الإمامان في أمر (المصلحة) لم يتكلم أحد من الفقهاء بمثله ، فنحن نكتب ما سقط من كلتنا الأولى ، ليكون تماما على ما كتبناه قبله ، وليزداد الأمر وضوحا وتحقيقاً به .

قال : الطوفي رضي الله عنه [1] في شرحه لحديث أبي سعيد الخدري (لاضرر ولا ضرار) [2] : إن هذا الحديث يقتضي رعاية المصالح إثباتاً ونفيا ، إذ الضرر هو المفسدة ، فإذا نفاها الشرع ، لزم إثبات النفع الذي هو المصلحة ، لأنهما نقيضان لا واسطة بينهما ، وأدلة الشرع أقواها : النص والإجماع . ثم هما : إما أن يوافقا رعاية المصلحة ، أو يخالفاها ، فإن وافقاها فبها ونعمت ولا تنازع ، إذ قد اتفقت الأدلة الثلاثة على الحكم ، وهي : النص والإجماع ورعاية المصلحة المستفادة من قوله عليه السلام : (لاضرر ولا ضرار) . وإن خالفاها ، وجب تقديم رعاية المصلحة عليهما بطريق التخصيص والبيان لهما ، لا بطريق الافتيات عليهما والتعطيل لهما ، إلخ ...

---

(١) في رسالة للطوفي في أصول الفقه طبعت في سنة ١٩٠٦ ونشرت بالمجلد التاسع من مجلة المنار من ص ٧٤٥ — ٧٧٠ .

(٢) رواه ابن ماجه والدار قطني وغيرهما مسندا ومالك في الموطأ مرسلا وهو من الأربعين النووية .

هذا الذى قرره الطوفى فى رعاية المصلحة - هو كما قال أحد الأئمة الكبار - أدق وأوسع من القول (بالمصالح المرسلة) وأدلته أقوى، وقد صرح هو بذلك فقال :

« واعلم أن هذه الطريقة التى قررناها مستفيدين لها من الحديث المذكور ليست هى القول بالمصالح المرسلة على ما ذهب إليه مالك ، بل هى أبلغ من ذلك ، وهى : التعويل على النصوص والإجماع فى العبادات والمقدرات [1] وعلى اعتبار المصالح فى المعاملات وباقى الأحكام » .

ثم قال بعد بيان ذلك :

وإنما اعتبرنا المصلحة فى المعاملات ونحوها ، دون العبادات وشبهها ، لأن العبادات حق للشارع خاص به ، ولا يمكن معرفة حقه ، كما وكيفاً ، وزمانا ومكاناً إلا من جهته ، فيأتى به العبد على ما رسم له ، ولأن غلام أحدنا لا يعد مطيعا خادما له إلا إذا امتثل ما رسم له سيده ، وفعل ما يعلم أنه يرضيه . فكذلك ههنا ؛ ولهذا لما تعبدت الفلاسفة بعقولهم ورفضوا الشرائع أسخطوا الله عز وجل ، وضلوا وأضلوا .

وهذا بخلاف حقوق المكلفين ، فإن أحكامها سياسة شرعية وضعت لمصالحهم ، وكانت هى المعتبرة ، وعلى تحصيلها المعول .

ولا يقال : إن الشرع أعلم بمصالحهم فلتؤخذ أدلته - لأنا نقول : قد قررنا أن المصلحة من أدلة الشرع ، وهى أقواها وأخصها ، فلنقدمها فى تحصيل المصالح .

« ثم إن هذا إنما يقال فى العبادات التى تخفى مصالحها عن مجارى العقول والعادات ، أما مصلحة سياسة المكلفين فى حقوقهم فهى معلومة لهم بحكم العادة والعقل ، فإذا رأينا دليل الشرع متقاعداً عن إفادتها ، علمنا أننا أحلنا فى تحصيلها على رعايتها ، كما أن النصوص لما كانت لا تفى بالأحكام ، علمنا أننا أحلنا بتمامها على القياس ، وهو إلحاق المسكوت عنه ، بالمنصوص عليه بجامع بينهما [1] .

وما دمنا بسبيل الكلام عن (المصلحة) وهى التى يقوم عليها نظام الاجتماع كله ، ولها فى التشريع الإسلامى هذا الشأن العظيم ، فإنا نعزز ماقرره الطوفى برأى جليل لمصلح الشرق الإمام المجتهد السيد جمال الدين الأفغانى [2] فى الربا ومراعاة المصلحة هذا نصه : « حرم الله الربا بنكتة غاية فى الحكمة وهى : أن

(البقية على ص ٩٩١)

(١) المراد بالمقدرات ، ماقدره النص بقدر معين كالحدود والكفارات .

(١) لكلام الطوفى بقية نفيسة يرجع إليها فى رسالته المطبوعة أو فى مجلة المنار .

(٢) ص ١٩٥ من كتاب خاطرات جمال الدين تأليف محمد المخزومى باشا المطبوع فى المطبعة العلمية ببيروت سنة ١٩٣١ .

الإسلام فى كوريا

للأستاذ عطية صقر

فى أقصى الشرق وبين بحر اليابان والبحر الأصفر ، تقع شبه جزيرة تشاء الأقدار أن ينبت فيها فرع جديد فى دوحة الأمة الإسلامية ، لم يبلغ بعد من العمر إلا ست سنوات ، خلقته ظروف لم تكن فى الحسبان ، أملتها الأحداث السياسية الجارية فى ذلك الوقت . تلك هى شبه جزيرة كوريا ، التى يبرهن وجود الإسلام فيها على أن هذا الدين فى زحفه المقدس يعلو فوق مستوى التشكيلات المنظمة التى تتخذها الأديان الأخرى ، تريد بذلك أن تطفئ نوره أو تعرقل سيره ، أو تحد من مده .

كانت هذه البلاد مسرحا لنزاع مسلح بين الدول المجاورة أكثر من عشرين قرنا من الزمان ، فكانت مستعمرة صينية فى القرن الأول قبل الميلاد ، ثم توحدت أجزاؤها تحت رياسة أسرة وطنية من القرن السابع إلى القرن التاسع ، واحتلها المغول وضمت إلى الصين فى القرن الثالث عشر ، ثم حكمتها أسرة « لى » الوطنية من القرن الرابع عشر إلى العصر الحديث .

وفى القرن التاسع عشر حدث تنافس على استعمارها بين الصين واليابان ، انتهى بفرض الحماية اليابانية عليها سنة ١٩٠٧ ثم التبعية التامة لها سنة ١٩١٠ ، وبعد الحرب العالمية الثانية احتلها الحلفاء ، فكانت كوريا الشمالية تحت النفوذ السوفييتى ، وأعلنت جمهورية شعبية ديموقراطية فى مايو سنة ١٩٤٨ ، بينما وقعت كوريا الجنوبية تحت النفوذ الأمريكى .

وفى الفترة ما بين سنة ١٩٥٠ ، ١٩٥٣ قام نزاع مسلح بين الحكومتين القائمتين بغية توحيد البلاد ، ولم ينته هذا النزاع إلى نتيجة مرضية إلى الآن ، وظلت البلاد منقسمة إلى الجزءين المذكورين يفصل بينهما خط العرض ٣٨° .

وقد سافرت فى سنة ١٩٥٠ فرقة من الجيش التركى للانضمام إلى قوات الأمم المتحدة ، واشتركت فى هذه الحرب التى لا ناقة لها فيها ولا جمل ، ولكن رب ضارة نافعة ، فقد شاءت إرادة الله أن تكون هذه الفرقة فاتحة خير ، ومبعث نور لمن يتطلعون

إلى المعرفة والهداية ، والاطمئنان إلى دين جديد يملأ الفراغ الذى تعانيه نفوسهم ، بعد أن بدءوا يتحررون من أسر الديانات القديمة المتوارثة ، بفضل النهضة العلمية التى لم تعد تقبل من المعارف والأفكار إلا ما أيده العقل وشهد له المنطق . فكان التكبيرات المنبعثة بصوت ندى من فوق المنارة البيضاء ، التى تعلو المسجد المؤقت الذى أنشأته الفرقة التركية سنة ١٩٥٢ ، أثرها البالغ فى لفت الأنظار إلى هذا الدين الجديد .

الديانة السائدة فى هذه البلاد هى البوذية إلى جانب الطاوية والشنتوئية ، وقد صبغت البوذية حياة الناس بصبغتها فى النواحى المادية والأدبية ، الحسية والمعنوية ، ثم وصلت إليهم أولى بعثات التبشير بالدين المسيحى سنة ١٨٨٤ ، وما زالت تؤدى عملها منذ نحو ٧٧ عاما ، واستطاعت أن تضم إليها نحو ربع مليون نسمة من مجموع السكان البالغ عددهم ٢٨ مليونا .

وكان الدين الإسلامى يسمع عنه فى هذه البلاد ويعرف باسم « محمد كيو » أى دين محمد ، لأن كلمة Kyo معناها فى اللغة الكورية « دين أو تعليم » ، وعندما يسمع هذا الاسم كانت الأذهان تنتقل إلى تصور الصحراء المجدبة ، ذات الشمس المحرقة ، أو إلى أشجار الجوز الهندى الذى ينبت فى أقصى الجنوب من البلاد ، أو إلى رجل أجنبى غريب وفد إلى بلادهم كالأشخاص الذين تردد ذكرهم الأساطير .

ظلت الفرقة التركية تؤدى واجباتها الدينية ، دون أن يتقدم إليها أحد من المواطنين ليعرف شيئا عن هذا الدين الجديد ، إلى أن كانت سنة ١٩٥٥ ، حيث دخل نور الإسلام أول قلب من الكوريين الأصليين ، ذلك أن طالبين من كوريا أتما دراستهما العالية فى كليات الجامعات اليابانية ، وسمعا فى أثناء الدراسة عن دين الإسلام الذى ظهر فى الشرق البعيد ، فتاقت نفسهما لتكميل معارفهما عن هذا الدين ، الذى لم تسعفهما الكتب ولا المسلمون فى اليابان بحاجتهما عنه ، وهما يريدان معلومات صادقة وافية من قومه الذين نشئوا فى ربوعه الأولى ، ومارسوه فى حياتهم العملية زمنا طويلا ، فسمعا بعد عودتهما من اليابان عن « فرقة السادسة التركية ، المشتركة فى جيش الأمم المتحدة فى « سيول » ، فتوجها إليها ، وأعلنا إسلامهما على يد إمام هذه الفرقة ، وتحمسا للدعوة إلى الإسلام ، فكونا مع بعض الأصدقاء جمعية لهذا الغرض وألقوا على الأهالى عدة محاضرات ، استمدوا معلوماتها من الفرقة التركية ، فانضم إليهم عدد من المعجبين بهذا الدين .

تكونت هذه الجمعية فى سبتمبر سنة ١٩٥٥ فى ضواحى مدينة « سيول » عاصمة كوريا الجنوبية ، وكان عدد أعضائها فى سنة ١٩٥٧ يبلغ ١٥٠ شخصاً ، ورئيس الجمعية هو السيد كيم يودو Kim Yoo Do ، ونائب الرئيس هو السيد / كيم جين كيو Kim Jin-Kyu ، ويتحدث أحد أعضاء هذه الجمعية عن ظروف تكوينها فيقول (1) : —

لقد أنشأنا جميتنا الإسلامية ، وساعدنا على تكوينها ومزاولة نشاطها إمام الفرقة التركية بعد موافقة حكومته ، وقد أخلص فى ذلك كل الإخلاص ، وقنا من جانبنا نحن الأهالى بطلب الموافقة على تكوينها والقيام بهذا النشاط الدينى من وزارة التربية ، ومن مكتب الإدارة العامة لحكومتنا ، فنجحنا فى ذلك ومنذ ذلك الحين أمكننا أن نجمع حولنا نحو ١٥٠ مسلما ، وهم يزدادون كل يوم ، وأنا موقن أن عدداً كبيراً من الأهالى سينضمون إلى الإسلام فى المستقبل القريب . ومع هذا نحن لا نتعجل ذلك ، فإننا نعلم يقينا ما قاساه النبى صلى الله عليه وسلم ، وما قام به من جهود طوال الأعوام الثلاثة عشر الأولى من دعوته . وكل أمر لا بد أن يكون صعبا فى بدايته ، وأنا أعتقد أن النجاح أساسه الصبر والتحمل . وكنا فى بدء إسلامنا نؤدى واجباتنا الدينية فى فناء الكلية الزراعية . وأحيانا فى مدرسة شونجر بالمجرى المركزية ، وذلك لعدم وجود مسجد ولو بشكل متواضع ، ولحسن الحظ بعد مدة وجيزة من إنشاء جميتنا سمح لنا بأداء الصلاة فى مسجد الفرقة التركية ، وأهم مشكلة تواجهنا هى عدم وجود مسجد خاص لنا . وقد أقمنا مسجداً متواضعاً فآمل فى المستقبل القريب أن نبنى مكانه مسجداً فخما ينير لشعبنا طريق الإسلام . ا هـ .

أنشئ المسجد فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ ويؤم المصلين فيه إمام اسمه الزبير ، ويجتمع المسلمون لأداء الصلاة الجامعة فيه مرتين كل أسبوع ؛ يوم الجمعة ويوم الأحد ؛ لأن ظروف حياتهم اليومية لا تمكنهم من حضور جميع الصلوات طوال الأسبوع . وهم يتعبدون بالطبع على مذهب الإمام أبى حنيفة وهو مذهب الفرقة التركية ، وإن كانت مسألة المذاهب الفقهية والاعتقادية لم تتضح لهم بعد ولعل من الخير أن يبحثوها حتى تستقر قواعد إسلامهم على أساس متين يتحمل هزات الجدل والبحث والمقارنة .

ولعل عدد المسلمين قد زاد بعد التاريخ الذى أنشئت فيه الجمعية وهو سنة ١٩٥٥ ، ولم يصلنا إلى الآن تقدير رسمى لعددهم ، وعامتهم من الطبقات المتوسطة التى تزاول

(1) Green Flag Rev. Dec. 1957.

الأعمال الكتابية ، واستغلال المناجم . وهم يقرءون القرآن في ترجماته اليابانية والانجليزية ، ويأسفون أشد الأسف لعدم وجود ترجمة كورية له .

وفكرة المسلمين هناك عن الإسلام فكرة طيبة ، وهي مع ذلك تحتاج إلى قدر كبير من التوجيه السليم . وإليك نماذج من أقوالهم عن الإسلام :

يقول عثمان شانغ جيو Osman Chang Gyu خريج كلية الهندسة في هان يانج Han Yang لن يكون الإسلام مجهولا ما بقيت في الأرض حياة ، لقد حاولت أن أجد دينا يناسب مجتمعنا وبحثت عن ذلك كثيرا ، وعند ما سمعت عن الإسلام أتيت مسرعا إلى جمعية مسلمي كوريا ، لأعرفه وأتعلم مبادئه ، ولقد وجدت أنه هو الدين الحي Living Religion وجذبتني إليه عدة شواهد ، أبرزها أن محمدا رسول الله ليس إلا رجلا كعامة الناس ، وأن الإسلام يقوم على الحق والمنطق والعلم ويوفي بجميع حاجات بلادنا .

ويقول نيازي يونغ جين كيم Niyazi Youg Jin Kim الطالب بالجامعة المركزية : الناس يقولون كثيرا : الإسلام دين الصحراء ، ولكنهم لو عرفوا الإسلام حق المعرفة سيدركون بسرعة أنه دين الحياة ، ودين الإنسانية ، ودين الديمقراطية .

ويقول أحدهم عن المرأة وتعدد الزوجات: إن سبب التعدد أنه بعد سنوات من بدء الغزوات مات كثير من المسلمين ، وتركوا وراءهم نساءهم إلى جانب عدد كبير من نساء الكفار اللاتي أسرن في هذه الحروب ، فكيف يعيش هؤلاء النسوة إلا في ظل مبدأ تعدد الزوجات ، ومع ذلك فقد شرط الإسلام على الرجل العدل في معاملة الزوجات والقدرة على الإنفاق ، وليس هناك حل لهذه المشكلة غير هذا الحل . وقد ضمن محمد « عليه السلام » للمرأة مكانة ممتازة ، فجعل الجنة الكريمة تحت أقدام الأمهات .

وإذا كانت أفكار المسلمين عن الإسلام بهذا الشكل ، فإن هذه الخلية الناشئة لو مدت إليها يد المساعدة لتكاثرت ونمت ، وأنتجت خيراً كثيرا في هذه المناطق ، التي تعاني فراغا نفسيا لا يملؤه إلا عقيدة صحيحة ، تتفق مع الفطرة والمنطق ، وتتلاقى مع العلم الذي يوزن به كل فكر في هذه الأيام . ولا توجد هذه العقيدة في الديانات القديمة التي تسلطت على أوهامهم عشرات القرون ، ولا في المسيحية التي يرون أنها دين الغرب ، الذي يمقتونه أشد المقت بعد قنبلة ناجازاكي وهيروشيما . والفرصة الآن سانحة لدين الإسلام لو وجد من يؤمن به إيمانا يدفعه إلى عمل شيء جدي لهذه الشعوب الحائرة ،

المتروكة نهبا للبشرين ، يتصيدونهم بما أعدوه من شباك أحكمتها يد الاستعمار والاستغلال .

ولقد أذاع إمام المسجد سنة ١٩٥٧ نداء يقول فيه(١) : على أكتافنا نحن - الكوريين - يقوم واجب الدعوة إلى الدين ، وأعتقد أننا لو شرحنا للشعب الكورى القواعد الأساسية للدين الإسلامى ، فإن كل كوريا الجنوبية ستعتنقه . وأملنا كبير فى مديد المساعدة إلينا بالكتب الانجليزية والنشرات التى تعالج موضوعات الإسلام .

(1) Green Flag Rev. Feb. 1957 .

ونحن نضم صوتنا إلى صوت الإمام ، ونناشد المسلمين فى جميع الأقطار أن يؤدوا واجبهم نحو إخواننا فى هذا المكان القصى ، ليعرفوا أن لهم إخوة سمعوا نداءهم ، ولبوا دعوتهم ، ولتكن المراسلات بهذا العنوان :

The Korean Islamic Society
No 320 Rimun - Dong Dong Daemun
Suburbs of Seoul.

وأعتقد أن مجلة الأزهر ستكون سفير صدق بيننا وبين هذه الجمعية ، بما تحمل من معارف طيبة وبخاصة ملحقها المحرر بالانجليزية ، والله هو الهادى إلى سواء السبيل .

عطية صقر

بقية المنشور على صفحة (٩٨٦)

لا يؤكل أضعافا مضاعفة وهو ما وقع عليه التحريم ، لكى يكون للإمام مخرج - إذا اقتضت المصلحة بالتسامح للحكم بجواز الربا المعقول ، الذى لا يثقل كاهل المدين ، ولا يتجاوز فى برهة من الزمن رأس المال ، ويصير أضعافا مضاعفة » .

وكأن هذا الرأى الأخير الذى انبعث من وراء الغيب منذ سبعين سنة ، قد توجه به موقظ الشرق وأستاذه جمال الدين الأفغانى إلى منقذ الشرق وإمامه جمال عبد الناصر ، ليؤيده فى القيام بأعباء ثورته المباركة ، التى ألقتها الأقدار على عاتقه ، ليمضى قدما - ما استطاع - فى طريق إصلاح بلاده ، وإعلاء شأنها ، وأن يقترض فى سبيل ذلك ما يشاء أن يقترض من المال - بغير مبالاة ولاخشية - مادام يريد الإصلاح والله الموفق؟

دين السلام

للأستاذ أحمد الشرباصي

أصبحت كلمة « السلام » شعاراً دوليا يتردد فى أكثر من محفل من محافل السياسة العالمية ، وأخذ ساسة الدول المختلفة يرددون كلمة « السلام » قائلين إن السلام هو الأمل الأول والأخير لهم كى تسعدهم شعوبهم المتطلعة إلى السلام ، الراغبة فى حياة الرخاء والأمان .

ومع أن الحديث عن « السلام » قد صار قسطا مشتركا بين أهل الشرق والغرب ، فى المجالات الحكومية والشعبية ، مازال قاراً فى أذهان فريق من الناس أن شعار الدعوة إلى « السلام » صبغة خاصة ببعض الدول دون بعضها الآخر ، وكأن هذا الفريق يحسب أن الدعوة إلى السلام شعار ابتكرته فى العصر الحاضر هذه الدولة أو تلك ، ولو أراد هؤلاء الإنصاف للحق والتاريخ لقالوا : إن الدعوة إلى السلام فى صورته المثالية العلية الإيجابية القوية هي شعار الإســـلام منذ أكثر من ألف عام ... !

نعم إن الإسلام أحق العقائد والدعوات بأن يسمى دين السلام ودعوة الأمان وطريق الاطمئنان، وإن نور السلام ليشع فى الإسلام حيثما وليت وأينما اتجهت : يشع فى مظهره ومخبره ، وفى عباداته ومعاملاته ، وفى أقواله وأعماله ، وأول مايطالعنا من ذلك أن لفظ « الإسلام » نفسه مشتق من السلام ، ولذلك يورد الراغب الأصفهانى فى «مفردات القرآن» هذه العبارة : « والإسلام الدخول فى السلم ، ومصـــدر أسلمت الشىء إلى فلان إذا أخرجته إليه ، ومنه السلم فى البيع ، والإسلام فى الشرع على ضربين : أحدهما دون الإيمان وهو الاعتراف باللسان ، وبه يحقن الدم ، حصل معه الاعتقاد أولم يحصل وإياه قصد بقوله : « قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » . والثانى فوق الإيمان ، وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل ، واستسلام لله فى جميع ما قضى وقدّر ، كما ذكر عن إبراهيم عليه السلام فى قوله : « إذ قال له ربه : أسلم ، قال : أسلمت لرب العالمين » وقوله تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » وقوله : « توفنى مسلما » ، أى اجعلنى ممن استسلم لرضاك ، ويجوز أن يكون معناه : اجعلنى سالما عن أسر الشيطان ، حيث قال :

« لأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين » وقوله : « إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون » أى منقادون للحق مذعنون له ، « يحكم بها النبيون الذين أسلموا » أى انقادوا من الأنبياء الذين ليسوا من أولى العزم لأولى العزم الذين يهتدون بأمر الله ويأتون بالشرائع[1].

والله الذى أنزل هذا الدين وشرعه لعباده يسمى بالسلام : « هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام » أى الذى لا يناله شىء من العيوب أو الآفات التى تلحق الخلق والذين يؤمنون بالإسلام يسمون بالمسلمين : « هو سماكم المسلمين من قبل » .

والإسلام يدعو ـ حين يدعو ـ إلى تثبيت الأمن وتحقيق السلام فيقول القرآن : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » . ويجعل العاقبة هى الانتهاء إلى مقر السلام دار النعيم : « والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » . وحينما سمى الله الجنة « دار السلام » كأنه أراد أن يجعلها المثل الأعلى للسلام ، كى تتطلع عيون العباد إلى هذا المثل فيتخذونه قدوة عليا ويسعون نحوه بخطواتهم السلمية فى حياتهم ؛ وإنما سميت الجنة دار السلام ـ كما قال العلماء ـ لأن فيها السلامة الحقيقية الكاملة (إذ فيها بقاء بلا فناء ، وغنى بلا فقر ، وعز بلا ذل وصحة بلا سقم) .

وقد شرع الإسلام لأبنائه تحية متبادلة متكررة ، مألوفة معروفة ، فكانت هذه التحية هى : « السلام عليكم ورحمة الله » . ولم يجعل تحية السلام مقصورة على الحياة الدنيا ، بل انتقل بها إلى الدار الآخرة ، فجعل التحية التى تقال لأهل الجنة هى : « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » . وتحية الله لعباده المكرمين يوم القيامة هى السلام : « تحيتهم يوم يلقونه سلام » .

ويقول القرآن : « دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام » . ويقول : « خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام » . ويقول : « يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » . ويقول : « وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » . ويقول : « ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود » .

وحينما علم الإسلام أبناءه أن يعطوا نبيهم حقه من التكريم قال القرآن : « إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » أى أظهروا شرفه وعظموا شأنه وقولوا « السلام عليك أيها النبى » ونحن المسلمين نقول فى التشهد من كل صلاة « السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » .

ونجد أن السلام كان لونا من ألوان التكريم الإلهى لرسله ، فنجد فى سورة الصافات هذه الآيات : « سلام على نوح فى العالمين » ،

---

[1] مفردات الراغب ، ص ٢٤٠ المطبعة الميمنية

« سلام على إبراهيم » ، « سلام على موسى وهارون » ، « سلام على إلياسين » ، وتختم السورة بهذه الخاتمة العامة فى شأن السلام على جميع الرسل : « وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » . وفى سورة مريم نجد القرآن يقول فى شأن يحيى بن زكريا : « وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا » وفى نفس السورة يقول القرآن على لسان عيسى بن مريم : « والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » .

والإسلام يعلم المسلم ألا يدخل بيتا إلا بعد أن يؤذن فيهم بالسلام : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون » . وهذا السلام مطلوب من المسلم حتى ولو دخل بيوته وبيوت أقربائه وأحبائه ، فالقرآن يقول : « ليس على الأعمى حرج ، ولا على الأعرج حرج . ولا على المريض حرج . ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتا ، فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون » .

بل علم الإسلام أبناءه أن يتلقوا تحية السلام ممن يلقيها ، ولو كان فى داخله على غير وجهتهم أو عقيدتهم ، ويعاملوه على أساس السلام دون إثارة الشك فى أمره ما لم ينفضح يقول القرآن : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ، إن الله كان بما تعملون خبيرا » . ويحدثنا القرآن أن إبراهيم ودّع أباه الكافر بسلام التوديع والمتاركة ، فقال : « قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا » .

وحدثنا الإسلام حديث الإجلال والإكبار عن أفضل ليلة فى الحياة ، وهى الليلة التى نزل فيها القرآن تحفه الرحمة وتزفه الملائكة ، وهى ليلة القدر ، فإذا من الصفات البارزة لتلك الليلة العظمى أنها : « سلام هى حتى مطلع الفجر » .

وفى الإسلام عبادات وقواعد . منها الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وأكثر هذه العبادات وقوعا وتكرارا فى حياة المسلم هى الصلاة لأنها تتكرر بفروضها وسننها المؤكدة نحو اثنتى عشرة مرة فى كل يوم ، ويختتمها المسلم فى كل مرة بتسليمتين أى أنه يكرر عبارة : « السلام عليكم ورحمة الله » أربعا وعشرين مرة فى كل يوم ، والصلاة رحلة إلى الله ، يرتفع فيها المسلم إلى حماه ، وينقطع

فيها عن شهواته ودنياه ، ثم يعود إلى هـذه الحياة ، ويقبل على الدنيا من جديد ، فإذا أول شعار يلقى به الحياة والأحياء هـو : « السلام عليكم ورحمة الله » ، ولا يقول هـذا عن يمينه فقط ، بل ويقوله عن شماله ليشمل بسلامه من كان هنا ومن كان هناك ، والمسلم فى أثناء صلاته يدعو ربه ويناجيه ويخلص خواطره لبارئه وهاديه ، ثم يقبل بعدالتطهر الحسى بالنظافة والوضوء والنقاء فى جسمه وثوبه ومكانه ، وبعد التطهر النفسى فى أثناء الصلاة ، يقبل ليبدأ أهل الدنيا من كل نواحيها بالسلام ، كأن السلام هو ثمرة ذلك التطهير المتكرر فى كل يوم مرات ومرات ، أو كأن السلام هو الهدية التى يحملها المصلى إلى الناس من لدن قيوم السموات والأرض ، ورحمن الدنيا والآخرة ، وبارئ الخلق أجمعين .

وكثير من النـاس يتعارفون اليـوم على اتخاذ « الحمام » شعاراً للسلام ، وقد يظن ظان أن هـذا التعارف لون من الابتـكار الجديد أو الابتداع الحديث ، مع أن أمتنا المؤمنة أسبق إلى هذا التعارف وأدنى إليـه وأولى به ، وأجـدادنا منذ القدم يصفون الحمام بأنه من « الطير الميامين » ، ويتخذونه شعاراً للمودة والتآلف ، وهـذا هو حمام الكعبة والبلد الحرام مكة ، إنه ذو قـدم راسخة فى تاريخ الأمن والسلام ، فحمام الحرم وادع آمن ، لا يصان ولا يهان ولا يعتدى عليه ، حتى يضرب الناس به المثل فى الأمن والسلامة فيقولون : « آمن من حمام مكة »[1] ، ومن غزلان مكة ، ويقول أسلافنا القدامى : إن هذا شائع على جميع الألسنة ، لا يرد ذلك أحد ممن يعرف الأمثال والشواهد .

وهـذا الحمام بأمنه وسلامه يعلم النـاس كيف يكون السلام ، ويوحى إليهم بنسيان البغضاء والخصام ، ويحرضهم على السهولة والوداعة والصفاء ، وهذا الحمام نفسه كأنه يحس قيمة السـلام فلا يعتدى ولا يجـور ، ولذلك روى الجاحظ أنه يبلغ من تعظيم الحمام لحرمة البيت الحرام أن أهـل مكة يشهدون عن آخرهم أنهم لم يروا حماما قط[2] ! . سقط على ظهر الكعبة إلا من علة عرضت له .

وهناك بعض المصـادر فى قصص السيرة النبوية تحـدثنا بأن الحـمام كان رمز الأمان والسلام فى ساعة الهول والفصل ، فهذا هو رسـول الإنسانية محمـد مع صاحبه الأول أبى بكر يقضيان هـذه الساعة : « إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » ، وجاء الحمام أو اليمام - واليمام نوع من الحمام كما قالت اللغة ونص عليه السابقون - فباض وأقام على واجهة الغار ، فـكانت الحمامـة الرقيقة الأليفة من أسباب الوقاية الربانيـة ومن جنود الله التى لا تعد ولا تحصى .

---

(١) معجم الأمثال للميدانى ، ح ١ ص ٨٦ مطبعة السنة المحمدية .

(٢) الحيوان للجاحظ ، ج ٣ ص ١٩٣ مطبعة الحلبى

بل روى بعض المؤرخين أن حمام مكة أظل رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة، فدعا له النبي بالخير والبركة، فإن صحت الرواية كان هذا دليلا على أن الله تعالى أراد أن يكون يوم الفتح المبين يوم أمان وسلام، تظلله أجنحة الحمام وهو رمز السلام.

وفى قصصنا الدينى أن الحمامة كانت رائدا لسيدنا نوح عليه السلام، أرسلها لتكشف له موضعا يصلح مرفأ للسفينة عقب الطوفان وأعطاها الله طوقها الذى فى عنقها حلية لها وثوابا على إرشادها [١].

وهل نسينا حمامة «الفسطاط» الذى اشتهر به عمرو بن العاص، فاتح مصر باسم الله وباسم الإسلام ؛ فقد جاءت أثناء الفتح حمامة فاتخذت من أعلى فسطاطه - وهو الخيمة - عشا لها، فلم يقبل عمرو فيما بعد أن يقوض فسطاطه حتى لا يزعج الحمامة، بل تركه وتتابع العمران من حوله، حتى تكونت مدينة الفسطاط بسبب هذه الحمامة، فكأن الإسلام يبتدئ تاريخه فى مصر بحمامة ويفتتح حصونها بهذه الحمامة الوادعة، ويرسل قصتها مع الفسطاط وصاحبه مثلا شرودا يرويه الجيل بعد الجيل ليدل على سماحة الإسلام ورفق أبناء الإسلام، وانبثاق السلام أينما سار دعاة الإسلام.

وفى حديث مرفوع - كما يروى ابن الأثير فى النهاية - أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعجبه النظر إلى الأترج (التفاح) والحمام الأحمر [١].

كما روى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه كما يذكر الجاحظ فى الحيوان - أنه أراد أن يذبح الحمام ثم قال: (لولا أنها أمة من الأمم لأمرت بذبحها، ولكن قصوها) ونهى عثمان عن اللعب بالحمام.

وكان يرتفع ثمن الحمامة الواحدة فى هذه الأمة حتى يبلغ خمسمائة دينار واستعمل أسلافنا الحمام من قديم الزمان فى حمل رسائل الود والمحبة، لأنهم أدركوا وقرروا أنه أسرع الطيور فى التودد والتآلف، إذ تخرج الحمامة من عشها فتلتقى بجماعة من الحمام فتنسى عشها وولدها، وتصاحب رفقتها، وقد تلقى الهلاك فى سبيل إرضاء المودة فى نفسها [٢].

ويقول الجاحظ - المتوفى فى وسط القرن الثالث الهجرى، أى منذ أكثر من ألف عام - : (ومن مناقب الحمام حبه للناس، وأنس الناس به) ويقول أيضا: (والحمام طائر ألوف مألوف ومحبب وموصوف بالنظافة) ووصفه بالثبات على العهد، وحفظ ما ينبغى أن يحفظ، وصون ما ينبغى أن يصان [٣].

---

[١] المصدر السابق، ج ٣ ص ١٩٥.

[١] النهاية فى غريب الحديث ج ٣ ص ٢٦٢ مطبعة بولاق.

[٢] الحيوان ج ٣ ص ٢١٢.

[٣] مواضع متفرقة من الجزء الثالث من كتاب الحيوان.

وقد كرر الإسلام الأمر بالعدل والدعوة إليه ، وهو بهذا يكرر الأمر بالسلام والدعوة إليه ؛ لأن العدل هو أقوى حوافز السلام ؛ ولأنه لو أنصف الناس استراح القاضي . فقال القرآن : « إن الله يأمر بالعدل » وقال : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » وقال : « وأمرت لأعدل بينكم » وقال : « اعدلوا هو أقرب للتقوى » . ومن أجدادنا عشرات وعشرات من الحاكمين العادلين الشرفاء الذين زانوا صفحات التاريخ بإنصافهم وعدلهم . وما نسينا الحاكم العادل « خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز » الذي حكم الديار ووحد الأقطار ، وأشاع العدالة ونشر الإخاء والسلام ، حتى توسع محبوه في تصوير عدله وسلام عهده ، فقالوا : إن الذئب كان يلقى الشاة في أيامه فلا يمسها بأذى أو سوء .

أما بعد : فإننا نريد السلام لأنفسنا وللناس ، نريد السلام العام الشامل ، نريده صادراً من أعماق نفوسنا ومن صميم عقائدنا ، نابعاً من تاريخنا ومبادئنا ، منبثقاً من هدى قرآننا وسنة نبينا ، مشعراً الناس كلهم أنه أصل من أصولنا وقاعدة من قواعدنا ، نحن فيه أئمة أصلاء ، ولسنا فيه بالتابعين أو المقلدين ، ففي ديارنا نحن ظهر عيسى وبشر بدعوته التي كانت تحيتها هي : (السلام لكم) وفي ديارنا نحن ظهر محمد ، وبشر بدعوته التي كانت تحيتها : « السلام عليكم » . فنحن أولى الناس بدعوة السلام ، ونحن بمكان الصدارة والأصالة حين ندعو إلى السلام ونعمل للسلام . نعم نحن بعقائدنا أصلاء ، فمن ذا الذي يزعم أننا دخلاء ؛ ونحن بعون الله في الخير أقوياء فمن ذا الذي يريدنا على أن نكون ضعفاء ؟ ونحن بديننا وإيماننا شرفاء أعزاء فمن ذا الذي يريدنا على أن نكون أذلاء : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

إننا نريد السلام لأنفسنا ولإخواننا وجيراننا ، ونريده للناس جميعاً ، نريده لأصدقائنا ولغير أصدقائنا ما داموا له مستجيبين . ولكننا لا نريد السلام الذليل المهين ، بل نريد السلام الإيجابي ، السلام الذي لا يبغي ولا يظلم ، ومع ذلك يحرس ويصون ، وإذا كنا نهتف ونقول : (نسالم من يسالمنا ونعادي من يعادينا) فمن الميسور لنا أن نزكي هذا المنهاج من هدى قرآننا ، نصادق من يصادقنا ؛ لأن خالقنا يقول : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » . ونعادي من يعادينا ؛ لأن خالقنا يقول : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ! ...

« وقل : سلام » ! ... ؟

أحمد الشرباصي

شىء من النقد ... !

للأستاذ على العمارى

قد يكون من الخير لقراء مجلة الأزهر أن نفتح لهم هذا الباب ، فإن رسالة المجلة هى خدمة الدين واللغة ، والدفاع عنهما ، والمناضلة دونهما ، ومن أكثر البحوث عونا على هذا بحوث النقد ، ليس فقط النقد العلمى وإنما للنقد الأدبى - كذلك - عظيم الأثر فى هذا المجال . وقديما استعان العالم الجليل أبو بكر الباقلانى على إثبات إعجاز القرآن بطرف من النقد الأدبى ، فقد نقد قصيدتين لشاعرين من كبار شعراء العربية فى قصيدتين من أشهر قصائدهما ، وأحظاها عند الأدباء .

نقد امرأ القيس أمير الشعراء فى العهد القديم ، فى معلقته الموضوعة على رأس المعلقات العشر ، وقد بالغ فى نقدها ، فتناولها بيتاً بيتاً ، وأظهر ما فى كل بيت من ضعف أو قوة ، وإن كان غالب اتجاهه إلى تجريح القصيدة حتى بلغ منه - وهو العالم الوقور - أن عمد إلى السخرية ، فتراه يعلق على قول امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمأل

يعلق بقوله : « لم يقنع بذكر حد ، حتى حده بأربعة حدود ، كأنه يريد بيع المنزل ، فيخشى إن أخل بحد أن يكون بيعه فاسداً ، أو شرطه باطلا [1] !! » ، قال هذا بعد أن أوسع البيتين نقداً من الناحية البيانية[2] .

ونقد البحترى نقداً لاذعا مراً فى قصيدة كان البحترى يعتز بها ، ويذكر أنها أجود شعره ، وكان يسمى بعض أبياتها « عروق الذهب » ، وهو الشاعر الذى بالغ بعض الناس فى تمجيده على حد ما قال الباقلانى : ومنهم من يدعى له الإعجاز غلواً ، ويزعم أنه يناغى النجم فى قوله علواً ، والملحدة تستظهر بشعره ، وتتكثر بقوله ، وترى كلامه من شبهاتهم ، وعباراته مضافة إلى ما عندهم من ترهاتهم [3] » .

ونحن سنعمد إلى ثلاث قصائد الثلاثة

---

(١) إعجاز القرآن ص ٢٣٧ . ط . دار المعارف .
(٢) المصدر السابق ص ٢٤٤ .
(٣) المصدر السابق ص ٣٧٣ .

من كبار شعراء نهضتنا الحديثة ، ونبين مافيها من محاسن وعيوب ، ولم نقصد إلى هذه القصائد بالذات اختياراً منا ، وإنما اختارها غيرنا على أنها أجود ما لهؤلاء الشعراء ، فى حين أنها جميعا ليست أجود شعرهم ، بل ليست من أجوده . وقد قُررت هذه القصائد لتدرس فى أعلى فرقة من الأقسام الثانوية بالأزهر على أنها نماذج رائعة من شعر هؤلاء الشعراء ، والعلماء الذين قدموها للدراسة لم يبخلوا عليها بفيض من الثناء ، ولم يقصروا فى التنبيه على مافيها من روعة التصوير ، وقوة التعبير ورشاقة المعانى ، وسحر الصور البيانية وأخذها بالألباب . إلى آخر هذه الأوصاف الفضفاضة .

وقد رأيت أن الواجب العلمى والأدبى ، يقتضينى أن أتعرض لهذه القصائد بالنقد لئلا تخدع النشء عنها . وليس فى نقدها مايحط من مكانة هؤلاء الشعراء ، فإن لهم محاسن كثيرة فى قصائد أخرى غيرها .

البارودى وشوقى وحافظ ، من كبار شعراء العربية . نهضوا بالشعر ، وبعثوه من رقدته بعد أن تخلف عن الحياة زمنا طويلا ، ولكنهم - مع ذلك - لم يسلموا فى آثارهم من قصور ، ومن قصور خطير فى بعض الأحايين ، فعلينا حين ندرس آثارهم ألا نفضل مواضع المحاسن ولاجودة الصناعة ، كما علينا ألا نسرف فى الإطراء ، ونغلو فى المديح ، فقد مضى الزمن الذى كان كل شاعر فيه (أشعر الشعراء) وعما يؤسف له أنه لايزال عندنا أصحاب أمزجة حادة يسرفون فى المدح إذا أحبوا ، ويسرفون فى الذم إذا أبغضوا ، ولا يرجعون فى ذلك - حين تراجعهم - إلا إلى أمزجتهم ، وأحكامهم التى لم تبن على أسس من نظر وتمحيص ، فليس من العدل والخدمة الحقة للأدب العربى أن يخرج شوقى - مثلا - من دائرة الشعراء - كما حاول بعض النقاد المحدثين - كما أنه ليس من الإنصاف للحقيقة وإكبارها أن نجعل شوقيا وأمثاله آلهة الشعر ، كما يحلو لبعض الزملاء أن يقولوا - فما زال التوسط محموداً فى كل شىء ، وما زال المدى بعيداً ، دون بلوغ درجة الكمال فى بلاغة التعبير ، وسمو المعانى .

وسأبتدئ بقصيدة البارودى ، وهى قصيدة قالها فى منفاه ، بعد أن رأى طيف صغيرته سميرة ، فسجل هذه الرؤيا ، وتحدث عن ذلك الطيف الذى قطع إليه الفيافى والبحار واخترق حجب الظلام ، يحدوه الشوق ، ويزجره الحنين . هذا الطيف الذى لم يتلبث حتى يبل الوالد الواله الحزين ظمأه ، بل ألم إلماما عابراً .

ثم تسلمه هذه الحالة إلى الحديث عن الدنيا وأنها زائلة ، والمصير إلى الله ، ويرى - كما

يرى غيره - أن الدنيا تعقب الإحسان بالإساءة ، بل إن إحسانها وسيلة لإساءتها ، فهي تفعل بالناس كما يفعل الجزار بالبهيمة ، يسمنها ليذبحها ، فهي تغدق عليه النعم لتفنيه وكأنها موتورة من الناس ، فهي تطلب ثأرها ، وما زالت كالحرباء لها كل حين لون ، وحريٌّ بصاحبها أن يأخذ حذره منها .

والبارودي - كما يقول - صحب الدنيا بالصبر ؛ لأنه لم يجد مندوحة عنه ، فهذا الصبر - عنده - ليس شيئاً لأنه لا يملك غيره ثم يعود فيرى أن في هذا الصبر عذراً ، فإنه فقد المعين ، وأخفق في الآمال ، وإذا أظلمت الدنيا في عينيه ، وكشر الخطب عن أنيابه لجأ إلى الله ، فإن من : يلجأ إلى الله في الشدائد كان مآله إلى الخسران ، وكل من لم يصبر على حلو الحياة ومرها فهو طائش العقل .

وينتقل البارودي - بعد ذلك - إلى الحديث عن الهمة والعزيمة فيقول : إن النفس الصغيرة حاجاتها قليلة ، والقلب الكبير همومه كثيرة . وما أيسر الحياة لو كان كل ما فيها لقمة العيش ، ولكن الماجد لا يرضى الدنيَّة وإذا كان الإنسان يخشى كل شيء - من خوف الردى ، فكل شيء يلقاه يجد فيه ضرراً ، ولا غرو فإن الشر قد يأتي من الخير ، ومن صحة الإنسان ما فيه سقمه ، وعلى صاحب الهمة أن يتقحم الأمور ، ويغامر في طلب العز ، فإذا أخفق فلا عليه ، فمبلغ نفس عذرها مثل منجح .

ثم يلتفت إلى نفسه فيراها فاضلة أمينة لم يغرها المال ، ولم تقبل الضيم ، فماذا يستطيع أعداؤه أن يتكذبوا به عليه ، وما قيمة المال حتى يحمله على التنازل عن إبائه . . إن المال ليس بذي غناء إلا إذا أعطى منه القريب والصديق ، والبارودي ذو نفس طموح لا يقعد بها النعيم عن المعالي ولا يذلها الفقر ، وهو ثابت الجنان ، فصيح اللسان ، يقول والخطب مدلهم ، ويصول والموت يتخطف الأبطال ، وهو نبيل النفس لا يبطره الغنى ، ولا يحزن للفقر . . فالغنى لا يستر الخسيس ، والفقر لا يفضح طاهر العرض ، والمال عند صغير النفس عيب جديد يضاف إلى معايبه ، فهو كالسيف المغلول ، حليته عيب فيه حين يحتاج صاحبه إلى الضرب به فينبو ، ويخزى صاحبه . وليس يعيب الشاعر أن تتنكر له الدنيا ، وتلقى به في هذا المنفى البعيد ، فليس هو أول بطل حطم الزمان سيفه ، ولا أول سيد دارت عليه الدوائر ، فلكل صارم نبوة ، ولكل جواد كبوة .

وينتهي أخيراً إلى الأمل يراود نفسه بأن الحق سيظهر ، وأن السرائر ستبدي ما فيها من حقود ، وهي غمرة ستنجلي ، ويسليه هذا

إلى تنبيه الناس إلى الحقيقة الكبرى وهى أن الجميع مُهطعون إلى غاية شديدة الأهوال ، يرى الناس فيها ألوانا من الكروب وهنالك يعلو الحق ، ويسفل الباطل .

وعما قليل ينتهى الأمر كله
فما أول إلا ويتلوه آخر

ooo

وتمتاز القصيدة بما يمتاز به شعر البارودى من قوة الأسلوب وصفاء الديباجة واختيار الكلمات — فى أكثر الأبيات — وفيها أبيات بلغت فى هذه الناحية مبلغا عظيما ، كقوله :

قؤول وأحلام الرجال عوازب
صئول وأفواه المنايا فواغر

وكقوله عن الدنيا :

لها ترة فى كل حى وما لها
— على طول ما تجنى على الخلق — واتر

وأغراض القصيدة — وإن تعددت — إلا أنها متآخية ، فالحديث عن الطيف أسلمه إلى الحديث عن الأولاد ، وأسلمه هذا إلى الفراق ، ثم إلى وصف الدنيا ، ومن وصفها انتقل إلى الصبر وإلى الأمل فى الله ، ثم أفضى به حاله إلى أن يتحدث عن السيادة وما يلاقيه طلابها من متاعب ، وطبعى أن يأتى هنا الفخر بالنفس ، وبالشجاعة وبالأمانة ، وقد وصف نفسه بأنها أبت الخيانة ولو قبلتها لكثر مالها فيجره الحديث إلى القول فى المال ، ثم ينتقل إلى التأسى بالأبطال ، وإلى الأمل فى ظهور الحق ، وأخيراً يلتفت إلى يوم الحساب ، وينبه الشامتين والحاقدين إليه .

وقد أجاد فى ضرب بعض الأمثال كقوله عند الحديث عن المال ، وأن كثرته لا تستر خسة صاحبه :

إذا ما ذباب السيف لم يك ماضيا
فحليته وصم لدى الحرب ظاهر

وكقوله عند الحديث على أن الإنسان قد يأتيه الشر مما يظن فيه الخير :

فمن صحة الإنسان ما فيه سقمه
ومن أمنه ما فاجأته المخاطر

وكقوله يؤكد ويقرب إدراكه للعلا وهو خلو من المال : (فقد يشهد السيف الوغى وهو خاسر) .

وفى القصيدة بعض الصور البيانية البديعة كقوله : (والنجم بالأفق حائر) كناية عن شدة الظلمة ، وكقوله فى التعبير عن شدة الهول : (وأحلام الرجال عوازب) ، (وأفواه المنايا فواغر) . وعن شدة الغاية التى يمضى إليها الناس وهى يوم القيامة :

تطول بها الأنفاس بهرا وتلتوى
على فلكة الساقين فيها المآزر

وقد كسا بعض المعانى القديمة ثوبا جديدا جعلها تأخذ النظر — فى بادىء الرأى —

كقوله عن الدنيا :

كثيرة ألوان الوداد ملية
بأن يتوقاها القرين المعاشر

وبعض هذا الذى قدمنا يتفق مع نظرة البارودى إلى الشعر ، حيث يقول فى مقدمة ديوانه عن الشعر الجيد : « وخير الكلام ما ائتلفت ألفاظه ، وائتلفت معانيه ، وكان قريب المأخذ ، بعيد المرمى ، سليما من وصمة التكلف ، بريئا من عسرة التعسف ، غنيا عن مراجعة الفكرة ، فهذه صفة الشعر الجيد » .

ولكن ... ...

١ — أكثر معانى القصيدة — إن لم تكن كل معانيها — مأخوذ مما قال الأقدمون فليس فى القصيدة ابتكار ، والأخذ لا يعد عيبا على الإطلاق بل هو عيب عندما يقصر الآخذ عمن أخذ عنه ، وقد بالغ القاضى الجرجانى فى الدفاع عن سرقات المتنبى ؛ لأن ضلعه كانت معه ، ففرق — أولا بين المعانى العامة والمعانى الخاصة وهو كلام سليم . وقال : إن الأخذ فى المعانى العامة ، والمعانى الخاصة إذا تدوولت ، لا يدخل فى مفهوم السرق ، وإنك (لو سمعت قائلا يقول إن فلانا الشاعر أخذ من فلان قوله لا مرحبا بالشيب ، وحبذا الشباب ، وكيف لوعاد ، ويا أسفى لفراق الأحبة ، وما لذت العيش بعدهم ، وفاضت عينى صبابة لذكرهم ، لحكمت بجهله ، ولم تشك فى غفلته [١] ثم قال : (والسرق — أيدك الله — داء قديم ، وعيب عتيق ، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ، ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه [٢]) والتمس العذر لأهل عصره والعصر الذى يليه ، واعتبرهم أبعد عن المذمة ، لأن من تقدمنا — قال — قد استغرق المعانى ، وسبق إليها ، وأتى على معظمها [٣] . ثم قال « ولهذا السبب حظر على نفسى ، ولا أرى لغيرى بت الحكم على شاعر بالسرقة . إلا أنى إذا وجدت فى شعره معانى كثيرة أجدها لغيره حكمت بأن فيها مأخوذا لا أثبته بعينه ، ومسروقا لا يتميز لى من غيره وإنما أقول قال فلان كذا ، وقد سبقه إليه فلان فقال كذا » . والذى دعاه إلى ذلك أن الشاعر كما يقول — قد يتعب خاطره وذهنه فى تحصيل معنى يظنه غريبا مبتدعا ، ثم يجده إذا تصفح الدواوين بعينه أو يجد مثالا له .

والحق أن القاضى بالغ فى الدفاع عن صاحبه فى هذا الموضع ، فإن من كان كالمتنبى فى علمه ، وحفظه لا يقال : إنه يجهل المصادر التى أخذ منها بعض معانيه ، وهذا ما نقوله فى البارودى ، ولو أننا استبعدنا مسألة

(١) الوساطة ص ١٥٠ ط . صبيح .
(٢) المصدر السابق ص ١٧٠ .
(٣) ص ١٧١ .

السرقة ، لأنها لا تعنينا كثيرا . لكان لنا في المقارنة بين معاني البارودي ومعاني غيره ممن سبقوه نظر وتفضيل ، وعند النظر في صنيع البارودي تجده قصر في أكثر المعاني، فمثلا قوله عن الدنيا :

ومن نظر الدنيا بحكمة ناقد
دري أنها بين الأنام تقامر

سبقه في هذا المعنى أبو نواس فقال :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صـــديق

وبيت أبي نواس أدق وأروع،فأبو نواس جعل الدنيا مخادعة تظهر لك الود ، وتخفي لك البغضاء وهي تحكم ذلك ، وتبالغ في التمويه ، حتى تحتاج إلى اللبيب . وإلى امتحانه للكشف عنها ، أما أن الدنيا تعطي هـــذا وتاخذ من ذاك فذلك أمر ظاهر لا يحتاج إلى حكمة ناقد ، بل النظرة العابرة توصلنا إلى كشف هذا الخلق فيها ، وقد أجاد الأول في التعبير عن هذا المعنى دون أن يتكلف ما تكلفه البارودي فقال :

وقد تعدل الدنيا فيمسى غنيها
فقيرا ، ويغنى بعد بؤس فقيرها

وأحب قبل أن أسترسل في هذه الناحية أن أذكر هنا كلمة للشيخ حمزة فتح الله قال : (متى تقاربت المعاني في بيتين أو أبيات ، أو جملتين أو جمل ، عسر التعبير عن علة كون هذا أجود من ذاك ، وكان المعول عليه في التفضيل إنما هو الذوق البحت، والسليقة السليمة ، بل قد يوجد من الكلام في غير المقارنة ما يبلغ في حسن اللفظ ، مبلغا يأخذ بمجامع القلوب ، فإن حاولت التعبير عن صفة ذلك الحسن استعصت عليك العبارة ، وضاق عنها نطاق الإمكان ، حتى قالوا : إن إن ذلك كالحسن في وجوه الملاح يعرف ولا يوصف ،ألا ترى أنه قد يكون فرسان سليمان من كل عيب موجود ، فيهما سائر علامات العتق والجودة والنجابة ، ويكون أحدهما أفضل من الآخر بفرق لا يعلمه إلا أهل الخبرة والدربة الطويلة ، وكذلك الجاريتان البارعتان في الجمال المتقاربتان في الوصف السليمتان من كل عيب ، قد يفرق بينهما العالم بأمر الرقيق حتى يجعل بينهما فضلا كبيرا ، فإذا قيل له أو للنخاس:أنى لك هذا التفضيل لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما .وإنما يعرفه كل واحد منهما بسليقته.وكثرة دربته، وطول ملابسته ، فكذلك الشعر ، يتقارب البيتان الجيدان النادران فيعلم أهل العلم بصناعة الشعر أيهما أجود إن كان معناهما واحدا ، أو أيهما أجود في معناه إن كان معناهما مختلفا ، ذكر هـذا المعنى محمد بن سلام ، ودعبل بن علي الخزاعي في كتابيهما [١]) .

(البقية على صفحة ١٠١٥)

[١] المواهب الفتحية ص ١٢٢ ، والعبارات في مقدمة طبقات فحول الشعراء ببسط أوسع مما أورده الشيخ حمزة فتح الله ص٢٦ ط . دار المعارف.

النحو بين التجديد والتقليد

للأستاذ عبد الخالق عضيمة

— ٤ —

مناقشة الدكتور أيوب :

وهذه حلقة أخرى فى سلسلة التجديد فى النحو وهى من صنع الدكتور عبد الرحمن أيوب ماجستير ودكتوراة فى الدراسات اللغوية من جامعة لندن ومدرس بكلية دار العلوم أخرج لنا كتابا سماه دراسات نقدية فى النحو العربى وقدم لهذه الدراسات الأستاذ إبراهيم مصطفى ففاخر بها وقال :

« هذا مطلع فجر واضح الإسفار يضىء نوره مناهج البحث اللغوى العربى ويشرق من ناحية كلية دار العلوم من أفق مرتقب الإشراق من جو الهداية منهج بارع جديد فى البحث النحوى مكن لصاحبه ما لم يهيأ لكثير غيره من الباحثين فى علوم العربية ثم تكلم عن أطوار تجديد النحو فقال :

تجديد تمثل فى تقريب النحو وتيسيره وتخليصه من الجدل اللفظى وأوضح عمل له عمل المرحوم حفنى ناصف وزملائه وتجديد تمثل فى اصطناع طرق التربية وسبل البيان والعرض وكان أوضحه عمل المرحوم الأستاذ الجارم وزميله وتجديد تمثل فى تغيير مناهج البحث النحوى وطرق رسم القواعد وكانت منه بوارق أوضحها بارقة وأحفلها بالأمل ما يقوم به الدكتور أيوب فى هذا الكتاب وإنى لأرى فى هذا الجهد إصلاحا يوشك أن يكون شاملا وألمح نور فجر صادق يضىء مناهج البحث اللغوى العربى .

وقد شاء للدكتور أيوب تواضعه أن يعلق على كلام الأستاذ إبراهيم مصطفى بقوله :

يجدر بى الإشارة إلى أن اول كتاب ظهر فى العالم العربى فى العصر الحديث لنقد نظريات النحو التقليدية هو كتاب إحياء النحو بقلم الأستاذ إبراهيم مصطفى

لقد ثار الدكتور أيوب على النحويين ثورة عارمة جامحة وفى فورة غضبه رسم لهم صورة شائهة على حد قول الشاعر :

شوهاء خلقتها فى وجهها نمش
فى عينها عمش فى ساقها حمش

ولم ير لهم فضلا يذكر ولا جهدا يشكر .

والجديد فى نقد الدكتور أنه يتهم النحويين بسرقة النحو اللاتينى فهذا النحو العربى الذى مضت عليه قرون وقرون ليس نحواً عربيا وفرض على العربية فرضا قال فى مقدمة كتابه :

كان هم كل مؤلفى قواعد اللغة أن يفرضوا عليها النحو اللاتينى .

وأعجب من هذا وأغرب أن يزعم الدكتور أن للاستعمار الأوربى إصبعا فى فرض النحو اللاتينى على العربية .

قال فى المقدمة أيضا : وظل الحال على هذا حتى جاء عصر الاستعمار الأوربى لبلاد آسيا وإفريقيا وواجه الغربيون ضرورة التعرف على لغات الشعوب التى يستعمرونها وحاول بعض المؤلفين أن يصنعوا لهذه اللغة الجديدة نحواً على نسق النحو اللاتينى .

زعم الدكتور أنه أمسك بتلابيب النحويين متلبسين بسرقة النحو اللاتينى فما أدلته على هذا الاتهام الخطير ؟ .

لم يرتكز فى دعواه العريضة إلا على هذه الكلمات قال فى ص ١٠ تقسيم النحاة للكلمة متأثر بتقسيم إفلاطون وقال فى ص ٩٢ تقسيم العلم إلى مرتجل ومنقول أخذه النحويون عن أرسطو الذى قال هو الآخر به .

وقال فى ص ١٢٨ تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية تقسيم مشابه لتقسيم الجملة اللاتينية .

وزعم الدكتور أيضا أن النحويين أخذوا الفلسفة الإغريقية كما أخذوا النحو اللاتينى .

قال فى حديثه عن التعليق والإلغاء ص ٢٢٤ — ٢٢٥ .

هنا أطل فلسفة إفلاطون بقرنيها . هذا هراء فلسفى لا أكثر ولا أقل إن صح أن يوصف الهراء بأنه فلسفة .

وقال فى ص ١٧٩ عيب النحاة ينحصر فى خضوعهم لنظريات فلسفية ليست ذات قيمة لغوية من ناحيته .

وقصورهم عن استيفاء جوانب البحث من ناحية أخرى .

وقال فى ص ١٥٢ النحويون كانوا محكومين باعتبارات فلسفية لا علاقة لها باللغة .

واعترض على تعريف النحويين للحرف بقوله ص ٩ :

لقد وقع النحاة فى هذا الخطأ لأنهم كانوا فى الواقع متأثرين بالفلسفة الإغريقية عن الموجودات أكثر مما كانوا يدرسون خصائص الألفاظ العربية ذاتها ثم كرر هذا الزعم على هذه الصفحات ٢٨ - ٧٣ - ١٢٨ - ١٦٥ .

وقد أشرك الدكتور نحاة الغرب مع نحاة العرب فى تقليدهم لفلسفة الإغريق قال فى ص ١٢٨ .

لم يكن النحاة العرب وحدهم مقلدين لفلاسفة الإغريق فعلى نفس الطريق سار النحاة من الغربيين .

كما يرى الدكتور أن النحويين لاينظرون عند اصطناع قواعدهم إلى الواقع اللغوى ولا يعيرون النظر فى استعمال العرب أدنى التفات وإنما يبنون قواعدهم على أساس من اعتبارات عقلية وهمية .

ذكر ذلك فى المقدمة وكرره على هذه الصفحات ١٥٢-١٥٥-١٥٦- ٢٢٤ - ٢٢٥

وردنا على دعاوى الدكتور أن نقول له :

إن رواة اللغة ونقلتها إنما التقطوها من أفواه حرشة الضباب وأكلة اليرابيع وتشدد الأصمعى فلم ينقل عن ذى الرمة لأنه طالما أكل المالح والبقل فى حوانيت البقالين ـ الخصائص ٣ / ٢٩٥ .

هذه هى اللغة التى نظر فيها النحويون وعولوا عليها فى الاستشهاد .

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب ومع هذا لم يحتج النحويون لقواعدهم بالأحاديث النبوية الشريفة لأن رجال الحديث أجازوا الرواية بالمعنى فاحتمل الحديث أن تكون بعض ألفاظه لراو لا يحتج بكلامه فى اللغة .

فلهذا الاحتمال الضعيف أسقط النحويون الاحتجاج بالأحاديث النبوية ولم يحتج بالحديث إلا بعض المتأخرين كابن خروف وابن مالك

خزانة الأدب للبغدادى ١ / ٥ - ٦

وقد اشتط كثير من النحويين فلحن بعض القراء وقد سجلت هذا الغلو فى صحائف وسأطوى ذكرها لأنى أعتبرها بمثابة بقع سوداء فى صحائف أعمالهم وما ظفر النحويون بقواعدهم عفوا صفوا ولا وافتهم رهوا سهوا وإنما كان ذلك بعد بذل الجهد فى الاستقصاء والاستقراء فاستطاعوا أن يضعوا الضوابط لمفردات اللغة وصيغها وأساليبها وما جاء على الكثير وما خرج عن أصله إلى غير ذلك مما ينطق بفضلهم ويتحدث عن حسن بلائهم فهل نستكثر عليهم بعد هذا تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية والعلم إلى منقول ومرتجل ما أيسر مثل هذه التقسيمات وما أغناهم عن أن يتوجهوا إلى النحو اللاتينى يترسمون خطاه :

رمانى بأمر كنت منه ووالدى
بريئا ومن أجل الطوى رمانى

وبين اللغات قدر مشترك من الألفاظ تحدث عنه علماء اللغات ويقول أبو الفتح فى الخصائص ٣/٢٨٥ .

ويقال إن التنور لفظة اشترك فيها جميع اللغات من العرب وغيرهم .

فهل يعتبر الدكتور هذا الاشتراك من السرقات وتتحدث كتب الأدب كثيراً عن توافق الخواطر ووقوع الحافر على الحافر بين الشاعر والشاعر .

ولكن الدكتور لا يعترف بمثل هذا للنحويين .

ارتكز الدكتور فى تأليف كتابه على كتابين ـ ابن عقيل والأشمونى ولم ينظر فى غيرهما من كتب النحو وقد ذكر أسرار العربية

للأنبارى فى موضع واحد ولم يحاول أن يرجع إلى أصول علم النحو أو الأدب الجاهلى أو الإسلامى ليعرف مدى صدق هذه القواعد وإطرادها . لم يصنع شيئاً من هذا فيستدرك على النحاة وإنما وجه عنايته إلى اتهامهم بأخذ النحو اللاتينى والفلسفة الإغريقية وبأنهم لم ينظروا إلى واقع كلام العرب .

وسأختار مسألة واحدة أوازن فيها بين موقف الدكتور أيوب وموقف غيره من النحويين .

ذكر الدكتور فى كتابه أن غالبية النحويين تمنع تقديم خبر ليس عليها ، تناول الدكتور هذه القاعدة فى يسر وسهولة ولم يجشم نفسه مشقة الاحتكام إلى الأسلوب العربى .

أما أبو حيان وهو من نحاة القرن الثامن فقد وقف عند هذه القاعدة وقفة احتكم فيها إلى أساليب العرب فقرأ جملة من دواوين العرب لذلك الغرض قال أبو حيان :

وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بمعموله إلا مادل عليه ظاهر هذه الآية (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) وقول الشاعر :

فيأبى فما يزداد إلا لجاجة
وكنت أبيا فى الخنا لست أقدم

البحر المحيط ٥/٢٠٦ .

ولأبى حيان استقراءات أخرى وليس هنا موضع الحديث عنها .

كنا نود من الدكتور أن يصنع مثل ذلك فى بعض مسائل كتابه ولا سيما وقد يسرت لنا الطباعة النظر فى دواوين العرب والرجوع إليها .

٢ — عرض الدكتور لنقد علل الإعراب والبناء عند النحويين ثم قسم المبنى والمعرب تقسيما جديداً بلغت الأقسام عنده قرابة ثلاثين قسما ولا أريد أن أعرض لتقسيماته بالنقد وأكتفى بذكر حديث طريف نسب إلى الخليل بن أحمد بين فيه قيمة التعليلات عامة ومنزلتها من النحو .

قال أبو القاسم الزجاجى المتوفى سنة ٣٣٧ هـ فى كتابه إيضاح علل النحو ص ٦٥ - ٦٦ .

وذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد رحمه الله سئل عن العلل التى يعتل بها فى النحو فقيل له أعن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك فقال :

إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقامت فى عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها وعللت أنا بما عندى أنه علة لما عللته به فإن أكن أصبت العلة فهو الذى التمست وإن تكن هناك علة غير ماذكرت فالذى ذكرته محتمل أن يكون علة له

ومثلي في ذلك مثل حكيم دخل دارا محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة فكلما وقف هذا الرجل الداخل الدار على شيء منها قال إنما فعل هذا هكذا لعلة كذا وكذا ولسبب كذا وكذا لعلة سنحت له وخطرت بباله محتملة أن تكون علة لذلك. فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلا أن ما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك فإن سنحت لغيري علة لما عللته من النحو هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها.

قال الزجاجي وهذا كلام مستقيم وإنصاف من الخليل رحمة الله عليه، وينظر الاقتراح للسيوطي ٥٧ - ٥٨.

وفي الخصائص ١/٨٧ - ٨٨ واعلم أنا - مع ما شرحناه وعنينا به فأوضحناه من ترجيح علل النحو على علل الفقه وإلحاقها بعلل الكلام - لا ندعي أنها تبلغ قدر علل المتكلمين ولا عليها براهين المهندسين.

وعاب الدكتور على النحويين أنهم لا يحسنون اختيار الألفاظ المعبرة عن اصطلاحاتهم، وضرب مثلا لذلك بحذف المبتدأ والخبر - والتعبير بالفاعل.

قال في ص ١٥٧ - ١٥٨ أود بادئ ذي بدء أن أذكر أمرا قد يبدو من الوضوح بحيث لا يحتاج للذكر، ذلك هو عدم دقة اختيار النحاة للألفاظ حتى توحي بمعان قد لا تكون مقصودة لهم على الإطلاق وأريد بهذا لفظ حذف، وهو يشعر أن المحذوف كان موجوداً ثم حذف بشكل مقصود بعد ذلك. وقد كان من الأدق أن يستعمل النحاة عبارة عدم ذكر المبتدأ أو الخبر بدلا من عبارة حذف المبتدأ أو الخبر.

وقال في ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ولعل من سوء الحظ أن أطلق النحاة لفظ فاعل على الركن الاسمي للجملة الفعلية فقد أضاف ما في هذه الكلمة من دلالة قاموسية صعوبة لا لزوم لها.

إن ملاحظة الدكتور هنا أقرب إلى المماحكة اللفظية منها إلى النقد العلمي، وشتان بين الاختيارين.

٣ — في حديثه عن التعليق والإلغاء تكلم عن العلل المنطقية، ثم قال ترى هل يحكم النحاة هذا المنطق في استنباط قواعد اللغة أم يحكمون الواقع اللغوي الذي لا يلتزم بهذا النوع من التفكير المنطقي، إن أمثلتهم التي ذكروها في الأشموني وابن عقيل على الأقل ليست من أقوال العرب المأثورة ولا من أشعارهم. ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

مثل الأشموني للإلغاء بهذه الشواهد:

أرجو وآمل أن تدنو مودتها
وما إخال لدينا منك تنويل
والبيت لكعب بن زهير من قصيدته المشهورة بانت سعاد .
كذاك أدبت حتى صار من خلق
أنى رأيت ملاك الشيمة الأدب
والبيت لبعض الفزاريين وهو من أبيات الحماسة ـ خزانة الأدب ٤/٥ .
آت الموت تعلمون فلا ير
هبكم من لظى الحروب اضطرام
وقد تكلم عليه العينى ـ خزانة الأدب ٢ / ٤٠٢ .
شجاك أظن ربع الظاعنين
ولم تعبأ بعذل العاذلينا
تكلم عليه العينى خزانة الأدب ٢/٤١٩ .
ومثل الأشمونى للتعليق بهذه الشواهد .
ولقد علمت لتأتين منيتى
إن المنايا لا تطيش سهامها
والبيت من شواهد سيبويه ١/٤٦٠ ونسب للبيد ـ خزانة الأدب ٤/١٣ .
وما كنت أدرى قبل عزة ما البكا
ولا موجعات القلب حتى تولت
وهو لكثير عزة خزانة الأدب ٢/٣٧٨ .
وقد علم الأقوام لو أن حاتما
أراد ثراء المال كان له وفر
والبيت فى ديوان حاتم الطائى / ٧٢ .

ومثل الأشمونى أيضاً للتعليق بقوله تعالى .
ولقد علموا لمن اشتراه ـ وإن أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون ـ لنعلم أى الحزبين أحصى ـ ولتعلمن أينا أشد عذابا ـ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، وإن أدرى لعله فتنة لكم .

هذه هى شواهد الأشمونى التى قال عنها الدكتور أيوب : إنها ليست من أقوال العرب المأثورة ولا من أشعارهم وإن أراد الدكتور شواهد أخرى للإلغاء . فأذكر له :
أبا الأراجيز يابن اللؤم توعدنى
وفى الأراجيز خلت اللؤم والخور
للعين المنقرى يهجو العجاج ، ابن يعيش ٧ / ٨٤ .
من رأيت المنون عرين أم من
ذا عليه أن يضام خفير
لعدى بن زيد العبادى أمالى الشجرى ١/٩١
هما سيدانا يزعمان وإنما
يسودانا أن يسرت غنماهما
للدبيرى ـ خزانة الأدب ٢ ـ ٤٠٣
ولستم فاعلين إخال حتى
ينال أقاصى الحطب الوقود
لعقيل بن علفة ـ شرح الرضى للكافية ١ ـ ٢٦٠ ـ خزانة الأدب ٤ ـ ١٢ وهو من أبيات الحماسة أيضا .

وأما شواهد التعليق فى القرآن الكريم فكثيرة جدا .

ويدعى الدكتور أن النحويين عنوا بالأفعال الناسخة من جهة بيان أثرها الإعرابى فقط قال فى ص ١٨٠ — ١٨١ ليس من شك فى أن وظيفة الأفعال الناسخة لا تنحصر فى مجرد أثرها الإعرابى ولكن لها وظيفة أخرى خاصة بدلالة التركيب الذى توجد فيه ...

وقد أشبع النحويون القول فى معانى الأفعال الناسخة سواء أكانت ناقصة أم تامة وليرجع الدكتور إلى شرح الكافية للرضى فى هذه الصفحات ٢ — ٢٧٠ — ٢٧١ — ٢٧٢ — ٢٧٣ — ٢٧٤ — ٢٧٥ وشرح ابن يعيش ٧ — ٩٧ — ١٠٣ .

٤ — يؤرخ الدكتور للجملة فيقول فى ص ١٥٠

وقد مرت الجملة النحوية فى دورين : أما المبكر منهما فلم يفرق بين نوعها الاسمى ونوعها الفعلى تفريقا حاداً بل اعتبرها كما يعتبرها البلاغيون إسناداً مكونا من مسند ومسند إليه وكان سيبويه إمام النحاة ممن قالوا بهذا — وأما الدور المتأخر فقد انفصلت فيه الجملة الاسمية عن الفعلية وبوبت الأحكام لكل منهما وفصلت على ما ترى بين أيدينا اليوم .

ثم قال فى ص ٢٤٣ ولم يواجه النحاة الأول ولا علماء البلاغة هذه الصعوبة عندما استعملوا لفظ مسند إليه وهو مصطلح لا يشير إلى وجود لفظ يدل على حدث كما لا يشير إلى موضع خاص فى الجملة ولو حافظ النحاة على هذا الاصطلاح وتجنبوا الاصطلاحات ذات الدلالة القاموسية القوية لما ألبس عليهم الأمر كل هذا الإلباس .

يدعى الدكتور أن سيبويه لم يعبر عن الجملة الاسمية والفعلية إلا بتعبير واحد مسند ومسند إليه وكذلك علماء البلاغة فلم يعرفوا هذه المصطلحات — مبتدأ وخبرا — فعلا وفاعلا وهذه دعوى جريئة من الدكتور لم يرجع فيها إلى كلام سيبويه ولا إلى كلام علماء البلاغة .

ونرجع إلى كتاب سيبويه فنجد فيه ما يأتى :

هذا باب الابتداء . فالمبتدأ كل اسم ابتدئ ليبنى عليه وقال فى ١ — ٢٧٩ هذا باب ما يكون فيه المبتدأ مضمراً .

وقال فى قول العرب ١ — ١٤٧ من أنت زيدا قد علم أن زيدا ليس خبرا ولا مبتدأ .

وقال فى ١ — ٢٦ هذا باب ما تخبر فيه عن النكرة بنكرة

وقال فى ١ — ١٤ هذا باب الفاعل الذى لم يتعده فعله إلى مفعول .

هذا باب الفاعل الذى يتعداه فعله إلى مفعول .

وفرق بين أن يعبر سيبويه بقوله مسند

ومسند إليه فى مرة واحدة وبين أن يلتزم ذلك كما يدعى الدكتور .

وترجع إلى دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجانى فنجد فيه حذف المبتدأ ص ١١٢ — ويتحدث عن الخبر فى ص ١٣٢ فيقول : خبر هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة دونه وهو خبر المبتدأ كمنطلق فى قولك زيد منطلق .

ويقول فى ص ٨٣ فى التقديم والتأخير — كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك : منطلق زيد وضرب عمرا زيد .

ولو رجعنا إلى كتب أبى العباس المبرد وهو من النحويين المتقدمين لم نجد فيها إلا هذه الاصطلاحات المعروفة مبتدأ وخبراً ، وفعلا وفاعلا فقد فرق حديث الابتداء فى المقتضب على هذه الصفحات : ١٢٥ ، ٢٥٠ ، ٣١٤ ، ٣١٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٤٠٦ ، ٤٥٤ .

وفرق الحديث عن الفاعل على هذه الصفحات : ٣ ، ١٣٢ ، ١٥٩ ، ٣٢١ ، ٣٤٣ ، ٣٨٣ .

ولم يذكر مرة واحدة لفظ مسند ومسند إليه .

وكذلك فعل فى كتابه الكامل — رغبة الآمل ٣ / ٢٠٢ فهل يقال بعد هذا : إن المتأخرين ابتدعوا هذه الاصطلاحات ؟ .

٥ — عرض النحويون لمواضع حذف المبتدأ والخبر ويرى الدكتور أن ذلك إنما كان خضوعا لشكلية منطقية هى تحتم وجود الموضوع والمحمول معاً حتى يمكن للقضية أن تكون قضية ص ١٥٨ — ١٦٥ .

ويذهب الدكتور إلى ضرورة القول بوجود نوع من الجملة العربية الإسنادية ذات الركن الواحد ص ١٥٩ .

ويرى فى نيابة الجار والمجرور عن الفاعل أن الإسناد هناك فعلى ذو ركن واحد ٢٦٤ .

كما يرى ذلك فى نحو لست بقائم ص ٥٤ .

واعتقادى أن نقد الدكتور هنا نقد شكلى لا يمس الموضوع فما زلنا فى حاجة إلى معرفة المواضع التى يكون الإسناد فيها ذا ركن واحد حتى نقيس عليها ونتكلم على نهجها .

والنقد الموضوعى لهذه المواضع أن يستقرئ دواوين العرب ليرى هل استوعب النحويون جميع الأنواع أو فاتهم شىء منها فيستدرك عليهم .

أما حديثه عن الجملة ذات الركن الواحد ، فهو كلام لا غناء فيه ، ثم إنه مسبوق فى هذا بكلام الأستاذ إبراهيم مصطفى الذى قال إن النحاة لم يعرفوا الجملة الناقصة ، وقد ذكرناه فيما مضى .

٦ — يعترض الدكتور على كلام النحويين فى تقديم المبتدأ والخبر فيقول فى ص ١٥٧ إن ما يخشاه النحوى من التباس المبتدأ بالخبر ليس أمراً ذا بال لدى المتكلم الذى لا يشعر

حتى بفكرة إسناد المبتدأ للخبر أو الخبر للمبتدأ ، وقد يدرك المتفلسف الفرق بين إسناد الأخوة لزيد فى المثال . زيد أخوك ، وتبين إسناد زيد لأخوك فى المثال أخوك زيد ولكنى أشك فى إدراك المتكلم أو عنايته على الأقل بمثل هذا الفرق . هذا مثال آخر لانشغال النحوى بقاعدته ومدى حساسيته بها وهى حساسية بالغ فيها حتى أهمل تقدير الجوانب الواقعية فى الاستعمالات اللغوية .

وردنا على الدكتور أن نقول له إن العربى قد راعى هذا الأمر فالتزم تقديم المبتدأ على الخبر إن خاف اللبس بأن صلح كل منهما أن يكون مبتدأ أو خبراً قال زياد الأعجم .

قُبَيّلة خيرها شرها
وأصدقها الكاذب الآثم

الأغانى ١٥ / ٣٩٣ طبع دار الكتب

فقدم المبتدأ ولو قدم الخبر هنا لاختلف المعنى ولما قامت قرينة تميز المبتدأ من الخبر قدم حسان الخبر فى قوله :

قبيلة الأم الأحياء أكرمها
وأغدر الناس بالجيران وافيها

ديوان حسان / ٣٥٢

وبيت حسان نظير شاهد النحويين :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا
بنوهن أبناء الرجال الأباعد

٧ — يتحدث الدكتور عن لغة أكلونى البراغيث فيقول ص ١٥٢ وضع النحاة قاعدة للمطابقة بين طرفى الجملة إحداهما للجملة الاسمية والثانية للجملة الفعلية فقد قالوا إنها لازمة فى الأولى بين المبتدأ والخبر وبأنها ممتنعة فى الثانية إذا كان الفاعل أو نائبه مثنى أو جمعا حيث يتحتم فى هذه الحالة بناء الفعل فى صيغة المفرد ولم يكن النحاة فى هذا التفريق محكومين بالواقع اللغوى بمقدار ما كانوا محكومين باعتبارات فلسفية لا علاقة لها باللغة .

كنا ننتظر من الدكتور أن يرجع إلى الأدب العربى ويثبت أن لغة أكلونى البراغيث شائعة كثيرة ويذكر لنا شواهد لم يتعرض لها النحاة وقد عرضت لهذا فى كلمته السابقة.

ثم إن سيبويه تكلم عن أحكام المطابقة فى هذه الصفحات ١ / ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ ٢٣٨ فلم يأت المتأخرون بجديد .

أعرب النحويون قوله تعالى: «أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم» بأن جعلوا أراغب مبتدا وأنت فاعل سد مسد الخبر ولم يجيزوا أن يكون مبتدأ وأراغب خبره لما يلزم على ذلك من الفصل بين الخبر ومعموله بالأجنبى وهو المبتدأ . لم يرتض الدكتور هـذا الإعراب وأخذ يتحدث عن عدم واقعية التفكير النحوى فى ص ١٥٥ - ١٥٦ ونقـول له : إن الفصل بالأجنبى بين العامل ومعموله ممنوع عند النحويين فى أبواب كثيرة دل على ذلك الاستقراء .

وينظر المقتضب ٣١٥ - ٣٨٣ - ٤٠١ - الخصائص ٣ / ٢٥٥ - ٢٥٦ أمالى الشجرى ١/ ١٤٠ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ مغنى اللبيب ٢ / ١٢١ البحر المحيط ١ / ٢٧٤ .

فإذا أراد الدكتور أن ينقض هذه القاعدة فعليه أن يأتينا بشواهد من كلام العرب .

٨ — يتحدث الدكتور عن استتار الضمير فيقول فى ص ٧٦ - ١٥٨ : إنما قالوا بذلك خضوعا للقضية الفلسفية .

ولقد كفانا الدكتور مئونة الرد عليه فقد قال هو باستتار الضمير فى موضعين من كتابه ونسى ما ذكره هنا قال فى ص ١٠٦ يجب أن تشتمل جملة الصلة على ضمير يعود على الموصول ويسمى بالعائد ولا بد أن يتفق مع الموصول فى الجنس والعدد جاء الذى قام - جاءت التى قامت وقال فى ص١٣٨-١٤١ : لابد أن تحتوى جملة الخبر على ضمير يعود على المبتدأ ويسمى بالرابط .

٩ — تشكك الدكتور فى تعريف الضمير واسم الاشارة فقال فى ص١١٧ ولابد لنا أن نسلم بأن التنكير بمعنى عدم تعيين الكلمة لمدلول معين بالذات جزء من معنى كل الكلمة مهما كانت درجتها من التعريف وذلك لأن كل كلمة تصلح لأن تطلق على أكثر من ذات واحدة وضمير المتكلم والمخاطب وأسماء الإشارة وهى من أعرف المعارف لاتدل على معين فكلمة أنا وأنت مثلا تصلح لى ولك ولأخى ولأبى ولأمى بل وللدلالة على ملايين من المتكلمين .

إذا قلت يادكتور أنا مجدد النحو فأنا هنا لا تطلق على غيرك ولا يراد بها أحد سواك .

١٠ — يقول الدكتور عن لات ص١٨٧ .

وعندنا أن لات مكونة من لا واسم الإشارة تى الذى يختص بالمؤنث وهذا أمر تاريخى تطور إلى الكلمة لات ... ولات بوصفها الحالى لا تزال تتضمن معنى اسم الإشارة المؤنث ولهذا يشترط فيها عدم ذكر اسمها لأن هذا الاسم فى الواقع هو مدلول جزء الكلمة الذى كان فى الأصل اسم إشارة لمؤنث وهو التاء وذلك مثل ولات حين مناص .

وهذا التطور التاريخى لا دليل عليه يا دكتور إنما يعتمد على الحدس والتخمين ويعجبنى فى مثل هذا رد أبى على الفارسى على الفراء فى دعوى مماثلة بقوله : هذا لا يعرف إلا بوحى أوخبرنى خزانة الأدب ٣ - ١٧٩ .

وقول الرضى أيضا فى شرح الكافية ٢-٣٧ كل ذا قريب من دعوى علم الغيب .

ثم إن الكثير فى لات أن يذكر معها الخبر وقد يذكر معها الاسم وقرئ فى قوله تعالى : «ولات حين مناص» برفع حين.

ويرى الدكتور أنه لا مانع من أن يرفع

الفصل لفظين يدلان على الفاعل فتكون الألف والتاء في نحو ضربتا فاعلين وتكون تاء التأنيث في نحو ضربت فاطمة فاعلا وفاطمة فاعلا أيضا.

ويرى أنه لو جعلنا الألف في ضربتا وتاء التأنيث والتأنيث في ضربت حرفين لوجب أن نجعل الضمائر كلها حروفا. ٧٥ - ٧٦.

ولعل مما يطيب خاطر المشتغلين بالدراسات النحوية أن الدكتور أيوب لم يقصر طعنه على النحو العربي وإنما تناول الثقافة العربية كلها بالطعن.

قال في مقدمة كتابه: فالنحو العربي شأنه في ذلك شأن ثقافتنا التقليدية في عمومها يقوم على نوع من التفكير الجزئي الذي يعنى بالمثال قبل أن يعنى بالنظرية.

ولست أدرى ماذا يقصد الدكتور بالتفكير الجزئي هل يريد أن يجدد دعوة رينان الفرنسي في طعنه العقلية السامية بأنها عقلية مفرقة تتناول الجزئيات ولا تصل إلى الكليات - أم ذا يريد؟.

ويباهى الدكتور ببحوثه وباتصاله بقادة الفكر الغربي فيقول في مقدمته: وكم كنت أود لو أنصف القائمون على شئون الجامعات في بلادنا فأولوا الأبحاث الجديدة بعض ما يولون جداول الدروس من أهمية وكم كنت أود وقد تهيأت لي ولعدد من زملائي فرصة الاتصال الطويل ببعض قادة الفكر اللغوى المحدثين أن تمكن لنا شكليات المناهج والنظم الجامعية من إنتاج يتفق مع ما أنفقته الدولة علينا من مال وما حصلنا من خبرة.

وكم كنا نود نحن أيضاً أن تكون بحوث الدكتور مرتكزة على سعة الاطلاع والنظرة الفاحصة في أصول كتب النحو وليست قائمة على الحدس والتخمين والنظرة الخاطفة في ابن عقيل والأشمونى.

وهذا النحو الذى يحقر شأنه الدكتور ويزدريه قد نوه بشأنه وأعلى مكانته كبار المستشرقين. والعجيب أن الدكتور يباهى بأن تهيأت له فرصة الاتصال ببعضهم وسأقتصر على كلام اثنين من المستشرقين.

قال دى بور المستشرق الهولندى في كتابه تاريخ الفلسفة في الإسلام ترجمة الدكتور أبى ريدة ص ٤٠:

علم النحو أثر رائع من آثار العقل العربى بما له من دقة في الملاحظة ومن نشاط في جمع ما تفرق وهو أثر يرغم الناظر فيه على التقدير له ويحق للعرب أن يفخروا به. وقال المستشرق الألمانى يوهان فك في كتابه العربية ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ص ٢:

ولقد تكفلت القواعد التى وضعها نحاة العرب في جهد لا يعرف الكلل وتضحية جديرة بالإعجاب بعرض اللغة الفصحى وتصويرها في جميع مظاهرها من ناحية الأصوات والصيغ وتركيب الجمل ومعانى المفردات على صورة محيطة شاملة حتى بلغت كتب القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة لمستزيد.

قواعد النحو هي سبيلنا الوحيد لضبط كلام العرب والتحدث بالعربية وإننا - مع شدة حاجتنا إليها - على استعداد لأن نتخلى عنها ونتناساها إذا استطاع دعاة التجديد أن يبتدعوا لنا قواعد أيسر منها تغني غناءها وتسد مكانها .

أما أن يكون منتهى ما يصل إليه التجديد استبدال اصطلاح خفي بآخر جلي فذلك مالا نقبله منهم وليس بين اصطلاحات النحو ما هو أصرح وأوضح من المبتدأ والخبر والفعل والفاعل ولكن السادة المجددين لا يبصرون ذلك .

وفي تعب من يحسد الشمس ضوءها
ويجهد أن يأتي لها بضريب

ولسنا - والحمد لله - متعصبين لنوع معين من القواعد وقد قلت في كلمة سابقة : إن النحويين ليسوا معصومين وأن باب الاجتهاد في النحو ما زال مفتوحا على مصراعيه ونقلت نصوصا صريحة من القرن الرابع والثامن في ذلك وإني أعجب من أن يتحدث الأستاذ إبراهيم مصطفى في تقديمه كتاب الدكتور أيوب عن سد باب الاجتهاد في النحو وما قال بذلك أحد وما وقفنا عليه فيما بين أيدينا من كتب النحو .

والاجتهاد الذي ندعو إليه ونحض عليه لا نتمنى له سوى أن يكون ثمرة دراسات واسعة وقراءات في أصول كتب النحو وتتبع لأساليب العرب .

محمد عبد الخالق عضيمة

(بقية المنشور على ص ١٠٠٣)

وقد نقل صاحب العمدة العبارات بنصها عن ابن سلام الجمحي [٢] .

ثم قال الشيخ حمزة ، في موضع آخر ، « وبعد : فلسنا نحجر على ممعن في المعاني أو نقاد للمباني إمكان التماس ما يدفع ما قلناه ، أو العثور على محاسن للمفضول تربى على محاسن الفاضل ، فيصير المفضول فاضلا ، وبالعكس ، لأن هذا مجال واسع ، وإنما المراد هداية الطلبة إلى كيفية سلوك هذه الفجاج ويرحم الله عبد الرحيم الفاضل ، إذ قال في بعض رسائله ما معناه : إنه قلما يوجد كاتب أو شاعر أو مؤلف أو مصنف يقرأ اليوم ما كتبه أمس إلا ويقول: ليت كذا كان كذا . إلخ والكمال لله تعالى وحده ولمن كملهم من خليقته ، فليكن ذلك منك على ذكر » .

قلت . والأمر قريب من قريب ، والذي نستطيعه في مثل هذا الموقف أن نتجرد عن الهوى، وأن نطيل إمعان النظر ، وأن نهتدي بآراء من سبقونا في هذا الشأن . والتوفيق من الله .

(للحديث بقايا)

علي العماري

[٢] العمدة ط ١ ص ٧٦ ، الطبعة الأولى

النفقة وصلتها بقانون الوضع الجديد

للأستاذ عباس طه

بقية المنشور فى العدد الماضى

فلو كان للولد جد لأب وأخ شقيق فنفقته على الجد ، ولو كان له جد لأم وعم فنفقته على الجد لأم . فإن كان كل من الأصول والحواشي وارثا يعتبر الإرث وتجب عليهم النفقة على قدر أنصبائهم فى الإرث ، فلو كان للصغير أم وأخ عصبي أو أم وابن أخ كذلك أو أم وعم كذلك فنفقته عليهما أثلاثا : الأم الثلث وعلى العصبة الثلثان .

فإن غاب الأب وله أولاد ممن تجب نفقتهم عليه وله مال عندهم من جنس النفقه جاز للقاضى أن يأمر بالإنفاق منه عليهم، وكذلك الحال إذا كان للغائب مال مودع عند أحد أو فى بعض المصارف المالية أو كان له دين من جنس النفقة وأقر المودع عنده أو المدين بالمال أو لم يقر وقرائن المشاهدات قائمة على وجود تلك الوديعة عند المودع وبالدين عند المدين بواسطة صكوك ومستندات تثبت ذلك .

أما إذا كان مال الغائب ليس نقودا من جنس ما يحكم به بأن كان عقارا أو عروضا فلا يباع منه شيء بالنفقة ، بل تؤمر الأم بالاستدانة عليه للأولاد. لكن حقق صاحب ملتقى الأبحر وصاحب كتاب أنفع الوسائل أن للقاضى فى هذه الحالة أن يقدر الملابسات المحيطة بتلك الحالة الواقعة ، فإذا تعذر استدانة الأم على العقار أو العروض وتحققت حالة استثنائية وهى خشية تعرض الأولاد للجوع والفاقة ، جاز أن يباع العقار وأن تباع تلك العروض بالقدر الذى يدفع عن الأولاد غائلة المخمصة ، والضرورة تقدر بقدرها ، بدليل أن الفقهاء أجازوا فى بعض الحالات للولد الذى لم يبلغ حد الكسب أن ينفق من مال أبيه الغائب إذا كان هذا المال من جنس النفقة على قدر كفايته من غير رجوع فى ذلك الى قضاء القاضى .

وتبدو رحمة الشارع الحكيم مقرونة بالعدل الشامل فى حالات كثيرة من أبواب النفقة كحالة ما إذا كان الولد الفقير معسرا وله أب غنى ، فقد أوجب نفقة زوجته على أبيه الموسر إذا ضمنها فى العقد ، وأوجبها عليه إطلاقا على أن يرجع بها على ولده إذا أيسر ، لأنها تكون دينا فى ذمته لا تبرأ منها إلا إذا أداها بعد يساره فإن بلغ حد الاكتساب فإن كان ذكراً جاز للأب أن يؤجره على ما يحتمل ممارسته من الأعمال ، أو يدفعه إلى حرفة ليكتسب بها . و ذ ذاك ينفق منها أبوه عليه ، وما بقى من كسبه يحفظه أبوه

ليسلمه له بعد بلوغه . وإن لم يف كسب الغلام بمرافقه الضرورية كان على أبيه الموسر إتمام كفايته منها . وإذا استغنت الأنثى كذلك بكسبها من الحياكة أو الغزل مثلا أو نحوهما فنفقتها فى كسبها إن وفى بحاجتها ، وإن قصر كسبها عن شئونها الضرورية فعلى أبيها إتمامها. وإن شكت الأم امتناع الأب عن الإنفاق أو التقتير على ولدها منه جاز للقاضى أن يفرض النفقة ويأمر بإعطاء الصغير لأمه لتنفق عليه حتى إذا تحققت خيانتها فى الإنفاق عليه تحرى القاضى أمثل الطرق فى إيصال النفقة إلى الولد.

وهنا يرى بعض الفقهاء أن تسلم النفقة إلى الأم وجبة بعد أخرى من وجبات اليوم ، أو تسلم لها النفقة على دفعتين فى اليوم ، واحدة فى الصباح وأخرى فى المساء . لكن ما عليه عمل المحاكم اليوم هو غير ذلك كما هو مشاهد ، لأن فى عمل المحاكم تيسيرا أعم على الناس وترفيها لهم أخلق بالمصلحة من هذا الرأى ، فإن وقع الصلح بين الأم وزوجها على الأولاد فيما يتعلق بالإنفاق عليهم أو صالحت الحاضنة أبا الصغير عليه لذلك ، وقع الصلح صحيحا فى حالة واحدة وهى ما إذا كان المصطلح عليه قائما بكفاية الأولاد ، أما إذا كانت غير داخلة فى تقدير أسقطها القاضى من حساب الصلح وفرضها بالقدر الملائم ، وإن كان القدر المصالح عليه أقل من نفقة الكفاية زادها القاضى إلى ذلك القدر الذى يكفيهم .

وعليه يتفرع حال آخر وهو ما إذا قضى القاضى للزوجة على زوجها أو للحاضنة على أب الصغير أو أحد قرابته الواجب عليه نفقته فهى فى حكم نفقة الزوجة فى عدم سقوطها بمضى شهر فأكثر من تاريخ الفرض حتى ولو فرضت بغير استدانة من القاضى ، وعليه عمل كثير من المحاكم الآن ، وهو الأرفق بمصالح المتقاضين وأمس بحاجاتهم المتجددة بخلاف سائر المحارم. فإن فرض القاضى تلك النفقة للصغير على أبيه ومضت مدة دون أن تقتضيها الأم من الأب حتى مات فإن كانت مستنداته بأمر القاضى كان للأم الرجوع بها فى تركة أبيه كما يرجع بها عليه لو كان حيا ، فإن لم يقض القاضى باستدانة هذه النفقة وكان فى ذمة والد الصغير متجمد حتى مات ، سقط هذا المتجمد ولم يجز للأم أن تطالب به ورثة الميت . فلما تطور التشريع فى الأحوال الشخصية وروعى قدر الإمكان ما يجب للأسرة من حرمة ، عنى المشترعون بإيجاد ضوابط كانت أوسع نطاقا ، وأكثر تيسيرا وأفضل تحريا لصوالح الأسر وحياطة الأحوال الشخصية بسياج قوى يكفل لها الخير فى أوسع حدوده ويدرأ الشر فى أضيق صوره .

عباس طه
المحامى

مختار من الشعر القديم والحديث

في الطريق إلى الله :

شاطئُ التوبة

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

وشاطئٌ في يديه   كفَّارةٌ للخطايا
ذهبتُ يوما إليه   بأدمعي وشقايا
وبالمعاصي اللّواتي   دفنتُها في حشايا
وبالذنوب اللواتي   صحبتها في سُرايا
ورحتُ ألقي لديْها   تَبتُّلي وهدايا
فصرتُ قبراً غريبا   تناهشته المنايا
زفوا عليه غصونا   منضَّرات صبايا
وحمّلوه طيوراً   لقّنتُها من غنايا
وصرتُ بعضَ صلاة   تضم بعضَ الخطايا
وتوبة في خُطاها   تمشي الذنوبُ عرايا
كأنها من خفاء   الإثم صارت مطايا
أو أنها من رياء   أضحتْ لديه مرايا
ذهبتُ يوما ونفسي   جريحةٌ تتعايا
وللمعاصي عُواءٌ   مُدمدمٌ في الحنايا
كأنه صوت ذئب   تغافلته العشايا
أو فحُّ أفعى شوتْها   من الهجير شظايا

أو نوحُ ثكلى أهاجتْ   لها الليالي خفايا
أو وخزةٌ من ضمير   للإثم فيه بقايا
أو صرخةٌ من يتيم   تلقفته الرزايا
حملتُها .. وكأني   حملتُ هولَ المنايا
وجئتُ ندمان أُزجي   إليَّ المتاب خُطايا
حيرانُ ضلَّ أمامي   وضلَّ خلفي ورايا
وضل أفقي . وضجَّتْ   أرضي له وسمايا
أبكي ، وتبكي ، ويبكي   دمعي ، ويبكي بُكايا
وفي يديَّ غناء   مُولولٌ من أسايا
وحفنةٌ من دعاء   غرقتُه من دمايا
مُغمغمٌ في صياحي   مُزمزمٌ في دُجايا
كأنه صوتُ رؤيا   سجينة في الخفايا
أو حزنُ طير غريب   في الليل ينفخُ نايا
أو مُستجيرٌ تلبي   صداه نفسُ الرازيا
أو مستغيثٌ عليه   يرد صوتُ البلايا
أو ضارعٌ في زوال   دعاؤه من دعايا

خواطر عاقر

للشاعر محمد أحمد العزب

جن المساء ، ولم أزل حيرى على الدرب البعيد
أتلمس الدفء الحنون يشع من عيني وليد
وأكاد أنتهب الخطى للفجر . . للأمل الشهيد
لكنني أبداً أعود وفى يدىّ صدى النشيد

جن المساء . ولم يزل مهد الصغير . بلا صغير
لا شىء غير حطام أمنية هناك على السرير ! !
وضباب أشواق ممزقة الأغانى والعبير
وطيوف آمال مبعثرة على المهد الوثير

عينان ترتعشان فى الأفق المنمنم بالنجوم
وأنا أصيخ إلى بكاء صغير جارتنا النئوم ! ! !
وأحس لذع النار فى قلبي . . وولولة الغيوم
فأصم سمعى دونه وأضيع فى حلك الهموم

أبدا يحوّم خلف أستار النوافذ خاطرى
متنقلا بين المهود البيض مثل الطائر
فيضمها بجناحه الرفاف ضمة عابر
ويعود مختنق اللهاة بدمعه المتناثر

وأنا مخيَّلة العواطف أرهف الحرمانُ حسي
إن لاح لى طفل ظمئت إلى ابتسامته بقلبي
ورأيت فى عينيه أشواقى . وأشواكى وجدبى
وصراخ أيامى المهيض يهز آفاقى ودربى

قلبي الذى أودى به الحرمان مشدود إليه
وخريف أحضانى المبعثر فى الثرى باك عليه
ويداى باحثتان فى ليل الشرود على يديه
لو كان لى . . لأرقت أيامى ضراعات لديه

لكننى أصحو . وأغفو . وهو ما زال ظنونا
أتراه يسرف فى الدلال لكى أزيد به جنونا
إنى أحبك ياصغيرى خاطرا ، حلوا ، حنونا
أفلا أحبك ملء أحضانى تناغينى اللحونا

بهواك . لو أقبلت رقّاف العواطف والشعور
تنساب فى بسماتك العذراء أسرار العصور
لنثرت فوق دروبك البيضاء آلاف الزهور
ومهدت من قلبي لو ثبك ملعباً ضاحى البكور

أم يا ترى أنى أنا غمٌ فيك وهما ضائعا ؟
وأعيش منك على ربى الأحلام حلماً دامعاً
يعوى الفراغ بقلبيَ الذاوى رهيبا جائعاً
وأنا هنا ... قبس يغالب فى الدجون زعازعا

هذى أنا . . صوت تحطم فى حواشيه الصدى
وسراب دنيا من خيالات تلقّفها الردى
وحطام سوسنة تلاشى العطر فيها والندى
ودموع ليل أطفأت فيه الدياجى فرقدا

أأعيش عمرى فى ضباب الوهم بلهاء الرجاء ؟
كالطيف لاغدَ لى. ولا ماضٍ أخلّفه وراء ؟
يا للجراحات التى تمتصُّ أعماق الظماء !
وتلفّنى فى ليل آلامٍ جريح الكبرياء !

العشْب فى صدر الحقول طفولة متناغية
والزهرة الغيداء بنت الدوحة المتهادية
والموجة العذراء همس اللجة المترامية
لِمَ لَمْ أكن حقلا خصيباً أو سماء هادية ؟

لِمَ لَمْ أكنْ أمّا أرقّص مهد طفلى فى مراح
وأهزّه حتى ينام معطّرا برؤى الصباح
أهيم فى حلم شفيف الومض رفاف الصداح
جذلانة الآفاق تعزف لحن أفراح الرياح ؟

أنا سوف أحيا فى فضاء العش تائهة الحنين
تتراكض الآهات فى صدرى ويخنقنى الأنين
لكننى سأعيش حالمة بأشواق السنين
بصغيرىَ المنشود . أو أقضى معفرة الجبين

محمد أحمد العزب
كلية اللغة

« بقية شاطئ التوبة »

يقول يا رب هذا ... إثمى وهذا نُفايا
وذاك دَرْبى وهذى ... على الطريقِ عَصايا
ماكنت أعمى.. ولكنْ ... أعمى المغنى شجايا
دقّ الدفوف.. فطارتْ ... أرضى له وسمايا
وطرتُ عبداً ، أنادى ... فى سحرِهِ مشتهايا
ربّاه عفوَكَ . . إنى ... للنور مُدّتْ يدايا
بسطتُ للنور قلبى ... وجئتُ ألقى هَوايا
وأشتكى طىّ صدرى ... درباً سحيق الطّوايا
به بدأتُ . . . ولكنْ ... لم أدرِ ما منتهايا
لم أدرِ يأسِىَ فيه ... ولا عرفت رجايا
ولا عَرفتُ ذُنوبى ... ولا عرفت هدايا
ولا عرفتُ ظلامى ... ولا عرفتُ ضحايا
ولا لغيرِكَ . . درّى ... يا ربّ يوماً ندايا
إليك أنت صباحى ... مصفّدٌ ومسايا
عَبْدان فى الذلّ تاها ... ونهْنهَا بالخطايا
فاسكبْ ضياءك إنى ... ظمآن ضلّ صدايا
لم أدرِ . . من أى نبْع ... أسقى الأسى من أسايا
والشطّ . . لا ماء فيه ... يُطفِى اللظا فى حشايا
رُحماك . . يا رب إنى ... وزورقى والخطايا
فى لُجّة . . ليس فيها ... من الضياء بقايا
جفتْ وغاضت . ولكنْ ... ما زالَ فيها رَجايا
غفرتَ أم لمْ . . فإنى ... مازلت أدعوك يا يا[1]

محمود حسن إسماعيل

---

(١) يارب – يارب .

ما يقال عن الإسلام

الشرق الأدنى الإسلامي

للأستاذ عباس محمود العقاد

أشرفت على تنسيق هذا الكتاب وتوزيع موضوعاته جامعة «تورنتو» بكندا. وأصدرته ملحقاً لمجلتها الربعية ، أى التى تصدر أربع مرات فى السنة ، وعمدت فى كتابته إلى ثمانية من علماء الإسلاميات يحاضرون طلبة الجامعات فى مسائل الشرق الإسلامية ، ومنهم سير هاملتون جب المستشرق المعروف وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والأستاذ فيضى الذى كان سفيراً للهند بالقاهرة ووكيلا لجامعة جامو وكشمير ، والأستاذ مانجو رئيس القسم التركى بدار الإذاعة البريطانية ، والأستاذ بكنجهام عميد الدراسات الإسلامية بجامعة مانشستر ، والأستاذ نيازى بركيز عضو معهد الدراسات الإسلامية بجامعة ماجيل ، والأستاذ سافورى الذى يحاضر طلاب جامعة لندن باللغة الفارسية فى الشئون الإفريقية والشرقية . والأستاذ ويكنز مؤلف كتاب (ابن سينا العالم والفيلسوف) والأستاذ كاشا بجامعة أدنبره .

٥ ٥ ٥

ومن بحوث هذه المجموعة بحث تكلم فيه الدكتور فيضى عن جوهر التعاليم الإسلامية كما بسطها الشاعر الفيلسوف محمد إقبال والوزير العالم أبو الكلام آزاد ، وخلاصة هذا البحث أن رسالة محمد إقبال تقوم على إحياء سنن الإسلام «الفعال» ، واجتناب الصوفية «السلبية» التى شاعت بين المسلمين فى عصور التخلف والجمود ، وأن حكمة الإسلام جميعاً تتلخص فى الفاتحة كما فسرها أبو الكلام آزاد . لأنها خلاصة الإيمان بالربوبية والهداية والأدب القويم والتبعة التى يناط بها الثواب والعقاب فى يوم الدين

وبحث آخر من بحوث المجموعة يعرض للدعوة الغربية فى الأمة التركية ويشرح الفرق بين المتطرفين فى حركة «الاستغراب» ، وبين القائلين باقتباس الحضارة الغربية مع الترفق والاعتدال ، ويكاد الباحث أن يرد هذا الفرق إلى مدلول كلمة «ملة» عند الحزبين فإنها تشمل معنى الدين عند المتحفظين فى اقتباس الحضارة الغربية ولا تفيد غير معنى

الوطن أو الأمة عند أنصار « التغرب » المطلق من قيود التحفظ والاعتدال .

ويلي ذلك بحثان عن الأدب التركي الحديث ولا سيما أدب القصة ، وعن الأدب الفارسي الحديث ولا سيما أدب الشعر ، ويقترن به بحث آخر عن البلاد الفارسية عامة منذ إعلان الدستور وقيام الحكومة النيابية .

وقد خصصت مجلة الجامعة بحثاً من هذه البحوث للأدب العربي الحديث ، انتهى كاتبه إلى المسائل الدينية التي توفر عليها بعض الأدباء المحدثين ، فكان من رأيه أنها تدل على تجدد الثقة بالنفس بين كتاب العرب المسلمين ، وليست لها صبغة الشعائر والعبادات .

أما البحث الشامل للوجهة العامة بين أطراف الشرق العربي الإسلامي من جميع نواحيه فهو الموضوع الذي قدمت به المجموعة وعهد به إلى السير هاملتون جب فوفاه حقه من الدراسة العلمية مع التزام الحيدة الواجبة في المسائل السياسية ، وتتجلى هذه الحيدة من تعليق الكاتب على آراء الساسة الغربيين وجلة المفكرين الاجتماعيين التي يصورون بها « حالة » الشرق الإسلامي بعد استقلال شعوبه عن سيطرة الدول الغربية ثم يبنون عليها تقديرهم لمصير هذا الشرق كما يتصورونه أو يتمثلونه .

فالسير هاملتون جب يرى أن الساسة الغربيين يعتبرون هذه الحالة حالة فراغ ينتظر الامتلاء Vacuum كأنهم يحسبون أن خروج دولة من أحد الأقطار الشرقية يتبعه دخول دولة أخرى أو يظل ذلك القطر « فارغا » لا يستطيع أبناؤه أن يملئوه بنظام يعوضه من النظام الأوربي المفقود .

ومما يدعو الساسة الغربيين إلى هذا التفكير شيوع الاعتقاد بين مراقبي الأحوال في البلاد الشرقية بانقضاء العهد الذي كان الإسلام فيه « قوة فعالة » في تكوين النظم الاجتماعية والسياسية ، باعتباره « قسطاسا » مرعيا من الشعائر المعمول بها والفرائض المتبعة والعادات السارية في شئون المعيشة اليومية .

يقول السير هاملتون : إن هذا التفكير لا يطابق الواقع ؛ لأن المسلم هو المسلم في رأى نفسه وليس هو المسلم على صبغة يصبغه بها الأجانب عنه حسبما يتصورونه من شعائره وفرائضه وعاداته ، ولا يصح أن نفهم أن المسلمين ابتعدوا عن حظيرة الإسلام وهم أنفسهم يشعرون بأنهم مسلمون يغارون على العقيدة الإسلامية ويريدون البقاء في حظيرة هذه العقيدة .

يقول : وليس بين البلاد الإسلامية بلد أعلن عن رغبته الصريحة في الاستغراب أو « التغرب » باستثناء البلاد التركية ، ولكن البلاد التركية أيضا لا تعلن هذه الرغبة

اليوم بتلك الثقة التى أعربت عنها منذ عشرين سنة ، وفيما عدا هذا الاستثناء الضعيف يغلب على أبناء العصر من المسلمين الذين ينقمون على مساوئ العصر الحاضر أن يحملوا الغرب أوزار هذه المساوئ ولا يعلقوا آمالهم فى الإصلاح بمشابهة الغرب والاقتداء بأممه فى جملة أحوالها .

وقد تابع الكاتب مراحل التطور منذ مائة وخمسين سنة فقال إن الأمم الإسلامية - منذ ثلاثة أجيال - مرت بمرحلتين قبل المرحلة الأخيرة ، وهى المرحلة الحاضرة .

فالصدمة الأولى زعزعت دعائم التقاليد الغابرة فانقضت المرحلة الأولى بانقضائها وخلفتها مرحلة النظم الغربية المستعارة ، إلى أن ظهر فشلها فانقضت هى أيضا بانقضاء عهد الأموال الأجنبية .

واليوم يعود الشرق الإسلامى إلى موارده ويقيم مجتمعاته على أسس الاقتصاد الحكومية أو على الأسس التى تنجح المشروعات الشعبية فى إقامتها وتدعيمها ، ولا غنى عن خبرة الصناعـــة والإدارة ومعونة المثقفين والمستنيرين لتوطيد المشروعات الشعبية .

فالمجتمع الجديد مجتمع غير المجتمع الذى استقر زمنا فى أيدى حكام القرن الثامن عشر ، وغـــير المجتمع الذى استقر زمنا بمعونة « رأس المال » من الخارج وحاول القائمون به أن يؤسسوه على قواعد النظم الأوربية الحديثة ، ويتميز هذا المجتمع الجديد بظهور قوة اجتماعية غـــير قوة السادة حكام القرن الثامن عشر وغير قوة خلفائهم الذين حاولوا أن ينقلوا إلى الشرق نظم الغرب وأنماطه الحكومية .

هذه القوة الجديدة لا تنزع إلى التخلص من دياناتها كما تفهمها وتشعر بها على الرغم من ظنون الأجانب الذين يقيسون غيرة المسلم بمقياس الشعائر و « الطقوس » المرعية ، فإذا استدعى العصر الحاضر تغييرا فى مبادىء المجتمع فإنما هو التغيير الضرورى الذى تفرضه طبيعة العصر ويؤدى إليه اشتراك خبراء الصناعة والاقتصاد ، والتعاون بين هؤلاء الخبراء وبين المستنيرين الكفاة لتوجيه الأعمال والاضطلاع بمطالب الحياة الحديثة ، ويختم السير هاملتون جب بحثه الموجز بهذه العبارة التى نترجمها بحروفها :

قال : « إننى لا أرى أية علامة فى الشرق الأوسط على احتمال قريب لقيام دولة شيوعية ... أو قيام دولة ديمقراطية من طراز أية دولة غربية ، ولا بد لكل هيئة من هيئات الحكم فى العالم العربى يراد لها الاستقرار المعقول أن تجمع بين إرضاء الشعور العربى والشعور الإسلامى فى وقت واحد » .

عباس محمود العقاد

الكتب

نقد وتعريف

بقلم — محمد عبد الله السمان

١ — منهج التربية في القرآن :

للأستاذ محمد شديد .

نشرت هذا الكتاب في حوالى ٢٧٠ صفحة مكتبة الآداب بالقاهرة ، وقد جعله المؤلف في حوالى عشرة أبواب تناولت في إطناب : الرعيل الأول الذى تربى في المدرسة الأولى في دار الأرقم ، هذه المدرسة التي خرجت قلة من الناس ، أسس بها رسول الله فيما بعد خير أمة أخرجت للناس ، أنشأت حضارة وإنسانية .

وفي الباب الثاني : تحدث عن منهج الفطرة فالنفس البشرية حصن أحكمت أقفاله ، ولغز معقد حيّر الفلاسفة ، وعمل القرآن الأول ، هو رد هذه النفس البشرية إلى فطرتها السليمة وتحريرها مما علق بها من أوضار الوراثة والبيئة .

وفي الباب الثالث : تحدث المؤلف عن منهج المعرفة والعلم فالمنهج القرآني في التربية يقوم على الإيمان بحقيقة الوحدة في الكون ، وحدة الإله المعبود ، ووحدة النظم والنواميس التي تشمل كل مافي الكون ، ثم وحدة القوة ، والأمم والمنشأ والمصير ، هذه الوحدة الشاملة هي أساس العقيدة في القرآن .

ثم تحدث عن منهج الفكر ، فالقرآن كان فتحا جديدا في تاريخ الفكر : حرر العقل ، وأعلن الثورة على التقاليد والأهواء ورجال الدين .

وتحدث المؤلف عن منهج العبادة ، فمدلول العبادة في القرآن شامل لا يقتصر على الفرائض لأن الحياة في منهجه وحدة ، كل ما فيها لله ، لا يفصل بين طريق الدنيا ، وطريق الآخرة .

ثم تحدث عن منهج الدعوة والداعية ، والدعوة هي الإسلام - والداعية هو رسول الله صلوات الله عليه ، وكيف استطاع الداعية مستعينا بدعوته - أن ينقل جيلا من الناس من حياة استقرت فوق الحضيض ، إلى حياة استقرت فوق الثريا .

وتحدث عن ميزان القيم ، فالقرآن منهج حياة متكامل ، تنبثق أخلاقه وعباداته

وشرائعه من عقيدته ، فهى الأصل ، ومن ثم جعلها ميزانا لأقدار الناس وقيم الحياة .

ثم ختم كتابه فتحدث عن التربية فى ظل الأحداث ، فقد كان أسلوب تنزيله أساسا لنجاح التربية وعمق أثرها فى النفوس ، جعل من كل هزيمة عبرة ، ومع كل نصر درسا ، ولكل موقف تحليلا .

لقد بذل المؤلف جهوداً مشكورا فى مؤلفه ولكن موضوع الكتاب كما هو واضح من عنوانه دراسة موضوعية . إلا أن المؤلف - وإن كان أحسن اختيار عناصر موضوعه - كان ينقصه أن يجعل القرآن يستأثر بالدور الأول فى المنهج التربوى . فى الفصل الأول « جولة مع الرعيل الأول » وقد استنفد حوالى ثمانين صفحة ، لم يكن ربط هذا الرعيل بتربية القرآن واضحا ملموسا ، كما كان مثلا ملموساً فى الفصل الأخير « التربية فى ظل الأحداث » . وقد أكثر المؤلف من إيراد القصص التى لا تتصل بموضوعه ، كما أن أوجه المقارنة بين منهج القرآن فى التربية ، وبين غيره مما لم يعن به المؤلف ، كما أن المؤلف اعتمد على تخريج الأحاديث فى كتب التفسير ، دون ما نظر إلى درجتها من الصحة والضعف ، وقد ذكر من مراجعه « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للمودودى » ، وهو لأبى الحسن الندوى وجهد المؤلف بعد ذلك مما يحتم علينا تقديره وتكرار الشكر لدراساته .

٢ — المعاملات الحديثة وأحكامها :

لصاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن عيسى .

المؤلف هو أستاذنا مدير تفتيش العلوم الدينية والعربية بالأزهر . والكتاب عرض موجز لحكم الشرع فى المعاملات الحديثة ، ويكاد يعتبر هذا الكتاب الأول من نوعه - كما يقول فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الجامع الأزهر فى تقديمه له ، إذ استوعب جميع المعاملات الحديثة على وجه التقريب ، والتى هى بين أخذ ورد وإجازة ومنع بين فقهاء المسلمين قديما وحديثا .

فى مدخل الكتاب بحث « عن الربا وأنواعه » ، أحاط به إحاطة دقيقة ، وأوضح منهج المؤلف فى هذا الكتاب بالنسبة لمشكلة الربا ، ثم تناول الكتاب البنوك بأنواعها ومعاملاتها ، ثم تناول صندوق التوفير بالبريد ، وأجاز شرعا التعامل معه ، باعتبار هذا التعامل مضاربة والمضاربة جائزة شرعا .

أما الشركات بشتى أنواعها . فقد عرضها الكتاب عرضا جيداً ، وألم بحقيقتها إلماما عميقا ، فالشركات نوعان : شركات الأشخاص ، وتشمل هذه الأشكال القانونية : شركات التضامن ، التوصية البسيطة ، المحاصة ، ويرى

المؤلف الجواز شرعا فى جميعها ، أما النوع الآخر ، فهى شركات الأموال ، وتشمل هذه الأشكال القانونيـة أيضا : شركات المساهمة ، التوصية بالأسهم ذات المسئولية المحدودة ، وجميعها جائز شرعا ما دامت تمارس عمليات تجارية وصناعية ، ولا تمارس عمليات الإقراض والاقتراض بالربا .

وتناول الكتاب بعد ذلك الجمعيات التعاونية بشتى أشكالها واتجاهاتها ، وهى جائزة شرعا ، ثم تناول بورصة الأوراق المالية ، وسندات قرض الإنتاج ، وهى من الأعمال المباحة شرعا ، ثم تناول أوراق اليانصيب ، وأوراق يانصيب السباق ، وأباح الأول وحرم الآخر لأنه نوع من الميسر ، وتناول بعد ذلك عمليات التأمين بأنواعه ، وحكمه الجواز شرعا ، وختم المؤلف كتابه برأى الإسلام فى المزارعة وشركة المواشى وهو الجواز أيضا .

هذا عرض سريع للكتاب وهو مجهود شاق بذله فضيلة أستاذنا فى تعرف حقائق هذه المعاملات ـ كما يقول فضيلة الشيخ ابراهيم البرمبالى أستاذ التفسير بكلية أصول الدين فى كلمتـه عن الكتاب أيضا . والواقع أن الكتاب وضح فيه سعة أفق المؤلف وإلمامه الواسع بهذه الموضوعات الشائكة ، كما وضح جرأته فى الحق ، وكان جميلا من فضيلته إيراده لشبهات حول الشركات والتأمين ورده لهذه الشبهات . .

وبقى بعد ذلك أن نقول : إن مثل هذا الموضوع الدقيق الشائك كان فى حاجة إلى إسهاب وتبسيط ، ولعل ارتباط فضيلته بمنهج مقرر حمله على هذا الإيجاز لتيسير مدخله على الطالب وفضيلة المؤلف اضطر إلى الاعتماد على القياس فى كثير من مناقشاته للموضوع ، لاسيما وأن معظم مسائله من المستحدثات .

ولفضيلة المؤلف بعد ذلك تقديرنا ، فقد سد كتابه فراغا طال أمده فى دراسة المعاملات الحديثة على ضوء الإسلام .

وقد قدرت الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر مكانة هذا الكتاب فقررت توزيع عدد كبير منه على الأقطار الإسلامية للانتفاع به .

* * *

٣ — الإسلام دين ودنيا :

للأستاذ عبد الرازق نوفل

هذا الكتاب الخامس من سلسلة « مع الإسلام التى تصدرها مؤسسة المطبوعات الحديثة بالقاهرة والمؤلف معروف فى الأوساط الثقافية والإسلامية ببحوثه التى لفتت الأنظار ، والتى تربط بين الإسلام

والعلم الحديث فهناك : القرآن والعلم الحديث ، الإسلام والعلم الحديث ، اقدو العلم الحديث ، ثم المسلمون والعلم الحديث ، هذه الكتب التي احتلت لنفسها مكانة مرموقة ، ونرجو أن نوفق في القريب ، إن شاء الله ، لتقديمها معا ووضعها فوق مشرحة النقد الحر .

جاء هذا الكتاب الأخير في عشرة فصول : العرب في الجاهلية وكيف انتقل الإسلام بهم من الدعة والخمول إلى النهوض والعمل ، ثم الإسلام دعوة إلى الدين والدنيا معا ، والوسيطة في الإسلام ، وكيف كانت حاجزاً بين الإفراط والتفريط في الدين والدنيا معا ثم اهتمام الإسلام بالجسد والروح كليهما ، ثم علوم الدين والدنيا في الإسلام .

وفي الفصل السابع : دعوة الإسلام إلى العمل والعبادة ، وفي الثامن : مكان القوة في الإسلام ، وفي التاسع : الدين والدنيا في حياة الرسول ، وفي الفصل الأخير صور من حياة المسلمين الأول ، وأنهم كانوا رواد دين ودنيا . لقد عنى المؤلف بالشواهد من القرآن فزحم بها الموضوع حتى كادت الأفكار التي من أجلها سيقت الشواهد تختنق ، واضطر مع كثرة الشواهد أن يبعد قليلا عن الإطار الذي رسمه لفكرته فمثلا في الفصل الرابع ، اهتمام الإسلام بالجسد والروح ، كنا ننتظر من المؤلف ألا تنحصر دراسته لهذا الموضوع في كون الإنسان خليفة الله في الأرض ، وأن السماء والأرض والنجوم كل أولئك مسخر له ، والواجب عليه أن يعمل على الإصلاح ويتجنب الفساد ، ويعمل على المحافظة على النوع الإنساني . . وما إلى ذلك ـ أما الشهوة التي تمثل الجانب الحيوي في الجسد ، والصراع الدائم بينها وبين الروح فهذا مما لم يطرقه المؤلف ، لا سيما وأن بعض المسلمين من الصوفية كانوا يتغنون ـ في إخماد شهواتهم مستعينين بقوة الروح .

نعم ـ لقد أحاط المؤلف بموضوع الكتاب إحاطة شاملة ، وكنا نأمل أن يجيء دراسة أكثر منه تجميعا للشواهد القرآنية المزدحمة لتدخل في إطار واحد تحت عنوان واحد ، وللمؤلف بعد ذلك جهوده الموفقة في دراساته الإسلامية .

الوصايا العشر :

للأستاذ خالد محمد خالد .

نشر هذا الكتاب الجديد للأستاذ خالد مكتبة وهبة بالقاهرة ، وهو كتاب جديد في موضوعه . بالنسبة للكاتب الأستاذ خالد محمد خالد وقد يختلف كثير من الناس في كتابات الأستاذ خالد ، إلا أن كثيراً أيضا من معارضيه يتمتعون بقسط وافر من

التزمت ، والذى لا يختلف فيه اثنان أن للأستاذ خالد رأيا حرا ، وهـذا أساس متين يجب أن تقـوم عليه شخصية العـالم المفـكر أولا ، والمجتمع المفـكر الحر يجب أن يتسع صدره لـكل رأى مفكر حر ، فإذا صدم أصلا من أصول العقيدة ، فسوف لا تهتز العقيدة لحظة واحدة ، وإذا أصاب وضعا من الأوضاع الاجتماعية السليمة المتينة فسوف يتحطم قبل أن يمس هذا الوضع .

وقد يظن ظان أن الوصايا العشر فى كتاب المؤلف هى الوصايا العشر المذكورة فى التوراة ، والواقع أنها وصايا عشر جـديدة ، لبناء الشخصية لتسلك طريقها فى الحياة ناجحة ، وهذه هى وصاياه :

١ ــ أهلت عصور الحب فودع الـكراهية .

٢ ــ لا تدع الخوف يفـكر لك أو يشير عليك .

٣ ــ اسبح قريبا من الشاطئ ، وارتكب أنظف الأخطاء .

٤ ــ أحمل روح الرواد وابحث عن الدروب غير المطروقة .

٥ ــ لا تعش وعلى عينيك عصابة ، وامض بصيرا .

٦ ــ عش صديقا طيبا .

٧ ــ اقرأ فى غير خضوع ، وفـكر فى غير غرور .

٨ ــ تقبل وجودك وطوره .

٩ ــ ول وجهك شطر الله ، فإنه حق .

١٠ ــ وطد مسئوليتك بالحرية ، وحصن حياتك بالعدل .

وإذا كان الأستاذ خالد قد جال بنا جولة طيبة فى وصاياه العشر ، إلا أنه فى الوصيـة التاسعة « ول وجهك شطر الله ، فإنه حق ، وضع يدك فى يده فإنه نعم النصير » فى هذه الوصية كان أكثر دقة وعمقا وتحليـلا ، لا سيما حين أشار إلى أن الله سبحانه ــ ليس موضوع الدين فحسب ، بل هو موضوع العلم والفلسفة ، والأدب والفن وموضوع الحياة كلها ، وحين ذكر أن قضية الإيمان بالله لا تتعرض للخطر بسبب تحكيم العقل ، والله سبحانه حين دعا الناس إلى التعرف عليه ، لم يقدم نفسه إليهم فى ألغاز وأساطير ، بل قدم حقيقته عن طريق مايشاهدون من آثار ، ودعاهم أن يستغلوا عقولهم فى الاهتداء إليه .

كنا نود أن تـكون كل وصايا المؤلف فى مثل مستوى الوصية التاسعة ، وأن يكون للإسلام جولة كبرى فى جميعها ، إلا إذا كان المؤلف قـد آثر السلامة كما ، كـنا نود أن لا يسوق المؤلف كشاهد ، شعر ابن العربى ، الذى زعم فيه أن قلبه أصبح قابلا كل صور العقيدة السليمـة والزائغة والزائفة ، وذلك ليتخذ الـكاتب منه مسندا

لفكرة الحب للجميع ، وتاريخ ابن العربى ليس فى حاجة إلى دليل .

٥ - توضيح المعانى فى البلاغة :

لفضيلة الأستاذ على العمارى

المؤلف من كتاب مجلة الأزهر المبرزين ، وهو مدرس بالأزهر الشريف ، وكتابه هذا - وإن كان خاصا - إلا أنه فى موضوع وثيق الصلة بالثقافة الإسلامية والعربية .

تناول الكتاب دروس المعانى : الخبر والإنشاء ، المسند والمسند إليه ، القصر الفصل والوصـــل ، الإيجاز والإطناب والمساواة .

كان المؤلف فى شرحه لدروس المعانى وسطا بين طريقتين ألفهما الطلاب فى كتب البلاغة الأولى ، العناية بالقواعد والإيجاز فى إيراد الشواهد ، والثانية على العكس ، أما المؤلف فقد عنى عناية ملموسة بالقاعدة والشاهد معا .

وكان المؤلف موفقا حين شرح شرحا مبسطا ما ورد فى الكتب من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والأشعار المختارة ، بما يعين على فهم النص وتذوقه .

وكان موفقا أيضا حين اختار من التمرينات نماذج وأجاب عنها إجابة وافية ، وذلك ليعين على تثبيت القاعدة فى الأذهان .

إلا أن المؤلف ترجم لبعض أصحاب الشواهد وترك البعض الآخر ، وكان الأكمل أن يترجم بإيجاز للجميع فيضيف معلومات جديدة لطالب العلم .

كما أن المؤلف لم يلتزم شرح بعض الألفاظ والكلمات الصعبة التى وردت فى الكتاب ، وكان الأجمل به أن يشرحها ليعين على فهم النص كما وعد فى منهج الكتاب ، فلا أظن الطلبة أن يدركوا بدون مشقة : يوم ذى قار ، واهجرنى مليا . بعضغان علكا . أمست بفلج وهكذا .

والمؤلف لجأ فى إيراد الشواهد أحيانا إلى شعر ابن الفارض ، على ما فى بعضه من ألغاز ترتفع فوق مستوى الطالب ، وبقى الكتاب بعد ذلك منهجا جليل القدر فى دراسة علم المعانى ، وقد بدا فيه واضحا جهود المؤلف الفاضل .

* * *

٦ - فى ظلال العقيدة :

للأستاذ محمد عبد العزيز أحمد .

هذا الكتاب يقول المؤلف - بدافع من الأمانة العلمية - فى مقدمته : إنه كلمات وآراء نشرت أكثرها فى فجر الشباب ، ووجهتها إلى الشباب ، أدعوهم إلى حق الله والنفس والمجتمع . . . أدعوهم إلى العقيدة السليمة والسلوك الرفيع ، والوطنية الفاضلة .

هذه الكلمات والآراء جاءت تطبيقا صحيحا

لهدف الكاتب ، تناولت العقيدة فى جوانبها الثلاث : الله ، والإنسان ، والمجتمع ولكنها تناولت أيضاً الوطنية والسياسة والأدب ، والأنظمة والمذاهب الفكرية ، وختمت بمقال عن الانجليز فى ميزان السياسة ، وخواطر عن الصهيونية ، ثم كلمات مختارة فى صلاح النفس والضمير ، كما تناولت الكلمات ذكريات المؤلف فى الوطن العربى وفى رحاب الجامعة .

كان فى استطاعة المؤلف أن يعنى بتخطيط كلماته وآرائه ، فيلم شمل بعضها على بعض ، ويبعث الروح الجديدة فى كلماته القديمة ليجعل منها لبنة قوية فى بناء العقيدة ، إلا أن المؤلف لجأ إلى تقسيم كلماته إلى إسلاميات ووطنيات واجتماعيات وذكريات ، ولكنه لم يلتزم إيداع كلماته كل فى الإطار الذى وضع لها ويلائمها .

فمثلا جاءت هذه الكلمات متجاورة : تحية العيد . كفاح فلسطين ، ثورة على الفاجرين وهم المجاهرون بالفطر فى شهر رمضان ، مناجاة الفضيلة ، رسالة إلى أحد شباب العراق ، وأنت لا ترى أية رابطة بين هذه الكلمات ، ولا أى تناسق يمكن أن يؤلف بينها .

والكاتب جارى الناقين على المدنية الحديثة من أشباه المتدينين ، فهو يتحسر ، لأن المدنية بقدر ما سمت من نواحيها المادية والنظرية ، لم تعن بالأخلاق والفضائل ، ولم تقم وزنا للروح والمثل العليا ، .

ما أشق العالم اليوم بهذه المدنية التى عرفت كيف تخترع قنبلة تدمر الحضارة ، وتقضى على الملايين ، ولم تستطع أن تخترع دواء للزكام . . !

هذا كلام لا يناصره جانب من المنطق ، وللعاطفة التدينية فيه أثرها ، هذا ولم يدم الكتاب كلمات قوية جياشة بعمق الفكرة وسلامة الأسلوب .

محمد عبد الله السمان

كرامة العلم

طلب هرون الرشيد إلى الإمام الشافعى أن يحضر إليه فقال : « يا أمير المؤمنين . العلم لا يأتى ولكن يؤتى إليه » .

أنباء الأزهر

رحلة فى سبيل الإسلام :

غادر فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر مطار القاهرة فى الساعة الواحدة إلا ربعا من صباح الأربعاء ١٩٦١/١/١٨ فى رحلة إلى الملايو وأندونيسيا والفلبين لتوثيق عرى الأخوة والمحبة بين المسلمين على رأس وفد مكون من السادة الأساتذة :

الدكتور محمد محمد البهى

مدير الإدارة العامة للثقافة الإسلامية

والدكتور أشرف غربال

المستشار بوزارة الخارجية

والشيخ محمد عبد التواب

مفتش عام الوعظ

والأستاذ أحمد نصار

مدير مكتب شيخ الجامع الأزهر

والأستاذ محمود سليمه

المحرر بوكالة أنباء الشرق الأوسط

والشيخ محمود خليل الحصرى

شيخ عموم المقارئ بالجمهورية العربية المتحدة

وقد اشترك فى توديع فضيلة الأستاذ الأكبر كثيرون من كبار العلماء ورجال السلك السياسى وطلاب الأزهر وغيرهم .

وكان أول بلد نزله فضيلته : الملايو فاستقبل فيه استقبالا حافلا .

وأقام السيد جعفر البار مساعد وزير الاستعلامات بحكومة اتحاد الملايو مأدبة عشاء تكريماً لفضيلته ، وشهد المأدبة السادة الوزراء وأعضاء سفارة الجمهورية العربية المتحدة ورجال الدين الإسلامى ورجال الحكومة .

وقد ألقى فضيلة الأستاذ الأكبر كلمة أعرب فيها عن سروره البالغ لهذه التحية من أهل هذا البلد الكريم وبخاصة الشبان منهم الذين يحملون مسئولية الدفاع عن الدين والوطن ، وقال : « إن الأزهر على استعداد لتقديم كل مساعدة لإخواننا فى الإسلام » .

ورد السيد جعفر البار بكلمة قال فيها : إنه يأمل أن يقوم رجال الأزهر بمزيد من الزيارات للملايو على نطاق أوسع لتعزيز العلاقات بين المسلمين .

وأدى فضيلة الأستاذ الأكبر فريضة الجمعة يوم ٢٠ / ١ / ١٩٦١ فى مسجد عاصمة الملايو وقد غص المسجد بالآف من المصلين.

وألقى فضيلته تفسيراً لآيات الهجرة التى تلاها عليهم الشيخ محمود خليل الحصرى ، وتحدث فضيلته إلى المصلين شارحا لهم رسالة الأزهر فى شتى أنحاء العالم الإسلامى .

وكانت كلية « كلانج » قد أقامت لفضيلته حفل استقبال فخماً تكريماً لفضيلته ولأعضاء البعثة المرافقة . وكان فى مقدمة المستقبلين لفضيلته السيد عبد الرحمن بن الحاج طالب وزير التربية والتعليم بالملايو .

وأقامت سفارة الجمهورية العربية المتحدة فى الملايو حفل استقبال تكريما لفضيلة الأستاذ الأكبر حضره الوزراء والسفراء وكبار الشخصيات فى كوالا لمبورسا .

وزار فضيلة الأستاذ الأكبر السيد عبد الرحمن الحاج طالب وزير التربية والتعليم بالملايو ردا على زيارته لفضيلته وإقامة حفل تكريم له ، وقد دامت المقابلة مدة طويلة بحثت فيها حاجة الملايو من الأساتذة الأزهريين ، كما بحثت فيها المنح الدراسية التى سينظمها الأزهر لطلاب الملايو .

وزار فضيلة الأستاذ الأكبر السيد تنكو عبد الرحمن ـ رئيس وزراء الملايو — وقد دامت المقابلة ساعة وكانت ودية للغاية ، وتناول البحث فيها الشؤون الثقافية الدينية بين الملايو والأزهر ، وقد وعد السيد رئيس الوزراء بإيفاد أستاذ من الملايو لتدريس اللغة الملايوية فى الأزهر . وفى المساء أقام فضيلته حفل استقبال بمناسبة سفره إلى (جاكرتا) ليقضى فيها أسبوعين فى زيارة رسمية .

الأستاذ الأكبر فى أندونيسيا

وبعد أن قضى فضيلته ثلاثة أيام فى الملايو غادرها إلى أندونيسيا .

وقبل مغادرته المطار صرح فضيلته بأنه سيعقد مؤتمرا من مختلف البلاد الإسلامية لبحث تفسير القرآن فيما يتعلق بالاقتصاد الدولى . وقد سأله السيد تنكو عبد الرحمن رئيس وزراء الملايو عن حكم الإسلام فى مصارف الزكاة . كما سأله رئيس الإدارة الاقتصادية عن استثمار رأس المال فأجاب عن السؤال الأول بأن أموال الزكاة يجوز الانتفاع بها فى أى مكان خارج الدولة أو المنطقة التى جمعت منها ، وصرفها فى خارج الدولة مشروط باستغلالها من أجل المصالح العامة للمسلمين أو فى الدعوة من أجل الإسلام.

وأجاب عن السؤال الآخر بأن الإسلام لا ينهى عن استثمار المال فى المشروعات العامة وشراء الأسهم والسندات لصالح الاقتصاد العام . إذ أن القرآن لا يحرم ذلك .

الأستاذ الأكبر فى جاكرتا :

وصلت الطائرة المقلة لفضيلة الأستاذ الأكبر إلى مطار جاكارتا فى الثامنة من مساء من يوم ٢٢ / ١ / ١٩٦١ وكان فى استقباله حوالى ٥ آلاف من شيوخ أندونيسيا وشبابها وممثلين لمختلف الهيئات والمدارس والجامعات. وقد انتظم الطلبة وفرق الكشافة فى صفوف طويلة ، وعندما هبط فضيلته من الطائرة تقدم إليه وزير الشئون الدينية نيابة عن الحكومة وبعض الوزراء وكبار موظفى الدولة مرحبين فضيلته أعظم ترحيب .

وفى استراحة المطار احتفى بالشيخ الأكبر لفيف من الخطباء ، وفى صباح اليوم التالى بدأ الأستاذ الأكبر بزيارة السيد وزير الشئون الدينية فى مكتبه وعلى طول الطريق اصطف المسلمون لتحية فضيلته وقد تجمع موظفو الوزارة أمام مكتب الوزير وخارجه حيث وضعت مكبرات الصوت ، ورحب السيد الوزير بفضيلته فى كلمة قال فيها :

« إنى أشكر الله العلى القدير وأذكر بالفخر والاعتزاز أننى سعيد كل السعادة لاستقبال شيخ الإسلام ومرافقيه بمكتبى ، وقد كنا نترقب هذه الزيارة منذ العام الماضى. والآن وقد تحققت وتحقق أملنا العظيم فإنى أعود لأكرر الشكر وأحمد الله على هذه الفرصة العظيمة » .

ثم استعرض سيادته أعمال وزارته الدينية وأنها تألفت عقب قيام الجمهورية الأندونيسية المستقلة بفترة وجيزة ، وأنها تهتم كل الاهتمام بالأمور الدينية ، فبالدين وحده يمكن تحقيق الأمن والسلام . وكل ما أصدرته الدول الكبرى من بيانات ، وما جاء فيها من إيضاحات ومحاولات لم تستطع حتى الآن تحقيق الأمن والسلام العالمى . ونحن لا نستطيع أن نكره الناس على اتباع الدين والتمسك به « فلا إكراه فى الدين » ، ولكن فى اعتقادنا أنهم سيؤمنون بما جاء فى الدين على أنه الطريق الوحيد لأمتهم وسلامهم . وقد يعتقد الناس أن مسئولية وزارة الشئون الدينية محدودة وبسيطة ، ولكنها فى الواقع هامة ولازمة ، لأنها لا تترك شيئا من الأمور الدنيوية إلا بحثته ووصلت فيه إلى نتيجة ، وكلنا يعرف أن حوالى ٩٠ ./. من الشعب الأندونيسى يعتنق الإسلام ، ونعرف أيضا أنه حتى الآن غير متمسك تمام التمسك بالدين وأعتقد أن هذه المسألة ليست فى أندونيسيا وحدها ولكنها فى جميع أنحاء العالم.

ومن هنا نشأت مسئولية هذه الوزارة. وبأندونيسيا عدد كبير من المدارس الإسلامية ويوجد بها أماكن للعبادة لا يمكن حصرها والوزارة فعلا لا تعرف عددها وبهذا يمكن

أن نقول إن الإسلام لا يزال بخير وأن دولة أندونيسيا الإسلامية ستعيش بخير ما دامت تواصل عنايتها بالإسلام ومبادئه .

وقد رحب سيادته للمرة الثالثة بفضيلة الأستاذ الأكبر متمنيا على يديه تحقيق آمال الإسلام وقيام الأمة الإسلامية العظيمة .

ثم تحدث فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت قائلا :

« أبنائى شباب الشعب الأندونيسى ، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد فإليكم تحية مباركة منى ومن زملائى ومن إخوانكم فى الأزهر ومن إخوانكم فى الجمهورية العربية المتحدة ومن السيد الرئيس جمال عبد الناصر إلى أخيه السيد الرئيس أحمد سوكارنو ، فالجميع وإن تباعدت ديارهم واختلفت لهجاتهم وتعددت لغاتهم كما أراد الله فنحن أمة الإسلام، أمة واحدة . فالإسلام لا يعرف المكان ولا الأشخاص . إننا أمة واحدة بعقيدتنا وهى « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » .

تلك هى مبادئنا وهذه عقيدتنا « فاتقوا الله ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » أنقذكم من نار التفرقة ومن نار الحزبية الفاشلة . « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » هذه مبادئنا يتكون منها المحور الدينى لنا من غير زمان ومن غير مكان ومن غير أشخاص .

واعلموا أن المسلم للمسلم وإن تباعدت بينهما الديار كاليدين تغسل إحداهما الأخرى ، وكالبنيان يشد بعضه بعضا .

لقد انشرحت صدورنا بأندونيسيا وبأخلاق أبناء أندونيسيا بعد أن ترقبنا وانتظرنا طويلا فرصة اللقاء حتى جاء اليوم الذى أراده الله لهذا اللقاء ، وقد بدأت رحلتنا فى شهر رجب وهو شهر الإسراء والمعراج الذى أسرى فيه المولى سبحانه وتعالى بحبيبه محمد ، وعرج به إلى السموات العلا فرأى من آيات الله الكبرى ما رأى ، ثم جاء شهر شعبان الذى حضرنا فيه إليكم وهو تقدمة لشهر رمضان وما فيه من ذكريات إسلامية عظيمة أولها نزول القرآن الذى هو أصل التوحيد وأصل العبادات ، وهكذا بدأت رحلتنا ، وكان هذا اللقاء الكريم فى أيام كريمة على الله

أبنائى .. حضرنا إليكم ولنا الشرف الكبير فى زيارتكم . فهى زيارة المؤمن لأخيه المؤمن

وقد بدأناها بزيارة السيد وزير الشئون الدينية فانشرحت صدورنا أيضا لهذه الوزارة وما اعتزمت عليه من دراسات دينية والقيام على شئون الدين الروحية والمادية ، ونحن هنا فى بلدكم الكريم وبين شعبكم العظيم نذكر بكل فخر مؤتمر باندونج وما أشاع على العالم أجمع من نور الحرية والسلام حتى أصبحت الدول الآسيوية الأفريقية تقف مزهوة تنفض عن كاهلها غبار الذل والاستعباد ، وأصبحت تتطلع إلى السلام العالمى الدائم وسنصل اليه بفضل الرئيسين العظيمين أحمد سوكارنو وجمال عبد الناصر .

وإنى إذ أحمل من أبناء أندونيسيا فى القاهرة تحياتهم اليكم جميعا وتحية كل طالب إلى أبيه وأمه وأخيه أقول بلسانهم إنهم لا يشعرون بأنهم فى بلد غير بلدهم ، فلا يشعرون بغربة أو بعد عن أوطانهم ؛ فوطنهم الجمهورية العربية المتحدة كما أن وطننا هو الجمهورية الأندونيسية الحبيبة .

« قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

واختتم فضيلته كلمته بالدعاء للرئيسين جمال عبد الناصر ، وأحمد سوكارنو بالتوفيق فى خدمة الإسلام والمسلمين .

وقد صدر على أثر هذه المقابلة بيان مشترك بما دار بينهما من المسائل والأحاديث جاء فيه أن مشيخة الجامع الأزهر ووزارة الشئون الدينية الأندونيسية اتفقتا على التعاون الوثيق فى شئون التعليم بصفة عامة ودراسة الدين الإسلامى بصفة خاصة . وسيتبادل الجانبان المدرسين والطلبة الأبحاث والمحاضرات الخاصة بالدين الإسلامى .

وسيرعى الجامع الأزهر الشئون التعليمية والثقافية للطلبة الأندونيسيين الملتحقين بكلياته ، وسيستقبل خريجى المدارس الثانوية الأندونيسية بدون امتحان .

وذكر البيان أن الجامع الأزهر سينشىء جامعة إسلامية عالمية بالتعاون مع البلدان الإسلامية الأخرى .

الأستاذ الأكبر يزور الكلية المحمدية :

وفى الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم توجه ركب فضيلته إلى الكلية المحمدية فاستقبله أساتذتها وطلابها بالتكبير والترحيب ، وقدم إليه رئيس مجلس إدارتها نيابة عن الكلية هدية علمية نفيسة . وقد تحدث إليهم الأستاذ الأكبر شاكراً لهم هديتهم وذاكراً لهم أن الإسلام فى أول عهده قام على أكتاف الشباب ، وإن له لأملا كبيراً أن يعود إليه عزه ومجده على أيدى هذا الشباب الناهض المؤمن من

أبناء أندونيسيا ، ودعا لهم ولجميع فروع الكلية بالتوفيق فى أن يغرسوا مبادئ محمد صلى الله عليه وسلم فى قلوب الشعب الأندونيسى العظيم .

ثم قصد الركب مقر الجامعة الإسلامية الحكومية بجيبوتات وهى تبعد عن العاصمة بحوالى ١٧ كيلو متراً ، وقد استقبله مديرو وعمداء كلياتها بالهتاف بحياة الإسلام والمسلمين وبشيخ الأزهر والأخوة الإسلامية .

وكان فى استقباله أيضا الشيخ أدهم خالد رئيس حزب نهضة العلماء ورئيس مجلس إدارة الجامعة .

وبدأ الحفل بتلاوة من القرآن الكريم تلاها أحد طلاب الجامعة ، وبكلمة ترحيب من السيد عميد كلية التربية جاء فيها : « أن الجامعة الإسلامية الحكومية تحييكم أطيب تحية وتشكركم على تفضلكم بزيارة هذه الجامعة ، وهى زيارة مباركة طيبة . فلكم الفضل والشكر على زيارتكم أندونيسيا التى تبعد آلاف الأميال عن بلدكم الطيب الكريم ، وذلك بفضل القوة الإسلامية والجامعة الأزهرية وهى الرابطة الثقافية والعلمية لأن كثيراً منا قد تخرج من الجامعة الأزهرية ، ونحن هنا يستقبل الأخ الصغير أخاه الكبير . وفى الحقيقة نحن مدينون للجامعة الأزهرية التى ندعو الله أن يجزيها عنا خير الجزاء .

إن هذه الزيارة فرصة كبيرة للاتصال بالشعب الأندونيسى وسترون كيف أن الجامعات الإسلامية تحن وتشتاق لرؤية شخصكم الكريم ، وهى تحتاج أيضا كل الاحتياج إلى معونتكم الأدبية والثقافية ، تحتاج للأساتذة والكتب الإسلامية ، ونحن ننتظر هذه المعونة فى أقرب وقت إن شاء الله .

كما تحدث عميد التربية عن تبادل الزيارات بين الجامعة الإسلامية والأزهر . ثم تحدث أحد طلبة الجامعة وطالب بالمعونة الثقافية العاجلة من أساتذة وكتب خاصة وأن جامعتهم تتعرض لثقافات تأتى إليهم من الدول الغربية والدول الشيوعية بينما هى مستعدة استعداداً طيبا للثقافة الإسلامية الصحيحة ، وأعرب عن أمل الطلبة فى أن تكون هذه الزيارة دعماً للعلاقات الثقافية على نطاق واسع بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية الأندونيسية .

وبعد أن تعددت كلمات الترحيب وقصائد الشعر من أساتذة وطلاب الجامعة تحدث الأستاذ الأكبر قائلا : « أبنائى وإخوانى أساتذة وطلاب الجامعة الإسلامية الحكومية ، لقد حضرت الآن إلى الجامعة الإسلامية بعد أن قمت بزيارة وزارة الشئون الدينية فلاحظت الارتباط العظيم بين القسميتين لأن الشئون الدنيوية لا تتقدم ولا ترتفع إلا بالإسلام

والعلم ، فكان الارتباط بين الجامعة وبين الوزارة التى أنشئت لتحقيق آمال المسلمين الدينية والدنيوية . ويسرنى، أن أقول إن هذه أول مرة أرى فى الدول الإسلامية وفى غيرها تسمية الجامعة باسم الدين والحكومة فهى الجامعة الإسلامية الحكومية . وإنى لأرجو أن تعمم هذه التسمية وأن يكون العنوان مشتركا فى الجامعات الدينية الإسلامية، فالحكومية يجب عليها أن ترتبط بالجامعات حتى فى تسميتها وإلا كان كل منها فى معزل عن الآخر ، كما أرجو أن تستعير الدول الإسلامية هذه التسمية وتطلقها على جامعاتها فتتضح فعلا العلاقة بين الجامعة والحكومة .

وقد قدمت الجامعة الإسلامية فى حفل عظيم درجة الدكتوراه الفخرية لفضيلته تقديراً لخدماته الإسلاميه والمسلمين . وألقى فضيلته محاضرات فى جميع المدن والجامعات والمعاهد التى زارها . دعا فيها إلى السلام والتمسك بتعاليم الإسلام .

فى باندونج :

وزار فضيلة الأستاذ الأكبر معهد المكفوفين بباندونج وقد عزف له الطلاب على آم « انجكلانج » قطعة موسيقية جميلة ، وقد أهدى فضيلته إلى المعهد مصحفا مكتوبا بطريقة « بربل » من عمل طلاب معهد المكفوفين بالقاهرة الذين يدرسون بالأزهر والتابعين لجمعيه النور والأمل .

فى بونمور :

استقبل الرئيس سوكارنو بعد ظهر يوم (١٩٦١/٢/٦) فضيلة الأستاذ الأكبر بقصر مردكا ، واستغرقت المقابلة نصف ساعة حضرها السيد وزير الشئون الدينية ، وقد صرح السيد وهيب وهاب وزير الشئون الدينيـة للصحفيين أن كلا من السيد الرئيس سوكارنو وفضيلة الأستاذ الأكبر كان يبدو عليه السعادة لهذه الفرصة الطيبة التى كان الجميع يتطلع إليها .

وقد عبر الرئيس سوكارنو عن أمله لفضيلة الأستاذ الأكبر فى أن تكون الجمهورية العربية المتحدة مصدر قوة الروح الإفريقية والعربية وأن تكون أندونيسيا مصدر قوة للروح الأسيوية ، وبذلك تسير أفريقيا وآسيا بهذه الروح الصادقة فى طريقها إلى سلام دائم .

وقد وجه السيد الرئيس سوكارنو الدعوة إلى فضيلة الأستاذ الأكبر ليؤم أول صلاة تقام فى (مسجد الاستقلال) - وهو أكبر مسجد فى أندونيسيا ، وذلك عند ما يتم بناء هذا المسجد العظيم .

وفى أثناء المقابلة بين الرئيس سوكارنو وفضيلة الأستاذ الأكبر - قدم إليه فضيلته نسخة من القرآن الكريم مهداة من فضيلته وموقعا عليها باسمه ، كما أهدى إليه فضيلته مسبحة و (ألبوم صور) يضم الصور التى أخذت عند احتفال الأزهر بالرئيس سوكارنو بالقاهرة عند منحه درجة الدكتوراه الفخرية من الأزهر خلال زيارته للجمهورية العربية المتحدة .

الاستاذ الاكبر فى جوكجارتا :

قامت الجامعة الإسلامية الحكومية بجوكجاكرتا بمنح الدكتوراة الفخرية إلى فضيلة الأستاذ الأكبر وقد قامت بهذه المناسبة حفلا كبيرا شهده السلطان همانو كوبنو التاسع حاكم جوكجا - والدكتور سوناريئو مدير الجامعة وعمداؤها وأساتذتها وكبار رجال التعليم وعدد كبير من الطلاب .

وقد استهل الحفل بتلاوة القرآن الكريم ، ثم ألقى الدكتور سوناريئو كلمة رحب فيها بفضيلة الأستاذ الأكبر .

ثم ألقى الاستاذ مختار يحيى عميد كلية أصول الدين فى الجامعة الاسلامية كلمة استعرض فيها حياة الأستاذ الأكبر وجهاده الطويل فى سبيل الاسلام منوها بمؤلفاته وآرائه التى انتفع بها المسلمون فى كل مكان .

ثم تقدم السيد مدير الجامعة فقدم الدكتوراة الفخرية لفضيلة الأستاذ الأكبر وسط عاصفة من التصفيق .

وقد ألقى فضيلة الأستاذ الأكبر كلمة فى هذا الحفل قال فيها : إن الرابطة التى بيننا عمادها العلم والمعرفة وهما أساس الإسلام والوحى الذى نزل على محمد عليه الصلاة والسلام وإنكم حين تكرمونني فإنكم تكرمون الجامعة الاسلامية فى القاهرة التى ظلت هذه القرون الطويلة تعمل جاهدة للربط بين العالم الاسلامى كما تكرمون الجمهورية العربية المتحدة التى احتضنت جامعتنا الأزهرية .

واستطرد قائلا : وإنكم اليوم قد وثقتم العلاقات بين شعبى الجمهورية العربية المتحدة وأندونيسيا ، وإننى لأرجو أن يزداد التعاون بيننا ارتباطا ، كما أرجو أن يوفق الله الزعيمين العظيمين جمال عبد الناصر وسوكارنو إلى تحقيق العزة لشعبيهما وللإسلام وإلى خدمة البشرية جمعاء .

وبعد أن انتهى فضيلته من كلمته أقيم حفل شاى تكريما لفضيلته والسادة مرافقيه تبودلت فيه الكلمات الودية بين أعضاء الوفد وعمداء الجامعة وأساتذتها .

فى مسجد شهداء التحرير

قام فضيلة الأستاذ الأكبر بزيارة مسجد الشهداء الذى أقيم فى جوكجارتا تخليداً لذكرى

شهداء حركة التحرير ، وقد ألقى فضيلته فى الجموع التى احتشدت فى المسجد بمناسبة زيارة فضيلته تحدث فيها عن العلاقات الوثيقة بين الشعبين العربى والأندونيسى وعن مكانة الشهداء ، وامتدح العمل الجليل الذى يهدف إلى تخليد ذكرى الشهداء بإقامة المساجد . ودعا إلى تخليد ذكرى الشهداء بمثل هذه المنشآت الدينية كما دعا الشباب إلى الجهاد فى سبيل الله .

وقد أهدى فضيلته إلى مكتبة المسجد نسخة من القرآن الكريم وبعض مؤلفاته وقام بعد ذلك بزيارة الجامعة الإسلامية الأهلية ، حيث حضر مأدبة العشاء التى أقامها رجال الجامعة تكريما لفضيلته .

وزير الشئون الدينية يطلب مد الرحلة أسبوعاً آخر :

وطلب السيد وهيب وهاب وزير الشئون الدينية بأندونيسيا من فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر أثناء تكريمه فى حفل استقبال أن يتفضل بمد زيارته أسبوعا آخر لأن عدداً كبيراً من الأمكنة فى شوق عظيم للقاء فضيلته ، ومن بين هذه الأماكن بنجارماسيك ، ما كاصار ، كوتاراجا ، وباليانج .

وقد عبر السيد الوزير عن سروره لأن فضيلة الأستاذ الأكبر قد شاهد بنفسه خلال زيارته للأماكن المختلفة فى أندونيسيا الكثير من المعاهد والمؤسسات الإسلامية ، والمراكز التعليمية الثقافية مما يؤكد أن الإسلام فى أندونيسيا يتقدم فى حرية تامة دون عقبات تقف فى سبيله

الأستاذ الأكبر فى سومطرة :

زار فضيلته مدينة (ميدان) بسومطرة . وكان فى استقباله فى المطار حاكم الجزيرة وكبار المسئولين .

وأقيم حفل كبير بجامعة سومطرة احتفالا بتقديم درجة الدكتوراه الفخرية لفضيلته . ثم زار بعد ذلك مختلف المدارس الدينية بجزيرة سومطرة ، ووضع الحجر الأساسى لإحدى المدارس الجديدة . وقد أقام حاكم الجزيرة مأدبة غداء تكريما لفضيلته . ثم استقل فضيلته الطائرة عائداً إلى جاكرتا .

الأستاذ الأكبر فى جاوا الغربية :

وقد أقام الكولونيل المشهودى - حاكم جاوا الغربية فى منزله حفل عشاء لفضيلته تكريما له ، وقد دار الحديث فى كثير من المسائل الدينية والدنيوية ودعاه إلى الاحتفال بليالى شهر رمضان .

الأستاذ الأكبر فى الفيلبيين :

وصل إلى (مانيلا) فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر عائدا من زيارته لمدينتى ميندانا وماروا بالفيلبين .

وفى المساء حضر فضيلته مأدبة العشاء التى أقامها السناتور ألونتو زعيم المسلمين بالفيلبيين تكريما له ، وكان فضيلته قد سافر أمس إلى ماروا مستقلا الطائرة الخاصة لرئيس الفيلبيين وبرفقته السناتور ألنتو وبعد هبوط الطائرة فى المطار الذى يبعد ١٨ كيلو مترا عن المدينة استقل السيارة إليها يتبعه رتل كبير من السيارات استقلها كبار الشخصيات الإسلامية الذين اشتركوا فى الترحيب به فى المطار .

وقد نزل فضيلته فى ضيافة محافظ المدينة وعقد مساء الخميس ٩ / ٢ / ١٩٦١ مؤتمراً إسلامياً كبيرا حضره آلاف المسلمين فى المدينة ويمثلون لجميع المسلمين فى الفيلبيين .

وقد ألقى فضيلته كلمة تحدث فيها عن «الإسلام دين السلام» ووافق أعضاء المؤتمر على قرار بشكر الرئيس جمال عبد الناصر على إيفاده فضيلة الأستاذ الأكبر لزيارة للفيلبيين ليصل ما بين المسلمين فى البلدين الشقيقين .

منح الأستاذ الأكبر درجة مستشار فخرى :

كما أقيم لفضيلته احتفال فى الجامعة الإسلامية بالمدينة ، حيث منح درجة مستشار فخرى للجامعة ، وألقى فضيلته محاضرة عن « تعاليم الإسلام ومبادئه » .

هذا وقد غادر فضيلته « مانيلا » قاصدا إلى « هونج كونج » حيث يعود يوم الأربعاء القادم إلى القاهرة .

مقر جديد لجمعية المحافظة على القرآن الكريم :

افتتح فى الشهر الماضى المقر الجديد لجمعية المحافظة على القرآن الكريم فى القاهرة لمناسبة مرور ثلاثين سنة على تأسيسها .

وكان حفل الافتتاح برياسة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، وألقى فضيلته بهذه المناسبة الكلمة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم
إخوانى وأبنائى :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد :

فإن القرآن الكريم كتاب الله الذى أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج به

الناس من الظلمات إلى النور ، فقد عاش الناس — قبل نزول القرآن — فى ظلمات بعضها فوق بعض ، لا يرون نورا من الحق ولا يهتدون سبيلا ، بل غابت عنهم الحقائق وضاعت فيما بينهم الحقوق — حتى إذا ما نزل القرآن — كان الهداية العظمى والنور المضىء والآمر الموجه والناهى عن مواطن الشر والفساد .

ولقد كان ربيع القلوب وضياءها ، ومصباح هذه الأمة الذى أنار لها ليلها الداجى وخط لها الطريق المستقيم الذى تسير فيه على هدى من الله .

ولطالما كان القرآن — للحافظين له الفاهمين لمعانيه وأحكامه الواعين لمبادئه — سندا قويا جعل منهم أولى قوة وبأس شديد لا تلين قناتهم لعدو ، ولا يستبد بهم إنسان ، بل يعيشون دائما فى إطار تملؤه الحرية القوية التى فطر الله الناس عليها ، فيسعدون بالحياة لأنهم يعيشون فى استقرار من مبادىء قوية غرسها فى نفوسهم القرآن ، فهم رحماء بينهم ، تراهم فى صدق تعاون وصادق محبة وتعاطف أكيد ، يتجاوبون فى الإحساس والشعور ، فهم دائما على قلب رجل واحد لا يبغون من وراء ذلك إلا أن يكونوا أمة واحدة متراصة ومترابطة تقف سدا منيعا فى وجه الشر والبغى والطغيان .

من أجل ذلك كله عملت الأمم الاستعمارية فى كل وقت على أن تباعد بين الشعب وبين حفظ القرآن ، وأن تصرفهم عن فهمهم له وعن تدبر أحكامه وعن الاقتداء بمثله ، لتكون الأمة المحتلة مطواعا لمبادىء الاستعمار ، سهله فى الاستغلال .

ويكفى أن تعرفوا قالة قائلهم — حين رفع تقريراً لسادته عن إقامته فى مصر : « إنه لا استقرار لنا ولا إقامة فى بلد يوجد فيه القرآن .

إخوانى وأبنائى :

لقد آمن الأولون بأن القرآن مصدر القوة فحفظوه ، وطريق الخير ففهموه ، ووعوا ما فيه ، ووضعوه فى المحل الأول من مكانة التقديس والعناية ، وأقبلوا على حفظه ودرسه لاستخراج نفائسه ، والتحلى بجواهره . فكان لهم السلطان ، وتفجرت لهم أنهار السعادة ، وطفقوا يقطفون من ثمارها ما جعلهم فى مقدمة الأمم رقيا وحضارة .

إن القرآن — وهو حياة القلوب — يخلق فيها الوعى الصادق ، والإحساس المرهف الدقيق ، ويجعل منها قلوبا بيضاء ناصعة لا تنطوى على دغل ولا حسد . كما لا تقبل المذاهب الوافدة ولا المبادىء الخداعة التى ما دخلت مكانا إلا أفسدته وقضت عليه ، فلو أن الأمم الإسلامية عادت إلى سيرة أسلافها ، وتمسكت بكتاب ربها فعلمه بنوها أولادهم وبناتهم ، وحفظه رجالهم ونساؤهم —

لشب المجتمع على الفضيلة ونشأ على الخلق القويم ، ولأحيا فى النفوس الضمائر الحية اليقظة التى تستمد قوتها من فاطر السموات والأرض ، وحينئذ لا ترى فى المجتمع الإسلامى غشا ولا سوءا ولا ضعفا ولا فسادا.

وما أحرى الأمة الإسلامية أن تتخذ من القرآن نبراسا يضىء لها طريقها ، وأن تتفقه أحكامه وتجعل منه دستور حياتها لتسمو بروح الله روحها ، وتشرق بنور الله قلوب أبنائها .

« والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين» . «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

وصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذ يقول : (إن الله أنزل على القرآن آمرا وزاجرا ، وسنة ومثلا مضروبا ، فيه نبؤكم وخبر من كان قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم . لا تنقضى عجائبه ، هو الحق ليس بالهزل ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فلج ، ومن قسم به أقسط ، ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ، ومن حكم بغيره قسمه الله ، هو الذكر الحكيم والنور المبين ، والصراط المستقيم ، وجعل الله الدين عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد) .

فأبشروا إذن يا من حبستم أنفسكم على القرآن معلمين ومتعلمين ومشجعين ، فإن لكم من الله أجرا عظيما ، واسألوا الله من فضله فإنه مجزل لكم العطاء . وثقوا أن الله معكم ويؤيدكم وينصركم ، « ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز » .

وإن أملنا لعظيم فى أن يقبل المسلمون على حفظه ، وتفهم ما فيه وتفهيمه أولادهم ، وكونوا مع القرآن يكن الله معكم « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ، اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بعثة الأزهر فى الصومال :

جاءنا من الصومال أن بعثة الأزهر فيه أقامت احتفالا دينياً كبيراً بليلة الإسراء والمعراج حضره السيد آدم عبد الله عثمان رئيس جمهورية الصومال والسيد رئيس الوزراء ورئيس الديوان الجمهورى وبعض الوزراء وأعضاء

الجمعية الوطنية والنواب ورؤساء الأحزاب والهيئات الدينية فى الجمهورية الصومالية .

وأقامت جمعيات دينية كثيرة فى مقدشو احتفالاتها بهذه الذكرى المباركة ألقيت فيها كلمات تضمنت الإشادة بنشاط الأزهر فى الصومال .

مبنى جديد لمعهد أسوان :

احتفل فى الشهر الماضى بافتتاح مبنى المعهد الدينى الجديد فى أسوان برياسة السيد محمد سعد الدين زايد محافظ أسوان وحضور أعضاء مجلس الأمة وكبار الموظفين وممثلى الهيئات والطوائف . وألقى فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن مسلم شيخ المعهد ونائب فضيلة الأستاذ الأكبر فى الحفل كلمة الافتتاح الآتية :

إنه لمن عوامل الفرح والسرور أن يفتتح المبنى الجديد لمعهد أسوان الدينى فى هذا اليوم الكريم المبارك الذى يعتز به الوطن كله ألا وهو يوم العيد القومى لانبثاق فجر الصناعة من أسوان . فإنه فى مثل هذا اليوم من العام الماضى أرسى السيد رئيس الجمهورية حجر الأساس لمشروع السد العالى فكان لهذا العمل المجيد دوى مجلجل فى قاصى الأرض ودانيها فى شرقها وغربها وفى شمالها وجنوبها واهتزت لوضع أساس هذا المشروع الصناعى العظيم أطراف الدنيا فأخذ العالم كله يتحدث عن الجمهورية العربية المتحدة حديثاً مليئاً بالإعجاب والتقدير .

ولقد كانت لمبنى معهدنا هذا نفحة عظيمة من نفحات هذا اليوم المبارك فقد أمر السيد الرئيس حفظه الله بتكملة هذا البناء . وسارعت وزارة الأوقاف مشكورة بالمساهمة الفعالة الناجزة وما انتهت زيارة الرئيس المحبوب حتى وصل المبلغ المطلوب وكان لهذا الصنيع الكريم المشكور ثناء على كل لسان ودعاء من كل قلب وتقدير من كل غيور على الدين والأخلاق .

ولقد قال السيد الرئيس فى برقية من سيادته إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر حول تشييد مبنى معهد أسوان : « إنه لمن توفيق الله العلى الكبير وفضله العميم أن أزرنا بعونه وأمدنا بنصره حتى هيأ لنا الأسباب وأزال العقبات وتم بحمده ورعايته وضع اللبنة الأولى فى إقامة السد العالى كما سيتم بناء المعهد الدينى ليكون صرحا روحيا بجانب الصرح المادى .

وها نحن اليوم نلتقى فى حفل افتتاح هذا المبنى الفخم العظيم يملأ قلوبنا البشر والسرور . وكأنى بأرواح السابقين الأولين من أهل الأزهر فى مئات السنين التى سلخها من عمره المعهد المبارك تطل على حفلنا هذا تشاركنا الفرح وتقاسمنا البهجة وتظهر معنا السرور والغبطة .

إن الأزهر العتيق الذى تجاوز الألف من عمر الزمن والذى ينتمى إليه هذا المعهد الكريم كان ولا يزال مشعل النور والمنهل المذب لعلوم الشريعة واللغة وأصول الدين. ولقد كان يرسل أشعته العلمية القوية على هذه الدنيا فى آماد سحيقة لم يكن بها مشعل من العلم غير مشعل الأزهر ولم يكن بها رحاب لطلاب المعارف غير رحابه.

إن هذه الجامعة الإسلامية الكبرى جامعة الأزهر التى ينتمى إليها الآلاف المؤلفة من العلماء ومن طلاب العلم فى مختلف المعاهد من أبناء جمهوريتنا العربية المتحدة تضم فى جنباتها آلافا أخرى من أبناء الأقطار الشقيقة وإن مدينة البعوث الإسلامية التابعة للأزهر ينتمى طلاب العلم فيها إلى أكثر من خمسين دولة من دول الأرض وبهذا يستبين ما للأزهر ومعاهده من أثر فى الحركة الفكرية العالمية ومن توجيه كريم للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، فإنه الرباط الأكبر الذى يربط شعوب العروبة والإسلام والكوكب الأغر الأبلج الذى يرسل نوره قويا مشرقا يأخذ بمجامع القلوب، ولا يمكن للبشرية أن تسير فى الطريق السوى والمنهج المستقيم إلا إذا اهتدت بنور الرسالات السماوية ووقفت عند حدود الحق والعدل وإن لم تفعل تخطفتها السبل المضللة وزجت بها فى هاوية سحيقة ليس لها قرار.

وإنه لمن وسائل اليسر والخير والبركات على الأزهر خاصة وعلى الوطن والمواطنين عامة أن قيض الله للأمة بطلا قويا مخلصاً ذا عزم وحزم وإيمان وصلابة فى الحق هو السيد الرئيس جمال عبد الناصر حفظه الله.

ولقد كان من مآثره الدينية ومن حسناته القوية رعايته لهذا المبنى وعنايته بأمره حتى اكتمل وأصبح صرحا شامخاً صالحا لاستقبال طلاب العلم من هذه البلاد الفسيحة التى تنتمى إلى محافظة أسوان والتى تمتد من السباعية بإدفو شمالا إلى أدندان فى حدود السودان جنوبا فى رقعة من الأرض تمتد قرابة أربعمائة وخمسين كيلو مترا.

وإنى أذكر هنا بالتقدير والثناء عمل جمعية المحافظة على القرآن الكريم بأسوان معنا وعمل السادة الوعاظ فى إنشاء هذا المبنى فشكر الله لهم وشكر لجميع المساهمين والمعاونين فى إبراز هذا المبنى الكريم.

وحفظ الله جمهوريتنا العربية المتحدة ورئيسها المحبوب.

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

بريد المجلة

حكم الطاعة وتكييفه شرعا :

لا شك أن قرار المرأة فى بيت زوجها وطاعتها له ثابت بمقتضى عقد الزواج لأنه عقد ملزم للطرفين للرجل بالمهر والنفقة ، وللمرأة بتسليم نفسها والطاعة ، ويدل لذلك قول الفقهاء : تجب النفقة بثلاثة أسباب : بالزوجية والقرابة والملك [١] .

وأصرح من ذلك قول ابن عابدين فى التعليق على قول الشارح (فتجب للزوجة بنكاح صحيح ، فلا نفقة على مسلم فى نكاح فاسد لانعدام سبب الوجوب ، وهو حق الحبس الثابت للزوج عليها بالنكاح) .

إذاً فالطاعة والقرار فى بيت الزوجية حق على المرأة للرجل بمقتضى عقد الزواج الذى يستلزم ثبوت موجبه ما لم يقصر الرجل أو يتكاسل فى طلب هذا الحق ، بذلك جرى العرف ، واستقر أمر الناس ، والمعروف عرفا كالمشروط نصا ، مع أنا لم نجد أمراً مجمعا عليه من سلف الأمة وخلفها مثل هذا الأمر ، لم يشذ عن ذلك فرد ولم يخرج عليه عالم ولا جاهل ، وليس للمرأة أن تمتنع عن تسليم نفسها للزوج بحال إذا طلب الزوج ذلك ، ما دام الزوج قد وفاها حقوقها من معجل صداق أو نحوه ، كما أنه ليس لها أن تنشز على زوجها أو تخرج من بيت الزوجية بغير وجه حق مشروع ، فإذا امتنعت المرأة عن تسليم نفسها أو نشزت بالخروج من بيت الزوجية بعد التسليم ، فللرجل فى هذه الحالة أن يمتنع عن الإنفاق عليها جزاء وفاقا على إهدارها لمقتضى العقد . خاصة وأن شرط النفقة تسليم نفسها أو تمكينه من السكنى معها فى بيتها ، أو يطالبها بالدخول فى بيت الطاعة أمام القاضى ليحكم له بذلك ، وليس قضاء القاضى فى هذه الحالة أمراً محتاجا إليه لأن ذلك ثابت بمقتضى العقد ، وإنما هو إعذار للمرأة أن ليس لها حق يخول لها الامتناع ، وإجبارها على الوفاء بمقتضى العقد .

وللسلطة التنفيذية أن تسلك الطرق القانونية فى إجبار المرأة على تنفيذ الحكم بشأن العقود المدنية الأخرى التى لا تجد إنكاراً من أحد ، أو تتخلص المرأة من ذلك بطلبها الخلع على مال تدفعه للزوج كتعويض عن إخلالها بمقتضيات عقد الزواج .

---

(١) فتح القدير باب النفقات .

هذا وحكم الطاعة وتنفيذه غاية العدالة ، إذا علمنا أن الزوج إذا أعسر بنفقة الزوجة طلقت منه بأمر القاضى أو استدانت عليه أو حبس فى النفقة إذا ظهر غناه ومطله .

فلم تستبيح المرأة إذن حبس الزوج عند مطالبته بالنفقة وتنكر على الرجل استعمال حق ثابت له بمقتضى الشرع ..؟ لاشك أن هذا أمر يجافى الإنصاف وينافى العدالة أغرى المرأة به ما وصلت إليه من نيل بعض حقوق كانت محرومة منها وبعيدة عن متناولها ومساعدة بعض كتاب ممن أعطوا أنفسهم حق تصريف الأمور والتكلم فيما لهم وفيما ليس لهم من أمور لا يدركون معناها ، ولا يعرفون حقيقتها .

ولولا أن حق الرجل يضيع بحبس المرأة حتى تعود إلى عش الزوجية ويعود الحبس على الموضوع وهو تمكن الرجل من امرأته بالنقض ، لكان حبس المرأة فى السجن لا بيت الطاعة حتى تفتدى نفسها أو تعود إلى بيت الزوج غاية العدالة ومقتضى الحق .

ومن هذا كله نعلم أن الشرع لم يظلم المرأة ، ولم ينقصها حقا من حقوقها المشروعة بل كان رفيقاً بها غاية الرفق متسامحا معها إلى أبعد حدود الإنصاف لو أنها عقلت وأدركت !

بل إن الرجل لا يلجأ إلى طلب الحكم بالطاعة إلا إذا طالبت المرأة بالنفقة مع نشوزها ظالمة له معتدية على حقه .

ومع كل هذه الصيحات التى نسمعها من المرأة لا نسمع لها دليلا تستند إليه ، أو برهانا تعتمد عليه إلا منافاة ذلك لكرامة المرأة ، ولحقوق الإنسانية مع أن مثل ذلك لا يثبت حقا ، ولا ينفى تهمه .

وقد يكون فى هذا الحديث الذى نسوقه تعلة للمرأة وهو ما رواه البخارى والنسائى عن ابن عباس قال : جاءت امرأة ثابت ابن قيس بن شماس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله : إنى ما أعتب عليه فى خلق ولا دين ولكنى أكره الكفر فى الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتردين عليه حديقته قالت : نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إقبل الحديقة وطلقها تطليقة حيث لم يجبرها عليه السلام على الطاعة .

والجواب عن ذلك يسير إذ أن زوجها لم يسبق منه طلبها فى بيت الطاعة كما أنه سلك معها أحد الطريقين المشروعين فى مثل هذه الحالة .

أحمد عبد الوهاب مجاهد
خريج الشريعة
ومدرس بمدرسة شبين الكوم الثانوية بنات

الأزهر معقل الإسلام :

الأزهر الشريف هو المعهد الإسلامى الأعظم الذى لا يزال يحمل رسالة الإسلام كاملة إلى أمم الأرض كلها على اختلاف أجناسها

وتباين لغاتها وتعدد عناصرها وقد حافظ على التراث العربى والإسلامى طيلة عشرة قرون أو يزيد وما من عادية كانت تجتاح العالم الإسلامى إلا وتصدى لها الازهر ممثلا فى رجاله الأحرار فهزمها وقضى عليها قبل أن يستفحل خطرها ويعظم ضررها . وإن الدليل لقائم الآن فقد علم العالم كله جريمة العصابات الصهيونية المجرمة بإقدامها على تحريف القرآن الكريم وإرساله إلى البلاد الإسلامية النائية قاصدة بذلك تهديم عقيدة المسلمين وتحطيم كيانهم وشل حركتهم الإسلامية المباركة وسرعان مانهض الأزهر المعمور ليرد على هذه العصابة المجرمة فعبأ جيشه العرمرم الفذ وجند رجاله الأبطال وعلى رأسهم الأستاذ الأكبر ليحذر المسلمين فى مختلف ديارهم من هذه الجريمة النكراء التى قامت بها عصابات صهيون الغادرة . وهكذا أثبت الأزهر أنه حصن الإسلام المنيع ومأوى الدعوة إذا ما ادلهم الخطب وحزب الأمر ودهم المجرمون حمى الإسلام والعروبة . .

ومما لاريب فيه أن العلوم قد انتهت إلى هذا الأزهر المعمور من جميع أنحاء العالم الإسلامى وأسلت الحضارة إليه زمامها وحطت فى أروقته رجالها وسلمته الأمانة الغالية فكان أميناً عليها محافظاً على تراث الإسلام عاملا على نشره وبثه فى أمم الأرض ، فأصلح الحياة بعد أن كان الفساد قد استشرى فى جوانبها وامتد فى أنحائها . .

ولا غرو فإن هذه الجامعة الأزهرية العظمى تحمل الرسالة الأخيرة إلى أهل الأرض رسالة الأفكار المثالية والأخلاق العالية والسلوك الحسن والمقومات الإسلامية العظيمة والحضارة الإسلامية التى نفاخر بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وصدق الله العظيم « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » .

واليوم وصاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر قد قام برحلته المباركة إلى بعض الأقطار الاسلامية واطلع على أحوال المسلمين وما يقاسون ويعانون من مشاكل اجتماعية ودينية ومذهبية فإن آمالهم أضحت منوطة بالأزهر وأنظارهم غدت إليه متطلعة وقلوبهم به متعلقة . فهل يحقق الأزهر الشريف أمل المسلمين فى العالم الاسلامى الكبير وهل يستجيب لدعوتهم فى التوجيه والإرشاد فيكون قائدهم إلى كل خير ونهضة شاملة حتى يحقق هذا العالم الإسلامى مطالب العالم الإنسانى وحاجاته ويعالج مشاكله وعلله وما يستجد من حوادث فى المجتمع الإسلامى بحلول نافعة مفيدة وأساليب سليمة صحيحة تقوم على الكتاب الكريم والسنة الهادية الرشيدة ؟ !

إن الإسلام إذا وجد رجالا يجددونه كان

اصلح المبادىء للحياة وأرقى النظم المعاصرة للبشرية اليوم فإن العدل الذى جاء به الاسلام والسياسة التى رسمها لأتباعه هى أقوى الدعائم التى ظهرت وتظهر فى هذه المعمورة، يقول الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات حفظه الله ذخرا للإسلام والمسلمين، أعتقد أن العروبة إذا اتحدت كانت بقوميتها أساسا لنهضة الشرق وأن الشرق إذا نهض كان بطبيعته أضمن للسلام من الغرب، وأن الإسلام إذا تجدد كان بسياسته أصلح لإقرار العدل من كل نظام وأن الأزهر إذا أصلح كان بثقافته أهدى إلى تربيتنا من أى جامعة، وقد تحقق بعون الله وقوته تجديد الأزهر فهو اليوم يدرس لأبنائه الذين يرعاهم ويربيهم ويعلمهم من البعوث الاسلامية وغيرهم كل أنواع العلوم والفنون وشتى المعارف والآداب، لذلك فنحن معشر المسلمين فى غنى بثقافتنا الاسلامية العربية التى تحمل الخير والرحمة والسلام إلى الإنسانية، عن حضارة الغرب التى تهدد العالم بالدمار والخراب وتنذر البشرية بالزوال والفناء، والقائم على حراسة هذه الحضارة الإسلامية البناءة اليوم هو الأزهر المعمور قبلة المسلمين فى العلوم والآداب والفقه والحديث الخ . . .

فاللهم إنا نضرع إليك أن تهيء للإسلام رجالا عاملين فى سبيل نشر هذه الرسالة ليبعث الروح الإسلامى من جديد وتسعد الإنسانية كما سعدت من قبل بهذا الدين الحق دين الإنسانية جمعاء. يقول الأستاذ حسن جاد المدرس فى كلية اللغة العربية من قصيدة هنأ فيها الأستاذ الأكبر بمناسبة تعيينه شيخا للجامع الأزهر :

أعد لأزهرنا قدسيَّ منصبه ... فطالما اهتز من ذل وخذلان
وصد عنه تعلات يروجها ... مروجو الزيف من زور وبهتان
اجعله جامعة معنى وتسمية ... فما نعلل عن حق بعنوان
وألق فى مسمع الدنيا بصيحته ... حتى يردد مسراها السماكان
ولا تخيب رجاء فيك منعقدا ... فأنت أدرى بآلام وأشجان

حسن عمر عمر

حول كتابة المصحف :

يرى الأستاذ محمد رجب البيومى تيسيرا لتلاوة المصحف ـ أن يكتب بقواعد الإملاء الحديث، تاركين الرسم العثمانى، وسرد أمثلة من هذا الرسم تظهر مدى المخالفة بين الرسمين، وهذه الأمثلة التى ساقها نقسمها أربعة أقسام متبعين كل قسم بما نراه.

١ ــ الكلمات : يا يئس ــ يتلوا ــ

لاأذبحنه - بأييد - لشاىء ، وهذه يرى كتابتها على ما توجبه قواعد الإملاء الحديث خالية من الحروف الزائدة ، ومثل هذه لاتنازع الأستاذ فيها ، ولا نرى حاجة - بله الضرورة - إلى الاستمساك بها . على أن لنا هنا ملاحظتين أولاهما قلة هذا النوع فى المصحف وأخراهما أن الإملاء الحديث لم يخل من مثل تلك الزيادة ، بل النقص كما فى مثل : هـــذا وهؤلاء - أولئك ولكن والأولى .

٢ - الكلمات «مصرا - لكنا» . وهذه يرى كتابتها هكذا : مصر - لكن ، وهنا نرى أن الأخ قد غفل - ولا أقول : قد جهل ، فهو من قد علمت — عن حقيقة الكلمتين فكلمة « مصرا » فى قوله تعالى : اهبطوا مصرا منونة : لذلك تلزمها الألف رسما ونطقا عند الوقف ، كما نقول نزلت بلدا فليس يصح أن نقول : بلد ، ومصر فى هذه الآية غيرها فى قوله : أليس لى ملك مصر ، فهذه علم ممنوع من التنوين ، وتلك نكرة منونة .

وكلمة : لكنا ، ليست أداة الاستدراك فقط : لكن ، رسمت فى المصحف بزيادة ألف ، ولكنها كلمتان : لكن والضمير : أنا ، وبهما قرأ أبى ، وألف أنا تثبت كتابة ونطقا عند الوقف ، وعلى مثل هذا شواهد فى اللغة العربية .

٣ - الكلمات : ثمودا - سلاسلا . يرى كتابتها : ثمود - سلاسل ، ونحن نقول : إن هناك نوعا من الكلمات فى المصحف يدل برسمه على لهجة عربية يقرأ بها ، ومن ثم قالوا : إن كل قراءة وافقت رسم المصحف فهى صحيحة ، وهاتان اللفظتان قرئتا بالتنوين .

٤ - الكلمة : الظنونا : يرى كتابتها الظنون ، ونحن نقول :

أولا ، إن مثل هذه الألف معروف فى اللغة ومنه :

« أقلى اللوم عاذل والعتابا » .

ثانيا : لو كتبت الكلمة على ما يراه لنطقت نونا من غير ألف عند الوقف وهو ما يخالف قراءة حفص التى رسم بها المصحف .

وأخيرا للأخ الفاضل الشكر على رغبته فى تيسير تلاوة القرآن .

عبد المجيد حامد صبح

المدرس بمدرسة النهضة الإعدادية بالمنصورة

أنباء الثقافة

• رشح مجمع اللغة العربية الأستاذ أحمد حسن الزيات لنيل جائزة الدولة التقديرية فى الأدب ورشح المجمع الأستاذ الدكتور عبد الحميد بدوى لنيل هذه الجائزة فى العلوم الاجتماعية.

• فى الشهر الماضى احتفلت روسيا وشاركتها فى ذلك الأوساط الثقافية والأدبية فى العالم بمرور خمسين سنة على وفاة تولستوى القصاص والمصلح الإنسانى العظيم مؤلف : الحرب والسلام وأنا كارنينا ، ولتولستوى دراسات عن الإسلام تتسم بالشجاعة والإنصاف والتقدير لدين الله الخالد . ووجدت فى أوراقه إشارات إلى أنه وضع كتابا عن النبى محمد عليه السلام وقد وجدت أصول الكتاب بعد وفاته ولكنه لم ينشر ، لا فى عهد القيصرية ولا فى عهد الشيوعية .

• تلقت الهيئات الرسمية فى القاهرة تقارير من بعض سفارات الجمهورية العربية فى أوربا الغربية تتضمن أنباء عن نشاط كبير تقوم به « القاديانية » بين الطلبة العرب فى جامعات تلك البلاد .

وقد كلفت وزارة الأوقاف الدكتور عبد الحليم محمود والشيخ السيد سابق والأستاذ على منصور المستشار بوضع رسالة عن « القاديانية » ومبادئها وخروجها على تعاليم الإسلام وسترسل هذه الرسالة إلى السفارات العربية فى أوربا لتقاوم بها نشاط القاديانية .

• أنشىء فى « أكرا » عاصمة غانا مكتب ثقافى عربى يتحول قريبا إلى مركز ثقافى يضم مجموعة كبيرة من الكتب العربية .

• فى مسابقة « شباب الجامعات » نجح فى الشعر اثنان وعشرون متسابقا . كان أول الجميع من الأزهر هو الطالب محمد أحمد العزب

• يصدر قريبا كتاب جديد للأستاذ أمين الخولى عنوانه « تجديد الدين » .

• تقوم وزارة التربية والتعليم فى الجمهورية العربية المتحدة ، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلن الأمريكية للطباعة والنشر ، بالعمل على تخطيط برنامج لترجمة الكتب والمراجع التى يحتاج إليها طلبة الكليات غير النظرية والمعاهد الفنية ، على أن يتم ذلك فى ثلاث سنوات .

• أصدر سماحة السيد مرتضى العسكرى من كبار علماء النجف الأشرف بالعراق كتابا

عن : « عبد الله بن سبأ » ، وهو بحث وتحقيق فيما كتبه المؤرخون والمستشرقون عن ابن سبأ وقصص إسلامية أخرى منذ القرن الثانى الهجرى حتى اليوم .

• تقرر إنشاء ٢٥ جامعة صغيرة فى محافظات الإقليم الجنوبى خلال السنوات الخمس القادمة . تنشأ الأولى منهما فى المنصورة والثانية فى أسوان وتتفرع من هذه الجامعات مراكز فى المدن والقرى الرئيسية • وتقام كل جامعة على ثلاثة أفدنة ويشترك الاتحاد القومى مع وزارة الثقافة والإرشاد فى تنفيذ هذا المشروع .

وتضم كل جامعة من هذه الجامعات عدة منشآت منها مكتبة عامة ومجموعة من غرف البحث والدراسة والاطلاع . ومكتبة خاصة للسيدات وأخرى للأطفال وقاعة للمتاحف الدراسية الدائمة ، ووحدة صحية وملاعب رياضية .

كما تقرر إنشاء مكاتب دينية فى المساجد ، وأخرى عامة فى القهوات .

• صرح السيد على محمد هرابة وزير الاستعلامات الصومالى ، الذى زار القاهرة أخيراً ، بأن حكومة الصومال قررت استعمال اللغات العربية والإيطالية والانجليزية لغات أصلية إلى أن تتم كتابة الأحرف الجديدة للغة الصومالية التى تستعمل فى الحديث ولكنها لا تكتب.

وفى الصومال اتجاه لاستعمال الحروف العربية فى الكتابة وآخر لاستعمال الحروف اللاتينية .

• عقد مؤتمر عام فى كلية دار العلوم لدراسة تيسير قواعد اللغة العربية .

وحضر المؤتمر ممثلون عن الجامعات فى الجمهورية العربية المتحدة ورجال وزارتى التربية فى الإقليمين ، والأزهر .

• تقرر قبول عشرة من طلاب تايلاند لدراسة الثقافة الإسلامية واللغة العربية فى الأزهر . ويصل هؤلاء الطلاب إلى القاهرة فى وقت قريب .

• يفتتح قريبا معهد عال لدراسة اللغات الإفريقية والآسيوية يقبل فيه خريجو كليات الأزهر .

• احتفل فى برلين بمرور ١٥٠ سنة على إنشاء جامعة « هومبولت » ، واشترك فى هذه الاحتفالات مدير جامعة عين شمس ووكيل جامعة القاهرة ممثلين للهيئات الثقافية فى الجمهورية العربية المتحدة .

• تمت فى الباكستان ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإفريقية « السواحلية » .

• افتتحت فى بيروت الجامعة العربية ، تم فيها إنشاء كليتى الآداب والحقوق واختير أساتذتها من أساتذة كليتى عين شمس والإسكندرية . وهذه الجامعة هى الرابعة فى لبنان وأحدثها إنشاء . والأولى هى

الجامعة الأمريكية التى أنشئت من مائة سنة . ثم جامعة سان جوزيف الفرنسية ، ثم الجامعة اللبنانية .

• قبل الأزهر منحة دراسية لأربعة من خريجيه للدراسة فى الجامعات الأمريكية . واختير لهذه الدراسة كل من الأساتذة عبد المحسن البيلى لدراسة علم الاجتماع ، وإبراهيم محمود شلبى للتربية وعلم النفس ، ومحمد فوزى السعيد للفلسفة ، ومحمد كامل تاج الدين للغة الانجليزية .

• أمر جلالة الملك سعود ملك المملكة العربية السعودية بإنشاء جامعة إسلامية فى المدينة المنورة .

• زار القاهرة فى الشهر الماضى السيد بديع الدين محمود وزير المعارف والثقافة فى سيلان واجتمع بالسيد وزير التربية والتعليم المركزى لبحث التعاون الثقافى بين الجمهورية العربية وسيلان .

كما اجتمع بفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، حيث بحث مع فضيلته مشروع إنشاء معهد للدراسات الإسلامية والعربية بكولمبو يمده الأزهر بالأساتذة ، ويضع مناهجه .

• ظهر كتابان باللغة الفرنسية عن حجة الإسلام الغزالى . أحدهما لمؤلف عربى من لبنان هو الدكتور فريد جبر ، وثانيهما للمستشرق الفرنسى « موريس بويج » موضوع الكتاب الأول : « نظرية المعرفة عند الغزالى » والثانى موضوعه « مؤلفات الغزالى ورسائله » التى زادت على الأربعمائة. وسيقيم المجلس الأعلى للفنون والآداب مهرجانا لمناسبة ذكرى الغزالى المئوية التاسعة يعقد فى دمشق .

• زار القاهرة السيد « همايون كبير » وزير العلوم والثقافة فى الهند لإجراء مباحثات ثقافية مع المسئولين فى الجمهورية العربية المتحدة ، ولحضور الاحتفال الذى أقامه وزير التربية التنفيذى لمناسبة مرور مائة سنة على مولد الشاعر الهندى الكبير طاغور .

وطاغور هو الأديب الشرقى الوحيد الذى نال جائزة نوبل العالمية .

والسيد همايون كبير هو رئيس مجلس الهند للروابط الثقافية الذى يشرف على مجلة « ثقافة الهند » التى تصدر باللغة العربية .

• زار القاهرة المستشرق السوفيتى بوجين بيلاييف بدعوة من وزارة الثقافة والإرشاد القومى .

وتباحث الأستاذ بيلاييف مع المسئولين فى الجمهورية العربية المتحدة فى مشروع لنشر المخطوطات العربية الكثيرة الهامة التى توجد فى مكتبات الاتحاد السوفيتى .

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
سكرتير التحرير
محمود الشرقاوي
بدل الاشتراك ٥٠

الجزء العاشر — شوال سنة ١٣٨٠ هـ — مارس ١٩٦١ م — المجلد الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

رمضان سنة لا شهر!

بقلم : أحمد حسن الزيات

مضى رمضان ربيع الروح كما يمضي نيسان ربيع الطبيعة . وإذا كان نيسان يخلف من ورائه في الأرض الخصب والنماء والكلأ والثمر والنضارة فيرتع في خيره الإنسان والحيوان سائر العام كله ، فهل يعيش المسلمون بعد رمضان على زاد من تقواه وعدة من قواه وذخيرة من بره تعصمهم من نزوات النفس وشهوات الجسد بقية عامهم إلى أن يعود ؟ .

المفهوم من حكمة الصوم في شريعة الله أن يكون هذا ، ولكن الواقع أن رمضان في دنيا أكثر الناس ثلاثون عيداً تبتدئ بليلة الهلال وتنتهي بيوم الفطر ، يتمتعون فيها بملذات الحس ومسرات العيش ، فيتفننون في الطعام والشراب ، ويتدفقون في اللهو والأنس ، ويسرفون على بطونهم بالأكل حتى تمرض ، وعلى جيوبهم بالبذل حتى تفرغ . حتى إذا خرجوا منه إلى شوال خرجوا من الواحة إلى الصحراء ، ومن الهداية إلى التيه ، لا يملكون الزاد الذي يبلغهم الأمن ، ولا يجدون الدليل الذي يجنبهم الضلال .

كان أكثر هؤلاء مفطرين وإن صاموا : لأنهم كانوا يستبيحون النظرة الآثمة والكلمة البذيئة والفعلة القبيحة ، فليس من المعقول أن يكون لرمضان سلطان عليهم أو ذخر لديهم أو أثر فيهم ؛ إنما الحديث عن أولئك الذين قضوا أيامه الغر ولياليه البيض ، في رغادة كرغادة

طوبى ووضاءة كوضاءة عدن ، لا يرون فيه إلا خيراً يتدفق فى البيوت ، وبشراً يتهلل فى الوجوه ، وذكراً يتعالى فى المساجد ، ونوراً يتألق فى المآذن ، وسمرا يتنقل فى الأندية ؛ ثم حافظوا على شعائره المفروضة وتقاليده المسنونة ؛ فالسكير يهجر الكأس ، والمقامر يترك الورق ، والشرير يؤجل الشر ، والمجرم ينسى الجريمة ، وكلهم يتشبهون بأهل الصلاح وذوى السمت فيمسكون السبحة ، ويتقون الشبهة ، ويصنعون المعروف ؛ فإذا بدأ الربع الأخير من رمضان ودعوه وعلى وجوههم غشاوة من الأسى على بركات تريد أن تنقضى ، وخيرات توشك أن تنقطع ، كأنما يعتقدون أن باب السماء فى غيره مغلق ، وأن وجه الأرض من بعد ربيعه جديب ، ثم تمثلوه محتضرا يقاسى غصص الموت ، فيتفجع عليه الصائمون فى البيوت ، والمصلون فى المساجد ، والمؤذنون فوق المآذن ، والمسحرون على الأبواب ، وكلهم يقولون سرا وجهرا : لا أوحش الله منك يا شهر البر والذكر والفكر والدعاء !

إليكم أنتم أيها الذين صاموه بالتقوى ، وقاموه بالإخلاص ، وودعوه بالحسرات ، وشيعوه بالدموع ، أوجه هذه الأسئلة :

هل أنتم يوم ودعتموه خير منكم يوم استقبلتموه ؟ .

هل تشعرون بعد أن أديتم فريضة هذا الركن الشديد من أركان الإسلام أن نفوسكم أصبحت أطهر ، وأن أخلاقكم صارت أكرم ، وأن أهواءكم غدت أرفع ؟

وهل تحسون أثر أولئك كله فى دنياكم الخاصة والعامة ، فأنتم اليوم أشد قربا من الله وأوثق صلة بالناس وأطيب نفسا بالحياة ؟

اسألوا أنفسكم هذه الأسئلة ثم أجيبوا عنها، وأنا واثق من أن أجوبتكم ستكون بالإيجاب ، وإلا لما حزنتم على انقضاء رمضان ، وأسفتم لانقطاع الخير فيه ، فإن المرء لا يحزن إلا على عزيز ، ولا يأسف إلا على نافع . فلماذا إذن لا تجعلون سائر الأشهر كشهر رمضان؟ لماذا لا تستمرون فى الصيام عن ظاهر الإثم وباطنه ؟ فتغلوا أيديكم عن الأذى ، وتصونوا ألسنتكم عن الكذب ، وتطهروا أفئدتكم من الفحش ، وتنزهوا مكاسبكم عن الحرام ، وتبرئوا أعمالكم من الغش ، وقد جربتم ذلك فى رمضان فنفعت التجربة وحسنت العاقبة ؟

لماذا لا تضيقون الكلفة فى القهوة لتوسعوا النفقة فى البيت ، وتقتصدون قليلا فى الأنس بالأصدقاء لتوفروا كثيرا من الأنس بالأسرة ، وقد فعلتم ذلك فى رمضان فاعتدلت الحال وطابت المعيشة .

هذا السكير الذى استطاع أن يهجر الخمر ثلاثين يوما وثلاثين ليلة ، فزكا قلبه ، وامتلأ جيبه ، وصح بدنه ، لماذا لا يواصل العيش بعد رمضان على هذا المنهاج ، وقد علم

بالاختبار أن هذا الهجر قد نفعه ولم يضره، وتيسر له ولم يتعسر عليه؟

وهذا المدخن الذي ترك التدخين ثلاثين يوما فأراح صدره، وسكن أعصابه، وقوى شهيته، لماذا لا يستمر صائما عنه ليله ونهاره. وقد رأى أن في طاقته الاستغناء عنه والحياة بدونه؟

وهذا القوي الذي كان وهو صائم يمر باللغو كريما، فيقابل الذنب بالمغفرة، والسيئة بالحسنة، والقطيعة بالصلة، فوصل السلام بين قلبه والأمن، وقرب الوئام بين نفسه والسعادة، لماذا لا يحرص على هذا الخلق وهو مفطر بعد ماجنى من خيره في أربعة أسابيع ما لم يجنه من غيره في العام كله؟

وهذا التاجر الذي راضه الصوم على أن يقف نفسه عند حدود الله في التجارة، فلم يطفف الكيل، ولم يخسر الميزان ولم يقارف الاحتكار، ولم يغش البضاعة، ولم يرفع السعر، ثم تحقق من جدوى ذلك عليه في رضا ربه وراحة ضميره ومصلحة وطنه، لماذا لا يلزم نفسه ذلك في كل وقت بعد أن استمرأ طعم الحلال وأدرك لذة الحق؟

وهذا الغني الذي ذاق في رمضان ألم الجوع، وكابد مشقة الحرمان، ثم استطاع بالصدقة أن يخفف عناء الفقر عن فقير، ويدفع شر الحاجة عن محتاج، لماذا لا يشعر دائما أن الجوع بعد رمضان باق، وأن العوز في أكثر الناس قائم، وأن للسائل والمحروم حقا لا يتقيد أداؤه بيوم، ولا يتخصص قضاؤه بصوم؟.

وهذا الموظف الذي عود أنامله طوال هذا الشهر أن تساقط حبات المسبحة ليسبح، وأن تبسط سجادة الصلاة في كل وقت ليصلي، فنسي أن يمد عينيه إلى جيب المواطن ليرتشي، أو يديه إلى خزانة الدولة ليختلس. وذكر أنه إنسان كمله الله بالعقل، وجمله بالخلق، وهذبه بالضمير، لم لا يذكر في شوال أن أنامله التي تمسك القلم وهو مفطر كانت تمسك المسبحة وهو صائم، وأن ربه الذي كان يخشاه في رمضان لا تأخذه سنة ولا نوم في سائر الأشهر؟

إن رمضان سنة لا شهر، وذخيرة لا نفقة، ومصحة لا ملهى، ورياضة لا متاع. نروض فيه أنفسنا على الخير لتمرن عليه، ونعالجها به من الشر لتبرأ منه. وليس الغرض من علاج النفس والجسم فيه أن ينقضي أثره الطيب بانقضائه، فإن ذلك يخالف حكمة الشارع من الصوم، ويناقض منطق الأشياء في الواقع، فإن المريض الذي يطلب العافية في مدينة من مدن المياه الطبية لا يطلبها للمدة التي يقضيها في المصحة، وإنما يطلبها لتكون عمادا قويا لما وهن من جسمه وزادا صحيا لما بقي من عمره. وما أبعد المسلم عن الإسلام إذا اعتقد أن الصلاة لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر إلا وهو في المسجد، وأن الصوم لا يعصمه من اللغو والأذى إلا وهو في رمضان، وأن الصدقة لا تطهره ولا تزكيه إلا وهو في العيد! خذوا إذن من ربيع النفس

اللغة العربية
بين لغات الحضارة العصرية

للأستاذ عباس محمود العقاد

حضرنا زمناً – في مطلع الشباب – كنا نستمع فيه إلى خطب المساجد وخطب المنابر الأدبية والسياسية ، ونقرأ الصحف والنشرات ، فلا نخرج مما سمعناه وقرأناه بغير معنى واحد متكرر ، يبتدئ وينتهي بالنعي البالغ على الأمة وتشديد النكير على الحاضرين والغائبين من أبنائها ، ووصفهم كافة بالجهل والغفلة والتخلف عن سائر الأمم في كل حميد مشكور من الأخلاق والعادات ، عاداتها وخصالها .

وحضرنا زمناً بعده تبدلت فيه هذه النغمة وانتقل بنا خطباؤه وكتابه من غاية الذم إلى غاية الثناء ، فنحن أشرف الأمم وأقدر الأمم وأصلح الأمم ، وغيرنا من الأمم لا يساوينا ولا يلحق بنا في مأثرة من مآثر الشرف والقدره والصلاح ! .

وجاء بعدهما زمن وقفنا فيه بين بين . ! وسمعنا فيه بعض الذم وبعض الثناء في آن ، ولعلنا نقترب مع هذا الزمن إلى حالة صالحة ليست هي إلى الغلو في التبكيت ولا إلى الغلو في التيه والفخار ، ولكنها حالة النقد المميز والتشخيص الدقيق لما نحن عليه من صحة وسقم ، ومن حاجة إلى الإكثار أو حاجة إلى الإقلال .

كل أولئك أدوار لازمة محمودة العاقبة في أوقاتها . فالتبكيت لازم للإيقاظ والإنهاض ، والفخر لازم لاستعادة الثقة بالنفس والاعتماد عليها والاستعداد للحرية

ما تأخذه الأرض من ربيع الطبيعة : خذوا لعبوس حياتكم من طلاقته ، ولسموم طبيعتكم من طراءته ، ولجدب دنياكم من خصوبته ، ولاضطراب عيشكم من سكينته ، ولاعوجاج سلوككم من استقامته ، ولميوعة مجتمعكم من صلابته ، ولشتات كلمتكم من وحدته ، وذلكم هو الزاد الإلهي الذي تخرجون به من رمضان لغذاء القلب والروح ، وخدمة الوطن والأمة ، وعدة العمل والجهاد .

وبهذه النية وعلى هذه العزيمة تكونون خلقاء أن تهنأوا بحزنكم في وداع شهر الصوم وبفرحكم في استقبال عيد الفطر ، فإن الحزن على رمضان تقوى وبر ؛ لأنه حزن على خير مضى وأنس فات ، وإن الفرح بالعيد عبادة وشكر ؛ لأنه فرح ببشرى نزول الوحي وذكرى يوم بدر .

أحمد حسن الزيات

بعدتها الصالحة ، ويلزمنا بعد الثقة بالنفس أن نقصد فيها فلا نتنهى بها ولا تنتهى بنا إلى الغرور الباطل ، والادعاء الوخيم .

* * *

ومثل هذه الأدوار قد مر باللغة العربية فيما يحسب لها وما يحسب عليها ، وما هو من حقها فى كلا الحسابين .

عرف الناطقون بالضاد قديماً أنها أفصح اللغات ، وكاد الفخر بها أن يتمادى إلى إنكار الفصاحة على سائر اللغات .

وجاءنا عصر الترجمة الحديث فرجعنا إلى نقيض ذلك الفخر وكاد العجزة من المترجمين أن يحسبوا عليها عجزهم فيهبطوا بها من طبقة اللغات الحية إلى طبقة الرطانات التى حق عليها الركود وسوف يحق عليها الدثور والنسيان ، ثم أفضينا - بعد فترة - إلى أوائل دور الاعتدال بين الأمل فيها واليأس منها ، فقال شاعر كبير على لسانها قبل خمسين سنة :

وسعت كتاب الله حكما وحكمة
وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات ! !

وهذه - كذلك - أدوار لازمة لها ما بعدها فلابد من الشعور بالنقص ولابد من علاجه ، ولابد من الثقة المستعادة عن علم أو عن بينة علمية ، نعرف بها الحقيقة لننتفع بمعرفتها ولا نبتغى بها أن نسوقها مساق الفخر الذى لا سند له غير أنه يرضينا .

ومن دواعى الرضى - بحمد الله - أن يسعدنا علم اللغات الحديث فيما نبتغيه من ثقة ومن معرفة بالحقيقة . فإن هذا العلم الذى تولاه على أيامنا أناس من غير أبناء الضاد يعطينا معيارا صادقا نعرف به مكان هذه اللغة العريقة بين لغاتهم الشائعة ، ومنها العريق والمستحدث منذ قرون لا تحسب من الآماد الطوال فى أعمار اللغات .

كان نقاد الآداب واللغات عندهم يحسبون أنهم يعطفون على اللغة العربية غاية العطف الذى يقفون عنده ولا يستطيعون الزيادة عليه ، حين يقرون لها بأنها لغة جميلة وينكرون عليها أنها لغة « عالية » فى طبقات اللغات الحية . ولكن علوم اللغة التى يقررها نقاد الآداب واللغات تثبت لها « العلو » فى الطبقة ، كما تؤكد لها صفة الجمال التى لم ينكروها عليها ... وبالمعيار المستفاد من هذه العلوم اللغوية تعرف لها مكانتها بين الألسنة الناطقة ، ونقول فيها - بغير لسان الفخر - ما ينبغى أن يقوله الناقد العربى والأجنبى بلسان التحقيق .

إن الفوارق الفكرية أصعب من فوارق الجغرافيا والثروة تعليلا بأسباب الارتقاء والتطور ، ولكن معيار اللغة - وهى تتدرج فى أطوار التكوين - أبرز من الفوارق الفكرية جميعا ؛ لأنها قابلة للضبط والتقسيم وأدنى إلى التقسيم بالضوابط والعلامات من فوارق التفكير والبواعث النفسية ، وقد

تكون علامات اللغة مما يستعان به على جلاء الفوارق عند التباسها على نقاد الفوارق النفسية والاجتماعية .

واللغات فى تصنيف بعض علمائها تنقسم على حسب الأجناس والسلالات التى تتكلمها ولكنه تقسيم يعتريه الاختلاط لاشتراك الأمم فى لغة واحدة ، أو عائلة لغوية واحدة مع انتمائها إلى أصول متباعدة ، وخير منه أن نقسم اللغات على حسب تكوينها وتكوين قواعدها وعوامل التصريف فى مفرداتها وتراكيبها وهو تقسيم يضبط الفوارق ضبطا كافيا للموازنة بينها والمقابلة بين عوامل الفهم والاختيار وعوامل التقليد والاضطرار فى تراكيبها وتعبيراتها .

وتنقسم اللغات من حيث التكوين إلى لغات النحت ولغات التجميع ولغات الاشتقاق .

فلغات النحت هى التى تتكون فيها الأسماء والأفعال والصفات بإدخال المقاطع الصغيرة عليها أو إلحاقها بها ، وتسمى لغات النحت أحيانا باسم اللغات الغروية فى اصطلاح الأوربيين : Agglutinating لأن مفرداتها تلصق لصقا لتنويع معانيها ، كما تلصق أدوات البناء بالغراء .

ولغات التجميع هى اللغات التى تعتمد على اللصق كما تعتمد عليه اللغات الغروية ولكنها تعتمد قبل ذلك على « التنغيم » لتنويع المدلول . والتمييز بين الصفات والظروف ، وبين الأوقات والأجناس ، وغيرها من معانى الجمع والتثنية والإفراد ، وقد تسمى لغات التجميع أحيانا باللغات المنفصلة Isolating لأن الكلمة فيها تنفصل بصيغة واحدة لا تتغير حروفها ، وإنما يتغير المعنى بضم صيغة منها إلى صيغة أخرى ، بترتيب متبع أو بغير ترتيب يلتزم فى جميع الأحوال . ومن فروع هذه اللغات ما تتكون أسماؤه وأفعاله من جملة تتألف من عدة مقاطع وأجزاء . وتسمى لذلك بلغات التركيب الكثير Polysg nthetic .

أما لغات الاشتقاق فهى اللغات التى يتم فيها الفعل الثلاثى فى كل مادة وتجرى قواعد الصرف فيها على المخالفة بين الأوزان بحسب معانيها ، ويكثر فيها اختلاف الحركة فى أواخر الكلمات اتباعا لموقعها من الجملة المفيدة .

ويشيع النحت فى اللغات الهندية الجرمانية كما يشيع التجميع فى اللغات المغولية ولغات القبائل الأمريكية الأصيلة ... أما الاشتقاق فهو من خصائص اللغات السامية ، وتكاد اللغة العربية من بينها أن تنفرد بعموم الاشتقاق واطراده ، مع تحريك أواخر الكلمات حسب مواقعها من الجمل المفيدة .

وربما اتفق اللغويون على قواعد عامة عملت فى تطور هذه اللغات جميعا ولم تختص بها لغة دون سائرها .

ومن هذه القواعد العامة أن الكلمات الانفعالية التقليدية أسبق من الكلمات الإرادية

الفكرية ، ويريدون بالكلمات الانفعالية ما يصدر عن الإنسان عفوا من الأصوات والصيحات التي تعبر عن الفرح أو الفزع أو الدهشة ، وما تكون الكلمة منه أحيانا من قبيل المحاكاة الصوتية : Onomatopqeic كاسم البلبل والكوكو، وألفاظ الدق والقطع والوسوسة وما جرى مجراها .

ويريدون بالكلمات الإرادية الفكرية كل ما يقصده المتكلم ويجرى فيه على القياس والاستعارة ، وإطلاق القاعدة الواحدة على المتشابهات لفظا أو المتشابهات لفظا ومعنى.

وأكمل اللغات - على سنة التطور والتقدم- تلك اللغات التي انتظمت قواعدها الصوتية Phonologia وقواعدها الصرفية Morpholgic وقواعد التراكيب والعبارات .

ثم يضاف إلى الظواهر الصوتية في قياس تطور اللغات ظاهرة التميز والتخصيص في الصفات إجمالا وفي المفردات على التعميم ، كالتمييز بين المذكر والمؤنث والجماد ، وبين المفرد والمثنى والجمع ، وبين جمع القلة وجمع الكثرة ، وبين الصفات العارضة والصفات الملازمة . وهي جميعا من المزايا التي تمت للغة العربية على مثال لم تسبقها إليه لغة من لغات الحضارة .

فقيام اللغة على القواعد الفكرية دليل يثبت لها السبق على لغات الارتجال الجزاف في وضع الكلمات ، سواء بالمحاكاة الصوتية أو بالتكرار على غير قياس .

وشيوع القاعدة في فعل كل مادة وفي الأسماء والصفات منها دليل على سبق التفكير في التعبير ، وتعميمه على الأحداث والمعاني غير موقوف على أصوات الانفعال والمحاكاة ، ويتبع ذلك شيوع الاستعارة وإمكان الجمع بين الوضع الحقيقي والوضع المجازي في كلام المتكلم ، لتوسيع المعاني وبناء الكلمات على المضاهاة بين المدلولات .

إن دلائل التطور العريق الذي امتازت به لغة الضاد تحقيق علمي يقرره غير أبناء اللغة، وليس بالفخر القومي الذي يعلنه أبناؤها وحدهم ، بغير دليل .

ومن قبل بسطنا القول عن صلاح الحروف العربية لكتابة اللغات من شتى العائلات اللسانية ، لأنها صلحت لكتابة اللغات السامية واللغات الطورانية واللغات الهندية الجرمانية ، ولم تؤخذ عليها عيوب لم توجد نظائرها ، وأعيب منها في الحروف الأجنبية .

ولولا أن العادة تدفع الناس وراء الكلام المردد إلى التسليم السريع وتوهمهم أنهم في غنى عن تحقيق ما يسمعون وتتكرر أصداؤه على الأسماع ، لما ظهر لأحد أن هذه الحقائق المقررة مفاجأة للأسماع تدهشها كما تدهشها أعجب المفاجئات .

عباس محمود العقاد

الإسلام هو دين الدولة الرسمي ويجب أن ينص على ذلك في الدستور

للأستاذ محمد محمد المدنى

من الوثبات الإصلاحية التى وثبتها هذه النهضة الجمالية الناصرية : بعث الشعور بالقومية العربية ، أو إيقاظ الوعى القومى العرفى كما يطيب لكثير من الكاتبين أن يعبروا عن هذا المعنى الآن ، ولا شك أن العروبة هى أصلنا العريق ، وأنها تجمع بين الناطقين بالضاد فى خصائص ذات قيمة عملية وآثار فعالة فى النهوض بالأمم ، وتمكينها من السير فى ركب التقدم العالمى والحضارة الإنسانية ، بل من السير فى مقدمة هذا الركب والمشاركة فى قيادته ، ولسنا نقول ذلك تعصبا لعروبتنا ، أو اعتزازا بقوميتنا ولكن نقوله ونجد فى تاريخنا المجيد صفحات ناصعة تشهد بصدقه ، وتضرب كثيرا من الأمثلة على صحته .

وإننا لنحمد الله تعالى أن أرانا هذا الروح أو هذا الوعى قبل أن نخرج من هذه الدنيا ، فلقد مرت بنا عشرات من السنين ما كنا نرى فيها ولا نسمع إلا أنين العروبة تحت أثقال الاضطهاد والإضعاف والتشكيل حتى زلزل المؤمنون وظلوا يتساءلون : متى نصر الله ؟ .

والآن وقد رأينا بأعيننا هذا الروح الكريم يسرى فى الأمة العربية ، ورأينا العقلية الجديدة التى انبعثت من هذه النهضة تعتبر « العروبة » أساسا دستوريا يجب أن يكون هو المادة الأولى من كل دستور فى اى شعب عربى ، ويجب أن يكون هو المحور الذى تدور حوله آمال الوحدة والائتلاف ؛ فإننا نستبشر خيراً ، ونتطلع إلى آفاق واسعة من العظمة والمجد والسمو فى ظل المثل الرفيعة والقيم الحقيقية .

وقد شرعت الجمهورية العربية فى وضع دستورها ، وعهد الرئيس إلى المجلس الذى يمثل الأمة ، ويجمع جميع طوائفها وألوان التفكير فيها ، بأن يضع هذا الدستور مستلهما روح النهضة ، مستهديا بتاريخ هذه الأمة ، مترسماً آمالها فى المستقبل وما لها من رسالة فى العالم ، واختار المجلس من أعضائه الكرام من يدرسون هذا الأمر الخطير

الشأن ، ويحضرون مشروعه ، فكان حقا على كل ذى رأى أن يمد هذه اللجنة برأيه فى مختلف النواحى ، حتى يجىء الدستور وليد تفكير دقيق محيط ، ويكون محققا لأهداف أمتنا العزيزة ، معبراً عما تجيش به الصدور تمام التعبير .

وهأنذا أدلى بدلوى فى شأن هام من الشئون التى يجب أن تهتم بها لجنة الدستور :

إنى لأعرف أن هناك فريقا من الناس يود لو استطاع أن يبتعد بالدستور عن أن يقرر مبدأ النص على رسمية الإسلام كدين للدولة ، ووجهته فى ذلك أن الجمهورية العربية المتحدة تتألف من مسلمين وغير مسلمين ، وأن الآمال منعقدة بأن المستقبل المرجو للعرب فى مختلف شعوبهم هو مستقبل الوحدة أو الاتحاد ، وهناك شعوب عربية فيها كثرة أو ما يقرب من كثرة تدين بغير الإسلام ، فربما كان من المستحسن أن يشعر هؤلاء بأنه ليس هناك حوائل تحول بينهم وبين إخوانهم العرب ، فليترك النص على دين معين فى الدستور مراعاة لذلك .

هذا معنى يراود بعض الأذهان من غير شك ، ولنكن صرحاء فى عرض هذه الفكرة لنتمكن من الرد عليها ، وبيان وجهة نظرنا فيها .

إننا نقول لأصحاب هذا التفكير :

لا يمكن أن يكون مجتمع من المجتمعات مؤلفا من صنف واحد من الناس ، هم جميعا على شاكلة واحدة فى التفكير ، وعلى مبدأ واحد فى العقيدة الدينية ، ولكن المجتمعات الطبيعية هى التى تكون موطنا متسعا لكل منهج من مناهج التفكير ، ويكون لها من المرونة والسماحة ما يجعلها صالحة لأن يجد فيها كل ذى عقيدة مجالا حراً يزاول فيه نشاطه العقلى ، ويتجه فيه اتجاهه الروحى دون مصادرة .

ولكن هذا لا يمنع تألف المجتمعات من كثرة متفاهمة متلاقية ، تجمعها روابط فكرية عقيدية ، وقلة تعيش بجانب هذه الكثرة وتحت ظلالها آمنة مطمئنة ، بل هذا هو الأصل فى المجتمعات ، فإن الفرق بين مجتمع ومجتمع هو أن الكثرة فى هذا المجتمع متفاهمة متلاقية على نوع معين من العقائد والأفكار والأهداف ، والكثرة فى مجتمع آخر متلاقية على نوع آخر ، وأفكار وأهداف أخرى .

ثم إنه لا عيب على الكثرة فى مجتمع ما ، إذا هى تطلبت السيادة لأفكارها ومناهجها وعقائدها ، ولم تسمح فى هذا الجانب بأن يعبث بها ، ويجترأ عليها ؛ وإنما يعيبها أن يخرجها ذلك إلى لون من ألوان العصبية التى تنتهى بها إلى اضطهاد ما يخالف فكرتها ، أو محاولة الإرغام على عقيدتها .

ولقد كان المجتمع الإسلامى الأول ، وهو مجتمع المدينة على عهد رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، مجتمعا طابعه العام هو العقائد والمبادىء والأفكار التى جاء بها الإسلام ، وكانت الكثرة الكاثرة فيه للمسلمين ، والقوة الفعلية المؤثرة المدبرة - أو بعبارة أخرى - الهيئة الحاكمة - للمسلمين ، ولكنه كان مع ذلك مجتمعا مشتركا يضم فريقا كبيراً من اليهود لهم دينهم وتقاليدهم وأحياؤهم وعشائرهم ، ويضم أفراداً من النصارى وإن لم يكونوا على مثل ما كان عليه اليهود من الكثرة والنفوذ والمداخلة للمسلمين ، وكان هذا المجتمع متمتعا بالحرية الفكرية إلى درجة أنه كان موطن نضال وجدال بين المسلمين وأهل الكتاب من يهود أو نصارى ، وأن الإسلام كان يلاقى من هذا النضال ألوانا من الصعاب يحتملها فى صبر وثبات .

وكان على الإسلام أن يضع السياسة التوجيهية لهذا المجتمع وأن تكون له باعتباره دين الكثرة سلطة التنظيم والتقنين ، وهذا هو ما حدث فعلا ، إذ كان التشريع لهذا المجتمع مصدره الكتاب والسنة وولاة أمر المسلمين .

وكان على الإسلام فى جانب العقيدة أن يبين دعوته ، وأن يعلن على الناس عقيدته ، وأن يجعلها بذلك واضحة معروفة فإن الحقائق إذا ظهرت ووضحت ، كانت هى الداعية إلى نفسها والمدافعة عن نفسها ، وإنما يضرها أن تكون غامضة غير واضحة ، أو أن يكون هناك من يرجف عليها . ويضع بين العقول وبينها حجبا تحول دون اكتشافها ومعرفتها .

لذلك عنى القرآن الكريم ببيان عقيدة الإسلام فى كثير من الآيات ، ولم يمنعه من بيان هذه العقيدة تعدد الأديان فى مجتمعه ، ولا تطلعه لأن ينضوى العالم كله تحت لواء دعوته ، ولم يأت فى هذا البيان إلا بالحقائق التى لا ينكرها أحد من هذا الدين أو ذاك .

فانظروا إلى مثل قوله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ، والكتاب الذى نزل على رسوله ، والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا » .

فهذه الآية موجهة إلى جماعة المسلمين ، والمراد بها تقرير أصول الإيمان الصحيح ، والعقيدة الكاملة التى جاءت بها كل رسالة إلهية ، وهى تتلخص فيما يأتى :

(١) الإيمان بالله ، وذلك يقتضى الإيمان بوجوده ، وبجميع صفاته التى ترجع إلى أنه تعالى متصف بكل كمال ، متنزه عن كل نقصان ، وأن جميع ما فى الكون ، خاضع لألوهيته ، مستند إلى فضله فى إيجاده وإمداده .

(٢) الإيمان برسوله ، وقد يفسر هذا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهو المتبادر من

التعبير بقوله (ورسوله) فإنه هو الرسول الحاضر المعهود للخاطبين ، وقد يفسر بأنه جميع الرسل ومن بينهم سيدهم وخاتمهم ، على سنة المفرد المضاف الذى يعم ، فالمراد على هذا : آمنوا بالله ورسله ، ولكنه عبر بالمفرد فقال « ورسوله » ليشير إلى أن جميع الرسالات تمحضت فى رسالة الرسول الأخير ، وأن الرسالات وإن تعددت فى العصور إنما هى رسالة واحدة لا تختلف فى الأصول ، وأن من آمن برسالة الرسول الأخير فقد آمن بالرسالات كلها ، وإذن فالمطلوب هو الإيمان بالله ورسله ، ثم إنها تتحدث عن الكتاب الذى نزل على محمد ، والكتاب الذى أنزل من قبل ، أى الكتب السابقة على القرآن ، وقد ذكرت أيضا بلفظ المفرد والمراد كل كتاب سماوى إيذاناً بأنها كلها من حيث ماجاءت به من الحقائق . وما رمت إليه من الهداية بمنزلة كتاب واحد .

(٣) الإيمان بجميع الكتب المنزلة لا فرق بين كتاب وكتاب .

(٤) الإيمان بعالم الغيب الذى ذكر منه فى هذه الآية بعض ما فيه ، وهم ملائكة الله على ما وصفهم به الله فى كتابه المفيد لليقين ، وفيما يطمئن القلب إلى وروده حقا عن رسوله الأمين .

(٥) الإيمان باليوم الآخر ، وبكل ما جاء عنه فى كتاب الله وفى السنة ، على ما ذكرنا ، من الجنة والنار ، والوزن والحساب ، وغير ذلك كما جاء دون تفصيل لما لم يفصل ، ولا زيادة ولا نقص ، فهذا هو المنهج السليم فى شئون الغيب والآخرة ، لأنه لا مجال للعقل إثباتا أو نفيا فى ذلك ، وما دمنا نؤمن بالله فيجب أن نؤمن بكل ما صح مجيئه عن الله ، على الصورة التى جاء بها ، فمن زاد عليها أو نقص منها ، فقد جاء بشىء من عنده .

وهكذا نجد هذه الآية كما نجد آيات كثيرة غيرها تفصح عن عقيدة الإسلام إفصاحا تاما ولا تأتى فى هذا الإفصاح بما تنكره العقول أو الأديان الصحيحة ، ولا يمنعها من ذلك تعدد الأديان فى المجتمع ، لأنها إنما تقرر عقيدة الكثرة ، أما القلة فلها أن تؤمن بما شاءت وترفض ما شاءت ، متحملة مسئولية هذا وذاك أمام الله دون ضغط ولا إكراه .

فلهذا نقول للجنة الدستور فى صراحة وقوة : أعلنوا أن الإسلام هو دين الدولة ، واعلموا أن إخواننا غير المسلمين إنماهم فى ذمة الله ورسوله ، لهم ما لنا ، وعليهم ما علينا ، ونحن جميعاً سواء فى الوطن ، والحقوق .

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

نفحات القرآن

المؤمنون بالحق منتصرون وإن قلوا والمتشبثون بالباطل مخذولون وإن كثروا والمثل فى بنى اسرائيل ...

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

(ا) وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا ؟ ؟
(ب) قالوا : معذرة إلى ربكم - ولعلهم يتقون .
(ج) فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء .
(د) وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون

١ - فى كل أمة مجاهدون صابرون ، وفى كل أمة خبثاء مفسدون .

وقد عودنا الله بحكمته وقدرته أن يؤيد أهل الحق ولو كانوا قلة ، لأن الحق صفته - تعالى - بل من أسمائه ، والحق شرعته فى أفعاله وشرعته فى خلقه ، فالناهضون إلى الحق جنود الله ، والناكصون عن الحق أعوان الشيطان وأعداء الله ... وإنما ينصر الله جنده ، ويهزم أعداءه .

٢ - ومع ماغلب على بنى إسرائيل من فسوق ، وما تحكم فيهم من ضلال كان رسلهم وأخيارهم يدءبون على نصحهم ، ويجاهدون فى إرشادهم ، ويتلقون منهم أسوأ مايلقاه صابرون محتسبون .

وما كان تمادى الغواة فى غيهم ليمنع الأخيار من مواصلة الدعوة ؛ لأنها رسالتهم من عند الله أو لأنها رسالة العلم توارثوها عن الأنبياء فهى فى ذمتهم أمانة الدين ، تحملوها عن أمناء الرسالة .

وإنه لمن فضل الله على الناس أن يهيئ فى كل بيئة من يتعاهدها بالتوجيه ، ليظلوا على بصيرة من أمرهم ، فلا تتجه الحياة بهم إلى البهيمية ، وينحدرون عن مقام الإنسانية - ثم لعل استمرار الدعاة على دعوتهم ،

وتحملهم فى سبيلها مرارة العنت أمارة أخرى على رعاية الله لعباده . وتنطقهم، إذ لم يعالجهم بالهلاك من عنده بل يثبت فيهم أصحاب الدعوة ، ويخفف عليهم متاعبها ، وصعابها ، حتى يبلغ الأمر مبلغه من نجاح أو يأس ، وينطوى من الزمن ما يكفى للخبرة والمطاولة ثم يكون قضاء الله فى خلقه على ما أراد لهم من عاقبة مقدورة بالخير أو السوء .

٣ — وكان فى بنى إسرائيل طائفة ثالثة طيبة غير الناصحين ، ينظرون إلى العصاة منهم نظرة اليأس من هدايتهم ، وينظرون إلى الدعاة الأخيار نظرة الإشفاق ، والترفق ، ويحاولون أن يصرفوهم عن دعوة هؤلاء الأشرار الماكرين ، ويقولون : « لم تعظون قوما الله مهلكهم، أو معذبهم عذابا شديدا » .

يعنى : لا فائدة من إرشاد قوم مصرين على إفسادهم ، ونقضهم للعهود التى تؤخذ عليهم والمفروض أن يهلكهم الله حتما ببلاء يجتاحهم فى دنياهم ، أو يعاقبهم بالعذاب الشديد فى أخراهم ، أو يجمع عليهم هلاك الدنيا وعذاب الآخرة .

فموقف هؤلاء موقف المحايدين لا يرتكبون ما يرتكبه المخالفون ، ولا ينهضون بالنصح مع الناصحين ، بل يرون أن يعرض الناصحون عن ذلك المجهود الضائع .

٤ — ولكن الناصحين المتعلقين بأداء الرسالة ، وبذل الهداية يأبون الانصراف واليأس ويلتمسون لأنفسهم سببين كريمين . قالوا : « معذرة إلى ربكم - ولعلهم يتقون » يريدون : أن مثابرتنا على الدعوة لهؤلاء المتمردين لنبرأ إلى الله من تبعة التقصير أولا وطمعا فى هدايتهم ثانيا . فربما جنحوا إلى التقوى بسبب مواصلة الإرشاد .

ثم ظل الدعاة على منهجهم ، وظل العصاة على غيهم فماذا كانت النتيجة ؟ جواب هذا السؤال فى قوله تعالى :

« فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون » .

لما بقى المخالفون على تناسيهم للنصح الموجه إليهم ، حتى كأنه غير معهود لهم ، وقعت فيهم سنة الله ، وجرت عليهم حكمته فأخذهم بعذاب بئيس شديد عليهم ، سىء الأثر فى كيانهم وفى سمعتهم ، وذلك بسبب فسقهم .

وكان عدلا من الله أن يقتص عليهم جزاء عملهم . وأن ينجى من ذلك العذاب البئيس دعاة الخير الناهين عن عمل السوء .

٥ — ولكن ما هو العذاب البئيس الذى جلبته عليهم معاصيهم ؟ ؟ .

وجواب هذا فى قوله تعالى : ثانيا - « فلما عتوا عما نهوا عنه ، قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » يعنى لما أسرفوا فى المخالفة حتى لم

يتركوا ما أمروا بفعله ، بل تجاوزا فى العنت إلى أن فعلوا كل محظور نهوا عنه كان أمر الله فيهم أن يكونوا قردة خاسئين .

غضب الله عليهم بعد مصابرتهم طويلا ، وبعد الحلم الذى أغراهم الحق بسببه ، فمسخهم قردة خاسئين .

٦ — وهل هذا المسخ حقيق فصاروا قردة فى أشكالهم ، وخسئوا بإبعادهم عن رحمة الله ولطفه بهم ؟ ؟

ظاهر الآية أنه مسخ حقيق ، ويؤيد هذا الاتجاه أنه ذكر فى مواطن أخرى : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » وفى آية : أنهم صاروا قردة وخنازير .

وليس كثيراً على الله أن يفعل ذلك بمن أمعنوا فى عصيانه . وفى نقض عهوده ، وفى تقتيل أنبيائه ، وفى ابتداعهم لشرور لم يسبقهم إليها من هلك قبلهم من أشقياء الأمم .

ولا موجب لصرف الآيات عن ظاهرها بل فى الأخذ بالظاهر إيضاح لجرائمهم ، وتجسيم للعبرة بهم ، وتشنيع على من يستمرئ المعصية ويستخف بأثرها . وبهذه الذكرى المشئومة يتعظ الناس بما يفعل الله فى الظالمين فعلا حقيقيا لا مجازيا . .

ولا يلزم أن يكون لهؤلاء الممسوخين ذرية منهم ، ولا أن يكون لهم أثر نحسه نحن فى مخلفاتهم ، فهم قد انقرضوا ، وبقيت ذكرياتهم فى كتاب الله تبكيتا لخلفهم . .

ويرى بعض المفسرين أنه نسخ أدبى يراد به الطمس على عقولهم فلا تدرك صوابا ، وعلى كرامتهم بين الناس بما يذكر الله عنهم حتى جعلهم فى منزلة القردة والخنازير . .

وإن كان لهذا التأويل مجال فإنه يخفض من قيمة العبرة المقصودة .

وما لا يحتاج إلى تأويل أجدر بالقبول مما يحتاج إلى تأويل . .

هكذا كانت العقوبة الواقعة ، أو إحدى العقوبات لبنى إسرائيل .

بل لم يقف بهم الأمر عند هذا الحد ، فقد توعدهم الله بشر يلازمهم إلى نهاية الحياة فقال : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » ثم أخبر أنه سيقطعهم أمماً مختلفة ، فنهم أمة طيبة مستجيبة للرسول من بعد ، ومنهم أمم دون ذلك ، وساء ما يعملون .

٧ — وإذا كان هذا المسخ قضاء الله فى اليهود المخالفين فأين الفريق الثالث المحايد؟ لم تتعرض لهم نصوص الآيات ، فهل ذهبوا ضحية الفتنة التى أتاها واقترفها العصاة من قومهم ؛ لأنهم لم يزجروهم عنها ، والفتنة تصيب فاعلها وغيره ، والراجح أنهم كانوا من الناجين مع الدعاة المرشدين ، فلم يمسخهم

الله ، ولا آخذهم على حيادهم ، لأنهم لم يسكتوا عن رضا وموافقة حتى يعتبروا شركاء فى الجرائم ، أو يعتبروا من المتخاذلين الذين وصفهم بقوله تعالى : «كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » بل سكتوا عن يأس وهم غاضبون بقلوبهم على العصاة ، ومستكثرون أن يستمر النصحاء على نصحهم . . والحق فى شأن هذه الطائفة الثالثة أنها كانت معنية بالدعوة والنصح ، وما تخلفت عن هذا إلا يأسا ، وعلى هذا تعتبر من الذين ينهون عن السوء فعلا ، فلا تكون فرقة ثالثة من أول أمرها ، بل باعتبار موقفها المحايد أخيرا . . وعلى أى توجيه فليسوا الفاسقين الهالكين الممسوخين.

٨ — وفيما ذكرنا من هذا القصص دلالة أكيدة على أن المعاصى سبب فى المشأمة ، وكثيراً ما يتحدث كتاب الله عن هلاك الهالكين بسبب مآثمهم ، وعن عذابهم فى الآخرة بعد ابتلائهم فى الدنيا وطالما يحثنا القرآن على السير فى الأرض لننظر آثار المهلكين ، وكيف كانت عواقبهم بعد أن كان لهم فى دنياهم جبروت ، وثراء ، ومتاع ، فأصبحوا أثراً بعد عين ، وإذا كانت الأزمان قد عفت على كثير من مشاهد حياتهم فلا تزال هناك بقايا فى نواحى ديارهم ، ولدينا رموز من آثار الفراعنة ، شاخصة وشامخة .

وكذلك يجد الناس فى مناكب الأرض آثاراً تفسر لنا قصص القرآن عن الغابرين ، وتزيدنا إيمانا بأنه القصص الحق من عند الله . . وما ينبغى أن يتشاغل الذهن عن استحضار هاتيك الأحداث فى ذكرياته .

والقرآن يذكرها كثيراً فى أساليب متعددة ، ويقرنها بظلمهم ، وفسقهم وما كانوا يصنعون .

وهل نحتاج إلى تصريح أقوى من قوله تعالى : « وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون » .

أو نحتاج إلى زجر بأوضح من قوله تعالى : « فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ، وقوله عن قبيلة عاد — مثلا — « ... الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذاب ، إن ربك لبالمرصاد » .

وهكذا أراد الله أن يكون فى شأن اليهود قصص يقشعر له الضمير الحى ، وأن تكون ذكرياتهم وخزات فى مشاعر الإنسانية .

ولم تعد العبرة بما عرف عن اليهود محبوسة فى القصص التاريخى ، بل شأنهم فى الدنيا ، وألاعيبهم هنا وهناك تشهد بما شهد الله فيهم « ولا تزال تطلع على خائنة منهم » .

وأحداثهم فى حاضرنا تفيد أن العالم كله على بينة من مخازيهم ، حتى الذين يمالئون

اليهود ، ويتخذونهم أعوانا فى المنافع ، أو يسخرونهم فى مناوأة الغير فهم أعرف باليهود من سواهم ، ولكنها الغايات .

وقد تكرر فى القرآن وعيد الله لبنى إسرائيل بما يلازمهم من هوان ، ومذلة وقلق ، وما من شك فى أن حياتهم متأرجحة وأنهم غير قانعين بما هم عليه ، وأنهم فى سورة تزعجهم دائما إشفاقا على أموالهم ، وعلى كيانهم ، وعلى تمزيقهم فى جوانب الأرض . وهذا بلاء لايستهان به فى الحياة .

ومهما تريثت بهم الأحداث ، أو تطامنت لهم الدنيا ، أو احتضنهم دعاة الاستعمار : فإن الله صادق الوعيد فيهم ، ولا جرم ، والزمن كاشف عما تضمره الأقدار بعد .

هذا — وقد ذكر المؤرخون أن بنى إسرائيل المعنيين فى التاريخ هم أهل التوراة الذين درجوا على أرض سيناء وهم بنو يعقوب بن إسحاق عليهما السلام .

أما الذين دخلوا فى اليهودية كدين لهم من أبناء الأمم الأخرى فليسوا من صميم بنى إسرائيل الذين نسجوا ذلك التاريخ الملوث وخلفوا هاتيك الذكريات المخزيات .

وما قصدنا من هذه اللمحة إلا مجرد التمييز بين عنصريهم من ناحية الجنسية والوطنية .

أما فى العقيدة فلا خيار لفريق على فريق ، وهم سواء فى مسايرة الأباطيل والانهماك فى الإفك والضلال ، وقبحاً للجميع ، ولمن على شاكلتهم من الأشرار .

هذا ، وقد تركز فى أذهاننا مما سلف أن المآثم والانحراف سبب الوبال والعذاب ولكن بعض الناس لا يرى ذلك مطرداً فى أرباب الفساد ، وقد أوضح أولو العلم أن شيوع الرذائل فى الأمم شؤم على مجموع الأمة ، وأن الله يديل الدولة بسبب تحللها ، ومجافاتها لدينها ، وهذه سنته فى الخليقة ، وهذه توجيهاته على لسان جميع رسله ، وهذه هى العبر التى يتحدث بها التاريخ من واقع الحياة ، حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ، هالكون . أما معاقبة الأفراد بسبب انحرافهم فقد يحصل هذا فى دنياهم ، وقد يمهلهم الله إلى الآخرة .

وكم من آثم تعثرت به الحياة ، وأحدق به الشؤم بسبب انحرافه ! ! وكم من آثم ظل سادراً فى لهوه ، وعاش رافلا فى حظه حتى خرج من دنياه حاملا أوزاره ، نادما على ما فاته ، وقد فات أوان الندم .

وبعد : فقد بين الله مناهج الحياة ، وضرب الأمثال بمن سبقوا ، وأكد صادق وعده ووعيده للأفراد ، وللأمم ، ولم يبق إلا أن نحسن الاستجابة .

ونحن نسأله التوفيق لنا أفراداً وجماعات ، وأن يعصم الجماعة الإسلامية من كيد خصومها بحوله وقوته . ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

النسخ فى القرآن الكريم

للأستاذ محمد سعاد جلال

١ — يلمح الدارس لموضوع النسخ من خلال الأقوال التى نجدها منقولة عن الصحابة والتابعين. كابن عباس وابن مسعود، وعكرمة، ومجاهد، والحسن، وقتادة وغيرهم : ومن تأصيل الأئمة وعلماء الأصول من سنيين وشيعة وظاهرية ومعتزلة، أن مسألة النسخ كانت واقعاً مستقرا فى التفكير الإسلامى، وأن الجو الفكرى المتبادل بين المختلفين فى مواد المسائل المنسوخة والناسخة إنما ينهض شاهداً على أن موضوع النسخ من الموضوعات التى سلم بوجودها المسلمون من أول الأمر فى الشريعة الإسلامية. وأن أية محاولة طارئة، ومتأخرة فى الزمن، ترمى إلى القول بعدم وجود النسخ فى الشريعة، أو فى القرآن. إنما هى محاولة مفتعلة على ذلك الوضع المستقر لفكرة النسخ، مهما اصطنع لها أصحابها من المبررات ومهما تهيأ لهم من محاولات الاستدلال : إنه لمن الصعب أن نصدق أن ابن مسعود، وابن عباس وعلى ابن أبى طالب. وغيرهم يتكلمون فى النسخ ويختلفون فيما بينهم اختلافات تصل إلى حد إعلان المباهلة حول بعض الآيات، فيقول ابن مسعود فى بعض واقعات النسخ من شاء باهلته أن سورة النساء القصرى نزلت بعد سورة النساء الطولى، أى فنسخت الآية التى يعينها — ثم يكون النسخ فى آيات القرآن أو فى السنة أمراً غريباً وخطأ واقعا فى الدين، ومهما لاحظنا أن من المنقول عنهم فى الناسخ والمنسوخ مالا ينطبق عليه حد النسخ عند الأصوليين فإن حديث هؤلاء الصحابة والتابعين عن النسخ حديثا مستقرا متبادلا فيما بينهم، فى الوقائع التى يدارسونها كاف وحده فى الدلالة على وجود مبدأ النسخ — وثبوته فى الشريعة الإسلامية.

٢ — وحين يتحدث الكتاب المسلمون عن المنكرين للنسخ لا يذكرون فى المقام الظاهر من حديثهم إلا اليهود، ويشيرون بمنتهى عدم الاكتراث إلى بعض مجهل من المسلمين لا نعرف أشخاصهم ولا زمان وجودهم ولا مستند رأيهم على التحديد كقول الفخر الرازى : « ويروى عن بعض المسلمين إنكار النسخ، ولا يعنى بالزيادة فى تعريفهم على هذه الإشارة الوجيزة، وكقول الإمام البزدوى — على بن محمد — وقد أنكر

بعض المسلمين النسخ : لكن لا يتصور هذا القول من مسلم مع صحة عقد الإسلام » .

وتستطيع ان تقدر ما فى هذه العبارة العنيفة ، من تغليظ الحكم ، وقسوة النظر على من ينكر وجود النسخ فى الشريعة : « هذا القول لا يتصور من مسلم مع صحة عقد الإسلام .

٣ - ولنبحث عن هذا البعض المجهل ، الذى أشار إليه الرازى ، والإمام البزدوى رضى الله عنهما : إن عبد العزيز البخارى شارح البزدوى دلنا على هذا البعض المنكر للنسخ فى نقل البزدوى وسماه : « أبو مسلم الأصفهانى محمد بن بحر » .

فمن يكون يا ترى ذلك البعض المجهل الذى عناه الفخر الرازى ، هل هم جماعة آخرون غير أبى مسلم ؟ أم المقصود أبو مسلم نفسه ؟

إن الفخر الرازى لا يكشف لنا عن هذه المسألة - وفى أثناء درسنا للآيات التى يقع فيها الاختلاف حول الناسخ والمنسوخ ، فى تفسيره الكبير - لا يذكر لنا إلا اسم أبى مسلم فى الجانب الذى يتأول فيه الآيات المنسوخة ، ليخرجها عن حد النسخ .

وفى بعض المرات ذكر لنا اسماً آخر ، هو اسم أبى بكر الأصم ، أثناء التوفيق بين بعض الآيات المتنازع على نسخها ، ولكن هذا لا يكفى لأن تظن أن أبا بكر الأصم ، كان شخصا آخر ينضم إلى أبى مسلم فى إنكار النسخ ، لأن القائلين بالنسخ أنفسهم يبذلون نفس المحاولات للتوفيق بين الآيات التى تعطى التعارض بظاهرها ، نأياً عن طريق النسخ ؛ لأن النسخ باتفاق العلماء آخر ما يصار إليه فى فهم آيات القرآن ، فلعل أبا بكر الأصم هذا كان من هذا الفريق ، على أننا وقعنا مصادفة - فى الأحكام - لابن حزم على نص قاطع فى تحديد موقف أبى بكر الأصم .

فى أثناء نقول ابن حزم لأقوال العلماء الذين يهدرون العمل بخبر الواحد . ذكر نقلا عن الأصم يتضمن اعترافه بالنسخ يقينا .

قال ابن حزم : قال أبو بكر بن كيسان الأصم البصرى : « لو أن مائة خبر مجموعة قد ثبت أنها كلها صحاح إلا واحداً منها لا يعرف بعينه أيها هو - قال - فإن الواجب التوقف عن جميعها - فكيف وكل خبر منها لا يقطع على أنه حق متيقن ولا يؤمن فيه الكذب ، « والنسخ »[1] والغلط انتهى كلام الأصم ، وظاهر أن موضع الشهادة فيه على ما نلتمس هو كلمته الأخيرة ، « ولا يؤمن فيه الكذب ، والنسخ ، والغلط » فهذا إقرار منه بموضوع النسخ .

(١) المراد بالنسخ نسخ حديث بحديث آخر : كقوله صلى الله عليه وسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » .

٤ — إذن نستطيع أن نجزم بأن الاستقراء العلمى إلى الآن وبحسب المصادر التى بأيدينا لم يستطع أن يقدم لنا من بين علماء المسلمين اسما معينا يذهب إلى إنكار النسخ غير أبى مسلم — ذلك المفكر الذى يثير ضجــة كبيرة فى عالم التفسير والفقه ، بنظريته المبتدعة فى إنكار النسخ . وقد ترك أبو مسلم من المصادر التى يتحتم أن يكون ضمنها هــذه النظرية — كتابين أحدهما كتاب «جامع التأويل لمحكم التنزيل» ، وهو تفسير ضخم يقع فى نحو أربعة عشر مجلداً — كتبه على طريقة المعتزلة ، وفى تقول جولد زيهر: «أنه يبلغ سبعة وعشرين مجلدا» . وقد مدحه بعض الكاتبين القدماء بأنه لم يؤلف مثله — وهى عبارة تقليدية لا تفيد غير التزكية — لكن هذا الكاتب أشار بعد هــذه التزكية إلى أن ضخامة الكتاب من بعض الفضول .

وثانى الكتابين «كتاب الناسخ والمنسوخ» ، ومبلغ علمى أن هذين الكتابين لم يصلا إلينا ، وإلا لكننا قد وجدنا فى رحابهما الواسعة ، ومادتهما المباشرة ، معرفة أوسع ، وأدق ، وذات أصالة بهذه النظرية الجديدة التى خرج بها صاحبها على الناس ، فى أواخر القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الهجرى .

٥ — وقد استطاع الفخر الرازى أن يقدم لنا نماذج لمحاولات أبى مسلم فى التوفيق بين الآيات الناسخة والمنسوخة نعود إليها فيما بعد ، ولكنه لم يقدم لنا بالذات الأصل الذى اعتمده فى إنكار النسخ ، إن معرفة هذا الأصل ذات خطر كبير فى تكييف الموضوع والحكم فيه — ولا سيما بالنسبة لمن يحاولون تقليد أبى مسلم فى طريقة التوفيق بين الآيات المنسوخة والناسخة ، ويحسبون الخطب فى ذلك سهلا ، مع أن انكشاف الأصل الذى بنى عليه أبو مسلم «منع النسخ» قد يكون على درجة من ظهور البطلان ومصادمة النصوص ، كالقول بالبداء أو غيره — يقتضى رد مذهبه ردا قاطعا بغير التفات إلى أسلوبه فى التوفيق بين الآيات ، موضوع النسخ .

وقد يدلنا هذا المعنى على مبلغ المجازفة عند من يسارع إلى الأخذ بالجانب التطبيقى لمذهب لا تعرف أصوله ولا قواعده التى حصل التطبيق على أساسها غير المنظور .

٦ — اهتم المسلمون بالرد على منكرى النسخ اهتماما كبيرا ، كما يظهر ذلك فى كتب الأصول عامة ولم يكن مبعث اهتمامهم مخالفة أبى مسلم لكافتهم لأن الرد على إنكار مبدأ النسخ كان سابقا على حياة أبى مسلم ؛ ولأن أبا مسلم لم يعتبر هو الشخصية الخطيرة ، فى إنكار النسخ عند المسلمين .

بل أشير إليه بسبب طابع الانفرادية الذى حمله رأيه على إنكار النسخ ، بعد ما استقر

الأمر فى القرون : الأول ، والثانى ، والثالث عند علماء المسلمين ، على جواز النسخ ووقوعه فى الشريعة والقرآن .

وإنما اهتم المسلمون بمناقشة فكرة النسخ والرد على منكريه بسبب عمل اليهود ، لأنهم من أول أمر الإسلام ، أظهروا طعنهم على النبى - صلى الله عليه وسلم - من أجل النسخ ، واعتبروا وجود النسخ دليلا على بشرية القرآن : كما حصل مثل هذا الطعن من قريش على النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى ابن عباس أيضا ، على أن الطعن من قريش لم يكن هو الذى يستفز المسلمين باستمرار . فالمفروض أن مثل هذه المطاعن التى كانت تصدر عن قريش انقطع صداها بانتصار الإسلام فى الجزيرة العربية كلها .

ولكن الأمر ذا البال فى هذه القضية ، إنما كان هو طعن اليهود المستمر على الإسلام من جهة مسألة النسخ هذه .

ولذلك رأينا اسم اليهود وحدهم هو الاسم الظاهر المتعمد فى معرض المناقشات الإسلامية فى هذه المسألة .

والشبهة الأساسية التى يتعلق بها المنكرون للنسخ هى أن النسخ من قبيل البداء ، والبداء على الله محال فما هو البداء ؟ .

٧ - البداء فى أصل اللغة : الظهور بعد الخفاء . يقال بدا سور المدينة بعد أن كان خافيا ، ومنه قوله تعالى : « وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون » أى ظهر لهم من عاقبة أمرهم فى الآخرة ما كان خافيا عليهم فى الدنيا .

قالوا : إن الأمر بالشىء يدل على حسن المأمور به والنهى عن الشىء يدل على قبح المأمور به .

فإذا أمرنا الله بشىء كان ذلك الشىء المأمور به حسنا وصالحا . فإذا عاد ونهانا عنه بذاته بعد ذلك كان ذلك النهى دليلا على أن ذلك الفعل الذى كان قد أمرنا به فى الماضى لم يكن حسنا ولا صالحا ، وإنما كان قبيحا وفاسدا ، وأن قبحه وفساده كان خافيا على الله فى أول الأمر حين أمر بفعله ثم بدا له من بعدُ ظهور قبحه وفساده فعمد إلى النهى عنه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

فهذا هو البداء وهو يستلزم إدخال النقص على علم الله . فما أدى إليه من النسخ يكون باطلا وممنوعا .

٨ - وقد كان الجواب عن هذه الشبهة حاضرا ميسورا عند علماء المسلمين .

ذلك أن لخصوصية الزمان أثرا فى حسن الأشياء وقبحها بالنسبة للمكلفين فقد يكون الشىء حسنا بالنسبة للمكلف فى زمان وصالحا له ، فيأمره الله به ثم يكون نفس الشىء فى زمان آخر بالنسبة للمكلف شرا وفسادا فينهى الله عنه ، وقد يكون من أوضح الأمثلة على ذلك فى تصرفات الناس اليوم . الرياضة

البدنية ، مثل الكرة والمصارعة وحمل الأثقال فإن هذه الأنواع من الرياضة قد تكون حسنة وصالحة فى زمان الفتوة والشباب ، فيأمر بها الآمر ، ثم تكون مزاولة بعضها عند تقدم السن وضعف القلب ، هلاكا محققا ، فينهى عنها ، وليس بين أمره ونهيه سبيل إلى إنكار العقول ، فكيف إذا صدر مثل ذلك من الحكيم الخبير .

٩ — وأما أبو مسلم فالحق أن فلسفته وأدلته لم تنقل إلينا وإنما نقل إلينا جانب من تطبيقات مذهبه فقط ، وإنه لبعيد جدا — من أجل ذلك — أن نفترض أنه قد كان لأبى مسلم فلسفة صحيحة ، أو حجج مقبولة غابت عنا ، وأقصى ما نجد فى الباب أنهم ذكروا حجة فى الجانب الذى يتجه إليه ، وهى قوله تعالى فى وصف القرآن الكريم : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » قالوا عنه فى تقرير هذه الحجة : إن النسخ إبطال لحكم القرآن ، والقرآن منزه عن الإبطال فلا نسخ له ، والسنة كالقرآن فى وجوب التنزه عن الإبطال لعدم القائل بالفصل بينهما . فلا نسخ فيها أيضا .

وليس الأمر كما قال صاحب هذا القول — فمعنى الآية أن هذا الكتاب العزيز منزه عن وقوع الخطأ فيه من جميع أقطاره ، وعامة جوانبه فى أحكامه ، وأخباره وبلاغته فلا يتناوله الخطأ من وجه .

والنسخ ليس من قبيل الخطأ ، ولا من قبيل الإبطال لأحكام القرآن ، وإنما هو من قبيل البيان لأحكامه ، والإعلام بانتهاء مدة بعضها لتحل محلها أحكام غيرها ، وكذلك شأن السنة .

١٠ — بعد ذلك نتجه إلى بيان أدلة القائلين بإثبات النسخ : أثبتوا جوازه بالعقل وبنص القرآن على وقوعه وباستخراج موادوقوعه فى القرآن فعلا .

لا يمنع العقل من إمكان وقوع النسخ ، لأنه ممكن لذاته ، إذ لا يترتب على افتراض حصوله محال فكان جائزا — وبهذا تبتدئ الخطوة الأولى فى إثبات الإمكان الفعلى وبطل زعم اليهود بامتناع النسخ عقلا ، إذ ليس بين ما هو ممكن عقلا ، وما هو محال عقلا إلا انتفاء ترتب المحال على ما نفترض وقوعه فى حيز الوجود فعلا ، من الأشياء التى يدعى إمكانها .

وهذا الأسلوب فى الاستدلال مما لا تشيع معرفته عند مثقفى العصر ، حيث يشتبه على أذهانهم كثيرا الفرق الدقيق بين نوعين من المستحيل ، فلزم أن نفرغ بعض الضوء من نور الله ، على المسألة لتزداد وضوحا ،

وليتقرر بمنهجها صحة الاستدلال فى نفوس السائلين فى مواضع كثيرة .

الأمور التى ينكرها العقل تنقسم إلى قسمين بحسب السبب الداعى لهذا الإنكار :

أمور ينكرها العقل لأنه لم يألف وقوعها أو لم يألف نفيها فى تاريخ تجاريبه الطويلة ومشاهداته المتسلسلة وانطباعاته الذهنية المعتادة ، فهذه الأمور قد يسميها فى حال الوقوع أو فى حال النفى بالمستحيلات - فالذهن لم يألف مثلا أن ينقلب المحيط ذهبا ، ولا أن يتحول الجبل زئبقا ، ولا أن ينشق القمر فلقتين ، فيسمى ذلك كله إذا عرض عليه مستحيلا مع أنه ممكن فى ذاته ويحتمل حصوله وإن كان العقل قبل التأمل والنظر - يكاد يرفض احتمال حصوله لشدة غرابته ، وبعده عن مألوفه .

ويقرب هذا المعنى أننا لو سألنا العقل البشرى من قبل مائة عام عن عجائب الراديو والتلفزيون والعقل الألكترونى ، لحكم بأن ذلك مستحيل ، وإنما كان يستمد الحكم بالاستحالة على هذه العجائب ، من تصوراته العادية ، ومألوفاته السابقة ، مع أنه قد ثبت الآن - بعد انكشاف قوانين كونية جديدة - أن هذه - المستحيلات فى بادىء نظر العقل قبل مائة سنة مثلا - إنما هى ممكنات فى ذاتها تمثل واقع حياتنا الراهنة - فمثل هذه الأمور الممكنة فى ذاتها المستبعدة بحكم ما جرت به العادات ، وألف العقل من سير الأحداث الكونية الرتيبة ، يسميه علماؤنا رضى الله عنهم - مستحيلا عاديا .

وأمور أخرى يحكم العقل باستحالتها لذاتها على الإطلاق كاستحالة الجمع بين المتناقضين بالشروط المعتبرة لذلك - وكاستحالة إله آخر مع الله - فكل من هذين المثلين يسمى مستحيلا عقليا . وهو المستحيل الحقيقى فى استعمالات البرهان .

والفرق بين النوعين مما يطلق عليهما اسم المستحيل ، أن المستحيل العقلى غير قابل للوجود من حيث ذاته . فيكون ممكنا من هذه الناحية .

والضابط المميز لكل منهما أن المستحيل العادى إذا فرضت وجوده لم يترتب على فرض وجوده محال ثان — فلو فرضنا أن الجبل قد انقلب زئبقا ، وأن المحيط قد تحول ذهبا فلن يترتب على تحقق هذا الفرض فى الوجود محال ، بعكس ما لو افترضنا أن للبارى شريكا فإن هذا الفرض - إن تحقق - يستلزم محالا ثابتا يترتب على تحققه ، وهو انعدام العالم ، ذلك الموجود أمامنا حسا وعيانا .

بهذا الإيضاح اليسير المستطرد ، أمكننا أن نلحظ ما يحكم العقل باستحالته وما لا يحكم العقل باستحالته من الأشياء . وأمكننا أن

نلحظ أن استبعاد فكرة النسخ على الشريعة أو استغرابها، أمر ليس من شأنه أن يؤدى إلى إنكار وقوعه وقد دلت نصوص الشريعة وواقع هذه النصوص على ثبوت النسخ فعلا.

١١ — ورد من آيات القرآن فى إثبات النسخ آيتان هما أظهر الآيات دلالة على الموضوع وقد استدل بهما عامة العلماء: أولاهما - قوله تعالى «ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها».

المراد بالآية هنا هى الآية القرآنية — وإلى ذلك ذهب عامة المفسرين، وعلماء الأصول.

والمراد بالنسخ الإزالة، أو التبديل.

والمراد بلفظ «ننسها» فى أقرب التفاسير أحد معنيين — إما ذهابها عن الذكر وإما تركها على موضعها.

ويكون بيان الآية على المعنى الأول - كما ذهب إليه الحسن والأصم وأكثر المتكلمين: ما ننسخ من آية وأنتم تقرءونها، أو ننسها أى — نذهب بها عن أذهانكم مما كنتم تتداولون قراءته فيما بينكم، نأت بخير منها أو مثلها.

ويكون بيان الآية على المعنى الثانى حين نفسر النسخ بالتبديل، والإنساء بالترك ما نبدل من آية على وجه من وجوه التبديل أو نقرها فى مكانها نأت بخير منها أو مثلها.

والمراد بالخير - على كلا الوجهين فى الآية - على ما نختار هو: ما كان أكثر مصلحة للمكلف سواء أكان أخف أو أثقل من الأحكام — لأن الله يصرف المكلف فى أنواع التكاليف، على حسب ما يرى له من المصلحة لا بحسب هوى المكلف. وداعية نفسه.

وبيان الآية على هذا الوجه المستقيم — كما ذهب إليه جمهور المفسرين. والأصوليون حجة تامة فى إثبات النسخ جوازا ووقوعا.

لكن الشيخ محمد عبده أخذا ببعض كلام محيى الدين بن عربى المتصوف المشهور، أورد تشكيكا على مفاد الآية. قال: إن المراد بالآية فى هذا الموضع إنما هو «المعجزة»، وهو أولا قول بعيد عن المعنى المتبادر للفظ الآية حتى قال بعضهم: إن الآية حين تذكر فى القرآن يراد بها عرفا الآية القرآنية، وأبين من ذلك أن سبب النزول الذى نزل عليه الآية قاض بعدم ترجيح معنى للآية غير مدلول الآية القرآنية.

ذلك أن سبب نزول الآية كما نص علماء التفسير هو طعن اليهود على النبى صلى الله عليه وسلم فى أمر النسخ: قالوا «ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه فنزلت الآية»، إذن فقد كان موضوعها يمثل حالة واقعة.

والآية إذا وردت على سبب من أسباب النزول لا يجوز اطّراح سبب نزولها فى فهم معناها كما أنه لا يجوز رفض سبب النزول بغير حجة ظاهرة لأن الأصل فى أسباب النزول وغيرها مما ينقله لنا أهل العلم الموثوق بهم الصحة والقبول حتى يقوم دليل على رفضها ، ولو جاز لنا أن نرفض رواية من هذه الروايات التى ينقلها إلينا أهل العلم بالتشهى ومخالفة المزاج لرفضنا كثيراً من النقول الدينية المعتبرة .

١٢ — وأما الآية الثانية فهى أقطع نص فى الدلالة على غرض قال تعالى : « وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل ، قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون . قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للسلمين » .

وسبب نزول الآية ما روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما قال ـ كان إذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية فيها لين تقول كفار قريش ـ والله ما محمد إلا يسخر بأصحابه . اليوم يأمر بأمر وغدا ينهى عنه ، وإنه لا يقول هذه الأشياء إلا من عند نفسه . فأنزل الله قوله تعالى : « وإذا بدلنا آية مكان آية » . ويلاحظ أن ذلك كان فى مكة وأن وقائع النسخ قد بدأت فى مكة أيضاً كما نبه على ذلك الإمام الشاطبى .

التبديل معناه رفع الشىء مع وضع غيره محله . وتبديل الآية رفعها ووضع غيرها مكانها وهو النسخ ، ويستحيل أن يكون « معنى الآية » فى هذا الموضوع غير الآية القرآنية لسبعة أسباب:

أولا : سبب النزول كما قدمنا .

ثانيا : التبادر الهاجم على النفس الذى لا ينكره من نفسه كل عارف باللغة .

ثالثا : دلالة قوله حكاية عنهم : « إنما أنت مفتر » فإن الظاهر من نعت الافتراء أنه لا يكون متعلقا إلا بما هو من جنس الكلام . ولا يعقل أن يكون الافتراء متعلقا بالآيات إذا فسرت الآية بالمعجزة ويساعدنا على ذلك الاستعمال المستمر فى القرآن وفى كلام العرب ، كقوله : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا » .

رابعا : قوله « قل نزله روح القدس » فإن المعروف عن روح القدس أو الروح المقدس وهو جبريل ـ أنه كان ينزل بالآيات القرآنية : بدلالة نص القرآن فى موضع آخر « نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين » .

خامسا : دلالة الآية اللاحقة لهذه الآية مباشرة وهى : « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون إليه أعجمى » فإن هذا السياق يدل على وحدة

(البقية على ص ١٠٨٤)

مصطلحات سيبويه في أصوات العربية

للدكتور تمام حسان

جرى العرف العلمى فى دراسة الأصوات منذ القديم على تقسيم أصوات اللغة بحسب اعتبارات اقتضتها طبيعة النطق . ويمكن رد هذه الاعتبارات إلى أساسين هامين : أولهما حركى عضوى ، وثانيهما صوتى . فأما بحسب الأساس الأول فإن العلماء يقسمون أصوات اللغة ويصنفونها بحسب المخارج وهى أماكن يمكن تعيينها فى أعضاء النطق بوسائل مختلفة . ثم يصفون كيفية الحركة التى ولدت النطق ؛ وهذه الحركة لا تخرج فى مجموعها عن التحكم فى مجرى الهواء أو تضييق مجراه ، بحيث ينحبس تماما أو يحول مجراه إلى الأنف فى الحالة الأولى ، وبحيث يشق طريقه شقا فى الحالة الثانية ، أو بحيث يخرج دون تدخل فى مجراه . وهى الحالة الثالثة من حالات الهيئة العضوية للنطق . يستطيع العلماء إذن أن يعينوا على هذا الأساس مكان النطق وهيئة الحركة التى يتم بها النطق . وأما على الأساس الثانى وهو الصوتى ، فإن العرف جرى بتقسيم الأصوات باعتبارات سمعية مختلفة : منها الأثر الآتى من صورة تسريح الهواء الرئوى ، ثم منها الأثر الآتى من اهتزاز الأوتار الصوتية أو عدم اهتزازها . ثم منها الأثر الآتى من هيئة حجرة الرنين الرئيسية فى عملية النطق وهى الفم . فأما أثر تسريح الهواء فيعطينا الشدة والرخاوة والتركيب والتوسط . وأما أثر اهتزاز الأوتار الصوتية أو عدمه فيعطينا الجهر والهمس ، وأما أثر هيئة حجرة الرنين الفموية فيعطينا التفخيم والترقيق . ويقصر المقام هنا عن شرح كل هذه المصطلحات ، فمن شاء أن يرى ذلك مفصلا فليرجع إلى كتابى « مناهج البحث فى اللغة » .

والمخارج العربية كما نفهمها فى أيامنا هذه فى ضوء تشريح الجهاز النطقى والمناهج الآلية التى تستخدم فى علم اللغة الحديث هى المخرج الحنجرى والحلقى واللهوى والطبقى والغارى واللثوى ثم الأسنانى اللثوى ، والأسنانى ، والشفوى الأسنانى ، والشفوى ، والأنفى . فالحنجرى مخرج الهمزة والهاء ، والحلقى مخرج العين والحاء ، واللهوى مخرج القاف ، والطبقى مخرج الغين والخاء والكاف ، والغارى مخرج الجيم والشين والياء ، واللثوى مخرج اللام والراء ، ويشترك مع الأنفى فى إخراج

النون ، والأسنانى اللثوى مخرج السين والصاد والزاى والتاء والطاء والدال والضاد ، ثم الأسنانى مخرج الثاء والظاء والذال ، والشفوى الأسنانى للفاء ؛ ويأتى الشفوى بعد ذلك للباء والواو ويشترك مع الأنفى فى إخراج الميم . وقد يتفرع من بعض هذه أصوات فرعية بحسب الموقع .

هذه مقدمة لابد منها للنظر فى مصطلحات سيبويه ومحاولة فهمها فى ضوء علمنا الحديث بهذه الدراسة اللغوية . وقد يكون من النافع هنا أن نأتى باقتباس من سيبويه يوضح لنا نظرته إلى ترتيب هذه الأصوات من القاصى إلى الدانى على نحو ما فعلنا ، وسنجد فرقا يسيرا بين ترتيبه لها وترتيبنا إياها . يقول « هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها . فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا : الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والكاف والقاف والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاى والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو . وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هن فروع ، وأصلها من التسعة والعشرين . . . إلخ » وأول ما يصادفنا هنا أن سيبويه يطلق الحرف ويريد به ما يشمل الصوت والحرف . والفرق بينهما فى علم اللغة الحديث أن الصوت هو العملية الحركية ذات الأثر السمعى وهو من أداء المتكلم فى نشاطه اللغوى العادى اليومى . فكلنا ينطق فى كلامه أصواتا لغوية مسموعة . وأما الحرف فهو وحدة تصنيفية يقول بها دارس اللغة حين يقسم العدد الأكثر من الأصوات إلى العدد الأقل من الحروف ، إذ قد يشتمل الحرف الواحد على أكثر من صوت واحد ، كما يشتمل حرف الميم على أصوات مختلفة منها ذو الإظهار وذو الإخفاء وذو الإقلاب ، وكما يشتمل حرف النون على عدد من الأصوات يأتى كل منها فى بيئة صوتية خاصة ، حتى إن بعض أصوات النون كالذى فى « ينظر » ينطق بإخراج اللسان كإخراجه فى الظاء . ويلاحظ كذلك فى سرد سيبويه للحروف بحسب ترتيب مخارجها من القاصى إلى الدانى أمور :

١ ـــ ذكر الألف بين ذوات المخارج ونحن نعتبرها نتيجة لهيئة حجرة الرنين الفموية لا لإقفال ولا تضييق فى مخرج بعينه ، شأنها فى ذلك شأن العلل والحركات .

٢ ـــ أخر القاف فى الترتيب عن الغين والخاء والكاف مع أن القاف مخرجها عند اللهاة ومخرج الثلاث الأخريات فى الطبق وهو الجزء الرخو من سقف الفم أمام اللهاة مباشرة .

٣ ــ قدم الضاد فى الذكر والمخرج وحقها أن تذكر فى موضع متأخر بأن توضع فى نهاية المجموعة التى قبل الظاء مباشرة .

يقول سيبويه : « ولحروف العربيـــة ستة عشر مخرجا ، فللحلق منها ثلاثة : فأقصاها مخرجا الهمزة والهاء والألف ، ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء ، وأدناها مخرجا من الفم الغين والخاء ، ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف ، ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف ، ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء . ومن بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس مخرج الضاد ، ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام ، ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون ، ومن مخرج النون غير أنه أدخل فى ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء ، ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء ، ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاى والسين والصاد . ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء ، ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء ، ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو ، ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة » .

ويتضح من هذا النص المأخوذ من كتاب سيبويه أمور :

١ ــ أنه يطلق اصطلاح « الحلق » على كل ما يلى وسط اللسان إلى الخلف فيشمل به مخارج الحنجرة glottis ، والحلق Pharynx ، واللهاة uvila ، والطبق velum ، وكل ما نطق من الأصوات فى هذه الأماكن فهو حلق فى نظره ؛ غير أنه يفرق بين أقصى الحلق وأوسطه وأدناه تفريقا فرعيا يستخدمه عند إرادة البسط . وكأن هذه المنطقة عند سيبويه كانت منطقة المجاهل ومن ثم اكتفى من ذكر أعضائها بالوصف بالأقصى والأوسط والأدنى دون أن يسمى هذه الأجزاء . وله فى ذلك كل العذر ، بل أعجب له كيف استطاع أن يصل إلى ما وصل إليه من درجات الدقة برغم ما أحاط به من الظروف .

٢ ــ صرفته عنايته فى نطق الضاد بتسريح الهواء من جانبى اللسان عند الأضراس عن ملاحظة الصلة بين طرف اللسان وبين الثنايا فى أثناء هذا النطق ، وحق نقطة الاتصال هنا أن تكون هى المخرج ، ولست أدرى لم يغفل عن هذه الصلة فى نطق اللام ولا سيما المفخمة فعين مخرجها الصحيح مع أن تسريح الهواء

فى نطق اللام يكون من جوانب اللسان كذلك .
وقد ترتب على هذا الخطأ أن رأينا سيبويه قلقا فى كلامه عن الضاد ويبدو هذا القلق فى محاولته تعيين موضع لها فى ترتيب الحروف بحسب المخارج كما يتضح ذلك فى الموازنة بين النصين السابقين إذ جعلها فى النص الأول سابقة على مجموعة الجيم والشين والياء وجعلها فى الثانى لاحقة لها .

٣ - يريد بما فويق الثنايا مخرج اللثة . ويسميها بعضهم مغارز الأسنان .

٤ - يقصد بأصول الثنايا الوجه الداخلى للأسنان الأربع العليا حتى تتصل بمغارزها وهو ما نسميه فى اصطلاحنا المخرج الأسنانى ، ولا يعقل أن يكون قد قصد به الثنيتين العليين فحسب ، لأن طرف اللسان حين ينطبق فى النطق على الثنيتين يصعب أن يزاح ويعزل عن الرباعيتين . وهذا وجه جمع الثنية فى كلامه دون تثنيتها .

والمعروف أن للأوتار الصوتية من حيث الوضع أحوالا أربعا ؛ فهى إما أن تكون مقفلة إقفالا تاما فينحبس الهواء من ورائها فلا يتسرب أبدا كما يحدث من المرء عند التعنية وعند رفع حمل ثقيل ، وكذلك عند نطق الهمزة مشكلة بالسكون ، وهى فى هذه الحالة لا تحدث صوتا مطلقا ولا تكون فى حالة جهر ، وإما أن تتلاصق بخفة فتدع للهواء الرئوى فرصة التسرب من بينها فتهتز عند مروره من بينها محدثة أثرا سمعيا نسميه الجهر ، وإما أن تتقارب دون التصاق فيحتك الهواء الرئوى بها حين صعوده إلى خارج فيحدث ما نسميه الهمس ؛ ويكون هذا الهمس مسموعا كحين تسر إلى صديقك بخبر . وإما أن تتباعد فلا يسمع صعود الهواء من بينها كما فى حالة التنفس العادى الهادئ . وإذا أردت أن تختبر صوتا ما لترى ما إذا كان مجهورا أو مهموسا فانطقه مشكلا بالسكون وضع أطراف أصابعك على الحنجرة تحت الذقن وفيها الأوتار الصوتية ، فإن أحسست باهتزاز وارتعاش تحت أطراف أصابعك فهذا الصوت مجهور وإلا فهو مهموس .

يقول سيبويه : « فأما المجهورة فالهمزة والألف والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والدال والزاى والذال والباء والميم والواو فذلك تسعة عشر حرف وأما المهموسة فالهاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والثاء والفاء . فذلك عشرة أحرف » .

وقد ذكرنا أن نطق الهمزة إنما يتم بواسطة إقفال الأوتار الصوتية إقفالا تاما ثم تفتح هذه الأوتار فتحا سريعا مفاجئا فيحدث بذلك انفجار هو الذى يسمى الشدة التى هى غير الرخاوة ، ولا يمكن أن يكون مع إقفال

الأوتار الصوتية جهر، ومن ثم يخطئ سيبويه ومن نقل عنه من بعده فى اعتبار الهمزة حرفا مجهورا . فإذا كان لنا أن نتلمس الأسباب التى أوقعت سيبويه فى هذا الخطأ فلن نستطيع إلا التخمين ، والذى يبدو لى عند التخمين أن سيبويه حين نظر فى الهمزة وجدها ذات أحوال متقلبة فى نطق العرب، فهى تارة محققة وتارة مسهلة فى صورة مد وتارة ميسرة فى النطق مسببة عن اختلاف ضغط الهواء الصاعد أكثر مما هى مسببة عن حركة الأوتار الصوتية . وهى التى بين بين ، وتارة تكون للقطع وأخرى تكون للوصل ، فلما لم يستطع أن يجمع هذه الأحوال جميعا تحت وصف واحد آثر أن يغلب الأكثر من هذه الأقسام على الأقل . ولا شك أن المسهلة والواصلة والتى بين بين أكثر عددا من المحققة وذات القطع ؛ ثم لاشك أن الثلاث الأوليات وقد خرجت عن صورة الهمزة إلى صورة العلة أو الحركة أصبحت مجهورة ، وأن الأخيرتين هما المهموستان . ومن هنا رأى سيبويه أن يضع الهمزة على سبيل التغليب فى فصيلة الأصوات المجهورة ناسيا أن هذه الثلاث ليست همزات فى صورتها الحاضرة وأنها مد أو حركة ، وأن وصف الهمزة لا ينطبق إلا على المحققة بينها .

وأما وضع القاف بين الحروف المجهورة وهى فى نطقنا الحاضر مهموسة فلست أجرؤ على تخطىء سيبويه فى ذلك ؛ لأن بعض العرب كالسودانيين ينطقون فى يومنا هذا قافا مجهورة أقرب ما تكون إلى الغين ، ولعل سيبويه يتكلم عن أخت لهذه القاف كانت تنطق فى أيامه ولو علمت يقينا أن القاف فى أيامه كانت تشبه القاف التى تنطقها الآن فى مصر فى كلامنا الفصيح ما توانيت عن تخطيئه .

وأما اعتبار الطاء مجهورة فلست أظن سيبويه فيه إلا مخطئا ، فكل طاء ينطقها العرب فى أيامنا هذه مهموسة ، ولو كان لجيل سيبويه من العرب طاء مخالفة لبقيت ولو فى لهجة عربية منعزلة غير هامة . وإذ لا نجد طاء مجهورة فى كلام العرب المعاصرين ولا على ألسنة القراء فلا بد أن نميل إلى اعتبار سيبويه مخطئا فى وصف الطاء بالجهر على أننى يجب أن أتحرز قليلا فى اعتبار القراء المعاصرين مقياسا للنطق العربى القديم لأن من المؤكد أن الضاد العربية التى كانت اللغة تمتاز وتتسمى بها قد تغيرت فى قراءة القرآن المعاصرة وأصبحت الضاد فى قراءة القرآن اليوم دالا مفخمة شديدة ، ويخرج الهواء عند نطقها على خط الوسط فى الفم . ولم تعد رخوة ولا يخرج الهواء فى نطقها من جانب اللسان .

ثم يقول سيبويه : « فالمجهورة حرف أشبع الاعتماد فى موضعه ومنع النفس أن يجرى

معه حتى ينقضى الاعتماد عليه ويجرى الصوت ؟ فهذه حال المجهورة فى الحلق والفم ، إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما فى الفم والخياشيم ، فتصير فيهما غنة . والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخل بهما » . ولقد سبق منذ قليل أن أوضحنا أن الجهر والهمس يتوقفان على اهتزاز الأوتار الصوتية التى فى الحنجرة أو عدم اهتزازها ، فما الذى يقصده سيبويه بالاعتماد فى الموضع ؟ يمكن عند النظر فى استعمال سيبويه لهذا اللفظ أن نرى أن سيبويه كان يرى فى قضية الجهر والهمس رأيا آخر غير الذى أوضحنا . فالذى يبدو أن سيبويه كان يرى الجهر والهمس حادثين من تفاوت كمية الجهد الذى يحس به فى صدره أثناء النطق . والمعروف أن حركة الحجاب الحاجز – وهى مظهر هذا الجهد – أوضح فى الجهر منها فى الهمس ، كما يتضح من نطق السين والزاى مشكلتين بالسكون فى نفس واحد على التعاقب . ومرجع ذلك من الناحية العضوية إلى أن الأوتار الصوتية كما ذكرنا تتلاصق بخفة عند الجهر فتعوق هواء الرئة عن الخروج بعض الشىء ، ولكنها تتقارب دون التصاق فى حالة الهمس فيكون تسرب الهواء منها أيسر ، وتكون حركة الحجاب الحاجز من ثم أقل عنفا . ولكن هذا التفسير العضوى لم يكن معروفا عند سيبويه ، كما لم يكن معروفا لديه كيف يحدث الجهر والهمس بالتفصيل ولا أظنه كان يعلم شيئا من طبيعة عمل الأوتار الصوتية . ومن ثم ظن سيبويه (على احتمال) أن الجهر والهمس مع ارتباطهما بتفاوت كمية الجهد فى الصدر إنما يحدثان فى المخرج ؛ فهذا المخرج يحدث فيه الجهر عند زيادة كمية الجهد الصدرى على حد تعبيره عند إشباع الاعتماد كما يحدث فيه الهمس عند إضعاف الاعتماد . وبهذا يتضح معنى الاعتماد فى تعريفه للمجهور فيما سبق . ويتضح كذلك فى تعريفه للمهموس بقوله : « وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد فى موضعه حتى جرى النفس معه . وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جرى النفس ، ولو أردت ذلك فى المجهورة لم تقدر عليه » ، وقد ردد ابن سينا فى « أسباب حدوث الحروف » لفظ الاعتماد بنفس هذا المعنى .

ويبدو أن سيبويه يفرق تفريقا مقصودا بين اصطلاحى « الصوت » و « النفس » ، فيطلق لفظ الصوت على أى أثر سمعى مجهور أو مهموس يأتى الأذن من طريق النطق ، ثم يريد بالنفس الهواء المتسرب تسربا ملحوظا حين النطق ببعض الأصوات اللغوية كالفاء والحاء والسين وغيرها وهو الذى يسمى فى اصطلاح علم اللغة الحديث aspiration .

ويظهر أن سيبويه ظن الصوت من طبيعة لا تتصل اتصالا وثيقا بطبيعة النفس ، فأوجد فى اصطلاحه تقابلا بل تضادا بين هذين المفهومين بحيث جعلهما يلتقيان فى نطق صوت واحد . فالنطق فى نظره إما أن يشتمل على صوت وإما أن يشتمل على نفس . فإذا عرفنا ذلك اتضح لنا التعريفان السابقان كل وضوح .

ويأتى بعد ذلك فهم سيبويه للشدة والرخاوة . يقول سيبويه : « ومن الحروف الشديد ، وهو الذى يمتنع الصوت أن يجرى فيه وهو الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والدال والباء . وذلك أنك لو قلت الحج ثم مددت صوتك لم يجر ذلك » . ثم يقول : « ومنها حرف شديد يجرى معه الصوت لأن ذلك الصوت غنة من الأنف ، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف ، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت ، وكذلك الميم » . فإذا ذكرنا أن الصوت فى رأيه هو الأثر السمعى مجهورا كان أو مهموسا ، وأنه جعل النون والميم من بين الحروف الشديدة ، وأنه قال بجرى الصوت معها دون بقية الشديدة ، أدركنا ما يعنيه بالشدة . فالشدة فى نظره إقفال المجرى الفموى وإن كان مجرى الأنف مفتوحا . ويتضح ذلك من وصفه اللام والراء بالشدة ، فهو يعرف اللام بقوله : « ومنها المنحرف ، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت ، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة ، وهو اللام » ، فاللام شديدة فى رأيه لأن اتصال طرف اللسان فى نطقها بما فويق الثنايا كان يمكن أن يمنع جرى الصوت فيهما ، لولا انحراف اللسان ترك للصوت فرصة الجريان من جانبه ، « وليس كالرخوة لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتى مستدق اللسان فويق ذلك » . والراء « حرف شديد يجرى فيه الصوت لتكريره إلخ » .

والرخاوة فى نظر سيبويه جريان الصوت فى نطق الحرف لضيق المخرج دون إقفاله . فهو يقول : « ومنها الرخوة ، وهى الهاء والحاء والغين والخاء والشين والصاد والضاد والزاى والسين والظاء والثاء والذال والفاء . وذلك إذا قلت الطس وانقض وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت » ، والعين فى نظره بين الرخوة والشديدة ، تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء .

واللين كما فى الياء والواو وهو اتساع المخرج لهواء الصوت ، والهوىّ الذى للألف هو اتساع المخرج أكثر من ذلك . وأما الإطباق فهو ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى أثناء النطق بمخرج آخر وهو ما سميته

قبـــل ذلك الطبق ، اشتقته من الإطباق وعكسه الانفتاح . يتضح لنا مما سبق :

١ — أن الجهر فى رأى سيبويه مرتبط بالجهد الذى يحسه الناطق فى الصدر والذى يتسبب عنـــه تسليط هـواء الرئتين على المخرج فيحدث الجهر فى المخرج نتيجة لإشباع الاعتماد أى ضغط الهواء على المخرج .

٢ — أن الهمس ضعف الاعتماد

٣ — أن الاعتماد هو ضغط هواء الرئتين على موضع اتصال الأعضاء للنطق .

٤ — أن الشدة إقفال المجرى الفموى فى طريق هواء الرئتين وإن انفتح مجرى الأنف .

٥ — أن الرخاوة تضييق المجرى الفموى تضييقا يسمح بحدوث أثر صوتى احتكاكى .

٦ — أن اللين والهوى هما توسيع مجرى الهواء مع تفاوت فى الدرجة .

٧ — يستعمل المخرج والموضع استعمالا واحـدا .

٨ — الإطباق عنده ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى وعكسه الانفتاح .

ولا ينسى سيبويه أن يشرح فائدة دراسة الأصوات العربية بالنسبة لدراسة اللغة فيقول: « وإنما وصفت لك حـــروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه . وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه ، وما تبدله استثقالا كما تدغم ، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك ، » ولكن لدراسة الأصوات فوائد أخرى أعم وأهم ، قد نبينها فى مقال آخر إن شاء الله .

دكتور تمام حسان
أستاذ مساعد بكلية دار العلوم

(البقية على ص ١٠٧٦)

الموضوع وأن طعن قريش على النبى إنما كان يتناول مادة القرآن من حيث مصدره ومن حيث أغراضه فلا محل لدلالة (الآية) - على غير الآية الكلامية - فى هذا السياق .

سادسا : ومن ناحية أخرى لا يساعدنا الواقع التاريخى على أن النبى - صلى الله عليه وسلم كان يأتى بالآيات بمعنى المعجزات - ثم يبدلها فيرفع معجزة . ويحل محلها معجزة أخرى . بل كانت سنة القرآن ، أن يغلق فى وجوه السائلين باب الاستجابة لتنزيل الآيات الكونية وقد ثبت هـــذا المعنى فى مختلف سور القرآن قريبا من عشر مرات بأساليب مختلفة .

سابعا : وأيضا فإن المعجزة إذا وقعت فلا يمكن رفعها ولا تبديلها ، ومجىء آية أخرى أو معجزة أخرى لا يكون تبديلا لهـا ، بل يكون إضافة إليها ، أما الآية الكلامية فظاهر أن ترفع من موضعها ويحل غيرها محلها . وحسبنا هذه المعانى التى بيناها من وجوه دلالة الآية على النسخ ، وأطنبنا فيها ؛ لكى نقطع عن طريقها كل شاذ ، وكل تأويل باطل ؟

محمد سعاد جلال

كتابان غربيان
عن الإسلام والمسلمين

للدكتور محمد غلاب

١ — يقظة العالم الإسلامي للكاتب الألماني (فارنو) .

٢ — الإسلام والجرال للكاتب الفرنسي بيير بونسواي .

أمامي الآن كتابان عميقان من أروع منتجات الفكر الغربي وأكثرها دقة ونزاهة وأحفظها على الروح العلمية وأحرصها على الحقيقة التاريخية ، لذلك رأيت أن أقف بك عند كل واحد منهما هنيهة لأطلعك على هذا اللون الذي يقضي الواجب الإسلامي قبل كل شيء بترجمته وإذاعته بين المسلمين ليروا كيف أن فريقا لا يستهان به من أفذاذ علماء الغرب ومفكريهم يكتبون عن الإسلام والمسلمين كتابة قيمة تشرف عقلياتهم ، وتخلد أسماءهم وتسجل للإسلام عظمته وجلاله.

أما أول هذين الكتابين فعنوانه « يقظة العالم الإسلامي » تأليف الكاتب الألماني « فارنو » ، وهو كتاب عصري نشر في سنة ١٩٥٤ ويحتوي دراسة واسعة نزيهة مؤيدة بالمستندات القوية والأرقام الدقيقة تعقب فيها المؤلف بفطنة ملحوظة ، وحكمة ممتازة . ودقة فائقة ، وعناية تامة . أهم حركات البلاد الإسلامية ونهضاتها التاريخية في الجمهورية العربية المتحدة والهند وإيران وتركيا .

يشير المؤلف بديا في إلماعة تاريخية عاجلة إلى بناة العالم الإسلامي وتأليف كيانه ، ونمو امتداده الحربي والتجاري والسياسي والعقلي والعلمي ، فيسجل في هذه الإشارة من مجد السلف ما يدفع الخلف إلى مواصلة الجهد ومضاعفة النشاط . وبعد أن ينتهي من تدوين ذلك الجلال التليد يقفز إلى أواخر القرن التاسع عشر فيشهدنا ثورة « عرابي » المفعمة بالإخلاص والشجاعة والوطنية والعزة والقومية ، والوقوف في وجه السلطة الطغيانية وسيرتها الاستعمارية . ثم ينزلق المؤلف إلى القرن العشرين ليصف ما اندلع فيه من ثورات العالم الإسلامي التحررية الباعثة على الإعجاب ، بل الإجلال ، وهو يمهد لتصويره هذا فيقول :

إن تلك المدنية العتيقة التى حسبتها أوروبا قد خضعت لها خضوعا أبديا ، قد استيقظت من سباتها ، ونفضت عن نفسها غبار العصور . ولا ريب أن العالم الإسلامى قد ظفر من هذه المدنية بمكانة ملحوظة ، ومكان عال ، إذ أنه يشبه أن يكون قارة قائمة بين أوروبا وآسيا ، ومن ثم فإن يقظة هذه القارة الضخمة التى تعدل سبع سكان الكرة الأرضية ، سيكون لها تأثير حاسم فى تقرير مصير العالم ، ولذا يصح أن تنعت هذه اليقظة بعظمى ثورات القرن العشرين .

وأياما كان ، فإن المؤلف يجزم بأن الحربين العالميتين قد أعانتا العالم الإسلامى على تحطيم القيود التى كبله بها الاستعمار ، وتفتيت الإطارات التى أحاطه بها الظلم والطغيان وأتاحت له الفرص المواتية ، ليسترد مكانته الرفيعة ، ويستعيد منزلته العالية ، ويسترجع بمخالبه حقوقه من بين فكى الاستعمار .

ولقد اقتضت هذه الحركة التى تهدف إلى العودة للمنزلة الطبيعية ، وترمى إلى الظفر بالحقوق كاملة وثبتين ممتزجتين لا سبيل إلى التفريق بينهما ، وهما الوثبة الدينية والوثبة السياسية . وهنا يجزم المؤلف بأنه إذا حاول البعض الفصل بين النهضات الدينية والنهضات السياسية فى الأديان الأخرى ، فإن ذلك بالنسبة إلى الإسلام غير ممكن . وهو يرى أن مصر والهند هما محور الحركات الإسلامية الناهضة .

وإذ ذاك يأخذ المؤلف فى تحليل تلك الحركات النهوضية فى دقة وتحديد وتقدير للأمور دون أن يحيد عن احترام الإسلام وقداسته ، وما اشتملت عليه أصوله وتعاليمه من الوسائل المثلى لتحقيق السيادة والسعادة ولا يقصد ألبته بالسيادة الطغيان واستعباد الغير ، أو الاستبداد بالأمم والجماعات أو الأفراد ، ولا يرمى من وراء السعادة إلى الرفاهية أو الميوعة ، وإنما أراد بهما معنييهما الفلسفيين والأخلاقيين اللذين هما على قمة الرفعة والسمو ، فقصد بالسيادة التحرر من عبودية الجشع والبهيمية ، فرض سلطان الروح على المادة ، وأراد بالسعادة سعادة الضمير والمجتمع . وبهذا ينتهى إلى أن هذا الدين يشتمل على جميع المثل العليا والمبادئ السامية التى لا نظير لها فى أى دين آخر ، والتى هى كفيلة بمنح أتباعه الحق فى قيادة الأمم وتزعم الشعوب عن جدارة واستحقاق .

ومما يسترعى الانتباه أن المؤلف يعالج — فى نزاهة ودقة وصراحة — خطة العالم الغربى بإزاء العالم الإسلامى ، ويبين ما اشتملت عليه تلك الخطة من الأنانية البغيضة وفقدان العدالة الذاتية . بل فقدان المعالم الإنسانية

أحيانا مما يجعل الثورة فى مقدمة الأمور المشروعة ، بل الواجبة المحتومة .

وهو يسجل على الأخص أن تلك الثورات لم يكن يقدر لها النجاح لولا أنها مؤسسة على مشاعر داخلية غير قابلة للمقاومة ، سداها العبقرية ، ولحمتها الإيمان . وأن مصر قد ضربت الرقم القياسى فى هذا بثورتها الأخيرة : وهنا يقف المؤلف عند ثورتنا الحالية وقفة جاذبية وانعطاف ناشئين عن إعجاب ، بل إجلال ؛ لأنها تهدف إلى تطهير البلاد من نظام فاسد متعطن ، وترمى إلى تحريرها من استعمار بغيض متعسف ، ولأنها وضعت أمور البلاد فى أيدى أبنائها الحقيقيين .

وما أبدع إلحاح المؤلف هنا على أجنبية الأسرة البائدة وجهلها التام بدين البلاد ولغتها وأخلاقها ، وتقاليدها ، وعرفها ، وتراثها الأدبى ، وقوامها الروحى ، وإلحاحه كذلك فى أن الضباط الأحرار هم من صميم الشعب وأعماقه إلى حد أنه يجزم فى رشاقة أن وجوه الكثيرين منهم تذكر المرء بوجوه التماثيل القائمة فى دار الآثار المصرية .

ولا يفوت هذا المؤلف أن يسجل أن ثورة ٢٣ يوليه كانت ثورة سلبية هادئة ، جديرة بأرقى المدنيات وأسماها . ولا غرو ، فهل هناك مدنية أسمى من مدنية مصر ؟ .

وأخيراً يختم بحوثه بملاحظات عامة يؤكد فيها أن الإسلام يتفق أكثر من المسيحية مع الأنظمة الزمنية الصالحة للحكومات والمجتمعات ، وأن الإسلام فى جوهره فوق الأوطان والقوميات ، وأنه يلعب دور عنصر الجمع والتأليف والتعميم ، ولا ريب أن هذه هى غاية المؤتمر الإسلامى وهدفه الأعظم .

* * *

أما ثانى هذين الكتابين فعنوانه : «الإسلام والجرال» تأليف الكاتب الفرنسى المعاصر «بيير بونسواى» والجرال فى عرف أولئك المؤلفين الذين تناولوا هذا الموضوع بالدرس والبحث هو : شىء مادى رمز به لسر سماوى لم تكشف حقيقته إلا لصفوة ممتازة اختارتها العناية الإلهية من بين أهل الأديان السماوية ، وأماطت عنها الحجب والأستار فتبينت أن دياناتها إذا لم يلحقها التحريف الذى يؤدى إلى الانحراف ، فإنها ستجد أن مصدرها كلها واحد لا يقبل التعدد ولا التغاير على أى نحو من الأنحاء ، وأن أتباعها جميعهم إخوة نشئوا من أصل واحد ووجهوا من لدن السماء إلى غاية واحدة ، وبالتالى سيجدون فى مبادئ هذه الديانات دعوة حارة إلى المحبة والوئام والسلام ، وإلى إذعان الأخ الأقل علماً ونوراً ، لنصيحة الأخ الأعلم وإرشاده .

ويقرر هذا المؤلف أنه قد وجدت بالفعل فى العصور الوسيطة هذه الصفوة الممتازة

من أهل الأديان السماوية ، وأنها قد تيقنت من أن الإسلام هو أرشدها وأحكمها ، وأنه هو المنوط بزعامتها وقيادتها إلى الخير وأنه بالتالى هو الذى يجب أن يخطو الخطوة الأولى نحو الوئام والسلام ، وأنه قد قام أثناء عدة قرون فى هذا الوئام بدور الملهم والمرشد ، وأن تلك الصفوة - على اختلاف أديانها فى الظاهر - كانت مقتنعة برسالة الإسلام فى هذا المضمار : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله » .

ولقد كانت هذه الصفوة تنظر إلى الإسلام على أنه جماع النبوة العالمية وأنه هو النبوة التشريعية الأخيرة التى ستسود قبل نهاية الزمن ، وأن النبى محمدا هو خاتم النبيين وأنه تلقى من السماء جوامع الكلم . ومن ثم فإن الإسلام يشتمل على وسائل روحية لأنواع من التجاوب الخاص مع الصور الفطرية الأخرى التى تندرج مع مؤسسيها - كموسى وعيسى - فى نظام إسلامى كلى رفيع من أنظمة الكون ، ومن ثم أيضا كان الإسلام هو الوسيط الكونى .

هذا الكتاب هو حلقة من سلسلة مؤلفات غربية حديثة اتجه مؤلفوها لأمر ما ، إلى الدراسات الفطرية ، وهى تفسح بين صفحاتها أمكنة واسعة تتحدث فيها عن الفطرة التى فطر الله الناس عليها حديثا كله احترام وإجلال ، ولما كانوا قد تبينوا من بحوثهم الطويلة المستأنية أن الإسلام هو دين الفطرة بالمعنى الكامل لهذه العبارة ، فقد اختصوه بالصدارة فى هذه البحوث ، ولكن ينبغى أن نعلم أن هذه الدراسات لا تعنى بالإسلام لتحكم عليه من نواحيه الظاهرية ، بل هى تنشغل به من تلك الوجهة الخاصة التى يتضح فيها أن الإسلام - بوساطة رسالته الفوق الطبيعية التى تعرضها تعاليمه المخبوءة عرضا وافيا - مستعد لتلقى جميع صور الإيحاءات الحقيقية ، والإلهامات العلوية ، وإنه يستطيع أن يؤول جميع النصوص السماوية والرمزية لكى يوفق بينها فى مراميها الرفيعة ، ويدخلها فى نظام إسلامى يمكن أن يشمل إطاره الكون بتمامه .

ولا ريب أن هذا التعبير من جانب مؤلفنا عن « إطار الإسلام الشامل للكون بتمامه » قد ذكرنا بعبارة الأستاذ ماسينيون فى كتابه : « محاولة حول أصول المفردات الاصطلاحية للتصوف الإسلامى » حيث يقول ما نصه :

« إنما بفضل التصوف كان الإسلام ديناً دوليا وعاما . إنه دولى بفضل الأعمال التقية التى قام بها الصوفية فى زياراتهم لبلاد غير المؤمنين ، أى بفضل المثل الرائع الذى قدمه

نساك المسلمين من شيوخ الطرق : الكبروية ، والشطرية ، والنقشبندية الذين كانوا يتعلمون لغات الهنود ، وسكان جزائر الهند الشرقية ، ويندمجون فى حياتهم ، هذا المثل هو الذى هدى أولئك القوم إلى الإسلام أكثر مما فعل الغزاة ، وإنه عام ؛ لأن الصوفية هم أول من فهموا الأثر الخالد الفعال للدين الحنيف ، وهو وجود توحيد عقلى طبيعى لجميع بنى الإنسان » .

ونحن نحسب أن شهادة الأستاذ ماسينيون بأن « الأثر الخالد الفعال للدين الحنيف هو وجود توحيد عقلى طبيعى لجميع بنى الإنسان » هى شهادة لا يستهان بها ، بل هى قيمة لا ينبغى الإغضاء عنها .

ومن ذلك أيضا ما يحدثنا به المستشرق الهولندى سنوك هور جرونج فى كتابه « سياسة هولاندا تجاه الإسلام » إذ يقول :

« إن الإسلام بفضل تصوفه قد وجد وسيلة صعوده إلى مكانة مرتفعة يستطيع منها أن يرى أبعد من الآفاق الخاصة ، أى أن هذا التصوف مشتمل على شىء من دولية الدين » .

ومما هو جدير بالعناية أن مؤلف هذا الكتاب يلح فى أن يبرز للعيان أن فكرة انحراف الغرب عن جادة الصواب . وفكرة ابتعاده عن كل ما هو إلهى ابتعاداً تزداد فداحته على مر الأيام . قد جعلتا تتضحان لدى الصفوة الغربية لاسيما منذ ظهور « رينيه جينون » : (الشيخ عبد الواحد يحيى) ، وإن كان ذلك لا يمنع من أن يكون هذا الانحراف قد بدأ يظهر للمستنيرين من الغربيين منذ العصور الوسيطة كما يشير إلى ذلك هذا الكتاب حين يحدثنا عن أقصوصة انتقال السر السماوى من الغرب إلى الشرق مقره الحقيقى بعد أن عجزت أوروبا عن الاسترشاد به ، والإفادة منه بإعلان انحرافها عن النظام الكونى والفطرة العامة اللذين كان الواجب يقضى عليها بأن تظل وفية لهما لو أنها اتبعت كتابها السماوى الحقيقى .

ولا يفوتنا قبل أن نغادر هذا المجال أن نشير إلى تلك الفكرة الضالة التى سجلها ذلك الكاتب العصرى المضحك والتى رد عليها الأستاذ العقاد فى العدد السابق من مجلة الأزهر بما فيه الكفاية ، والتى لا نعرض لها إلا من ناحية أن « الشىء بالشىء يذكر » كما يقولون ، والتى مؤداها « أن الشيوعية غزوة جديدة تهدد العالم الغربى فى كيانه كما هدده الإسلام فى القرن السابع للميلاد ... وأن خطة ستالين فى تشييع القارة الآسيوية وإكراهها على قبول الشيوعية ليست إلا تكراراً لخطط القادة الآسيويين أمثال : محمود الغزنوى ، وطغرل بك ، وألب أرسلان ، وأن هذه الخطط جميعاً تعتمد على سلاح الدولة وسلاح

العقيدة ، وتتخذ العقيدة أحيانا وسيلة لقلب الدولة ، كما تتخذ الدولة أحيانا أخرى وسيلة لقلب العقيدة » .

ونحن لا يسعنا إلا أن نقول لهذا المؤلف: إن المدققين من العلماء والباحثين الغربيين أمثال الأساتذة :ماسينيون ، وسنوك هورجرونج، وبيير يونسراى قد أجمعوا على أن الإسلام لم يغز العالم القديم بالعنف ولا بالقسر ، بل غزاه وسيغزو العالم الحديث أيضا بالفضائل العالية ، والمبادئ السامية ، والمثل الرائعة.

فينبغى — إذا كنت تكتب لوجه الحقيقة فى ذاتها — أن تحذو حذو بنى جلدتك من النزهاء ، ولا تتبع الأغراض والأهواء ، فتضلك عن سواء السبيل .

يبين مما تقدم أن هناك نوعين من الكتب يعرضان للإسلام والمسلمين ، وأن أحدهما لا يساوى فى السوق العلمية الورق الذى يكتب عليه ، ولكن مؤسسات الدعاية السياسية الثرية النشيطة تنشر هذه الكتب بين ظهرانينا ، وترغمنا - بعوامل الحياة المختلفة - على قراءتها ، فيتأثر بها البسطاء والأبرياء من مواطنينا تأثرا وخيم العاقبة .

والنوع الآخر هو هذه الكتب القيمة الدقيقة أمثال الكتابين اللذين تناولناهما هنا. وهذا النوع لا يكاد يجد مشجعا ولا نصيرا ، رغم أن أبسط الواجبات يقضى بتشجيعه والعمل على نشره بين ربوع المسلمين بكل الوسائل الممكنة .

والآن - وإلى أن تتم يقظة الأمة الإسلامية ويتنبه المهيمنون على الثقافة إلى هذا الخطر - ينبغى أن نقرر أن جميع هذه النماذج من الكتب الغربية التى تسجل سمو الإسلام ، يجب أن تعتبر كتبا نافعة لا يصح لنا نبذها أو إهمالها ما دام أنها تبرز ناحية من نواحى هيبة الإسلام ، وجانبا من جوانب عظمته الباهرة أمام العالم الحديث .

الدكتور محمد غلاب

الإسلام والمسلمون في أمريكا

للدكتور محمود يوسف الشواربي

إن المسلمين فى الولايات المتحدة ليسوا مركزين فى ولاية بعينها من مختلف الولايات الأمريكية التى يبلغ عددها ٥٠ ولاية، ولكنهم موزعون على عدد كبير من الولايات فى مختلف أنحاء أمريكا ، ومن الطبيعى أنه كلما وجدت مجموعة منهم فى مدينة من المدن فإنها تأخذ فى إنشاء جمعية إسلامية ترعى شئونهم وتقوى من أواصر المودة بينهم وتنهض بالصالح العام للمجموعة دينيا واجتماعيا وماديا .

ومن الأمثلة التى يسوقها على ذلك مدينة نيويورك نفسها . فهذه المدينة بالذات تعتبر كبرى المدن الأمريكية ويقطنها حوالى عشرة ملايين من الناس . ولهذا فإنه لا غرابة أن نرى بها ما يزيد على بضع وعشرين جمعية إسلامية .

بيد أنه يجب أن نذكر هنا أن كل جمعية من هذه الجمعيات ترعى مصالح المسلمين من أبناء دولة من دول العالم الإسلامى ، ولهذا السبب اتجه التفكير إلى إنشاء مجلس إسلامى ينسق الجهود بين هذه الجمعيات المختلفة .

ولقد اتبعت الفكرة نفسها حيث تنشأ مجالس إسلامية فى المدن الكبرى التى توجد بها أكثر من جمعية إسلامية واحدة وأن ينسق النشاط العام لجميع مسلمى أمريكا عن طريق اتحاد عام لهذه المجالس الإسلامية على أن يشمل إلى جانب ذلك الجمعيات الإسلامية الفردية الموجودة فى مناطق مختلفة من الولايات المتحدة .

ولقد تم بالفعل قيام هذا الاتحاد العام الذى لا يشمل الجمعيات الإسلامية فى الولايات المتحدة فحسب بل يشمل الجمعيات الإسلامية فى كندا كذلك ولقد أخذ هذا الاتحاد العام يقيم مؤتمرات إسلامية سنوية فى كبرى المدن الأمريكية

ولقد كان للسيد عبد الله عجرم الفضل فى تنظيم الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية وعقد أول مؤتمر للمسلمين فى المدينة التى يقطنها وهى مدينة (سيدار رابيدز) بولاية إيوا التى لا تبعد سوى ٨٠ ميلا غربى نهر المسيسبى الشهير الذى يشبه نهر النيل فى كثير من الوجوه .

ويرجع الفضل إلى السيد عجرم فى تكتيل الجالية الإسلامية المحدودة العدد فى ولاية إيوا ثم وجه بعد ذلك عنايته نحو جمع شمل

المسلمين وتنظيم نشاطهم فى اتحاد عام يحفظ عليهم كيانهم ، ولقدتم ذلك بالفعل ووجهت الدعوة لعقد أول مؤتمر إسلامى فى أمريكا فى مدينة (سيدار رابيدز) فى يوم ٢٨ يونيو سنة ١٩٥٢ وحضره حوالى ٤٠٠ مسلم من مختلف أنحاء الولايات المتحدة وكندا وانتخب السيد عبد الله مجرم رئيسا لهذا المؤتمر وظل يوالى نشاطه حتى تم عقد المؤتمر الإسلامى الثانى لمسلمى الولايات المتحدة وكندا فى شهر يوليو سنة ١٩٥٣ بمدينة (توليدو) بولاية أوهايو .

ولقد عقد المؤتمر الإسلامى الثالث بمدينة شيكاغو وذلك فى شهر يوليو سنة ١٩٥٤ وحضره ما يقرب من ألف مسلم من مسلمى أمريكا وكندا . ولقد دعيت كضيف شرف فى هذا المؤتمر . وهناك تناقشا جميعا فى وجوب إنشاء اتحاد عام للجمعيات الإسلامية فى الولايات المتحدة وكندا ، وقمنا بوضع القانون التأسيسى لهذا الاتحاد . وتم انتخاب السيد عبد الله مجرم أول رئيس له .

ولقد أصدر ذلك الاتحاد فى ذلك العام بيانا بدستوره جاء فيه (نحن أعضاء الجاليات الإسلامية فى أمريكا تنفيذا لأوامر القرآن الكريم : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ، نعلن إنشاء اتحاد الجمعيات الإسلامية فى الولايات المتحدة وكندا .

والمسلمون حيث يكونون فى أى عصر يعيشون مسئولين أفراداً وجماعات عن تعليم أنفسهم وتدريبها على اتباع المثل العليا للإسلام ونشرها ، وهذه المثل هى العزة والكرامة ، وتقدير قيمة جميع أفراد البشر وإشاعة الحب والأخوة بين جميع الناس .

من ذلك يتضح جليا أن قيام الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية فى الولايات المتحدة وكندا . قد عقدت عليه آمال كثيرة فهو المؤسسة الوحيدة الدائمة التى تتكون من صميم الجاليات الإسلامية التى تتألف من المواطنين الأمريكيين أنفسهم والتى يمكن عن طريقها نشر الثقافة الإسلاميه على أوسع نطاق ممكن بين المسلمين والأمريكيين ، وتوطيد العلاقات بين مسلمى مختلف الولايات الأمريكية ، وكذلك بينهم وبين إخوانهم فى العالم الإسلامى .

ويعمل الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية فى الولايات المتحدة وكندا جاهدا على النهوض بالنواحى الدينية والثقافية والاجتماعية للمسلمين فى تلك البلاد والعمل على نشر التراث الإسلامى وتفسير تعاليم الإسلام وشرحها ونشر مبادئه السامية التى يشترك فيها مع الأديان الأخرى لزملائهم من غير المسلمين من الأمريكان .

ولقد عقد الاتحاد مؤتمره الرابع فى لندن بولاية أونتاريو بكندا حيث انتخب السيد

حسن ابراهيم رئيسا له وهو شاب ممتاز ولد فى أمريكا من أب مسلم لبنانى مهاجر، وأم إيطالية، ويعمل الآن محاسبا بمدينة (سوث بند) بولاية انديانا. وقد عمل ضابطا بالجيش الأمريكى قبل ذلك لمدة عشرة أعوام.

ولقد عقد المؤتمر الخامس للاتحاد فى يولية سنة ١٩٥٦ بمدينة نيويورك، كما عقد مؤتمره السادس فى مدينة ديترويت بولاية ميتشجان، وذلك فى شهر يوليو من عام ١٩٥٧ حيث انتخب الأستاذ قاسم علوان رئيسا للاتحاد فى ذلك العام وهو من مواليد أمريكا ويعتبر والده السيد أحمد علوان من أوائل المهاجرين المسلمين حيث ترك لبنان عام ١٩٠٢ واستقر بمدينة آشلند بولاية كونتكى بأمريكا. ولقد خدم السيد قاسم فى الجيش الأمريكى إبان الحرب العظمى الثانية ثم عاد فأتم دراسته الجامعية حيث حصل على درجة البكالوريوس فى إدارة الأعمال. ولقد زاول عدة أعمال مختلفة بعد انتهاء دراسته. ثم استقر به المقام أخيراً فى مدينة توليدو بولاية أوهايو. حيث افتتح مطعما كبيراً يديره بنفسه.

ولقد عقد الاتحاد مؤتمره السابع فى يوليو سنة ١٩٥٨ بمدينة واشنطون حيث أعيد انتخاب السيد قاسم علوان رئيسا للاتحاد للمرة الثانية.

وأما المؤتمر الثامن للاتحاد فقد عقد خلال شهر يوليو سنة ١٩٥٩ فى مدينة بتشمان بولاية إنديانا وقد حضره ما يزيد على ألف مسلم من مختلف أنحاء الولايات المتحدة وكندا وانتخب السيد محمد خليل رئيسا للاتحاد.

ويعرف السيد محمد خليل بين إخوانه بدماثة خلقه، وهو شخصية محبوبة وقد وفدت أسرته من لبنان فى أوائل هذا القرن واستقر بها المقام فى مدينة ديترويت بولاية ميتشجان. والرئيس الحالى للاتحاد موظف ببلدية ديترويت ويبلغ من العمر ٣٦ عاما وهو من كبار الرياضيين المعروفين فى تلك المدينة.

ولقد عقد الاتحاد مؤتمره التاسع فى أستاريو بكندا وأعيد انتخاب السيد محمد خليل رئيسا للاتحاد للمرة الثانية.

وفى صيف العام الماضى أى شهر أغسطس عام ١٩٦٠ استضافت الجمهورية العربية المتحدة كلا من السيد قاسم علوان والسيد محمد خليل وهما الرئيس السابق والرئيس الحالى للاتحاد العام للجمعيات الإسلامية فى الولايات المتحدة وكندا حيث شاهدا أهم المنشئات والهيئات الإسلامية فى كل من إقليمى الجمهورية.

كما أقامت لهما جمعية التعريف الدولى بالإسلام حفلة استقبال حيث تعرفوا خلالها على أعضاء الجمعية بالقاهرة وقابلوا الكثيرين

(البقية على صفحة ١١٠٧)

مصر وفلسطين كانتا وحدة

للأستاذ حسن عبد العزيز نصر

الوزير اليازورى

كانت بلاد الشام أيام الفاطميين - وبخاصة فلسطين - تابعة لمصر ، فكان يحمل خراجها إليها ، وتعد ولاية من ولاياتها ويعد أبناؤها مصريين لهم ما لإخوانهم المصريين ، وعليهم ما عليهم ، لا يقف حائل يحول دون تحقيق طموحهم وترقيتهم فى المناصب الحكومية ، فالقاضى الفاضل ، وقاضى القضاة أبو الفرج النابلسى و"صلاح الصفدى ، استطاعوا أن يصلوا فى مصر إلى أرقى المناصب الحكومية ولكنهم كانوا فى نجاحهم دون أبى محمد الحسن بن على ابن عبد الرحمن اليازورى ، ذلك الوزير الخطير الذى استطاع أن يرقى إلى رتبة الوزارة وأن يلقب بأرفع الألقاب ويعطى أفضل النعوت » .

واليازورى هذا منسوب إلى يازور (١) . إحدى قرى فلسطين على الساحل ، ولد هذا الوزير فيها حينما كان أبوه متولياً قضاءها ، فلما مات خلفه فى منصبه ، ثم عزل ، فسافر للحجاز وأدى الفريضة ، ثم قصد مصر وسعى لدى قاضى القضاة فيها ليعود إلى مكانه فى بلده فلم ينجح ، وفى هذه الأثناء وصل إلى عدة الدولة الأستاذ رفق أمين سر والدة الخليفة المستنصر ، فأعانه وأدخله دار القضاء . ولما قتل أبو سعد التسترى ، متولى أمور أم الخليفة ، أشار عليها رفق باليازورى ففعلت ، وجعلته مدير خاصتها ووزيرها المستشار فى كل أمورها ، فتوطد مركزه وقوى حزبه ، ، وفى هذه الأثناء عزل قاسم ابن عبد العزيز بن النعمان المغربى عن القضاء بمصر ، فخشى الجرجرائى الوزير من اليازورى أن يقوى أمره فيأخذ الوزارة منه فعزم على أن يشغله بالقضاء ، فأحله محل القاضى المعزول ، على أن يظل أيضاً مدير خاصة والدة الخليفة .

وما زال يرتفع مقامه ويعلو صيته إلى أن دعى ليتولى الوزارة حينما صرف عنها الوزير أبو البركات الجرجرائى ، فلم يقبلها لأن الأمور كانت حينئذ مضطربة ، وكانت الفوضى شاملة الدواوين والإدارة الحكومية ، فعين غيره وزيراً بالنيابة ، حتى يجد الخليفة حلا

(١) تقع هذه القرية بين يافا والرملة . وهى الآن آهلة بالسكان .

لانفراج الأزمة الوزارية المستحكمة ، وكان بين القبائل العربية والمغاربة وحشة وجفوة ، وكان يمثل القبائل العربية فى بلاط الخليفة رجل عربى من بيت ملك شامخ ، هو ناصر الدولة الحمدانى فخشى ناصر الدولة [1] ـ إن طال الزمن على فراغ الوزارة ـ أن يعين فيها رجل يكون مناوئاً لمصالح العرب . فشجعه على قبولها وأرسل إليه الرسل يحثه على ذلك ، وبعد لأى وتردد قبلها اليازورى فى سنة ٤٤٢ هـ ، فخلع عليه ولقبه بالألقاب التشريفية ، فنهض فيها نهضة مباركة ، واستطاع أن يرد العدل إلى نصابه والأمور إلى مواضعها .

وكان اليازورى يحافظ على كرامة الخلافة وعلى شرف المنصب الذى يتقلده ، وقد جرت العادة فى زمنه على أن كل رسالة يتلقاها الوزير الفاطمى من البلاد التابعة لمصر ، تمهر مع اسم مرسلها بكلمة (عبدكم) ، فكانت ملوك الأطراف توفيه حقه من التبجيل ، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا المعز بن باديس الصنهاجى أمير إفريقية ، فقد أرسل إليه رسالة مهرها بكلمة (صنيعتكم) ، فغضب اليازورى منه ، وراجع سفير المعز بالقاهرة بشأن رسالة مولاه ، فلم تجد مراجعته نفعاً ، وأصر الصنهاجى على شق عصا الطاعة حتى كاتب الدولة العباسية يعلن لها الدعوة فى المغرب .

فلما تحقق اليازورى من خيانة الصنهاجى وأن خطره قد استشرى ، بعث إلى زغبة ورياح (وهما قبيلتان عربيتان كانتا تحلان إفريقية) ، هدايا وطرفاً ، وأموالا كثيرة ، وأصلح بينهم ووحد صفوفهم وجمع كلمتهم وأمرهم بمناجزة الطاغية الصنهاجى ، فقاموا بما أمرهم به خير قيام وطاردوا الصنهاجى من مكان إلى مكان ، وهو كالظليم المذعور يفر من مربض إلى مربض حتى ألجاؤه قهراً إلى المهدية [1] ، وسبيت نساؤه وشتت جمعه ، وأخذت أمواله إلى القاهرة فوزعت على الفقراء . وطيف بغلمانه فى الشوارع لإدخال الرهبة فى نفوس من تحدثه نفسه بالانتقاض على المملكة ، وبعد قليل من هذا الانتصار العظيم تمرد بعض قبائل العرب فى البحيرة ، فسير إليهم اليازورى ناصر الدولة ، لثقته به ، ولكونه عربياً ـ فسار ناصر الدولة للبحيرة . يقود جيشاً كثيفاً ، وكان حاسدوه كثيرين وجلهم من المغاربة والمرتزقة والأتراك والسودان ، وكانوا يسعون للقضاء

(١) ناصر الدولة هذا ، غير ناصر الدولة صاحب الموصل ، هذا وقد قتل ناصر الدولة « الفاطمى » شر قتلة إذ هاجمه الأتراك وهو جالس فى صحن بيته متلفعاً بالعباءة وبادروه بالسيوف حتى قضوا عليه .

(١) المهدية ، هى التى اختطها المهدى ، مؤسس الدولة الفاطمية ، وتقع الآن فى تونس .

عليه ، فأرجفوا فى المدينة أن العساكر أبيدت ، وأن المتمردين قادمون للقاهرة ، فاضطرب الناس ، واستعدوا للطوارئ ، وانتشر الخوف فيهم ، ولكن اليازورى ظل هادئاً لم تحركه العواصف الهائجة ، ولم يثر روعه ماأرجف به شانئوه ، وإنه لجالس فى حديقة قصره وإذا بالحمام الزاجل يسقط بجانبه يحمل خبر انكسار بنى قرة فى كوم شريك[1] انكساراً فاحشا فركب اليازورى لساعته ليخبر القصر الملكى بالانتصار ، فاستقبله المستنصر فرحا مسروراً ، لما علم بخذلان العصاة ولكى يمحو ما علق فى ذهن العامة من أراجيف المرجفين ، أصدر رقعة تشتمل على تفخيمه وتزيد فى ألقابه ، فكان منها أن قطعت قول كل مبغض .

وفى هذه المدة كان الفساد ينخر جسم الخلافة العباسية العليلة ، وكانت دولة آل بويه تحتضر ، فانتهز أحد مماليكها ويسمى البساسيرى ، ونازع آخر ملوكها السلطنة ، ونصب نفســه أميراً للأمراء ، ولم يكن الخليفة راضيا عن البساسيرى لاسيما حين علم الخليفة بأنه يكاتب الفاطميين سراً ليقيم لهم الدعوة فى بغداد ، واستغل السنيون هذه الفرصة ، فهجموا على دار البساسيرى ، وأعملوا فيها السلب والنهب ، وحوكم ونفى فى بغداد ، وحرم عليه دخولها فاستشاط غضبا وقصد الشام ، فاجتمع لديه كل ناقم وانضم تحت لوائه كل موتور ، فأعلن الثورة على الدولة العباسية ، وكاتب اليازورى فى ذلك ، ولكن اليازورى كان يتصف بهدوء الأعصاب والتزمت والحذر - وهى صفات لازمة لكل زعيم - فلم يندفع وراء شىء غير مضمون العاقبة ، بل تردد وأحجم عن الجواب حتى وجد الأمر حقيقة لاشك فيها، فطمع حينئذ فى أن تقوم الدعوة لمولاه فى عاصمة العباسيين ، وسير حينئذ إليه الأموال الكثيرة والجنود فعظم أمر البساسيرى بهم واستشرى خطره على الدولة العباسية .

وزحف قاصداً فتح بغــداد فخرج إليه السلجوقيون يمنعونه عما أراد ، فكسر شوكتهم ، ولما علم أن بغداد قد خرج منها طغرل بك تابع الزحف بقوة عظيمة من المصريين والسوريين والفلسطينيين ، فافتتحها عنوة فى أوائل ذى القعدة سنة ٤٥٠ﻫ بعد معارك دامية كان القتال فيها بين الفريقين ليل نهار وأعلن — أى البساسيرى — حينئذ خلع الخليفة العباسى ، كما أعلن إقامة الدعوة الفاطمية ، ثم تابع الفتح وإقامة الدعوة فاستولى على واسط والبصرة ، وأرسل شعار الخلافة إلى الخليفة الفاطمى ، واستقر

---

(١) اسم مكان فى البحيرة وقعت فيه هذه المعركة الفاصلة .

له الأمر فى العراق وضرب السكة باسم الفاطميين ، وهكذا استطاع الوزير اليازورى بواسطة البساسيرى وغيره أن يقيم الدعوة لسيده على منابر المشرق والمغرب وأن يضرب بمقامع من حديد ، على يد كل من تحدثه نفسه بالثورة. واستقامت الأمور له وهدأت أحوال المملكة ، إلا أن الوزير اليازورى كان محسوداً وحساده كثيرين ، وكانوا من طوائف عدة وجنسيات متباينة ، كان محسوداً من المغاربة بطانة الفاطميين ، وكان محسوداً من الأتراك ، وهم الوصوليون الذين يأبون على غيرهم ما يريدونه لأنفسهم .

وكان مبغوضاً من السودان ، أخوال الخليفة لأنه لم يفضلهم على غيرهم ، وهكذا تألبت عليه هذه الفرق لتحط من قدره ، وتنزله من دست الحكم ، ودأبت على دس الدسائس وصنع المؤامرات ، وترويج الوشايات ، حتى صدق المنتصر فأقلعه عنه ، ولم يبق عليه إلا أن ينتقم منه ، بعد أن وثق به مدة تسع سنوات خدمه فيها اليازورى أجل الخدمات فجعل ملكه شامخاً والأمن فيه موطداً ، فاتهمه بأنه يراسل طغرل بك السلجوقى ، ويحسن له المجىء لهدم الدولة الفاطمية ، كما ألصق به تهمة إرسال الأموال الفاطمية إلى القدس والخليل بفلسطين[1] .

فقبض عليه فى أول المحرم سنة ٤٥٠ هـ وأبعده مع زوجاته وأولاده إلى (تنيس[2]) حيث ظل محبوساً فيها حتى أنفذ إليه الخليفة سيافا قطع رأسه ، ثم أرسلت جثته إلى القاهرة فألقيت فى مزبلة ثلاثة أيام ، أخرج بعدها وغسل وحنط وكفن ودفن ، وهكذا

---

(١) قامت الدعوة الفاطمية فى بغداد حين فتحها البساسيرى ، ولا معنى لأن يقيم البساسيرى الدعوة للفاطميين ، بدون أن يكون مبعوثا منهم محاربا بمالهم ورجالهم خاضعا لأمرهم .

(٢) كانت تنيس قديما مدينة كبيرة ، ومقامها فى الوجه البحرى قريبا من دمياط ، ولما ولى مصر عنبسة بن اسحق الضبى الخارجى التقى الورع — وكان مكروها من الرعية لورعه — . . . نزل الروم دمياط يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين ومائتين فملكوها وما فيها وقتلوا بها جما كثيرا ، وسبوا النساء والأطفال وأهل الذمة ، فنهض إليهم الوالى فى قسم من جيشه مع جمع كبير من الناس ، فلم يدركوهم ، ومضى الروم إلى تنيس فأقاموا بأشتومها ، فلم يتبعهم عنبسة ، : فقال يحيى ابن الفضل للمتوكل :

أترضى بأن يوطا حريمك عنوة ... وأن يستذل المسلمون ويحربوا

حمار أتى دمياط والروم وثب ... بتنيس منه رأى عين وأقرب

مقيمون بالأشتوم يبغون مثلها ... أصابوه من دمياط والحرب ترتب

فلا تنسنا إنا بدار مضيعة ، ... بمصر ، وإن الله قد كاد يذهب

ذهب اليازورى ضحية إخلاصه لمولاه . وكان الساعى فى ذلك أخلص أوفيائه وأصفيائه ونعنى به البابلى الوزير الذى خلفه فى منصبه .

وقد أجمع المؤرخون على أن تولية اليازورى الوزارة كانت رحمة على المصريين الذين كانوا هدفا لكل طامع فى ثروتهم ، فهم فى زمنه الرخاء ، وزالت الشدة التى كانت مخيمة على البلاد قبل حكمه .

يقول الدكتور حسن إبراهيم حسن « وبعد زيارة نصرى خسرو بقليل حلت بالقاهرة الأيام السيئة ، وعاودتها المصائب التى لم تشعر بها قبل قرن من تأسيسها وقبض على نواصى العناصر المتألبة المعادية فى هذه الأثناء الوزير اليازورى مدة تسع سنين ، وبذل قصارى جهده فى معالجة خطر المجاعة التى كانت تهدد البلاد، تلك المجاعة التى يصحبها غالبا الوباء والبؤس العام ، وما يتبع ذلك من الفوضى والجرائم ووجد اليازورى فى مخازن الغلال التى كان مستوليا عليها ما أبعد ذلك الخطر مدة حياته ، غير أنه بعد قتله بقليل ، لم يكن هناك من يقف فى وجه هذه العناصر المتطاحنة . ويبين لنا مبلغ تزعزع مركز الحكومة بعدقتل اليازورى ، ما كان من تعاقب أربعين وزارة مختلفة فى تسع سنوات » .

وقال ابن ميسر «واستخدمت (أم المستنصر) وزيرها اليازورى فأمرته بذلك ، (بتفضيل البعيد على الأتراك) ! ! فلم يقبل وساس الأمور أحسن سياسة ، إلى أن قتل ، ووزر بعده البابلى وأمرته بذلك فأخذ بأسباب ما أمرته به ، فتغيرت نياتهم وصار فى قلب كل طائفة من الأخرى إحن ، فكانت بذور الخراب » (١) .

° ° °

هذا هو وزيرنا اليازورى الذى سعى لكى يوحد الأقطار العربية بزعامة مصر ، وكان ذلك قبل تسعة قرون فلم يكتب لعمله التمام .

حسن عبد العزيز نصر

---

(١) فى ابن ميسر ص ١٠ أن البابلى سعى فى قتل اليازورى كل السعى ، وقابل إحسانه بهذا الجزاء ، ويقال : إنه جرد إليه من قتله بغير أمر المستنصر ، فلما اطلع الخليفة على ذلك أعظمه وحقد على البابلى ، وعزله بعد شهرين من تولية الوزارة .

وفى ابن منجب ص ٦٤ أن اليازورى كان لا يأذن بدخول أحد عليه يوم الجمعة إلا البابلى لمالقته عليه ، ولم ينتفع اليازورى بشىء من ذلك ، لما قبض عليه ، ورد التدبير إلى هذا الوزير بل سيره إلى تنيس واجتهد فى قتله .

شعر القاضي الفاضل

للدكتور أحمد أحمد بدوى

اشتهر القاضى الفاضل فى الأدب العربى برسائله النثرية وطريقته الفاضلية فى الكتابة وحجب ذلك شهرته بالشعر، مع أن الرجل كان حريصاً على أن يكون كاتبا شاعرا معا؛ فله ديوان شعر كبير جمع فنون الشعر المعروفة فى عصره.

وكان الفاضل يؤمن بمجد الشعر وخلوده، ويرى الدهر عاجزا عن القضاء عليه، وعد الفاضل من مفاخره أنه ذو شعر خالد على الزمن.

وشعره يمتاز، كما يمتاز نثره بحب الصناعة اللفظية، فهو لا يكاد يدع نوعا منها، إذا تأتى له استخدامه؛ ولهذه الناحية من خصائص شعره أعجبَ رجال الصناعة به، ومثلوا لألوانها المختلفة بشعره، مسجلين له أعظم تقدير وإعجاب، أما أولئك الذين لا تعنيهم هذه الصناعة فلا يرتفعون فى تقدير شعره إلى هذا المستوى، كصاحب قلادة النحر، فإنه قال: «وله فى النظم أشياء حسنة»[1].

والواقع أنك لا تكاد تجد قطعة تخلو من لون من ألوان هذه الصناعة التى أتقن القاضى الفاضل سبكها.

وإلى جانب ذلك لا يسرف الفاضل فى استعمال الألفاظ الغريبة، وعبارته محكمة النسج، ومعانيه واضحة إلا فى القليل.

وكان لعصره أثر كبير فى شعره، وإذا كان هذا الشعر الذى بين أيدينا لم يتحدث إلا قليلا عن الحروب الصليبية التى دارت فى عهد صلاح الدين، وكان الفاضل وزيره، فذلك لأنه أشبع تلك الرغبة فيما كتبه من رسائل كانت لها قيمة كبيرة فى عصره.

وتعددت أغراض شعره، ولهذا أرى من الخير أن أخص كل غرض بكلمة:

الغزل:

فن من الفنون التى أكثر منها القاضى الفاضل، قاله لا يشرك به غرضا غيره أو قاله فى مفتتح أغراض أخرى، وهو كالغزل التقليدى المتوارث: حديث عن الرضا

---

(١) قلادة النحر ١ : ٣٧٦.

والغضب ، والقرب والبين ، ولذة الوصل وضنى الهجر ، وثقل الوشاة ، وبغض العذال والرقباء ، وعدم الإصغاء إلى لومهم وما يزعمونه من النصح .

وليس ما قاله الفاضل من ذلك كله ناشئا عن رغبته فى التمرن على بليغ القول من غير أن يكون صادرا عن عاطفة حقيقية صادقة ، بل إنك لتحس بحرارة هذه العاطفة تظهر فى الحين بعد الحين ، وأظهر ما يتجلى فيه ذلك ما أنشأه فى حبيبه المريض ، إذ يقول :

يا يوسف الحسن الذى أنا مذ شكا
في سجن يوسف من أسى وتأسف
يا سقمه ، رفقاً بمدنف جفنه
وترفقاً أيضا بقلب المدنف
لو كان من رسم القلوب تصرف
أخفيت من جسمى لك القلب الخفى
أو كانت الحمى تقيد نارها
بالماء كانت من دموعى تنطفى

أو حين يقول :

لكل حبيب يا حبيب رقيب
ومن كل جسم للسقام نصيب
وإنى فى أهلى ودارى ، لما أرى
عليك من السقم الغريب ـ غريب
أغيب برغمى ، ثم أحضر عنده
فأنظر آثار الضنى ، فأغيب

أو حين يقول :

ما منك لى خلف ولا عوض
إنى لجوهر ذاتك العرض
أفديك بالقلب العليل ، وبالطر
ف الذى بك ليس يغتمض
وأقول إذ عادوك من مرض
بالعائدين ، ولا بك المرض

ولا عجب فمرض الحبيب خليق أن يثير فى النفس أعنف العواطف وأصدقها .

وقد أشاد القاضى الفاضل بالجمال ، وماله من صفات تلذ السمع ، وتشوق البصر . ومن أكبر ما تغنى به هذه الهالة من النور ، آشع من وجه الحبيب ، فتغمره بالسناء ، وتحيطه بالضياء ، فتسمعه يقول .

زارت ، فزارك فى الظلام ضياء
عشيت به عن لحها الرقباء

ويقول :

ومضىء شمس الوجه لم يهدالهوى
فى خاطرى إلا سراج ضيائه

ويقول :

بأبى بدر يضىء به
خاطرى إن لاح أو غربا

ويقول :

وأفرط أنواراً ، فضل مكانه
وأفرطت إشفاقا ، فضل مكانى

وتغنى بالقدود اللينة ، والخصر الأهيف ، والعيون النجل ، والحواجب المقوسة ،

والخيلان تزيد بياض الخد بهجة وجمالا ، والأسنان كالأقحوان ، والخدود كشقائق النعمان :

ضرب اللثـــام على شقيـ
ـق ، والشفاه على قـــداح
وأظن ورد الخد يسـ
ـقى من مراشفه براح

ويقول :

يا هـــلالا ، إذا أنار ضللنا
وقضيبا إذا تثنى تــــانا
بينما جلنار خدك يبدو
إذ رأينا فى صدرك الرمانا

ومن أجمل ما قاله فى ذلك وصفه لينَ الخدود ونعومتها التى لم يذقها بغير عينه :

وما ذاق إلا ناظرى لين خدها
وعن وصفه قلت :الخدود نواعم

وأسرف الفاضل كثيراً فى تشبيه شعر الصدغ بالعقرب ، وولد من ذلك معانى كثيرة كانت معينا لمن جاء بعده من الشعراء ، يقتبسون منها ، ويستقون من ينبوعها ، ويطول بى القول إذا أنا تتبعته فى هذه المعانى ، وحسبى أن أشير إلى غزارتها ؛ فهذا الشعر حينا جزء من ليل هام بالحبيب . فقبل خده وأسبل عليه جزءاً منه :

سرت فكأن الليـل قبل خدها
فأبقى به قطعاً ، وأسبل عقربا
فما استغربت فى موطن الحب غربتى
فهـذا الدجى فى صبحها قد تغربا

وهذه العقرب تحول بينه وبين روض الخد ، فهى الحاجز بينه وبين السعادة :

على كل خير مانع ، وبحسنه
يرق ، ويجفو . رقبـة للراقب
فيمنع ورد الخـد شوك ملاصق
ومن دون روض الخد شوك العقارب

وهى عقرب عجيبة فى لسبها :

فقربها أبعـد من لسبها
وبعـــدها أدنى من اللسب

وعجيبة فى خلقتها :

ما عقرب إلا لهـــا شوكة
وعقـرب الخـد لهـا وردة

وهى من المسك ، ولكن جمر الخد لا يأكلها ، أوهى بقية من ليلة لم يوقظها الفجر :

وعقرب فى الخـد من مسكة
أمسـك أن يأكلها الجمر
بقيـة من ليـــلة للرضـا
نامت ، وما أيقظهـا الفجـر

إلى غير ذلك من خواطر صورها .

كما أكثر من الحديث عن ورد الخـدود وتلهبهـا .

وحيناً يجمل فى صف الحسن ، فيراه يجلى لقدرة الله :

شرفت آيات خالقه
وإلى تمييزها ندبا
آية فى الحسن تشهد لى
كان من آياته عجبا

أو هو بعض ولدان دار النعيم ، أكثر جمالا من القضيب والحقف والظبي والهلال :

لا كمثل القضيب ، والحقـ
ـف ، وريم النقا ، ووجه الهلال
تلك أسماؤكم ، وسميتموها
لوجوه أخرى ذوات جمال
وعلى قائلى لباس من الحسـ
ـن تعالى عن الطراز العالى

وحيناً يوازن بين من يهوى وبين القمر ، فيرى القمر أقل بهجة وحسنا :

فليرغم القمر الذى
فى وجهه أثر الرغام (١)
إن قلت : حسن الوجه نا
ل فلم ينل حسن القوام
ما كان مضروب الغيا
م نظير مضروب اللثام

ويقول فى أخرى :

أقسم يا بدر لو عقلت ، وقد
أبصرت تلك الأنوار لم تنر
سر ، لا تقف ، واستعن بأجنـ
ـحة السحب إلى وكر مغرب ، وطر
ما أنت يا شيخنا الكبير كمن
أضحى كبير الجمال فى الصغر

ووصف لنا القاضى بين ما وصف حديث الحبيب ، ووعده ، وعتابه ؛ أما حديثه فالروض :

رب بستان حديث بيننا
فتح العتب به ورد الخجل

بل هو در يقتنى ، وإن الألفاظ تخرج من فمه متعثرة ؛ لأنها سكرت بخمر ريقه العذب :

فيالك من در من اللفظ مقتنى
ويالك من خمر من اللفظ تعصر
يمجمج ألفاظا بخمرة ريقه
سكارى الخطى فى ذيلها تتعثر

وأما وعده فسراب :

قالوا : تعلل ، إن بقيت ، بوعده
هيهات ، غيرى غرّه بسرابه

وهو مع ذلك يقنع به ، ويرضى :

لقنعت من عدة
ووصل بالخيال وبالمحال

ويتمنى هذا الوعد الكاذب :

يا مانعى حتى مواعيده
من لى بوعد منك كذاب

بل يرى فى الوعد المطول لذة ونعيما :

---

(١) الرغام : التراب .

يا من ينفرنا بمطلهم
وبه جرت قدماً رسومهم

في المطـــل معنى لست تعرفه
لا زال مطـــولا غريمهم

دع مطلهم ، فالمطل يذكره
وعسى على الذكرى نديمهم

في المطل تعذيب يطيب له
يا طيب ما فيه نعيمهم

وأما العتاب فهو ـ مع قسوته ـ محبب إليه ، لأنه عنوان الحب ، ودليل الصلة القلبية القوية :

حشد الذنوب على يوم عتابي
حتى لأذكرني بيوم حسابي

أهلا بهذا العتب ، فهو مبشري
أنى لأحبابي من الأحباب

يشعر الفاضل بأن الحبيب يسكن القلب ويملكه هذا الخاطر ملكا قويا ، فيحس كأن الحبيب يشعر بما يجول في نفسه من أمان وإحساسات :

ذكرتك ذكرى ، أنت في القلب ربما
شعرت بها في القلب كيف تجول

ويعجب كيف استطاع أن يسكن القلب ، وفيه نيران متقدة من الحب :

أسكان قلبي ، كيف جاورتم الأسى
به ، وهو نار بالدموع تسيل

بل هو قلبه الذي لا يستطيع هجرانه :

ويأمرني من لا أطيق بهجرها
وحسبي به لو كان ينظرها حسبي

يشير على جسمي بفرقة قلبه
بقيت كذا هل كان جسم بلا قلب

فلا غرابة أن يرحل القلب برحيل الحبيب فهو وطن وفي لأهله ، يرحل برحيلهم ، ويقيم بإقامتهم :

أستصحبا قلبي ، وكان محله
وإن كان من جور الفراق محيلا

عجبت لدار من وفاء بأهلها
أجدت ، وقد راموا الرحيل رحيلا

وقد أوحى الفراق إلى الفاضل بخواطر كثيرة من الشوق واللوعة لفقد الأحباء والقلوب معهم :

وكم بت عطشانا إلى مورد السلى
وإن كنت في بحر الدموع غريقا

فريقين ودعنا : فريقا أحبة
تعز علينا ، والقلوب فريقا

ولا روح في الشكوى وأية راحة
بما سر أعداء ، وساء صديقا

ويرى دارهم قد نقشت على قلبه وعينه ، فلا يبرح رسمها ماثلا أمامه ، أما الضوء الذي ينير الحياة فقد رحلوا به ، ولا تستطيع الشمس والقمر أن يعوضاه عما فقد :

إني فقـــدت أحبتي نظرا
ووجدت بعـدهم الثوى (١) أثرا

(١) الثوى : الهلاك

تركوا على عيني ديارهم
وعلى فؤادي الشوق والفكرا
ظعنوا بنور لست أسأله
لا الشمس بعدهم ولا القمرا

ويرق حين يرسل التحية إلى الحبيب المفارق ، فيقول :

يا لمعة البرق ، بل يا هبة الريح
روحي بجسمي إلى من عنده روحي
خذي لهم من سلامي عنبرا عبقا
وأوقديه بنار من تباريحي
ناشدتك الله إلا كنت مخبرة
عنى بأنهم ذكرى وتسبيحي

وإذا كان الفراق يثير فيه اللوعة والأسى ، فلا جرم كان يخافه ، ويخشى نذره ، ويتمنى أن لو أخلف الدهر هذه النذر :

أرى نذرا للبين صرح وعدها
على إذا ما الدهر أخلفها نذر

وليس بكثير فى الحب خوف الفراق ؛ فإن الحبيب هو الذى يكسب الدنيا بهجة ، ويملؤها جمالا . ويبعث فيها الأمل ، ويحيي ميت الأمانى ، وقد صور الفاضل هذا الإحساس فى قوله :

وقد كانت الدنيا التى لم يكن بها
إذا اخضر منها جانب جف جانب
بدت لى بها دنياى خضراء كلها
فلا منظر إلا وفيه مآرب

وإذا كانت الدموع تلازم بعض أحوال الحب ، فقد أطال الفاضل فى الحديث عنها ، ووصفها ووصف مصدرها . فالدموع هى التى تكشف الشوق وتصفه :

ولولا دموع يكشف الشوق وصفها
لما وصف الشوق الذى بى واصف

والدمع كتاب الحبيب لا يكذب ، يرسله لمحب ، ليقبل ترابا سار عليه الحبيب :

كتاب إليه من فؤاد معنون
وما كان فى العنوان لا عن ولا إلى
ومن رأى قلبي أن يقبل تربه
فيرسل ثغر الدمع عنه مقبلا

وليس هذا الدمع سوى دماء تسيل منه ، يروى بها ورد الخدود :

ترى من دموعى قبل ترجع من دم
سقيت ، فأطلعت الأقاح شريقا
فلما جرحت القلب صارت مدامعى
دماء ، فأورت وجنتيك شقيقا

ويرى تلازما بين الحب والدموع :

ما دام وجه ينجلى عن روضة
فعلى عين تنجلى عن منهل

وهى التى تطرز ما كسته الصبا لديار الحبيب من التراب بعد فراقهم لها ، وعنوان ما بقلبه من هموم وأشجان ، وهو يعجب كيف تسح عينه الدمع بحارا ، ثم لا يغرق الحب ، بل ظل حيا قويا :

وقد أغرق الدنيا بدمع جفونه
ولم يتفق فى ذاك أن يغرق الحب

وأكثر كذلك من الحديث عن العذل والعذال ، فهو يحتمل الآلام فى سبيل الحب ، ويخفى كربه فى قلبه كى لا يسر العذول بإظهار آلامه :

وفى القلب كرب لا أسر عذوله
بقول إذا ماضقت بالكرب : واكربى

ويشعر بالعذول ثقيل الظل ، لا يطيق لكلامه حملا ؛ تلمس هذا الإحساس فى جمع القاضى بين العذول والجبل فى قوله يخاطب العاذل :

وما يخف على قلبى حديثك لى
لا والذى خلق الإنسان والجبلا

ويخبر العذول بأنه لن يصغى إلى حديثه ، ولو أنفق فى لومه عاما كاملا :

دع اللوم يا عاذلى
فما أنت بالعادل
ولا تكثرن الملام
وأقصر ، فهذ الكلام
على الصب مثل الكِلام [1]
ولو قمت فى كل عام
تلوم إلى القابل
فما أنا بالقابل

ويرى فى العذل جلاء يصقل الحب :

وما الحب إلا الحسام الصدى
إذا العذل مر به يصقل

وحينا يثور ، فيرى فى اتباع العذل حزما ، ويراه هدى لو أن له قلبا يصغى ، أو أذنا تسمع :

لعمرى لقد بصرت لو نفع الهدى
وحقا لقد أسمعت إن سمع الصم
أعاذل ، ما الحزم إلا اتباعه
طريقك ، لكن ربما قلب الحزم

ووقف القاضى الفاضل على الديار يتعرفها ويسألها ، كما وقف الأقدمون ، ولكنه لم يكثر من ذلك ، ولم يطل فيه والديار التى يبكيها ديار تعفيها الرياح ، ولم تبق على رسومها ، فتسمعه يقول :

عرفت داركم ؛ والركب ينكرها
قلبى ، وإن جهلت عينى ، يخبرها
ما كادها الريح قدما حين ينسفها
وإنما خلفهم أمسى يسيرها
يا دار كنت لأفلاك الهوى فلكا
فما استطعتك أفلاكا أسيرها

وحينا يغلب عليه مذهب أبى نواس ، فيأبى الوقوف على الأطلال العافية ، ويقول :

ويستوقف العشاق فى الربع إن عفا
سواى ، على ربع عفا لا أوقف

ويأخذ القاضى عن بشار مبالغته فى وصف

---

(١) الكلام : جمع كلم ، وهو : الجرح

نفسه بالضآلة ، حتى لا تكاد تتبينه العين
وإذا كان الفاضل ضئيلا فقد أسرف مبالغا
فى وصف هذه الضآلة حين يقول :

مثل الكتاب ضنى ، ومثل يراعه
بل خطه ، بل شكله المتفانى
لم يبق منى فى العيون بقية
والله يبقى لى الذى أفنانى

كما نلمس هذه المغالاة فى وصف آلامه
وهمومه ، إذ يقول :

وما الغيث إلا من دموعى ساكب
ولا الرعد إلا من حنينى نائح
ولا العمر إلا من أسى متراكم
ولا البرق إلا من زفيرى لائح

وحينا يصف أساه وصفا معتدلا فيقول :

لو كان منه باسما لى الصباح
ما كتم التقطيب عنى الأقاح
فما لعين عن رياض رضا
ولا لبرح [1] عن فؤادى براح
لا مرحاً صرت ، ولا مشتهى
أفقدنى فقد الملاح المراح

ويتسم أكثر غزل القاضى الفاضل بمسحة
من الألم قل أن تفارقه، فأكثره أنين وشكوى ،
وقل أن تجد فيه فرحة اللقاء أو سرور
الوصل ، كقوله :

يا ليلة بات فيها البدر معتنق
والناس بالبدر والظلماء فى شغل
بتنا نفض عقوداً للحديث ، فإن
فصلتها فبتشذير من القبل
قل فى الزلال إذا وافى على ظمأ
فقد دلت على التفصيل بالجمل

وقوله :

وبات يحيينى على رغم كاشح
بما لم أكن ـ لولا الرضا ـ أتمناه
بخمرين : خمر فوق وردة خده
برق ، وخمر فى أقاح ثناياه
فولى ضياء الصبح من خوف فرعه
وولى ظلام الليل خوف محياه
وقد غبت من فرط السرور بقربه
كأنى ما ألقاه ليلة ألقاه

وأجاد القاضى الفاضل فى تشبيه بمغنية
مجيدة ، ووصفها ، ووصف مجلس غنائها ،
ووصف العود فى يدها ، إذ يقول :

تلذ بجنتهـــا أعين
وفيها الذى تشتهى الأنفس
لها نظرة إذ تحشّى بها
يغض لها عينه النرجس
وجاءت بعود لها خاطب
فزم لهيبته المجلس
إذا هى جست مضت بالصوا
ب ، فالناس من بعدها خبّس

---

(١) البرح : الشدة والأذى .

لها معجز إن تأملته
فما سر إعجازه مبلس[1]
أما العود من قبلها أخرس
وفى يدها ينطق الأخرس
كأن المدامة من لحظها
ونار الغرام بها تقبس

ولا يخرج القاضى الفاضل فى تشبيهاته الغزلية عما ألفته العربية من التشبيهات ، ولكنه فى كثير من الأحيان يحور ويولد ، حتى يصبح التشبيه طريفا مقبولا ، وها هو ذا يشبه وجه من يحب بالهلال ، فيميل به عن الطريق المألوف ، ويقول :

قلت إذ قلّب المدلل وجها
طالبا من سمائه شوالا
وعيون الرائين قد أبصروه
فتناسوا به الهلال ، وهالا :
خذ مرآة ، وانظر محياك منها
يبد منها السحاب منك هلالا

وهكذا يجرى القاضى الفاضل فى أكثر تشبيهاته فى الغزل .

ولا يفوتنى قبل أن أتم فصل غزله أن أشير إلى أمنية تمناها ، ودفعته إليها رغبته فى قرب حبيبه ، فكان ذلك سبباً للدعاء عليه ، فقد تمنى ، وحبيبه مريض ، أن يكون أحد مضاجعه ، وألا تفارق الحمى حبيبه أبدا ، فقال :

ألا ليتنى إحدى مضاجع سُقْمه
وياليتها ليست تجافى له جنبا

(البقية فى العدد القادم)

الدكتور أحمد أحمد بدوى

(١) أبلس : يئس وتحير .

(بقية المنشور على ص ١٠٩٣)

من قادة الفكر الإسلامى وتناقشوا معهم فى رسالة الجمعية وكيف يجب أن توالى هذه الرسالة الإنسانية حتى تتأكد الصلة بين المسلمين فى بلاد العالم الإسلامى وبين إخوانهم المقيمين فى أمريكا .

ولعله يسر القارئ الكريم أن المؤتمر التاسع للاتحاد قرر أن يعقد مؤتمره العاشر فى يوليو من عام ١٩٦١ بمدينة القاهرة وستنظم رحلة جوية لجميع أعضاء المؤتمر من الولايات المتحدة إلى القاهرة حيث يعقدون مؤتمرهم وينزلون ضيوفا على الجمهورية العربية المتحدة ثم يزورون بعد ذلك أهم مدن دول الشرق العربى وخصوصاً الأماكن المقدسة فيها وبالأخص مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس فلا يسعنا إزاء ذلك إلا الترحيب بهم فأهلا بهم بين ذويهم وسهلا بهم داخل أراضيهم .

الدكتور محمود يوسف الشوارى

شىء من النقد ... !

للأستاذ على العمارى

— ٢ —

نتابع فى هذا العدد الحديث عن قصيدة « الطيف » للبارودى وهى تنيف على ستين بيتا ، وليس منها فى الغرض الذى قيلت فيه غير أربعة عشر بيتا ، وقد ظهر أخذ البارودى عن المتقدمين واضحا فى هذه المعانى ، وهو لم يأخذ عن المتقدمين أحسن معانيهم ، وإنما أخذ أهونها ، ونحب أن نعرض صورة موجزة كل الإيجاز لحديث المتقدمين عن الطيف .

قال الشريف المرتضى فى أماليه : أول من ابتدأ هذا المعنى ـ القول فى الطيف ـ قيس ابن الحطيم ، وكل الناس فيه عيال عليه ، فى قوله :

ما تمنعى يقظى فقد تؤتينه
فى النوم غير مُصرد محسوب [1]

كان المنى بلقائها فلقيتها
فلهوت من لهو امرئ مكذوب

وقال أبو تمام :

زار الخيال لها ، لا ، بل أزاركه
فكر ، إذا نام فكر الناس لم ينم

ظبى تقنصته لما نصبت له
فى آخر الليل أشراكا من الحُلم

ثم اغتدى وبنا من ذكره سقم
باق ، وإن كان معسولا من السقم

وله :

ما زارك الخيال ولكنـ
ـك بالفكر زرت طيف الخيال

ثم جاء البحترى فأكثر من الحديث عن الطيف ، حتى نسب إليه فقيل : (خيال البحترى) ومن ذلك قوله :

أرانى لا أنفك فى كل ليلة
تعاود فيه المالكية مضجعى

أسَر بقرب من مُلم مسلم
وأشجى ببين من حبيب مودع

ويقول صاحب العمدة : إن أول من طرد الخيال طرفة بن العبد فى قوله :

فقل لخيال الحنظلية ينقلب
إليها فإنى واصل حبل من وصل

ومن قول البحترى فى الخيال :

(١) التصريد : التقليل ، وفى السقى ، دون الرى.

هـــذا الحبيب فرحبا بخياله
أنى اهتدى والليل فى سرباله !
بل كيف زار ودونه مجهولة
من سبسب قفر يمور بآله [1]
سار تجاوز من شقائق عالج
بعد المدى ، من سهله وجباله

وكذلك :

أمنك تأوب الطيف الطروب
حبيب جاء يُهدِى من حبيب
تخطى رِقبة الواشين (شزرا)
وبعد مسافة الخرق المجوب [2]
يكاذبنى وأصـدقه ودادا
ومن عجب مصادقة الكذوب

هؤلاء الشعراء تناولوا معانى فى الطيف ؛ فصاحبة قيس تعطى فى المنام ما تمنعه فى اليقظة وأن المنى فى لقائها تحققت بلقاء خيالها ، والشاعر لها ، ولكنه لهو امرئ مكذوب لاحقيقة له ، وأبو تمام جعل الخيال زائرا ثم أضرب لجعل الفكر هو الذى جلب الخيال وقد نصب لهذا الطيف شباكا من الأحلام فاصطاده ولما جاء الصبح ذهب الخيال ، وترك سقما ، ولكنه سقم حلو ، وهو تعبير جميل (معسولا من السقم) .

أما البحترى فصرّف القول ، فهو فى كل ليلة تزوره المالكية فى النوم يسر ، ويشجى ، يسلم عليه الحبيب ثم يودعه ، ويعجب كيف اهتدى إليه هذا الطيف ، فى ظلمات الليل ، وكيف وصل ودونه أرض مجهولة واسعة ، يضل سالكها ، وينقطع السائر فيها دون الوصول إلى غايته ، ولكن هذا الخيال ، تجاوز الرمال ، والجبال والسهول ، ولم يعبأ بظلام الليل ... وهكذا .

فماذا صنع البارودى ، ابتدأ بأن طيف سميرة (تأوب) وهو لفظ البحترى ، ثم جعله يطوى سترته الظلماء ، ويتخطى الأرض ، ويتحمل أهوال الظلام ، ويعجب كما يعجب البحترى : كيف وصل إليه . ودونه محيط من البحر الجنوبى زاخر ؟ وتقصير البارودى ، ليس فقط فى هذا الاتباع الواضح ، وإنما هو فى عدم تسجيله ما يحدثه الطيف من انفعال فى النفس ، فالبارودى لم يدخلنا قلبه لنرى فيه مشاعره وأحاسيسه التى أثارها الطيف ، بل جعل يحدثنا عن رحلة الطيف ، من مصر إليه ، ثم عودته سريعا ، وعن صاحبة الطيف التى لم تدر ما الليل وما السرى ، وقد جهدت أن أعرف الحالة النفسية التى كان عليها البارودى فى نومه عندما زاره خيال سميرة ، هل كان متألما حزينا ؛ هل اضطربت أوصاله حين

(١) السبسب : المفازة . المور : الاضطراب ، والآل : السراب . وعالج : اسم مكان .

(٢) الخرق : الارض الواسعة . المجوب : المقطوع

قام من نومه فلم يجد شيئا أمامه ؟ هل قال كما قال الشاعر العربي الأول :

وإنى لأستغشى وما بى غشية
لعل خيالا منك يلقى خياليا

على أى حال ، لم يدخلنا الشاعر نفسه ، ولم يطلعنا على وجدانه ، فقط ، بيت واحد أشار به إلى ارتياحه لوجود الطيف حيث قال:

ألم ولم يلبث وسار وليته
أقام ، ولو طالت على الدياجر

أما أوصافه ، فهى (من الظاهر) وأعتقد أنها لا تأثير لها على أحد ، فنفس القارئ لا تنفعل إذا لم ينقل إليها الشاعر انفعاله .

وواضح من شعر المتقدمين أن بعضهم يجعل الطيف نابعا من الفكر . وعلى ذلك جاء قول أبى تمام : (لا ، بل أزاركه فكر) . وبعضهم يجعله وافدا من خارج النفس ، يتخطى إليها الأهوال [1] ، أما البارودى فقد خلط بين المذهبين ، فجعله أولا متأوبا ، جائيا إليه بقطع الليالى ، ثم جعله نابعا من الخواطر (وما الطيف إلا ما تريه الخواطر) ثم عاد إلى المعنى الأول فقال إنه تخطى إليه البحار والقفار ، والليل والنهار ، فلم يثبت على مذهب واحد ، مما يدلنا على أنه يغالى فى التقليد ، فيغفل عن التناقض بين المعانى ، على أن قوله (وما الطيف إلا ما تريه الخواطر) - وإن تضمن ، أنه دائما يذكر بنته هذه ، فطيفها إبراز لما فى نفسه - هو أشبه بالتعاريف المنطقية .

ومن اتباع البارودى وتقصيره قوله :

ولولا تكاليف السيادة لم يخب
جبان ، ولم يحو الفضيلة ثائر

فقد أخذه من قول المتنبى :

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والإقدام قتال

والفرق بينهما جد واضح ، لا يحتاج إلى بيان .

وقوله :

فلا أنا إن أدنانى الوجد باسم
ولا أنا إن أقصانى العدم باسر

وقد سبق إلى هذا المعنى - وأجاد - حاتم ابن عبد الله الطائى ، حيث يقول :

رضينا زمانا بالتصعلك والغنى
وكلا سقاناه بكأسيهما الدهر

---

[1] بهذه المناسبة ، عرض سويد بن أبى كاهل اليشكرى للطيف فى قوله :

هيج الشوق خيال زائر
من حبيب خفر فيه قدع
شاحط جاز إلى أرحلنا
عصب الغاب طروقا لم يرع
آنس كان إذا ما اعتادنى
حال دون النوم منى فامتنع

وقد ضبط شارحا المفضليات « أحمد شاكر ، وعبد السلام هرون » كلمتى « شاحط وآنس » بالكسر ، وقالا : إنهما نعتان لحبيب ، والذى عندى أنهما بالرفع وصفان للخيال .

فما زادنا بأواً على ذي قرابة
غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

ومن عرض لهذا المعنى وأجاد هدبة بن خشرم العذرى :

ولست بمفراح إذا الدهر سرنى
ولا جازع من صرفه المتقلب

فالصياغة فى النصين أقوى من صياغة البارودى ، والمعنى واضح فيهما ، و (إذا) فى قول هدبة أجود من (إن) فى قول البارودى ، لدلالة إذا على التحقق ، ودلالة إن على الشك ، وقد نفى هدبة شدة الفرح ، كما نفى الجزع ، لأن الذى يعاب به الإنسان أن يبطره الغنى ، أو يخضعه الفقر ، كما نفى الجزع ، لأن الذى يعاب به الإنسان أن يبطره الغنى ، أو يخضعه الفقر كما نفى حاتم أن يكون الغنى زاده كبرا على ذوى قرابته ، أو أزرى الفقر بأحسابه ، ثم إنه قال إنه ذاق الغنى والفقر ، ورضى بهما ، والبارودى نفى أن يبتسم عند الغنى ، وليس هذا مما يعاب على أحد ، ولكنه يريد المبالغة ، ثم إنه ذكر أدنى وأقصى ، دون أن يعديهما المعقول ، فلا يدرى القارىء مم أدناه الغنى ، ومم أقصاه الفقر ، هل أدناه من الناس ، أو من طيبات الحياة ـ مثلا ـ وذكر المعقول هنا ، مع أنه يرفع الغموض ، يعطى معنى جديدا ، والنسج ـ كما هو ظاهر ـ ضعيف .

ومن ذلك قوله :

فقد يستجم المال والمجد غائب
وقد لا يكون المال والمجد حاضر

فهو ينظر إلى قول المتنبى ، ويعارضه :

فلا مجـــد فى الدنيا لمن قل ماله
ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

ويوافق قول الآخر :

قد يدرك المجد الفتى ورداؤه
خلق ، وجيب قميصه مرقوع

وسر جمال هذا البيت الأخير ، أن الشاعر أولا نصَّ على الذى يدرك المجد . مع الفقر وهو (الفتى) فليس كل إنسان يستطيع هذا وثانيا صور هذا الفقر بصورة تبعد الأمل فى أن يدرك هذا الفتى المجد ، أما كثرة المال عند البارودى ، وقلته ، أو عدمه ، فليس فيه هـذه الصورة ، التى قصد الشاعر أن يكون عليها من يدرك المجد لعلو نفسه ، وصدق عزيمته ، ثم المجد حاضر ، والمجد غائب ، أضعف بكثير من (يدرك) لأنه ليس فيها نص على أن الفقير قد اتصف بالمجد إلا بطريق الكناية ، والحقيقة هنا أقوى ، فلو قال ، قد يصبح الفقير ماجدا مثلا ، لكان أحسن من قوله (والمجد حاضر) .

وفى البيت خطأ آخر ، وهو إدخال (قد) على الفعل المنفى ، قال صاحب القاموس : « وقد الحرفية مختصة بالفعل المتصرف

الخبرى المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس، وأما قول الشاعر (وقد لا تعدم الحسناء ذاما) فهو شاذ .

ومن أخذ البارودى قوله :

فما الفقر إن لم يدنس العرض فاضح
ولا المال إن لم يشرف المرء ساتر

ومن الذين سبقوه بهذا المعنى السموءل بن عاديا :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس إلى حسن الثناء سبيل

وكل ما فعله البارودى أنه جعل معنى بيتى السموءل فى بيت واحد ، وهذا الإيجاز إن كان فضيلة فهو يصغر أمام عذوبة ألفاظ السموءل ، وإيضاحه المعنى ، وتأكيده أن لا سبيل إلى الثناء الحسن ، إذا كانت النفس صغيرة ، مهما كان عندها من مال وجاه ، وتعميمه فى جمال كل هيئة يظهر فيها الإنسان إذا تنزه عرضه عن اللؤم .

٢ — وقد تحدث البارودى عن الصبر حديثا مضطربا فقال :

صبرت على كره لما قد أصابنى
ومن لم يجد مندوحة فهو صابر
وما الحلم عند الخطب والمرء عاجز
بمستحسن كالحلم والمرء قادر
ولكن إذا قل النصير وأعوزت
دواعى المنى فالصبر فيه المعاذر
إذا المرء لم يركن إلى الله فى الذى
يحاذره من دهره فهو خاسر
وإن هو لم يصبر على ما أصابه
فليس له فى معرض الحق ناصر

فمع أنه أخذ معنى البيت الأول من قول أبى العتاهية :

ليس لمن ليست له حيلة
موجودة خير من الصبر

ومعنى البيت الثانى من قول المتنبى :

كل حلم أتى بغير اقتدار
حجة لاجىء إليها اللئام

مع هذا قد أخطأ فهم معنى بعض الألفاظ ، واضطرب فى شعوره العام ؛ فهو لم يحمد صبره لأنه على كره ، ثم جعل هذا الصبر حلما فى البيت الثانى ، ومعلوم أن العجز لا يعد حلما ، ولا يسمى حلما ، وهذا ظاهر من بيت المتنبى، ثم عاد فامتدح الصبر على الإطلاق فى البيت الأخير ، وجعل فى الصبر المعاذير إذا لم يجد الإنسان نصيرا فى البيت الرابع ...

ولولا أن الحديث يطول لذكرنا أكثر معانى البارودى ورجعناها إلى أصلها ، مع بيان تقصيره عن السابقين .

٣ — معانى البارودى — فى جملتها — عادية ، لا تحتاج إلى إمعان نظر وربما خفيت

على بعض القارئين ولكن ذلك غير راجع لدقتها ولطفها ، وإنما يرجع إلى عدم فهم معانى الألفاظ ، فإذا فهمها القارئ لم يجد فى المعنى دقة ، ولا بد للشاعر أن يرتفع بالقارئ عن المعانى العادية . وفى ذلك يقول (بول فاليرى) : « إن الشعر هو الكلام الذى يراد منه أن يحتمل من المعانى ، ومن الموسيقى أكثر مما يحتمله الكلام العادى ، والشاعر الجيد حقا ، يمتاز من غير الجيد بأنه إذا تحدث إليك لم يمكنك أن تسير معه كما تسير مع نفسك ، وإنما يضطرك أن تفكر وأن تجهد نفسك فى أن تفهمه وتحسه وتشعر به » .

وهذا الرأى قديم فى بلاغتنا العربية ، وما حديثهم - ولا سيما الشيخ عبد القاهر - فى التشبيه القريب المبتذل ، والبعيد الغريب إلا صبابة منه .

٤ — الشاعر الفحل لا يضع كلمة إلا إذا قصد من ورائها فائدة ، وقد ينقضى كلامه قبل القافية فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى جديداً ، والأمثلة على ذلك كثيرة من الشعر الجيد ، ولكنا نجد فى هذه القصيدة قوافى لم يدع إليها داع غير تكملة البيت ، وتحقيق القافية ، من ذلك قوله :

فهن كعنقود الثريا تألقت
كواكبه فى الأفق فهى سوافر

فلا أرى حاجة إلى هذه العبارة الأخيرة (هى سوافر) فالسفور الظهور ، وقد ذكر أن هـــذه الكواكب تألقت فى الأفق ، والتألق يتضمن الظهور وزيادة . ومن ذلك (الدنيا بين الأنام تقامر) فالعبارة قلقة ، فنحن نعرف أن المقامر هو لاعب القمار ، ولا نذكر تعبيراً فيه أن إنسانا قامر بين اثنين ، والبارودى يريد أن الدنيا تداول بين الناس ، فتعطى هذا ما تحرمه ذاك . . ولكن الكلمة لا تفيد هذا المعنى بوضوح ، مع اضطراب العبارة .

وقد تكون الكلمة كالكلف فى الوجه الجميل ، فيفسد جماله ، فالطيف هذا الكائن اللطيف الذى سرى ليلا ، يناسبه أن تحدوه نزوات الشوق ؛ لأن الحداء — وهو الغناء للإبل لتسير — مناسب هنا ، ولكن ليس من المناسب أن تزجره هذه النزوات (٥) ، فالزجر السوق بعنف والأصوات المزعجة الحادة التى تدفع الإبل إلى السير حين تميل إلى الإبطاء والتريث ، وليس مما يتفق مع غرض البارودى أن يصور الطيف بصورة من يحتاج إلى الزجر ، فوق عنف الكلمة وعدم ملاءمتها للطيف ، وفى القصيدة كلمات غير مستقرة فى موضعها ، وإنما هذا الذى سقناه أنموذج منها ، قال أبو بكر الباقلانى

---

(٥) فى قول البارودى : تخطى إلى الأرض وجدا وماله ... سوى نزوات الشوق حاد وزاجر

فى كتابه إعجاز القرآن : « وعذوبة الشعر تذهب بزيادة حرف ، أو نقصان حرف ، فيصير إلى الكزازة وتعود ملاحته بذلك ملوحة ، وفصاحته عيا ، وبراعته تكلفا » .

٥ — أخذ النقاد القدامى على الفرزدق قوله :

إذا التقت الأبصار أبصرت وجهه
مضيئاً ، وأعناق الكماة خضوع

فقالوا : أساء القسمة ، وأخطأ الترتيب ، وإنما كان يجب أن يقول أبصرته سامياً ، وأعناق الرجال خضوع أو أبصرت لونه مضيئاً وألوان الكماة كاسفة ، وعملا بهذه النظرية نقول إن البارودى أخطأ الترتيب فى قوله :

تقل دواعى النفس وهى ضعيفة
وتقوى هموم القلب وهو مغامر

حيث قابل القلة بالقوة ، ومطالب النفس بعزائم القلب ، وفى قوله :

هنالك يعلو الحق ، والحق واضح
ويسفل كعب الزور ، والزور عاثر

فقد كان يجب أن يقول ، والحق ناهض والزور عاثر أو : والحق واضح والزور غامض ، كما قال الأقدمون : الحق أبلج ، والباطل لجلج . وفى الحق ، نظرة الأقدمين دقيقة ، وجديرة بالاعتبار والتقدير ، فالذوق السليم يتطلب المواءمة بين المتقابلات ، فإذا قوبل اللفظ بما ليس إلفاً له كان الكلام نابيا .

٦ — بعض صوره البيانية غث بارد ، من ذلك قوله (ويسفل كعب الزور) وقد عاب النقاد على أبى تمام قوله :

وكم أحرزت منكم على قبح قدها
صروف النوى من مرهف حسن القد

حيث أضاف القد إلى النوى ، فجاء بتشبيه بعيد ، وإنما أوقعه فيه قصد المماثلة بين القد والقد ، وكذلك عيب عليه قوله :

بلوناك أما كعب عرضك فى الورى
فعال ، وأما خد مالك أسفل

فقوله (كعب عرضك) و (خد مالك) مما يستقبح ويستنكر ، ومراده من ذلك أن عرضك مصون ، ومالك مبتذل إلا أنه عبر أقبح تعبير .

ومن ذلك نقد القدماء لهذا البيت :

وجذت رقاب الوصل أسياف هجرها
وقدت لرجل البين نعلين من خدى

فقد قيل : ما أهجن (رجل البين) وأقبح استعارتها ، ولو كانت الفصاحة بأسرها فيها ، وكذلك (رقاب الوصل) . قلت ويثلث هذين (كعب الزور) فى قول البارودى .

ومن التعبيرات القاصرة قوله : (ويا قرب ما التف عليه الضمائر) فقد جعل الضمائر تلتف على الأحباب ، والتفاف الضمائر تعبير غير سائغ ولا مقبول .

وكلمة (عاريا) فى قوله :

فلا غرو أن حزت المكارم عاريا

فقد يشهد السيف الوغى وهو حاسر

كلمة ساقطة ، وهو يريد أنه عار من المال ، ولكن عدم تقييد الكلمة يوهم معنى غير جميل ، وبهذه المناسبة أقول : إن البارودى كرر كلمة السيف فى هذه القصيدة ، حتى أمل ، حقيقة أن السيف لا يفارق خيال البارودى ، ولكن حين يكثر ترداد كلمة بعينها تفقد قوتها :

٧ — من أغلاطه النحوية دخول الواو على الفعل المضارع بعد إلا فى قوله :

وعما قليل ينتهى الأمر كله

فما أول ، إلا ويتلوه آخر

ونظم الكلام فما أول إلا يتلوه آخر ، وكذلك إدخال قد على الفعل المضارع المنفى كما سبق ، ومن أغلاطه اللغوية استعمال كلمة (ترامت) فى قوله :

فقد حاطنى فى ظلمة الحبس بعد ما

ترامت بأفلاذ القلوب الخناجر

فقد استعملها بمعنى رمت ، والذى فى لسان العرب . ترامى به الأمر إلى كذا أى صار ، وأفضى إليه ، وكأنه تفاعل من الرمى . أى رمته الأقدار إليه ، وترامى القوم بالسهام إذا رمى بعضهم بعضا ، وقد ارتمت به البلاد وترامت ، وترامت تتابعت ، وازدادت ، وترامى الجرح إلى فساد أى تراخى ، وصار عفنا فاسدا ، وترامى أمر فلان إلى الظفر أو الخذلان صار إليه ، وتراماه الشباب أى تم ، واستعمال البارودى يفيد أن الخناجر يقذف بعضها بعضا بأفلاذ القلوب ، وهو فاسد ، وفى قوله :

عقيلة أتراب توالين حولها

كما دار بالبدر النجوم الزواهر

يريد أخواتها ، والأخوات لا يقال لهن أتراب ، لأن الترب المقارن فى السن ، وتوالين معناها تتابعن ولا معنى للتتابع حولها ، إلا على تأويل بعيد ؟

علي العماري

أسد بن الفرات الفقيه الغازي

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

« انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .

هذه دعوة الإسـلام التى دفعت المسلمين جميعا ، علماء وفقهاء ومحدثين وجنداً لأن يبيعوا أنفسهم وأموالهم فى ساحات المجد والفخار فى البر والبحر فى السهل والجبل ، يطلبون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولم تحل بين علمائهم وفقهائهم وبين الخروج للغزو مجالس العلم وحلقات الدرس ، ولم يقعدهم عن الجهاد تصدر الفتيا ولا نامت ظهورهم بالفقه ، والحديث الذى ساحوا الأقطار فى سبيل التحقق من صحته .

فبينما الشيخ القاضى « أسد بن الفرات » يجلس للفتيا يبين للناس ما قامت عليه الشريعة الإسلامية من أصول وقواعد ، والناس مأخوذون بعلمه عاكفون على درسه ، والشيخ يعلو صيته وترتفع شهرته بين الأقطار ، وقد قارب السبعين من عمره . إذا بمؤذن يستنفر المسلمين للجهاد فى سبيل الله ، فقد عزم « زيادة الله ابن الأغلب » صاحب إفريقية من قبل الدولة العباسية ، على فتح جزيرة صقلية .

وما يكاد الشيخ وهو فى حلقة الدرس يسمع هذا النداء حتى يهب إلى الجهاد يطلب إحدى الحسنيين ، تاركا دروسه ومحابره وأقلامه ، راغبا فى هذا الشرف الذى أتيح له فى آخر أيامه ، فهذه هى الفرصة التى قد لا تسنح مرة أخرى .

فيذهب إلى « زيادة الله » يعرض عليه رغبته ويطلب منه السماح له بالتطوع فى صفوف المجاهدين . ويحاول « زيادة الله » أن يثنى الشيخ عن عزمه ذاكراً : أنه يجاهد فى تعليم المسلمين دينهم وشريعتهم ، وأن هذا لا يقل عن جهاده فى قتال أعدائهم ، ولكن هيهات ، فقد عقد الشيخ النية ووطد العزم .

وأمام إصراره اختاره الوالى أميراً على الجيش الغازى لما يعرفه فيه من عزم ومضاء وهمة عالية ، وبذلك اجتمع « لأسد بن الفرات » مشيخة القضاء وإمارة الجيش .

* * *

ولد (ابن الفرات) سنة خمس وأربعين ومائة من الهجرة فى (حران) بديار بكر ، ثم انتقلت به أسرته إلى تونس ، وهناك نشأ نشأته العلمية الفقهية ، فقد أخذ الفقه عن الفقيه المالكى « على بن زياد » ثم درس الحديث والأثر . فلما وثق من نفسه وأدرك أنه قادر على الجلوس للتدريس ، جلس يعلم الناس بتونس والقيروان .

ولكن ما لبث أن أحس أنه بحاجة إلى التزود من مذهبه ولقاء العلماء والسماع منهم والانتفاع بعلمهم ، فرحل إلى المدينة حيث أدرك الإمام (مالكا) وتلقى عنه موطأه . وروى عن مذهبه ، ثم رأى أن يقارن بين هذا المذهب ومذهب أبى حنيفة الذى عرف بفقه الرأى والقياس ، فانتقل إلى العراق حيث لقى القاضى (أبا يوسف) و (محمد بن الحسن) صاحبى أبى حنيفة ، وسمع منهما فقه أبى حنيفة وناقشهما فى الأصول والقواعد التى اتخذها أبو حنيفة أساسا لمذهبه . وقد أعجب به (أبو يوسف ومحمد) فنقلا عنه أيضا موطأ الإمام مالك .

وبعد أن أفاد من سياحته علما وفهما وحذقا وتجربة وشافه العلماء وقارن بين مذاهب الفقه وروايات الحديث ، قرر العودة إلى موطن علمه وفقهه (القيروان بأفريقية) .

وفى طريق عودته مر بمصر وعرض على الفقيه المالكى (عبد الرحمن بن القاسم)[1] ما سمعه من فقه الحنفية ، فأفتاه فيه بحكم مالك .

وهناك فى القيروان تولى القضاء وشرع يضع للمجتمع الأسس الفقهية فى المعاملات .

• • •

ولما أذن مؤذن الجهاد وتولى « أسد بن الفرات » إمارة الجيش ، تزاحم الناس من حوله كما كانوا يتزاحمون عليه فى درسه ، وتنافسوا فى طلب الغزو معه ، ولا غرابة فى ذلك ، فهو الذى كثيرا ما غزا بهم ميادين العلم والدين ، يرشدهم ويهديهم .

ولما اكتملت عدة الغزو ، خرج بجنده إلى مقــر الأسطول الإسلامى الإفريقى (بسوسة) وقد تجمعت السفن . وحشدت الخيول ، ودقت الطبول ، ونشرت الألوية ، وخفقت البنود ، وتكاثفت الجموع فى فرح عارم وشوق جارف إلى الموقعة ، وقد تملكت الناس نشوة الفتح . وتمثل أمامهم المجد

---

(١) هو الفقيه المالكى عبد الرحمن بن القاسم المصرى تتلمذ على الإمام مالك عشرين سنة حتى نضج فى فقهه وأخذ عنه ومن « الليث » ومن « مسلم بن خالد » ومن آثاره « المدونة » فى فقه المالكية وهى فتاوى سأله عنها ابن الفرات ونقلها إلى المغرب . وكان ابن القاسم معروفا بجانب علمه بالتقوى والورع والزهد ، حتى أنه كان لا يقبل جوائز السلطان وإليه يرجع الفضل فى انتشار المذهب المالكى بمصر . وتوفى بمصر سنة ١٩١ هـ .

المنتظر ، وأسد واقف ينظر إليهم ، فلما رأى هذا المشهد الرائع أخذته الأريحية فاعتلى سفينة القيادة التى أعدت له ووقف خطيبا يحـــدث الجنود المتأهبين للقتال عن عصاميته ويوضح لهم أن الذى رفعه إلى هذه المكانة من علو الشأن وإمارة الجيش ، هو العلم والبحث والدرس ، وأنه ليس من آبائه قائد ولا حاكم ولا وال ولا أمير ولا سلطان . خطب الجنود فألهب فيهم العزائم وبعث فى نفوسهم الثقة بالنصر فقال :

« أيها الناس ، والله ما ولى لى أب ولا جد ولاية قط ، وما رأى أحد من سلفى ما رأيت ولا بلغ ما بلغت ، وكل الذى أعدنى وهيأنى ، قلبى وعلى فأجهدوا أنفسكم وأتعبوا أبدانكم فى طلب الحق وفى تدوين العلم ، وجالدوا عدوكم واصبروا على الشدائد فإنكم بذلك تنالون خير الدنيا وسعادة الآخرة » .

وتحرك الأسطول الإسلامى من شواطئ إفريقية فى شهر ربيع الأول سنة ٢١٢ متجها إلى صقلية مزودا بالإيمان محصنا باليقين واثقا من النصر الذى وعد الله به عباده المجاهدين وهيأه لهم فى مواطن كثيرة ، مندفعين إلى بيع أنفسهم فى سبيل الله الذى يقول :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ، فمن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

وهناك فى صقلية فى ميدان المعركة شرع الشيخ (أسد) يقود المعركة ، فدك الحصون وهدم القلاع وحطم قوى المدافعين وبعث فى قلوب الناس الخوف والفزع وانتصر على مدينة (إغرار) أحد حصون الجزيرة .

ولما بلغ (سرقوسة) وكانت من أقوى حصون صقلية ، حاصرها حصارا شديدا ، ولكن الأجل لم يمهله حتى يتم فتحها ، فقد انتشر الطاعون بين الجنود فمات (ابن الفرات) على أسوارها ومات معه عدد كبير من الجند ، ولم يفته وهو على فراش الموت أن يوصى قواده وجنده بإتمام الفتح ، كما عهد بإمارة الجيش إلى (محمد بن أبى الجوارى) الذى دخل (سرقوسة) واستولى على غيرها من بلدان الجزيرة .

وقد كان هذا الفتح حافزاً لعزائم المسلمين الذين فتح إخوان لهم منذ مائة وعشرين سنة بلاد الأندلس وأصبحت لهم فيها دولة قوية ، دفعهم هـذا للنظر إلى آفاق جديدة ، فأعـدو العـدة لغزو إيطاليا واستولوا على جنوبها وملكوا مـدينة (نابولى) عروس إيطاليا كما بلغوا ضواحى روما .

ولما رأى ذلك (يوحنا الثانى) بابا روما فى ذلك الحين ، خشى أن يستولى المسلمون على روما ويصبح معقل المسيحية فى أيدى المسلمين ففاوضهم على دفع الجزية ليعودوا من حيث أتوا .

كما كان استيلاء المسلمين على صقلية وأهم مدن إيطاليا سبيلا إلى سيادتهم المطلقة على البحر الأبيض مما جعل (البنادقة) يخشونهم فصانعوهم وطلبوا ودهم زمنا طويلا .

كما لم يكن فتح العرب لصقلية فتحا حربيا أو دينيا فقط بل كان فتحا للعلوم والحضارة والفنون والصناعات . إذ قامت فيها نهضة شاملة على أيدى الفاتحين وسلالة الغازين وأبناء المسلمين ، فظهر فى صقلية الإسلامية العلماء والباحثون والشعراء[1] والحكماء والمهندسون والمؤرخون والقواد ، وقد بقيت آثار المسلمين زمنا طويلا ، ويقول (جوستاف لوبون) صاحب (حضارة العرب) :

« إن إمامة الثقافة والصناعة بقيت للمسلمين حتى سنة ١١٩٤ ميلادية ، وكانت المراسيم تكتب بالعربية » .

هذه لمحة خاطفة عن سيرة رجل من رجالات الإسلام بدأ حياته فقيها يعلم الناس أمور دينهم ، وختمها قائدا يفتح البلدان ويدك الحصون ، وكان يقول عن نفسه : (أنا أسد ـ وهو خير الوحوش ، وابن الفرات وهو خير الماء ، وجدى سنان وهو خير السلاح .

عبد الموجود عبد الحافظ

---

١ — منهم الشاعر المبدع (ابن حمديس) الذى يقول فى صقلية بعد أن أخرج المسلمون منها :

= ذكرت صقلية والأسى ... يهيج للنفس تذكارها
فإن كنت ، أخرجت من جنة ... فإنى أحدث أخبارها

التعليم القومى والتعليم الأجنبى

يقول رابندرانات تاغور الحكيم والشاعر الهندى :

التعليم بلغتنا هو الذى أنعش روحنا وأحيانا ، ورأى أن التعليم ينبغى أن يكون كالأكل ، بمعنى أنه عند ما يسيغ الآكل اللقمة الأولى تتنبه معدته إلى عملها قبل أن تمتلئ ، ويتمكن حينئذ عصيرها من أن يؤثر كما يجب . ونقيض ذلك التعليم الأجنبي : فإن اللقمة الأولى تؤذن الطاعم بخلع سطرى أسنانه أو تزلزل فمه ، وفى اللحظة التى يبتدئ يعرف فيها أن اللقمة ليست من جنس الحجارة — وإنما هى من السكر وقابلة للهضم — يكون قد ولى نصف عمره ، وبينما هو يعالج مضغ كتابتها ونحوها تبقى روحه جائعة ، فإذا تذوقها تكون شهيته قد ذهبت .

رجل الدين وثقافة عصره

للأستاذ محمود الشرقاوى

كان رجل الدين ، إلى عهد قريب ، يشتغل إلى جانب الدين « بالعلم » فهو الذى يعلم الصبيان فى « الكتاب » وهو الذى يصلى بالناس ، ويفتيهم فى طلاقهم وأيمانهم ومواريثهم ، ويزوج شبابهم ويصالحهم فى خصوماتهم . وهو ، فى نفس الوقت ، الذى يكتب لهم « التحويطة » والحجاب . ليتبخر بهما المحموم ويعلقهما المريض ، وهو الذى يكتب على « الطبق » ليغسل ما كتب فيشرب ماءه المريض فيشفى بإذن الله . ويكتب للعقيم رموزاً فى سطور فتحمل بإذن الله أيضا . ولعل هذا كله مازال رجل الدين يمارسه فى بعض بلاد الشرق . ولم يكن ذلك عيباً فى رجل الدين ، بل كان فضيلة وكرامة . كان هذا الذى يمارسه هو « العلم » فى أقدار الناس ومعارف الحياة يوم ذاك . وكانت ممارسة رجل الدين لهذا « العلم » هى المشاركة العملية فى الحياة العامة والأثر الذى يقدمه رجل الدين للناس فيدخل به على نفوسهم الطمأنينة والبهجة والخير أيضا . حقيقة أن هذا الوضع وهذا « العلم » نفسه أثر من آثار اختلاط السحر بالكهانة فى فجر التاريخ الإنسانى . ولكن الناس كان يرضيهم ، بل يغبطهم ، هذا الوضع ، وكانوا يشعرون بأن رجل الدين جزء مكمل لحياتهم الاجتماعية ، بل جزء ضرورى حيوى ، يشعرون بفراغ كبير إذا افتقدوه ، ويقدمون له مايستطيعون من البذل والمعونة والكرامة ليسد فى مجتمعهم وحياتهم هذا الفراغ . وهذه فترة من فترات التاريخ الاجتماعى والدينى للإنسانية كلها ، مرت بها كل جماعة ومر بها كل دين .

ولم تكن ممارسة هذا « العلم » عيباً فى رجل الدين . ولكن العيب والخطأ هو فى أن ينصرف العالم عن هذا « العلم » ويضعه حيث يجب أن يكون فى « متحف » التاريخ . ويبقى بعض رجال الدين على عقيدة أن هذه المخلفات البدائية ماتزال من « العلم » الذى يمارسه رجل الدين .

وقد كان مفهوم « العلم » فى بعض العصور يختلف كل الاختلاف عن مفهومه الحديث ، وعما يجب أن يكون فى واقع الأمر . كان مفهومه عندهم يتصف بصفتين بارزتين . أولاهما أنه قائم على الاستيعاب والحفظ . وحظ « العالم » من الاستظهار أعظم كثيراً

جداً من حظه من الفهم والتأمل والإدراك . والثانية الإحاطة والشمول . فكلما كان الرجل محيطا بعدد كبير من العلوم . أو بطرف من كثير من العلوم ، كلما ارتفع قدره ورجح وزنه بين العلماء ، كان ذلك شأنهم فى علوم اللغة والأدب . فنحن نجد ، مثلا ، عالما يشتق اسمه ، أو لقبه ، من أوائل أسماء العلوم التى يعرفها ، أو يزعم أنه يعرفها ، فيسمى نفسه « كشاجم » ويقول إن كل حرف من حروف هذا اللقب يشير إلى علم من هذه العلوم . فحرف « الكاف » يشير إلى أنه كاتب ، وحرف « الشين » يعنى أنه شاعر وحرف « الألف » يشير إلى أنه أديب . و « الجيم » تشير إلى أنه منجم و « الميم » متصوف .

وكذلك كان شأنهم فى علوم الفقه . فنحن نجد الشيخ الأجهورى ، مثلا ، لا يكفيه أو يرضيه أن يكون فقيها فقط ـ وما ذلك بالشىء القليل ـ بل يقحم نفسه فى شىء غريب من العلم أو من المعرفة ، هو الطب ، أو « أدب المائدة » فينظم أبياتا من الشعر يذكر فيها ما يجب أن يقدم على الطعام من ألوان الفاكهة ، وما يؤخر ، وما يجب أن يتوسط . فيقول هذه الأبيات : ــ

قدم على الطعام توتا ، خوخا
ومشمشاً ، والتين ، والبطيخا
وبعده الإجاص ، كثرى ، عنب
كذاك تفاح ، ومثله الرطب
ومعه الخيــار ، والجميز
قثا ، ورمان ، كذاك الجوز

ونجد الشيخ عبد الله الشرقاوى لا يكفيه أو يرضيه أن يكون فقيهاً من أكبر فقهاء الشافعية ، فيضع كتابا فى تاريخ مصر [1] . لا يملك من يقرؤه نفسه من الضحك العريض والعجب المنكر والسخرية البالغة . ونجد غير هؤلاء أمثلة كثيرة لهذا الخلط العجيب بين أنواع العلم وألوان المعرفة .

وهذه ، كما قلنا ، فترة مرت بها الجماعات والديانات والنحل والمذاهب وليس شىء منها معيباً ، فى زمنه وحينه وبيئته .

ولكن الفكر الدينى ، والعلم الدينى أيضا ، كائن حىّ متطور ، ويجب أن يدرك رجاله ذلك ، ورجال هذا الفكر لهم حق القيادة والتوجيه . وعليهم ، بمقتضى ذلك ، تبعات ثقيلة هى تبعات (الأمانة) والقيادة والسيادة . ومن هذه التبعات أن يكون القائد الموجه متصلا بحياة عصره : ثقافة وإدراكا ومتابعةً

(١) اسمه : « تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين » ، طبع للطبعة الوهبية بالقاهرة سنة ١٢٨١ . (انظر تلخيصا له فى الجزء الأول من كتابنا « دراسات فى تاريخ الجبرتى ، مصر فى القرن الثامن عشر » ص : ٥٤ ـ ٥٧ من الطبعة الثانية) .

وشمولا وعمقا . أى أن يكون محيطا بحياة الناس فى عصره إحاطة تامة ، كما وكيفا ، كما يقول العلماء . ولا أقصد « حياة الناس » فى بلده ووطنه وحدهما . بل أقصد ما هو أوسع من ذلك وأشمل ، فنحن الآن فى عصر أصبح العالم كله تكاد « حياة الناس » فيه أن تكون متصلة بل متلاحمة ، مهما اختلفت أوطانهم بين المشرق والمغرب ، واختلفت ألوانهم بين الأبيض والأصفر والأسود ، واختلفت أديانهم بين الإسلام والنصرانية واليهودية والوثنية . يكاد العالم كله الآن أن يكون (قريتنا الكبرى) كما يقول «توم بين»[1].

ورجل الدين ، كما قلنا ، له حق القيادة والسيادة والتوجيه ، أو يجب أن يكون له ذلك . فمن واجب هذا القائد السيد أن يحيط بحياة الناس فى « قريته » الكبرى تلك ، وأن يتأثر بها حتى يؤثر فيها . وأول شىء نريد أن يحيط به رجل الدين هو « الثقافة » ثقافة « القرية الكبرى » لا « ثقافة » بعينها يراها هو ويكتفى بها ويدور حولها .

وليس ذلك بدعاً فى تاريخنا الدينى ولا فى سيرة رجال الدين من سلفنا فى عصور النور والمعرفة والحرية والجرأة القائمة على سعة الأفق والثقة بالنفس .

فقد ذكر ابن حجر فى الإصابة أنه كان يقرأ التوراة . ويروى ابن سعد فى « الطبقات الكبرى » عن شريك التابعى الجليل أنه قال : (رأيت عبد الله بن عمر يقرأ بالسريانية) .

وكذلك روى الكندى فى كتابه : « تاريخ مصر وقضاتها »[1] أن خير بن نعيم[2] كان يسمع كلام القبط بلغتهم ، ويخاطبهم بها . وكذلك يسمع شهادة الشهود منهم ، ويحكم بشهادتهم كما سمعها منهم بنفسه .

والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التى تحض على تعلم العلم ، من كل نوع ، يحفظها ويعرفها كل دارس وباحث .

والأمثلة على ذلك كثيرة من تاريخنا الإسلامى فى عهود السيادة والحرية والجرأة القائمة على الفهم وسعة الأفق والثقة بالنفس كما قلنا من قبل .

* * *

الفهم وسعة الأفق والثقة بالنفس ، والإحاطة الكاملة الشاملة الواعية العميقة لثقافة العصر : ثقافة « قريتنا الكبرى » فى ماضيها القديم وحاضرها القائم ، هذا الفهم وهذه الثقافة يجرنا الحديث عنهما إلى الحديث

---

(١) مفكر انجليزى عاصر الحرب الأمريكية الاستقلالية وناصرها ضد وطنه انجلترا وكان من مؤيدى الثورة الفرنسية ضد الملوك والكنيسة وسجن فى باريس فكتب فى سجنه كتابه « عصر العقل » .

(١) ص : ٣٤٩ [القبيل] .

(٢) تولى قضاء مصر من سنة ١٢٠ إلى ١٢٧ .

عن «الأمانة» و«الواجب»: الأمانة للدين وللحياة وللنفس وللناس. هؤلاء الناس الذين يتطلعون إلى «رجل الدين» هادياً ومرشداً ومبشرا ونذيرا والذين يجعل رجل الدين نفسه قوّاماً عليهم وخادما فى الوقت نفسه. و«الواجب» الذى يحرص رجل الدين — أو يجب أن يحرص — على أدائه غير منحرف ولا مشوب ولا خوّار ولا زائف ولا ناقص. والحديث عن هذه «الأمانة» وهذا «الواجب» ينتهى بنا إلى الحديث عن المواجهة والمجابهة والصراحة والصدق، بل إلى الحديث عن «التحدى» إذا لزم الأمر. التحدى لبعض الضلالات والجهالات التى يؤمن بها بعض الناس وكثير من العامة يعتقدون أنها من الدين وما هى منه فى شىء. و«التحدى» لبعض الآراء يخشاها بعض الناس وكثير من العامة يخافونها على الدين وهى لا تضره ولا تسىء إليه ولا تجانبه، وليست الخشية منها إلا انسياقاً وراء المألوف، والمتعارف، والمتبوع.

رجل الدين المخلص المؤمن بعقيدته ودعوته ورأيه — ما دام هذا الرأى قائما على أساس من الدين — يجب أن يؤمن أيضا بالشجاعة والمواجهة والمجابهة فى إظهار رأيه هذا. والمدافعة عنه والمنافحة فى سبيله، مادام يعتقد أن إفشاء هذا الرأى فيه خير للناس وخير لدينه وعقيدته.

سياق رجل الدين هذا عنتاً ورَهقا وتهمة أيضا. ولكنه «الواجب» و«الأمانة». وكل متصدر لعمل عام، يجب أن يصبر ويحابه، فهذا هو جزاء الإخلاص والشجاعة والصدق والإيمان بالدعوة والرسالة والرأى والبعد عن المداراة والمتابعة والرياء الذى هو من الشرك.

الإنتساب للدين والرأى شىء والإيمان به والتسليم له والشجاعةُ فيه شىء آخر، وفى رسالة القديس بولس التى وجهها لأهل روما كلمة صادقة هى: «إن الختان لا يجعل الإنسان ابنا لإبراهيم. وإنما أبناء إبراهيم منْ يسلكون فى خطوات الإيمان، ومن أعظم الإيمان الشجاعة والإخلاص للعقيدة والرأى ومجابهةُ المخدوعين والخادعين بكلمة الحق. والعامة فى كل عصر وموطن يعكفون على مألوفهم يشقُّ عليهم أن يخرجوا منه ولو كان باطلا بيّن البطلان. والناس أعداء ما جهلوا.

ونحن نعلم أن ما نطلبه وندعو إليه ونحرص عليه لأنفسنا ولغيرنا من المخلصين ليس شيئاً هينا ولا يسيرا. ولكننا نعلم أيضا أن الرسالة العامة، والأمانة والتصدّى لإرشاد الناس وخدمتهم والبيانَ عن دين الله الحق، كل ذلك يستحق أن يأتى فى سبيله المؤمن المخلص ما يلقى من العنت والرّهق والتهمة أيضا

وفى تاريخ الناس وتاريخ العقيدة المثلُ

والعبرة . فقد صدم السيد المسيح عواطف المخدوعين والمنافقين وتجار الدين من اليهود وجَهَر فى وجوههم بكلمة الحق . فكانت مصادمته عواطف الجماهير، حتى فى ضلالاتهم وأباطيلهم، جريمة لم يغفروها له . حتى كان عندهم أعظم جرماً من « براباس » : الشرير القاتل السفاح . ا .

فنحن نرى فى قصة الأناجيل عن صلب السيد المسيح أن « بيلاطس » الحاكم الوثنى كان من حقه أن يعفو فى يوم العيد عن واحد من المسجونين . وكان بيلاطس يتحرَّج من قتل السيد المسيح ولكنه يتحرج أيضا من الظهور بمظهر المخالف لرغبة الشعب ، ورجال الدين . فأخرج لهم السيد المسيح وإلى جانبه براباس القاتل . وخيَّرهم فى أن يعفو عن واحد منهم يختارونه . فكان رأى المخدوعين والمنافقين وتجار الدين من اليهود أن يعفو عن القاتل ويأمر بصلب السيد المسيح . وكلما حاورهم بيلاطس فى رأيهم هذا وجادلهم وسألهم : ماذا فعل بكم هذا المسيح ؟ صاحوا به : ليصلب .. ليصلب .

وكان جرم السيد المسيح فى نظر هؤلاء الجماهير أنه « خرج على تقاليدهم » فكان جرمه هذا أعظم من القتل وسفك الدم ظلما .

ورأى الحاكم الوثنى « بيلاطس » ألا مفر من صلب السيد المسيح . والعفو عن براباس القاتل السفاح . . ! .

هكذا تصور الأناجيل قصة الصلب وغضب الجماهير وعلماء اليهود على نبى الله المسيح .

* * *

ولنضرب مثلا من الحياة القائمة : فقد رأينا قبل شهور فى القاهرة أن موسيقياً هو أعظم عازف فى أوربا وأمريكا أشهرَ إسلامه على يد شيخ الأزهر[1] ، وسماه الشيخ « محمد الأزهرى » وباركه واختار له من يفقهه فى الدين ، وبقى الشيخ محمد الأزهرى ، الذى كان اسمه من قبل مستر ليبروس ، يعزف موسيقاه ويغنى لمستمعيه فى « هلتون » وهم يشربون ويصخبون ، وقد يرقصون ويتخاصرون .

ونظرة رجل الدين حيال هذا المثل تختلف: صاحب النظرة المحيطة المتصل بحياة عصره وثقافته ، يؤمن بأن الفن والموسيقى جزء لا غنى عنه فى ثقافة العصر وفى حياة الناس ، بل هو زاد لأرواحهم وقلوبهم . ويعرف أن أصحابها من أرق الناس إحساسا وعاطفة ، وأكرمهم خلقا وأقومهم ضميرا ، فهو عند ذلك يبارك إيمان هذا المسلم الجديد ، ويرضى منه بقوله : « إننى أرى فى الإسلام عظمة الدين الحى وجلال الوحدانية » ويغبطه منه أنه ، كما قال أيضا ، يصلى الفريضة ويقرأ

(البقية على صفحة ١١٣١)

(١) نشرنا خبر إسلامه واجتماعه بالأستاذ الأكبر فى ص ٦٥٥ من مجلة الأزهر « عدد جمادى الآخرة من هذه السنة » .

وقائع ونصوص :

استدراك وتعقيب

للأستاذ محمد رجب البيومي

قرأت المقال المخلص الصادق الذى كتبته الأستاذة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد تحت عنوان مولد رسالة بعدد فبراير سنة ١٩٦١ من المجلة ، فأعجبنى نزاهته الأمينة ، وإنصافه الرشيد ، ولكنى وقد كنت أحد أعضاء أسرة الرسالة أراه فى حاجة إلى تعقيب يفصل ما كان بين الرسالة وأمراء الإقطاع فى أسرة محمد على من صيال وثورة ، إذ أن الكاتبة الفاضلة قد اكتفت بالبعض عن الكل ، والرسالة ملك للتاريخ الأدبى المعاصر إذ كانت ديوان العرب المشترك ، وسجل الأدب الحديث وكتاب الشرق الجديد ، ومن حقها على كتابها أن يظهروا للناس ما يعلمون ، وقد عوّدنى الأستاذ الزيات ألا يحذف حرفا واحداً من جميع ما أنشره لديه ، وإنى لأرجوه متشدداً أن يتيح لمقالى هذا مكانه من النشر ، ولن أكون فيه أديبا أحلل وأعلل ، ولكنى تمسكا بالحيدة التامة سأكون راوية فقط أذكر الحادثة والنص ، مستنداً إلى المصدر والتاريخ :

كان الأمير السابق محمد على يرى نفسه عميداً للأسرة المالكة فهو يحرص على تتبع مايقال عن ملوكها وأمرائها فى الصحف والكتب ، وقد خصص له أجراء من القراء يوافونه بكل مايشم منه رائحة نقد أو مؤاخذة ولم يكن لتفكيره المحدود ـ يعتقد بادئ ذى بدء أن الرسالة وهى صحيفة الأدب تتعرض للسياسة والحكم ، فظلت ردحاً طويلا بمنجاة من ثورته ، رغم ما كانت تفيض به من نقد صارخ وهجوم حاد على الأمراء الدخلاء والإقطاع الوبىء ، فكان الزيات يملأ افتتاحياتها بالثورة الصارخة كأن يقول بالعدد ١٨٥ (١٨ / ١ / ١٩٣٧) معرضا بالأمير يوسف كمال : « ما الذى يحبس هذا الأمير المترف أن ينفق على سلاح وطنه مثل ما ينفق على سلاح صيده ويبذل فى سبيل أمته بعض مايبذل فى سبيل شهوته .

يريد الوطن الضعيف الأعزل من أولئك الذين ربهم على دلال السرف ، وقلبهم فى أعطاف النعيم ، لحشا جلودهم بخيره ، وأفعم خزائنهم بذهبه ، وبسط ملكهم على أكثر أرضه ومد نفوذهم على معظم بنيه ، أن

يعززوه ليقوم عليهم، ويسلحوه ليدافع عنهم».

أقول: كانت هذه القذائف وأمثالها تنطلق من افتتاحيات الرسالة دون أن تجاجل فى سمع الأمير الكبير، حتى جاءه النبأ ذات يوم أن الرسالة تطعن فى «سعيد» صاحب مأساة القناة فتنقل ملخصا لكتاب فرنسى يقول فيه مؤلفه (الرسالة ٢٣٥ - ١٩٣٨/٣/١):

«إن محمدا عليا لم يعجبه أن يرى ولده سعيدا ذا جسم ضخم كثير اللحم والشحم، فحرم عليه ألوانا من الطعام وأمر ألا يقدم إليه شىء منها، ثم عهد به إلى فردنند دلسبس صديقه الحميم فعلمه ركوب الخيل وحبب إليه فنونا من الألعاب والرياضة البدنية. ولكن هذه الرياضة كانت تجهد الأمير الصغير وتورثه جوعا شديدا، ولم تكن مقادير الطعام الذى تقدم إليه لترد مسغبته، فكان ينسرق من القصر ويهرول إلى منزل فردنند فتقدم له أطباق المكرونة فيقبل عليها إقبالا شديدا. ومن هنا تضاعف هيام سعيد بفردنند، فلما ولى أمر مصر بعد عباس كان فردنند قد ترك القطر وتقلب فى مناصب سياسية هامة.

وما إن علم بتربع صديقه سعيد على أريكة مصر حتى أرسل إليه يهنئه، فأرسل سعيد يستدعيه، وكانت ذكريات أطباق المكرونة أول حديث دار بينهما بعد هذا الفراق الطويل وفى نفس اللحظة تكلم دلسبس عن مشروع قناة السويس فوافقه سعيد ونسى وصايا أبيه».

ولم يكد الأمير يقرأ المقال حتى اتصل فى ثورة هائجة برئيس الوزراء، ليطلب معاقبة الرسالة، وكان الرئيس السابق محمد محمود صاحب الأمر فى البلاد، وفضيلته الأولى ترفعه المتكبر على الأمراء والنبلاء، فرد فى حزم: إن الرسالة قد ترجمت مقالا قرأه جميع الناس فى الشرق والغرب، فإذا استطاع الأمير أن يمنع المقال فى أوربا فليمنعه فى مصر! وقد طوى محمد على نفسه على أسف وثورة لرد الرئيس وأخذ ينتهز الفرص والأسباب.

ثم جاء مقال (فلاحون وأمراء) بالعدد (٣٠٩) ١٩٣٩/٦/٥ وقصته مشهورة ذائعة تناولتها الدكتورة الفاضلة بالحديث، وقد وقف فيها محمد محمود موقفا مشرفا إذ أمر باشتراك الوزارة فى أعداد الرسالة، وهاج القصر الملكى ومعه الأمراء والنبلاء ووصلت الضجة إلى صاحب الرسالة. فأشار عليه بعض الأصدقاء أن يهادن القوم وقتاً ما، ولكنه واجه الموقف فى تحد سافر، وواصل حملته فى الثورة على الكبراء والدخلاء وظهرت أعداد الرسالة فى سنة ١٩٣٩ تحمل طابع النقمة على الدخلاء والإقطاعيين، ولك أن تقرأ افتتاحية العدد (٣١٠) لتجد الزيات

يقول فى ١٩٣٩/٦/١٢ عقب مقال (فلاحون وأمراء) مباشرة دون إمهال :

« ليس لأغنيائنا وطن إنما لهم قصور لإتلاف النعمة ، ومزارع لعصر الفلاح ، وبرك لصيد البط ، وميادين لسباق الخيل ، وأندية لقتل الوقت ، ومنازه لإظهار الأبهة وما عدا ذلك من أرض الوطن ومعنى الوطن فهم لا يعرفونه ولا يفقهونه ، هل سمعت أن غنيا من الأغنياء ، أو أميراً من الأمراء قال إن له وطنا فتبرع له بطائرة للجيش ، أو بجائزة فى المعارف ، أو بملجأ فى الأوقاف .

ثم يقول فى افتتاحية العـــدد (٣١٢) ١٩٣٩/٦/٢٦ بعد أسبوعين فقط :

« إن حالنا أشبه بحال الأمير أو الغنى الذى أرثى الملك عفواً من غير حيلة ، واستولى على ريعه صفواً من غير كلفة . فشعوره به شعور بأثره لا بعينه ، وحرصه عليه حرص على ثمره لا على شجره ... فأنا من حق أن أقول للأمير الذى يملك ثروتنا وسمعتنا على الفتون والمجون ، وللغنى الذى يخمد نهضتنا بالكزازة واللؤم : إنكم علق تعيشون على دماء الناس . وأنكاد تتلذذون بكفران النعم ، ولصوص تعيث أيديكم فى مال الأمة ، فحياتكم على الأرض غرور ولهو ، ونسبتكم إلى الوطن زور وباطل » .

هذه صيحات مزعجة كانت تقض مضاجع الدخلاء دون أن يجدوا طريقا لمحاربة الرسالة ، فرئيس تحريرها من أعلام الفكر فى لغة العرب ، وكتابها صفوة الأدباء فى الشرق ، والمنصفون من رؤساء الوزارة يرعون لها مكانتها العالية بين المثقفين ، ورسالتها الموجهة فى دنيا الفكر والعزة والتحرر ...! ولكن حدثا رائعا لم يستطع الأمير محمد على صبرا عليه ، فقد أخذت الرسالة لأول مرة فى تاريخ الصحافة المصرية تنشر تاريخ الزعيم البطل أحمد عرابى على نحو يتجه إلى إدانة توفيق بالخيانة وتهمة القصر بالجريمة ، وتوفيق والد محمد على وأقرب الناس إليه . فكيف يسكت عن سبه واتهامه فى صحيفة ذائعة تقود العقول ، وتوجه مجرى التفكير !! وقد أخذت مقالات الأستاذ الجرىء محمود الخفيف بالرسالة تتوالى فى قوة وإخلاص ، وكل مقال يزيل اللثام عن جريمة أو يكشف القناع عن مأساة ، وصورة عرابى البطل تزين كل عدد من الأعداد ! ! والأمير حائر مدهوش يتجه إلى القصر فيجده - لنزاع كان بين فؤاد ومحمد على - لا يهتم بتوفيق اهتماما حاسما يوقف النشر ، وإنما همه إذ ذاك أن يحفظ سير فؤاد وإسماعيل وإبراهيم ومحمد على الكبير !! والمقالات الرنانة تدوى فى مجلة شهيرة جهيرة حتى تصل إلى العشرين !! ويوحى تسلسلها المنتظم أن الأستاذ الخفيف ومن ورائه الزيات سيمدان حبل الحديث

حتى يكشف كل مستور فاضح من الخيانة والإجرام، وكانت الحرب العالمية الثانية على الأبواب، فاتجه الأمير إلى السفارة البريطانية، يعلمها أن مقالات عرابي بالرسالة ستثير الشعور في الشرق العربي ضد الانجليز فهم أبطال الاحتلال وتوفيق صنيعتهم الأول، واقتنع السير مايلز لامبسون (اللورد كيلرن فيما بعد) فأمر الرقابة أن توقف النشر، وصدر العدد (٣٢٨) من الرسالة، وبه هذه الكلمات:

« اضطررنا لقطع سلسلة البحث في تاريخ عرابي نظراً للظروف الحاضرة، وسنعود إلى وصلها في الوقت المناسب ».

ولم ير الأستاذ الخفيف بعد ذلك أن ينشر مقـالات متتابعة عن عرابي فتتعرض إلى ماتعرضت له المقالات الأولى من مصادرة، ولكنه كتب مؤلفا ضخما عن الزعيم ثم نشرته مرة واحدة مطبعة الرسالة، واستقبله الزيات استقبالا حافلا تخصص له افتتاحية العدد (٧٣٤) ١٩٤٧/٧/٢٨ وفيها يقول:

« هذا الكتاب هو الحق الذى اختفى منذ خمسة وستين عاما لم يظهر فى خلالها على لسان ولا قلم حتى ظهر أخيراً على ضوء هذا اليراع النبيل رائع البيان، ساطع الحجة، والحق كالصبح لابد أن ينبلج مهما يتطاول الليل ويحلو لك ظلامه، لقد استعجمت مذاهب العدل فى قضية عرابي ثلثى قرن حتى أبانه الكاتب النزيه محمود الخفيف فإذا عرابي زعيمنا الصادق وقائدنا الشجاع، وموقظنا المبكر وأن هذا الكتاب أول كتاب فى بابه ».

وقبل أن أترك هذه الحادثة أسجل إعجابى بالكاتب النزيه والمؤرخ الغيور أستاذنا محمود الخفيف فقد أصدر كتابه الأمين فى وقت تكالب فيه المتملقون على تنزيه توفيق وتسفيه عرابي فجاء كتابه صبحا وضيئا يمحو الظلام.

على أن الأستاذ الزيات لم ينس ثأره من محمد على فقد هاجمه مهاجمة عنيفة، وكانت مأساة الكوليرا فى سنة ١٩٤٧ سبيله إلى ذلك، إذ فتك الوباء بالضعفاء من الفقراء فتكا ذريعا، وانتظر الناس من الإقطاعيين أن يمدوا يد العون للمنكوبين فما استشعر الرحمة أحد من هؤلاء !! وظهر الأمير السابق بحديث ثقيل كريه فى جريدة الأهرام يعلن فيه تمسكه بآداب الدين، وتعاليم الإسلام، ويحمد الله على هدايته وتوفيقه فيما أحرز من نجاح، وأصاب من اطمئنان !! وكان هذا الكلام نشازا مزعجا فى هذه المحنة الشعبية الأليمة، فقرأه الزيات ونقده نقدا لاذعا فى افتتاحية العدد (٧٤٨) ١٩٤٧/١١/٣، وفيه يقول:

« يقول الأمير: إنى أشهد الله على أن كل توفيق

أصبته ، وكل خير نلته منذ نشأتى إلى اليوم كان مرجعه ائتمارى بأوامر الدين وانتهائى بنواهيه .

جميل ، من سمو الولى أن يعتقد الدين ويعمل به ويتعصب له ، فى وقت نسى الناس فيه الله، فعبدالأمراءالشهوة ، وأله الأغنياء المال ، ولكن لماذا اقتصر أمير الأمراء من فضائل الإسلام على المحبة والسلام والصلاة والصيام ، وقد كنا نطمع فى صدق إيمانه وسمو بيانه أن يذكر كذلك الزكاة والإحسان والبر والتعاون ليعلم أولئك الأمراء الذين أسلموا ولم يؤمنوا أن الدين عمل ومعاملة ، وتثقيف وتكليف ، وإيثار وتضحية ، نعم كنا نطمع فى سمو الأمير أن يدعو إلى الجهة العملية من الدين عسى أن يستجيب له أولئك الذوات المدللون المرفهون الذين مبزهم الوطن كرها على بنيه . وآثرهم الشعب جهلا على نفسه ، وحق الله ضئيل بجانب حق الشيطان الذى يولم الولائم الفاجرة، ويقيم السهرات الداعرة ، ويجود على انجلترا الحشون من غير طلب ، وينفق على تركيا العقوق من غير حساب ، ولكن حق الله على ضآلته ثقيل لأنه ينفق على العامل والفلاح ، وحق الشيطان على ضخامته خفيف لأنه ينفق فى الميسر والراح » .

وهذا كلام ثائر ، فيه من الهجوم واللذع ما يتفجر حمما مشتعلة ! ! وقد أوصله أجراء الأمير إليه ، فقرأه فى غضب ، واتصل بالنقراشى رئيس الوزراء ، فطمأنه فى رفق مصطنع ، إذ أن هوى النقراشى رحمه الله كان مع الرسالة ، وقد عرض ذات مرة على الأستاذ الزيات أن يرأس تحرير جريدة الدستور اليومية بمرتب ضخم فاعتذر الأستاذ بأن سياسته قومية لا حزبية ، وأن الرسالة تشغله عن كل شىء .

والحق أن ظروف صاحب الرسالة وبيئته الريفية قد ألزمته إلزاما بمحاربة الإقطاع فى مصر ، فقد شهدعن كثب مآسيه ، ورأت نفسه الشاعرة آلاف الضحايا من المعدمين ، وآحاد الجناة من الأمراء وذوى الألقاب ، وإنه ليتحدث صريحا عن بيئته الريفية فيقول فى الرسالة (٢٨٩) ١٦ يناير سنة ١٩٣٩ :

« أعرف فى بعض مراكز الغربية عشرين بلدة يملكها من الشرق أمير ، ومن الغرب باشا ، فليس لأحد من الأهلين فيها شبر أرض ولا جذع شجرة ، إنما هم أجراء أو مستأجرون سخرتهم الغفلة والاستكانة لرجلين كسائر الرجال ، ليس لبطنهما سعة البحر ، ولا لعزمهما قوة الدهر ، ولكن لهما عينين كعين الجحيم لا تمتلئ ، ونفسين كجوف الرمل لا يرتوى ، فهما يعصران من أجساد هذه الألوف الجاهدة ذهبا يكتنز ، وقصورا تشاد

وسلطانا يرهب ، وقطعانا تسعى ومراكب تطير ، ولذائذ تنال ، وهما لا يتركان لفلاحيهما المساكين ما يمسك الروح ويستر البدن ، يأخذون الدور التى يأوون إليها ، والبهائم التى يزرعون عليها ، فإذا فزعوا إلى فضل الأمير أو الباشا زم بأنفه واستكبر أن يفتح عينيه على هذا الهوان والقذر ، ولعله ساعتئذ كان يمسح خرطوم كلبه أو يرجل عرف جواده » .

هذه الدراية التامة بمأساة الأجراء من الفعلة ، والضحايا من العملة جعلته يعرض قضاياهم الأليمة وصورهم الدامية عرضا يستنزف الدموع ! فهو يختلط بهم فى قريته ، ويؤاكلهم فى بيته ثم يروى عن أحدهم فيقول بالرسالة (٤٤٨ - ٢ فبراير سنة ١٩٤٢) :

« كان لى عند الباشا ثمن أربعين مقطفا ضفرتها من الخوص لدائرته ، فلما جئته أقتضيه الثمن أنكره وأكبره ، وتهجم على بالكلام العنيف ، وقال محتجا لسبابه واغتصابه : إن ضفر الخوص عمل العاجز ، وإن رجلا فى مثل صحتك وقوتك لا يجدر به غير الفاس والكريك ، فقلت له فى هدوء : يا باشا إن نصيحتك إياى على نفاستها وقداستها لا تبرر أكلك حقى ، ومن اليسير على أن أنزل لك عن هذه القروش ثم لا أنقص شيئا ، ولكنك قد تزيد شيئا وكلما زاد مالك ساء حالك ، أنا فقير لأنى مصاب فى جيبى ، وأنت فقير لأنك مصاب فى معدتك ، فأنا أشتهى ولا أجد ، وأنت تجد ولا تشتهى وحرمانى موقت ، وحرمانك مؤبد ، وجيبى المفتوق يرتقه الرفاء بقرش ، ومعدتك البالية لا يجددها الطبيب بمليون » !! .

وقد أخذت حملات الرسالة على الإقطاع وأمراء الأسرة تمتد شيئا فشيئا حتى تحولت فى سنتيها الأخيرتين إلى مظاهرة رنانة ! ولن أتحدث عن تنديد الرسالة بالأميرة فتحية فقد تعرضت لها الدكتورة نعمات بالتفصيل ، ولكنى أعلن أن الرسالة قد تنبأت بالثورة المباركة حين كتب الأستاذ الزيات مقالة هبى يارياح الخريف بالرسالة (٩٥٤) ١٥ / ١٠ / ١٩٥١ وقد هاجم فيها أساليب الحكم والسياسة ، ثم قال عن أسرة محمد على :

« هبى يارياح الخريف هبى ، هبى واقلعى ذلك النبات الدنىء الذى يتطفل على أشجار الوادى فيتغذى على أصولها ويتسلق على فروعها ، حتى إذا أدرك الهواء والضياء والرفعة التف بعساليجه وكلاليبه على أعاليها التفاف الأفعوان ، فيكظم أنفاسها فلا تنسم ، ويشل حركتها فلا تميس ، ثم يقول مشيراً بأطرافه الرخوة إلى كل عابر ! ألست أنا الأمير وهذا الشجر هو الفلاح ، وإذا

لم يسخر لى الله الشجر فكيف أنمو ؟ وإذا لم يسخر الفلاح للأمير فكيف يسمو ؟ » .

وفى مقالة أخرى بالرسالة تحت عنوان (ثوروا على الفقر قبل أن يثور) (٩١٥ ١٩٥١/١/١٥) استعراض لحفلات عيد ميلاد رأس السنة تلك التى يقيمها الأمراء والباشوات فى سرف فاحش « من مآدب ومراقص فاضت بالنعيم وتلألأت بالجواهر ، والتحمت بالرقص ، وطفحت بالخمر ، وضجت بالجاز ، والتهبت بالقبل وعرضت على الأنظار الطامحة ألوفا مؤلفة من الجنيهات المصرية ، تمثلت فى الأجساد المترفة البضة حللا وفراء وعقودا ومشابك وخواتم ، مع مقارنة مبكية بالفلاح الذى يكابد كرب العيش ، وغصص الفاقه ، ومض الأمراض ، وعنت الملاك ، فيأكل أخشب الطعام ولا يغتذى ، ويلبس أخشن الثياب ولا يستتر ، ويعمل أشق الأعمال ولا يكافأ ، وينتج أعظم الإنتاج ولا يشارك » .

وبعد : فهذه حقائق ونصوص مؤيدة بالمرجع والتاريخ ، وإنى أقدمها صحيفة لامعة فى سجل الرأى الحر ، والأدب الحى ، والصحافة الهادفة ، وإذا كانت مقالات فولتير وروسو قد بشرت بثورة فرنسا فلم لا تكون مقالات الرسالة قد بشرت بثورة ٢٣ يوليو ، فجاءت ثمرة مشتهاة من شجرة مباركة ! بل إن أحد زعماء الثورة العراقية قد اعترف صراحة على صفحات أخبار اليوم بفضل الرسالة عليه مما يثبت أن أثر الرسالة عام فى كل مكان يقرأ العربية ويعتز بالقرآن .

محمد رجب البيومى

(بقية المنشور على ص ١١٢٤)

القرآن . ويجد صاحب هذه النظرة المحيطة فى بعض ما فعل النبى عليه السلام معتمداً له وسنداً ، ويستأنس به [١] .

وبعض آخر من رجال الدين ينظر إلى جانب معيَّن فى القضية ، فيرى ملابسة الرجل وشهوده لأمر من المنكر وإعانته عليه ، وقد يقول إن الغناء والموسيقى حرام ، ويكفيه ذلك قولا فى القضية .

محمود الشرقاوى

سكرتير التحرير

(١) انظر مثلا حديث : « إيمان ثقيف » وقدوم وفدهم على النبى عليه السلام فى الجزء ٤ من مسند الإمام أحمد ، ص : ٢١٨ .

وانظر قصة : « فتى من الأنصار كان يصلى مع النبى عليه الصلاة السلام ولا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه » . . . الخ فى ص : ٣٩٨ من تفسير الكشاف ، الجزء ٢ من طبعة المطبعة الأميرية .

الحسن البصري الزاهد العابد

للدكتور جمال الدين الرمادي

حينما عرف الغزالى التصوف فى إحياء علوم الدين قال : إن التصوف أمر باطن لا يستطلع عليه ، ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته ، بل بأمور ظاهرة يعول عليها أهل العراق فى إطلاق اسم الصوفى ، والتفضيل أن يلاحظ فى الصوفى خمس صفات . الصلاح والفقر وزى الصوفية ، وألا يكون مشتغلا بحرفة ، وأن يكون مخالطا لهم بطريق المساكنة . وقد وافق كثير من علماء المتصوفة الغزالى على تعريفه ، بل لقد اشترط بعضهم اشتراطات أخرى شديدة على المتصوفة ولا محل لذكرها الآن .

ولكن المهم أن هنالك فئة من الزهاد والعباد سبقوا حركة التصوف ونهجوا فى حياتهم نهجا أشبه بنهج المتصوفة ، ومهد زهدهم وعبادتهم إلى خروج التصوف إلى معناه المعروف فى تاريخ الأديان ، ومن هؤلاء الزهاد والعباد الحسن البصرى المسلم الزاهد فى القرن الأول الهجرى وشطر من القرن الثانى لا يتعدى عشر سنوات . فقد كان الحسن البصرى أو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن ، حليف الخوف والحزن وأليف الهم والشجن ، وعديم النوم والوسن ، نموذجا حيا للفقيه الزاهد ، فى متاع الدنيا وزينتها ، وزخرف الحياة وبهجتها ، وشهوة النفس ورغبتها .

ولقد تشكل الزهد فى الإسلام بطابعين طابع الخوف وطابع الحب ؛ ومثال الأول الحسن البصرى الذى نتحدث عنه اليوم - ومثال الثانى رابعة العدوية التى أخرجته من الخوف من عذاب النار ، والشوق إلى ثواب الجنة إلى حب الله وطاعته والأنس به ، والإقبال عليه ، والشوق إليه . فقالت فى إحدى مناجاتها «إلهى إذا كنت أعبدك رهبة من النار ، فاحرقنى بنار جهنم ، وإذا كنت أعبدك رغبة فى الجنة فاحرمنيها ، أما إذا كنت أعبدك من أجل محبتك فلا تحرمنى يا إلهى من جمالك الأزلى » .

أما الحسن البصرى فكان من طابع الزهد الأول ، وقوامه الخوف من العذاب ، والأمل فى الثواب ، وليس أدل على إمعانه فى الخوف ، وخشيته ورهبته من أن الشعرانى صاحب الطبقات الكبرى قال عنه «كان قد غلب عليه الخوف حتى كأن النار لم تخلق إلا له » ، وساقه هذا الخوف إلى حزن عميق يكتنفه

اكتنافا ويطويه طيا من كثرة التفكير والتأمل والتدبر. فقال: (إن المؤمن يصبح حزينا، ويمسى حزينا، ولا يسعه إلا ذلك. لأنه بين مخافتين: بين ذنب قد مضى لايدرى ما الله يصنع فيه، وبين أجل قد بقى لايدرى ما يصيبه من المهالك).

كما قال: (الرجاء والخوف مطية المؤمن)، وقال كذلك: (إن المؤمن يصبح حزينا، ويمسى حزينا، ويتقلب باليقين فى الحزن، ويكفيه مايكفى العنيزة: الكف من التمر، والشربة من الماء).

وهكذا كان الحسن البصرى تظلله دائما سحابة من الحزن، وغيمة من الشجن، ويدفعه وازع من الخوف، وأمل من الرجاء، غير أنه كان يضمر للحياة القلى والكراهية، ويعلن لها المقت والنفور، وينصح الناس بالتجرد منها، والزهد فيها، والانصراف عن ملذاتها وشهواتها التى تجعل من الناس بهيمة تسعى وتدب على الأرض، فقال: (يابن آدم أنت اليوم فى دار هى لاقطتك... ثم تفضى بأهلها إلى أشد الأمور وأعظمها خطراً، فاتق الله يابن آدم، وليكن سعيك فى دنياك لآخرتك، فإنه ليس لك من دنياك شىء إلا ما صدرت أمامك، ولا تدخرن عن نفسك مالك، ولا تتبع نفسك ما قد علمت أنك تاركه خلفك).

وكان الحسن البصرى يتوق إلى الجنة، ويهفو قلبه إلى نعيمها العظيم وخيرها السابغ وفضلها العميم، وكانت عيناه تدمعان حينما يتلو القرآن الكريم ويتذكر قوله تعالى: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة»، أو قوله «ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون»، أو غير ذلك من الآيات البينات التى تشوق المؤمنين فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

غير أن الحسن البصرى كان يرى أن الجنة لا يمكن أن تهدى إلى الناس إهداء أو تسدى إليهم إسداء، أنه لا بد من سعى فى سبيلها، ولابد من جهاد من أجلها ولابد من سلوك طريق يؤدى إليها، وهذا الطريق قوامه العمل الخالص. وفى هذا يصرح الحسن البصرى لابن آدم قائلا: (يابن آدم، عملك: عملك فإنما هو لحمك ودمك. فانظر إلى أى حال تلقى عملك، لأن لأهل التقوى علامات يعرفون بها: صدق الحديث، والوفاء بالعهد، وصلة الرحم، وحسن الخلق، مما يقربك إلى الله عز وجل ...).

وكان الحسن البصرى يرى أن كل نعيم دون الجنة حقير، وكل بلاء دون النار يسير، وكان ينظر إلى الموت نظرة حصيفة، ورأى رجلا يأكل بين المقابر فزجره، ووبخه

وقال : (أما فى حال هـؤلاء الأموات ما يكفيك عن تذكر الأكل) ومر عليه شاب وعليه بردة ، فدعاه فقال: (إيه يابن آدم معجب بشبابه ـ معجب بجماله ـ معجب بثيابه، كأن القبر قد وارى بدنك، وكأن قد لاقيت عملك ، فداوِ قلبك ، فإن حاجة الله إلى عباده صلاح قلوبهم) .

وقد دفع الزهد الحسن البصرى إلى الانصراف عن مظاهر الحياة المادية ، وما يتبعها من مال وعرض ، وضياع وجاه ونفوذ ، فقال : (بئس الرفيقان الدرهم والدينار !) .

وقد بنى أحدهم بماله داراً فخمة ضخمة ، ودعا الحسن إلى دخولها فدخل فنظرها ثم قال: (أخرّبت دارك . وعمّرت دار غيرك . لاغرك من فى الأرض ، ومقتك من فى السماء . طأ الأرض بقدمك ، فإنها عن قليل قبرك ، إنك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك) .

وهكذا أسس الحسن البصرى مذهبه القائم على الزهد الخاضع لسلطان الحزن ، والبكاء ، والخوف من النار ، والحنين إلى الجنة ، والشوق إلى نعيمها المقيم ، ووصفها الجميل الذى مالا رأته عين ، ولا سمعته أذن ، ولا مر على لسان ، وجاء ذكره فى القرآن الكريم ، فتاقت النفوس الطيبة إليه ، واشتعلت القلوب المؤمنة تعلقاً به وحرصا عليه . وقد ظل الحسن البصرى ينشر مذهبه بين أتباعه ومريديه حتى شاعت طريقته ، كما شاع أسلوب رابعة العدوية فى زهدها ، وأخذ أتباع هذين المذهبين من الزهد ينتشرون هنا وهناك ، فى أرجاء البلاد الإسلامية . طيلة القرنين الأول والثانى الهجرى . حتى اجتمع شملهم والتأم شتاتهم فى هيئة منظمة أو شبه منظمة تعرف بالصوفية. ولم تلبث أن ظهرت طرائق متعددة للمتصوفة وأساليب مختلفة ولكنها جمعت بين صفوفهم .

وهنا يحق لنا أن نقول: إن الحسن البصرى لم يكن متصوفا بالمعنى المعروف ، إنما كان زاهداً عابداً ، والزهد غير الفقر والتصوف، ويقول السهروردى فى كتابه « عوارف المعارف » : إن التصوف اسم جامع لمعانى الفقر والزهد ، ولكن بزيادة أوصاف وإضافات بدونها لا يكون الصوفى صوفياً ، ولو كان زاهداً فقيراً ، فالتصوف أعلى من الفقر والزهد ، وإن كان منطويا عليهما ، ومستنداً إليهما ، لأنهما يمهدان إلى النفحات الروحية ، والإشراقات الإلهية ، والتصوف علم لبواطن القلوب . وقد تعددت أقوال الصوفية وتباينت تعريفاتهم فى مفهوم معنى التصوف وتفرقوا فى ذلك شيعاً وأحزابا فى القرون المختلفة .

لم يكن الحسن البصرى إذن متصوفا إنما مهد لظهور التصوف بما سلكه من سلوك الزاهد المتبتل وبما تفوه به من حكم كالدر المنثور، والزهر المنضود، حتى قال الجنيد المتصوف فى تعريف التصوف: هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به وتكون مع الله بلا علاقة، كما قال آخر: (التصوف هو الدخول فى كل خلق سنى، والخروج من كل خلق دنى). وقال آخر: (هو استرسال النفس مع الله على ما يريد) وقال سهل الصوفى: (من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، وانقطع إلى الله دون البشر. واستوى عنده المال والمدر). وقال آخر: (الصوفى كالأرض يطرح عليه كل قبيح، ولا يخرج منه إلا كل مليح). وقال السهروردى: (الصوفى هو الذى يكون دائم التصفية لا يزال يصفى الأوقات عن شوائب الأكدار بتصفية القلب عن شوب النفس، ويعينه على هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه، فبدوام الافتقار ينقى من الكدر، وكلما تحركت النفس، وظهرت بصفة من من صفاتها أدركها ببصيرته النافذة وفر منها إلى ربه، فبدوام تصفيته جمعيته، وبحركة نفسه تفرقته وكدره، فهو قائم بربه على قلبه، وقائم بقلبه على نفسه. قال الله تعالى: «كونوا قوامين لله شهداء بالقسط»، وهذه القوامة لله على النفس هى التحقق بالتصوف».

ومن يتأمل فى هذه الأقوال يلاحظ أنها لا تختلف كثيراً عن أقوال الحسن البصرى فى الحياة والزهد. وتطهير النفس، وإيثار الفقر، والتقرب إلى الله عز وجل؛ بيد أن الحسن كان يطوى هذا كله بغلالة من الخوف والرهبة والأسى والحزن، وهذا ما كان يميز زهده وتعبده.

وقال الغزالى: (كان الحسن أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة، اتفق العلماء فى حقه على ذلك). وقال ابن عربى: (الحسن عندنا من أئمة أهل طريق الله جل جلاله، ومن أهل الأسرار والإشارات) وقال الحافظ: (كان يستثنى من كل غاية، فيقال: فلان أزهد الناس إلا الحسن وأفقه الناس إلا الحسن، وأفصحهم إلا الحسن).

ونظر إليه راهبان فقال أحدهما لصاحبه: (مل بنا إلى هذا الذى سمته سمة المسيح، فعدلا إليه، فألفياه مفترشا لذقنه راكعاوهو يقول: (يا عجبا لقوم أمروا بالزاد، وأذنوا بالرحيل، ما الذى ينتظرون..) ؟

دكتور. جمال الدين الرمادى

زواج المسلم بغير المسلمة

للأستاذ أحمد الشرباصي

الزواج بغير المسلمة موضوع ثار ويثور من حين إلى حين، تارة فى الصحف والمجلات، وتارة فى النوادى والمجتمعات، ومن الخير أن تقال فيه كلمة الإسلام واضحة مؤيدة بالدليل والبرهان، ليستبين للناس وجه الحق فيه، و « ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حى عن بينة. وإن الله لسميع عليم ».

لقد برأ الخالق العظيم هذا الكون، وأوجد هذه الحياة، وكان لا بد من وسيلة مجدية وعالية لتعمير الكون وإبقاء الحياة واتصال هذا الجنس البشرى الذى يعد سيد المخلوقات فوق هذه الأرض؛ وقد شرع الله الزواج لتحقيق هذا الهدف، وجعله عقدا تباركه يد الله وتلحظه عنايته وتحوطه رعايته، فهو شركة بين اثنين يوثق رباطها اسم الله، وهو مشاركة فى السراء والضراء، وتعاون فى أمور الحياة، وأنس ومودة، وعشرة وعجبة، وصحبة تمتد على الأيام حتى يكون الشأن فيها أن تكون صحبة العمر بطوله: « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ».

ولأن الزواج فى الأصل هو « صحبة العمر » حاطه الإسلام بحوافظ وسوائد كثيرة تبعده عن الإكراه والجهالة، وعدم الكفاءة والتناسب؛ ولا يستقيم أمر الزواج إلا إذا توافر للزوجين التقارب فى المعتقدات والآراء والأفكار؛ ولذلك كان الأصل والعادة أن يختار الزوج زوجته من بيئته وعقيدته وطريقته ومستواه المادى والأدبى فى الحياة، وكان الأولى بالمسلم أن يتزوج مسلمة مثله لاتفاقهما فى الدين الذى يؤدى إلى اتفاق المشاعر والعواطف والأفكار. ولئلا يكون التزوج بغير المسلمة فاتحة إلى تأثر الزوج بدينها إن استسلم لها، أو لإساءته إليها إن وقف منها موقف الإباء والتشدد، ولئلا يساء استغلال الزواج إذا كانت الزوجة من غير دولة الزوج، ولعل هذا هو ما دفع الدول إلى تحريم الزواج من أجنبيات على الذين يقومون بواجبات سياسية لبلادهم كالسفراء والقناصل وغيرهم.

كما أن فتح الباب على مصراعيه أمام زوج المسلم بغير المسلمة قد يؤدى إلى تزايد عدد الفتيات المسلمات اللواتى لا يجدن أزواجا لهن ؛ كذلك من خطر التزوج بغير المسلمة أن الزوج لا يطمئن على مصير الأولاد ، لأن الولد مولع بتقليد أمه قبل تقليد أبيه ، وقد يؤدى هذا إلى تأثر الولد بدين أمه ، فينشأ غير قويم الإسلام ، مع أنه يتبع أباه من ناحية الدين ؛ لأن الولد يتبع خير الأبوين ديناً .

ونحن نستعرض تاريخ الصدر الأول من المسلمين فنجد الأغلبية الساحقة منهم يتزوجون مسلمات ، ولا نجدهم يتزوجون غير مسلمات إلا فى حالات فردية نادرة ، وذلك لأنهم يعتبرون الإسلام هو الطابع الأساسى الذى يطبعهم بالصبغة العامة لهم : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » .

ولكن من حقنا أن نتساءل : ألا يجوز للمسلم أن يتزوج غير مسلمة . وهذا التساؤل يؤدى بنا إلى تساؤل آخر : ومن هى غير المسلمة ؟ . إن غير المسلمة نوعان ، لأنها إما أن تكون كتابية ، أى من أهل دين سماوى له كتاب من الله ، وله نبى يبلغه ، وإما أن تكون مشركة بالله ، أولا تدين بدين .

ويقول بعض العلماء : إن ظاهر لفظ « الشرك » لا يتناول أهل الكتاب ، ويستدلون على ذلك بقول الله تعالى : « ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم » ، وقوله أيضا : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين » . لأن عطف « المشركين » على « أهل الكتاب » يدل على أن أهل الكتاب غير المشركين[1] ، لأن العطف يقتضى المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه .

وقد أجمع الأئمة على أنه لا يجوز للمسلم أن يتزوج مشركة أو من لا تدين بدين ، فلا يحل له أن يتزوج عابدة صنم أو وثن أو شمس أو كوكب أو حيوان أو إنسان ، ولا يحل له أن يتزوج الملحدة التى لا تعترف بوجود الله ولا بوجود الدين الإلهى ، أو الدين السماوى — بتعبير الفقهاء — والمراد بالدين السماوى هنا الدين الإلهى الذى له كتاب عند الله فى عهد هذا الدين ، وله رسول جاء ذكره فى القرآن الكريم بالتفصيل أو الإجمال .

والنهى عن زواج المشركات — ويقاس عليهن الملحدات — جاء صريحا فى القرآن الكريم ، حيث يقول الله تعالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن . ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم » .

قال الفقهاء : فلا يجوز حينئذ أن يتزوج المسلم وثنية أو برهمية أو بوذية أو نحوها ، إذ ليس لهؤلاء كتاب إلهى منزل من عند الله ، وليس لهم نبى مرسل من قبل الله تعالى

(١) انظر تفسير القرطبى ، ج ٣ ص ٦٨ .

ويقول ابن جرير الطبرى عند تفسير الآية السابقة : «اختلف أهل التأويل فى هذه الآية، هل نزلت مرادا بها كل مشركة ، أم مرادا بحكمها بعض المشركات دون بعض ؟ وهل نسخ منها بعد وجوب الحكم بها شى أم لا ؟ فقال بعضهم : نزلت مرادا بها تحريم نكاح كل مشركة على كل مسلم ، من أى أجناس الشرك كانت عابدة وثن ، أو كانت يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو غيرهم من أصناف الشرك ، ثم نسخ تحريم نكاح أهل الكتاب» .

وذكر الطبرى الروايات فى ذلك ثم قال : «وقال آخرون : بل أنزلت هذه الآية مرادا بحكمها مشركات العرب ، لم ينسخ منها شىء ولم يستثن ، وإنما هى آية عام ظاهرها خاص تأويلها» .

ويقصد بخصوص تأويلها أن المراد بها اللاتى أشركن ولا كتاب لهن يقرأنه ، وساق الروايات فى ذلك ثم قال : «وقال آخرون : بل أنزلت هذه الآية مراداً بها كل مشركة من أى أصناف الشرك كانت ، غير مخصوص منها مشركة دون مشركة ، وثنية كانت أو مجوسية أو كتابية . ولا نسخ منها شىء» .

وساق الروايات فى ذلك ثم قال : «وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله قتادة من أن الله تعالى ذكره ، عنى بقوله : «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن» ، من لم يكن من أهل الكتاب من المشركات ، وأن الآية عام ظاهرها خاص باطنها ، لم ينسخ منها شىء ، وأن نساء أهل الكتاب غير داخلات فيها» [١] .

والشيعة ترى غير هذا الرأى ، يقول الطبرسى المفسر الشيعى فى تفسيره للآية : «وهى عامة عندنا فى تحريم مناكحة جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم وليست بمنسوخة ولا مخصوصة» [٢] .

وكذلك استدل الفقهاء على تحريم تزوج المسلم بالمشركة بقوله تعالى : «ولا تمسكوا بعصم الكوافر» . والعصم جمع عصمة ويراد بها العقد ، والكوافر جمع كافرة ، أى لا تمسكوا أيها المؤمنون بحبل النساء الكوافر وأسبابهن ، وهذا أمر من الله تعالى بتطليق المسلمين لنسائهم الكافرات حينئذ ، وفيه أيضا نهى من الله للمؤمنين عن الإقدام على نكاح النساء المشركات ، ولقد كان لعمر زوجتان مشركتان فطلقهما عقب نزول الآية وطلق طلحة بن عبيد الله زوجة له مشركة ، كما طلق المؤمنون حين نزولها كل امرأة كافرة كانت تحت رجل منهم . وقال ابن زيد : إذا كفرت المرأة فلا تمسكوها خلوها ، وقعت الفرقة بينها وبين زوجها حين كفرت» .

والحكمة فى تحريم زواج المشركة ومن لا دين لها قد أشارت إليها آية البقرة الناهية عن زواج

---

(١) تفسير ابن جرير . طبعة الحلبى ، ج ٢ ص ٣٧٦ و ٣٧٧ .

(٢) تفسير الطبرسى طبعة صيدا ج ١ ص ٣١٨ .

المشركات حيث قال الله فيها : «أولئك يدعون إلى النار» لأن المرأة المشركة أو التي لا تدين بدين إلهي تخلب لب زوجها ، وتجره إلى شركها أو إلحادها ، وتفتنه عن دينه ، وقد تتدرج إلى ذلك بجمالها ورقتها وتدبيرها . فينسى الزوج تماسكه الديني ، ويتساهل في أمور عقيدته وعبادته ، فإذا هو يستحسن ما تستحسن زوجته ، ويستقبح ما تستقبح ، فيقوده ذلك إلى الإعجاب بوثنيتها وشركها وإلحادها ، ويترك دينه وراءه ظهريا ، فيفضي به ذلك إلى عقاب الله وعذابه بالنار : «أولئك يدعون إلى النار» .

جاء في تفسير المنار : «أشار بأولئك إلى المذكورين من المشركين والمشركات ، أي من شأنهم الدعوة إلى أسباب دخول النار بأقوالهم وأفعالهم ، وصلة الزواج أقوى مساعد على تأثير الدعوة ، لأن من شأنها أن يتسامح معها في شئون كثيرة ، وكل تساهل وتسامح مع المشرك أو المشركة محظور محذور الشر ، بما يخشى منه أن يسرى شيء من عقائد الشرك للمؤمن أو المؤمنة بضروب الشبه والتضليل التي جرى عليها المشركون»(١) .

ولو فرضنا أن الزوج كان من الصنف الشديد في دينه المعتصم بيقينه ، لكان هناك احتمال قوى أن يؤدى به هذا التماسك إلى الصرامة مع زوجته لوثنيتها وإشراكها فيسيء معاملتها ، فيشوه مظهر الإسلام من جهة ، ولا تستقر بينهما الحياة الزوجية من جهة أخرى .

ولا شك أن التنافر بين الإشراك والإسلام شديد واضح واسع ، فالمسلم المؤمن في نهاية الخط من جهة اليمين : يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويعبد الله الواحد الأحد الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، والمشرك أو الملحد في نهاية الخط من جهة اليسار ينحط عنده إلى أسفل سافلين . فلا إيمان ولا اعتقاد ولا عبادة ، فكيف يلتقي مسلم ومشركة أو ملحدة تحت سقف بيت واحد ، ليظلا في شركة الزواج التي تمتد في الأصل والغالب طول الحياة ، حتى إنها تسمى «صحبة العمر» ؟ .

إن أساس الاستقرار في الحياة الزوجية هو التفاهم والتلاقي في الآراء والأفكار ، ولا شك أن اتحاد العقيدة هو الباب الطبيعي الواسع للاتحاد في المشارب والطباع والتفكير .

ولنتصور مثلا زوجين أحدهما مسلم يرى من واجبه أحيانا أن يتقرب إلى ربه بأن يذبح بقرة ليأكل منها ويضحي ، أو يتصدق ويفي بنذره لله ، ومعه زوجة له ضلت في تفكيرها واعتقادها ، فهي تعبد هذه البقرة ، ولا تمسها بسوء ، ولا تصدها عن تصرف ولو كان مسيئاً ، لأنها تعتقد أن هذه البقرة مقدسة لا تمس ، فكيف يتفق هذان الزوجان في الحياة أو يستقر لهما بيت الزوجية ؟ .

---

(١) تفسير المنار ، طبعة المنار ، ج ٢ ص ٣٥٣ .

ويقول الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت :
« إن أفضل أنواع الزواج ماتلاقت عليه الرغبات ، وخلصت له القلوب ، وتناجت به الأرواح ، ومن ضرورة ذلك أن تتفق العقيدة وتتناسب الأخلاق وتتحد الأهداف ، وفى ظل ذلك التناسب يبسط الزواج على الحياة الزوجية نسيج السكن والمودة والرحمة ، فتطيب الحياة وتسعد الأبناء والأسرة ، ولا يتحقق ذلك على الوجه الأكمل فى نظر الإسلام إلا إذا اتفق الزوجان فى الدين والعقيدة ، وكانا مسلمين يأتمران بأمر الإسلام وينتهيان بنهيه ، ويشد الإسلام ما بين قلبيهما من رباط .

أما إذا كان الزوج غير مسلم والزوجة مسلمة ، أو كانت الزوجة غير مسلمة والزوج مسلما ، فإن الحكم فى الإسلام له وجه آخر ، فهو بالنسبة للغرض الأول ـ وهو أن يكون الزوج غير مسلم والزوجة مسلمة ـ الحرمة القطعية والمنع البات ، وهو من الأحكام التى أجمعت عليها الأمة من عهد الرسول إلى يومنا هذا ، وصار منعه فى الإسلام من الأحكام التى يقول عنها الفقهاء : إن العلم بها ضرورى ، يحكم على من أباحه بالخروج من الدين ، وليس هذا موضوع حديث اليوم ، ولا مما يتعلق لنا غرض الآن ببحثه ، وإنما غرضنا الكلام على الغرض الثانى وهو تزوج المسلم بغير المسلمة ، ولبيان الحكم فى هذا الغرض يجب أن نفرق أولا فى غير المسلمة بين المشركة التى لا تقر بإله ولا بكتاب سماوى . والكتابية التى تقر بالألوهية وتعترف بمبدأ رسالات الله إلى خلقه ، وتؤمن بيوم البعث والجزاء . والإسلام يرى بالنسبة للمشركة أن زواجها باطل ، ولا يحل لمسلم أن يبنى معها حياة زوجية ، وقد جاء ذلك المنع فى صريح القرآن الذى لا يحتمل أفهاما ولا آراء ، ومن هنا كان محل إجماع أيضاً بين علماء الإسلام ولم يعرف لأحد منهم رأى بحله ، وذلك قوله تعالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم » [1] .

وقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد فرق بين حذيفة ابن اليمان وزوجة له كانت غير مسلمة ، ولعل هذه الرواية تتعلق بزواج حذيفة من مجوسية ، فقد جاء ذلك فى بعض الروايات ، وهناك رواية أخرى أكثر وأشهر تقول إن التى تزوجها حذيفة كانت كتابية [2] ، وقد نتعرض لهذه الرواية عند مناسبتها فيما بعد

هذا حكم تزوج المسلم بغير المسلمة إذا كانت مشركة أو ملحدة لا تدين بدين ، وأما حكم تزوجه بغير المسلمة إذا كانت كتابية فله حديث آخر ... ؟

أحمد الشرباصى

---

(١) كتاب الفتاوى ، مطبعة الأزهر ص ٢٥١ .
(٢) انظر تفسير ابن كثير ، طبعة الحلبى ، ج ١ ص ٢٥٧ .

الاسلام دين العلم والتطور

للأستاذ عباس طه

إن تطور الجماعات فى الناحيتين الأدبية والاجتماعية من الأمور التى يجب أن يعنى بها القانونيون لأنها من أمس الأمور بحياة الأمم.

وما أوتيت الأديان من مأمنها ودب إليها الوهن إلا من ناحية إغفال قادتها هذه الناحية فى تعاليمهم . ناحية التطور فى كل مجال من مجالات النشاط العلمى والعملى .

والذى حدا بأولئك القادة إلى سد طريق التطور فى وجوه أتباعهم أنهم تخيلوا أن التطور يخرج بهم عن الأصول القديمة ويفضى إلى ضياع ما ائتمنوا على حفظه سليما من كل تحول ، وغفلوا عن أن التطور الصحيح إذا عدا على شىء فإنما يعدو على الباطل ، أما الحق فيزيده جلاء ولألاء . فإذا كان الذى يتمسكون به حقا فلا خوف عليه من أى تطور . وإن كان باطلا فعبثا يحافظون عليه ؛ فإنهم إن استطاعوا دفع الغير والأحداث عنه جيلا أو جيلين اضطروا فى النهاية للقهقرى إزاء القوى الغالبة .

أما شريعة الإسلام من هذه الناحية فلا أقول إنها احتاطت لها فحسب ، ولكنى أقول إنها قد فرضت التطور على أهلها فرضا ودفعتهم إليه دفعا لأنها شريعة عهد الرشد للأمم ، وقد علم الله أن الأمم فى هذا العهد تطفر فى الترقى طفرا وتقطع المراحل إليه قفزا ، فهى بحاجة إلى شريعة لا تناسب حالتها الراهنة فحسب بل تهيئ لها وسائل التقدم وتمهد لها طرقه وتمدها فيه بقوة معنوية فوق قواها .

إن الإسلام قد فرض التطور على أهله فرضا ودفعهم إليه دفعا ، وإلا فكيف نفسر انتقال المسلمين بعد أخذهم بهذا الدين من عداد الأمم الجاهلية المسودة إلى مصاف الأمم العالمة السائدة ، أستغفر الله بل إلى صف فوق الصفوف صارت فيه وحدها حافظة للعلم والحضارة والفنون دون سائر الأمم ؟ وقد اعترفت الأمم كافة لها بالزعامة قرونا طويلة كانت فيه تؤم عواصمها وتأخذ عنها العلم والحكمة ، وأسرار الصنائع والفنون . أليس هذا لأن الإسلام يفرض على متبعيه التطور فرضا .

إن قول الله تعالى : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » ، وقوله : « وقل رب زدنى علما » ، وقوله : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم) : وقوله (خذ الحكمة ولو من مشرك) وقوله (الحكمة ضالة المؤمن ينشدها أنى يجدها) ، كل هذه الآيات والأحاديث فرضت على المسلمين العلم ودفعت بهم إلى باحاته دفعا ، والعلم يؤدى إلى مدارج الترقى لا محالة بل هو طريقه الوحيد فى كل أدوار البشر .

هل قنع الإسلام بهذا القدر من ترغيب الناس فى العلم ، وإجبارهم على التعويل عليه؟ لا . ولكنه لم يدع لوناً من ألوان التأثير فى العقول ، ولا باعثاً من بواعث التوثب فى النفوس إلا استخدمه فى هذا السبيل حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم :(كن عالما أو متعلما ولا تكن الثالث فتهلك) وقال : (لموت عالم واحد أشد عند الله من موت قبيلة) وقال : (فقيه واحد خير من ألف عابد) وقال : (يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجحه) .

هذا كله وأمثاله مما يكاد لا يحصى يفسر ما حدث من الانقلاب العظيم فى جماعة العرب ، وإلا فمن ذا الذى كان يتخيل أن أولئك الجاهلين بعد فترة من الزمان لا تعتبر فى حياة الأمم شيئاً يذكر ، يصبحون وفى أيديهم قبس العلم يعشو إلى نوره أهل العالم أجمع يأخذون عنهم ما جعلهم الله أمناء عليه دون خلقه ، فكانوا الحفظة لميراث الإنسانية من ناحية والواسطة فى إحيائه وتسهيل الانتفاع به من ناحية أخرى .

إن الدين الذى يصرح بأن عقل آيات الله وإدراك أسرارها من حظ أهل العلم وحدهم دون سواهم فيقول : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » . يجب أن يوصف بأنه دين العلم غير منازع .

قال بعض المؤرخين: إنه قد ثبت أن العرب وصلوا فى رحلاتهم الجغرافية وجولاتهم الاستكشافية إلى شواطئ أمريكا وأن كريستوف كولمبس الذى اعتبر مكتشفها قد عــثر هنالك على أشياء مادية تدل على وصول العرب إليها قبله .

وقد شهد كبار المؤرخين الاجتماعيين أن العرب وصلوا فى بعض الفنون والصنائع إلى شأو لم يبلغه الأوربيون بعد ، قال العلامة الفرنسى جوستاف ليبون فى كتابه (تمدن العرب) « العرب مع ولوعهم بالبحوث النظرية لم يهملوا تطبيقها على الصنائع والفنون ، فقد أكسبت علومهم لصنائعهم جودة عظيمة جداً تعتبر مفخرة المفاخر فى سالف الدهور . وإننا وإن كنا لم نزل نجهل أكثر الطرائق التى سلكوها لذلك فإننا نعرف نتائجها وآثارها ، فنعرف مثلا أنهم احتفروا المناجم واستخرجوا منها الكبريت والنحاس والزئبق والحديد والذهب وأنهم برعوا جداً براعة لم يلحق لهم فيها شأو إلى الآن » .

نقول : إذا كانت أوربا على ما وصلت إليه من الإبداع الفنى والصناعى تشهد على لسان أكابر ممثلى العلم والفنون فيها بأن المسلمين وصلوا من الكمال العملى فى كثير من الصنائع إلى أبعد مما وصلت هى إليه . فإن ذلك لا يمكن أن يكون ثمرة تعاليم دينية جامدة متحجرة .

تلك آثارنا تدل علينا « فانظروا بعدنا إلى الآثار

عباس طه

ما يقال عن الإسلام

تطـــور الإسـلام

لمؤلفه ريموند شارل الفرنسي

نقد وتعليق: للأستاذ مالك بن نبي

مواد الكتاب :

عناصر المسألة :

(ا) المجتمع الإسلامي التقليدي :

١ ـ المرأة والرجل .

٢ ـ المجتمع والنظم .

(ب) المصلحون و «العصريون» في الإسلام

(ج) القومية الإسلامية .

(د) التطور الحالي في المجتمع والنظم الإسلامية :

١ ـ التطور السياسي .

٢ ـ التطور الاقتصادي .

٣ ـ التطور الاجتماعي .

٤ ـ التطور من حيث الأحوال القانونية .

٥ ـ التطور الثقافي .

٦ ـ تطور المرأة .

(هـ) تطور المغرب الحالي .

(و) عوامل النهضة الإسلامية .

(ز) غـــداً .

(ح) الإسلام والخطر الشيوعي .

المبدأ العام :

إننا لا نحسن تقدير الأشياء ، لو قدرنا أن المستشرق الذي يكتب عن الإسلام ، يكتب من أجل أن يعرّف الفضيلة الإسلامية لمواطنيه في البلاد الأوربية .

إنما يتصرف المستشرق الذي يكتب عن الإسلام والمسلمين بمقتضى دوافع أخرى ، لا تخلو من سمو عند ما تدفعه المهنةُ فيكتب كأستاذ في جامعة مثل «جيب» ، أو تدفعه الميول الفكرية ، فيكتب كمجرد عالم مثل «فلوقل» .

وقد يجد المسلم في إنتاج هذا العالم أو ذاك الأستاذ ما يفيده ؛ لأن أحدهما مهما تكن نواياه ـ أضاء مثلا بعض نقط الضعف التي

يتأثر بها المجتمع الإسلامى ، ولأن الآخر كرس حياته من أجل ترتيب مفردات المصحف حتى يجعل القرآن الكريم فى متناول من لا يحفظه من المسلمين وغير المسلمين .

وإذن فلنتساءل على ضوء هذا المبدأ : هل يفيدنا كتاب مسيو « ريموند شارل » بصورة ما ؟

الجواب ، مع الأسف : أنه لا يفيدنا ، ولا أظنه يفيد غيرنا ، مهما يكن التقدير الذى وضعناه فيه .

* * *

التقدير الأول :

فلو قدرنا هذا الكتاب على أنه دراسة لوجب علينا أن نلاحظ أن الخطأ تسرب إلى هذه الدراسة من ثلاث نواح :

١ - من العنوان نفسه الذى ترجمناه بحرفيته عن قصد .

٢ - من منهج الكتاب .

٣ - من معادلة الكاتب الشخصية التى تدخل فى كل سطر من الكتاب .

خطأ العنوان :

إن الكاتب يتناول كلمة « إسلام » فى عنوانه للدلالة على « المجتمع الإسلامى » الذى هو الموضوع المقصود بالذات فى كتابه .

وليس لملاحظاتنا أى أهمية لو كانت تشير إلى مجرد خطأ لفظى ، بينما هى تعنى أن الكاتب أصبح بمقتضى مصطلحه الخاص يسلك المسلك الذى تعودناه من سائر الكتاب الغربيين الذين يقعون فى نفس الخطأ ، حيث يسوقهم المصطلح إلى تغيير لا شعورى فى الموضوع فيختلط فى إدراكهم ما يتصل بواقع اجتماعى من واقع المسلمين يحتمل التغيير (أو التطور كما يقول صاحب الكتاب) فى اتجاه النمو أو التقهقر ، بمقتضى عوامل زمنية معينة ، يختلط بقيم مطلقة تتصل بواقع آخر ، هو الإسلام ، لا يعتريه التغير والتطور بالمعنى الذى نفهمه فى عالم الظاهرات .

وهذا الاختلاط يؤدى إلى الحكم على الدين بما يقترفه أهله ، أو بعبارة أخرى الحكم على فضائل الخالق بما توحيه مساوئ المخلوق ، بينما يعطيه القرآن المقياس الصحيح فى هذا الموضوع فى الآية الكريمة : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » .

خطأ المنهج :

إن كتاب الغرب الذين مارسوا الدراسات الإسلامية لا يطبقون فى هذه الدراسات مبدأ التطور رغم أن ثقافتهم تقبلته فى تراث القرن التاسع عشر ، سواء فى علوم الطبيعة منذ « داروين » ، أو فى العلوم الاجتماعية والاقتصادية منذ « برودون » .

فنرى الكتّاب، مثل المسيو ريموند شارل لا يدرسون الواقع الاجتماعى الاسلامى الحاضر، على أنه حالة : طرأت لمجتمع فى نقطة معينة من تطوره ، ولكن يدرسونه على أنه هو واقع العالم الإسلامى ، الواقع المتمدر لهذا المجتمع لا بسبب طوارئ الطريق وحوادث التاريخ ، ولكن بمقتضى معطيات مستقرة فى تركيبه لا يمكنه أن يتخلص منها فهم برغم تشبثهم بقانون التطور فى صورته النظرية لا يدرسون واقع العالم الإسلامى اليوم ، على أنه حالة متطورة ولكنه على أنه حالة قارة ، فيعطون بذلك اهتماما إلى جانب الاستقرار والسكون والخمول أكثر مما يعطون إلى جانب الحركة والتغيير ، وهذا يؤدى إلى نظرة تشاؤمية إلى مستقبل العالم الإسلامى إما لأنه لا يستطيع أن يحرك سكونه وجموده ويغيرهما إلى حركة ، وإما لأنه لا يستطيع تعديل الحركة إن كان فيها خطأ أو انحراف .

معادلة الكاتب الشخصية

وعلى تقدير أن الكتاب تتخلله دراسة فإن الخطأ يتسرب إليه من الناحية الذاتية .

إن مسيو ريموند شارل لا يكتب بحرية الفكر وانشراح الصدر المطلوبين من الكاتب الذى يخصص جهده إلى خدمة العلم والحقيقة .

فهو رغم المعلومات الزاخرة المتنوعة التى أودعها فى كتابه ، يرغمنا على نكران علمه ، أو الروح العلمية عنه لأننا لا نراه أقر حقية فى سطر من سطوره أو فى صفحة ، من صفحاته إلا وجد أنه يناقضها فى السطر الذى يتبع أو فى الصفحة التالية ، بعد صفحات معدودة .

فبعد أن يكون قرر فى الصفحة الثامنة مثلا ، إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يتزايد اليوم ، عدد معتنقيه فى العالم ، نجده (صفحة ٧٩) يقرر أن « دين محمد » قبل الأديان الأخرى مهدد بموجة العلمانية التى تكتسح العالم اليوم .

فمعادلة الكاتب تعوضه هكذا ، إما ليضع بيده ، وبصورة لاشعورية مناقضات لا يقف عندها انتباهه ، وإما ليخلق مناقضات صورية ، عندما يحاول (صفحة ٣٨) أن يصور للقارئ مناقضته فى روح الإسلام الذى يضع الخالق « فوق » مخلوقاته ويراه فى نفس الوقت « مع » مخلوقاته فلا يفهم المسيو ريمند شارل كيف أن المسلم يضع الله فوق كل مقام ، وفى نفس الوقت يراه أقرب إليه من حبل الوريد .

وهكذا نجد الكاتب يتخبط فى قيود

الشخصية ، التى تحرمه من الوصول إلى الحقائق الغيبية ، وتحرمنا من الإستفادة من معلوماته لأنه ما أورد حقيقته فى سطر من سطوره إلا وأعقبها بباطل ينسخها ، ويشعرنا بأن العلم ليس مجرد معلومات تكدس كتاب .

التقرير الثانى

ولكن اعتبارنا الكتاب ، على أنه دراسة قد يتسرب إليها الخطأ من أبواب معينة كما بينا ، يضعف خلال القراءة من سطر إلى سطر ومن صفحة إلى صفحة .

فكلما تقدمت فى القراءة زاد عندى الشعور بأن الكتاب ألفه صاحبه فى نطاق عملية استعمارية مخططة اشرت إليها فى كتاب نشرته أخيرا بهذه الأسطر :

كلما وضعنا أنفسنا فى فصل كهذا (أى فى فصل جدو بناء) فإن الاستعمار سوف يكلف الإخصائيين فى لعبة الظل ليصور لنا معركة خيالية تصرف المسئولين فى البلاد الإسلامية عن المشاكل الحقيقية . .

إن مسيو ريمند شارل ، فيما يبدو لى من خلال قراءة كتابه أحد هؤلاء الإخصائيين، يريد الاستعمار استغلاله معادلته الشخصية ليجرنا بعيدا عن ساحة البناء ، ويلهينا عن المشاكل القائمـــة أمامنا فى معركة حياة أو موت ، بمعركة شفاهية .

فتراه أحيانا ينال من الإســـلام بكيفية تشعرنا أن الرجل ينتظر من وراء ذلك ردنا عليه، وأحيانا يطلق نيرانه ضد فكرة العربية ، فيتزايد شعورنا أنه يريد تعطيل القافلة الجادة فى الطريق ، وأحيانا أخرى نراه يوجه طلقاته إلى شخص الرئيس جمال عبد الناصر ، إما أن يقرن اسمه متعمدا ، باسم بورقيبة مثلا ، عند مايشعر أن وضع الفرد فى مستوى الإنسان ، يمكن أن يحدث من طرفنا رد فعل منتظر ، يبرر عمله ويزكيه فى نظر مولاه الذى يشغله ، وإما أن يفرد اسم الرئيس فى صفحات أخرى ، فيوجه إليه مثلا تهم « الفردية » و« الدكتاتورية » كى تتشنج أعصابنا وتنطلق بما يشفى غليل هذا الكتاب الغريب .

وعند ماننتهى من القراءة نشعر أن الكاتب عند ما خطط لكتابه ، حسبما نرى من خلال الفهرست الذى وضعناه فى صدر هذا التقرير ، كان فى الحقيقة يخفى وراء هـــذا التخطيط الظاهـــر ، تخطيطا خفيا تتضمنه معادلته الشخصية ، التى أراد اســـتثمارها الاستعمار ، حتى أننا لو أردنا نحن أن نرسم هذا التخطيط الحقيقى لرسمناه فى ثلاث عقد نفسية :

١ — حقد ريمند شارل على الإسلام .

٢ — حقد ريمند شارل على العرب .

٣ — حقد ريموند شارل على زعيم العرب جمال عبد الناصر .

والآن فلو تتبعنا الكتاب صفحة صفحة، وسطرا سطرا ، كتطبيق لخطة استعمارية ، لا صلة لها بالعلم أو بالدين ، من خلال معلومات كاتب مسخر ، لأمكننا أن نضع عن طريق التحليل كل جملة من الكتاب تحت عقدة من عقد صاحبه الثلاث .

• • •

فلو أردت مزيد وضوح ودقة فيما أرى بشأن هذا الكتاب ، لقلت إن التقدير الثانى يبدو لى أقرب للواقع بالنسبة إليه .

فلابد أن نقدر أن الاستعمار بالمرصاد إزاء كل ما يهب من الأفكار فى البلاد التى يفترض — حسب لغته — أن له فيها مصالح خاصة يرعاها .

ولا غرابة إذن أن يقوم الاستعمار فى مثل تلك البلاد ، بأعمال شبيهة بعملية تحويل مجرى المياه ، عند بناء السدود .

ففى نطاق الصراع الفكرى ونظراً لأسلوبه الخاص ، تقوم عمليه التحويل لمجرى الأفكار طبقا لما توحى به مصلحته .

وهذا يعنى أن كتاب ريموند شارل لا يبعد أن يكون مشروع تحويل ، وضع بخصوص بعض الكتاب المسلمين كى لا يستمروا فى طريقهم ، فى العمل الذى خططوه لأنفسهم . فالاستعمار يريد ، بصفة عامة ، أن لا يكتب هؤلاء الكتاب فى طبيعة المشاكل القائمة اليوم فى المجتمع الإسلامى ، بل أن يكتبوا طبقا لخطط مرسومة فى باريس ولندن وواشنطن يقوم بتنفيذها أمثال ريموند شارل ، كى يحقق بذلك سلطة خفية على توجيه الحياة الفكرية فى البلاد الإسلامية .

وهذه صورة من صور الصراع الفكرى .

من شعر إقبال

الأرض بستان البلابل للترنم والغناء
والقبة الزرقاء ميدانى إلى غير انتهاء
أنا ناسك بين الطيور وخلوتى عرش الهواء
لا يَنْثَنِى الشاهينُ وكراً إنَّ منزله السماء

بهذا العدد تنتهى السنة الثانية والثلاثون من هذه المجلة ، وموعدنا إن شاء الله فى أول المحرم من السنة المقبلة .

مختار من الشعر القديم والحديث

نومة صاحية

للأستاذ عمر بهاء الدين الأميرى

سأسمو على زيف هذى الحياة
إلى معرج العزلة النائيه
وأهجر ضوضاء لا تنتهى
تثير وتحرق أعصابيه
إلى مبهمات الظلام العميق
إلى حيرة الليلة الساجيه
إلى منبع الصفو خلف السماء
إلى مرتع الأمن والعافيه
أزيد فتورى ، وأطفئ لظى
شعورى ، وأكبت أشعاريه
أبلّدُ حسّى ، أجمّدُ نفسى
أغيض ، وأكتم أنفاسيه
وأغدو سكونا بعيد المدى
يشعّ طمأنينةً راضيه
ويضفى على الكون معنى الحياة
وئاماً ، ومرحمة ناميه
وإذ ذاك بعد الهدى والهدوء
وغوصى على لا نهاياتيه

سأرجع كالفجر ، بعد الفناء
المُؤكّد ، والنومة الصاحيه
سأرجع خَلْقاً فتياً سَوِيّاً
وقد هَنْدَسَتْ ، عُزْلتى ذاتيه
نَضَتْ عن كيانى غبار الزيوف
وَجَلَتْ حقيقتى العاريه
وألقت الجوهر المستكنّ
بكنهى يضوّى أغواريه
ويطلقنى قدرةً فى الوجود
تؤدى رسالة إيمانيه
رسالة جمع الكيان الشتيت
رسالة بعث المنى الغاليه
رسالة مجد إلى الله يرقى
تحققه أمّة هاديه
جهاد على الدهر يملى الخلود
ويصمد فى الزعزع العاتيه
وللحر فى روحه نفحة
من الله ، من روحه الباقيه

عمر بهاء الدين الأميرى

دعاء إلى الله

« إلى الذين يمضون إلى الأمام ، نحو النور المقدس . . نور الحق والخير ، والحرية والسلام ، لا يدركهم الناس ، ولا يتركهم الرجاء ... إليهم فى كل مكان ... أهدى هذا الدعاء » .

يا خالق الكون ، ورب السماء
أدعوك من قلبي أحر الدعاء
هيء لنا الخير كما نشتهى
إذا طغى الشر ، وماج البلاء
وانشر علينا يا إله الورى
من نورك الأسنى أرق الضياء
واجعل حياة الناس أنشودة
تشيع فيها نغمات الهناء
واسقِ الحيارى من رحيق الهدى
إن الحيارى فى الصحارى ظماء

* * *

ويا إلهى نحن فى عالم
يلفه الهول بنار الشقاء
يوقد فيه الحربَ أشرارُه
وليس يصلاها سوى الأبرياء
متى أرى العالم لا ينطوى
إلا على ما سنه الأنبياء ؟
الناس فى أنحائه إخوة
يسقون فيه من رحيق الصفاء

* * *

ويا إلهى قد أردنا العلا
والخيرَ ، والمجد ، وعز البقاء
وقد حطمنا القيد ، واستعذبت
أرواحُنا الظمأى حياة الفداء
وقد ملكنا أمرَنا بعد ما
كنا أسارى فى يد الأدعياء
واليوم نبنى بيد مجدنا
وباليد الأخرى نصون البناء
فابعث قوىَّ العزم فى روحنا
يا باعث القوة فى الأقوياء
وكن لنا عوناً على من بغى
إذا دعا الداعى ، ودوَّى النداء
واجمع على الوحدة أوطانَنا
لتكمل الفرحة يوم اللقاء

* * *

هذا رجائى يا إله الورى
لحقق اللهم هذا الرجاء

ابراهيم محمد نجا

الكتب

عبد الله بن سبأ

لفضيلة الشيخ مرتضى العسكرى ، ونشر مكتبة الإمام الكاظم بالعراق .

هذا الكتاب الذى ورد إلى مجلة الأزهر من العراق ، يعتبر مدخلا أو تمهيداً لمؤلف قد يكون كبيرا ، والهدف منه ، تسليط أضواء كثيرة على شخصية دخلت تاريخ الإسلام ، فى أدق مرحلة من مراحله الأولى .

أراد المؤلف أن يكون هذا الكتاب بحثا وتحقيقا فيما كتبه المؤرخون والمستشرقون عن « ابن سبأ » منذ القرن الثانى الهجرى حتى اليوم ، أما هذا المدخل فتناول : منشأ القصة السبأية ، وسلسلة رواتها ، وقصة السقيفة ، وقصصا أخرى وثيقة الصلة براوى القصة السبأية ، والتى تلق عنه أبرز كتّاب السيرة وهو الطبرى . وهذا الراوى هو سيف بن عمر التميمى البرجمى الكوفى المتوفى عام ١٧٠ هـ فى خلافة الرشيد .

والمؤلف الجليل الشيخ مرتضى العسكرى يستحق منا تقديراً كبيرا لهذا الجهد الشاق الذى بذله فى بحثه هذا ، محاولا عن طريق الاستدراج أن يؤكد أن عبد الله بن سبأ شخصية خرافية ، أو على الأقل يؤكد أن الأحداث الضخام التى نسبت إليه مزورة عليه ، ودليله الذى استقاه من مراجعه هو زلزلة الثقة فى راوى قصة ابن سبأ ، وهو سيف بن عمر المذكور آنفا ، وفى سبيل ذلك قدم لنا مجموعة كبيرة من رواياته وسلط عليها مضخات من التناقض . .

ونحن يسرنا أن يؤكد لنا المؤلف الجليل إلغاء شخصية ابن سبأ من التاريخ ، ولكن فضيلة المؤلف طاف بنا على صفحات كتابه حول قضية أخرى هى بمثابة الجرح العميق لسنا نحن المسلمين اليوم بحاجة إلى إثارته .

فأيما شىء يدعونا اليوم إلى بحث مسئلة الخلافة الإسلامية الأولى وكيف تآمر أصحاب رسول الله على إقصاء على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن حقه الشرعى فى الخلافة الأولى لقرابته من رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ؟

إن المؤلف الفاضل قدم لنا صورة أليمة فى هذه القضية . أبرز فيها الخليفتين : أبا بكر

وعمر ، نهازين للفرص ، ومتآمرين على علي بن أبي طالب ، وهذا التآمر ظل في قلب عمر حتى آخر لحظات حياته حين أوصى لستة من أصحاب رسول الله بالخلافة ، منهم علي وعثمان . .

كما حاول المؤلف الفاضل أن يجعل من المرتدين في عهد أبي بكر جبهة مسلمة معارضة ، وإن امتناعهم عن دفع الزكاة لم يكن إلا خروجا على طاعة الخليفة ولم يكن جحودا لفريضتها ، كما ألصق بعمر تهمة التحريض على اغتيال سعد بن عبادة في الشام حين هجر المدينة دون أن يبايع أبا بكر . .

إن الصورة عن أجل أصحاب رسول الله التي قدمها فضيلة المؤلف ، صورة تحز في النفس ، وتهز كيان العقل ، وحسب القارئ المسلم العادي أن يعلق بذهنه أن الحكم الإسلامي في مرحلته الأولى قام على أسس من الزيغ والاحتيال وفقدان الضمير وانحدار الخلق ، والانتهازية والاستغلال .

يا سماحة المؤلف : إن الإسلام اليوم تنز جراحه الثخينة الخائرة : بعض دوله تنبذه وراء ظهورها ، وشعوبه ترهقها ، إما سياط الاستعمار الغاشم ، وإما سياط الدكتاتورية الفاجرة ، ودينه الذي رضيه الله للمسلمين يتعثر ويتقلص حتى أصبح مجرد صلوات يؤديها العجزة في المساجد ، وقرآن يتلى لتطرب أسماع المسلمين بألحانه وأنغامه دون أن تطرب أفئدتهم بسحر عباداته وعذوبة ألفاظه ، وسمو معانيه .

فلنكن اليوم في حاضر الإسلام لأنه أحق بالعمل . أما أصحاب رسول الله فلندع خلافاتهم التي قد مضى عليها زهاء أربعة عشر قرنا ـ وقد أفضوا جميعا إلى ما قدموا ، وصار أمرهم مفوضا إلى ربهم .

٢ ـ الحلال والحرام في الإسلام :

للأستاذ يوسف القرضاوي ونشر دار إحياء الكتب العربية .

هذا البحث كلف به الأستاذ القرضاوي تحقيقاً لرغبة مشيخة الجامع الأزهر . في طبع كتب مبسطة تترجم إلى اللغات الأجنبية للتعريف بالإسلام وتعاليمه .

التزم المؤلف في وضعه منهجاً من ثلاثة عناصر :

أن لا يكون متزمتاً ، وأن لا يكون متحللا .

أن لا يتقيد بمذهب فقهي من المذاهب السائدة في العالم الإسلامي .

أن يعنى بالتدليل والتعليل والموازنة . مستعينا بأحدث الأفكار العلمية والمعارف العصرية .

وفي الفصل الأول عرض الكتاب لمبادئ الإسلام في الحلال والحرام : الأصل في الأشياء الإباحة ـ التحليل والتحريم حق الله وحده ـ

تحريم الحلال قرين الشرك بالله - اتقاء الشبهات - الضرورات تبيح المحظورات ، وما إلى ذلك .

وفى الفصل الثانى عرض الكتاب الحلال والحرام فى الحياة الشخصية للمسلم ، فى الأطعمة والأشربة ، الصيد ، الخمر ، المخدرات ، فى البيت ، فى الكسب والاحتراف .

وفى الفصل الثالث عرض الكتاب الحلال والحرام فى الزواج وحياة الأسرة ، فى مجال الغريزة ، وفى الزواج ، والعلاقة بين الزوجين .

وفى الفصل الرابع والأخير ، عرض الكتاب للحلال والحرام فى الحياة العامة للمسلم ، فى المعتقدات والتقاليد ، وفى اللهو والترفيه ، وفى العلاقات الاجتماعية . وفى علاقة المسلم بغير المسلم .

هذا وقد اقتصر المؤلف فى كتابه هذا على ذكر الحلال والحرام فى أعمال الجوارح ، والسلوك الظاهر ، أما أعمال القلوب ، وحركات النفوس والعواطف والإرادات ، وما إلى هذه فلم يكن مما هدف إليه الكتاب ، وذلك كما ذكر المؤلف فى خاتمة الكتاب .

بقى أن نقول — أولا :

إن موضوع الحلال والحرام فى الإسلام لا يمكن أن يستوعبه كتاب يمكن للقارىء أن يستعرضه فى ساعات ، مهما راعى المؤلف فى كتابه الإيجاز والتركيز ، والموضوع موضوع مناقشة وجدل ولذلك لم يستطع الأستاذ القرضاوى أن يلم بالحلال والحرام مما يتصل بأعمال الجوارح والسلوك الظاهر ، ونراه تعرض لشركات التأمين ، وترك أعمال المصارف والبنوك والبورصة وما إليها مثلا .

ثانيا : إذا كان الهدف من وضع الكتاب ترجمته إلى الإنجليزية لتعريف المسلمين فى أوربا وأمريكا بالإسلام ، كان على المؤلف أن أن يتعرف على الكثير من تقاليد وعادات المجتمعات هناك حتى يبين رأى الإسلام فيها ، وهذا ما لم يكن واضحا فى كتابه هذا .

ثالثاً : اضطر الأستاذ القرضاوى إلى عرض أوجه الخلاف فى كثير من المذاهب ، وهذا مما يشوش الذهن لا سيما فى بلاد واعية تحتاج إلى إيجاز وتيقن ، وهذا مما كان يحتم عرض قضية الحلال والحرام فى رسائل متباينة .

٣ — الإسلام والمبادىء المستوردة :

للأستاذ عبد المنعم النمر ، ونشر دار القلم بالقاهرة .

هذا كتاب جديد للمؤلف ، تناول موضوعا دقيقا خطيرا له أهميته ، ولقد تناول الكتاب قضية الإيمان والإلحاد فى الشرق والغرب ، كما تناول فكرة الشيوعية : ميلادها وموقفها من الإسلام والمسلمين ، وناقش قضية العلم والعقيدة ، وأن التطور لا ينافى وجود الله

كما نقض دعوى الشيوعية بأنها تعمل على المساواة بين الناس .

وعرض الكتاب بعد ذلك لموقفنا نحن المسلمين من الإسلام ، وكيف طرحنا تعاليمه جانبا ، وأتحنا الفرصة للمبادئ الهدامة المستوردة تغزونا فى عقر دارنا .

وفى إيجاز أجاب المؤلف عن هذا السؤال : هل يكفل الإسلام قيام نهضة ؟ وفى سبيل ذلك عرض لموقف الإسلام والمسلمين من العلم ، وموقف الإسلام من العمل ، وأكد أن التكافل روح المجتمع الإسلامى ، ثم ختم الكتاب ببحث مركز عن هذه القيم الثلاث : الحرية والإخاء والمساواة ، ومكانتها فى الإسلام .

والأستاذ عبد المنعم قدم لنا صورة واضحة عما لقيته الأديان وأتباعها من بطش الشيوعية لا سيما الإسلام والمسلمون ، واستطاع من كلام هوبز وكارل ماركس وانجلز ولينين أن يوضح الخطوط البارزة التى تحدد عناصر الهجوم على الدين ، إلا أنه لم يناقش موقف الإسلام من هذا الهجوم إلا فى إحداها وهى اتهام الدين بطبع الكادحين بطابع الصبر والاستسلام ، وكان أجدر بالمناقشة قول هوبز : وجودى هو المؤكد وما عداه خرافة ، وقول ماركس : لا إله ، والحياة مادة ، وقول انجلز : لا محل مطلقا لوجود خالق فى هذا الزمن ، الذى ظهرت فيه نظرية التطور ، وقول لينين : الماركسية هى المادية ومن ثم فهى معادية للدين . . .

لقد أجاد الأستاذ النمر فى آخر كتابه حين دعا بغيرة وإخلاص إلى وضع تشريعاتنا الإسلامية موضع الاعتبار ، إلا أننا كنا نود أن يعرض علينا بعضا آخر من المبادئ المستوردة إلى جانب الشيوعية ، حتى لا يختلط على القارئ كتابه هذا بكتابه السابق الإسلام والشيوعية ، وإن كان ثمت فرق شاسع بين هدفيهما .

٤ – النسخ فى الشريعة الإسلامية

للأستاذ عبد المتعال الجبرى ، ونشر دار العروبة بالقاهرة .

هـــذا البحث له خطورته ، فهو يتناول موضوعا دقيقا ، كثر فيه الخلاف بين أئمة الفكر الإسلامى قديما وحديثا . بل لقد وصل الخلاف فى موضوع النسخ إلى درجة التعصب والتطرف ، حتى لقد قال الإمام القرطبى عن النسخ : لا يستغنى عن معرفته العلماء ، ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء .

يتجه المؤلف فى بحثه إلى إنكار النسخ وقد اعتمد فى منهجه فى هذا البحث على أن لكل باحث الحق فى أن يكتب ما يشاء عن القرآن عما فهمه واقتنع به ما دام غير معارض فى فهمه

نصا قرآنيا أو حديثا نبويا قطعى الدلالة ، ولا خارجا على الأصول العامة للفقه والدين .

فى الباب الأول عرض مذهب القائلين بالنسخ وفنّده ، وعرض لتفسير آية ما ننسخ وعرض المؤلفات فى الناسخ والمنسوخ ، سواء أكانت قديمة أو حديثة ، وعرض منشأ القول بنسخ القرآن ، وناقش أدلة المثبتين للنسخ فى القرآن .

وفى الباب الثانى تناول مناقشة الآيات المنسوخة مبطلا دعوى النسخ فيها ، ناقشها آية آية ، وناقش دعاة القول بالنسخ من كبار الأئمة الأعلام أمثال : ابن حزم ، وابن كثير والسيوطى ، وشمس الأئمة الحنفى ، والخازن والبغوى ، وابن حزم الظاهرى .

وفى الباب الثالث والأخير ، ناقش الأستاذ الجبرى فكرة نسخ غير القرآن للقرآن والعكس ، وأكد فى مناقشته خطأ هـذه الفكرة ومجانبتها للحق ، وأن بعض الفقهاء تكلف فى الأحكام ، تكلفا كثيراً ما كان يخرجه عن الصواب .

هذا الكتاب دراسة واعية ناضجة بدون شك ، ولكن المؤلف عمد إلى التعرض لكل آية فى القرآن قد تعرضت لفكرة النسخ أو حتى لمجرد شبهة من شبهات النسخ فى القرآن ، فاستنفد هذا الجزء الأكبر من الدراسة من صفحة ٩٥ إلى صفحة ٣٣٤ ، وقد حمله هذا على أن يستعرض لنا مجموعة من آراء المفسرين مع يسير زهيد من المناقشة .

وكنا نود أن يحصل المؤلف على عدد أكبر من آراء الفقهاء القدامى ، تقف بجانب رأيه على الأقل وقد استطاع فعلا أن يجتذب بعضها ولكن ليس عن طريق الخط المستقيم .

إنى وإن كنت من غير القائلين بالنسخ فى الشريعة الإسلامية ، ومؤيدا للأستاذ الجبرى إلا أن هذا لا يمنع أن أقول :

إن مراجع الكتاب قليلة بالنسبة لموضوعه وأن محصوله من الآراء المتعصبة لفكرة النسخ قليل أيضا .

والذى لا نكران فيه بعد ذلك . أن هذا الكتاب دراسة عميقة دقيقة لها خطورتها ، وقد بذل المؤلف فيها مجهودا يستحق عليه تقديرنا ، وأعجبنى فيه استعداد حيثيات حكمه لكل معترض ، والكلمة الأخيرة ـ هى : إن التبويب للدراسة والعناية بورق طبع الكتاب له تأثير فى ذهن الدارس والقارىء على السواء .

٥ ـ من رسائل ابن تيمية :

العالم الفاضل والمسلم الغيور سماحة الشيخ محمد نصيف من أعيان جدة ، أطال الله بقاءه فى خدمة الإسلام وعنايته بتراثه الخالد ، أرسل إلينا برسالتين من رسائل ابن تيمية فى كتاب ، هما : رسالة الفتوى الحموية الكبرى ، والرسالة المدنية فى تحقيق المجاز والحقيقة فى صفات الله تعالى ، أما الرسالة الأخرى

فهى تلخيص الرسالة الحموية بقلم صاحب الفضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين ، وسمى تلخيصه باسم : فتح رب البرية بتلخيص الحموية ورسالة الفتوى الحموية ، هى إجابة للعلامة ابن تيمية عن سؤال من أحد مسلمى مدينة حماة بالشام عما يقوله الفقهاء والأئمة فى آيات الصفات وأحاديثها .

والواقع أن ابن تيمية صال وجال فى هذه الرسالة . وبلغ من التعمق أقصاه . وناقش آراء المجسمة والمشبهة والمعطلة والغلاة والرافضة ومن إليهم ، من الفرق التى ضلت الصراط السوى فى أخطر جانب من جوانب العقيدة . أما صاحب الفضيلة الشيخ العثيمين فقد وفق توفيقا مشكوراً فى تلخيص الرسالة ، حتى قربت بهذا التلخيص إلى الأذهان .

وأما فضيلة الشيخ محمد عبد الرازق حمزة المدرس بالمسجد الحرام بمكة المكرمة ، فقد قام بعرض الرسالة الحموية والرسالة المدنية ، وهى التى حقق فيها ابن تيمية المجاز والحقيقة فى صفات الله تعالى ، ورأى ابن تيمية فى صفات الله تعالى إثباتها إثباتاً يناسب ذاته ، وتستحق من الكمال ما تستحق ذاته ، ويرفض أن يصرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه ، فإن لله مثلا يداً ، ولكنها يدٌ لا تشبه يد المخلوقين . . . وبقى أن نقول : إن بحوث ابن تيمية التى تتصل بجانب العقيدة لا زالت تحتاج إلى مجهود ضخم ، حتى تكون أقرب إلى طلاب الثقافة الإسلامية . .

ويا حبذا لو حققت هذه الرسائل تحقيقا واسعا شاملا ، فقد كتب ابن تيمية ليناقش عقليات ممتازة على جانب كبير من العلم ، ولم يكن يكتب للعامة يفيدون منها فى تعرفهم على هذه القضايا المعقدة وموقف الإسلام منها .

٦ — ابن القيم :

للأستاذ عوض الله جاد حجازى أستاذ الفلسفة المساعد بكلية اللغة العربية . هذا الكتاب دراسة شاملة لأحد أعلام الفكر الإسلامى ، ممن تركوا تراثا فكريا خصبا ، لم يزل الغذاء العقلى لكثير من طلاب الثقافة الإسلامية .

تناول المؤلف فى الباب الأول عصر ابن القيم وترجمة له ، وطابع الانتخاب فى التفكير الإسلامى ، وسبب الإنتاج الكثير لابن القيم ، وموقفه من عقيدة السلف ومنهجه فى التأليف . وفى الباب الثانى تناول عقلية ابن القيم ، ورأيه فى مشكلة الصفات ومناقشته للجهمية والمعتزلة ومشكلة الشر وقضية النفس وقضية أبدية الجنة والنار .

هذا هو إطار الكتاب الذى وضع فيه المؤلف شخصية ابن القيم واضحة المعالم واستحق به أن ينال تقدير اللجنة التى ناقشته .

وأعجبنى فى المؤلف إلمامه الشامل بشخصية ابن القيم ، وتحديد الخطوط البارزة التى تكوّن هذه الشخصية ، وأعجبتنى أكثر من ذلك نزاهة المؤلف وحياده وحرية رأيه وشجاعته ، والذين تعودوا أن يترجموا لهذه الشخصيات التى لها مكان راسخ فى مجال الفكر الإسلامى ، هؤلاء إما يكونوا متعصبين لها أو عليها ، والقليل منهم هو الذى يضع الشخصية موضع النقد الحر ، بغض النظر عن رسوخ مكانتها وقداسة ذاتيتها .

إلا أن المؤلف لم يراع فى كتابه هذا التنسيق المتبع بين صلب الكتاب وهوامشه فالكتاب ليس تراثا يجوز للهوامش أن تفسح لنفسها فيه مكانا ، وكان الأحرى بالمؤلف ألا يلجأ إلى الهامش إلا فى الضرورة القصوى ، حين يحتاج إلى تفسير لغوى أو ترجمة لأحد الأعلام . أو لفت نظر إلى شىء خارج عن نطاق الدراسة نفسها .

وفى الكتاب أخطاء مطبعية كثيرة وشبهات لغوية كنا نود أن لا تشوه هذه الدراسة القيمة

والمؤلف حاول أن يجعل من ابن القيم شخصية مستقلة الفكر والرأى ، مع أنه صورة من شخصية أستاذه وشيخه ابن تيمية ، سواء فى منهجه الفكرى ، أو أسلوبه العلمى .

لقد استعان المؤلف بكثير من المراجع المعتمدة ، وهذا مما أضفى على الدراسة أضواء الاحترام والتقدير .

٧ الربا :

للعلامة الشيخ محمد رشيد رضا ونشر مكتبة القاهرة بالأزهر .

كتب مقدمة لهذا البحث وخاتمة له الأستاذ الكبير السيد محمد بهجة البيطار عضو المجمع اللغوى الآن ، والمجمع العلمى العربى بدمشق سابقا .

والشيخ رشيد رضا كتب هذا البحث المستفيض عن الربا ليكون رداً على استفتاء ورد من حيدر آباد بالهند عن مشكلة الربا وموقف الإسلام منها .

والشيخ رشيد يرى أن ربا النسيئة محرم لذاته ، ولا يباح إلا عند الضرورة ، كالميتة ولحم الخنزير ، وأما ربا الفضل فتحريمه وسيلة وليس قصدا ، فهو لسد الذريعة أى لكيلا يكون وسيلة إلى ربا النسيئة وما حرم سداً للذريعة أبيح للحاجة أو للمصلحة الراجحة.

وفى هذه الصولة من صولات الشيخ رشيد استعرض كثيراً من آراء الفقهاء والمحدثين ورجال التفسير ، وحقق مسألة المشتبهات بين الحلال والحرام ، وناقش بعد ذلك الآراء المعارضة والعقليات المقلدة ، فجاء البحث دراسة مستفيضة .

إلا إننا كنا نود أن تأتى هذه الدراسة فى طباعة تليق بمكانتها ، وأن يكون لتعليق العلامة الأستاذ البيطار مكان فيها .

محمد عبد الله السمان

بريد المجلة

١ – حول تجديد العروض :

علق الدكتور عبد الله درويش على ما كتبته في عدد (رجب) من مجلة الأزهر ، وقد كنت على أن ألوذ بالصمت لأن للدكتور درويش مكانة في نفسي ، لخلقه ، وفضله ، وعلمه ، ولكنى وجدت في كلمته أموراً لا يحسن السكوت عليها . فأنا أكتب هذه الكلمة . وأنا كاره .

١ – يقول الدكتور إن الأمر اشتبه على فظننت أن ثلاثتهم متفقون في الفكرة ، وأنى تسرعت فأصدرت الحكم باستبعاد فكرة توارد الخواطر ، والحق أن الأمر لم يشتبه على ، وأن في النصوص التي أوردتها ، ما يؤكد التشابه بين الآراء ، وليس على القارئ العادى إلا أن يرجع إلى مقالى ليجد مصداق ما أقول ، وقد قلت : إن الشيخ بدوى كان يمهد للوصول إلى إرجاع البحور كلها إلى بحر واحد ، وقد اتخذ إلى ذلك وسائل ، وأن بعض هذه الوسائل أخذها الدكتور أنيس ، واحتذاها الدكتور درويش فليس اختلاف الغاية مما يمنع الأخذ في الوسائل .

٢ – ويقول الدكتور – نقلا عنى – إن الكتاب لم تنشره إحدى المكتبات ، وإنما طبعه الشيخ لحسابه ، في إحدى المطابع وتولى توزيعه بنفسه بصفة ملازم ، وأن الشيخ محمد سرحان لديه الملازم الأولى ، وهى كل ما طبع من الكتاب . كما قال الشيخ سرحان.

وفى هذا الكلام ثلاث قضايا الأولى أن الشيخ طبع الكتاب لحسابه ، وهذا ما قلته ، ولكن أى ضير في هذا ، وهل يمنع هذا الاطلاع على الكتاب ؟ والثانية أنى قلت إن الشيخ وزعه بصفة ملازم ، وهذا – وأستميح الدكتور عذرا – مالم أقله ، بل إنى قلت له : إن الكتاب عندى تام كامل مغلف من يد الشيخ رحمه الله . وأبديت استعدادى لإطلاعه عليه متى أراد ، كما أبدى أحد زملائنا في معهد القاهرة وهو الأستاذ الشيخ أحمد أبو شلباية استعداده لإحضار الكتاب تاما غير منقوص وهذا الكلام يحمل القضية الثالثة ، وهى أن الشيخ سرحان قال إن كل ما طبع من الكتاب الملازم الأولى ، غير ذات موضوع – كما يقولون :

٣ ـ أما أن الدكتور درويش كان طالباً وقت أن طبع الشيخ كتابه فهذا لا يمنع أن يكون اطلع على الكتاب فيما بعد ، وكيف اطلعنا على عروض الخليل ، وبيننا وبينه ألف ومائتا سنة ؟ .

٤ ـ ولا ينقضي عجبي من سؤال الدكتور أنيس ، لماذا لم أكتب عن كتابه للآن ، مع أن كتابه ظهر منذ أكثر من عشر سنوات ، وكتب عنه الدكتور شوقي ضيف في مجلة الثقافة عام ١٩٤٩ ، والأساتذة العراقيون في مجلة الرسالة ، كأن من الحتم على أن أقرأ كل كتاب تخرجه المطبعة إبان ظهوره ، وإذا قرأته كان من الواجب أن أكتب عنه . وإذا كتبت عنه كان من الواجب أن تنشر لى المجلات ما أكتب ! ! .

٥ ـ وقد لخص الدكتور درويش فكرته فى أنها (ترتكز على أساس عدم الربط ، وفك الصلة بين الدوائر وبين البحور ، وكذلك عدم ربط الزحافات بالتفاعيل) وقد أطلت النقل فى مقالى من كتاب الشيخ عبدالفتاح بدوى ؛ مما يدور حول هاتين المسألتين :

هذا . وقد بدا لى من حديث الدكتور معى أنه صادق فيما يقول من أنه لم يطلع على كتاب الشيخ بدوى ، ولو صحت فراستى هذه فسيكون هذا الأمر على أكبر جانب من الغرابة فى توافق الخواطر .

٢ ـ النحو بين التجديد والتقليد :

وكتب الشيخ عبدالخالق عضيمة المدرس فى كلية اللغة العربية مقالات ، فى الرد على أصحاب فكرة تجديد النحو أو تيسيره ، ونشر هذه المقالات فى مجلة الأزهر .

ومنذ عهد قريب ، نشر كاتب آخر ثلاث مقالات طوال فى هـــذا الموضوع وقد ألم الشيخ عضيمة بآراء هذا الكاتب فى بحوثه هذه ، وظهر أثرها واضحا فى مقالاته ، وكان التقليد العلمى السليم أن يشير الأستاذ عضيمة إلى أنه بنى على ما كتب فى هذا الموضوع حتى لا يؤخذ عليه أنه أخذ آراء غيره ونسبها لنفسه ، ولكن الشيخ ـ لأمر لا أعرفه ولا أستطيع التكهن به ـ أغفل هذا الواجب إغفالا تاما .

وكان يمكن أن نلتمس للأستاذ عذرا فى أنه لم يقرأ تلك البحوث ، ولكن الذى أؤكده أن الشيخ قابلنى مرة ، وذكر إعجابه بها ، مما يدل على أنه قرأها ، وأمعن النظر فيها .

ومما ينبغى أن أسجله هنا ـ بهذه المناسبة ـ أننى كتبت منذ أعوام فى مجلة الأزهر بحثا بعنوان (قواعد بلا شواهد) وكان بحثا فى بعض مسائل البلاغة التى لا نجد لها شواهد من كلام العرب ، وقد رأيت ـ آنذاك ـ أنه ينبغى أن نحذف هذه المسائل ، ما دمنا لا نجد لها مستندا ، وإنما هى مجرد افتراضات

منطقية ، وقد قابلني بعد نشر البحث أحد الأساتذة الكبار، وأبدى رغبته في أن أزوره ليصحح لي أخطائي في هذا البحث ، ولكني لم أفعل . . ثم مضى عام ، ونشر الأستاذ بحثا في مجلة الأزهر ضمنه كل ما قلته في بحثي ، ولم يشر بكلمة واحدة إلى صاحب الفكرة الأولى

كما ينبغي أن أنوه هنا — والشيء بالشيء يذكر — بأمانة فضيلة الشيخ محمد على النجار ، فقد توقف في بعض بحوثه في نسبة أبيات إلى قائلها ، فلما لقيته أخبرته بصاحبها ، فجاء في المقال الثاني ، ونسب الأبيات ، وأخبر أنه أخذ هذا عن أحد تلاميذه ، وذكر الإسم ، وكان من اليسير أن يترك هذا ؛ لأن نسبة أبيات إلى قائلها ليس أمرا ذا بال ، ومع ذلك أبى الشيخ إلا أن يضيف كل شيء إلى صاحبه .

علي العماري

مسلمو بورما :

تقع بلاد بورما في شرقي الهند والباكستان، وكانت قبل سنة ١٩٣٧ م منضمة سياسيا إلى الهند ثم انقطعت عنها وصارت قطراً مستقلا . أكثر سكانها من البوذيين أما المسلمون فإنهم أقل منهم عدداً وأكثر ثروة لأنهم غالبون في مراكز التجارة كلها ومن أشهر مدنها :

١ — رانجون Rangoon وهي عاصمة البلاد وفيها برلمان الحكومة وهي مدينة شهيرة في العالم قد نفي إليها واعتقل فيها آخر امبراطور مغولي في الهند « بها در شاه ظفر » ودفن فيها ، وفيها عيون الذهب الأسود « البترول » يرسل منها إلى أنحاء العالم — والمسلمون فيها أقل عدداً من البوذيين وهم ينشرون مجلات وجرائد في اللغة الأردية والبورمية . ومن الجرائد اليومية التي تصدر في الأردية « دور جديد ، استقلال جنك » وتصدر شهريا « استقلال » .

٢ — ماندلي Mandalay وهي بلدة كبيرة كذلك وكانت عاصمة البلاد في الماضي وهي من أشهر مدنها ويسكنها المسلمون .

٣ — أكياب Akyab وهي مدينة تقع في مقاطعة أركان على شاطئ البحر ، والمسلمون فيها أكثر عدداً وثروة من غيرهم ؛ لأنهم غالبون في التجارة الداخلية والخارجية وفيها نحو خمسين جامعا وفي كل جامعة مدرسة دينية تعنى بتثقيف الأولاد الثقافة الإسلامية وفيها مدرسة كبيرة تدعى (تكميل العلوم) يتعلم فيها زهاء ٣٠٠ طالب .

٤ — بوتهي دنج (Bothideng) وهي بلدة صغيرة — والمسلمون فيها أقل عدداً وأكثر ثروة ، وأكثرهم تجار . وفيها عشرون

جامعا تقريبا ومدرسة إسلامية كبيرة تعنى بتعاليم الدين يؤمها الطلبة من أقصى البلاد حتى طبق صيتها فى بورما كلها — وأما الدعوة الإسلامية فى هذه البلدة فيرجع فضلها إلى الأستاذ عبد المعين لأنه ينقل بعض كتب المغفور له الشيخ أشرف على التهانوى إلى اللغة البورمية .

٥ — مونجدو (Mongdow) هى بلدة صغيرة والمسلمون فيها أقل عدداً وثروة .

٦ — بروم (Prome) تقع على شاطىء البحر لها ميناء صغير عدد المسلمين فيها قليل .

٧ — نول (Nool) هى بلدة صغيرة أيضا أكثر المسلمين فيها يزرعون المطاط وفيها مدرسة دينية ذات صيت (مدرسة أشاعت إسلام) يقصدها الطلبة من بلاد قريبة .

جاندوى ،لاشو، بهالو ، ما كوى ، موكر وهى مدن يسكن فيها المسلمون وهم أقل عدداً وثروة وليست فيها معاهد علمية إسلامية تذكر وكذلك فى أكثر مدن بورما عدد المسلمين فيها قليل .

أحوالهم الاقتصادية : أكثرهم يتجرون فى داخل البلاد وخارجها ولهم مصانع كثيرة فى مدن مختلفة وأقلهم يزرعون المطاط والقمح والشعير والأرز وما إلى ذلك من الحبوب ، وعند بعضهم حدائق النارجيل والفواكه الطيبة . أما حالتهم الدينية :

فليست هناك حركة دينية خاصة تذكر ولكن جماعة الدعوة والتبليغ تبذل جهودها البالغة فى سبيل نشر الدين، وقد غلبت فى بعض البلاد على المسلمين الشيوعية وتسرب إليهم الإلحاد — وهنالك حاجة ماسة لتكوين جماعة دينية إصلاحية تعنى بنشر الإسلام فى البلاد كلها وتعنى بنشر الثقافة الإسلامية بين أبنائها وأن يكون هنالك معهد يعنى بتعليم الدين الإسلامى مع التعليم العصرى ويكون هذا المعهد خير مجمع للمتعلمين — وحينئذ يمكن لهم أن يتمسكوا بعروة الدين والإسلام بقوة وإحكام .

تقى الدين الفردوسى

السوق الإسلامية المشتركة:

١ — يعرض لى وأنا أطالع أنباء التكتلات العالمية فى دنيا الاقتصاد موضوع لا أستطيع إلا التفكير فيه ، فنحن أمة تؤلف ما يقارب ربع سكان العالم يعيش فى عصر تتطاحن فيه الآراء والعقائد فى نفس الوقت الذى تتطاحن فيه فى ميادين الاقتصاد والمادة . فهناك ست دول أوربية انتظمت فى السوق الأوربية المشتركة وجارتها بريطانيا لإنشاء سوق تتزعمه ، بالإضافة إلى أن الدول اللاتينية تسعى لإنشاء سوق بينها ، وكذلك الدول الشيوعية تسير وفق هذا الطريق .

٢ — إن الشعوب الإسلامية تلتقى روحيا عبر حدودها الطويلة المترامية ، وإن هذه أمتكم أمة واحدة ، ، وتلتقى فى مكة سنويا فى اجتماع عام يحضره ممثلون عن أقطار الإسلام . هذا اللقاء لماذا لا يستخدم لخير هذه الشعوب فيكون اجتماعاً حافلا يضم مندوبين عن الدول الإسلامية لبحث إنشاء كتلة اقتصادية تجابه الضغط الاستعمارى الذى يبدو واضحا فى المستقبل القريب . فنحن أمة ليست فقيرة فى خاماتها إذ تملك نسبا ضخمة فى احتياطى العالم من معظم المواد، وهذا مما يجعلنا قبلة الأنظار من قبل الأسواق المشتركة الأخرى التى تعول على الدول غير المستقلة اقتصاديا . ونحن نوجه هذه الدعوة لإنشاء هذه السوق الإسلامية المشتركة فى الوقت الذى نرى فيه التقارب بين ملوك ورؤساء الدول الإسلامية يقوى يوما فيوما ، وليس أدل على ذلك من تبادل الزيارات بينهم وزيادة التفاهم فى تصريحاتهم المشتركة ونحن نبارك هذه الزيارات وندعو الله أن تطرد لخير هذه البلاد ورفعتها ووحدتها لا سيما ومعظم هذه الدول الإسلامية مستقلة ومتحررة من الاستعمار بشكل نهائى .

٣ — إننا اليوم نخوض حربا أقسى من حرب الصواريخ كما قال رئيسنا هى حرب العلم وبالأحرى احتكار العلم وإذا تساندنا نستطيع أن نلعب دورنا فى اقتصاد العالم . والدنيا كلها تتطلع إلينا بشغف واهتمام لترى مكان الأمة التى ورثت حضارة الإسلام وترى شخصيتها ومعالمها . ولكن هل سبقنا كثيراً ؟ لا أظن إلا أن المستعمر أطلق أكذوبته بأننا تخلفنا عن الركب ، إن بيدنا زمام الموقف إذا استفدنا من الوقت وعرفنا كيف نقفز إلى القمة فالمستحيل خرافة .

٤ — وعلى هذا الأساس أقترح إنشاء سوق دولية إسلامية تكون معرضا سنوياً فى مكة المكرمة . فكعبة المسلمين تنتظر الدور اللائق بها لتقوم به فى جمع المسلمين والدول الإسلامية تبعث بإنتاجها إلى أرض الحرم ، ليشاهده كل أخ وافد من كل قطر فيتعرف على النماذج التى ينتجها إخوانه فى أقطاره الأخرى ليستبدلها بما يستورده من نفس المصنوعات من البلاد الأجنبية ، فالدول الإسلامية كانت دولة واحدة وهذه حقيقة تعيش فى أذهان المسلمين .

ولكن : هل مكة بلد صالح لإقامة معرض إسلامى فيها ؟ وموسم الحج هل يجوز لنا أن نلتقى اقتصاديا فيه ؟ يجيب على هذا السؤال الاقتصادى الأول عمر بن الخطاب : هل كنتم تتجرون فى الحج يا أمير المؤمنين؟ قال رضى الله عنه وهل كانت معايشهم إلا فى الحج ؟ .

أحمد الرعاسى

قول من أتى بهيمة يقتل :

جاءت هذه الكلمة فى غضون مقال الأستاذ محمود الشرقاوى وقد راجعنا المصادر الكثيرة فرأينا فى مصابيح السنة للبغوى أنه حديث وجرحه آخرون، واختلف الأئمة فى ذلك فبعضهم يقول يعزر وبعضهم يقول يحد ، وبعضهم يقول يقتل، وجاءت هذه الجملة فى العهد القديم فى اللاويين « إنه من أتى بهيمة يقتل » والعلامة العدوى فى حاشيته على أبى الحسن فى مذهب المالكية تعرض لهذا الحديث فقال أنه لم يصح وقال إن هذا مذهب مالك رضى الله عنه .

وتوضيح هذه المسألة أن البغوى فى مصابيحه الجزء الثانى ص ٢٦٢ روى حديث « من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها » والمنذرى فى ترغيبه قال : « روى أبو داود عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها » .

وهى رواية ابن ماجة والترمذى من رواية عمرو بن أبى عمر عن عكرمة عن ابن عباس وقد احتج به الشيخان وغيرهما : وقال الخطابى قد عارض هذا الحديث نهى النبى عليه السلام عن قتل الحيوان . وروى البيهقى مثل ما تقدم والقيروانى فى رسالته على شرح أبى الحسن قال : ولا يقتل واطئ البهيمة وليعاقب لقوله عليه السلام من أتى بهيمة فلا حد عليه ، رواه الترمذى . والعمل عليه عند أهل العلم. وما روى من أتى بهيمة الخ .

فغير ثابت : زاد فى التحقيق فقال وأنكره مالك . وفى الكتاب المسمى بالمقدس فى الإصحاح العشرين من اللاويين « وإذا جعل رجل مضجعه مع بهيمة ، فالبهيمة يميتونها والرجل يقتل » ومذهب الشافعى فيه ثلاثة أقوال ومنها القتل والحد والتعزير . واختلف فى الأكل منها فبعضهم جوز وبعضهم منع . من هذا ترى أن هذا كان فى شريعة اليهود فلعله سرى إلى العلماء من هذا خصوصا وبعضهم طعن فى صحة الحديث الذى رواه البغوى .

سيد على الطوبجى

بيان المراد من كلمة :

جاء فى افتتاحية العدد الماضى من المجلة هذه الفقرة :

« وتكتيب الغوانى فى جيوش الاستعمار سياسة سنتها فرنسا وتبعتها انجلترا ،وصادفت هوى فى نفوس الصهيونيين فطبقوها على نطاق واسع فى السياسة والتجارة والحرب . ولا يزال إخواننا الفلسطينيون يذكرون (سوء عقباها فى التمهيد لقيام إسرائيل) وهذا الكلام واضح فى أن المراد به أولئك الأغرار الذين فتنتهم أموال اليهود ونساء اليهود ، فباعوا أراضيهم للصهيونيين قبل

وعد بلفور وحدوث المأساة . وكان ذلك إيذانا بها وتمهيداً لها . ولكن أحد الطلاب فهم من هذه العبارة الواضحة أننا نجعل النساء ومن أغوينهن - السبب الأول والأخير في ضياع فلسطين ويذكرنا بالخيانة في اللد والرملة والأسلحة الفاســدة ، وجلوب وعبد الله ونورى وهـذا مسلم به ، في أثناء المعركة وبعدها . ولكن حرب اللهو والنساء وما ترتب عليها من بيع الأراضي العربية للعصابة الصهيونية كان أسبق من هذا كله .

تعدد الزوجات في الإسلام :

يقول الأستاذ خالد محمد خالد في مقالة بجريدة الجمهورية : إن النبي رفض أن تكون لابنته ضرة ويدلل على قوله بحديث عن المسور ابن مخرجه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علياً بن أبي طالب ، وإني لا آذن لهم ثم لا آذن لهم إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها . ويعلق الأستاذ خالد بقوله . وإذا كان الرسول وهو يحمل نفسا إنسانية غلابة لم يطق أن يرى لابنته ضرة . (لأنه كأب وإنسان وجد أن الأمر لا يحتمل أفلا نلتمس العذر للمرأة نفسها - أي امرأة - إذا ما طالبت بوقف التعدد الذي يجعل حياتها جحيما لا يطاق ؟ هذا ما قاله الأستاذ وإني أسائله ما معنى كأب وإنسان ، هل معنى ذلك أن يكون الرسول رءوفا رحيما كأب وإنسان غيره كشرع ورسول ومبلغ ؟ هذا مالا نقره وإننا نستبعد من نبي المساواة الذي يقول لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها والناس في شريعته سواسية كأسنان المشط . أن يفرق بين بناته وبنات غيره فالكل سواء في نظر الشريعة .

وإذا نظرنا إلى مناسبة الحديث وقصته ولم نقطعه عن سياقه كشفنا عنه الغموض .

ولقد جاء في رواية الزهري لهذا الحديث زيادة توضح ذلك قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « وإني لست أحرم حلالا ولا أحلل حراما ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله مع بنت عدو الله أبدا » .

فعلة المنع إذن أن الرسول لا يحب أن تجتمع ابنته مع بنت أبي جهل . وكان من الطبيعي أن يتوجس بنو هشام ابن المغيرة خيفة من رفض الرسول فيتقدم عم الفتاة الحرث بن هشام يستأذن النبي في ذلك قبل أن يقدم على الموافقة على » .

وكيف تؤتمن بنت أبي جهل بمجرد إسلامها أن تدخل بيت على وهو درع كبير من دروع الإسلام - إن الدول لا تبيح لسفرائها الدبلوماسيين وأصحاب الرأي في جيشها أن يتزوجوا من دول أجنبية .

أما أن الإسلام دين تطور ومرونة فذلك لامراء فيه ومرونة الإسلام تتحقق فى توسيع دائرة التعدد . فالإباحة هى المنطقة الواسعة الكبرى بين الوجوب والتحريم فأنت فى ظلها سيد نفسك ومالك أمرك وموكل لاختيارك بأن تفعل الشىء وأن تتركه ، فإذا وضع الإسلام مسألة تعدد الزوجات فى هذا المكان فإنما هو المكان اللائق بها ، والمسير بها إلى منطقة أخرى من أحد الطرفين : الوجوب أو التحريم وضع للأمور فى غير موضعها وتقييد للتطور والمرونة باسم التطور والمرونة

ويقول الأستاذ فى مقاله : إن هناك حجة حاسمة تغنينا عن كل حجة ودليل ، فى ذلك التفويض المطلق الذى منحه الدين للناس حين قال الرسول (أنتم أعلم بشئون دنياكم ، وهذه من شئون الدنيا) ونقول له إن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال ذلك فى مسألة تأبير النخل حينما سألوه فى تأبير نخلهم ، فيصح لنا أن نقيس على هذه المسألة ما يماثلها مما لم يرد فيه نص كتسميد القطن وعدم تسميده مثلا وليس معنى ذلك أن نتكلم بهذه القاعدة فى أمور الدين التى وردت فيها نصوص القرآن وسار على هديها الصحابة والمسلمون إلى اليوم ، وإلا كان الأمر فوضى إذا صح لنا أن نقيس أمور الدين على الدنيا ونتغاضى عن المنطق وشروط القياس فنقيس الشىء على ما لا يشابهه وبذلك نتحلل من كثير من أحكام الدين ، وعلى فرض صحة قياس مسألة التعدد على هذه القاعدة : أنتم أعلم بشئون دنياكم فالحكم يكون خلاف ما أردت ، ألا ترى أن الرسول وهو الحاكم المسئول تركهم لاختيارهم فلو أن أحدهم لم يؤبر نخله لم يوجه إليه لوما ولو أبره لم يوجه إليه لوما ، فلم لا تترك أيضاً مسألة التعدد لهم فهم أعلم بظروفهم الاجتماعية . والله يوفقنا إلى الصواب وطريق المعرفة .

حسينى عبد المجيد هاشم
أستاذ التفسير بمعهد الزقازيق الدينى

الأصحاب

قال حكيم : الإخوان ثلاثة أصناف : فرع بائن من أصله ، وأصل متصل بفرعه ، وفرع ليس له أصل . فأما الفرع البائن من أصله فإخاء بنى على مودة ثم انقطعت ، فحفظ على زمام الصحبة ، وأما الأصل المتصل بفرعه ، فإخاء أصله الكرم ، وأغصانه التقوى ، وأما الفرع الذى لا أصل له فالمموه الظاهر الذى ليس له باطن .

أنباء الأزهر

الأستاذ الأكبر يعود من رحلته :

عاد فضيلة الأستاذ الأكبر يرافقه أعضاء البعثة الأزهرية بعد أن لبى دعوة حكومة أندونيسيا ومسلمى الفيلبين واتحاد الملايو ، وقد كان فى استقبال فضيلته فى مطار القاهرة الدولى السادة سفراء هذه الدول والملحقون السياسيون والثقافيون والعسكريون لها ، وفضيلة وكيل الجامع الأزهر ومدير المعاهد الدينية وعمداء الكليات ومدير الوعظ والإرشاد وشيوخ المعاهد وأعضاء هيئات التدريس بالكليات والمعاهد والطلاب .

وقد أدلى فضيلته بالتصريح الآتى : —

« إننى أشكركم على حسن استقبالكم ، كما أشكر المولى سبحانه على ما لمسته فى جميع الاستقبالات فى الدول التى زرتها من محبة صادقة لكم — يا أبناء الجمهورية العربية — ولرئيسها وقائدها ، لما يلمسون فيه من معان ومبادئ ومثل .

أبنائى : إن شعوب الأرض متطلعة إلى الحرية التى فطرهم الله عليها ، وإلى السلام الذى يطمئن البشرية على حاضرها ومستقبلها ، لقد لمست هذه النواحى فى كل جولاتى ، ومن أجل ذلك كان حبهم العميق للرجل الذى دعا إلى هذه المبادئ التى تتفق وما جاء فى الإسلام ، وتضمنته شريعتنا الغراء .

إن شريعتنا تؤمن بالإنسانية لأنها دعوة الحق . من الحق جاءت وبالحق نزلت ، تؤمن بها غير مقيدة بجنس ولا لون ، ولا مرتبطة بنوع ولا مكان ، الأمر الذى جعل السلام شعارها والأمن طريقها . ولذا فلن تعرف الحروب وإنما ستظل دائماً داعية السلام وراعيته ، ومنشأ ذلك الأخوة التى تتمتع بها هذه الإنسانية والتى جاءت فى كتابه تعالى : « إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

إن الأمم المتحدة الآن على الرغم من أن مبادئها الحفاظ على الحرية والدعوة إليها قد نقضت هذه المعانى فراحت تحارب كل من تطلع إلى هذه الحرية وطلبها ودعا إليها ، وحرص على أن يعيش فى أرضه آمناً مطمئنا .

لقد تغاضت عما جرى فى فلسطين ، وأصمت آذانها عما يحدث فى الجزائر ، وفرقت الأمة التى سعت فى الحصول على استقلالها والتمتع بحريتها ، وخلقت منها عملاء ضربت بهم الحاكم الشرعى ، وقضت عليه ، ولكن المبادئ دائما لا تموت . إن دولة الكونغو الحريصة على أن تحيا متمتعة بحريتها ستظل المكافحة المجاهدة تستمد من المبادئ الإنسانية ما يقويها ويشد أزرها حتى تطارد عناصر الشر وتقف فيها عناصر الخير قوية راسخة .

إننى أوجه إلى أبنائى وإخوانى الذين يؤمنون بالمبادئ القوية فى أنحاء الأرض ، ثم إلى إخوانى المسلمين فى جميع شعابها ونواحيها ، أن يقفوا جميعا للإنسانية صفاً واحدا وأمة واحدة ، يطاردون روح السيطرة الباطلة والطغيان الأعمى لتنتصر المعانى والمثل .

« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

وما أقوى ما اشتمل عليه شهرنا المبارك من معانى الاتحاد والوحدة والائتلاف والترابط .

ثم على معنى الصبر الذى يقوى فينا روح الأمل ويدفعنا إلى التعاون فى كل ناحية من نواحى حياتنا .

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » .

« وأن هـــذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » . حقق الله لنا النصر ، وعاشت الأمم المكافحة الداعية إلى الحرية والسلام ...

وما زال الزائرون يتوافدون على منزل فضيلة الأستاذ الأكبر مهنئين فضيلته بسلامة الوصول من رحلته الموفقة .

كما تلقى فضيلته مئات البرقيات والرسائل للتهنئة بالعودة ، وشهر رمضان .

الأستاذ الأكبر يعود إلى مكتبه :

عاد فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر إلى مكتبه صباح الثلاثاء ٢١/٢/١٩٦١ بعـــد عودته من رحلته إلى الملايو وأندونيسيا والفيلبين . وقد توافد على مكتب فضيلته كثير من المسلمين وعلماء الأزهر وموظفيه وطلابه .

وقد ألقى الأستاذ الدكتور محمد ماضى مدير عام المعاهد الدينية كلمة عبر فيها باسمه وباسم أساتذة المعاهـد وطلابها عن عميق شعورهم بعودة فضيلته من رحلته موفقا فى مهمته الإسلامية الكريمة .

ثم قال سيادته مخاطبا الشيخ : لقد عهدنا فيكم دائما أن يوفقكم الله فى كل مهمة تحملونها على عاتقكم فأنت شيخ الإسلام ، وقائد النهضة الإسلامية التى تؤدى واجبها فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، وإننا إذ ندعو الله أن يمينك على حمل هذه الرسالة وأدائها ـ نعاهدك على أن نعمل من ورائك دائما لخير الإسلام والمسلمين.

ثم قام فضيلة الشيخ محمد مرسى مفتش العلوم الشرعية فأشاد بجهود فضيلته الموفقة لتوثيق الصلات بيننا وبين هذه البلاد الإسلامية قائلا : لقد كنت يا فضيلة الأستاذ الأكبر همزة الوصل بين الأزهر وبين هذه الشعوب الإسلامية ، وأنا واثق أن كل فرد فى هذه الشعوب يكن للأزهر وللجمهورية العربية المتحدة ولقائدها الرئيس جمال عبد الناصر كل حب وإخلاص بعد قيامكم بهذه الرحلة .

ثم استقبل فضيلته علماء كلية الشريعة وعلى رأسهم فضيلة الشيخ محمد المدنى عميد الكلية الذى هنأ فضيلته باسمه وباسم أساتذة الكلية وطلابها بالعودة من رحلته .

ثم ألقى فضيلة الشيخ سعاد جلال الأستاذ بكلية الشريعة كلمة قال فيها : لقد عدت يا فضيلة الأستاذ الأكبر من رحلتك موفقاً ، فقمت بإحياء الفكرة الإسلامية فى تلك البلاد التى طالما تعطشت إلى قائد يجمع شملها ويوحد كلمتها .

إن موقفكم هذا ـ يذكرنا بأولئك الفقهاء العظام الذين كانوا يجمعون بين القيادة والسياسة والدين والحكمة . إن رحلتكم إلى الملايو ، وأندونيسيا ، والفيليبين ، تعيد إلى الإسلام سنته الرشيدة التى كان عليها العلماء العاملون . فكم لك فى التاريخ من مجد عظيم وفى قلوب العلماء من حب وتقدير .

لتدم أيها الشيخ ـ لأبنائك ، لتلاميذك ، وللفكرة الإسلامية داعياً وسفيراً .

الأستاذ الأكبر يشكر الوفود :

وقد شكر فضيلة الأستاذ الأكبر الوفود التى أقبلت إلى مكتبه لتهنئته بالعودة قائلا : إنى لأشكركم على هذه التحية المباركة التى صادفت شهر رمضان. ويهمنى أن تعرفوا أننى قد عدت من أرض أهلها كنبت يريد أن ينهض من باطن الارض ، لا يقبل ماء ولا سمادا إلا من الأزهر . هذا النبت المتطلع إلى الحياة يتلمس منكم التوجيه والإرشاد ، وفقكم الله لإحياء هذا النبت الذى لمسته بيدى ورأيته بعينى ، وسمعته بأذنى .

إنى لأعاهدكم أن أبذل بقية حياتى فى سبيل نشر الإسلام وخدمة الدين، والقيام على أصل الشريعة ودراستها ونشرها .

ثم نهض فضيلة الأستاذ الشيخ محمد المدنى عميد كلية الشريعة قائلا : بالنيابة عن أساتذة الكلية أقبل يد فضيلتكم ، فأبى فضيلته إلا أن يسلم على كل منهم واحدا واحدا .

الأستاذ الأكبر يتبرع بتسعين ألف روبية

وقد تبرع فضيلة الأستاذ الأكبر فى أثناء رحلته بتسعين ألف روبية ، على الوجه الآتى:

- ٥٠٠٠٠ر٠٠٠ لمنكوبى السيول فى أندونيسيا .
- ١٠٠٠٠ر٠٠٠ لبيت الأيتام فى جاكارتا .
- ١٠٠٠٠ر٠٠٠ لملجأ العميان فى باندونج .
- ١٠٠٠٠ر٠٠٠ للمعهد الدينى فى جنتور (فندق مودرن) .
- ٥٠٠٠ر٠٠٠ لبيت الأيتام فى (ميدان) شمال سومطرة .
- ٥٠٠٠ر٠٠٠ لمدرسة التربية الحديثة فى (ميدان) بمناسبة وضع الحجر الأساسى لمنشآتها الحديثة .

تهنئة شيخ الأزهر بالعودة وشهر رمضان:

تلقى فضيلة الأستاذ الأكبر مئات البرقيات والرسائل من كثير من المسلمين والهيئات الإسلامية فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، وذلك بمناسبة عودة فضيلته من رحلته إلى الملايو وأندونيسيا والفيلبين ، وبشهر رمضان المبارك .

وضع حجر الأساس لمبنى معهد دمياط :

احتفلت محافظة دمياط بالاشتراك مع معهد دمياط الدينى فى اليوم الأول من رمضان بوضع الحجر الأساسى لمبنى معهد دمياط الجديد .

وقد ألقى فضيلة شيخ المعهد كلمة تاريخية أشاد فيها برسالة الأزهر ، والمعاهد الدينية ، وقال: إن هذا المعهد الجديد هو أحدى المنشآت التى نفخر بها فى عهد الثورة الكبرى وإذا كان شكرنا للسيد الرئيس جمال عبد الناصر يتضمن شكراً لمحافظ دمياط الجليل ، فإن أعماله المجيدة فى حقل محافظته التى وهب لها عقله وقلبه ونشاطه ، واستعذب فى سبيلها كل صعب - كل ذلك يحملنى بالنيابة عن علماء الأزهر وطلابه أن أوجه خالص الشكر لسيادته .

والمعروف أن معهد دمياط أنشئ فى سنة ٨٨٠ هـ .

الإسلام والاستعمار فى الشرق الأقصى

تحدث الأستاذ الأكبر إلى جريدة الأخبار قال : إن المسلمين فى هذه المنطقة كانوا ينتظرون هذه الزيارة .. بدا ذلك واضحاً من استقبالاتهم وحفاوتهم فى الملايو وأندونيسيا والفليبين ... إن المسلمين هناك فى حاجة شديدة إلى معرفة الإسلام وأحكامه عن طريق الأزهر .. وأن آمالهم ترتكز فى ذلك على الجمهورية العربية المتحدة .. وجمال عبد الناصر رئيسها والأزهر الشريف وأن المسلمين فى الفليبين كونوا افرقاً من المتطوعين ليحاربوا معنا أيام العدوان الثلاثى .

وتحدث الشيخ شلتوت عن حياة المسلمين هناك .. فقال : إن عددهم يبلغ ٨٢ مليونا فى أندونيسيا وثلاثة ملايين فى الفليبين وخمسة ملايين فى الملايو .. والشىء الذى يحز فى نفسى أننى رأيت أصابع الاستعمار واضحة فى تأخر المسلمين هناك ، لقد حاول تحريف المفاهيم الإسلامية كدعوتهم مثلا إلى الزهد والتقشف الشديد والبعد عن العلم والتعليم حتى استطاع إبعادهم تماما عن الحياة العملية ومظاهر المدنية الحديثة ... وقد وضعت عشرة مبادئ هناك تعتبر دستوراً للمرأة المسلمة هذه المبادئ هى :ـ

دستور المسلمات :

١ ـ لا تتزوج المسلمة من غير المسلم .

٢ ـ للمرأة المسلمة أن تحتفظ بأملاكها وتتصرف فيها بمفردها بعد الزواج .

٣ ـ للمرأة مثل الرجل حق الانتخاب والتصويت وترشيح نفسها للهيئات العامة وإبداء رأيها .

٤ ـ للمرأة مثل الرجل أن تحضر دروس الوعظ والإرشاد كما أن لها أن تعظ وترشد غيرها من الرجال أو النساء على السواء .

٥ ـ على المرأة أن تؤدى فرائض الإسلام من صوم وصلاة وحج وزكاة مثل الرجل إلا أنها يجب أن تذهب إلى الحج فى صحبة محرم أو زوجها .

٦ ـ لا يجوز أن تنفرد المرأة برجل غير زوجها أو محرم وعلى الرجل مثل ذلك .

٧ ـ يمكن للمرأة أن تسافر للخارج طلبا للعلم أو العمل على شرط أن تحافظ على شرفها وعفتها وكرامتها .

٨ ـ يحق للمرأة أن تعمل الأفضل اشتغالها بالأعمال الإنسانية .

٩ ـ على المرأة أن تحافظ على مال زوجها .

١٠ ـ عليها رعاية أبنائها وتربيتهم التربية الدينية الصحيحة ..

وأبدى المسلمون فى الفليبين لنا حاجتهم إلى إنشاء مركز ثقافى إسلامى وإلى علماء ووعاظ . وهذا قيد البحث الآن ، وفى أندونيسيا وقعنا اتفاقية ثقافية لتوثيق عرى الصلات والروابط بين المسلمين هناك والأزهر ، وتشجيع

البعثات التعليمية إلى الأزهر وإرسال الكتب الدينية واللغوية وتبادل الرسائل والبحوث العلمية والمحاضرات الجامعية وإقامة اجتماعات دولية للطلبة المسلمين وأساتذتهم من جميع أنحاء العالم للتعارف وتبادل الآراء والأفكار فيما يخص تقدم المسلمين فى جميع أنحاء العالم .

تنظيم النسل :

ومضى شيخ الأزهر يتحدث عن أصابع الاستعمار والصهيونية فقال : لقد فوجئت هناك بأن الاستعمار يدعوهم إلى كثرة النسل بدعوى أن الإسلام يقر ذلك .. وعرفت أن أحد الوزراء المسلمين لديه ١٥ ولداً وهو عدد قليل بالنسبة للعامة .. وذلك فى نفس الوقت الذى يدعوهم فيه إلى التقشف .. وذلك بقصد زيادة فقرهم .. ولكنى أعلنت هناك أن الإسلام يأمر بتنظيم النسل .. وإن كان يحرم إيقافه أو تحديده .

وأعلنت هناك أيضا . . أن الإسلام دين العمل ودين السلام والجهاد وأن الإسلام أيضا دين العلم وذلك ليواجهوا مؤامرات الاستعمار . . وقلت فى جميع المحاضرات التى ألقيتها أن الله سبحانه وتعالى رفع من شأن العلم فى أول وحى أنزل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم » . .

ولقد تحدثت فى إحدى المحاضرات فى جاكارتا بأندونيسيا على أثر استفتاءات كثيرة من الملايو وأندونيسيا سواء من الرسميين أو من الشعب عن حاجة المسلمين الملحة لإنشاء مجمع علمى إسلامى يجمع علماء المسلمين من مشارق الأرض . . ومغاربها لا فرق بين مذهب ومذهب وإقليم وإقليم لينظر فى ما يعرض للمسلمين من مشاكل وخاصة فى النواحى الاقتصادية الحديثة وغيرها التى استحدثت فى العصر الحديث ورأى الإسلام فيها . وقد نص البيان المشترك بيننا وبين الحكومة الأندونيسية على أن يقوم الأزهر بإنشاء هذا المجمع العلمى الإسلامى وهو الآن يأخذ طريقه نحو التنفيذ . ومن الأعمال التى تمت فى الرحلة الاتفاق بيننا وبين الملايو على إشراف الأزهر على امتحان المدارس الابتدائية والثانوية الدينية بالملايو تمهيداً لالتحاقهم بالأزهر . وتوقيع اتفاق مع وزير التربية والتعليم بالملايو على الاشتراك فى مؤسسة تتبع الأزهر لطبع ونشر القرآن الكريم لمواجهة تحريف إسرائيل وطلبوا منا أن يكون الأزهر مصدر الفتوى لكل مايتعلق بالدين واعترفنا بشهادة الكلية الإسلامية بالملايو .

فهرس أبجدى عام
لموضوعات المجلد الثانى والثلاثين

فهرس أبجدى عام
لكتاب هذا المجلد